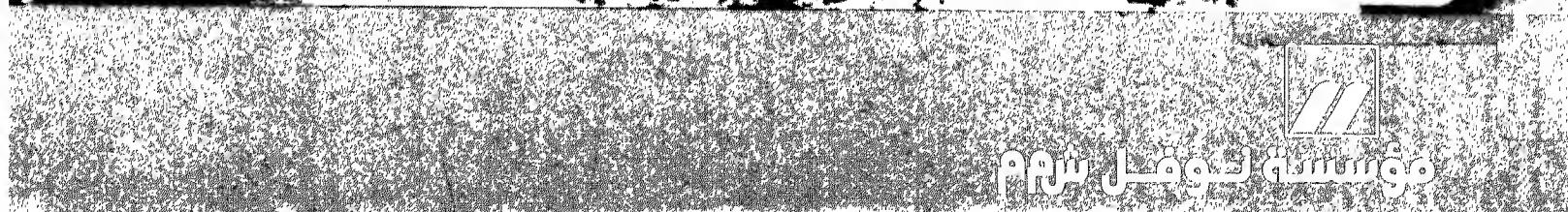
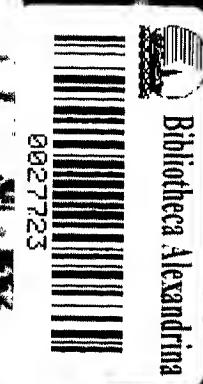
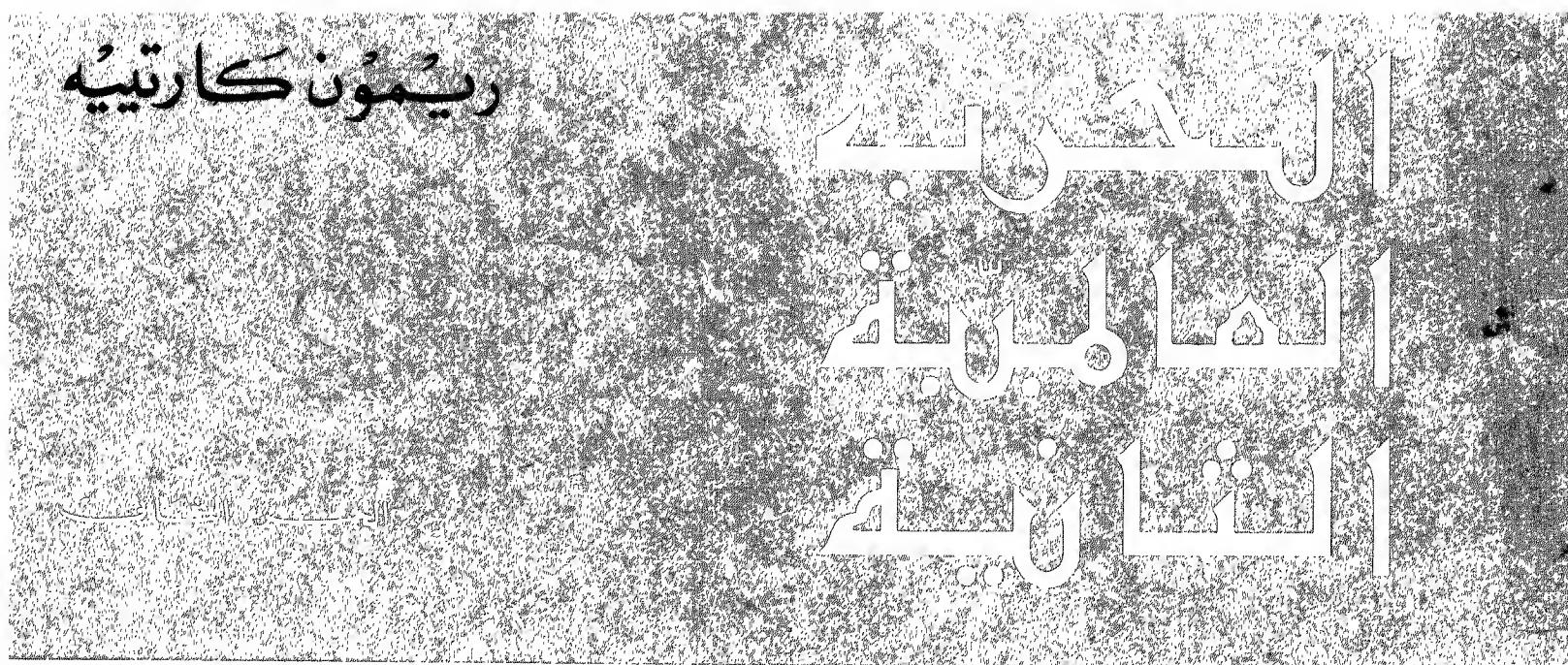
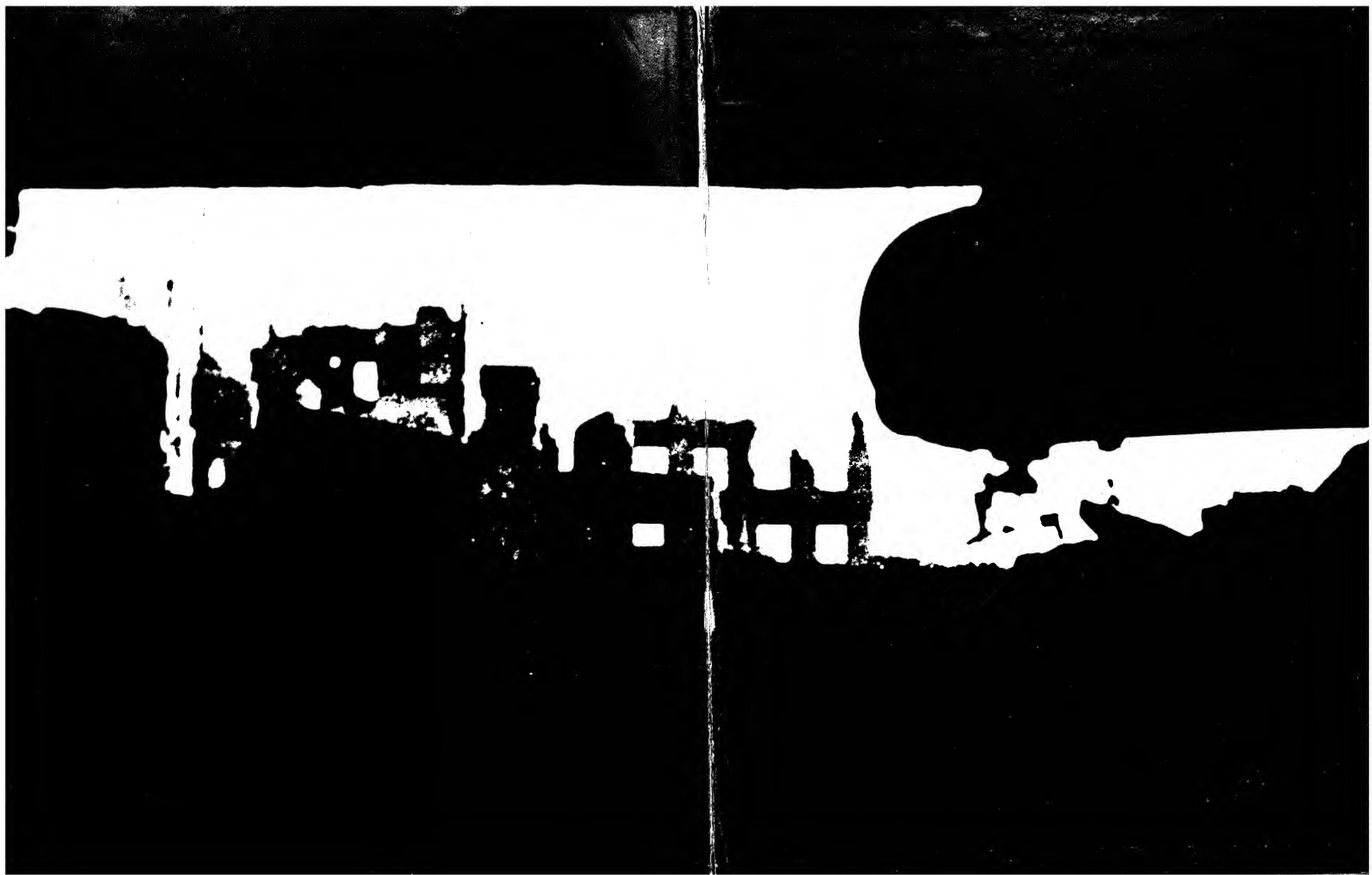


ریمون کارٹیه





الجزء الثاني



١٩٤٢ - ١٩٤٥

الطبعة العربية الثانية © ١٩٨٣
مؤسسة نوبل ش.م.م.
بنية نوبل - شارع المعماري
ص.ب ١١/٢١٦١ تلفون ٣٥٤٨٩٨
تلكس ٢٢٢١٠
بيروت، لبنان

NAUFAL GROUP SARL
B.P 11/2161
Beyrouth, Liban

الحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَةُ

نقله إلى العربية
سهييل سماحة وانطوان مسعود
باشراف
جبران مسعود



مُؤسَّسَةُ نُوفُلُ شُرُور

رِيمُونْ كَارْتِيَيهُ

الحرب العالمية الثانية

لاروس وباري - ماتش
باريس



سنة ١٩٤٣ فرّ
«روزفلت»
و «ترشتل» في
«الدار البيضاء»
إرجاء نزول القوات
الحليفة في «أوروبا»
إلى السنة التالية.

الفصل السادس عشر

أیلوں ۱۹۴۲

لم يكن ميزان القوى الجوهرية يفسح للشّكّ مجالاً؛ «ألمانيا» و «إيطاليا» و «البابان» لم تبق كفافٌ من أجل أن تنتصر ، بل من أجل ألا تُقْهَر .

أرض داسية

كان رحى الحرب هذه . من حيث الوجهه العسكريه . على سارع سبعه رئيسه . هي : ١ الحجه الروسيه . ٢ المدن الجنوبيه لأوروببي . ٣ المحطة الانهاس . ٤ «أفريقيا الشماليه » . ٥ «براما» . ٦ «الصين» . ٧ «أوقانيا» .

١- من القطب الشمالي إلى "القفقاس"

كانت هذه أهـم إنجـاحـات مـأـدـمـاـهـا مـلـيـلـاـتـهـوـ . وهي بـعـالـمـهـ مـلـيـلـاـتـهـ بـحـرـ « رـايـتـهـ » وـتـأـسـسـهـ فـي الـأـمـمـيـادـ حـيـنـ شـانـجـ جـوارـ بـحـرـ « فـؤـونـهـ » . مـسـوـعـهـ ١٩٧٧ فـرقـهـ مـنـ مـخـصـصـهـ فـيـ الـمـجـمـعـ الـأـلـافـيـ الـ٢٦٧ـ . بـعـدـ مـنـافـيـهـ ٧٧ فـرقـهـ بـيـنـ رـوـمـاـنـيـهـ . وـإـيطـالـيـهـ . وـغـرـيـثـيـهـ . وـسـاوـفـارـيـهـ . عـلـىـ خطـ لـاـ يـقـلـ طـولـهـ عـنـ ٥٠٠٠٥ـ نـاـمـ . لـمـ مـاـ بـعـادـ عـامـةـ أـنـسـاءـ ماـ لـفـظـهـ إـنـجـهـهـ الـفـرـسـيـهـ فـيـ حـرـبـ ١٩١٤ـ ١٩١٨ـ

الأخير بإداً وباً تلقي من أنة ١٩٤٢ ٣٣٦ مل
٩٤١ ١٢٦-٩٤١ حريراً ٩٩٠ ٧٥ مل
١٠٦٣٧ حمل من أندامهم ٩٦٦ ٤٨ مل
الحرج إلى الفصال بعد ثمانين ٦٥ مل
المادة من الغرب ألم الآلي ٣٣٠٤٠٥ مل
إلا أن المعدات كانت ما يزال بعدها في مأوى ٣٣٠٤٠٦ مل
مقدارها وهذا ما حمل المركب الألي ٣٣٠٤٠٦ مل
التي يحيط بها

أن مظهر الديكتاتور الروسية هو عدو، وهذا الموقف من هامش واسع في العالم.

سفينة حربة كندية تحوي إحدى الفواول سمالي الأطلسي.



من العتاد . وذاك النهر المتذبذب من القوة . اللذين انصبوا على «روسيا» وأوروباها ابتداء من ١٩٤١ . ما يعجز الخيال . فالعقبات كانت هائلة . والصناعة الحربية الأميركية قد اجتازت مضائقها الأولى وبلغت مرحلة الإنتاج الضخم . إلا أن الطلبات كانت كثيرة متعطشة : فقد أعلن «ماك أوفر» و«نيميتر» . يدعهما في ذلك الأميركي «كينغ» . أنه قد ضحى بهما . وأن الدم الأميركي يتزلف في المحيط الهادئ لأن ما يتلقىانيه من عتاد لا يكفي . وهكذا كانت الأركان كلها تابع في الطلب . من الأركان القائمة بإعداد التزود إلى البر الأفريقي الشمالي . إلى التي تدير معركة الأطلسي . إلى التي تعد العدة لغزو «أوروبا» . ولكن ذلك لم يتحقق دون تمعن الروس بأسمى حقوق الأفضلية . مع أنهم أصعب الزبن إرضاء : فهم ينصبون على الأميركيين بوابل من الطلبات . ويتناقضون في نوعية ما يقدم لهم . ويلحقون مطالبين بتسليهم كميات ضخمة هائلة . مشددين في التكتل للدرجة أنهم قد آثروا التخلّي عن دفعه من قاذفات القنابل . على أن يسمحوا لطيارين الأميركيين بإ يصلوا إلى «سييريا» .

أما المشكلة الأزلية . مشكلة ١٩١٤ . فهي مشكلة الطرق . فأبواب «الدردنيل» مغلقة من جديد . وما يتقاده المحيط المتجمد الشمالي هائل خيف . أما المحيط الهادئ فيفرض دورة واسعة جداً . ولذا لا يُسلِّجُ إليه إلا في الكثير من المذر . وتحت ظل العلم السوفيافي فحسب . طلما أن المناطق المجاورة «الفلاديفوستوك» واقعة تحت رقابة اليابانيين . أما طريق «إيران» فآمنة . ولكن قدرة استيعابها ضعيفة . وهكذا انتصبت العقبات والمساوي في كل ناحية ، بحسب غدا الحال . الوحيد اعتماد هذه الطرقات جميعاً في آن معاً . مع قبول ما قد يتبع عن ذلك من خسارة وتأخير .

وهكذا انبعثت في هذه المجرى الضيقة سيل من الأعتدة . فسلمت «أميركا» «الاتحاد السوفيافي» . بين تشرين الأول ١٩٤١ وحزيران ١٩٤٢ . ١٠٢٨٥ طائرة . و٢٠٢٤٩ دبابة . و٨١.٢٨٧ رشاشاً . و٣٦.٨٢٥ شاحنة . و٥٦.٤٤٥ هاتف ميدان . و٣٨١.٤٣١ ميلاً من أسلاك الهاتف . الخ . ثم رفعت اتفاقية ثانية هذه الكمبان إلى أضعاف ثلاثة وأربعة وخمسة . وأضافت إليها بعض التجهيزات الصناعية . فقد أدمت مصفاة للفحص خاصة بإنتاج بنزين ذي درجة عالية من الأوكتان . ومصنعاً لأطرب المطاط تابعاً لشركة «فورد» المحرّكات أرسل إلى «الأورال» . كما قدّمت جهازاً لإشارة بقصد تطوير الخطوط الحديدية السوفياتية . يضاف إلى ذلك كلّه تشكيلة لا تُحده من الآلات والعدّ . هذا . وقد تم تجهيز بعض المصانع الأميركيّة لصناعة بعض السلع الملائمة للحاجات الروسية . كجزمات الآباء «فيتاجروا» التي وضع تصميمها الأول إسكاف «تقولا الثاني» الخاص «الاجبي» إلى «الولايات المتحدة» منذ ١٩٤٠ . فقدت «روسيا» نصف مواردها الغذائية . فارسلت لها «أميركا» اللحوم وغيرها ، وهي أفضل ما تكون تركيزاً وتجفيفاً . وأخذت عدة مصانع في «الغرب الأوسط» تتبع «بوروس» (أي الحساء الروسي) بأحجام شبيهة بعلم الثقب . وكذلك «التوشها». أو لحم الخنزير على الطريقة الروسية . غير أن الحكومة السوفياتية طلبت إلغاء كلّ ما يمكن أن يشير إلى مصدر هذه المعلبات . قائلة إن شعيبها قد يشعر بشيء من الذل إن هو علم بأن بلدًا غريباً يوفر له الغذاء .

والتيك مقاومة بسيطة تُظهر مقدار العون الأميركي : ففي ٢١ حزيران ١٩٤١ كان الجيش الألماني قد دخل «روسيا» بـ ١٠،٨٣٠ طائرة . وـ ٣٠.٥٨٠ دبابة . وـ ٦٠٠.٠٠ سيارة ، وخلال ١٩٤٢ - ١٩٤٣

«وُسْتَه كروب» . بمعونة البروفسور «بورشي» . بإنشاء نموذج للدبابة «تيفر» تزن ٦٥ طنًا . وبنسخة عنها تحمل اسم «بتيه» . يد أن «هتلر» كان يصر على الاعتقاد بأنّ عهد الدبابة قد انقضى . وبأنّ من الخطأ أن شخص بمجهود صناعي مفترط . وهكذا لم يسمح الفوهرر بتلبية الطلب الأول الخاص بصنع ٢٥٠ دبابة من «تيفر» و «بتيه» إلا في ٢٣ حزيران ١٩٤٢ . ولوسوف تقضي أشهر طويلاً قبل أن يتسعى لهذه المعدات المتزايدة الانضمام إلى الصفوف الألمانية . ولو نظرنا إلى الأرقام المجردة لتبين لنا أن ما عانه «روسيا» كان أضخم بكثير مما عانه «ألمانيا» . هذا به العلم بأن «روسيا» لم تنشر فقط جدولًا مفصلاً بخسائرها . صحيح أن عدد الأسرى الروس قد تضاعف منذ أصبحت المعارك أقلّ تفاوتاً . إلا أنّ الخسائر الدامية ما فتئت فادحة للغاية . كانت «روسيا» تدفع للدفاع عن أرضها ثمناً من الأرواح البشرية يبلغ من السخاء حدّاً يذكر بمجازر الحرب العالمية الأولى على الجبهة الفرنسية . كان بوسط الوطن الروسي أن يوفر لنفسه مثل هذه التضحيات الهائلة . فمستودعه من الرجال ما زال ممتلاً . وإمكانية تجديد جيشه ما انفكّت مدهشة غريبة . فقد عُكن المكتب الثاني الألماني . بتاريخ ١٥ آب . من تحديد ٤١٨ فرقه روسية على الجبهة . وقدر مجموع الفرق الروسية بـ ٧٨٩ . ولقد كان التقدير صحيحًا على ما يبدوا . إلا أنّ الجنرال «فارليمونت» يشكّ في أن يكون أحد قد تجرأ فأطلق عليه «هتلر» الذي ما انفكّ يتهم مجلس أركانه بأنه يرى الأعداد متزوجة في مجال إحصاء العدو !

لم تكن الانتفاضة الروسية في ميدان الإنتاج بأقلّ مثراً للإعجاب . وقد أنت سنة ١٩٤٢ حاسمة من هذه الناحية . إذ تم نقل الصناعات الحربية إلى ما وراء «الأورال» . فهذا بعض مدن «آسيا» الوسطى . «كالما - آتا» . مصانعه للأسلحة متاجحة باللهب . فتم بذلك تعويض الخسائر الباهظة التي حلّت بالأعتدة . وخاصة في مجال المدفعية التقليدية حيث بقي الروس أسياد الموقف . أما في ميدان المدفعية الثورية فقد أخذت قاذفة الصواريخ «خوسنوكوف» . التي دعاها الروس «كانيوشكا» والألمان «أرغن ستالين» . تلعب دوراً متزايد المطرورة مع الأيام . شأنها في ذلك شأن منافستها «النيلففر» الألمانية . أما في حفل الدبابات . فقد أفلج الروس عن صنع الجبارة منها وأكثروا من إنتاج دبابة خفيفة سريعة هي «ت - ٥٧٠» . وفي حفل الطيران طفقو بخرون عدة أصناف من الطائرات «بياك» . وطائرة «قتال الممتاز» «ي - ١ - ٢» . وقصاري القول . أنّ المورة التي كانت تفصل ما بين الجيش الألماني والجيش الروسي أخذت في الزوال في مجالات التكتيك والتسلّح كلّها . ولكن . هل كانت هناك هوة حقّاً ؟ لم تكن المورة مظهراً خادعاً ؟ الواقع أنّ ما كان بعض الأخصائيين يدركه بشأن الجيش الألماني قد أثبتته المحنّة الروسية : فذاك الجيش الذي أعيد بناؤه على وجه السرعة وفقاً لمعطيات برقة وسطحة . ذاك الجيش الذي انتصر بسهولة ، بادئ ذي بدء . على خصوم ضعاف أو حمقى . كانت تعوزه صلابة الأساس : بل إن «ألمانيا» نفسها كانت تفتقر إلى احتياطي القوة . وإلى الاستعداد البعيد المدى . الفوضويين لمجاپة نزاع جبار . وهكذا كان الجنرالات . الذين طلّوا أنخطوا في تقدير الظروف . مخفقين في اختلافهم مع «هتلر» . جملةً وجهاً ، فمع أن «ألمانيا» قد اجتاحت «أوروبا» بكمالها . وأضحى يوسعها أن تتصرف على هواها ببرؤتها المادية والبشرية . فإنّها لم تتمكن من رفع أداتها الحربية إلى مستوى التحدّي الذي أطلقته . هذا . ولا بدّ من الإشارة إلى عامل مثل دوراً خطيراً في قلب ميزان القوى على الجبهة الشرقية . ألا وهو العون الأميركي . في ذلك الغر



فاهر «سيياسنبوول» ، «فون مانشتاين». لقد أكسيبه هامشة تلك عصا المارشالية ، فضلاً عن قيادة الهجوم على «لينينغراد».

«لينينغراد» سنة ١٩٤١ . أخذ الآن يستذكر المقاومة التي تجاهه بها : ورغبة منه في تصفيته وضعها نقل من الجنوب إلى الشمال فائني «سيياسنبوول» . أي الجيش الحادي عشر . و «إريث فون مانشتاين» . أحدث المارشالات عهداً .

أخذ «مانشتاين» يجمع المدافع الجبارة التي سحقت «سيياسنبوول» . وراح يركّزها بنظام . وبينما هو في غمرة استعداداته اتصال به «هتلر» هانقّياً في ٤ أيار من «فينيتزا» . معلناً أنَّ الروس قد استتبّقاً عمليّة الهجوم على «لينينغراد» . فشنّوا جنوبّي «شلوسلبورغ» هجوماً تخاذل تحت وطأته الجيش الثامن عشر . ودوهمت خطوط الحصار المفروض حول العاصمة السابقة من الوراء ! وقال الفوهرر إنَّه يعتمد على «مانشتاين» لتلقي ما أسماه «بالكارثة» . وهكذا تحول حصار «لينينغراد» إلى معركة هدفها منع تطويق المهاجمين !

خرج قاهر و «سيياسنبوول» من أتون صيف «القرم» . فإذا الخريف قد حل في «لينينغراد» ، وإذا بفضل الأحوال قد عاد من جديد . زُود الفيلق ٣٠ . التابع للجزال «فرير بيكتو» . بدبّابات «تيغر» . الثلاث الأولى التي خرجت من المصانع عمّالق يعتمّد عليها لتجاذب حرب المصفّحات . فما كان من المدفعية السوفياتية المقدّمة للدبّابات إلا أنْ دمرتها جميعاً في مدى دقائق ! إلا أنَّ مهارة «مانشتاين» وحيويته قد أفلّتنا الموقف . فشنَّ هجوماً معاكساً على جنبات الجيب الذي رسمه التقدّم السوفياتي . وأباد المهاجمين . بيد أنَّ الموقعة قد استندت الدخائر المكثّفة للانقضاض على «لينينغراد» . وعندما انتهت في تشرين الأوّل كان الفصل قد تقدّم بقدر لم تبق معه إعادة تعليم العمليّة ممكّنة . صحيح أنَّ جيشاً روسيّاً آخر قد أيد . غير أنَّ «لينينغراد» قد أُنقذت من جديد .

أما في الجنوب الأقصى فقد جرت معرّكـتان متتاليـتان . معرّكـة

أما آن للشتاء أنْ ينتهي ؟ توغلت الجيوش الألمانيّة في مازقـه ، وبـنـس المصـير !



قدمت «أميركا» «لروسيـا» ٣٠٠٥٢ طائرة . و ٤٠٨٤ دبّابة . و ٥٢٠،٠٠٠ سيـارة – أي أتها في سنة واحدة قدمت ما يعادل العتاد الألماني أو يزيد .

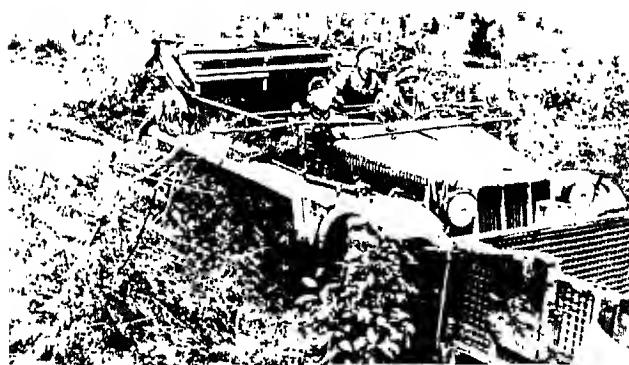
كانت الجبهة الألمانيّة – السوفياتية تنطلق من المحيط المتجمد الشمالي ممتدة أولاً حتى خليج «فنلندا» . فتشمل ١٠٦٠ كيلو من المروج والغابات . هنا لم يتبدّل الوضع منذ ١٩٤١ : فالنشاط خفي . وبعد شلل الشتاء الطويل عاد حزيران فمبع المستنقعات التي لا سبيل إلى اجتيازها نظراً لمليارات البعرض التي تحميها . ثم حلَّ آب ١٩٤٢ معناً للمرة الثانية قرب أفال الصيف . وسما دلَّ على ضعف الجيش الألماني عجزه عن تجديد الهجوم على خط حديد «مورمانسك» . فالقطّار الثقيلة المحملة بالعتاد الأميركي كانت تمرّ على كيلومترات قليلة من الخطوط . ولا يعكر سلاح المدفعية والطيران حرّكة مرورها إلا قليلاً . بين الفينة والفينة .

وشمل القطاع الألماني الثاني الكبير مجموعة جيوش الشمال التي يقودها الجنـال – فيلد مارـشـال «فون كوكـلـر» . فقد ضرب نطاقاً حول «لينينـград» . ملامـساً بحـيرة «لاـدوـغا» في «شـلوـسلـبورـغ» . محـاذـياً «الفـولـوشـف» . مستـديـراً حول بـحـيرة «إـلـنـ» . مـحدـقاً بـنـجد «الفـالـدـايـ» . رـاسـماً نـاثـة «دـيـيـانـسـكـ» الـكـبـرـيـ . مـنـتهـاـ في «شـولـمـ» . عـلـى «الـلـوـفـاـ» . ولم يكن يسيطر على هذا الخط المـتـعرـج الذي يـلـغـ طـولـه ١،١٠٠ كـلـمـ غير ٤ فـرـقة أـلـانـيـة . إـلـاـ أنـ الغـابـاتـ الشـاسـعـةـ . والـمـسـنـقـعـاتـ العمـيقـةـ . وـقـلـةـ الـطـرـقـاتـ . وـقـلـرـ المـوارـدـ الـمـحـلـيـةـ ، لمـ تـفـقـدـ الـحـرـبـ شـبـياًـ منـ حدـتهاـ وـضـرـوـرـتهاـ . أمـاـ «لينـنـغرـادـ» فقد صـمدـتـ وـكـانـهاـ جـلـمـودـ صـخـرـ . فـالـمـدـيـنـةـ الـيـةـ كـادـ يـتمـ تـطـوـيقـهاـ لـاـتـنـفـسـ إـلـآـمـنـ تـافـذـ ضـيـقـةـ بـقـيـتـ طـاـ علىـ بـحـيرـةـ «لاـدوـغاـ» بـيـنـ «شـلوـسلـبورـغـ» وـحـدـودـ ١٩٣٩ـ . الـيـ عـادـ الـفـنـلـنـدـيـوـنـ فـاحـتـلـوـهـاـ رـافـضـيـنـ التـقـدـمـ إـلـىـ ماـ وـرـاءـهـ . كـانـ تـمـوـيـنـ الـمـدـيـنـةـ مـمـكـنـاًـ أـثـنـاءـ الشـتـاءـ بـفـضـلـ طـرـقـاتـ فـتـحـتـ عـلـىـ الـجـلـيلـ . أمـاـ الـآنـ فقدـ قـطـعـ ذـوـبـانـ الـجـلـيلـ هـذـهـ الـصـلـةـ الـضـعـيـفـةـ . وـلـمـ تـعـدـ حـرـكـةـ الـمـلاـحةـ عـلـىـ الـبـحـيرـةـ وـصـلـهـ إـلـاـ جـزـئـاـ . فـيـاتـ لـقـمـةـ الـجـبـزـ الـيـوـمـيـةـ الـيـتـبـلـغـ بـهـ مـلـيـونـ مـنـ الـمـدـنـيـيـنـ . وـبـاتـ حـصـصـ جـيـشـ بـكـاملـهـ مـنـ الـزـادـ وـالـذـخـيرـةـ وـالـمـوـادـ الـأـوـلـيـةـ الـيـ تـعـدـيـ صـنـاعـةـ حـرـبـيـةـ أـبـتـ أـنـ تـخـبـرـ . بـاتـ كـلـهـاـ مـتـوـقـفـةـ عـلـىـ بـعـضـ السـفـنـ الـمـاـخـرـةـ فـيـ الـبـحـيرـةـ . إـلـاـ أـنـ التـحـدـيـ مـاـ زـالـ قـائـمـاـ . كـانـ بـوـسـ الـأـلـمـانـ أـنـ يـرـواـ مـوـاقـعـهـمـ . فـيـ «تسـارـكـوـيـ سـيلـوـ» . سـحبـ الدـخـانـ تـبـعـثـ مـنـ مـصـانـعـ «كـوليـنـوـ» الـكـبـرـيـ الـيـ مـاـ فـتـتـ تـقـذـفـ فـيـ وـجـهـهـمـ دـبـبـابـاتـ جـدـيـدةـ . إـنـهـمـ لـيـصـرـوـنـ قـبـةـ «الـقـدـيسـ إـسـحقـ» . وـسـهـمـ «الـأـمـيرـالـيـةـ» . وـقـلـعـةـ «بـطـرسـ وـبـولـسـ» . هـمـ يـقـصـفـونـ الـمـدـيـنـةـ بـمـدـافـعـهـمـ . وـلـكـنـ تـجـلـدـ الـمـحـاـصـرـيـنـ قـدـ عـلـاـ الـمـيـحنـ كـلـهـاـ . فـعـدـمـاـ أـبـتـ «هـتلـرـ» منـ الـاستـيـلاءـ عـلـىـ

هـاـ قـدـ حلـ الخـرـيفـ بـوـحـولـهـ فـيـ أـرـبـاضـ «ـلـينـنـغرـادـ» .



وبعد ثلاثة أشهر مثل « فلاسوف » في مقر أركان الفوهرر الأوكرانية في « فينيتسا »، وأخذت الطائرات الألمانية . على أثر ذلك . تنظر المخطوط الروسية وبلا من المشورات تقول إن « الأسير رقم ١٦٠٩٠١ ». الليتونان جزال « فلاسوف ». يدعوه جزارات الجيش الأحمر وضباطه وجنوده أجمعين . كما يدعوه الروس كلهم . إلى أن يتوروا على الطغيان الستابلي . وينضموا إليه من أجل تحرير « روسيا ». لقد اكتشف هذا الرجل جماعة صغيرة من الألمان الذين آمنوا بأن قهر « روسيا » حال ما لم يشركوا الروس أنفسهم في النضال ضد « البولشفية ». كان أحدهم هو الكوليونيل كونت « دي شتاوفنبرغ » الذي سيخلص اسمته بإثر محاولة قام بها لاغتيال « هتلر ». وكان مستشار السفارة « هيلجر ». وكانت الاحتياط « ستريك - ستريكليند ». والكوليونيل « هيري ». وبالجزال « كوسترنغر ». من هذه الجماعة . كان « فلاسوف ». المنحدر من أصل فروي . ورئيس النظام القائم . والمعروف كواحد من أفضل القواد السوفيتيين . هبة منت بها السماء . فقد أعلن عن استعداده لأن يقود ضد الجيوش الستابلينية جيشاً يُجمع أفراده من معسكرات الاعتقال أو من المقاطعات المحتلة من « الاتحاد السوفيتي »؛ ولقد وضع لذلك شرطاً قوامه أن تعامل « ألمانيا » « روسيا » المحررة من الستابلينية . ومن النظام الكولوزي ، معاملة النساء للند لا معاملة بلد مغلوب . إنه لشرط خرافى آخر ! فقد يقبل الألمان بخائن مارق ، ولكنهم لن يقبلوا بشريك . لم يبلغ « هتلر » أي من القبارير التي وضعها حماة « فلاسوف » ومتبنوه . فقد كان « كيتل » يوقفها لدى ورودها ويعلق عليها بعبارات كهذه : « موضوع غير وارد ... لا حاجة لإطلاع الفوهرر على ذلك . فأنا أدرى برأيي ... » ظن « فلاسوف » أنه سيجتمع « بهتلر » في « فينيتسا ». ولكنّه لم يجد غير مسؤولين ثانويين كانت الحرب سجالاً بين الإنسان والطبيعة . ولكن وفقت هذه الغابات الروسية ، بخريفها الرطب البارد ، حائل دون أقوى الآلات .



عارض معهم غمار مباحثات لا طائل تحتها . وتأسس في « سولنسك ». في ٢٧ كانون الأول ١٩٤٢ . بلجنة من أجل تحرير « روسيا ». ولكن سرعان ما سكنت في سبات عميق . وأخذ « هملر » على عاته أمر تحرير نشرة تعيد إلى الأذهان أنـ الرؤسي « رجل دون الرجال » لا يعقل أن تقام معه علاقات نـ لـ نـ . وهكذا راح « فلاسوف » يتـظر طـوال شـهـور . ويقتل السـأـمـ والـوقـتـ بـشـرـبـ الكـحـولـ فيـ بـيـتـ صـغـيرـ منـ « بـرـلـينـ » دـهـلـيـرـوسـ » . خـائـنـاـ تـحـتـ الـطـلـبـ !

كان صيف ١٩٤٢ بالنسبة للجيش الألماني . في الوسط كما في الشمال . فترة توئـرـ مستـمرـ . فقد خـلـقـتـ مـعـارـكـ الشـتـاءـ المـثـيـرـ . التي أـشـرـفـتـ فـيـهاـ مـجمـوعـةـ جـيـوـشـ المـارـشـالـ « فـونـ كـلوـغـيـ »ـ عـلـىـ الـفـنـاءـ . جـبـهـةـ لاـ تـمـتـازـ بـالـاتـسـاعـ المـفـرـطـ فـحـسـبـ . بلـ وـبـالـتعـقـيدـ أـيـضاـ . فـطـوـطـاـ الـذـيـ



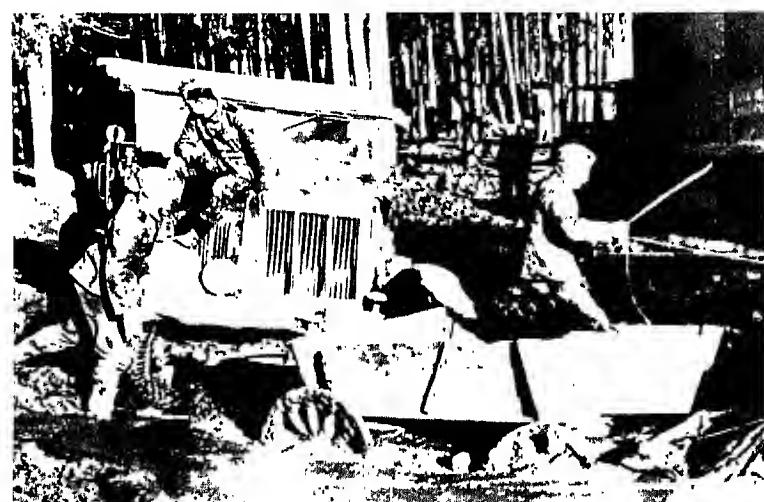
سائقو الدراجات السخارية ينقدّ مون بصعوبة في ضواحي « ستالينغراد ».

« ديميانسك » التي طُوق فيها الألمان . ومرة « فولسوف » التي كانوا فيها المطرّقين .

يمكن تلافي الكارثة في « ديميانسك ». إذ يمكن جزال المدفعية « فون سيدليتز - كورزباخ ». في مطلع نيسان ، من تحرير الفرق الثالثة للكونت « بروكدورف - أهليفيلا » التي أمن سلاح الطيران الألماني تمونتها طوال أربعة أشهر . وتحقق بذلك انتصار « هتلر » . لأن الصمود والتموين الجوي اللذين فرضهما فرضاً قد أفقاً اعتبره الجنرالات جميعهم ميروساً منه .

و فعل « ستالين » ما فعله « هتلر ». فسر في الأرض جيش الصدام السوفيتي الثاني المطوق غربي « فولسوف ». إنما لم يستخدم أي تدبير من أجل تمونه . فإذا احتضاره مذهب . تحمله أكل اللحوم البشرية . وانتحر بالحملة . وموت بسبب الجوع والقر . ثم أتى انفجار الصيف العنيف . وتحول الغابة المتحجرة إلى موحل يعج بالديدان والمداوم . فأجهزا على الناجين الذاهلين المائرين . وكان يوسع المفارز الألمانية . التي توغلت حذرة داخل المحيط المطوق . أن تشاهد في كل ناحية أكواها من العشرات قد اجتمعت تشير إلى موقع الحشد الكالحة في الوحل . كانت تلك المفارز الألمانية تبحث عن القائد الذي وكل إليه « ستالين » مهمة إنقاذ الجيش العالق في الشرك . والذي دافع عن « كيف ». وكان أحد المتصررين في « موسكو ». وهو جزال « اندر يافيتش فلاسوف ». وفي ١١ تموز كشف أحد الفلاحين النقاب عن ضباط روسي قد اتّخذ من هرمه شيئاً له . ووشى به إلى الألمان . فأمر الكابتن « فون شفردتز » أحد ضباط الأركان في فرق المنشا ٥٨ بتطويق المري . فإذا بعملاق ضامر هزيل يخرج قائلاً : « لا تطلقوا النار . أنا هو جزال فلاسوف » . فأمر جزال « لينمان ». قائد الجيش الألماني ١٨ . بإحضار خصميه المقهور . ثم صافحه وهنـاهـ . وأمر بأن يحافظ بالعناية المناسبة لوضعـهـ .

لقد أتـتـ المـنجـراتـ الضـيـخـمةـ فيـ «ـ القـفـقـاسـ »ـ حصـيلةـ الجـهـودـ الفـرـديـةـ الـجيـارـةـ .



٢- المَرْكَةُ الْجَوِيَّةُ فِي سَمَاءِ "أُورُوبَا"

لقد رافقت نهاية ١٩٤٢ ومطلع ١٩٤٣ شبه كاملة في ميدان الصراع الجنوبي بين «ألمانيا» و«إنكلترا». غير أنَّ الانكليز فسخوا هذه المذلة في ٢٨ آذار بأن أسلوا ٢٣٤ قاذفة قصفت «لوبيث». وقد ذكر التقرير الرسمي أنَّ المدينة قد احترقت كعواد الثواب. ونادي «هتلر» بالثار. فاستدعي من «صدقية» جموعي قصف. ثم أمر بشن غارات منتظمة على المدن التي هي مراكز للفن. وهكذا دفعت «إكتسيه» و«بات» و«بورك» و«كانتر بوري» لمن «لوبيث». غير أنَّ التشكيلات الألمانية التي كانت تنجز هذه المهمات البربرية كانت تعُد أقلَّ من ١٠٠ طائرة. فيما راحت قوة تدميرية مرؤودة ضاغطة تعمل تدريجياً في وجه «ألمانيا».

في ليل ٣٠ - ٣١ أيار هاجمت «كولونيا» ١٠١٣٠ قاذفة بريطانية

في ليل ٣١ - ٣٠ أيار هاجمت «كولونيا» ١٠١٣٠ قاذفة بريطانية واستيقظت من جراء الرعشة التي سرت في أوصال السماء مقاطعات انكلزية عديدة . فأدركـت بخطـة ما بعدها غبـة أنـ الحرب قد اتـخذـت مـجرى جـديـداً . وأـمـا الأـضـرـارـ التي لـحـقـتـ بالـمـدـيـنـةـ الـكـبـرـىـ فقد كـانـتـ فـادـحةـ . وـقـامـ مـمـشـلاـ الطـيـارـانـ الـأـلـمـانـيـ لـدىـ المـقـرـ العـامـ فيـ «ـفـيـنـيـزاـ»ـ بإـعـالـامـ «ـهـتـلـرـ»ـ بـأنـ نـخـواـ مـنـ مـئـةـ طـاـرـةـ الـكـلـيـزـيـةـ قـدـ تـمـكـنـتـ منـ تـصـرـيرـ «ـكـوـلـوـنـيـاـ»ـ ،ـ وـلـكـنـ «ـهـتـلـرـ»ـ كـانـ قـدـ تـلـقـىـ تـقـرـيرـاـ صـحـيحـاـ منـ الـحاـكـمـ «ـغـرـوـهـيـ»ـ .ـ فـصـبـ علىـ الطـيـارـينـ جـامـ غـصـبـهـ .ـ ثـمـ تـوجـهـ بـقـمـتهـ نـاحـيةـ

قام بين الطيران الانكليزي والطيران الأميركي جدال :
أقصصه ليلي أم قصف نهاري ؟
في الصورة : طيارون انكليز يتلقّون تدريباً نظيرياً قبل قيامهم بغارة ليلية.



الغائب الأذلي فقال : « إن أطهر » غورنف « عائب بالطبع ... » وحين
وصل وزير الجو في اليوم التالي . كان الأسطول الجوي البريطاني قد
حقق غارة ثانية على « إيسين » اشتراكت فيها ١٠٠٠ طائرة . فتبسم
« هتلر » من مصافحة الرجل الذي عينه خلفاً له !

كان «غورنخ» مذنبًا: فهو من محبّي المتعة. كرسول، فلم يعر الطيران الألماني بالتأني غير فنات ملذاته. ييد أن «هتلر» كان مذنبًا هو الآخر. فقد حطّم اندفاع طيراته. في توز ١٩٤٠، يوم أمره بالتخلي عن بحمل المشاريع التي لم تكن قابلة للتنفيذ عسكريًا في عصون الأشهر الشمانية المقللة وهكذا أصيب الطيران الألماني. الذين كان أفضل طيران عند شوب الحرب. بمخالف تقني وعسكري راح يزداد باطراد. وتضاءل دوره في ساحات القتال شيئاً بعد شيء. فنات



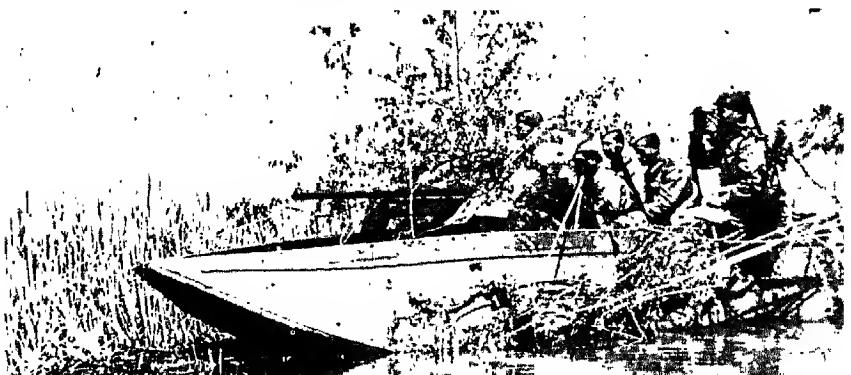
جنود سوفييتیون یهاجمون إحدى القرى .

يبلغ ٩٠٠ كلم بالنظر لقوس «أوريل» - كير وف - جياسك - رحيف - فيليكي لوكيي». قد يبلغ ضعف ذلك إذا قيس بالنسبة لطول الخطوط الفعلية. ولم تتمكن الجيوش الخمسة بفرقها الـ ٨٥ من مواجهة خصم باسل عند يثرب لها الأزمات التكتيكية المتلاحقة بلا انقطاع، إلا بصعوبة.

كانت المعارك ضارية . وبعد ما فلَّ « فون سيدليتز » الخصار عن « ديميانسك » عمد إلى تطهير مؤخرات الجيش التاسع . فاستولى على ٥٠٠ مدفع . واحتصر من الجبهة ٢٠٠ كلم ؛ فرد الروس على ذلك في ١٤ آب بشن هجوم عنيف لاستعادة « رحيف ». وما لبث الوضع أن بدا « الفون كلاوغي » . في أول أيلول . من الخطورة بحيث وجد من نفسه المرأة على مواجهة « هتلر » بعرض عليه إخلاء عن النائمة البارزة . ولكتنه قوبيل بالرفض والاستنكار : ذاك أن « رحيف » اسم رمزي ينبع لا يتخلى عنه مهما كانت الذراعن . وهكذا ألقت القيادة الألمانية في الميدان بكل ما توافر لديها من قوى الاحتياط . فتمكنت من إيقاف العدو في خرائب المدينة .

وفي الجناح الآخر من مجموعة جيوش الوسط كان « هتلر » قد فكر بإجراء عمليات واسعة النطاق . كان على جيوش ثلاثة ، هي السادس والرابع والثاني المتصفح . أن تشق هجومها معاً لتخفيض الضغط عن جيوش مجموعة الجنوب . إلا أنه ، نظراً لأنعدام الوسائل والعتاد . فلанс المخطط إلى هجوم يقوم به الجيش الثاني المتصفح وحده في جوار « سوشيتشي ». شنت الحملة في 11 آب ، وأحرزت بعض الانتصارات الأولى . ولكن تكاليفها الباهظة بلغت حدّاً أمن معه « هتلر » بإيقافها بعد ثلاثة أيام . لم يبقَ بوسع « ألمانيا » أن تتحمّل أعباء عدّة هجمات في آن معاً . فهي تسعى إلى إنجاز عمل واحد ضخم يقوم على فتح « القفقاس » لتنتزع من « روسيا » ثروة النفط التي تحرك جيوشها . ولقد سرداً أولى مراحل هذا المجهود الأخير في الجزء الأول من هذا الكتاب . كانت الأحداث في أول أيلول قد حملت جيش المارشال « فون كلايست » حتى جوار « تيفليس » . وجيش الجنرال « باولوس » حتى تلخوم « ستالينغراد » . وعلى هذا الشكل توثقت عقدة إحدى أعظم مآسي التاريخ العسكري على الإطلاق .

في المستنقعات ، بين القصب ، كمن هولاء الجنود السوفياتيون استعداداً لإطلاق مدفعهم .



الجوية هجمات قوية تقوم بها في تشكيلات متراصة قاذفات ثقيلة من طراز « ب - ٢٤ ليبيريتور » أو « ب - ١٧ قلاع طائرة » ، فيوفرون بعضها للبعض الآخر حاجزاً من نار . وأمام النتيجة العملية لهذا الجدال فقد أنت موافقة لاختصاص كلّ من البلدين : فسوف ينهى الطيران الأميركي على « أوروبا » قصفاً خلال النهار . فيما يؤمن الطيران البريطاني توته ليلاً .

شهد يوم ٤ تموز ١٩٤٢ أول مهمّة تتجهزها القاذفات الأميركيّة . فقد انطلقت ست طائرات لمهاجمة مطاري « هامشيندي » و « دي كوري » الهولنديّين . فوُفقت اثنان منها إلى الهدف بينما أسقطت المدفعية المضادة اثنين منها . وكانت المهمّة الثانية . في ١٧ آب . تهدّف إلى قصف مراكب السكك الحديدية في « سوتفليل - ليس - روان » . إشتركت في هذه العمليّة ١٨ طائرة يقودها الجنرال « إيكير » . ولم يُمنَّ الحلفاء في هذه الغارة بأيّة خسارة . فيما أنت النتائج مرموقّة : إلا أنَّ شرود القذائف كان بالغاً . فلتحت بالسكان المدنيّين إصابات بليغة . وقد وصف الأميركيّون على أثر ذلك بأنّهم جزارون عميّان . في الوقت الذي قيل فيه عن الانكليزيّ إنّهم يسعون وراء الدقة ما ولين قصارى جهودهم صيانة المدنيّين .

والغريب في الأمر هو أنَّ دخول سلاح الجو الأميركي حلبة « أوروبا » كان بطبيعة التأثير على « ألمانيا » . فقد يقى الألمان ينسبون الحراب الذي راح يغطي بلادهم إلى الانكليز وحدهم لإيمانهم بأنَّ الأميركيّين عاجزون عن القتال ! وفي ٤ تشرين الأوّل . في عيد الحصاد . قال « غورنغ » ساخراً : « أنا لا أحظ من شأن الأميركيّين . فهم لا مثل لهم في صناعة شفرات الحلقة . ولكن لا تنسوا أنَّ شعار شركائهم هو كلمة واحدة : المحاثلة والخداع ... »

٣ - معركة « الأطلسيّ »

كان الأميركي « دونيتز » يعلم أنَّ النجاح الرخيص الذي أحرزته الغواصات الألمانيّة على طول الساحل الأميركي عبر كصحبة صيف . فقام إلى تنظيم خطته . واستدار ثانية نحو مضارب صيده العتادة . صحيح أنَّ الحسائر الحليفة بقيت مرتفعة ، ولكنها راحت تتضاءل تدريجياً . ففي حزيران ١٩٤٢ بلغت خسائر الحلفاء عامّة ١١٤ سفينة و ٨٥٦،٠٤١ طناً ، وتبدّلت إلى ٦٩ سفينة و ٦٩٥،٥٦٢ طناً في تموز . وتضاءلت أكثر فأكثر خلال الأشهر اللاحقة بلغت في كانون الأوّل أدنى حدّ لها عرفه منذ ١٩٤١ بسبب عواصف الشتاء . وسيُبرر حساب ١٩٤٢ أنَّ ما دُمر من السفن التجاريّة قد بلغ ٨٠،٣٣٣،٢٥٨ طناً ، أي بمعدل ٢٩٤،٤٣٨ طناً للشهر الواحد .

راح « دونيتز » يدقّق في حساب المجزرة في مقرّ قيادته الباريسي . فالهدف الذي اختطّه لنفسه هو أن يدمّر من السفن الحليفة بقدر ما تنتجه مصانعها أو أكثر . وقد قدرت دائرة المخخصة بـ ٨٠،٩٠٠،٠٠ طنَّ مجموع الإنتاج في المصانع البحريّة البريطانيّة والأميركيّة . وهذا ما كان يفرض على قوات المحور البحريّة والجويّة تدميراً شهرياً يبلغ ٧٠٠،٠٠ طنَّ على وجه التقرّيب . وقد بدّلت سنة ١٩٤٢ . والحالة هذه . متوازية الكفتين : لا زيادة ولا نقصان .

كانت المعركة ما تزال حامية الوطيس . وكان عمل الغواصات المنست . أي خطّة الذئاب . ما يزال محكمّاً . وقد دُمر بعض القوافل

جلّياً - وهذا أمر أبلغ خطورة من الاعتبارات السابقة - أنه لم يبق قادرًا على حماية سماء « ألمانيا » وأرضها .

في عشيّة ميلاد ١٩٤١ انتحر « إرنست أوبيت » . رئيس سلاح المطارات الألماني . وبطل الحرب الأولى الذي كان يحمل في جعبته ٦٢ اتصاراً جوياً . بعد نداء مفعّم بالقلق جاء فيه : « نحن بحاجة إلى مقاتلات . آلاف من المقاتلات . وإلا فالويل لنا من المزيمة ». فما كان من « هتلر » إلا أنَّه أمر بتمويله هذا الانتحار المتّهم والقول إنه مجرد حادثة .

وعلى تقدير ذلك لم يتوانَ الانكليز عن العناية بالطيران الملكي . فما كاد الخطط المهيمن على رؤوسهم يخفّ حتى راحوا يحوّلون جهودهم الرئيس في الصناعة الجويّة من سلاح الدفاع . أي سلاح المطارات ، إلى سلاح الهجوم . أي سلاح القاذفات . وفي الوقت نفسه شهد الطيران الأميركي انطلاقه كبيرة : ففي ١٩٣٩ صنعت « أميركا » ٢،١٤١ طائرة . أي ما

غواصات ألمانية أصابتها قذائف إحدى الطائرات البريطانيّة .



يعادل ربع الإنتاج الأميركي . ولتحتها في ١٩٤٢ صنعت ٤٧،٨٣٦ طائرة . منها ١٢،٦٢٧ قاذفة . وهو رقم يفوق ثلاثة أضعاف الأرقام الألمانيّة . وهكذا بدأ الإسهام الأميركي في الهجوم الجوي على « ألمانيا » . فقد أنشئ الجيش الجوي الأميركي الثامن في « انكلترا » في ١٨ حزيران . بقيادة الجنرال « كارل سباتس ». كانت طائراته ، باستثناء المقاتلات . تصل إليه من « أميركا » بطريق الجو . بفضل شبكة قواعد وسيطة هي « غوزلي » في « لا برادرور » . و« غاندر » و« سيفنسفيل » في « الأرض الجديدة » . و« بلوي وست ١ » و« بلوي وست ٩ » في « غرينلاند » . و« ريكجايفيك » في « أسلندا » . ونظراً للمخاطر التي كانت تحفّ بالرحلات البحريّة استنجدت الأركان العامة أنَّ العملية تعتبر صالحة إذا بقيت نسبة الحسائر في الحراذ دون ١٠ بالمائة . وقد بقيت هذه النسبة في الواقع ٢،٥ بالمائة خلال الصيف والخريف . إلا أنَّ عواصف الشتاء قد أرغمت المسؤولين على تعليق نشاط الخطوط الجويّة . قام بين الطيران الانكليزي والطيران الأميركي جدالاً : أقصد ليلي أم قصف نهاري ؟ كان الانكليز من محبّي الأول . نظراً للنسبة الضئيلة في الحسائر . فيما حبّ الأميركيّون الثاني : فهم يفهمون الغارات

كان « دونيتز » يبحث عن عمليات باهرة . إلا أنَّ واحدة منها لم تكن مرضية . فالسفينة الصالحة هي تلك التي تحركها عنففة على الأوكسيجين . والتي كان العالم « فالتر » يقترحها منذ سنتين : إنَّها سفينة جديرة بأن تحمل اسم غواصة قادرة على الغوص بلا انقطاع خلال أكثر الرحلات طولاً . ومتمنعة بسرعة أثناء الغوص تبلغ ٢٣ عقدة بدلاً من ٧ عقد أو ٨ . إلا أنَّ « فالتر » كان أول من أعلن أنَّ الفرصة قد فاتت بالنسبة لتحقيق مخططاته . وبما أنَّ إيجاد عنففة الأوكسيجين كان مخالاً . فقد اقترح « فالتر » على الأميرال احتراعاً بسيطاً نسبياً : إنَّه أنبوب يسيطر أوتوماتيكياً . يضفي في اتجاه السطح اطواء ضروري لسير محركات дизيل . مما يمكن بالتالي من التخلص من المحرِّكات الكهربائية . ويزيل ضرورة العم تكراراً . فالشنوركل . وهو أنبوب الغواصة المزدوج الذي يزود السفينة بالهواء النقي ويُنفث غازات محركاتها بفضل اتصاله بالسطح . قد دخل التاريخ منذ ذلك الحين . بعدما كان قد اختبر لأول مرة سنة ١٨٩٧ . وسيسمى « الشنوركل » مع المحاولات الألمانية الأخيرة في منازعه « انكلترا » و « أميركا » حرية التصرف في البحر.

لم تكن العلاقات طيبة بين « دونيتز » و « ريدر » . فالإمداد الكبير البالغ من العمر سبعاً وستين سنة ، كان يتصرّر لعدم حصوله على عدد كبير من سفن القتال الكبيرة . وينظر بعين حاسدة إلى الظفر الذي تسرّبت به غواصات « دونيتز » . وقد حاول مرتين أو ثلأتان أن يخزي قيادة « دونيتز » ، وهي محاولة تبلغ من الخطورة حدّاً بعيداً إذا ما علمتنا أن طباع « ريدر » وبزته بقيت تتمشّي ببعض التفاؤل . فقد أعلن الفوهرر بتواضع : « أنا في البر بطّل . ولكنني في البحر عديم الكفاءة ... » . كان الإمداد الكبير أحد أواخر أعيان الجيشه الألماني الذين يقى « هتلر » يصنّع لرأيهم .

ولكنَّ هذه القاعدة الشاذة زالت حين تفجرت قضية القافلة « ج و ٥١ ب ». فقد كانت هذه إحدى قوافل « مورمانسك » التي غامر الإنكليز بإرسالها في أواخر كانون الأول ١٩٤٢ . متّكأة على الليل القطبي وحالة البحر . وعلمت البحرية الألمانية بها فزمت على تمهيرها بواسطة سفنها العائمة . وصعدت البارجة « لوتسوف » والطراد « هيبير » و ٦ مدمرات إلى الخط ٧٣ . مقتبحة عاصفة عنيفة ، وفي يوم عيد الميلاد هاجمت بالرادار مواكبة مولففة من سفن صغيرة ومن مدمرات . بيد أنَّ هذه المواكبة أبدلت مقاومة حسنة للغاية بحث أنها أتاحت للطرازين « جامايكا » و « شيفيلد » مجال الإسهام في القتال . وأصيب « هيبير » بأضرار . وأغرقت مدمرة واحدة . فطن الإمبراطور أنَّ قوات العدو متوفقة فلاذ بالتراجع . ولم تُصَبْ أية سفينة تجارية بخدوش . فوصلت القافلة « ج و ٥١ ب » إلى « مورمانسك » بكامل وحداتها .

كان « هتلر » يرقب نتائج معركة عيد الميلاد البحرية هذه بقلق ملئه جوارحه . وما إن علم بالإخفاق الألماني حتى تنجذب غيظاً . وصرّح بأن السفن الكبرى لا تجدى نفعاً . وأنَّه سيعمل على تجريدتها من السلاح في الحال بما فيها الطرازات الخفيفة . لم يكن هذا القرار قراراً اعتباطياً : فأسطول المسافات البعيدة كان من الضعف لدرجة لا تؤبهه القيام بدور سرّائيجي . وهو يعتمد الرجال ويائتمن الموارد لا أكثر ولم يكن الإمبرال « ريدر » العجوز ليقبل بهذا الحكم القاسي . فحاول تأجيجه . ولكن ثرثرة « هتلر » العنيفة غمرته وتسلّطت عليه . فبعد إلقاء استقالته متعثماً . وإذا طلب إليه أن يسمّي في الحال الضابطين الأكثرين كفاءة لخلافته سميَّ الإمبرال « كارل » في المرتبة الأولى والأميرال « دونيتز » في المرتبة الثانية . وأمّا « هتلر » فقد اختار الثاني . الأمر الذي ملأ قلب « ريدر » كدرًا .



لم يستقد « مونغومري » لفكرة الانتقال إلى الهجوم العاكس .
وها هو في الصورة يعتزم قبعة كندية ، وقد وقف بجانبه « وندل ويلكي »
يقرأ في إحدى المرايات .

كالـ « س. ل. ١٠٧ » التي فقدت في ليل أربع ١٥ سفينة من سفنها ٣٩ . وبعد نصف « اللوكانيا » التي أغرقت وهي تقل ١٤٨٠٠ أسير إيطالي . أغرقت كذلك في شهر تشرين الأول ثلاث سفن نقل تفوق حمولتها ٢٠٠٠٠ طن . وهي : « أورونسي » . و « أوركيدز » . و « دانش أوف أتون » . ومع ذلك انخفضت منجزات الغواصات الفردية إلى عشر ما كانت عليه سنة ١٩٤٠ . ولم يتمكّن « دونيتز » من الحفاظ على نتائجه إلا بفضل تنمية أساسياته الصغيرة . فقد كان يملك ٢٦٠ غواصاً . وكان بيسوره أن يستخدم منها في الأطلسي مئة في آن معاً . بيد أنَّ المساحات الفاصلة قد تكاثرت . فقد تلاشت أربع غواصات ألمانية في خليج « غاسكونيا » وهي في طريق عودتها من جولة بحرية . في الوقت الذي كان مقر « دونيتز » يعبرها فيه بعيدة عن سر هلاك هذه الغواصات . كانت الغواصة تصعد إلى سطح الماء ليلاً لتعبئة بطارياتها . ولتزويده عدّتها بالأوكسيجين . ولاكتساب السرعة التي توّضّع ببطء الغواصات القاتل تحت الماء . وبصورة فجائية كانت الأضواء تتسلّط على الغواصة من السماء . ثم تنقضّ عليها طائرة فتغمرها بقنابلها . كان الليل في السابق شريك بحارة الغواصات الذي لا غنى له عن صعودهم المتوالي للتنفس كالحيتان . أمّا الآن . فقد فقد في الليل الأمان . وأ Rossi الرادار إيهاماً مسنّراً . فقد بطل مفهوم حرب الغواصات كما حفّقت منذ ١٩١٤ .

« الآن . وإنَّ فلا » . « رومل » في « أفريقيا الشمالية » ، في آب ١٩٤٢ .



٤ - مَعْرِكَةُ

أَفْرِيْقِيَا الشَّمَالِيَّةُ

أيُّقْنَ أنَّ مَحَاوِلَتَهُ قد أَخْفَقَتْ . وَلَذَا بَاتْ لِزَاماً عَلَيْهِ أَنْ يَخْضُعْ مَعْرِكَةً إِلَيْهِكَ فِي سَبِيلِ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى نَاثِةٍ «عِلْمِ الْحَسْلَافَا» . وَهِيَ مَفْتَاحُ سَاحَةِ الْقَتَالِ . إِلَّا أَنَّ احْتِياطِيَّةَ مِنَ الْوَقِيدِ وَالذِّخِيرَةِ حَالَ دُونَ ذَلِكَ .

وطوال ثلاثة أيام راح يتحرى عن الضعف في درع العدو . وفي ٤
أيلول تراجع إلى موقع الانطلاق . متخلياً عن فكرة التراجع الفوري إلى
الحدود الليبية . وتغلب « مونغومري » من جهةه على فكرة شن هجوم
معاكس . وقرر انتظار الأسلحة الهائلة التي كانت في طريقها إليه في
المحيط الهندي . وهكذا خيّم المدود ببرهة أمام « العلمين » .

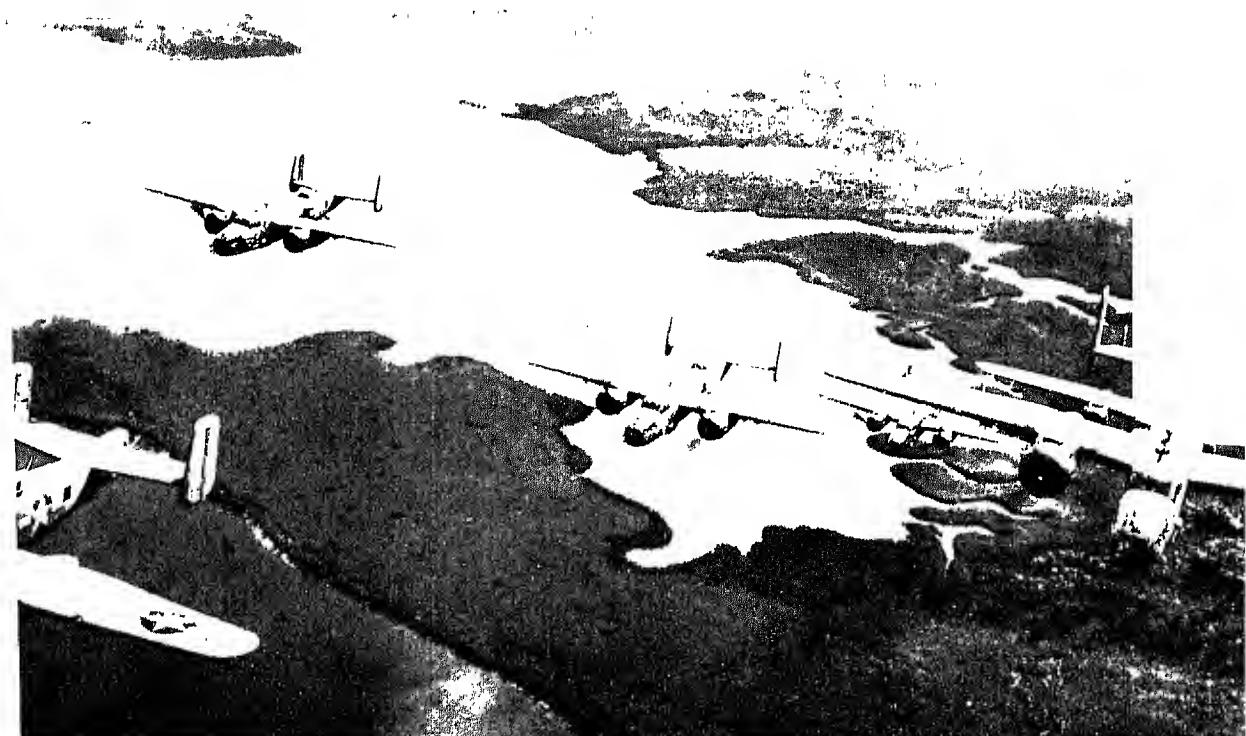
۵- ادغـال "بـرمـانـيـا"

على تخوم «الهند» استقرت جبهة مجاهولة، حيوية. كان الانكليز قد فتقوا «برمانيا» إثر سلسلة من الهزائم مماثلة لتلك التي لحقت بهم في «مالزيما»، وراح جيش «إيديما» الخامس عشر يتسلل عبر الأراضي التي كان الأوروبيون يعترونها غير سالكة. فاستولى على «رانغون». وقطع على «تشانغ كاي تشوك» طريق تموينه. ودفع بالانكليز حتى «أسام». وسرت الرعشة في «لندن» إزاء مسيرة الجيوش الأسيوية الظافرة.

كان تخلي الأسطول الياباني عن خليج «البنغال». ثم كارثة «ميديوي»، قد أضفتها وضع «إيديا»، وقد بقي حظه في اجتياح الهند رهنًا بعمليات بحرية جوية عدًا تتحققها محالاً. وكانت أمداده بحاجة ماسة إلى البحر. وحاولت الأركان اليابانية أن تتحرر من هذه الحاجة بحمل الأسرى في «سنغافورة» على بناء خط حديدي يصل «سيام» «بورماانيا». إلا أن هذه المعركة ضد الأدغال، فوق جث البيض. كانت أبديّة. وكما توقف «رومبل» أمام أبواب «مصر». توقف «إيديا» أمام أبواب «الهند» بسبب انسباط المجهود الوطني المفرط. ومع ذلك لم يكن وضع الانكليز بأقل حرجة، فقد اتّخذت القومية الهندية أشكالاً متطرفة. وأعلن «غاندي» العصيان المدني دعماً لحملته التي شعارها «أخلوا الهند». فشل بذلك المواصلات العسكرية. أوافق «غاندي» في ٩ آب. إلا أن الفتن في «مدارس». وفي

في ٣١ آب هاجم «روملي» الخطوط الإنكليزية في «العلمين». ولقد دفعته إلى قراره هذا أسباب اضطرارية؛ كان يعلم أنَّ أمداداً كبيرة كانت في طريقها إلى «مصر»، وخصوصاً قافلة تحمل ١٠٠،٠٠٠ طن كانت تدور حول رأس «الرجاء الصالح». وكان وصوطاً متوقعاً في أيار. فهذا الأمر كان من شأنه أن يرجح كفة عدوه أكثر فأكثر. ومع أنه قد تلقى فرقة المازية رابعة. فضلاً عن فرتين إيطاليتين جديدين. «ليتوريو» و«فولغوري». الأولى مصفحة والثانية منقوله جوأ. إلا أنَّه قد أبلغ ألا يتوقع المزيد من المدد. ولقد أوجز موقفه من احتلال «السويس» بقوله: «الآن. وإلا فلا».

في آب لم يلتقيَ الجيش الأفريقي المصفح غير ٣٢ بالمائة من الأعتدة المترقبة؛ وبدلًا من أن تختلي مخازنه من جديد استعداداً للهجوم . راح يستهلك موارده الاحتياطية . كانت الغنائم التي وقعت في يديه في « طريق » قد غذته وسلحته . إلا أنها قد بدأت تشحّ ، فيما بدأ الرجال يتذمرون من الجوع . وبلغت ألياتها . التي كان ٨٥ بالمائة منها من صنع الكليري أو أمير كي ، درجة الوهن الشديد . وتدنى احتياطي الوقود إلى درجة مقلقة . كان « رومل » يتوقع أن يتسلّم ٥٠٠٠ طن من الوقود قبل أول أيول . فإذا به ٢٠٦٠ طن منها قد أغرق في الطريق ، وبقيت ١٠٥٠ طن في « إيطاليا ». كان ضروريًا أن ينبعج المجموع في أسرع وقت ممكن . ولذا كان يجب احتلال الإسكندرية في أربعة أيام والتزود فيها . ولكن الانطلاق لم يصب غير نجاح جزئي . فقد كبحت جماح « رومل » حقولُ الغام أدهشته لغزارتها . كان يأمل أن يتقدّم ٣٠ ميلًا في اليوم الأول . فإذا به لا يقطع غير ٨ أميال . وكان هناك حاجر آخر أقوى وأمنع . ألا وهو الطيران . فقد عرف الألمان لأول مرة مذاك المعركة تحت سماء سيطر عليها العدو تمامًا . في مثل ذلك الجو فقدت الدبابات سلطانها . وباتت مراكز القيادة . الثابتة منها والمتحرّكة ، عرضة للمطرادرة التي لا تعرف الرحمة . وفي أركان الفيلق الأفريقي العامة قُتُل الجنرال « فون بسمارك » وسبعة من الضباط . وأصيب الجنرال « هرنغ » بجراح . وكاد « رومل » أن يلقى حتفه غير مرأة . ومنذ العشيّة الأولى



سراب من قاذفات القنابل
القادمة هنـ «أوستراليا»
يصف جزيرة «دونغفيل»
حيث أقام اليابانيون عدـة
قواعد جوية بحرية .

كينغ ، اتهامات السيدة « تشانغ كاي تشوك » الادعية ، فقد قال تلك المرأة البالغة التقدُّر : « نحن نشعر وكأنَّ الحلفاء يعتقدون أنَّ « الصين » ليست جزءاً من مجدهم حربهم . إننا نريد عن السؤال التالي جواباً بنعم أو لا : هل ت يريد « أميركا » أن تفقد الصلح مع « اليابان » ؟ ! لم يكن مجده « الصين » الحربي الخاص ليعمل هذه اللهجة المتعالية . فالحديدي الذي كان يشرف في « تشونغ كينغ » على تنفيذ قانون « الإعارة والتأجير » ، وهو المجر جزال « ماغروبر » ، قد أبلغ وزارة الخارجية أنَّ القيمة العسكرية للتحالف الصيني قد يلوث في تقديرها . كانت « الصين » تعترض بـ ٢٣٤ فرقة ، كانت كلها ، أو معظمها ، زمراً لا تكاد تملك من السلاح شيئاً ، عديمة الانضباط ، تعيش على الأسلاب ، لا تظهر طاعة إلا لأسيادها الحريرين ، ولا تقاتل اليابانيين على الإطلاق . كان التقصير والفساد يسودان شعب الحكومة كلها ، وكانت العمليات قد عُلقت بشكل تام تقريباً ، يوجب هذه صامة وانتقامات محلية عديدة . أمّا آخر عملية هامة فكانت محاولة يابانية جديدة للاستيلاء على « تشانغ تشا » ، عاصمة « هونان » ، بغية إقامة خط حديدي متصل بين « كانكون » و « هانكيو » ، ولكنَّ هذه المحاولة أخفقت ، ومنذ ذلك الحين توقف النشاط الحربي كلّياً .

في « واشنطن » اعتبر مناصر الصينيين أنَّ فقدان « ماندالاي » ، وقطع الرابط الأخير بين « الصين » الوطنية والغرب ، كارثة ؛ وقد أقصت مسؤولية هذه الأحداث « بانكلترا » ، وخاصة « بوبيل » . وتعالت أصوات نافذة تطالب أن تحل « أميركا » في كلِّ مكان في « آسيا » محلَّ السلطة البريطانية التي تشوّهها الترعة الاستعمارية . وطالب آخرون بإيجاد طريق لتمويل « تشانغ كاي تشوك » ، مما يفعّل منها . وقد طُرُح على بساط البحث موضوع بعث طريق الحرير القديمة عبر راحات « غوبى » ، وعمد إلى درس طريق جديدة تلف حول « برمانيا » عبر أكثر الجبال وعرة وأكثرها أمطاراً في العالم . وما ان تبدّلت هذه الأحلام الواهمة حتى لم يبقَ غير تحدٍ آخر للطبيعة : جسر جوي فوق « الحماليا » .

و هنا تبدأ إحدى مغامرات الحرب الرائعة . كان آخر مطار هندي صالح للاستعمال هو « دنجان » ، في وادي « براما بورزا » ، على علوٍ بضعة أمتار من سطح البحر . وفي طرف المدرج كان يتتصبب جرف جبلي علوه ٣،٠٠٠ متر ، وكان على الطائرات من ثمَّ أن تجذب بالتدريب قمماً مكللة بالثلوج تفصل بين أودية الأشهر التالية : « شندون » ، و « ليراوادي الغربي » ، و « سالفين » و « ميكونغ » . وال نقطة التي سوف يطلق عليها الطيارون اسم « الحدبة » التاريخي هي قمة « سانتسينغ » ، المتتصبة على علوٍ ٦،٠٠٠ متر بين التهرين الآخرين . كانت المصاعِد مختفية فوق بقاع لا تراها لها ، وفي جوأه لم يتطرق إليها علم الأحوال الجوية . وحيث كانت الرياح والأمطار الموسمية تسيطر بغير وتها . كانت طائرات « داكوتا ك ٤٧ » و « سكايستر ك ٥٣ » تتسلق الجبل بعمولتها القليلة تحسيناً ، باحثة عن المرات الجبلية من خلال الغيوم . وكان الوصول خطراً . سواء إلى « كانمنغ » ، وسط الجبال العالية . أو إلى « تشونغ كينغ » المدفونة في ضباب « اليانغ تسي » . وستعقب هذا الخط الجوي البطولي خسارة بعض ساحات القتال . ييد أنَّ النتائج كانت تفوق الآمال . فالحملة الشهرية التي انطلقت بدءاً ٣٠٦ أطنان في تموز ١٩٤٢ ، بلت في نهاية الحرب رقم ٧١،٠٤٢ طناً القياسي ، أي أكثر مما شهدته طريق « برمانيا » في أي وقت مضى . وأمّا الكارثة المرتقبة فإنَّها لم تحلَّ فقط ، فقد بقيت « الصين » في الحرب . ولكنها بقيت كذلك مصدر الضربات المتقدمة أبداً ، والمشاحنات التي تمرّج فيها الدسسة والعقيدة والستراتيجية .

« بيهار » . وفي « المقاطعات المتحدة » . جمدت ٧٥ كمية . ولم تكن « الهند » الإسلامية أقلَّ اندفاعاً ، ففي « السندي » قام المعارضون بقطع سكة « لاهور » الحديدية ، وفي « الحماليا » راج قير « ليسي » يشير بحرب مقدّسة استوجبت مواجهته برتل مؤلّف من ٤ آلية . لم يكن اليابانيون قد فكروا بالفرضيّة التي يوقّرها لهم الغليان الهندي ، إذن كانوا أدّروا دفة سرّاً يجيئهم بشكل آخر .

قام الجنرال « بوبيل » بدعم دفاع « أسام » بنشاط بالغ . في الداخل كانت « إيفال » هي ركيزة هذا الدفاع ، يحميها الفيلق الرابع ، وعلى الساحل كانت « شيتاغونغ » هي الركيزة ، وهي قاعدة عمليات الفيلق الرباعي . كانت الساحة تفتّد من تلال « ناغا » ، بأدغالها التي يبلغ علوها ٤،٠٠٠ متر ، إلى المستنقعات الساحلية التي تقطّبها الأشجار القاتلة . كان الوبار مستفحلًا : فالعلقة هي البلية الرئيسة ، العلقة الصغيرة السوداء التي تعيش في حقول الأرز بالمليارات ، والعلقة - الفيل الصخرة الخضراء أو الصفراء . وكان الحرش الشام واسع الانتشار . وفي موسم الجفاف القصير كانت القرادة تحمل مكان العلقة . فضلاً عن مرض يلحق بالبلد . وبكلة الرأس خصوصاً . ومن تشرين الثاني إلى أيار أغرت الأمطار الموسمية الأرض بسيول هائلة ، فحدثت التساقطات أرضية أودت بالطرق القليلة . وقد كان تفاؤل وزارة الحرب مبنياً على معرفة ناقصة بالأوضاع المحلية . بحيث حدّدت عدد الفرق المستندة إلى جبهة « أسام » بـ ١١ فرقه . ولسوف تمضي شهور طوال . وتُبذل جهود كبيرة . قبل أن يتم إنجاز هذا البرنامج .

والحال حاول « بوبيل » أن يستعيد المبادرة بانتزاعه مقاطعة « أراكان » الساحلية من اليابانيين . وهي لسان من الأرض بين خليج « البنغال » ونهر « مایو » . كانت الأحوال قاسية مزعجة ، فصبت الأمطار الموسمية ٣٠٠ ملم من المياه في نهار ٥ تشرين الثاني ، وراحت الفرق الهندية ١٤ ، بقيادة المجر جزال « ول. لويد » . تقدّم ببناء شديد في السهل الذي غمرته السيول . ولقد كان زاماً عليهم أخذ الأبواب اليابانية واحداً واحداً . في حين كانوا يبنون طريقاً لتمويل الرمح . ولسوف تنتهي سنة ١٩٤٢ قبل أن يبلغ الانكليز هدف هجومهم ، ألا وهو موقع « أكياب » ومطرارها . في تلك المنطقة من « آسيا » ، التي كانت تقع فيها بشرينة باستة ، اتّخذت الحرب أشكالاً مخزنة : كانت أقلَّ عملية تثير هياج حشود من الناس الخائفين . فيهمون على وجههم ويغدون فريسة للذئب والوباء . صحيح أنَّ القصف البلوي كان تائفاً بالنسبة للنصف الذي كان يمتلك « أوروبياً » . إلا أنَّ هلع السكان كان يضاعف فتكه : ففي ٢٠ كانون الأول قصف اليابانيون « كالكتونا » بتسع طائرات فحسب . فاركَن نصف مليون من الناس إلى الفرار وانتشروا في « البنغال » ، الأهل بالسكان . إنَّ مأساة كبيرة كانت تختصر . ولسوف تتفجر في ١٩٤٣ .

٦- الحرب في « الصين »

في المرحلة التي سبقت قطع طريق « برمانيا » ، كانت مخاوف جدية تقضِّ مضاجع « واشنطن » بشأن موقف « تشانغ كاي تشوك » : فاتهامات صهره . السفير « ت. ف. سونغ » . راحت تهدّد باتفاق « الصين » مع « طوكيو » . اتفاق يحرر القوات اليابانية المجمدة في « الصين » ليطلقها نحو مهامَّ آخر . ووصلت من « تشونغ

٧- "غَيْنِيَا الجَدِيدَةُ"
وَ"غَوَادُ الْكَانَالُ"

كان اليابانيون قد استعدوا لاستغلال النصر الذي كانوا يعلّلون به النفس في «ميلاوي». كان من المفروض أن يعقبه احتلال «كاليدونيا الجديدة» وجزر «فيدينجي» و«ساموا». وأن يدفع من جديد تلك العملية التي أحبطتها معركة بحر المرجان. وهي احتلال «غينيا الجديدة» الشرقية. أو «بابوازيا». كل ذلك تمهدًا لهدف عام هو عزل «أستراليا». واجتياحها إذا اقتضى الأمر.

إلا أن بعض قنابل كانت كافية لتطهير هذه الأحلام . فقد ألغى الأمر الإمبراطوري الصادر في 11 تموز العمليات التي كانت مذكورة 18 أيار قد رسمتها . وهكذا فإن فقد ثالثي حاملات الطائرات قد أعاد « اليابان » إلى حملات محدودة الآفاق : وإلى قفزات تقللهم من جزيرة إلى جزيرة بحماية قوات جوية قواعدها في اليابسة . إنطلقت الحرب اليابانية الأميركية بأوسع ما عرفه التاريخ العسكري من نبرّكات . وهذا هي الآن تسير بالنسبة للمحيط الهادئ سير حرب الخنادق .

أما فتح « بورت مورسيبي » فقد قرر اليابانيون استئنافه باجتياز « بابوازيما ». إنطلقا من « رايبول ». قاعدهم الهجومية جنوبية الماءادي ». فنزلوا في « بونا » على الساحل الشمالي من « غينيا الجديدة ». فإذا « ببورت مورسيبي » على بعد ١٠٠ كلم . وهي مسافة تافهة بالنسبة بليش قادم من البعيد البعيد .

بيد أنَّ الكيلومترات «الغينية الجديدة» لا تشبه في شيء الكيلومترات المالية والبرمائية». فبين «بونا» و «بورت مورسيبي» تنتصب سلسلة «أوين سانتاني» بارتفاعها البالغ ٥٠٠٠ م. وهنا يتضادُر الجبل والمنطقة الحارة في إقامة الحواجز والعقبات؛ فيما تنصب المنطقة الحارة أمطارها الخانقة على أدغال كثيفة متشابكة تتعج بالبنادق والحيوانات السامة. ينصب الجبل جدراناً عمودية. ويُحفر أودية ضيقة سحرية يقذف إليها بسربول ذات فيضانات صاعقة، ويترفع وسط السحب الثقيلة قمماً جليدية تكسوها أعشاب تبلغ سعة أقدام طولاً، حادة المروف كحد السيف. لم يبق هناك غير مسلك واحد هو ممر «كوكوكدا» الذي يعبر غور نهر «كوموزي» على عبارة متلدية. ثم يرتفع بدرج من دروب الماء على سفح جدار يبلغ ارتفاعه ١٥٠٠ م. ليصل في «الغاب» إلى ممر ضيق لا يمكن للجيش عبوره إلا «رجالاً رجالاً». ثم ينحدر إلى «بورت مورسيبي» وسط جحيم نباتي.

سلك اليابانيون ذلك الطريق العسير . وعيثاً حاولت حفنة من الجنود الأستراليين إيقافهم . فعبروا « الغاب » الذي لا يمكن عبوره . وأدركوا في نهاية أيلول قرية « إيروريبوايا » الواقعة على ٣٠ كلم من بورت مورسيبي . فإذا هم أشبه بالميكل العظيمة منهم بالرجال الأصحاء . قطعوا الطيران الأميركي في مؤخرتهم عبارة « الكوموزي » ، فاستحال وصول أي غذاء إليهم . فمضوا يائمون كل ما تقع عليه أيديهم في اليساتين . ويقتاتون بحيوانات الأدغال القذرة . غير أن الجوع كان أقوى من هذه الموارد الحقيقة . مات الكثيرون ، وأنهكت الحمى من بقي منهم حيّا . فأمر قائده الجيش الـ ١٧ ، اليونان جزال « هيا كوتاكى » ، بالراجح نحو « كوكودا » . ثم في ٩ تشرين الثاني نحو « بونا » ؛ فكانت تلك أولى الحملات اليابانية التي تعود على أعقابها !

الإمبراطورية قد أصدر أمراً بتعليق العمليات الجمومية كافة جنوبى المحيط الهادئ ريثما تتجلب المعركة عن نهايتها.

تبسط «جزر سليمان» في امتداد مجموعة جزر «بسامارك»
تشمل أولاً جزيرة «بوفنيل» الضخمة حيث أقام اليابانيون عدة قواعد
جوية بحرية؛ ثم ينقسم الأربعيل القسم أسطول يمخر عباب البحر في
خط مزدوج باتجاه الجنوب الشرقي، فيشمل الرتل الأيسر جزر
«شوازول» . و «ستا إيزابيل» . و «مالايتا»؛ ويشمل الرتل الأيمن
«فيلا لا فيلا» . و «جورجيا الجديدة» . و «غواود الكاناال» . أما
القناة الفاصلة بين الرتلين فقد أطلق عليها اسم «الشق» . وقد برزت
في وسطها، بين «مالايتا» و «غواود الكاناال»، جزيرة «فلوريدا» .
وابتعتها «تولااغي» مركز المؤسسات البريطانية الرئيس. هذه الجزر
كلها مشابهة، شبيهة «بغينيا الجديدة» من حيث الشكل والمناخ والنبات
والسكان، وعدم ملاءمتها الصحية، ووحشيتها المفرطة.

ما إن وطى اليابانيون جزيرة « بوغنفيل » حتى صمّموا على التزول في « غواص الكانال ». لم تكن هذه الجزيرة التي يناهز طولها ۱۰۰ كيلم قد اكتُشفت عملياً . فقد استقر على ساحلها مُرسلان أو ثلاثة . وبعض زارعي « الكوبرة » ، ولكن أحداً لم يفكّر بالتوغل في داخلها حيث يعيش ما يقارب الآلاف العشرة من « الكاناك » المجتمع الشرسين . اكتشف اليابانيون بالقرب من رأس « لونغا » مكاناً صالحأً لإقامة مدرج ملاائم للطائرات ، فأرسل بعض العمال من « رابول » ، بخمامية فضيلة من رمأة البحرية ، لإنشائه . وفي تلك الأثناء احتلت سريّة من الجندي جزيرة « تولاغي » التي وقّرت لها كيابها كعاصمة أن تحمل خليجاً . وبعض الدكاكين . وفندقاً صبيتاً .

بعد أنَّ الْأَمِيرَكِيِّينَ قَرَرُوا استعادة زِمامِ الْمَبَادِرَةِ ، فَمَا انْقَضَتْ عَلَى معركةِ « مِيلُوِيِّ » أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ حَتَّى عَرَضَ « مَاكُ أَرْثُرُ » عَلَى بَلْتَهَ رُؤْسَاءِ الْأَرْكَانِ مَشْرُوعَ هُجُومِ عَامِ عَلَى « دَابُولُ ». أَفْرَتْ مِنَ الشَّرْوَعِ مَرْحَلَتَهُ الْأُولَى ، أَيِّ إِعادَةِ فَتحِ « تُولَاغِيِّ » وَ« غَوَادِ الْكَاتَالَالُّ ». وَبِعَا أَنَّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ تَتَّخِذُ الْمَنْطَقَةَ الْبَخْتُوَيَّةَ مِنَ الْمَحِيطِ الْهَادِيِّ مَسْرَحًا لَّهَا . فَقَدْ خَصَّصَتْ لِإِدَارَةِ الْأَمِيرَالِ « نِيمِيتِ » الْعُلَيَا ، وَلِسُلْطَةِ الْأَمِيرَالِ « غُورُومِيِّ » الْمَبَشِّرَةِ . أَمَّا الْقَوَافِلُ الْبَرِّيَّةُ فَنَفَّقَهَا فَرْقَةُ مَشَاهِ الْبَحْرِيَّةِ (الماريتس) الْأُولَى الَّتِي يَقُودُهَا الْمِيجَرُ جِزَرَالُ « الْيَكْسَنْدَرُ أَرْثُرُ فَنْدِيغَرِيفْتُ » ، وَكَانَ رِجَالُهَا مِنَ الْجَنْدِ الْمُحْرِفِينَ الَّذِينَ أَنْخَضُوا لِلتَّدْرِيبِ الْبَدْنِيِّ وَالْإِعْدَادِ الْتَّفْسِيِّ الْمُعْمَلَ بِهِمَا فِي « فِيلِقِ الْبَحْرِيَّةِ » .

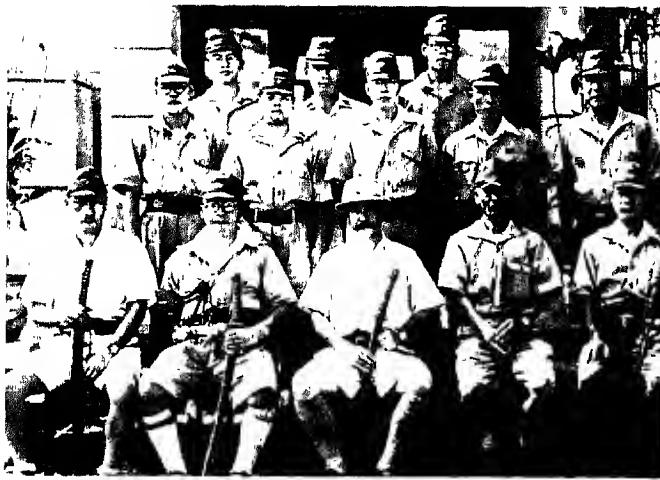
نزل الأمير كيكون في الجزيرة في ٧ آب . فأبديت السرية اليابانية التي كانت تحتمل « تولاغي » عن بكرة أبيها ؛ أما الرجال الـ ١،٧٠٠ الذين كانوا يعملون في « غوادالكانال » . ورمادة البحرية الـ ٤٣٠ الذين كانوا يومئذ لهم الحماية . فقد لاذوا بالفرار . وفي ٩ آب أُزيل « فنديغريفت » إلى البر معظم رجال فرقته البالغ عددهم ١٩٠٠٠ . فهام اليابانيون على وجههم في الأدغال شزادم صغيرة . والحرمان يربص بهم وبهذه دهم بالملاءك . وبدت قصيّة « غوادالكانال » بحكم المتهلة .

لم تكن تلك . في الواقع ، إلا بداعيتها ، إذ سرعان ما بدرت ردّة الفعل اليابانية ! ففي « رايو » ، أمر الاميرال « غونيشي ميكاكاوا » ، قائد الأسطول الثامن ، بإبحار الجيوش المتوافرة على ناقلات ست سار هو في مقدّمتها على رأس سبعة طرّادات . وهكذا ، ما كادت تمرّ على نزول الاميركيين المفاجئِ اثنتا عشرةَ ساعة : حتى بز الأسطول الياباني من جهة أربخيل « بسمارك » منقضياً على العدوِ الواقع مؤقّتاً في بهجة الظفر . فلم يبقَ إلا ٥٠٠ ميل تفصل ما بين الخصمين . غير أنَّ عوناً كانت تترصد البحر ، فلقد نظمت الحكومة

حملها جنوداً مهتمهم استرجاع «غواص الكanal». . بعدما أغرت الغواصة الأميركية «س ٣٨» أهملها ، وهي «الماليو مارو». عاد الجميع إلى «رايول» باستثناء الطراد «كاكي» الذي صادف في طريقه الغواصة الأميركية «س - ٤٤» فكان على يدها حتفه . لقد سجّلت البحرية الأميركيّة على نفسها هزيمة نكراء ، إلا أن رجال «مارينز» بقوا في «غواص الكanal».

ولكن وضعهم لم يكن مما يحسد عليه : فلم تمض على كارثة «سافو» بضع ساعات حتى جمع «تورنر» الناقلات واحتفى بيده في الجنوب الشرقي . ترافقه السفن الحربيّة الباقيّة . أُقفر بذلك المضيق بين «فلوريدا» و «غواص الكanal». . بعدما كان بالأمس آهلاً بالسفن كمرفأ كبير . فغير القلوب شعور بالخذلان والتخلي أخذ ينفجر حول مواقع المعسكرات التسعة لعنات قدرة سافلة تنصب على البحرية الأميركيّة؛ وخواطر اعتبارات لأذنة تدور حول أهليّة «مارينز» للاستهلاك ! لم تُفرغ إلا نصف النحائين . وجّه قليل من المدفعيّة . أمّا الزاد فلم يكن ليكفي ثالثين يوماً إلا بـالغاية إحدى الوجبات الثلاث اليوميّة . وبالاعتماد على الأطعمة اليابانية التي وجدت هناك وقوامها الأرض والأسماك المجمّفة . مقارنة واحدة سيطرت على الأحاديث : لا وهي «بانان». . الواقع أنَّ فرقة «مارينز» الأميركيّة الأولى قد وجدت نفسها في المأزق الذي تردّى فيه جيش «ماك أرثر» لثمانية أشهر خلت : فاما الاستشهاد . وإما الاستسلام .

اما الفرصة الثانية فقد عرضت بإنشاء حقل الطيران في رأس «لونغا» .



حل محل «إيشيكي» العائز الحظّ جزال كث الشاربين يدعى «كاواجوشي» ، فأقسم ليظهرن «غواص الكanal» من الأميركيّين قبل ١٠ تشرين الأوّل .

في الصورة أعلاه : الجنرال «كاواجوشي» وأركان حربه .

إلا أنَّ منظر ذلك المدرج الحيواني لم يكن مشجعاً : فالمستطيل الضيق الذي لم ينجز اليابانيون تسویته ليس إلا مستنقعاً : أمّا قوام عتاد التمهيد الأميركيّي فجراف واحد . وكان استئناف العمل مستحيلاً والحالة هذه لم يختلف اليابانيون . في فراهم السريع . داخلة قديمة لعبت في حرب المحيط الهادئ دوراً أجمل من دور أعني البوارج . وشاء حسن الطالع أن تُنزل إلى البر أربعة مدافع من عيار ٩٠، فنصب حول «هندرسن فيلد» وتحكت من إرغام قاذفات العدو على البقاء على علوٍ يفوق ٢٧٠٠٠ قدم . إلا أنَّ ذلك لم يتخل دون إصابة الحقل يومياً بوابل من القذائف : فكان لا بدّ ، في كلّ مرّة ، من العودة إلى ردم الحفر . وتسوية الأرض ونقل التراب في الخوذ . واستئناف عمل دائم بين تعاقب المطر الوحشي

الأسترالية من المزارعين والموظفين فيلقاً من المتطوعين حراس الساحل : فبدل أن يولّي هؤلاء الأدباء أمام الغزو ، تفرّقوا في الجزر . وراحوا ينقولون المعلومات عن العدو . كان أحد رجال «حرس الساحل» في «بوغنبيل» أول من أعلن أنَّ أسطولاً يابانياً يضم سطراً بحرياً يطلقه «حملتها حاملات الطائرات الكبري» «انتوريز» و «ساراتoga» وأسب » . كان هذا المجموع أشبه بالنقضاص قادر من خلف على قدر من حديد !

لكن ، وأسفاه ! كان الأميركيّين يفتررون إلى وحدة الإداره . وكانت حواجز فاصلة قد أقيمت بين منطقة جنوب شرق الماديّ الخاصة «ماك أرثر» . ومنطقة جنوب الماديّ الخاصة «ليميتز» . وفي «غواص الكanal» نفسها لم تتوّل أية سلطة مهمة تسقّي العمليّات : لم يكن «فندىغرافت» إلا مساعدًا للبحرية ، فيما يبني «غورمي» في «نوميا» ، أمّا «فليتشر» . قائد أسطول عرض البحر . فهو الحكم الأوحد في ما يمكن أن يقدم عليه من مجازفات . سبق أن شهد غرق الثنتين من حاملات الطائرات هما «اللاكتسون» في بحر المرجان . و «البورك تاون» في «ميدوي» . فهو لذلك يدرك أعمق إدراك قيمة السفن التي يحمل مسؤوليتها : وإذا به ، في الساعة ٨ من مساء ٩ آب ، وقد أمسى «ميكاكاوا» على بعد ١٥٠ ميلاً فحسب . يصمّم فجأة على العودة إلى «نوميا» . ولم تكن هناك لأي إنسان سلطة إيقافه .

هبط الليل ، فإذا بسفينة النقل «جورج ف. إيلبيوت» باقة من لمب . أمّا حمامة عمليّة التزول فقد أقيمت على عاتق قوّة صغيرة من الطرادات يقودها الأميركي «تورنر» . فعمد هذا إلى توزيعها بين جبهي جزيرة «سافو» المغروسة كقطوف مخروطي الشكل وسط المضيق الفاصل بين «غواص الكanal» و «تلاغي» . فأقام «الفنسيين» و «الأستراليا» و «الكونيسي» إلى اليمين . فيما وقف «الشيكاغو» والطراد الأميركي «كمبيرا» إلى اليسار . ورست وراء هذه الطرادات سفن النقل الملاصقة للشاطئ ، ولما يتم إفراجها بعد . بينما بدأ رجال «مارينز» . التابعون لفندىغرافت . على الجزيرة لكيتهم الثانية وسط البرغش والرطوبة . تضافر الليل والمطر لحجب تقدّم «ميكاكاوا» . واندفع الأسطول على أثر الطراد — الأميركي «شوكي» عبر القناة الجنوبيّة حيث كانت حرائق «جورج ف. إيلبيوت» تبرز معالم السفن الأميركيّة . وفي تمام الساعة ٤٣٠ أرسلت المصايب الكاشفة اليابانية أصواتها . وأدركت الطوربيدات خصوماً ناماً . فأُصيب «الكمبيرا» بجروح قاتل فيما كان بدوي تغيير إنذاره . وشطرت مقدمة «الشيكاغو» . ودار «ميكاكاوا» حول جزيرة «سافو» بأقصى سرعته . فلم تمض خمس دقائق حتى وقع على مجموعة السفن الأميركيّة الراسية في القناة الشماليّة . فإذا «بالأستراليا» تنفجر . و «الكونيسي» تتجنح . و «الفنسيين» تتبع وتغرق كالحجر . وهكذا ، في مدى ربع ساعة . وفي أقصر معارك الحروب البحرية على الإطلاق . أيدت أربع طرادات كبيرة ، وأعقب طراد خامس : لقي ١٠٩١ من بحارة الحلفاء حتفهم . ولم يُقتل من اليابانيين سوى ٥٨ جندياً !

ومع هذا . فقد أخطأ «ميكاكاوا» انتصاراً أعظم من الأول ، لقد حال خوفه من حاملات الطائرات — وكان يجهل أمر فرارها ! — دون البقاء في ميدان القتال حتى الفجر لتدمير سفن النقل . فيما كان منه في الساعة ٣٠ إلا أن عاد أدراجه في «الشق» بسرعة ٣٠ عقدة . عندما ظفر بغزو وأخطأ انتصاراً . وعادت أدراجهها كذلك الناقلات الست التي كان قد

رأس «الرجاء» شمالي الجزيرة . وراحوا . في سبيل تأمين وصول المؤن والتجددات . يغدون حركة ليلية تقوم بها المدمرات ذهاباً وإلياً ، فأطلق عليها الأميركيون اسم «طوكيو أكسبريس» . ثم قرروا أن يلقوها على الجزيرة . في وضع النهار . مفرزةً من ١٠٥٠٠ رجل . سخروا لحمايةتها قوات بحرية جبارة يقودها الأميرال الكبير «ياماموتو» شخصياً ، فجندت من أجل هذا الغرض حاملة الطائرات «شوكاكي» و«زويكاكي» . وحاملة الطائرات الخفيفة «روبيجو» . والوارج «ياماتو» «موتسو» و«هي» و«كيريشيمما» . فضلاً عن ١٢ طراداً . و٣١ مدمرة . و١٢ غواصة ... وهكذا حشد أسطوله بكلمه من أجل إزالة كتيبة ! تبة الأميركيون . فحددوا المقام أسطولاً موياً ضم حاملات الطائرات «انتربريز» و«ساراتoga» و«واسپ» . والبارجة الجديدة «نورث كارولينا» . فضلاً عن ٧ طرادات و١٨ مدمرة . جرت المعركة ، التي أطلق عليها اسم «سليمان الشرقية» . في ٢٤ آب . معيدة إلى الأذهان ذكرى موقعة «ميديوي» . ولكن من غير أن تعادها . لم تتبادل السفن طلقة مدفع واحدة . ولكن الطيارين اليابانيين أعطياو «انتربريز» . فيما أغرق الطيارون الأميركيون «روبيجو» . وإذا أدرك «ياماموتو» أنه لم يؤمن لنفسه السيطرة على البحر تخلّى عن إزاله جنده ١٠٥٠٠ . فعادت الكتيبة إلى «رايول» . أمّا الأسطول الضخم فلم يفز من القتال بطائل .

وفي أيلول جرت محاولة جديدة . فأرسلت الأهداف التي من أجلها عرض «ياماموتو» ذلك العدد الكبير من السفن . وأحرق تلك الكمية الضخمة من المازوت . إلى «غواص الكanal» عن طريق «طوكيو أكسبريس» . وحل محل «إيشيكي» العائذ المحظوظ جزال كث الشاربين يدعى «كاواوغشي» . فأقسم ليطهره «غواص الكanal» من الأميركيين قبل ١٠ تشرين الأول . فأمر بشق درب في الأدغال . وأقام قاعدة انطلاقه على بعد ٣٠٠٠ متر من «هندرسون فيلد» . كان مفتاح هذا الحقل قبة بارزة من الغابة ستحتمل في التقارير الرسمية اسم حاميها المدعى «إدسون» . وأسم «ريديج الدامية» في روايات الجنود . في ١٢ أيلول تعرض حماة القمة لمجوم ياباني صارخ ، غير أن محترفي «فيلاق البحري» القساة كانوا يفوقون روعة اليابانيين الذين كانوا . بمعدل واحد ضد خمسة ، يكتسون انكليز «مالزيما» كما تكتس الأوراق الميتة ! فدافعوا عن القمة قدمًا قدمًا ، وأرغموا «كاواوغشي» على إيقاف القتال والعودة إلى الأدغال . خلّقاً في ساحة القتال ٦٠٠ قتيلاً . وفاقت ضعف ذاك العدد أثناء تراجعه وسط الجحيم الأخضر .

كانت الفترة التالية بالنسبة للأميركيين فرة سعيدة . إذ قد آلت إليهم سيادة الجو والبحر على السواء . خانهم الخط يفقد حاملة الطائرات «واسپ» العائد من المقلب الثاني حيث أنقذت «مالطة» . والتي قضت عليها طوربيدات غواصتين . ولكنthem ربحوا معركة رأس «الرجاء» التي دخل فيها الطرادان التقبلان «فوروتاكا» و«هاتسوكي» في عدد السفن الكثيرة المفرقة في قعر القناة . أمّا على اليابسة فوصل فوج المشاة ١٦٤ . وهو أول مدد بري ، قد مكّن «فنديفريفت» من الانقال إلى المجموع . كما مكّنه من توسيع المحيط الذي ت控股 فيه منذ شهر آب حتى ٣٠ «ماتانيكو» . فشعرت المراجع العليا بأن معركة «غواص الكanal» قد انتهت بالفوز .

إلا أن الكربلاء الياباني كان محور المعركة . إذ قد غدت جزيرة «غواص الكanal» ذات الأهمية الاستراتيجية المشكوك فيها . والمعروفة بعنانها المستقعي الفاتح . محكّاً للإرادات المصطربة . عقدت بين الجيش والبحرية الإمبراطوريتين اتفاقيةً أعلنت بموجبها جزيرة «غواص

والشمس المجونة . حول «هندرسون فيلد» هذا ست دور رحي معركة «غواص الكanal» . خلال ستة أشهر متالية سيفي فيها الحفل محور الاشتباكات البرية والبحرية والجوية الضاربة كلّها التي ستشب في الجزيرة وحولها وفوقها .

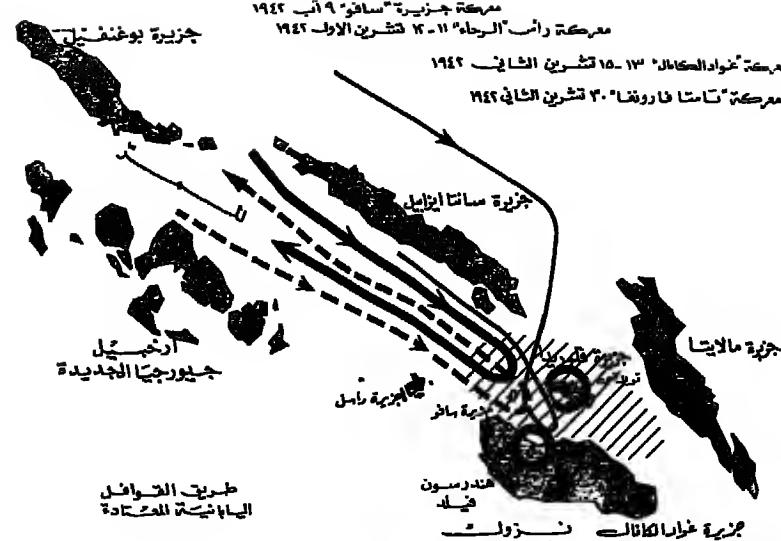
يغضّ تاريخ المروب بذكرى المذابح التي أريقت فيها الدماء من أجل قرى «اؤسترليتز» بروزت من العدم فجأة . ثم عادت إلى عالم النسان إثر سقوط الفصححة الأخيرة . أمّا «هندرسون فيلد» ذاك . بأمتاره المربيعة القليلة . فقد فاق كل تلك السوابق شهرة . وما هو غير بقعة من الأرض الفاسدة التنة قد انبسطت على إحدى أشنع جزر العالم واستعادت وحيستها منذ أيام بعيد .

من حسن حظ الأميركيين أنّ اليابانيين قد أساوا تقدير قوتهم فاعتقدوا أن عددهم لا يتجاوز ٢٠٠٠ . ولم يخامرهم شك بأنّ هناك فرقة كاملة من جنود «الماريتس» . وهي نخبة الجيش الأميركي . كان قد فاتهم استغلال النصر البحري الذي أحرزوه في «سافو» . وما هي إلا ييذلون من أجل إعادة الفتح جهوراً متألية بوسائل غير كافية .

كُلّفت بالمحاولة الأولى وحدة موسمية بمعظها العاشر . هي فوج المشاة ٢٨ الخاضع لإمرة الكولونيل «كيوناوو إيشيكي» . والذي كان عليه أن يتزل في «ميديوي» بتاريخ ٥ حزيران ! أفهم الجنرال «هياكانوكى» قائد الفوج أن «غواص الكanal» توفر له فرصة تعريض ما فقدته من حظرة في ذلك اليوم المشؤوم . أزلت ست مدمرات . أثناء الليل . الدفعة الأولى من الفوج . أي ما يقارب ألف رجل . فأعادوا الصلة بمواطنיהם المائتين في الجزيرة وتلقوا منهم معلومات مشجعة . كان الأميركيين يبذلون نشاطاً محدوداً . إذ أنّهم قد تخلّوا بين نهري «لونغا» و«تینارو» . أمّا الدورية الوحيدة التي غادرت بالتزويج من المحيط المحسن ، فقد حضّ اليابانيين على الإسلام . فقد كان تصيّبها الإيادة التامة . فاقتنع «إيشيكي» بأنّه لا حالّة متغلّب على هذا العدو الخائف فيما لو قام بعمل مفاجئ عنيف . واستعدّ لتجيئ ضربته في ٢١ آب على خط «تینارو» الساحلي .

يد أنّ كشافة من أهالي الجزيرة قد حمل نبا وصول الفوج الياباني . فتمكّن كينز أميركي من الإيقاع بعض الجنود الذين كانوا قد نزلا حديثاً في «غواص الكanal» . وقع المجموع على الأميركيين متبنّيه شرعاً يخشون أوصال المصب الصغير بالجثث . ثم ما لبثت كتيبة «الماريتس» الأولى أن شنت على الغزارة . بقيادة الليتنان كولونيل «كريسوبل». هجوماً معاكِساً . فطوقتهم في غاب من شجر الجوز الهندي . فإذاً باليابانيين يجدون للمرة الأولى من يفوقهم قيمة وغيظاً . وبفضّل الدبابات الأميركيّة الخفيفة تجز بعنف جذوع الأشجار الستة وتسقط منها المناوشين اليابانيين . أمّا اليابانيون الذين رموا بأنفسهم في البحر فقد أصلوا ناراً حامية وهم بين الصخر . فلم يستسلم منهم غير ١٥ فيما لقي ٨٠ حتفهم . وما كان من الكولونيل «إيشيكي» ، إلا أن انتحر وأضاع حدّاً لسوء طالعه .

كان «هندرسون فيلد» قد استقبل قبل هذا الفوز ببدين أول طائفة من المطارات وقادفات القنابل الاقضائية ، وكان أسطول صغير من مدمرات قديمة حوت إلى ماقلات قد أعاد فتح خطوط «غواص الكanal» البحري . فوصلت كتيبة المتطوعين من أجل الخدمة والعمل . للإسهام في المعركة . بترجم المدرج الجوي الذي يفسده التهوّر والقصف المتواصلان . وذلك بهمة لا تعرف كلاماً . بقيت الحياة على قساوتها الخفيفة . في معسكرات مغمورة بالماء . وتحت سحب من المحنّرات . بتعذرية رتبة غير كافية . ولكن أمراً قد تغير على الأقل : فقد انتهت عزة الأيام الأولى . عاد اليابانيون من جهتهم ينظمون صفوفهم . فقاموا قاعدتهم في



ساحة القتال في «غواه الكانال».

الكانال » رسميًّا مسرح المحيط الهادئ الرئيس . كما أعلن مدرب «هندرسُن فيلد» مفاتيح «غواه الكانال» . قتَّعَهُ الجنود بالاستيلاء على «هندرسُن فيلد» . وتعهدَ البحارة بموازنة الجنود بكل قواهم . ومضت طوكيو إكسبريس «تنقل إلى «غواه الكانال» ، في دفعات ليلية تبلغ كل منها ٩٠٠ رجل . جنود فوجة «ستندي» ، الثانية التي يقودها الجنرال «ماروياما» . فضلاً عن جماعة من جنود النخبة تضم ٣٠٠٠ رام بيري . وهكذا ارتفع عدد القوات إلى ٣٠٠٠ رجل . عُيِّنَ ١٨ تشرين الأول موعداً للهجوم . وتعهد المفتون بالاستيلاء على «هندرسُن فيلد» في ٢١ منه .

بدأ الاستعداد في ليل ١٢-١١ تشرين الأول . فصبت الباراجان «كونفو» و «هيرونا» على «هندرسُن فيلد» ٩١٨ قذيفة من عيار ٣٦٠ مم : منها ٢٩٣ ذات جدار رقيق وشحنة من المتفجرات كبيرة . كان التأثير مروعًا : فقد حصدت أشجار جوز الهند حصداً . وسحقت الم العسكرية سحقاً . واندلعت النيران في صهاريج الوقود . وتفزقت الطائرات إرباً . وكذلك الرجال . وما إن أفرغت الباراجان نيرانها حتى حللت الطرادات محلها بقدانها من عيار ٨ بوصات . ولم يكن إلا الاعتقاد بأن الشمس سوف تشرق في القاعدة المدمرة على جثث وأنقاض . إلا أن شيئاً من هذا لم يكن : لم يسقط تحت القصف غير ٤١ قتيلاً . ومن جملة الطائرات الـ ٩٠ بقى ٤٢ طائرة صالحة للطيران . وأعاد المطعون الرائعون إصلاح المدارج بسرعة مدهشة . ثم إن العثور على بعض مثاثل من براميل الوقود المشورة في المزرعة . ومنذ يوم ١٢ عادت طائرات «هندرسُن فيلد» للإسهام في المعركة . فأغارقت ناقتين . ومع أن «الماريتس» قد أتَرَ فيهم السهر . فقد استعادوا الثقة بالنفس . وباتوا يتظرون الهجوم المحدق بهم بمعنويات جيدة .

جهز اليابانيون عملية تسuir إلى نقطة واحدة . فلسوف تقوم قوة مولّفة من ٥ كتائب . بقيادة جنرال المدفعية «سوبيوشى» . بالهاجمة بواسطة الدبابات على مجرى نهر «ماتانيكو» ، الأسفل : وتقوم مفرزة بقودها الكوليوبيل «أوكا» ، بعبور النهر صعداً . عبر جسر مصنوع من جذور أشجار جوز الهند يعرف «بجسر اليابانيين» . وأما الهجوم الرئيس . الذي كان يقوده «ماروياما» بتحوٍ من عشر كتائب . فقد كان تجسيداً للهجوم الذي أخفق في الشهر المنصرم . ولسوف يهاجم الجناح الأيسر «ريدرج الدامية» ، للإدراك بالعدو . فيما يعمد الجناح الأيمن إلى الاستيلاء على «هندرسُن فيلد» بعد الاستدارة حول القمة . وقد كان هنا الجناح بإمرة «كاواغوشى» الذي رفض أن يخوض حدو الكوليوبيل «إيشيكى» .

اليائس . والذي آثر الانتحام على الانتحار . وقد نصَّت تعليماته على ما يلي : «يمكنكم قبول استسلام العدو شريطة أن يأتي الجنرال «فنديفريفت» شخصياً لطلبه وإلى جانبه علم أميركي وعلم أبيض ...» ففي جزر آكلي الحروم البشرية . في المحيط الهادئ . كان اليابانيون يريدون تكرار مظاهر الاحتلال التي راقت استسلام «سنغافورة» !

وفي سبيل الوصول إلى قاعدة الانطلاق كان من الضروري شقَّ ممر ضيق عبر أدغال «غواه الكانال» . يتسع له ١٠٠٠ رجل و ٨٠٠ طن من العتاد . وأثبتت سرية الكابتن «أودا» الهندسة على العمل . وقد أذن لها قائد الفرقة بأن تطلق على ثمرة جهودها اسم «طريق ماروياما» تشجيعاً . إلا أن هذه السرية كانت بحاجة إلى بعض الجرأتات أكثر من هذا التشجيع . كان خطأ هذا المرء يختزن أكثُر الغابات الطربة . وكتلة نباتية كثة متشابكة معرّضة يبلغ حجمها حجم رجل عادي . تتدلى من أشجار عملاقة خشْبُها صلب صلابة الحديد . ولم يكن لدى اليابانيين غير معدات يدوية خفيفة . وقد عمل تقابو الكابتن «أودا» للدرجة الوهن . وبعد ما وصلوا إلى سفح جبل «أوستن» . وقعوا في متأهله من القمم والشعب . كانت الغابات تحجبها . وأمام المرء الذي تمكنوا من شقَّه فلم يكن سوى معبر ضيق كمبر الكشافين ، وكان تحويه إلى طريق يسلكه الجيش يقضى أسبوعاً طوالاً من العمل الدائب .

أسبوع طويل عاشت البحرية خلماً على أعصابها . وقد صرحت بأنها لا تقدر على إبقاء سفنها في البحر إلى ما شاء الله . وعندما أعلنت الجيشه عن عدم استعداده للهجوم في ١٨ ثارت ثورة البحارة : وحين صرخ «ماروياما» بأن تاريخ ٢٣ كان يبدو له قريباً جداً هدد البحارة بتفصيل المهد وبالتخلي عن كل مؤازرة . وجنون جنون «هياكاتوكى» ، فأمر «ماروياما» بشن الهجوممهما كانت الظروف . وعمل على إطلاق عملية نهر «ماتانيكو» ، فكانت إنتفاضةً كاملاً : فقد دُمرت الدبابات اليابانية التي حاولت عبور النهر فوق عارضة المصب الواحدة تلو الأخرى ، وأمام الشاه الذين كانوا يراقبونها فقد حصدوا حصدآ . وباتت جثثهم طعنة لتماسيع الـ «ماتانيكو» تلتهمها على الضفاف الرملية . وأمام مفرزة الكوليوبيل «أوكا» التي خرجت من «جسر اليابانيين» فقد ابتلعتها الأدغال ، فلم تتمكن وبالتالي من القيام بالتحرّك الجامح الذي أمرت بتنفيذه . وقد أثبتت مسؤولية الإخفاق على عاتق رئيسها .

خلال هذه المعارك المشوّقة لقيت فرقه «ماروياما» مصير الشهداء . كانت تتقدّم وتلاً من الرجال يسيرون واحداً إثر آخر ، في ظلمة القبة الباتية . تعرّض بالذور وتترافق على الأرض الدّيّقة . وكان الرجال

حاملة الطائرات الأميركية «أنتربريز» في معركة «سانا كروز» وقد أصابتها القاذفات اليابانية . أمّا قذائف المدفعية المضادة للطائرات فتصدرها السفينة «ساوث داكوتا» . وقد التقطت الصورة من على ظهر هذه السفينة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٢ .





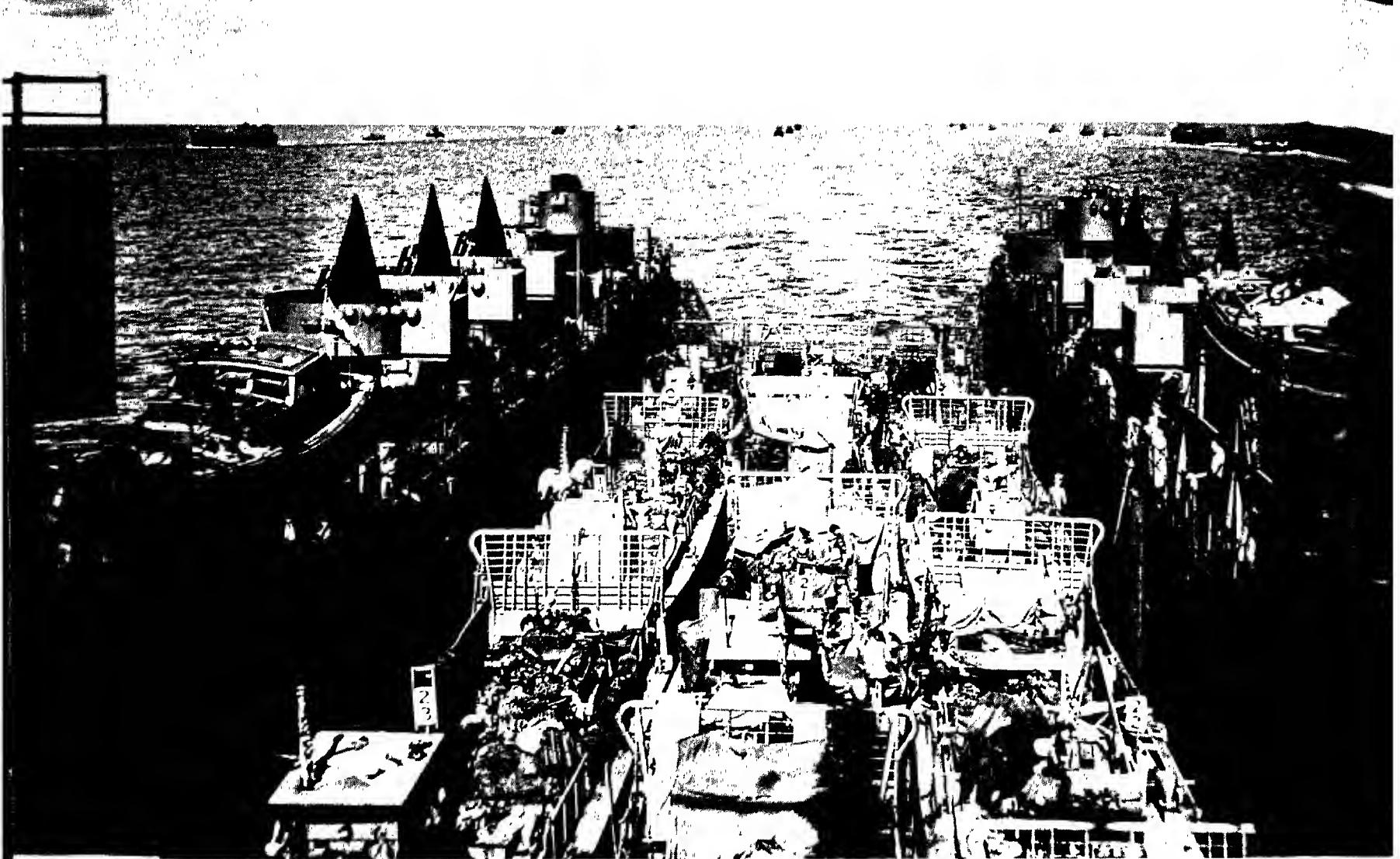
الطريق إلى "طوكيو"

سفن إنزال أميركية متمركزة بالحملة تبحر العباب في طريقها إلى جزيرة «الماهير». إنها ، اليوم ، الطريق المؤدي إلى «طوكيو».

إنطلاق الأميركيون من «انغافين» ، وهي أول نقطة نزلوا فيها في جزيرة «لوسون» (الفلبين) ، إلى «مانيلا» التي سقطت في أيديهم في كانون الثاني ١٩٤٥. وتبعد في الصورة قافلة تموين عبر الأدغال.

طائرة «زيرو» يابانية أسقطت في حزر «سليمان».





على ظهر حاملة الطائرات «لكسنغتون» راح هؤلاء
الطيارون يتلقّون أدقّ التعليمات للمعركة المقبلة.



محملين بطريقة وحشية . فكان كل جندي يحمل إقذيفة . فضلاً عن معدات قتاله الفردية والجماعية . وقد جررت المدافع بالأيدي ، وبعد ما تم بلوغ هجوم «أوستن» راجح الجنود يرفعونها بالآلات رفع الأقفال . إلا أنَّ المجهود كان ينافي والطاقة البشرية . فشركت المدافع كلتها في أ ماكنها . وبعدما وصل الجندي إلى منطقة عملياتهم تحت سيل من الأطماع العارمة . كان الرهن قد حل بهم تماماً . فالغاية التي شلت خطاهم قد خانتهم كذلك . ولم تبق عنصر مقاومة كما كانوا يتوقعون . فقد بصر الأميركيون على سفح جبل «أوستن» بالأنفيباتيون الطويلة تلف وتفك أسفاطها البشرية . فباتوا يتظرونها وهم على أتم الاستعداد .

صدر الأمر بشن الهجوم الأول في الساعة ٣٠.٠٠ . في ليل ٢٤-٢٥ تشرين الأول . كان المطر المنمر يغمر الظلمة الحالكة . ولم ينطلق بالهجوم غير فوج واحد . هو الفوج الـ ٢٩ ، وأمام الأفواج الثلاثة الأخرى فقد تاهت في الدياجير . كانت الأنظمة اليابانية تقول : «إنَّ الأدغال والليل هي حلقتنا في وجه الغربيين المائتين الجبناء ... ولكنَّ هذا التحالف . الذي أدى مهمته في «مالزيَا» على أكمل وجه . قد تلاشى في «غواه الكانال» . ففي الساعة ٧ صباحاً لم يتمكن من التسلل إلى نطاق الدائرة الدفاعية إلا بعض العناصر الضعيفة ، فأبىدت من غير شفقة . كانت ليلة ٢٦-٢٧ تكراراً لليلة السابقة : فالهجومالجزيئي المفترض قد أبىد مجدداً من غير أن يتكبد الأميركيون أية خسارة تقرباً . ولم يبق أمام اليابانيين سوى العودة إلى مصر الروحش الضاربة الذي سلكوه . وراح مشاة البحرية يدقون بعجلة ٢٠٥٠ قتيل . ولم يعرف فقط على وجه الصحة عدد القتلى الآخرين الذين تركوا للطبيعة المسورة التي تحفل فيها الجثث بين ليلة وضحاها .

ويع ذلك فقد كهرب رسالة «نصر الأسطول الياباني» ! فهذه الرسالة طيرها صابط الاتصال البحري في الساعة ١٠٢٦ ، بالنص التالي : «بانزاي ! لقد تم احتلال المطار ! » ومنذ الفجر بعث الأميرال بنحو خمس عشرة طائرة راحت تخلق فوق «هندرسن فيلد» بانتظار إشارة الهبوط ، وكم كان ذهول الطيارين عظيماً حين أبصروا ٨ مقاتلات أميركية تقضي عليهم من المطار الذي زعم احتلاله . وتسقطهم واحداً واحداً ! وفي البحر . كانت المعركة البحرية الرابعة التي أثارتها «غواه الكانال» قائمة على مقرية من جزر «سانات كروز» . وهي مجموعة جزر صغيرة تتصف بها ملاриيا فتاكة . ثالت الضربات القاسية . فأسقطت الأميركيون ١٠٠ طائرة وأخرجوها من القتال السفن «شيكياكو» و«زوبيرو» و«شيكوكا» . ولكنهم أرغموا على التخلص عن «مورنيت» بعدما كافحوا ألسنة الهب التي راحت تلتهمها كفاحاً مستيناً . إنها حاملة الطائرات الكبيرة السابعة تغرق في المحيط الهادئ في غضون عشرة أشهر .

كان مصير «غواه الكانال» يترقر في الأركان العامة أكثر منه في ساحات القتال البحرية أو البرية ، فكانت فكرة التخلص عن الجزيرة الملعونة قوية في كلاب الحانبي . في ٢ تشرين الأول حمل «فندغيريفت» حتى «نوميا» إلى رئيسه الأميرال «هالسي» . خليفة الأميرال «غورمي» . الواقع التالي : إما إجلاء القوات . وإما أن توفر لها أسباب النصر . وطارت المعضلة إلى «واشنطن» بمعطياتها هذه . كان تحضير الزول في «أفريقيا الشمالية» في أوجه . وكان مخططون كثيرون يرون أنه من الواجب أن يلاذ بعدها السرائيلية الدفاعية في المحيط الهادئ . وبالتالي أنه من الخطأ أن تزج قوات جديدة في «غواه الكانال» . إلا أن «روزفلت» أثار اعتبار القيمة الرمزية التي اتحذتها الجزيرة . والصادمة المعنوية التي قد تنجم من جراء التخلص عنها . وفي ٢٤ تشرين الأول صدرت مذكرة كتبها بيده بت في الموضوع : «ينبِّح الحفاظ على «غواه الكانال» بالطرق

الضرورية . حتى ولو جرَّ هذا الأمر إلى تأخير في تنفيذ تعهداتنا الأخرى» . لقد أعقَّب قرار الرئيس تجاوبُ فوري : فالأميرال «كينغ» ، المؤمن بأفضلية المحيط الهادئ . قد انتحر هذه الساحة الجديدة فأرسل إليه مفرزة بحرية قوية مولفة من بارجة و٦ طرادات ، الخ... وفي البر حلَّ موضع فرقة مشاة البحرية الأولى ، التي أُعفيت وأرسلت إلى «أستراليا» . الفرقة الثانية . تدعى فرقان من الجيش ، وأنشئت في الجزيرة قاعدة جديدة . وأصلاح الرصع في المخيمات فعلَّ محلَّ ارتجالية البداية ورومنطيقيتها نظام الضباط صارم . ولقد قال الجندي القديمي : «إنَّ معالم «غواه الكانال» قد تغيرت تماماً» .

إحتاز اليابانيون التجربة نفسها ووصلوا إلى الاستنتاج الذي بلغه الأميركيون . فقررَا نقل الفرقتين ٣٨ و ٢٣ إلى «غواه الكانال» ، فضلاً عن مدفيعة الجيش السابع عشر وأركانه العامة . فكان على تشرين الثاني أن يتحقق ما عجز تشرين الأول عن تحقيقه : القضاء على «هندرسن فيلد» وجعل «أولد غلوري» ، الراية ذات النجوم ، ترفرف إلى جانب الراية اليابانية !

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اعتمَّ اليابانيون إنزال ١٣،٠٠٠ رجل إلى البر دفعة واحدة . تنقلهم ١١ سفينة سريعة يحميها أسطولهم بكامله ، باستثناء الـ «زوبياكو» التي لم تصب بأذى . غير أنَّ طائراتها قد ذُبَّرت جميعها في معركة جزر «سانات كروز» . وكما في تشرين الأول عهده إلى البارجتين «هيبي» و «كيريشيمَا» بافتتاح العدلية بقصف «هندرسن فيلد» . إنهاقطة انطلاق معركة «غواه الكانال» البحرية الخامسة . وهي المعركة التي ستحمل اسم ذلك الموضع لأنَّها أهمَّ ميالاتها السابقة واللاحقة .

نهار الجمعة في ١٣ تشرين الثاني كانت ١٣ سفينة أميركية . بين مدمرات وطرادات . تقوم بأعمال الدورية في خط مستقيم أمام الجزيرة . وقد كان في معيتها أميرالان هما «سكتون» و «كالاغان» الذي كان يقوم بأعباء القيادة نظراً لأقدميته . وحلَّت الظاهرة السوداء يتخاللها البريق .

كانت «هيبي» و «كيريشيمَا» تتقدمان في المنطقة نفسها . ولكن في وجه معاكسة . تواكبهما ١٥ مدمرة . فوصلتا إلى نقطة بين «سافو» و «غواه الكانال» وأبراجهما على أبهة إطلاق النيران على «هندرسن فيلد» . وإذا اعتبرنا قياس السرعة لدى الطرفين ، كانت المجموعة تسيران للقاء بسرعة ١٠٠ كلم في الساعة . وذلك من غير أن تعلم الواحدة منها بوجود الأخرى على مقربة منها . وكان الأميركيون مزددين بالرادر . وأمام اليابانيين فلا .

وفي الساعة ١٠٣٤ ، اكتشف الطرَّاد «أتلانتا» العدو . ولكنَّ عمل الاتصال كان سيئاً . ولم يكن الالكترونيك قد أقنع بعد بمحاربة الطراز التقليدي بفعاليته . وتأخرَ «كالاغان» في إصدار أمر إطلاق النار . ولم تكن النار قد فُتحت بعد في الساعة ١٠٤٢ . حين أبصر حربَس المدمرة «أكاشسوهي» إلى يسار السفينة هيكلَ طرَّاد ، وأبلغ الأميرال «آبي» في الحال بواسطة الإشارة الصربية . فأمر بإضافة الأنوار الكاشفة وإطلاق النار .

أما الاشتباك الذي حصل بعد ذلك فام يكن بالإمكان وصفه بدقة في يوم من الأيام . إنقطع خط «كالاغان» المستقيم منذ الطلقة الأولى . واشتبكت التشكيلتان الأميركيَّة واليابانية . وراحت السفن تطلق نيرانها على غير هدى . وقتل الأميركيان الأميركيان . وحين بزغ فجر ١٤ فوف بحر هادي ، برافق كالمعدن . كانت هناك ٨ سفن على الأقلَّ مشتبكة بالجراح بين «سافو» و «غواه الكانال» . ٥ منها أميركية . في جملتها الطرَّادان

في ٢٦ تشرين الأول ١٩٤٢ أرغم الأميركيون على التخلص من «الهورنيت» بعد ما كافحوا السنة اللاهب التي راحت تلتهمها كفاحاً مستعيناً. إنها حاملة الطائرات السابعة تُعرَّق في المحيط الهادئ في غضون عشرة أشهر.

«بورتلاند» و «ألتلتا». ولكن إحدى السفن اليابانية الثلاث لم تكن غير البارجة «هيبي» التي اجتاحتها قذائف الـ «سان فرانسيسكو» من على مرمي حجر. وسوف تسجهز عليها خلال النهار مدمرة يابانية. هذا. ولم تนาق «هندرسون فيلد». وهي هدف الغارة. قذيفة واحدة! ولم تقترب سفن النقل الـ ١١ من «غواص الكanal». وعلى الرغم من الأخطاء التي ارتكبها الأميركيون. ومن المسائر الفادحة التي تكبدها. فقد كان ممكناً أن يعتبروا نتيجة تلك الليلة لصالحهم. لكن تلك الليلة لم تكن غير تمهد: في «نوميا» تمكن جهود جسارة من إصلاح الـ «انتربريز» وإعطائها حدّاً أدنى من الإمكانيات العملية. بعدما كان أحد مصادرها قد دُمر. وتضرر جسر إقلاعها. في معركة جزر «سانتا كروز». ووصلت هذه الحاملة وعلى متنها ٧٨ طائرة. وهي أثمن من البارجتين الجديدين «واشنطن» و «ساوث داكوتا» اللتين رافقتها. وفي المساء لم يبق منها غير ١٨ طائرة. إلا أن خسائر العدو كانت فادحة تعطي هذه التضحية: فقد أغرق الطراد «كينغاسا». وسيع من الناقلات الـ ١١ التي تكادس فيها الحفون. وتتمكن ثلاثة طرادات أخرى. ومدمرة واحدة. من الفرار. وهي مشخونة جراحًا. ولكن الغزارة اليابانية لم تتحطم بعد. جمع الأميرال «كوندو» حول ناقلات الأربع الناجية آخر عماراته. ويتم شطر «غواص الكanal». وعاد ليل ١٥-١٤ الاستوائي الآمن يرتع تحت قصف المدفعية العنيف. وأمام السفينتان الأميركيتان الكبيرتان. اللتان كان يقودهما الأميرال «وليم أوغوستوس لي». فقد توغلتا بجرأة فائقة في مياه المضيق الضيق. بمواكبة ضعيفة مولفة من ٤ مدمرات. وجرت المقابلة جزئياً بواسطة الرادار. وجزئياً بالرؤية المباشرة. في غمرة النور الذي وفرته الأسمم المضيئة. فأغرقت ثلاث من المدمرات الأميركية الأربع. وبعدما أصاب الـ «ساوث داكوتا» خلل في محاربها الكهربائية. وقعت فريسة لنيران الأسطول الياباني. ولو لا مثانة بناتها لغرقت. وأنقذ الموقف بفضل الـ «واشنطن». وهي سفينة الأميرال التي سقطت على «كيريشيمما» عاصمة قذائفها من عيار ١٦ بوصة. وبعد دقائق قليلة لم تبق البارجة اليابانية غير حطام. وما ليث أن ابتلعتها الأعماق.

أثناء تلك المقابلة وصلت الأمداد اليابانية بعد عناء إلى «غواص الكanal». وأنزلت إلى الشاطئ بصورة يائسة. فججحت الناقلات الأربع على الصحرور المرجانية حيث أقبلت القاذفات الأميركية منذ الفجر فأحرقتها. وفقد العتاد بكامله. ومقابل ثمن بارجتين جاء ٢٠٠٠ رجل على الأكثري ينضمون إلى إخوانهم في السلاح في وجه طيبة شرسه وعدو ساحق! صمد اليابانيون في الجزيرة الملعونة بفضل ثبات جنائهم الفائق. وراحت «أميركا» تؤمن السيطرة على الجو وعلى البحر بصورة متزايدة. وراح «طوكيو إكسبريس» يعمل بصعوبة فائقة مطردة. فتقدلت الأعداد اليابانية إلى ما دون الـ ٢٥٠٠٠ رجل مقابل قوات أميركية

نوفها بضعفين. وفي سبيل الفرار من قصف الطيران كان اليابانيون مرغحين على الاختباء في أعماق الأدغال. راضخين لأمراضها المتعددة الرهيبة. ولم يكن لديهم لا كينا ولا ناموسيات. وراح الجرع يذيقهم من العذاب. فكان اللحم البشري يُعذَّب! وقع ذلك راح أولئك الرجال الصغار يخالدون بعناد سخيف ومؤثر على السواء. ولم تلق الدعوات التي تطلب منهم الاستسلام آذاناً صاغية. فكانوا يدافعون عن كل مركز من مراكزهم حتى آخر جندي.

وهكذا. في كانون الأول. استغرق الاحتلال الأميركيين جبل «أوستن» ١٥ يوماً؛ وفي كانون الثاني استروا على المرتفع ٢٧. وعلى بعض التلال. وعلى موقع «جييفو». في ظروف صعبة مماثلة. وبدا للأميركيين بعد ذلك وكأن اليابانيين يبذلون مجهوداً كبيراً جديداً؛ فقد قلقوا لتجمّعات بعض السفن. واستعاد «طوكيو إكسبريس» نشاطه. وبعد معركة «تاسا فارونغا» وقفت معركة بحرية سابعة. معركة جزر «رينيل». في ٢٩ و ٣٠ كانون الثاني. أدت إلى خسارة الطراد «شيكياغو». فيما كان من «باتش». الذي حل محل «فندىغريفت». إلا أن اندر القيادة بآئته يتوقع نشوء أزمة. وطلب المدد.

لم تكن العملية غير مأهولة ماهراً؛ فقد تحلى اليابانيون عن «غواص الكanal»؛ وأمّا التحرّكات التي ظنّها الأميركيون تحركات تدعيم فلم تكن غير تحركات إجلاء. وقد أبخر الناجون جميعاً. وعدددهم ١١٧٠٠ خفيةً، على متون المدمرات. وأمّا الأميركيون فيكونون الذين كانوا يواصلون بحذر تحركاً بصورة ملفظ شماليّ الجزيرة. فقد عجبوا لكونهم لم يجدوا أية مقاومة. ففحشوا خطفهم. وفي ٩ شباط اتصّل رتلاهم في قرية على نهر «تينابو». كان العدو قد تلاشت. فلم يبق هنالك ياباني واحد في «غواص الكanal». حتى ولا ياباني جريح واحد.

إن هذا الحال الباهر قد أفقد «النهاية السعيدة» بعضاً من رونقها. ومع ذلك فـ «غواص الكanal» هي إحدى أطول المعارك وأوسعها وأضراها في التاريخ العسكري. على الرغم من نطاقها الذي يبدو لأول وهلة ضيقاً. ويليق بنا أن لا نعتبر عدد المحاربين في الجزيرة إذا ما أردنا أن تقيس مدى أهمية هذه المعركة. فكل محارب في كلا المعسكرين كان يدعمه فريق من الطيارين. والبحارة. والجنود. والعمال. الذين يحرسون القواعد ويسهرون على صيانتها. لم تتعذر الحسائر الأميركيّة في المعارك البرية ٤٩٢ قتيلاً، مقابل ١٤٠٠ ياباني، فضلاً عن ٩٠٠ قتالهم الواباء. بيد أنّ البحريّة قد دفعت ثمن «غواص الكanal» حاملتين للطائرات. و ١٢٦٠٠ طن من السفن الحربيّة.

كانت «ميديوي» أول برهان على القدرة الحربية الأميركيّة البارزة. وأمّا «غواص الكanal»، بقدرتها الفائقة الوصف. وبتجاربها الطويلة الأمد. فقد جاءت مصداقاً لهذه المقدرة. في ظروف مختلفة تماماً. فالنحواف التي تحكمي عن مناعة اليابانيين قد تلاشت. وهذا إنّ الطريق قد افتتح لاستعادة المحيط الهادئ ومحاصرة «اليابان».

كانت حرب الصحراء الطويلة قد ولدت في رجالها عقلية خاصة مميزة ، قوامها : الفردية ، والكبرياء ، والماراة ، والاعقاد الراسخ بأنّ الوطن الأم يحدد خدماتهم وينكر آلامهم .

منتصف

الفصل الثامن عشر

تشرين الأول - تشرين الثاني ١٩٤٢

إنقاذ السويس احتلال مدينة دا جنائي

قبيل تعين « مونغومري » الضابط الانكليزي الصارم . على رأس الجيش الثامن . بالنفور والتخوف . كان قد عُرف بترفعه ووجهه وعداته الإيجابي النشيط للكحول والتبغ . وخلوه في العصبة . لدرجة أنه قد أثار ضحك الجنود سنة ١٩٤٠ بمذكرته التي عرض فيها خطأه للأمراض الهرمية المزيفة . وأهمية الطهارة بالنسبة للروح العسكرية . وأثر عنه كذلك تمسكه الشديد باللباس . وتعلمه بظاهر الاحترام الخارجية .

والحال أنَّ الجيش الثامن كان قد ألغى التوجيه عملياً . ولم يكن نادراً عند الأُوسترايليين خصوصاً أن يستقبل الضباط العاملين . أثناء قيامهم بجولة الفتشش . فيان منهم ليس عليهم من الباب إلا شارة الرتبة ملصقة على أكتافهم ! ولذا فقد اتخد الجنود القدامي تقائياً موقف المقاومة والسلبية إزاء قائد جديد ينافس إلى هذا الحد عادتهم وتقاليدتهم .

بقي هذا هو المعتقد السائد إلى أن استُدعى الضباط ذو الرتب العالية إلى « القاهرة » وجُمعوا يومي ١٩ و ٢٠ تشرين الأول في إحدى دور السينما . عرض عليهم « مونغومري » خطة المجهوم التي سيعتمد لها في « العلمين » : كان ينوي . في مرحلة أولى . تدمير فرق العدو المتخصصة وراء خط النار . بقتل جبهي . ويصار في المرحلة الثانية إلى شق ثغرة تستغل وفقاً لأسلوب حرب الصحراء العادي . على أن تبدأ المعركة مساء ٢٣ تشرين الأول بصفوف تمهدية عنيفة .

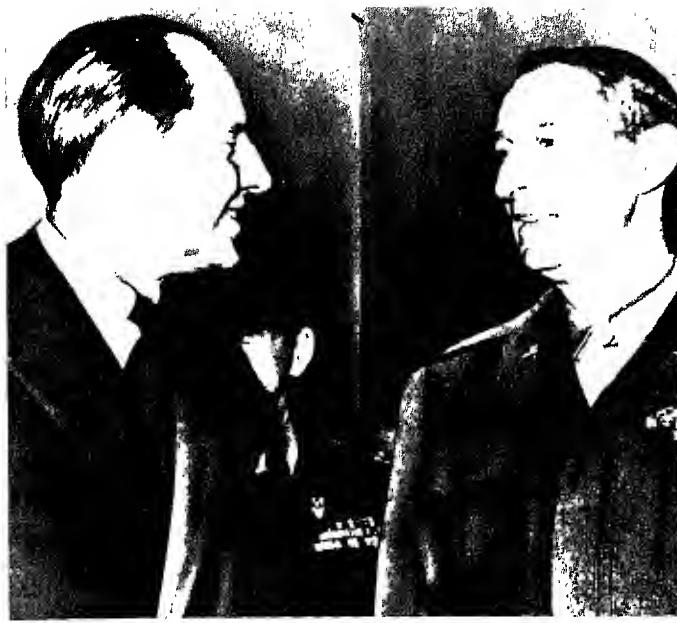
قليلون هم الحاضرون الذين استطاعوا إخفاء ما شروا به لدى إصبعائهم إلى القائد الأعلى . فوضوح العرض وضيق المدى كاتباً شهداً بقدرة القائد الجديد وبنشاطه . خاصة بعد ما حلّ واستنتج الأسباب التي أملت عليه معاورته . ذلك أنَّ التحركات الجانبيّة التي تعتمد أسلوب « أوكلتوك » و « رومل » لم يكن يسمح بها وضع الجبهة الألمانية الإيطالية التي تنتهي . من جهة . على البحر . ومن جهة أخرى على منخفض « القطارة » الذي يستحيل أجيازه . هذا فيما كان تفوق الجيش الثامن في جهتي المدفعية والطيران يسمح له بتحقيق العدالة . كانت معركة « العلمين » معركة إثلاف مبدئي شبيهة بمعركة ١٩١٧ في الصحراء .

الواقع أنَّ التفوق البريطاني . من حيث الأرقام الصرفة . كان بنسبة الذين لواحد : ٢٢٠،٠٠٠ مقابل ١٠٨،٠٠٠ . ٩٣٩ دبابة مقابل ٥٤٨ . الخ . كانت القوات الإيطالية ممثلة بـ ٥٥،٠٠٠ جندي و ٢٩٩ دبابة . إلا أنها لم تكون بمقدورها تشكيل العدد رجالاً وأعنده . وأخذت دلائل التهور تظهر على الأлан أنفسهم . فالمعدات

« هبني أسبوعين أصم » في وجه الهجمات الألمانية ، هبني ثلاثة أسابيع أهرم الألماني ، هبني شهراً أطروه من « إفريقيا » (مونغومري) .

جريدة الألمان المُنكّرة بعد « العلمين » ، والقرأت البريطانية في أعقابهم .





«روبرت مورفي» ، عين «الولايات المتحدة» في مدينة «الجزائر» وأذها ، في حديث مع الجنرال الأميركي «مارك كلارك» في «لندن».

سعى «روبرت مورفي» في ذلك جهده ؛ ففضلاً عن كونه مستشار السفارة الأميركية في «فيشي» ، وفضلاً عاماً رسمياً في مدينة «الجزائر» ، كان الممثل الشخصي للرئيس «روزفلت» ، وعميل «مكتب الخدمات الاستراتيجية» (م.خ.س.) ، أي وزارة التجسس والعمل السري الخفي . كانت كاثوليكيته وحافظته تقربانه من أعيان «أفريقيا» الفرنسيين ؛ وما لبث أن اكتشف الكفاءة والمهارة اللتين تمكّن بهما أولئك الوجاهة من بسط سيادة القانون الفرنسي بين سكان يتمّون إلى فنادق مختلفة ، وعلى أرض متزامنة الأطراف ؛ ولاحظ توثّب الروح الوطنية فيهم ، كما لاحظ ما كان يُعمّ قلوب الأكثريّة من حقد على «ألمانيا» ورغبة في الانتصار . ولقد ظن «روبرت مورفي» نفسه قادرًا على تجمّيع «المغرب» اعتمادًا على أمثال أولئك الرجال .

بدأت المهمة بالاتصال «بفيغان» ، قبل كارثة «بيرل هاربور» ، فتمكن «مورفي» من عقد اتفاق لتزوين «أفريقيا» الشمالية تمويناً محدوداً ، واعتقد أنَّ قليلاً من السكر والمواد الققطنية يمكن لإثارة حركة تفاهم وتقرب في طبقات الأهلين . أضف إلى ذلك أنَّ الاتفاقيّة سمحت باستقرار أحد عشر رجلاً أعنان أئمّتهم نواب قبضل ، ولم يكُنوا في الواقع غير عمالء لمكتب التجسس . والغريب أنَّ الإهمال الألماني الفائق التصور قد سمح لتيك الشبكة بالبقاء ، حتى بعد نشوب العداوan بين «ألمانيا» و «الولايات المتحدة» .

لما استدعي «فيغان» في تشرين الثاني ١٩٤١ أهمل الأميركي «ليهي» كل شيء قاطعاً ، ووصف ردَّ الفعل الفرنسيّة على المطالب الألمانيّة بأنّها مائعة ، واقتصر إلغاء الاتفاق المتعلّق بالتزوين ، فوفقاً إلى إيطاله ، ييد أنَّ «مورفي» بقي ثابت وثابراً ، فإذا يجتمع من المتأمّلين يلتفون حوله رويداً رويداً بين عسكريّين ، وموظّفين ، ومستوطّنين ، وأعضاء ورشات الشباب ، وأمثال الجنرال «ماست» ، والجنرال «مونسابر» ، و «هنري داستييه دي لا فيجري» ، وتاريبيه دي سان هاردون » ، و «فان هيك» ، و «جان ريفو» .

كان متآمرو «الجزائر» أولاً كلّهم محافظين ، وإلى حدّ ما ملكيّين ، يخلّمون بتمدّيد ملكيّة المارشال «بيتان» المؤقتة ، بملكية «الكونت دي باريس» الوراثيّة . ولقد ضمّن «مورفي» وطنّيتهم ، وكان على حقّ . ولكنّه لم يتغلّب إلاّ بصعوبة على الشكّ الناتج عن

قد أدركها الإعباء . والرجال جائعون . والحالة الصحيحة سيدة . ففي طرف عشرة أيام أجي معاونو «رومبل» الرئيسون كلّهم : أبعد «غوزي» بسبب الإعباء . و «فيستفال» بسبب مرض الصفراء . و «ملشين» بسبب الرّحّار الأميبي ، الخ . و «رومبل» نفسه غادر «أفريقيا» لمعالجة كبده وتحفيض ضغطه . وحاول لدى مروره في «روما» أن يبحث «موسوليني» ، إلاَّ أنه لم يلقَ غير استقبال يشوّهه الاحتقار والعداء . أمّا في مقرّ قيادة «الفوهير» فقد ألفى تقاوًلاً مفرطاً . ووعوداً سخنة مذهبة ، ولكنَّ مسجّلة ، فضلاً عن تمجّحات «غورنغ» الذي كان يكرر زعمه بأنَّ الأميركيين لا يحسّنون غير عمل واحد . ألا وهو صنع شفرات الحلاقة !

كان الجنرال الذي تولّى زمام القيادة في غيابه مثل «مونغومري» حديث العهد بالصحراء : إنَّه «شومي» نفسه الذي شهدناه يلامس خطر الإعدام في «أوكرانيا» . لقد بذل نشاطاً كبيراً ، ولكن من غير أن يتمكّن من إثبات هيئته ونفوذه على قدمي «الفيلق الأفريقي» الكثيري التذمر .

دَسَائِسُ وَاسْتَعْدَادَاتُ فِيْ مَدِينَةِ الْجَزاَرِ

فيما كان «مونغومري» يُوَدِّع ضباط جيشه الأعلى كلّهم أسراره ، بدأ تتنفيذ عملية التزول في «أفريقيا» الشمالية الفرنسية ؛ ففي ٢٠ تشرين الأول غادرت الفافلة البطيئة الأولى خليج «شيزابيك» في طريقها إلى «المغرب» و «الجزائر» . وكان ما كان .

كان الأمر قد قرر في ٢٢ تموز . وبإمكاننا أن نقيس حماسة القائد الأعلى العيسَّى . «دوايت د. أينهاور» ، بالعبارة التي أسرَّ بها إلى ضابط اتصاله ، قائد السفينة «هاري ل. باتشر» ، إذ قال : «أخشى أن يكون ٢٢ تموز هذا أكلج أيام التاريخ». كان «مارشال» و «ستيمسون» و رجال الأركان كلّهم قد حاربوا مشروع الحملة . إلاَّ أنَّ «تشرتلش» كان قد فاز بتأييد «روزفلت» . فلم يبقَ أمام أخصائيّي الاستراتيجية إلاَّ أن ينحوّلوا ممثّلين .

طرح أمر التزول إلى البرّ الفرنسيّ ، بالنسبة للفرنسيّين المنقسمين على أنفسهم . مشكلةً دقيقة ، فحامية «أفريقيا» الشمالية كانت تقدر بـ ٢٠٠٠٠٠ رجل . عرّفوا بقلة التسلیح وضعف بالغ في النخيرة . ولكنّهم امتازوا بانضباط وقيادة ممتازين . كان يوسع ذاك الجيش . والحالَة هذه . أن يعمد إلى مقاومة تحيل عملية التزول إلى كارثة ، ولذا كان من الخطورة يمكن أن يضمّن تمهيد سياسيّ ملائم فتحاً يسيراً «أفريقيا» الشمالية . فلا تتعذرّ المقاومة حدود قتال رمزيّ قصير .

أبقي «ديغول» بمعزّل عن ذلك التمهيد السياسيّ . إذ أنَّ الاستفتاءات كلّتها . التي أجريت في الجيش وبين السكّان المدنيّين . قد اتفقّت على تحرير الكراهية التي تثيرها الديغولية . كان «ديغول» في «فرنسا» المحتلة يعتبر ، بما يشبه الإجماع ، رمز المقاومة القوميّة . أمّا في «فرنسا» غير المحتلة فقد أخذ مركزه الأولى . الذي كان ضعيفاً أول الأمر ، يقوى ويشتدّ بالخلال النظام الفيشيّ . وممالة حكومة «لافال» النازميّ . أمّا في «أفريقيا» الشمالية فكان «ديغول» يعتبر ضابطاً متقدّماً ، شريكًا في مؤامرة «المرسى الكبير» . وصاحب فكرة الاعتداء على «دكار» ، ومسؤولًا عن اقتحام الأشقاء في «سوريا» و «لبنان» . وكانت «أفريقيا» الشمالية تدين بالولايات «لبيتان» ، ولذا عمل الأميركيون على اكتساب العون والمساهمة في صفوف أنصاره فحسب .



الجنرال «جيرو» (إلى اليمين) والأميرال «دارلان» في مدينة «الجزائر»، في تشرين الثاني ١٩٤٢.

جيوش فرنسية». كان على يقين من أنَّ العمل المنوي إنما سيجري في «فرنسا» الأمَّ، وإذا به يتقمص من جديد شخصية القائد الأعلى، ويعدُّ إلى وضع مخطط للعمليات يهدف إلى إرساء رأس جسر على الشاطئِ المتوسطيِّ، يعتقد من «بور - فندر» إلى «تولون»؛ وبذا له أنَّ ٢٥٠ طائرة مطاردة، و٣ فرق أميركية تختهر تحت القيادة الفرنسية حال وصولها إلى البر، كافية لإنجذبه.

كانت «أفريقيا» الشمالية في نظر «جيرو» قاعدة رأس الحسر الخلفية. «قبل» أن تتوالى الأركان الأميركيَّة تنظيم عمليات التزول إلى البر، غير أنه أصرَّ على أن تؤول إليه إمرة القوات الخلفية كلَّها «بعد أن تمرَّ ٤٨ ساعة على نزول القافلة الأولى إلى البر». كان على متآمرِي مدينة «الجزائر»، الذين ألقوا في «جيرو» ما يبعث الطمأنينة والأمل في مivothem التحفظية والملكية، أن يمهدو الطريق لأنضمامِ جيش «أفريقيا». لم يجرؤ أحد على الاتصال «بعوان» قائد القوات البرية الأعلى، لأنَّ الألمان لم يسرحوه إلا بعد ما تعهد بعدم اللجوء إلى السلاح ضدَّهم؛ بيد أنَّ الجنرال «ماست»، كان قائد فرقة مدينة «الجزائر»، فجعل منه «جيرو» ممثلاً له في «أفريقيا الشمالية». وراح «لوميغرو - دوبرويل» يبذل نشطاً ملحوظاً متنقلًا بين مدينة «الجزائر» و«ليون»، متوجهاً أنه رئيس وزارة حكومة سرية. إلا أنه، شأنه في ذلك شأن «جيرو»، لم يكن أدرى من قيادة الجيش الألماني العلية، بالبنية الانكليزية الأميركيَّة!

كان من حقَّ الحملة الأفريقيَّة الشمالية، على الصعيد الاستراتيجيِّ، أن تبطِّل جدوِي موقعه «العلميين»، ذلك أنَّ إمداد الجيش الثامن عن طريق «الكتاب» الطويلة، بدلاً من تسليط الوسائل الضروريَّة على «المغرب». بغية استعمال النصر والانقضاض بعنف على خطِّ تراجع «رومبل». لم يكن من المطق وحصافة الرأي في شيء بالنسبة «لانكلترا» و«أميركا» المفترتين إلى السفن. بيد أنَّ التخوف الذي رافق نظرية الأميركيَّين إلى المغامرة الأفريقيَّة كان آخرَ في الأزدياد. ذلك أنَّ التوغل في ما وراء مضيق «جبل طارق» كان يشعرهم بأنَّهم يزجّون برأسهم في حبل المشنقة. كانوا يخشون تدخلَ إسبانياً أكثرَ مما يخشون مقاومة فرنسية؛ فقد يعتبر «فرانكون» عملية التزول اعتداء غير مباشر، فيادر إلى إغلاق البحر المتوسط. ويزر من «المغرب» الإسباني. ليقطع في «فاس» حبل السرة الواهي الذي يصل «المغرب الأقصى» بـ«الجزائر». كان لا بدَّ من إلحاح «ترترشل» لتمديد عملية التزول حتى مدينة

لوشم السياسي». وعن الوظائف التي قبلوا أن يتسللُوها من حكومة «فيشي». وأيًّا كانت الأسباب، فالواقع أنَّ الشبهات قد أحاطت بكلِّ ما هو فرنسي. فقد كتب الأميرال «لبيه»: «غي عن البيان أنَّ «ديغول» محاط بالجوابيس. وأنَّ أيَّة معلومات تبلغه ستنتقل لتها إلى الألمان». ولم يكن متَّسراً «الجزائر» لمبتعوا بثقة أكبر بكثير. ولذا كان المسؤولون يذكرون «مورفي» دوماً بألا يعطيهم أيَّة معلومات عن تنظيم التزول وتاريخه. فكانوا بالتالي يتآمرون في ظلام.

كانت أفضل طريقة لمنع «أفريقيا» الشمالية من إبداء أيَّة مقاومة هي في العثور على شخصية فرنسيَّة رفيعة قادرَة على إصدار أمرها بمساندة قضية الحلفاء متى آن الأوان. طرح «لبيه» على «بيان» السؤال التالي: «ما عساكم تفعلون في حال نزول قوات في «أفريقيا» الشمالية؟» فأجاب: «ستقاوم». وقال «لبيه»: «حي لو كان النازلون أميركيَّين؟ وأناه الردُّ: «أجل، حني ولو كانوا أميركيَّين». وحين طُرِّح السؤال على «فيغان» أجاب بدوره أنَّه قد عاد شخصاً عادياً يدين للmarschal بولاء غير مشروط. وأنَّ سنه المتقدمة لا تسمح له بالتساءر. إتجه التفكير إذ ذاك إلى أحد خريجي مدرسة «لبيه» الالاعين. وهو الحاكم العام «أوغست نوغيس» الذي كان حكمة القدير الصارم فضل إبقاء «المغرب الأقصى» ضمن حظيرة اللاء النموذجي. فقد عُرف عنه أنه قد تردَّ طوال يومين قبل أن يعبر نداء ١٨ حزيران ١٩٤٠ أذناً صماء. ثم إنَّه يعتنَّ بـ«أنَّ ألمانياً واحداً لم يختبر عتبة داره». ذلك كله مكن «مورفي»، عقب عشاء شهي، من إثارة احتمال ممكِّن يبرز فيه في «أفريقيا» الشمالية جيش أميركي يبلغ نصف مليون رجل ليسير بها على طريق النصر. فانتفض «نوغيس» وقال: «لا تفعلوا! فلو حاولتم لتقتيكم بكلِّ ما لدى من قوى نارية. لقد بات دخول «فرنسا» الحرب غير معقول بعد اليوم...». ثم قال هذه العبارة التي تبرز بخلاف شكل الوطنية التي كانت تفرض عليه تفكيره: «لو غداً «المغرب الأقصى» ساحة قتال لضياع على «فرنسا»!

نفت بذلك لأئحة الشخصيات الممكَّنة، وإذا بمحادت غريب يدخل عليها اسمَّاً جديداً. هو اسمُ «هنري هونوري جيرو». لقد تركنا «جيرو» أسيراً في سهول «كامبريز». إلا أنه، في نيسان ١٩٤٢، وقد بلغ الثالثة والستين، فـ«من قلعة «كونغشتاين» بواسطة حبل ذي عقَّد والتتحقق «برنسا» غير المحتلة حيث لقي استقبالاً فاتراً معتدلاً». لامه كثيرون لتدارير الثار التي سببها فراره للأسرى. وطلب منه «لافال» أن يعود إلى الأسر بغية تهدئة سخط «هتلر». تردَّ «جيرو» قليلاً. ثم رفض العودة إلى النير. فسمح له بأن ينسحب إلى جوار أسرته في ضواحي «ليون» بعد ما تعهدَ «بالامتناع عن أيَّ عمل قد يسيء إلى علاقتنا مع الحكومة الألمانيَّة أيَّة كانت الإساءة». وهكذا أُمسى. على ما يبدو. جنرالاً قدِّماً متقدعاً يتضرَّ أن تفرض قوَّة السلاح قراراً لا تكون له في تحقيقه أيَّة ضلع.

بيد أنَّ مؤامرة ذات جرأة فريدة قد انعقدت حوله. في أزمة تحكمت بها قوَّة بوليسية عاتية ظافرة. كان «جيرو» قد عاش في «المغرب» أمجاد ساعات حياته العسكرية. فظننت الحكومة الأميركيَّة أنها واجهة فيه ذات القائد الذي يستطيع أن يومَن لها الفصمam «أفريقيا الشمالية» إذا أخفقت في إقناع «بيان» و«فيغان». فعرض عليه القائم بالأعمال الأميركيَّي في «فيشي». باسم الرئيس «روزفلت». وبواسطة نائبة القنصل في «ليون». التعاون على تنظيم عمل عسكريَّ ضدَّ «ألمانيا». فوضع «جيرو» لذلك شرطَه. فإذا أحدها لا يقبل إلا «بأن يتولى بنفسه قيادة القوات الخالفة العليا حينما تشرك بالقتال

فحسب . بل خصوصاً بسب الأمر الذي فرض عليها توفير ذخирتها . ووراء الحاجز المترنح ، أطبق الشاشة على أعشاش الرشاشات الفارقة في حقول الألغام . والتي كانت تشكل موقع المخافر الأمامية . وعند جيلبي الفرقة ١٥ السكوتلندية سار الناجون في مزامير القراب في المقدمة . وكانت تقسيم هذه الآلات تتخلل الانفجارات . كان المشاة يتقدّمون عبر حقول الألغام راضين بما يتكبّدونه من خسائر . ولكن كان من الضروري فتح منفذ أمام الفرق المصفحة . وقد أوكلت هذه المهمة لزمرة القتالين الأختوين . وكان المهندس الأفريقي الجنوبي « دوتوا » قد وضع لهم خصيصاً آلة تضرب الأرض كالمدفعية . في مقدمة دبابة من طراز « ماتيلدا » ، إلا أنَّ الغار الكيف الذي كانت تثيره تلك العقرب قد أرغم مستعمليه على التخلّي عنه : وهكذا يقى إبطال الألغام حرفة بدوية . فخلال الليل بطوله . وبينما كان المشاة يسرون وراء الحاجز ، عمل القتالون دائرين . فكانوا يكتشفون الألغام ثم يزعون فنائلها تحمساً باللمس .

عند الفجر لم تكن المهمة قد أنجزت بعد . فمن المتفذدين الذين جُهّزا خصيصاً لفرقتي الفيلق العاشر المصطفتين ، كان متقدّم واحد سالكاً نوعاً . فأهداف المشاة لم يتمَّ بلوغها إلا جزئياً . وفي الشمال كانت فرقان فحسب من فرق الفيلق الـ ٣٠ انحمس قد اجتازتا حقل الألغام الرئيس . وهذا الفرق الأسترالية التاسعة والفرقة البوليزيلاندية الثانية . وفي الجنوبي لم يسجل الفيلق ١٣ ، الذي كان يقوم بالنشاط الثاني لتجميد الاحتياطات العدو . غير نتائج ضئيلة ؛ وفي أقصى الجنوب بات اللواء الفرنسي ، الذي كان يهاجم أحد المربعات ، عالقاً بالرماد التزوج . فكان على المدفعية أن تقصف من جديد ، وتوجّب استئناف أعمال اكتشاف الألغام . كان « رومل » في مستوطنه المعدني النساوي قد تبلغ نباً انطلاق المجموع من « كيتل » بمكالمة هاتفية ؛ وما هي إلا ساعات حتى كان « هتلر » يطلب منه شخصياً أن يعود إلى مقر قيادته . فاسم « شتوبي » كان على لائحة المفقودين . ولم يكن عنف المجموع ليترك مجالاً للشك في أنَّ الانكليز كانوا يبذلون جهدهم الأكبر .

في اليوم التالي . ٢٥ تشرين الأول . عاد « رومل » بطارته الخاصة نحو « أفريقيا » . وإيان توقفه في « روما » نقل إليه الجنرال « فون ريتيلين » ، الملحق العسكري الألماني ، أبناء ملاذه خيبةً وحنقاً . فحظي الجيش الأفريقي المتصفح من الوقود لم يترك لكل دبابة إلا مجالاً في العمل على نطاق ٣٠٠ كلم فحسب ؛ وإذا قام المارشال بتعنيف « ريتيلين » أجابه هذا ، بشيء من الواقحة ، بأنه عائد لنوره من إجازة تقاهة . وبأنَّ التموين كان رهنَّا بجماعة « الماكاروني » !

بطارية بريطانية تعصف في « العلمين » .



« الجزائر » ، أمَّا المحاولات التي بذلت لشمَّل « تونس » ، أيضاً في زمية الشبكة الأولى فقد أهملت .

من الحق أن نعرف بضعف الوسائل الخلقة ، بل لقد كانت من الضعف بحيث وجّبت إساحتها بالزيادة من التكتّم والتحفظ . كان المخططون قد قدروا القوة الضرورية المحتمة بـ ٢٥٠٠٠٠ رجل .

ويع هذا فلن تذكر البتة لشميري « الجزائر » باتون « الدار البيضاء » . على فصائل ثلاث تحت إمرة الجنرالات « دوتوا » (« الدار البيضاء ») . و « فريندال » (« وهران ») و « رايدر » (« مدينة الجزائر ») . وقد دلت التجارب التي أجريت في « سكتلندا » وفي « ايرلندا الشمالية » على نقص في الخبرة لم يستطع معه « أيزهاور » . الذي كان يفتقر هو نفسه إلى الكثير منها . إخفاء قلقه . كانت عملية الاختبار هذه المنوّي القيام بها في « أفريقيا الشمالية » . والتي فرضتها ضرورات سياسية . سابقة لأوانها على الصعيد العسكري . وإنَّ لوجب دعمها بالأمداد التي بذلت « مونتغومري » .

آخر المسؤولون قلب المسألة رأساً على عقب : « بدلًا من أن يُعتبر الانتصار في معركة « العلمين » ، أمراً تافهاً . نظر إليه على أنه ضروري لنجاح عملية التزول إلى البر » . فكتب « تشرتشل » يقول : « من شأن ذلك التصر أن يدخل موقف الفرنسيين من عملية التزول في « أفريقيا الشمالية » تidiلاً جذرية » . من هنا نشأ تنسيق العلميين التاريخي « بيات على « مونتغومري » ، أن يتحرّك في ٢٣ تشرين الأول » . فيما ترتب على حركة المدّ الموائية في ليل ٧ - ٨ تشرين الثاني أن تحمل الغزارة إلى « المغرب الأقصى » و«الجزائر» . هذا ، وكان الأمل كبيراً بأن توفر الفسحة المتقدّمة بين التارخين فرصةً كافية لإحرار نصر مبين في الصحراء .

« رومل » و « مونتغومري » في « العلمين »

فاق « مونتغومري » بخداعه أفعى حيل « رومل » إطلاقاً . فقد أمر ببناء خط للأطاييب موجّه إلى جنوب الجبهة . لإيهام العدو بأنَّ الصدمة البريطانية ستحدث في حاشية منخفض « القطارة » ، فالدبّابات التي اكتشفها الألمان في تلك المنطقة كانت أشكالاً من المطاط مسورة . بينما اتّخذت الدبّابات الحقيقة المحشدة في الشمال أشكالاً شاحنات عاديّة . وقد تمَّ تمرّز المشاة ليلًا . فكانوا يقضون ساعات النهار متراصين . في خنادق ضيقة . تحت ضباب الدباب . وقد أُمراً بالآباء يأتوا حركة مهما كان السبب .

وأخيراً . غاصت شمس ٢٣ تشرين الأول وراء الأفق . وحلَّ الليل بارداً صافياً ، وتناول الرجال طعاماً ساخناً . ومن ثمَّ تسلّموا بصمت نحو الحاشية الخارجية لحفل الألغام العدو . من خلال ثغر حقل الألغام الانكليزي . وفي الساعة ٢١٤٠ باشرت المدفعية عملها . إنَّ هذا القصف الذي انصبَّ على جبهة تبلغ ٣٨ ميلاً . بواسطة ١٠٢٠٠ قذيفة . منها ٤٥٠ من عيار يفوق عيار ١٠٥ . لم يكن يضاهي عنتاً قصف السجن في الحرب العالمية الأولى . ومع ذلك نسوف يبقى عالقاً في أذهان محاربي « العلمين » كعريون للقوة والقصد .

في تمام منتصف الليل انطلق حاجز من الرجال متحرك . راح يتقدّم ١٠٠ ياردة كلَّ خمس دقائق حسب قواعد ١٩١٦ القديمة ، وبقيت مدفعية العدو شبه صامتة . لا بسبب نيران البطاريات المضادة

أما الـ «لوبيزيانو» . التي أرسلت بدلًا منها . فقد لقيت المصير عينه . وكان على «رومبل» . والحاللة هذه . أن يرخص لمشبكة «مونغومري» . فيقبل معركة الفنان .

هذا . وكان المجموع الانكليزي يعيش مرحلة متازمة ! ففي ٢٦
نام « مونتي » (مونغومري) في الساعة العاشرة كعادته . ولكن تقارير
النهار الأخيرة كانت مخيبة للدرجة أنَّ رئيس أركانه ، السير « فرنسيس
دي غينغافند » . أخذ على عاتقه أن يدعو إلى مركز القيادة المتوجَّل
الحرالين ليس « قائد الفيلق ٣٠ . و « لومسدن » قائد الفيلق ٣١ .
فوصلا في الساعة ٣٠.٣٠ مرهقين . كان « مونغومري » غاضباً لأنَّه
قد أوقفَ من غفرته . فاستقبلهما استقبال الكلاب . وأمر بأن يستأنفَ
المجموع كما انطلَّ في الليلة السابقة . حتى يتم إفادة العدو إفناه » كاملاً .
عند بزوغ شمس اليوم التالي عاد « مونغومري » عن قراره .
وقرر أن يقوم عمليةه : فلسوف يركِّز الفيلق ١٣ في وضع دفاعي . وأمَّا
الفرقة المصفحة التي كانت ملحقة به فستنطلق صُعداً نحو الشمال لتلتتحق
بالفيلق العاشر . وسيجري سحب الفرقة التيوريلاندية الثانية من الجبهة
لإعادة تجهيز كتلة صدام . كانت هذه التجمعات تتطلب أياماً عديدة ،
وقد انتاب الجيش الثامن من جراء باطُّ المعركة شعوراً بأنَّ المجموع قد
باء بالإخفاق .
وبعدَّ عن هذه المعركة كان هذا الشعور أَكْثَر سخاً : فقد

استشاط «تشرشنل» غيظاً وقال : «أن نتمكن أبداً من العثور على جزء قادر على كسب معركة؟» وحرر برقية طلب فيها من «الكسندر» استبدال «مونغومري». إلا أن «بروك» تمكن من الحصول على مهلة لصديقه.

كان الهجوم الجديد في ٢ تشرين الثاني عملية أكثر تensityاً وأدقّ توقيتاً من هجوم ٤٦ تشرين الأول . فالانقضاض الرئيس سوف يقوم به لواءان متساندان . على جهة طولها ٤ كلم فحسب . وقد حدّد عمر نقدم المشاة بـ ٦ كلم . ولسوف يرافق المشاة لواء مصفح ، ويتجاوزهم لواء آخر لاحتلال هضبة تتطلّق منها الفرق المصفحة الأولى والرابعة والعشرة لاستغلال التغرة . ولسوف تحدّد التنقلات والعمليات بدقة متناهية . إنّه باليه عسكريّ بطّيء . وتدريب في حقل المناورات . جهزّهما « لرتاد مونغومري » !

كان ليل ٢١ تشرين الثاني جليدياً . فاصطكّت أوصال الرجال ببرداً . وقد حددت الساعة ١٠٥٠ موعداً للعملية الخامسة . وبعد ما رفض «فريبرغ» المشاة النيوزيلانديين الذين نزفوا دماءهم كثيراً . على حد قوله . استعراض «مونغومري» عنهم اللواء الانكليزي ١٥١ وجندوه من «نورثامبرلاند» . واللواء ١٥٢ وجندوه من السكتونلانيدين . وأمام غبار المسيرة التي قطعت ٧ أميال فقد حول المشاة إلى أشباح . وفي الظلمة كانت قاعدة الانطلاق تبدو وكأنها محطة قطار . بسبب المصايب الخضراء والحمراء التي ملأت جنبات المرآت في حقول الألغام . وانطلق قصف المدفعية بعنف ممايل للذى اتسم به في ٢٤ تشرين الأول . يرافقه قصف جوي أضمر في مؤخرات العدو نيراناً جاحماً . وعلى الرغم من دقّة التوقيت . لم يجد التقدّم سبيلاً للتفيد به . ثم إنّ اللواء المصفوح التاسع لم يتمكّن من محاوزة المشاة إلا في الساعة ٦٠١٥ . ساعة بدأ مقاطع الأعمدة الكهربائية تلوح من خلال أشعة الفجر الأولى . وأمام قائد «البريجادير كوليتز» . فقد أوضح له «فريبرغ» أنه يجب توقيع حصارة تبلغ ٥٠ بالمائة في سبيل الاستيلاء على المضبة . وأجاب «فريبرغ» يقول : «لقد أبديت أمام «مونتي» الملاحظة نفسها . فأجاب بأنه مستعد القبول ١٠٠ بالمائة من الخسائر» .



مدفع بريطاني مضاد للدبابات يعصف في «العلمين»، فيما راح أحد الجنود يسعف جريحاً.

عندما هبط «روملي» في «درنة» كانت جثة «شتموبي» قد حُملت إليها. كان «شتموبي» قد ذهب نحو خط النار برفقة كولونيل واحد هو «بوختنخ». لا تواكه أية شاحنة. وبالقرب من المدفع ٢٨ . الذي يسميه الانكليز «الكلية». تسلطت على الألمان نيران الرشاشات فقتل «بوختنخ» في الحال برصاصة في رأسه . وأمامه «شتموبي» . الذي كان بيدينا يشكو من ارتفاع الضغط . فقد حاول أن يستخدم من هيكل السيارة درعاً له ، إلا أن نوبة قلبية أرغمهه على التراخي والوقوع . ولم يلاحظ السائق ذلك . وقد استمر البحث عن جثته يومين غير عليها بعدهما .

إنَّ موقع «العلميين» الذي سيطرت عليه ٨ فرق مثابة ، منها إيطالية ، كان ما يزال سليماً . إلاَّ أنه كان على الفرق الستَّ الآلية أو المصفحة (٣ ملانية و ٣ إيطالية) أن تشنَّ هجمات معاكسة متوازية . وكان لدى الانكليز دفاع مضادَّ للدبابات قويٌّ للغاية : ففي عشية ٢٥ لم يبقَ لدى الفرق المصفحة الألمانية الـ ١٥ غير ٣١ دبابة صالحة من مجموع الدبابات الـ ١١٩ التي كانت لديها في الصباح . وقد كان «رومِل» عالماً بما يحدُّر القيام به . إلاَّ وهو الإفلات . كان من الضروريِّ القرار من وجه تلك المدفعية الساحقة التي تطلق نحوَ من ٥٠٠ قذيفة مقابل واحدة . والعود إلى الحرب السريعة التي تمكن من تعويض الضعف بالمهارة . إلاَّ أنَّ جفاف الوقود قد بلغ أشدَّه . حتى إنَّ الوحدات الميكانيكية لا تكاد تقوم بالتحرّكات التكتيكية الضرورية . وكان يستُنْظر بفارغ الصبر وصول ناقلة البرُول «بروزيرينا» التي تحمل ٧ طنَّ من الوقود . ولكنَّها أغرقت عقب وصولها إلى «طريق» :



قال له مقربيه عنه ، مصرين أو مخطئين ، إنه أفقد بواسطته الجيش الألماني . إذا يحب على الجيش الألماني ألا يتراجع خطوة واحدة ، سواء كان يحارب في الرمال أو فوق الثلوج ! لم يتuan « رومل » عن الطاعة ، فلم يصدر أوامر التراجع . وتوارى ليل ٣ - ٤ في هدوء نسبي ، ولكن ، عند طلوع النهار ، عاد المجموع إلى حدّه ، فألقى الانكليز في المعركة قواهم كافية ، مجاذفين بالكل في سبيل الكل .

وتداعت أركان الإيطاليين في كل مكان ؛ في الجنوب تشتت فيلهم الـ ٢١ أمام الفيلق البريطاني ١٣ ؛ وفي الوسط راحت فرقة « آربيسي » المصفحة ، وهي رفقة الفيلق الأفريقي القديمة ، تقاصم ببطولة . ولكن دباباتها من طراز « ل » و « م » ، التي كانت خصماً هزيلًا في وجه « غرانات » و « شيرمان » ، قد دمرت واحدة واحدة ، وكذلك فرقه « لوتوريو » . فقد أيدت دورها ، وتلاشت فرقه « تريسي » التي كانت تخفي جانب الفيلق الأفريقي الأعنوان ، فبات الإيطاليون ، من ثم ، لا يشكّلون قوّة عسكريّة شرعية . أمّا الذين حصلوا منهم على سيارات فقد ولوا الأدبار ، وأمّا من تبقى منهم فقد استسلموا بعد نفاد الراد والماء .

لم ينجي الألمان من المصير البائس . فقد استولى جنود الفرقة السكوتلندية على مقر الفرقة المصفحة ١٥ العام ، وزيتوا صدورهم بمثاث الصبلان الحديدية التي عثروا عليها في أحد الصناديق . وبعد ما زحفت الفرقة الأسترالية ، والفرقة المصفحة الأولى ، على أشلاء فرقه « تريسي » . وصلنا إلى الساحل . وعندنا إلى تطويق بقايا الفرقة الألمانية ١٦٤ . وقد

يفي القتال عاصفاً طوال النهار . وهبت رياح رملية حجبت الرؤية على بعد من ٣٠ ياردة . وتمكنت هجمات الفرقة المصفحة الألمانية ٢١ العيء من اكتشاف التقدم الانكليزي . وفي المساء لم يبق لدى اللواء ٩ غير ١٩ دبابة من دباباته الـ ٩٤ . وكان قسم من تلك المضبة ما يزال في أيدي الألمان .

ولكن « رومل » بات منهوك القوى . لم يبق لديه غير ٣٢ دبابة لمحاجة أقصاضن ٣ فرق مصفحة انكليزية . وخلال الراحة النسبية التي نعم بها في الأيام السابقة . كان قد حضر تراجعاً من نحو ١٠٠ كلم إلى موقع « فوقا » الذي كان . كخطوط « العلمين » . مستنداً إلى منخفض « القطارة » . وقد رأى أنَّ الوقت قد حان لإصدار أمر بالإفلات . وفي غمرة المجممات التي قامت بها الطائرات المقاتلة الفاذفة التي كانت تنقض على سيارته كالبركان ، قصد مركز إرساله الموجود بالقرب من « سيدني عمر » لكي يصدر أوامره . كان يعتزم جعل العناصر غير الآلة تراجع أثناء الليل . وكان على العناصر الآلة أن تند ستاراً محاولة اكتساب ٢٤ ساعة من الوقت قبل أن تراجع هي الأخرى . كانت الساعة ١٣.٣٠ . وفي « سيدني عمر » وصلت رسالة من الفوهرر . ردّاً على صيحة الاستغاثة التي أطلقها « رومل » في الأمس . وفيها ينهى « هتلر » عن أي تحرك إلى الوراء ، قال : « ليست هذه هي المرة الأولى في التاريخ تتصرّ فيها إرادة ثابتة على الكتاب الصخمة . لا ترك أمام جندك إلا خياراً وحيداً : النصر أو الموت .

لم تكن الصحراء ذات قيمة . فـ ٥٠ كلم أو ٥٠٠ كلم لا معنى لها بالنسبة العسكرية . وما إن « رومل » الآن قد قلب أوضاع الحرب بغيره

الدبّابات البريطانية تسعى في أثر العدو في مجاهل الصحراء .

أسر قائد الفيلق الأفريقي . الفارس « فون ثوما » ، فيما كان يحاول إجلاء هذه البقايا . وأمّا رئيس أركانه العامة ، الكولونيل « بايرلاين » . فقد تمكن من الفرار ، ولحق « بروملي » في مركز قيادته . وكانت المعركة ناشبة من حولهما وسط عواصف الرمل التي كانت تثيرها القنابل والقذائف . وأمّا « رومل » الساخط فكان قد انتهى لتوه من مناقشة حامية مع المارشال « كيسلينغ » الذي هرع للاستطلاع ، فلام « رومل » رئيسه لوماً عنيفاً لكونه قد غذى « هتلر » بالسراب ، فما كان من « كيسلينغ » ، الذي أجاب باللهجة نفسها ، إلا أن نصح « رومل »

من وجه التفوق المعادي وبراجعه حتى « سدرة طرابلس » . إلا أن اعتبارات العنفوان كانت تسيطر على عقل « هتلر » . وكانت المعركة تتعثر أيام « ستالينغراد » . وبات العالم يتعجب إزاء العجز الذي يعيده الألمان في إخضاع المدافعين عن تلك المدينة التي دخلوا إليها منذ أسبوع طويلاً . وفضلاً عن الشعور بتعثر النصر في خاتمة مطافه . كان لتراجع منتصر « طريق » أن يحدث تأثيراً معنوياً مفجعاً . وأتى « هتلر » أن يرضخ لهذا الواقع . وكانت أفكاره وأحاديثه تشهد دوماً وأبداً إلى سابقة شتاء ١٩٤٠ - ١٩٤١ . إلى « الموقع الشتوي » ، الذي

٢٥٠٠ قتيل وجريح . و ٣٠٠٠ أسير . منهم ١٠٧٢٤ ملائياً . وأبرق «الكسندر» إلى «تشرشل» يقول : «فلتقرع الأجراس ! » وفي غمرة تلك الصبيحة من شهر تشرين الثاني راحت أجراس «لندن» ، التي بقيت ثابتة فوق أبراجها . صامدة منذ ١٩٤٠ . لا يتوقع منها إلا إعلان ساعة الغزو . راحت أجراس «لندن» تلك تقرع ابتهاجاً «بالعلمين» في وحدة متجانسة الألحان !

غزو "أفريقيا الشمالية" المُضطرب

ما إن وصل الجنرال « هنري هونوري جир و » إلى « جبل طارق » حتى اقتبس إلى السرداد الذي أقام فيه « أينهاور » مكتبه : فإذا بالأميركي يلقي أمامه رجلاً يربو طوله على ستة أقدام . عسكريياً من رأسه إلى آخره قد يعمد بال رغم من الثوب المدني الذي كان يرتديه . كان « جير و » قد ركب البحر في الساعة الواحدة من صباح اليوم السابق . في عرض « لافندو » . وكان اليم من المياح بحيث سقط إلى الماء أثناء عبوره من زورقه إلى سطح الغواصة . أما الغواصة « سيراف » فكانت من قطع البحرية البريطانية . ولكنها منحت الجنسية الأميركية تالية لإحدى متطلبات الجنرال الفرنسي . فوضع تحت إمرة الكابتن « جير ولد رايت » . أحد ضباط البحرية الأميركية . وبعد رحلة استغرقت ٣٦ ساعة . نُقل « جير و » إلى متن طائرة جومانية من طراز



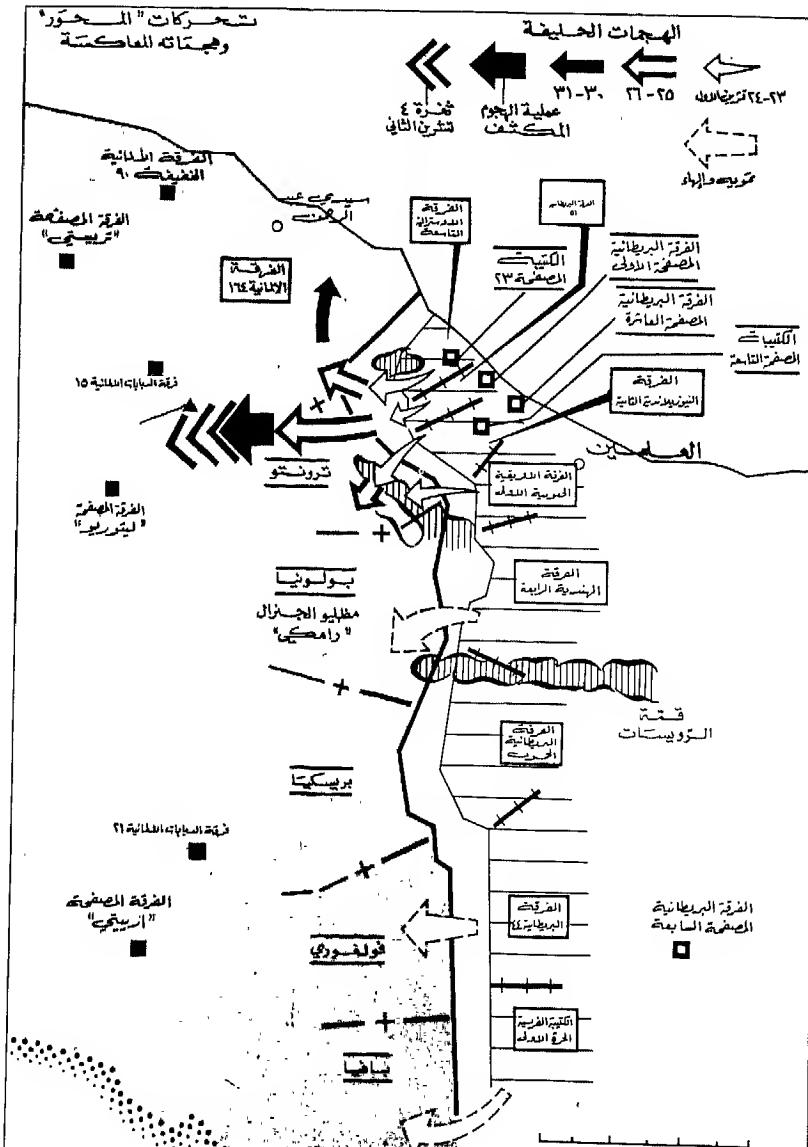
لم يكن ثمة مجال للمداولات الجانبيّة في «العلميين» ، فكان لزاماً على الطرفاء أن يهاجموا موقع الأعداء جبهةً.

معركة «العلمين».

رأى أنَّ من واجبي العصيان . . .

من الدهور نطلق «روم» حرية النصر ماء . كانت المطاردة التي قام بها «مونغولي» شديدة القتال . فقد تفاصي أثر «روم» من بعيد . غير أنه للجنرالات الذين طلبوا إليه أن يبحث خطأه . ولو سف يوضح فيما بعد أنَّ السبب العرمة هي التي أفقدت خصميه . وأنه كان بإمكانه أن يأسره لو أنَّ الشخص كانت انكليزية ! وفي الواقع كان نفوذ «روم» يحتمي تراجعه أكثر من الآليات الجهمية التي خلقها وراءه . وبقي «مونغولي» يردد أنه لن يفعل كالآخرين . أي مثل «أوكونور» و «ريتشي» اللذين كر العدو عليهم باستداره باغته فأعاداهما إلى نقطة انطلاقهما . ورفض أن يستسلم لسهولة الصحراء . فبقى . في استئماره النصر كما في المعركة . ذلك الضابط النظامي المتزن .

ويع ذلك فقد كان النصر تاماً . بلغت خسائر « المحور »



الذي أورته حوادث ١٩٤٠ . ومع أنَّ فراره قد اعتُبر بطولة رياضية . إلا أنَّ ماضيه ، خلال الحرب العالمية الثانية ، هو ماضي جرزال قد هُزم في اليوم الثاني لبدء العدوان وأُسر في اليوم السابع منه . فتسلبه ، والحالة هذه ، في المطالبة بدور لم يُسند إلى مواطنه «فوش» ، في الحرب العالمية الأولى ، إلا بعد أربع سنوات من قتال لم يفقد فيه الجيش الفرنسي البشة شرف اعتباره أفضل دروع الحلف ، إن هو إلا تصلب ساذج مغور .

مع هذا كله كاد «جيرو» يكسب الجولة ! ذلك أنه ، حين انسحب في نصف الليل ، معلنًا موقفه بشكل قرار نهائي قائلًا : «إذا فسيلتزم «جيرو» موقف المفترج» ، خلَّفَ محتله في ذهول مطبق ؛

فاقتصر إذ ذلك مستشاراً «أيزنهاور» السياسي أن تُسند إليه القيادة

الاسمية ، بيد أنَّ «أيزنهاور» رفض اعتماد هذا الحل القبيط .

وأعلن أنَّ الحملة ، إذا أصرَّ «جيرو» على مطلبِه ، ستستمر كما لو

أنَّ جرزال «جيرو» لم يوجد قط . وما لبثت بلجنة رؤساء الأركان أن

أبرقت من «واشنطن» معلنة موافقتها وتأييدها ، وأردفت البرقية تقول :

«نأسف لأمر واحد فحسب ، هو أن تكون قد اضطررت إلى إضاعة هذا

المقدار من وقتك ، وفي مثل هذا الطرف ... إنته ، والحق يقال ،

لظرف مثير ! كان «أيزنهاور» في الليلة السابقة قد شهد من «جبل طارق» مرور القواقل الميمونة شطر «الجزائر» ، ناقلة من «بريطانيا العظمى» و «إيرلندا الشمالية» ٤٩،٠٠٠ جنديًّا أميركيًّا ، و ٢٣،٠٠٠ جنديًّا بريطانيًّا ، لتنزلم في «وهران» ، و «أرزيبو» ، و «كاستيلغليوني» ، و «سيدي فروخ» ، وفي مدينة «الجزائر» نفسها ، وفي رأس «ماتيفو» .

هذا ، فيما كانت قواقل أخرى تقلَّ من «أميركا» مباشرةً ٣٥،٠٠٠ جنديًّا للقيام بعزوِ المغرب عن طريق «آسفى» ، و «فضالة» .

و «القنيطرة» . كان مقرَّ قيادة «جبل طارق» يعلم أنَّ العمليات

الجزائرية قد بدأت في الساعة ٢٣ وفقًا للبرنامج المرسوم . أمَّا في ما

يتعلق بالغرب » فكان الاضطراب سائداً : فحاجز الرمال والصخور

في الشواطئ المغربية لم يكن ليُعبر إلا في أوضاع جوية ممتازة .

والمعلومات التي تنقلها الغواصات تعلن عن حركة جزر تبلغ ١٥ قدمًا . فكرَ

«أيك» باستدعاء القواقل وجمعها في مرفأ «جبل طارق» بانتظار

تحسين الطقس ، ولكنَّ العملية كانت تتناول ٢٠٤ سفن ، وكانت

الفوضى المرقب حصوها ثير الحوف .

إنْتَدَلَ البحر في مطلع ليل ٧ ، فقررَ الأميرال «هيويت» . سيد

العمليات الإنزال الكبير ، أن يجذف فيقييد بالبرنامج . كان الهدف

الرئيس هو بلدة «فضالة» التي سيُنزل على شواطئها ١٩،٨٧٠ رجلاً .

و ١،٧٠١ عربة ، ومنها تنطلق القوة لفتح «الدار البيضاء» . ووصلت

إلى بعد ميلين من الشاطئ ١٢ سفينة نقل تحميها ٤ مدمرات . وفي تمام

الساعة ٤٥ ، من صباح ٨ تشرين الثاني افصلت عنها السفن المسطحة

وأتجهت في الظلمة الدامسة نحو القطاعات الستة التي وُزع التزول بينها .

كان الضيَّاط والرجال المشتركون بهذا التزول الليلي على ساحل مجهمول ،

في أكثرِيتهم الساحقة ، بحارة وجنوداً ، من الأفواج المجندة حديثاً .

وكان الكثيرون منهم يتشققون هواء البحر للمرة الأولى . وما أرقت

الساعة ١٥ حتى نزل مشاة الفرقة الأميركيَّة الثالثة إلى اليابسة .

سائرين بين متحطم الأمواج .

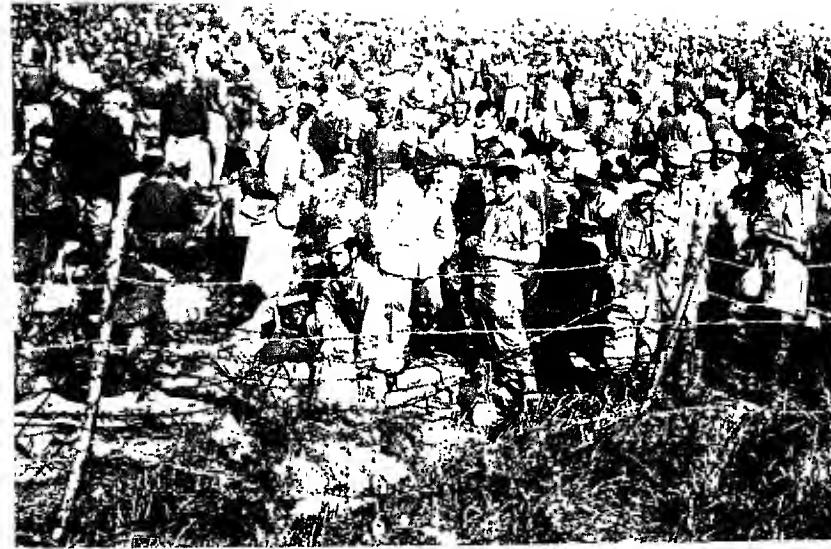
كان كلَّ شيء ناثماً على اليابسة ، فلم يلحظ أحد من الناس

اقرَابَ الأساطيل الضخمة ، كما أنَّ أحداً لم يلحظ بروز الجيش

وتدققَه . وكذلك لم يسمع أحد دويَّ الاشتباك القصير الذي دار في

البحر حين حاول قارب الصيد السلاح «فيكتوريَا» أن يهزم المدمرة

«هوغان» وقد أرادت أن تتحقق من هويته . فقصفته بوابل من



أسرى إيطاليون بعد موقعة «العلمين» .

«كاتالينا» حطَّت به في «جبل طارق» في الساعة ١٥ من ٧ تشرين الثاني . ولم يمض وقت طويل حتى انفجر سوء التفاهم . . .

إذ عى «جيرو» دائمًا أنَّ الرئيس «روزفلت» قبل بأن تُسند إليه قيادة القوات الخليفة العليا . وقد لا يكون في ذلك على خطأ تام .

كما قد يكون «روزفلت» . في حرصه على تأمين إسهام قليل له إنته ضروري . قد تساهل فقطع وعدًا طائشاً بذلك . فممَّا لا شكَّ فيه .

على الأقلَّ . أنَّ «مورفي» كان قد دعم مطلب جرزال الفرنسي خلال حدث جرى بينه وبين «أيزنهاور» في «لندن» ، إلا أنَّ «أيك»

التبين تجنبَ العقبة إذ ذلك . مدعِيًّا أنَّ مسألة القيادة لم تكن مُلحة .

وتحاشى «مورفي» إطلاع «جيرو» على أنَّ وضعه الرسمي لم يكن قد

حدَّد بوضوح بعد . دخل «جيرو» مكتب «أيزنهاور» دخول رئيس على مروِّس . معلنًا بلهجته مسرحية : «جرزال «جيرو»

مستعدٌ لتسليم قيادته ! » .

يا للادعاء الأحمق الأخرق ! فعملية التزول إلى البر تبدأ في

غضون ساعات . وليس في القوات البحرية والجوية والبرية المقربة من شواطئ «الجزائر» و «المغرب» فرنسيًّا واحدًا ، هذا مع العلم بأنَّ

«جيرو» كان يجهل كلَّ شيء عن تنظيم الجيش المختلط الذي يطالب

بإدارته . كما يجهل كلَّ شيء عن منطقه وأساليبه . لم تكن لديه فكرة واضحة عن «أميركا» . وكان يشعر إزاء الانكлиз بذاك التفور العنف

الاستيلاء على دبابات ألمانية وأسر دباباتها بعد موقعة «العلمين» .



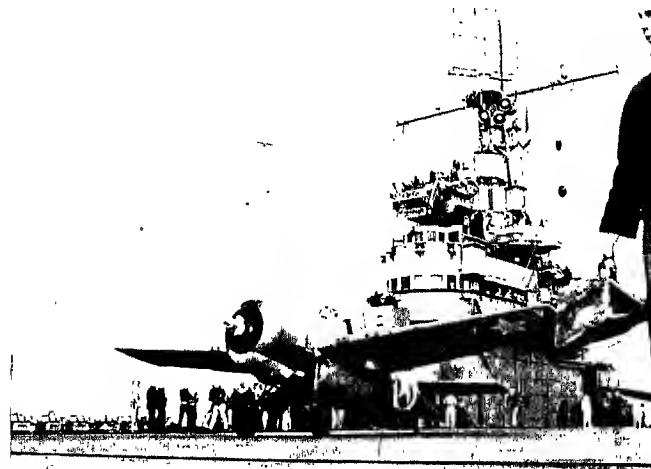
أطلقت السفينة « جان بار » المجمدة في المرفأ نارها على البارجة « ماساتشوستس ». فبدأت بذلك المعركة الفرنسية – الأميركية من أجل « المغرب ».

وعلى هذا الغرار جرت الأمور في معركة « وهران » : تمالك الفرنسيون نفوسهم بعد الذهلة الأولى . فعمدوا إلى المقاومة . وهكذا أغرت بطارات الساحل المدمريتين « هارتلورد » و « والني » البريطانية . وقد كانوا تقلاًن مشاة أميركيين . أثناء محاولتهم الدخول إلى مرفأ « وهران » . فلقي ٢٠٠ من الجنود حتفهم .

كانت مدينة « الجزائر » هي المكان الأوحد الذي نظم فيه تعاون فعال بين السلطات الأميركية والمقاومة الفرنسية . كان الجنرال « كلاذرك » . معاون « أيزنهاور » . قد انقل في الغواصة « سيراف » . في ٢٣ تشرين الأول . حتى الساحل الجزائري حيث اجتمع بالجنرال « ماست » في دارة أحد المستوطنين . المدعو « تيسبيه » . نقل الفرنسي طائفة من المعلومات ، إلا أنَّ الأميركى . الملتم بآواصر صارمة . لم يتمكن من أن يبادله ثقةً يثقة فيطليه على موعد النزول . ولم يسمح « مورفي » إلا في ٤ تشرين الثاني بأن يكشف النقاب عن الحقيقة ويعلن أن ليل ٦-٧ هو الليل الموعود . صعق « ماست » واحتاج على قلة الشقة التي يفضحها مثل هذا الإخطار المتأخر . وأشار إلى أنْ ضيق الوقت لا يسمح له البتة بوضع خطة فعالة مجده : فلم يستطع « مورفي » إلا أن يشيل بكثيفه معبراً عن عجزه . كان على المتأمرين أن يتضاعوا للأمر الواقع . فينجروا ما اتفق عليه من احتلال مركز البريد الرئيس . وأفهم المراكم الإدارية . ومطار « البيت الأبيض » الذي كان « مورفي » يأمل أن يبرر عليه « جبر و بروز إله » .

أخذلت السلطات المدنية والعسكرية . مساء ٧ تشرين الثاني . إلى النوم . كعادتها في كل مساء . وكان الجنرال « جوان » أحد أولئك النائم . ولكنه ما عتن أن أوحظ في دارة « الريتون » حيث خلف « فيغان » . وظهر أمام « مورفي » في لباس نومه الزهي . ليتلقى بملء صدره نياً النزول ! وإذ طلب منه أن يتخد له موقفاً تردد ، تم أعلن أنه ما كان ليرجى ، قراره لحظة لو أنَّ الأمر يعود إليه وحده . قال : « ولكن « دارلان » في مدينة « الجزائر » كما تعلمون . وهو رئيسي . وإليه يعود حق اتخاذ أي قرار » . « دارلان » في « الجزائر » ؟ كلاماً لم يكن « مورفي » أى علم بذلك ! وهكذا تسلل إلى سوء التفاهم الفرنسي-الأميركى عنصر جديد . غريب . فاجع .

في الطريق إلى « أفريقيا الشمالية » : الحاملة « رانجر » تطلق إحدى مatarاتها .



قتالها . كان يحمي « فضالة » بطارية المرفأ . وبطارية « جسر بلوندان » المؤلفة من أربع قطع حديثة من عيار ١٣٨ مم . إلا أنها لرمت الصمت لأنها كانت صماء . كان كل شيء نائماً .

ما كان بالإمكان أن تمر التحركات الكبيرة . التي عركت الأمواج منذ خمسة عشر يوماً ، غير ملحوظة تماماً؛ فقد علم بها « المحور » . وأنبت بها « فرنسا » « فيشي » نفسها في سجنها . ولكن « الغريب » الأمر هو أنَّ أحداً لم يفكر بأنَّ « أفريقيا الشمالية الفرنسية » هي الهدف المقصود . فكثير البعض بتزول في « دكار » . وفكير العدد الأكبر بعملية متوسطية صرفة كتمرين « مالطة » ، أو التزول في مؤخرات « رومل » . أو ، في أسوأ الاحتمالات . محاولة اجتياح « صقلية » أو « سردينيا » . ولذا فقد اتخدت القيادة الألمانية الإيطالية المشتركة الاحتياطات العادية . فحدثت قوتها حول محيط « المتوسط » الأوسط . أمَّا « أفريقيا » الفرنسية فكانت رائعة في طمأنينة تامة . في ما خلا حفنة من المتأمرين . لقد كانت نائمة .

أما في « المغرب » . فبعد ما تهرب « نوغيس » . اجتذب أحد عمالء « مورفي » . نائب القنصل الزائف « كينغ » . جنرال « نريفك » الفيـ « إميل - ماري بيتوار » : ييد أنَّ السرية المطبقة لم تسمح بتزويد « بيتوار » بأقل إشارة إلى البنيات الأميركية . ونظراً لما اتصف به العلاقات مع متآمري « الجزائر » من ضعف ووهن . لم يُخطر بيتوار بالنزول إلا عند انتصاف ليل ٧-٨ تشرين الثاني . فبادر إذ ذاك إلى « الرباط » . فأيقظ « نوغيس » . وألْعَجَ عليه بأن يعلن تأييده للحلفاء . وهكذا حال احترامه التسلسل الرئاسي . وافتقاره إلى الخبرة في شؤون التآمر . دون ثبته من شخصية الحاكم العام وموافقه . إنْتَصل « نوغيس » بالأميرال « ميشلين » قائد البحرية ، فتفى هذا أن يكون ثمة اجتياح . وأعلن أنَّ العملية قد لا تتعذر غزواً يقوم به الفدائين الانكليز ، فما كان من « نوغيس » إلا أن تثبت بسلطته ، وأمر بإيقاف « بيتوار » !

كان البارود أثناء ذلك قد تكلس ، ففي « فضالة » أطلقت بطارية « جسر بلوندان » نيران مدعيتها قبل السادسة بدقاقيع وهي تجهل هوية السفن التي تتوجه نحوها . أفلح الأميركيون في نزولهم إلى « القنطرة » و « آسفي » . ولكن قتالاً نشب حالما استعاد الفرنسيون عليهم : وأمام « الدار البيضاء » أسقطت مدعيَّة السفن المضادة للطائرات مطارة فرنسية حاولت أن تعرّض طريق طائرة أميركية ، ثم في الساعة ٧:١٠ .

في ٨ تشرين الثاني بدأت عمليات الإنزال في مرفأ « فضالة » المغربي الصغير ، بحماية أربع مدمرات . وقد تم إنزال ١٩,٨٧٠ رجلاً .



« تولون » ومهما يكن من أمر فساد وردت من الرئيس الأميركي بتاريخ ١٧ تشرين الأول . برقية تحول « مورفي » حق التفاوض الأميرال « دارلان » والاتفاق معه « على أية صيغة من شأنها أن ت عملية التزول ». وهكذا فإن فكرة استخدام الأميرال كانت قد و من غير شك في المخطط الأميركي .

على أن دهشة « مورفي » لم تكن فقط مصطنعة ، إذ لم يكن له بوجود « دارلان » في مدينة « الجزائر » ، ذلك أن حياة « آ دارلان » كانت قد تعرضت لخطر الموت لأربعة أيام خلت . إصابته بشلل الأطفال . كان الأميرال قد وصل في ٥ تشرين بصفة غير رسمية . وفي نيته أن يعود بابنه إلى « فرنسا » في اليوم الت الواقع أن شبهات كثيرة قد حفست بهذه الصدفة ، إلا أن واحدة لم ثبتت : وجود السلطة الفيشية الثالثة في « أفريقيا الشمالية » . بروز الحلفاء من البحر . كان مجرد صدفة .

كان « دارلان » قد نزل في بيت الأميرال « فينار » ، فلما من نومه سارع وبرفقته الأميرال « فينار » والأميرال « باتيه » ، أطلاعه « مورفي » علىحقيقة ما يجري ، أحمر وجهه ، ثم اذ قائلاً : « أنا أعلم منذ زمن بعيد أن الانكليز حمقى أغبياء . وأعتقد أن الأميركيين أوف ذكاء ، فإذا بي أكتشف الساعة أ متشابهون . لو أنكم انتظروا بضعة أسابيع لكننا عملنا معاً على أنه مخطط تعاون موضوع ، لا من أجل « أفريقيا » فحسب ، بل من « فرنسا » أيضاً . ولكنكم قد أردتم العمل وحدكم ! ولست ، و هذه ، أعلم ما ستؤول إليه بلادي ! » .

راح « دارلان » يذرع أرض البهوج في حق ، وأخذ « مورفي » إلى جانبه محاولاً توقيع خطاه العريضة على خطى الأميرال القصيرة ، وكان يتكلّم ويكلّب مضحّماً عدد القوات القائمة بالغ ليذكر « دارلان » بأنه قد وعد بفتح ذراعيه للحلفاء إذا بلغ المهاجمين ٥٠٠،٠٠٠ ، وليقنوه بأن أولئك الرجال هم الآن هنا . لم « دارلان » جواباً ، غير أنه عاد فانصرج لدى سماعه اسم « جিرو » فقال : « جিرو » لا يصلح لأن يكون غير قائد فرقه ! إنه لطفل إنه لا يفهم شيئاً من شيء ، ولن يفيدكم في شيء ! » غمرت ا ولراة رجلًا رأى أحلامه تنهر فجأة وستحيط بهاء ، فقد سبق ل بحكم ارتباطه بالفريق المهزوم ، أن اجتاز بأمان نفقمة « هنار » وغضب وثبت بعد عودة « لافال » ، وراح بعد العدة لأنقلاب ينقله إلى صفا



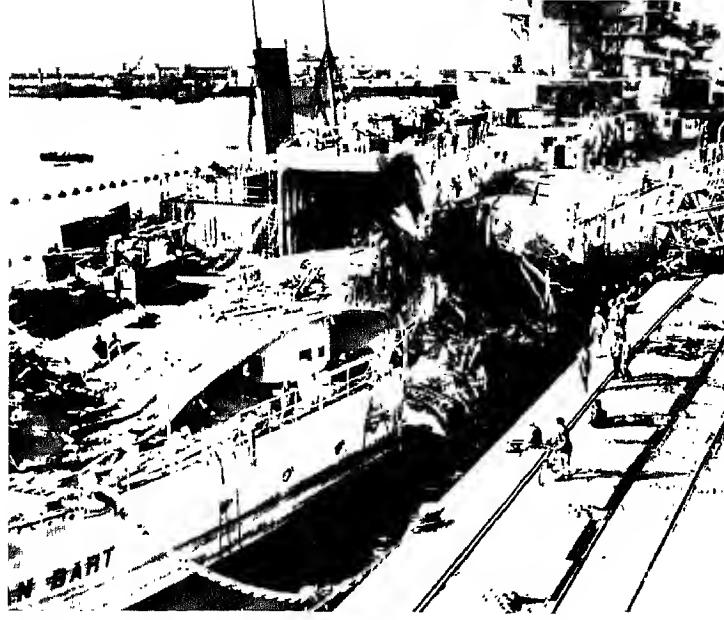
جنود أمريكيون أُنزلوا في « فضالة » في ١١ تشرين الثاني .

يوم كان الأميرال « ليهي » في « فيشي » . كان « دارلان » يحاول إغرائه قائلاً : « إن أتيت ٥٠٠،٠٠٠ أطلقت عليكم النار . أما إذا أتيت ٥٠٠،٠٠٠ فتساقط لكم ذراعي . . . » وبعد ذهاب « ليهي » حاول « دارلان » جهده الإبقاء على صله « مورفي » ، فأبلغه بوساطة الأميرال « فينار » . أمين « الجزائر » العام . أن عودة « لافال » إلى الحكم تبقيه هو على رأس القوات المسلحة ، ولا تعدل في شيء ، تلك السلطة العليا التي يتمتع بها في « أفريقيا » . وكان هناك وسيط آخر هو نجل الأميرال عينه ، قائد السفينة « لأن دارلان » ، فشرح « مورفي » موقف أبيه . قال : « على أبي أن يداري شعور المحتلين . ييد أنه يسعى إلى إشراك الجنود الفرنسيين والسفن الفرنسية في مخططات الحلفاء المتعلقة « بأفريقيا » . وحتى المتعلقة « بفرنسا » عند الاقتضاء » .

فأبلغ « مورفي » « روزفلت » الأمر ، وأطلع « روزفلت » « تشرتشل » عليه ، وهكذا تفسّر العبارة المدهشة التي أسرّ بها هذا الأخير إلى « إيزهاور » لدى رحيله لتنفيذ الحملة الأفريقية الشمالية : « بالغًا ما بلغ مقني « لدارلان » . فأننا على استعداد لأن أزحف أمامه على بطيء مسافة ميل كامل . من أجل أن يأتينا بالسفن الفرنسية الراسية في

سفينة نقل أميركية في خليج « بوجي » (العين الكبيرة) ، وقد اندلعت فيها التيراناث غارة جوية فرنسية .





السفينة الفرنسية «جان بار» في «الدار البيضاء» ، وقد أخلدت إلى سكون الموت بعد تصدّيها للهيران الانكليزية الأميركية .

يُسْحَدِقُ بِهِ عِلْمُ أَمِيرِ كِيَّ وَعِلْمُ أَيْضِ . فَالْتَّقِيَّ بِطْلِيْعَةٍ يَقُوْدُهَا مَلَازِمُ حَدِيرٍ . ثُمَّ التَّقِيَّ رَانِدُولْفُ تِشْرِيشِلُ «بِجَلٌ» وَنِسْتُونُ «وَقَدْ ارْتَدَى بَزَّةً أَمِيرِ كِيَّ . فَاقْتَادَهُ إِلَى الْجَزَرَالِ «رَايِدِرُ» الَّذِي قَبْلَ أَنْ يَرَافِقَ «مُورِفيَّ» إِلَى حَصْنِ «الْإِمْپَراَطُورِ» . وَقَبْلَ أَنْ يَرْخُى اللَّيلَ سَدُولَهُ وَقُعُّ عَلَى اِتَّفَاقِ مُحَلَّيِّ بَعْنَى إِطْلَاقِ النَّارِ . أَمَّا الْحَسَائِرُ فَقَدْ انْحَصَرَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْضَّحَائِيْلِ . وَبِالْمَدْرَمَةِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ «بِرُوكُّ» الَّتِي صُدِّتْ بَعْنَى فِي مَرْفَى «الْجَزَرَالِ» ثُمَّ غَرَقَتْ بَعْدَ سَاعَاتٍ . وَلَنْ يَنْجُلِي المَوْفَقُ فِي مَجْمَلِ «أَفْرِيْقِيَا الشَّمَالِيَّةِ» إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامَ دَامِيَّةٍ .

فِي ٩ تِشْرِينِ الثَّانِي هَبَطَ «جِيرَوْ» فِي مَطَارِ «بَلِيْدَةِ» . فَأَذْهَلَهُ أَلَا يَكُونُ أَحَدٌ فِي اسْتِقْبَالِهِ . ثُمَّ تَضَاعَفَ ذَهَولُهُ حِينَ أَدْرَكَ أَنَّ مُعْظَمَ جَيْشِ «أَفْرِيْقِيَا» يَعْتَبِرُهُ مُتَرَدِّدًا . فَخَشِيَ الْاعْتَقَالُ . وَاخْتَبَأَ عِنْدَ «لَوْمِيْغَرَ» - دُوِيْرُوِيلَ - فِي «الْقَصْبَةِ» .

يَسْتَمِرُ القَتَالُ فِي «وَهْرَانَ» . وَ«الْقَنِيْطَرَةِ» . وَ«آسْفِيَّ» . وَغَصَّ مَرْفَى «الْدَّارِ الْبَيْضَاءِ» بِجَطَامِ السَّفَنِ . إِلَّا أَنَّ الْمَقاوِمَةَ كَانَتْ مُسْتَسْرَّةً . وَإِذَا بِالْإِذَاعَةِ تَحْمَلُ أَوْمَارُ الْمَارْشَالِ «بَيْتَانَ» : «لَقَدْ قَلَتْ دُوَيْمَا إِنَّا سَنَدْعُونَ عَنْ اِمْبَراَطُورِيَّتَنَا ، أَيَّاً كَانَ الْمَغْصُوبُ الْمُعْتَدِيِّ . هَا نَحْنُ قَدْ هُوْجَمْنَا ، وَهَا نَحْنُ نَهَبُ لِلْدَّفَاعِ ؛ إِنَّا لِأَمْرِ بَذَلِكَ . . . لَمْ يَكُنْ لِلْمَقاوِمَةِ بَحْدَ ذَاهِبِيَّ أَيْ رِجَاءً ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ ، فِي حَالِ اسْتِمْرَارِهَا ، تَهَدِّدُ بِفَتْحِ ثَغْرَةِ بَيْنِ الْفَرْنَسِيْنِ وَالْجَهَانِمَةِ قَدْ يَتَعَذَّرُ رُوفُهَا .

لَمْ يَلِبِّثِ الْأَمِيرِكِيُّونَ طَويْلًا ، بَعْدَ مَا خَابَ فَأَلَ «جِيرَوْ» ، حَتَّى اِكْتَشَفُوا أَنَّ الرَّجُلَ الْوَحِيدَ الْقَادِرَ عَلَى إِيْقَافِ التَّرَازِ الْمُشَوُّرِ كَانَ «دَارِلَانَ» ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْسُدُ شَرِيعَةَ وَلَاءَ لِذَلِكَ الْهَدَى الَّذِي اِكْتَشَفُوا بِذَهَولِهِ صَلَابَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ . أَسْرَعَ «كَلَارِكُ» بِالْمُجَيِّءِ مِنْ «جَبَلِ طَارِقَ» ، وَرَاحَ يَسْتَحْثِنَهُ تَارَةً ، وَطَوَرَأَ يَدِهِ بِالْاعْتَقَالِ ، ثُمَّ وَقَقَ أَخْيَرًا فَانْتَزَعَ مِنْهُ ، فِي ١٠ تِشْرِينِ الثَّانِي ، أَمْرًا بِالْمَوْقَعِ عنْ إِطْلَاقِ النَّارِ أَصْدَرَهُ «بَاسِمُ الْمَارْشَالِ» . وَفِي تَلْكَ الْحَسْنَةِ بِالنَّذَاتِ تَمَّ اِسْتِلَامُ «وَهْرَانَ» ، وَأُوْلَئِكُمُ «الْدَّارِ الْبَيْضَاءِ» أَنْ تُقْصَفَ .

تَوَقَّفَ الْقَتَالُ فَوْرًا . فَقَدَّ الْأَنْكَلِيزِيُّونَ وَالْأَمِيرِكِيُّونَ ٧٠٠ قَتِيلًا ، وَ٢٩٠ سَفِينَةً مِنْ أَصْلِهَا ٣ مَدْمَرَاتٍ وَ٧ نَاقَلاتٍ ، وَفَقَدَ الْجَانِبُ الْفَرْنَسِيُّ مَا يَعْادِلُ ذَلِكَ تَقْرِيبًا مِنَ الْضَّحَائِيْلِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَعَدَدًا مِنَ السَّفَنِ أَكْبَرَ بَقِيلًا ؛ فَقَدْ دُمِّرَتِ الْقُوَّةُ الْبَرِيْطَانِيَّةُ فِي «الْدَّارِ الْبَيْضَاءِ» ، وَاسْتَقَرَتِ «جَانِ بَارَ» فِي قَعْدِ الْمَرْفَى ، وَفُقِدَتْ ٨ غَوَّاصَاتٍ ، وَأَغْرَقَتْ أَرْبَعَ مِنَ الْمَدْمَرَاتِ الَّتِي ضَحَّتْ بِنَفْسِهَا فِي حَمْلَتِهَا عَلَى الْأَسْطُولِ الْأَمِيرِكِيِّ الْجَبَارِ . أَمَّا رَدَّةُ فَعْلِيِّ «بَيْتَانَ» الرَّسِمِيَّةِ فَقَدْ أَتَتْ فِي الْحَالِ : حَطَّيَ «دَارِلَانَ» ، وَذُوْمُ . ثُمَّ أَسْقَطَ مِنْ مَنْصِبِهِ وَاسْتَبْدَلَ بِهِ «نُوْغِيْسَ» ، وَأُعِيدَ إِصْدَارُ أَمْرِ الْقَتَالِ حَتَّى النَّهَايَةِ مَرَارًا ، وَإِنَّمَا مِنْ غَيْرِ جَدْوِيِّ . وَبِعِنْدِهِ ذَلِكَ مَحَاكَمَاتٍ مَا بَعْدَ الْحَرْبِ سَتَبَتْ أَنَّ «دَارِلَانَ» قَدْ تَلَقَّى بِرْقِيَّاتٍ ، أَذْيَعَتْ بِوَاسِطَةِ شِيفَرَةِ سَرِيَّةٍ . نَقْلَتْ إِلَيْهِ مَوْافَقَةُ الْمَارْشَالِ . وَهَكُذا ضَاعَتِ الْفَضْيَّةُ فِي مَنْعِرَجَاتِ الْلَّعْبَةِ الْمَزْدُوجَةِ .

«بَيْتَانَ» يَقْرَرُ : «سَائِبَقَى»

إِنَّ أَحْدَاثَ تِشْرِينِ الثَّانِي ١٩٤٢ فِي «أَفْرِيْقِيَا» تَشَكَّلَ مَرْحَلَةٌ خَطِيرَةٌ مِنْ مَراحلِ الْحَرْبِ ؛ فَهِيَ جُومُ الدُّولِ الْبَرِيْطَانِيَّةِ الْمَعاكِسِ قَدْ عُرِفَتْ اِنْطَلَاقَةُ مَحْسُوسَةٍ . قَبْلَ «الْعَلَمِيْنَ» لَمْ تَسْجُلْ هَذِهِ الدُّولِ غَيْرَ الْمَازِيمِ . إِلَّا أَنَّهَا ، بَعْدَ «الْعَلَمِيْنَ» ، لَنْ تَصِيبْ إِلَّا نَصْرًا .

الظَّافِرِيْنِ . فَإِذَا بِأَحْلَامِهِ تَبَخَّرَ ! دَامَتِ النَّرَةُ الْغَاضِبَةُ رِبْعَ سَاعَةٍ كَافِيًّا لِلْحَمَادَ نَارَ الْغَيْظِ ؛ فَهَذِهِ «دَارِلَانَ» وَجَلِسَ . أَمَّا مَا عَزَمَ عَلَيْهِ إِذْ ذَلِكَ فَهُوَ اِكْتَسَابُ الْوَقْتِ ، وَالتَّبَثَتْ أَوْلَى مِنْ أَهْمَمَةِ التَّرَوْلِ وَخَطْرَوْرَهِ . وَكَمَا ذَكَرَ «جَوَانَ» «دَارِلَانَ» ، ذَكَرَ «دَارِلَانَ» «بَيْتَانَ» . أَجَلَ . ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ قَطَعَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا بِالْوَلَاءِ لِلْمَارْشَالِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَأْتِي عَمَلاً مَا قَبْلَ الْحَصُولِ عَلَى مَوْافِقَتِهِ . وَلَذَا طَلَبَ أَنْ يَطْلُعَهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْوَضْعِ وَيَتَنَظَّرَ مَا يَرِدُهُ مِنْ تَعْلِيمَاتِ .

قَبْلَ «مُورِفيَّ» بِذَلِكَ ، كَمَا قَبِيلَ بِأَنْ يَلْتَحِنَ الْأَمِيرَالَاتِ وَالْجَهَانِمَةِ بِمَرَاكِرِ قِيَادَتِهِمْ ؛ وَلَكِنَّ الشَّبَانَ الَّذِينَ ضَرَبُوا نَطَاقَ حَوْلِ دَارِلَانَ «كَانُوا وَفَرَ حَكْمَةً مِنْ قَنْصِلِ الْلَّوَلِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ» الْعَامَ ، فَعَمِدُوا إِلَى قَطْعِ الْطَّرِيقِ وَالرِّشَاشَاتِ فِي أَيْدِيهِمْ ؛ فَسَأَلَ «جَوَانَ» : «إِذَا ، نَحْنُ الْآنَ أَسْرَى؟» فَأَجَابَ «مُورِفيَّ» : «هَذَا مَا يَدْوِي لِي» . فَأَرْدَفَ «دَارِلَانَ» : «كَيْفَ يَعْكِنِي . وَالحَالَةُ هَذِهُ ، أَنْ أَتَصَلُ بِفَيْشِيِّ؟» فَطَطَوْعَ نَائِبُ القَنْصُلِ الْأَمِيرِكِيِّ . «كَبِيْنِيْتُ بِنَدَارَ» ، بِحَمْلِ بُرْقِيَّةِ إِلَى مَرْكَزِ الْإِرْسَالِ . فَأَفْسَحَ لَهُ رَجَالُ الْمَقاوِمَةِ السَّبِيلِ .

ذَرَ النَّهَارَ قَرْنَهُ . فَإِذَا بِالْفَرْنَسِيْنِ فِي نَوْمِهِمْ ، وَإِذَا «مُورِفيَّ» يَضْطَرِبُ وَيَقْلُقُ . فَقَدْ كَانَ عَلَى الْقَوَافِتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ أَنْ تَبَرَّزَ فِي الْأَنْتِيَوْنِ «وَفَرَ حَكْمَةً» مِنْ قَنْصِلِ الْلَّوَلِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْعَامَ . وَفَجَأَةً اِنْقَلَبَ الْوَضْعُ رَأْسًا عَلَى عَقْبِ . ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ أَفْرَادِ الْجَرْسِ الْمَتَجَوِّلِينَ قَدْ بَرَزُوا حَوْلَ الدَّارَةِ وَجَرَّدُوا الْمَتَأْمِرِيْنَ مِنْ أَسْلَحَتِهِمْ . وَأَفْرَجُوا عَنِ الْجَهَانِلَاتِ ! دُفِعَ «مُورِفيَّ» عَلَى الْطَّرِيقَةِ الْمُسْكَرِيَّةِ دَاخِلَ مَسْكِنِ حَقِيرِ . وَتَرَكَ تَحْتَ حَرَاسَةِ الْأَمِيرَالِ «فِيَنَارَ» . فَيَمَا اِنْتَقَلَ «جَوَانَ» وَ«دَارِلَانَ» إِلَى حَصْنِ «الْإِمْپَراَطُورِ» . بَدَأَتْ فَرَّةٌ مَا بَعْدَ الظَّهَرِ فَإِذَا بِمَمْثَلِ الرَّئِيسِ «رُوزْفِلْتِ» يَتَسَاءَلُ . وَعَرَقَ الْفَلَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَيْبِهِ . مَا إِذَا كَانَ قَدْ أَخْطَأَ يَوْمَهُ . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْوَضْعُ الْقَانُونِيُّ الْمُتَعَلِّقُ بِدِيْبُولِيَّا . تَرَعَّمَ حَرَكَةُ تَمَرَّدِهِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي أَوْفَدَ إِلَيْهِ ! . . . وَأَخْيَرًا فَسُنِّتِ الْأَبْوَابُ فِي السَّاعَةِ ١٥ ، وَبَدَا «دَارِلَانَ» . لَمْ يَكُنْ الْغَزُوُّ خَرَافَةً ، فَقَدْ دَخَلَتْ مَدِينَةَ «الْجَزَرَالِ» بِضَعْفِ أَرْتَالِ أَمِيرِكِيَّةِ أَخْتَرَ وَصَوْلَاهَا بَعْضُ أَخْطَاءِهِ فِي التَّوْجِيْهِ ؛ وَهَا هُوَ «دَارِلَانَ» يَطْلَبُ مِنْ «مُورِفيَّ» أَنْ يَتَصَلُّ بِالْجَزَرَالِ الَّذِي يَتَوَلَّ قِيَادَتِهِ . ذَهَبَ «مُورِفيَّ» .

واعكست النتائج المباشرة على « فرنسا » والفرنسيين . لقد كانوا منقسمين . وهذا الانقسام سينقام ، كانوا يظنون أنَّ هزيمتهم قد تركتهم في وضع ممتاز بين شعوب « أوروبا » المستعبدة . ولكن حجاب هذا الوهم سيتمزق . إنَّ حياد « فيشي » وانهزاميتها قد دالت دولهما من غير رجعة . وبات على الواقع أن تتركز حول القضية الألمانية نفسها :

« سترى أنَّ حرباً أهلية فرنسية سوف تولد في الحرب العالمية .

كان النزول في « أفريقيا الشمالية ». في معتقد « ديفول ». إساعة معتمدة . كان « تشرتشل » قد استأذن « روزفلت » بإعلام رئيس الفرنسيين الأحرار قبل أيام . جاعلاً سرية الإنزال رهن شرفه العسكري . وكان « روزفلت » قد أجاب برفض قاطع . لم يستدع « ديفول » إلى « دافنيغ ستريت » إلا في ٨ تشرين الثاني ظهراً . كي يسمع من فم « تشرتشل » النبأ الذي كانت « انكلترا » قاطبة على علم به ! ولم يحدث الانفجار المرتقب . بل اكتفى « ديفول » بإبداء بعض الملاحظات على الصعيد العسكري . مصرحاً بأنَّ الحلفاء يركبون خطأ جسيماً بعدم نزولهم في « تونس » . ثم انصرف بقار وأنفه . وفي العشية نفسها وجّه إلى فرنسيي « أفريقيا » نداء يطلب منهم فيه مناصرة الحلفاء « من غير أن يكرثوا للصبيح أو للأسماء ». ومع ذلك كان الوضع فريداً : فقد وجدت الامبراطورية الفرنسية نفسها محراً إلى ثلاث مناطق : المناطق الخاضعة « لديفول » . والمناطق التابعة لمدينة « الجزائر » . والوطن الأم الذي يحكمه « لافال ». إلا أنَّ المدود الجليل الذي اعتضم به « ديفول » لم يكن بمتناول أنصاره . فقد فاق سخطهم كلَّ حدٍ إزاء الأوضاع الراهنة . وأمّا النائب المنفي . « هنري دوكيريليس » . الذي هرع إلى مقرَّ البعثة الفرنسية في « نيويورك » مجاهاً بحماسه واندفاعه . فلم يلق « غير عيون مزورة وشفاهة مرّة ». وتعالت نغمة العناصر الديغوليية المعادية للأميركيين حتى بلغت حدَّة فاقعة . وقد نشرت جريدة « المارسيلياز » ما يلي : « إنَّ احتلال حلفائنا الأميركيين أرضًا بذلنا من أجلها ما بذلنا من الدماء قد أصاب بلدنا أكثر مما أصابه احتلال المغاربة المقاطعات الفرنسية . لأنَّه يطعنه في صميم شرفه » .

في « فيشي ». في ليل ٧ . كان المسئر « تاك » قد سلم المارشال « بيان » رسالة من « روزفلت » تعليل غزو « أفريقيا الشمالية » بأنه تدبّر وقائي . وتطلب من « فرنسا » أن تنضمَّ إلى الحلفاء . وبعد ذلك ساعات باغت قصر المارشال رسالةً أخرى حملها ممثل « ألمانيا » . الفصل العام « كروغ فون نيدا ». نبه « هتلر » فيها الحكومة الفرنسية إلى أنَّ قطع العلاقات الدبلوماسية مع « أميركا » إن يعبر ردَّاً كافياً على الاعتداء على « أفريقيا الشمالية ». وطلب من « فرنسا » أن تعلن الحرب على القوات الانكليوسكوبية . وأعلن أنه بانتظار « لافال » في « مونيسخ » حيث كان مؤتمر المانلي إيطالي على أهبة الانعقاد في اليوم التالي .

كان الاستيءان والفرضي يخيّمان في « مونيسخ » . وقد أوضح شاهد عيان الموقف بقوله : « إنه بلو شبيه بجو القاعة التي تسجّي فيها جثة الميت ». وأمّا « موسوليني » . الذي كان يختار مرحلة جمود قائم . تعدد به تباريح آلام معدته . فقد رفض أن يقوم بالرحالة . وكان على « تشيانو » أن يتحمل عنه حوار « هتلر » الخطابي ! وكان موضوع هذا الحوار أنَّ النزول الانكليزي الأميركي لا يشكل أيَّ خطر . وأنَّ الفرق الألماني ٥٢ المقيمة في الغرب كانت تحجب كلَّ إمكانية بغزو « أوروبا » . كما تحدّد للمبالغة في « أفريقيا ». إلا أنه كان يفترض اتخاذ احتياطين للأمن : احتلال القطر الفرنسي كله ; وإخلال قوات « المحور » في « تونس » . وكان الفوهرر مصمماً على الإصغاء إلى



سفن الإنزال تعمل في « فضالة » .



مظليّون انكليز يدهنون وجوههم بلون الليل ، وهم على أهبة الاستعداد للإقلاع إلى « أفريقيا الشمالية » .

في « فضالة » : الجنود الأميركيون يسجّون إلى اليابسة بطارية مضادة للدبابات .



الثاني . كانت حكومة « فيشي » تلتقي زيارة . بعد ما هالها تسلّم ولاقى ألمانية ثلات أنهالت عليها تباعاً ، فالوثيقة الأولى ، التي سُلّمت في الساعة ٢٣،٥٠ من الليلة الماضية ، كانت تدعو « فرنسا » إلى فتح « تونس » أمام القوات الألمانية والإيطالية ؛ وأمّا الثانية ، التي سُلّمت في الساعة الثانية صباحاً . فقد استبقت هذا الاستدان بإعلانها أنَّ القوات المذكورة قد باشرت نزولها ؛ وأعلنت المذكورة الثالثة ، التي وصلت في الساعة ٥،٣٠ ، عن دخول القوات الألمانية إلى المنطقة الجنوبية . وأمّا الزيارة . زيارة المارشال « فون روندشتاد » . فقد جاءت ثبتت هذا النبأ الأخير . وكان جواب المارشال اعتراضاً ضعيفاً . ولم يجر التفكير بأية مقاومة مادية ، إذ أنَّ الجنرال « بريدو » ، وهو سكرتير الدولة في وزارة الدفاع ، وابن جنرال قُتل سنة ١٩١٤ ، وأب لكايتين كان يقاتل بالبزة الألمانية ، قد حلَّ مركز قيادة « فيرنو » بوساطة الحرس السيار . وأمر الجندي بالعودة إلى ثكناتهم . كان بإمكان « بيتان » أن يصرُّف ، فقد أعدَّت طائرة لنقله إلى

« لافال » الذي كان قادماً بطريق البر . والذي تأخر بسبب الضباب ؛ إلا أنَّ شيئاً مما قد يقوله « لافال » لن يغير قراراته . وصل « لافال » في الساعة الرابعة صباحاً منهوك القوى ؛ « فيشي » التي غادرها كانت توقع الاحتلال الثامن ، وكان المارشال يخضع لضغط يطالبه باغتنام الفرصة وإعادة « فرنسا » إلى معسكراها الطبيعي . وأمّا « فيغان » . الذي قدم بسرعة من « سان رافاييل » في الطائرة التي أرسلها إليه « بيتان » ، فقد تراشق و « لافال » . الذي اتى « مونيخ » بههام قاتلة . قال له : « أيها السيد « لافال » . إنَّ ٩٥ بالمئة من الفرنسيين هم أخصامك » . فأجاب « لافال » : « بل قل ٩٨ بالمئة إذا شئت ، ولكنني سأسعى إلى تحقيق سعادتهم رغم إرادتهم ! » . كان يقسم العاصمة المؤقتة تكتلَان متوجران للدرجة البغضاء ؛ فتلبية لأمر الجنرال « فيرنو » كان جيش المدنة الصغير يستخدم احتيارات القتال ، ليوفر « بيتان » الوقت اللازم للبلوغ مدينة « الجزائر » ، وكان قلق مطبق يحنق « لافال » إزاء هباج الوطنية ذاك . كان يكره الابتعاد في



لقد قصت الأوامر بنشر الأعلام الأميركيَّة إلى أبعد حد .

« أفريقيا الشماليَّة » . وراح أكثر مستشاريه إخلاصاً يتوصّلوا إلى أن يفعل . ولكنه رفض قائلاً إنَّ واجبه يحتم عليه . أكثر من أي وقت مضى . أن يقف بين الشعب الفرنسي وهازمه . ويدرك الجنرال « سيرينبي » . وفيه منذ ثلاثين عاماً . أنه أتي كذلك على ذكر مخاوف طبيعية ، بشأن مخاطر السفر الجوي . وبحسب أجراه « سيرينبي » بأنَّ نهاية كتلك قد تكون ذرورة مجده لم يكن راضياً . إنَّ هذين التعليمين قد يكونان صحيحين معًا . فباعت الرجال معقدة ، والشيخوخة هي سن الأنابة الطاغية .

الأسطول الفرنسي يفلح في انتصاره بعد لأيَّ

لم يكن « بيتان » هو الوحيد الذي ضيَّع فرصة الذهاب إلى « الجزائر ». فمنذ ١٩٤٠ ، كان أسطول « تولون » يرقد في أحواض مرفأه . كان منقوصاً إلى قوَّة مؤلفة من السفن ذات المدى البعيد . يأمره أميرال

تلك الظروف الحاسمة . ولكن بدا له مُحلاًّ أن يتملّص من دعوة « هتلر » . وكان مصمماً . في أية حال ، أن يرفض دخول « فرنسا » الحرب . ومنذ الساعة ١١ من ١٠ تشرين الثاني . وقف « لافال » ينتظر في الصالة نفسها التي شهدت « تشارلز » و « دالادييه » . سنة ١٩٣٩ . يهدِّيَان « هتلر » انتصاراً من غير قتال . وقد وصف « تشيانو » « لافال » وقد نبا به المقام وسط الزيارات العسكريَّة في ثيابه التي تشبه ثياب الفلاحين ، فراح يحاول الترقية عن المسلمين المحبيِّن به بنكبات لم تكن لتتفق موقعاً حسناً . واستوقفه « هتلر » ساعات طوالاً ، إلا أنه عاد فأصغى إليه كما قال . كان يعكر صفو « لافال » عاملان اثنان : عدم تمكّنه من التدخين في حضرة « هتلر » . وكلمة « كان قد همسها « أبتر » في أذنه تبلغه أمر وقف إطلاق النار الذي أصدره « دارلان » . ييد أنته دافع عن قضيته ببراعة ، ثمَّ استأنَّ بالانصراف وهو مغتبط من الفوهير وقد سحره فيه صبره وتأدُّبه . وكانت أول حركة قام بها على أثر ذلك أن أسرع إلى المائدة ليقول لـ « فيشي » « لا تأتي عملاً » . ولأنَّ تقرر أمراً قبل عودته ؛ فالثار الرهيب ، واحتلال « فرنسا » على الطريقة البولونية ، هما العقاب الذي سوف يكون ثمناً لأنفه الأخطاء . في الوقت الذي قفل فيه « لافال » عائدًا ، في صبيحة ١١ تشرين

تحجوب العباب لمواكبتها . غير أنَّ الأميرال « لا بورد » كان يمْضي
الإنكليز . وكان الأميرال « ماركي » يعتبر نفسه مأمورةً . وبعد ما
أضبِّت الأنوار بعنة التدخل في وجه غزوة « الجزائر » . عادت إلى
الأنفُس بعد ما اعتُبر الغزو مُحالاً . وكان عَوْدٌ إلى الانتظار .
ثمَّ عادت النشوة إلى الظهور . وعلمت « تولون » بارتياح أنَّ
الفوهير لم يكن عازماً على الاستيلاء على السفن ، وأنَّه كان متسللاً على
شرف البحرية الفرنسية للدفاع عن المدينة . جهزَ مُعسكر مخصوص -
واستدعيت إليه عشرة كتيبة من الجيش . ووجدت « تولون » نفسها
مرفعة إلى دور المحافظة على سيادة « فرنسا » العسكرية . في « فرنسا »
المحتلة بكمالها . وقد بقى هذا الوهم قائماً حين منع الألمان تدعيم القاعدة
برآ وأمروا بتفريق الكتائب الـ ٢٠ . وأكبت البحرية على تجهيز جبهة
البحر بصورة دفاعية ضدَّ الإنكليز والأميركيين . وفي الداخل . من
ناحية الألمان . كان ثلاثة جنود بثلاثة . موزَّعين في « ساناري »
و« أولبيول » و« لافاليت » . هم المدافعين الوحديين عن كيان « تولون » !
إنَّ القرار الذي اتخذه « هتلر » بشأن الإنجهاز على البقية الباقيَة من
القوة العسكرية الفرنسية لا يخلو من بعض الصواب . فقد عقب وقفَ
 إطلاق النار في مدينة « الجزائر » انضمَّ الجيش الفرنسي الأفريقي إلى
الحلفاء . و « جيرو » . الذي كان قد تعهدَ خطبياً بعدم إقامة العراقليل
في وجه سياسة المارشال الألانيَّة ، قد تسلَّم القيادة في ١٣ تشرين الثاني .
وأصدر أمراً إلى القوات الفرنسية بأن تخفي دخول الحلفاء إلى « تونس » .
وأمّا « جوان » فقد وضع نفسه تحت إمرته . حاثاً الضباط العاملين
المُرتدِّين . أمثال « متيغال » و « كولتز » ، على الاقتداء به . وراح
« دارلان » يُثتل دور المتقد للوطن : وكما تشهد أوراق « غوبالز » .
كان الألمان يربطون من اتفاق سري بينه وبين « بيتان » . ولم تكن
الأسباب الوجيهة لتوزيع الرجال الذين راحوا يغيرون مواقفهم أو ينقضون
عهودهم . ولكن يجب الاعتراف على الأقلِّ بأنَّهم كانوا يوفرون
« هتلر » حججاً للتسامح ضدَّ أي تحالف جديد .
في ليل ٢٦ تشرين الثاني عاد « فون نيداً » إلى المسرح . فتوجهَ إلى
منزل « لافال » في « شاتلدون » . وزرولاً عند رغبته انتظر تمام الساعة
٤٠٣٠ ليطلب أن تُفتح الأبواب له . وبعد ذلك بعشرين دقائق كان
« لافال » يستقلُّ سياتله وينطلق كالسهم نحو « فيشي » . هذا لا يعني
أنَّه كان قادرًا على درء الأمر الذي بدأ إنجازه . أي حلَّ الجيش بصورة



الطراد « زيتلاند » ينفث ستاراً من الدخان كثيفاً ليسهل على السفينة « بروك » - وقد أعطلتها نيران البطاريّات الساحليّة - المزروج من مرفأ مدينة « الجزائر » .

الأسطول كوفت «جان دو لا بورد» . وقوفة للدفاع الساحلي بإمرة
الحاكم البحري الفيس أميرال «ماركي» . فالامتناع الذي كانت تنعم
به المحرية قد منع المؤسسة التلوبية نشاطاً وازدهاراً لم تكن لتتجدد طما
مشيلاً في «فرنسا» خلال تلك السنوات القاتمة . وكان أركان الضبط
يتجاذبون الحديث بلهجه العداء التقليدي للانكليز . وفي زهو من أمرهم
لكونهم لم ينهزوا قط . كما لو كان بالإمكان إقامة الحاجز والسدود
المبنية في الكارثة التي أصابت الأمة ! وكان هنالك أمر حازم واضح .
وهو أن السفن يجب ألا تقع . في أية حال من الأحوال . في أيدي
غربيّة كائنة ما كانت .

إنَّ هذا العزم قد خلق عند البحارة الفرنسيين وسوسان إتلاف سفنهم . لم يسبق خلال التاريخ أنْ جُهِّزَ تدمير ذاتيًّا بمثل تلك المثابرة . وقد وُضعت بهذا الصَّدَّاد تعليماتٌ وإرشادات مطولةً ، وكانت التمارين تقام بصورة دورية . فعلى تلك السفن ، التي انتزع منها رؤاؤها كلُّ أمل بالعودة إلى المعارك المظفرة . كان النشاط الرئيس مقتضراً على تمثيل دور الانتحار . وقد كاد هذا الدور أنْ يتحقق !

لأنه أسلق «شارع» من سبيمه «ببرلر» إلى «دمشق» أطلق إلى الأسطول أمراً بالالتحاق به . فكانت النتيجة غريبة : لم يدر في السفن محرك واحد ! كانت السفن الضرورية حاصلة على كمية من المازوت كافية لعبور «المتوسط» ، وكانت قوّة بحرية إنكليزية أميركية جبارّة



غير مشقة في « بوجي » (بجاية) و « فيليفيل » (سككيكدة) و « بونة » (عتابة) دخل مدينة « تونس » في ١٥ تشرين الثاني : وفي ٢٧ أقرب جناحه الأيسر من « ماطر » عبر طريق « بترت ». وفي وادي « مجردة » استولى جناحه الأيمن على « طبرة » وبلغ « الحديدة ». باتت مدينة « تونس » على بعد ٢٥ كلم : لقد بدا وكأن المبارزة في « أفريقيا الشمالية » قد تمّ كسبها .

ولو أنَّ المفوض العام في « تونس » . الأميرال « إستيفا » . ناهض الترول الألماني الإيطالي . لبات نجاح هذه المبارزة أمراً محتوماً . فهذا البحتار الملتحي العفيف هو أكثر الوطنيين وطنية . وقد قيل عنه « إنه يحضر قدّاس الساعة السادسة لأنَّه يشطر صبيحته شطرين » : إلا أنَّ الظروف المعقّدة التي تورّطت فيها المواقف الفرنسية قد فاقت تفكيره . فرفض إطاعة « دارلان » لأنَّه كان يرى فيه أميراً سياسياً . وكان عاجزاً عن أن يدرك أنَّ اعتراضات « بيتان » الساخطة ضدَّ الاعتداء على « أفريقيا الشمالية » كانت تحجب . سراً . قوله ورضاه . وإذا كان لديه أمر بفتح « تونس » لقوَاتِ « المحور » فقد عمد إلى فتحها . فهم احتلال « تونس » . واستسلمت « بترت ». وقد كان للمركر الألماني الإيطالي أن يتم بسرعة أكبر لو لم يقم الجنرال « باري » بجمع بعض قنادص « أفريقيا » . وخفنة من رجال الحرس السيار . فيستقرُّ معهم في « مجاز الباب » على طريق « الجزائر » . وعندما أمره الجنرال « هرنغ » بتسهيل المرور رفض . وتراجع نحو الغرب وهو يقاتل . وفي ٢٠ تشرين الثاني لحقت به في « وادي الزقاء » مقدمة



سارع الجنرال « كلارك » من « جيل طارق » ملحاً على الأميرال « دارلان » بإصدار أمر التوقف عن القتال . وقد بدا الجنرال « أينهاور » في الصورة يخاطب الأميرال باللهجة آمرة .

بريطانية بقيادة الجنرال « بليد » . فما كان من « هرنغ » ، الذي لم يكن يملك غير حفنة من الدبابات ، إلا أن تراجع . وبذلك استمرَّ التقدُّم الانكليزي شطر مدينة « تونس » . وفي الوقت نفسه اجتاحت فرقه « قسنطينة » « تونس » الوسطى بقيادة الجنرال « ولفرت » . ثم . وبعد ما دعمها مظليو الكوليبل « راف » الأميركيون . استولت على « القصرين » و « قفصة » . وهكذا أسمى احتلال « صفاقس » . والتفاذ إلى خليج « قابس » . واحتلال خط « مارث » . وكانتها محققة حتماً في غضون أيام .

بيد أنَّ الأمل كان عابراً . فمنذ ٢٩ تشرين الثاني تغيَّر مجرى الحرب . ففقد « بليد » ٤٠ دبابة وهو يحاول أخذ « الحديدة » . وفي ٤ كانون الأوَّل أفلتت « طبرة » من يديه . وراح تسيير القوَاتِ الحليفة نحو « تونس » بصطدم عقبات جمَّة . فترك « باتون » والكثير من تحليش الأميركيَّة في « المغرب » خوفاً من تدخل « فرانكو » . كان اتاج الطريق الوحيدة من مدينة « الجزائر » إلى مدينة « تونس » فائتَ الصُّفَفْ . وكانت الدوائر الإدارية مفتقرة إلى الخبرة . أمَّا تنسيق

كاملة . والاستيلاء على الأسطول : جلَّ ما كان يبغيه هو خنق المقاومات والتحسُّب للطوراوى . كانت « فرنسا » . حسب ظنه ، جسداً خائراً القوى بين يدي عدوَ فائق السطوة : فالموقف الوحيد الذي يمكن أن يخفف من عقباها لم يكن في تصلبها ، بل في تلاشيتها واستسلامها !

إنَّ تسرِّيغ الجيش - وهو تلميح هتلري - لم ينته إلى آية عاقبة . فقد كان محتجزاً في ثكناته منذ ١١ تشرين الثاني . وكان جنرال واحد . دون سواه . وهو « دي لاتر » . قد حاول القيام بحمله في محاولة سخرت « فيشي » منها . كان الألمان يختاونون حجرَ الجندول ويقولون بهم في الطريق وهم في قمchan النوم أحياناً ! يا للجيش الفرنسي الطيب الذكر ! لقد أنتَ كارثة « سيدان » كاملة . وكان كلَّ شيء مهدَّداً بالزوال . حتى الشرف . ولم تبدأ الهيبة ما وراء البحر .

في « تولون » كان الحال رهناً بدقائق معدودة . فقد حشد الألمان فرقه مصفحة اجتاحت المدينة بقدر ما تسمح به زناجر الدبابات من صمت . وتعتَّ السسيطرة على الاثنين من مراكز الدرك الثلاثة قبل أن يُطلقوا الإنذار . كذلك اجتىح حصن « لا مالك » ، وهو مقر المقاطعة البحرية . وبعد ما عزل عن المرفأ بقي متصلًا « فيشي » . فأبلغه الأميرال « لوبيك » منها هافيناً « أمراً من الرئيس « لافال » بتجنب الحوادث » . وأضاف يقول : « إنَّ هذا يحول الأوامر السابقة تحويلًاً كاملاً » . وفي آخر لحظة حاولت « فيشي » أن تحول دون إتلاف السفن بأيدي رجالها . « لافال » يخشى أن يثير تدمير السفن سخط « هتلر » . . . ولحسن الحظ كان الأوَّل قد فات ، فقد دوَّت الانفجارات في المرفأ وفي الحوض الكبير . وراح إرشادات الانتخار المتداة تلعب دورها بإبداع . كان ضجيج المصفحات قد أيقظ « تولون » . وكانت الأمiral كونت « دي لا بورد » أن يتذكر لحظات إضافية كثيرة . ولكن في النهاية . وفي الساعة ٥،٢٩ . صدر من السفينة « ستراسبورغ » أمر الانتحار . كان الألمان على الرصيف . فتبادل الدبابات والسفن نيران مدافعتها . غير أنَّ آخر أمر مذكور من « فيشي » : « أوقفوا هذه المجزرة ! لم يبلغ المساعم . وطلع النهار على خليط متشابك من السفن باللحامحة أو المحرقة : بارجتان . طراد قاتل . ٧ طرادات . ناقلة طائرات . ٢٩ مدمرة . ١٢ غواصه . أي ما مجموعه أكثر من مئة قطعة تبلغ حمولتها حوالي ٢٣٠،٠٠٠ طن . هلكت كلَّها خلال ليلة كان منها أبهظ من « الطَّرف الأغرَّ » ! ولسوف يجمع الألمان بعض الحديد . وبعض الرحدات الصغيرة . ولسوف يشهد الحلفاء قドوم الـ « كازابيانكا » بقيادة « ليروينيه » . مع غواصات ثلات كانت قد انتزع مرابطها وانطلقت إلى العرض كالشهاب مختاحة حاجز الشباك . هذا هو الأثر النافِع التبقي لقوى أسطول امتلكته « فرنسا » إطلاقاً منذ « لويس السادس عشر » .

كان الصدى عميقاً للغاية . فقد كان ليل « تولون » إدانة لنهر « المرسى الكبير » . وقد أثبت أنَّ أكبر الأساطير الفرنسية عداء « لانكلترا » لم تكن شريكة في التآمر مع « ألمانيا » . وقد كانت عناوين التقارير التي نشرها بعض الصحف الأميركيَّة تقول : « الظفر « لتولون » ! إنه لظفر باهت . سلبي . ورمز للانحطاط الذي تردَّت فيه « فرنسا » .

نهاية الأميرال « دارلان »

كان غد الانتخار الأسطول في « تولون » يوماً حافلاً بالأمل بالنسبة لقيادة الانكليزية الأميركيَّة . وبعد ما نزل الجيش البريطاني الأوَّل من

الأميرال . في كتاب إلى « كلارك » ، بأنَّ هذه الطريقة ، التي يعتبر يوجهاً كليمة تُطرح جانباً بعد عصرها ، كانت تمس سلطته وقتلَي من شأن الخدمات التي يمكن أن يسديها للقضية المشتركة . إلا أنَّ الأحلام الواهمة لم تكن تخدعه في أية حال ، فكان يتعين أن يغادر المسرح بأسرع وقت ممكن ، وهو يقول إنه لا يطمح إلى أية مكافأة غير الحصول على جواز سفر إلى « الولايات المتحدة » . وفي ٢٣ كانون الأول تناول طعام الغداء مع « مورفي » . وبعد ما أبلغه بأنه كان على علم بأربع مواعظ لاغتياله ، راح يبحث معه في أمر خلافه . قال : « إنَّ ذكر « ديفوغول » ليس وارداً في الوقت الراهن ، فسوف تأذن ساعتها في الربيع المقبل

وفي الساعة ١٥ من اليوم التالي دخل شاب إلى قصر الصيف بعد ما صرخ بأنه يدعى « موران » . وقال إنه يرغب في مقابلة الأميرال « دارلان » ، بشأن قضية عاجلة ، فدعى إلى الجلوس في قاعة الانتظار . وخرج « دارلان » بعد لحظات برفقة معاونه « هوركاد » . فأصابته رصاصتان من الرصاصات الثلاث التي أطلقت عليه ، وبعد ساعتين لفظ آخر أنفاسه في المستشفى . إنه لاغتيال عجيب . وأمّا القاتل -

« بونييه دي لا شابيل » ، وهو مستوطن جزائري شاب في الواحدة والعشرين من عمره ، فقد كان ملكياً متطرفاً في عدائه للألمان . وبعد ما مثل في اليوم التالي أمام القضاة وحُكم عليه بالإعدام ، صرخ للمحكمة العسكرية بأنَّ لا شريك له في عمليةه ، لأنَّ لا ضرورة لخشده من الناس لقتل خائن ». كان قد حصل على بطاقة هوبيه ، التي تحمل اسم « موران » ، من شخص يدعى الأب « كورديه » ، وكانت السيارة التي أفلنته إلى قصر الصيف سيارة « استبي دي لا فيجوري » ، ولكنَّ لا نعرف حتى اليوم من أعطاء المسدس . وهو من عيار ٦٠٣٥ . وما هي نسبة الصحة في الرواية التي تقول إنَّ « بونييه » ربما قد حلَّ مكان اثنين من رفقاء سُحب اسماعيل بالقرعة ، فتمنعا عن القيام بالمهمة لتخاذلهم .

وقد بذلت جهود كبيرة في سبيل إنقاذ « بونييه » ، فراح ديفوغليتو « لندن » يثرون الرأي العام العالمي ، وراح ديفوغليتو مدينة « الجزائر » يجهزون مهاجمة سجن « بربوسا » . وبعد ما عاد « جير و » مسرعاً من « تونس » وجد نفسه عرضة لضغط من كل نوع . وفي الساعة ١١ - في ٢٦ ، أتاه صديق له شخصي يزائر عُرف عن نفسه بأنه « الكونت دي باري » . كان من المفترض أن يكون في أراضيه في « العرائش » في « المغرب » الإسباني . فإذا به في مدينة « الجزائر » سراً ، ووسط الاضطراب الذي أحده مقتل « دارلان » . وكان هدف زيارته طلب العفو عن « بونييه » . وتركه « جير و » يتكلّم ، ثمَّ أخبره بأنَّ فصيلة الإعدام قد أغيرت مهمتها عند الفجر . وأنَّ العدل قد أخذ مجراه .

صعب الأمير للنبيء . ولكنَّه عاد فتمالك رشه ، وفي مدى ساعتين راح يعظ الجزائري عن الظرف الذي يتضرر الجندي الذي قد يعيد « فرنسا » إلى شرعيتها . وأجاب « جير و » بأنه سيكون سعيداً جداً بتناسي قدومن « كونت دي باري » إلى مدينة « الجزائر » ، وأنَّ طائرة ستقله فوراً إلى « المغرب » الإسباني .

مضى « دارلان » غير مأسوف عليه كثيراً . وخلفه « جير و » في مهامه كمفاوض سام ، وراحت الحركة الديغولية تنمو في « أفريقيا الشمالية » ، فافتتحت صفحة جديدة من صفحات الحروب الفرنسية .

في تلك الصيحة انتحر الأسطول الفرنسي تخلصاً من خاطبي ودة ، وهم الأميركيون الذين كانوا بانتظاره في مدينة « الجزائر » ، والألمان الذين حضروا المأساة وقد أسقط في أيديهم .

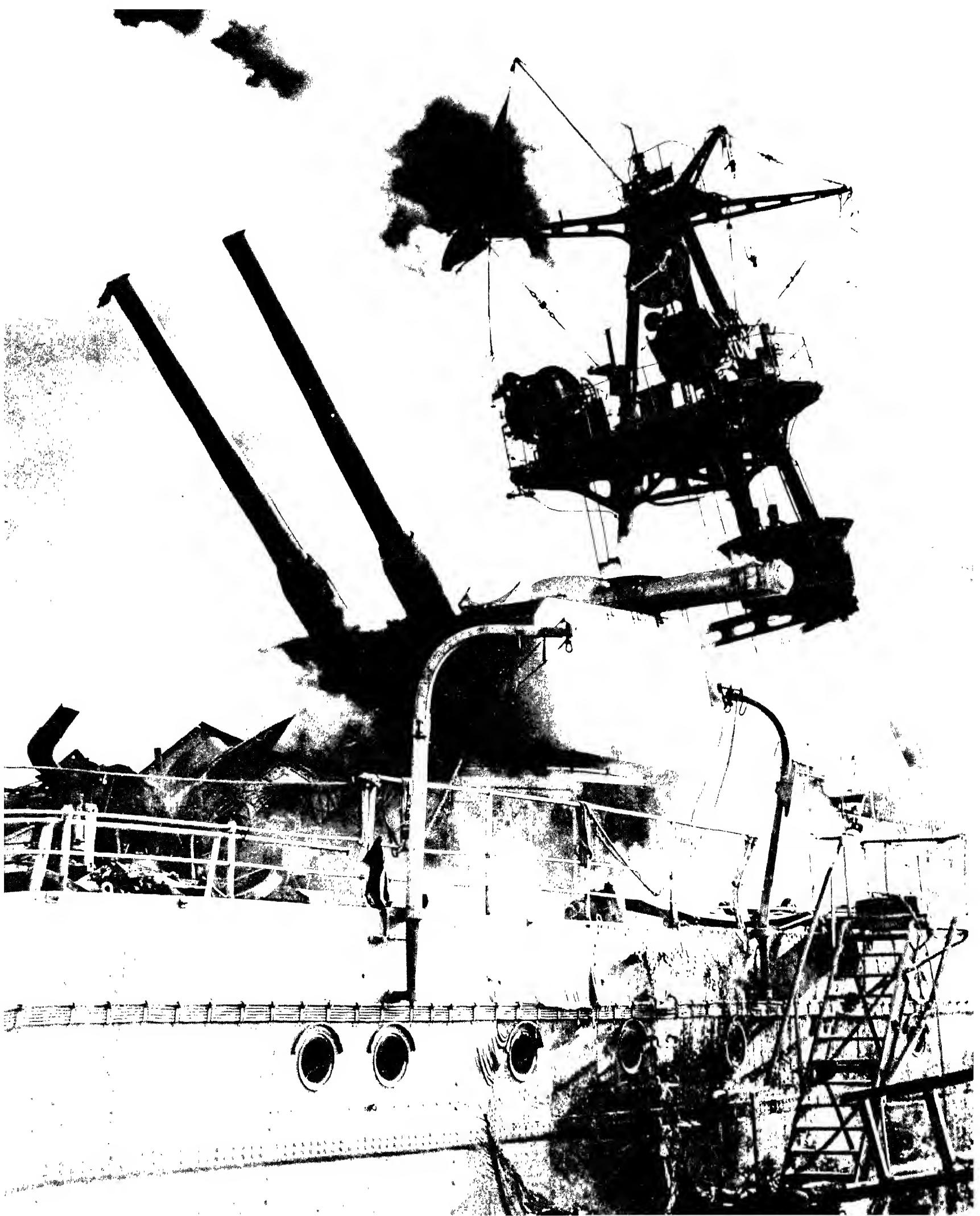
الجيوش الثلاثة . التي كانت تخضع لمبادئ مختلفة تمام الاختلاف . فقد راح يرطم بالعقبات في كل لحظة . وكانت تقصى الجنود الفرنسيين الموارد الضرورية . وكانت الأركان العامة تخبط في خضم من التباينات العنيفة . إذ اختبر « ماست » و « بيتوار » . وحي « جير و » نفسه . من الخونة . نظراً للدور الذي لعبه قبل ٧ تشرين الثاني . وأتى طقس « أفريقيا الشمالية » القاسي مفاجأة لقيادة كفالة تظن أنها نقاتل في ربيع دائم . فحيث كان غزوة « المغرب » يتوقعون العثور على الرمال . كانوا يجدون وحلاً . وكانوا يقايسون الأميركيين من الطوفانات في الأماكن التي ظنواها جافة .

إنَّ استئناف المجموع نحو مدينة « تونس » . الذي كان مقرراً ليوم ٩ كانون الأول . قد تأجل إلى ٢٢ . وتساقطت الأمطار أكثر غزارة . قاطعةً الطرق . مكبلة الدبابات . مجده نشاط الطيران . فكانت النتيجة أن تأجل المجموع مرة أخرى . وفي ٢٤ توجه « أيزهاور » تحت السبيل العارمة إلى مقر « اندرسون » العام . فتقرر تأجيل المجموع ثانية حتى نهاية موسم الأمطار . فقد زال كلَّ أمل بالاستيلاء على مدينة « تونس » قبل ربيع ١٩٤٣ .

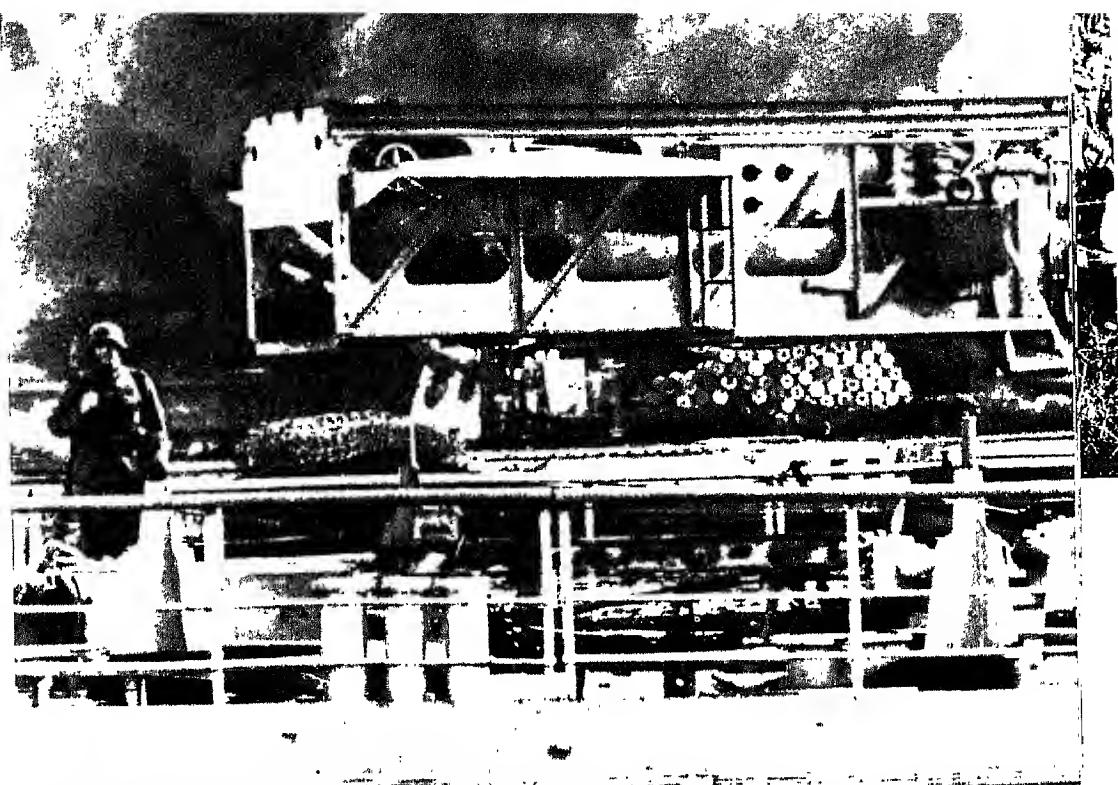
كان « أيزهاور » ما زال هناك . وكان التفكير بالاحتفال الجندي بعيد الميلاد قد بدأ يحجب المشاغل العسكرية . حين هبطت من مدينة « الجزائر » ضربة صاعقة : لقد اغتيل الأميرال « دارلان » ! إنَّ اتفاقية « دارلان » كانت قد غدت ما يطيب للأميركيين تسميتها بالفرنسية « قضية شهيرة » ، فضلاً عن إخضاع « الجزائر » و « المغرب » . كان انجاز الأميرال قد آلت إلى انتقام « أفريقيا » الغربية . وقيام تعاون مباشر بين السلطات الفرنسية وقوات الحملة . كان « دارلان » قد سجل إخفاقاً ساعةً رفض الأسطول تلبية ندائها . إلا أنَّ النشاط والمقدرة اللذين كان يتحلى بهما كانا يختلفان عن القيادة الأميركيَّة عبء مهام كثيرة لم تكن مستعدة لتحملها . فقد كان متقدماً أنه سيحمل لقب مفوض سام في « أفريقيا » ، فيما يتسلّم « جير و » القيادة العليا للقوات الفرنسية . ويخفظ كلَّ من الموظفين الكبار الآخرين . أمثال « توغيس » و « بواسون » و « أيف شاتيل » ، منصبـه . إنه حلَّ سريعاً واقعيًّا . مطابق للروح التي عمل « مورفي » بموجهاً شهوراً طولاً . ولكنَّه كان يخلق مشكلة معنويات سياسية . وبثير اضطرابات صاحبة .

كانت المجممات قد انطلقت من شخص « دارلان » صُدعاً نحو أولئك الذين كانوا يسمون حاصينه . أي « أيزهاور » . والحكومة الأميركيَّة . و « روزفلت » ذاته . وقد رأى « مورفي » « ميلتون أيزهاور » يهرول مذعوراً بعد ما علم أنَّ مستقبل أخيه بات مهدداً بسبب تفاهمه مع الأميرال الفاشي . وكانت شخصيات أخرى بالغة التفوه تقد إلى مدينة « الجزائر » للتحري عن عدم فسخ قوانين « فيشي » . وعن عدم إطلاق أسر النواب الشيوعيين الذين أوقفوا في ١٩٣٩ . وعن عدم إنعاش اليهود (الذين اعتقاد الأميركيون أنَّهم أو دعوا الأحياء اليهودية في « المغرب » منذ النصر المحتل) . وعن عدم تحرير الشعوب التي استبعدها الاستعمار الفرنسي . وهلم جراً . . . وقامت حملة عالمية اشتركت فيها الأميركيون الأحرار . والديغوليون . والشيوعيون . تتمثل « دارلان » كأنكار حي للمثل التي كانت الأمم المتحدة تقائل من أجلها .

كان « روزفلت » أول من قام بالتصحية في سبيل تقويم الوضع المترتب . ففي مؤتمره الصحفي المنعقد في ١٧ تشرين الثاني . نعت الاتفاقية المعقودة مع « دارلان » بأنَّها « وسيلة مؤقتة » . ورد



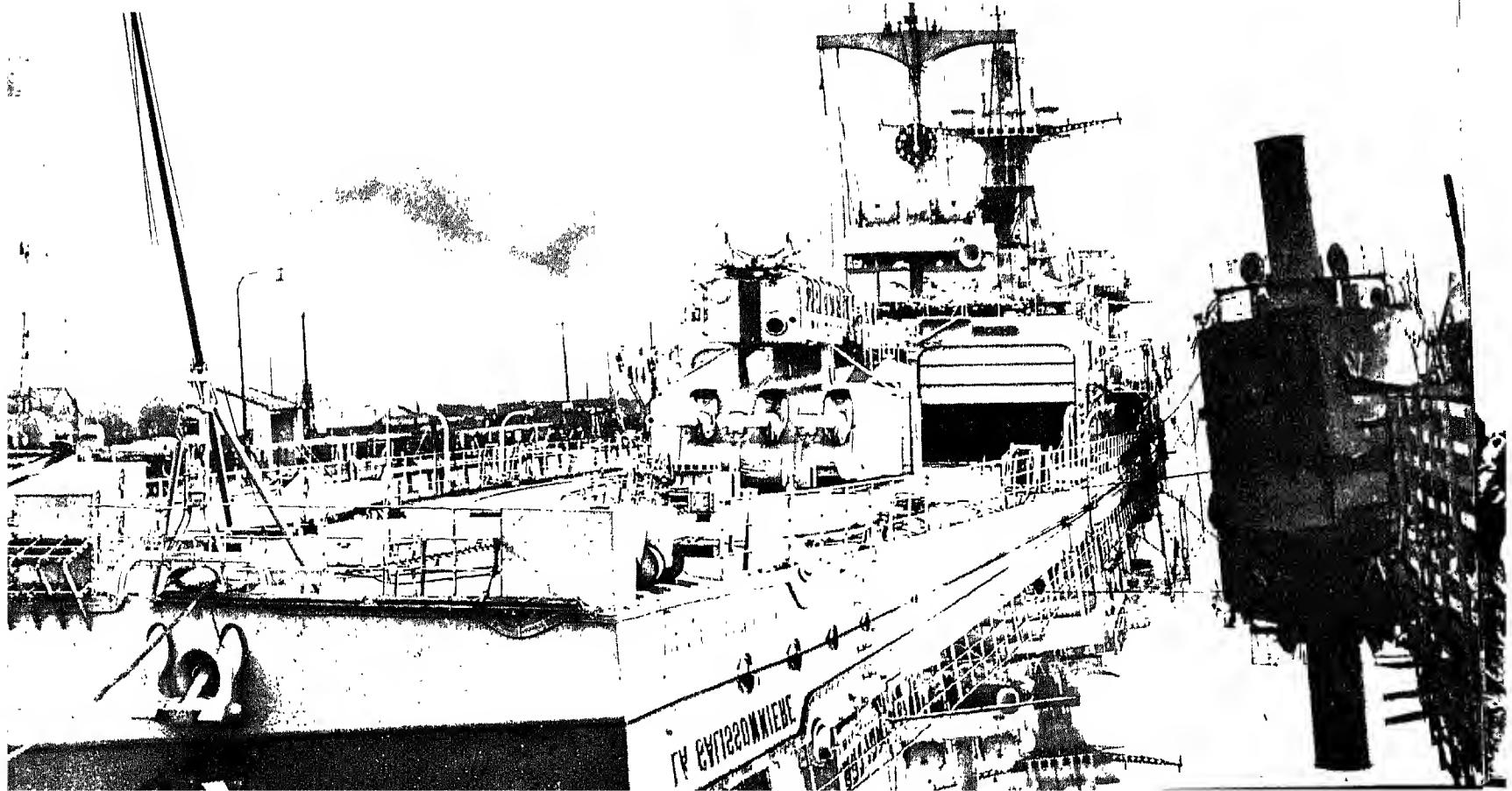
إنطلق أمر الإغراق من السفينة «ستراسبورغ». وفيما كان أحد الضيّاط يأمر بإطلاق معدات سفينته أصابه قذيفة دبابة ألمانية كانت إلى الخاطط الفاصل فقتله. وتسلل المشاة الألمان من ثم إلى الرصيف، وصاح الترجمان في ذلك الليل موجهاً كلامه إلى الأميرال «لابورد» : «أيتها الأميرال ، إن قائدك يأمرك بتسليم السفينة سليمة من الأذى». فأجاب الأميرال : «لقد قضي الأمر». ويضيف الأميرال «أوفان» ، مررخ تلك الأحداث : «... ووجه الألمان ، وإذا بالترجمان يعلن : «أيتها الأميرال ، يبلغك قائدك عميق احترامه». وجاء دوت الانفجارات الأولى.



**لقد أحسن أسطول
”تولون“ انتقاماً !**

إحتضار إحدى السفن في حوضها .

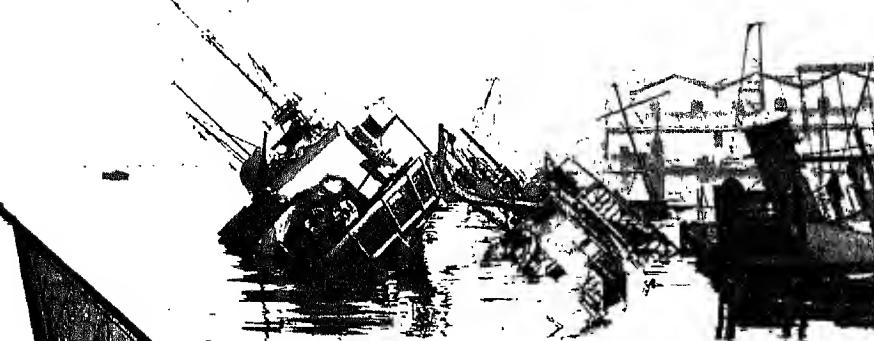
STRASBOURG



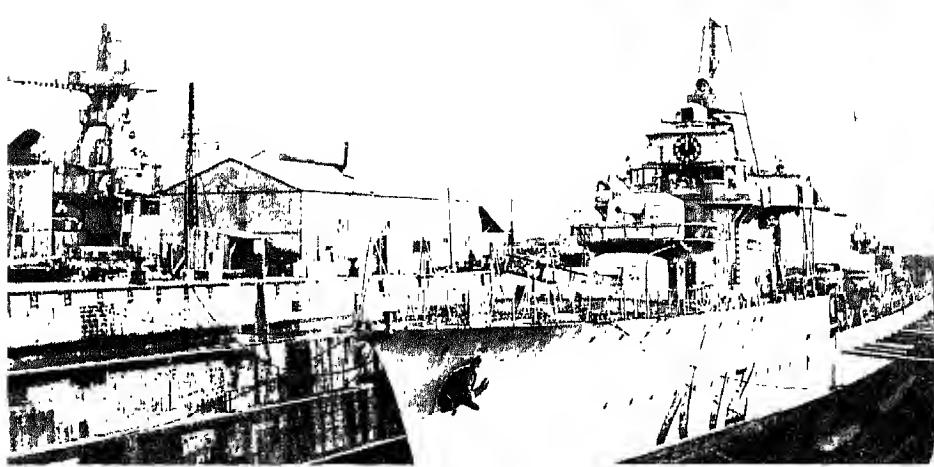
في جحيم الحريق انطلقت افجارات
القذائف التي راح الطيران الألماني يطرد
الغواصات الفاربة . ولقد نجت من
الغواصات الخمس ثلاث بلغت مرفأء
« الجزائر » .



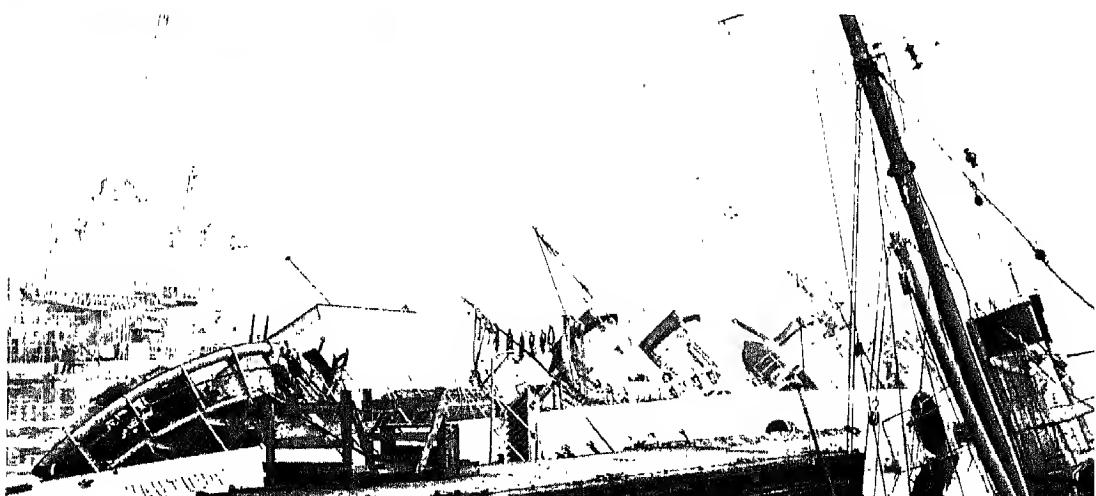
في هذه الزاوية الموحشة من مرفأ « تولون »
لم يحصل الألمان ، بعد القشاع دخان
الكارثة ، إلا على ركام من الحديد .



لم يكن بوسع السفن التي كانت قيد
الإصلاح في الأحواض أن تدمّر نفسها
كما فعلت شقيقاتها . وقد تمكّن الإيطاليون
من السيطرة على عدد منها .



غرقت السفافات التي كانت راسية قرب
رصيف « الميلاد » .





دخل الألمان إلى « تولون »
دخولهم إلى مخزن للبارود .
وقلبهم يخدّهم بأنّ البحارة
الفرنسيين لن يستسلموا بسهولة .



« حتى أوائل الذين يظنّون أنه
كان يوسع الأسطول الفرنسي
أن يخدم قضيّة التحرير بانضمامه
إلى الحلفاء لا ينماكون عن
الاعتراف بخلال الأسلوب الذي
به أندى هذا الأسطول وعيده ». .
(جريدة التايمز . عدد ٣٠ تشرين
الثاني ١٩٤٢) .

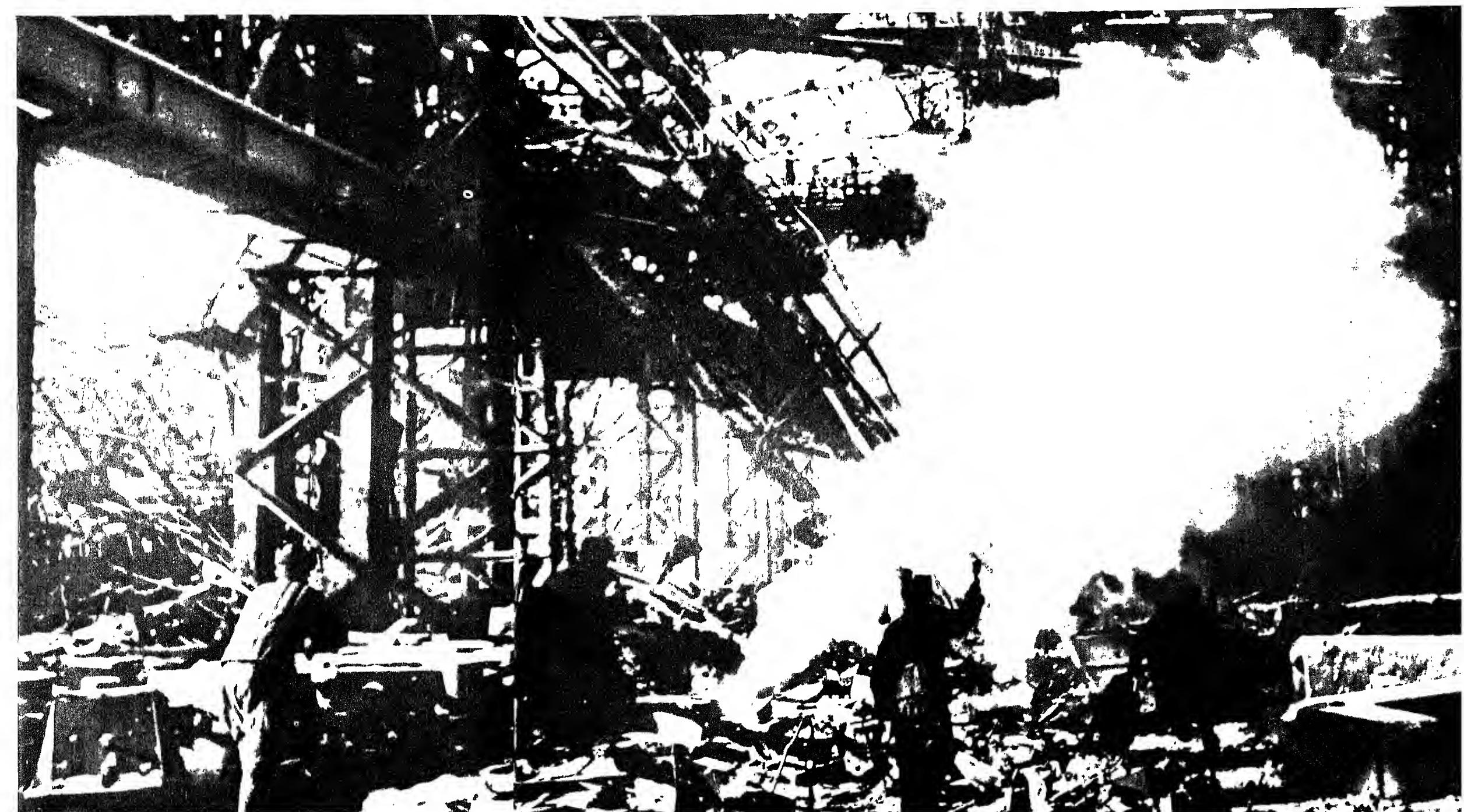
دبابة المائية على رصيف
« تولون » تمر بأطلاع هذا
الوحش الفولاذي الذي بات
يتنصب عاجزاً عن الحركة .

حان وقت العودة إلى السهوب الروسية ؛ فالمأساة الدائرة هناك تعدل بعنفها وتأنّمها مأساة شتاء ١٩٤١ على أبواب «موسكو» ، إلا أنها ، على صعيد التاريخ ، تبرّأها صدّى ووّقاً .

احتضان يبلغ الذروة

الفصل التاسع عشر
تشرين الثاني ١٩٤٢ - شباط ١٩٤٣

كتيبة الستة لينفرا



من «فورونيج» إلى «القفقاس» بلغ امتداد الخطوط الألمانية والتواوهاً حتى غربياً مدهشاً . كانت مجموعة جيوش الجنوب قد بدأت حملتها الصيفية على جبهة تبلغ ٨٠٠ كلم طولاً . ثم قسمت إلى مجموعتين جيوش «أ» و «ب» . لا ينقص مجموع جيشهما عن ٢٠٠٠ كلم . لم يكن يصل المغاربة بقراط السورين غير طرقات تعطّلها أقلّ مطرة . وخطوط حديديّة منفردة في الغالب . مدت أسلاكها على الحضيض مباشرة بلا حصى . كان سير العتاد المتحرّك . والحالة هذه . غالباً في البطء ، فألت هجمات الأنصار . وقد بلغ مدّتها الشهريّ ٧٠٠ معجوم . تعرّفه وتزداد في بطشه . هذا ولم يكن لأبي تدبّر زجري أن يضع لهدا الوضع حدّاً .

رُى الرُّحْف إلى فتح ما وراء «القفقاس» . وأُسندت المهمة إلى مجموعة الجيوش «ب» . بقيادة الفيلد-مارشال «فون كلايت» ؛ أمّا مهمّة مجموعة الكولونيل-جزال «فون فايحسن» ، فلم تكن غير مهمّة تعطّلية ، إلا أنها كانت كبيرة جليلة . كان عليها أن تحدّ حاجز «الدون» بإغفال البرنز الفاصل بين «الدون» و «القولغا» ولذلك يبلغ ٦٠ كلم طولاً . ثم تصطف بإزاره تدرّجياً حتى «استراخان» . وفي آخر الحملة . أي قبيل حلول الفصل الريدي ، كان على الواقع الألماني في جنوب «الاتحاد السوفياتي» أن تبلغ حدود ساحل البحر الأسود . والغور القفقاسي من «باتوم» إلى «باكو» عبر «تيليس» . وساحل بحر «قرقيز» . وأخيراً «القولغا» و «الدون» .

ترى ، أكان مثل ذلك الطموح أخرقَ غير معقول ؟ نعم ولا . لأنَّ المخطط المحتاري كان يرمي إلى تزويد «أليانا» بخط «القفقاس» . وبالتالي إلى إقصاء الروس عن البحر الأسود . والقضاء بذلك على كلَّ محاولة لشن هجوم معاكس على «القرم» و «أوكرانيا» و «رومانيا» . إذ ذلك يهدّد نهر «القولغا» دعامة عريضة لبناء الألماني في «روسيا» . كان المصيّ في الحملة يستوجب القيام بعمليات تبلغ دائريّاً ٤٠٠ كلم . ييد أنَّ النصر كان سيعدّ الجبهة الفعلية إلى حدود ١٠٠٠ كلم . فتمتدّ من مضابط «القولغا» إلى مجرى «الدون» الأوسط . لم تبقَ هناك في الواقع أية فرصة أخرى لتحقيق النصر . منذ أن تندَّ الأمل بانتصار الجيّش الأحمر اهياً سريعاً شاملاً .

أمّا الحساقة البشّة المشوّمة ففي أنَّ الوسائل لم تكن على مستوى المدّف . فتحقيق خطّ «هتلر» كان يفرض على الجيوش الألمانيّة أن تدعّ صعف ما تدهّه من الرجال . وأن تعتمد ثلاثة أضعاف ما تملك من قدرة التحرّك . وأربعة أضعاف ما تملك من طائرات . كما أنه كان يفرض أن تستريح الجيوش . وأن تسدّ الفراغ الحاصل في صفوفها . ففي لم تتفاوت تفاصيل منذ اندلاع الحرب مع «روسيا» . والمسائر التي منيت بها

تدور هذه المعارك في «ستالينغراد» ، في أحد معامل «تشرين الأول الأحمر» .

الأول لوتنانت «غريتيلب» حتى نقطة تبعد مسافة ٢٥ كلم عن «استرخان» . قطعت خط «باكيو» الحديدي ، وأضربت النار في قطار النفط ، ثم عادت ولاتر من جنود الأعداء واحداً . إذا فقد انبساط بين الجيوش المقاتلة في «القفقاس» ، والجيوش المتحمة على نهر «الفولغا» ، فراغ فعلي شامل .

حاول الجيش الروماني الرابع ، المشتمل على فوجين هزيلين ، أن يقيم جبهة دفاعية شمالي «إيليسنا» باصطدامه إزاء سلسلة من البحيرات كانت تحضن «الفولغا» في عصر القديم . إلى يساره بلغ جيش الديبابات الرابع ، بقيادة «هرث» ، الهر الكبير ، بالقرب من المنعطف الذي يرسمه حين يترك وجهة البحر الأسود ليتجه ناحية بحر «قرفون» . كان هذا الجيش حتى ١٦ أيلول قد اشترك في القتال من أجل «ستالينغراد» . ثم تخلى عن قسم من وحداته للجيش السادس المكلف بإتمام فتح المدينة . وإذا لم يبق منه غير الفيلق ٤ ، والفرقة الآلية ٢٩ ، لم يتمكن من الاحتلال مرتقبات «كراسنوسارتسك» التي كان الروس يشرفون على خطوطه منها . يبدأ قطاع الجيش السادس عند تل «ستالينغراد» . وكان الضابط العام الذي يتولى قيادته ، «فريديريك باولوس» ، أحدث الرؤساء الألمان عهداً . لم يكن له من العمر سوى ٥٢ سنة ، وكان قد شغل مركز رئيس أركان المارشال «رايختاوا» ، ثم استدعى لروس إحدى أهم قطع رغعة الشطرنج العسكري ، مثيراً بذلك حقد البعض . كان «هتلر» قد فكر في أن يُسند إليه دوراً أقل لإثارة للحسد . كان يبني أن يُسند إليه مهمات «جودل» بعد أن يتم «باولوس» الاستيلاء على «ستالينغراد» ، فيجعل منه مستشاره العسكري الخاص . لم تلعب الحظوظ السياسية أي دور في ترقية «باولوس» اليه . نشأ في بيئة الموظفين البسطاء ، ثم ارتفع في سلم المجتمع بزواجه بامرأة من إحدى الأسر الرومانية المرموق . كان حيادياً من حيث السياسة ، باهتاً من حيث الشخصية . وإن كانت الطاعة هي قوة الجيوش الرئيسية ، فإن الخروج عليها هو الذي يرفع القواد الكبار إلى المجد دائماً . ولكن «باولوس» كان عاجزاً عن أن يخالف أمراً .

الواقع أن الدور الذي أُسند إليه في حملة ١٩٤٢ ما فيه يتضمن وبشكل ؛ لم تُسند إلى الجيش السادس أولاً إلا العمليات الخاصة بحلقة «الدون» . على اعتبار أن «ستالينغراد» هدف ثانوي ، بل معنٍ لا هدف . وما ليث الثانوي أن غداً رئيساً ! كان «هتلر» قد أعلن أنه لا يصر على احتلال المدينة ، وأنه يكتفي بدمير طاقتها الصناعية . أمّا الآن فقد بات يرى في المعركة الضارية التي تثيرها الامتحان الرئيس الخامس لتزامنه مع «روسيا» .

بدأ الحصار في ٢ أيلول بالنقاء الجيش السادس والجيش الرابع المصفح على المضاب المشرفة على المدينة . كانت القضية يائسة بالنسبة للروس ، فموصلات «ستالينغراد» البرية مقطوعة كلها ، ومؤمن الخامسة لم يبق ممكناً إلا عن طريق «الفولغا» . فأعلن الجنرال «لوبيتين» ، قائد الجيش ٦٢ . أن الدفاع عن المدينة غير ممكن . وطلب الإذن بالارتداد إلى ما وراء النهر . يبد أن «ستالين» ، وقد أفلع عن خطبة الدفاع المطاطة التي كان قد تبناها في مطلع الصيف ، أعلم أنه لم يبق بوسع «روسيا» أن تتخلى عن أي جزء من أراضيها . فعمد «إيرينكوف» ، قائد مجموعة الجيوش . بالاشراك مع مفوضه السياسي الحديدي «خرشتشيف» ، إلى استبدال «لوبيتين» بجنرال آخر وصل حدّه من الشر الأقصى . هو «تشويكوف» . أمّا التعليمات التي تلقاها فتلخص بعبارة واحدة: الموت ، أو الحفاظ على «ستالينغراد» .

أمّا «ستالينغراد» فرصيف على مجاري «الفولغا» ، توقي السهوب ظهرها لتمتد مترامية على طول الكثلة المائحة الضخمة . تهوي الحروف في انحدار سريع يعقد مواصلات المدينة والنهر ، إلا أنه يوفر زاوية ميّة

لم تتوّض لا في الرجال ولا في العتاد . ما كان عدد الرجال في السرية ليتجاوز الستين إلا نادراً . ولا عدد الديبابات في الفرقة ليربو على الثمانين . لم تكن لدى «هتلر» أية فكرة واقعية عمّا كانت عليه جيشه من تلف في غمرة انتصارهما . وهو الذي ما كان يقصد إلى الجبهة البتة . وما كان يسمع لمساعديه المقربين بأن يقصدوا إليها .

كان الفوهرر ، إزاء بوادر القلق التي تظهر حوله . يجيب معللاً نفسه بأنّ الجيوش السوفياتية قد أهلكت . كان يتقبّل بلهفة الواحد المعاكس . وكان يصر على تبرير خطط المرأة التي تعتمدها سترايجيتيه بدئو ربع الساعة الأخير . مدعياً أنّ الحرب لا تربّع إلا بقايا ، وأنّ البقايا الألمانيّة ما تزال تحتفظ .

إزاء الخطاب الروسي . بقدرة تمكنها من فرض الكلمة الفصل . مضى الصيف ، وهو هو التريف يقضى ، وغدت ربيع السهوب باردة بعدها كانت بالأمس حرارة لافحة . سقط الثلج على الجبل ، وما ليث أن هبط على السهل . فمضى قواد الأفواج يحرّرون التقرير تلو التقرير طالبين الإسراع في إرسال الأعتمدة الشتوية . كان من المفترض . استناداً إلى تقويم القيادة العليا ، أن تكون أهداف ١٩٤٢ قد تحققت . فيلي أيّ حدّ قد تحققت يا ترى ؟ وإلى أي حدّ يمكن أن تتحقق بعد ، قبل موسم القر والزمهرير ؟

من المفترض أن تكون «باتوم» على البحر الأسود قد سقطت . والواقع أنها ما رالت على بعد ٥٠٠ كلم ! فمنذ احتلال «نوفورسيشك» لم يتحقق أي تقدم يذكر . وبذا ارتفاع «الايريز» (ارتفاعه ٥،٨٠٠ م) في الداخل وكانت قد وضع حداً للمجهود الألماني بمأثرة رياضية . كانت مجموعة الجيوش التالية . التي يوّلتها الجيش الألماني ١٧ والجيش الروسي ٣ . تقاتل تحت إدارة «روروف» في مساقط رائعة الجمال . فمن غابات عذراء . إلى فجاج موحشة . إلى نواتي صخرية تطل على السهل الساحلي المخصوص . وعلى رغوة البحر الفسيحة الدكناه . إلا أن المحاورات التي سُذلت للهبوط إلى تلك الجنة قد باهت بالاخفاقي .

أمّا في «القفقاس» الأوسط فمفترض أن تكون «تفايس» قد غدت الألمانية ، والواقع أن «أوردونيكيديز» . مدخلها . لم تقدّل الألمانية بعد . جمع جيش الديبابات الأول في منعطف «الثيرياث» بعدما سُذلت في سبيل ذلك جهوداً ضاربة . إلا أنّ الأمداد الضروريّة لاستغلال داك التفوق كانت معدومة تماماً . فيما كان من رجال «الفيكين» . في ١٢ تشرين الثاني . إلا أن عادوا فعبروا النهر . وسط عاصفة ثلجية شعواء . وهكذا لن يبلغ الجيش الألماني في مكان ما نقطة أبعد من التي باتها هنا .

كان هدف الحملة الأولى هو «باكيو» . إلا أن جندياً ألمانياً واحداً لن يتقدّم إلى أقرب من ٦٠٠ كيلو منها . مع أن «هتلر» كان قد قال : «إن لم أضع يدي على نقط «باكيو» فأضطر إلى تصفيه الحرب اضطراراً...» . فرض على فرقة واحدة . هي الفرقة الآلية ١٦ . أن تسد فراغاً يمتد مسافة ٤٠٠ كلم بين مجموعة الجيوش «أ» و «ب» . بين «الثيرياث» و «الفولغا» الأسهل عبر سهب «الكاموك» . والحقيقة أنّ الروس أنفسهم قد عجزوا عن ملء أصقاع مزامة الأطراف كهذه . وضفت الفرقة الآلية ١٦ يدها على «إيليسنا» حاضرة الرحيل . وتقدّمت دورياً يقودها

نفسه قد أصدرها : فما كان من «هتلر» إلا أن غادر القاعة . وقد علت وجهة صفة من كاد يفقد وعيه . وهام على وجهه ساعات في آجام «فيسترا» . وعلى أثر ذلك امتنع حتى وفاته عن تناول الطعام على مائدة ضياباته . محكمًا بذلك إغفال حلقة العزلة التي عقدتها حوله . أما «ليست» فقد شجع عن قيادته وتوارى عن مسرح القتال .

في آخر أيامه توارى «هالدر» بدوره . وكان يشغل منصب رئيس أركان الجيش العامة منذ أزمة «موينيغ» : إلا أن عقله التقادم . ونظارته . منطقه . وإفراطه في التوريق والتحذير . وحتى كثلكته . كانت كلها تضيق طاغية ترك تسلمه يعلون «أنه أكبر عبقرية عسكرية عرفها التاريخ» . وإذا بالكيل يطفح في ٢٤ أيلول . فيعلن «هتلر» : «لقد أرهقت أعصابك وأعصابي فبلغت حدود طاقتها : لست بخاجة إلى معلم مدربة . بقدر ما أنا بخاجة إلى رجل امتلك عليه التعصب القومي الاشتراكي جوارحه . لكي أدير حربى في روسيا ...»

حل محل «هالدر» جنرال ميجر عادي هو «كورت زيتزار» . لم يكن له في قيادة جيش البر غير صلاحيات إدارة الجبهة الشرقية . بعدها وضعت مسارح العمليات الأخرى تحت سلطة قيادة الجيش العليا المباشرة . أي تحت سلطة «كيبيل». هذا من حيث المبدأ . أما من حيث الواقع . فقد اندخت الصالحيات كلها تحت سلطة «أدولف هتلر» المطلقة . النزرة . الرئادة . فمنذ أن نشط بيته وبين «جودل» الأزمة . سجل الكثّان المختلون وقائم الجلسات التي تعدد في مقر قيادته العامة . فإذا هي للتاريخ صور لذين غريب مدهش نرى فيه «هتلر» ينتقل من أنسى التأملاط والاعتبارات إلى أدق التفاصيل وأنهما : فجئنا بجوب العالم مستعليم . وبعد دقيقة يعمد إلى نقل سرية . من غير أن يشعر . ولو مرة واحدة . بميل يدفعه إلى أن يذهب فبطلم علىحقيقة حربه . ومن غير أن يتصل برجال الميدان . أي بغير الأبطال ذوي الأوسمة والقافزين الذين كان يطلب تقديمهم إليه بين الحين والحين .

وبدل أن يزهد الجيش الألماني «ستالينغراد» زاد بها تشبتاً . فاستقدمت كثائب هندسة الجيش كلها بطريق الجو . وشكّلت ثلات هجومية مهمتها أن تفتح الطريق أمام المشاة في المعاقل الصناعية الكبرى . فالتحمّ القتال وسط خليط من الآلات والمعدات المخطّمة . وبالحسور المتحرّكة المقلوبة . والمياكل المعدنية المنهارة . أما المقاومة الروسية فكانت رائعة عتية . وكان الألمان يعلمون أن شيئاً واحداً لن يُترك لهم . وأنه لا بدّ للحجر الأخير في «ستالينغراد» من أن يرتوي بدمائهم .

في ٩ تشرين الثاني . وبمناسبة ذكرى انقلاب «موينيغ» الـ ١٩ . جلس «هتلر» متظراً يقول : «أردت أن أبلغ «الفولغا» في المدينة التي تحمل اسم «ستالين» ذاتها . وقد فتحنا تلك المدينة ما عدا جزيرتين أو ثلاثة لا قيمة لها . ويسألوني : لماذا لا تقدم على إنهاء الحرب بشكل أسرع؟ فأجيب : لأنني لا أريد «فردان» ثانية . ولذا تركت لبعض عناصر المجموع مهمّة إنخاز فتح «ستالينغراد» ...»

والحقيقة أن «الفوهرر» لا يبالغ إذ يقول إن «فتح «ستالينغراد» كاد يتنهى تماماً . فالروس ما زالوا محظوظين برصيف الإزال . متثنين «بمضرب الكرة» . ممسكين بقسم من «تشرين الأول الأحمر» . وبمنفذ «باريكاد» و«دجر جنسكي» الشرقية . أما الباقى كلّه . أي تسعة عشر «ستالينغراد» . أو ما يعادل ٥٠ كلام من الأنقاض . فقد أسمى للعدو . يُقرّت البناءات المتتصبة في وسط المدينة كلّها . وأحرقت البيوت الخشبية كلّها . فلم يبق من رسومها إلا ألف المداخن المسودة . لم يتمكّن السكان من عبور «الفولغا» فلاذوا بالفرار عبر الشعب . لا يملكون من أسباب العيش شيئاً . فلقي ألف من الأبراء حتفهم جوعاً .

بالنسبة للأسلحة ذات الرماية المترورة . أمّا الأودية الروسية الضيقة . ووسائل الشعب ، فتمتد داخل المدينة بمجموعة من التخصصاتاحتل شهر «تساريتزا» أعمقها .

تنحدر المدينة الوسطى . وقلبها الساحة الحمراء . بمجموعات من السلام من هضبة «ماماي» حتى الرصيف الحاصل بسفينة العور التي تقوم مقام الحسور المفقودة . أمّا صفت القلاع الصناعية فيمتد باتجاه الشمال . فيحتل مصنع «لازور» للمواد الكيميائية وسط حلقة لاحاطة الحديدية بالغة الوضوح في الصور المأخوذة من الجو . ولذا دعى «مضرب الكرة» . يأتي بعد ذلك مصنع الصلب «تشرين الأول الأحمر» . وتصهر المدافع «باريكاد» ومصنع المدرّارات «دجر جنسكي» . وعدها ضاحيتها «سبارتو كوفسكا» و«رينيوك» مدينة «ستالينغراد» حتى مسطح الماء الكبير . حيث يبدأ سهل «الأشتوبَا» العريض بتجزئة «الفولغا» . وفي الجملة لا يتجاوز طول هذه السلسلة المدنية والصناعية ٥٠ كيلم . أمّا عرضها فقلّما يتعدي ٣٠٠٠ خطوة .

سقطت المدينة القديمة أولاً . وكان احتلال مستودع القمح الكبير . على يد الفرقة الآلية ٢٩ . أول المارك الثالثة الخيالية التي أضفت على موقعه «ستالينغراد» طابعها الفريد . كانت الانفجارات المدوية على الغلاف الضخم المصنوع من الاسمنت المسلح تفجر طبلات الآذان تفجير بالونات المطاط . كان البناء ما يزال ممتلئاً بالقمح . فإذا بالروس والألمان يتذابخون وسط سيل متذبذب ذهبي ، ولكن بقي التفوق للألمان . وفي أواسط تشرين الأول كانوا قد فتحوا ، في القطاع الجنوبي . ما يقارب عشرة كيلومترات من الضفة المتدلة من «كوبير وفسكوي» إلى موطئ سلام الساحة الحمراء . واحتلوا ، في القطاع الشمالي . واجهة معادلة تمند إلى جانبي «رينيوك» .

لو تعقل الروس لتخلوا عن المدينة . إذ لم يبق لهم من «ستالينغراد» غير قسم من الأحياء الصناعية الشمالية ، وسر لا يتعدي عشرات الأمتار عرضًا في المدينة الوسطى . ينتهي بخط منحرف عنديموطي ، وصيف العبور .

بيد أن الموقف كانت قد خرجت عن سن النطاق . فلم يبق ثمة قيادتان تسته蔓 المقطع العسكري . بل عصبيتان جاعتان تصرعنان !

كان الموقف من الناحية الألمانية أكثر توغلًا في الخرق والشلل . وأبرز تتكّرّل لالمعقول ، ذلك أن بلوغ موقع «ستالينغراد» المقدّم قد فقاد كلّ نوع من الأهمية السرّاجية . عندما بدا في تشرين الأول أن مجموعة الجيش «أ» لم يبق لها أي حظ في الاستيلاء على نقط «القففاس» خلال ١٩٤٢ . أمّا مبررها الاقتصادي الأخير ، وهو قطع المواصلات على «الفولغا» . فكان على وشك الزوال . نظراً لأن «الجمد» كان سيقطّع حركة الملاحة قطعاً عملياً يعجز عن تأمينه وجود جنود «باولوس» في «رينيوك» وجنود «هوث» في «كوبير وفسكوي» . كان على القيادة الألمانية أن تهتمّ بعد اليوم بتلقي الشباء الروسي بشروط أفضل من التي عرفها الشباء الأول . أي بتقليل الجبهة المترامية وتدعمها . وهذا كان التقدّم نحو «تفليس» . وضررية المسرّز حتى «الفولغا» . في طيبة التضحيات التي كان لا بدّ من القبول بها . ييد «هتلر» رغب عن الحق والواقع . ومن حاول رده إليهم دفع الثمن غالياً . ففي مطلع أيلول حطّم أحد الحزارات لأنّه زعم أنّ الضرورة كانت تقضي بوضع حدّ للتقدّم والتورّل ، وهو جنرال آخر من أعلى ذرّى المخطورة لديه لأنّه دافع عن زميله . أمّا الأول فهو الفيلد مارشال «ليست» . وأمّا الثاني فهو الكولونيل جنرال «جودل» . ذلك أن «جودل» ، لدى عودته من مهمّة قام بها في مقر قيادة مجموعة الجيش «أ» ، تجاسر فأعلن في وجه «هتلر» أن الخطاء التي نسبت إلى «ليست» أنت نتيجة للأوامر التي كان «هتلر»

السهوب الكلموكية ، وعن الفرق السبع التي كانت تحارب مع الجيش الألماني السابع عشر . وإذا أنَّ المجر والرومانين أعداء بالوراثة ، فقد توسيطهم الجيش الإيطالي الثامن ، المؤلَّف من أربعة فيالق ، منها الفيلق الجبلي . كانت ٣٢ فرقة ، من جملتها ٤٤ ، في الجبهة على «الدون» . تضخم وبالتالي عدَّة قتال الجيش الألماني ، ولكن ، لو أردنا أن نقيس القيمة القتالية لهذه القوات بالمستوى الألماني ، لوجب علينا أن نسمى العدد ثالثه !

كان الجنرالات الألمان قد طالبوا منذ البدء بدمج هولاء المساعدين الضعفاء بالجنود الألمان ، ييد أن اعتبارات سياسية عالية كانت تعوق تحقيق هذا الأمر . كانت حكومات الأقلالات الألمانية ترغب في وجود جيوش شرعية تحت قيادات وطنية . ونظرأً لضعف هذه الجيوش في الناحية المhogومية ، كانت مهمتها مقتصرة على الجبهات السليمة . وهذا السبب رأينا أن حماية جانبي المhogوم على «ستالينغراد» قد أوكلت على هولاء اللقاء بصورة شبه ثانية .

وإذاء تكوين المعجم المعاكس . إزاء تحضير إحدى أجمل
الانتصارات في التاريخ الروسي ، بقيت المصادر الروسية . مرأة أخرى .
محبّة للغاية ، فتاريخ الحرب العالمية الذي نشره الجنرال « بلاتونوف »
يقول إن « المخطّطات قد بوشر وضعها في شهر أيلول . وهو يعطي عنها
موجزاً وأوضحاً . إلا أن النص لم يخرج من دائرة المخفاف . وأمام الظرف
التي وضعت فيها المناورة المحكمة . وأمام المواقف التي سبّبتها . فلا
ذكر لها البينة . يجب الاكتفاء . في التاريخ المذكور . بهذه الصيغة
التقليدية المفخّمة . وبهذه الحقيقة الرسمية التي خلفت حقيقة رسمية
تختلف عنها كلّياً : فحتى ١٩٥٣ كان « ستالين » هو متنصر « ستالينغراد »
الوحيد : ومنذ ١٩٥٦ بات « ستالين » ميتاً بالنسبة للتاريخ . للدرجة أنَّ
اسمه لم يُذكر قط في كتاب « بلاتونوف » .

كانت جبهات ثلاثة ، أو مجموعات جيوش . تحيط بناية «ستالينغراد» : الجبهة البنوبية الغربية بإمرة «أاتوين» : جبهة «الدون» بإمرة «روكسوفسكي» : جبهة «ستالينغراد» بإمرة «إيرينكو» . كانت فكرة المناورة تفضي بالهجوم المشترك في الشمال والجنوب لإغلاق الكلبة على الطرف الشرقي من عقدة «الدون» .

قال «باتونوف» : لم تكن السهوب صالحة بالنسبة للبركزى السوفياتي . ومع ذلك تمكنا من إخفايه . وقد جرت التنقلات كافة خلال الليل ; وعند أول خيوط الفجر كان الجنود متوقفون ، فيشارون في القرى متارين عن الأنوار . لقد كان هجومنا مفاجأة شاملة للقيادة العدوة .

لقد أخطأ «بلاتونوف» التقدير . فقد كان الهجوم متوقعاً . فركاكة الحانب الدفاعي كانت منذ أمد بعيد مصدراً لقلق . ومنذ آب أشار «هتلر» إلى ضعف جهة «الدون». مدكراً بأن الجيش الروسي الأبيض قد اندر في ١٩٢٠ فيما كان يهاجم «تراريتيزين» (ستالينغراد). أمام هجوم منطلق من الهر . فالتحرّكات ياتجاه المؤخرات . وحشد القوات في روؤس الجسور الخطرة . قد أبلغ عنها غير مرأة . ودارت المناقشات في الأركان العامة تتساءل على من ستقع الضربة : أعلى المجر . أم على الإيطاليين . أم على الرومانيين ؟ وقد قال «هتلر» : «لو كان الألمان هم الذين يخرونون «الدون» لسمت قرير العين » .

في ٧ تشرين الثاني ، في موتمر الفوهرر . قام «زيتيلر» . رئيس الأركان العامة الجديد ، بإبلاغ خبر نقلته الحاسوبية يزعم أن هجوماً سوفياتياً كبيراً على «الدون» قد جهز في «الكرملين» لأربعة أيام متتالية .

استجابت الأفواج الألمانية لذاك النداء . فتـم في ١٩ تشرين الثاني سقوط «دجرجنـسكي» و «باريكاد». كما تم فتح بعض مئات من الأستار على الضفة . وقطعت كتل «الخليـد الطافـية» على سطح الماء حركة تموين المدافعين . فأعلم «تشويكوف» المسؤولين أن «الذخائر والمأون والدماء قد نفتـت ...

جَانِبُ الْكَبْشِ الزَّجَاجِيٌّ

لم يكن جيش «باولوس» يقاتل في «ستالينغراد» وحدها . فبعدما انعطف كثيرون واقية راح يسد البرزخ الذي يفصل «الفولغا» عن «الدون» ثم احتاز النهر الثاني ، وبعدهما عاد إلى قطع عقدة «كريمسكايا» التي بقيت في أيدي الروس أمتد حتى «كليتسكايا» . وكان فيلقان . هنا الـ ٨ والـ ١١ . يحيىان هذه الجبهة الدفاعية .
وما وراء «كليتسكايا» . وحتى جوار «فورونيج» . البسطة ٤٠٠
كلم سيطر على قطاعاتها حلفاء «ألمانيا» : الرومانيون . والإيطاليون . والمحجر

كانت الجيوش الثلاثة متشابهة ببعضها . وقد قام شاهد عيان ايطالي . أبصر مواطنه يرون في «فيينا» في طريقهم إلى «روسيا» . بتدوين مشاعره على الوجه التالي : « إن جنودنا يفترون إلى المهاية والوقار فهم قدرون . سيئون العتاد . وخصوصاً سيئون التجنيد وقادسو التسلیح . فإن هم قاما إلى محاربة الجيش الروسي . فسيجدون أنفسهم في وضع سيئ للغاية . إن قلوبنا لتنظر لهذا الوضع ... » وأعاد آلية الجيوش الثلاثة فقد كانت منعدمة تقريباً : وأماماً العتاد . وللبس . والاستخبارات . والعدة البصرية . الخ ... فقد كانت في حالة يرثى لها . وكانت المدفعية مما أكل الدهر عليه وشرب . ولم يكن الدفاع المضاد للدببات يتضمن أي عتاد يفوق مدفع ٣٧ الذي تجره الخيل . أمّا التقهقر في المعنويات فحدث عنه ولا حرج : فقد كان الجنود يشعرون بأنّ تلك الحرب لم تكون حربهم . وكانوا متأثرين بالاطرواف المادية والمعنوية التي تتحقق .

من الناحية العددية كان الإسهام المجري - الإيطالي - الروماني في الحرب المئوية هاللاً . فالجيش المجري الثاني . الذي كان أكثر الجيوش أقرباً من «فورويج» . يضم ثلاثة فيالق . والجيش الروماني الرابع . الذي كان أكبر الجيوش أقرباً من «ستالينغراد» . يضم أربعة . فضلاً عن فيلقين الجيش الثالث اللذين كانوا في الجبهة في



نيسان ١٩٤٢ . كانت القوافل الروسية المحملة بالعتاد إلى «ستالينغراد» تذرع بحيرة «لادوغا» المتجمدة ليل نهار .

السوفياتي ». وعَم ذلك كانت المفاجأة : فقد أحدث انتشار الدبابات الروسية التأثير نفسه الذي أحدثه انتشار الدبابات الألمانية في «سيдан». فتفرق الجنود أيدي سبا . وفتشت الانزامية في الوحدات التي لم تكن قد هوجمت تط . وفي وسط التغيرتين اشتكى مجموعة بقيادة الجنرال «لاسخار» إلى «الدون» . وقاومت بعزم لا يلين . بيد أنَّ الجيش الروماني الثالث قد تفكك بمحمله . وعلى الطرق التي غطتها الثلوج هامت جموع من الرجال تأسفهم الرياح الجليدية . وكان العمل الوقائي الوحيد يكمن في شن هجوم معاكس . بيد أنَّ الحسائر والشباك قد أضفت الجيش الألماني بصورة تفوق الوصف . فمع ذلك فإنَّ تدخلاً سريعاً من فرقه الدبابات ١٤ . إلى الشممال من جيش «باولوس». قد أخرج الفيلق الألماني من مأزقه . ولكنَّ الفيلق المتصفح ٤٨ ، الذي كان يترجح بين أوامر مقاومة . راح يدور في ساحة القتال الجليدية وكأنَّه في دوامة . تغشيه جماعات الفارين . وهو يصطدم في كلِّ مكان بقوات متقدمة . إلى أن انتهى به المطاف إلى الفرار تجهازاً للتطويق . وأمَّا «فون هايم» . الذي أثلف الفزان نصف مصنهاته . فقد اعتبر مسؤولاً عن الكارثة وبقي أسيراً في سجن «هوابيت» العسكري حتى ١٩٤٥ !

في ٢٠ تشرين الثاني . وفيما كان «فاتوتين» و«روكوسوفسكي» ينطلقان غربي «الدون» . شن «إيرمكوف» هجوماً جنوبي «ستالينغراد» . فما كان من الفيلق الألماني الرابع إلا أن صمد لاصدقاء . ولكنَّ الجيش الروماني الرابع أنهار كما انهار الجيش الثالث في الاليه الساقطة . وسارع الجيش السوفيتي إلى نحو «كالاتش» . وهي مدير «الدون» الرئيس . ومنفذ اتصالات «باولوس» الحيوى . وحين رأته في ٢٢ كان حمود «روكوسوفسكي» قد استولوا على البحر . أمَّا عنصر المدفعية المضادة للطائرات الذي كان يقوم بحراسته . وبطارية ١٥٥ التي كانت تقوم بتعطشه . فلم يكونوا يتوقعوا حدوث ثغرة روسية . حتى إنَّ الجنود ظنوا أنَّ دبابات «ت - ٣٤» القادمة من «الدون» إنَّ هي إلا دبابات العدو التي استولى عليها . والتي كانت تستخدمها فرقه التدريب في «كالاتش» . وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان البحر في أيدي الروس . فيما طوق الجيش السادس .

وكاد «باولوس» نفسه أن يقع في الأسر ! فقد كان في مركز قيادته في «غلوبولينسكايا» على بعد ١٥ كيلم شمالي «كالاتش» . على ضفة «الدون» الغربية ، حين أقبل الروس في الساعة ١٤ . فأركنت الأركان

فأصدر أمر إلى قوة الاحتياط الميكانيكي الوحيدة . وهي الفيلق المتصفح ٤٨ الذي كان في أعقاب الجيش الإيطالي . بأن تتمركز وراء الجيش الروماني الثالث . كان هذا الفيلق ، وهو باسم الجنرال «فون هايم» . مؤلفاً من فرقه الدبابات ٢٢ . ومن الفرق الرومانية المتصفح الأولى الحديثة العهد التي لم تكن تملك سوى ٤ دبابات تشيكية سلاحها الضعيف الوحيد مدفعة من عيار ٣٧ . ولم تكن أحوال الفرقه ٢٢ مرضية : فقد شطر فوج دباباتها قسمين بغية إنشاء نواة لفرقه المتصفح ٢٧ . وأكثر آليات البطل التي حصلت عليها كانت دبابات «ب. ز. ل. ف. ٢ . ٣» . وهي لا تفاهي دبابات «ت - ٣٤» السوفياتية . وفضلاً عن ذلك كانت تنتظر «فون هايم» مفاجأة مصححة : كان يفتقر إلى الوقود . فاضطر إلى ترك دباباته الفرقه المتصفح ٢٢ محبطة تحت أكوام من القش . وعندما حان وقت إخراجها تبين أنَّ الفieran ، التي عافت القش لكتبه . قد التهمت كساء صمم المطاط في الدبابات . فعطّلت بذلك الجهاز الكهربائي ! ومن جملة دبابات الفرقه ١٤ تحركت ستون دبابة تقرباً استعداداً لمسيرة تبلغ ٢٥٠ كلم عبر طريق يكسوها الجليد . وقد بلغت ٢٢ دبابة منها فحسب موقع التمركز الجديد . ثم لحقت بها ١٢ دبابة في الأيام التالية . وفي ١٩ تشرين الثاني كان الفيلق المتصفح ٤٨ . وهو قوة المجموع المعاكس الوحيدة على عقدة «الدون» . مؤلفاً من حفنة دبابات رومانية معدمة . ومن ٤٤ دبابة ألمانية . منها ٣١ دبابة خففة .

كان ليل ١٩-١٨ ليلة مهيبة . وقد وصف شهود عيان فذكروا أنَّ صباحه كان «كالحليب». وعند منتصف الليل بدأ الثلوج يتتساقط . وفي الساعة ٤ باشرت المدفعية الروسية قصفاً مبيداً . مرَّاكراً على قطاعين ضيقين . أولئما في رأس جسر «سيرافيموفتش» . والآخر في رأس جسر «كريمسكايا» وفي الساعة ٨ انبثقت الدبابات حاملة عناقيد من الحمود يتسللون من جدرانها الخارجية . فوقع هجوم الغرب . الذي شنته الجيش المتصفح الخامس . على الفيلق الروماني الثاني . ووقع هجوم الترس . الذي شنه جيش الصدام الثالث . على الفيلق الروماني الرابع . لقد شاءت الأقدار أن يكون الرومانيون أضعف الحلفاء . كانت وحدات كثيرة من وحداتهم مضراً . وكان بعض جنرالاتهم ممتازين . وكان جنودهم متجلدين أقوياء على الطقس . وأفضل استعداداً من المجر . وخصوصاً من الإيطاليين . الخوض معركة عقائدية ضد «الاتحاد

وقد أخذ وقوده يشحّ . ولم يكن لديه من المؤن إلاً ما يكفي استة أيام . كان السرد واضحًا . ولكن الاستنتاج كان ينتمي إلى الحزم . فقد وقف متربدًا ، فيما احتدمت المناقشة في «نيجي تشير كايا» . فاتَّخَادَ شكل القنفذ الدفاعي ، بناءً على رغبة «هتلر» ، كان يفرض تمرينًا جويًا إلى أن يقطع الحلقة تدخيلًّا جيش جديد . وأمّا قائد الجيش الجوي الرابع ، «فولفراوم فون ريشتونف» ، فقد أبدى رأيه بصورة جازمة : إنَّ تمرين ٢٠٠٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠٠ رجل بطريق الجو تفوق طاقة طيران النقل . وتكتَّلَ جُنُّالَ المدفعية المضادة لطائرات . «مارتن فيغ» . في الموضوع ذاته . فقال «باولوس» إنه لم يبقَ أمامه غير حلٍّ هو إخراج جيشه من الفجح في الحال . إلاَّ أنَّ رأي «شميدث» : رئيس الأركان العامة ، كان مختلفاً ؛ قال إنَّ التراجع قد يكون «نايليونيًّا» . فيتطابق التخلُّي عن عتاد لا حصر له ، وعن ١٥٠٠٠ جريح . وإذا كان «باولوس» متربداً . فقد طلب من الفوهرر منحه حرية التصرف . وبما أنَّ التخلُّي عن «ستالينغراد» في الوقت الذي يغدو فيه الجيش السادس عاجزاً عن إغلاق جانبه الجنوبيّ .

وبعد ٤٤ ساعة كانت أولَّاكار «باولوس» قد تطورت . فبان له الوضع أشدَّ قتاماً ، ولذا أبرق إلى الفوهرر يقترح إحداث ثغرة في الحال الإنقاذ «جزر قسمين» على الأقل . وقد أضاف أنَّ قوَّادَ فيلقه الخامسة يشارِّفونه الرأي .

في الوقت نفسه كان قائد مجموعة الجيوش «فون فايكنس» يتكتَّلَ بخزَّانِ . قال في «إنجبر بورع» إنَّ تمرين عشرين عشرَين فرقاً بطريق الجو لا يمكن أن يغضُّي أكثرَ من عشرَ حجاجها . وسوف يفقد الجيش السادس المحاصر في بضعة أيام القسم الأكبر من قيمته القتالية . وأمّا محاولة إحداث الثغرة فستقود إلى خسارة كمية من العتاد . ولكن ليس هنالك حلٌّ آخر لتفادي الكارثة الشاملة .

وصل «هتلر» إلى «راسنبرغ» في ٢٣ . في الساعة الواحدة صباحاً . وأمّا «زيتزلار» ، الذي كان يتظاهر بفارع صبر . فقد أبلغ أنَّ الفوهرر تعَّبَ من جراء سفره . وأنَّه ان يستقبل أحداً قبل منتصف النهار . فاعتراض «زيتزلار» متذرعاً بطبع الأهمية الفائقة . وتمكنَ من فرض زيارته . وكلَّمَ كانت دهشته عظيمة حين وجد أمامه رجلاً صافِي الذهن ! فبعدَّما أكبَ «هتلر» على العمل مع «جو دل» في القطار . تمكنَ من إيجاد خطة ظنَّ أنها تؤُول إلى تلافي أزمة «ستالينغراد» . تقوم على استدعاء فرقاً أو فرقين مصفحةتين من «القفقاس» لإعادة فتح اتصالات الجيش السادس . فردَّ «زيتزلار» بأنَّ نقل فرقه كان يتطلب خمسة عشر يوماً . وأنَّ الجيش السادس سيبلغ إبان ذلك درجة الإعياء التام . وعندما افُرجَ إحداث ثغرة بمباشرة سأله «هتلر» ما إذا كان ينوي التخلي عن «ستالينغراد» . وإذا أجاب «زيتزلار» بالإيجاب صرَّ «هتلر» الطاولة بقبضته حنقاً وهو يصبح متربداً : «لن أتخلى عن «الفولغا» . لن أخلُّي عن «الفولغا» أبداً !» وازدادت الأخبار سوءاً خلال النهار . فالمحافظة على رأس الجسر الغربي «الدون» قد غدت صعبة للغاية . وأعاد «زيتزلار» الكلمة . فتمكنَ من زعزعة «هتلر» . رئيس الأركان العامة لمجموعة الجيوش «ب» . يعلمَه بأنَّ الفوهرر قد قبل بإعادة النظر في القضية . وبأنَّه سيعلن عن قراره في الساعة الثامنة . وأضاف قائلاً : «يدو لي مستبعداً أن لا يأمر «هتلر» بإحداث الثغرة من غير تواني . إنَّ بإمكان الجيش السادس أن يستعد» . ونقل «سودنشنرن» «النبا هاتفيًّا» إلى مركز قيادة «غومراك» . فانتشر النبا في الجيش محدثاً شعوراً بالارتياح يعرفه الذين يتذمرون أولَ نفحَة من الدواء التي بعد إقامتهم في مكان لا ينفذ له .

العامة إلى الفرار فوق «الدون» المتجمد . مخلفةً وراءها معدات فرق الدعاية . وآلة المطبخ . وطار «باولوس» ورئيس أركانه الجنرال «آزار شميدث» في طائرتين وحطَّا رحلهما في المقر العام الشتوي للجيش في «نيجي تشير كايا» . على متنقى «الدون» و«الشير» . أي خارج الجيش الذي أحدهُ العدو . فلما بلغت القلابات الأوضاع حداً أعنف وأقسى ! فقبلَ ليلتين كان بيسور «باولوس» أنَّ يعتبر أنَّ احتلال «ستالينغراد» . والنصر الذي سوف يحملُ اسمه . كانا على قيدِ أغملة . وفي الليلة السابقة كان قد تلقى من قائد مجموعة الجيوش «فون فايكنس» . أمراً غير متوقع بإعادة وحداته السيارة نحو الغرب . وفي الصباح كان يسعى لإدراك ما قد حلَّ بالجيش المجاور بهذه السرعة . وبعد الظُّهُور . ومن غير أن تلحق به المزيمة . وجد نفسه في وضع مضحك . وضع جرال انفصل عن جيشه ولا بالفرار قبل أول جندي من جنوده !

وبعدما أفلت «باولوس» من الفخ اعتقد برها أنه يستطيع إدارة العمليات من الخارج الإنقاذ جيشه . ولكنَّ برقة من «هتلر» أرجعته إلى مفهوم الواجب القاسي : «على قائد الجيش السادس أن يعود إلى «ستالينغراد» . ولوسُوف يستقرُ الجيش في جهة مغلقة بانتظار أوامر جديدة» .



رشاشون روس يشنُّون هجوماً في منطقة «سينيافينو» .

كان الوضع يتطلب ردَّة فعل سريعة . وبمادرات جريئة فإذا بتعليمات «هتلر» . الصادرة من «برشتغادن» . تفرض التريث من غير حراك . كان «باولوس» على أهبة الطيران إلى «ستالينغراد» ساعدةً بأبصر أحدَ زملائه في الشقاء . «هوث» . قائد الجيش المصطف الرابع . كان «هوث» قد فقد كل شيء : فوحداته الألمانية مطروقة في جيب «ستالينغراد» . ووحداته الرومانية منتشرة في السهوب الكلموكية . وكان وداع بين هذين القائدين اللذين كان أحدهما يمثل جيشاً مُباداً . والآخر يعود إلى الانضمام إلى جيش حكم عليه بالموت . وداع صلب . ولكنَّ مفعم بالعاطفة . وأفلعت طائرة «باولوس» وطارت على مستوى السهل الأبيض . ثمَّ هبطت بالقرب من محطة «غومراك» . على بعد ١٥ كلم من «ستالينغراد» . حيث كان المقرُّ الجديد لقيادة الجيش قد ناشر عممه . كان «باولوس» يسبط أركان عامة مثالياً . يتمتع بسرعة في التحليل وسهولة في العرض . منذ الساعة ١٦ وجَّهَ لقيادة العليا لجيوش البر تقريراً واضحاً عن وضعه الراهن : فالجيش السادس . الذي كان محاصراً . قد احتفظ برأس حربة «الدون» . إلاَّ أنَّ جانبه الجنوبي قد افتح .

فأجاب «كيل» : «يا سيدي الفوهرر . لا تخل عن «ستالينغراد» . قال «كيل» هذا بلهجة مسرحية . وهو في وفة تأثيث : وعیناه تقدحان شرراً . أمّا «جودل» فراح يقارن بين الحسنات والسيئات . وانهى إلى ضرورة البقاء في «ستالينغراد» بانتظار حلّ أفضل على الأقلّ . ولما سئل «زيترلر» رأيه أصرّ على موقفه : لإحداث ثغرة مباشرة . وأصفع «هتلر» بهدوء . ثم قال بتأدب قارص : «جزرال . لا بد أنك لاحظت أنني لست وحيداً في رأيي . وهذا الرأي يشاطرني ضابطان هما أعلى منك رتبة وأكثر خبرة . فسألوا إذًا بالقرار الذي اتخذه : إنني أمر بالدفاع عن «ستالينغراد» القلعة ! إلا أن هناك نقطتان واحدة كانت تكيف الأوضاع كلّها . وهي مدى إمكان تموين الجيش السادس بواسطة جسر جوي . فقد حدث ذلك في الشتاء المنصرم بالنسبة لحبيب «ديميانسك» . ولكن حبيب «ديميانسك» كان يضم أقلّ من ١٠٠،٠٠٠ رجل . وأمّا «ستالينغراد» القلعة ففيها ثلاثة أضعاف ذاك العدد ! ووجه السؤال إلى الجيش السادس فأعلن أنه بحاجة . كمحمد أدنى يومياً إلى ٧٥٠ طن من الذخيرة . والوقود . والعلف . والمؤن (٤٠ طن من الخبر) . وعندما سئل رئيس طيران القفل عن ذلك أجاب بأنَّ طنناً هي الحد الأقصى لإمكاناته . وعشياً مع التقليد العسكري . اعتبر الرقم الأول حدّاً أعلى . والرقم الثاني حدّاً أدنى . وكان «غورن» . الغائب الأزلي . في «باريس» . وبعد ما استشير هاتفيّاً أعلن أنَّ الحقيقة تقضي بالأخذ بالحل الوسط : فبمحisor طيرانه الحربي أن يتزل إلى «ستالينغراد» القلعة ٥٠٠ طن يومياً . فهو بذلك كفيف ب توفير حاجات الجيش السادس الأساسية . وقد حمل رئيس أركانه العامة «جيشوينيك» تأكيداً «لختلر» بهذا الصدد . ولكنه أحمل ذكر مكالمة من «فون ريشتونف» يطلب فيها أن يبلغ «هتلر» عن رأيه في أن إقامة جسر جوي أمر مسحال ! سقط القرار الذي اتخذه «هتلر» على المطوقين كالصاعقة . إن كلمة «قلعة» كانت تقرّ جمهوراً جاهلاً . ولكن الحامية كانت تدرك الأمور على حقيقتها . كانت «ستالينغراد» حرباً بباباً : فالآماكن القليلة في الدائرة المحاصرة قد أحرقت مما فيها . وأصبحت السهوب عارية تماماً . وفي الجبهة الشمالية كانت أشغال تخصير الأرض قد بوشرت في الصيف . إلا أن الجبهتين . الغربية والجنوبية . لم تتمّا بناء قناة واحدة . وقد بات مستحيلاً حفر الأرض المتجمدة . وفقد الخشب الضروري لبناء الملاجئ . لم يبق لدى الجنود غير فماثل خيامهم يتقرون به بiran العدو . والرياح الجليدية التي تبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر . وكانت ردة الفعل الأولى لدى الجنرالات اعتراضاً شديداً . قال «لينيكي» . قائد الفيلق الرابع . «لباولوس» : «إن رايحاو لا يطيق مثل هذا الأمر» . ففطأ طباً «لباولوس» رأسه وقال : «أنا لست رايحاو» . وكان يخمد اعترافات مرؤوسه باللحجنة التي لا تقبل أيّ جدال : على الجندي أن يطع . كان «سيدلر كورياخ» هو الجنرال الوحيد الذي لم ينتقدْ كما انقاد غيره . فقد كان مقتنعاً بالثغره للدرجة أنه أجل مخافر الأمامية . وأمر بإطلاق ما لا يمكن نقله . أو ما كان من العتاد لا طائل تحبه . بما في ذلك ثيابه الداخلية الإضافية ومعطفه الثاني ! وحرر «لباولوس» مذكرة طلب أن يبلغ لذوي الرتب العالية . وقد ورد فيها : إن ٥٠٠ طائرة . تنقل ١٠٠٠ طن يومياً . لا تقدر على تغطية حاجات الجيش السادس . وما يجدر عمله هو الإفاده من اللحظة السانحة التي ما يزال فيها العدو ضعيفاً في الجنوب الغربي من «ستالينغراد» لإحداث ثغرة باتجاه «كوتينيكوف» . وقال : «إذا كانت القيادة العليا لجيوش البر تكتف بقرارها القاضي بالصمود . فإني أرى أن واجبكم الضميري تجاه الجيش

في الساعة ١٠ لم تكن مجموعة الجيوش قد تلقت أمراً بعد . وإنما «سودنشتن» القلق . فاتصل هاتفيّاً «براستبرغ» . فلم يلق غير طلب يدعوه إلى التذرع بالصبر ! ولم تنقض دقائق معدودة حتى كانت أذن الرadio تلقط أمراً موجهاً مباشرة من هتلر إلى «باولوس» يدعو الجيش السادس إلى تنظيم صفوفه على الجبهة التالية : «ستالينغراد» الشمالية . الخط ١٣٧ . «مارينوفكا» . «زينكو» . «ستالينغراد» الجنوبية . فهذه الجبهة تمتّد بطول ٦٦ كيلم . وعرض ٤ كيلم تقريراً . وكان يجب التخلص عن رأس البحر على «الدون» . وكان يعتبر الباب السري للإفلات . وختم الفوهرر رسالته قائلاً إن بإمكان الجيش السادس الاتسّكال عليه في الوقت المناسب ! ..

وهكذا . لم يستطع «هتلر» التسليم بفكرة التخلّي عن «ستالينغراد» ! وحين أتاه «زيترلر» في الساعة الثامنة سمعه يتلفظ بعبارة جديدة : «إن «ستالينغراد» لقلعة ! «أجل . إنها كذلك . وإن الجيش السادس لها بمثابة الحامية . والحماية لا تخلّي عن القلعة التي كُلّفت بحميتها . قال «هتلر» : «إذا اقتضى الأمر ستبقى حامية «ستالينغراد» تقاوم الحصار



الليوتنان جرال «روكوسوفسكي» قائد جبهة «الدون» في مركز مراقبة الليوتنان جرال «بـ. با توف» قائد الجيش ٦٤.

طوال الشتاء . ولوسف أنقذها «جوهي الربيعي» . وعندما حاول «زيترلر» تقاديم البرهان على أن «ستالينغراد» لم تكن تملك من صفات القلعة شيئاً . عاد «هتلر» إلى الضرب بقبضته صائحاً : «لن أتخلى عن «الفولغا» ! ...» في ٩ تشرين الثاني . في «مونيخ» . كان «هتلر» قد تلفظ بالكلمات التالية : «ليست هناك قوة في العالم تقدر على انتزاع ما قد أمسك به الجندي الألماني ...» فكيف يقبل بأن يكذب بهذه السرعة ؟ واستشاط «زيترلر» غضباً . وصاح قائلاً : «يا سيدي الفوهرر ! إن التخلّي عن الجيش جريمة نكراء . فهذا يعني موت ربع مليون من الجنود الشجعان أو أسرهم . وإن خسارة جيش كبير لتحطّم عمود الجبهة الشرقية الفقرى ! ». وما إن سمع «هتلر» كلمة جريمة حتى انقض . إلا أنه تمّالك روعه . فدقق الجرس وطلب إلى حارس النوبة أن يدعوه المارشال «كيل» والجرال «جودل» إلى الدخول . ثم أُعلن بلهجة مقتنة أنه على وشك اتخاذ قرار خطير . وأنه لا يود التفرد بالرأي . فهو لذلك يطلب رأي أفضل مساعديه الصريح . سأله : «مارأيك . فيلد مارشال «كيل» ؟

ظهور "مانشتين" على المسرح

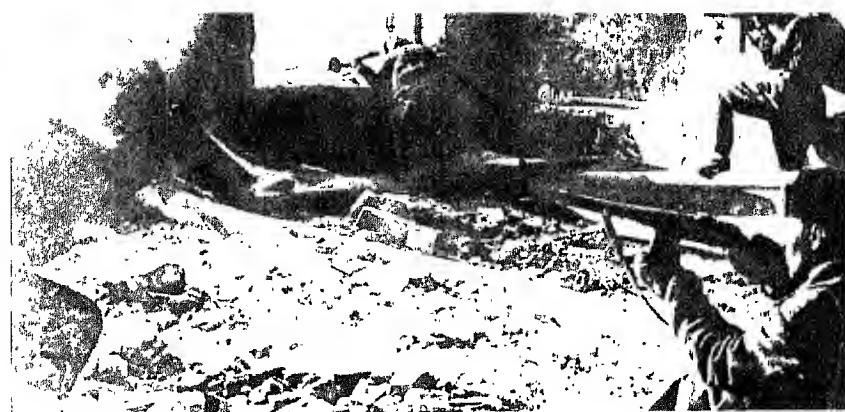
في سبيل الإفراج عن ذاك الجيش الأسير استدعى «هتار» «إيريك فون مانشتين» ساحر العسكري . والقائد المخطط الذي نازعه محمد خططة «سيدان» . والمدفعي الذي سحق «سيسيستو بول» . والمداور الذي حال دون رفع الحصار عن «ليسبنغراد» .

عشية ٢١ تلقى «مانشتين» . وهو في «فيتبشك» . أمراً بتسامم قيادة مجموعة جيوش «الدون» . وتنظر صياغة المهمة المسندة إليه سعة المسافة التي ما زالت تفصل القيادة العليا عن الواقع . كما تُظهر الدرك الذي انحطَّ إليه الفكر العسكري الألماني . كان على «مانشتين» «إيقاف زحف العدو» . وإعادة الموقع إلى ما كانت عليه سابقاً . وهكذا غداً الجنرال «غاملان» . صاحب الأمر المؤثر «رقة واستعد» . معلمَ قاهره ! لم يتسرع «مانشتين» : فيدل أن يغامر بنفسه فيستقلُّ الطائرة وسط العواصف الثلاجية العاتية . سافر في قطار قيادته . ولم يصل إلى «ستاروبلسك» . مقرَّ قيادة المجموعة «ب» التي كان عليه أن يجزئها ليُولَّف قيادته . إلاَّ في ٢٤ . هنا تستنى له أن يسرِّ خطورة الموقف . ويقيس نقل المهمة وفق الوسائل التي منتهاها لنهاوض بها .

وضع تحت إمرة «مانشتين» الجيش السادس (المحاصر في «ستالينغراد» والمسمى إلى الحصين بأمر «هتار») . والجيش الرابع المصفَّح (ولم يبقَ منه غير الفرقة الآلية ١٦) . والجيش الروماني الثالث (الذي ما زال جناحه الأيسر وحده سليماً) . ثمَّ الجيش الروماني الرابع (وقد عانى من التلف أكثر من الجيش الثالث) . ووضعت تحت تصرُّفه كذلك بقایا الفيلق المصفَّح ٤٨ . وفرقة جيش «هوليدت» المأولة من أجتثاد ألمانية ورومانية مختلطة : وهناك . أخيراً . عدَّة فرق مصفَّحة كانت في طريقها إليه . دُعيت اثنان منها . وهما الـ ٢٣ القادمة من «القفقاس» والـ ٦ الآتية من «فرنسا» . في الجنوب من «ستالينغراد» . إلى بناء جيش الدبابات الرابع . المكلَّف بكلِّ الحصار عن «باولوس» . على أن تلحق بهما فرقة أخرى هي الـ ١٧ .

لو تمَّ مثل هذه القوات أن تختشد وتستريح . لما كفت لنهاوض بالمهمة المزدوجة الرابية إلى إيقاف الزحف السوفياتي . وإنقاذ الجيش السادس : فكيف بها وهي تعية ناقصة مشتملة؟! والتجددات القادمة من «فرنسا» و«القفقاس» تجرَّ نفسها على خطوط حدوديه مشرعة لكلِّ ريح . أمَّا الوحدات الأخرى فموزعة على ميدان قتال يبلغ ٨٠٠ كام يمتدُّ من «الدون» . الذي يُسند إليه «هوليدت» ميسرتَه . حتى السهب الكلم وكيف حيث تتبع الفرقة الآلية ١٦ . في الفراغ . مهمَّة الوصول بين «القفقاس» و«الفولغا» . فمن المدهش المعجز حقاً أن يقف الروس على «التشير» وأمامهم «خليلٌ» جيش يتألف من فارسيين أوقفوا في فرارهم . وجندوا تابعين لسلاح الطيران . وبأدوزين من جيش «باولوس» . وغيرهم . بدأ أن يغيروا على «روستوف» حيث يستطعُون أن يقطعوا خطوط تراجع مجموعة الجيش «أ» . بيد أنَّ استراتيجية الروسية المنظومة لم تكن تغيِّر التسرُّع . ولم تندفع لاحتلال الفرص السانحة الباهرة . وحتى لم تقدر بدقة تضعضع الخصم المائل الذي عرفته في السنة السابقة . كان يوسع القيادة السوفياتية أن تفرض على «مانشتين» معركة يائسة من أجل «روستوف» . ولكنَّها تركت له فرصة القيام بمحاولة أخيرة من أجل «ستالينغراد» .

مدفع ألماني من طراز «فرديناند» وقد ألقمه العدو ضربات الموت !



«كانت خرافات الأركان تحَدُّد المواقع استناداً إلى المنازل في الأحياء ، واستناداً إلى ركام الخراب في المعامل». (تشوبوكوف).

والشعب يفرض عليكم بإلحاح أن تأخذوا بزمام الأمور للمرء فاجعة كبيرة . إلاَّ وهي إبادة ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وفقدان عتادهم . أنا لا أرى للخيار مجالاً !

إنَّ اسم «سييدلتز» لصفحة من أنسع صفحات التاريخ العسكري البروسي . والسطور الآتقة الذكر . التي تعتبر إطلاقاً أجرأ تحَدُّد «هتار» قابله به أحد ضباطه . كانت بمثابة حكم ذاتي بالموت . وبات «سييدلتز» ينتظر أن تأتي طائرة لنقله إلى خشبة الإعدام . ولكنَّ «فون فايحس» كان قد أوقف المذكورة . فإذا «سييدلتز» يتلقى أمراً بأن يشمل بقيادته جهة الجيب الشمالية بكاملها . وعندما سأله «باولوس» عن عزمه أجاب : «ما أنتَ لن تعصي الأوامر . فإنه لم يبقَ أمامي سوى الطاعة» . وبasher الجسر الجوي نشاطه . فأفلعت من مطاري «تازنيسكايا» و«موروسوفسكايا» . على عقدة «الدون» . مئة طائرة «يونكرز» من ذوات الثلاثة محركات . فيحط بعضها في «بيتموبل» . وبعضها الآخر في «غمراك» . بعدما قطعت مسافة ٢٠٠ كلم . وعادت هذه الطائرات محملة بالجرحى . في البداية لم تكن الحسائر التي سببها العدو بالغة . إلاَّ أنَّ الحسائر الناجمة عن ردَّة الأحوال الجوية . وعن إرهاق العتاد . كانت فادحة للغاية منذ اللحظة الأولى . بدأ النتاج اليومي بخمسين طنناً تقريباً . ولم يرتفع إلى حدود المائة إلاَّ ببطء . وكان الطيران يدعو المحاصرين إلى الصبر بقوله إنَّه كان بحاجة لبعض الوقت لكي ينظم شؤونه .

كان الإحساس يشير إلى وجود القوات التالية في الجيب :

٤٠٨ . ١١ . ٥١ . والفيقاق المصفَّح ١٤ . وفرق المشاة ٤٤ . ٧٦ . ٧١ . ٤٤ .
٧٩ . ٩٤ . ١٠٠ . ١١٣ . ٢٩٥ . ٣٧٦ . ٣٧١ . ٣٠٥ . ٣٨٤ . ٣٧٦ .
٢٤٣ . ٣٨٩ . والفرق الآلية ٣ . ٢٩ . ٦٠ . ٢٩ . والفرق المصفَّحة ١٤ . ١٦ . ١٤ .
و ٢٤ . وفيقاق المدفعية المضادة للطائرات الثامن . وفوجي الصواريخ
٢٤٥ . ٢٤٥ . ١٢ . كتيبة هندسية . فضلاً عن ١٤٩ تشكيلة
مستقلة . من المدفعية الثقيلة . إلى البريد . وفرقتيين رومانيتين . وفيقاق
كروياتي . يا له من جيش كبير . قوي . باسل ! ..



فيما راحت الفرقـة الـ٢٣ الواقعـة إـنـيـها تـقـدـمـ . مـعـ صـعـقـهـاـ . بـإـزاـءـ
الـحـطـ الحـديـديـ الذـيـ كـذـسـ عـلـيـهـ ٣٠٠٠٠٠ـ صـنـ منـ اـمـوـلـ وـأـنـقـودـ
ليـزـرـ وـدـ بـهـ الـمـحـاصـرـونـ . وـفـيـ ١٩ـ يـاـنـيـ الـخـتـمـ اـمـيـشـكـوـفـاـ بـعـدـمـ قـصـمـواـ
١٣٠ـ كـلـمـ مـنـ الـمـسـافـةـ فـاـصـلـةـ بـيـنـ الـجـيـشـ الـرابـعـ الـمـصـفـحـ وـالـجـيـشـ اـسـادـمـ .
وـبـالـغـةـ ١٨٠ـ كـلـمـ . وـإـذـاـ مـلـمـرـرـينـ يـبـيـسـونـ فـيـ السـمـاءـ الـأـنـوـارـ الـكـاشـةـ
الـمـبـعـثـةـ مـنـ الـمـدـافـعـينـ عـنـ «ـسـتـالـيـغـراـدـ»ـ .

ويع هذا لم يقع «مانشتن» فريسة الغرور والأوهام . اعماه ناد
الآحداث المتدافعه أمام «روستوف» لم تبقَ تفسح له إلا وقتاً ضيقاً
محدوداً . وأنه لم يبقَ أمام الجيش السادس غير فرصة واحدة . ألا وهي أن
يعد إلى إسعاف نفسه بنفسه . فيمضي بسرعة لقاء «هوت» . أصدر
إليه «مانشتن» أمراً بذلك . مضاععاً أحاديثه المائجية مع «باولوس» .
وإذ قلق لتخفيظ هذا الأخير أوقف إلى الجيب أحد خبيط أركانه .
البيجر «أيسمان» . الذي مالبث أن عاد واصفاً ذلك الوضع التشيء الغريب
الذي كان يعانيه قائد الجيش السادس ورئيس أركانه . وبخلاصة تفكيرهما
أنهما غير مسؤلين عن التطويق . وأن من حقهما بالتالي أن يتظروا
إنقاذهما . وهما . إلى ذلك . يدعيان أن إمكانية تحرك الدبابات المنه
المتبقي للديها لا تتعدي ٣٠ كلم تقريباً . حيث تضطر إلى التوقف
بسبب نفاذ الوقود فيقضي عليها قضاء مبرماً . فيما لو شئنا هجوشهما قبل
أن يصل «هوت» إلى تلك المسافة على الأقل . وعبأ أجاب «أيسمان» بأن
المجازفة التي يرافقان الإقدام عليها ليست شيئاً إلإ خطر الموت جوعاً
وقطاعه التفنن في الأسر » . فقد أصر «باولوس» و «شميدث» على
موقفهما لا يلينان . وإذا أعيت الحاجة «أيسمان» استنصر سلطنة المارشال
«فون مانشتن» . فما كان منها إلا أن استنصرا ساطة أسمى هي
سلطة الفوهرر .

ذلك أن «هتلر» كان قد حظر على حامية «ستالينغراد» أن تخرج -
عيّناً «زيتيلر». الذي ما انفك يطالب بغير وجهها صباح مساءً . أنه يعتذر
الجيش السادس ناجياً من الورطة . وأنه، بدلاً أن يقبل بإخلاء «ستالينغراد»
يفكر ببسط مغامته على ضفاف «الفولغا». وعندما خسِل «زيتيلر» أنه
قد أفقعه . قدم له الأمر بفتح التغرة ليوقع عليه . فوقع «هتلر» . تم
أضاف بخط يده هذا الشرط الذي نسف كل شيء : «مع التحفظ
الواضح التالي : أن يظل الجيش ممسكاً بخط «الفولغا»! ...»
ولقد بُتِّ في الموضوع على كل حال. إذ نزلت بخيوش المحور كارته
قضت على مصر الجيش المحاصر في «ستالينغراد». فبعد المجزمة
الرومانية . تجمدت الجبهة تقريباً عربياً «الدون». عادت مجرى النهر
حتى «فيشنكابا». ثم انحرفت نحو الجنوب فالتفت «التشير» وحاربه
حتى ملتقاه . ثم عادت فلتقيت «الدون» شمالي «بورتسكينايا». لم يبق
لآخر المتجمدة أية قيمة عاقنة . أمّا الواقع الدفاعي فلا أثر لها . وأماماً
السهوب فلا تقع تقدّم الدبابات إلا بثalogها . وهبط ميزان الحرارة إلى
٣٠ أو ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر . فاستولى الذهول على الإيطاليين
الذين كان حلفاؤهم قد أكدوا لهم أن البرد لا يتعدي الدرجة الخامسة
أو السادسة في جنوب «روسيا» : فقفز الرجال نظراً لقلة اللباس وسوء
التغذية . كانت الشمس تظهر أحياناً فتحات من الثاج سحراً . إلا أن
ضابطاً من جليد كان يكسو الجسد عادة . ولا ينتفع إلا بكشف عن
سماء من رصاص .

أشرفت على الجبهة . من الشرق إلى الغرب . بقایا الجيش الثالث الروماني . ووفرز من جيش «هوليدت» . والجيش الثامن الإيطالي . والجيش الثاني المجري . ولم يخفَ على أحد أنَّ أضعف حفارات هذه السلسلة الطويلة كانت الحلقة الإيطالية . فلق «هتلر» لذلك . استناداً إلى

قال المارشال إليرينكنكو : «لو توافرت هذه المحاولة الأخيرة للجراة الكافية لكُللت بالنجاح ». وقال : «حتى ٢٤ كانون الأول لم تكن لنا في قطاع «كوتانيكوفو» غير قوات ضئيلة. كان الجيش الى ٥١ ضعيفاً جداً. فيما لا يمثل فيلق الفرسان الرابع إلا كافية نقل عن كوكبة واحدة في الكيلومتر ... كان باستطاعة فرقه الدبابات السادسة الواسعة من «فرنسا» كاملة طازجة أن تشق طريقها نحو المطرفيين منذ ٤ كانون الأول ... يد أن المغاربيين ذهبوا. هذه المرة أيضاً. صحيحة رتوبهم. فتقرب علينا «مانشتاين» بعشرة أيام ! ».

كان «مانشتاين» قد أعدَّ أولَ الأمر مناورة عالمٍ خبيرٍ . كان على «هوليدت» . القائم في حلقة «الدون» . أن يُغيِّر على «كالاتش» فيستعيدهما . وكان على الفيلق المصفح الـ ٤٨ . الذي أعيد تنظيمه بالاعتماد على فرقة الدبابيات الثانية ، أن يكرر . انطلاقاً من رأس الجسر الذي كان قد احتفظ به أمام «نيجيٍّ تشير كابا» ، لدعم المجموع الرئيس الذي يشتبه في المصفح الـ ٤٧ ، انطلاقاً من منطقة «كوتلينيكوفو» . غير أنَّ جمع «هوليدت» برمته كان مأموراً بالدفاع عن «التشير» : أمّا الفيلق الـ ٤٨ فقد طرد من رأس جسرو ولم يبقَ بوسمه أن يشترك في التحالف . فيدلاً من أن تقوم حاولة فلك المصار على اندفاع متعدد الأطراف مركز الاتجاه . تخلص إلى حدود مجهود فرد يبذله الفيلق الـ ٥٧ . ضرب ٢ كانون الأوَّل موعداً للهجوم ، ثم أرجيَ إلى ٨ . ثم إلى ١٢ . بسبب بطء حركة النقل .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ نزاعاً في وجهات النظر قد ذرَّ فرنه بين «ماشتاين» و «هتلر». كان لكلَّ من الرجلين ، بشأن فكَّ الحصار عن «ستالينغراد» ، نظريةٌ تختلف عن الأخرى تمام الاختلاف ؛ فالمارشال برييد إنقاد الجيش السادس ليضمه إلى القوات المترنكة في الجبهة الشرقية ، فهو يرى أنه ، ينساب عبر الثغرة المقتوحة لاستعادة تنظيمه في منطقة «روستوف» ؛ ويريد في الوقت ذاته أن تسحب مجموعة الجيوش «أ» من «الففقاس» حتى «الدون» . واعتتماداً على كتلة المناورة الضخمة هذه ، التي توافر بقليل مسرح العمليات . يعتقد «ماشتاين» أنه قد يصبح بالإمكان حدَّ الزحف السوفيتي ، وربما تكيد الجيش الأحمر تلك المزعجة الخامسة التي طال انتظارها . وهو بالطبع يطمع إلى إدارة محمل المعركة ؛ وإذ يعمد إلى إثبات ضرورة خلق قيادة علياً للجبهة الشرقية . لا بدُّع مجالاً لشكِّ في هوية القائد العام الذي يذكر به : إنه هو ...

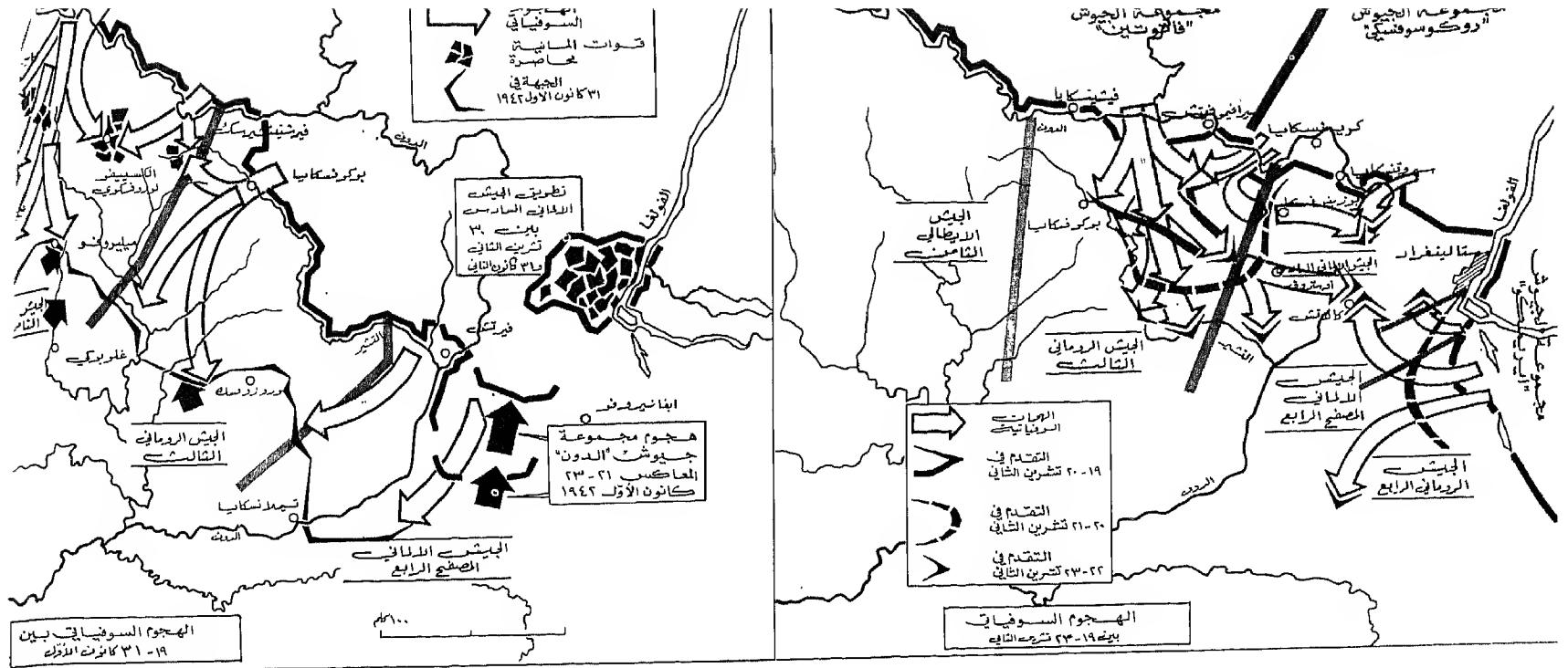
أما أن يكون «مانشتنين» أقدر من يستطيع القيام بهذا الدور . وربما القدير الأوحد . فلم يكن ذلك موضوع جدل : ذلك أنَّ ساعة «هتلر» العسكرية قد تفجست . وإن صعَّ أته تحفَّض في أول الحرب عن أفكار رائعة . وإن صعَّ أته قد أفقد الجيش الألماني شتاءً ١٩٤١-١٩٤٢ . وإن صعَّ كذلك أنَّ خطَّة حماته الصيفية تشكَّل آخر فرصة تختبَّط «المانيا» شرَّ هزيمة شامة . فصحَّح أيضًا أنة قد أُمسي بعد اليوم ييشَّل المطر الأكبر والعدوَّ الأظام الأغشم . ذلك أنَّ كلَّ فكرة سراتيجية قد احْسَنَت من عقله . فلم يبقَ فيه غير إرادة عاتية عمياء في الإبقاء على مكاسبه : فلَكَ الحصار عن «ستالينغراد» لا يعني في نظره استرجاع جيش بغية الإمساك من جديد بِـ مام المادرة في العمليات . بل لا يمثل غير إمكانية المحافظة على القدم التي وطئ بها ضياف «الفولغا» .

بدأ الزحف على «ستالينغراد» ناجحاً باهراً . لم تتعذر قوة إحدى الفرقتين المصطفتين التابعتين للفيلق الـ ٤٧ . وهي الفرقة الـ ٢٣ . القادمة من «القفقاس» . ٤٠ دبابة . أما الفرقة السادسة الآتية من «فرنسا» فكانت كاملة . وإذا بالغارة الأولى تحملها إلى شقّ «الأكساي» . فعبرته في ١٣ .

قافلة بريطانية في طريقها إلى "الاتحاد السوفيatic"

في صقيع «المحيط المتجمد الشمالي» الأبيض راح هؤلاء البحارة يكسرؤن طرق الجليد على جسر مدهور. إنها إحدى السفن التي قامت بحراسة قافلة حملت إلى «الاتحاد السوفيatic» زاداً وعندما . كانت طريق القوافل تمر بين «إيسندا» و «غرينلاند» ، ثم تند شمالة فتقاطع البحر الأبيض . وتعود قبضط جنوباً فتقاطع البحر الأبيض . أمّا خاتمة مطافها وكانت «أرخانجيلسك». إنها طريق هائلة ! فقد بلغ طولها 7 آلاف كيلومتر . وكانت الأخطار تحفّ بها من كل جانب .





مراحل معركة «ستالينغراد»

القتال في منطقة «موروسوفسكايا» ، فعيّن «هوت» . وقد أدرك الخطأ . الفرقة السادسة ، وهي أقوى فرقه ، فانطاقت هذه باتجاه «بوتينسكايا» عبر عاصفة ثلجية ، مودية بالآخر فرصة لإنقاذ محاصرى «ستالينغراد» .

إحتضار الجيش السادس

بعد انقضاء عيد الميلاد خطفت حصة الخizer من ٢٠٠ عرام إلى ١٠٠ غرام . وفي أول كانون الثاني أبلغت دائرة الصحافة عن أوائل الوفيات الناتجة عن الحرارة . فقد أثبت أنه لا يمكن تموين الجيش السادس عن طريق الجو . ولكن يفي الطيران الحربي بوعد رئيسه المذنب . راح يقوّم بجهود بطولي لا طائل تحته . متكتباً خسائر جعلت من «ستالينغراد» معركة جوية تصاهي بشمنها الباهظ معركة «النكلترا» : فقد فقد طائرة نقل . و ١٤٩ مطاردة . و ١٢٣ قاذفة . وكانت الأحوال الجوية معاكسة دوماً : فحين تكون السماء صافية فوق «ستالينغراد» تكون مقطبة الجبين في منطقة «روستوف» . والعكس بالعكس . مما أدى إلى إعاقة انتظام الحسّر الجوي إما في نقطة الانطلاق وإما في نقطة الوصول . وبعدها أن الروس قد استولوا على «تازينسكايا» و «موروسوفسكايا» . فقد نقاوا مطارات الانطلاق إلى «سالسك» و «أنوفوشراسلك» و «تشيرنيكوفو» . فتضاعفت المسافة . وانخفاض نتاج الطائرات . هذا ، وإن المعدل اليوني للتسليم . خلال الحصار بكامله ، لم يتجاوز ٩٤ طنًا . وهو معدل دون خمسين ما وَدَ به «غورنخ» .

أخرج «هتلر» الجنرال «هوبى» من الجيب ليقلّده أوراق السنديان التي أضيفت على صلبيه من رتبة كوماندور . فقال «هوبى» : «ياسيدي الفوهـرـ . لقد أمرت في الماضي بإعدام بعض جنرالات الجيش رميـاـ بالرصاص . فلماذا لا تأمر الآن بإعدام جنـرـالـ الطـيـرانـ الذي وعدـكـ بـتـموـينـ «ـسـتـالـينـغـرـادـ»؟»

لقد تلاشـىـ كلـ أـمـلـ فـيـ الإنـقـاذـ ؛ـ «ـفـهـوـتـ»ـ قدـ تـرـاجـعـ .ـ خـطـوةـ خـطـوةـ فـيـ الـبـدـءـ ،ـ وـالـغـيـظـ يـتـأـكـلـ قـلـبـهـ .ـ وـنـ ثمـ تـرـاجـعـ بـسـرـعـةـ مـعـجـلـةـ .ـ وـسـتـشـهـدـ بـدـاـيـةـ ١٩٤٣ـ الـجـيـشـ المـصـفـحـ الـرـابـعـ عـلـىـ «ـالـكـوـبـرـيـ»ـ .ـ عـلـىـ بـعـدـ ٢٠٠ـ

محصر ١٢ كانون الأول . ولكن لم تتوافر هناك أية قوة ألمانية لدعم فرق الجنرال «غاريبولي» ، الذي انسحب فيلقه الأربع ٢٩ ، ٣٥ و ٢ . والفيق الجنبي ، على جبهة يبلغ طولها ٢٧٠ كـلـمـ . وبـاتـ تـنـتـرـ الصـدـمـةـ التي كانت هيئة الأركان تتـبـيـنـ إـعـادـهـاـ كـمـاـ فيـ كـتـابـ مـفـتوـحـ .

ولقد انهـلـتـ الصـدـمـةـ تـلـكـ فيـ ١٦ـ كانـونـ الأوـلـ .ـ إـذـ عـبـرـ جـيـشـ الحرـاسـةـ السـوـفـيـاتـيـ الأوـلـ نـهـرـ «ـالـدـوـنـ»ـ وـسـطـ الضـبابـ .ـ وـانـقـضـ عـلـىـ قـلـبـ الحـبـهـ الإـيطـالـيـةـ .ـ فـعـادـ السـهـبـ يـمـتـلـئـ بـجـمـاعـاتـ المـنهـزـينـ .ـ وـلـقـدـ نـقـلـ شـاهـ عـيـانـ .ـ هـوـ الجنـرـالـ الـأـلـمـانـيـ «ـفـرـيـتـرــيـكـوـ»ـ .ـ ذـاكـ الـأـنـطـابـ النـاتـجـ عنـ زـمـرـ الجنـنـوـدـ الإـيطـالـيـيـنـ .ـ وـلـيـسـ لهمـ فـمـ منـ السـلاحـ غـيرـ قـيـشـارـةـ .ـ السـائـرـيـنـ نـحـوـ الـغـرـبـ .ـ وـهـمـ يـنـشـدـونـ رـغـمـ قـساـوةـ الـبـرـ .ـ وـقـدـ أـبـرـقـ «ـهـتـلـرـ»ـ إـلـىـ «ـمـوـسـوـلـيـيـ»ـ يـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـنـاشـدـ جـنـودـ الـكـفـ عنـ الـهـرـبـ .ـ أـمـاـ «ـالـدـوـتـشـيـ»ـ الـحـانـقـ فـلـمـ يـجـبـ !

تقدـمـ الـرـوـسـ مـسـافـةـ ٢٥ـ كـلـمـ مـنـذـ مـسـاءـ ١٦ـ .ـ تـمـ اتسـعـ الرـحـفـ فيـ الأـيـامـ التـالـيـةـ .ـ فـزـحـ جـيـشـ السـوـفـيـاتـيـ السـادـسـ فيـ الـمـيـمـةـ الـرـوـسـيـةـ عـلـىـ «ـفـوـرـشـلـيفـغـرـادـ»ـ وـ «ـسـتـالـينـوـ»ـ .ـ وـ فـيـ الـمـيـسـرـةـ مـدـدـ جـيـشـ الحرـاسـةـ التـالـيـ .ـ وـ جـيـشـ المـصـفـحـ الـخـامـسـ .ـ الـمـجـوـمـ حـتـىـ جـبـهـةـ «ـالـتـشـيرـ»ـ .ـ كـانـتـ مـجـمـوعـةـ «ـهـولـيـدـتـ»ـ الـمـطـوـقـةـ تـاضـلـ فـيـ ظـرـفـ صـعـبـةـ .ـ فـوـقـتـ مـهـرـاتـ «ـالـدـوـنـيـزـ»ـ السـفـلـيـ :ـ «ـكـامـينـسـكـ»ـ .ـ وـ «ـشـاـتـينـسـكـ»ـ .ـ وـ «ـفـورـشـتـادـ»ـ .ـ تـحـتـ الـتـهـدـيدـ الـمـبـاـشـرـ .ـ وـ تـرـضـتـ «ـ روـسـوـفـ»ـ لـلـخـطـرـ .ـ وـ بـاتـ الـأـلـمـانـ عـلـىـ وـشـلـ الـوقـعـ

فيـ «ـسـتـالـينـغـرـادـ كـبـرىـ»ـ تـضـمـ مـلـيـونـ رـجـلـ !

كانـ وـضـعـ جـيـشـ الدـبـابـاتـ الـرـابـعـ خـصـوصـاـ مـتـهـرـاـ :ـ فـيـنـاـ كـانـتـ الجـبـهـ الـأـلـمـانـيـةـ تـهـارـ .ـ وـ بـيـنـاـ كـانـ الـمـجـوـمـ الـرـوـسـيـ يـهـدـدـ «ـ روـسـوـفـ»ـ .ـ كـانـ ذـاكـ جـيـشـ ماـ يـرـازـ يـتـشـبـثـ بـشـقـ «ـمـيشـكـوـفـاـ»ـ رـيـشـماـ يـعـتـزـمـ جـيـشـ «ـ باـلوـسـ»ـ عـلـىـ الـخـرـوجـ مـنـ «ـ سـتـالـينـغـرـادـ»ـ .ـ كـانـتـ الـمـهـمـةـ ذاتـ الطـابـعـ الـمـقـدـسـ .ـ وـ الـقـاضـيـةـ بـإـنـقـاذـ ٢٠٠٠٠ـ رـفـيقـ .ـ تـرـفـعـ الـمـعـنـوـيـاتـ .ـ بـيـدـ أـنـ «ـ هوـتـ»ـ مـاـ اـنـقـلـ يـنـذـرـ بـأـنـهـ لـاـ يـمـاسـكـ فـيـ مـكـانـ إـلـاـ بـخـيـطـ وـاهـ .ـ وـ أـنـ تـرـاجـعـ بـاتـ رـهـينـ سـاعـاتـ مـاـ لـمـ يـبـادرـ جـيـشـ السـادـسـ إـلـىـ لـقـائـهـ .ـ إـلـاـ أـنـ نـداءـ أـصـدرـتـهـ مـجـمـوعـةـ الـجـيـوشـ .ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ بـيـوـمـينـ .ـ أـتـيـ يـعـجـلـ فـيـ هـذـاـ التـرـاجـعـ :ـ ذـاكـ أـنـ «ـ ماـنـشـتـايـنـ»ـ قـدـ أـطـلـعـ «ـ هوـتـ»ـ عـلـىـ الـوـضـعـ الـقـائـمـ غـرـبـيـ «ـ الدـوـنـ»ـ .ـ وـ طـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـتـخلـيـ عـنـ إـحـدـيـ فـرـقـهـ الـمـصـفـحـةـ فـيـ مـحاـوـلـةـ لـرـكـيـزـ

في ٣١ كان القتال قد انتهى من الوجهة العملية . وقد وصف أحد أواخر لاسكبي الجيش السادس الوضع على الوجه التالي : «لقد هام الجنود على وجههم ، والذين استمرروا في القتال كانوا قلائل ، ولم يبق للقيادة أية فعالية ...» واستأنف بعد لحظات ، في الساعة ٤٥:٥: «لقد وصل الروس إلى الموقع المحسن . وستلتقط الجهاز فوراً ...» وأعقبت هذا الوصفَ ثلاثَ مراتَ ، الإشارةُ التالية : «ث.ل.» التي تعني : «لن تعود هذه المحطة إلى البث ...». بلغ الروس «اويفيرماخ» بالفعل . وقد آتت أقيتها أحدث المارشالات عهداً ، أول مارشال للهزيمة خلقه «هتلر» . لم تتنطلق رصاصة واحدة . وتقدم مفاوض سوفيaticي يفرض الاستسلام ، فاقتيد إلى الموقع المحسن الذي خرج «باولوس» منه وهو شديد النحول . أجل ، إنّه يستسلم . كلاماً لم يبق لديه ما يعتقد على صيحة المولاة ، على تحية «هایيل هتلر» التي كان يطلقها في الأمس . فقد انطلق مثل ضبّاط الأركان العامة نحو الأسر بصمت مطبق ! ولقد بلغتنا اللعنات التي استنثر لها «هتلر» على أثر ذلك من خلال نصها الاحترازي . قال : «إنَّ الرء ليقتل نفسه برصاصته الأخيرة ... أنا أحترق الجندي الذي يستسلم . «كجبرو» ... في «المانيا» يتصرّ ٢٠٠٠٠ شخص سنياً . وإنَّه لن السخف أن يعجز قائد عن أن يقوم بما تقوم به امرأة مُسْ شرفها ... لن أخلق مارشالات بعد اليوم ... إنَّ دهليز عشرات الآلاف من الجنود قد حجبها جبن جندي واحد ... سوف ترون أنَّ الروس سيرغمون «باولوس» و«سيدلر» على الكلام في الإذاعة . ولا شكَّ أنَّهما سيختاران رجال الجيب ، وسيبحثان الجيش الألماني بكامله ، على الاستسلام».

لم يحصل «باولوس» على متسع من الوقت لحثّ «رجال الجيب» على الاستسلام : فقد استسلم الباقون منهم في ٢ شباط . وقد أخطأ «هتلر» كذلك تقدير التاريخ الذي سيدعو «باولوس» فيه الجيشَ والشعب الألمانيين إلى إلقاء السلاح ، فاللجنة الوطنية لتحرير المانيا لم تؤسس إلا في ١٣ تموز ١٩٤٣ برئاسة الكونت «بسمارك - إنكل» والجزائري «فون سيدلر» . إلا أنَّ انضمام «باولوس» إلى المقاومة الألمانية الخارجية قد استغرق من الوقت أكثر من هذين الاسميين التاريخيين . فهو لم يشد عزمَه على ذلك إلا بعد ٢٠ تموز ١٩٤٤ ، بعدما بلغته أخبار التعذيب الذي خضع له بعض الجنود الذين كان يكنّ لهم أكبر قسط من الاعتبار . أمثال «فيتزلين» و«هوينر» .

قال أحد الذين كتبوا سيرة «باولوس» : «لقد وجد «باولوس» صعوبة جمة في الوصول إلى قرار نهائي . وكان يميز بعنه كثير الحق من الباطل ...»

إنَّ أكبر الماهب العسكرية ما كانت تنتقد الجيش الألماني من المزيعة في ١٩٤٢ : أمّا نقاد «باولوس» الخاصة فقد أسمحت في إعطاء هذه المزيعة طابعاً ساحطاً .

كلم من «ستالينغراد» . فلقد بات التخلّي عن الجيش السادس أمراً واقعاً . كان الوضع في الجيب يفوق كلَّ وصف ، فقد خففت حصة الحبز إلى ٥ غراماً ، وكان الوقود نادراً جداً . حتى أنَّ الآلات الوحيدة التي أذن باستخدامها كانت الدرجات التاريتية ذات المعد الجانبي . وأمّا الجرحى الذين جرى إجلاؤهم فقد كانوا أولئك الذين تمكّنا من الزحف بأنفسهم للوصول إلى المطارات . وراح الثالج يتضخم بتلال من جثث . جثث الرجال الذين قضوا نحبهم من الجوع والبرد .

في ٨ كانون الثاني رفر علم أبيض في مقدمة المخافر الأمامية . فقد قدم مفاوضون سoviatici ثلاثة يعرضون على «باولوس» استسلاماً مشروفاً . ولكنَّ «باولوس» رفضه بناء على أمر من «هتلر» . وأمر بالرد بالثار على كلَّ محاولة جديدة للمفاوضات . وفي الغد قام الروس بالمجموع . دفأ على الألمان عن أنفسهم دفاعاً مستيناً . وكان هدف المعركة مطار «تيتوينيك» الذي كان يتحمّل أكبر قسط من النقل الجوي . فاستول الروس عليه في ١٦ . فلم يبقَ التموين ممكناً إلا من خلال مطار «غومراك» الفاسد ، ومن ثم بواسطة المطلاطات بعدما سقط المطار في أيدي الروس . لقد فقد أربعة أخماس الجيب ، وألقي بالألمان باتجاه «الفولغا» ، فسحب عليهم في موضع غزوهم المشهوم ، في أنقاض «ستالينغراد» . وفي ٢٤ كانون الثاني خاطب «باولوس» «هتلر» قائلاً إنَّ استمرار المقاومة لا منطق فيه البتة : فهناك ١٨,٠٠٠ جريح طُرِحوا في الأقبية بلا علاج . وقد بدأ التيفوس المتفشّي يحدث أضراراً بالغة ؛ واستندت الدخانات والمأوى ، لذلك طلب قائد الجيش إذاً بالاستسلام ، وقد عصى «مانشتاين» ، قائد مجموعة الجيوش . هذا الطلب في مكالمة هاتفية مع «هتلر» استغرقت ثلاثة أربعَ الساعة . إلا أنَّ «هتلر» أصرَّ على عناده قائلاً : «إنَّني أحظر الاستسلام . يجب على الجيش أن يصمد حتى آخر طلقة . إنَّ بطولته لإسهام خالد في سلامة الغرب» .

واستونفت المجممات الروسية في ٢٥ ، وفي ٢٦ اتصل الجيش ٦٢ بالجيش ٢١ في ثلاثة «ماماي» . فشطر الجيش الألماني شطرين . وفي الشمال لاذت قلول الفيلق ٥١ بالتحصن في مصنع الجرارات ، وأقام الجنوب تكتّس خطام الفيالق الأربع الأخرى في وسط المدينة ، وأقام «باولوس» آخر مقرَّ عامَ له في أقبية الـ «اويفيرماخ» في الساحة الحمراء . وكان الروس في عجلة من أمرهم . فقصصوا أنقاض «ستالينغراد» قصضاً عنيفاً ، فلم يردَّ على هذا التحدّي مدفع واحد ؛ ولكنَّ ما إن حاول المشاة التقدّم عبر الخرائب . حتى انطلقت في وجههم آخر الرصاصات تسدَّ دونهم الطريق .

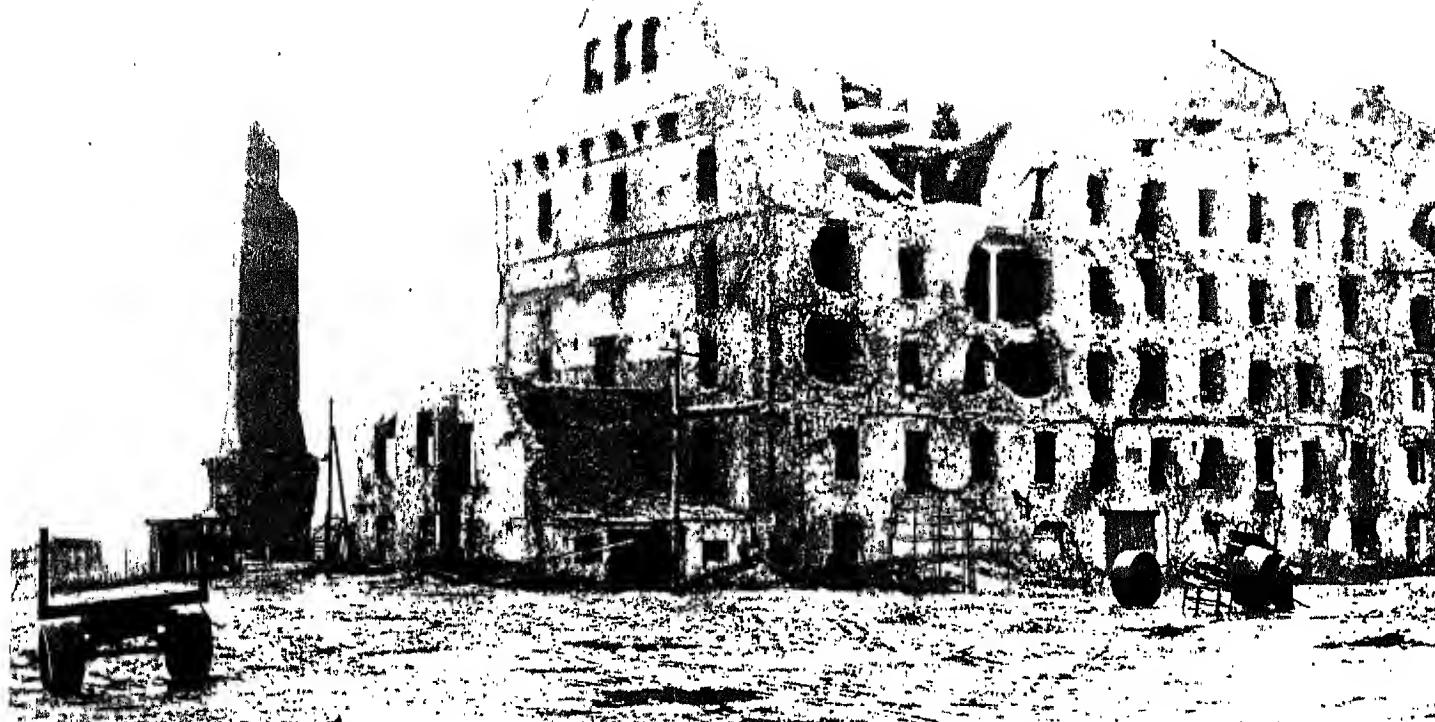
في ٣٠ رفع «هتلر» «باولوس» إلى رتبة جنرال فيلد مارشال . وقال «لكيبل» : «لم يسبق قط أن استسلم مارشال ألماني» . كان «هتلر» يتوقع وبالتالي من الضابط الذي رفعه إلى أعلى المراتب العسكرية أمراً واحداً : الانتحار . ولكنَّه كان يجهل أنَّ «باولوس» حظر على ضيّاطه الانتحار . قائلاً إنَّ عليهم أن يشاروا جنودهم مصيرهم حتى النهاية .

كانت «ستالينغراد» تلقى حصتها من الدم الطازج اليومية عبر النهر .



طائرات «شوكا» تغطي زحف الدبابات الألمانية في هجومها على رأس الجسر السوفيتي على «الفولغا».

ألقاض الطاحونة التي أتخدتها أركان الجزار «روديغريف» مقرّاً.



بَيْنَ أَنْقَاضِ "سَتَالِينْغَرَادَ" وَقَفَ الْأَلْكَانَ وَالرُّوسَ وَجْهًا لِلْوَجْهَ



ضابط صفت ألماني يعيّن بمنورده مواقفهم وسط آثار انقاض «ستالينغراد».

ولكم انتقلت المنازل ، في اليوم الواحد ، من يد إلى يد ! في الصورة :
جنود سوفياتيون أثناء القتال .



لا ، ليس للجبان ، هنا ، مكان !

«إنني أطلب من القوات النيةَّةَ الكامل والبطولة القصوى ، ومن القيادة سلطة ثابتة في القتال . فلا ترتجف ، في هذه المعركة الهاشلة ، يد ، فليس في صفو فنا مكان للجبناء الرّاغبِّين !

«إليكم جميعاً مهمتنا المشتركة : القضاء على العدو في «ستالينغراد» تحقيقاً لأول خطوة نحو إطاحته كلياً وتطهير بلادنا من العزة الغاشمين ؛ وإننا لبالغون هذه الغاية لا محالة ، لأنّا نملك لها القوّة الكافية والعُدُّة اللازمّة . ألا فليكن عظيماً ثاركم من الوحش ، من زبانة الحروب الذين قوضوا قراناً ومدننا ومعاملنا ، وأراقوا دماء إخواننا الآمنين ! إنّ الوطن ليهيب بكم صالحًا ، وإنّ القيادة العليا لتوجه إليّكم آمرةً : وقوفاً !

(الكولونيل جنرال «إيرينكوف» ، والليوتنان جنرال «خروشتشيف» ، في أوّل أيلول ١٩٤٢)

تحت : الروس يهاجمون منزلًا في «ستالينغراد» .



رّشاشون سوفياتيون يهاجمون أعشاش المقاومة الأخيرة في أحد أحياe «ستالينغراد» .



إحدى مقدّمات معركة «ستالينغراد» : دبابات ألمانية تهاجم المنشآت الدفاعية الغربية في المدينة .



مهاجمة أحد منازل «ستالينغراد» في تشرين الأول ١٩٤٢ «أجل ، إنّ الحرب لفظيعة ، وإنّ العدو لقاسٍ » (المارشال «إيرينكوف»)



لقد هزم البردُ هولاء !



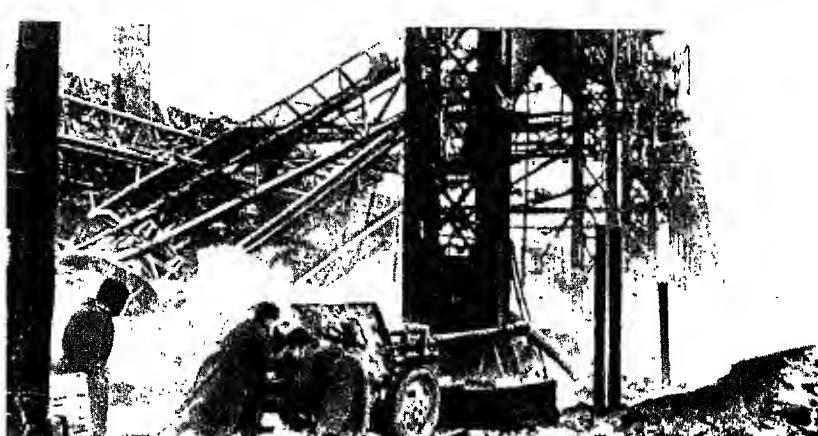
جنود ألمان يقاتلون في شوارع «ستالينغراد» .



بين أنقاض مصنع «تشرين الأول الأحمر» .



شهد القسم الشماليّ من المدينة أدمى معارك الحرب كلّها وأضرّها .
ولقد أنت أشهر الشتاء تزيدها ضراوة .



مصاهير «تشرين الأول الأحمر» ، مصنع الأسلحة «باريکاد» ، مصنع الحرّات «دجرجينسكي» ، مصنع المواد الكيماوية «لازور» : أسماء دخلت التاريخ من بابه الواسع عبر معركة «ستالينغراد» . في الصورة : مدفع سوفياتي يرتكب في مصنع «تشرين الأول الأحمر» المتداعي .

الفصل العرفي
كانون الثاني - آذار ١٩٤٣

مضاعفات

كسفت مأساة «ستالينغراد» كلّ شيء باحتدامها الفاجع ، واكتفى إخراجها المسرحي ، فأخفت الهدف الرئيس من حملة شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، ومحمل الأحداث العسكرية التي بفضلها أفلنت «ألمانيا» بصعوبة من هزيمة مُنكرة ، بل أفلنت - مؤقتاً - من الهزيمة الكاملة .

د ستالينغراد في آخر يكتيام: صيغة تونس

فهي معلم كانون الثاني . ولما يفقد معاصره «ستالينغراد» بعد كلّ أمل في النجاة . كان وضع الجيوش الألمانية في «روسيا» كما يلي :

١) ما زالت مجموعة «الجيوش أ» في «الفقناس» . يفصلها عن عمق

زجاجة «روستوف» ٤٠٠ كلم بالنسبة للجيش السابع عشر . و ٧٠٠ كلم بالنسبة لجيش الدبابات الأول .

٢) بعدما أخفقت جيش الدبابات الرابع في محارنته الرامية إلى فك الحصار عن «ستالينغراد» . خاض غمار معركة دفاعية جنوبى «الدون» . وهو ما زال على بعد ٤٠٠ كلم إلى الشرق من «روستوف» .

٣) أمّا الرئيس فقد حملتهم اختصاراتهم في كانون الأول على «الدون» وعلى «التشير» إلى مجرى «الدونيتز» الأسفل . فاتوا على بعد ٧٠ كلم من «روستوف» . وعدوا بذلك أقرب إلية ستّ مرات من جنود «هوت» .

وعشرين مرات من جنود «فون ماكشن» القائد الجديد لجيش الدبابات الأول .

٤) إمتداداً . غربى «روستوف» . عن زجاجة آخر تشكّله ممرات «الدنبيبر» في «دنبيبر وبير وفسلك» وفي «زابوروجي» . ولقد أصبح الرئيس في مواقعهم في منطقة «فوروييج» على بعد ٣٥٠ كلم منه فحسب . يقابل هذه المسافة ٧٠٠ كلم بالنسبة للجيش الألماني الرابع . و ١٠٠٠ كلم بالنسبة لجيش الدبابات الأول .

٥) أمّا على ما تبقى من الجهة فلم يعرف الألان أية استراحة . فقد تعاقبت الهجمات العنيفة حول «رجيف» و«دييانسك» و«لينينغراد» . وعده سحب القوات من الوسط والشمال . لإراسلها إلى الجنوب . من الصعبه يمكن .

لقد تعرض الجيش الألماني للخطر خلال شتاء ١٩٤١ - ١٩٤٢ . أوّلاً سبب قساوة المناخ الذي جمد جيشاً بني للحرب المتحرّكة في المناطق العتيدة من «أوروبا» . وشلّ حركته . ولم يتبدّل هذا المناخ في شتاء ١٩٤٣ ، فهو هو بما يفرضه على الجنود من آلام وما يواجهه القيادة من عقبات . إلاّ أنه قدّ حلّ في متزلة ثانوية إزاء الخطير المُحدق بالجيوش الألمانية الناتج عن الوضع الاستراتيجي الذي خلقته أوهام «هتلر» ومطامعه . لقد أفقده عناده جيشاً كاملاً . وأفراه يتمكّن من إلقاء الجيوش الأخرى . وهو أمام خصم يأس . مذموم . يفوقه عدداً . وتلهب الانتصارات حمسه ؟ أم أنّها ستشهد أنياب الجيش الألماني الكامل ؟

في ٢٨ كانون الأول قرر «هتلر» أن يبني مجموعة الجيوش «أ» . ولم يكن يقصد التعليق عن «الفقناس» وإعادة قوات «فون كلايست» بأسرع ما يمكن إلى منطقة «روستوف» . كما طلب ذلك «زيتزار» و«مانشتن» . فالأمر يشير بدقة إلى أنّ الحركة ستتم خطوة خطوة . وبحدّه ما دعاها : «مورتونسكريا» . «أوغافير» . و «سالسك» . ذلك أنّ «هتلر» كان ينوي أن يحافظ بين «الفقناس» و «الدون» بشرفة تبلغ ٢٠٠

في مقرّ الرئيس «روزفلت» في «الدار البيضاء» ، يبدو من اليسار إلى اليمين : الجزائر «جيرو» ، والرئيس «روزفلت» ، والجزائر «ديغول» ، و «تشرشل» .



تأليفها بمحض الفواريّين. لم يُقم موقع ثانٍ في أيٍّ مكانٍ . واقتصرت الأهداد التي أرسلتها قيادة جيش البر على نصف ذرينة من الفرق ، من أصلها الفيلق المصفح التابع لفرقة الصاعقة ، وفرقة «المالايا الكبرى» . أتى هجوم كانون الثاني السوفييتي نسخة عن الهجمتين السابقتين : ركز الروس هجومهم على قطاعين اثنين في قلب الجيش المجري و Mimeute ، بالقرب من «كورونحاك» و «كاليتفا» . فتقربوا الجبهة في غير مشددة . ثم قذفوا بوحداتهم الآلية وخياطتهم على شكل مروحة .

لم يقاتل المجر في الواقع ، فانكسر الجانب الواقي لمواصلات الجيش الألماني الحيوية . ونخطم لامرة الثالثة لدى الصدمة الأولى كما يتحطّم الزجاج .

كشف التفكك المجري في الفيلق الجبلي فأحدق به العدو . إلا أنه تملص وأفلت من التطويق . وتمكن ، بعد صراع دام ١٥ يوماً ، من الاتصال بقوى مصفحة لآلية على «الدونيتر» . وإذا بهذا التقهر عبر القر الشديد ، ووسط حشود الأعداء ، يُنهي بعثرة من البُس والتجلد ذلك الإسهام الإيطالي التاسع في حرب الجبهة الشرقية .

كانت الحكومة الإيطالية قد طلبت عودة قواتها للدفاع عن الوطن الأم المهدّد ، فرفض «كيلن» أن يوفر لها سبل النقل الحديدية ؛ فاضطرر الناجون من الجيش الثامن ، وهم ١١،٠٠٠ رجل من أصل ٢٣٠،٠٠٠ أن ينسحبوا من «روسيا» سيراً على الأقدام فيقطعوا ١٠٠٠ كلم من الطرقات المضنية !

لم يكن الوضع أقل خطورة في قطاع «فورونج». فقد احتاج الجيش السوفيتي إلى ٤٠ موخرات الجيش الألماني الثاني، واستولى في ٢٦ كانون الثاني على عقدة طرق «غورشيشنوي» الواقعة على ٨٠ كيلم وراء الأمان. وتمكنت إغارة منطلقة من الشمال من أن تقطع في «كاستورنوي» خطَّ اتصال «فون سالموث» الحديدي الوحيد؛ فتريث «هتلر» حتى اللحظة الأخيرة قبل أن يتخلى عن فكرته الحمقاء في الدفاع عن «فورونج».

ولم يكن للمدينة، وحاميتها لا تعددي ثلاث فرق، إلا أن تكون نسخة ثانية مصغرَة لمعركة «ستالينغراد». ملاً المحاصرون في المدينة الحرارية قطرأً كاملة بكميات المؤن والذخيرة المخزونة من أجل الحصار، ولكن العدو كان قد قطع الخط الحديدي! ومع هذا فقد أمكن تحاشي الأسواء، لأنَّ الفرق التي تحررت بهجر «فورونج»، وقدفت بسرعة نحو الغرب.

عادت فتحت الممر. فرتَّب «سالموث» جيشه بشكل رتيل صفيق، وانساب به دفة واحدة والعدو يكيل له الصربات على جانبيه، فيرغمه على ترك ثلث من الأسلحة والعربات والباحثات التي لا تثبت أن تتحجر؛ فإذا المسيرة الاضطرارية، في قرَّ يبلغ ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر.

وفي ربيع لاسعة صافرة، أشبه ما يكون بالتفهُّر النابوليوني!

جنود الدبابات الألمان في «خاركوف»؛ وقد احتلّ الألمان هذه المدينة مرتين ثم انتزعت منهُم.



كلام عرضاً . يأمل أن ينطلق منها مجدداً . في مستقبل قريب . نحو المغانم التي اضطر إلى التخلص عنها مؤقتاً .

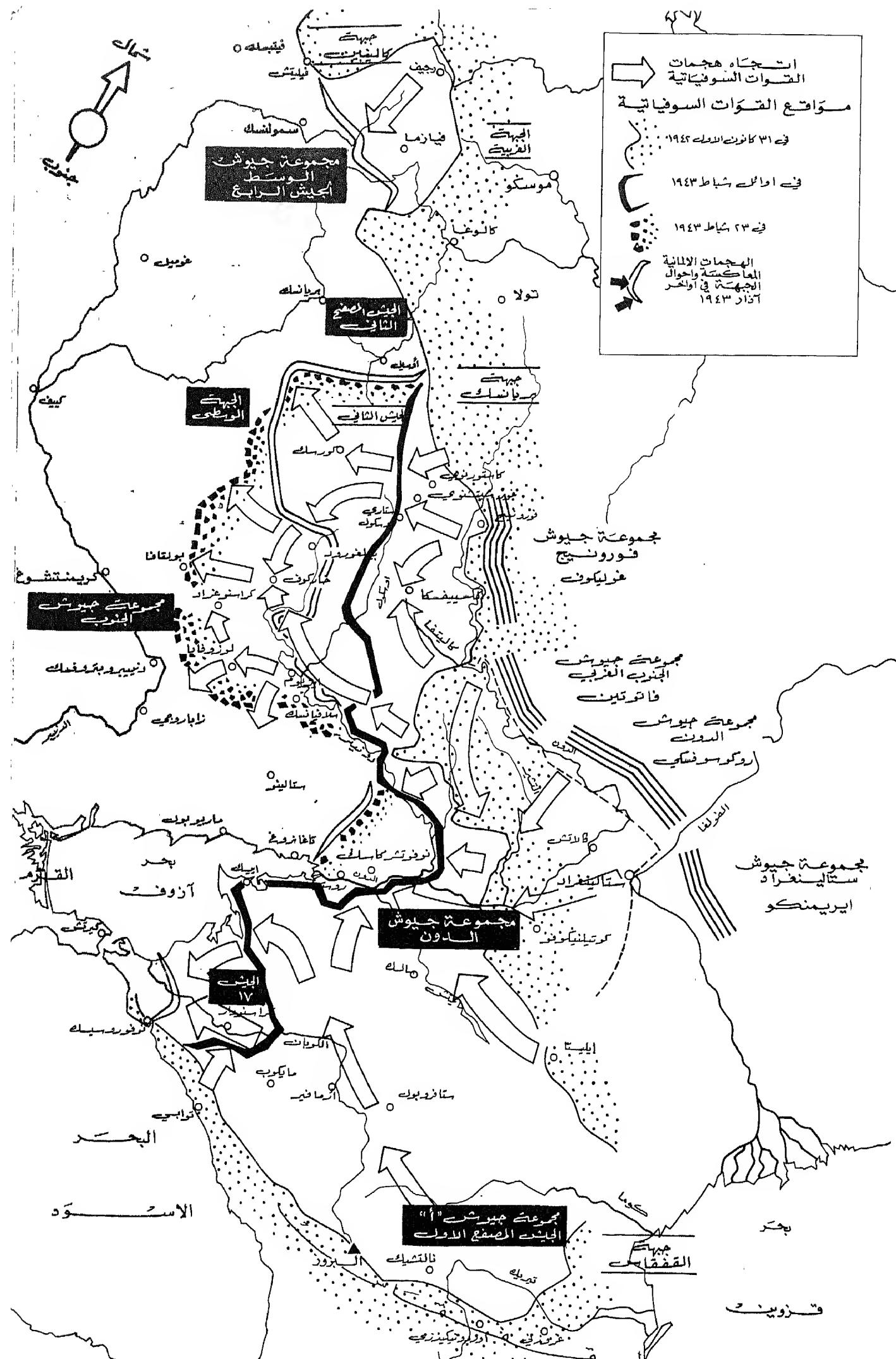
استمر الجلاء عن المقاطعات الواقعة قبل «القفقاس» طوال شهر كانون الثاني . وعاد الألمان يخatzون ، تحت لسع البرد ، تلك الأقصاع الشاسعة التي كانوا قد قطعواها في أتون آب اللهاب . يعوق تراجعهم الأمر، القاضي بإيقاف العتاد كاته . وضرورة إجلاء البحرجي ، فضلاً عن فقر طرق المواصلات . مما اضطر الجيش المصفح الأول إلى طلب التوقف خمسة وعشرين يوماً على «الكوما» لتعطيله رحيل ١٥٥ قطاراً . ولحسن حظ الألمان أساء الجنرالات الروس إدارة الطاردة ، مما سيسبّب لهم متابع وضائقات ، فقد انسحب الجيش الـ ١٧ نحو «كراسنودار» من غير صعوبة تذكر . وتمكن جيش الدبابات الأول من أن يتخلّى عن الفيلق المصفح ٤ للدعم جيش «هوث» ، الذي ترتب عليه الإبقاء على ممر «روستوف» مفتوحاً لأنّه مهرّب لمجموعة جيوش «أ» . إتجهت على مارشال «فون مانشتاين» من مقر قيادته في «نوفوتشركاكس» ، فواجهه «هوث» الوضم بما عهد عنه من برودة طبع باسمة ميزّته من غيره من الجنرالات الألمان ، فانّي بطيء حتى وادي «مانينش» ، وهو الحدّ الفاصل بين «أوروبا» و «آسيا» الذي احتفت الدعاية الألمانية باجتيازه في الصيف المنصرم !

تمَّ تأكِيدُتْ مُفْرَزَتَا «هوليدت» و«فرير بيكو» على «الدولينيتر» شماليًّاً «روستوف». ثمَّ أقامَ الجيش الإيطالي الثامن حاجزاً على ٢٠٠ كلم بين «الدولينيتر» و«الدون»؛ بيد أنَّ الفيلقين اللذين هُزِمَا في كانون الأوَّل يكادان يكونان صوريَّين. أمَّا الفيلق الثالث، وهو خليط من بقايا الألماَن والإيطاليَّين، فمع أنَّه كان يحمل اسم فيلق الدبابات الـ ٢٤، لم يكن يضمَّ وحدةً مصفحةً واحدةً! ووقف الفيلق الجبليُّ، الذي لم يهاجم قطُّ، حارساً على «الدون» من «كاليتفا» إلى «بالكا» حيث يبدأ الجيش المجريي الثاني الممتَدُّ. بفيالقه الثلاثة، تحت قيادة الجنرال «جاني»، حتى تغُوم «فورونيج» حيث يتصل بالجيش الألماني الثاني الذي يقوده الجنرال «فون سالموث». ثمَّ تَنَحَّى الجبهة نحو الغرب لتمضي فلتتحمَّ قرب «كورسلك» بميَّنة مجموعة الوسيط.

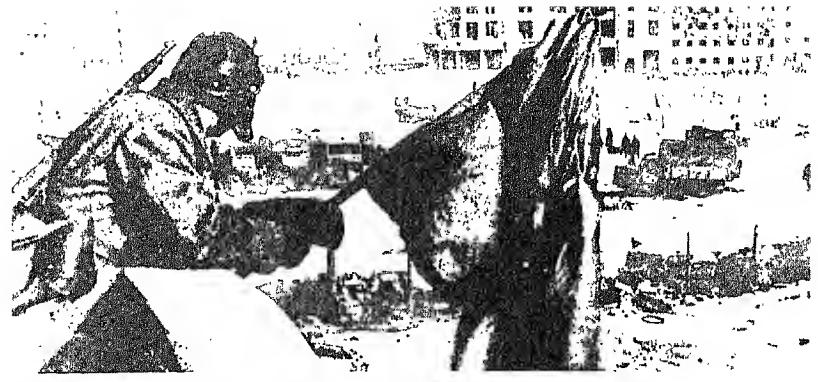
فالوضع إذاً على ما كان عليه في تشرين الثاني . بل هو أسوأ ، فهناك جهة مترامية يبلغ طولها في خط مستقيم ٦٠٠ كلم يتمسّك بها نحو من أربعين وحدة كبيرة ، لا تبلغ نسبة الأمان فيها الثلث . لم يبق من الفرق التي تلقّت الصدمة الروسية إلا صور وأطياف ، هذا إذا لم تُبْدِ تماماً : لم يبق منها غير كتيبتين أو ثلاث لا اعتاد لها ، وقد أعيد

دبابة سوفياتية على أهبة الاستعداد للهجوم في محاولة لإحداث تغرة في حصار «لينينغراد».





العمليات في الجبهة
الروسية : كانون
الثاني - آذار ١٩٤٣ .



العلم الأحمر يحقق متصراً في ساحة «ستالينغراد» الرئيسة ، في كانون الثاني ١٩٤٣ .

استدعي «مانشتين» إلى «رسنبرغ» في ٦ شباط حيث أثار مشادة قضية ، فالأراضي التي يقترح التصريح بها . من أجل استرجاع قواته المتحرّكة والإفراج عن ميسّرته . تنتهي إلى المنطقة الكبيرة الغنية بالمناجم ومصانع الصلب التي يصر «هتلر» على أن لا غنى له عنها من أجل متابعة الحرب . خاصةً بعدها عمدّ أخصائيون ألمان إلى فتح المناجم والمصانع . ولكنّ لا يتخلى «هتلر» عن فتوحاته أخذ يناضل نضالاً حثيثاً حاراً ضدّ أفصل جنرالاته . لا يستطيع «مانشتين» أن يربّث قليلاً قبل أن يقدّم على التضحية ؟ ألا يكون الروس . الذين أصيّروا بخسائر فادحة . قد استندوا قوّاهم ؟ أیكون الوضع ناحية «الدّينيير» في الواقع مريعاً إلى هذا الحدّ ؟ وفيما يفتح المتصفح التابع لفرقة الصاعقة الذي أرسل إلى هذه المنطقة . ألا يكفي لتركيز الوضع ؟ ثمّ ، ألا يشرّ ذوبان الصقيع المبكر . وارتفاع الطرقات ، وبده ذوبان الثلوج ، باقتراب فصل الورول وتوقف العمليات الشيشطة الوشيك ؟ أجاب «مانشتين» أنه لا يجوز الركون إلى آمال واهية كهذه للمجازفة بمصير الجيش ؛ وكانت فاجعة «ستالينغراد» من حداثة العهد بحيث لم يجرؤ «هتلر» على إصدار أمر بالانحصار في «روستوف» . وعاد «مانشتين» وقد مددت سلطنته حتى غربى «خاركيف» ، بعد ما ألغيت المجموعة «ب» وألحق الجيش الثاني بمجموعة الوسط . أمّا مجموعة «الدون» ، التي لم تبقّ تسمّت إلى «الدون» بصلة ، فستدّعى بعد الآن مجموعة الجنوب .

إستعاد الروس «روستوف» للمرة الثانية في ١٤ شباط ؛ وفي ١٧ منه . عادت مفرزة «هوليدت» إلى عبر «الميوس» ، فعادت الجيوش الألمانية بذلك إلى موقع الربع ، بعدما تقدّمت . ثمّ تراجعت . على التوالي مسافة ٨٠٠ كلم — أي ما يعادل ، من حيث الوقت والمسافة —

الحملة التي قام بها جيش «نازيليون» على «موسكو» ذهاباً وإياباً . وحلّ بالجيش الألماني و«بالمانيا» ما حلّ بذلك الجيش و«بفرنسا» يومذاك ؛ فقد خارت قواهـما في تينك المسيرتين المدّشتين . أُبـيـدـتـ في «ستالينـغرـادـ» عـشـرـونـ فـرقـةـ ، فيما هـرـأـ غـيرـهاـ ، وـتـبـخـرـتـ أـرـبـعـةـ جـيـوشـ حـلـيفـةـ . أمـّـ العـتـادـ الـبـشـرـيـ الـقـادـمـ حـدـيـثـاـ منـ «ـالمـانـيـاـ» وـمـنـ الـبـلـادـ الـمـحتـلـةـ ، فـلـاـ يـساـوـيـ الـقـوـاتـ الـتـيـ بـذـلتـ ، لـاـ مـنـ قـرـيبـ وـلـاـ مـنـ بـعـيدـ . وـمـهـمـاـ يـكـنـ مـنـ أـمـرـ إـنـ مـعـرـكـةـ الشـاءـ لـمـ تـنـتـهـ بـعـدـ . فـقـدـتـ عـشـرـونـ فـرقـةـ فيـ «ـسـتـالـينـغرـادـ» ، وـلـكـنـ الـطـوـقـ يـهـدـدـ مـنـ جـدـيدـ ضـعـفـ هـذـاـ العـدـدـ فيـ الـمـلـلـثـ الـوـاقـعـ بـيـنـ «ـنـيـكـوـبـولـ» وـ«ـخـارـكـوفـ» وـ«ـتـاغـرـوغـ» . فـهـلـ يـكـتـبـ هـاـ الـخـالـصـ ؟

أـسـتـوـفـ الرـحـفـ الـرـوـسـيـ فيـ ٢ـ شـبـاطـ بـحـمـلـةـ شـنـتـهاـ الـجـيشـ الـ٦ـ٩ـ وـالـجـيشـ الـ٣ـ المـصـفـحـ عـلـىـ صـوـاـحـيـ «ـسـتـارـيـ أوـسـكـوـلـ» ، وـامـتـدـ فيـ الـغـدـ نحوـ الشـمـالـ بـدـخـولـ الـجـيشـينـ الـ٤ـ وـالـ٦ـ إـلـىـ الـمـيـدـانـ . حـرـرـتـ «ـكـورـسـكـ» فيـ ٨ـ ، وـفـيـ ٩ـ تـمـ الـوصـولـ إـلـىـ «ـالـدـوـنـيـتـ» ، كـمـاـ تـمـ تـحرـيرـ مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ أـخـرـىـ هيـ «ـبـيـلـغـورـوـدـ» ؛ فـاسـتـغـلـ الـجـنـالـ «ـمـوـسـكـاـلـيـكـوـ» ، قـائـمـ الـجـيشـ الـ٤ـ ، تـفـوـقـهـ بـجـرأـةـ وـبـسـالـةـ ، فـانـقـضـ عـلـىـ «ـخـارـكـوفـ» ، وـفـيـ ١٥ـ أـدـرـكـ أـبـوابـ الـمـدـيـنـةـ الـكـبـيرـةـ (٩٠٠،٠٠٠ـ نـفـسـ) ، عـاصـمـةـ «ـأـوـكـرـانـيـاـ» الـثـانـيـةـ ؛ فـأـصـدـرـ «ـهـتلـرـ» أـمـرـهـ بـالـدـافـعـ عـنـهاـ حـتـىـ الـرـصـاصـةـ الـأـخـرـىـ . كـمـاـ فعلـ بـشـأنـ «ـسـتـالـينـغرـادـ» — بـيـدـ أـمـرـاـ خـارـقاـ قـدـ جـرـىـ وـكـانـهـ مـنـ تـبـيـرـ الـعـنـيـةـ : فـقـدـ أـقـدـمـ قـائـمـ الـفـيـاقـ الـمـصـفـحـ الـتـابـعـ لـفـرـقةـ الـصـاعـقةـ عـلـىـ التـمـرـدـ ، فـغـادـرـ «ـخـارـكـوفـ» إـنـقـاذـاـ لـفـيـلـهـ ؛ فـدـخـلـ الـرـوـسـ الـمـدـيـنـةـ فيـ ١٦ـ شـبـاطـ وـكـادـواـ لـاـ يـتـجـسـمـونـ قـتـالـاـ .

كانـ هـذـاـ الـحـدـثـ الـذـيـ عـقـبـ سـقوـطـ «ـرـوـسـتـوفـ» فـورـاـ ، فـجـارـىـ الـجـلاءـ عـنـ «ـدـيـمـانـسـكـ» بـعـدـ خـمـسـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ مـنـ اـسـتـسـلـامـ «ـسـتـالـينـغرـادـ» . وـقـعـ مـرـبـرـ مـنـ الـأـسـيـ وـالـذـهـولـ فـيـ «ـمـالـيـاـ» . لـقـدـ انـهـارـتـ الـجـبهـةـ الـشـرقـيـةـ !

حاـولـ الـأـلـمـانـ أـنـ يـتـوقـفـواـ عـلـىـ «ـأـوـسـكـوـلـ» بـيـنـ «ـالـدـوـنـ» وـ«ـالـدـوـنـيـتـ» . وـلـكـنـ نـصـمـيمـ الـرـوـسـ عـلـىـ القـتـالـ لـمـ يـكـلـ لـمـ بـيـنـ ، بـلـ إـنـ هـيـاـةـ مـوـقـعـةـ «ـسـتـالـينـغرـادـ» الـمـظـفـرـةـ قـدـ أـهـبـتـ مـعـنـيـاتـهـ فـرـالـ مـوـكـبـ الـنـقـصـ الـذـيـ طـالـاـ هـيـمـنـ عـلـىـ الـقـيـادـةـ وـالـجـنـدـ . وـإـنـ «ـرـوـسـياـ» لـتـشـعـرـ بـالـثـقـةـ مـنـ الـظـفـرـ ، وـهـيـ تـسـتـمـدـ مـنـ هـذـهـ الـقـلـعـةـ الـرـائـعـةـ مـاـ تـمـازـ بـهـ الـخـلـطـ الـجـدـيـدـ ، الـتـيـ تـضـعـهـاـ لـتـحـرـرـ أـرـضـهـاـ ، مـنـ جـرـأـةـ وـبـسـالـةـ . ثـمـ ثـلـاثـ مـدـنـ رـوـسـيـةـ كـبـيرـةـ يـنـبـغـيـ تـحـرـرـهـاـ فـيـ الـحـالـ وـهـيـ : «ـكـورـسـكـ» ، وـ«ـخـارـكـوفـ» ، وـ«ـرـوـسـتـوفـ» ؛ وـثـمـ ثـدـفـ سـتـرـاتـيـجيـ حـاسـمـ لـابـدـ مـنـ بـلـوـغـهـ هوـ مـرـآـتـ «ـالـدـيـنـيـرـ» . فـلـوـ تـمـكـنـتـ الـقـوـاتـ الـرـوـسـيـةـ مـنـ اـسـتـخـلـاصـهـاـ لـحـقـقـتـ مـشـرـوعـ «ـسـتـالـينـغرـادـ» الـكـبـرـىـ الـذـيـ يـقـلـخـاـرـاـتـ الـجـنـالـاتـ الـأـلـمـانـ وـيـقـضـ عـلـيـهـمـ مـضـاجـعـهـمـ . سـجـلـ الـأـلـمـانـ مـنـ نـاحـيـهـمـ نـتيـجـةـ ذاتـ شـأنـ ، إـذـ أـنـقـدـواـ جـيـشـيـهـمـ الـمـصـفـحـيـنـ الـأـوـلـ وـالـرـابـعـ وـلـوـ مـوـقـنـاـ ، عـقـبـ نـزـاعـ مـزـدـوجـ نـاهـضـواـ بـهـ الـرـوـسـ وـ«ـهـتلـرـ» مـعـاـ .

فـكـرـ «ـمـانـشـتـينـ» بـنـقلـ هـذـينـ الـجـيـشـيـنـ الـمـصـفـحـيـنـ إـلـىـ الـجـنـاحـ الشـمـالـيـ منـ مـجـمـوعـةـ جـيـوشـهـ ، لـقـهـرـ الـقـوـاتـ الـرـوـسـيـةـ الـمـتـقـدـمـةـ بـاتـجـاهـ «ـالـدـيـنـيـرـ» . وـفـكـرـ «ـهـتلـرـ» بـالـإـبـقاءـ عـلـيـهـاـ جـنـوـبـيـ «ـالـدـوـنـ» مـتـأـهـبـةـ لـلـعودـةـ إـلـىـ اـحـتـالـ «ـالـقـفـقـاسـ» . وـلـمـ يـقـبـلـ «ـهـتلـرـ» بـعـدـيلـ خـطـطـهـ إـلـاـ فيـ ٢٢ـ كـانـونـ الثـانـيـ . بـحـيثـ يـبـقـيـ الـجـيـشـ السـابـعـ عـشـرـ وـحـدـهـ فـيـ «ـالـكـوـبـانـ» فـتـتـولـيـ «ـالـقـرـمـ» تـزوـيـدـهـ بـعـرـ مضـيقـ «ـكـيـرـتـشـ» ، فـيـمـاـ يـعـودـ جـيـشـ الـدـبـابـاتـ الـأـوـلـ إـلـىـ عـبـورـ «ـالـدـوـنـ» . وـلـكـنـ هـذـاـ الـجـيـشـ كـانـ مـاـ يـزـالـ فـيـ «ـأـرـماـفـيرـ» عـلـىـ بـعـدـ ٣٠٠ـ كـلـمـ ، وـكـانـ بـالـتـالـيـ لـاـ بـدـ مـنـ إـلـبـقاءـ عـلـىـ مـمـرـ «ـرـوـسـتـوفـ» مـفـتوـحـاـ فـقـرـةـ مـنـ الـوقـتـ كـافـيـةـ لـتـمـكـنـهـ مـنـ الـأـنـسـيـابـ . وـالـحـالـ أـنـ الـرـوـسـ قدـ بـلـغـواـ الـمـطـارـ فيـ ٢٠ـ ، وـبـاتـ الـمـرـ بـذـلـكـ فـيـ حـكـمـ الـمـقـفلـ !

غـامـرـ «ـمـانـشـتـينـ» بـمـاـ لـدـيهـ ؛ وـعـلـىـ جـهـةـ «ـالـدـوـنـيـتـ» كـانـ تـنـدرـ بـالـأـمـيـارـ ، فـقـدـ نـقـلـ إـلـىـ جـنـوـبـيـ «ـالـدـوـنـ» فـرـقـيـ الـدـبـابـاتـ ٧ـ وـ١١ـ الـلـتـيـ تـمـكـنـتـاـ ، بـهـجـومـهـمـاـ الـمـعـاـكـسـ الـقـصـيرـ الـعـنـيفـ ، مـنـ كـنـسـ الـرـوـسـ حـتـىـ وـادـيـ «ـالـمـانـيـتـشـ» الـأـسـفـلـ . بـدـأـتـ مـصـفـحـاتـ «ـمـاـكـنـسـ» عـبـورـ جـسـرـ «ـرـوـسـتـوفـ» فـيـ ٣١ـ كـانـونـ الثـانـيـ عـائـدـةـ مـنـ أـقـصـىـ نـقـطـةـ وـصـلـ إـلـيـهـاـ الـجـنـوـدـ الـأـلـمـانـ ؛ وـعـلـىـهـاـ لـمـ تـهـزـمـ ، فـقـدـ أـنـزـلـتـ بـهـ مـسـيرـهـاـ الـتـرـاجـعـيـةـ الـطـوـلـيـةـ تـلـفـاـ بـلـيـغاـ . وـبـقـيـتـ وـحدـاتـ كـثـيـرـةـ ، مـنـهـاـ الـفـرـقةـ الـخـمـسـونـ بـرـمـتـهـاـ ، فـيـ رـأـسـ جـسـرـ «ـكـوـبـانـ» حـيـثـ اـحـشـدـ ، مـنـ غـيرـ جـدـوـيـ ، ٤٠٠،٠٠٠ـ رـجـلـ . وـلـمـ يـفـيـدـ «ـمـانـشـتـينـ» مـنـ إـنـقـاذـ جـيـشـ «ـمـاـكـنـسـ» إـلـاـ أـرـبعـ فـرـقـ ، بـيـنـهـاـ اـنـتـانـ مـصـفـحـاتـ .

طـرـحـتـ إـذـ ذـاكـ عـلـىـ الـقـيـادـةـ الـأـلـمـانـيـةـ مـشـكـلـةـ مـوـلـةـ ، أـلـاـ وـهـيـ حـلـةـ «ـالـدـوـنـيـتـ» . فـلـوـ أـصـرـ الـأـلـمـانـ عـلـىـ الـاحـتـفـاظـ بـهـاـ لـاـ لـضـطـرـرـ وـاـلـإـقـدـامـ عـلـىـ مـعرـكـةـ ضـارـيـةـ فـيـ تـلـكـ النـاثـةـ ، فـيـمـاـ يـشـتـدـ الضـغـطـ نـحـوـ «ـالـدـيـنـيـرـ» ، وـيـتـفـاقـمـ خـطـرـ تـطـوـيـقـ الـجـنـاحـ الـأـيـمـ بـكـامـلـهـ عـلـىـ بـعـدـ ٤٠٠ـ كـلـمـ غـرـبـاـ ، سـاعـةـ بـعـدـ سـاعـةـ .

وفجأة انقلب الوضع رأساً على عقب . وهنا يقر المؤرخ «باتونوف» بأنَّ القيادة السوفياتية قد ارتكبت خطأً إذ ظنت أنَّ الألمان قد عادوا فجأة وـ «الدُّنِيَّير» ، وأنَّ النصر قد بلغ طور المطاردة ، فإذا بالهجوم المعاكس ، وقد أحسن حشده وأحسنت قيادته . يقع على قوات سوفياتية متبرعة تفتقر إلى الذخيرة ؛ وما حلَّ أول آذار حتى أبعد كلَّ خطير يهدد «الدُّنِيَّير» . أحصيَت الجثث الروسية الساقطة في حومة الوعي فإذا هي بـ ٢٣،٠٠٠؛ واستولى الألمان على ٦١٥ دبابة ، وـ ٣٥٤ مدفأً ، ولكنهم لم يأسروا غير ٦٠٠٠ رجل . لأنَّ الروس كانوا إذ ذاك يفضلون الموت على الاستسلام . وـ «مانشتين» لو يتوقف عند هذا الحد ، بيد أنَّ «هتلر» لم ينس «خاركوف» . وبأمر منه طوق «هوت» المدينة وأعاد احتلالها في ١٤ آذار على يد فرقَة «المانيا الكبرى» ؛ وعادت الجبهة الألمانية فانتقلت حتى تخوم «فورشيلوفغراد» على «الدونيتس». وحتى «تاغنروغ» على «الميوس» . ثمَّ فصلت المتحاربين هدنة الصلح التي تحمل مرتين في السنة .

وهكذا أفقد الجيش الألماني بعد ما حاذى المزيعة . وتنبع عن هذه العملية ، التي أدارها «مانشتين» إدارة معلم بارع ، درسَ عسكري واضح : إذا كان الألمان ما زالوا يحتفظون بشيء من التفوق ، ففي حرب الحرارة وفي المداورة ؛ وطالما أنهم يتمتعون بفضل القتال في عقر دار العدو ، فليس للمدن المقودة ، ولا للأرض المتروكة ، أية قيمة . وطريقة الرمح التي اعتمدوها عام ١٩٤١ في مسيرةهم على «موسكو» ، وعام ١٩٤٢ في مسيرةهم على «القفقاس» ، لم تبق في متناول إمكاناتهم ؛ فموقف الدفع الجامد على جهة يستحيل عليهم ملؤها يقضي عليهم بتحمّل تفوق العدو المادي . أمّا الستراتيجية الوحيدة المؤدية لقوتهم فهي في الدفاع — الهجومي ، الذي يعتمد الرد كما يعتمد مناوره قوى الاحتياطي . غير أنَّ ذلك يقضي بتقصير شديد للجبهة ، وبالانكفاء إلى خط «الدونا» وـ «الدُّنِيَّير» ، أو ، بكلمة أخرى ، بالتخلي عن القسم الصناعي من «أوكرانيا» ، وعن «روسيا» الوسطى بكمالها ، وعن جبهات «لينينغراد» المتوعلة . ولكنَّ القبول بذلك كان يفرض على «هتلر» ألا يبقى «هتلر» !

«هتلر» ينجو من حاولت اغتيال

إنَّ هذا الحدث الجسيم لم يحدث قط . «فهتلر» لم يمت . كان مفروضاً أنَّه يموت في ١٣ آذار ، إلا أنَّ عناية إلهية خاصة قد شملته بعطفها .

استمرَّت المؤامرة ضدَّ «هتلر» في جوٍّ مفعتم بالصعوبات الفائقة وبالمهالك الشديدة . وراح الرؤساء المدنيون وال العسكريون كـ «غورديلير» وـ «فيتلين» ، وـ «بلك» ، ياملون أطرافها التي لا تنفكَّ تشوش أو تتحطم . فلقد تغلبوا على ترددَهم الضميري ، وأفروا بهائياً بأنَّ في اغتيال الطاغية السبيل الوحيد للخلاص الألماني . ففي الأوساط العسكرية ، وفي الأركان العامة خاصة ، كانت نتيجة التضحية القاسية بالجيش السادس في «ستالينغراد» أنَّ تحرَّكَت الأحقاد بغلان شديد . ومن بين الضيّاط الفتيان كان كثيرون على استعداد لانتقام شخصية «بروفوس» . وكان معظم هؤلاء الضيّاط ينتهي إلى الأستورقاطية العالية . ولكنَّ اغتيال «هتلر» عملية صعبة : فهو يرتدي صدرة واقية من الرصاص . وداخلُ قبعته مصفحة . وهو لا يتناول أيَّ طعام قبل أن يذوقه طبيبه الخاص ؛ وأمّا تقْلَّاته فتحتفَّ بها سرية كاملة وفرض الاقتراب منه نادرة جداً . وهو محاط بحراسة من كلِّ صوب .

وانخلَّ الألمان الذين لا يُفهرون . بعد الرومان والإيطاليين وال مجر ! واستمرَّ الزحف . فأضحت ٥٠٠ كلم من صدفَ «الدُّنِيَّير» عرضة للخطر . وسارت الجيوش الظافرة في «خاركوف» باتجاه «كريمسكي» . ولم يبقَ الجيش السوفيتي السادس الرابع على «الدُّنِيَّير» الأوسط إلا على بعد ٢٠٠ كلم من «دُنِيَّير» بـ «بروفسك» ؛ وإذا به يختار ثالث هذه المسافة في ثانية أيام . فيقطع الاستلاء على عقدة الخطوط الحديدية في «لوزوفايا» أحد خطوط تموين مجموعة «مانشتين» . ويقطع انتزاع محطة «سيزيفينيكوف» خطَا آخر . فلا يبقى له غير خطَّ ثالث يعبر «الدُّنِيَّير» في «زابوروجي» . وهو خطٌ يقاد الروس بيلغونه ! لم يُستند أمر الدفاع عن النهر إلا إلى وحدات من المدفعية المضادة للطائرات يساندها بعض قوى الدرك وبعض تشكيلات استحدثتها الظروف ، تألفت من رجال مصالح الخدمة . وهكذا أُوشكت مأساة «كالاش» أن تكرر على «الدُّنِيَّير» !

وتصدَّع الجيش الألماني من جديد شرقَي مجموعة الجيوش كذلك . فقد اقتحم فيلق سوفياتي مصفح مجرى «الميوس» في «منيفيجفكورغان» ، كما اقتحم فيلق من الخيالة مجرى «الدونيتس» . وبدل أن يستخدم «مانشتين» الجيش الأول المصفح للإفراج عن ميسره المهددة اضطر إلى أن يكرسه لدعم ميمنته المتداعنة ، ولم يبنَ له من أجل إنقاذ معرات «الدُّنِيَّير» إلا جيش الدبابات الرابع القادم من «الدون» ، والذي يعوق سيرَه بـ «الذوبان» . أفتراه يصل قبلى قوات الألوان ؟

كان الوضع من الخطورة بحيث أقدم «هتلر» على ما لم يُقدم عليه أيام أهواه «ستالينغراد» . أجل ، لقد أزعج نفسه ، فإذا «مانشتين» يراه في ١٧ شباط مقبلًا إلى «زابوروجي» ، مقرَّ قيادة مجموعة الجيش ، وهو بكلمة أخرى ، مكان يمتنع بطمأنينة تامة في ظروف الحرب العادمة ! بيد أنَّ الظروف لم تكن عادية : فهناك لواء روسي مصفح يطوف على بعد ٥٠ كلم فحسب ، وإنْجيش الوحيد المدافع عن «زابوروجي» هو لواء الحرس الخاص بمقرَّ القيادة . لم يت نفس «مانشتين» إلا بعد ٤٨ ساعة . حين أفلعت الطائرة التي أفلتت «هتلر» ، يتحقق بها سرُّب من طائرات «مرشميت» .

كان لذلك القلق حسنة : فالنحوف الذي حلَّ «بهتلر» جعله يدرك أنَّ الموقف خطير . كان قد أتى وفي نيته أنَّ يرجع «خاركوف» في الحال . بعدما مسَّ فقدانه وترهيبة الحسَّاس المولى ، فإذا به يرضي بالإلاع عن عزمه . وبدل أن ينطلق الفيلق المصفح التابع لفرقة الصاعقة نحو الشمال ، احتشد حول «بابلوفغراد» للإسهام في الهجوم المعاكس الذي سيقوم به جيش الدبابات الرابع . وهكذا شنَّ «هوت» هجومه على جانبي الناتية الروسية العميق معتمداً على خمس فرق سريعة هي فرقتا الدبابات ٤٨ و ٥٧ ، وفرقَة «الصاعقة النموذجية» ، وفرقَة «الرابع» . وـ «تونكوف» .

٢٦ كانون الثاني ١٩٤٣ . إحدى مراحل المعركة قرب «رجيف» ، على مجرى «الفولغا» الأعلى ، غربي «موسكو» .





«اعقد السلام مع «روسيا» (من كلام «موسوليني» إلى «هتلر» .)

كان الماجور جنرال «هننف فون ترشكوف» . وهو من عائلة عسكرية عرقية . أعلى الضباط رتبة في أركان مجموعة جيوش الوسط العامة . ولقد حاول أن يبحث على الانقلاب العسكري قرينته المارشال «فون بوك» . ثم خصّصه «فون كلوغى» . كانت الخطوة مهدّفة إلى القضاء على «هتلر» خلال إحدى زياته إلى «سمولنسك» . مقر مجموعة الجيوش العام وأخذ البارون «فون بوسليغر» . قائد فوج الحرس . على عاتقه إنجاز المهمة مصرحاً بأنه واثق كل الثقة من مرؤوسه . بيد أن «كلوغى» ردّ بأنَّ الوضع العسكري لم يكن متزامناً للدرجة تدعو إلى القيام بعمل جندي . فالآمة والجيش لن يفهموا . وقرر «ترشكوف» ومساعده الليوتنان «فابيان فون شلابرندورف» أن يقوما بالمهمة منفردين . وبواسطة منفجّرات وقنابل من صنع انكليزي حصلا عليها من أحد المتأمرين . عمداً إلى صنع قنبلتين بشكل قبليتين . وفي ۱۳ آذار وصل «هتلر» إلى «سمولنسك» تحطّ به جماعة من رجال الصاعقة الذين كان يقتظهم الفائق يشير إلى أنَّ شوكاً خاصة كانت تختامر «هتلر» . وعندما قفل «هتلر» عائداً . حملت طائرته

الشريط العددي . ولكن الكبسولات لم تتفجر تحت تأثير الصدمة . وبعد أيام قام المتأمرون بمحاولة أخرى لنسف «هتلر» في «مصنع الذخيرة» في «برلين» فيما يزور معرضًا يعود ريعه لجنود الجبهة . ولكن هذه المحاولة أخفقت أيضاً . فكان على المتأمرين أن يتّنظروا ساحنة أخرى .

קרב إيطالي سقوط «تشيانو»

في كانون الأول وصل الكونت «تشيانو» إلى مقر الفوهرر العام . في الوقت الذي كان الجيش الإيطالي يندحر فيه على «الدون» . وكانت رحلته الطويلة في القطار الحديدي قد وفّرت له وقتاً كافياً للتدريب على حدّة سخطه ضد «أولئك الألمان الأغبياء» . و «ريبنروب» «ذلك السافل» .



قافلة المأبنة على بحيرة «إلن» جنوبى «نوفغورود» .

معها القنبلتين وهما مُعمّلتان بإتقان . كان «شلابرندورف» قد سلم الآلة الجهنمية إلى كولونيل من الحاشية ، وطلب منه أن يسلم قنبلتي الكونيك هاتين إلى الجنرال «هلموت ستيف» من قبل الجنرال «فون ترشكوف» . إنقضت ساعة . ثم ساعتان . وتلقى مركز «برلين» الكلمة الاصطلاحية التي تفيد أنَّ المحاولة كانت قيد التنفيذ . وبات «ترشكوف» مع مجموعة «سمولنسك» يترقبون من أحد لاسلكيّي إحدى مقاتلاته المراكبة النبا الذي يعلن عن تفجير طائرة الفوهرر في الجو . ولكن النبا الذي بلغتهم من «مبنسك» قد أعلن أنَّ الفوهرر قد هبط إلى الأرض من غير أذى ...

إلا أنَّ المتأمرين قد أنفّدوا الوضع . فألغوا انطلاق الانقلاب العسكري في الوقت المناسب . واتصل «شلابرندورف» هاتفيّاً بالكولونيل الذي جعل منه منفذاً غافلاً للمهمة وضعيّة لها ، وطلب إليه ألا يسلم الرزمة . وفي العدّ ذهب إلى «رستنبورغ» لاسترجاعها بأمر موقع من «ترشكوف» . وبعد ما فتح العلبة وجد أنَّ الحامض كان قد أشعل الفادح بعدها فرض

المحارب المرهق !

«الفال» لسبب مجهول . فقضى في القطار ثمانين ساعة لكي يحظى بمقابلة مدتها ساعتان . تكلم خلاها مدة عشرين دقيقة كي يطلب إذاً بمل المؤسسات المثلثية المتطرفة التي كانت تناهضه . ولكن «هتلر» رفض ذلك متزعاً من عمليه هذا جملة التنهيد التالية : «إنه ليصعب حكم فرنسا في حين يصرخ كلّ من فيها : الموت «لالفال» ! وصرّح «هتلر» لـ«تشيانو» بأنه قد فقد كلّ رجاء من الفرنسيين . قال : «إنّ بيتنان آلة منفحة تنهار على بعضها . وإنّه لم صالحنا أن نعمل على نفعها من وقت آخر» .

عاد «تشيانو» إلى «إيطاليا» فوجد عاصمة تضج بالازمة ، وأمّا «موسوليبي» ، الذي كان مريضاً ، فقد خاب ظنه لردة فعل «هتلر» وانكفا على نفسه في منزله ، وما لبث أن غادر عائداً بعد ثلاثة أسابيع . وفي ٥ شباط دخل «تشيانو» إلى مكتب حمسه فإذا «موسوليبي» يسأله بعنة ما إذا كان يرضي بتسميته حاكماً على «البانيا» ؛ فما كان من «تشيانو» . الذي كاد لا يدهشه السؤال ، وقد شعر أن شيئاً مريباً سيحدث ، إلا أن أجاب بأنه يفضل السفارة لدى «الفاتيكان» . وقبل «الدوتشي» رغبته ، ثم حاول التراجع ، يدأن «تشيانو» كان قد هرع للحصول على موافقة أمانة السرّ البابوية . ولذا بات مُحلاً أن يتراجع عن تسميته من غير أن يلحق الإهانة بقداسة البابا .



هكذا كان مصير عشرات الآلاف من الألمان في «ستالينغراد» .

لم يكن صرف وزير الخارجية إجراء منفردأ . فلقد أُفبل الوزراء كافة . كان «الدوتشي» شغوفاً بتبدلات الحرس الطنانة هذه ، ولكن الناس قد ألغوا التفكير بأن صهره كان يدور في فلك خاص ؛ لذلك كان فقدانه الخطوة ينذر بتصدّعات عميقة .

كان الألمان مرتبيكين . فهم يعتبرون «تشيانو» عميلاً انكليزياً ، إلا أنّ تعينه في «الفاتيكان» ، أرض الحيد ، وأرض الاتصالات ، قد أفقدهم بقدر ما أرضاهم رحيله عن الخارجية . وهنالك شخص آخر من ألد أعدائهم ، هو «دينونغراندي» ، قد فقد وزارة العدلية ، ولكنه . مثل «تشيانو» ، بقي عضواً في المجلس الفاشي الأعلى . وقد شمل «تبديل الحرس» كذلك المارشال «كافالiero» ؛ ولم يكن هنالك أي مجال للارياب في معتقدات خليفه ، الجنرال «امبروزيو» ؛ قال عنه «هتلر» : «إنّ

وهنار «ذاك المجرم» . وقد لعب جو «ستنبرغ» دوراً حاسماً في إفهام روحه بالكره والخذل . فقد أشار قائلاً : «لم تكن هنالك لمسة ملوّنة زاهية واحدة . إنّما رائحة مطبخ . ونبارات عسكرية ، وأحدية» . وكانت أنباء الجبهة المفجعة . وهرب الجيش الإيطالي ، تزيد من قتام ذلك النهار الذي لم يعرف للشعاع مرأى . فلحقت الشتائم بعض ضباط حاشية المارشال «كافالiero» . وخسّيل للإيطاليين . وهم في قطّر النوم الخاصة بهم . أنّهم محتجزون كأسرى .

أما الرسالة التي بعث بها «موسوليبي» إلى «هتلر» مع صهره فقد كانت التالية : «اعقد السلام مع روسيا !

وراج «تشيانو» يدافع عن حجج «الدوتشي» : إنّ حرب «روسيا» لا مغزى لها . فالخطر كامن في الغرب ، لقد بادر الانكليز إلى «أوروبا» خلال السنة المفجوم في «المتوسط» . وستفتشي عملياتهم إلى «أوروبا» خلال السنة المقبلة ؛ كان ينبغي على «ألمانيا» بالتالي أن تضع حدّاً للحرب على جبهتين ؛ كان عليها أن تعقد «بريست - ليفوفسك» جديدة بتوجهيهما «روسيا» شطر «المند» و«الخليج الفارسي» ؛ وإذا تعذر هذا الأمر للحال . كان ينبغي وضع الجبهة الروسية موضع الدفاع ، وتسيير معظم الجيش الألماني ضدّ الغرب .

وراج «هتلر» يصفني بفارغ صبر إلى هذا العرض الذي كان يشجب السياسة الشاملة التي انتهجهما منذ ١٩٤١ ؛ ثمّ أجاب بأنه حاول منذ ١٩٤٠ أن يسلط أنظار الروس على «المند» و«إيران» . وأنّهم قد رفضوا الاقتراح لكنّهم يتبعون سياسة «بطرس الأكبر» باتجاه «البلطيق» والمضايق . فإنّ كان هو . «هتلر» . قد هاجم ، فلأنّه قد استبق النبات العدواني . محبطاً بذلك استعدادات «الاتحاد السوفيتي» . فالصعوبات الموقتة يجب ألا تربّل من الأذهان المجنّزات الكبار التي تم تحقيقها : فقد أبعد الروس ١٠٥٠٠ كلم . وبات الخطر الذي يشكّلونه أقلّ بكثير . وكالمعتاد كان الشتاء موئلاً لهم . إلا أنّ الحملة الصيفية ستجهز عليهم . قطع «تشيانو» النقاش قائلاً إنّه سينقل إلى «الدوتشي» تصريحات الفوهرر بمحاذيرها . فالمشادة قد انتهت مؤقتاً ، إلا أنّ الحشوة وانعدام الثقة تفاقما في كلا الجانبين . وراج الإيطاليون يقيسون بمحنة المطرة السحرية التي جرّ نظمتهم وبذلهم إليها رجل مصاب بمرض العطمة كان يضعهم منذ البدء أمام الأمر الواقع . كان الألمان يعلمون أن «إيطاليا» تحاول التحرر من ارتباطها . وأنّ «موسوليبي» . رغم إخلاصه للتحالف . يزداد ضعفاً وانفراداً يوماً بعد يوم .

وبعد انطواء الصفحة الروسية اتسّجه النقاش شطر «المتوسط» . قال «هتلر» : إنّا نخوض الحرب الفونية الرابعة (١) . وكون «تونس» قد استعادت أهميّة استراتيجية استثنائية ليس مجرد صدفة ؛ ونتيجة القتال الذي يدور فيها وقف على النقل دون سواه . فإنّ تعذر تأمّن هذا النقل في شروط مرضية اعتُبر كلّ سلاح وكلّ جندي يُنقل إلى «أفريقيا الشمالية» مفقودين سلفاً . وأمّا في غير هذا الوضع ، فسترى «ألمانيا» نفسها قادرة على استعادة «الجزائر» و«المغرب» ، ولوسوف يتبدّل موقف «فرنكو» سريعاً بعد أن يصل جنودها إلى «ميلة» . ولكن ، هل البحرية الإيطالية مستعدّة للقيام بالتضحيات الضرورية لكي يوّل التدخل الانكليز - سكوسوني في «أفريقيا الشمالية» إلى انتصار باهر «المحور» ؟ هنا تكمن المشكلة . وقد شدّ «كيتل» على هذه النقطة بقوله : «إنّ مصير الحرب بين أيدي بحّارتكم !» .
نخالل المحاورة الألمانية الإيطالية وجهه غير مأولف . فلقد استدعي

(١) الحروب الفونية : هي ثلاث حروب نشبّت بين «قرطاجة» و«روما» .

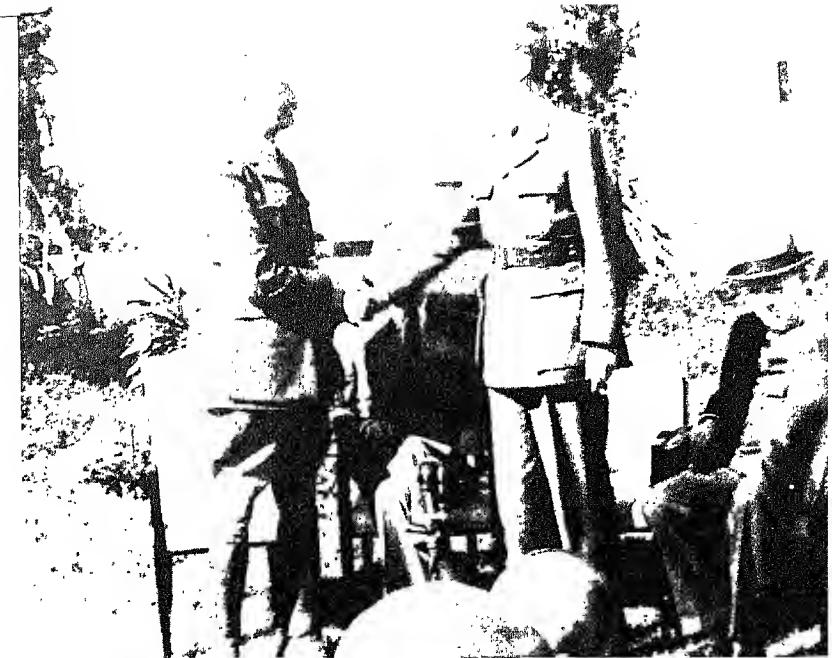
كان «ترشيشل» و «روزفلت» قد حاولا في البدء عقد مؤتمر ثلاثي . ولكن «ستالين» أعلمها بأنه لا يقدر على مغادرة «روسيا» ولو يوماً واحداً . وأنه في أية حال . لا يرى ضرورة مثل تلك المقابلة ، إذ أنه لم يكن للحلفاء سوى فتح جبهة ثانية «كما وعدوا». كان غزو «أفريقيا الشمالية» يعتبر . ضمناً . كفارة لا عاقبة لها ، أو كخدعة يقصد بها التخلص من الارتباطات .

لم يكن للقاء - و «ستالين» غائب عنه - أي معنى . إلا أن «روزفلت» كان راغباً في استنشاق هواء جديد . فقد كانت السنة السياسية سيئة بالنسبة له . إذ أسفرت التظاهرات العنصرية في «ديترويت» و «هارلم» عن وقوع ٤٠ قتيلاً . ولم تفز الأكثريّة الديمقراطيّة في انتخابات تشرين الثاني في الكونغرس إلا بتفوق بسيط في الأصوات . وقد كتب إلى «ترشيشل» يقول : «إنه ليسعني أن أخرج بضعة أسابيع من جو «واشنطن». وهكذا أتي مؤتمر «الدار البيضاء» ، وهو أقل مؤتمرات الحرب نفعاً ، هوى من أهواء رئيس الولايات المتحدة» . وقد اعترف «هوبيكتز» بذلك قائلاً : «القدر أن يقوم برحلة !

تم اختيار «الدار البيضاء» بناء على اقتراح «ترشيشل» . ووصل «روزفلت» بعدما قام بعطفة جوية واسعة : «ميامي - ترينيداد - بيليم - باتورست». وأمّا «ترشيشل» فقد خُسِّل له أنه سيحترق وهو في داخل طائرته ، فيما هبط «أيزنهاور» والملطنة مشدودة إلى ظهره . بعدما تعطل محركان من محركات طائرته . وقد أحبط حي «أنفه» بكامله بالأسلاك الشائكة وبخط من الحرس شبه متصل ، ووضعت بتصرّف الرئيس ورئيس الوزراء داراتن كيرتان ، واحتُجزت اثنان آخران . أصغرهما ، لزائرين اثنين . وباستثناء «ماكميلان» من الجانب البريطاني ، و «هوبيكتز» و «مورفي» من الجانب الأميركي ، كانت الحاشية العسكرية برمتها . كان «روزفلت» قد صرّح بأنه لن يصطحب أحداً من أعضاء الحكومة ، وقد طلب إلى «ترشيشل» ألا يصطحب «إيدن». كان الانكليز قد اتخذوا لمناقشة السرّاجية عدّها . فاسفينة التي كانت بمثابة مقر للأركان العامة ، وهي من حمولة ٦٠٠ طن . قد زُوّدت بمكتبة من الرابع ، فإذا «بيروك» و «بورتا» و «تيدر» و «باوند» و «الكسندر» و «إسمى» و «جا كوبز» يُقدرون متسلاحين بمذهب ثابت ، فراجعوا يربهون ، مستندين إلى الأمثلة التي تلقنوها في «ديبب» ، أن «نزلوا بحريراً مبكراً في «فرنسا» يوفّر «هتلر» نصراً سهلاً . فالمتوسط ، والحالة هذه ، يبقى ، حتى إشعار آخر ، المسرح الوحيد الذي يمكن حصر المجازفة فيه . وبعد أن تم استعادة «أفريقيا» ، يمكن مهاجمة «إيطاليا» الجنوبيّة والوسطيّة ، من غير أن تقوى «ألمانيا» ، التي تحدّها الفجوج الأبية ، على إigham قوّتها التي يتيسّر لها توزيعها في سهل شماليّيّ «أورووبا» المتّمعة بشبكة واسعة من المواصلات .

وخاصّ الأميركيّون النقاش بشغف . فحملة «أفريقيا» كانت تزيد من خوفهم المتوسطي الجنوبي . كانوا يعتقدون أنها لن تستغرق غير أيام معدودة ، فإذا بهم أمام حرب عنيفة صعبة . وطلب «مارشال» ، يسانده «هوبيكتز» ، لإيجاد حل سريع لتلك الحرب ، بغية الخروج من المأزق والتفرّغ لمحضير غزو «أورووبا» في ١٩٤٣ .

في النهاية أثبتت الواقع التي دافع عنها الانكليز فعاليتها . وسلم الأميركيّون بتمديد العمليّة المتوسطيّة بـ«إيطاليا». ثم جرت مشادة أخيره موضوعها اختيار موقع الهجوم . كان الأميركيّون يفضلون جزيرة «سردينيا» لاعتقادهم بأنّها توفر أسع منفذ نحو قلب «أورووبا» القارية . وكان الانكليز قد اختاروا جزيرة «صقلية» ، فكان لهم ما أرادوا . وحدّ يوم ١٠ تموز موعداً للنزول ، شرط أن يكون «المحور» قد طُرد من «تونس» .



الجزر الـ «ديغول» يصافح الجزء الـ «جيرو» .

جلّ منه هو أن يجعل من «إيطاليا» «دومينونا انكليزياً». ومنذ أن تسلّم «امبروزيو» سلطاته الجديدة . طلب إعادة الجنود الإيطاليين المغادرين في الخارج . وخصوصاً الفرق الـ ٣٣ - وهي تمثّل ثلث الجيش - التي كانت آنذاك في «البلقان». ورفض «هتلر» هذه الرغبة ، وطلب من الإيطاليين أن يشدّدوا العزم في قمع العصابات الشيوعية والوطنية «من غير أن يوفروا النساء ولا الأولاد».

لقد دعمت الحزم الذي بدأ عن «الدوتشي» سلطاته ملدة من الزمن . إلا أن المزائم في «روسيا» ، والقلبات «أفريقيا» ، عادت إلى خلق القلق . وإلى إثارة الرغبة في التخلّص من هذا التشبّث المشوّم . هذا . وقد راحت تعقد في بنائي الفاشية وللملكية المتداعّين موآمرات خطيرة وعميقة .

الدار البيضاء والاستسلام غير المشروط

في تلك الأثناء كانت مقابلة بين «ترشيشل» و «روزفلت» قد اختطّت للسرايّاجية المشرّكة هدفاً جديداً ، وأضفت على النزاع الفرنسيّ تطوراً جديداً ، وأوجدت صيحة سوف تصلب الحرب بإرث «المانيا» على اتخاذ موقف دفاعي يائس .

نكشيرة «ترشيشل» في اجتماع «الدار البيضاء» !



تصطلك سخطاً : يعني ألا تعرقل الحرب ! « وبقي «ديغول» ثابت الجنان . واحتار «روزفلت» وسيلة أخرى ، محاولاً التأثير بفتنه : ولكن من غير جلو . واستبعد «ديغول» الشركة التي حاولوا أن يفرضوها عليه قائلاً إنه أنتهم أصرروا على ذلك ، وهو معتمد على الانصراف خلوا من الارتباطات .

وتميز آخر يوم من المؤتمر - الأحد ٢٤ كانون الثاني - بمناقشة عاصفة بين «ديغول» و«تشترشل». ثم قصد الاثنين إلى «روزفلت» حيث وجدا «جيرو». وأنفقت حاولة أخرى لوضع بيان مشترك. عندئذ سأل «روزفلت» «ديغول» إن كان يسمح بالتقاط صورة له برفقة «جيرو» مع «تشترشل» ومعه، فقبل «ديغول». ثم أردف «روزفلت» سائلاً: «أتفاق على مصافحة الجنرال «جيرو» أمام عدسة المصورين؟» فرد «ديغول» بالانكليزية: «سأفعل ذلك من أجلك». وحمل الرئيس إلى صحن الدار المنشم حيث وقف مراسلو الحرب الانكليز والأميركيون. الذين استدعوا فجأة إلى «الدار البيضاء»، والذين أصبحهم الكدر عندما علموا أنّ مؤتمر قمة كان متقدماً منذ أسبوعين، فاللتقطوا صوراً من شأنها أن ترهن الناس بأنّ همة مصالحة لم يتخل «ديغول» عن حق من حقوقه، ولكنه لم يتصرّف من غير أن يحصل على حق: فقد قبل «جيرو» بأن يستقبل مبعوثاً من قبل هيئة «فرنسا الحرة»؛ وإقامة اتصال بين «لندن» ومدينة «الجزائر». وهكذا يكون «ديغول» قد أحدث ثغرة في قلمة «جيرو» الصغيرة.

لم يكن «تشرتشل» يعلم شيئاً عن ذلك. وقد انقضت حتى يومنا
عبارة النصر تلك التي كانت تربط «النكلترا» ، من غير موافقها .
إلى نظرية دكتاتورية للحرب. وفيما بعد حاول أن يختلف من حدتها
مصرحاً بأنَّ طلب الاستسلام غير المشروط لم يكن يعني عزماً على
الانتقام من الشعب الألماني. ولكنَّه، في «الدار البيضاء» ، وجد أنَّ
الإدلة بتحفظات حول هذه النقطة كان من شأنه أن يُظهر للملا
زاعاً علىَّه وبين رئيس الولايات المتحدة» .

وقد صرّح الدكتور «بول شميدت» بقوله : «لقد انقضى قلبى حين قمت أترجم «هتلر» هذه العبارة الخامسة . ورحت أقيس الحال مقدار ما تدعم به الوضع النازى فقد تلقت المعارضة الألمانية ضربة جدّ قاسية » . ودخلت عبارة «استسلام غير مشروط » رأسمايل «غوبيلز» وكانتها أثمن ما لديه من ممتلكات . لم يكن شيء قد تغير جبال «هتلر» والمعصيين الذين نذروا أنفسهم للقتال حتى الموت . إلا أن كل شيء قد تغير بالنسبة للألمان الذين كانوا يسعون للقضاء عليهم . ومنذ ذلك الحين راح أكثرهم أهمية يحاولون إقامة روابط مع الحلفاء الذين كانوا عليهم بالموآمرات التي تحاك ضد «هتلر» ، وبالخلافات الحادة التي كانت تفصل بين الجيش والحزب القومى الاشتراكي . كان العمل في سبيل توسيع هذه الشفقة ممكناً ، ولكن «الاستسلام غير المشروط» ، الذي ذمه «كورديل هال» و«أيزنهاور» ، قد أسمهم في لأمها . فالغرب كانت سائره لا محالة نحو ما أسمته اللغة الانكليزية : «النهاية المبررة» .

كان من الممكن اتخاذ هذه المقررات إما في «لندن» وإما في «واشنطن». إلا أن «الدار البيضاء»، من جهة أخرى، كانت بالنسبة «لأنكليترا» و«الأميركا» أرضاً مناسبة لمحاولة التي تهدف إلى مصالحة الفرنسيين.

كانت القضايا الفرنسية تغطي «روزنفلت». لقد سبق له أن تفاوض مع «فيشي»، واستمال إلى الفلك الأميركي كـ«شخصيات وفية للmarsال» (بيان)، بيد أنَّ مbole الشخصية كانت تبعده عن عالم العواطف والأفكار المتمثل «بفرنسا» الخاضعة (بيان). كان «روزنفلت» يظن أنَّ «بديغول» ميلًا دكتاتورية متقلبة ويعيب فيه زهوه المنطرف. وكان يرى في «ديغول» و(بيان) عبيًّا مشرِّكًا: فكلَّا هما يبذلو له ممثلاً «فرنسا» الاستعمارية التي يأمل ألاً تبقى حية بعد انتصار الأمم المتحدة. وقد لام «مورفي» لكونه قد أعطى الجنرال «جيرو» وعدًا خطيرًا بأنَّ «فرنسا» سوف تستعيد كامل إمبراطوريتها، فقال له: «لا عجب إذا سببت لي رسالتك المتاعب بعد الحرب ...» ونعمَّد تجاهل المُقيم العام الفرنسي في (المغرب): وفرض إقامة علاقات مباشرة مع السلطان، وهو خلال المأدبة التي أقامها على شرفه لم ينفك يبشره باستقلال بلاده. ولم يكن عبوس «تشرشل» اليين إلا انعكاساً لما كان يتوقع من كوارث تنجم عن جهل الأميركي كـ«واد عائة» واندفاعة.

وفي ٢٢ كانون الثاني . وهو اليوم التاسع للموتمر . هبطت إحدى
قاذفات الطيران الجوي الملكي بالحرال «ديغول» في مطار «الدار البيضاء». .
لقد خضع في النهاية . إلا أنه جعل الآخرين ينتظرونـه . فارتدى بذلك
أهمية فاتحة . وغدا في المؤتمر وجهه الذي تشخص إليه الأنوار .
وبقي «ديغول» صعب المراس رغم كل شيء . وقد أشار عراة إلى
أنه كان على أرض فرنسيـة تحيط به حراب أجنبية . ولم يتمكنـ
«ترشـل» من تلـين قـاته . وهو الذي حمله على الحضور . وقد قال
«مورفي» في ذلك : «كـأني الآن أرى رئيس الـوزراء البريطانيـ وهو يشير
بـسانـه إلى وجهـ الحرـال . صـائحاـ بلـكتـه الفـرنـسـة . وأـستانـه الـاصـطنـاعـيةـ

آخر معاارك ”رومَل“ الأفريقية

أوجد «هتلر» جيشاً خامساً للدبّابات في «تونس» . رغبة منه في مواجهة التزول الحليف . وعهد بقيادةه للجزر الـ 10 بورجن فون أرنيم . وصل «أرنيم» من ثلاثة «رجيف» ولما سبق له فقط أن رأى «أفريقيا» ، وهو على يقين من أنَّ الحرب التي طلب إلَيْه القيام بها لا تعدُّ أن تكون لعبَة بالنسبة لجندي قديم آتَ من الجبهة الروسية . لم تتحصَّر مهمته في الدفاع عن رأس الجسر التونسي : فقد كلفه «هتلر» بإعادة فتح «أفريقيا الشمالية» ، وإلقاء الانكليز والأميركيين في اليم . ولكنَّه النهوض بهذا العبء وعده بستَّ فرق ألمانية ، وأفهِمه أنه سوف يوضع تحت سلطة القيادة الإيطالية الاسمية ، وأنَّه في الواقع سيرتبط بالmarschal «كيسلنخ» وقيادة الجيش العليا . وصل «أرنيم» إلى مدينة «تونس» في أواسط كانون الأوَّل . فلم يجد هناك غير ثلاث وحدات كبيرة : فرقة «بروينج» المولعة منقطع وأقسام ، وفرقة الدبّابات ١٠ ، والفرقة الإيطالية «سوبرغا» . ثم وافته فرقة أخرىان في كانون الثاني هما فرقة المشاة الألمانية ٣٣٤ ، وفرقة «امبرياتي» الإيطالية ، وفي آذار لحقت به فرقة «هيمن غورنخ» . إلا أنَّ هذه الوحدات كانت تشكو فراغاً : فلا تعدَّ الكتاب الألماني غير ٤٠٠ رجل ، ولا تضمَّ الفرق الإيطالية سوى ٦ كتاب ، ولا ينبعدى أفراد جيش الدبّابات الخامس ، بما فيهم رجال الخدمات ، ٢٧٠،٠٠٠،٧٦٠ المانيٌّ إيطاليٌّ ، فبات «أرنيم» يتضرر بفارق الصبر التسعة اللازمة لينطلق إلى فتح مدينتي «المزارع» و«الدار البيضاء» من جديد .

ولسوف يتضرر من غير جدوى ؛ فالآفة التي قبضت على انتصارات روميل ، وهي أزمة النقل ، قد أصابته هو الآخر . فمع أنَّ اجتياز مضيق « sclle de Sicile » ما كان يستغرق غير ليلة ، فقد أغرت فيه ٤٧ سفينة بين كانون الأول وكانون الثاني ، وأضطرر ما يقارب العشرين غيرها إلى العودة إلى ورشات التصليح بعدما أصيبت بأضرار بالغة . وكانت البحرية التجارية الإيطالية قد بدأت الحرب بـ ٣٠٠،٠٠٠ برميل ، وأضيف إليها ٥٦٠،٠٠٠ برميل مما صودر في المرافئ اليونانية والفرنسية ؛ وفي مطلع ١٩٤٣ كاد لا يبقى لها غير الثالث ، وكان عليها ، فضلاً عن « أفريقيا » ، أن تؤمن تموين « اليقان » وجزر « الدوديكانيز » . لذلك بادر الجحو إلى إغاثة البحر ؛ فقدم الطيران طائرة ٢٠٠ يوم ٥٢ ، و ١٥ « مسر شميت » من ذوات المحرِّكات الستة التي بإمكانها أن تنقل حمولة ١٠ أطنان . وعمل جسر « تونس » الجوي أحسن مما عمل جسر « ستالينغراد » ، فأمكنه ، مع اعتماده على ثلث الطائرات عدَّاً ، أن ينقل ضعفي ما كان ينقله ذاك ، أي ٧،٠٠٠ طن شهرياً . ومع هذا كانت النتيجة ضعيفة بالنظر إلى الحاجة المقدَّرة بـ ١٢٠،٠٠٠ طن . ولن يتلقى « أرنيم » في كانون الثاني ، وهو أفضل شهراته غير ربع تلك الكمية .

كانت النقطوط المعادية قد امتدت شيئاً فشيئاً حتى جنوبى تونس ، وحتى بطاح النقطوط الصحراوية . أما من جانب المحور فكانت فرقة «بروبيع» تسيطر على شمالي تونس ، فيما تشرف فرقة الدبابات ١٠ على الوسط ، وتشرف مفارز ألمانية - إيطالية على ما تبقى . وإذا لم يشمل الجيش البريطاني الأول بعد سوى فيلق واحد ذي فرقين ، فقد اصطفَ من البحر إلى «جسر الفحص» ؛ وإذا كان الفيلق الفرنسي ١٩ يفتقر إلى عتاد مضاد للدبابات ، وإذا لم يكن له من سلاح المدفعية غير

مدافع ٧٥ العائد إلى الحرب العالمية الأولى ، فقد وقف بفرقه الثلاث على جبهة تمند مسافة ١٠٠ كلم على طول العمود الفقري التونسي . وامتد قطاع الفيلق الأميركي ٢ حتى «قصبة» . ومع أنَّ الأميركيين قد أتزوا إلى البر ثماني فرق ، لم يكن لهم بعد في الجبهة إلا الفرقة المصطفحة الأولى . وفرقة المشاة الأولى ؛ ذلك أنَّ ضعف شبكة المواصلات ، وخشية تدخل إسبانيا ، قد تضيّع الإبقاء على كمية ضخمة من الجيوش الغربية .

وهما يكن من أمر، فهناك ممثلان كبار قد مشيا في طريقهما إلى المسرح التونسي: أولهما «رومبل»، وثانيهما «مونتغوري». «فرومبل» يعود الققرى منذ موقعة «العلمين»، وفي بيته أن «أوريقيا» قد فقدت. وأن «معركة تونس» لا يمكن أن تكون إلا معركة مؤشرات، وأن الموقف الواقعي الوحيد يقوم على إعادة أكبر عدد ممكن من المحاربين إلى «أوروبا». وكان من نتيجة إعلان هذا الرأي، الذي وصف بأنه أهزامي، أن قيده «هتلر» وحضره ضمن حدود ضيقة؛ فقد طلب إليه بشدة لا يعود إلى التخلص عن قواته الإيطالية «كما فعل بعد العلمين»، وحضر عليه كل انكفاء لا يحظى بعافية الجنرال «باسيكو» قائد الجبهات الأفريقية الأعلى. فقد ولى الزمان الذي كان يستطيع فيه أن يسمح لنفسه بمخالفة الأوامر، وبات زماماً عليه أن يتوقف على التوالي في موقع «مرسى بريقة» الذي يقف حاجزاً على مدخل «سدرة طرابلس»، وفي موقع «دبابات الحسن» الذي يغطى «طرابلس، الغرب».

كانت الأوامر القاضية بالتمسك بتلك المواقع حتى النهاية تُلقى كلّ مرّة أمام استحالة تغذية معركة في قعر خليج «سرت»؛ إلا أنّ هذه الوقفات المفروضة ، والافتقار الزمني إلى الوقود ، ما كانت لتدعى «رول» أية فرصة في الوصول إلى «تونس»، لو أنّ «مونغومري» تخلى عن مبادئه الخندر المفترط في تقدّمه البطيء. كان «رول» يفكّر ليلاً . وكانت في حلم، أنه في مكان خصمه ، أو يكلف مجلس أو كاهنة بدرس المجموع المعakens الذي قد يشنّه فيما لو تلقى ما يكتفيه من البترin . ولكن عثّا كان حمله ويفعلـ !

في أواسط كانون الثاني عادت الحرب فانتعشت في «تونس» «وسرد طرابلس» في آن معًا ، فوضع «أيزهواور» عملية دُعيت «ساتان» تهدف إلى احتلال «صفاقس» ، أي إلى قطع المواصلات بين جيش «فن أرنيم» و«جيش رومل». إلا أنَّ المشروع قد أهمل بسبب بعض العقبات المادية؛ وببدل أن يهاجم «أرنيم» هبَّ هو إلى الهجوم، فطرد الفيلق ١٩ من فوج «القيروان» ، وأفاق «مونتغومري» من سباته أمام موقع «بوررات» الذي قضى فيه «رومبل» هدنة ناعمة هائنة ، وراح يهدَّد بتطويق جيش الدبابات الألماني الإيطالي؛ فتحاشى «رومبل» الضربة وتخلَّى عن «طرابلس الغرب» في ٢٠ كانون الثاني ، وذهب بعد أيام إلى «تونس» يتقدَّم حصون «مارث» التي أمر من جديد بالتوقف عندها. كان ٣٥،٠٠٠ إيطاليًّا يعملون على تزويد خط «ماجيرو» الصحراوي المتواضع ذاك ببعض القدرة الدفاعية؛ فوجده «رومبل» ضعيفاً ، وبدأ لو يتراجع حتى «فابس» ليتمرَّكز في المختنق الواقع بين البحر والشطوط؛ إلا أنه لم يبقَ سيد نفسه ، وفهم أنَّ «مسؤولي» يطالب باستدعاءه ، وأنَّه بعد أيام سيضطر إلى التخلُّي عن قيادته للجزرال الإيطالي «ميسي» .

في ١٦ شباط انسحبت المؤخرات الألمانية وراء خط «مارث» بعد ما تركت آخر قطعة من الأمبراطورية الرومانية الجديدة . أعاد «رومبل» ١٢٩ دباباته ، وقد قطع نصفها ، كما أعاد فرق الفيلق الافريقي الحالدة بعد ما فقد ثلثاها ، فإذا هي فرقتا الدبابات ١٥ و ٢١ ، والفرقة الخفيفة ٩٠ والفرقة ١٦٤ التي التحقت بالجيش عشية معركة «العلمين» ، فضلاً عن

استولى على «سيطلة» في قلب النجد ، فأنهار بذلك القسم الجنوبي من الجبهة الخالية بكماله .

غير أن الشتاق كان سائداً في القيادة الألمانية . «رومبل» ، الذي قطع مسافة ١٣٠ كيلومتر في ثلاثة أيام ، لا يقدر أن يفهم كيف أن «فون أرنيم» لم يقطع غير ٣٠ كيلومتر ، وبماذا كان يترى في استغلال انتصاره في «سيدي بو زيد» . لقد كان يجهل أن «فون أرنيم» إنما يرغب في تحويل جهوده نحو الشمال بهجوم جبئي في وادي «مجردة» ، بينما بقي هو ، «رومبل» ، أميناً لخطته الصحراوية ، فرأى ضرورة استمرار العمليات بشكل تحرّك واسع يدور باتجاه «تبسة» ونحو «بون» فيما بعد ، بغية الوقوع على مواصلات العدو وإرغامه على إخلاء «تونس» بعجلة . وأمّا الحكم ، وهم «كيسلنخ» و«القيادة العليا» ، فقد كانوا في «روما» ، فيبعث إليهم «رومبل» برئيس أركانه «باير لайн» ، وبات ينتظر قرارهم بقانع الصبر . بلغه القرار في الساعة الواحدة من صباح ١٩ شباط ، ينقل إليه رضي وخيبة في آن معاً : فقد وضع تحت أمره فرق مصفحة ، إلا أن «القيادة العليا» كانت ترى في تحرّك المستدير عبر «تبسة» ، أمراً بالغ الجرأة . ولذا وجب على المارشال «رومبل» أن يبقى أبعد إلى الشرق ، وأن يسرّ على «الكاف» فحسب ، كي لا تتسع المسافة بينه وبين الجيش المفتح الخامس . وأسف «رومبل» لتقلص مناوراته . ولكن لم يكن بالإمكان إطالة النقاش ، فقد كان الوقت حرجاً ، وكان العدو يتأهّب . كان ينبغي تسليم الضربة في الحال .

إنطلق الهجوم في اليوم التالي . ولقد قرر «رومبل» مهاجمة فوجي «سيبية» و«القصررين» في آن معاً ، شرط أن يحول مجده بجهود الرئيس إلى المنطقة الأكثر ملائمة للاستثمار . وعبر «سيطلة» زحف الجيش المصفح ٢١ نحو «سيبية» ، ومن «القصررين» دخل الفيلق الأفريقي الألماني «وادي الخطب» الذي ينفذ إلى الفج . ويقي الجيش المفتح العاشر ، وفرقة «ستورور» ، في الاستياب ، على أهبة الانطلاق إما إلى اليمين أو إلى اليسار . وراحت الطرقات المشبعة مطرأً تشد إليها زناجر الدبابات . وابتعد ضباب شاحب فآخر الفجر وطغى على أشعة الشمس الوليد . إن «أفريقيا» البليدية راحت تحقيق مرة أخرى بالمقاتلين . في الفجتين كان الحلفاء في غمرة الارتجال . ففي «سيبية» دعمت مفرزة من الفيلق ١٩ وبصورة معجلة بعض عناصر الفرق المصفحة البريطانية ٦ ، وفي «القصررين» تسلّم الكولونيل الأميركي «ستارك» قيادة القطاع في السادسة صباحاً . لم يكن لديه غير كمية واحدة من فوج المشاة ٢٦ ، وكثيبة مضادة للدبابات ، وبطارية فرنسية من عيار ٧٥ القديم . وهرع إليه بعض الأمداد ، إلا أن القيادة كانت تردد في إضعاف القطاعات الأخرى ، لظتها أن الهجوم الرئيس إنما سيحدث أبعد إلى الشمال ، في ناحية «فندق» أو «جسر الشخص» .

ولحسن حظ الحلفاء كان الألمان قد انطلقا من أماكن قاصية . فاحتل الجيش المفتح ٢١ راح يتقدّم باتجاه «سيبية» يبطئ جعل «رومبل» يغلي غالباً . وكان قد اعتمد على تدخل مفاجئ لكتيبة الاستطلاع الثالثة في فوج «القصررين» ، ولكن مثبتين من راكبي الدراجات النارية يشكّلون في الواقع مفرزة شديدة الضعف إزاء عدو مزود بالمدفعية . ولم تدر رحى المعركة إلا في العشاء . وعند حلول الليل كان الفيلق الأفريقي قد احتلّ موقعاً تافهاً ، وهو «برج شامي» ، على علو ١،٠٠٠ متر في الفج . إلا أن خطوط القسم بقيت في أيدي الحلفاء .

وشهد اليوم التالي سقوط فوج «القصررين» . وقد قام جنود فرقة «سانتورور» بشن الهجوم الأخير ببراعة فائقة . وأمّا الأميركيون الذين فقدوا ٤٥٠، ٢، ٤٥٠ أسيراً أصحاباً ، و ١٩٢ قتيلاً ، فقد برهنوا على أن

خمس فرق إيطالية صغيرة من حامية «طرابلس الغرب» . وبالإجمال أتى ٣٠، ٣٠ ألماني و ٤٨، ٠٠ إيطالي يدعمون رأس الجسر الذي أقامه المحور في «تونس» .

وأقبل في أثرهم الجيش الثامن الانكليزي وقد «تحمّل فيه كلّ لسن وأمة» ، فالتحق فيه الانكليز بالسكوتلنديين والأستراليين والنيوزيلنديين والأفريقيين الجنوبيين والكنديين والموندي والماليزيين والصوماليين والسنغاليين والفرنسيين وغيرهم . كان قوام المقدمة فيلق الجنزال «فريرغ» الذي انضم إليه رجال «لوكلير» القادمون من «التشاد» عبر الصحراء . وكان معظم القوات لا يزال حول «طرابلس الغرب» و«بنغازى» ، ولم يكن بوسها أن تحمل على خط «مارث» قبل أن تتفصي أسايب عدّة . فأمل هذا الوضع على «رومبل» محاولة أخيرة لقلب الوضع العسكري ولو مؤقتاً ، ففكّر بتسليمه ضربة شديدة إلى القوات الانكليزية - الفرنسية - الأميركية النازلة في «تونس» قبل أن تستぬج للجيش الثامن فرصة إلقاء وزنه السادس في الميزان .

تنقسم سلسلة الجبال التي تطلّق من رأس «بون» (رأس آذار) في وسط «تونس» بشكل لـ ، فتشقه الdrاع الغربية التي يقارب علوها ألف متر نحو الحدود الجزائرية ، وتحدر الdrاع الشرقية ، وهي أقلّ ارتفاعاً من الأولى ، نحو سهل «صفاقس» و«قبس» ؛ ويمتدّ بينهما بخط قاحل موسمي يُؤنسه قليلاً بعض المدن الصغيرة وعدة طرقات وخطوط حديديّ ضيق يمضي باتجاه «توزر» . وبخات تينك الدراعين شعاب وفجاج : قليل الشرق شعب «فاید» ، حيث تمرّ طريق «صفاقس» ؛ وإلى الغرب ممرات «سيبية» و«القصررين» و«درنابا» التي تتفصّل بشكل مرحة باتجاه أودية الشمال التونسي نحو مدينة «تبسة» القدّيمة الصغيرة ؛ حاضرة مرفعات «قسطنطينة» ؛ وتسمح «القصررين» خصوصاً بالتوجه إما إلى «تبسة» وإما إلى «سوق الأربعاء» على حد سواء ، أي إلى خطوط المواصلات الداخلية ، أو إلى مخارات «أينهار» .

بدأ الهجوم الألماني في أول شباط ، فطردت فرقتا الدبابات ١٠ و ٢١ ، المجتمعان تحت قيادة الجنزال «هايت زيلر» . الأميركيين من ممر «فاید» مغلقين بذلك الشرفة التي كانوا قد فتحوها على سهل «قبس» . ثم استُوْنَت الزحف في ١٤ . فنظم «زيلر» ، بالاعتماد على ٢٠٠ دبابة ، مناورة بشكل كلاًّ به حول بلدة «سيدي بو زيد» ، وهي مربع من البيوت البيضاء قد انبسط عند أسفل الdrاع الشرقية . أمّا الحصين فكان الفرق المصفحة الأميركيّة الأولى التي تعادل الفرقتين الأميركيتين قوّةً ولكنها تقصّهما خبرة في الحرب إلى حدّ بعيد ؛ قامت بحملة معاكسة فأخفقت ، وطُوقت كثائبها فاستسلم منها عدد كبير . فضلاً عن ١١٢ دبابة دُمرت أو أُسرت . فترجع «أينهار» لهول الصدمة ؛ كان إذ ذلك عائداً من جولة في الجبهة ، وقد تقدّم بجمّته الرابعة للمرة الأولى ، عندما بلغه انهيار أفضل فرقة لديه ! فارتقت في «أميركا» نفسها أصوات تقول إنّه لا يجيد غير السياسة ، وإنّ عليه أن يتخلّى عن إدارة العمليات الغربية لمساعدة الانكليزي الجنزال «الكسندر» .

أُسهم «رومبل» في الزحف ؛ فعندما ترك وقارنه غير الآلة على خط «مارث» ، شكّل ، بواسطة الفيلق الأفريقي ، مجموعة تعادل فرقة مصفحة سار بها على «قفصة» . لم يضطرّ إلى التزال لأنّ الأميركيين كانوا قد أخلوا المدينة وانسحبوا بسرعة نحو «تبسة» ؛ فإذا نحن من جديد أمام تقدّم سريع وسط جمع غير من السكان يهلكون للأمان . ووصلت الدبابات إلى مطار «تلابت» وسط ألسنة نار تلتقطهم ٣٠ طائرة أحقرها الأميركيون بسرعة قبل رحيلهم ، وفي ١٧ شباط وصل «رومبل» إلى سفح الdrاع الغربية أمام مصر «القصررين» ، فاتصل «بارنيم» الذي كان قد

ضعيف لا يستحق إقحام المصفّحات بكمالها في مغامرة قد تقضي عليها . وفي ٢٤ شباط أصدر أمير المؤمنات «المحور» بالعودة إلى ما وراء الفجاج ؛ وكان الحلفاء يحمدون قوائم استعداداً ل الدفاع مستعيناً فإذا خطر الميت يتلاشى سرعة عجيبة !

وبفضل هوى من أهواه «هتلر» تمددت خدمة «رومبل» بضعة أيام. فبدلاً من أن يستدعى، حسب إرادة «موسوليني»، سلمته قيادة مجموعة الجيش الأفريقية، فكان على «رومبل»، الذي أصبح أعلى رتبة من خصمه، أن يرأس هجوم «فون أرنيم» شمالي «تونس». وعرف هذا الهجوم بنجاحاً في مستهلة، ولكن قوات العدو المتفوقة قد جمدته، فحسب بالتأني انتقامه.

في الجنوب كان «روم» يُجهَّز صولة خارج خطّ «مارث» ، وفي نيسان تفكّيك استعدادات الهجوم التي يقوم بها «مونغومري» . فإذا به للمرة الأخيرة أمام الصحراء بأبعادها المسطحة ، المفتوحة ، وضبابها الصباحي الشاحب ، وشمسها المحرقة التي أضاءت الجوّ الحليدي بنور وهجّاج . وفي ٦ آذار قامت الجيوش المصفحة ١٠ ، ١٥ ، ٢١ ، بشن هجوم مرکَّز على مدينة «مدلين» الصغيرة ، التي كان الفيلق البريطاني ٣٠ ، التابع للجزرال السير «أولفر ليس» ، قد أقام حوطاً حلقةً من المدافعين ؛ فوّقت المصفحات الألمانية تحت نار بالغة الشدة أرغمتها على التخلّي عن القتال . وفي اليوم التالي طار «روم» إلى «أوروبيا» حاملاً معه الاستنتاجات التي أراد تقديمها «هتلر» عن ضرورة التخلّي السريع عن أكبر قسم من «تونس» . كان ينبغي ، حسب رأيه ، إعادة الجبهة الجنوبيّة لرأس الحسر حتى «التفيفية» على بعد ٨٠ كلم من «تونس» . وأجابه «هتلر» بأنّ «تراجعًا كهذا لم يكن وارداً ، ولما يمض بعد على فقدان السيطرة في «ستالينغراد» غير وقت قصير . ثمّ قلده صليب الفرسان بالسيوف والجواهر ، ودعاه إلى العودة إلى الاستجمام الذي قطع عليه . وهكذا لن ترى «أفريقيا» «لروم» ووجهًا بعد اليوم .

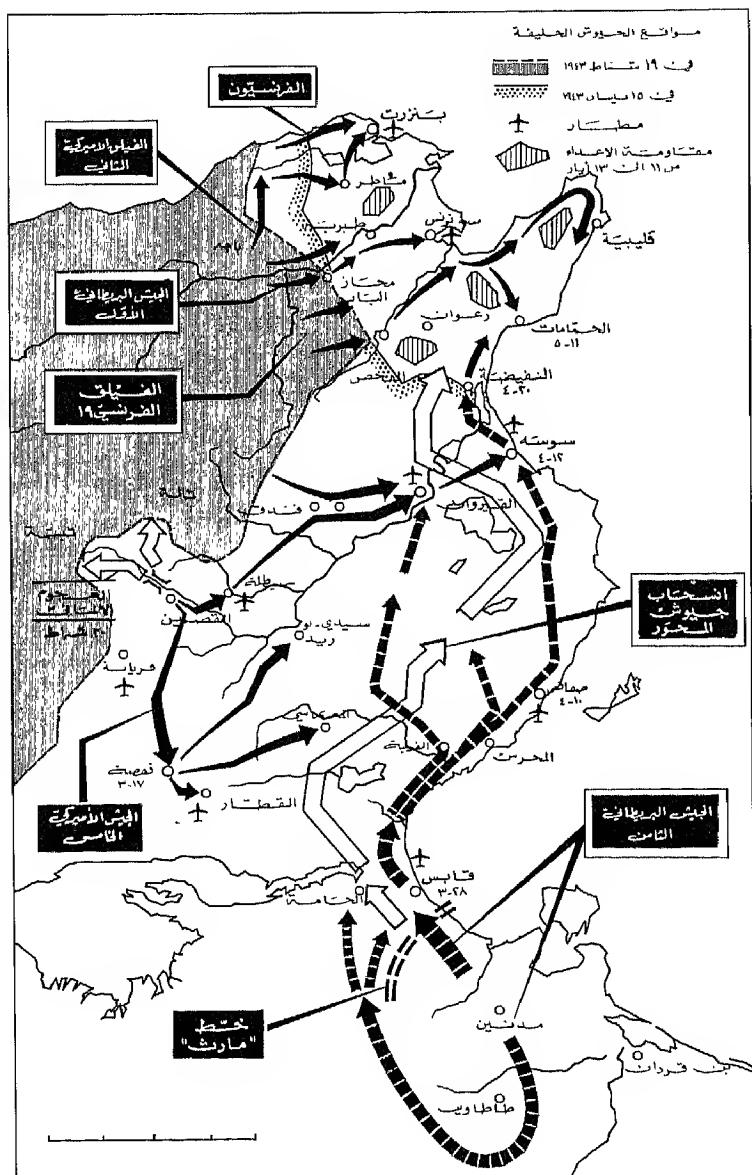
وتدورت الأوضاع . ففي ٢٠ آذار أطلق «منتغومري» على خط «مارث» هجومه الذي يجيء بحسبه طويلاً . فالمجوم الجبهي الذي قام به الفيلق ٣٠ قد أوفته عند حده ، عند أحد الأنبار ، فرقاً «تربيسي» و «الفاشية الفتية» ؛ إلا أن حركة الثقافية بلغت ٢٠٠ كلم ، يقودها «فريبرغ» ، قادت الفيلق النيوزيلاندي ، ورتب «لوكلير» ، حتى «الحامة» في أعقاب المدافعين . وجاءه «ميسي» الخطر بإلقائه قواته المتصرّكة على جناحه الأيمن ، ولكن «منتغومري» أفلح عن المحروم ، وألقى بفيلقه العاشر في آثار «فريبرغ» . وتنفيذاً لأمر وارد من «فون أرنيم» ، راجع «ميسي» لتوه نحو موقع جديد . وهكذا أصبح الجنوب التونسي في حكم المفقود .

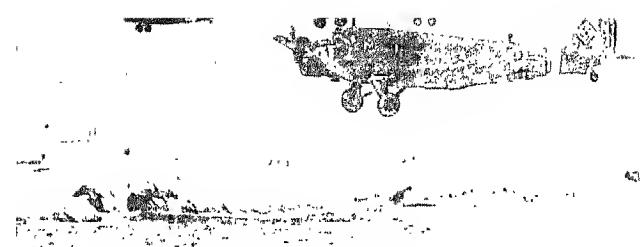
كان التوقف عند هذا الموقع قصير المدى . وفي ٦ نيسان عاد «متغوري» إلى المجمع . كانت مقاومة مطولة من جانب الجيش الإيطالي الأول أمراً محلاً ، إذ أنَّ الأمير كيبين قد انبعثوا من وسط «تونس» . واستمرَّ الراجم الألماني الإيطالي سط مزارع الزيتون الكبيرة . وفي ١٩ نيسان تراجع الناجون من الفيلق الأفريقي ، والإيطاليون ، حتى «التفيبة» . عادماً تكبّدوا خسائر فادحة . لم يكن رأس الجسر يغطي سوى الزاوية الشمالية الشرقية من «تونس» . ومن «التفيبة» كانت الجبهة تمتدَّ خطًّا شبيه مستقيم حتى جوار «رأس سراط» . وأمّا القوات الحليفة التي كانت تلقي ثقلها على هذا العقل ، فكانت قوات ساحقة تتآلف من أكثر من عشرين فرقة ، مزوَّدة بمدفعية جبارة ، وطيران لا مقاوم ، وقوتين وافر . وعلى الرغم من ذلك لم يكن لا «موسليبي» ولا «هتلر» ليسلِّما بخسارة مدينة «تونس» !

حيثما تمكن كما في الحسبان . ولحق «كيسيلرنغ» «روم» في الفجح ، وراح المارشالان يتزهّان وسط كمية هائلة من محلّيات العتاد . قال «روم» مسيراً إلى بعض الأجهزة الأميركية : «يجدر بنا أن نتعلم الكثير منهم» . وأجاب «كيسيلرنغ» : «أجل» . ولكن يجدر بهم أن يتعلّموا شيئاً منا ...» .

غير أنَّ الانتصارات الألمانية قد قاربت أجلها . فالفرزة التي أطلقت عبر طريق «تبسة» قد أوقفت قرب فج «أبوشبكة» . وعلى طريق «الكاف» تصدَّت قرية «تالة» الكبيرة لهجوم شنَّ عليهما ، فيما واحت المدفعية الأميركية . التي كانت متمركزة على القسم ، تردَّ على الدبابات الألمانية بضراوة . وقام «كيسيلرنغ» و «رومول» يحسبان كميات الوقود الباقية لديهما : لم يبقِ يامكان المصفحةات أنْ تهتزَّ أكثر من ٤٥٠ كام . وأمَّا الاحتياط المتوافر في «سوسة» و «صفاقس» و «قابس» فكان يضيف إلى هذا الاعتماد الذاتي الضعيف ١٥٠ كلم لا أكثر . فمطرادة العدو لن تبقى معقولة إلا في حال التزود من عند العدو ، وهو أمر

حملة «تونس».





دوريات جوية ألمانية على الساحل التونسي.



الجنرال «فون أرنيم» يصافح أحد المحاربين في «تونس».



ثلاث دبابات ألمانية تحترق في إحدى ساحات القتال في «تونس».

لقاء الدبابات البريطانية التابعة للجيشين الثامن والأول قرب «القيروان»



في ٧ نيسان التقى الديكتاتوران في «سازاربورغ». وظنّ شهود العيان أنّهم إزاء طيفين. كانت ملامح «موسوليني» قد تبدّلت بتأثير آلام معدته. وكان الحليب المحلي هو جلّ قوته، وقد بدا منحط العريبة. متقبّض الوجه. وبات أصغر حجماً. وبدا «هتلر» محيناً بظهره المقوس. وحاجبيه الغائرين. وعيته الهائمّة. لم يتّبع شيء عن خلوة مريضي المزيمة هذين. سوى القرار الامعقول في الصمود في «تونس» رغم كلّ شيء. قال «هتلر»: «أيتها الدوتشي». لقد فرغت لتوري من قراءة تاريخ معركة «فردان». سوف يجعل من مدينة «تونس» «فردان» «أفريقيا». إنّي لأعدك بذلك». وقال «موسولي니»: «إنّ التزول الانكليزي الأميركي في «أفريقيا» هو بالنسبة لنا حدث سعيد. فهو يفسح أمامنا آفاقاً لنصر لم نكن لنطمح بها بغير وجوده ...».

تصدّق وهراء! كان وضع رأس الجسر مروساً منه. وعرض «هتلر» تقديم فرق جديدة. إلا أنّ «فون أرنيم» كان أول راضيّها. قائلاً إنه لا يمكن من إعاقة الفرق التي كانت لديه. وفي آية حال لم يكن مصير «تونس» ليحظى لدى دولي «المحور» غير اهتمام عادي. فقد بات الناس يعلمون أنّ القضية لم تبقَ قضيّة الملحقات أو المخافر الأمامية الأفريقيّة. فغزو «إيطاليا» كان واصحاً من خلال غزو «المغرب». لا شيء يمكن أن يخفى عن الفطنة الإيطالية أنّ الحرب قد فُقدت. وأنّ الفاشية تحضر.

وأما سرد ما تبقى فمحضّ مفيد: في ١٩ نيسان ابتدأ الهجوم العام على رأس الجسر. وقد نقل «الكسندر» إلى شمال الجبهة الفيلق الأميركي الثاني المعزّز بالفيلق الفرنسي الحرّ التابع للجزر «دي مونسيير». ونشر الجيش البريطاني الأوّل فيلقه الثلاثة ٩، ٥، و ١٩ الفرنسي. من «جاز الباب» حتّى «جسر الفحص»، وقد انبعض الجيش البريطاني ٨ من «جسر الفحص» حتّى البحر. وإنّ طرق الحديد هذا لن ينفكّ يضيق الخناق على وحدات ألمانية وإيطالية مُبادلة. وجرت معارك طاحنة حول «النفيضة» و «ماطر». وفي وادي «مجردة». يا لها من تصحيّات لا تجدي فتيلاً! وفي ٧ أيّار دخل الحلفاء إلى «بنترت» ومدينة «تونس» في آن معًا. وكانت آخر ساعات القتال مجردة من طابع العنف. فكان المحاربون الألمان القدامي ينتظرون بهدوء أن يتمّ أمرهم. وهم جالسون على شرفات المقاخي كالسياح. واستسلم «فون أرنيم» ومعظم الضيّاط من غير أن يثيروا المتابع. وأطلق «هتلر» دعوات للقتال حتّى الموت. وأمر بالتحصن في رأس «دون»، إلا أنّ كلامه الملهي لم يبرّ الحمية إلا في قلوب القلائل من الصحابيّا. وألقى الفيلق الأفريقي سلاحه أمام الفيلق الفرنسي ١٩. وأما آخر طلقات الرصاص فقد صدرت عن فرقة «تربيسي» الإيطالية التي كان «ميسى» قد التجأ إلى صفوفها. وفي ١٢ أيّار سمع «موسوليني» لهذا الأخير بأنّ يوقف القتال مقلّداً إيهام رتبة مارشال «إيطاليا». في هذا الأمر وجهها تشابه وتناقض مع ما حدث لـ «باولوس»: «فالدوتشي» لا يطلب من مارشاله أن يقدم على الانتحار، إلا أنّ هزيعة مدينة «تونس» هذه كانت فادحة فداحة هزيمة «ستالينغراد». وقد تمكّن نحو من ٦٠٠ رجل لا أكثر من بلوغ «صقلية». والتقى الحلفاء ٢٤٨،٠٠٠ أسير، ثالثهم من الألمان. وبلغت خسائرهم طوال الحملة ٧٠،٣٤١ قتيلاً وجريحاً ومقوداً. منهم ٣٦،٠٠٠ بريطاني، و ١٨،٠٠٠ أميركي، و ١٦،٠٠٠ فرنسي. بيد أنّهم قد أفزوا جيوشاً عدوة كانت عدتها تفوق ٣٥٠،٠٠٠ رجل. واستعادوا السيادة على «المتوسط»، وعجلوا في إخراج «إيطاليا» من الحرب بصورة نهائية.

**الفصل الثاني والعروض
نيسان - مايو الأول ١٩٤٣**

في المثلث الثاني من الأرض

كانت قاذفنا القنابل اليابانية تستعدّ لالهبوط في مطار « كابهلي » ، الواقع في رأس جزيرة « بوغنبيل » الجنوبي ، يحيمها سرب من طائرات « زورو » .

معركت طوكوي



وفجأة بزرت المطارات الأميركيّة من عرض البحر . فاسقط الكابنه « توماس ج. لانفابر » أولى القاذفـين . وأسقط « ريكـس ث. بارـبر » الثانية . هوت الطائرات واحترقا في الدغل . فلقي الأميرال الكبير « إيسوروكو ياماموتو » حتفـه . ولم يكن ما جرى مجرد صدفة ؛ فقد كان الأميرـكـيون يفكـون دومـاً ألغـازـ الشـفـرةـ اليـابـانـيـةـ . وفي أول نـيسـانـ ١٩٤٣ـ حـمـلـ إـلـىـ الـأـمـيرـالـ «ـ هـالـسـيـ»ـ رـئـيـسـ شـعـبـةـ الـأـمـيـرـالـ كـانـ سـيـقـمـ بـهـ القـائـدـ اليـابـانـيـ الأـعـلـىـ فـيـ الـمـجـيـطـ الـمـادـيـ الـخـوـبـيـ .ـ كـانـ «ـ يـامـامـوـتـوـ»ـ قدـ صـمـمـ عـلـىـ زـيـرـةـ الـقـوـاعـدـ الـبـحـرـيـ فـيـ مـنـطـقـةـ «ـ بـوـنـ»ـ .ـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ «ـ رـاـبـولـ»ـ .ـ وـكـانـ مـقـرـراـ أـنـ تـصـلـ طـائـرـةـ فـوقـ «ـ كـابـهـلـيـ»ـ فـيـ السـاعـةـ ١٨ـ ٩ـ ٣ـ٥ـ مـنـ نـيسـانـ .ـ فـكـرـ إـلـيـ الـأـمـيرـكـيـنـ بـأـنـ يـكـنـواـ وـإـيـاهـ فـيـ الـمـوـدـ الضـرـوبـ !ـ

إـلـىـ آـنـ وـسـاـسـ جـعـلـهـمـ يـرـدـونـ .ـ أـفـكـوـنـ مـنـ أـصـلـ الـحـرـبـ اـسـتـخـدـمـ تـفـوـقـ سـرـيـ الـتـخـلـصـ مـنـ قـائـدـ الـأـعـدـاءـ كـبـيرـ ؟ـ أـيـكـنـ ذـلـكـ كـمـيـنـ تـسـمـعـ بـهـ قـوـانـينـ الـحـرـبـ ،ـ أـمـ تـرـاهـ فـخـاـ وـمـكـيـدـ ؟ـ إـسـتـشـارـ «ـ هـالـسـيـ»ـ «ـ نـيـمـيـتـ»ـ فـسـالـ «ـ نـيـمـيـتـ»ـ أـخـصـائـيـهـ مـاـ إـذـاـ كـانـوـ يـعـتـرـفـونـ أـنـ تـوارـيـ «ـ يـامـامـوـتـوـ»ـ يـضـعـفـ الـيـابـانـ .ـ فـأـجـابـوـاـ بـالـإـيجـابـ .ـ صـحـيـحـ أـنـ الـأـمـيرـالـ الـكـبـيرـ كـانـ قـدـ عـارـضـ خـوضـ الـحـرـبـ فـضـدـ «ـ أـمـيرـكـاـ»ـ .ـ إـلـىـ آـنـهـ .ـ وـقـدـ عـجزـ عـنـ الـحـوـلـ دـوـنـهـ .ـ كـانـ يـخـوضـ غـمـارـهـ بـهـارـةـ وـنـشـاطـ .ـ فـهـوـ الـذـيـ وـضـعـ خـطـةـ الـمـحـجـومـ عـلـىـ «ـ بـيـرـ هـارـبـورـ»ـ .ـ وـلـمـ تـكـنـ هـزـيمةـ «ـ مـيدـوـيـ»ـ .ـ وـلـأـ التـخـلـيـ عـنـ «ـ غـوـادـ الـكـانـالـ»ـ ،ـ لـيـضـعـفـ شـوـكـهـ فـيـ مـصـاـلـهـ أـعـدـاهـ .ـ إـلـىـ آـنـ شـهـادـةـ التـقـدـيرـ هـذـهـ كـانـ بـمـثـابةـ حـكـمـ بـالـإـعدـامـ عـلـيـهـ .ـ

لـمـ تـكـنـ الـمـهـمـةـ سـهـلـةـ ،ـ فـقـدـ كـانـ عـلـىـ الـطـائـرـاتـ ١٦ـ ،ـ الـتـيـ أـفـلـتـ مـنـ «ـ غـوـادـ الـكـانـالـ»ـ بـقـيـادـةـ الـمـيـجرـ «ـ مـيـشـلـ»ـ .ـ أـنـ تـقطـعـ ٥٠٠ـ كـلمـ قـبـلـ أـنـ تـصـلـ إـلـىـ سـمـاءـ «ـ بـوـغـنـبـيلـ»ـ فـيـ الـمـوـدـ الـمـادـيـ الـجـدـدـ .ـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ نـظـيرـ قـرـبـ سـواـحـلـ جـزـرـ «ـ جـورـجـياـ الـجـدـدـةـ»ـ الـتـيـ تـشـرـقـ فـيـ سـمـائـهـ أـسـرـابـ طـائـرـاتـ الـعـدوـ .ـ أـفـلـتـ مـنـ الرـصـدـ وـالـمـحرـرـ بـالـمـجـوـءـ إـلـىـ طـيـرانـ مـسـتـ يـكـادـ يـلامـسـ غـارـبـ الـأـمـوـاجـ .ـ وـوصلـتـ فـوقـ «ـ كـابـهـلـيـ»ـ وـلـيـسـ بـيـهـاـ وـبـيـنـ الـمـوـدـ أـكـثـرـ مـنـ دـقـيقـةـ ،ـ ثـمـ عـادـتـ جـمـيعـهـاـ مـاـ عـدـاـ وـاحـدةـ .ـ وـحـفـظـتـ الـمـأـثـرـ طـيـ الـكـتـمـانـ حـتـىـ نـهاـيـةـ الـحـرـبـ .ـ أـولـاـ كـيـ لاـ يـتـشـهـدـ الـيـابـانـ إـلـىـ آـنـ النـقـابـ قـدـ كـوـشـفـ عـنـ شـيفـرـهـ .ـ وـثـانـيـاـ لـأـنـ «ـ لـانـفـابـرـ»ـ كـانـ لـهـ أـخـ أسـيـرـ فـيـ الـيـابـانـ .ـ فـخـشـيـ أـنـ تـنـزـلـ بـهـ أـفـطـعـ تـدـابـيرـ الـتـارـ .ـ

في مطلع ١٩٤٣ لم يُطرد الأميركيّون نهائـيـاـ مـنـ الـمـحـيـطـ الـمـادـيـ ،ـ كـمـاـ عـصـيـلـ الـيـابـانـيـنـ عـقـبـ الـاـنـصـارـاتـ الـتـيـ أـحـرـزـوـهـاـ فـيـ ١٩٤٢ـ ،ـ بلـ تـشـفـرـاـ «ـ بـغـوـادـ الـكـانـالـ»ـ وـبـطـرفـ «ـ غـيـنـيـاـ الـجـدـدـةـ»ـ .ـ وـهـاـ هـمـ الـبـوـمـ يـرـحـفـونـ إـلـىـ «ـ طـوكـيـوـ»ـ ،ـ قـافـرـيـنـ مـنـ جـزـيـرـةـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ .ـ

فيـ الصـورـةـ :ـ بـعـضـ مـشـاهـةـ الـبـحـرـيـةـ فـيـ جـزـيـرـةـ «ـ بـوـغـنـبـيلـ»ـ حـيثـ اـصـطـدمـ الـأـمـيرـكـيـنـ عـقاـمـةـ يـابـانـيـةـ ضـارـيـةـ .ـ

مظاہر الیابان" ونقاط ضعفہا

لم تغِب حرب المحيط الهادىء عن مفاوضات «الدار البيضاء» : فقد استأنف الأميرال «كينغ» مرافعته بشأن المحيط المهمَّل ، وتقديره بمذكرة ثبت أنَّ المحيط الهادىء لا يحظى إلا بـ ١٥ بالمائة من المجهود الأميركي . وطالب بمضاعفة هذه النسبة . وأعلن «مارشال» مجدًّا أنه طالما لم يستخدم أي قرار بشأن المجموع على «أوروبا» ، فقد كان على «أميركا» أن ترك «الإنكلترا» و«روسيا» وحدهما مهمة فرض التزام مع «ألمانيا» ، لتنصرف هي بكامل قواها نحو حرية «اليابان». فاضطررتْ محبذة الأولوية الأوروبية إلى القبول ببعض التنازلات : وجرى الاتفاق على أن تهاجم دول الأمم المتحدة «اليابان» . فيما تابع تنفيذ خططها المتوسطي . وقضىعفت الغارات الجوية على «ألمانيا» ، وتزيد من قيمة المساعدات التي تقدَّمها «روسيا» ، فضلًا عن مضيئها في إعداد العدة للزحف على «أوروبا» .

كانت دائرة الفتوحات اليابانية الفسيحة ما تزال سليمة في ذلك الوقت . فساد في «اليابان» اعتقاد ثابت بأنَّ الحرب باللغة نهايتها الظافرة . وقد عذرت ذلك الاعتقاد رقابة صارمة جعلت الأنباء كلُّها سارة مفرحة . وعلى سبيل المثال لم تعتزم البحرية على إعلان وفاة الأميرال «ياماموتو» إلا بعد شهرين ، ولكنها عرضتها على أنها قد أتت نتيجة لحادث عادي . أمّا خسائر «ميديوي» الفادحة ، وأمّا معارك «غوادادالكانال» الضبارية والتفوق الأميركي في الساحق . فقد كان الشعب الياباني يجهل عنها كل شيء . تغذى به انتصارات «بيرل هاربور» و «سنغافورة» و «جاوا» .

فتح جيورجيا الجاديدة

هدفت الحملة الأميركيّة إلى احتلال «رابول» ، ولكنَّ أهميّة تلك الملحّلة بحدِّ ذاتها لم تكن لتناسب والنسائر التي ارتضيَّت بندها في سبيلها . كان يقطن تلك المدينة الصغيرة ، التي حتَّى الآلان يتشييدُها خلال فترة استعمارهم القصيرة ، ما يقارب ألفًا من البيض ، بين مرسكين وبخار وموظفين . أمَّا الموقع فخطير وغير صحيٍّ؛ فهو تلك أبغزه وبائية تفوح من مستنقع فرب ، وهناك إكليل من البراكين المتقدّجة ، أمثال «الأم» ، و«الابتين» ، و«فولكان» ، و«ماتوببي» ، لا يفتَّ يهدَّد المنطقة بانقلاب أرضي خطير . ولقد حدثت سنة ۱۹۳۷ هزة أرضيَّة قضت على بعض مئات من الضحايا ، وحدثت في ۱۹۴۱ هزة أخرى كانت سيَّاً في نقل عاصمة الانتداب الأسترالي إلى «لائي» في «غينيا الجديدة» . وفي آية حال ، كانت «بريطانيا الجديدة» .

ولا حاملات طائرات؛ وعلى الصعيد التنظيمي كلّ من قوّات جنوب غربيّ المادّي وجنوب المادّي مشيّع بمبادىء الجيش أو البحريّة الشديدة الاختلاف؛ وأمّا على صعيد القيادة، فلم تفلح المركزية فقط في أن تتعدّى مبدأ قيادة ستراتيجيّة مسندّة إلى «ماك أرثر». كان التعاون هنا أفضل مما كان عليه في الجانب الياباني، إلا أنّه ظلّ بعيداً عن الكمال.

حفل تاريخ الحرب الأميركي بشكوى القائمين بحرب المحيط المادّي. فقد قال «ماك أرثر»: «ما كان لدّي لم يكن يبلغ ٢ بالملة من مجموع قوّات الجيش الأميركي»، ولم يكن يساوي ١٠ بالملة من القوّات الأميركيّة العاملة في ما وراء البحار». ييدّ أنّ عدّة فرق أوستراлиّة كانت قد وُضعت بين يديه؛ ومهما يكن من أمر فقد كانت قوّاته وقوّات «الاسي»، مجتمعة، تفوق العدو إلى حدّ بعيد.

كانت «رابول» هي مقرّ المنطقة الستراتيجيّة الثامنة الخاضعة لقيادة الأмирال «إيتوري إيمورا». وكان أحد الجنسيين الموضوعين تحت إمرته، وهو الثامن عشر الذي يقوده الجنرال «هانازو أداشي»، يحتلّ «غينيا الجديدة» والجزر المتاخمة لها، فيما كان الجيش الثاني، وهو السابع عشر الذي يقوده الجنرال «هارو يوشكي هيا كوناكى»، يدافع عن جزر «سليمان». إلا أنّ اسم «جيتش» كان أشبه ما يكون بثوب فضفاض قد ألقى على جسم قزم مهزول. فلم يكن الجيش ١٧، الذي أُنْتَلَ في «غوازال الكانال»، ليضمّ أكثر من فرقـة واحدة كاملة، هي السادسة. ولم يشمل الجيش ١٨ سوى ثلاـث فرق هي ٤١ و ٤٠ و ٥١. ولـكـي لا يستبـدـدـ بـنـاـ العـجـبـ منـ ضـعـفـ القـوـاتـ الـيـةـ تـوـاجـهـ بـهـ «ـالـيـابـانـ»ـ مـعـرـكـةـ الـمـادـيـ الـجـنـوـبـيـ يـنـيـغـيـ أـنـ ذـكـرـ دـوـمـاـ هـذـاـ التـبـعـ الـوـاسـعـ النـاطـقـ الـذـيـ شـتـتـ الـقـوـاتـ الـيـابـانـيـةـ عـبـرـ الـمـحـيطـ،ـ كـمـاـ يـنـيـغـيـ أـنـ ذـكـرـ أـنـ قـسـمـ قـلـيلـاـ مـنـ الرـجـالـ الصـالـحـينـ للـجـنـدـيـةـ قـدـ تـمـ تـجـنـيدـهـ.ـ وـعـلـىـ سـيـلـ المـثالـ لـمـ تـتـعـدـ قـوـاتـ «ـإـيـامـورـاـ»ـ ماـ يـنـاهـزـ الـعـشـرـينـ أـلـفـ مـنـ الرـجـالـ فيـ «ـجـزـرـ سـلـيمـانـ»ـ،ـ وـلـخـمـسـيـنـ أـلـفـاـ فيـ «ـغـينـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ.ـ وـهـكـذـاـ كـانـ الـحـلـافـاءـ يـخـارـبـونـ بـنـسـبـةـ خـمـسـةـ مـقـابـلـ وـاحـدـ.

وتلك كانت حال القوّات البحريّة والجوية. فقد كان لليابانيين ما يقارب ٤٠ طائرة عاملة، أمّا أسطول الأмирال «جيتشي كوساكا»، التابع للمنطقة الستراتيجيّة الثامنة، فكان يتألف من طرّاد واحد و٨ مدمرات. الواقع أنّ الكبارياء قد سيطر على السـترـاتـيجـيـةـ الـيـابـانـيـةـ؛ـ فقد كان من الحكمـةـ،ـ بعدـ الجـلاءـ عـنـ «ـغـواـذـالـكـانـالـ»ـ الـذـيـ طـالـاـ أـرجـيـهـ موـعـدهـ.ـ اـخـتـصـارـ خـطـوطـ لـلـمـواـصـلـاتـ سـرـعـةـ الـعـطـبـ بـتـقـرـيبـ الدـفـاعـ مـنـ مـرـكـزـ «ـرـابـولـ»ـ.ـ يـيدـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ بـوـسـعـ الـأـرـكـانـ الـأـمـبـاطـورـيـةـ أـنـ تـرـضـيـ بـذـاكـ الـهـوـانـ.ـ قـدـ تـقـرـرـ أـنـ يـدـافـعـ عـنـ مـجـمـوعـةـ جـزـرـ «ـجـورـجـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ.ـ الـوـاقـعـةـ وـسـطـ «ـجـزـرـ سـلـيمـانـ»ـ،ـ حـتـىـ الـمـوـتـ.ـ وـعـلـىـ رـأـسـ «ـمـونـداـ»ـ فـوـجـيـتـ طـائـراتـ الـاسـتكـشـافـ الـأـمـيرـكـيـةـ بـرـوـيـةـ قـاـعـدـةـ جـوـيـةـ كـامـلـةـ تـبـرـزـ إـلـىـ الـوـجـودـ بـيـنـ لـيـلـةـ وـضـحاـهاـ.ـ كـانـ الـيـابـانـيـوـنـ يـعـمـلـونـ عـلـىـ إـنـشـائـهـاـ مـنـ شـهـورـ عـدـةـ تـحـتـ غـطـاءـ مـنـ روـؤـسـ أـشـجـارـ الـجـوزـ الـهـنـدـيـ مـنـصـوـبـةـ فـوـقـ شـبـاكـ!ـ وـلـمـ يـكـنـ الـقـتـالـ بـأـقـلـ ضـرـاوـةـ فـيـ «ـغـينـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ؛ـ فـيـ بـعـدـ مـاـ تـرـاجـعـ الـيـابـانـيـوـنـ مـنـ «ـبـابـاـزـيـاـ»ـ تـشـبـيـشـاـ «ـبـبـوـناـ»ـ الـوـاقـعـةـ عـلـىـ السـاحـلـ الـمـقـابـلـ.ـ وـإـذـ شـبـهـ جـزـيرـةـ «ـهـوـونـ»ـ،ـ الـمـوـدـيـةـ إـلـىـ «ـبـرـيـطـانـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ الـوـاقـعـةـ فـيـ ماـ وـرـاءـ مـضـيقـ «ـفـيـتـيـازـ»ـ.ـ إـلـاـ أـنـ نـكـبةـ الـلتـتـ بـهـمـ فـيـ أـيـامـ آـذـارـ الـأـوـلـ:ـ فـيـ بـحـرـ «ـبـسـمـارـكـ»ـ دـمـرـتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ طـائـراتـ «ـبـ ٢٥ـ»ـ مـوـكـبـاـ يـضـمـ ٧ـ سـفـنـ لـلـنـقـلـ وـ ٨ـ مـدـمـرـاتـ كـانـ قـدـ اـنـطـلـقـ مـنـ «ـرـابـولـ»ـ،ـ وـعـلـىـ مـنـهـ ٩ـ،ـ ٠٠ـ رـجـلـ.ـ إـذـاـ فـالـحـربـ بـالـأـسـلـوبـ الـيـابـانـيـ لـمـ تـبـقـ جـوـلـةـ مـشـرـفةـ؛ـ يـيدـ أـنـ تـعـجـرـفـ

تلك الجزرية والتي أقيمت فيها «رابول». من الوحشية بحيث أنّ رجلاً ابْيَضَ واحداً لم يكن قد اجتازها بعد حتى أول ١٩٤٣ بالرغم من ضيقها. أمّا سكانها من الماليزيين ذوي الأبدان المطروحة بالكلس فيحيون حياة آكلي اللحوم البشرية. وسط أدغال شديدة الرطوبة.

بيد أنّ الحرب تخضع لاعتبارات غير اعتبارات المتعة والمناخ الصحي؛ فإنّ أهمية مرفأ «رابول» وموقعها قد دفعا اليابانيين إلى احتلالها في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٢، ثم أرغمت الأميركيين على بذل الغالي في سبيل استرجاعها. أمّا المرفأ الذي أطلق عليه اسم «الم الخليج الأبيض»، وهو اسم سفينة مكتشفه «سيمبسون»، فهو أحد أفضل مرفائـ العالمـ الطـبـيعـيـةـ.ـ أمـاـ المـوـقـعـ الـجـغرـافـيـ فهوـ أمـيـزـ بـكـثـيرـ:ـ «ـفـارـبولـ»ـ،ـ الـمـبـنـيـةـ عـنـ نقطـةـ النـقاءـ سـلـسلـتـينـ مـنـ الـجـزـرـ.ـ تـقـعـ عـنـ ضـفـيـرـةـ جـنـوبـ شـرـقـيـ الـمـادـيـ الـسـترـاتـيجـيـةـ.ـ فـاـحـتـلـلـ «ـرـابـولـ»ـ يـعـنيـ،ـ عـلـىـ الصـعـيدـ الدـافـاعـيـ،ـ إـبعـادـ أيـ خـطـرـ يـهدـدـ «ـكـالـيـدـوـنـيـاـ الـجـدـيـدةـ»ـ وـ«ـأـوـسـتـرـالـياـ»ـ،ـ وـيـعـنيـ،ـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـمـهـجـومـيـ،ـ تـحـطـيمـ حـاجـزـ جـرـزـ «ـبـسـمـارـكـ»ـ وـالـوصـولـ إـلـىـ حـزـامـ الـمـيـاهـ الـحـرـرـ الـذـيـ يـمـتـدـ عـلـىـ جـانـبـيـ خـطـ الـاسـتوـاءـ كـلـيـهـماـ،ـ وـالـالـتـفـافـ حـولـ جـرـزـ «ـمـارـشـالـ»ـ غـربـاـ وـحـولـ «ـفـيـلـيـنـ»ـ شـرـقاـ،ـ ثـمـ تـهـدـيـدـ جـرـزـ «ـالـكـارـولـيـنـ»ـ وـالـشـرـوـعـ بـفـتـحـ ثـغـرـةـ بـاتـجـاهـ «ـالـيـابـانـ»ـ.

ولـانـتـرـاعـ «ـرـابـولـ»ـ قـرـرـ الـأـمـيـرـكـيـوـنـ مـهـاجـمـتهاـ بـمـحـاذـاةـ الـمـحـورـيـنـ الـجـغرـافـيـنـ الـذـيـنـ يـتـقـاطـعـانـ عـلـىـهـاـ:ـ مـحـورـ «ـغـينـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ بـرـيـطـانـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ.ـ وـمـحـورـ جـرـزـ «ـسـلـيمـانـ»ـ اـيـرـلـانـدـ الـجـدـيـدةـ»ـ،ـ وـالـوـاقـعـ أـنـ وـضـعـهـمـ قـدـ تـوـثـقـ وـاشـتـدـ عـلـىـ الـمـحـورـ الـأـوـلـ إـلـىـ إـخـفـاقـ الـرـحـفـ «ـالـيـابـانـ»ـ بـاتـجـاهـ «ـبـورـتـ مـورـسـيـ»ـ،ـ وـعـلـىـ الـمـحـورـ الـثـانـيـ عـقـبـ اـنـتـصـارـهـمـ بـيـ «ـغـواـذـالـكـانـالـ»ـ.ـ وـهـكـذـاـ أـمـسـكـوـنـ بـزـمـانـ الـمـبـادـرـ بـعـدـمـاـ تـمـ لـهـمـ إـيقـافـ الـعـدـوـ.ـ كـانـتـ «ـغـينـياـ الـجـدـيـدةـ»ـ تـابـعـةـ لـمـنـطـقـةـ جـنـوبـ غـربـيـ الـمـيـاهـ الـذـيـ الـجـزـرـ «ـماـكـ أـرـثـرـ»ـ،ـ فـيـماـ اـرـتـبـطـتـ «ـجـزـرـ سـلـيمـانـ»ـ بـمـنـطـقـةـ غـربـيـ الـمـيـاهـ الـذـيـ الـجـزـرـ.ـ أـيـ بـالـأـمـيـرـالـ «ـنيـمـيـتـرـ»ـ،ـ وـعـنـ طـرـيقـ التـفـويـضـ بـالـأـمـيـرـالـ



طـائـراتـ جـوـهـائـيـةـ يـابـانـيـةـ مـنـ طـرـازـ «ـزـيـرـوـ»ـ فـيـ جـرـزـ «ـسـلـيمـانـ»ـ.

«ـالـاسـيـ»ـ.ـ خـضـعـ لـإـرـمـةـ «ـماـكـ أـرـثـرـ»ـ الـأـسـطـوـلـ السـابـعـ يـقـودـهـ الـأـمـيـرـالـ «ـكـارـبـنـرـ»ـ،ـ وـقـوـةـ جـوـيـةـ قـوـامـهـاـ ١،ـ ٣ـ٠ـ،ـ طـائـرةـ يـقـودـهـ الـجـزـرـالـ «ـكـيـنـيـ»ـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ ثـلـاثـةـ جـيـوشـ بـرـيـةـ صـغـيرـةـ جـمـعـتـ تـحـتـ إـمـرـةـ الـجـزـرـ الـأـوـسـتـرـالـيـ «ـبـلـامـيـ»ـ.ـ أمـاـ «ـهـالـسـيـ»ـ فـقـدـ تـولـيـ إـمـرـةـ الـأـسـطـوـلـ الـثـالـثـ يـقـودـهـ الـأـمـيـرـالـ «ـتـورـنـرـ»ـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ قـوـةـ جـوـيـةـ قـوـامـهـاـ الطـيـرانـ الـبـحـرـيـ الـذـيـ يـقـودـهـ الـأـمـيـرـالـ «ـفـيـتـشـ»ـ،ـ وـعـنـ جـمـعـوـنـتـ بـرـيـتـيـنـ تـبـعـ إـحـدـاـهـماـ «ـجـيـشـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ»ـ وـهـيـ خـاصـعـةـ لـلـجـزـرـالـ «ـهـارـمـونـ»ـ،ـ وـتـبـعـ الـأـخـرـىـ «ـفـيـلـقـ مـشاـةـ الـبـحـرـيـ الـأـمـيـرـكـيـ»ـ وـهـيـ خـاصـعـةـ لـلـجـزـرـالـ «ـفـوـجـيلـ»ـ.ـ فـعـلـيـ صـعـيـدـ الـوـحدـاتـ الـكـبـرـيـ يـشـكـلـ «ـماـكـ أـرـثـرـ»ـ دـرـيـنـةـ مـنـ الـفـرـقـ وـيـشـكـلـ «ـهـالـسـيـ»ـ نـصـفـ دـرـيـنـةـ؛ـ وـعـلـىـ الصـعـيدـ الـبـحـرـيـ لـاـ يـمـلـكـ أـيـ مـنـهـمـ بـوـارـجـ



مرحلة نزول «غلوبستير» في كانون الأول ١٩٤٣ . ولسوف تكون المعارك دامية ، ولسوف يحتاج إلى حمّالات المرضى هذه !

على «جيورجيا الجديدة» إلا في ٣٠ حزيران . وإن لم يكن الاقرابة المباشرة من «موندا» ممكناً بسبب الصخور التي تحيط بالرأس ، فقد جرى التزول إلى البر في جزيرة «راندوفا» الصغيرة أولاً ، ثم على شاطئ «زيانا» الواقع على بعد ١٠ كيلومتر من المطار . كانت المقاومة اليابانية معادمة أول الأمر . إلا أن ما نسبته الطبيعية من الحواجز في وجه الأميركيتين يفوق كل وصف : فما إن تكتف الأمطار الاستوائية الثقيلة المطرد حتى تنفرج السماء عن شمس محرقة ثقيلة . والأدغال أسوأ من أدغال «غودالكانال» وأراداً لم تكن هناك طريق سالكة . فكان على مشاة الفرقة ٤٣ الأميركيكتية أن يشقوا طريقهم وسط أحوال كثيفة ، وعبر خليط متشابك من الأشجار والنبات . وما تقدّموا مسافة ١٠٠ م في النهار الأول . وقد كساهم الوحل والعرق حتى استحوذ عليهم ليل مموج ضار ، فعجزت الأدغال بكائنات عجيبة غريبة وأصوات مبهمة غامضة ، ووحّمت في الهواء أنسجة حية ، وزقت الطنين المتتصاعد من مليارات الحشرات صرخات منكرة ساخرة . وأخذت فتاك ضخمة من الغاز تتفجر على سطح المستنقعات فتحوّلت دويًا خافتاً أصم ، وإنما الوميض الفوسفوري ، الناتج عن انحلال النبات ، تلك الأ杰ام تألقاً غريباً بعيداً عن عالم الحسن والواقع ، فاستبد الحروف بالجنون ، وخُلّب إليهم أنتمهم يسمعون اليابانيين يطوفون حولهم ويحدّون بهم ، فراح الكثيرون يترافقون بالقابل اليدوية أو يتباذلون الطعن بالمدى ، مما اضطر الفوج الأول أن يسلّي نحو «غودالكانال» ٣٣٦ ضحية من ضحايا الإيمار

سفينة إنزال تهدف من جوفها بسيارات «الحب» !

مجالس الأركان . وجلد المحاربين . قد بقيا كاملين لم ينل منها أي ضعف .

تكون المخطط الأميركي وتيلر بيته ، ولم تُصب حرب المحيط الهادئ بخسارة الحرب الأوروبية ، فكل شيء هنا يختتم من العطفات ما استطاع ونفعه وانسق . والسنند الخاص بالنقل والتموين ، الذي يتطلبه كل سلاح وكل محارب ، يفوق ما يترتب عليه من خطورة في المنطقة الأطلسية أربعة أضعاف أو خمسة . ذلك أن القتال في جزر المحيط الكبير يقول في النهاية إلى قتال شبكات فيه حفنتاً من الرجال والأسلحة . ففي موقعة «بونا» وضع «إيشلبرجر» . وهو قائده فيلق أميركي . مدفأعاً واحداً من عيار ١٥٥ في خط القتال ، وعندما لم يتمكن من تعذيبه بالقذائف لم ير فائدة ترجى في أن يرسل إليه مدفع آخر ! والوقت نفسه لا يقاس هنا بالمقاييس عينها : وبعد سلسلة من المؤشرات تدرجت بين «بريزبان» و«واشنطن» . بسطت إعادة الاحتلال «رابول» على مدار سنة كاملة ; ووزّعت بدقة إلى مراحل كثيرة متعددة كما يوزع سيناريو شريط سينمائي . وهكذا بادأ التناقض بين هذه المخططة . وإنطلاق الحرب الصاعنة في المحيط الهادئ . منهلاً مثيراً للعجب . فقد طلب مجلس الأركان الأميركي . في سبيل استرجاع مجموعة جزر «جيورجيا الجديدة» الموحشة . ضعف ما أتفق عليه اليابانيون من الوقت لتحقيق فتوحاتهم كلها من «هونغ كونغ» حتى «بحر المرجان» . لم يُشن الهجوم

٢٢ تموز ١٩٤٣ : نزول مشاة البحرية في « جبور جيا الجديدة ». .



العصبيّ ! وهكذا كان اللقاء الأول بالمحيط الهادئ الجنوبي محمّة تحطّم الأعصاب بالنسبة لفتنان أميركيّين تعرّعوا في جوّ مشبع بأسباب الرخاء والمدعة . زد على ذلك أنّ مقاومة العدوّ في الأيام التالية قد هبّت تساند مقاومة الطبيعة وتدعّمها . ذلك أنّ أساليب اليابانيّين الدفاعيّة كانت تتلاعّم وطبيعة الميادين إلى حدّ يثير العجب . فالمحاربون الصغار يكمون في البذوع البارزة من الأشجار . وبنادقهم بالنبات فيختفون . وفي قدرتهم أن يلزموا حالة من الجمود تقاد لا تنتهي . إلى أن يبرز أمام بادّتهم هدف أو هرمي . لم يتقدّم الأميركيّون إلاّ مسافة ٥ كيلم خلال ١٥ يوماً . مما حمل «هالسي» على إجراء تبديل في القيادة . فأُسندت إدارة الهجوم إلى «غريز وولد» الشبيط وأغدق عليه الأمداد . بلغ عدد الفرق المقاتلة في الجزيرة الموحشة ثلاثة هي ٢٥ و ٣٧ و ٤٣ . وهاجم راس «موندا» ما لا يقلّ عن ستة أفواج ضخمة . ولقد صرّح «هالسي» قائلاً : «كان مخطّطاً قد هبّا ١٥.٠٠٠ رجل لطرد ٥٠٠٠ يابانيّ من «جيورجيا الجديدة» . بيد أنّ ما أرسلناه بلغ ٥٠٠٠ . وإنّي . إذ أفكّر بذلك الآن . تصاعد إلى أنفي رائحة الأعداد التافهة » .



مدفعية حرس السواحل تطلق نيرانها على الطائرات اليابانية لدى النزول في رأس «غلوستر» .

«ودلارك» و «كيريوانا». التي جعلت مطاراً لها القاذفات الأميركيّة على بعد ٣٠٠ ميل من «رابول» . ومن ثم خصّصت أربع طوافات لتجهيز انبساط الهجوم إلى «غيينا الجديدة» . وراح الحصار البحري والجوي يجوح الخاميات اليابانية ويفقدّها معنوّيتها . ولسوف تsemّن مئات الحرائق اليابانية في وصف آلامهم بصورة مفجعة : «حمى... إنّي مرهق عقلّياً وجسديّاً . إنّي أشعر وكأنّي قطعة من قطن . أودّ لو أموت ... كثيرون هم الذين يتلاشون على الطريق ويموتون جوعاً... إنّ الملاриّا تفتك بنا بالساحل . وكذلك البرغش والخشراوات السامة . أمطار مستمرة . أحليش يتقدّم في السيارات والدرجات البخاريّة . يالها من مهزلة ... لم يبق لخصص الإعasha وجود . نحن نأكل الجذور والقصور . إنّ المعنيّات منخفضة جداً» .

في الجانب الأوسترالي - الأميركي - كانت الحسابات الدقيقة تجري . ففي سهل الهجوم على «لائي» كانوا يريدون أحوالاً جوية تقتضي ضياباً على «بريطانيا الجديدة» لتجميد الطيران الياباني ، وسماء صافية في الناحية الأخرى من مضيق «فيتياز» لتسهيل إزالة المظليّين الحلفاء . فهذه المطالب . مضاقة إلى الصعبّات في الميادين كافية . قدّقّدت إلى تأجيل «يوم النزول» من ١ إلى ٧ آب . ثم إلى ١٤ آب . ولكنّ الهجوم أصاب نجاحاً باهراً عند شروعه . فالفرقة الأوسترالية ، التي ابْتَقت من البحر . قد نزّلت شرق قبلي «لائي» . وبعد ما هبط فوق المظليّين الأميركيّين ٥٠٣ من السماء - وكانت السماء صافية - نزلوا إلى الغرب في وادي «مارخام» العريض . وقدّمت القوّات باتجاه واحد نحو مرفأ المستعمرة الذي أنشئ لاستثمار مناجم الذهب في «بولولو» . فقمّت السيطرة عليه في ١٤ آب . بعد مقاومة يابانيّة ضعيفة . كانت تلك هي المرة الأولى التي يتدخل فيها مظليّون في حرب المحيط الهادئ . وأمّا «ماك أرثر» ، الذي كان يتعّمر قبّعته المذهبية البراقة . فقد أشرف على العملية من فوق . من داخل طائرة «ب - ١٧» .

وبعدما طرد اليابانيّون من «لائي» حاولوا الاستقرار في شبه جزيرة «هون» التي كان مرفاًها «فينشافن» بالنسبة لـ «بريطانيا الجديدة» «كالكي» بالنسبة لـ «لانكشاير» . فراجعت الفرقـة ٥١ عبر ممرات «راولنسون رانج» الوعرة . فلتحقت بها الفرقـة الأوسترالية ٢٩ المنقولة جواً وراحت ترهاقها . كانت المسيرة صعبة للغاية . فتخلّى اليابانيّون عن معدّاتهم بكاملها . وألقوا أحياً ببنادقهم جانباً . وأبخرت الفرقـة الأوسترالية ٧ بعد احتلال «لائي» . فسبقت اليابانيّين إلى «فينشافن» واحتلّتها في ٢ تشرين الأول . وهكذا أُوشّك اليابانيّون أن يُطهروا تماماً من «غيينا الجديدة» التي كانوا ما يزالون يسيطرّون على قسمها الغربيّ كلّه . إلاّ أنّ الحلفاء نفذوا إلى مضيق «فيتياز» ولاحظوا بشائر غزو «بريطانيا الجديدة» في الأفق . وقد أثبتت نهائياً أنّ عدم امدادهم غرّة «سنغاورة» كان خرافه سببها ضرب من ضرب المفاجأة الصاعقة .

في الطرف الآخر من جنوبّيّ المحيط الهادئ لحقّت الجيوش الامبراطوريّة انقلابات مماثلة . كان الكسب الوحيد الذي نتجّ عن مجهود «ميادوي» الجبار هو غزو جزيرتي «أتو» و «كيسكا» . وفي ٢٤ آذار ١٩٤٣ ، وافقت بلحة رؤساء الأركان العامة على استعادة هاتين الجزرتين . وفي ١١ أيار نزلت الفرقـة الأميركيّة ٧ إلى «أتو» وسط إعصار ثلجيّ ، ودامّت المعركة في غمرة ضباب جليديّ ثانية عشر يوماً . وفي سبيل استعادة مطار «هولن باي» شنّ اليابانيّون هجوماً انتحاريّاً فرش الأرض ببساط من الجثث . وبعدها انتصر الأميركيّون عمدوا إلى الإحصاء فإذا بالعدو قد خلّف وراءه ٢،٥٣١ قتيلاً و ٢٨ أسرى ، وإذا بخسائرهم قد بلغت ٦٠٠ رجل . وبما أنّهم كانوا موقّنين من وجود مقاومة ضاربة

إلاّ أنّ الكفة قد مالت مع الوقت ناحية القوّة والعدد . فاشتدّت أعصاب الجنود الأميركيّين . وأخذت المعارضات الثقيلة تقرّر الأدغال . وعمّلت قاذفات اللهب على كشف المناوشين . فسُجّحت «موندا» تحت طوفان من القذائف . واستحال تأمّن التموين الياباني . وفي أول آب أرسل «غريز وولد» إلى «هالسي» برقّة لاسلكيّة تقول : «لقد استوليت على «موندا» . وهذا أنا أقدّمها لك تاماً ناجزة» ! أمّا رجال الحامية فقد تقدّروا في الغابة العذراء . وهلكوا . إلاّ القليل . وأمّا «أميركا» فدفعت ممّن «جيورجيا الجديدة» ١٠٩٤ من القتلى . و ١،٨٧٣ من الجرحى . وفي ٣٠ حزيران تحرّكت شعبة الكلاب الأخرى المسيرة ضدّ «رابول» . وقد استولت قوّات منطقة جنوب غربيّيّ المادّي على جزر

كهذه في «كيسكا» عملوا إلى سحق الجزيرة بألف قذيفة بحرية من أكبر العبارات . واكتشفوا بعد نزولهم أنهم قد بذلوا نيرائهم سدى ، إذ أن اليابانيين كانوا قد أخلوا «كيسكا» تحت ستار الضباب . فرقتا الأرض الأميركيتان الوحيدتان . اللتان وطئهما قدم غريبة منذ حرب ١٨١٣ . قد حُررتا .

في الشمال ، كما في الجنوب . أصابت الغارات الأوضاع هذه أراضي لا أهمية لها ولو طفيفة . ولكن هذا لم يجعل دون تسرّب القلق إلى المقر العام الإمبراطوري . فأجيري تغيير في الستراتيجية اليابانية : تخلّي عن كل رغبة تهدف إلى غزوات جديدة . ورسم على الخارطة موقع جديد رئيس للمقاومة هو «خط مطلق للدفاع الوطني» يجب الاحتفاظ به مهما بلغ الثمن » . كان هذا الموقع يمرّ غربي «غينيا الجديدة» و «الكارولين» و «ماريان» . وأمّا «رابول» وموطئها في «سليمان» و «بريطانيا الجديدة» فلم تكن مشمولة في هذه الدائرة الحيوية . وهذا لا يعني أنه قد ترتب التخلّي عنها . فالقيادة اليابانية تعتبر أنه من الضروري أن يجري فيها قتال مؤخر إلى أطول مدى ممكن .

بعد غزو «جيورجيا الجديدة» تقدّم الزحف النظامي الأميركي على «رابول» عبر أبعد جزر «سليمان» إلى الجنوب . وأكبرها ، وأكثرها وحشية . وهي «بوغنفيل» . إنها أرض ذات جمال فاس : فيها بركان قوي . يحدق به الدخان واللهب على الدوام ، هو جبل «باغانًا» الذي كان متتصباً فوق أدغال غضبة . وقد أعطت «المانيا» الجزيرة التي استعمرتها تسمية خاصة بها ، فسمّت جبال الشمال سلسلة «القيصر» . وأمّا جبال الجنوب . التي كانت أقل ارتفاعاً . فقد سمّتها «ولي العهد» . غير أن المنطقة الوحيدة التي كان يمكن العيش فيها نسبياً . والتي كان اليابانيون قد حشروا فيها دفاعهم . وبنوا مدارجهم الجوية . فقد كانت سهل «بوين» . عند قدم السلسلة الأخيرة . وفي الوسط . يعكس ذلك . لم تكن تحمي خليج «الإمبراطورة أوغوستا» ، الذي كان عرضة للرياح المسقطة . غير مقارز ضعيفة . ففي هذا المكان بالذات ألقى الأميركيون توّازرهم دورية من ٢٤ كلباً مدربين على اقتحام المناوشين اليابانيين المختبئين . لم يكن مخطّطهم يستهدف غزو «بوغنفيل» بكمالها ، وهي مهمة صعبة للغاية نظراً لطبيعة البناء والأرض . بل مجرد الحصول على دائرة كافية لبناء قاعدة للقاذفات الثقيلة التي ستبقى «رابول» تحت نيران حامية .

لقد أصابت عملية التزول التي قادها الأميرال «ولكسون» نجاحاً باهراً . وأمّا اليابانيون الذين حاولوا التصدّي لهذه العملية ، وعدهم بضع مئات ، فقد أبدوا عن بكرة أبيهم . وكان ٣٥،٠٠٠ من اليابانيين في طرق الجزيرة ، إلا أن المواصلات كانت مريعة لدرجة أنهم كانوا بحاجة لشهرين أو ثلاثة للتركيز على المنطقة المهاجمة التي تبعد نحوً من



ستين كيلومتراً . وهذا لا يعني أنَّ الأميركيين قد باتوا من غير خصوم . فهناك سبع قواعد جوية يابانية في «بوغنفيل» أو في الجزر المتاخمة ، و «رابول» نفسها لم تكن إلا على بعد ٢٦٥ ميلاً . وقعت معارك ضارية متعاقبة في البحر وفي الجو على السواء . وفي محاولة لتكرار ضربة «سافو» اقتحاد الأميرال «أوموري» إلى خليج «الإمبراطورة أوغوستا» طراديته التقليدين «بيوكو» و «هاوغون» ، يرافقهما طرائدان خفيفان وعشرون مدمرات . ولكنَّ القوة الأميركيَّة ، بقيادة الأميرال «ميريل» ، صدَّت هذه القوات وأشيعتها ضرباً قبل أن تتمكن من الاقتراب من الناقلات . وكانت حاملات الطائرات اليابانيَّات الكبيرتان الباقيتان ، «شووكو» و «زويكاكو» . موجودتين في «الكارولين» على مدى يمكِّنها من التدخل ، إلا أنَّ الأميرال «كوجا» ، وهو خليفة «ياما موتوكو» ، لم يجرؤ على المخاطرة بهما للدفاع عن مخفر أمامي «كوبوغنفيل» . وعلى التقى من ذلك فإنَّ الأميرال «نيميتر» قد أفرز حاملات طائراته الجديدة «إيسكين» و «بونكر» و «هل» و «أنديندنس» لسحق «رابول» . فالجرأة قد انتقلت كذلك من معسكره إلى آخر . وأمّا المقاتلات الأميركيَّة ، التي انطلقت من جزر «راسل» و «غودالكانال» و «وودلارك» و «بورت مورسيبي» ، فقد جعلت من السماء جحيمًا للطيران الياباني . ففي ذلك كله ما يشير التأشير ، وفيه ، في الوقت نفسه ، عدالة جليلة ، لأنَّ العقاب المطرد الذي راح يلحق بعده كان جد مزهو في سكرة انتصاره ، وجداً قاسٍ في غروته .

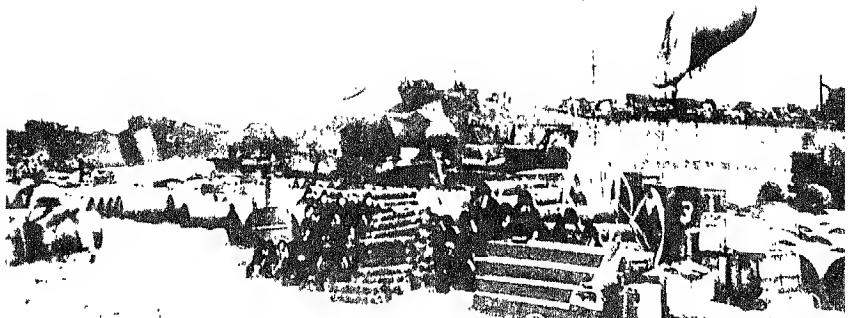
في «بوغنفيل» تمكن بعض الوحدات اليابانية من إنشاء شبه جبهة حول رأس الجسر الأميركي . ولقد دعمَ هذه الوحدات في ٧ تشرين الثاني نزولَ «مضاد» في رأس «توروكينا» ، كما دعمتها كذلك بالتدرج عناصر قادمة من «بوكا» و «كيتيا» و «بوين» . ولكنَّ الأميركيين أعادوا توازنَ راجحاً بإرسالهم الفرقة ٣٧ ، ومن بعدها فرقة «أميركال» ، ومن ثمَّ الفرقة ٤٠ ، وأخيراً الفيلق ١٤ . وراحت كميات هائلة من العتاد تتقدّس فوق صفاف المرجان وفي جزيرة «بوروناتا» الصغيرة التي قال «غريز وولد» عنها إنَّه كان يتطلع رزوحها تحت عباء الثقل الذي ألقى عليها» . وقد أعاد «غريز وولد» بفضل كفاءته وهدوئه بعضَ النظام إلى الفوضى ، وأعدَّ . فضلاً عن القتال ضدَّ اليابانيين ، القتال ضدَّ «بوغنفيل» . إنَّ الأميركيين لم يعرفوا ولن يعرفوا قطَّ خصمَاً مخيفاً كهذا .

بعد «غودالكانال» و «جيورجيا الجديدة» ظنَّ المقاتلون أنَّهم قد تعرّفوا إلى الوهن الحقيقي ، ولكنَّهم كانوا يجهلونه في الواقع . كان سفح «بوغنفيل» الغربي غارقاً في غمرة الأمطار الساحقة التي كانت تنحدر من الجبال العالية ، جارفة معها تراب الأرضي البركانية ، مكونةً مستعقات آسنة لا توصف . فإنَّ نسي المقاتلون لم ينسوا غرق جرار في البحل كما تغرق سفينة في البحر ، من غير أن يختلف وراءه أيُّ أثر . كان مشاهدة البحرية يعتقدُون وقد غاصوا حتى ركبهم ، وحتى أخذاهم ، وحتى آباتهم ، في خضمِ من البحل السائل . وفي المساء كانوا يعلّقون أسلحتهم إلى جذوع الأشجار وينامون قعوداً ، دافعين للحمى وللأمراض الاستوائية ضريرة سرت دوائر الصحة لكونها وفشت عند حدٍ معقول من الخسائر .

ولحسن الحظ أتي التحقيق الجيولوجي ، الذي ركز عليه الأميركيون مشرّعهم . صادقاً أميناً . فهناك ، في المستنقع الساحلي ، بعض رقع من الأرض صلبة تمكن من إقامة بعض المدارج الجوية . فأُنشئ مدرج أول على الساحل نفسه ، مخصص للمقاتلات ، وشرع في بناء مدرجين آخرين للقاذفات ما بين «البيفا» و «نهر» «كوروموكينا» ، وكانت ثمانى

صورة التقاطها في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ قاذفة من القاذفات الأميركيَّة التي أفرقت ٢٦ سفينة يابانية في خليج «رابول» .

سفن الإنزال الرئيسية في «بوغتفيل» تخفي نفسها من هجمات الطيران الانقضاضية بشكّة من المناطيد المطاولة .



أول دفعة من الجنود النازلين في جزيرة «بوغتفيل» .

مشاة البحرية يقفزون من قواربهم في «بوغتفيل» .



سلسلة قواعد في المحيط الهادئ ، فيها مخازن شاسعة . ومستودعات للسلاح والذخيرة : «بريزبين» و «سيبني» في «أوستراليا» . «ويلينغتون» في «زيلاندا الجديدة» ، «توميا» في «كاليدونيا الجديدة» . «تولاغي» في «جزر سليمان» . «تاندي» و «سوفا» في جزر «فيجي» . جزيرة «كانتون» في أرخبيل «سوسيبي» ، الخ ... فالبحرية ، تلك العملاقة الفتية . قد اقرحت ستراتيجية موأية لطبيعتها . وخط التقارب الذي تقتربه كان يمر عبر الماء المتوسط ، من خلال أنصاف الجزر ، وهي حفنة من ذرات المرجان تحمل اسم «ميكروفينيزيا» ، منها جزر «جيبلرت» و «مارشال» و «كارولين» و «ماريان» و «بونان» . كان اليابانيون قد امتلكوا قسماً من هذه الجزر بمحض التفويض الذي حصلوا عليه من «هيئه الأمم» بعد الحرب العالمية الأولى . وقد قاموا بغزو الجزر الأخرى . وبنوا فيها المطارات . وأقاموا الحاميات . وكانت البحرية الأميركيّة عازمة على استعادة هذه الجزر واحدة بعد الأخرى حتى تبلغ مدى يمكنها من

كتائب من العمال تعمل فيهما . وشقّ عبر غابة أشجار جوز الهند الكثيفة بعض الطرقات ، وكان عتاد الآليات الذي يحرّك التربة ويسيطر عليها يهدى ويصارع . وبعد ذلك رُكِّز تلبيس المدارج المعدني بواسطة الجرارات الضخمة . ففي تعاقب المطر والشمس والقتابل . كانت ورشة جبارة للأشغال العامة تنبض نشطاً في إحدى أكثر جزر «سليمان» وحشية . كان أحد المدارج جاهزاً في عيد الميلاد . ولأيام خلت كان جزء من قوات «مالك أرثر» قد اجتاز مضيق «فيتزاري» وانتقل من «غينيا الجديدة» إلى «بريطانيا الجديدة» . وبذلك تكون الجزيرة التي تحمل «رايول» قد اجتاحت . فقد كان خطاناً من القوى يتوجهان نحو نقطة واحدة بصورة بطيئة لا تُصدّ ، نحو قاعدة «اليابان» الجوية البحرية الكبيرة في بحار الجنوب .

أ طريق الأدغال ، أم طريق الجزر !

كانت الستراتيجية الأميركيّة ترمي منذ ذلك الحين إلى أبعد من استعادة مركز متوجّل من مراكز الغزو الياباني . فالأمر الذي كان يبدو في مستهل السنة في مؤتمر «الدار البيضاء» وكأنّه هدف ضائع في غياهب البعيد . أي وبالتالي الاحتلال «اليابان» ذاتها . قد بات الآن مشروعاً وأصبح جلياً . وفي سبيل بلوغ هذه الغاية كانت هناك نظريتان متضاربتان . إحدى هاتين النظريتين هي نظرية البحرية . فالعهد الذي كانت البحرية تقاتل فيه بحفنة سفنها الناجحة من «بيرل هاربور» قد انقضى : فقد نزلت إلى الساحل بوارج كبيرة من مرتبة «واشنطن» . وحاملات طائرات من مرتبة «إيسكس» . وقد مكّن فـ تزويد الجيش بالمؤن والعتاد من خلق وهذا هم مشاة البحرية ، وقد استقرّوا في مواقعهم . يا لها من موقع !





«بوغنتيل» ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ :
الكشافون يحذبون الأفاق تصعبهم كلابهم .



إنه «ستوارت فولر» ، أحد مشاة البحرية . ما مضت ثوان على نزوله في «بوغنتيل» حتى أطلق رصاصة استقررت بين عيني أحد اليابانيين .

نصرته . ولكن «ماك أرثر» يشكل قوة كبيرة لا يمكن إقصاؤها وإسناد دور ثانوي إليها ، ولذلك تم الاتفاق في النهاية على أن لا يكون هناك خيار : فلسوف يتقدم الانتقام نحو «طوكيو» في طريقين بدلًا من طريق واحدة : فقوة «الولايات المتحدة» تتحمل . من غير عواقب وخيمة . ثانية الجهد هذه .

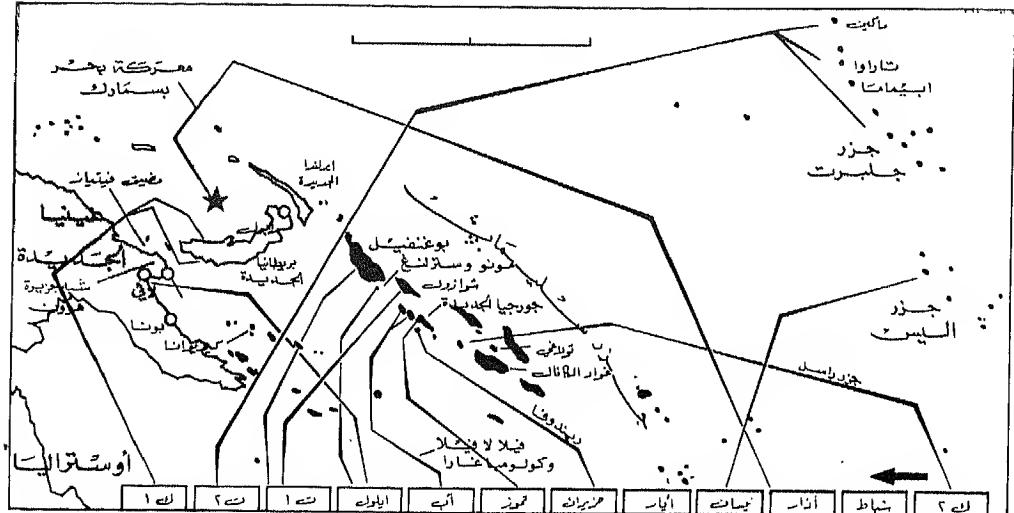
إن بدأت حرب الجزر بعد غزو «بوغنتيل» بأيام وكان المدفان الأولان المعستان مجموعتين من جزر أرخيبيل «جلبرت» هما «ماكين» . حيث أنشأ اليابانيون قاعدة للطائرات البحرية . و «تاراوا» حيث بناوا مطاراً بريّاً . فهاتان القعتان كانتا متشابهتين مشابههما الواقع الذي سيقتسمها الأميركيون

النصف . ومن ثم . إذا كان الأمر ضروريًا . حتى تبلغ مدى يمكنها من غزو «اليابان» ...
كانت نظرية «ماك أرثر» مماثلة . إلا أن مراحلها كانت مختلفة . فالطريق التي يوصي بها . بعد الإجهاز على «رابول» . كانت تمر بشمالية «غينيا الجديدة» وصولا إلى «الفيليبين» من خلال «مينداناو» . كانت هذه الجزر جبلية ، كبيرة ، كثة ، موبوءة ، متوجضة ، وكان على المشاة أن يذوقوا فيها ما ذاقوا من الآلام في «بابوازيا» و «غوادادكانال» و «جيورجيا الجديدة» . ولكن «ماك أرثر» . الجنرال البري . راح يدافع عن نظريته ببراعة في الإقناع وحرمه اللذين يجعلان منه شخصية فذّة تعم بالعناية الإلهية . وخطيرة في آن معاً .

وأما اللجنة المشتركة لرؤساء الأركان العامة ، وهي منسقة الاستراتيجية الأميركية . فقد كانت توثر طريق الجزر . وقد أعربت عن ذلك جهاراً . على الرغم من اعترافات «ماك أرثر» الطنانة ، بتخويلها الأمiral «نيميتر» غزو جزر «جلبرت» . وبوضعها فيلق مشاة البحرية تحت سرمه

عش رشاشات وسط الأدغال ، بعد يومين حافلين بالمعارك الهائلة في «تورو وكيتو» .





الزحف الخليفي في جنوب
غربيّ المحيط الهادئ .
شهر آذار، سنة ١٩٤٣ .

البوارج «أيداهو» و«ميسيسيبي» و«نيومكسيكو» و«بنسلفانيا». وكانت ترفرف على هذه البارجة الأخيرة رايةُ الأميرال «تيرنر». وفي الجنوب كان التنظيم مماثلاً، فكانت الد.ت.ف. ٥٠٣ و٥١ «تضمان حاملات الطائرات [إيسكس] و[بونكيرهل] و[انديبننس] و[ساراتoga] و[برنسون]»، بتغطيتها المعتادة المكونة من طرادات ومدمرات. وأماماً الد.ت.ف. ٥٣ «التي ستقوم بالانقضاض على [تاراوا]» فقد كانت تدعى لها البوارج «ميريلند» و«تينيسي» و«كولورادو»، وحاملات الطائرات المعاكبة «سانغاون» و«سوسي» و«شينانغو» و«بارنز» و«ناسو». ومن على متنهن الطرّاد الثقيل «انديانا بوليس» كان متصرّ «ميدوي»، الأميرال «ريموند أ. سبرونس». يقود هذا الأسطول الذي يضم ٢٠٠ قطعة، والذي يحمل ٥٠٠ بختار. في ذلك الحين لم تكن قد انقضت ستّة سنتان على واقعة «بيرل هاربور» التي ظنت «اليابان» بعدها أنها قد محت من الوجود، لستين عديدة، فوة الولايات المتحدة البحرية. وأماماً موضع هذا الحشد الهائل فقد كان المحيط الهادئ الذي احتاج بصدره «كينغ» و«نيميتر» و«ماك أرثر»، والشيخ الانزاليون السابقون، والولايات الغربية بكاملها، مدّعين أنه مسرح مهجور. وكانت مهمة هذه القوة البحرية الفائقة أن تُنزل في «ماكين» ٦،٥٠٧ رجال من فرق الماشة -٢٧ وبصورة أصبح إلى جزيرة «بوتاري» الصغيرة -١٥،٥٤٥ من فرق ماشة البحرية الثانية في «تاراوا» - وبصورة أصبح في جزيرة «بيتيو» الصغيرة. وكانت الصور الجوية التي تعين على تمهيد المجمع واضحة للدرجة أنه أمكن إخضاع حفر المراحيض الموجودة على صفة البحر، مما مكّن

في كلّ مكان من «ميلاينزيا». فهناك شطّ من المرجان ينبعق من المحيط فيكون بعيرة كاملة أو تكاد تكون كاملة. وعلى مساحات تبدو شاسعة. وهي في الواقع جدّ تافهة إذا ما قيسـت «بالمحيط الكبير»، يكتسب البحر لون حجر اليشب. وتكتسب الصخور الأمواج ياضاً ناصعاً. وأماماً أكثر الجزر ارتفاعاً. وعلوها متران أو ثلاثة أمتار عن سطح الماء، فهي تحمل، أو لا تحمل. هالة أشجار جوز الهند التي تتميز بها الصور الشعيبية لتلك الجزر. والحرارة هناك معقولـة بفضل اللهاـث الـبحريـيـ. والـبـحـرـ فيها على الدوام روعـةـ منـ الـمـدـوـءـ الـبـرـآـقـ. ويعـصـفـ إـعـصـارـ منـ وقتـ لـآخرـ، ولـكـتهـ قـلـسـماـ يـوـديـ بـأشـجـارـ الجـوزـ وـبـالـرـجـالـ جـمـيـعاـ فيـ آـنـ.

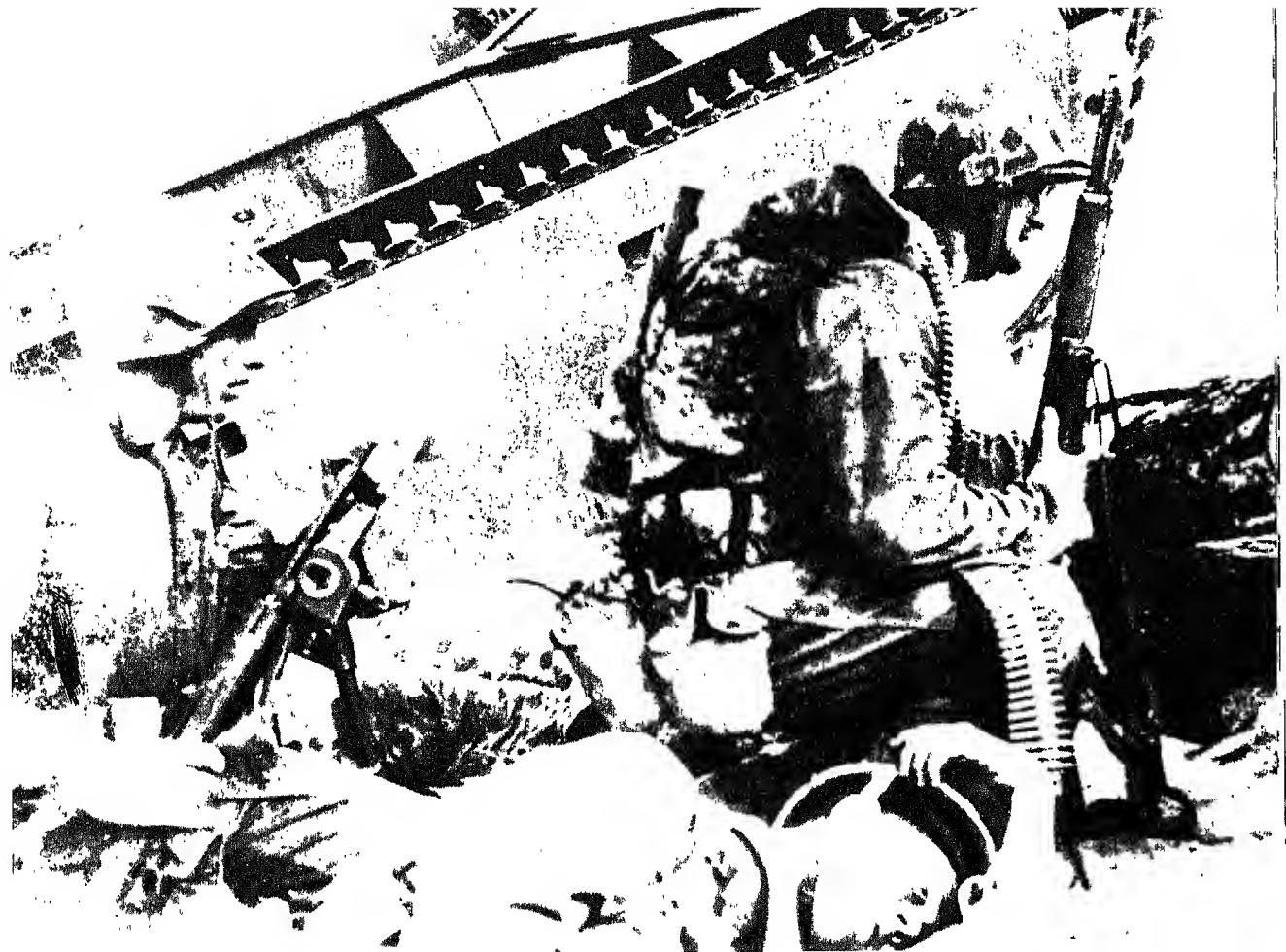
إنـ الحـمـلةـ الـأـمـيرـكـيـةـ عـلـىـ جـزـرـ «ـجـلـبـرـتـ» شـدـيـدةـ الشـبـهـ بـحملـةـ الـيـابـانـيـينـ عـلـىـ «ـمـيـدـوـيـ»، باـسـتـثـنـاءـ النـتـائـجـ؛ كـانـتـ جـسـورـ السـفـنـ المـشـرـكـةـ فـيـهـاـ تـعـدـىـ بـمـسـاحـتـهاـ مـسـاحـةـ الجـزـرـ الـيـةـ الـيـسـتـهـدـفـ غـزوـهـاـ، فـكـانـ ذـلـكـ أـشـبـهـ باـسـتـعـراـضـ للـبـالـيـهـ ضـيـخـ وـصـارـمـ رـاحـ يـقـودـ إـلـىـ أـرـاضـ تـافـهـةـ قـوـةـ تـدـمـيرـ لـمـ تـعـمـلـ الأـمـواـجـ طـاـمـيـلـةـ قـبـلـ ذـلـكـ الـيـوـمـ.

منـ الشـمـالـ أـقـبـلـتـ القـوـاتـ «ـتـ.ـفـ.ـ» وـ «ـتـ.ـفـ.ـ ٢ـ٥ـ٠ـ» وـ «ـتـ.ـفـ.ـ ٢ـ٥ـ٢ـ» . وـكـانـتـ توـلـفـ نـوـاـةـ القـوـتـينـ الـأـولـيـنـ حـامـلاتـ الطـاـئـرـاتـ «ـبـورـكـ تـاـونـ» وـ «ـلـكـسـنـغـتونـ» وـ «ـكـوبـيـزـ» وـ «ـانـترـبرـيزـ» وـ «ـبـياـوـوـدـ» وـ «ـوـنـتـيرـيـ» . تـرـاقـهـاـ الـبـارـجـاتـ «ـساـوـثـ دـاـكـوـتاـ» وـ «ـمـيـاـشـيـسـكـسـ» . وـكـانـتـ «ـتـ.ـفـ.ـ ٥ـ٢ـ» هيـ قـوـةـ الـمـجـرـمـ الـكـرـسـةـ «ـلـاـكـيـنـ» . وـتـضـيـمـ بـالتـالـيـ مـسـوـعـةـ مـنـ النـاقـلـاتـ وـمـنـ نـاقـلـاتـ الـإـزاـلـ إـلـىـ الشـاطـئـ . توـازـرـهـاـ تـشـكـلـةـ مـنـوـعـةـ مـنـ سـفـنـ القـتـالـ . نـخـصـ مـنـهاـ بـالـذـكـرـ

مشاة البحرية يطأون الأرض وهم غائرون في غوارب الموج !



مشاة البحرية ينطلقون
من أحد شواطئ «تاراوا»
في هجوم على المطار .
ولقد كلفتهم هذا الهجوم
غالياً ، إذ سقط منهم
ألف قتيل و ٢٠١٠ جريح !



رساشان ينتظر ان أمرأ
بالانطلاق إلى ساحة القتال
من هذا المخبإ المدرع ،
فيما غاب ثالث عن
واعهما في عالم آخر .

مستوى البحرة ؛ فكان على البحارة أن يرجلوا في قلب الأمواج تحت نيران حامية . ولكنهم تمكنوا من التشبث بالشاطئ وبلوغ الليل ؛ وفي اليوم التالي تقدّموا مسافة ٥٠٠ متر قاطعين جزيرة «بيتيو» من جهة إلى جهة ، وأجهز على جيوب المقاومة بقاذفات اللهب . وعندما توقف القتال في ٢١ ، كان ٦٥٤،٤،٤، من مجموع رجال الحامية الـ ٨٠٠، قد قُتلوا ، ولم يكن هنالك من أسرى غير الجندي . وقد فقد الأمير كيتون نحوًا من ألف قتيل . وبعد ما غدوا أسياد «بيتيو» بات سهلاً عليهم احتلال ما بقي من الجزء الصغيرة في الحلقة الجزرية ، فوجدوا فيها بعثة مرسلين تتضمّن كهنة بالجيكيتين وفرنسيين كانوا قد عزلوا عن العالم منذ بداية حرب المحيط الهادئ ؛ ولقد ذهل الكهنة لعلمه أنَّ «أميركا» قد استطاعت العيش والصمود في غمرة الانتصارات اليابانية .

في ١٩٤٢ كان الأميركيون قد غامروا ، بما خلقتنه لهم «بيل هاربور» من قوّة بحرية ، الإنقاذ «ميديوي» . وبعكس ذلك كانت ردّة الفعل اليابانية في وجه غزو جزر «جلبرت» ضعيفة جداً . وفجّر طوربيد سعيد الحظ افلطا من الغواصة «إ-١٧٥» حاملة الطائرات «لسكوم بي» - وهي سفينية حرب مرسّجة - بيد أنّ أسطول الأميرال «سبر ونس» الجبار كان يسيطر بزهو على البحار . وكانت البارجتان القويتان «يامايانو» و «موشاشي» في «تروك» ، فبقيتا فيها ! وقامت حفنة من الفاذفات «بيبي» من قواعدها في الجزر بشن بعض الهجمات ، ولكن حاملات الطائرات كانت خالية من الطائرات . إن المعركة في سينان «رابول» قد أنهكت «اليابان» . وهكذا كانت حملة جزر «جلبرت» العظيمة مقدمة لغزو جزر «ماشال» ، ومن بعدها الأرخبيلات الأخرى ، وهي تعبير عن القوة الخارقة التي كانت «أميركا» تمتّع بها . وذلك فضلاً عن الجهود الخارقة التي كانت تفردها في «أوروبا» ، والاستعدادات الهائلة التي كانت تحشدتها فيها . وإنّه ، لعمري : وقت العودة إلى ذلك المسرح المهام .

من تقدير عدّة الحاميات بفارق لا يتجاوز مئة رجل زيادة أو نقصاناً .
كان لليابانيين في «ماكين» ٨٠٠ رجل ، نصفهم من العمال الكوريين ،
وفي «تاراوا» ٨٠٠ ، ٤ جندي . وقد صرّح قائد هذه القاعدة الأخيرة ،
الأميرال «كيجي شيباشي» ، بأنَّ الأميركيين لن يستولوا على «تاراوا»
بillion من رجالهم حتى بعد مئة عام .

وتمت عملية النزول معاً في ١٨ تشرين الثاني . وفي «ماكين» لم تعتبر المقاومة ضاربة : فلم يكن على الأميركيين غير قتل ٦٩٥ مدافعاً ، بينما رضي منهُم ، وعظامهم من الكوربيّن ، بعار الأسر . وفي «تاراوا» كان القتال . يعكس ذلك ، بلا رحمة . كان الإعداد البحري والجوي قد قتل نصف المدافعين ، إلا أنّ هوى طارئاً من أهواء حركة الجزر أدى إلى جنوح مبكر للقوارب البرمائية على الصخور العائمة على

قضى الأمير كيتون ٧٦ ساعة بعد هجومهم الجماعي الكثيف وهو يطهرون الأدغال من بقايا اليابانيين بقاذفات اللهب وبالقابل اليدوية.





فرقة من مشاة البحرية تهاجم
«تاراوا» الحصينة التي قال
فيها الأميرال «كيجي
شيباشي» : « لن يستولى
الأميركيون على «تاراوا»
ولا بليون من رجالهم حتى
بعد مئة عام ». ولكن
«تاراوا» سقطت أخيراً ،
ولكنّ ثنها كان باهظاً !



مخلفات العاصفة الهروجاء ،
عاصفة القتال . لم يبقَ ذلك
الفردوس الشاعري سوى
حطام ، وقبح ، بعد ما قطعت
رؤوس تحيله ، وامتلأت
سحابته بالخث ، وتناثرت في
مياهه بقايا السفن . ولقد
خيّم سكون الظفر الرهيب
بعد لعلة جحيم الصخب !

ـ قوط

في ٢ و ٣ أيار ١٩٤٣ ، أي قبل سقوط مدينة «تونس» بستة أيام ، انعقد حول «الفوهرر» مؤتمر عسكري خطير .

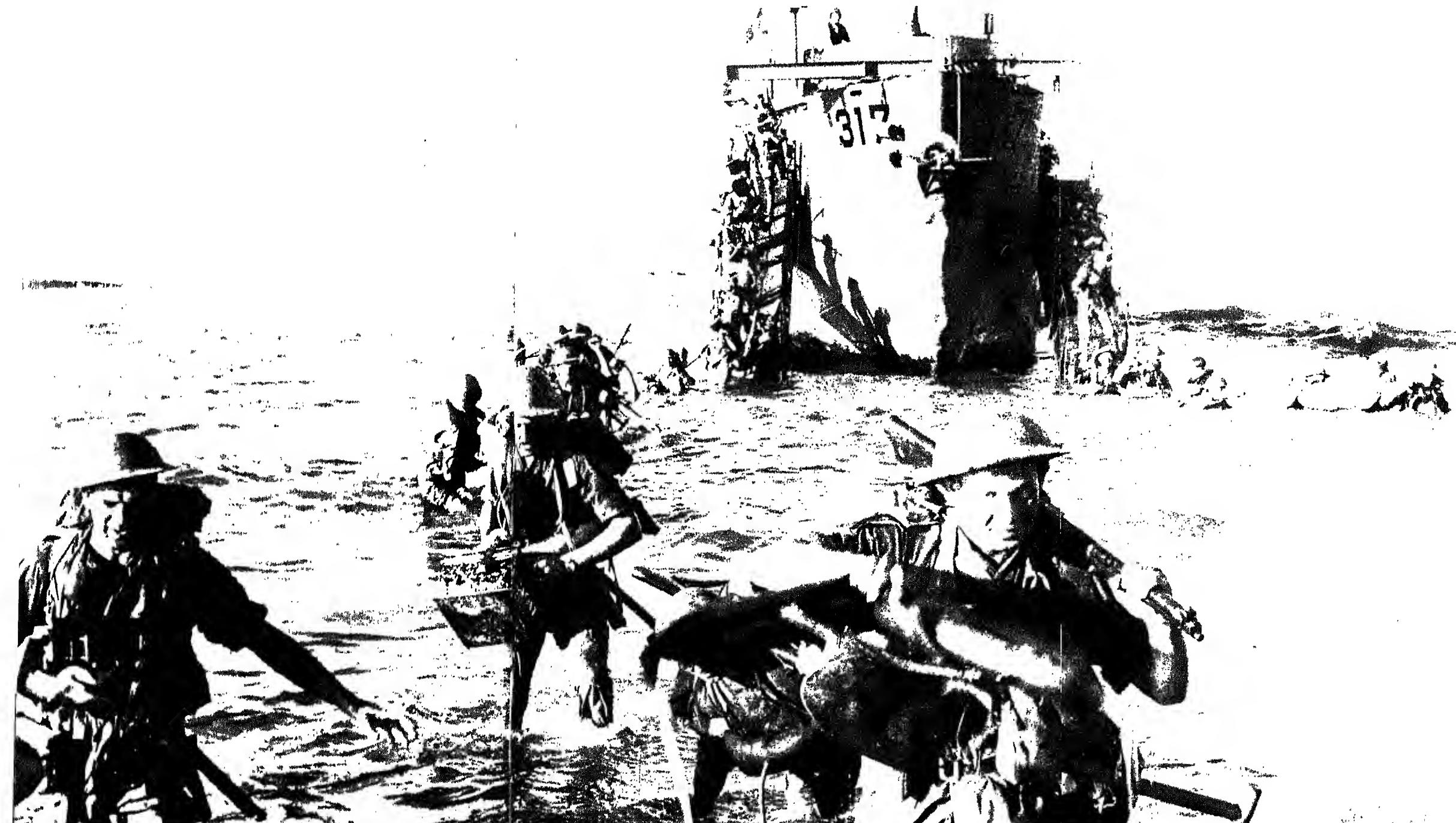
ولقد حضر هذا المؤتمر المارشال «كيل» . والمارشالان «فون كلوغي» و «فون مانشباين» قائداً مجموعتي الجيش الوسطى والجنوبية . وزیر التسليح «سيبر» . والجنرالان «زيتزر» و «جيشنبلن» رئيساً لركان الجيش والطيران . والكلوبيل - جنرال «مول» قائد الجيش التاسع . وأنشيراً أحد المائدين من عالم النسيان . وهو الكلوبيل - جنرال «غدريان» الذي صفح عنه «هتلر» فجأة بعدهما كان قد قدم عليه ورذه في كانون الأول ١٩٤١ . غريبة مفتشياً عاماً بجيش المصفحات . وقد أتى بهذه الصفة يُسمّهم في اتخاذ قرار حيوى رئيس : ترى . أينما يُمْكِن أن تعود «ألمانيا» : في الصيف الثالث التالي؛ إلى الإمساك برزام المبادرة في «روسيا»؟ أم أنّ عليها أن تلتزم موقف الدفاع فوق قواها لمواجهة حرب قد دُرِّجت بعد اليوم مفتوحة على جبهتين ؟

إنْتق «هتلر» ومستشاروه جمجمهم . والأسى يجز في نفوسهم . على نقطة واحدة : لن يكون هجوم ١٩٤٣ شيئاً يُرْجِحُ الصيفين السابعين : فقد سعى زحف ١٩٤١ إلى إبادة الجيش الروسي . وهدف زحف ١٩٤٢ إلى تحقيق فتوحات كان من شأنها أن توْمَنَ متابعة «ألمانيا» على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ; وبات أقصى ما يمكن رجاؤه من هجوم ١٩٤٣ إعادة التوازن إلى الجهة الشرقية . فالجيش السوفياتي دفع غالياً من انتصاره في «ستالينغراد» . وانتهت موقعة الشتاء أمام «الدبّير» بانتصار ألماني . وقد يكون بوسع انتصار جديد ، ولو محدوداً ، أن يعقِّد روسياً عن استئناف الزحف طوال شهور . فيفتر للجيش الألماني الاستراحة التي يحتاج إليها لتصفية الخطر المازِر في الغرب .

منذ أن حلّت هذه الأحوال . والخطوط الروسية ترسم حول «كورسك» ناقلة ذات قاعدة رباعية الروابي تبلغ ضلعها ٢٠٠ كلم تقريباً . وما أقيمت أول نظرة على الخاطرة حتى ثنا نكبة معاولة خنق الناقلة وتدمير ما فيها من القوات أو أسرها . كان «زيتزر» قد أعدَّ خططاً تقوم على تنظيم هجومين متلاقيين . هجوم ينطلق من الشمال وتشنه مجموعة جيوش «فون كلوغي» . وأخر في الجنوب تشنه مجموعة جيوش «فون مانشباين» . كانت تلك المحاولة نسخة مصغرة لمعارك التطريق التي عرفتها سنة ١٩٤١ . والتي حققت «ألمانيا» حصادها الخارج من الأسرى . ولكن يمكن «زيتزر» من إنشاء ذراعي مازمه عمد إلى تجريد القطاعات الأخرى . فالذراع الشمالية يشكلها الجيش التاسع بقيادة «مول» النشيط الذي لم يُضْعِفْ زون على ربه من جرح أصحابه به رصاصه أطلقتها عليه أحد الأنصار . فقد عهد إليه «زيتزر» بخمس فرق مصفحة . وفرقين من قوى النخبة (وهي التسمية الجديدة التي أطلقت على الفرق الآلية) و ٧ فرق من المشاة . ويشكّل القوات المهاجمة في الجنوب مفرزةً جيش «كيميف» . وجيشه الدبابيات الرابع التابع للكلوبيل - جنرال «هوث» . فإذا هناك ١١ فرقة مصفحة و ٧ فرق من المشاة . بذلك يبلغ مجموع القوات المخصصة للخططة ٣٣ فرقة ، منها ١٦ مصفحة ، ويکاد

نزول الإنكليز في «صقلية» في ١٠ تموز ١٩٤٣ .

للسقط الحوننكي



ذلك يكون أقصى ما يستطيع الجيش الألماني توفيره .

لم يجحِّس «هتلر» للفكرة ، فوضع لها شرطاً يقضي بـ«الاًلا» يعرض الزحف «أوكرانيا» الصناعية للخطر ، وبالتالي بـ«الاًلا» يضعف الجيشين الأول المصفح وال السادس الذي أعيد تشكيله ، المكلفين بحماية حوض «الدونيتر» . ثم إنَّه فرض بعض المهلات : أولاًً ليفسح أمام الدبابات «بانزير» فرصة دخول الميدان . ثم لأنَّه أراد أن يتبيَّن حقيقة الوضع في «أفريقيا الشمالية» قبل أن يندفع بكلِّ قواه في «روسيا» . ولذا شهدناه في «مونيخ» يصغي خصوصاً إلى أصحاب الاعتراضات «كمودل» الذي زعم أنَّ الفرصة المواتية قد فاتت ، و«سبير» و«غوديريان» اللذين كانا يخشيان التعرض لخسائر لا تناسب والتائج التكتيكي المرجوة . وهكذا انتهى المُؤمِّر بإرجاء جديد . وأعلن «هتلر» أنه ما يزال بحاجة إلى التفكير . عبَّأَ حاول الجنرالات المدعون إلى «مونيخ» أن يحصلوا على بعض الإيضاحات المتعلقة بالوضع في المتوسط ، فإنَّ «هتلر» قد طبق على منفذِي الجبهة الروسية البيطانيين أولئك المبدأ المتهلي القائل بـ«الاًلا» يطلع أحد إلا على ما يخصه مباشرة . واكتفى بإعلان عزمه على المحافظة على رأس الجسر التونسي . وما انقضى أسبوع حتى أتى الواقع يكذب ذلك التأكيد : فقد سقطت مدينة «تونس» . وأسر الجيش الألماني الإيطالي برمته . وباتت المشكلة محسورة في تحديد النقطة التي سيوجهُّهُ الحلفاء إليها جهودهم وضرَّا بهم المقلبة . أ الواقع أنَّ حركة المد البحرية كانت قد أجبت عن هذا السؤال في ٣٠ نيسان إذ دفعت إلى شاطئه «هوليفا» جثة ضابط بريطاني هو المُؤمِّر «مارتن» التابع لمشاة البحرية الملكية . وضفت السلطات الإسبانية يدها على أوراقه ، وبعد تردُّق قصير سلمتها إلى الملحق العسكري الألماني . كان «وليام مارتن» العاشر المحظوظاً عضواً في مجلس أركان اللورد «لويس مونبليات» ، وكان قد زُود برسالة شخصية وجهها «أرشيبالد نبلي» ، نائب رئيس الأركان الامبراطورية ، إلى القائد البريطاني الأعلى في المتوسط السير «هارولد ر. ج. ألكسندر» الموقر . واستخلص من تلك الرسالة أنَّ الانكليز والأميركيين ، وقد حققوا انتصارهم في «تونس» ، يعتمدون النزول في «اليونان» ، أمَّا الإعدادات البحرية ضد «صقلية» فلا تدعو أن تكون عملية تويه وإلهاء .

وَجَدَ «هتلر» في تلك الوثيقة التي حملتها غواصات الأمواج وغمرات الموت ما يثبت وجهات نظره ؛ فهو لم يفتَّ يوُكَّد ، محالماً في ذلك رأي «موسوليني» ، أنَّ الحلفاء لن ينزلوا في «صقلية» ، ولن يتجشموا مشقة الارتفاع الطويل عبر الجزيرة الإيطالية ، بل لأنَّهم سيصبون جام غضبهم على «البلقان» ؛ فمنه تستخرج «ألمانيا» و«إيطاليا» ما يلزمهما من خاس وألومنيوم وكروم ونفط ، والسكان هناك في شبه ثورة ينتظرون وصول المحتلين ، وعن تلك الطريق قد يتمَّ تطويق ميمونة الجيش الألماني في



«روسيا» . وقد يحصل الانكليز على الغرض الذي ما انفكوا يسعون إليه منذ أمد بعيد ، ألا وهو تدخل «تركيا» . أثبتت الرسالة المسماة إلى المُؤمِّر «مارتن» أنَّ القيادة الانكليزية تفكَّر كما يفكَّر «هتلر» ، وهذا هي الجهة ثبتت صحة ذلك .

في ١٤ أيَّار أعطت مذكرات قيادة الجيش الألماني العليا حقَّ الأولوية «لليلوينيز» ؛ فوجَّهت الأمداد الألمانية الرئيسة شطر «البلقان» ، بما في ذلك أفضل الفرق المصفحة على الإطلاق ، أيِّ الفرقة الأولى . وعبَّأَ حاول «غوديريان» ، رئيسها القديم ، أن يحتفظ بها . وكُلُّف «رومَل» بإعداد شبه الجزيرة للدفاع . ولم يبقَ من الأجناد الألمانية في «صقلية» سوى فرقتين هزيتين ، وبعض الأنساق الخلفية المتبقية من الوحدات الكبيرة التي دُمرت في «أفريقيا» . ومع أنَّ الإيطاليين كانوا يتوقعون اجتياح الجزيرة — ولقد حيل بينهم وبين الاطلاع على أوراق المُؤمِّر «مارتن» ما تمَّ اتّخاذه من التدابير لم يكن كافياً قطعاً . ولقد وصف قائد فرقة الصاعقة «قسطنطين فون نوراث» نجل وزير الخارجية القديم . «هتلر» ، إفلاس معنيات الجندي ، والروح المعادية «لألمانيا» المتفشية بين السكان ، وأمنيات الجبانة التي كانت تراود الجنرالات ؛ فيما كان من «هتلر» ، عقب هذه المقابلة ، إلا أنَّه كتب إلى «موسوليني» رسالة عنفية شديدة اللهجة ؛ إلا أنَّه ، وفي ذلك ما يدلُّ على الاتجاه الذي تميَّز به تفكيره ، لم ينذر بمحليفه إلا في ما له علاقة «بالبلقان» : فالجنرالات الإيطاليون ، بشجعهم الاتجاهات القومية ، وتأوهُهم في قمع نشاط الأنصار ، يعرّضون للخطر منطقة ذات أهمية أولى بالنسبة لإدارة العمليات الحربية . ومهما يكن من أمر ، فإنَّ مرحلة اللوم والتقرير قد انقضت ؛ فلقد أصدر «هتلر» أمره بإعداد خططة لاحتلال «إيطاليا» عسكرياً ، كما أعدَ خطط آخر مماثل لاحتلال «البلقان» .

أمَّا المُؤمِّر «مارتن» فقد كان ولد الدباء البريطاني : فهو لم يسقط من طائرة ذهبت ضحية حادث ، بل أُودع الماء ، في تيار ملائم ، على يد الغواصة «سيراف» — وهي نفسها التي أُنْزَلت «كلارك» في «تشرشنل» ، وأفلَّتت «جيرو» في «الفندو» . أمَّا الميت فقد قدمه أحد مستشفىات «لندن» ، ثم زُوِّد بهوية مقنعة . أمَّا رسالة الجنرال «ني» ، وهي صحيحة باعتبار أنَّ موقعها نفسه قد كتبها ، فكانت شَرِّقاً . الواقع أنه لم يطرأ أيٌّ تعديل على اتفاقيات «الدار البيضاء» : فبعد تحرير «أفريقيا» الكامل ، سيتزلَّلُ الحلفاء في «صقلية» . أمَّا المرحلة التالية فلم تقرر بعد ، والمشادةُ الستراتيجية بين الانكليز والأميركيين كانت أعنف منها في أيِّ وقت مضى .

وفي ١٢ أيَّار انتقلت المشادة إلى «واشنطن» . وصل «تشرشنل» في طريقه إلى المُؤمِّر على متنه «الكونين ماري» تحفَّ به هيئة أركانه الرائعة ، فإذا بالأميركيين قد التزموا جانب التحفظ والحذر ، وتدرَّعوا بالرivity ، وقد افتعلوا ، أكثر منهم في أيِّ وقت مضى ، بأنَّ الحرب المتوسطية ليست إلا عملية تحاول فيها «بريطانيا العظمى» استخدام قوَّتها لتحقيق مآربها الاستعمارية . وثبتت «الآن بروك» الأميركيين في ظنونهم إذ قال إنه لا يعتقد أنَّ الرمح على «أوروبا» الغربية يمكن قلبَه ١٩٤٥ . وربما ١٩٤٦ . اضطَرَّ «تشرشنل» إلى الإذعان للضغط الأميركي بالرغم من رأي مستشاره العسكري ذاك ، قبل بتحديد أولَيَّار ١٩٤٤ موعداً للنزول في «فرنسا» ، كما اضطَرَّ إلى القبول بسحب سبع فرق من المتوسط لإضافتها إلى القوات المحتملة في «إنكلترا» . إلا أنَّه بقي يصرَّ بكلِّ

في هذه الشاحنة نُقلت جثة «المأمور مارتن» إلى الغواصة «سيراف» .

الكارثة الغامضة : كانت الغواصة تسبح على سطح الماء ليلاً تعبئة بطارياتها وتتجدد مؤونتها من الأوكسيجين ، موضحة بذلك بطلها القاتل في حالات العوص . وفجأة كانت مناورة تضاء في السماء ثم تهطل القنابل . فزيادة حاملات الطائرات المهاجمة ، وهي سفن نقل محولة . واستخدام رادار من عيار ١٠ سم ، قد مكنا الحلفاء من هذه المطاردة الشرسة . كان الليل صديقاً لبحارة الغواصات ولماذا لهم ، فإذا به يخونهم ويفضّلهم !

كان أيام شهر جنuary ٣٨ غواصه ، أي واحدة من أصل كل ٣ ، لم تعد إلى قواعدها . وطلب «دونتز» أن يختلي بالفوهه ، وصعد إلى «أوبير سالزبرغ» ليصف له الكارثة ويشرحها . فمقابل تدمير ٢٤٠،٠٠٠ طن من السفن التجارية ، كان فقدان ٢٠٠ ضابط وبختار من رجال النخبة ثمناً ساخناً . وأمام القادة فقد أربوا عن عزمهم على التضحية ، وهم أكثر الضباط خبرة . ويخملون صلبان الفرسان مع أوراق السنديان والسيوف ، أمثل «روسكييل» ، و«ليمان - فيلر بولك» ، و«شولز» . إلا أنهم كانوا يرون أنه من المحال متابعة القتال بسفن تقطع ٩ عقد أثناء غوصها ، مرغمة على الصعود إلى وجه الماء للتنفس كل ٢٤ ساعة . ولذلك اعترض «دونتز» سحب غواصاته من الأطلسي الشمالي ريثما يأتي إلى حلّ وقائي . فهذه الغواصات لن تعمل موقتاً إلا في البحار النائية ، هذا إذا وصلت إلى هناك .

كانت ردّة فعل «هتلر» غاية في الحدة ؛ فقد راح يذرع مقصورته الفسيحة وهو يزأر : إنه لا يقدر على قبول الحل الذي انتهى إليه أميرال الكبير ! ولا يمكن أن يقنع بأنه في حوزة الائكيز - وهو لا يأتي على ذكر الأمريكيين مطلقاً - العدد الكافي من حاملات الطائرات ومن الطائرات للإشراف على الأطلسي الشمالي بكماله . ولذلك فهو لا يقدر أيضاً على التخلّي عن حرب الغواصات . قال : «إنّ الأطلسي هو حفرتي الدفاعية . فإنّ خلّينا عن حرب الغواصات ، بات غزو «أوروبا» أمراً ثابتاً . وأصدرت للحال أوامر تقضي بأن تتحقق رغبات «دونتز» من غير تأخير ، وبأن يضع «غورنخ» نفسه الطيران الألماني تحت تصرف أميرال يقنه . ولسوف يقيم «دونتز» فوق سفنه مشاة مضادة لرادار ، وبطاريات مضادة للطائرات . وسيبحث على إنخراط «الشنوركل» ، وهي الأنابيب التي تمكن الغواصات من ضich الماء إلى سطح الماء ، وتتيح السير غوصاً بواسطة الدبّيزل فتفوّر عليها الصعود إلى السطح في فرات متعددة . ولكنّ «الشنوركل» لم يكن غير حلّ مؤقت في أيّ حال . ولم يبقَ وارداً ، لسوء الحظ ، بناء الغواصات من طراز الدارنة الملغقة الذي كان البروفسور «فالتر» يعرضها منذ سنوات عديدة . ولكنّ العمل سيسير حيثياً لبناء الغواصات من طراز ٢١ التي ستبلغ سرعتها ١٧ عقدة ونصف أثناء غوصها . فبفضلها بات يرجى أن تعود حرب الغواصات إلى الإزدهار في أوائل ١٩٤٤ .

في حزيران تدلت زنة السفن التي أغرقـت في الأطلسي إلى ٢٧٠،٠٠٠ طن . وفي البحر كافية إلى ١٥٧،٠٠٠ طن . وفي تموز . وعلى أثر الأوامر التي أصدرها «هتلر» . ارتفعت أرقام التدمير إلى ١٣٦،٠٠٠ طن وإلى ٣٨٩،٠٠٠ طن . إلا أن خسارة ٢٥ غواصه أتت تعاضداً «دونتز» . مما أدى إلى تخفيض العمليات . وفي آب لم يفقد الحلفاء في الأطلسي غير سفن أربع زنتها ٩٤١ طن . وهذه أول مرة منذ بداية الحرب تفوق فيها زنة السفن المصنوعة على زنة السفن المدمرة في المحيطات جمعاء . بما

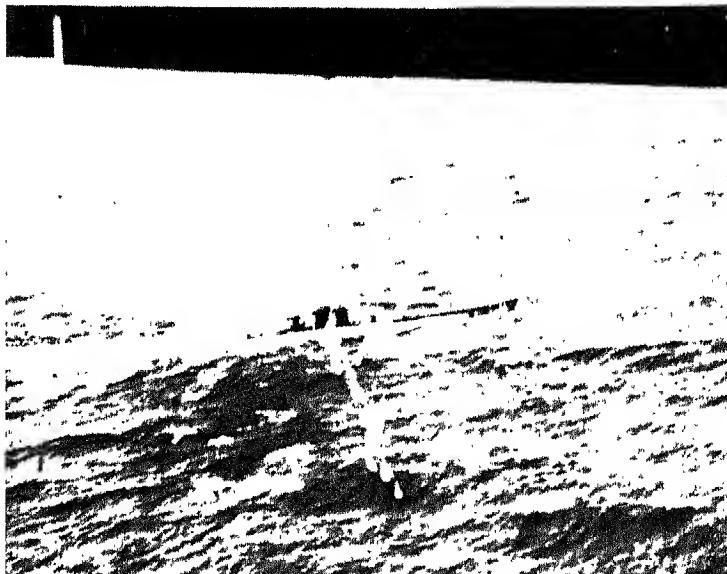
ما لديه من قوة على أن يكون هدف الحلفاء التالي هو «طرد إيطاليا» من الحرب . فيبني ألاً تعتبر «صقلية» مقعداً وثيراً تنظر عليه الجيوش الظافرة في «أفريقيا» . بل «مقفزاً» يمكنها من الوثوب إلى شبه الجزيرة الإيطالية لإرغام «موسوليبي» على الاستسلام .

وأخيراً وفق «أيزنهاور» إلى حلّ وسط : سوف يتوقف نطاق العمليات في «إيطاليا» على سير معركة «صقلية» . فإن بدأ المقاومة ضعيفة . وأمكن فتح الجزيرة قبل ١٥ آب مثلاً . فستعتبر الجيوش الحليفه مصيق «مسينا» لمواصلة تفوّتها في «إيطاليا» القارية . أما إذا بدأ التفقات .

إفلات حرب الغواصات

في الوقت الذي كان فيه المؤتمر منعقداً خططاً الحلفاء خطوة خطوة جبارة نحو النصر . فاللاعب الأكبر الذي كان يشقّ كاهل سرتاجيّتهم تلاشى : إنّ حرب الغواصات كانت في سبيلها إلى الإنفاق . فمن جملة افلات الأوضاع التي نتجت عن الحرب . يمكننا أن نضاهي المراهن الألماني أمام «موسكو» و«ستالينغراد» . دون سواها . بطابع العنف الذي اتسم به إفلات الغواصات . فقد كانت الغواصات تشرف على النصر في مطلع الربيع . فإذا بها تُطرد من العمار في مطلع الصيف !

كانت خطّة الذئاب على ما يرام . فقد راحت مئة غواصه تنشط في «الأطلسي» . في آن معاً ، زمراً مؤلفة من ١٢ إلى ٢٠ غواصه . وفي آذار أغرقـت ٨٥ سفينه تجارية . ومنها ٢١ من جملة ٣٥ سفينه كانت تواكب القافلتين «هـ لـ ٢٢٩» و«هـ لـ ١٢٢» . وفي نيسان . وعلى الرغم من بعض الرحلات التي نعمت بقوسٍ أوفر من الحظ . ذهب ٣٥،٠٠٠ طن إلى انفاس . وأمّا خسارة الغواصات نفسها . وهي ٥ في الشهر الواحد . فكانت لا تتجاوز في الأكثـر خمس العمارات الحديـدة التي تنـزل إلى الميدان . وفي الحانبـ الحـليـفـ بـقـيـ التـوازنـ بـنـ سـيـةـ الـأـطـنـانـ الـمـبـنـيـةـ وـالـأـطـنـانـ الـمـدـمـرـةـ يـشـكـرـ عـجـزاـ أـكـيدـاـ . وفي الحانبـ الـأـلـمـانـيـ كانـ أـسـطـولـ الغـواـصـاتـ فيـ اـزـدـهـارـ مـطـرـدـ . وإـزـاءـ هـذـينـ الـوـاقـعـينـ بـقـيـ غـزوـ «أـورـوباـ» أـمـرـاـ محـلاـ . وفجأةً تغير كلّ شيء . راحت الغواصات تتلاشى بالحملة وهي في طريق عودتها في معظم الأحيان . في الوقت الذي كانت فيه القيادة العامة تعتبرها بعيدة عن الخطـرـ . وأمّا التقارير البحرية التي وضعها القوـادـ النـاجـونـ منـ هـذـاـ النـوعـ المـجـوـيـ الـجـدـيدـ . فقدـ مـكـنـتـ منـ إـمـاطـةـ اللـاثـامـ عنـ هـذـهـ



الطائرات الأمريكية هاجم إحدى الغواصات الألمانية .

الهجوم على ناقلة «كورسٌك». منذ ٥ تموز سُمِّرت الهجمات الروسية المعاكسة لـ«الحلف الألماني» إلى الحضيض.

الإيطالي». إلا أن اقتناعه بأن التزول الخليف الم قبل يستخدم «البلقان» مسرحاً له لم يتغير في شيء. وأخذ «موسولي» يئن شأن رجل مصاب ويقول: «ما سقوط «بنتليريا» إلا ناقوس الخطر؛ أجل، لقد قرع ناقوس القدر...»

واستفاق الجبهة الروسية بدورها؛ فبعد تردد طويلاً أصدر «هتلر» أمره بالهجوم؛ فشنت في ٥ تموز كل من مجموعتي جيوش «فون كلوغى» و«فون مانشتاين» هجومها باتجاه الأخرى. كان الجو والأرض أصلح ما يكونان ملائمة لهجوم مصطفح. ولقد وضع تحت تصرف «كيمبف» و«هوث» و«مول» معاً ١٠٨١ دبابة، منها ٢٠٠ «باتير» من زنة ٤٥ طنًا، و٩٠ «تيغر» من زنة ٥٥ طنًا، يضاف إليها بعض ثمانين أحدث الأجهزة المصفحة صناعاً، عَنِيت الدبابات «فرديناند» ذات الأطنان السبعين، التامة المناعة تقريباً، ولكن البطيئة، والسيئة التسليح بالنسبة لقتال قريب المدى.

في مقر قيادة الفهرر أمسك كل «أنفسه»؛ كان «هتلر» قد قبل مبدئياً بوقعة ذات هدف محدود، إلا أن بصيصاً من الأمل قد انبعث في نفسه واستثار بها، فشرع يكرر ادعاءه بأن «روسيا» قد فقدت ١١ مليوناً من المحاربين، وأنها لا تقف الآن إلا بمجهود خارق من التعصّب والتصلب. وربما قُبضَ لهذه العمليات أن تكون هي الصدمة التي ستفضي على البناء بالانهيار.

حُفِّ «مول» على الجانب الشمالي من ناقلة «كورسٌك»، بفياقه المصفحة الثلاثة ٤٦ و٤٧ و٤١، الموزعة بشكل مثُلث رأسه إلى الأمام. كان خصمه هو المارشال «روكوفسكي» قائد الجبهة الوسطى، ولكن سرعان ما أدرك الإعياء الألمان وهم يتخبّطون وسط شبكة متراصة من التحصينات الدفاعية. وبعدما تمكّن الفوج المصفح ٤٧ من بلوغ «أوغوفاتكا» الواقع على ٢٥ كلم من قاعدة انتلاقة، أرغمته على التراجع هجمات معاكسة عنيفة؛ وإذا بالرمح الشمالي يتوقف منذ ٧ تموز. وانقض «مانشتاين» على البناح الآخر من الناقلة ضاغطاً على جانبي «بيلغورود» كليهما؛ وفيما أخفقت مفرزة «كيمبف»، المشتملة على الفيلق المصفح ٣ والفييلق ١١، أمام المواقع السوفياتي الرئيس، تمكّن الجيش المصفح الرابع، المشتمل على فييلق الدبابات ٤٨ والفييلق المصفح الصاعق والفييلق ١١، من فتح ثغرة باتجاه «أوبويان».

حاول «مانشتاين» تقدية تجاهه بزخم أجناد حديثة طازجة في تلك الثغرة، غير أن «هتلر» منعه من حق التصرّف بفييلق الدبابات ٢٤ الذي كان



فيها المحيط المادي. وهكذا ربع الحلفاء هذه الجولة الرئيسة، فباتت طريق المشاريع الكبرى مفتوحة.

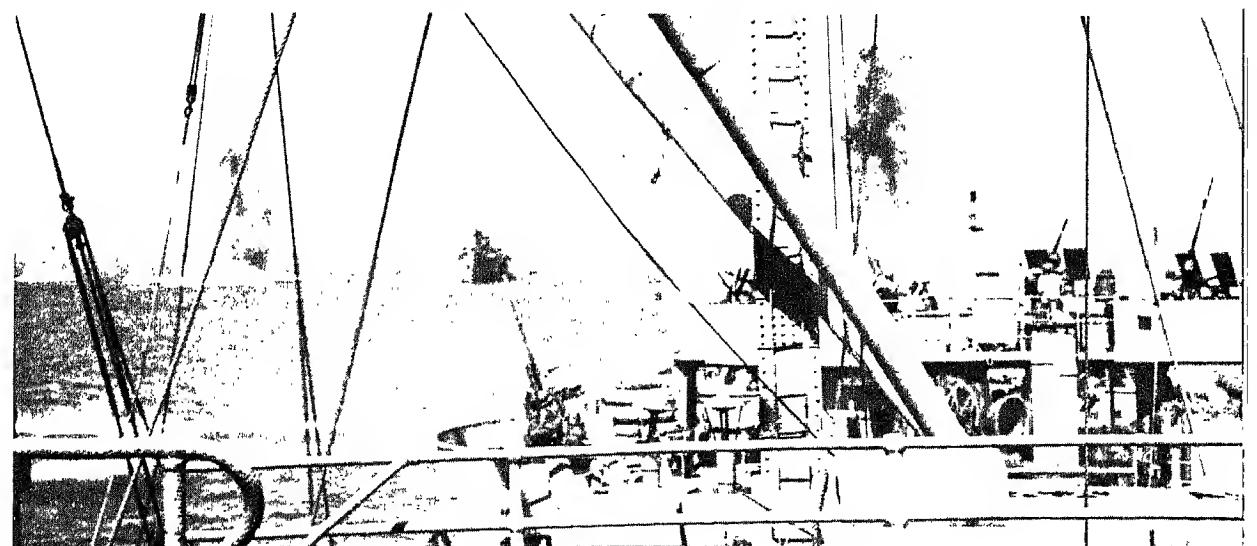
«كورسٌك»، مرحلة جديدة من مراحل المذبحة

بين «أفريقيا» و«أوروبا» يتصبب هرم بر كاني ذات شهرة مناعته. يبلغ ارتفاعه ٨٥٠ م، هو جزيرة «بنتليريا». رغب «أيزنهاور» في وضع يده عليها ليؤمن لنفسه مدرجاً للطائرات قريباً من شواطئ «صقلية». كان بإمرة الحاكم، الأميرال «جينو بافيزي»، حامية تتالف من ١١٠٠٠ إيطالي و ٨٧ ألمانياً، فكُلُّف بإخضاعها مجموعتان من طائرات «ب-٢٥»، وثلاث مجموعات من طراز «ب-٢٦»، وأربع مجموعات من طراز «ب-١٧»، وكلّفت بالتزول فيها الفرقه البريطانية الأولى يقودها المجر جزانل «كلوترباك».

في ١١ حزيران، وبعد قصف دام ١٢ يوماً، أخذت الجزيرة تنفتح الدخان كأنّ بر كاني قد استيقظ من سباته، واتجهت زوارق الإزال نحو شواطئها الرملية النادرة. وما لبثت المدمرة «لافوري» أن أشارت إلى أنها ترى علمًّا أبيض يتحقق فوق مركز الإشارة الساحلي؛ واستقبل الجنود البريطانيون بعلم أبيض مماثل. فوق الأميرال «بايفيزي» على وثيقة الاستسلام زاعماً أن الماء قد نفذ لديه، مع العلم أن المجتاهين قد وقعوا على صهاريج كثيرة مترعنة! لم تفقد الحامية إلا ١٠٠ من رجالها، وذلك بفضل الملابح الممتازة المحفورة في الجبل. أمّا التقرير البريطاني فسوف يذكر ما يلي: «جريحنا الوحيد في تلك العملية هو جندي قد عصى ابن آوى»!

لم تمض على ذلك ٢٤ ساعة حتى استسلمت جزيرة «مبادوزا» المزرودة هي الأخرى، بمدرج للطائرات، لرقيب أميركي اضطر إلى الهبوط فيها اضطراراً!

إنقشع «هتلر» أخيراً، إثر ذينك الفتحين اليسيرين. بالتخاذل



من مشاهد عمليات التزول في «صقلية»: السفن الحليفة تتعرّض لنيران طائرات المحور بعدما أُنزلت جنودها.

الهجوم الروسي المعاكس في ناتحة «أورييل». وقد أحدث المشاة ثغرة عميقة تساندهم الدبابات.

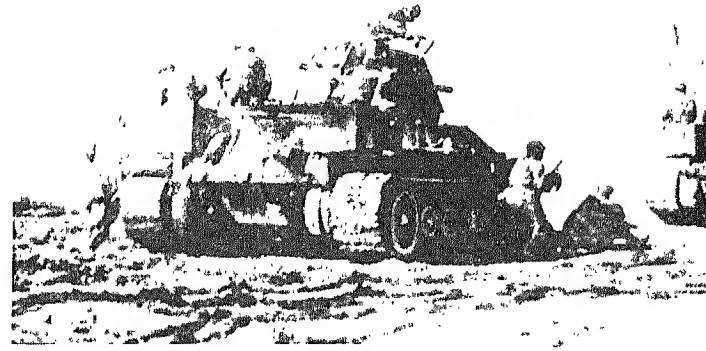
الوضع التكتيكي متازاً. فناتحة «أورييل» لا يرويها غير خطّ حديدي واحد. إذا وفّق الروس إلى قطعه توافرت لديهم مادة «الستالينغراد» جديدة!

بدأ قصف الإبادة فجر ١٢ تموز. ولم تمض عليه ساعتان حتى تكثّفت أربعة أسلحة من خرق الثلول الألماني: «بغراميان» في الشمال، و«بليوف» في الشمال الشرقي، و«غورباتوف» في الشرق، و«بونجوف» في الجنوب الشرقي. استجهت هذه الحملات نحو نقطة مركزية واحدة هي «أورييل»، ما دعا الأول التي مضت باتجاه الخط الحديدي بين «أورييل» و«بريانسك». كانت فترة من الاستقرار دامت ٢٢ شهراً قد مكّنت الألمان من إقامة موقع محصن، يدّ أنّ القطاعات بدأ بالغة الاتساع فيما ظهرت نسبة الاحتلال ضئيلة جداً. ما كان الوضع ليستيم إلا بمثابة تقويم بها قوات الاحتياط، غير أنّ جيش الدبابات الثاني، الذي وفّت عليه الصدمة، كان قد جرّد تماماً لتجذّيبي الهجوم. ثُقّب الموقع الرئيس منذ المساء الأول، وتجاوز تقدّم «بغراميان» البالغ الخطر مسافة ٢٥ كيلومتر. لم يكن بوسع الألمان إلا أن يقاوموا قدمآً، فيما بادرت القيادة إلى تجريد أجزاء أخرى من الجبهة لإقامة سد يحول دون استمرار الفيوضان. ولسوف تمضي في سرد أخبار هذه المعارك الرهيبة في الفصول التالية. إلا أنه يحدّر بنا، قبل العودة إلى معركة المتوسط، أن نسجل أنّ الحملة الروسية قد أدركت منعطفاً يساوي خطوطه منعطفي «موسكو» و«ستالينغراد»، فيما حطّمت أول هذه المواقع المناعة الألمانية المعهودة، وضفت الثانية حدّاً للهجمات ذات الأهداف العامة. أمّا موقعة «كورسك»، وهي أقلّ اتساعاً وشهرة، فقد انتهت بالنسبة للألمانيّاً فقدان زمام المبادرة على الجبهة الشرقيّة فقداناً شاملًا نهائياً. حتّى إنّ الخططة الدفاعية المجموعية نفسها لم تبقّ بمتناول الجيش الألماني، الذي أمسى أشبه ما يكون بملائكة مهزوم يواجه عاصفة من الضربات المحكمّة بضرّبات قد انتابها الخور والضعف المتزايدان.

فقدان «صقلية» بطحّي الفاشيّة

إن الشاطئ الجنوبي الشرقي من «صقلية» هو سهل ينفرج ويتكلّص تبعاً للواجهة الجبلية التي تشرف عليه في ابعادها عن البحر ودونها منه. وهناك أودية منفتحة كالأقماع، في تحوم الأقسام التي تفصل بينها تقدّمات الجبل. وهناك طريق وخط للسكك الحديدية يمرّان بين قسم وأخر. متعرّجين بين هذب الأمواج وأقدام المرتفعات. وكانت طرقات أخرى ترتفّي نحو الداخل. وكان العطش سيّداً في التلال. فيما تعیث الملاриاء في الأرضي المنخفضة خراباً. وأمّا المرافئ فعادية. وأمّا المدن فصغيرة. وكانت «جيلا» أكثرها أهمية. وتاريخها يرجع إلى القرن السابع قبل الميلاد. وكان وجه العصرية فيها ممثلاً بالفقر والإهمال؛ إنّها تقوم على خليج واسع الانفتاح. من غير حماية في وجه ثلاثة أربع دائرة الرياح.

حطّت هذه الطائرة الروسية في إحدى الغابات بصورة اضطرارية. فاستولى عليها الألمان.



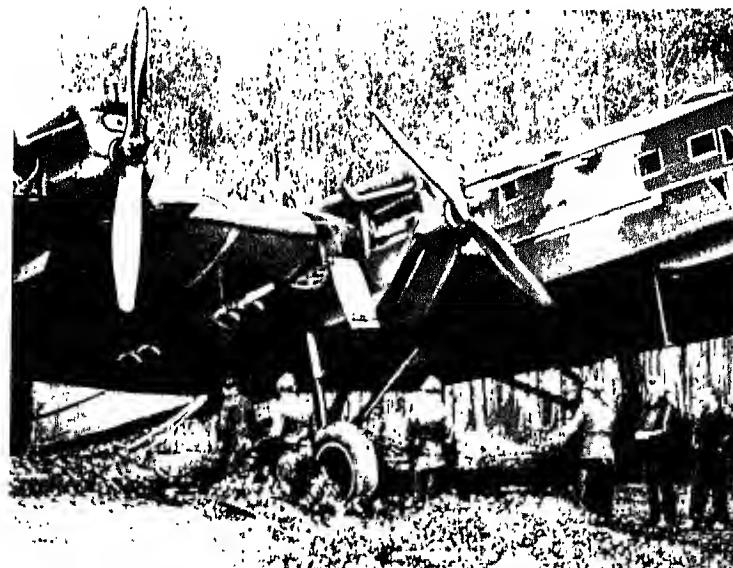
عليه أن يؤمّن عصمة «الدونيتس».

وشنّت جبهة السهوب في ١١ تموز هجوماً معاكساً ما عقّم أن استحال مبارزة هائلة شاسعة للدبابات. فقد الروس عدّة مئات من الأجهزة إلا أنّ اندفاع المدّ الألماني قد تعطّل. تقدّم «مانشتاين» مسافة ٥ كيلومتر. ولكنّه لم يكُن يجتاز نصف طريق «كورسك».

في اليوم التالي. في ١٢ تموز. استدعي «فون كلوغي» و«فون مانشتاين» إلى «رستنبورغ». حيث أطلعهما «هتلر» على تطورات الموقف الأخيرة. كان الانكليز والأميركيون قد نزلوا في «صقلية» منذ ٢٤ ساعة، فالإيطاليون هناك لا يقاتلون. وقد بات لزاماً سحب بعض القوات من الجبهة الروسية لمواجهة الخطط المتفاق في المتوسط، وبالتالي كان لا بدّ من التوقف عن الهجوم في الجبهة الروسية. وأردف «هتلر» يقول إنه يأسف لكونه قد قبل به على الرغم من حذسه. وأنّ المضي فيه سخيف وخرق.

فاحتّج «مانشتاين» قائلاً إنّ التضيّعات الجسيمة التي ارتكبناها من أجل الهجوم ستذهب أدراج الرياح. إذا نحن أقدمنا على إيقاف معركة قد يكتب لها التوفيق والنجاح. أمّا «كلوغي» فقد سلس بالأمر معلّناً أنّ جيشه التاسع غالباً أعجز ما يكون عن مواصلة الرزف، وأنّه قد بات عليه أن يعود إلى موقع انتلاقه. لأنّ الوضع قد انقلب رأساً على عقب. فمشكلة المجموعة الوسطى لم تبقّ بـ«بر ناتحة «كورسك»، بل من الروس من بـ«بر ناتحة «أورييل» وإيقاع الجيش الألماني المقيمة داخلها في التهلكة.

كانت ناتحة «أورييل» هذه تقليدة ناتحة «كورسك»؛ فإن الخطوط الألمانيّة توغل بعيداً ضمن الخطوط الروسية. وكانت الاستعدادات لـ«بر ناتحة» قائمة على قدم وساق حين شنّ الهجوم الألماني. وقد رفض «ستانلين» إيقافها. فلم تتحّرف الأهداف الموجهة إلى جبهة «بريانسك» عن أهدافها، واستمر الإعداد لحملة السوفياتية وفقاً للمبادىء التي حققت نجاحها الباهر على «الدون» وعلى «التشير». تمهد هائل رهيب تقوم به المدفعية. تفتح بعده دبابات المواكب ثغرة ضيّقة في الجبهة. فتعتمد الوحدات الآلية الكبيرة إلى استغلالها بعد استغلال. كان



طائرات المحور تغير على قوافل
التموين الخليفة . إلا أن هذه
الردة أتت متأخرة لأن المفاجأة
وضعت العدو أمام الأمر الواقع .

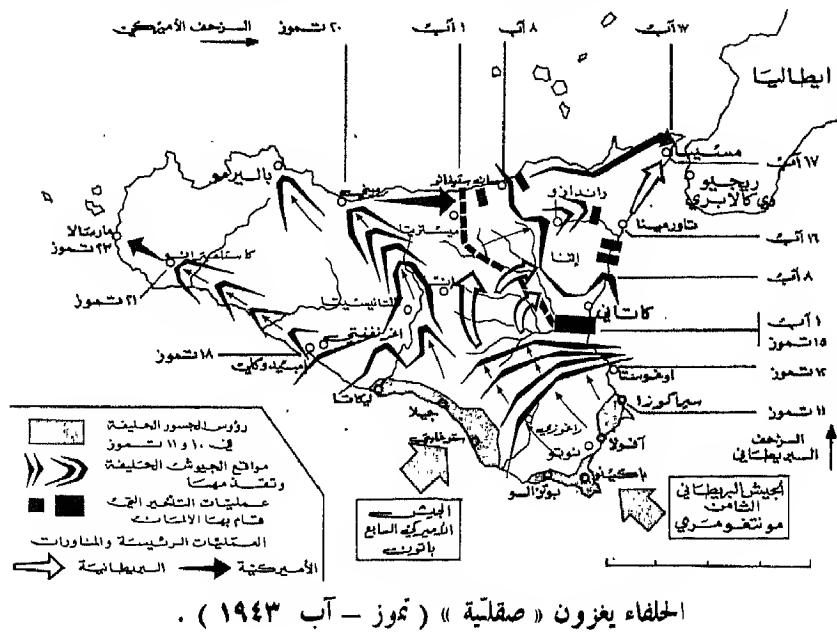
وأمام الفرقة السكتولاندية ٥١ ، والفرقة الكندية الأولى ، فكان عليهما أن
تهاجم شرقى «بيكيني» وغربيها . ولسوف يقيم البريطانيون والأميركيون
اتصالهم في سهل «راوغوز» قبل بسط عملياتهم باتجاه الداخل .
قبل ذلك بأيام قليلة كانت الصحف الإيطالية قد نشرت خطبة مملة
ألقاها «موسوليني» في مجلس الحزب الفاشي ، قال فيها : «إذا قدرَ
للعدو أن ينزل بشواطئ «إيطاليا» فسوف يباد عن بكرة أبيه على خطِّ
الرمل عند حدود الماء . وإن هو احتل رقعة من الوطن . فسيكون ذلك في
وضع أقسى . لا عمودي ، وذلك إلى الأبد ! »

كان «ألفريدو غوتزوني» هو قائد الجيش السادس، وحاكم «صقلية»
ال العسكري . وقد آلت إليه مهمة الحفاظ على كلام «الدولي» الحساب .
فهذا القائد الذي كان في السادسة والستين ، وهو أحد منهزمي «الإانيا» .
قد تخلى عن كل رجاء باطل منذ زمان بعيد : ففرق دفاعه الساحلي
الست ، السيدة التسليح ، كانت منتشرة فوق قطاعات من مئة كيلومتر .
ومن جملة فرق التحرش الأربع كانت واحدة فحسب ، وهي «يفورزو» .
حازرة على نواة من الدبابات الفرنسيّة القديمة وهي من المعاشرة سنة
١٩٤٠ . وأمام فرقنا الجيش الألماني الموجودتان في «صقلية» فلم تكون إلا
اسمياً تحت أمره ، إذ كان رؤاؤهما يتلقون الأوامر مباشرة من
«كيسلنغ» ، أو من ضابط اتصاله الجنرال «فون سنجر» . وكانتا ، على
كل حال ، ضعيفتين نوعاً ، ففرقة المصفحات ١٥ لا تملك سوى ٤٦
دبابة خفيفة ، وفرقة «هيرمان غورنخ» ، التي ضُحّي بأكبر قسط منها في
«تونس» . كانت تعداد ٩٠ دبابة ، منها ١٧ «تيغر» ، ولا تضم أكثر
من كتيبة من المشاة .

لم يكن الحلفاء مطمئنين إلى الوضع بتاتا . فهم لأول مرة يقتربون من
«أوروبا» الحصينة ، وهم ، على الرغم من انتصارهم في «تونس» ،
يدركون تماماً سطوة «ألمانيا» العسكرية . والاقتراب من الشاطئ في ليل
٩ إلى ١٠ توز لم يلق أيّة مقاومة ، إلا أن البحر كان مائجاً ، وأمام
إنزال فرق سبع إلى اليابسة في الوقت نفسه ، فقد كان مغامرة صعبة . وكانت
أول عملية للجيوش المقولنة جوّاً محطة للعزم ، بسبب الرياح العاصفة

نزل الحلفاء في «جيلا» في ٩
تموز . «عند الظهر هبت ريح
باردة نوعاً من الشمال الغربي ،
وهذا أمر نادر في ذلك الفصل .
وأشتدّ الهواء بعد الظاهر ، وما
لبث أن عصف في المساء عوّلاً
عمليات النزول إلى مغامرات
خطيرة ...»
(«نشر تسلل» في مذكراته)

إن «جيلا» التافهة هذه كانت تعوق قلب الجيش الأميركي السابع
الموضوع تحت إمرة «جورج باتون» . وقد كُلِّف فريق بأن يستولي عليها
عنوة في الوقت الذي طأ فيه الفرقة الأولى الشواطئ المجاورة .
وكان على الفرقة الثالثة أن تنزل إلى الشاطئ إلى الشمال ، بالقرب من مرافق
«ليكاتا» الصغير . وعلى الفرقة ٤٥ أن تنزل إلى اليمين ، من جانبى
دشكة «سكولي» . وكان هناك خوف من نزوات البحر غير المرقبة .



الحلفاء يغزون «صقلية» (تموز - آب ١٩٤٣) .

وأمام قطاع الجيش البريطاني الثامن الذي كان يغطي الزاوية الجنوبية
الشرقية من المثلث الصقلية ، ابتداء من شبه جزيرة «بيكيني» حتى أبواب
«سيراكوزا» . فقد كان في وضع أقل حرجاً من الوضع المذكور آنفاً .
كان على جنود «مونتغومري» أن ينزلوا على الشواطئ ، فكان على الفيلق ١٣ ،
المؤلف من الفرقتين ٥ و ٥٠ ، أن يقيم رأس جسر على خليج «نوكو» :

«بواز» . والمدمرات «شوبيريك» و «جيفر» و «باتار» و «غلينون» مدمّرة عدّة دبابات «تيفر» على الطرق الساحلية . وظهرت المقاتلات – القاذفات ، التي كان الضباب الصباحي قد شلّها ، فبدّلت كلّ مظهر من مظاهر الخطّر .

في ١٥ تموز بات السهل الساحلي بكماله في أيدي الحلفاء . من «أمبيدوكل» حتى «أوغوستا» . «فخط الرمل عند حادث الماء» لم يكن للغارة قبراً كما تبّأ «موسوليبي» !

في «إيطاليا» . أطاح غزو «صقلية» الفاشية المترجرجة . وأمّا الملك الصغير . الذي اجتاحت الدّموع وجهه المرمي ، فقد استمرّ في موأرته المراوغة مع المارشال «بادوليو» ورئيس الوزارة السابق «بونوني» ، وحتى مع بعض الموسولينيين الذين فقدوا حظوظهم ، أمثال رئيس الشرطة السابق «كارمين تشينيزي» . وأمّا أعيان النظام فكانوا منقسمين بين تيارين اثنين : أولئك الذين كانوا مع «غراندي» و «بوتاسي» و «تشيانو» يرغبون في إخراج «إيطاليا» من الحرب مهما بلغ الثمن ، وأولئك الذين

الي بعثت المظلومين جمّيعاً في كافة أنحاء «صقلية» . وعلى الشواطئ أخفقت زوارق هجوم كثيرة في إنزالها ، وفي ظروف معيشة كان بعض الطلقات الضعيفة كفيلةً بردع جنود المشاة عن مغادرة زوارتهم . فلو كانت هناك مقاومة ثابتة لجعلت من الهجوم الأول إخفاقاً تاماً .

بيد أنَّ التصصف المتكرر الذي كان المدافعون يتعرّضون له منذ ستة أسابيع قد انزع منهم نهائياً البقية الباقية من معنوياتهم . ففرّت الفرقان الساحليتان ٢٠٦ و ٢٠٧ وكأنّهما رجل واحد . وهكذا استولى على «جيلا»

وتم تدعيم رأس الجسر الأميركي من الليلة الأولى . كان النجاح أكثر وهجاً عند الإنكليز . فقد نسب موقع «أوغوستا» سيراً كروزاً «البحري» طاقة من المقاومة لا حدّ لها . وهو مسكن برمائي محصن بإمرة الأميرال «ليوناردي» . وكان على ١٢٧ طائرة أن تُنزل في شبه جزيرة «مادالينا» لواءً منقولاً جوّاً مكلّفاً بهجوم مفاجئ . ولم تتمكن من المبرّط غير ١٢ طائرة منها ، إلا أنَّ الضيّاط التمانية وجنودهم السنيين الذين استولوا على الجسر فوق «الأنابو» . وهي طريق التفوّد إلى



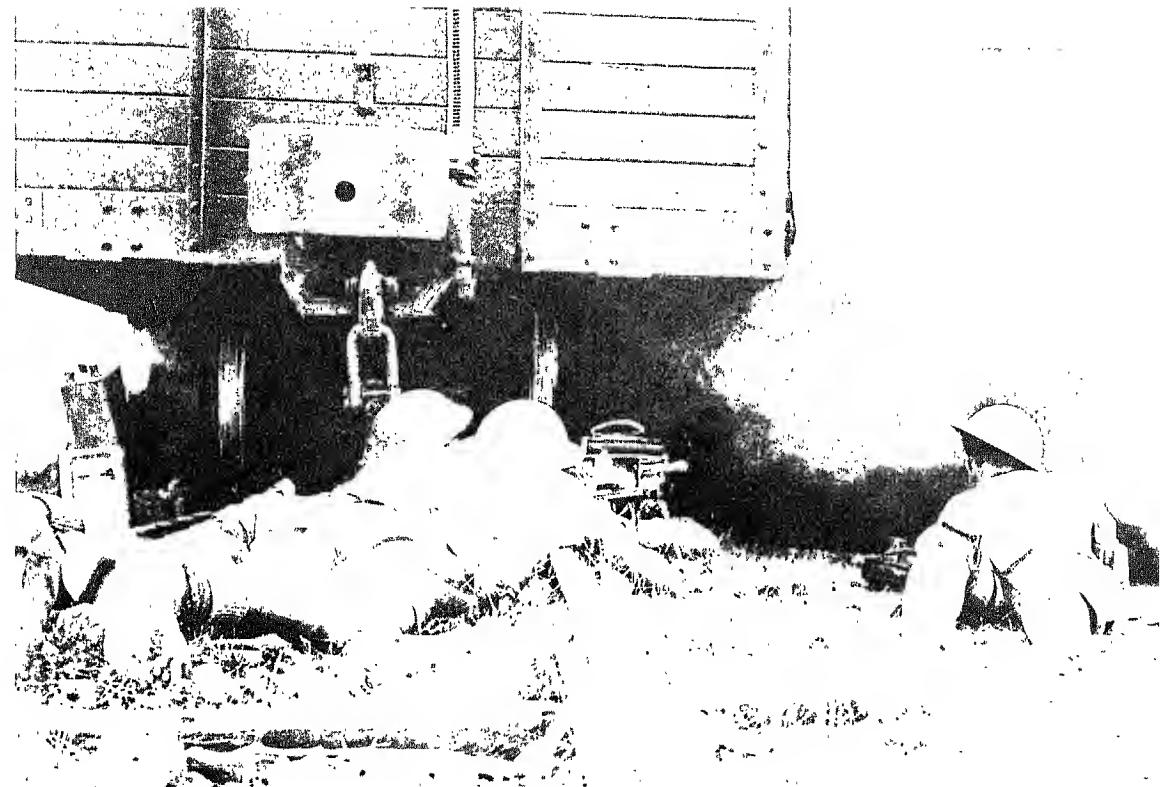
سراب من طائرات «ب ٢٥» متسلل «تواكيه طائرات «ب ٣٨» يهاجم مجموعة من ٣٥ طائرة عدوة قرب «صقلية» .

كانوا مع «فاريناتشي» يرغبون في توثيقها اتحاداً مع «المانيا» في السراء والضراء . وأمّا «سكورتسا» ، وهو السكرتير الجديد للحزب الفاشي ، فقد وعد السفير «فون ماكنسن» بوئية وطنية «شبيهة بوئية فرنسا» في سنة ١٧٩٣ . وهكذا راح الطبقيون يخربون مقاطعات «إيطاليا» ، ويلعنون أنَّ الوطن في خطر ، مطلقين كلمة السر : «النصر أو الموت» . وقبل بعضهم ورفض البعض الآخر . وكان «رينوغراندي» من جملة الرافضين . وكان يأبى مغادرة قلعته السياسية في مدينة «بولونيا»؛ وشهر «الدوتشي» . «غاليلاتزو تشيانو» ، الذي اعتذر متذراً بحاله الصحيّة . والذين قبلوا كانوا حريّين منقسمين ؛ فقد اعربوا ، قبل أن يقوموا بحملتهم الصليبية الوطنية . عن عزمهم على مناقشة «الدوتشي» ، وتمكنوا في ١٦ تموز من

«سيراً كروزاً» . نجكنا من الاحتفاظ بموقعهم ١٢ ساعة متبعين بذلك أمام الفرقة الخامسة عمال التدخل . وقام «ليوناردي» بنسف بعض المنشآت ثم تراجع نحو «أوغوستا» . وفي عشيّة الترول نفسه كان الإنكليز قد سيطروا على مدينة فيها ٥٠٠٠٠ من السكان ، وعلى مرافق جيد .

وcameت فرقـة «هيرمان غورنـغ» بهجوم معاكس في اليوم التالي ، وقد تأثـرت أثـناء اجتيازـها القرـى الطـولـية ذات الطـرفـات الضـيـقة . وقد أحدثـت اـبنـاقـها في السـهل السـاحـلي . عبر طـرقـات «نيـسيـكـي» و «بيـسـكاـري» . لدى الأمـيرـكيـين بدـاـيـة ذـعـر وبـعـض عمـلـيات إـجلـاء . ولكنـ الطـرـاد سـافـانـتاـ» أـنقـذـ المـوقـفـ بـأنـ قـصـيفـ بـمـادـافـعـهـ منـ عـيـارـ ٥ بـوـصـاتـ حـشـداـ من دـبـابـاتـ «بـ زـ لـ فـ ٤ـ» فـي مـطـارـ «بـونـيـ أولـيفـوـ» ، وـانـضمـ إـلـيـهـ الطـرـادـ

في أواخر تموز ١٩٤٣ . جنود كنديون يهاجمون محطة صغيرة في «صقلية» . حقاً إنَّ حملة «إيطاليا» لقاسية . ولقد أُبرق الجنرال «ألكسندر» إلى «تشرشل» يقول : «حارب الجيش الأميركي السابع ببسالة وأنجز مهمَّة جليلة . وذلك كان شأن الكنديين الذين استهلوا القتال بأعمال مجيدة . قد يكون التقدُّم بطئاً ، ولكنَّ وعورة المسالك تحول دون السرعة !



ألف فخامة السلطة . وأمّا مقابلة تموز ١٩٤٣ فهي الثالثة عشرة . وقد بدأ «موسوليني» ، عشية ميلاده الستين ، عجوزاً قد عاث في المرض والهزيمة خراباً . وكان يشدَّ أزر «هتلر» بلدَ قويٍّ باسل ، إلا أنَّ زمام المبادرة في الحرب قد أفلت من يديه ، وقد طغت عليه أمواج الضيق . وفي الوقت الذي اتجه فيه شطر «فيليزي» كان الهجوم الروسي في «أوريل» قد انبعط حتى بحر «آزوف» ، وباتت الجبهة الشرقية بكمالها في خطر مميت .

كان الإيطاليون قد استعدوا لموتمر يدوم ثلاثة أيام ، ولكنهم أبلغوا في مطار «تريفيزي» أنَّ الفوهرر كان مضطراً إلى العودة إلى مقره العام في العشية نفسها .

وقطعت المسافة بين «تريفيزي» و«فيليزي» ، البالغة ٨٥ كلم . بمدة ساعتين تقرَّياً في القطار الحديدي . فجرت في هذه الفترة مناقشتان منفصلتان : اشتراك بالأولى «موسولياني» و«هتلر» ، وبالثانية «امبروزيو» ضدَّ «كيتيل» . هاجم الجنرال الإيطالي القاسي زميله الألماني ودفعه إلى الاعتراف بأنَّ الجيش الألماني قد بات مقتصرًا على دور داعيٍّ . وأنَّ حملة ١٩٤٣ قد منيت بالهزيمة . وأمّا موضوع القيادة الموحدة في «إيطاليا» ، وهي هدف الرحلة الألمانية ، فلم يجر التطرق إليه ؛ وبعد ذلك لم يبقَ الإيطاليون والألمان في مكان الاجتماع أمام «هتلر» غير مستمعين صامتين . إسترسل الفوهرر في خطبة اقتصادية عسكرية . مبرهنًا أنَّ وضع «المحور» ما زال مواتيًّا أساساً . وال نقطه الحديدة الوحيدة في هذا العرض الدقيق كانت التالية : لسوف تسخر «المانيا» قبل نهاية السنة اثنين من اختراعاتها ليُعملما في «لندن» الخراب والتدمير .

كان «هتلر» ما يزال يتكلَّم ، حين دخل أحد المساعدين وسلم «موسولياني» مذكرة : لقد قُصصت «رومَا» !

لم يكن الهجوم على «رومَا» قد تقرر بسهولة . إلا أنَّ مطاري «ليتوريو» و«كيمابينو» ، ومراكز فرز القطارات في «ليتوريو» وفي «سان لورنزو» ، التي كان النقل الحديدي الخاصَّ بجنوب إيطاليا يمرُّ عبرها ، كانت مرامي عسكريَّة أساسية . فقامت ١٤ بجموعها من سلاح الجوِّ الأميركي بقصفها بـ ١،٠٠٠ طنٍ من القنابل . ولكنَّ النصائح

فرض وجودهم في قصر «البنديقية» ، وكانوا ١٩ . كان كثيرون منهم في ثياب مدنية مما جعل الدوتشي يقول بهجهة عنيفة : «ما هذه الثياب التي يرتديها هؤلاء؟» «كان النقاش عاصفاً . وراح «فاريناشي» يهاجم الجنرالات ، طالباً رأس «امبروزيو» و«روواتا» و«غوتوفني» ، داعياً إلى انعقاد «المجلس الكبير» لكي تتصف في قلب الحرب روح ثورية . وطالب «بوتاي» كذلك «بالمجلس الكبير» ، ولكنَّ النيات كانت مختلفة . قال : «ليس ذلك لتجزئة سلطتك أو الانقسام منها ، أيها الدوتشي ، بل للإسهام في تحمل أعباء مسوؤلياتك» . وبعدما وقع «موسولياني» في نصف غيوبة من الألم ، رضخ وقال : «إنكم تريدون «المجلس الكبير»؟ فليكن لكم ما شئتم . فسيقول أعداؤنا إننا فعلنا ذلك للإسلام . انت وحدكم المسؤولون» . وحدَّ موعد الجلسة في ٢٤ تموز ، مما ترك أمام المؤامرات ثمانية أيام كاملة للانعقاد .

إنَّ تشتت «صقلية» قد شحن صدر «المانيا» سخطاً ؛ فطلب «هتلر» مقاضاة الأميرال «ليوناردي» ، الذي لم يجد بعد «سيرا كوزا» أية مقاومة في وجه احتلال «أوغوستا» .. وكانت فرقة المصفحات ٢٩ ، وفرقة المظليين الأولى ، الموجودتان في «كالابريا» ، قد انتقلتا إلى «صقلية» ؛ إلا أنَّ «جودل» مانع في إرسال أمداد جديدة ، قائلاً إنَّ «الإيطاليين اللحونة» إنما كانوا يستدرجون إلى الخزيرة أكبر عدد من الجنود الألمان ليقضوا عليهم فيها ». ودعى «رومَل» للاستشارة ، وسئل ما إذا كان يعرف زعيماً فاشياً كفرياً بإنشاش المقاومة ، وبإقاد التحالف الإيطالي الألماني ، فلم يتردد في جوابه لحظة واحدة ، قال : «لا وجود مثل هذا الإيطالي ...» .

وهنا بذلك «هتلر» مجهدًا آخرًا ؛ ففي ١٨ تموز قام السفير «فون ماكشن» بدعوة الدوتشي إلى مقابلة سيعاهم الفوهرر في سبيلها احتياجات منه الشخصية جماعة ، وقال إنَّ «هتلر» مستعدٌ لاجتياز «الألب» ؛ فحدَّد موعد اللقاء في «فيليزي» ، عند مواعيده «الدولوميت» . كان الديكتاتوران قد تقابلوا لأول مرة منذ عشر سنوات في «البنديقية» التي لا تبعد كثيراً عن مكان الاجتماع هذا ، وكان «أدولف هتلر» يرتدي آنذاك معطفاً يرتديه الموظمون الفقراء ، فيما كان «بينيتو موسولياني» قد

الى أسدية للطيارين . والإذارات التي تبلغها السكان في الليلة السابقة . لم تحافظ لا على المباني المقدسة ولا على الأرواح البشرية . فكانت النتيجة أن سقط ٢٠٠٠ قليل . وتدمّر نصف كاتدرائية «سان لوران هو-لي-مور» .

صُبْعَنْ «موسوليسي» لأنَّه كان غائباً في مثل ذلك الظرف؛ أكثر مما
صُبْعَنْ من القصف ذاته، قال: «فما عسى سكَّانْ روماً يقولون حين
يعلمون أنَّ الدوتشي لم يكن في عاصمتنه أثناء تسلط القاتل عليه؟ ...»
وأَمَّا «هتلر» فلم يجد غير تمليل لكونه قد قطع في كلامه، وعجل في
العودة إلى حيال تأمِّلاته. فراح يلقي على «إيطاليًا» درساً طويلاً في البساطة
مُصرِّحاً بأنَّ «المانيا» لن تثابر في الدفاع عن «ديمقُلْتَيَا» طالما أنَّ التخاذل
الإيطالي لم يُقْعِم بالصرامة البالغة.

وحل موعد الغداء ، فتوقف «هتلر» وانتصر . واستغل «أمير وزيبو» السانحة لمحاجمة «موسوليني» : لماذا لم يقطع على «هتلر» حديته ؟ لماذا لم يسأله ما إذا كانت «ألمانيا» قادرة أم لا على تدعيم الجبهة الإيطالية ؟ لماذا لم يخبره بأن «إيطاليا» كانت تفكك بالانسحاب من الحرب في غضون ١٥ يوماً ؟ وأعفي «موسوليني» من الجواب ، إذ أن ضابطاً أتى يخبره بأن الفوهرر كان ينتظره للجلوس إلى المائدة . وتناول الديكتاتوران الطعام معاً من غير رفيق . ثم قاما برحلة العودة معاً في القطار من «فيلترى» إلى «تريفيزى» . لم يكن قد تم الوصول إلى أي قرار قط ، لا بواسطهما ولا بواسطة مرؤوسهما .

أقللت طائرة «هتلر» في الساعة ١٧ . كان الوجوم عجيناً على البئة الإيطالية ، إلا أنَّ «رسوليني» كان يجد متنفساً : فصرح بأنه بات يعرف سرَّ «هتلر» ، وأنه يعرف عن يقين كيف أنَّ «المانيا» ستخرج من التزام متصرفة .

في ذلك النهار نفسه ، ٢٠ تموز ، شنَّ الحلفاء هجومهم في «صقلية» . كان الانكليز يجهدون في سهل «كاتانيا» الذي تنجُّ فيه الملاوريا ، ولكنَّ الأميركيين كانوا يتقدّمون بسرعة في القطاعات الأخرى . وفي ٢٠ استولت الفرقة الأولى على «إتنا» ؛ وفي ٢١ جاوزت الفرقة ٣ «أغريجنتي» ؛ وفي ٢٢ قام «باتون» على رأس دلت مصفح عبر سلسلة من القرى الطويلة . فدخلت «باليرمو» وسط جموع كانت تصرخ : «فليسقط «موسولي尼» ! وفي ٢٣ أثبتت فرقة «إيربورن» ٨٢ غزوًّا غربيًّا «صقلية» باستيلانها على مرفأ «تراباني» الحربي من غير أن تفقد رجلاً واحداً . لم يبقَ لدى «المحور» ، واللحالة هذه ، غير زاوية واحدة من المثلث الصقلية . محصنٍ بيركان «إتنا» الجبار .

وفي الساعة ٥ من بعد ظهر اليوم التالي . ٢٤ تموز . اجتمع «المجلس الكبير» للثورة الوطنية الفاشية في قصر «البندقية» .

سُقُوطٌ "موسُولِيَّيْنِي"
واعتقاله

إنَّ هذه السلطة ، التي برزت على المسرح في فترة حرجة من فرات التاريخ الإيطالي ، لأنَّه ما تكون بصدق حوى ما تبقى من مقدسات الفاشية . فقد جمع هذا «المجلس الكبير» ، الذي يضم ٢٨ عضواً برئاسة الدوتشي . اثنين من «المجلس الرباعي» المعروف بمجلس «المسيرة على روما» . هما المارشالان القديمان دodi بونو و دodi فيتشي . فضلاً عن بعض الشخصيات السياسية أمثال «فاريناشي» و «تشيانو» و «غراندي» . وبعض الوزراء المعروفين بطاعتهم الرمته أمثال «بولفاريللي» و «تشيانتي» . وأقطاب المنظمات المهنية والنقابية

أمثال «غوتاردي» و«فراتاري» و«باليلا» ، وأعيان المزب الكبار أمثال أفين السر «سكورزا» ونقيب «القمصان السود» «غالبياتي» . وسفير إيطاليا في «برلين» «ألفيري» ، و«فيدرزووني» رئيس الأكاديمية الإيطالية ، وأخيراً بعض الموظفين العاديين . لم تلتزم هذه الفسيفساء منذ ١٩٣٩ . على اعتبار أن مبدأ السلطة والعصبة السياسية المعرف بهما للدروشي قد جردها من كلّ معنى أو هدف . أما الآن فهي تلتزم لتسقط الدروشي، وقد حدد كلّ من المجتمعين موقفه . حرر «غراندي» لآخر وصوله من «بولونيا» مشروع قرار يطالب « بإحياء فوري يشمل وظائف الدولة كافة »، ويدعو رئيس الحكومة — «موسوليني» — إلى أن يسأل الملك أن يتحمّل «شون المبادرة العليا بتسلمه قيادة القوات المسلحة كلّها ». ولم يتضمن القرار أي ذكر للتحالف مع «ألمانيا» . أو لتابعة الحرب . أو للحزب الغاشي : كما أنه لم يتضمن كلمة شفاعة أو شكر واحدة بالنسبة للموسوليني .

عارض «فاريناتشي»، «غراندي»: قبينا طالب مشروع قراره أيضاً بإعادة القيادة العليا إلى الملك «ليشهد العالم كله أنَّ الأمة مجتمعة على القتال». أعلن بالنسبة للعهد القائم وفاء لا يتزعزع وإخلاصاً حازماً للمعاهدات التي ارتبطت بها «إيطاليا».

كان ذلك اليوم أشد أيام الصيف قيظاً . ورائحة النار المنبعثة من الأحياء المنكوبة لخمسة أيام خلت لم تكن بعد قد تبدلت . كان بعض الجموع قد فرَّ من «روما» بالرغم من احتجاج الآباء الأقدس الشديد اللهجة حيث قال إنه يود أن يأمل بأن «النهاك القدس» الذي شهده يوم 19 تموز لن يتكرر . لم ينم عن اجتماع «المجلس الكبير» أي احتفاء خارجي ، فكل ما تبقى من مظاهر الفاشية ، من جزمات وختاجر وقلنسوات مهدَّأة ، قد بقي داخل قصر «البندقية» . أما «موسوليني» فقد ارتدى بنزة عريفة من عرقاء الجيش ، أي قميصاً أسود وسترة بيضاء تحمل على ذراعها الأيسر شارة كبيرة بشكل مثلث . دخل إلى غرفة المجالس أمام صفت من التحيات الرومانية ، وأجاب بحركة امبراطورية على المتأففات . ثم أوعز بإجراء المناذرة ، وكان شيئاً من مظاهر سلطته المطلقة لم يتبدل . ساد الاضطراب صفوغ المتأمرين ؛ لم يكن أيٌ منهم واثقاً من أنه سيخرج من قصر «البندقية» حياً وحرماً . فكثيرون قد اعترفوا ، وأخرون قد انفخوا في جوبيهم مسدسات أو بعض القنابل اليدوية .

تكلّم «موسوليّي» سحابة ساعتين ، فرسم الوضع العسكريّي ، ودفع عن «المانيا» ما اتّهمت به من أنها قد تخلّت عن «إيطاليا» ، وأثبتت أنه ليس ثمة خلاص خارج الرفاء اللاّ مشروط بالمحالفة . أمّا الدّجوه إلى الملك ، الذي يقترحه «غراندي» . فلن ينتهي إلاّ بأحد أمرين ، واحدهما غير مجيد ، وثانيهما سبٍّ مشوّرم . فاما أن يقرر الملك الاحتفاظ به ، هو «موسوليّي» ، في مهامه ، وإما أن يصفي العهد القائم . وهذا ما يدفعه الله أصدقاء «إنكلترا» والرّجعون .

لم تلن «الغراندي» قناة ، في حين قوّة بيانه ونقل لسان الدوتشي يوم شاسع . أمّا ما يجري الآن فتصفية الحساب قديم يتناول بالتهمة توجيه المعهد برمته منذ عشرين سنة ، قال : «لقد ماتت الفاشية يوم استبدلنا على رأيانتنا ذاك الشعار القديم « الحرية والوطن » بالشعار الجديد « إيمان ، طاعة ، نضال ». ليست الفاشية هي التي فقدت الحرب ، بل إنّها **الديكتاتورية ...**

استمر النقاش طوال الليلة القائمة . ثم انفرد «موسىيبي» ببرهه في مكتبه وقد أصابه الإعياء ، فاجتمع إليه «فاريناتشي» و «غاليلياتي» واقرحا عليه أن يوقف التأثيرين . ييد أن سطوة الطاغية كانت قد تحطمـت . وما لبث أن عاد إلى مكانه في غرفة المجلس حيث استوفـت

إلى «برلين» يقول إنَّ الدوتشي قد اختفى بالملك منذ العاشرة صباحاً ، وإنَّ البحث جار في أمر اللجوء إلى «أورلاندو» ، سياسي الحرب العالمية الأولى ، البالغ من العمر ثلاثة وثمانين سنة » .

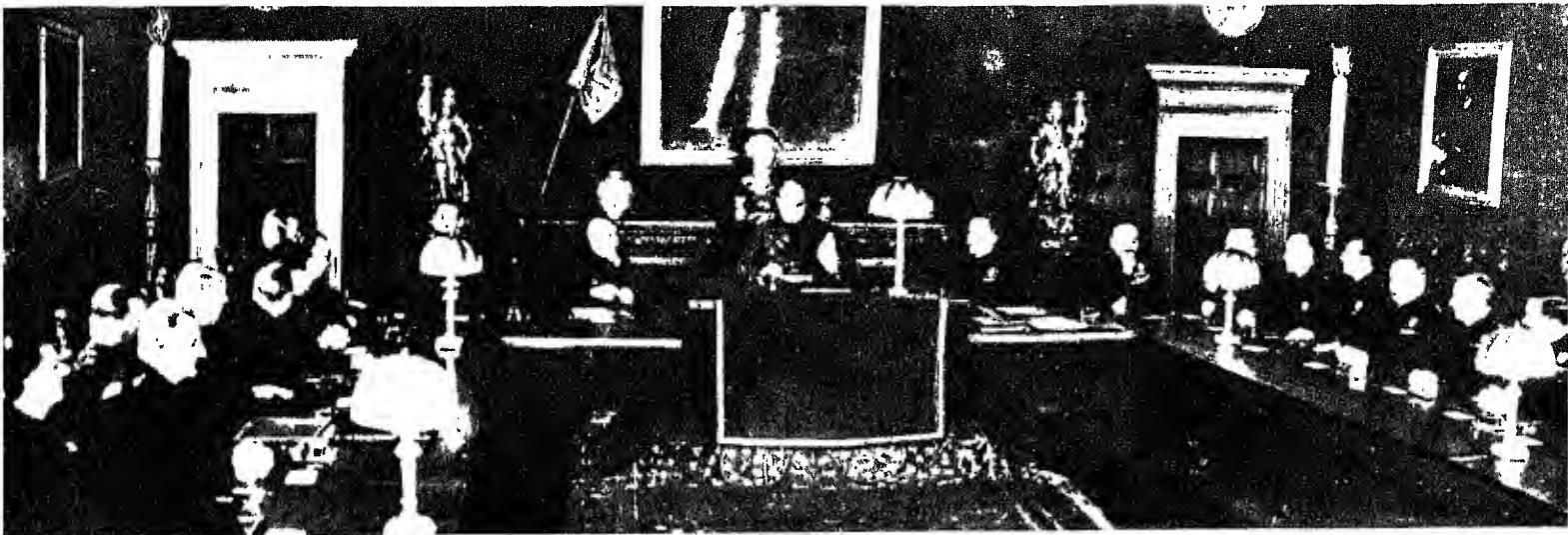
كان من عادة «موسوليني» أن يجتمع بالملك مرتين كلَّ أسبوع .

يومي الاثنين والخميس ؛ وقد طلب أن يقابله بشكيل استثنائي في الساعة الخامسة من مساء اليوم ذاته ، بغية إطلاعه على تمرُّد المجلس والمصوب على تأكيد جديد للثقة الملكية .

وفيما كان القلق يستبد «براشيل» ، لم يخامر بالزوجها أبداً
اضطراب . بل لقد عمد إلى تهذئة روع «غالباني» ، جنرال الميليشيا ،
فائلاً إزنه لا يرى ضرورة في اللجوء إلى عملية زجرية طنانة ، لأنَّ
الملاك سيعيد كل شيء إلى مجراه . قال : «إنني لأثق به كل الثقة .
فمنذ عشرين سنة لم أقلم بعميل إلا بالاتفاق معه ؛ سيف حتماً إلى
جانبي يغضبني بقوّة وينصرني ...» وعندما استقبل «موسوليني» السفير
الياباني الجديد حدثه بفكره المحببة ، ألا وهي إيقاف الحرب الألمانية
الروسية ؛ ولسوف يقول السفير : «لم اعتقد لحظة أنَّ الرجل الذي
يماطلني لم يكن واثقاً من سلطته» .
إنَّ في إفلات الأنظمة البوليسية الزمن لعيناً للعجب معزياً مشجعاً .

المناقشة سائرة على النهج ذاته سير عربة على بلاطة بالية . كان «الفيري» ، سفير «إيطاليا» في «برلين» . الخطيب الوحيد الذي أثار اهتماماً أخيراً . إذ قال : «كل ما تبغيه «المانيا» إنما هو تحويل «إيطاليا» إلى ميدان قتال يقصد منه تأخير احتياج أراضيها . ليس إلا» . كان الرجل أحد كبار المتعصبين للمحور . وأداة طيبة في يد «الرايخ» الثالث ؛ إلا أنَّ الحقيقة قد سقطت من فمه .

نال الإعفاء من الجميع . فوضع «غراندي» أمام «موسوليبي» مشروع قراره مذيلاً بستة عشر توقيعاً . فناوله «موسوليبي» إلى «سكورزا» بازدراة طالباً منه أن يعرضه للتصويت .قرأ «سكورزا» الأسماء التسعة عشر . فتالت الإجابات «بنعم» . صادق الأعضاء التسعة عشر على صحة توقيعهم ، وأعلنوا سقوط العهد وسقوط «موسوليبي» . الواقع أن الكثرين قد لفظوا بذلك حكم الإعدام على أنفسهم . ومع هذا لم يكن للأقرع أي طابع دستوري . ذاك لأن «موسوليبي» ، يوم كان يسن للفاشية الظافرة قوانينها منذ عشرين سنة . كان قد قرر يومض أن المجلس الكبير «ليس بربانٌ صغيراً . وأن التصويت فيه لن يكون وارداً» . وهكذا . فيما هبت نفحة من النسيم باردة تعلن الفجر القريب . وفيما مضى المتأمرون إلى سياراتهم لا يصدّقون أنّهم ما زالوا أحجاراً وكلـ



إحدى أواخر جلسات المجلس الفاشي الكبير برئاسة الدوتشي .

فزعيم الفاشية يجهل أن «غراندي» قد ذهب حال خروجه من المجلس .
أي منذ الثني عشرة ساعة ، إلى رئاسة مجلس النواب حيث كان بانتظاره
دوق أوكارون » ، وزير البلاط ولوبل المؤامرة الشيطان . وقصد الرجالان
معاً إلى أحد منازل شارع «جيوليا» حيث تابعا حديثهما حتى أولى ساعات
الصباح . كان في لقاء الناج وزعيم الفاشيين التائرين إشارة بلغة ، إلا
أن «موسوليبي» قد جهلها تمام الجهل . كانت إمكانيات الدولة ما تزال
كلتها تحت تصرفه ، وكان «هتلر» قد نظم له ، بقصد الحفاظ على
سلامته الشخصية ، فرقه «هتلر» كاملة من رجال الحرس ، وضع تحت
تصرفها ٣٦ دبابة من طراز «تيغر» تستطيع الوصول إلى «روما» في
ظروف ساعتين . ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل دون وقوعه في الشرك ؛
ففي تمام الخامسة وصل إلى قصر «الكونكورديا» مرتدياً لباسه
العادي ، فأوقفت سيارة مرافقيه عند سور المارجي ، ودخل هو
لمواجهة الملك .

منهم يفكر بالاحتياطات الواجب اتخاذه للإبقاء على حريته . عمد الرجال المخلصون للدوتشي إلى النصوص يستشهدونها ويشتتون بطلاً ما جرى منذ حلقات . أما «موسليبي» فلم يجد أهيّاضطراب ، بل عاد إلى فيلا «تورلوفيا» حيث راحت الدonna «راشيل» ، التي كانت ما تزال ساهرة : تصبّ جام غضبتها الرومانية على الصهر الخائن «غاليلازو» الذي طالما قالت عنه إنّه يحمل إلى الأسرة سوء الطالع والنكـد . نام الدوتشي قليلاً . ثم عاد إلى كرسيه في تمام الثامنة على ما اعتاد أن يفعل كل صباح منذ عشرين سنة . وبذا قصر «البنديقية» وكأنّه قد تنقى من أخـرة الشفاق الوبـية التي عـقـ بها لـيلاً .

بـدا يوم الأحد الموافق ٢٥ تموز ١٩٤٣ حارـاً كالـيـوم السـابـق . وبـدت «روـما» قـفـراً خـلاـءـاً ، فـلـجـأـاً «تشـيـانـو» وـغـالـيـةـهـ الـذـينـ صـوـتـواـ بـنـعـمـ «الـأـلـالـيـةـ غـيـرـ فـكـرـةـ غـامـضـةـ عـمـساـ جـرـىـ فـيـ المـجـلـسـ . فـأـبـرـقـ «ماـكـنـسـ»



لم يعبر الألمان خط البلاط الفاصل بين «الفايكان» و«روما».

بلاugas متتالية ثلاثة تعلن سقوط «موسولي» . لم يُسر ذلك أى ارتعاش . كانت قوات الجيش والشرطة قد احتلت مراكز الإذاعة والهاتف والحرس القومي . أمّا مدبر الانقلاب فكان رئيس الشرطة الموسولينية المغضوب عليه «كارميبي سينيري» . وفي اليوم التالي دفع كناسو الشوارع الرومانية بالآلاف من شارات الحزب القومي الفاشي إلى فوهات المغارير .

لما عرف «هتلر» ما آلت إليه جلسة «المجلس الكبير» حول غضبه ناحية أشد مناصري السياسة الألمانية اندفاعاً ، وصبّ جامه على من سبب انعقاده ، قال : «من خط «فاريناتشي» هنا أأن يكون إيطاليّ . ولو أنه قد فعل ما فعله بي أنا لأسلمته إلى «هملر» ... لم يُخطئ «هتلر» تفسير استبدال «موسولي» «بادوليو» . قال : «سيقول لي الإيطاليون إنّهم ماضون في الحرب ، وبالطبع لن يكون ذلك غير كذب ، لأنّهم سيتفاوضون مع الانكليز ...»

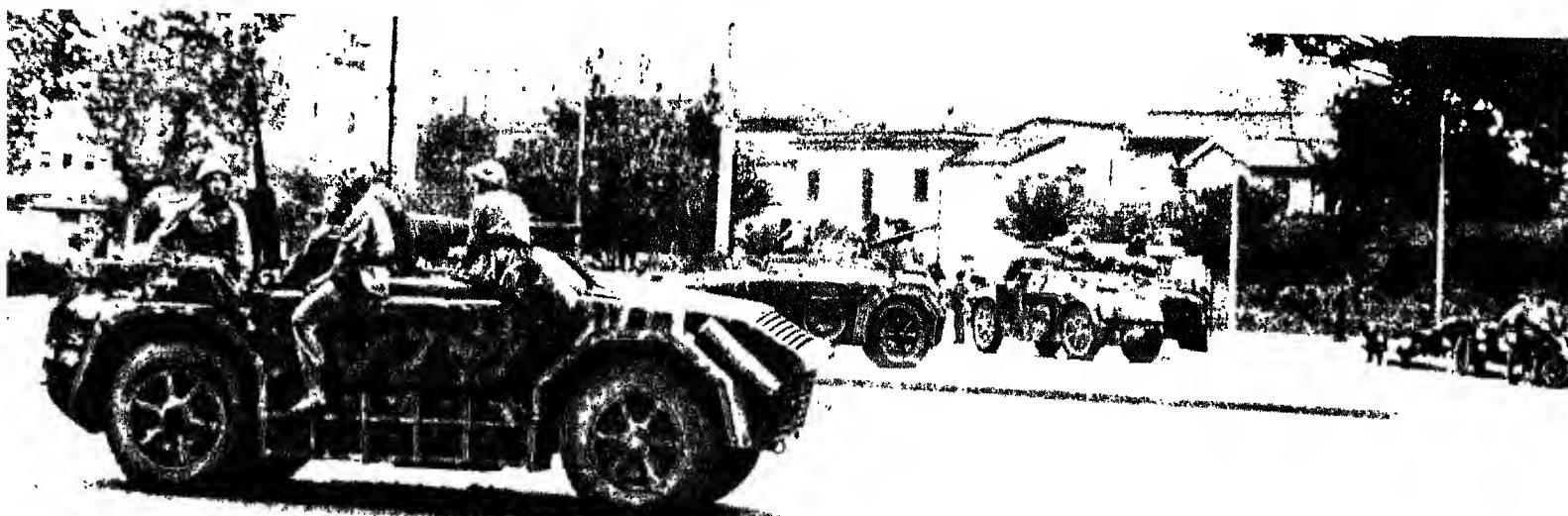
بحثت في يومي ٢٦ و ٢٧ مخطوطات شديدة حازمة : كانت فرق الدبابات ٣ شمالي «روما» . ففكّر «هتلر» بإلقائها على العاصمة لكنس النظام الجديد ؛ قال : «يجب أن تأوني بالزمرة كلّها .

لم يستطع الساعي الوحيد لما يلي . الجزال «بونتوني» . أن يلقط إلا شدرات من الحديث الذي دار بين الرجلين . لأنّه كان يسرق إليه السمع من وراء باب مشقوق . تناول «موسولي» الكلام ، فما لبث «فيكتور عمانوئيل» أن قطعه عليه ومضى يتحدث عن الكارثة التي ألمت بابليش وبالامة . يحمل مقطعة . فقال : «إنتك لأبغض من نقمت عليهم «إيطاليا» . أمّا أنا فما زلت أحبك . ولقد برهنت على ذلك بالدفاع عنك مرّات كثيرة ، أمّا الآن فعليّ أن أطلب منك أن تستقبل ...»

لم يكن أحد من الرجال يوحى بما يوحى به «موسولي» من قوة وعزيمة : بيد أنّ تراكمًا غير معهود من التكبات والإهانات كان قد أتلف قلب السنديانة العتيقة . فإذا به ينهار أمام الملك القصير القذر وقد هبّ بثأر لنفسه ثاراً مربراً . ترافق إلى سمع «بونتوني» إذ ذاك أتى أشيه بانيين موظف مسرح قد وقف له البوس بالمرصاد . قال «موسولي» : «إذا فقد انتهى كل شيء ؟ وأي مصير يتطرّنني أنا وعائلتي ؟» ثم اختلط الصوتان في مشادة حامية اتخذ فيها الملك موقف الاتهام فيما لزم الدوتشي جانب الرد والاعتراض . وإذا باسم «بادوليو» يبرز في غمرة النقاش . وإذا «فيكتور عمانوئيل» يقول : «لقد تسلّم زمام الحكم من قبل » وسُمع «بونتوني» الملك يردف قائلاً : «أمّا سلامتك الشخصية . فإنتي آخذ على نفسك عهداً بالحفاظ عليها ». بعد ذلك شبع «فيكتور عمانوئيل» الرجل الذي حطمه حتى الشرفة الخارجية . ولسوف يعلق «موسولي» على هذا الحدث الحاسم بقوله : «لقد بدا لي الملك أقصر مما كان عليه في العادة . بدا أقرب ما يمكن إلى الترم . ولقد صافحني بحرارة بالغة ». كان «أركولو باتولو» ، سائق الدوتشي . قد اعتُقل خفية أثناء المقابلة ؛ وإذا كان «موسولي» في طريقه إلى سيارته تقدّم منه نقيب قنّاص وقال له : «لقد كلفني صاحب الجلالة بالشهر عليك . إصعد هنا ». وأشار إلى سيارة إسعاف ما لبث أن جلس فيها النقيب إلى جوار ملازم . وثلاثة جنود . وشرطين في يد كلّ منها رشيش . مع «موسولي» وأمين سره . وانطلقت السيارة بأقصى سرعتها باتجاه ثكنة شارع «ليغنانو» حيث قضى مؤسس الفاشية ليلة قائلة على سرير ميدان .

وفي الساعة ١٠٠٤٥ حملت أمواج الأثير إلى المدينة وإلى العالم

رجل إيطالي مصفح يحتلّ موقعه في «روما» قرب بوابة «القديس بولس» .



طائرة . تقل ١،٧٢٥ أميركيًّا وإنكليزيًّا واحدًا . و ٣١١ طنًا من القنابل . و ٣٣٠ صندوقًا من المواد المحرقة ، فحلقت فوق «كورفو» و «ألانيا» و «بوجوسلافيا» و «بلغاريا» ، ثم عبرت «الدانوب» في نقطة تقع تحت «أبواب الحديد» ، ساعية إلى «بوليسي» ، مدينة المصافي وعاصمة النفط الروماني . عمل بعض أخطاء الملاحة على تشويش تنفيذ المخطط . إلا أنَّ الملاحين أحملوا الحمية والغلواء محلَّ الأسلوب والمنهج . فانقضوا تباعًا عبر سحب كثيفة من الدخان . هازئين بالخطر الناجم عن حواجز البالونات والمداخن السامة واندفاع ألسنة اللهيب . متى الأسطول الجوي يمسائر فادحة بلغت ٤٤ طائرة و ٥٣٢ طيارًا ، إلا أنَّ الأضرار التي نجمت عن القصف تعدت ٤٠ بالثلث من طاقة التصفية في «بوليسي» التي يمرُّ فيها ٦٠ بالمئة من ملايين الأطنان السعة من النفط الروماني أسلام !

إذا لا بدَّ من تقدير انفعال «هتلر» . عقب سقوط «موسوليني» - على ضوء شلال التكبات والكوارث ذلك . كان قد قال في اللحظة الأولى : «إنَّ الضربة التي حلَّتْ [بروما] تكرار لما حلَّ [بيلغراد]» ، وسوف أعادلها بالطريقة عنها ». إلا أنَّ إشارة منه عام ١٩٤١ كانت كافية لاذف «البلقان» بجيش رائع كامل العدة مستريح لا يُفهُر ، أمَّا الآن . عام ١٩٤٣ ، فلا يسعه أن يجاهد التطورات الإيطالية بغير الحلول السريعة الموقتة . وسوف يقول «جودل» : «كان وضعنا فاجعاً مريعاً . فالتدابير الواجب اتخاذها في حال الخيانة السافرة كانت قد وضعت بأدقَّ حذافيرها . غير أنَّ الخونة كانوا يغدون من وعد الوفاء الحارمة ما كان يفزو بتصديق بعض الضباط الألمان الذين لم يكن بقدرتهم أن يتصوروا غوراً من الرجال كذلك ... كان واجينا يقضي بأن نضع يدنا على أقصى ما نستطيع من الأرضي بغية إبعاد خطر التزول شمالي [إيطاليا] . وكان لزاماً علينا ، فضلاً عن ذلك ، ألا ندع للإيطاليين ذريعة توفر لهم فرصة إنجاز خيانتهم ...»

تمكَّن «المحور» إدَّا . عقب سقوط «موسوليني» - من الإبقاء على رفقه الأخير ولو موقتاً ، فأوفد «بادوليو» إلى «هتلر» بالجزر «ماراس» . الملحق العسكري في «برلين» ، يراقه «ميشيل لاززا» الوزير المستشار للسفارة . جرت المقابلة بحضور «جودل» و «شموندت» و «السفير هيغل» الذين ظلوا واقفين ، على حد قول «لاتزا» ، وأيديهم اليمنى في حبوب سرائهم ، وعيونهم متيقظة وهو على استعداد للوثب . ومع هذا فقد أبدى «هتلر» لياقة وظفراً في معاملة الإيطاليين ، وقبل الإعراب عن ولائهم للمحالفات قبل القد الصحيح ، واعتذر لعدم تمكنته من قبول الدعوة التي وجهها إليه الملك لزيارة [إيطاليا] . ثم أعدَّ تحريفاته المهدودة على التسلُّح بالبطولة ، وأعلن : «لا بدَّ ليوم انتصارنا من أن يحين ، ولو اضطررنا إلى انتظاره ثلاث مئة سنة ، وسوف ننتقم لأنفسنا يومذاك» . أمَّا بشأن تبديل العهد ، فقد اكتفى بالقول إنه كان يفضل أن يطلع على ذلك مسبقاً ، وأنه يرغب في الحصول على بعض المعلومات عن الدوتشي . فأجاب «ماراس» بعضاً الجفاء : «هو بصحة جيدة» .

أمَّا «هتلر» فقد ربت على كتف «ماراس» ييد خميلية ناعمة ! وتمَّ الاتفاق على ترتيب لقاء ألماني - إيطالي جديد بتاريخ ٦ آب ، وذلك في محطة «ترفيس» ، بغية توضيح العلاقات الألمانيَّة الإيطالية «تواضِيحاً نهائياً» . كان الوقت من دوچا في كلَّ الطرفين ، نصفه عسكري ونصفه دبلوماسي : فمن جهة «كيتل» و «امروزيو» ، ومن جهة أخرى «ريستروب» و «رافاييلو» وزير الخارجية الإيطالية الجديد . صعق البارون «لاتزا» القاسم من «برلين» ب Severity العطلة الكبرى ، وبالرخاء المائي ، السائد في «ألمانيا» الجنوبيَّة والمناقض المأساة التي تحيطها «ألمانيا»

وعلى رأسها ولِـ «الهد...» تمَّ اختخصت اللهجة الانفاضاً ملحوظاً . فلم تسرُ أربع من المؤشرات الطويلة إلاً عن نتيجة واحدة اتُّخذ بوجبهها قرار بسحب «الفرقة النموذجية» من الجبهة الشرقية لإرسالها إلى [إيطاليا] : قال «هتلر» : «إنَّ رجال الصاعقة . رجال . دعاء ومرجوون صالحون . ولا بدَّ أن ينشعوا حمبة الفاشيين الذين خارت عزائمهم موقفنا» . ما كان «الفوهرر» ليصدق أنَّ «القمصان السود» قد تواروا تحت الأرض . وأنَّ الحزب الفاشي قد تلاشى ، وعندما سرد له «جودل» حكاية الشارات الفاشية المكونة إلى المجاير شال بكتفيه وقال ساخراً :

«لا بدَّ أن يكون الواحد منا جزلاً ليصدق مزاعم كهذه ! ...» أمَّا سبب هذه الطفرة المصطنعة من الأوهام فواضح : كانت القوات الألمانيَّة رازحة تحت ضغط لا هوادة فيه ولا رحمة . فبات كلَّ ضغط إضافي ينذر بالتصدع والتداعي ؛ ولذا غدا تناذل [إيطاليا] ، بالغاً ما بلغ ضعفها . يهدَّد بفتح ثغرة هدامة قاصية في الواقع الألمانيَّة . وبهما كان احتمال روتها صامدة في خطَّ النار ضئيلاً . لم يكن إغفاله ممكناً . في «روسيا» كان «ماشتاين» قد أعاد تنظيم جبهة «الميوس» ببراعة لامعة : إلا أنَّ شيئاً عجياً خارقاً كان يكمن في قدرة الروس على التهوض من عثارهم ؛ ففيما راحت «راسنبرغ» في ٣ آب تهنىء نفسها بنجاح «ماشتاين» . كانت جبهتها «فورونيج» والسهب قد شنتا على «خاركوف» هجوماً في متنهى العنف ، وفي نقطة أبعد إلى الشمال سقطت «أوريل» بدورها ، وكان جيش الدبابات الثاني ، الذي تم تدميره عملياً ، في طريقه إلى الزوال من خطَّ القتال الألمانيَّ . كان الصيف خلال الستين النصرتين فعل انتصارات ألمانية ، يعيش عنها الجيش الروسي خلال الشتاء ، أمَّا عام ١٩٤٣ فقد أبطل هذه القاعدة وجعل من السنة كلَّها مقرعة تكيل للجيش الألمانيَّ ضربة أثر ضربة .

وفيما بلغت الحرب الروسية تلك الدرجة من العنف . ارتدت الحرب الجوية طابعاً هائلاً مخيفاً ؛ فقد تابع الخلفاء عملية تدمير المدن المعادية تدميراً شاملَاً . في آذار قصفت «برلين» بالقنابل المحرقة . للمرة الأولى ؛ وفي نيسان دُمرت مدينة «دوسيلدورف» [نصف تدمير] . وفي أيار نفت ١٩ طائرة من طراز «لانكاستر» تابعة للطيران الملكي البريطاني سدود «الإيدر» و «المور» و «السورب» ، محدثة فيضانات كبيرة أغرت ٢٠٠٠ شخص وشلت حركة «الرور» بإضعاف قوة مياهه الصناعية . أمَّا «هامبورغ» ، التي سرَّ سكانها برحمة التوفير نظراً لميليشيا الإنكليزية . فكانت ضحية الصيف ، فقد تكثفت قتالى الفوسفور المنهالة عليها من إضرام النار في أسفل الشارع . وحصل انخفاض الضغط الجوي ، الناتج عن الحرائق ، من المدينة مركزاً لزروبة حملت إليها المطر لحسن الحظ . فنشرَّ ٧٠ بالمئة من سكانها البالغ عددهم ١٠٤٠٠٠٠ نسمة ؛ وإذا بموكب الفارين ، وقد أصبح الكثيرون من أفراده بالحرق أو الجنون أو العمى . مشهد مريع أقلَّ أن يُعرف له نظير في تاريخ التكيل بالبشرية . إذ ردَّت «برلين» التفريبة ، وزعَ «غوباز» حاكماً العسكري في البيوت إرشادات تدعو من يصبح الاستثناء عنهم من البرلينيين إلى الابتعاد عن العاصمه . فاحتلَّ الناس المحطات عنوة ، وغطت الطرقات جموع غفيرة يسوقها الذعر ويسعها بسياطه . ولقد قال شاهد عيان : «كان تنين ضخم يضم ليلاً على المدينة الصامتة ، ألا وهو النحوف». هذا وقد سجلت الحرب الجوية حدَّاً آخر كان له في نفس «هتلر» أبلغ الأثر . ففي اليوم التالي لتصفِّ «بروما» سُجِّلت مجموعات «ب-٢٤» ، الخمس التي اشتراك فيهم : من ميدان القتال الإيطالي ، وأرسلت إلى «ليبيا» حيث دربت على القصف الشديد الانخفاض . وفي أول آب أقلعت مجموعة من ١٧٧

العدوان إلى التحالف . فيبعد عنها أقل نتائج المزعجة . وأخشى ما يخشاه العهد هو التعرض للتأثير الألماني ؛ أما هدف الأسمى فهو بالتالي الدجوه إلى الحماية الانكليزية الأميركيّة في اللحظة التي يقدم فيها على قفزته المطردة بالذات . فالعملية إذا مقدمة عسيرة ، تفرض توقيتها صعباً خطراً . وتطلّب سرقة شديدة مطقة .

يد أن الأنعام الانكليزية الأميركية الناشرة لم تكن لتساعد على التملص الإيطالي ، فلم يكرر وزير الخارجية «هنري ستيمسن» ، ذلك الكهل المختدم الطياع ، «بلنلن» ومدينة «الجزائر» ، إلا يقع على ما بثت خواوفه كل الإثبات : «فانكلترا» — و «تشرشل» خصوصاً — وقد أحرقتهما الرغبة في الاتئثار للإخفاق الذي مُني به في «الدردنيل» عام ١٩١٥ .
يرد أن التضييق بغير «فرنسا» في سبيل تحقيق سياستها المتوسطية . وكشف «ستيمسن» «لروزفلت» حقيقة الدوامة التي تحارب «بريطانيا» الخبيثة أن تجر إليها «أميركا» : أولاً الزرول في «أفريقيا الشمالية» وفتحها بكاملها ، ثم اجتياح «صفلية» ، والآن عبور مضيق «مسينا» الذي قبلت به القيادة الأميركية . أما سقوط «موسوليني» والاحتمالات المتزايدة المتعلقة بدفع «إيطاليا» خارج حلبة الحرب ، فإنها توفر «لبريطانيا العظمى» ذرائع جديدة ، وترغم «أميركا» على التراكم مقاومة أشدّ عناداً .
قوبيل ، والحالة هذه ، إعلان «بادوليو» بأن «إيطاليا» ستواصل الكفاح إلى جانب «ألمانيا» بارتياح في «واشنطن» ، لأنه قضى على المشكلة التي كانت تثير بإحداث خضبات أعنف من التي أثارها مشكلة «دارلان» : أي يعني التفاوض مع ملكية «سافوا» التي ارتضت النظام الفاشي ودعمته ، أم مع المارشال «بادوليو» الذي كان أكبر أدلة عسكرية في يد «موسوليني» ، والذي فتح «الحبشة» واجتاح «اليونان» ؟ كان «روزفلت» و «تشرشل» قد طلبوا من الشعب الإيطالي ، قبل غزو «صفلية» ، أن ينفك للقضية الفاشية ويعود إلى تقاليده الديعمراطية ؛ أما الآن فقد بادر «روزفلت» إلى التأكيد بأن «البند المتعلق بالاستسلام دون قيد ولا شرط لم يزل نافذاً في حق «إيطاليا» بكل ما فيه من شدة وصرامة . فالنظام الذي قلب «موسوليني» لا تتحقق له أية رحمة . ولقد كتب المشتشار الخاص «هوبكتر» يقول : «لا تستطيع مخيّلي : باللغة ما بلغت من القدرة على التمطط والتسامل ، أن تصور لي «فيكتور عمانوئيل» و «بادوليو» مثلين لأي شكل من أشكال الحكم الديعمراطي ...»

بلغت رغبة «إيطاليا» في المحافظة على نفسها ، لحسن الحظ ، حدّاً لم يكن ليسمح لها بالانسياق إلى نزاع يائس . ولم تحظم قيادة الاستقبال منافذ السلام كلّها ، فدخل مسرح الفاروس ، بعد «أجيتا» ، وبعد «بيريو» الفصل الإيطالي العام في «طنجة» ، رسول أجل خطرًا من الآتين السابقين ، هو الجنرال «جوسيبي كاستلانتو» الذي اتفاه «بادوليو» رئيسًا لأركانه . فقد سافر متخللاً جواز سفر مزوراً ، وفي ١٥ آب قدم نفسه للسير «صموئيل هور» السفير البريطاني في «مدريد» ، أما ما عرضه عليه فلم يكن إلا قلب التحالف الإيطالي رأساً على عقب ! ولكن شيئاً لم يمنع اللعبة الألمانية الإيطالية المزدوجة من الاستمرار في كلام الجانبين ، ففي اليوم ذاته الذي تقدم فيه الجنرال «كاستلانتو» من السير «صموئيل هور» عقد في «بولونيا» موتمر عسكري ، أوفد إليه «هتلر» «جودل» التفيس ، فيما أوفد «ماير وزيبو» «رواتا» ساعدة الأعن ، وحضر كذلك «رومبل» و«كيسلنخ» و«رنثلين» . بدت عمليات القصف التي نشرت الدمار في المدن الإيطالية (وقد هوجمت «ميلانو» أربع مرات . و «تورينو» ثلاثة مرات ، و «جنوى» و «روما» مرة واحدة خلال الأسبوع) وكانتها تكذّب وجود آلية مفاوضة مع العدو ، ومع هذا حضر الألمان ، كما في «ترفيس» ، يخفّ بهم رجال الصاعقة ، وتناولوا طعام

الشمالية . يقابل ذلك تناقضٌ جديد في «إيطاليا» المحمومة بالخليعة المليئة بالرجال المسلمين والخالفة بعناصر الفوضى . كانت شعوب الجبل ترجع صدى الطلعات النارية الأولى التي تبادلتها القوات المسلمة وجماعات الأنصار . وفي «أرنولد شتاين» الفريبة أغلقت الحدود . بأمر من «أمير» وزيبو . في وجه فرقة القناصنة التيروليين ^{٤٤} التي كان عليها أن تختتم «البرينير» . وفي وجه فرقة المشاة ^{٤٥} المرسلة إلى منطقة «ليفورنو» . فإن صبح أنَّ الألمان قد أدركوا كنه اللعبة الإيطالية . فالعكس قد صح كذلك ، إذ أدرك «أمير وزيبو» أنَّ الجيش الألماني ينوي احتلال «إيطاليا» حيث كانت عشر من فرقه قد حلَّت فيما مضى :

وصل «ريينتروب» و«كيلن» وكأنهما يفدان إلى بلد معاد؛ فقد أمر الوزير بترك الشيفرات والوثائق السرية كلها في الأرضية الألمانية. على اعتبار أنه كان من المحتمل أن يحاول هؤلاء السفلة اختطافنا لتسليمنا إلى الانكليز». وما وصل القطار حتى احتل المحطة سحابة من رجال الصاعقة. فضرب هؤلاء نطاقي حول العربة - السرير الخاصة «ريينتروب» حيث دخل المقاوضون في نقاش متأنق اللهجة باردها. بحثت قضية القوات الألمانية بين «كيلن» و«أمبروزيو»، فأعلن الألماني أنه لا يفهم أن تصطدم تلك القوات بعقبات تعرضوا إليها إلى بلد أنت لحمايته، فأجاب الإيطالي بأن حماية الأرض الإيطالية ستؤمن بشكل أفضل بعودة القوات الإيطالية المرابطة في «فرنسا» و«البلقان».

أما المباحثة التي جرت بين «غواريغليا» و«ريبيتروب» فكانت أمرًا ولذع ، فقد سأله وزير «هتلر» ووزير «فيكتور عمانوئيل» ما إذا كان يسعه أن يثبت له أنه لم تقم أية مفاوضة بين «إيطاليا» والخلافة . فأجاب «غواريغليا» اللثيق بأنّه بجُوء بعض الشخصيات إلى مبارات ونصرّفات شخصية يستحيل مراقبتها ، وهو أمر ممكّن دائمًا ، وأنه حتى ذلك الحين لم تُثبّر أية مفاوضات ذات صبغة رسميّة ، وأن «إيطاليا» فيما لو فكرت بالإقدام عليها . سوف تطلع الحكومة الألمانيّة على ذلك مسبقاً، فتحقق ذلك «ريبيتروب» إلى «غواريغليا» وقال : «أهذه هي الكلمة الحكومة الإيطالية؟» فصمد «غواريغليا» أمام النّظر وأجاب : «أجل . إنها الكلمة الحكومة الإيطالية» .

وحلما انتهت المباحثات استقلَّ «كينتل» و«ريبرنروب» وجماعة من الضباط سيارات كانوا قد استقدموها من «ألمانيا»، وانتصب إثر ذلك على الطريق حاجزٌ وقف في وجه الإيطاليين الذين حاولوا الملاعِق بهم. وأضطرَّ ممثُلو «بادوليو» طوال ساعتين إلى أن يقمو بنتهاهُ أسرى، بين رشاشات رجال الصاعقة. وما لبث «كينتل» و«ريبرنروب» أن ظهرَا من جديد ففلا إنهما قد ذهبا بأنفسهما لفتح الحدود. وإنْ جنودهم قد دخلوا «إيطاليا». وجرى الفراق في جو من الحنين والفقد معاً، وعندما تحرَّك القطار الألماني بقي الإيطاليون واقفين وأذر عهم لا صفة بأسجامهم بدلاً من أن يحيوا على الطريقة الرومانية.

لم يكذب «غوارينغيليا» الكذب كلة عندما أكد أنه لم تكن ثمة بين إيطاليا والخلفاء أية مفاوضات؛ فإن المركيز «أجيتا»، رئيس غرفة تشنiano سافينا، الذي اتصل في لشبونة بالسفير البريطاني «كامبل». لم يكن مفاوضاً رسمياً بالمعنى الصحيح؛ لم يكن غير موقد حكومة بادوليو شبه الرسمي، مع أنَّ الوزير «غوارينغيليا» كان على علم بما يقوم به. إلا أنَّ «غوارينغيليا» قد كذب مسبقاً حين أردف أنَّ «إيطاليا» في حال إقدامها على فتح باب المفاوضات. ستعلم بذلك ألمانيا.. والحقيقة أنَّ النية والهدف والسبب التي من أجلها أقيمت النظام الجديد إنما كانت عقد صلح منفصلاً، مع الخلفاء برجي، منه أنَّ نقل إيطاليا من

«مونباتن» قد أتى بنموذج من الرجال الجليدي المحمد بواسطة الحرارة الكثيرة الانفاس ، الذي كان مخزعه «بابك» يقترح أن تقام بواسطته مطارات عائمة لغزو «أوروبا» ؛ وقد حاول «أرنولد» ، وهو أقوى رؤساء الأركان العامة بنيه ، أن يشق الكتلة بضربة فأس ، وكانت الصدمة ؛ وكانت الكتلة صلبة للدرجة أنها فكت كفه ، فكانت الصيحة ؛ وفي سبيل إكمال هذا العرض ، أطلق «مونباتن» من مسدسه على الرجال رصاصة انزلت على سطحه ، فكان العيار الناري ! بيد أن فكرة مشتركة خامرته الضيّاط في الردهة : «يلملي ! إنهم يقتلون !»

كانت موضوعات الجداول هي إياها كالمعتاد : المتوسط ضد «أوروبا» الغربية ، والمذهب الأميركي ضد الاستعمار البريطاني . وكان دنو النصر المبين يزيد من حدة التوتر والصدام . وقد باتت مشكلة عالم الغد تبرز من خلال نصوص «شريعة الأطلسي» المفخمة . فاحتلال «روسيا» مكانة جديدة في العالم ، ومستقبل النظام الاستعماري ، كانا الموضوعين الكبيرين اللذين يسيطران توجه السرائيلية .

وقد أثار آخر هذين الموضوعين في «كيبيك» أزمة غربية . كان الأميركيون يرغبون إلى الانكليز في شن هجوم في «برمانا» لفك الحصار عن «تشانغ كاي تشوك» . ولكنهم كانوا يريدون كذلك لأنّ تجنّي «إنكلترا» من جراء هذه العملية أية قائدة سياسية . وأثار «تشرشل» ريبة ، ووجد نفسه متّهماً بالرغبة في إعادة الاستعمار إلى جنوبِ



«تشرشل» يستقبل «روزفلت» في «كيبيك» .

شرقي آسيا» ، بعدما اقترح بسط العملية إلى «سومطرة» . كان ضروريًا أن يصفّي حساب «اليابان» بعد هزيمة «ألمانيا» ، ولكن «أميركا» لم تكن قبل بتدخل الانكليز في هذا الشأن . وأمام «تشرشل» ، وهو رئيس دولة كانت تخوض الحرب منذ أربع سنوات ، وكان قد أنهى نفسه برد الععنف الألماني بمفرده ، فقد كان عليه أن يفرض وجوده وأن يوضح معامله في قلب معارك الهاديء الأخيرة .

في الجداول القائم حول موضوع «المانش» ضد «المتوسط» كان «تشرشل» كثير الصراحة . فقد عارض سنة ١٩٤٢ وعارض في ١٩٤٣ ، وهو ، في ١٩٤٤ ، يوافق على غزو «أوروبا» . ولكنّه كان يتصوّر على أنّ مواصلة العمليات الناشطة في «المتوسط» ، بدلاً من أن تكون مناقضة للتزول في «نورماندي» ، كانت بالعكس تشكّل تحضيراً له . كانت أشهر عشرة تفصل الساعة عن أقرب تاريخ للقيام بغزو «أوروبا» .

العداء مع الإيطاليين ومسدّساتهم أمامهم على المائدة . واشتراك الجميع بعد ذلك في وضع خطة للقتال تقضي بأن تراجع القوات الإيطالية الألمانية خطوة خطوة حتى خط يمتد من «بيزا» إلى «فلورنسا» إلى «رافينا» حيث تصمد في مقاومة مستمرة . وهكذا قبل الإيطاليون ، ببرودة قلب . يمحظّ يسلم الجزء الأكبر من بلادهم إلى أهواز الأرض المحرقَة . ولكن ماذا بشأن «صقلية» ! لقد قضى الأمر ، فضحى المحور بالجزيرة ليوفر على نفسه «تونس» ثانية . لم يستخدم القرار من غير ألم ، فقد عارض الأيرلنديون «دونتر» انسحاباً يمنع الحلفاء السيطرة الكاملة على المتوسط . أوفد إلى «صقلية» الجنرال الأقطع «هانس هوبي» الذي كان أول الوالصلين إلى «ستالينغراد» . ثم واته حظّ خارق فخرج منها قبل استسلامها بأيام . وتلقى أمراً بالدفاع عن الجزيرة شبراً شبراً . ولذا لقي الحلفاء مقاومة شديدة في ٣ آب عندما شنوا هجومهم باتجاهات ثلاثة تلتقي في «ميسينا» ، فأدركه جبل «الإتنا» . وسلسلة جبال «نيبروديتشي» الماجمين عن الانسياق في شعب هجومية ضيقة . وعلى السواحل . دار القتال وسط أزيز الجنادرج الحاد . وفي حرارة بلغت ٤٠ درجة مئوية في الظل . وفي جفاف شديد جداً . فبرحظاماً بالمحاربين ، إلا أنّ التفوق الانكليزي الأميركي في البحر والجو كان كبيراً ساحقاً ، فلم يدع كبير أمل «لغوزوني» و «هوبي» . إحتلّ الجيش البريطاني الثامن . بين ٦ و ١٤ آب ، سفح «الإتنا» الجنوبي من «كاتانيا» إلى «تاورمينا» . وعلى السفح الشمالي من البركان انتزع الجيش الأميركي السابع على التوالي مدن «نيكوسيا» و «تروانا» و «راندازو» . وأخضعت «ميسينا» لخطر جوي متواصل هدد العبور في مضيقها بالتعطيل الشامل ، لأن ثلاثة من سفن العبور الأربع قد أغرقت فيه .

أخيراً أخذ «هوبي» و «غوزوني» على مسؤوليتهم إصدار الأمر بالحلاء . فبدأ في ١٩ آب وجرى بشكل رائع . وعندما دخل «باتون» «ميسينا» في ١٧ آب كان ٤٠٠٠٠ من الجنود الألمان . و ٦٢٠٠٠ من الجنود الإيطاليين . قد عبروا المضيق من غير أن يُصابوا بخسائر هامة . ذاك أنّ الحلفاء لم يفعلوا شيئاً تقريباً ليتهيّأ انتصارهم في «صقلية» بأسر العدو . كما انتهت في مدينة «تونس» .

كان فتح «أفريقيا الشمالية» قد استغرق ستة أشهر ، أمّا انتزاع «صقلية» فقد استغرق ثمانية وثلاثين يوماً . أفيكون الحلفاء إذًا قد بلغوا المنحدر المروري إلى النصر ؟

إنكلترا تفقد قيادة عنزو أوروبا

أثناء هذه الباكي الشجعة انعقدت جلسات حلقة جديدة . وأمّا مكان الحالات في هذه المرة فقد كان «كيبيك» في «كندا» . وهذا بمثابة امتياز للحساسية البريطانية دونما حاجة إلى تكيد رئيس الولايات المتحدة مشقة السفر إلى «بريطانيا العظمى» ، الأمر الذي كان يعكر صفو أنصاره من الناخبين الإيرلنديين . وقد جهزت القلعة القديمة ، التي شهدت تقرير مصرير «كندا» الفرنسي . لاستقبال «تشرشل» و «روزفلت» . في حين أنّ أعضاء أركانها العامة قد أقاموا في فندق «قصر فرونفالك» الفخم القائم عمودياً فوق نهر «سان لوران» الشاسع . أحدثت حالات «كيبيك» هذه مشادة انكليزية أميركية جديدة . والحادث التالي يبيّن لنا مقدار العصبية التي تسلطت على الألباب . فخلال مؤتمر لرؤساء الأركان شديد التكشم دعي المسؤولون إلى الانتظار في الردهة . وإذا بهم يسمعون صدمة وصيحة وعبارة نارية . كان



أعضاء مؤتمر «كبييلك» على شرفة تطلّ على المدينة . وهم ، قعوشاً ، من اليسار إلى اليمين : «ماكنزي كينغ» ، «روزفلت» ، «تشرتل» ؛ ووقفاً : الجنرال «أرنولد» قائد القوات الجوية الأميركيّة ، وسير «شارلز بورنال» قائد القوات الجوية البريطانيّة ، والجنرال سير «الآن بروك» رئيس الأركان البريطانيّة الاميراطوريّة ، والأميرال «كينغ» قائد القوات البحريّة الأميركيّة ، وسير «جون ديل» رئيس البعثة البريطانيّة في واشنطن ، والجنرال «مارشال» ممثل «أمريكا» لدى لجنة رؤساء الأركان العامة الانكليزيّة ساكسونيّة في «واشنطن» ، وسير «دادلي باوند» أميرال البحريّة الأعلى ، والأميرال «ليهي» رئيس لجنة رؤساء الأركان الانكليزيّة والأميركيّة للقوات البحريّة والبرّية .

«مارشال» موجّه إلى «روزفلت» : «إنَّ استبدال الفرق السبع يعني تشجيع المستر «تشرتل» على استخدامها لغزو «البلقان» ...» . كانت هناك قضيّة أخرى تتعلّق كاهل العلاقات الانكليزيّة الأميركيّة ، ألا وهي قيادة الغزو . وإذا أنَّ «أمريكا» كانت قد تسلّمت قيادة العمليّات في الموسـط ، اتفق على أنْ يقوم انكليزيّ بقيادة غزو «أوروبا» الغربيّة . وقد أبلغ «تشرتل» «الآن بروك» أنَّ ذلك المدفع التفيلي المظفر سوف يقع على عاتقه . إلا أنَّ اعتراضات ما ليثت أنْ قامت في الأوساط الأميركيّة العسكريّة والحكوميّة . وكان «ستيمسون» هو الناطق بلسان هذه الأوساط على أثر عودته من مدينة «الجزائر» و «لندن» ؛ فكتب إلى «روزفلت» يقول : «لا نستطيع منطقياً أن نتعلّل بأمل عبور «المانش» تحت قيادة بريطانيّة . رئيس الوزارة ورئيس أركانه العامة ينكراـن هذا المشروع بصراحة ... وهـما قد وعدـا بمساندتهـ غير راضـيين ، وـمن غير حمـاسـة . فـفي سـبيل التـغلـب على مشـقـات العـملـيـة يـبغـي إـيجـاد حـزم وـاستـقلـالـ وإـيمـانـ أـكـثـر مـمـا يـجـدر تـوقـعـهـ منـ قـيـادـةـ بـرـيطـانـيـةـ عـلـيـهـ». وقال «ستيمسون» إنَّ «روزفلت» قد وافق على كلّ بند من بنود الرسالة ، كما وافق على الاقتراح القاضي بمنع الجنرال «مارشال» قيادة العمليّات .

رأى «تشرتل» أنَّهـ منـ المستـحسنـ استـبـاقـ المـطـلـبـ الذيـ وجـدـ أنـ لاـ مجـالـ لـرـدـةـ الـبـتـةـ . قالـ : «ـفـيـ «ـكـبـيـلـكـ»ـ بـادـرـتـ الرـئـيـسـ بـاقـرـاحـ تعـيـيـنـ أمـيـرـكـيـ لـقـيـادـةـ غـزوـ «ـأـورـوبـاـ»ـ ...ـ فـكـانـ رـاضـيـاـ كـلـ الرـضـىـ عنـ هـذـاـ عـرـضـ الـذـيـ كـانـ يـوـافـقـ نـظـريـاتـهـ .ـ وـتـلقـىـ الجنـرـالـ «ـبرـوكـ»ـ الـخـلـيـةـ بـوـقارـ الـجـنـديـ»ـ .ـ وـفـيـ الـوـاقـعـ أـصـيبـ «ـبـروـكـ»ـ بـصـدـمـةـ أـلـيـمـةـ .ـ قـالـ :ـ «ـلـقـدـ كـانـ الصـدـمـةـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ فـتـاكـةـ ،ـ إـلـاـ أـنـ «ـوـنـسـتـونـ»ـ لـمـ يـكـرـثـ لـمـلـكـ وـلـوـ لـحـظـةـ وـاحـدةـ .ـ فـهـوـ لـمـ يـظـهـرـ لـيـ أـيـةـ بـادـرـةـ مـنـ أـلـفـ أوـ عـطـفـ ،ـ وـقـدـ تـصـرـفـ بـالـقـضـيـةـ وـكـانـهـ تـفـصـيـلـ ثـانـيـ»ـ .ـ

وـإـغـلـاقـ الـمـسـرـحـ الـمـتوـسـطـ يـمـنـحـ «ـأـلـمانـيـاـ»ـ اـسـرـاحـ طـوـالـ هـذـهـ المـدـةـ ،ـ فـيـمـاـ أـنـ حـمـلةـ عـلـىـ «ـإـيـطـالـياـ»ـ تـشـتـتـتـ قـواـهـ .ـ وـتـذـيـبـ اـحـتـيـاطـاهـ .ـ وـتـحـكـمـ طـوـقـ الـحـدـيدـ الـذـيـ كـانـ يـطـبـقـ عـلـىـ أـنـفـاسـهـ .ـ وـتـضـعـفـهـ فـيـ وـجـهـ الـضـرـبةـ الـخـامـسـةـ .ـ

أـتـتـ اـقـرـاحـاتـ «ـبـادـولـيوـ»ـ الـأـوـلـيـةـ تـدـعـمـ الـظـرـيـةـ التـشـرـتـلـيـةـ .ـ وـأـقـرـ «ـمارـشـالـ»ـ بـأـنـهـ مـنـ الـحـكـمـ بـمـكـانـ أـنـ تـسـتـأـنـفـ فـيـ «ـإـيـطـالـياـ»ـ حـمـلةـ «ـصـفـلـيـةـ»ـ الـمـظـفـرـةـ ،ـ وـجـيـالـ هـذـهـ الرـغـبـةـ وـضـعـ «ـأـيـزـهـارـرـ»ـ عـمـلـيـتـيـنـ :ـ غـزوـ «ـكـالـاـبـرـيـاـ»ـ .ـ وـنـزـولـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـ «ـنـابـولـيـ»ـ .ـ وـقـدـ وـاجـهـواـ اـحـتـمـالـ الـاسـتـيـلاءـ عـلـىـ «ـرـومـاـ»ـ وـإـرـغـامـ «ـإـيـطـالـياـ»ـ عـلـىـ الـخـروـجـ مـنـ الـحـربـ .ـ وـبـلـوـغـ خـطـ «ـلـيفـورـنـوــأـنـكـونـ»ـ قـبـلـ الشـتـاءـ .ـ إـذـاـ مـاـ تـعـذـرـ الـوصـولـ إـلـىـ الـأـلـبـ»ـ وـإـلـىـ «ـالـبـوـ»ـ .ـ

وـعـادـ الـجـدـالـ إـلـىـ التـوـقـدـ حـولـ مـوـضـعـ اـسـتـثـمـارـ هـذـهـ الـمـسـيـرـةـ .ـ قـالـ «ـتـشـرـتـلـ»ـ :ـ «ـلـسـوـفـ نـتـمـكـنـ مـنـ أـنـ نـمـدـ يـدـنـاـ خـلـالـ «ـأـلـدـرـيـاتـيـكـ»ـ لـوـطـنـيـيـ «ـالـبـلـقـانـ»ـ الـثـائـرـيـنـ»ـ .ـ وـكـمـاـ كـانـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـمـةـ «ـسـوـمـطـرـةـ»ـ .ـ أـتـقـظـتـ كـلـمـةـ «ـالـبـلـقـانـ»ـ .ـ تـحـفـظـ «ـرـوـزـفـلـتـ»ـ .ـ فـهـوـ يـفـهـمـ .ـ وـلـكـنـهـ يـسـكـرـ .ـ دـوـافـعـ «ـتـشـرـتـلـ»ـ الـبـاطـنـةـ .ـ وـقـدـ نـقـلـ إـلـيـنـاـ الـتـارـيـخـ الـأـمـيرـكـيـ الرـسـمـيـ مـاـ يـلـيـ :ـ «ـلـمـ يـكـنـ الرـئـيـسـ مـقـنـعـاـ بـأـنـ «ـرـوـسـيـاـ»ـ كـانـ مـزـمعـةـ عـلـىـ أـنـ تـفـصـعـ يـدـهـ عـلـىـ «ـالـبـلـقـانـ»ـ .ـ فـرـغـةـ «ـتـشـرـتـلـ»ـ فـيـ الـوصـولـ إـلـيـهـ قـبـلـ سـوـاهـ لـمـ تـكـنـ إـذـاـ ضـرـبـاـ مـنـ الـاحـتـيـاطـ الشـرـعـيـ فـيـ وـجـهـ تـفـشـيـ الشـيـوـعـيـةـ وـالـسـلـافـيـةـ ،ـ بـلـ ظـاهـرـةـ جـدـيـدةـ لـأـلـيـنـ مـنـ مـظـاهـرـ الـاسـتـعـمـارـ الـانـكـلـيـزـيـ»ـ .ـ وـاسـتـعـدـادـاـ لـتـنـفـيـذـ مـخـطـطـ غـزوـ «ـأـورـوبـاـ»ـ كـانـ عـلـىـ سـبـعـ فـرـقـ أـنـ تـغـادـرـ الـمـوـسـطـ لـلـانـضـيـامـ إـلـىـ الـقـوـاتـ الـمـحـتـشـدـةـ فـيـ «ـانـكـلـتـرـاـ»ـ .ـ فـطـالـبـ «ـتـشـرـتـلـ»ـ باـسـتـبـدـالـ هـذـهـ الـفـرـقـ بـفـرـقـ سـبـعـ مـرـسـلـةـ مـنـ «ـالـلـوـلـاـيـاتـ الـمـسـحـدـةـ»ـ .ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ فـيـضـ الـقـوـاتـ ،ـ وـمـنـ التـغـلـبـ عـلـىـ أـرـمـةـ السـفـنـ بـصـورـةـ نـهـائـيـةـ .ـ قـابـلـ الـأـمـيرـكـيـونـ هـذـاـ الـاقـرـاحـ بـالـرـفـضـ .ـ وـقـالـ تـقـرـيرـ مـنـ



الmarshal
«بادوليو»
رئيس
الحكومة
الإيطالية
الجديدة بعد
الاستسلام .

يقي تعين صاحب اللقب معلقاً - «أمارشال» أم «أيزنهاور»؟ - وبعكس ذلك تم الاتفاق على أن تعود القيادات الحليفتان الثانيةتان للإنكليز . وهو حلٌّ ترضيه . كُلِّف «مونباتن» بجنوب شرق آسيا . وأما المتوسط فسوف يكون من نصيب «الكتستدر» . وقد رأى «تشرشل» في هذا المنصب الأخير امتيازات يمكن بواسطتها تفسير خصوصه إزاء فقدان قيادة غزو «أوروبا» . وبقي التزول في «نورماندي» عملية ذات أمد بعيد ما زالت في طور التخطيط . في الوقت الذي كانت فيه الأحداث تندلع في «إيطاليا» .

إيطاليا تستسلم بلا قيد ولا شرط

كان «بادوليو» يتصرف تصرفاً يائساً . وأمام الممثل الألماني الجديد . «رودولف راهن» . راح يذلل اسمه ولقبه وماضيه . قال : «أنا marshal «بادوليو» . وأنا ، مع «ماكنلسن» و«بيتان» ، أقدم جنرالات «أوروبا» . إن تحفظ الحكومة الألمانية بتصدي أمر غير مقبول . فلقد قطعت لكم وعد شرف ، وما عليكم إلا أن تومنوا به ...» ياله من نكث مؤثر ! وفيما كان «بادوليو» يتلفظ بهذه الكلمات المفعمة تأثيراً . كان رسوله الجديد . الجنرال «جياكومو زانوسي» ، يصل إلى «الشونة» برفقه كمرين أشهر أسرى الحرب الإنكليز إطلاقاً ، وهو الجنرال «أدريان كارتون دي وايات» . كان يحمل اقتراحًا يقضي بوضع خطط الاستسلام على «روما» عنوة بعملية مفاجئة مشتركة بين الإيطاليين والحلفاء .

قال «زانوسي» : «ليس هناك في جوار «روما» غير فرقة ألمانية واحدة . وهنالك ست فرق إيطالية حسنة التجهيز تحمل العاصمة وضواحيها . فليطلق الحلفاء على «روما» فرقه منقوله جواً ، ولو سوف ينضم جندها إليها . ولو سوف تثور «إيطاليا» عند سماع صوت مليكتها في وجه الألماني المقوت . وأما الحشود الألمانية النازلة في جنوب «روما» فستقطع توسر . ففي غضون أيام يمكن أن تجد «إيطاليا» نفسها محرة حتى «الألب» ، كما يمكن بلوغ الحدود الألمانية...»

وحتى هذا اليوم ، وعلى الرغم من مجموعة كبيرة من التصرفات . لا نستطيع القول إن الحقيقة قد انجلت كاملاً عن هذه المرحلة الطريفة من الحرب . فقد تبني «أيزنهاور» «الفكرة وعيّن لها فرقة «إيربورن» . ٨٢ ومن «كيبك» طير إليه «روفلت» و«تشرشل» برقة موافقة مشتركة . ومن جهة أخرى لم يكن وارداً أمر التخفيض من شروط الاستسلام غير المشروط . وتلقى القائد العام وثيقتي ، الأولى «الأجل قصير» وهي متعلقة بالاستسلام العسكري . والثانية «الأجل طويل» .



يشترط تسليمها للإيطاليين بعد التوقيع على الأولى لا قبل . ولم يخف «أيزنهاور» التزهير إنكاره لهذا الاتفاق غير المستقيم ، وحال الوضع القاسي الذي كان مهيئاً لمنتهزم . قال : «إن هذه الوثيقة لن تنشر ولو حتى بعد انتهاء عشر سنوات على نهاية الحرب» . وقد قال «مورفي» معلقاً على ذلك إنه قد أخطأ تقدير مدى بقاء الوثيقة المشينة ؛ فالحرب قد وضعت أوزارها لعشرين سنة خلت ولا تندع بعد على الملا الشروط السياسية التي أمليت على «إيطاليا» .

ومع ذلك أكبَّ العسكريون على تحضير غزو «روما» بمعونة أولئك الإيطاليين الذين حطموا شكيمتهم . وطار الجنرال «ماكسويل تيلر» ، وهو القائد المساعد لفرقة «إيربورن» ، ٨٢ ، برفقة الكولونيل «وليم غاردنر» ، بطائرة جومائية هبطت به في جزيرة «يسكيا» ، من حيث أفلته سفينة إيطالية إلى «غايبي» . ووصل الصابطان إلى «روما» وهما في ثياب مدنية متعرضاً بذلك لخطر الموت رميأ بالرصاص ، وعههما في حقيقة جهاز إرسال . إلا أن المعلومات التي أعطاهم إياها الجنرال «كاربوني» قائد الحامية لم تكن مطابقة للمعطيات المتفائلة التي تكلّم عليها «زانوسي» . فقد كان للألمان ١٢،٠٠٠ رجل في الجوار المباشر ، و٣٥،٠٠٠ في دائرة ١٠٠ كلم . وكان الإيطاليون يفتررون إلى النهاية ، غير قادرین على أن يقطعوا وعداً بالسيطرة على المطارات . وطلب «تيلر» مقابلة «بادوليو» ، فثبتت هذا الأخير أقوال «كاربوني» ، وطالب بتأجيل التزول . كانت الساعة تشير إلى الثانية من صباح ٨ أيلول ، وكان «بادوليو» بشباب النوم في غرفته . كان النهار الطالع بالنسبة له حافلاً بالأحداث المؤثرة .

في تاريخ ٨ أيلول هذا كان غزو الجزء الإيطالية قد بدأ منذ أسبوع . وفي ١٢ ، وبعدما أتفق «مونتغوري» ثروة في إعداد المدفعية لم يجد فتيلًا ، فرر اجتياز مضيق «مسينا» ، وكان «أيزنهاور» يحثه على ذلك منذ ١٧ آب . كانت المقاومة منعدمة . وأما الفوج الألماني

توقيع معاهدة المهدنة في «سيراكوزا» بعد سقوط «موسوليني» بستة أسابيع . وبيدو من اليسار إلى اليمين : الجنرال «سميث» (الولايات المتحدة) ، الكومودور «ديك» (بريطانيا) ، الجنرال «روكس» (الولايات المتحدة) ، الكابتن «هان» ، والجنرال الإيطالي «كاستلانو» ، والجنرال «سترونج» (بريطانيا) . و «مونتغوري» ممثل وزارة الخارجية الإيطالية .

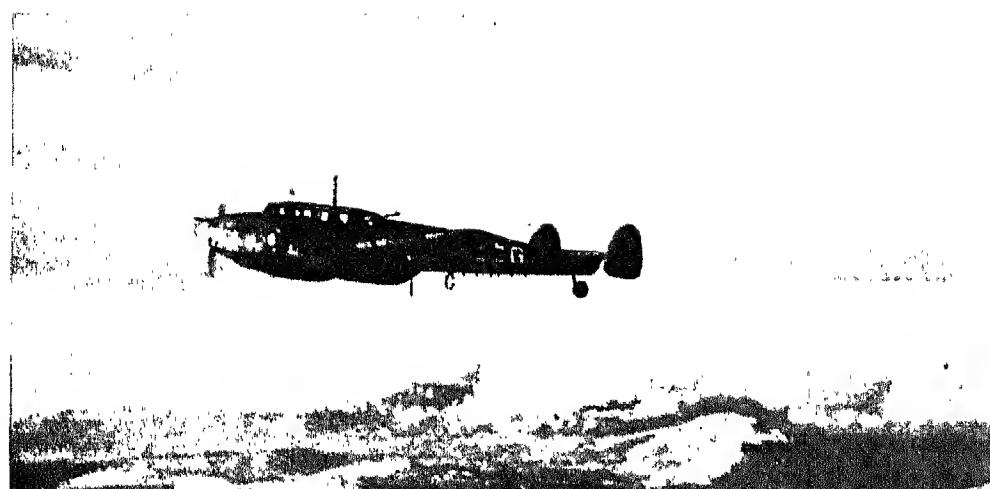
كان الوقت ظهر ٨ أيلول . وكانت الشمس تغمر «روما» بأشعتها الذهبية ، وتصفى على حجارتها الأثرية بـ«راهيَا» ; ولكن العاصمة كانت تتضجّ كذلك بجلبة الحرب . وقامت الفاذافات الأميركية بسحق «فراسكاتي» ، وهي مقر «كيسارنخ» العام . وفي الساعة ، ١٨،٣٠ قبل القيام بالعمليات في «سايلرنو» ساعتين ، هزَّ أمواجُ الأثير صوت لاسلكي يقول : «أنا» «دوايت أيزنهاور» القائد الأعلى للقوات الحليفة . إنَّ الحكومة الإيطالية قد سلمت قواتها المسلحة بلا قيد ولا شرط . وبالتالي فالحرب القائمة بين قوات الأمم المتحدة المسلحة وقوات «إيطاليا» المسلحة قد انتهت لنها . وأمّا الإيطاليون الذين سيحاولون الآن طرد الألماني المعتمدي من الأرض الإيطالية فسينعمون بإسهام الأمم المتحدة وموازتها . وقد سجلت هذه الرسالة على اسطوانة مع ترجمتها الإيطالية ، وتلاقتها محطّات الإذاعة الحليفة جميعها . وفي مقر «أيزنهاور» العام بات يترقب حدوث الصدمة ، ألا وهو تصريح «بادوليо» المماثل . إلا أنَّه تأخير . وأجباب الرسميين الإيطاليون عن أسئلة الألمان بأنَّ الرسالة كانت خلدةً لنذر الاضطراب في «إيطاليا» ، في عشيَّة نزول جديد . وتمكن «راهن» أخيراً من الاتصال «بغواريغليا» هافبياً . وأجباب وزير الخارجية يتمهيل قائلاً : «هذا صحيح ؛ فنظراً لطابع الوضع اليائس طلب المارشال «بادوليо» هذه ، وحصل عليها». وقال «راهن» : «ولكنَّ المارشال قد قطع عهداً بشرفه العسكري في ٣ أيلول ...» . وقاطعه «غواريغليا» قائلاً : «إنه اليوم الذي وقعت فيه المدنة» . وغضّت الملكة في أفقِ الشّائم . وفي أعقاب تلك المكالمة ، في الساعة ١٩،٤٥ ، كانت الإذاعة الإيطالية تثبت رسالة «أيزنهاور» .

لم يبقَ أَمَامَ الَّذِينَ قَامُوا بِهَا الْإِنْقَلَابُ الْمَسْرِحِيُّ غَيْرَ إِنْقَاذٍ أَرْوَاحَهُمْ .
فَغَادَ الْمَلْكُ وَالْمَلَكَةُ وَالْعَائِلَةُ الْمَالَكَةُ قَصْوَرُهُمْ بِعِجْلَةٍ مُفْرَطَةٍ ، وَكُلُّ ذِكْرٍ
الْمَارِشَالُ وَالْوَزَّارَةُ وَالْبَرِّزَالَاتُ وَأَصْحَابُ الْمَلِيَّارَاتِ . وَفِي الْلَّالِيلِ جَرَى
تِبَادُلٌ إِطْلَاقَ النَّارِ بَيْنَ بَعْضِ الْوَحْدَاتِ الإِيطَالِيَّةِ وَالْأَرْتَالِ الْأَلْمَانِيَّةِ
الْرَّاحِفَةِ عَلَى «رُومَا». وَسَارَ الْمَارِبُونَ عَبْرَ طَرِيقِ «الْأَدْرِيَاتِيِّك» ، وَاجْتَازُوا
بِصَعْوَدَةٍ مَسَالَكَ «أَبْرُوتِنِيِّ» الْوَعْرَةَ ، وَوَصَلُوا صَبَاحًا إِلَى «بِيُسْكَارَا»
حِيثُ أَقْلَتْ سَفِيتَانَ حَرْبِيَّاتَنَ حَرْبِيَّاتَنَ الْمَلْكَ وَأَهْمَّ الشَّخْصِيَّاتَ إِلَى «بِرْنِيزِيِّ» .
وَأَمَّا «مُورِفيِّ» ، الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَقَدْ وَجَدَ تَلَكَ الْحُكُومَةَ
وَذَلِكَ الْبَلَاطُ الْمَدْحُرِينَ مُقَمِّينَ فِي أَبْنِيَةِ الْأَمْرِيَّةِ الْكَثِيَّةِ ، وَتَحْتَ
نُوافِذِهِمْ سَفِيَّةٌ .

لقد كان مصير ملكية «سافوا» فاماً . وقال «مورفي» إنه لم يكن لدى الملك غير البزة التي كان يرتديها ، وإن الملكة كانت محرومة من البعض الطازج . إنَّه لحرمان قاسٍ يلحق بالعظام في حرب تسخن الأجساد الفتية من غير حساب !

الوحيد الذي كان على الساحل فقد توغل في الجبل وأركن إلى الفرار بقدر ما توفره الطرق الكالابيرية من مجال للسرعة . وتم احتلال «كالابريا» في ثلاثة أيام بواسطلة الفيلق البريطاني ١٣ . وكانت الجرأة سهلة لدرجة أنَّ الأميرال «كانينثهام» قد أرجأ حملة فساد «تارنتو» . وأنَّ السفن الانكليزية دخلت كاستلوب يقوم بزيارة إلى المرفأ العربي الذي طالما قال عنه «موسوليني» إنه يسيطر على المتوسط . وكان مفروضًا أن تتحلَّ «برينديزي» و«باري» في الأيام المقبلة وفي الظروف نفسها . ففي هذا الوقت من ٨ أيلول . في الساعة الثانية صباحاً . كانت «إيطاليا» قد استسلمت منذ أسبوع . ولكنَّ العالم و «المانيا» لم يكونوا يعرفان عن ذلك شيئاً .

في ٣١ آب كان «زانوسي» و «كاستلانتو» قد التقى في مقر «الكستاندر» العام في «كاسبيلي» قرب «باليرمو» . وكان الأول قدأً من مدينة «الجزائر» والثاني من «روما» . كانا قد حاولاً إخضاع الاستسلام الإيطالي لمملية «روما» المنقولة جواً . وججتهما أنّ نزولاً مقتصرًا على جنوب إيطاليا من شأنه أن يعرض الملك والحكومة الإيطالية للانتقام الألماني . وبما أنه لم يقطع لهما عهد بهذا الصدد . كانوا قد عادا إلى «روما» . ثم أقبلَا منها في ٢ أيلول مصرحين بأنّ لا سلطة لهم في التوقيع إذا لم تقم بين الاستسلام والغزو رفقة وعية . وهنا باشر الإذلال عمله . وقد قال «مورفي» إن «الكستاندر» ظهر أمام الإيطاليين وجزمه لماعة . وقد خطّت صدره أسمته كلّها . وبعد ما تظاهر بمعرفة تأجيل القرار الإيطالي اصطنع سخطًا شديداً . ذاكراً الخيانة والمكر . وصرّح بأنه سيجري قصف «روما» ما لم يوقع على الاستسلام في الـ ٢٤ ساعة المقلبة . وقضى باليرمو . إلا أنّ هذا الاستبعاد يدوّيّاً حقيقيّاً . اشتمّ الألمان رائحة الخيانة ولكنّهم لم يفضّلواها . وقال «كيلرلنغ» مؤكّداً : «وحنّ آخر لحظة كنت أقيم مع القيادة الإيطالية علاقات ممتازة...» . وبلغ السماح بالاستسلام «كاستلانتو» في صبيحة ٣ . وقدم «أينهاور» من مدينة «تونس» لحضور التوقيع على الوثيقة الموضوعة «الأجل قصير» . وهي الوحيدة التي كان الإيطاليون عالين بها في ذلك الوقت . جرى الاحتفال في الساعة ١٥.١٥ . وانصرف «أينهاور» على الأثر وهو متضايق ومقطب الوجه . تاركاً «اليديل سمييث» أمر مهمّة مقيبة لا وهي أن يسلّم الإيطاليين الوثيقة التي كانت تزيل وجود دولتهم شرعاً إلى أجل غير مسمى . أصْنَفَ «كاستلانتو» إلى قراءة نصها بدهول . ولكنّه تمالك أعدائه . وصرّح بعسوب خافت بأنه يتكتّل بعدم نقل شرط الاستسلام «الأجل طويلاً» للمارشال والمملّك . لقد جاء استسلام «إيطاليا» بعد أربع سنوات من دُقّ أوّل ناقوس الحرب . وبهذا يكون أحد الأصحاب الثلاثة قد هزم على أمره . ولكن النبا يبقى سريّاً مؤقّتاً . وقد احتفظ «أينهاور» بحق اختيار الوقت للإعلان عنه . فيما تعهد «بادوليyo» بتثبيته مباشرة على أثر ذلك . كان الحلفاء يعتزمون تنسيق الاستسلام الإيطالي مع عملية التزول في خليج «ساليرنو» الصغير . وقد رفض إعطاء «كاستلانتو» أيّ تعهد أو أية معلومات قط . بيد أنّ المحادّثات بشأن عملية «روما» المنقولة جواً قد استمرّت . فبقي للإيطاليينأمل في أن يروها قائمة يوماً . في «روما» كانت الحكومة الملكية قد عاشت حقبة الاستسلام

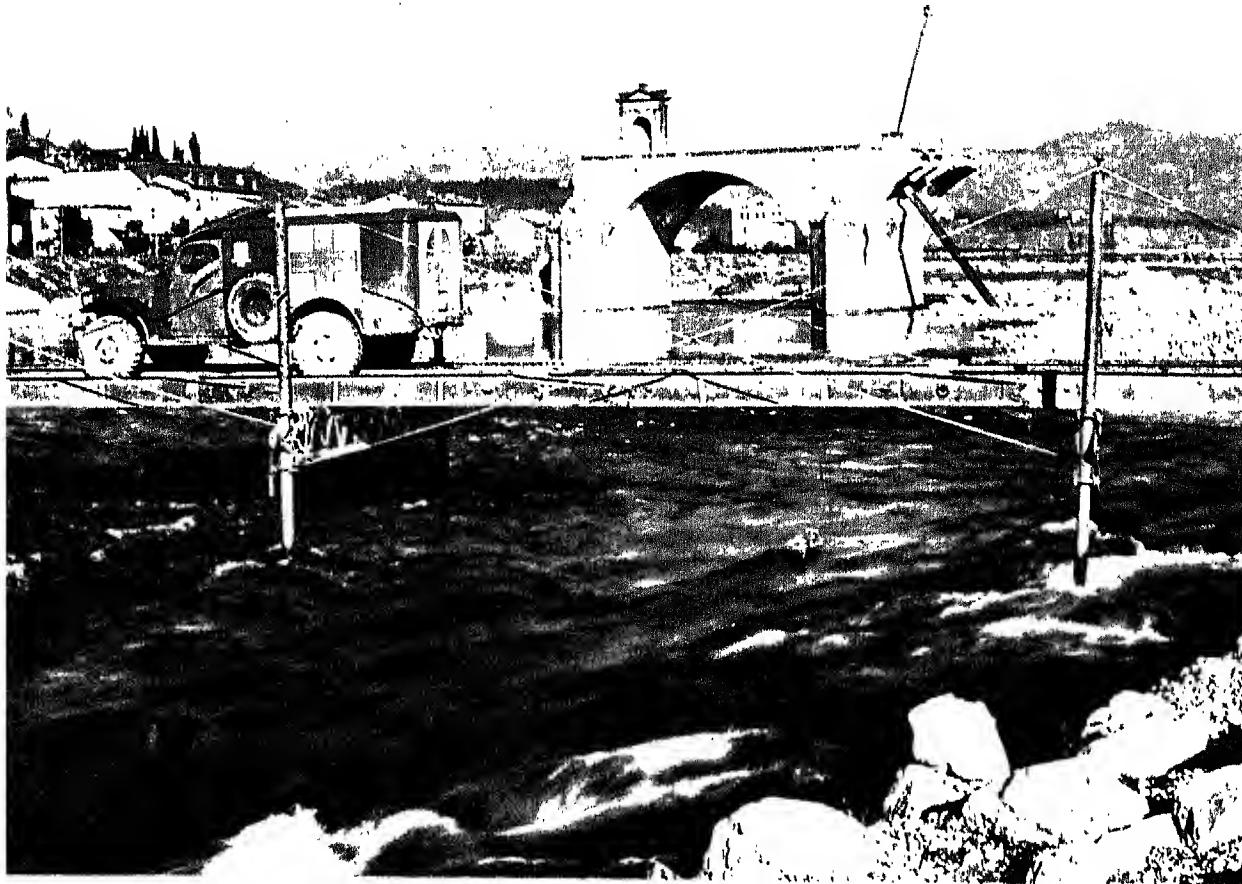


طائرات المائبة تحلق فوق جبال «صقلية» الجرداء في طريقها إلى
«مالطة».

«في بطرس» أوروبا الرخوا (تشترنجل)

صورة من صور الشقاء التي نرسمها العجوز عبر الدهور . في مكان
ما في «صقلية» جلست هذه العجوز ، وقد ناعت تحت نير القدر .
 أمام انفاس منها . ولكن تهدم منزل في العالم ، ولكن ناعت ، مثل
 هذه العجوز ، عجوز !

أقامت شعبة الهندسة الأمريكية هذا الجسر المرتجل فوق أحد أنهار
«صقلية» . ويبعد في أقصى الضفة الجسر القديم وقد نسفه
الآمان في انسحابهم .



الفصل الثالث والعرون
أيلول - سبتمبر ١٩٤٣

فجر النصر

أطلق المارشال «كيسلينغ» لفظة «محور» الاصطلاحية القاضية بتجريد القوات الإيطالية من السلاح ، يوم ٩ أيلول ، في تمام الساعة ١٩٠٣٠ ، قبل أن يؤكد «بادوليو» خبر إعلان الهدنة بدقاقيق .

د كييف، د طهران

ولقد سهلت تنفيذ العملية التدابير التي كان الجيش الألماني قد اتخذها مسبقاً . ففي «فرنسا» لم يجد الجيش الرابع أية مقاومة ، وفي «كرواتيا» و «الجبل الأسود» التحقت مجموعات من الجندي الإيطالي بالأنصار . أما في «سردينيا» وفي شمال إيطاليا فقد أثار بعض الوحدات أن يمضي في القتال إلى جانب رفيقاته في السلاح الألمانية . ولقد أتت العناصر على مستوى ما يوفره جيش مشهور وبإذن محتل : فعول رجال فرقة معاملة أسرى حرب . وذكر جدول الإحصاء العائد الذي سلبه الألمان على الوجه التالي : ١٠٢٥٠،٠٠٠ ، ٣٨،٣٨٣ ، رشاشاً . و ٩،٩٨٨ مدفماً . و ٩٧٠ دربة . و ٤٠،٥٥٣ طائرة ، و ٢٨٧،٥٠٢ من أطنان الذخيرة . و ١٠،٥٠٠ شاحنة . و ٦٧،٦٠٠ جواد وبغل . و ١٩٦،٠٠٠ طن من الحديد الخام . و ٤٠٠،٣ طن من الرقين . و ١٠،١٣٩،٠٠٠ قفيص . و ٣٥٢،٠٠٠ متر من الكتان . الخ . فعلى «جدول» على ذلك قالاً : «عادت المحروقة إلى الجيش الألماني ولو إلى حين . وكانت تلك هي الخدمة الوحيدة التي أسدتها إلينا إيطاليا ...» لم يأنّ الألمان مقاومة فعلية إلا في ضواحي «روما» ، إلا أنّ فرقة النخبة المصطفة الثالثة ، وفرقة القتيبة المصطفة الثانية ، تخلّت على بعض أعمال المقاومة المحلية . وكانت مقاومة الجبال «رواتا» في مقر القيادة العام في «مونتي ريدونتو» أشدّها عنفاً : ووفر استسلام الجبال «كانافي دي برغولو» . صهر الملك ، على القوات الألمانية مشقة اتحام المدينة الخامدة منته . فترك له «كيسلينغ» فرقته «بيافي» للسهر على النظام في العاصمة ، وكلّمه بتسريع جنود التشكيلات الأخرى وإعادتهم إلى بيوم . كانت القيادة الألمانية في «إيطاليا» ، يوم بدأ اجتياحها ، مقسمة ومتقطعة على نفسها في آن معاً ، فيما كان الشمال حتى خط «الكون - بوبينو» يشكّل منطقة مجموعة الجنود «ب» الخاصة «لرويل» . انتهى ما تبقى لمجموعة الجنوب خاصّاً لإمرة «كيسلينغ» . واستقرت بين المارشالين كراهيّة متبادلة . ووقفت نظريةً بما على طرفٍ تقضي . فيما يرى «لرويل» التخلّي عن «روما» ونقل الدفع إلى مستوى «فالورنسا» . الذي كانت قضياباً المتوسط كلّتها تصايقه . فلم يُحكم بينهما . «لرويل» فرض نفسه بمعاملة «كيسلينغ» «معاملة رئيس مرسوه غير أنّ قيادة الجيش العليا لم تدعم ادعاه . ففيكت «إيطاليا» مقسمة بين خصميه عديدين .

كانت تحت إمرة «لرويل» سبع من فرق المشاة . وفرقتان مصفحةتان إحداهما هي فرقة الصاعقة «أدolf هتلر» . فضلاً عن لواء جبلي . وكانت هذه الوحدات العشر المنتشرة من «البرينز» إلى «الأرنو» معرضة عن المركبة الدائرة رحاها جنوبى «روما» . ولذا لم تُثر طلبات «كيسلينغ» بشكاواه . على كثُرها . أيّ صدى .

خلال مباحثات «رسنبرغ» في ٢٨ آب سأله «كلوغي» «هتلر» : «كيف أستطيع ، والحالة هذه ، أن أُنجز لأكسو «ماشتاين»؟»





في ليل ٨ - ٩ أيلول ١٩٤٣ نزل الانكليز والأميركيون على شاطئ «باستوم» .

الساحليّ ، الذي تغطيه مزروعات وافرة ، في وادي «السيلي» الضيق . الذي يتفرع . ناحية الصفة البسيـرـى منه ، راـفـدـه «الـكـالـوـرـي» الذي ينسـابـ بشـكـلـ نـصـفـ دائـرـةـ . وـمـعـ الجـبـالـ فيـ الـإـرـفـاعـ فوقـ «ـسـالـيرـنـوـ» نـاحـيـةـ «ـإـبـوـلـيـ» حـتـىـ تـجـاـوـزـ ٦٠٠ـ مـ ، فـتـلـقـمـ بـشـهـ جـزـيرـةـ «ـسـورـتـيـ» الرـائـعـةـ التي يـنـبـسـطـ وـرـاءـهاـ خـلـيجـ «ـنـابـوـلـيـ» . لمـ يـتوـافـرـ لـمـعـارـكـ الـبـشـرـيـةـ قـطـ فيما مضـىـ ماـ توـافـرـ لـهـ مـنـ نـعـومـةـ وـتـارـيخـ !

قـامـتـ فـكـرـةـ المـناـورـةـ عـلـىـ التـمـرـكـرـ فيـ قـعـرـ الـخـلـيجـ مـنـ «ـمـايـورـيـ» إـلـىـ «ـأـغـرـ وـبـوـلـيـ» ، ثـمـ عـلـىـ الـاـلـتـافـحـ حولـ «ـسـالـيرـنـوـ» بـغـيـرـ الـانـبـاسـاطـ وـالـاسـتـيـلاءـ عـلـىـ «ـنـابـوـلـيـ» . هـذـاـ فـيـمـاـ يـصـلـفـ الـجـيـشـ الـبـرـيـطـانـيـ الـثـامـنـ الـقـادـمـ مـنـ الـبـحـرـ بـعـاـزـةـ الـجـيـشـ الـأـمـيرـكـيـ الـخـامـسـ وـيـمـدـدـهـ حـيـ «ـالـأـدـرـيـاتـيـكـ» . كـانـتـ الـخـطـطـ جـاهـزةـ حـتـىـ خـطـ «ـفـوـلـورـنـوـ» ، غـيـرـ أـنـ الـجـدـلـ الـانـكـلـيـزـيـ - الـأـمـيرـكـيـ الدـائـرـ حولـ أـمـهـيـةـ مـسـرـحـ الـعـمـلـيـاتـ الـإـيطـالـيـ ، وـحـولـ استـخدـامـهـ الـلـاحـقـ ، كـانـ مـاـ يـزـالـ قـائـمـاـ .

كـانـتـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ جـديـرـ بـأـنـ تـسـمـيـ سـمـاـويـةـ ؛ فـقـدـ اـضـطـرـتـ النـاقـلاتـ وـسـفـنـ الـحـرـبـ الـكـبـيرـةـ إـلـىـ أـنـ تـرـسـوـ عـلـىـ بـعـدـ ١٢ـ مـيـلـاـ منـ الشـاطـئـ بـسـبـبـ حـقـولـ الـأـغـامـ ، بـيـدـ أـنـ الـبـحـرـ كـانـ مـنـ الـمـدـوـهـ بـحـيـثـ لـمـ تـلـقـ عـمـلـيـةـ الـكـسـحـ وـعـمـلـيـةـ اـقـرـابـ زـوـارـقـ الـإـزـالـ عـقـبـاتـ تـذـكـرـ . كـانـ يـسـودـ جـيشـ الـغـزـ وـتـفـاوـلـ عـارـمـ تـغـذـيـهـ سـوـاقـ «ـجـيـلاـ» وـ«ـسـيـراـكـوـزاـ» وـ«ـرـيـخـيوـ» وـيـذـكـيـهـ نـيـاـ الـاسـتـسلامـ الـإـيطـالـيـ . حـتـىـ إـنـ «ـكـلـارـكـ» رـاحـ يـتسـاءـلـ ماـ إـذـاـ كـانـتـ الـحـكـمـةـ الـفـضـلـيـ تـقـضـيـ الـدـخـولـ الـمـباـشـرـ إـلـىـ خـلـيجـ «ـنـابـوـلـيـ» وـالـتـرـولـ الـمـباـشـرـ فيـ الـمـرـفـاـ . أـصـرـ قـائـدـ الـفـيـلـقـ الـبـرـيـطـانـيـ ١٠ـ عـلـىـ أـنـ تـقـومـ الـمـدـفـعـيـةـ بـقـصـفـ تـمـهـيـدـيـ ، إـلـاـ أـنـ «ـإـرـنـسـتـ جـ. دـوـلـيـ» . قـائـدـ الـفـيـلـقـ الـأـمـيرـكـيـ ٦ـ ، قـرـرـ أـنـ يـقـدـفـ بـالـفـرـقةـ ٣٦ـ عـلـىـ رـمـالـ «ـبـاسـتـومـ» مـنـ غـيـرـ أـنـ تـمـهـدـ الـمـدـفـعـيـةـ لـذـلـكـ بـطـلـقـةـ وـاحـدـةـ ؛ هـذـاـ مـعـ الـعـلـمـ بـأـنـ الـفـرـقةـ ، وـقـدـ أـنـتـ منـ «ـوـهـرـانـ» ، لـمـ تـكـنـ قـدـ شـهـدـتـ النـارـ بـعـدـ .

الـسـاعـةـ تـشـيرـ إـلـىـ الـثـالـثـةـ وـالـنـصـفـ ، وـالـظـلـمـةـ حـالـكـةـ . خـرـجـ صـيـادـوـ «ـأـمـالـفـيـ» عـلـىـ عـادـهـمـ فـيـ كـلـ لـيـلـةـ ، وـازـلـقـتـ أـصـوـاءـ زـوـارـقـهـ الشـاجـبـةـ عـلـىـ مـيـاهـ قـدـ غـصـتـ بـ ٤٥٠ـ سـفـيـنةـ تـقـلـ ٥٥،٠٠٠ـ جـنـديـ وـماـ يـعـودـ إـلـيـهـمـ مـنـ مـعـدـاتـ كـثـيرـ ضـخـمـةـ . أـخـذـتـ مـئـاتـ مـنـ زـوـارـقـ الـإـزـالـ وـمـنـ الشـاحـنـاتـ الـبـرـمـائـيـةـ تـقـرـبـ مـنـ شـاطـئـ كـانـ يـدـوـ نـائـمـاـ . وـانـهـلتـ مـدـافـعـ السـفـنـ تـقـصـفـ الـأـرـضـ الـخـرـسـاءـ نـاحـيـةـ «ـسـالـيرـنـوـ» ، أـمـاـ نـاحـيـةـ «ـبـاسـتـومـ» فـأـوـلـ صـوتـ مـزـقـ حـجـابـ الصـمـتـ أـرـسـلـهـ مـكـبـرـ لـلـصـوتـ يـقـولـ بـنـبرـةـ : «ـإـنـتـمـ لـسـلـمـونـ ! تـقـدـمـواـ وـسـلـمـواـ !』 وـفـجـأـةـ أـضـاءـتـ الشـاطـئـ قـتـابـلـ مـنـيـةـ وـأـخـذـتـ الـأـسـلـحـةـ تـتـكـلـمـ . لـمـ يـكـنـ لـلـتـرـولـ الـمـعـجزـةـ فيـ «ـكـالـاـبـرـيـاـ» ، وـلـاـ لـلـتـرـولـ السـهـلـ فيـ «ـصـقـلـيـةـ» ، أـنـ يـتـكـرـرـاـ هـنـاـ . فـثـمـةـ جـنـودـ أـلـمانـ قـدـ

كـانـتـ مـجـمـوعـةـ الـجـنـوبـ تـشـملـ فـرـقـيـنـ مـصـفـحـتـينـ . وـثـلـاثـ فـرـفـ منـ قـوىـ النـخبـةـ الصـفـحةـ ، وـفـرـقـيـنـ مـنـ الـمـظـلـيـنـ ، وـكـانـتـ مـوزـعـةـ إـلـىـ فـيـالـقـ تـلـاثـ : الـفـيـلـقـ ٧٢ـ الـذـيـ أـخـرـ تـقـدـمـ «ـمـونـتـغـورـيـ» الـحـذـرـ فيـ «ـبـالـازـيلـيـكـاتـ» وـ«ـالـبـوـيـلـ» ، وـالـفـيـلـقـ ١٤ـ الـمـرـابـطـ فيـ مـنـطـقـةـ «ـنـابـوـلـيـ» ؛ وـالـفـيـلـقـ ٢ـ الـمـرـابـطـ فيـ مـنـطـقـةـ «ـرـوـمـاـ» . أـمـاـ فيـ «ـسـرـدـيـنـياـ» فـقـدـ تـلـقـتـ مـجـمـوعـةـ الـدـبـبـاـبـاتـ ٩٠ـ الـأـمـرـ بـالـحـلـاءـ عـنـ الـجـزـيرـةـ . وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـتـنـقـلـ أـوـلـاـ إـلـىـ «ـكـوـرـسـيـكاـ» حـيـثـ سـتـنـضـمـ إـلـىـ الـحـامـيـةـ الـمـلـحـيـةـ وـقـوـامـهـ لـوـاءـ الصـاعـقـةـ «ـرـايـخـ فـوهـرـ» . وـمـنـ ثـمـ تـنـسـحـبـ إـلـىـ الـقـارـةـ مـارـةـ بـخـزـيرـةـ «ـإـلـاـ» .

لـمـ تـأـخـذـ الـعـمـلـيـاتـ «ـكـيـسـلـرـنـغـ» عـلـىـ حـيـنـ غـرـةـ ؛ فـقـيمـاـ كـانـ خـلـيجـ «ـنـابـوـلـيـ» مـنـيـعـاـ بـفـضـلـ نـيـرانـ مـدـفـعـيـةـ مـتـشـابـكـةـ . اـفـتـحـ خـلـيجـ «ـسـالـيرـنـوـ» وـاسـعـاـ . وـلـمـ تـرـلـ مـجـمـوعـاتـ الـمـطـارـدـ الـمـارـبـاطـةـ فيـ «ـصـقـلـيـةـ» خـارـجـ نـطـاقـ الـتـاـخـدـلـ . حلـتـ فـرـقـةـ الـدـبـبـاـبـاتـ ١٦ـ فيـ الـقـطـاعـ فيـ مـطـلـعـ أـيـلـولـ ، وـحـالـاـ شـاعـ خـبـرـ الـتـخـاذـلـ الـإـيطـالـيـ الـأـوـلـ اـسـتـولـتـ عـلـىـ الـمـشـاشـاتـ كـلـاـهـاـ . مـنـ أـعـشـاشـ الـرـشـاشـاتـ إـلـىـ مـاتـرـيـسـ الـمـدـفـعـيـةـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ مـشـاشـاتـ فـرـقـةـ الـدـفـاعـ الـسـاحـلـيـ ٢٢٢ـ ، رـامـيـةـ بـالـرـاصـاصـ الـجـنـزـالـ «ـفـرـانـيـ غـونـزـالـوـ» الـذـيـ حـاـوـلـ أـنـ يـقاـوـمـ . ثـمـ وـرـزـ فـوـجاـ النـخـبـةـ الصـفـحةـ عـلـىـ طـولـ الشـاطـئـ ، أـمـاـ فـوـجـ الـدـبـبـاـبـاتـ الـمـجـمـوعـ فيـ الـوـسـطـ فيـ «ـبـاتـيـالـاـ» فـقـدـ اـحـتـفـظـ بـهـ لـلـهـجـمـاتـ الـمـعـاكـسـةـ .

كـانـ الـجـيـشـ الـخـلـيفـ ، الـذـيـ اـنـطـلـقـ لـفـتـحـ «ـإـلـيـطاـلـاـ» لـيلـ ٩ـ٨ـ أـيـلـولـ . يـتـأـلـفـ . بـالـرـغـمـ مـمـاـ يـشـيرـ إـلـيـهـ اـسـمـهـ (ـالـجـيـشـ الـخـامـسـ الـأـمـيرـكـيـ) وـبـالـرـغـمـ مـنـ هـوـيـةـ قـائـدـهـ (ـالـجـنـزـالـ «ـمـارـكـ وـيـنـ كـلـارـكـ») مـنـ ١٠٠،٠٠٠ـ بـرـيـطـانـيـ . مـقـابـلـ ٦٩،٠٠٠ـ أـمـيرـكـيـ . كـانـ نـسـتـ الـانـقـضـاضـ يـشـملـ الـفـرـقـيـنـ الـانـكـلـيـزـيـتـيـنـ ٤٦ـ وـ ٥٦ـ الـلـاتـيـنـ تـشـكـلـانـ الـفـيـلـقـ ١٠ـ بـقـيـادـةـ الـجـنـزـالـ «ـمـاـكـ كـرـيرـيـ» ، وـالـفـرـقـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ٣٦ـ الـمـنـتـمـيـةـ إـلـىـ الـفـيـلـقـ ٦ـ الـأـمـيرـكـيـ . نـزـلتـ هـذـهـ الـأـخـيـرـةـ فيـ «ـبـاسـتـومـ» عـلـىـ الشـواـطـئـ الـتـالـيـةـ : «ـالـأـزـرقـ» وـ«ـالـأـصـفـرـ» وـ«ـالـأـخـضـرـ» وـ«ـالـأـحـمـرـ» ؛ وـنـزـلـ الـانـكـلـيـزـ جـنـوـبـيـ (ـسـالـيرـنـوـ) عـلـىـ شـواـطـئـ «ـرـوـجـرـ» وـ«ـشـوـغـرـ» وـ«ـأـنـكـلـ» تـفـصـلـ مـاـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـأـمـيرـكـيـنـ مـنـ الـمـسـتـقـعـاتـ بـيـلـعـ طـولـاـ ١٥ـ كـلـمـ تـقـرـيـبـاـ ، يـوـلـقـهـاـ مـصـبـ جـدـولـ صـغـيرـهـ هوـ (ـسـيـلـيـ) . هـذـاـ وـعـدـتـ كـتـيـبـاتـ مـنـ الـقـدـائـيـنـ الـبـرـيـطـانـيـنـ ، وـثـلـاثـ كـتـائـبـ مـنـ (ـالـنـجـرـ) الـأـمـيرـكـيـنـ ، إـلـىـ تـمـدـيدـ الـعـمـلـ مـاـ وـرـاءـ (ـسـالـيرـنـوـ) حـتـىـ صـوـاحـيـ (ـأـمـالـفـيـ) . سـهـلـ الـرـوـصـولـ إـلـىـ الشـواـطـئـ نـسـبـيـاـ فـيـمـاـ صـعـبـ التـوـغلـ فيـ الـبـلـادـ الـدـاخـلـيـةـ ؛ فـمـخـرـوـطـ (ـمـونـيـ سـوتـيـنيـ) وـزـاـوـيـةـ (ـمـونـيـ سـوـبـانـوـ) ، يـشـرـفـانـ عـلـىـ جـنـوـبـيـ مـيـدانـ الـقـتـالـ . أـيـ عـلـىـ الـقـطـاعـ الـأـمـيرـكـيـ ؛ وـيـنـحـصـرـ السـهـلـ

يفكر بإحراق كميات المؤن الكبيرة التي أُنزلت على الشاطئ .
بيد أنَّ مصير رجل عسكريٍّ كبيرٍ كان رهناً بذلك التزاع ، فلقد
أعلم «لينزهاور» أنَّ قيادة غزو «أوروپا» الغربية ستُؤْتَى إلى أميركيٍّ ،
وما كان ليجهل أنَّه في طليعة المرشحين . كان إخفاق التزول هنا
والحالة هذه، يقضي على حظه هناك . ولقد عبر عن ذلك إذ قال متفاسقاً:
«إنَّ أخفاقت عملية «سايلرتو» احترقْت أنا وقضى على ...»

استحال الغبار في ميدان القتال سحابة خالقاً ، فتكمم الرجال
بمناداتهم كأشقياء «الوسترن» . وضغط الألمان بكل قواهم . وفي الساعة
٦٠٣٠ من يوم ١٣ أيلول تمكنت ١٥ دبابة من طراز «بز لـ كف ٤»
من باوغ الجسر المحرق الذي يعبر نهر «كالوري» بالقرب من نقطة التقائه
«بالسيلى» التي يبلغ بعدها عن البحر ٧،٠٠٠ متر . فحمد «كلارك» نفسه
إلى تشغيل مجموعتي مدفعية الميدان ١٥٨ و ١٧٩ ، فأغرقتا الوادي بالقذائف
وأوقفتا الدبابات . وما مررت ساعتان حتى سقط من الجو ٢٠،٥٠٠ مظلي
من رجال فرقه «إيربورن» ٨٢ . التي غدت شاغرة بعد التخلي عن
المبوط في «روما» . تماماً قرب مصب «السيلى» . على أكثر نقاط رأس
الحسن تعرضاً بالذات .

أعاد الألمان الكثرة يومي ١٤ و ١٥ ، بيد أن حيوية المعركة وقوتها قد انقلبنا ، وبذا تفوق الطيران الحليفي مرهقا ساحقاً . واعتبرضت السفن الكبيرة في الخليج بعد تنظيفه من الألغام . أعطى الطراز الأميركي «ساافانه» و «الوارسبيات» العتيق بما أصابها من قنابل موجهة بالراديو . وهو سلاح ألماني جديد . غير أن نيران المدفعية البحرية ، التي أخذت تعتمل الطرقات وترمي الدبابات على رومي الناظر ، قد انتزعت من الألمان كل فرصة في سحق رأس جسر «سايلرنو» قبل أن يدرك كفهم الجيش الثان من خلاف . فأذعن «كيمارنخ» ل الواقع ، وأمر بالانكفاء إلى خط الصمود الأول الذي يسير ومحتر «النولتونو» ويبلغ «الأدرياتيك» عن طريق «كامبيوسو» و «تيرموولي» . جرى التراجع بانتظام ، ترافقة في المؤخرة عسكريات نشيطة وأعمال تدمير أحرى تقادم الطافرين .

الأول . فإذا المدينة في حالة مربعة خفيفة . فلقد خرب الأлан المרפא .
وأحرقوا الأحياء السفلي . وفجروا أقبية الماء والكهرباء ، ودمروا حتى معامل «السباغي» . مضيقين بذلك إلى قسوة الواجبات العسكرية غضبية التأثير والانتقام . فاضطэр الأمير كيرون والإنكليلز إلى إعالة مليون من المدنيين أمسوا فريسة الجروح والوباء .

في ٦ تشرين الأول احتل الحلفاء مدينة «كايبو» . وأدر كوا - هر «فولتونزو» . فتم بذلك فتح رب الأراضي الإيطالية .

أَسْرُ الدُّوْتِشِي وَلِتْرِيرَه

أو جد «رسوليبي» بعد سقوطه معضلة عويصه . كان قد نقل إلى حزيرة «بونزا» في عرض «نابولي». ومن ثم إلى جزيرة «مادالينا» شمالاً «سردينيا» في ٨ آب . كانت حكومة «بادوليو» عالمة بأنَّ الألمان يفكرون وناختلف الدوتشي . كما كانت عالمة بأنَّ الدوائر السرية الخليفة كانت تسعى لاعتور على موضع احتجاجه لاغررض نفسه . فسواء أسر «تشرشل» «رسوليبي» . أم حررته «هتلر» . فالعاقب لن تكون رضيه بتاتاً . بل قد تكون وخيمة على المارشال والملوك على السواء .

وفي «بونزا». حيث كان الأسير قد وصل على متن السفينة «برسيموني». بقى أسبوع طوالاً يعاني الشدة والشقاء . فالجزرية قد استخدمت لإيواء المعدبين لفاصحة المفيدين . وكان أحدهم . وهو «الزانبيوني» . ما زال فيها.

أمر وا بالصمود بقوّة .
ردّ الأمير كيتون على التهديد الواقع بنشاط واندفاع . فألقوا بأنفسهم في الكثبان وانتزعوا «باستوم» ، ثم الطريق والخط الحديدي ، فبلغوا الأهداف المعينة لذاك اليوم . وشقوا لأنفسهم رأس جسر يبلغ عمقه ٥ كلم سرعان ما تكسّس عليه جبل من العتاد . لم يحرز الانكليز من النجاح . وأكثرهم من قدماء حرب الصحراء ، ما أحرزه مبتدئو الفرقة الأميركيّة ٣٦ . فلم ينتزعوا مدينة «تاتيليا» الصغيرة . ولا مطار «مونتيكورنيون» الصغير ؛ إلا أنَّ رأس جسرهم ، وقد أرساه عن اليسار بزوب المغاوير . قد توطّد منذ المساء الأوّل .

وتكبد الانكليز مشقة كبيرة في اليومين التاليين للاستيلاء على «البلرونو» و«مونتي كورينتو» و«باتيبياليا». وشعر الأمير كيرون بالمقاومة الألمانية تابن أمامهم. فانتزعوا إحدى الفرق بلدة «ألتافيلا» المرتفعة المشرفة على وادي «كالورى». وأنزل «كلارك» احتياطيه العائم. أي الفرقة الأميركية ٤٥. فتقدمت في رتبين اثنين مبتممة شطر «بونتي سوللي» حيث تمر الطريق وانلخط الحديدى اللذان يحترزان «إيبولي» ثم يتوعثان في منطقة «ميتر و جيورنو» ذات الفقر المدقع الظاهر. فبدأ أن البقاء «معنتمغمى». وشلث ، وأن الغزو قد نجح.

البقاء «بموسيعوري» وبيت «ون امنرو» ونبع . ييد أن التدابير التي اتخدتها «كيسلنغ» أنت بارعة سريعة ؛ فقد أفاد من حذر «موتفورمي» المفرط . فسحب فرقه الدبابات ٢٦ والفرقة المصطفية الممتازة ٢٩ ليقذف بهما على جانب رأس الجسر الأيمن ، فيما قذف الحانب الأيسر بالفرقة المصطفية الممتازة ٣ ، وفرقه القناصه المظليين . اللتين وضعتا حدآ لمشكلة «رومَا» . ووجه ما تبقى من فرقه «هرمان غورنخ» ، وفرقه الدبابات الممتازة ١٥ ، ناحية القلب . حيث كانت الجبهة الألمانية مهدد بالتصدع . وفيما خُسِّل «الكلارك» أنه يمسك بزمام النصر . انهالت على جنوده العديمي الخبرة هجمات معاكسة عنيفة ، فتالت الإصبعين اللتين مددهما نحو «بوني سيلي» ضميم شديد . وانتزعت «أنتافيلا» التي كانت قد سقطت بسهولة ، بعد عراك مرير . وشهاده مصنع «برسانو» للتبغ ، الواقع في وادي «سيلي» ، محزرة الدبابات الأميركية . مما جعل الكولونيل جنزال «فون فيتنغوف» قائد جبهة «سايرنو» . يعلن «لكيسلنغ» في ١٣ أيار أنه يأمل إبقاء الغزارة في اليمين مسافة اليرم ذاته . وبلغ استعداد «كلارك» للتسليم بذلك حدآ بات معه

جنود بريطانيون من سلاح الإشارة يتعرضون لنيران العدو.



ينصرف عبر الطريق البريّة كما فعل الجنرال الإيطالي «سوليني» الذي وصل على متنه الطائرات الشراعية ، أو كما فعل مفروض الشرطة «غولي» الذي كلفه «بادوليو» بحراسة الدوتشي المخلوع ، والذي كان قد قيد نفسه بمصيره . وبلغ الرجال «باتريشيا دي ماري» من غير تأخير فأمكنته ركوب طائرة «هاينكل» كانت متوجهة إلى «فيينا» حيث وصل «موسوليني» عند منتصف الليل وهو يكاد يموت لشدة وعده . وأجاب «موسوليني» «هتلر» الذي اتصل به هانفياً مرحباً ، بأنّه مريض ، وبأنّه بحاجة إلى النوم . وفي اليوم التالي توجه إلى «مونيخ» حيث كانت «دونتا راشيل» في انتظاره برفقة ولديه ما الأصغررين «رومانيو» و«أنّا ماريّا» . وكان عضوان آخران من أفراد العائلة موجودين في «مونيخ» هما «إدا» و«غالياتزو تشيانو» . كانا قد غادرا «roma» بمساعدة الجيش الألماني . مزودين بتأشيرية إسبانية ، وهما مقتنعان من تمكّنهما من الذهاب إلى «مدرید» جوّاً منذ اليوم التالي . ولكنّ انتظارهما قد طال !

وكانت المقابلة الجديدة بين «هتلر» و «موسوليني» في «راسينبورغ» في 15 أيلول. وقد حضر المقابلة مؤرخ متوفّد الذي كان هو الدّكتور «غوبلز». بصفته وزيراً للدعائية كان قد الحقّ بعثرة «غران ساسو» إطناناً رئاتاً، ولذلك، بصفته رجل دولة ، أبدى الكثير من التحفظ . وقال «غوبلز» في مذكّراته : «يجب أن تضمّ حدومنا [فينيسيا] ، فضلاً عن «التيروول» الجنوبي . ولوسوف نجد صعوبة في الحصول على ذلك إذا ما عاد الدوتشي إلى الظهور على المسرح السياسي». وكان «كينيل» و «رومبل» يعتقدان كذلك أنّ حكومة فاشية عاجزة تعقد المهمة الألمانية ، وأنّ احتلالاً عسكرياً صرفاً كان الأفضل . «فموسوليني» قد بات يزوج محرريه عندما عملوا على تحريره . وكان إلى ذلك يحيّب آمالهم . قال «هتلر» «الغوبنلز» : «لقد كنت أتوقع أن أجذّل لدى [موسوليني] ، قبل أي شيء آخر ، إرادة وطيدة في الانتقام من الذين خانوه جمیعاً . ولكن هذا الأمر ليس بمتناول يده ، وهذا ، لعمري ، يشير إلى إمكاناته المحدودة. فإيطاليته مثالية للدرجة لا تحوله أن يكون ثورياً ومتمرداً مثل «ستالين» ومثلي أنا . ولقد لقيت صعوبة ما بعدها في دفعه إلى الاعتراف بأنّ «غراندي» كان خائناً حقاً... إنّ تأثير ابنته [إدا] تأثير مقيت . فلقد أتت لزياري منذ أيام تعرّب لي عن رغبتها في السفر مع زوجها إلى «أميركا» الجنوبيّة ، طالبة السماح في تحويل ٦ ملايين لير إلى بيزيتاس.

الولايات تتوالى على «نابولي» ؟ فقد أحرقها الألمان ، وها هم الحلفاء يقدّفونها بالقتنابل !



وأَمَّا مِيلَاد الدُّوْتُشِي السَّنْتُونَ ، الَّذِي كَانَ «هَتَّار» يُرِيدُ جَعْلَهُ احتِفَالًاً بِاهْرَأَ لِصَدَاقَةِ بَطْوَلِيَّةٍ ، فَقَدْ انْقَضَى فِي الْوَحْدَةِ . وَبَعْدَ انْقَضَائِهِ بِأَيَّامٍ وَصَلَّتْ إِلَى الدُّوْتُشِي هَدِيَّةً «هَتَّار» . وَهِيَ مُؤْلَفَاتٍ «نِيْتِشِي» . وَأَمَّا «رَاشِيل» فَقَدْ بَعَثَتْ إِلَى زَوْجِهَا بِهِدِيَّةٍ أَكْثَرَ تَوَاضُعًاً . وَهِيَ عَبَارَةٌ عَنْ بَعْضِ الْبِيَاضَاتِ ، وَ ۱۰۰۰۰ لِيرٍ . وَكِتَابٌ «حَيَاةٌ يَسُوعٌ» .

كانت «بوزرا» معرضاً لهجوم انكلزيّ مفاجيء، وكانت «مادلينا». وهي أرخيبل صغير محول إلى قاعدة بحرية. تشكّل الخطّ المعاكس. إذ أنَّ فرقة من الفرق الألمانيّة كانت ما تزال تحتلّ «سردينيا». وفي ١٨ حلقت فوق الجزيرة طائرة ألمانيّة أثارت ريبة «روما». وفي ٢٨ هبطت طائرة إسعاف لنقل «موسولي尼» الذي كان مقیماً في منزل مريح وسط أشجار السرو. وقد شرع في قراءة «نيتشي» وهو راضٍ كلَّ الرضى عن إقامته. فرضخ لعملية نقله الجديدة بكثير من التململ. هبطت طائرة الإسعاف التي ماتت على يده «اشناف» في الـ ١٩.

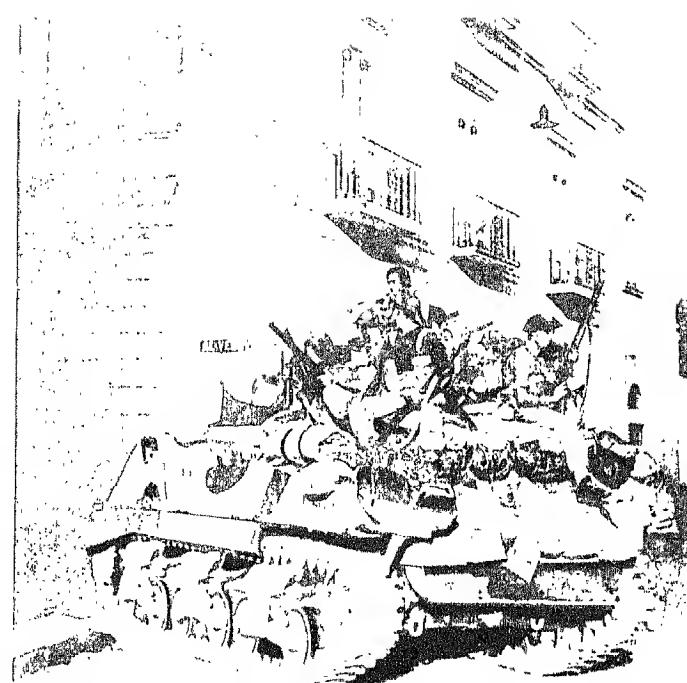
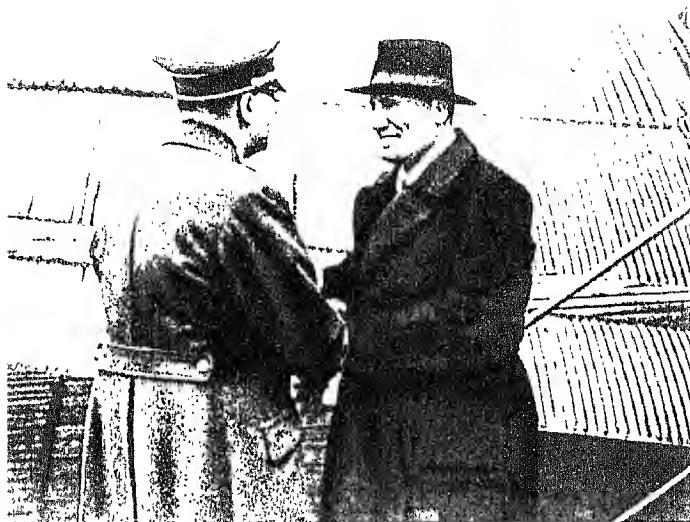
وهي بخط طائره الإسعاف الجوماتيه على بحيرة «براشيشابو» في الريف الروماني . واستونفت الرحلة في عربة إسعاف . وانتهت بخط تيليفيريك «غران ساسو ديتاليا» . لم يكن هنالك أي دليل يشير إلى أن ذروة جبال «الأبيان» تلك . وهي ثلاثة طرية جلخاء . بين «أسيلا» و «بيسكارا» . كانت تقوم مقام السجن . فمركز الرياضة الشتوية هذا ، الذي يبلغ ارتفاعه ١٠٢٦ مترًا . يحمل اسم «المخيّم الأمبراطوري» ، وهو توبيه مرير بالنسبة للدلوتشي المخلوع . وأقام الدوتشي في الفندق الذي يحمل الاسم نفسه . وسط متين من رجال الشرطة .
كاد اختطاف «مسؤوليه» أن ينجمح في «المadalina» . فطاولة ١٨ آب

كانت تقلـ «الشـورـمـانـفـوـهـرـ شـكـورـزـيـ» ، وقد كان الاختطاف وشيـكاـ في الوقت الذي تمـ فيه نـقلـ الـأـسـيرـ إـلـىـ القـارـاءـ . وأـمـاـ «أـدـولـفـ هـتـارـ» . الذي كان تعلـقـهـ بالـصـدـاقـةـ هوـ شـعـورـهـ الإـنـسـانـيـ الـوـحـيدـ؛ فقد تعـهـدـ بإـلـقـاذـ ذلكـ الرـجـلـ منـ مـصـيـرـهـ المـشـوـرـمـ . ذلكـ الرـجـلـ الذيـ لمـ تـبـعـدـ عـنـ أـيـةـ خـبـيـةـ قـطـ . وقد حـدـدـتـ دـوـاـئـرـ الـاسـتـخـارـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ سـرـيعـاـ مـوـقـعـ الـاحـتجـازـ الـجـديـدـ . فـأـكـيـقـ الـفـوـهـرـ عـلـىـ وـضـعـ تـفـاصـيلـ الـاخـتـطـافـ بـنـفـسـهـ .

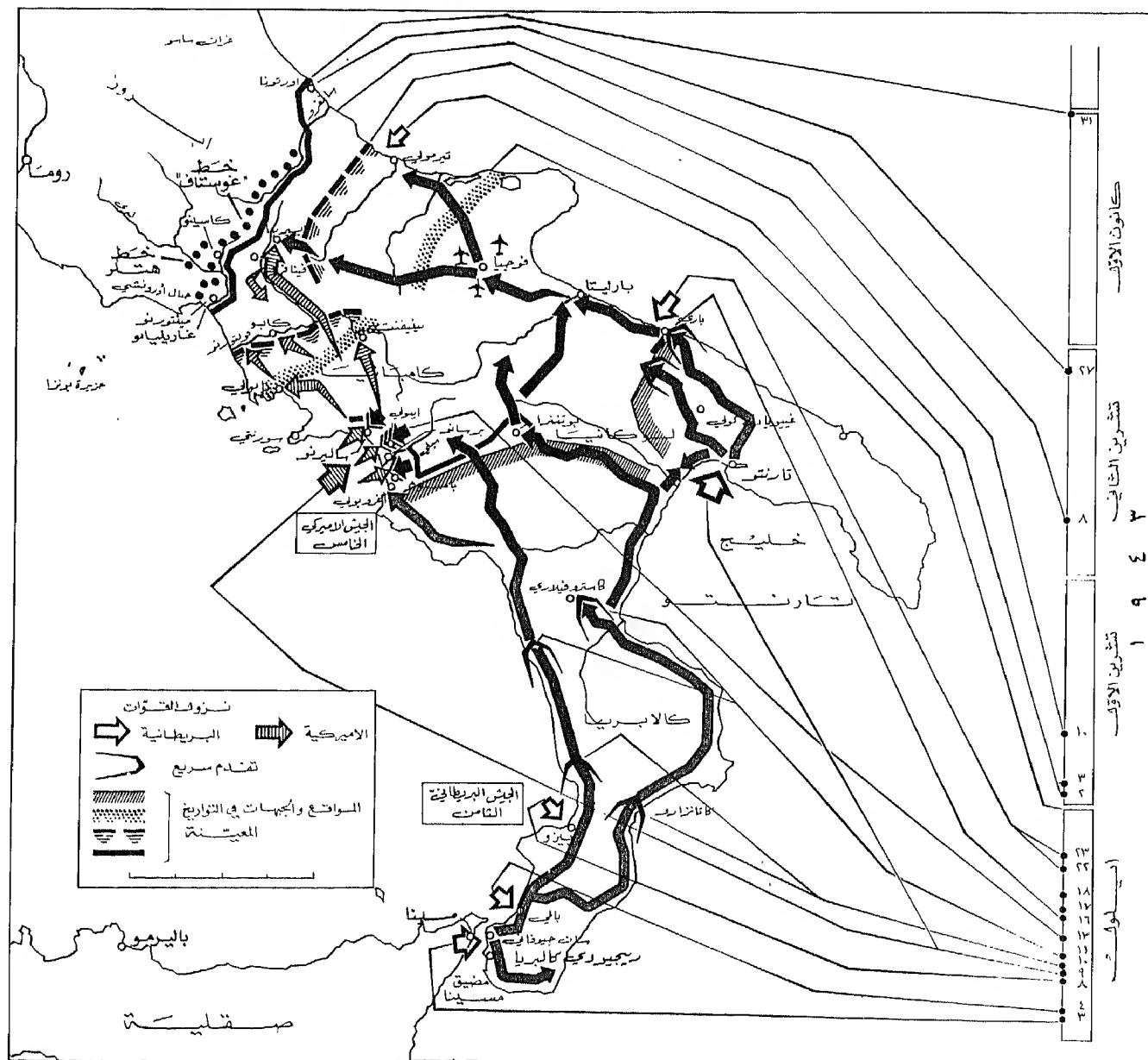
في ١٢ أيلول . وفي الساعة ٢ بعد الظهر ، راح بعض الطائرات يرعد على سفوح «الغران ساسو» . ومن جملة الطائرات الشراعية الـ ١٢ التي أطلقت . ببطت ٨ على أرض فندق «المixin الامبراطوري» الحضراء . وساق «موسوليبي» إلى النافذة فأبصر منقاديه ينقضون كالصاعقة في الوقت الذي أركن فيه سجنه إلى الفرار . وفي نقطة سفلی من ذلك المكان . وعلى علو ألف متر . كانت مفرزة أخرى من المفارز الصاعقة تسيطر على خط التلييف يكث . بعد وصولها بطريق البر . وكان «كارمين تشينزي» . الذي أعيد تعيينه رئيساً للشرطة . قد شهد مرور هذه المجموعة الأخيرة في «أكيللا» . ولكنه لم يأتِ حراكاً . فلادلة كانت قد عممت منذ أربعة أيام . ولو أن «بادوليو» قد احتفظ «موسوليبي» لوجب عليه تسليمه للछفاء . وهذا إن «هتار» قد وفر عليه هذا الصنع المخزي .

وبعدما تحرر «موسوليسي» لم يعرب عن غبطةه مطلقاً . بل طالب بالعودة إلى «روكادلي كاميناتي». ولكن «شكورزيني» أعلمته بأنَّ لديه تعليمات للذهاب به إلى قاعدة «باتريشيا دي ماري» الالمانية قرب «روما». وكانت طائرة صغيرة ذات مقعدين قد حطت لتوها بصعوبة فاقفة قرب الفندق . فصعد «موسوليسي» إليها وفي نفسه خوف مبهم . وهو لما يخلق ذفةه ، يرتدي معطفاً تقليلاً واسع الأطراف . ويعتمر قبعة مجعدة . وكأنه مهاجر هرم . وجلس «شكورزيني» البدن كييفما تيسير ذلك بالقرب منه على مقعد الركاب الوحيد . وما إن أقلعت الطائرة الصغيرة حتى ظنَّ الحاضرون أنَّها ستهوي وتحطم . كانت تلك المخاطرة باطلة . فقد كان بميسور «موسوليسي» أن

مصحف «حرس الملكي» في
التنزيه الشوارع «ذابولي».



«هتلر» يستقبل «موسوليسي» في «ألمانيا».



نَزْوُلُ الْخَلْفَاءِ
وَتَقْدِيمُهُمْ فِي
«إِيطَالِيا» الْجَنُوَيْتَةِ.

وكانت مفرزة من المفارز الصاعقة تخرس مقر الفاشية الجديدة . وكان ضابط ألماني يراقب مجالس الدوتشي ، ويقدم يومياً لرؤسائه تقريراً عما يقوم به في كل لحظة . ولقد أعاد الألمان «إيطاليا» إيطالياً آخر : فقد وضع الكونت «تشيانو» في طائرة أقلته تحت الحراسة إلى «فيروني» حيث سُلِّم إلى الشرطة الإيطالية التي سجنته في سجن «سكالزري» : فدخل إليها والالبالة باديه عليه ، وهو يرتدي معطفاً فاتح اللون ، وبصرحاً بأنه سعيد لكونه قد تخلص من سجنائه الألمان . وبعد أيام لاحظ أن الاثنين من جنود الصاعقة كانوا يقومان بالحراسة خارج بابه . فاجتاحه الحوف من جراء ذلك .

تضليل ضد أفعى ذات رؤوس سبعة

كان الهجوم السوفيatic على ناتة «أورييل» قد أرغم الجيش الألماني على التخلي عن هجومه على ناتة «كورسلك» . وفي اليوم الذي اتحد فيه ذلك القرار ، أي في ١٧ تموز ، شن الروس هجومين آخرين على ميمنته مجموعة جيوش «مانشتين» ، الأول على «الميرس» شمالي «تاغنروغ» . والثاني على «الدوبيتر» شرقي «إيجوم» ، فحققتا نجاحاً باهراً ، وفتحا في الخطوط الألمانية ثغراً يراوح عمقها بين ٢٠ و ٣٠ كم ، وعرضوا للخطر منطقة «ستالينو-فورشافغراد» الصناعية ، وهدداً «خاركوف» .

يستمر القتال في أتون تموز الالهاب ، وإذا بالحاصل الذي وضعته القيادة الألمانية في أول آب مُرضِّ موافق ؛ فبعدما سحب «مانشتين» من ميسيرته فيلق الدبابات ٣ ، وفيلق الصاعقة المصفحة ، تمكن من إيقاف الروس وأعاد جبهته إلى النورين ، آمراً ١٨،٠٠٠ رجل ومدرعاً ٧٠٠ دبابة و ٩٠٠ مدفع . وسارت المعركة الدفاعية في ناتة «أورييل» كذلك سيراً ملائماً نسبياً ؛ فأوقف تقدم «غورباتوف» على ٦ كلم من «أورييل» ، وسدت فرقه «المانيا الكبرى» الثغرة الخفية التي فتحها «بغراميان» في اتجاه الخط الحديدي الوحيد في القطاع . هنا ، وكان «هتلر» قد سمح أخيراً باللاء عن الناتة ؛ ذلك أن «فون كاروغني» كان يحسب أنَّ انتصار الجبهة سيمكنه من أن يسحب من المعركة ١٧ فرقة يعيد بها تشكيل كتلة الاحتياط التي أعزته حتى ذلك الحين .

بدت أزمة الصيف على الجبهة الشرقية وكأنها قد أبعدت . فأعلن «هتلر» لزيتزار «أنَّ البحر المتوسط في عام ١٩٤٣ (أهم من روسيا) ، فتسلى بعض التجاذبات ، لاسيما فرق الصاعقة التي كانت معارك تموز قد أرجأت ترحيلها ، وثائقَ سيره إلى «إيطاليا» .

دامت فترة الاستراحة الشمينة هذه ثلاثة أيام ؛ فيما حلَّ يوم ٣ آب حتى أخذت ٣،٠٠٠ قطعة من قطع المدفعية تفت حسمها حول ناتة «خاركوف» . لم تكن معارك تموز غير مقدمة ، أمَّا الهجوم السوفيatic الصيفي الحقيقي فقد بدأ الآن .

إذ ذلك تملَّك قادة «المانيا» ، المدنيين منهم والعسكريين . ذهولٌ كاد يبلغ حدود الذعر ؛ وتحسَّن ذلك الشعور في صورة هي صورة الأفعى ذات الرؤوس السبعة . فخلع «غوبيلز» لحظة قناع تفاؤله العين ، وأسرَّ إلى «غوديريان» بأنه قد يات من الضوري الاستعداد لوصول الروس إلى «برلين» ، والتفكير «بتسميم نسائنا وأولادنا» . ولقد باتت الانتصارات ذاتها لا تجدي في وجه تنين يمتاز بقدرة على التملاك والتتجدد تبدو غير محدودة . ففي العام المنصرم اعتقاد أقلَّ الجنرالات ميلاً إلى الأخذ بأوهام «هتلر» أنَّ التلف قد أدرك الجيش الأحمر . فإذا بوجة ثلاثة ، أضخم

«موسوليبي» يعود إلى الإمساك بزمام وظيفته . يا لها من أوهام !

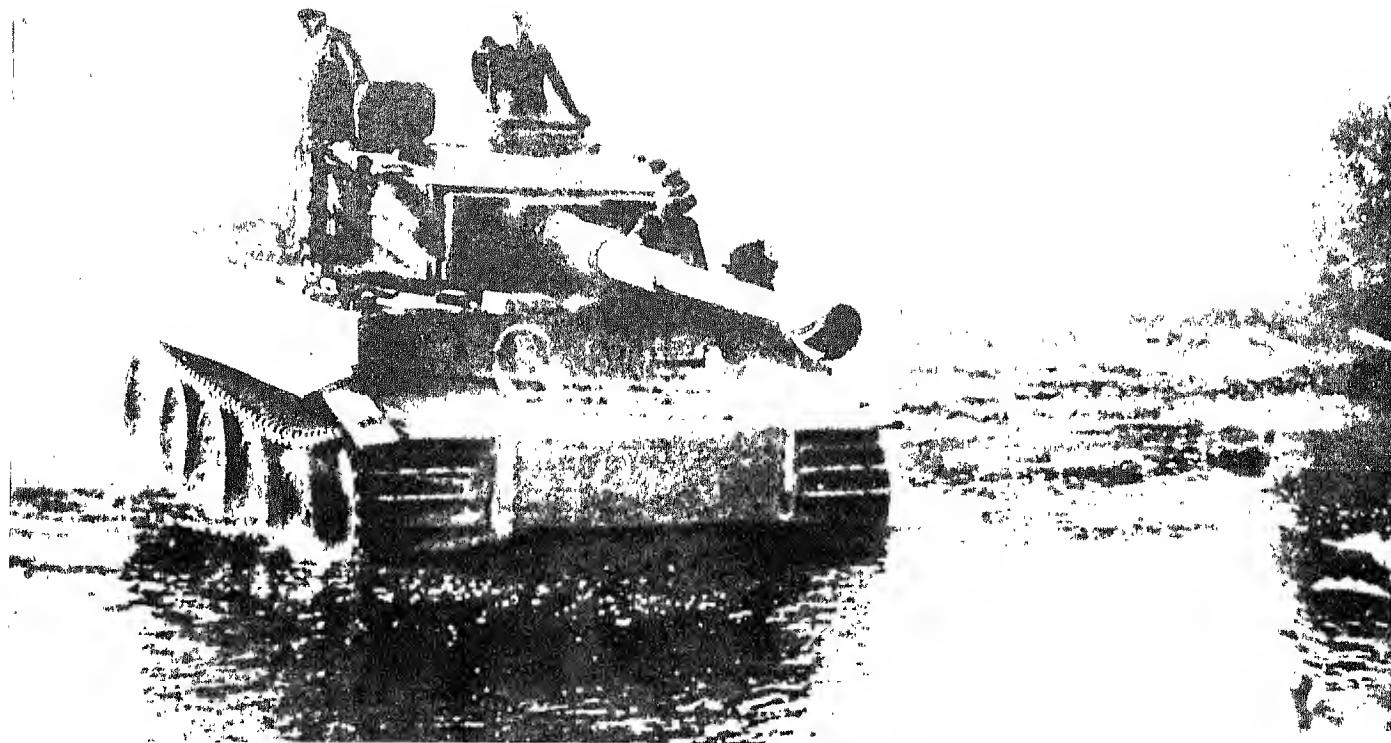
وقد بلغت بها الوقاحة أن عرست على عمولة مقابل ذلك ! وفي «موينيخ» كانت قد بدأت تعمل على مصالحة «تشيانو» مع أبيها . فجلسي إذَا أنَّ الدوتشي لن يستطيع معاقبة الحونة إن هو أراد أن يستثنى صهره الخاص . وهذا ما يجعل أمري به يخيب » .

كان أمر إبعاد ذلك الرجل الذي سبب تلك الخيبة وهنا «هتلر» دون سواه . لم يكن «موسوليبي» المتحطِّم يتزعَّ لغير الرحمة . وإذ عارض «هتلر» عودته المباشرة إلى «إيطاليا» . قضى أسبوعاً في قصر وسط غابة بفاريتة ، وهو يتساءل عمَّا إذا كان قد انتقل من أسر إلى آخر . وفي تلك الأثناء كان الألمان يعيدون تنظيم «إيطاليا» . فوضع «أديج» الأعلى و«فينيسيا» الجولية تحت سلطة الحاكمين «هوفر» و«ريتر» . وقسم ما تبقى من البلد إلى منطقة عمليات خاصة لقادة الجيوش . وإلى منطقةاحتلال . وأمَّا الفاشية فقد بدا وكأنها لم تجد لها مكاناً على هذه اللوحة .

مع ذلك كانت الفاشية تعود إلى الانبعاث بصورة ضعيفة . عاد بعض الدوائر إلى فتح أبوابه . وأعيد إنشاء بعض الفرق ، وراح القادة الذين أوقفوا بعد ٢٥ تموز يغادرون السجون في حين حلَّ الديموقراطيون محلَّهم في زنزانتهم . وحصل الحزب على نعمت «جمهوري» وهو يفضح «خيانته الملكية الكاملة والمعتمدة» . وعيَّن «باوليني» أميناً عاماً ، وكان في «روما» حيث راحت السلطات الألمانية تسعى لمعاكسة جهوده . وقد جرى التساؤل في ذلك الوقت عمَّا إذا كان بلغ ١٥ أيلول ، الذي أعلنه أنَّ «موسوليبي» سيعود إلى تسلُّم مهام منصبه ، سيفقى لغواً باطلًا ؛ إلا أنَّ انضمَّ المارشال «غرازياني» ، الذي قبل وزارة الدفاع لكرهه «بادوليو» . أعاد الحياة إلى الآلة الحكومية . وفي ٢٣ أيلول ، وبعدما قوي «موسوليبي» بفضل هذا الانضمَّ المفاجئ ، غادر «موينيخ» ووصل إلى «روكآدي كاميناتي» . وطوال ثلاثة أسابيع يهيء منزله الخاص مقرَّ حكومته ، فاستعاد فيه بعض قواه ، وعادت إليه قابليته للطعام ، وكان يبدو من وقت لآخر أنه قد استعاد الصفات التي كانت له قبل مدة .

إنَّ دليلاً عودة «موسوليبي» إلى الحكم كان في إمكانية عودته إلى «روما» . وصرَّح الألمان بأنَّ مثل هذا الأمر لم يكن بالحسبان . وقد أتى اختلاف مدلل «روما» ، مدينة مفتوحة يعلَّق الفاشية الجديدة إلى عاصمة تافهة . وهي مدينة «ساتو» الصغيرة على الضفة الغربية من بحيرة «غاردي» : فوصل «موسوليبي» إليها في ١٠ تشرين الأول برفقة «دونتا راشيل» . وقد وزعت الوزارات على المدن الكبيرة في شمال «إيطاليا» ؛ ولقد قيس مستوى الحكومة على الصعيد الدولي في مذكرة إسبانية ردَّاً على طلب ألماني ، تقول : «إنَّه ليس بالإمكان الاعتراف بشبح» .

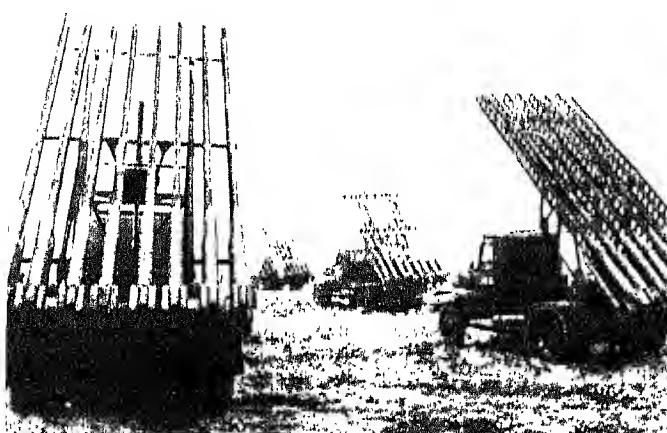




دبابة «تيغر» تقطع مهراً في الجبهة الشرقية . نحن الآن في جحيم تموز .



في ١٦ تموز ١٩٤٣ كانت استعدادات الجيشsovietiي المصباح الثالث للهجوم في جبهة «فوروينج» قائمة على قدم وساق . في الصورة عدد من كبار الضباط في مقرهم العام . وبيدو بينهم «نيكينا خروشيف» يتكلّم بالهاتف .



وأعلى من الموجين السابقين . تتجدد عام ١٩٤٣ من الأبعاد السوفياتية وتغزو الجيش الألماني .

ففي وجه فرق المشاة الـ ٢٩ . والفرق المصنفة الـ ١٣ . التي تتالف منها مجموعة جيوش «مانشتن» . التصريح في تموز ١٩٤٣ فرق و ٩ ألوية من المناوشين . و ٧ فيالق من الحسالة . و ٧ فيالق آلية . فضلاً عن ١٠ فيالق و ٢٠ لواء و ١٦ فوجاً مستقلاً من الدبابات . ومهمماً بولع في التقديرات فإنها تتافق وجدول الجيشsovietiي العام لعام ١٩٤٣ الذي يخصي : ٥١٣ فرقة أو لواء من المشاة . و ٤١ فرقة من الحسالة . و ٢٩٠ لواء آلية أو مصفحة . كانت التشكيلات الروسية أقلَّ عدداً على الصعيد الداخلي من الوحدات الألمانية المتماثلة . إلاَّ أنَّ هذه الأخيرة كانت تشكُّل فراغاً كبيراً . فمجموعه الجنود مثلاً فتقدت ١٣٣,٠٠٠ رجل بين تموز وأب . ولم تتألقْ مقابل ذلك غير ٣٣,٠٠٠ بدليل . ولشدَّ ما زفت «روسيا» ! ولكنها ما فتشتْ تغاذى طاقتها البشرية بطبقات من العمر تفوق الطبقات الألمانية أربعة أضعاف . هذا مع العلم أنها لا تخاف إلَّا عدوَّاً واحداً .

أما على الصعيد المادي فقد حققت «ألمانيا» انتفاضة رائعة ، فقد عين «هتلر» لخلافة وزير التسليح «تود» . الذي قُتل في حادثة جوية بتاريخ ٨ شباط . ومهندسًا معاشرًا له من العمر ٣٦ سنة . كان قد بنى مسارح «نورمبرغ» ومبانيها النازية الرائعة . ووضع تصاميم «برلين» المستقبلي . ألا وهو «أليبر سبير» . كان الرهان جريئاً . ولكن «سيبر» كان عقريتاً فذاً . ففي مدى أشهر ألفي نفسه مسؤولاً عن الإنتاج الحربي بكامله . وانتقل جيش العمل المتعدد الجنسيات الموضوع تحت إمرة من ٢٠٦٠٠٠٠ رجل إلى ١٤ مليون رجل . كانت الغارات الجبلية تشوّه المصانع . وتعزل حركات النقل . وتنسد نظام العمل . وتستنفذ قوى العمالة . وبمح هذا تضاعف الإنتاج الألماني للأسلحة وتضاعف . فانتقل وزن ما وضع من الدبابات في الخدمة من ٣٦,٠٠٠

إحدى بطاريات الماون التابعة للحرس ، في جبهة «بيلوروسيا» الثالثة .



طن عام ١٩٤٠ إلى ١٥٠.٠٠٠ طن عام ١٩٤٢ . وإلى ٥٩٠.٠٠٠ طن عام ١٩٤٤ !

أحيا «سيبر» كذلك الطيران . وكان قد تدنتي لدرجة أقدم معها «جيشنريلك» . رئيس أركان سلاح الطيران الألماني . على الانتخار مقتفيًا في ذلك أثر «أوديت» في الاستسلام للإيس . في حين ١٩٤٠ و ١٩٤٢ لم يرتفع عدد الأجهزة المصنعة في «ألمانيا» إلا من ١٠٠٢٤٧ إلى ١٥٠٤٩ . أمّا «سيبر» فقد رفعه إلى ٢٤٠٨٠٧ عام ١٩٤٣ . وإلى ٤٠٠٥٩٣ عام ١٩٤٤ .

ثم إنّه لم يحمل وسائل الإبادة الجديدة . فقد كانت «ألمانيا» تعد

في «ستالينو» قام الألمان يعدون العدة هجوم معاكس يائس . ولقد صرخ الجنرال «هالدر» ، رئيس أركان الجيش الألماني العامة السابق، بأنّ مثل هذه الأعمال لم يكن من شأنها إلا إسفاف الدم الألماني وتعریض «ألمانيا» للغارات الجوية الخبيثة .



في الغابات الروسية كمن عدو كان الألمان يخافونه ويكرهونه أكثر من الجندي السوفيافي : إنّه النصير .

مدفع يفوق عيارها ١٠٠ مم عام ١٩٤٣ . مكنته من تشكيل فرق وفياته من المدفعية أعادت إلى الحرب «جحيم النار» الذي عُرف في ١٩١٦ - ١٩١٨ . وبلغت كثافة المدافع في القطاعات الضججية ٣٠٠ مدفع في الكيلومتر الواحد غالباً ، ولم يساند مهاجمة «بيلغورود» ما يقل عن ٦،٠٠٠ فوهة من فوهات النار .

على الصعيد التكتيكي لم يتندع الروس إلا القليل . فموقعه «خاركوف» نسخة عن الواقع السابقة ، ولكنّها تفوقها قوة وشدة . وجّه المجهود الرئيس إلى التحاصم جيش الدبابات الرابع باليش الثامن (مفرزة «كيميف» سابقاً) ، وفتحت بينهما في ٨ آب ثغرة بلغ اتساعها ٥٠ كيلو . فبدلاً من أن يُقْحِم الروس أنفسهم فيها ، على طريقة الجيش الألماني ، آثروا خططة المارشال «فوش» القديمة ، فبسطوا هجومهم ونوّعوه بغية تسمير قوات الاحتياط المعادية وإنلافها . حملوا في الوسط باتجاه «سولنسك» ، وفي الجنوب أعادوا الكرة على «الميوس» و«الدونيتس» ، أمّا في أقصى الجنوب فوجئوا ضغطهم على رأس جسر «الكوبان» . كان الثمن داماً ، لأنّ هجمات التمرّكز ، وقد أعزّها الدعم والسداد ، قد سببت الكثير من المجازر ، إلا أنّ النتيجة قد تحقّقت . ففي ١٣ آب طغت جبهة السهوب ، التي يقودها الجنرال «هاجن» على «خاركوف» . وعبّاً تقطعت أنفاس «مانشتين» ، الذي كانت مجموعة جيشه تحمل وطأة الصراع الرئيس ، في المطالبة بالعون والمدد ؛ فلقد اضطرّ في ٢٢ إلى إصدار أمره بالبقاء عن

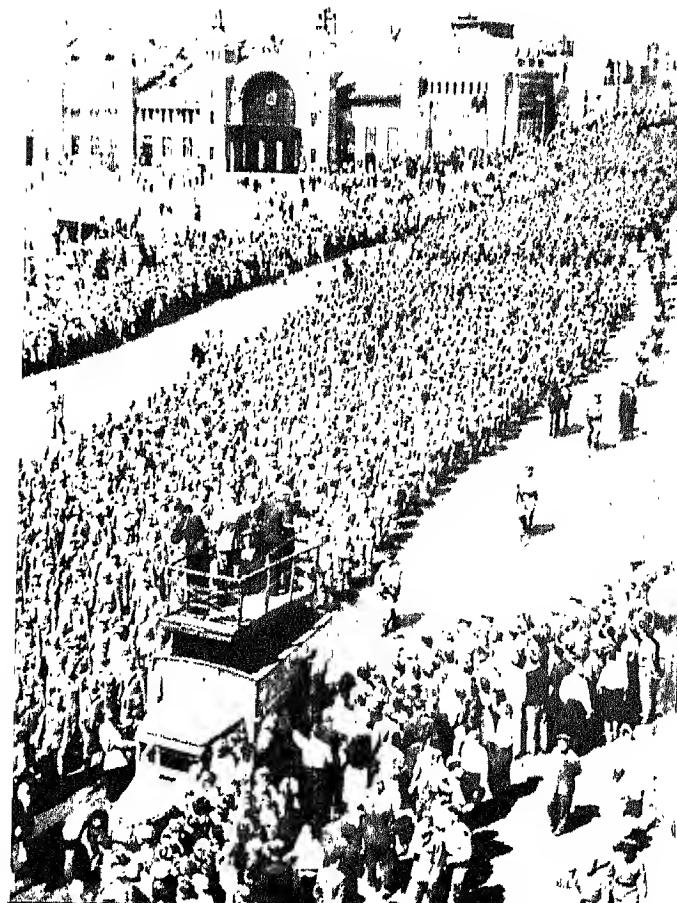
قبيلة طائرة دُعيت «أ١» ، وهي جهاز بسيط . خفيف (٢٠٢٠٠ كلغ) بطيء (١٦٦ م. في الثانية) سهل البناء (٢٨٦ ساعة عامل) بخس الثمن (٣،٥٠٠ مارك ألماني) أعاره «هتلر» الكثير من اهتمامه . أمّا بقصد مشروع «أ٤» فقد كان الفوهر مشككاً مرتباً . فالسلاح المقصود بهذه المرة ثوري ذو صاروخ طويل ثقيل (١٤ م و ٦٢،٦ طن) تفوق سرعته سرعة الصوت (١١،٥٢٠ م في الثانية) بجوب الجو على ارتفاع ٩٠ كيلو : إنه لسلاح خفيف لا يمكن اتقائه فتكه وشره ، ولكنّ ما يكلّفه من عمل ومال أخاف «هتلر» من مغبة تبذر المجهود في سبيل نتيجة ما زالت غير مضمونة . ييد أنّ الشكوك تبدّلت إثر زيارة إلى «مصلحة بيموندي» دبرها «سيبر» . وعاد منها «هتلر» وهو في حالة من الاختطاف والذهول . فأمر بأن يُسمّح «أ٤» في الحال أسمى الأفضليات . تحت تأثير هذا الوجه باح «هتلر» «لوسوبي» في «فيتلر» بسره الكبير من أجل كسب الحرب . ألا وهو «ذلك» «الدن» حق الحضيض » .

هكذا نرى «ألمانيا» تستخرج من امبراطورية آخرة في الانكماش والتقلص . ومن أراضٍ عاث فيها التلف والدمار فأخذت مواردها تنقص وتشح ، قوى وإمكانات لم تتوافر لها في فترة توسعها الأرجح . ومع هذا فقد حقّق الروس ما هو أفضل وأروع ! فإنّاج الدبابات الشهري بلغ ٢٠،٠٠٠ دبابة ، أي ما يساوي ضعف الإنتاج الألماني . وعرف المدفع ، وهو السلاح الروسي المفضل . انطلاقه تفوق تلك سرعة ٣٠،٠٠٠ :

ركب «هتلر» مشقة الانتقال مرة أخرى في ٨ أيلول . فوصل إلى مقر قيادة «مانشتين» في «زابوروجي» حيث استمع إلى مرافعة المارشال بشأن التراجع إلى ما وراء النهر ؛ فأجاب أن اعتبارات اقتصادية وأسباباً وجاهية تتضمن تحرّم عليه ذاك التراجع .

ما حل يوم ١٤ أيلول حتى أطلق «مانشتين» صيحة استعاثة جديدة ؛ فاستدعاه «هتلر» إلى «ريستبورغ» وحاول إقناعه بأن الوضع العسكري سيقلّب عمّا قليل رأساً على عقب ، وذلك بدخول مدفع هجومي جديد إلى نطاق الخدمة . فأجاب «مانشتين» معتقداً على خراطته وعلى محاضر معاونيه . وأخيراً تنازل «هتلر» ورضي بأن تعبّر مجموعة الوسط إلى ما وراء «الدنبيير» على أن تهدّد بها مجموعة جيوش الوسط على «السوه» رافد النهر الكبير ، ثم تتصدّل ، عن طريق «فيتبسلك» ، بمجموعة جيوش الشمال التي تختفّت بمقابلها . لم يشأ «هتلر» أن يصحّي «بكاريليا» وموقع «لينينغراد» الأمامية ، خشية ما قد ينشأ عن ذلك من ذيول سياسية في «فنلندا» ، ورفض كذلك التضحية «بالقرم» الذي قد يزعزع فقدانه «رومانيا» . وفضل عن مجموعة «مانشتين» الجيش السادس الذي كان عليه ، بعد إلحاقه بمجموعة «كلايست» ، أن يقف سراً عبر السهل التوغاشي ، وهو مسطّح أفقى يبلغ ١٥٠ كم عرضاً ، فيمنع الدخول إلى بريزنيكوف » .

الواقع أن التراجع الكبير قد بدأ . وراحت قوافل نقل ثقيلة تعقد فوق «أوكراينا» سجناً كثيفاً من الغبار . وحملت الخطوط الحديدية الأربع الوحيدة مواكب من القطار . قد استحال متراس متجرّكة أثقاء لشّ الأنصار . وخشي المسؤولون ، حتى اللحظة الأخيرة ، فقدان جيش الدبابات الرابع الذي كانت تطارده جبهة «فورونيج» ، فلم يتمكّن من الانسياق بين جسور «كيف» و«تشركاسي» إلا وقد بلغ الرمق الأخير . في ٢٥ أيلول أدركت الطلائع الروسية «بر دنبيير» بين «زابوروجي» و«دنبيير وبوفسكي» . ياما من ساعنة مؤثرة ! كانت غمرة من التأثير . كادت تبلغ حدود الدوار . قد استبدلت بالجنود الألمان لستين خلتنا . عندما وقعت أنظارهم على رحابة النهر المتراوحة الأطراف ، وعلى السهل

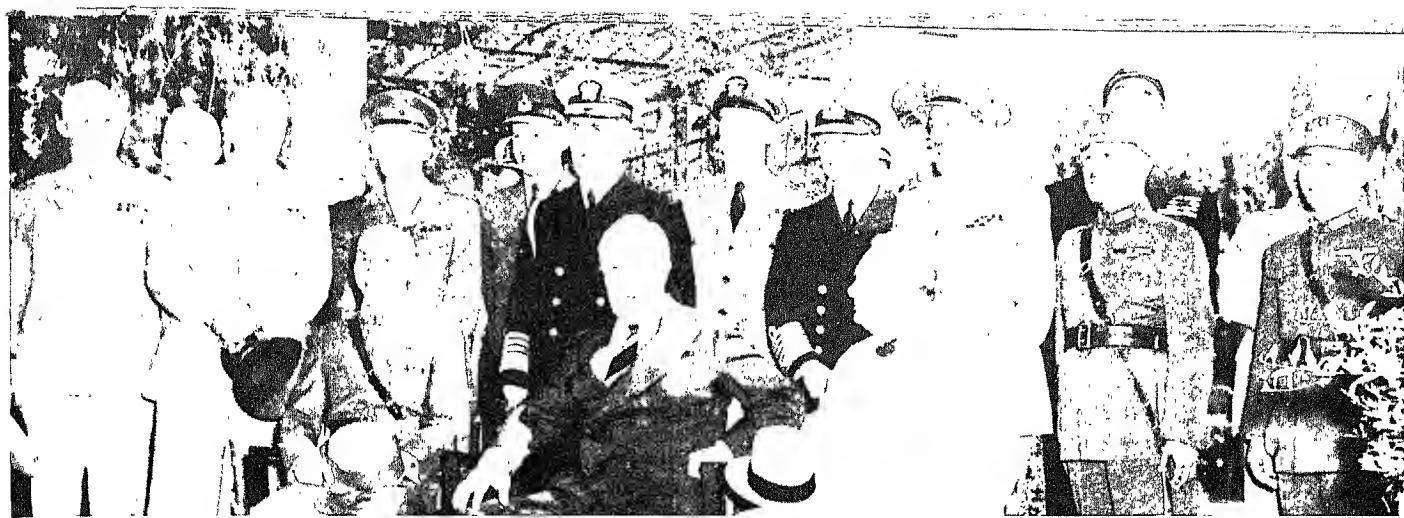


المدينة العظيمة . وإنها حرام التخصيصات المهيّجتها دوماً قتال . عاد «هتلر» في ٢٧ آب لقضاء يوم واحد في مقر قيادته القديم في «فينيترا» ، وليتدارس الوضع مع «مانشتين» ؛ فطلب المارشال التخلّي عن «الدنبيير» باعتباره موقعاً لا يمكن الدفاع عنه . فأجاب «هتلر» بوجوب الصمود في كل مكان «إلى أن يقتضي العدو عدم جدواه هجماته» . إلا أنه ، نزولاً عند إلحاح «زيتزار» ، ومع ثغوره من كل تابع قد يخفي نيةً ما في الانكفاء ، أمر بإقامة موقع دفاعي أطلق عليه تسمية «بنثير» . ينطلق من «البلطيق» إلى «نارفا» ، ثم يمتد إلى «الدنبيير» ماراً «فيتبسلك» و«غوميل» ، فيسير وعبر النهر الكبير حتى «زابوروجي» . ويمضي ماراً «بمييلتوبل» حتى ينتهي إلى بحر «آزوف» . هذا على أن يجري التراجع ، إذا غدا واجباً . بهدوء وظام ، بحيث يمكن من إنقاذ العتاد وإضعاف العدو بمعارك خلفية . وإلى أن يعين ذلك يجب على «مانشتين» أن يقاتل بقوّة على خطوطه الحاصرة . ووعده «هتلر» بنجدات يسحبها من مجموعة جيوش الشمال والوسط . فبادر المارشال «فون كلاوغي» بالحضور إلى «ريستبورغ» في اليوم التالي ، وأعلن أنه لا يستطيع التخلّي عن فرقه واحدة من فرقه ؛ فالروس يشنون هجوماً عنيفاً أمام «سوبلنسك» وأمام «جيينا» ، ولا يزال لديهم في الاحتياط . استناداً إلى جداول قيادة جيش البر الألماني العليا ، من فرق المشاة و ١٨٧ من ألوية الدبابات . وقال «كلاوغي» : «كيف أستطيع ، والحالة هذه ، أن أعرّي لأكسو «مانشتين» . طلما أن قوات فتحمة كهذه تستطيع الانقضاض على بين لحظة وأخرى ؟ »

واستمر القتال في هذه الأوضاع ، فالحاول كلّها مستعصية ، والمصالح كلّها متضاربة . هذا وقد اشتغل الأنصار مع حلول الصيف . فشهد يوماً ٢ و ٣ آب ، المواقفان لانطلاق المجموع السوفيتي ، ٨،٤٢٢ . قطعاً للخطوط الحديدية . و ١،٤٧٨ كميناً ، فتكلّلت بذلك تحركات الجيوش ، وساد القلق والاضطراب في المؤخرات ، فغدا تطهير الغابات من الأنصار يستوجب عشرات الفرق ، والفرق ناقصة حتى في أشدّ قطاعات الجبهة احتداماً . أراد «هتلر» الاحتياط بكل شيء . فجمّد قوات له على ضفاف المحيط الشمالي ، وعلى أبواب «لينينغراد» . وفي النقاط الأمامية من «القفقصاس» . وفي جزر بحر «إيجه» . إلا أن كلّ شيء أفلت منه في التفصيل . فسقطت «ستالينو» في ٨ أيلول . وطوق ، على شاطئ بحر «آزوف» . فيلقان تابعان للجيش السادس (الذي بعث بعد «ستالينغراد») وكاد يُنقذان عليهما . وفي «الكونان» نزلت قوات «القفقصاس» الشمالي في «زوفور ويسيلك» في ظهر الجيش السابع عشر . وفي نقطة أبعد إلى الشمال تخلّي الجيش التاسع عن «بريانسك» . وقد اجتاز الرابع «جيينا» بالرغم من تشتيته بها . وقد الجيش الثالث «فيليتش» . فكتب «هتلر» إلى «فون كلاوغي» يقول إن المعركة لم تبق قضية مهارة تكتيكية . بل قضية جلد فحسب : فعلى الجيوش أن تستلهم سابقة شتاء ٤٢-٤١ . فتغير أقدامها في الأرض وقوّت حيث هي . فتجسّرت أركان مجموعة الوسط . التي كانت تسودها روح تمرّد شديدة . وأجاب الفوهرر بأن الظروف ليست ذاتها . وأن المقارنة خالية من كل قيمة .

إسم واحد استحوذ على الجنرالات الألمان المرهقين . هو «الدنبيير» . فخلف حضرته الرحمة كانوا يأمرون استعادة أنفسهم . وإعادة تنظيم فرقهم . ثم إرساء خط للدفاع يعودون خلفه إلى إنشاء قواتهم الاحتياطية وتحريكها .

الأسرى الألمان في شوارع «موسكو» . وهم يتسمون ويلوحون بأيديهم للجماهير . هؤلاء انتهت حربهم !



في موتمر «القاهرة» ، ويبدو في الصفة الأولى قعوداً : «تشانغ كاي تشل» ، و «روزفلت» ، و «ترشيشل» .

باطلة في رأي «روزفلت» . «فانكلترا» ، التي أصرّ رئيس الولايات المتحدة على عدم منحها شرف زيارته ، لم تكن غير جزيرة صغيرة في طرف القارة المضيق عليها ، والامبراطورية التي تعترضها لم تكن غير بناء للطغيان يجب أن يزول في غد انتصار «أميركا» . وأمّا «ستالين» و «الاتحاد السوفياتي» فهما ، على تقدير ذلك ، فيتطور مع مجرى الأحداث التاريخية . واستبعد «روزفلت» بسخط تعليق القائلين - ومنهم «ذين» ملحقة العسكري في «موسكو» - بأن تحالف «أميركا» مع البولشفية «تحالف غريب» مصدره إلى زوال بعد سحق العدو المشترك . لقد كان مشروع «روزفلت» إذاً اجتماعاً فرد إلى فرد ؛ فاقتصر أن يجري في جزيرة من مضيق «بيرنغ» في وسط الطريق بين الامبراطورية الأميركيّة والإمبراطورية السوفياتية ؛ وكتب إلى «ستالين» يقول : «إن أصطحب معي غير «هاري هوبكينز» ، ومتوجه واحد ، وختل ، وأرجو أن يكون عدد مرافقيك مماثلاً» . واستبعد فكرة اللقاء في «إيسنلاندا» أو في «أفريقيا» ، معللاً ذلك بقوله : «لأنه سيبدو لي صعباً عندئذ عدم توجيه دعوة إلى «ترشيشل» ...» .

كان تاريخ رسالته ٥ أكتوبر ١٩٤٣ . وأهمل «ستالين» سانحة دفع إزميل في التحالف الانكليزي - الأميركي - ، وربما عاد ذلك إلى خوفه من ركوب الطائرة ، إذ لم تكن هناك غير وسيلة النقل هذه للانتقال من «موسكو» إلى مضيق «بيرنغ» . وبعدما اطلع «ترشيشل» على نيات «روزفلت» بواسطة «هاريمان» اعرض في ٢٥ حزيران ، وعلى الرغم من أن الاعتراض كان ضعيف اللهجة ، إذ ورد فيه : «ساعدل جهدي في تعليق موقفكم هنا ، كائنة ما كانت قراراتكم ...» ، فلسوف تكون المقابلة مقابلة ثلاثة ، يسبقها اجتماع لوزراء الخارجية لتمهيد الطريق . وإذا كان «كورديل هال» هرماً ومرضاً ، حاول الأميركيون استدرج «مولوتوف» إلى «واشنطن» ، أو على الأقل إلى «لندن» ؛ ولكن الروس أبدوا عناداً لا يلين : فلسوف يتلقى وزير الخارجية في «موسكو» ، وليس في مكان آخر !

كان هذا العناوين مترافقاً . وأمّا المعركة فكانت تدور في الموضوع الذي سيعقد فيه الكبار موتمرهم .

أجاب «ستالين» بأنّ قيادة العمليات كانت تحظر عليه مغادرة «روسيا» ولو لأسبوع واحد ؛ وأجاب «روزفلت» بدوره بأنه ، هو الآخر ، الرئيس الأعلى لأمة كبيرة ، وأنّ دستور الولايات المتحدة يحتم عليه أن يوقع رسميًّا ، في غضون عشرة أيام ، القوانين التي يوافق عليها الكونغرس كما تصبح نافذة . لقد قبل بالقيام بأكبر جزء من الرحلة . فهو لذلك يرجو «ستالين» لأنّه يفرض عليه الرحلة بكاملها .

في ٢٥ تشرين الأول استقبل «كورديل هال» في «الكرملين» :

اللامتناهي العارق في خصم من الضباب الالاهب . وراء مجراه المدحوم بالجمر . وهو هم الجنود الروس يعودون إلى العملاق الذي كانوا قد عبروه تحت وطأة شعور مرهق بالهزيمة والخلاف . ييد أنه لم يوقف اندفاعهم . فقد أرسى لواء من المظليين رأس جسر له بالقرب من «كريمنتشوغ» . وثبتت وحدة من وحدات المشاة أقدامها في حلقة «بريجسلاف» جنوبي «كيف» . وسهل الأنصار شمالي المدينة تسلل الجيوش السوفياتية إلى منطقة المستنقعات القرية من مصب «البربيت» . وهكذا لم يظل حاجز «الدينبيير» سليماً . وعلى العكس من ذلك ، وبأمر جازم من «هتلر» ، أبعي على رؤوس جسور ألمانية على الضفة الشمالية ، أمام «زابوروجي» و «الدينبيروفسك» » و «كريمنتشوغ» و «كيف» ؛ فاعتبرت القيادة المحلية على ذلك بحججة أن تلك الروس تتطلب جيوشاً كثيرة وتهن الدفاع عن خطوط الماء .

في الوسط استعادت جبهة «كالينين» مدينة «سمولنسك» في ٢٤ يولول ، فكان إنقاذهما ، وفيه ما فيه من مغزى ورمز ، أول حدث هلت له «موسكو» بإطلاق مدفع الغلبة . بدا سقوط «سمولنسك» عام ١٩٤١ وكأنه يครع جرس الخزن معلناً قرب سقوط العاصمة ؛ أمّا تحريرها اليوم فيعني أن «موسكو» قد غدت بآمن من كل خطر !

طريق «طهران»

في شهر تشرين الأول اجتمع وزراء خارجية الحلف في هذه العاصمة التي زال الحظر عنها ، والتي بقيت . مع ذلك ، خاضعة لتقنين قاس . وكان هدف اجتماعهم هو تحضير لقاء لرؤساء الحكومات . وكان شاغل «روزفلت» عندئذ أن يسجّر مع «ستالين» اتصالاً مباشراً . لم يكن سير الحرب في نظره هو القضية الأهم ، بل وجه المستقبل خصوصاً . ومع أن النصر كان ما يزال بعيد المنال في تلك الآونة ، فقد كان طابع العجلة يوجه خطاه . وقد كتب إلى «ستالين» يقول : «يجدر بالأمم المتحدة ألا تنتظر نهاية القتال لإراس أنسس عالم الغد ، وإلا فربما الصدقة القائمة فيما يبتنا ستؤول في هذه الأثناء إلى ارتخاء ، أو أنها قد تنحل . ولسوف يعود كلّ منا إلى الانهماك بمصالحه الخاصة ، ولن تقدر جهودنا المتفقرة آنذاك على بناء السلام الذي يموت من أجله رجال كثيرون ...»

لم يتردد «روزفلت» البتة إزاء الوسيلة : فلسوف تُستخدم القرارات الرئيسة بينه وبين «ستالين» دون سواهما . وأمّا «ترشيشل» فعنصر في غير موضعه . ذلك أن طابعه المحافظ ، وتعلقه بالملكية ، وكراهيته للشيوعية ، وسياساته الاستعمارية ، وملبسه ، وأسلوبه ، أمور كانت تبدو

الصينية إنما كانت قضياباً «معقدة وثانوية» . والذي لاحظ أنَّ حقَّ الإمبراطورية البريطانية كان مغبوباً ، فقد أظهر تبرماً كان «روزفلت» يعامله بوسائل شخصية ناجمة . واستمرَّ الخصم بين الأركان العامة . فكاد «بروك» و «كينغ» يشتبكان بالأيدي حين قدم الأميركي خططاً من شأنه أن يفرغ المتوسط لتحضير عملية برمائية في «برمانيا» لصالح «العين». ولكن تمَّ الاتفاق في النهاية على أن لا يستخدم أيَّ قرار قبل العودة من «موسكو» .

وحيَّ آخر لحظة بقيت إمكانية الذهاب إلى «طهران» بالقطار محتملة ، لتلقي الملاك الجوية التي كان أتباع «روزفلت» يبالغون في تصريحها بصورة مضحكَة . إلاَّ أنَّهم رضخوا أخيراً وراحوا يستعدُّون لمجابهة هذه الملاك . وفي ٢٧ تشرين الثاني ، في الساعة ٧،٠٧ صباحاً ، أقلعت «البقرة المقدسة» من مطار «القاهرة» ، تحمل على متنها «روزفلت» إلى مقابلته الأولى مع الرجل الذي كان يرى في المهندس المعماري الآخر لعالم المستقبل .

تقلبات في «أوكرانيا»

بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني هذا ، فيما كان المتصررون المرتزقون في طريقهم إلى لقائهم الأول ، عرف الوضع العسكري في «روسيا» تقلبات كبيرة عنفية . كانت معركة «الدنبي» تعصف بشدة ؛ فمن «سمولنسك» إلى «خرسون» ، أي من جوار منبع «الدنبي» حتى مصبَّه ، كان هذا النهر الكبير هدفاً أساسياً للعارك ضاربة .

ثمَّ إنَّ موسم الرحلول كان قصيراً بصورة غير مرتفقة ، وذلك من جراء اليفاف ، وبهذا وجد الألمان أنَّ الاستراحة التي كانوا يرجون الحصول عليها قد قصرت هي الأخرى . ومنذ ٧ تشرين الأول أعلن محضر العمليات صادر عن المارشال «ستالين» أنَّ الهجوم التحريري قد أطلق من «فيسبك» إلى «الكوبان» . وأعيد توزيع الجيوش الروسية ، وتغيرت تسميات «الجهات» : جبهة «فولنوف» ؛ جبهة «البلطيق» الأولى والثانية ؛ جبهات «روسيا البيضاء» الأولى والثانية والثالثة ؛ جبهات «أوكرانيا» ، الأولى والثانية والثالثة والرابعة ؛ هكذا كانت مجموعات الجيوش التي سوف تخوض القتال منذ ذلك الحين . وبصرف النظر عن وجود احتياطات ستراتيجية غزيرة ، كانت هذه المجموعات تشمل ٦٩ جيشاً ، مولفة من ٣٣ فرقة ، مقابل ١٩٧ فرقة ألمانية يضاف إليها بعض الحصص الخالية . كانت القيادة السوفياتية كثيرة التناول ، فلقد فاقت انتصارات المعركة الصيفية آمالها . ولسوف يقول «ستالين» نفسه «لروزفلت» إنَّ الجيش المترنِّي «ضعف بكثير» مما كان يظنَّه . ففضل ثلاثة ملايين ألمانيَّ الذين كانوا مجمدَين في الغرب في وجه التهديد الانكليزي الأميركيَّ ، كان «روسيا» هامش من التفوق لا يمكن أن يزيده أيَّ انقلاب في مجرى الحرب .

ولقد أحرز الروس انتصاراتهم الأولى في الجنوب ؛ ففي ١٤ تشرين الأول أرغم جيش المصطفات الأولى على إخلاء رأس جسره في «ازبوروجي» ؛ وفي اليوم التالي شنت جبهة «أوكرانيا» الثانية والثالثة الهجوم بـ ٦١ فرقة مشاة و ٣٧ لواء مصفحة ، فاجتاحت هذه القوات عقدة «الدنبي» ، وبلغت «كرييفوي روغ» ، مهدَّة الجيش المصفح الأول بالتطويق . ولكنَّ «ماشتلين» أفقدتها بالجيشين المصفحين ١٤ و ٢٤ المستقدمين من «فنسا». عندئذ نقل الروس عهودهم الرئيس على طول بحر «آزوف» ، فسقطت «مييلتيوبول» في ٢٢ تشرين الأول ، وتمَّ بلوغ بريزخ «بيريكوف» في أول تشرين الثاني ، فتحصن الجيش ١٧ في

بدأ الحديث مع «ستالين» بمقارنة بين طريقة زرع القمح في «الاتحاد السوفيتي» و «التشيسي». ثمَّ راح «هال» يعرض الأسباب ذات المرمى التاريخي البعيد ، التي ارتتأى رئيس الولايات المتحدة بموجبها أن ياتي الرئيس الأعلى «للاتحاد السوفيتي». وأجاب هذا الأخير بأنه سيذهب إلى «طهران» لإرضاء الرئيس «روزفلت» . فهناك اتصال هاتفي بين هذه العاصمة و «موسكو» . وهناك أيضاً — وهذا ما لم يفصح عنه المارشال فقط — خط للسكك الحديدية يقود إلى «طهران» !

كان «روزفلت» قد رفض «طهران» مسبقاً ؛ فالجبل تعجل الاقرابة الجويَّ خطراً . والاتصالات غير ثابتة . وبعدما رفض «ستالين» الاجتماع في «فيربانكس» و «سكابا فلو» و «أسمير» و «أنقرة» و «بيروت» و «قبرص» و «القاهرة» ، أو في عرض البحر ، راح «هال» يناغل لكي يقنعه بفكراً الاجتماع في «بغداد» . ولكنَّ جهوده ياءت بالإخفاق . كان «روزفلت» قد كتب إلى «ستالين» يقول : «إنَّ الأجيال الآتية ستنتظر إلى هذه القضية وكانتها كارنة إذ لا يعقل أن تقف بعض مئات من الأميال حاجزاً في وجه مقابلة سوف تقرر مصيرها ...» ولكنَّ هذا التحريريس لم يوثق في «ستالين» إطلاقاً . قال «ستالين» «لكرورديل هال» : «إذا تذرَّ على الرئيس «روزفلت» القديوم إلى «طهران» . ينبغي تأجيل مقابلتنا إلى العام المقبل . وسأذهب عندئذ إلى حيث يشاء — وحيَّ إلى «فيربانكس» .

وغادر «هال» «موسكو» معتقداً بأنَّ المقابلة لن تكون . ولكنَّ تقاديره قد بطل وهو في طريق عودته . وعندما وصل إلى «واشنطن» كان «روزفلت» في انتظاره على أرض المطار . وقد عيل صبره . وقد أخبر «هال» فيما بعد : «لقد كان يرقب فرصة لقاءه مع «ستالين» بخمسة طفل صغير ...» كانت «الصين» تنشَّط العلاقات بين المتحالفين . «فروسيَا» ، التي تزرع بذور السام مع «اليابان» . كانت تجهد في تجاهل «تشانغ» كائي تشلُّك . وكان «تشرشل» وهو متافق في هذه النقطة مع «ستالين» . يرى أنَّ قيمة التحالف العسكري الصيني فائقة الصعف . وبالعكس كان «روزفلت» يرى في «الصين» . مع «المند» على السواء ، قوة المستقبل الكبير ، والعضو الثالث في الثالوث الذي سوف يمسك بزمام العالم ، مع «الولايات المتحدة» و «الاتحاد السوفيتي» . وبعدما أيقن «روزفلت» أنه لا يمكن إبعاد «إنكلترا» عن المقابلة الروسية الأميركيَّة ، أبدى رغبة في أن تشارك «الصين» فيها . ولكنَّ «موسكو» رفضتها . وتمَّ القرار على إجراء مؤتمر ثالثي . أو حتى ثالثي : فلسوف يقابل «روزفلت» و «تشرشل» «تشانغ» وزوجته ، في طريق الذهاب إلى «طهران» ، وبعد ذلك ، في طريق العودة ، سوف تجري مناقشة حول إمكان تطبيق الخطط المتخذة مع سيد «روسيا» بشأن الشرق الأقصى .

في ١١ تشرين الثاني ركب «روزفلت» البحر على من البارجة «إيروا» ، خلال الرحلة . كاد طورييد انطلق عفواً من مدرعة المراكبة «وليم د. بورتر» أن يصيب السفينة الرئاسية . إلاَّ أنَّ هذا السفر البحري انتهى في «طهران» في ٢٠ تشرين الثاني من غير أيَّ حادث آخر . وحلَّت طائرة «البيت الأبيض» . المسماة «البقرة المقدسة» ، وهي من ذوات الأربع محركات . محلَّ «إيروا» ، مواصلة الرحلة إلى مدينة «تونس» ، ثمَّ إلى «القاهرة» حيث هبط «روزفلت» في ٢٢ ، في الساعة ٩،٣٥ ، فوجد «تشرشل» مع السيد والسيدة «تشانغ» في انتظاره . ولسوف يستغرق المؤتمر أربعة أيام تخللها الاحتفالات .

من الصعب أنْ تجد لهذا المؤتمر مغزى . فقد أجرى «روزفلت» مع آل «تشانغ» محادلات سريَّة جداً ، نوَّه خلالها بمساعدة جيتار «الصين» وبتحرير عام «آسيا». وأمَّا «تشرشل» ، الذي كان يظنَّ أنَّ القضية

فيفي النصف إلى قطع ثلات : وقد ألقى الفيلق ٥٩ شمالاً ، وكان الفيلق ٧ يحاول أن يصد العدو في جنوب «فاستوف» ؛ وأمّا الفيلق ١٣ ففي غمرة الرابعة نحو الغرب . وكانت الأرتال السوفياتية تتقدم بسرعة نحو «جيتمير» التي تنصب فيها طرقات أربع وخطوط أربعة لاسكة الحديدية . فحل «راوس» محل «هوث» في قيادة الجيش ، إلا أن تبديل القادة أسهل من تبديل تقلبات القتال . وكان في نية «مانشتاين» أن يطلب إخلاء عقدة «الدينير» وضم شمل الجيش . ولكنه أصيب بذهمة كبيرة حين وجد أن «هتلر» لم يكن يعتز به غير قاق عادي . إعترف الفوهرر بأن الشفرة الروسية نحو «جيتمير» كانت تشكل تهديداً أكيداً ، ولكنه أعلن عن استعداده لتحمل مسؤوليته . قال بافتتاح وظيفه إن الأهداف الرئيسية إنما كانت في الجنوب الأقصى من «روسيا» : «القرم» ، وهي حاملة الطائرات البرية التي يمكن لاروس منها إحراق البرتول الروماني ، و«نيكوبول» التي لا يمكن لصناعة «الرايخ» الحربية الاستغناء عن مناجم المanganizer فيها . وفي الوقت الذي استبعد فيه «هتلر» فكرة التخلّي عن «الدينير» الأسفل ، راح يحضر هجوماً يشنّه الجيش السادس لإعادة فتح بورزخ «بير يكوب» .

دام النقاش طويلاً . «فمانشتاين» ، يدعمه «غوديريان» مفتش القوات المصفحة ، كان يود أن تجتمع القوات السيارة بكمالها لشن هجوم معاكس عام ناحية الجناح الشمالي من مجموعة جيوشه . ولكن «هتلر» رفض أن يسمح له بالتصريف بالفيلقين المدرعين ٤٠ و ٥٧ . مانحا إيهافرفاً مصفحة ثلاثة ، لا غير : الأولى ، والـ ٢٥ . والـ «ليستنداوري» القادمة من الغرب . فهذه الفرق ، مضافة إلى ثلاثة فرق مصفحة أخرى ، قد جمعت في الفيلق المصفح ٤٨ ، بقيادة الجنرال «بالك» ، وحشدت جنوبـ خط «كيفـ جيتومير» الحديدي . وأمامـ الروس ، الذين استولوا على هذه المدينة الأخيرة في ١٢ تشرين الثاني ، فلم يصروا تلك الغمامـة التي راحت تكونـ إلى جنبـهم .

هاجم الالمان في ١٥ . كان الطقس معتدل البرودة ، ولم يكن الثلوج كثيفاً للدرجة تشكّل عائقاً جديداً . كان «بلاك» يودّ لو أنه يسير مباشرة على «كيف» لعلّاجة البحر الذي افتح في الجبهة الالمانية وهو في طوره البدائي . ولكن «راوس» أرغمه على أن يبدأ «بيجيتومير» . وفي ٢٠ تشرين الثاني عاد الجيش المتصفح ٧ إلى الاستيلاء على المدينة العتيقة . وباستدارة نحو الشرق قطع «بلاك» الجيش السوفياتي ٦٠ إرضاً ، وأعاد بسط اتصال الجبهة الالمانية ، ومن ثم حاول الرزحف إلى «كيف» ، ولكن ذوباناً للثلوج مفاجئاً غمر الدبابات حتى أبراجها ، كما أنّ تدعيمياً لقوّات العدو

«القرم». فيما عاد الجيش السادس إلى اجتياز «الدniestر» بدوره ، غير محتفظ إلا بأوسم حمى صغير شرقى ، «خرسون».

في أوائل تشرين الثاني انتقلت تقلبات المعركة إلى الشمال . وكان هدف العمليات هناك يحمل اسمًا رئيسيًا : «كيفيف». ففي ١٩٤٢ ضمحت الروس في سبيل الدفاع عنها بمجموعة جيوش كاملة . وبأكثر من نصف مليون أسير . وإذا بهم الآن يخوضون معركة ضاربة لاستعادتها .

إن «كيف» المواجهة لنهرها ، والتي تسيّجها التلال . لا تخلو من بعض الشبه (بستانيلنغراد) . كان يهدّها رأسا جسر : أحدهما في الشمال ، قبالة ملتقى شعبي «الدزنا» ، والثاني في الجنوب ، حول عقدة «بيريحا سلاف» . وبسبب الأرض التي كانت أكثر صلابة قرر «فاتوتين». قائد جبهة «أوكراانيا» الأولى، أن يشن الهجوم من الجنوب . غير أن جهود جيش الحرس المصفح الثالث كافية قد أحبطها الجيش المصفح الألماني الرابع .

وقام «فاتورتين» بعكس إعداداته بصورة باهرة . فعادت كتلة صدامه إلى محاوزة «الدينبيير» . متقلقة من الجناح الجنوبي إلى الجناح الشمالي ، وعادت مرة ثانية إلى اجتياز النهر لمواصلة الهجوم من الناحية المقابلة . وفي ٣١ تشرين الثاني أطبقت ٣٠ فرقة لالمشاة و ٣٤ لواء آلياً على الفيلق الألماني ١٩ بمفرده . وأمام الثغرة الهائلة التي حدثت فقد كانت تقطع طريق «جيتوبرير» الكبيرة . وواصل جيش المرس المصفح الثالث هجوم الجنوب ، فقطع في اليوم التالي عقدة مواصلات السكة الحديدية في «فاستوف» . وكان أمر الحال قد أصدر في الوقت المناسب كي يتسمى لأكثر القوات الألمانية أن نلت من النفع . وأبدى بعض العناصر المطرقة مقاومة طفيفة . وفي ٦ تشرين الثاني كانت «كيف» قد التزعمت من يد الغزارة .

لقد دون «غوباز» في مذكرة ما يلي : إن استعادة «كيف» قد أحدثت بالطبع شعوراً عميقاً لدى البلاشفة ولدى المعاشر العدو بكماله . ييد أن رجالنا وضيابطنا يتسلعون بسخط لماذا لم يجرِ بناء «حائط شرقي» على طول «الدبىير»... كان وزير الدعاية يجهل مبادئ الفوهر العسكرية والنفسانية ، فقد قال «هتلر» : إذا شعر الجنرالات بوجود موقع للتراجع وراءهم . فلن تبادر إلى أذهانهم غير فكرة واحدة : التخلص عن كل شيء للجوء إليها ». هذا وقد حكم مناور «سيدان» على المناورة بالذات ، قوله : إذا قال أحد الجنرالات إنه سيقوم بمناورة فهذا يعني شيئاً كيداً : التراجع ... »

في ٧ وصل «مانشتن» مرة أخرى إلى «رسنبرغ». كان وضعه مفجعاً : فالبيش المصحح الرابع . وهو الجناح الأيسر لمجموعته ، قد

سولنسك تحترق . لقد عفت عليها الحرب فباتت قاعاً صفصفاً !



كان من «روزفلت» الابن إلا أن تدخل ليدعم الرئيس السوفيتي بعنف وجلة ، فيما لم يضم «روزفلت» الأب ، وهو رئيس أعظم الديمقراطيات في العالم ، احتجاجه إلى احتجاج الانكليزي ؛ فاستنشاط «ترشل» غيظاً وغادر المائدة وانصرف ، فما كان من «ستالين» إلا أن عدا خلفه وأعاده قائلاً إن الموضع دعابة وزجاج .

تناولت خلوات «روزفلت» و «ستالين» بالبحث قضية «فرنسا» .

«ستالين» ، الذي سبق تحسن أوضاعه العسكرية تراجع بلغ ١٠٥٠٠ كلم ، وأسر ذهب ضحيته أربعة ملايين من الأسرى ، لا يشعر بأية رحمة إزاء هزيمة يضطر إليها بلد يعجز عن بذل الشمن نفسه أرضًا وبشراً . «فرنسا» في نظر «ستالين» قد «أشرعت حدودها للعدو» ، وهي ما تزال تقدم له العون ، إذا فلا بد من أن «يتزل بها العقوب الشديد لقاء ذلك التعاون المجرم» . فأعلن «روزفلت» أنه «يوافق على ذلك مئة بالمائة» ، وقال : «إن السيد «ترشل» يصر على وجوب بعث «فرنسا» كدولة كبيرة ، وليس ذلكرأسي . فلا بد من أن تمر على «فرنسا» سنوات عمل طويلة قبل أن تستحق انباتاً جديداً ، مما ينبغي أولاً هو التهوض بالفرنسيين بعلهم شعباً من المواطنين المخلصين» . وأردف «ستالين» يقول إن «بيتان» ، لا «ديغول» ، هو الذي يمثل «فرنسا» الحقيقة ، وإنه لا يعقل أن يستعيد بلد بلغ هذا الحد من الذئب امبراطوريته وخطورته السياسية ، بعد انتهاء الحرب . فأعاد «روزفلت» موقفه وأعلن أنه موافق كل المواقفة .

خصصت خلوة أخرى لتنظيم السلام ؛ أصفي «ستالين» بارتباط وصبر إلى المشاريع التي أغارها «روزفلت» ، وهو المؤلف الواضح ؛ فمن مجلس عام لأمم يعتبرها القانون متساوية ، إلى فرقه من «شرطيين أربعة» تضم «أميركا» و «روسيا» و «بريطانيا العظمى» «الصين» ، مهمتها السهر على احترام النظام العالمي . فما بهم العم «جو ستالين» هو اتخاذ الترتيبات اللازمة القابلة للاستمرار والبقاء لمنع «ألمانيا» من أن تديم الإسادة . هو لا يؤمن بتبدل عقلية الشعب الألماني ، وينبئ بأنـ هذا الشعب «سيثير حرباً جديدة بعد عشرين سنة» ما لم يخضع لأشد الإذمات قساوة وصلابة . وعندما عرضت قضية معاملة «ألمانيا» بجداداً في المحاولات الثلاثية ، أثارت اصطداماً جديداً مع «ترشل» ؛ فسجل «ستالين» ملاحظته التالية : «لا يستطيع رئيس الوزراء البريطاني أن يتخلص من ذلك العطف الذي يكنه للألمان ...»

تناول المؤمن بشيء من البحث السريع المقتصب مصير الأمم المتاخمة لحدود «الاتحاد السوفيتي» ، فقبل من غير نقاش مبدأ إعادة المقاطعات الشرقية من «بولونيا» إلى «روسيا» ، والتعويض على «بولونيا» بالحاق بعض المقاطعات الألمانية بها . أمـا «فنلندا» ، التي تناضل في الصوف الألماني ، فقد أعلن «ستالين» أنه لا ينوي ضمها ، ولكنه سرعان ما بادر إلى وضع حد للمحاولات الأميركية الحية التي رمت إلى الإبقاء على البلدان البلطية الثلاثة «لتونيا» ، و «لتونيا» و «إستونيا» . وعشية الفراق طلب منه «روزفلت» مقابلة أخيرة ، وقال إنه سيعرض عليه قضيته بصراحة ، فيما من شئت في أنه سيشرح مجددآ عام ١٩٤٤ ، وهو لا يريد أن يفقد أصوات عدّة ملايين من المواطنين الأميركيين ذوي الأصل البولوني أو البلطيقي ؛ فهو وبالتالي يود الحصول على وعد يقطع «الشعب في أن يعيـر عن إرادته بطريقة ما» قبل إجراء أي ضم إلى «الاتحاد السوفيـتي» ؛ فاكتفى «ستالين» بأن أجـاب أنـ الـجمهـورـيات البلطـيةـ الثلاثـةـ لمـ تـكـنـ علىـ شـيءـ منـ الـاستـقـلالـ الذـانـيـ قبلـ عامـ ١٩١٤ـ ،ـ وأنـهـ لاـ يـرىـ السـبـبـ الذـيـ منـ أـجـلهـ يـعـرـفـ لهاـ مـاـ لمـ يـنـجـحـهاـ إـيـاهـ الـقيـاصرـةـ .ـ استـعـرـضـتـ تـلـكـ المسـائلـ كلـهاـ دونـماـ جـدولـ للأـعـمالـ أوـ تصـمـيمـ ،ـ وـ لمـ

أعادـ المـجـومـ إلىـ نقطـةـ مـواتـ .ـ «ـ فـكـيـفـ»ـ .ـ وهـيـ حصـةـ الغـزوـ الرـئـيـسـةـ .ـ بـقـيـتـ فيـ أيـديـ الرـوسـ .ـ ولـكـنـ الـوضـعـ الـأـلـمـانـيـ قدـ تـحسـنـ بـالـاجـمـالـ .ـ وـسـتـشـهـدـ سـاـيـةـ ١٩٤٣ـ تـشـبـثـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ بـقطـاعـاتـ طـوـيلـةـ عـلـىـ «ـ الدـنـيـيـرـ»ـ وـ «ـ نـيـكـوـبـولـ»ـ وـ «ـ كـرـيـفوـيـ روـ»ـ ،ـ وـ الـمـانـغـانـيـزـ وـ الـحـدـيدـ فيـ قـبـصـتـهـ .ـ وـ عـلـىـ نقـيـضـ ذـلـكـ سـوـفـ يـكـونـ فـكـ الـحـصـارـ عـنـ «ـ الـقـرـمـ»ـ مـحـالـاـ ؛ـ فـاـلـجـيـشـ ١٧ـ ،ـ الـذـيـ كـانـ يـعـوـنـ مـنـ الـبـحـرـ وـ الـجـوـ بـصـوـبةـ فـاقـهـ ،ـ سـوـفـ يـذـوقـ عـلـىـ الشـاطـيـرـ السـوـفـيـاتـ الـلـازـورـديـ شـاءـ مـرـاـ .ـ

طهران: «ستالين» و «روزفلت» ضد «ترشل»

وافق انعقاد مؤتمر «طهران» ترجح عسكري لغير صالح الخلفاء . في كلتا الجبهتين المتوسطية والروسية . فمن جهة يقي انتصار «ساليرنو» واحتلال «فايبولي» بلا أعقاب مباشرة ، ومن جهة أخرى أعيد توحيد القيادة الألمانية تحت إمرة «كيسلنزن» ، وصرف النظر عن الجلاء عن دروما . أما في الحوض الشرقي فقد أثار الاستسلام الإيطالي رغبة «ترشل» في الاستيلاء على «روس» و «الدوبيكانيز» ، بمحاباته الأهل في استدراجه «تركيا» إلى الحرب ، بيد أن «روزفلت» رفض بخفاه أن يقدم له ما طلبه من مدد زهيد ، وهو على اقتاع من أنه أمام حيلة جديدة ترمي إلى إرجاء التزول في «فرنسا» ، فتنسى بذلك للأمان أن يمسكوا بزمام البحـرـ ،ـ ولـمـ أـرـادـ «ـ تـشـرـلـشـ»ـ تـفـيـذـ خـطـطـهـ بـالـعـتـمـادـ عـلـىـ الـقـوـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ وـ حـدـهـ ،ـ مـنـيـ بـزـيـمةـ قـلـيلـ الـخـطـورةـ ،ـ وـلـكـنـ تـامـةـ ،ـ فـاضـطـرـ الـلـوـاءـ الـأـنـكـلـيـزـ الـذـيـ أـنـزـلـ فـيـ «ـ لـيـرـوـسـ»ـ إـلـىـ الـاسـتـسـلـامـ ،ـ بـعـدـماـ كـلـفتـ الـمـحاـوـلـةـ الـتـيـ بـذـلتـ لـإـجـلـائـهـ الـبـرـيـتـانـيـ الـمـلـكـيـةـ سـتـاـ منـ مـدـمـرـاتـهاـ الـثـمـيـنةـ .ـ وـلـكـنـ تـلـكـ لـمـ تـكـنـ غـرـبـ خـفـيـةـ عـبـرـتـ فـيـ سـمـاءـ «ـ طـهـرـانـ»ـ بـأـيـامـهاـ الـخـمـسـةـ الـمـتـدـةـ مـنـ الـأـحـدـ ٢٨ـ تـشـرـينـ الثـانـيـ إـلـىـ الـحـمـيـسـ ٢ـ كـانـونـ الـأـوـلـ ،ـ وـلـيـ أـتـارـهـ شـمـسـ النـصـرـ الشـارـقةـ .ـ إـلـاـ أـنـ تـلـكـ الـأـيـامـ قـدـ تـضـمـنـتـ نـوـافـةـ الـخـلـافـاتـ الـتـيـ سـتـجـعـلـ مـنـ ذـاكـ النـصـرـ عـيـنـهـ مـنـظـلـقاـ لـتـرـاعـ جـديـدـ .ـ

لم يكن الثلاثة الكبار متساوين إلا بالنظر للبروتوكول ؛ فقد عمل «ترشل» ، ولم يكن مرغوباً فيه . ككمية ثانوية . بادر «ستالين» ، قبل كل شيء فدعا «روزفلت» إلى التزول في السفارة السوفياتية . بعجة أن «طهران» تغضـنـ بالـعـلـمـ الـأـعـدـاءـ ،ـ وـأـنـ الـخـطـرـ يـعـفـ بـكـلـ تـنـقـلـ فيهاـ .ـ فـهـمـ «ـ تـشـرـلـشـ»ـ ،ـ الـذـيـ لـمـ تـشـمـلـ الدـعـوـةـ ،ـ وـرـبـماـ عـلـىـ اعتـبارـ أـنـ حـيـاتهـ قـدـ بـدـتـ أـبـنـسـ ثـمـنـاـ .ـ مـغـزـيـ هذاـ التـزـولـ فـيـ بـيـتـ وـاحـدـ ،ـ وـأـدـرـكـ ماـ يـوـفـرـهـ مـنـ تـسـهـيلـاتـ لـعـزـلـهـ ؛ـ بـيـدـ أـنـ اـعـتـيـارـاتـ الـأـمـنـ الـيـجيـئـةـ سـتـاـ منـ أـنـ يـثـيرـ أـيـ اـعـتـراضـ .ـ وـعـنـدـماـ طـلـبـ مـنـ «ـ رـوـزـفـلـتـ»ـ أـنـ يـتـنـاـولـ مـعـهـ وـجـةـ الـإـفـطـارـ عـلـىـ حـدـةـ .ـ رـفـضـ الرـئـيـسـ طـلـبـ بـعـجـةـ أـنـهـ لـاـ يـرـيدـ أـنـ يـخـيـلـ «ـ سـتـالـينـ»ـ أـنـ الـأـنـكـلـيـزـ وـالـأـمـيرـكـيـيـنـ يـتـواـطـأـنـ مـنـ أـجـلـ عـلـمـ مشـرـكـ ؛ـ هـذـاـ مـعـ الـعـلـمـ بـأـنـ حـدـيـثـاـ يـوـمـيـاـ كـانـ يـدـورـ بـيـنـ وـبـيـنـ «ـ سـتـالـينـ»ـ لـاـ يـخـصـرـهـ مـنـ النـاسـ غـيـرـ الـرـجـمـانـ .ـ وـاتـسـمـتـ الـعـلـاـقـاتـ الشـخـصـيـةـ نـفـسـهاـ بـطـبـاعـ الـحـدـةـ وـالـلـذـعـ .ـ فـقدـ جـعـلـ «ـ سـتـالـينـ»ـ مـنـ «ـ تـشـرـلـشـ»ـ هـدـفـاـ لـسـخـرـيـتهـ .ـ يـشـجـعـهـ عـلـىـ التـمـاديـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ يـدـيـهـ «ـ رـوـزـفـلـتـ»ـ مـنـ سـرـورـ وـسـاوـيـ .ـ إـلـيـ أـنـ اـحـتـدـمـ الـجـوـ إـلـيـرـ مشـادـةـ هـيـ غـيـةـ فـيـ العـنـفـ كـانـ أـحـدـ الـمـسـؤـلـينـ عـنـهاـ نـجـلـ الرـئـيـسـ ،ـ الـكـرـلـونـيلـ «ـ إـلـيـوتـ رـوـزـفـلـتـ»ـ ،ـ فـقدـ أـعـلـنـ «ـ سـتـالـينـ»ـ فـيـ إـحدـىـ وـجـيـاتـ الـعـشـاءـ عـنـ وـجـوبـ تـصـفـيـةـ الـدـهـرـ ٥٠٠٠٠ـ أوـ الـدـهـرـ ١٠٠ـ ،ـ رـأـسـ الـيـقـيـدـ يـقـومـ عـلـيـهـ قـوـةـ «ـ أـلـمـانـيـاـ»ـ الـاقـصـادـيـةـ وـالـقـنـبـيـةـ تـصـفـيـةـ سـرـيـعـةـ .ـ فـأـجـابـ «ـ تـشـرـلـشـ»ـ بـأـنـ الـمـفـاهـيمـ الـبـرـيطـانـيـةـ تـسـتـنـكـرـ كـلـ إـجـراءـ مـتـسـرـعـ .ـ وـأـنـهـ بـوـثـرـ أـنـ يـرـمىـ بـالـرـصـاصـ فـيـ الـحـدـيـقةـ لـتـهـ عـلـىـ أـنـ يـقـبـلـ بـذـلـكـ .ـ فـماـ

معنى ابتسامه . أمّا «تشانغ» وعقيلته فقد حل محلهما الجنرال الهزيل الأشيب الأصم «عصمت إينونو» الذي بذل عهود الصداقة دون حساب . ولكنّه أغرى بوضوح عن إرادته «تركيا» في التزام موقف الحياد . خاب فالـ«تشرتشل» ؛ وإذ أدركته الشيوخة فجأة رحل إلى «مراكش» يعالج التهاب الرئة الخطير الذي عاد به من «طهران» .

أوضاع «فرنسا» عام ١٩٤٣

بالنسبة لـ«فرنسا» التي اعتبرها «ستالين» . من غير تمويه ، تابعة «هتلر» ، كانت السنة الماضية سوداء مفجعة . فتفكير الهزيمة كان مستمراً . إلا أنّه يجدّد إنعاش بعض الفلال التي حاولت البلاعه والبراهين إزالتها فيما بعد . إنّ صورة «فرنسا» ، حتى في سنة الاحتلال الثالثة . ليست صورة مطلقة للشدة والعبودية . كان بعض الفرنسيين يمرون ولكنّ الفرنسيين كانوا يحيون — من غير أن يبيعوا أنفسهم العدو دائمًا . فهناك شخصيات مرموقة كانت تعيش بأمان كلي وتحتاج بحرية الرأي والعمل بشيء من الخدر . قام «سارتر» بعرض مسرحية «الذباب» ، وهي مع «حداء الأطلس» «البول كلوديل» (مؤلف «نشيد إلى المارشال») ، و«سادوما» «لخيرودو» ، قد أغدق على الموسم المسرحي في ١٩٤٣ نجاحاً باهراً . وأمّا الآراء فقد كانت تتحدى أزمة النسيج لخلق الأشكال الغربية . مما أثار هذا السؤال الذي طرحته ضابط ألماني على إحدى الباريسيات : «ما هي القبّعات التي كنت ستعتمد لها لو أنّ «فرنسا» ربحت الحرب؟» ومن نواح عديدة كان وضع الفرنسيين المنزهين أفضل من وضع هازيمائهم . فهم لا يذوقون غير جزء ضئيل من القصف الذي يحتاج «المانيا» ، وهو لا تزداد دماءهم بقدر ما تزداد دماء الشعب الألماني على الجبهة الشرقية . وأمّا الحياة المادية نفسها ، على الرغم من قساوها ، فقد كانت أقل فجاجة مما ينبغي أن تكون عليه إذا ما اعتبرنا الأرقام الجماعية ، وأرقام الموت بسبب الحرور ، والقنيين الغذائي . فقد نجت مقاطعات كاملة من الحرمان ، وبغض النظر عن السوق السوداء ، كانت حلقات التموين . التي اتصفّت بطابع الحلق المبدع ، تحفّ الماجاعة الرسمية . فمقابل طنّ من الشحنات القانونية ، وأكثرها من الخيز والملفوف ، كانت مدينة «ليون» مثلاً تلقّى طنّاً من الطروع العائلية التي تحمل الزاد الوافر . وعلى الرغم من تفشي السلّ يقيت الصحة العامة جيدة نوعاً . وبفضل تصاول إدمان الحرمة يقي عدد المرضى في المستشفيات أقل مما كان عليه قبل الحرب . وهذا الوضع الذي كان مرضياً نسبياً ، والذي كان ولا ريب أقل الأوضاع سوءاً في «أوروبا» المستعدّة ، ما كان ممكناً لو أنّ أمر «فرنسا» ترك الحكم من الألمان طغاء ، ولو أنّ الإدارة الفرنسية لم تتوسّط بين المحتجزين والذين كانوا تحت نير الاحتلال . ومع ذلك ، فقد كانت صفحات «فيشي» الأخيرة جارحة ؛ فهي تفضح التعلق المتزايد بالقضية الهتلرية . ففي شباط ١٩٤٣ أنشئت خدمة العمل الإجباري التي كانت تزود «المانيا» باليد العاملة . وأمّا الحرس الوطني ، المنتسب من فرق المغاربين الفرنسيّة ، فقد اتّخذت الطابع الرسمي لشرطة معاونة . وأمّا اليهود فقد التقطوا كالماشية وأسلموا إلى مصر مجدهل . واحتاج الهتلريون الفرنسيون العاصمة المؤقتة واحتلوها ، بعدما أرهقوها بأذىاتهم ؛ «فبرينون» ، و«بونار» ، و«غابولد» ، و«هزيرو» ، و«ماريون» . و«دارنان» ، و«ديبيا» ، كانوا الوزراء الجدد وسكنترير الدولة ، وسكنتريرين ومحظيين عامّين لحكومة لم تبق غير فلك «اللاريخ» الثالث . وكان رئيسها هو «بيار لافال» الذي راح يحاول الحدّ من المطالبات الألمانيّة ، وأمّا مبدأه : «إنّي أتمنى انتصار «المانيا» فقد اعتبرته الأكثريّة الفرنسيّة



«ستالين» ، و «روزفلت» ، و «تشرتشل» في مؤتمر «طهران» ، في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

يعها «ستالين» إلا القليل من اهتمامه . أمّا ما طالب به — وبأقلّ مما عرفه العام المنصرم من إصرار — فهو فتح سريع للجبهة الثانية الحقة ، بالتزول في «أوروبا» الغربية . وأية عملية عسكرية غير تلك لم تكن في نظره إلا عملية مضللة ثانوية ، وإذا بهذا الميدان الجديد يوفر للاتصال السوفيaticي الأميركي ضدّ «تشرتشل» حلقة جديدة .

وفي جسّة ٢٨ تشرين الثاني العامة رسم «تشرتشل» ببراعة لوحةَ الوضع السراتيجي في الغرب : ستشترك بالتزول في «فرنسا» ١٩ فرقة أميركية و ١٦ فرقه بريطانية تشکل كلّ منها ضعف ما تشكّله من الرجال فرقة ألمانية عاديّة ؛ وستنضمّ إليها قوات تصل مباشرة من «الولايات المتحدة» لرفع قوات الحملة كلّها إلى ما يقارب خمسين فرقة . ويتقدّ في المتوسط ٢٢ فرقة أكثرها بريطانية ، ويعتقد «تشرتشل» أنّ عمليّتها ينبغي أن تستمر بلا هواة ، ويعزل عن عملية غزو «أوروبا» الغربية . ويجب أن يستخدم بعض الفرق لفتح جزر بحر «إيجي» ، مما سيحمل «تركيا» على دخول الحرب ، حتى ولو كلف ذلك إرجاع غزو «أوروبا» لفترة قصيرة «لا تتعدي الشهر أو الشهرين» ؛ إذ ذاك ينضمّ إلى قوات الحلف جيش متين ، فيتدفق العون الأميركي على «روسيا» عبر «الدردنيل» بدل أن يعرّ بالطريق القطبية المخيفة ، أو بالطريق الإبرانية الوعرة .

بيد أنّ «ستالين» لا يرغب في فتح «الدردنيل» ، لأنّ ذلك قد يضع «روسيا» ، التي يعتبر إنقاذاً لها حاصلاً بعد الآن ، على اتصال مباشر بالغرب . فالأرجح وكثير إلحاحه من أجل أن يقتصر النشاط الحليف على اجتياح «فرنسا» ، وطلب وقف الهجوم في «إيطاليا» عارضاً أن تُنزل الفرق الشاغرة في المتوسط ، على الفور ، في «بروفنسا» . ثمّ أثار قضيّة قيادة غزو «أوروبا» قائلاً : «لن أؤمن بالعملية ما لم أعرف أيّ جنرال قد كُلّف بتنفيذها» . وأخيراً استجوب «تشرتشل» فقال : «أود أن أطرح عليك سؤالاً مباشراً : أتومن حقاً بغزو «أوروبا»؟ فأتى الجواب مطمئناً وشرطياً معه : «إذا ما تيسّر للشروط المتفق عليها أن تتحقق في الوقت المناسب ، أجل ، أجل ، ثمّ أجل !» .

لم تبت «طهران» في شيء ، وكلّ ما أسفرت عنه هو بلاغ أعلن فيه «الثلاثة الكبار» أنّهم يفترضون «أصدقاء في الروح وأصدقاء في المدف» . وأنّحد «بروفوكول» العسكري علمًا بأنّ غزو «أوروبا» سيتمّ في شهر أيار من عام ١٩٤٤ ، في الوقت الذي يتمّ فيه نزول آخر جنوبية «فرنسا» ، وأنّ المارشال «ستالين» سيشنّ في الوقت عينه هجوماً يمنع نقل القوات الألمانيّة من الشرق إلى الغرب .

من طريق العودة بالنسبة لـ«تشرتشل» و «روزفلت» بالقاهرة ، حيث التقى «أبا المول» من جديد . وذهبا ، عند غياب الشمس ، يدرسان

الساحة كتحدّ سافر .

إنَّ ١٩٤٣ ، وهي سنة انحطاط «فيشي» ، كانت سنة تطور المقاومة . وإنَّه لباطل حتى في يومنا هذا أن نحاول رسم لوحة حقيقة لهذا الحدث الحسني الرب . فهناك كتمان تام ، يمحى بعض الانفعالات السياسية والبيعات الشخصية ، يحيق بالمراجع الأكثر بدائية . وسأذكر على سبيل البرهان مثلاً واحداً ، فلقد حاولت الحصول على ما يبدو وكأنَّ له علاقة إيجابية بنشاط المقاومة العسكري ، أي الـ ١،٥٠٠ صفحة التي تتضمن التقرير عن القوات الفرنسية الداخلية ، الذي وضعه الماجور الأميركي د.أ. بورن — باترسون «بمعونة الكثرين من الضباط الفرنسيين ، فعدت بمحفي حنين . ولقد أعطى هذا التقرير في «واشنطن» طابع السريّة الكاملة بياياعز من الحكومة الفرنسية ، وفي «باريس» يصرّ المجلس الرسمي لتاريخ الحرب العالمية الثانية بأنه لم يحصل على هذا التقرير فقط . ففي هذه الظروف إذا لا يمكننا إلا أن نترك لمستقبل أكثر معرفة أمر تحرير فصل تاريخي مفجع وبهم .

ولكنَّ الأمر الذي هو أكثر وضوحاً هو الحرب الأهلية المختلطة بالقتال ضدَّ المحتل . فالحزب الشيوعي ، وهو العنصر الراوح في المقاومة ، والذي تعرض لأكثر العقابات وحشية متحملاً أذاماً ببطولة ، كان يسمو إلى ما وراء الانتصار على «ألمانيا» . وأمام انسجام جزء هام من البورجوازية إلى المارشال فقد مكن من أعمال تصفية . وقد تضخمت شراسة القتال بإشراك الحرس الوطني في القمع ، بأبنائه الضالين وبجرمه المحرفين . فتعاقبت الجرائم والجرائم المعاكسة على «فرنسا» تشخن فيها البحار من شمالها إلى جنوبها .

ولقد فتحت الاعتداءات على أعضاء الجيش الألماني سلسلة أخرى من أعمال النار . وحاول بعض قادة المقاطعات الحد منها ، وأنْتَج آخرون سياسة الإرهاب . وقد بدأت المرحلة الكبرى لإعدام الرهائن في ١٩٤٢ ، بالخمسين الذين أعدموا في «شاتو بريان» رمياً بالرصاص . في البدء حاولت حكومة «فيشي» مقاومة هذا التطبيق المفجع لمبدأ الإدانة الجماعية ، إلا أنَّ تطور المقاومة ، والخطر المتزايد المحيق بالعسكريين المعنزيين وبالعوازل والمراكز الألمانية ، قد زاد من شدة القمع . وكانت دوائر الشرطة والباحث كافية في «الرابع» المتردي تعمل في البلدان المحتلة على أن تمسك ، بأية وسيلة ، وفي مقدمتها وسيلة التعذيب ، بخيوط المؤامرات الوطنية على المتصرِّ الذي كان ظفره يتلاشى شيئاً بعد شيء . الواقع أنَّهم كانوا يحظون بمساعدة السكان المحليين في كلِّ مكان ، ويدعمون الفاستابو الألماني بالفاستابو الفرنسي والبولونية والبروجية ، الخ ، ويجدون المخونة في حركات المقاومة كافة ، ويعملون من الوشايات عدداً طائلاً يفقد قيمة كالعملة في طور تضخمها ؛ فأولئك الذين نذروا أنفسهم للعمل السري ، في أشكاله المختلفة ، كانوا يعيشون في غمرة المهالك الشديدة ، ويتهونون في غالب الأحيان فوق أعداء المشانق يموتون موت الأبطال . وهنالك واقع آخر في ١٩٤٣ ، ألا وهو ظهور مجموعات من الثوار عُرِفوا باسم «ماكي» أو «المقاومة السرية» . ولكن فنقر هنا كذلك إلى لوحة حقيقة عن هذه التجمّعات التي تراوح بين الوحدات العسكرية المنشبطة وجماعات السارقين المحليين بالإجرام . وفي بداية ١٩٤٣ أصبح جبل «فيركور» ، بين «ليزير» و«دروم» ، معسراً حقيقة التدريب . حيث كان ضيّاط من جيش المدنة يقومون ، تحت إمرة الجنرال «دوليسران» ، الذي يحمل اسم «فيفال» الاصطلاحية ، بتدريب المتطوعين القادمين من «غرونوبل» و«ليون» . واكتظَ «الماسيف سنترال» و«الجورا» و«الألب» و«البيرينيه» و«بروتانيا» بالشبان الذين جاؤوا إليها هرباً من خدمة العمل الإجباري . وفي سبيل تطهير هذه المناطق الوعرة

كان ينبغي الحصول على عون السكان الذين كانوا يسعون وراء الحيد لا أكثر ، أو على أجهزة لم يكن الأهلان حاصلين عليها .

منذ ١٩٤٠ أنشأ الانكليز ، تحت اسم «سبشال أوبيريشن إكريكيوتييف» ، جهازاً يهدف إلى إعادة تنظيم دوائر استخباراتهم في «أوروبا» . وكانت السلطات الدبلوماسية قد أنشأت من جهتها «المكتب المركزي للاستخارات والعمليات» المأذوف إلى إنعاش المقاومة الفرنسية الداخلية واستشارتها . ولقد كانت الخلافات كثيرة بين هاتين المنظمتين . وكانت هذه الخلافات أكثر بكثير بين حركات منطلقة من مختلف نقاط الأفق السياسي وعائداتها إليها . وقامت «لجنة لندن» ، ومن بعدها حكومة مدينة «الجزائر» الموقتة ، بتنسيق هذه القوى الصاحبة وللمة شملها . في ليلة رأس سنة ١٩٤٢ هبط «جان مولان» ، وهو حاكم «شارتر» السابق ، بالملة في «بروفانس» . وقد كان يحمل معه تقوضاً بالسلطة من الجنرال «ديغول» مصوّراً على فيلم مصفرَ ، وخبأً في قفر مزدوج في عبة كبيرة . وفي ٢٧ أيار ١٩٤٣ تمكن من جمع ممثل المنظمات الرئيسية في فرنسا الجنوب و«فرنسا الشمال» ، وذلك داخل قاعة للطعام في أحد شوارع «باريس» . وهكذا يكون «مجلس المقاومة الوطني» قد ولد . ومع ذلك فقد كان «جان مولان» ، الذي ترأس هذه المؤسسة ، كثير الشاوش بشأن نجاحه الركيك . فقد سارت مهمته تحفَّ بها المشادات والخصامات التي وضعته وجهاً لوجه خاصة مع الرئيس الأول للمقاومة الداخلية هنري فريفي ، وحتى مع اثنين من مبعوثي «لندن» هما «دوافاران» و«بروسوليت» . وانتهت هذه المهمة بعد ستة أسابيع في «كالوير وكوير» على أبواب «ليون» بإلقاء القبض عليه بتبيّنة الحبّة . ولقد فاضت روح «جان مولان» بعد تعذيبه وهو في طريقه منقولاً إلى «ألمانيا» . وخلفه على رأس مجلس المقاومة الوطني «الأستاذ الصحافي الكاثوليكي» جورج بيدو . وبقيت الوحيدة سطحية أو مصطنعة ، وبقيت المنظمات مختلفة باستقلالها الذاتي بشدة ، واقفة في الغالب بعضها في وجه بعض . وأمام نقطة القاء الآراء جميعاً — مع بعض النيات الخفية — فقد كان وجه الجنرال «ديغول» الذي راح يرز باستمرار كرئيس للأمة .

وعلى تقدير ذلك كان غسق «بيتان» قد آذن . فقد أصبح الرئيس المتم غريباً بالنسبة لشعب أحبه واحترمه . وقد شهد خريف ١٩٤٣ مجهاً للإفلات من الأزمة المميتة ، فقرر إغفاء «لافال» مرة ثانية ، وفكَّر بالعودة إلى طريق الجمهورية الثالثة بإنشاء مؤسسة كاملة لشخصيات تدور إلى انعقاد الجمعية الوطنية حول «لوسيان روبيه» و«ليون نوريل» . وأمام «لافال» ، الذي علم بالأمر ، فقد أبلغ «كروغ فون نيدا» ، ممثل «ألمانيا» في «فيشي» . وكانت رسالة المارشال قد سُجلت على أسطوانة ، فمنع «نيداً» إذاعتها . ورد «بيتان» على ذلك بأنه سوف يكفَّ عن ممارسة سلطاته كرئيس للدولة ؛ إلا أنَّ هذا العصيان الشيُوخِي لم يزعزع «هتلر» الذي قال : «لن أقبل أبداً بإعادة ظهور جمعية أعلنت الحرب على «ألمانيا» . وكانت الدبلوماسية قد وسمت هذه الجمعية نفسها كطريدة العدالة بسبب السلطات المطلقة التي منحتها للمارشال . فشرعية الجمهورية الثالثة ، والحالة هذه ، قد تعطلت في كلِّ الحانين .

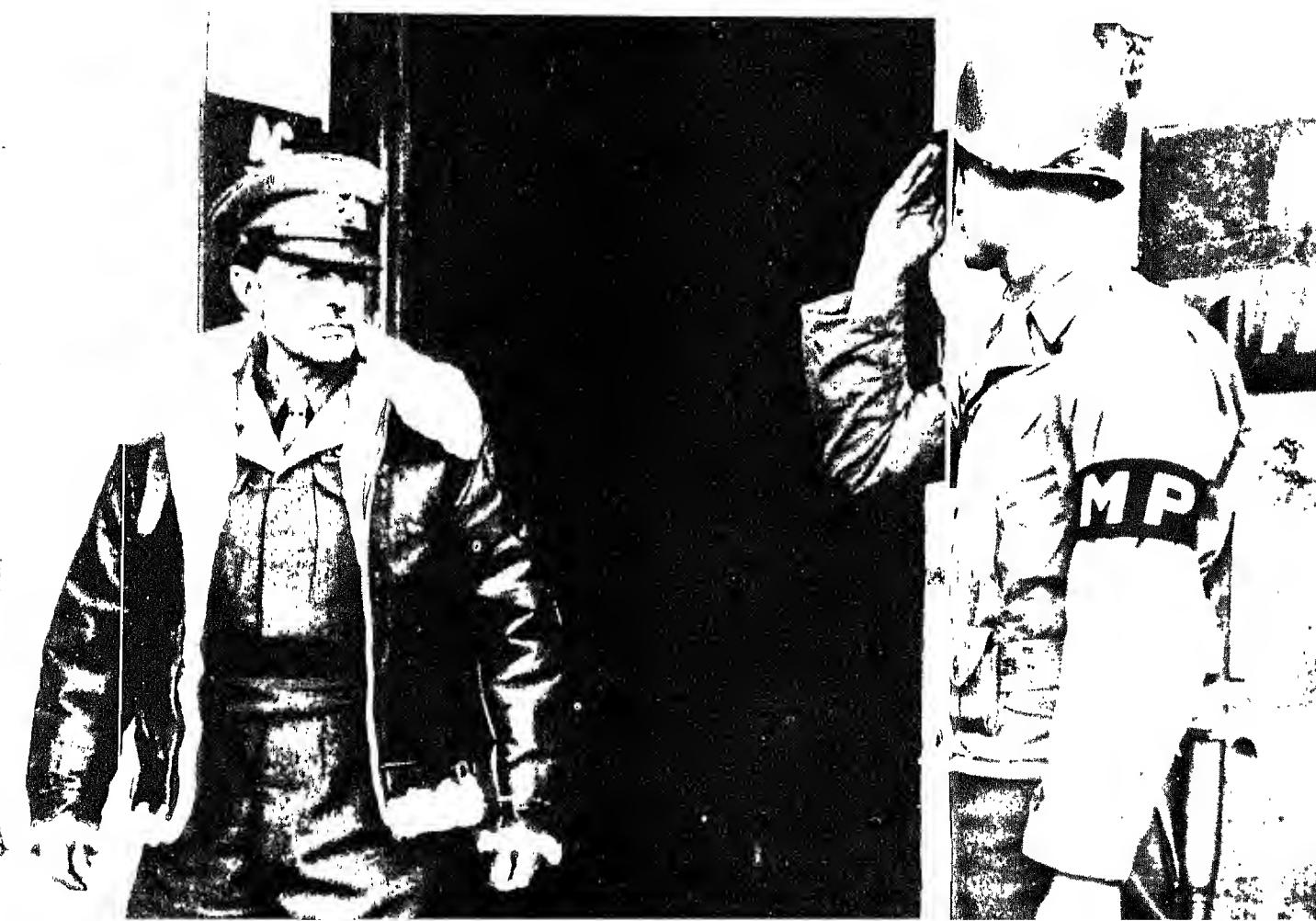
وانتهى الأمر بخضوع المارشال أمام السفير «أبتر» الذي رافقه «سكورزني» وفرقان مصطفحان صاعقان . وبقي «لافال» في منصبه . وهذه الحادثة قد ختمت عهد «فيشي» كحاصلة ، فراحت تموت خلال الشتاء ، تهجرها تدريجياً الدوائر العامة التي كانت تتحلّ أو تعود إلى «باريس» . وكانت أوّل المقاومة تحيط بها من كلِّ صوب ، تهدّها وتزرع فيها القلق والخوف .



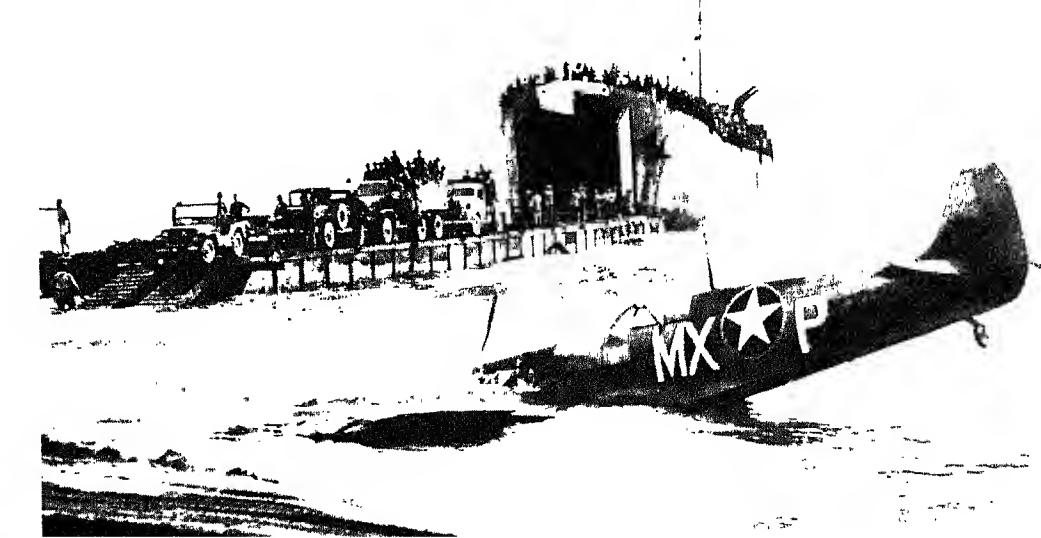
في حين كانت القوات الخليفة
تحتاج «صقلية» ، راحت القوات
الخوبية تلك طرق المواصلات .



رجلان من رجال الإسعاف يقلان
أحد الجرحى في خراب «كاسينو».



أحد رجال الشرطة
العسكرية بخيي
الجزر الـ (الكتندر) .
وقد قدم «لابزهور»
تقريباً عن الجهات
في ٢٤ تشرين الأول ،
فبدأ له الوضع «مقلاعاً
جدأً» .





مدينة «فورميا» الستراتيجية التي دفع عنها الألمان دفاعاً مستعيناً . وقد احتلتها الحلفاء في 19 أيار 1944 .



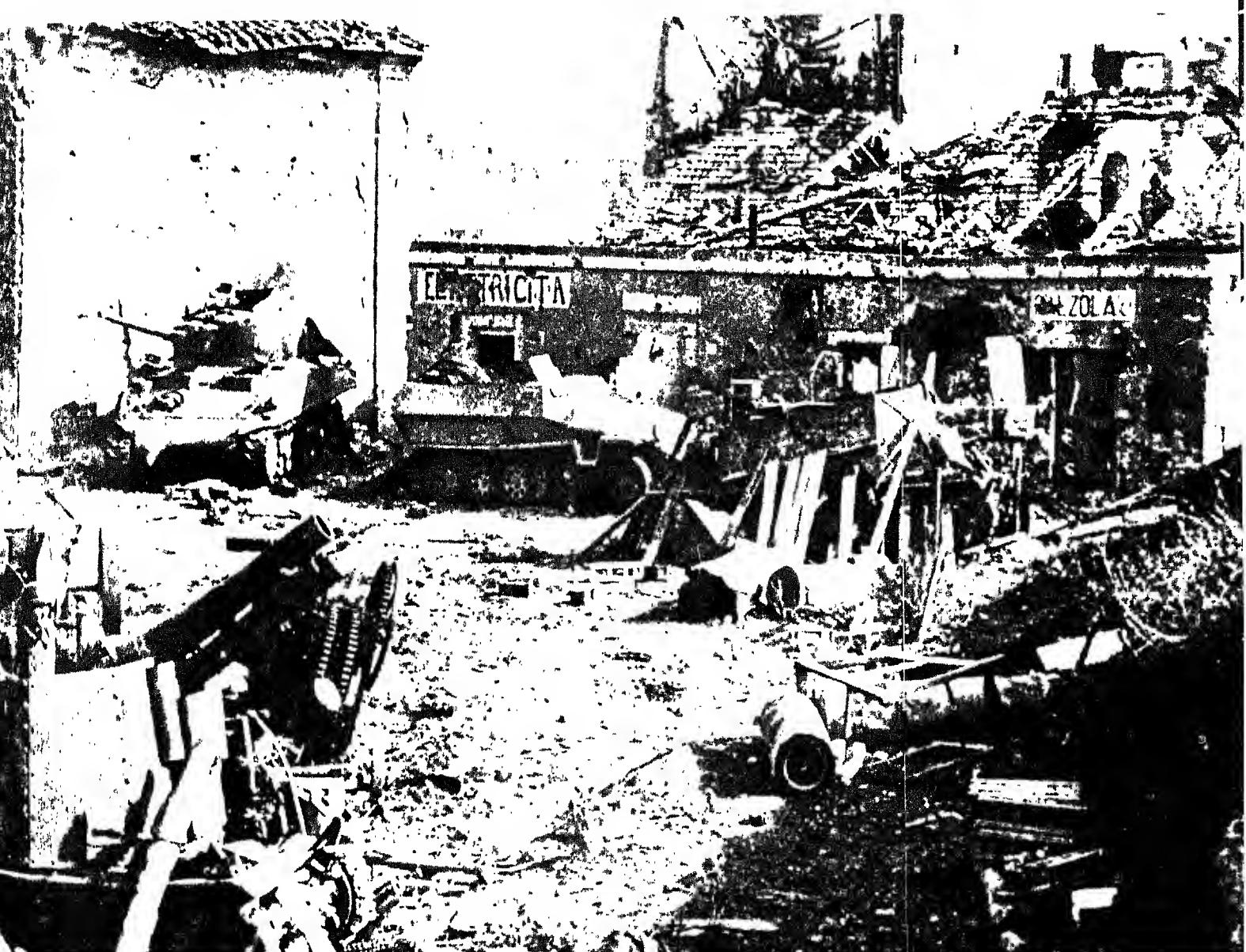
الجزء «كلارك» داخلاً إلى «نابولي» وقد جلا عنها الألمان .



▶ الجنود الانكليز يسوقون الأسرى
الألمان إلى الموئمة .



▼ مدينة «كاموتتشيني» التي احتلها
الألمان غير مرّة .



«إيطاليا» الغارقة في النار والدم

الفصل الرابع والعشرين

كانون الأول ١٩٤٣ - حزيران ١٩٤٤

ربيع

الطريق إلى الدار

أربع «ماشتاين». الذي كان يقضي سهرة العيد مع جنود الفرقه ٢٠ بالعودة إلى قيادته في «فينتر». فإذا بالآباء التي تنتظره هناك تتعذر حدود مخاوفه. فالجيش الخمسة المرابطة على جهة «أوكرانيا» الأولى قد شنت هجوماً أوسع مما يكون نطاقاً على جانبي طريق «كيف - جيتومير» كلّيهما. أما جيش الديبابات الألماني الرابع. ولما يُداعم الدعم اللائق إثر المعرك العنيفة التي شهدتها الأسابيع المنصرة. فقد تلقى صدمة لم يكن يتوقع منها مداهنةً وعفناً.

وشهد الأسبوع الأخير من عام ١٩٤٣ أنياب الجبهة الألمانية. فإذا «جيتومير». التي أعيد احتلالها في ٢٠ تشرين الثاني. تعود إلى الروس في أول كانون الثاني. وتضعضع جيش الديبابات الألماني الرابع فندا القتال عسيراً لغاية. ناطفت حالة الجنو. ولكن مطرًا غزيرًا من الثلج الدائب قد اكتنف «أوكرانيا» من كل جهة، وحال أحذار الطقوس ضرب بالأوامر التي تحثّم على القوات الصمدود والمقاومة عرض الماء. واستحال التراجع أحياناً إلى فرار. فسيب خسارة فادحة في العتاد.

هذا ولم يكن وضع المهاجم لاماً في كل مكان. ففيما احتفظت فرق «الحرس» والشكيلات المصطفحة بمستواها. غصت مجموعة الفرق السوفياتية بجهور يزيد غزارة يوماً بعد يوم. فقد أشارت فرق الديبابات الأولى إلى أن نصف الأسرى لا يبلغون الثالثة عشرة. وإلى أن بينهم علمانياً لا تتعذر سنهما الثالثة عشرة. ووصف الجنرال «فون فورمان». قائد الفيلق المصطفح ٤٧. «حسوداً قد جمعت بسرعة تكاد لا تعرف لها بزة. تشمل كتائب من النساء كنـ. لأسباب خاتـ. يطهـون طعامـنا ويغسلـن ثيابـنا في «روستوف». فمن أصل ألف أسير اعتقلـهم فيلهـه كان واحدـ من عشـرين يحمل سلاحـاً. وكان أكثرـ من النصف حـنـاء. وأضافـ: إذا اصطـدمـتـ هذهـ الجـماـهـيرـ بـجـوشـ سـلـيمـةـ منـيـتـ بـخـسـائـرـ خـفـيـةـ. إلاـ أنهاـ تـجـدـ دـجـدـ أـمـواـجـ الـبـرـ». أـنـهاـ تـجـدـ دـجـدـ أـمـواـجـ الـبـرـ».

عاد «ماشتاين» في ٤ كانون الثاني إلى مقر القيادة العليا متسلحاً بقرار ظنه عاتياً ماضياً. فطلب مقابلة مع «هتلر» لا يشهدها غير «زيتـلـر» رئيس الأركان. كان مطالع خطابه ما يلي: «يا زعيـميـ. علينا أن ندركـ بوضـوحـ أنـ مـرـائـنـاـ لاـ تـعـودـ إـلـىـ تـفـوقـ الـعـدوـ الـمـاـدـيـ فـحسبـ. بلـ إـنـهاـ تـعـودـ كـذـكـ إـلـىـ الطـرـيقـةـ الـتـيـ نـذـيرـ بـهـ دـفـةـ الـحـرـبـ...». تـغيرـتـ مـلـامـحـ وجهـ «هـتلـرـ» عـندـ سـاعـهـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ. وـسـقطـ جـوابـهـ بـعـنـفـ لـاهـتـ: فـمـاـ منـ أحدـ غـيـرـهـ. هوـ «هـتلـرـ». وـقـدرـ عـلـىـ قـيـادـةـ الـجـوشـ الـأـلـمـانـيـةـ. وـمـاـ منـ أحدـ غـيـرـهـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـحـمـلـ عـبـءـ الـحـرـبـ. وـقـالـ: «أـفـعـنـدـ مـثـلـ أـنـكـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ. يـاـ «ماـشـتاـينـ». أـنـ تـفـرـضـ الطـاعـةـ الـتـيـ أـفـرـضـهـ أـنـ. «هـتلـرـ»؟...».

عاد «ماشتاين» إلى معركته بخلي حنينـ. كانت سـرـعةـ التـقدـمـ

جـبلـ «ـكاـسـپـيـوـ»ـ كـمـاـ بـدـاـ بـعـدـ وـقـفـ إـطـلاقـ النـارـ.



عن فتح «لينينغراد» لم يبقَ للجناح الأيمن من الجبهة الشرقية سوى أهمية ستراتيجية ضئيلة ، وكان التراجع إلى «نارفا»، وحتى إلى «الدوفا»، الذي طالب به الجنرالات كلّهم بغية تقصير الجبهة، وتقليل خطوط المراحل، وإعادة تشكيل قوى الاحتياط ، موافقاً لواقع الجديدة . بيد أنَّ «هتلر» كان يقول : «لا ، ثم لا». كان يخشى تحاول «فنلندا» من جهة ، ويخشى من جهة أخرى أن يوفر التراجع المفترَّ لروس موقعَ هدَّد حركة نقل الحديد الأسوجي .

كشفت دلائل الحملة منذ الخريف ، وأخذت تتضاعف ابتداءً من أول كانون الثاني . وبرز من فجوة «أورانيوبوم» في ١٤ منه جيشاً صدام سوفياتيَّان هما الثاني والأربعين والثاني ، فحملما باتجاه «تسارسكويي سيلو». وفي اليوم عينه زحف الجيش التاسع والخمسون على «الفولنوف» من كلا جانبَي «نوفغورود»؛ كانت نقطة التقائه ذينك الرهفين «لوغا» على نهر «اللوغا» ، وهي قلب المُؤخِّرات الألمانيَّة . أمّا المدفَّع فتطويق الجيش الثامن عشر وأسره .

خففت وطأة الشتاء عمَّا هو مأمول ، وضوءُ انْهيار الثلج : غير أنَّ قلة الطرقات ، وعمق الغابات ، وضراوة الأنصار ، قد أضررت بالاجناد الألمانيَّة . نعم «هتلر» على «كوخلر» فأحل محلَّه رجلَ الأيام العصبية ، «مودل»؛ فعزَّز منه المأثورة كانت ضرورة إلإنقاذ الجيوش الألمانيَّة في الشمال . فلكَ الروس الحصار عن رأس جسر «أورانيوبوم» في ٢٠ كانون الثاني . وفي ليل ٢٢–٢١ ركنت القوات الألمانيَّة ، التي كانت متعرِّكة كالسمِّ بين «النيفا» و «الفولنوف» ، إلى الفرار خلائق مدعيتها . حاول «مودل» ثبيت الجبهة على «اللوغا» ، إلاَّ أنَّ النهر لم يكن موقفاً دفاعيَاً . وفي ١٢ شباط اتصلت الجيوش السوفيَّاتيَّة المتطلقة من «لينينغراد» بالجيوش السوفيَّاتيَّة المتطلقة من «نوفغورود» ، ولكنَّ فرصة إيقاع الجيش الثامن عشر في الأسر كانت قد فاتت ، فانساب باتجاه طرفيَّة بحيرة «ليبوس» . أي «نارفا» و «بليسکو» ؛ لقد لاقى من العنت شيئاً كثيراً ، ولكنه نجا .

إنْقل الخطر إذ ذلك إلى الجيش السادس عشر ، تعرَّضت ميسّرته لنطْر التطويق ، فعمد مرغماً إلى تراجع سريع باتجاه الجنوب الغربي . عبر غابات شاسعة خلو من الدروب؛ فأخلقت مدينتان طلماً أطنبت الدعاية الألمانيَّة زهواً بهما على اعتبار انتمائهما الدعامتان اللتان أوقفتا الرمح السوفيَّاتيَّ في شتاء ١٩٤١–١٩٤٢ ، وهما «ستارايا روساً» الواقع على مقربة من بحيرة «إلن» ، و«شولم» ، آخر موقع ألمانيٍّ على «اللوغا». واستدار الجيش السادس عشر على ميمنته وتراجع مسافة ٢٠٠ كلم ليتحمَّم بخار الشمالي . حققت الجيوش الروسيَّة في أول آذار ما طالب به الجنرالات الألمانيَّ «هتلر» عبَّاً : فأعيدت جبهة مجموعات جيوش الشمال إلى موقع «بنتر» الدافعي . غاب دويُّ المدفع عن «لينينغراد» ، وعاد «الاتحاد السوفيَّاتيَّ» إلى حدود ١٩٣٨ .

لم تحمل هزيمة «كيف» في «أوكريانيا» «هتلر» على تعديل ستراتيجيته أو خططه . فقد الجيش الألمانيَّ الجزء الأكبر من خطَّ «الدنبيِّر» ، ولكنَّه تشتَّت بالنهر بواسطة جيب يبلغ عرضه ٥٠ كلم يقع ناحية الربع من «تشيركاسي» . وترسم الجبهة بعد ذلك انعطافاً عميقاً أمام «كيرنوفغراد» و«كرييفوي روغ» ، ثمَّ تلتقي «الدنبيِّر» قبلة «زابوروجي» وتعبره لتفطيء برأس جسر مناجم اليسكل في «نيكوبول»؛ وبعد أن تعود إلى ما وراء «الدنبيِّر» ، تسير بمحاذاة حتى مصبِّه في «خرسون» . هذه الخطوط المترحة الخطرة ، أصرَّت أوامر قيادة جيش البرَّ على وجوب الدفاع عنها من غير تنازل !

تقاسمت تلك الهمَّة ثلاثةُ جيوش ، ينتمي أحدها إلى المجموعة أ» (فون كلايست) وينتمي الآثار الآخران إلى مجموعة الجنوب

الروسيِّ تضاهي سرعة الحرب الصاعقة . إذ تراوحت بين ٣٠ و ٤٠ كلم في اليوم . وأمتاز الرمح الروسيِّ بإقدام لم يعهد له مثيل ، فانفتح بشكلٍ مروحة . واتجه الفرع الشماليُّ نحو «كوروسين» فانزع «نوفغورود» . ومضى لاحتلال «سارني» الواقع على تخوم مستنقعات «البرِّيَّت»؛ واجتاز الفرع الأوسط حدود ١٩٣٨ ومضى يستولي على «لاك» و «رونو» وقد ظلَّتا طويلاً مدينتين بولونيَّتين عسكرت فيها الحامية المكلفة بمراقبة «الاتحاد السوفيَّاتيَّ» . أمَّا الفرع الجنوبيُّ فانزع «برديتشيف» ومضى باتجاه نهر «بوغ» في «أوكريانيا» . شنَّ «مانشتين» هجومه المعaskنس معتمداً على فيلقين . وتمكن من تحطيم هذا الرأس من الخطاطف الثلاثيِّ الشوكات في الوقت الذي كادت تبلغ فيه «فينيتزا» وتقرب من «أمان» . وأوقف التقدُّم الروسيِّ في الاستجاهات الأخرى امتدادُ المواصلات وحالة الأرض . إلاَّ أنَّ إسفيناً واسعاً ، بلغ من العمق ٥٠٠ كلم ، قد دفعَ في الجبهة الألمانيَّة . ففصل مجموعة جيوش الوسط عن مجموعة جيوش الجنوب .



دبَّابات «تيغر» الألمانيَّة تشنَّ هجوماً معاكِساً لصدَّ الثغرة التي تحدها الدبَّابات السوفيَّاتيَّة . وتبعد إلى اليمين دبَّابة ألمانية وهي تشعل .

أكثر ما كان يثير الإعجاب أنَّ رحْفاً واسع النطاق كهذا لم يستند القوة السوفيَّاتيَّة . ففيما هزم الروس الألمان أمام «كيف» «أخذوا بردَّ وهم أمام «لينينغراد» . لم تكن مجموعة الشمال ، التي يقودها المارشال «فون كوخلر» ، قد عرفت منذ ستين غير ترجمحات طفيفة ، فقد اضطرَّ الجيش السادس عشر إلى الفرار من حصار «لينينغراد» ، والتخلُّي عن «شاولبورغ» ، والإفلَاع عن تقليص رأس الجسر السوفيَّاتيَّ في «أورانيوبوم» ، غير أنه ظلَّ محظوظاً لنفسه بنافدة تطلُّ على «النيفا» و«مسكَاً» بقسم من «الفولنوف» و «نوفغورود» وبحيرة «إلن» . وكان الجيش الثامن عشر قد جلا عن جيب «ديميانتشك» . ولكنه ظلَّ متشبِّثاً «بستارايا روساً» و «شولم» . كان القتال قتال خنادق تتعاهَب فيه على التوالي بروفة قطبيَّة وحرارةً مستنقعية في قلب طبيعة فنطة عاتية . كان «كوخلر» قد اضطرَّ إلى التخلُّي عن قسم من قوَّاته لمجموعات الجيش الأخرى ، فيما مدد قطاعه عدة مرات . إلاَّ أنه ظلَّ محتفظاً بـ ٤٨ فرقة لم تكن ، والحقَّ يقال . واحدة منها مصفحة . وهكذا . ومع إجراء حساب «فنلندا» ، كان ثلث القوَّات الألمانيَّة في «روسيا» محمداً شماليًّاً «فينيسك» . كانت مثل هذه النسبة منافية لما هو معقول ؛ فمنذ أن أُلْقِع الألمان



لقد تحطّم الجليد تحت وطأة إحدى الشاحنات في مستنقعات «البربيت».

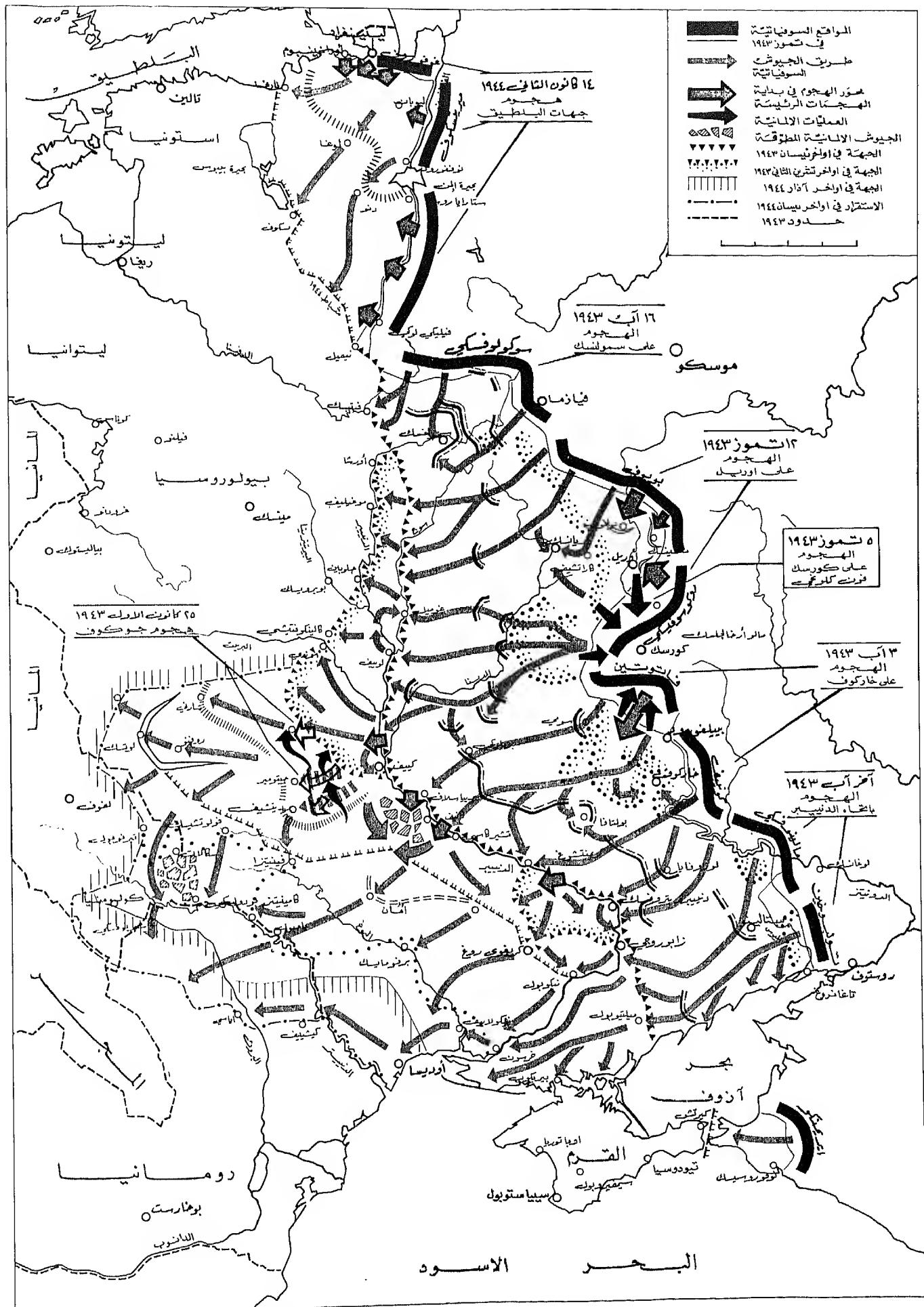
فالفوج المصفح التابع لفرقة الدبابات ١٤، مثلاً، قوامه ٧ دبابات من طراز «بز. ليف. ٤»، و ٤ مدافع هجوم، و ٤ دبابات من قاذفات الالهب، أي ما يعادل عتاد سريّة. أمّا أفواج رماة القنابل، التي يخوض عدد رجالها القانوني إلى ١٠٠، فما كانت تضم أكثر من ٥٠٠ رجل إلا نادراً. كُلّفت الفرق بحماية قطاعات يتراوح اتساعها بين ١٨ و ٢٥ كلم، بالاعتماد على ٣،٠٠٠ محارب على خط النار، وذلك، لعمري، ستار من الرجال رقيق، لا تستطيع أية قوة احتياطية خلقيّة بهذا الاسم أن ترافقه. هذا وقد حُظر إجراء أي تصريح في الجبهة، كما حُظر اللجوء إلى أي تراجع متعمد، بالغاً ما بلغ تفاهته، من غير موافقة الفوهرر السابقة.

في ٢٥ كانون الثاني شنت جبهتا «أوكرانيا» الأولى والثانية هجومهما على جانبي الناقلة، وفي ٢٨ منه التقتا في «سفينيغوروفكا» الواقعة على

(«هون مانشتين»). ففيما غطى جيش الجنوب السادس . بقيادة الكولونيل «جزال «هوليدت»، مدينة «نيكوبول». حفظ جيش الشمال، وهو جيش الدبابات الأول، بقيادة «هوبن» جزال القوات المصفحة، اتصالاً وهياً بجيشه الدبابات الرابع . وإنّه سينهما . داخل الجيب الذي يتدفق عليه حربه حتى «الدنبيبر»، الجيش الثامن بقيادة «فوهرن» جزال المدفعية . وبعثا بذلك الجيود الرامية إلى إقناع «هتلر» بعمادة تلك الناقلة ذات الجنابات المشاة، فكمما كان قد رفض التخلّي عن «الفولغا» في «ستالينغراد» . رفض التخلّي عن «الدنبيبر» في «تشيركاسي» . أتى الاحتلال «كيروفغراد» . في مطلع كانون الثاني . يزيد الرفع الألماني تازماً وخطورة . أربى عبطة الجيب على ٤٠٠ كلم . وكتب داخل ذلك التلول الضخم أربعة فيالق هي ٧ و ١١ و ٤٢ و ٧٤ المصفح، إلا أنَّ هروء ميدان القتال . وتفكّك الوحدات . قد حدّا من قوتها .

مُرْضون ألمان يحاولون حماية جرحهم من أذى النيران جنوبى «خاركوف».





العمليات في الجبهة الروسية (نوز ١٩٤٣ - نيسان ١٩٤٤)

ضفة ير صغير ذي خبرى صيق هو «غوبيلوي تيكيش»؛ عطوف بذلك فيلقان ألمانيا هما الـ ١١ والـ ٤٢، وقد شملـه فرق من المشاهـ ، وفرقة «فيكتـ» المصفـحة العـابـقة ، ولواء «فلـونـي» المـصفـح الصـاعـقـ .

ما كان «هتلر» ليعد عن غية وضلاله . فإذا بالفعالة إزاء هذه الكارثة الجديدة هو الفعالة إزاء «ستالينغراد» سابقاً . فلقي الحال «ستيرمان» .

ترتفع إلى ١٦ والـ ١٧ والفرقة النموذجية ، وفرقة الدبابات الأولى ، من الغرب إلى الشرق ، ضمن إطار جيش الدبابات الأول ، هاجم الفرق ١١

و ١٣ و ١٤ . وفرقه الدبابات ٢٤ ، من الشرق إلى الغرب ضمن إطار الجيش الثامن . ولسوف يسحق العدو سهلاً . ولكنّ الأمور لا تجري

في حومة الوعي بمثيل ما تجري به من سهولة على الخارطة؛ فقد اصطدم حشد القراء المصححة بعقبات هائلة؛ فالأرض، تنهي ثباتها وتعود إلى التجمد

لليلًا ، فتفرق العربات في هوات من الوجود تارة ، وتطورًا تحيط بها خمس نساء كلارا ، ناتاليا ، لانا ، أنيتا ، شاتيلا ، إيلينا ، القاتلة

علاف كإيسمنت المساج صلابه . اني يوم ٢ سبتمبر وتم بيع من الفوات
المعنية مكانه غير قسم ضئيل . ييد أن إرجاء المجموع لم يكن ممكناً .

فالقوات تستنفد قواها داخل الجيب . ولا يأتي التموين الجوي إلا بقسم ممّا لا بدّ منه . ومطار «كورسون» بات مهدّداً . سمعت المجموعتان

المسفحةتان بيسالة ، طوال أيام عشرة . في التقدم من الرفقاء المطروقين .
فاصطبعت المجموعة المتم ، أي فريق الديانات ٤٧ ، الذي يقوده

الجزء السادس عشر: ملخص المقالات في العدد السادس عشر من مجلة المعرفة، وذلك في مجلد مكون من سبعين صفحة.

وأصطرط إلى التوفُّر على بعدٍ ١٠ كلم من أجيب . وتحت المجموعه
اليسرى ، أي فيلق المبابايات الثالث ، بقيادة الجنرال «براث» . من

الوصول إلى مسافة ١٣ كلم من المحاصررين ، وافتقت بدورها .
وإذا بأساة «ستالينغراد» تمثل من جديد . ييد أن «ستيمرمان» .

وقد كان أقلّ انصياعاً من «باولوس» ، تخطى أوامر «هتلر» فترك «الدنسير» . ودفع بقواته نحو الغرب باتجاه المقدّسین . إلاّ أنَّ رجاله

منه أن يسلم . فسلم الكولونيل «فون فيله» الرسالة وأمر بإعداده المسوس إلى خطوطه . وعلم بأن «هتلر» قد أحاله إلى المجلس العربي بتهمة التخابر مع إسرائيل .

التفاوض مع العدو . ودعا الجنرال «فون سيدلير» ، وحقيقة «بسمارك» الكويت «فون أيسيدل» . رفقاءهما إلى الاستسلام باسم «اللجنة القومية لتحرير

اللانيا». فسد المحاصرون آذانهم دون ذاك النداء، ولكن قواهم كانت قد بلغت آخر حدود التلف. فقد الجيب ثلاثة أرباعه. كما

فقد مطار «كورسون». إذ ذاك قام «مانشتاين» بما لم يجزوه على القسام به «ستالينغراد». فأو، «ستالينغراد» ثقيلة ينفذ منها

الثانية للبيان الأولي تذكر قيامه بالخطب والصلوة والافتراض

اطلقت المدفعية الألمانية آخر قذائفها مساء ١٧ سبتمبر، وانقضت
الرجال الأصحاء كلهم ثلاثة أربال وراء الدبابات الأخيرة. كان الليل

حالك السوداء صفيفاً . وقد ثبّت التجمّد الليلي الأرض . أمّا سلاح التقب فكان الحربة . فوجيء الروس بتلك الشرافم البائسة التي

افتقدت عليهم . ومررت عبر معارك بلغت من التفكك حدّاً عجز معه الناجون عن الوصول إلى سد منتماسك . سقط الميزال «ستيرمان»

السبعين من المؤذن إلى سرير متلاصق . سمع بصره المثير والكلوينيل «فوكيم» أثناء الخروج . ولكن ٣٠٠٠ رجل . من أصل
٢٠٠٠ مكانتهم ١١٦ تذكرنا . بالماء فـ«الآباء» الثالث

احتفلت الدعاية المثلثية بتلك الليلة احتفاءها بـ«أمير البطولة». وقال الجنرال

«فون فورمان» بلهجة ساخرة لاذعة : « لقد ذهل رجالنا عندما علموا

أنهم قد أحرزوا نصراً كبيراً ... الواقع أنَّ فيلقين آخرين قد سمحقاً .
وأنَّ موقعة «تشيركاسي» ضاعفت نجاح الفرصة التي ما فيَّ الروس
يتمتعون بها منذ «ستاليفراد» ، ألا وهي عزل جيش الجنوب الألماني .
ودفعها نحو البحر الأسود لإياضها .

فمن مصائب «الدنسير» إلى «الكريات» رسمت جبهات «سوفياتية» أربع خطأً من حيث يتحقق بمجموعات جيوش «مانشتاين» و «كلايست». أسلدت جبهة «أوكرانيا» الأولى ظهورها إلى مستنقعات «البريت» التي لا يمكن اجتيازها، وكان «جوکوف» قد حلّ على رأسها محلَّ «فاتوتين» الذي أصيب بصرخ بلغ ، واستدارت نحو الجنوب ضدَّ جيش الدبابات الرابع المستطيل المفكك الأوصال ، وضدَّ جيش الدبابات الأولى الذي استبدَّ به العياء . ونامت جبهة «أوكرانيا» الثانية والثالثة ، يقودهما «كونيف» و «مالينوفسكي» ، بكلكلهما على الجيش الثامن النازف الأقطع . وأخيراً ، فيما استمرت جبهة «أوكرانيا» الرابعة في محاصرة «قرم» بقيادة «تولوخين» ، طوّقت الجيش السادس في الواقع اللامعقولة التي فرضت أوامر «هتلر» الصارمة التمسكَ بها على «الدنسير» الأسفل وما وراءه .

ما كادت موقعة «تشيركاسي» تنتهي حتى مني الجيش السادس
هذا بالهزيمة ، فانتزعت منه مدينة «نيكوبول» التي طالما بذلت من أجلها
الضحايا في ٨ شباط . كان فيلق الدبابات الـ ٢٤ (فرقة الجبلة الأولى
سابقاً) في طريقه نحو الشمال للإسهام في فك الحصار عن فيلق
«ستيرمان» ، فأعيد على جناح السرعة نحو الجنوب . إلا أنه ، وقد
تبخرت في الرجل طويلاً ، وصل بعد فوات الأوان ، فلم يتمكن من
إنقاذ مدينة «النيكل» ، ولم يوفق كذلك في إنقاذ «كرييفوي روغ» مدينة
الحديد التي سقطت في ٢٢ شباط بعد صداع الخطوط الألمانية في
«أبستولوفو» ، وانحرف الروس نحو البخوب فحصروا الجيش السادس
على «الدنبير» بالقرب من «خرسون» ، إلا أنه تملص وكافح على
نهرين متوازيين هما «إنغوليز» و«إنغول» ، فلم يفلح في تركيز الجبهة :
فأخذ الروس ، وليس ما يستطيع صدّهم ، يقتربون من «أوديسا» التي
بلغ إلى سراديبها الشاسعة ١٠،٠٠٠ من الأنصار يسبطون ، منذ ستين .
كل المحاولات الألمانية التي بذلت لخنقهم بالدخان أو لتجويعهم .
ودارت شمالياً «أوكريانيا» رحى معركة أخرى ؛ ففي ٤ آذار حمل
«جوكرف» على جانبي «شيبيفكا» كليهما ، ووجهته «شيرنوفيتس»
عاصمة «بوركوفين» التي كانت رومانية من ١٩١٩ إلى ١٩٣٩ . توغل
الروس على عادتهم ، وواحدوا منذ الغد يهددون خط «ليمبرغ—أوديسا»
الذى يؤمن وحدة الاتصال المباشر بمقاطعات البحر الأسود . وحمل
الألمان حملة معاكسة بفرق مصفحة ثلاثة ، بيد أنهم لم يفلحوا في
المحوول دون قطع الرؤوس الخط الحديدي الأول بالقرب من «تارنوبول» .
ولن يكون ثمين مجموعة «فون كلايست» ممكناً بعد اليوم إلا بالالتجوء إلى
التفاقات طويلة تمر «بسسلوفاكيا» و«المجر» .

وحلت فترة الوحول . ولو تقيد الروس بالسابقة التي أرساها الريبعان السابقان لتوقفت العمليات طوال أسبوع . ولكنها، بدل أن توقفت . انطلقت اطلاقاً جديداً ، فأثارت بذلك ذهول القيادة الألمانية التي كانت تحسب حساب المدورة الموسمية . لن يصف المحاربون حملةً بعبارات أكثر إثارة للرعب والجزع من التي وصفوا بها هذه الحملة ؛ وسيكونون للذكرى تراجيهم الفلت ، وهم غارقون في الوحل حتى الأفخاذ ، وعرباتهم تنفر كلما دارت لها عجلة . وقد أتقل كواهلهم خوفاً الوقوع في الأسر . وطأة كابوس ثقيل مخيف . بدبيهي أن تحرّكات الروس أخذت تتباطأ . وأن مدى عملياتهم عدا محدوداً ، وأن دبيب الإعباء الذي نال من



قتاصان ألمانيان خرجا من «نيكوبول» سالمين ، ولكن مرهقين .

السهيل بطبيعة رخوة تذوب فتعذّي بنوابتها بحر الوحل . وكان اجتياز الأودية المحرّجة الوعرة ، كواodi «سيريث» ، يشكّل عقبات هائلة ويفرض معارك ضارية . هذا ، والطيران الروسي يمطر الألمان منشوراتٍ كهذه تقول : «أنتم مطهّرون تماماً ، ليس لتمديد مقاومتكم أيّ معنى . اترك لكم فرصة للاستسلام تنتهي في ٢ نيسان ، وتحتّم مرّ هذا التاريخ رمي بالرصاص أسير من أصل ثلاثة . الإمامداء : «جووكوف» ، مارشال «الاتحاد السوفيتي» . الواقع أنّ حلقة الحصار كانت ما تزال ضعيفة . وأنّ القوات التي تولّفها كانت عرضة لهجوم يشنّه في ظهرها الفيلق المصفح الصاعق الثاني ، السائر لنجدية الجيش الأول . جرى الاتصال في ٦ نيسان في «بوكرىكز» على «الستريبا» ، فاستدعي الجنرال «هوبى» إلى «برشتسبادن» ليقلّد وسام الفارس ذا أوراق السنديان المرصّعة ، ولكن الطائرة التي أعادته إلى جيشه تحطّمت وقضت عليه .

قبل ذلك بأيام ، أي في ٣٠ آذار ، أوقف المارشال «فون مانشتاين» من رقاده ، وأعلم بأنّ طائرة «هتلر» الشخصية قد وصلت إلى «ليميرغ» لنقله إلى «برشتسبادن» . وكان المارشال «فون كلايست» قد نُقل في اليوم السابق في الشروط المفاجئة عينها . فأعلن «هتلر» للمارشالين أنّهما لم يبقَا صالحين لشكل الحرب السائد بعد اليوم على الجبهة الشرقية ؛ فقد انصرم عهد المناورين ، وأمست الفضيلة العسكرية الرئيسة إرادة في الصمود لا تعرف اللابن والتساهيل ، تغذّيها عزيمة لا تعرف الشفقة . ولذا فقد عمد «هتلر» إلى أن يستبدل بالاستقراطيين الذين من أبناء الشعب : «مول» الذي يتسلّم قيادة مجموعة جيوش الجنوب ، وقد دُعيت من جديد مجموعة «شمال أوكرانيا» ، و«فردينان شورنر» الذي يتسلّم قيادة مجموعة الجيوش «أ» ، التي غدت تُعرف بمجموعة «جنوب أوكرانيا» . وقبل ذلك بقليل كان تبّيل آخر ، هو المارشال «فون كلوجي» ، وقد جُرح في حادث سيارة . قد استبدل به على رأس مجموعة الوسط نازي آخر هو «إرنست بوخ» .

فـ«أئمهم قد تضاعفت سرعته : إلا أنّ التفوق النسبيّ كان لصالحهم . فهم أوفر من خصومهم استعداداً لتحمل مضائقات الوحول . كما أنّهم أوفر استعداداً لتحمل الثلج . فعربات التموين عندهم أخفّ . وأجهزتهم المزخرفة ، التي تعتمد على زنادر أعرض وأوسع . تفوق الدبابات الجيش الألماني وجرأاته قدرة على التحرّك .

تالت الضربات . فدحرت جبهة «أوكرانيا» الثانية الجيش الثامن في ٦ آذار . وزحفت على «أمان» ، سقطت المدينة واستمرّ الرمح باتجاه «البوغ» . فبلغه . وعبره في ٢٠ منه . وما لبث «جووكوف» أن استأنفَ حملته فأغرق جيش الدبابات الرابع . وعبر «الدنبيستر» . واحتلَّ «شيرنوفيتز» في ٢٤ منه . وهكذا ، خلال ثلاثة أسابيع . وبالرغم من الوحول . حقّقت جبهتها «أوكرانيا» الأولى والثالثة تقدّماً يزيد على ٢٠٠ كيلم . فاجتبيحت «رومانيا» . وهدّدت «المجر» ؛ بل حدث ما هو أدهى من ذلك إذ طوقَ جيش الدبابات الأولى ! أمّا تسبّع الولايات فتفع هذه المرة أيضاً على كاهل «هتلر» ؛ فهو لم يرضَ بالتخلي عن الثالثة التي كان جيش الدبابات الأولى يرسمها وراء «البوغ» إلاّ في اللحظة الأخيرة . وأمرَ بأن تنظم «فينترزا» تنظيم قلعة ، ويان يدفع عنها حتى الموت . إلاّ أنّ هذا الأمر الأخير قد خرق . فأصرّمت النيران بغير قيادة الفوهير وبالقرية الأيقنة التي بُنيت «لغورنخ» ؛ بيد أنّ التراجع من «البوغ» إلى «الدنبيستر» ، في غمرة النوبان ، كان بمثابة المزينة بالنسبة لجيشه الدبابات الأولى . فقد أخذ الماشة . وقد أرهقهم الوحول . يلقون بأمعتهم . وبأسلحتهم أحياناً ، وأهمل الساقطون عرباتهم العالقة في الوحول . وغداً عبروا الأنهر ، بعدما استحالوا بمحيرات ، عسيراً على جسور مزدحمة متداعية . وما لبث تقدّم العدو أن سبق جيش الدبابات الأولى فأدرك ضيفي «الدنبيستر» قبل أن يدركهما . وفي ٢٣ آذار تصافح الجيшиان السوفياتيان ، الأولى والرابع ، خلف ظهره ، جنوبى «كامينيز - بودولسك» ، فإذا بفرق عشر تجده نفسها في الطوق ، وإذا بقادتها «هوبى» ، الذي أسعفه حظّ خارق في الخروج من «ستانلينغراد» ، يُلقي نفسه من جديد في فم الذئب . وأعاد التاريخ الريح الكثيف سيرته ، فأقامت طائرات «يو-٥٢» جسراً جوياً ؛ فالطريق الروسي طفيف خفيف ، ومقاومة المدفعية المضادة للطائرات ما زالت ضعيفة ، ومع هذا ما كانت الكثيّفات المنقوله لنفي بالحاجة الأولى لا من قريب ولا من بعيد . طلب «هوبى» أن يشقّ لنفسه ثغرة مباشرة باتجاه الجنوب ، مع ما يحفل باتقحام مجرى «الدنبيستر» من عقبات ، بيد أنّ «هتلر» فعل ما فعله في «ستانلينغراد» ، فحضر على التخلّي عن موقعه الأماميّة . فبادر «مانشتاين» إلى «أوبرسالزبورغ» ؛ وهناك صب «هتلر» حام لوجه وتقرّبه ، فذكّر بـ«مانشتاين» كان قد طلب منه انسحاباً إلى ما وراء «الدون» ، «فالدونيتز» ، «فالدنبيستر» ، «فالبوغ» ، واعداً في كلّ مرة بصدّ العدو على جهة فضلّى ، وكان العدو في كلّ مرة يقتحم الحاجز الجديد . ولكنه قبل أخيراً بالموافقة على اقتراحات المارشال : فسيؤمن «فون كلايست» أمر الدفاع عن «رومانيا» بعد أن يضمّ الجيش الثامن إلى قيادته ؛ أما جيش الدبابات الأولى . بدل أن يشقّ لنفسه طريقاً نحو الجنوب ، كما طلب ذلك «هوبى» . فسيتجه نحو الغرب بغية الاتحاح بجيشه الدبابات الرابع والحوّل دون التدفق السوفيتي على السهل المجري . احتلّت «المجر» زيادة في التحفّظ ، وفرض «هتلر» على الوصي «هوريثي» رئيس وزارة محبيّاً للهتلرية هو «ستوجاج» السفير السابق في «برلين» ، الذي حاول تفعيل البلاد المهدّدة .

إنّه جيد جيش الدبابات الأولى بصعوبة نحو الغرب ، سائراً على خطّ موازٍ «الدنبيستر» . كانت اهتمارات الثلوج الغزيرة المتأخرة تكسو

انتقام ومَهَارَكَ في إيطاليا

أثيرت قضية «تشيانو»، فصهر الدوتشي ما زال تحت حراسة أم ، في سجن «فيروني». وقد ألحقت به امرأة اسمها السيدة «بيتر». وهي عملية من عمليات الغستابو. فكانت تلعب دوراً مزدوجاً. ولقد قال «تشيانو» لقاضي التحقيق الإيطالي : «إنها تلتصق بي كطابع بريدي على غلاف رسالة ! ييد أنني أعرف مبتغى الألمان : إنهم يرغبون في الحصول على مذكرة تاري . وهم لن يحصلوا عليها أبداً». ومن ناحية أخرى كانت السيدة «بيتر» قد تعلقت بالسجنين في الوقت الذي كانت تمارس فيه مهمتها كجاسوسية . فراحت تحاول إنقاذ حياته .

وقد خمسة من أعضاء المجلس الأعلى الذي صوت في ٢٥ تموز ضد «موسولياني» في أيدي الفاشيين الجدد ، فباتوا يشاطرون «تشيانو» مصيره . وهم : المارشال «دي بونو» ، والوزيران السابقان «باريسكي» و«تشيانتي» ، ورئيس اتحاد العمل «غوتاردي» ، وأخيراً «مارينيلي». وفي مؤتمر الفاشيين الجدد ، المنعقد في «فيروني» لبضعة أسابيع خلت ، كان بعض الأصوات العنيفة قد طالب برسوها . وحاوت «الكونيسة تشيانو» أن تأتي لتشفع لهم لدى والدها . ولكن الألمان أغلقوا الباب في وجهها . وقد أعلن «موسولياني» عن عجزه . وقد اختارت حكومة «سالو» القضاة التسعة من بين المجاهدين الفاشيين ذوي الخبرة الطويلة ، فبدأت المحاكمة في «كاستيليفيكيو» في ٨ كانون الثاني . كان برد قارس يذيب المتهمن . وكان المارشال «دي بونو» ، البالغ من العمر ٧٦ عاماً، قد استُعد من



ما دامت جيوب الجندي الألماني قد حشيت قذائف ونحوها ، لم يبق له إلا أن يحمل زاده من الخيز والشاي بهذه الطريقة .

في ٢ نيسان تناول الفوهرر القلم ليقرر النتيجة التالية التي سجّلها في مذكراته رقم ٧ : «لقد أدرك الزحف الروسي نهايته ، وأنهك الروسي قواه . فحان وقت إيقافه بشكل نهائي». كان خطط هذا التوقف النهائي ، المتمدد من مستنقعات «البريت» إلى البحر الأسود . يرسم على النهج التالي : «كوفيل - برودي - تارنوبول - أسفل «الكربات» بين «كولومبيا» و«ترغول - نيميت - جاسي - كيشينيف». ستتحرّك الجبهة إلى الأمام وراء هذه المدينة الأخيرة . فسير بمحاذاة النهر الساحلي «تيليفوت» . بغية تعطيلية «أوديسا». مرافق تموين الجيش السابع عشر المحاصر في «القرم».

الجنود الألمان المحاصرون في «تشيركاسي» يتلقون اللدد من طعام وعتاد .



المستشفى . فيما سيق الآخرون من سجن «سكالتسكي». كان لهم محامون . إلا أنه لم يكن يحق لهم استدعاء الشهود . إنتهت المحاكمة في غضون ٤٨ ساعة . وقد حاول المتهمون أن يثبتوا أن اعتراض ٢٥ تموز لم يكن في رأيهم وسيلة للقضاء على «الدوتشي». وحافظ «تشيانو» و«دي بونو» على كرامتهما . ولكن «مارينيلي» ، راح يبكي ويتوسل قائلاً إنه كان ضحية صممته وغباوته . وفي غرفة التداول كانت المحكمة قد بدأت تميل إلى الرأفة حين روع القاضي «فينزاليني» القضاة

بعد «مانشتين» و«كلابست». وحتى بعد «مول». طلب «أنطونيسكو» الجلاء عن شبه الخزيرة . حيث تشارك في القتال ٧ فرق رومانية هي الآن ضرورية لحماية أرض الوطن ، فرفض «هتلر» ، زاعماً أنه لا يليق به أن ينفتح العدو هبات مجانية في الوقت الذي توقف فيه وكاد التزف يتلفه . إنها ، لعمري . لروياً جديرة بروء الآنياء ! فما مضت ستة أيام ، وحلَّ الثامن من نيسان ، حتى شنت على خطوط «بيريوكوف» حملة روسية شعواء ... لقد حان دور «القرم» !

الأوهام زالت سريعاً؛ فالنعومة الإيطالية لم تكن غير قناعٍ . والبلد في طبيعته الحقيقية ليس إلا جبلاً متصلًا مفتراً إلى الطرقات ينزل عليه الخريف المبكر سوولاً من الأمطار عرمة ، ثم يخل الشتاء من بعده فيواريه تحت ثاؤجه . وأمّا الجيش الأميركي فهو كثير الشغل يتلاءم مع الطبيعة المتوسطية : طرقات مقطوعة ، وحدات غائصة ، توين معرقل ، الخ . ثم إن العدو لم يكن يطلق ساقه لاربع كما توطّد الوهم بعد سقوط «نابولي» . بل كان يخوض قتالاً عنيفاً مؤخراً ، بغية كسب الوقت لبناء حاجز قوي . وأمّا المخطّط الذي انتقا «كيسيلنغ» لهذا الحاجز ، فأصله مصب «الغاريليانو» . على خليج «غاياني» ، وبaitه على «الأدرياتيك» ، على مصب «السانغرو» ، ومن الصفة إلى الأخرى كان الموقع (موقع غوستاف) ملاصقاً لجبل يبلغ علوها ١،٥٥٩ و ٢٠٧٠ و ٢٠٥٢ متراً ، توفر رؤية حسنة ، وسهيلات للرمي على شواطئ «الغاريليانو» و «الرابيدو» و «السانغرو» الجنوبية الأكثر انخفاضاً . وكانت منظمة «نودت» تدير الأعمال ، وكانت كاتب العمّال التي جنتها الحكومة الفاشية الجديدة تزود هذا العمل باليد العاملة . وقد استُخدِمت كافة موارد التحصين شبه الدائم ، وخصوصاً لإقامة سدٍ منيع أمام مدخل وادي «الليري» في «كاسينو» .

وفيما راح العمال الإيطاليون يشيدون «خط غوستاف» . كان المقاتلون الألمان يفرضون على مداخله أماناً باهظاً ، فاحتلال الواقع المتقدمة . وهي خط الشتاء ، قد فرض على الجيش الخامس الأميركي ، وعلى الجيش البريطاني الثامن ، قتالاً طويلاً بطيء التقدّم . ومن ١٥ تشرين الثاني إلى ١٥ كانون الثاني لم تتعدد الأرض التي احتتها الأميركيون الـ ١٥ كلّم . وأمّا الانكليز فكانوا أكثر بطأً من ذلك . وكان رؤاؤهم يبدون تعسّساً حيال ثمن الدماء البندول . وشروا للجزرارات الأميركيتين أن «بريطانيا العظمى» قد استهلكت طاقتها البشرية ، وأنّهم كانوا يخالون الحدّ من الخسائر . لا لأنّ الاستبدال قد غدا صعباً فحسب ، بل كذلك لأنّه كان عليهم أن يفكروا بمستقبل بلدّهم الاقتصادي والإحصائي .

كان الأنصاص متساوين بالنسبة للوحدات الكبيرة . وعلى الرغم من أنَّ المارشال «كيسيلنغ» قد جمع تحت إمرته في ذلك الوقت مجلّم القوات الألمانيّة في «إيطاليا» ، أي المجموعة «ج» ، فإنّه لم يتمكّن من التصرّف بحرقية بالجيش الرابع عشر ، إذ أنَّ «هتلر» كان ما زال متخلّفاً من نزول في خليج «جنوا» . فالجيش العاشر كان يقوم بالقتال بمفرده . بإمرة «فون فيتنغوف» ، وقد أصبح يضم ١٢ فرقة بعدها أمدّ بثلاث فرق ، منها الفرقة الجبلية الخامسة القادمة من الأصقاع الفنلندية . ولكنَّ الفرق الألمانية قد تبدّلت إلى ستَّ كاتب المشاة ، أو حتى إلى أربع . لا تتعدّى عدّتها الـ ٤٠٠ رجل . وقد قدر «كيسيلنغ» تفوق العدو بنسبة ١٣ إلى ١ من ناحية العدد ، وبـ ١٠ إلى ١ بالنسبة لقوّة النيران .

ومن الجهة الخلية كان الجيش الثامن يعدّ ٤ فرق بريطانية وفرقة كندية . وكان الجيش الخامس مؤلّفاً من ٤ فرق أميركية و ٣ فرق انكليزية . وكان الجنود مجتمعين في مجموعة الجنود ١٥ وإمرة السير «هارولد ألسندر» ، الذي كان خاضعاً للقائد الانكليزي الأعلى في الشرق الأوسط السير «هنري ميللاند ولسون» الملقب بـ «جامبو» . وأمّا «اينهاور» ، الذي عيّن لعملية غزو «أوروبا» الغربية . فقد غادر المتوسط . وكان «مونغومري» ، الذي عيّن مساعدًا له ، على وشك اللحاق به .

في أواسط تشرين الثاني نزلت في «نابولي» مقدمة دعم قوية مولّفة من فرقة المشاة المغربية الثانية . وفي «تونس» كان الجيش الفرنسي قد قاتل في نطاق نظام أيام المدنة بعناده البالي الناقص . وهذا هو يعود إلى الظهور في «إيطاليا» بالحللة الجديدة التي أغدقها عليه الحلفاء .

الآخرين بتدخله العنيف . فأعيد سحب الظروف المختففة التي كانت قد تقرّرت للمارشال المترم . ولم ينج من العقاب غير «تشيانيني» وحده . وكتبت «إدا تشيانو» إلى «موسولي» ، وكتبت كذلك إلى «هتلر» مهدّدة بإفشاء أسرار رهيبة . عارضة مذكريات زوجها مقابل حياته . إلا أنَّ عباراتها المؤثّرة لم تجد نفعاً . حتى إنَّ التماس العفو الذي وقعه المحكوم عليهم بالإعدام لم يستقلّ إلى «موسولي» ، وذلك بسبب تدخل «باقوليني» الذي قال إنه من القسوة والوحشية أن يطلب من رجل أن يثبت شرعاً حكم الإعدام بحقَّ والد أحفاده . وقد أعدم «تشيانو» و «دي بونو» و «باريسكي» و «غوتاري» و «ماريني» رمياً بالرصاص من الخلف ، على يد جنود لا كفاءة لهم . حتى إنّه كان عليهم أن يطلقوا الرصاص محمدًا لإيجازهم على الضحايا الموليين ! وفي الوقت نفسه كانت «إدا» تنتقل إلى «سويسرا» حيث أصبحت المذكريات في مأمن . وفيها ما يدين زوجها و «موسولي» و «ريبنروب» على السواء .

إنَّ هذه الكارثة الأهلية والسياسية هي الصفحة الوحيدة التي تجدر الإشارة إليها في نظام لم يستطع الخروج من العدم . وأمّا «موسولي» فقد بالغ في التنجي لدرجة أنه لم يحضر موتمر «فبروني» . وتکاثرت جماعات الأنصار . وكذلك اغتيالات أعيان الفاشية الجديدة . ولكن ، في الإجمال . كانت المقاومة التي جاءت حكومة «سالو» وأسيادها الألمان ضعيفة نوعاً .

وقد قام الشيوعيون بتحريلك الإضراب في مصانع «فيات» ، إلا أنَّه قمع بسهولة ، مع أنه لم يكن هنالك في «تورينو» حيث نشب غير متّي ألماني . ففي الشمال الذي كان في أيدي الألمان ، كما في الجنوب الذي احتله الحلفاء ، كانت كتلة الشعب الإيطالي لا تخلُم إلا بالسلام . ولم يتوصّل أيّ من المارشالين الخصميين «غرازياني» و «بادوليو» إلى إنشاء ما يشبه الجيش لا من قريب ولا من بعيد . وراح «روما» تتحبّط في الزرع ، ولم يتمكّن غير حفنة جنود إيطاليين من تقرير مصيرها .

إنَّ ساحة القتال لشهيره هي . فطريق الساحل ، التي أطلق عليها اسم الطريق رقم ٧ ، هي طريق «آلياً» . وأمّا طريق الداخل ، وهي التي حملت الرقم ٦ ، فهي طريق «لاتينا» أو «كاسيلينا» . ومن الناحية العسكرية لم تكن أية طريقة من الطرقين ميسورة ؛ فطريق الساحل تحتاج ممرات عديدة وتعبر سهولاً قابلة للفيضانات . وأمّا طريق الداخل فهي تقطع «الفولتوينو» في «كابو» و «الرابيدو» في «كاسينو» ، مجاورة ، على طول المدى . أرضًا باللغة الحشونة . وما وراء «كاسينو» ينفتح رواق «روما» و «الوادي اللاتيني» ، أو وادي «الليري» ، الذي يشرف على أمَّ الأديرة البنديكتية الرائعة في بنائها القائم فوق قلعة جبيل «كاسينو» الطبيعية . وبعد انتصار «ساليرنو» ، والاستيلاء على «نابولي» ، جهرت العدة لغزو «روما» في النصف الثاني من شهر تشرين الأول . ولكنَّ

فرقة المشاة الثانية تبحر من «وهران» في طريقها إلى ساحات الوعي في «إيطاليا» .



الجيش الفرنسي يعاني ولادة جديدة عسيرة

أني هذا الظهور الجديـد ثمرة متأخرة لاتفاقات «ألفة» التي جرى التوقيع عليها لستين خلتـا بين الجزـال «جيـرو» وحكومة الولايات المتـحدـة». وقد رمت إلى تشكـيل جـيش من ٣ فرق مـصـفـحة . وـ٨٠ من فـرق المـشـاة الـآلـيـة . كما رـمت إلى تـشكـيل سـلاح لـلـطـيرـان يـشـمل ٥٠٠ مـطـارـدة . وـ٣٠٠ قـاذـفة قـتـابـل . وـ٢٠٠ طـائـرة مـن طـائرـات النـقل . إلـخ . أمـا عـدـد أـفـرـاد هـذـا الجـيش العـتـيد فـكان بـمـثـلـة ٤٠٠،٠٠٠ رـجـل . على أـمـل أـن تـبـلغ نـسـبة الرـجـال أـورـوبـيـاً وـاحـدـاً مـقـابـل اـثـيـن مـن أـهـل أـفـريـقيـا الشـمـالـيـة » .

الـجـعـ «جيـرو» في تـنـفـيـذ هـذـا البرـنـامـج بـعـزـيـة مـاضـيـة عـمـيـاء . وـقد اـتـخـذ لـفـسـهـ الشـعـارـ التـالـي : «هـذـا وـاحـد هو النـصـر» . وجـعـ مـثـلـهـ الأـعـلـى وـاحـدـاً فـرـداً . وـهوـ العـودـة إـلـى القـتـال . ولـكـنهـ تـجاـوز اـتفـاقـات «أـلـفـة» بـتـشكـيل وـحدـات نـجـبة . كـفـيـقـاً «أـفـريـقيـاـ الحـرـ» . وـكتـيـبـة العـسـادـام ، وـخـصـوصـاً المشـاة المـغـارـبةـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـعادـلـون فـرقـةـ قـوـيـةـ . ولكنـ الـخـلافـاتـ الفـرنـسيـةـ الـجـافـةـ أـخـيرـتـ اـنـبعـاثـ «ـفـرـنسـاـ»ـ العـسـكـرـيـ وـعـرـقـلـهـ » .

إـنـتـهـىـ اـرـدوـاجـيـةـ «ـفـرـنسـاـ»ـ الـحـارـجيـةـ مـبـدـيـةـاًـ فيـ ٣ـ حـزـيرـانـ ١٩٤٣ـ :ـ ذـاكـ آنـ الـجـزـالـ «ـدـيـغـولـ»ـ الـذـيـ وـصـلـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ «ـالـجـزـالـ»ـ لـأـرـبـعـ أـيـامـ خـلـتـ .ـ قـدـ اـقـتـسـمـ مـعـ الـجـزـالـ «ـجيـروـ»ـ رـئـاسـةـ بـلـةـ التـحرـيرـ الـقـومـيـ .ـ وـالـعـاقـعـ آنـ ماـ جـرـىـ .ـ حـتـىـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـعـسـكـرـيـ .ـ كـانـ تـلاـصـقاًـ لـأـنـصـهـارـ ،ـ فـهـنـاكـ جـيشـانـ فـرنـسيـانـ مـتـنـازـعـانـ .ـ مـتـقـارـبـانـ تـمـتـ أـنـظـارـ الـأـمـيرـكـيـنـ الـتـيـ مـتـبـرـمـيـنـ .ـ يـعـتـمـرـ أحـدـهـماـ أـكـالـيلـ عـارـ «ـبـيرـ حـكـيمـ»ـ ،ـ وـيـزـهـوـ بالـاختـيـارـ الـبـطـولـيـ الـذـيـ عـمـدـ إـلـيـهـ يـوـمـ بـدـاـ كـلـ شـيـ فـسـائـلـ مـفـقـدـاًـ .ـ أمـاـ الـآـخـرـ .ـ وـقـدـ وـلـدـ جـيشـ الـمـدـنـةـ وـاتـسـمـ بـطـاعـنـ الـعـهـدـ الـذـيـ قـطـعـهـ لـلـمـارـشـالـ «ـبـيـتانـ»ـ .ـ فـمـقـعـمـ بـالـفـسـيـنـيـةـ الـذـيـ خـلـقـتـهـ مـآـسـيـ «ـالـرسـيـ الـكـبـيرـ»ـ وـ «ـدـكـارـ»ـ وـ «ـعـكـاـ»ـ .ـ كـانـ جـيشـ «ـدـيـغـولـ»ـ .ـ وـهـوـ أـقـلـ الـجـيشـينـ عـدـدـاًـ ،ـ أـكـثـرـهـماـ تـهـجـيـمـاًـ وـاسـتـفـراـزاًـ ،ـ فـقـدـ اـنـصـرـفـ إـلـىـ حـمـلـةـ تـشـيـعـ دـاعـيـاًـ إـلـىـ الـإـزـراءـ بـالـضـيـاطـ الـذـيـ كـانـواـ جـنـودـ «ـفـيـشـيـ»ـ .ـ وـمـاـ لـبـثـ الـحـصـوةـ أـنـ اـنـقـلـاتـ إـلـىـ «ـتـيـوـرـكـ»ـ حـيـثـ فـقـدـتـ الـبـارـجةـ «ـرـيشـولـيوـ»ـ .ـ الـمـرـسـلـةـ لـلـتـرـمـيمـ فـيـ أحـوـاضـ «ـبـرـوكـلـينـ»ـ .ـ ١٢٠ـ رـجـلـاًـ مـنـ رـجـالـهاـ عـرـرـ بـهـمـ عـمـلـاءـ دـيـغـولـيـونـ .ـ فـالـحـقـوـهـمـ بـأـسـطـولـ «ـفـرـنسـاـ»ـ الـحـرـةـ .ـ وـأـخـيرـاًـ قـرـرـ صـهـرـ الـجـيشـينـ فـرنـسيـنـ فـيـ ٢٢ـ حـزـيرـانـ .ـ إـلـىـ آـنـ تـيـجـيـةـ ذـاكـ الصـهـرـ لـنـ تـلـهـرـ إـلـاـ روـيـداـ روـيـداـ .ـ

تـبـعـ «ـرـوزـفـلتـ»ـ مـراـحلـ التـرـاعـ الـفـرنـسيـ بـسـخـطـ شـدـيدـ .ـ وـنـبـهـ «ـتـشـرـشـلـ»ـ إـلـىـ آـنـهـ لـنـ يـسـعـ «ـدـيـغـولـ»ـ لـأـشـخصـيـاًـ .ـ وـلـاـ بـوـاسـطـةـ مـنـاصـرـيـهـ .ـ تـأـنـ يـفـرـضـ سـلـطـتـهـ عـلـىـ الـجـيشـ الـفـرنـسيـ»ـ .ـ ثـمـ دـعاـ «ـجيـروـ»ـ إـلـىـ «ـأـمـيرـكـاـ»ـ وـاسـتـقـبـلـهـ اـسـتـقـمـالـ الـمـالـوكـ .ـ «ـفـدـيـغـولـ»ـ .ـ فـيـ نـظـرـهـ .ـ يـسـعـ بـهـةـ لـأـ تـعـرـفـ التـوـانـيـ .ـ إـلـىـ آـنـ يـصـبـحـ السـيـدـ الـأـوـحـدـ .ـ فـإـذاـ هـوـ فـيـ رـأـيـهـ طـيفـ طـاغـيـةـ جـارـيدـ بـيـرـزـ عـلـىـ لـوـحـةـ الـمـسـتـقـبـلـ .ـ فـيـ قـارـةـ أـورـوـبـيـةـ لـمـ تـخـلـصـ بـعـدـ مـنـ طـغـاهـ الـقـدـماءـ .ـ لـذـاـ فـكـرـ الرـئـيـسـ غـيرـ مـرـةـ بـوـضـعـ حـدـهـيـاًـ لـتـسـلـيـحـ الـفـرنـسيـيـنـ .ـ اـعـتـقـادـاـ مـنـهـ آـنـ بـعـضـ الـفـرـقـ الـإـسـافـيـةـ فـيـ نـظـامـ الـمـيدـانـ الـحـلـيـفـ لـأـ يـسـاوـيـ إـقـامـةـ جـيشـ تـهـمـنـ عـلـيـهـ سـلـطـةـ دـكـاتـورـيـةـ لـأـ تـزالـ فـيـ طـورـ الـحـمـلـ .ـ طـرـأـ .ـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ .ـ حـادـثـ خـطـيـرـ وـتـافـهـ مـعـ دـفـعـ بـعـجـلـةـ التـطـورـاتـ الـجـارـيةـ .ـ أـلـاـ وـهـوـ تـعـرـيرـ «ـكـورـسـيـكـاـ»ـ .ـ فـقـدـ أـصـدـرـ «ـهـتلـرـ»ـ أـمـرـهـ بـالـحـلـاءـ عـنـ الـجـزـيرـةـ .ـ أـلـاـ وـهـوـ تـعـرـيرـ «ـكـورـسـيـكـاـ»ـ .ـ نـتـيـجـةـ لـلـاسـتـسـلـامـ الـإـيـطـالـيـ .ـ فـانـكـفـاتـ حـامـيـةـ «ـكـورـسـيـكـاـ»ـ .ـ وـفـوـامـهـاـ الـفـرـقـةـ الـأـلـيـةـ الـمـصـفـحةـ .ـ ٩٠ـ الـمـسـحـبـةـ مـنـ «ـسـرـدـيـنـيـاـ»ـ .ـ وـالـلـوـاءـ الصـاعـقـ «ـرـايـخـفـوـهـرـ»ـ .ـ إـلـىـ «ـبـاسـتـيـاـ»ـ .ـ مـرـفـاـ الـإـقـلـاعـ خـوـ جـزـيرـةـ «ـإـلـاـ»ـ وـالـقـارـةـ .ـ رـاحـتـ فـرـقـ الـمـقاـوـمـةـ .ـ عـلـىـ اـعـتـارـ أـنـهـاـ فـيـ بـيـنـهـاـ

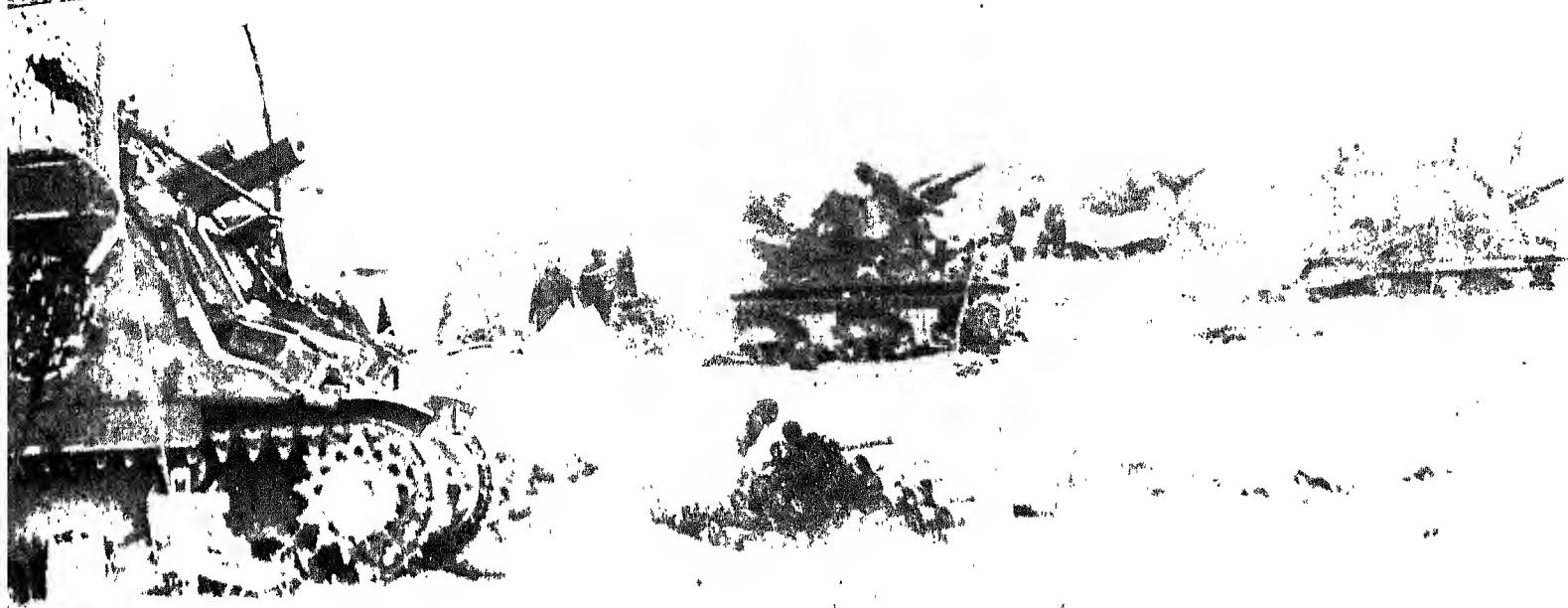
«ـكـورـسـيـكـاـ»ـ .ـ تـشـيمـ الـأـرـتـالـ الـأـلـمـانـيـ تـحـرـشاـ وـمـنـاـشـةـ .ـ وـتـطـلـبـ الـعـونـ وـالـنـجـدـةـ .ـ فـأـعـلـانـ الـأـمـيرـكـيـونـ وـالـأـنـكـلـيـزـ .ـ الـمـصـرـفـونـ كـلـ الـاـنـصـارـ إـلـىـ الـتـرـولـ فـيـ «ـسـالـيـرـنـوـ»ـ .ـ أـنـهـمـ عـاجـزـونـ عـنـ الـتـدـخـلـ ؛ـ إـلـاـ آـنـ «ـجيـروـ»ـ .ـ الـذـيـ كـانـ يـدـبـرـ مـنـذـ زـمـنـ بـعـدـ نـزـولـاـ فيـ «ـكـورـسـيـكـاـ»ـ .ـ دـفـعـ عـجلـةـ الـأـحـدـاثـ بـقـوـاتـهـ الـأـخـاصـةـ .ـ فـيـ السـاعـةـ الـوـاحـدةـ مـنـ صـبـاحـ ١٣ـ أـيـلـولـ أـنـزـلـتـ الـغـواـصـةـ «ـكـازـاـيـانـكـاـ»ـ .ـ الـهـارـبـةـ مـنـ «ـتـولـونـ»ـ .ـ عـلـىـ رـصـيفـ «ـأـجـاـكـسـيـوـ»ـ الـذـيـ تـمـ تـحـرـيرـهـ .ـ ١٠٠ـ رـجـلـ مـنـ كـتـيـبـةـ الـصـدـامـ .ـ كـطـبـيـعـةـ لـحـمـلـةـ صـغـيـرـةـ تـضـمـ ١٥،٠٠٠ـ رـجـلـ .ـ أـنـتـيـهـ بـهـمـ فـيـ الـأـيـامـ الـتـالـيـةـ الـطـرـادـانـ «ـمـونـكـالـمـ»ـ وـ«ـجـانـ دـارـكـ»ـ .ـ وـالـمـدـرـسـتـانـ «ـفـانـتـاسـكـ»ـ وـ«ـتـرـيلـ»ـ .ـ سـبـقـ هـذـاـ الـتـدـخـلـ نـشـاطـ خـفـيـ اـشـبـكـتـ حـبـالـهـ بـالـمـنـازـعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـكـورـسـيـكـيـةـ .ـ وـتـبـادـلـتـ فـيـ الـأـجـزـةـ الـدـيـغـولـيـةـ الـبـلـيـرـيـ وـدـيـرـيـ وـدـيـةـ بـوـادـرـ الـتـجـاهـلـ وـالـمـضـيـقـةـ .ـ أـمـاـ «ـدـيـغـولـ»ـ .ـ وـقـدـ وـضـعـ أـمـامـ أـمـرـ الـحـمـلـةـ الـوـاقـعـ .ـ فـقـدـ أـعـربـ عـنـ «ـاستـيـاـهـ وـأـمـتـاعـهـ»ـ .ـ وـبـهـ إـلـىـ آـنـهـ سـيـسـتـخـلـصـ مـنـ ذـلـكـ «ـالـتـنـائـجـ الـوـاجـهـ»ـ .ـ جـرـتـ الـأـمـورـ فـيـ «ـكـورـسـيـكـاـ»ـ بـشـكـلـ لـاتـقـ .ـ فـحـضـرـ «ـجيـروـ»ـ إـلـيـهاـ شـخـصـيـاـ .ـ وـرـتـبـ نـظـاماـ لـلـتـعـاـنـ الـفـرنـسيـ الـإـيـطـالـيـ .ـ بـيـنـ الـجـزـالـ «ـمـارـانـ»ـ قـائـدـ الـحـمـلـةـ .ـ وـالـجـزـالـ الـإـيـطـالـيـ .ـ «ـمـوـغـلـيـ»ـ .ـ فـاضـطـرـ الـأـلـمـانـ إـلـىـ الـقـتـالـ حـولـ «ـبـاسـتـيـاـ»ـ لـتـغـطـيـةـ إـلـخـارـهـمـ .ـ وـفـيـ ٤ـ تـشـيرـنـ الـأـوـلـ دـخـلـ الـخـيـالـةـ الـأـفـرـيـقـيـوـنـ الـشـمـالـيـوـنـ الـمـدـنـةـ بـعـدـ رـحـيلـ آـخـرـ جـنـديـ الـأـلـمـانـيـ بـأـرـبـعـ سـاعـاتـ .ـ بـلـغـتـ الـخـسـائـرـ الـذـيـ تـكـبـدـهـ الـفـرنـسيـوـنـ .ـ مـنـ أـجـلـ تـحـرـيرـ أـوـلـ مـحـافـظـةـ مـنـ الـبـلـدـ الـأـمـ .ـ ٧٢ـ قـتـيـلـاـ وـ٢٧٠ـ جـريـحاـ .ـ وـسـيـعـرـ «ـهـتلـرـ»ـ فـيـ تـقـرـيرـ قـيـادـةـ الـجـيـشـ الـعـلـيـاـ .ـ لـلـجـزـالـ «ـفـرـيـدـولـيـنـ»ـ فـونـ سـنـجـرـ أـونـدـ اـتـرـيـنـ»ـ .ـ عـنـ «ـأـسـمـيـ تـقـدـيـرـهـ»ـ لـلـطـرـيقـ الـبـارـعـةـ الـذـيـ تـنـظـمـ فـيـهـ الـحـلـاءـ .ـ وـالـعـاقـعـ آـنـ الـبـعـرـيـةـ وـالـطـيـرانـ الـحـلـيـفـيـنـ قـدـ اـفـسـحـاـ مـجـالـ عـبـورـ ذـرـاعـ الـبـحـرـ مـجـانـاـ لـ ٣٠،٠٠٠ـ رـجـلـ .ـ قـدـ اـصـطـحـبـوـنـ الـقـسمـ الـأـكـبـرـ مـنـ عـنـادـهـمـ .ـ أـمـاـ

وـسـرـعـانـ مـاـ اـسـتـخـلـصـتـ تـلـكـ «ـالـتـنـائـجـ»ـ الـذـيـ أـعـانـ عـنـهاـ «ـدـيـغـولـ»ـ .ـ فـمـنـذـ مـطـلـعـ تـشـيرـنـ الـأـوـلـ عـمـدـتـ بـلـةـ التـحرـيرـ الـقـومـيـ .ـ الـذـيـ أـعـيدـ تـنظـيـمـهـاـ .ـ إـلـىـ إـبعـادـ «ـجيـروـ»ـ عـنـ الرـئـاسـةـ الـمـزـدـوـجـةـ .ـ فـلـامـ يـبـدـ «ـجيـروـ»ـ مـمـائـعـةـ .ـ وـقـدـ عـقـدـ الـنـيـةـ عـلـىـ الـأـكـنـافـ بـالـمـهـامـ الـعـسـكـرـيـةـ الـذـيـ تـرـكـتـ لـهـ .ـ فـيـمـنـتـ بـذـلـكـ الـحـطـوـةـ الـحـاسـمـةـ الـذـيـ سـتـفـضـيـ إـلـىـ سـقـوـطـهـ .ـ

كـانـ بـرـانـيـجـ «ـأـلـفـةـ»ـ فـيـ تـلـكـ الـأـثـنـاءـ يـخـوضـ أـزـمـةـ بـعـدـ أـزـمـةـ .ـ فـمـنـ جـهـةـ أـعـربـ الـفـرنـسيـوـنـ عـنـ آـنـ الـتـنـيـيـمـ الـأـمـيرـكـيـ الـمـرـفـ الطـامـيـ يـغـرـقـهـمـ .ـ فـإـذـاـ هـمـ ذـاهـلـونـ مـصـوـقـوـنـ أـمـامـ أـجـهـزـةـ تـضـمـنـتـ حـتـىـ مـصـابـخـ خـاصـةـ بـالـمـيدـانـ .ـ فـغـدـتـ مـوـضـوـعـ تـفـكـهـةـ وـسـخـرـيـةـ !ـ وـلـامـ الـأـمـيرـكـيـوـنـ الـفـرنـسيـيـنـ مـنـ جـهـةـ آـخـرـىـ لـكـونـهـمـ قـدـ طـلـبـوـنـ مـنـ الـفـرـقـ أـكـثـرـ مـمـاـ كـانـواـ يـسـتـطـعـوـنـ مـلـأـهـ .ـ مـنـ حـيـثـ الـطـاـفـةـ الـبـشـرـيـةـ الـذـيـ يـمـلـكـوـنـهـ عـدـدـاـ وـنـوعـاـ .ـ هـذـاـ وـالـتـرـاعـاتـ الـفـرنـسيـةـ تـيـجـيـدـ دـلـىـ كـلـ خـطـوـةـ .ـ وـكـانـتـ إـعادـةـ تـجـهـيزـ الـفـرـقـ الـفـرنـسيـةـ الـحـرـةـ

إـلـىـ بـارـيسـ !ـ جـنـودـ مـنـ «ـأـفـريـقيـاـ الـشـمـالـيـةـ»ـ عـلـىـ أـهـمـ الـاستـعـدادـ لـقـطـعـ الـطـرـيقـ الشـافـةـ .ـ





مدفع من عيار ١٥٠ مم تابعة للكتيبة ١٩١ تهدف حممها في «أنزيو».

«سموكرو» (١٠٢٥ م) وقرية «سان بيترو»، قتالاً دام عشرة أيام . وألاف الأطنان من القنابل . وفي نقطة أبعد إلى الشرق خاضت الفرقة الأميركية ٤٥، ثم الفيلق الفرنسي ، غمار معارك ضارية على الطريقين المتعريجين اللذين يقودان إلى وادي «الرايدو» الأعلى ، مروراً بأصل الجبلين «مايو» (٢٥٩ م) و «ماري» (٢٠٢١ م). وفي ١٥ كانون الثاني ، وبعد تقدم سريع قام به المراكشيون في اليمونة ، وبعدما استولوا على جبل «تروكيو»، تم الوصول إلى خط «غاستاف». وهكذا أنجزت مقدمات المسيرة إلى «روما» بعد شهور ثلاثة من التاريخ المعين لإتمامها . كانت تلك إمامة مؤلمة بالنسبة «لتشرشل» الذي أوهمته محبته أن قلب المحور في المتوسط «بطن رخو»، فإذا البطن صلب من حديد! إذ ذاك انتقل الأمل إلى العملية البرمائية التي كان من شأنها أن تختصر الطريق المريعة . أي إلى التزول في «أنزيو-نستونو»، الذي كان قد قرر في مدينة «تونس» بتاريخ ٢٥ كانون الأول . وأثبتت في «مراكش» بتاريخ ٨ كانون الثاني . كان في الأصل قد اعتبر حركة ثانية . ترافق المرحلة الثانية من المسيرة على «روما»؛ فعاد التفكير به على أنه الوسيلة الفضلى لإسقاط خط «غاستاف» العاتي بتجاوزه. كان التزول إلى البر يرمي إلى الوصول إلى «الجبال الألبية» التي يوفر احتلالها قطع الطريقين ٦ و ٧، وبما وريدا الجيش الألماني العاشر . أعيد تنظيم المخططات . وعمد إلى توسيعها . وقد انتقل عدد

الأول سبيلاً لشعوب الزراع الأول بين «جيرو» واللجنة ، ووفر «جيرو» فرصة سير فيها بطلان لقب «القائد الأعلى» الذي سوف يجرد منه عمّا قليل . أني تشنرين الثاني ولما يتم إنشاء فرقاً واحدة من الفرق المصطفحة التي ذكرها مشروع «ألفة»، وبقيت عدة فرق أخرى في عالم الغيب . لافتقارها إلى الأجهزة المناسبة . أمّا الفرقان الوحيدتان بالجاهزان فهما فرقاً المشاة المراكشية الثانية ، وفرقة المشاة الجزائرية الثالثة؛ فبعد ما جمعنا تحت قيادة الجنرال «جوان»، وساندهما فريق من رجال المشاة المغاربة ، أرسلنا إلى «إيطاليا» ووضعنا إلى يمين الجيش الخامس في قلب الجبهة الإيطالية في «الأبروز»، وهي أشد مناطق الجبهة وعورة .

إخفاق في «أنزيو»، وانتصار في «كاسينو»

في الوقت الذي برز فيه الجيش الفرنسي على المسرح الإيطالي ، أنجز الأميركيون والإنكلزيز بناء شديد احتلال الخط الشتوي . فقد عمل الفيلق البريطاني العاشر ، والفيلق الأميركي الثاني ، طوال عشرة أيام ، تحت وابل من الأمطار ، للسيطرة على «كامينو»، وهو ثلاثة تعلو ٩٠٠ م عن سطح البحر وترتفع على «غاريليانو». وكذلك تطلب احتلال جبل

في ليل ٢٢ كانون الثاني نزل الجيش الخامس في «أنزيو» . وتبدو في الصورة مصفحات برمائية .



فلاحقوا في مستهل النهار بالجحزال «جون ب. لوکاس» قائد الفيلق السادس للتمتع بالمشهد . وعند الظهر كان الجندي قد بلغوا الدائرة المرسومة لآخر النهار . وهبط على «روما» مليوناً مشهوراً تعلم عن مقدم الحلفاء . وعادتطمأنينة إلى الألمان منذ اليوم التالي؛ فيوميات القيادة الحربية العليا قد لاحظت أن العدو كان «هادئاً على رأس الجسر»، بدلاً من أن ينقض على الطرقات وعلى سكة الحديد التي تنقل المدد إلى المدافعين عن «كاسينو» . وأمر «هتلر» الجيش العاشر بالبقاء على خط «غوستاف» . والجيش الرابع عشر بإزالة ثولول «أزيزو» . وأمّا الإعدادات الرامية إلى



إحدى الدوريات الأمريكية تهاجم بمدفعي البازوكا موقعًا ألمانياً قرب «أزيزو».



نزول فرقة المشاة الغربية الثانية في «نابولي» وسط الثلج والهواء الجليدي والأنقاض .

النزلول في منطقة «روما» فقد دخلت في طور التطبيق . فسارت سبع فرق نحو ساحة القتال الجديدة . كان بعضها قادماً من «كاريني» أو من «بروفانسا» ، إلا أن الطيران الأميركي قد بلغ في تقدير الأضرار التي ألحقت بالطرقات وبالخطوط الحديدية . فعمليات النقل كانت تؤخر في بعض الأحيان ، ولكنها لم تقطع أبداً . لقد أفلتت من يد «لوکاس» سانحة ممتازة ، إذ واصل تنظيم رأس جسره من وراء مكتبه . فيما عدت طريق «روما» مشعرة . وأمّا «باتون» ، الذي قام بزيارةه . فقد نصّمّحه بأن «يقتل نفسه أو على الأقل» . أن يصيب نفسه بجروح لأنَّه لا يلحق بجحزال جريج ! وكُتب «تشرشل» يقول إنَّه ظنَّ

المُشـركـين من ٢٤٠٠٠ إـلـى ١١٠٠٠ . وبـدـلاً من فـرـقةـ وـاحـدةـ . سـوـفـ يـنـزلـ الفـيـلـقـ السـادـسـ بـكـامـلـهـ عـلـىـ شـاطـيـءـ «ـأـزـيزـوـ»ـ وـفـيـ مـرـفـأـ صـيـدـ «ـنـتـنـوـنـ»ـ .ـ وـهـوـ مـوـلـفـ مـنـ الفـرـقةـ الـبـرـيطـانـيـةـ الـأـوـلـيـةـ وـمـنـ الفـرـقةـ الـأـمـيرـكـيـةـ الـثـالـثـةـ .ـ كـانـتـ طـبـيـعـةـ الـأـرـضـ مـوـأـتـيـةـ ،ـ فـهـنـالـكـ سـهـلـ شـاسـعـ يـسـيرـ العـبـورـ ،ـ يـرـتفـعـ بـصـورـةـ مـنـظـمـةـ حـتـىـ مـنـحـدـراتـ الـجـبـالـ الـأـلـيـةـ الـمـعـدـلـةـ .ـ وـأـمـاـ فـنـالـ «ـمـوـسـولـيـيـ»ـ .ـ وـهـوـ مـصـرـفـ الـمـيـاهـ الرـئـيـسـ لـلـمـسـتـقـعـاتـ الـبـوـنـيـةـ السـابـقـةـ .ـ فـقـدـ وـقـرـ حـفـرـةـ مـضـادـةـ لـلـدـبـابـاتـ عـرـبـيـةـ تـحـمـيـ مـيـمـنـةـ التـرـولـ .ـ وـأـمـاـ الـمـعـلـومـاتـ فـقـدـ أـبـلـغـتـ أـنـ الـعـدـوـ كـانـ يـمـلـكـ ٣ـ فـرـقـ فيـ مـنـطـقـةـ «ـرـوـمـاـ»ـ .ـ وـبـقـاـيـاـ الـجـيـشـ ١٤ـ فيـ اـتـجـاهـ «ـلـيفـورـنـوـ»ـ .ـ فـضـلـاًـ عـنـ أـنـ الـقـيـادـةـ الـأـلـمـانـيـةـ كـانـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ اـسـتـدـاعـ جـزـءـ مـنـ قـوـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ .ـ كـانـتـ تـخـتـلـ جـنـوبـيـ «ـفـرـنسـاـ»ـ وـ«ـبـلـقـانـ»ـ .ـ وـلـكـنـ الـطـيـرانـ كـانـ مـقـنـعـ بـمـقـدـرـهـ عـلـىـ الـحـوـلـ دـوـنـ وـصـولـ هـذـهـ الـأـمـدـاـدـ إـلـىـ سـاحـةـ الـقـتـالـ بـإـتـلـافـ شـبـكـاتـ الـمـوـاصـلـاتـ بـعـفـعـ .ـ

وـبـدـأـ إـعـدـادـ التـرـولـ فـيـ ١٧ـ كـانـونـ الثـانـيـ بـسـلـسـلـةـ مـنـ الـمـجـمـاتـ تـهـدـفـ إـلـىـ الـإـطـبـاقـ عـلـىـ قـوـاتـ خـطـ «ـغـوـسـتـافـ»ـ الـأـلـمـانـيـةـ .ـ فـاجـتـازـ الـفـيـلـقـ الـبـرـيطـانـيـ الـعـاـشـرـ «ـغـارـيلـيـانـوـ»ـ .ـ وـبـعـدـ مـاـ تـلـقـيـ هـجـومـ مـعـاـكـسـاـ حـامـيـ الـوـطـيـسـ تـمـكـنـ مـنـ الـاحـفـاظـ بـجـزـءـ مـنـ رـأـسـ الـجـسـرـ الـذـيـ اـحـتـلـهـ عـنـ أـقـدـامـ جـبـلـ «ـفـايـتوـ»ـ .ـ وـأـمـامـ قـرـيـةـ «ـكـاسـتـلـفـورـتـيـ»ـ .ـ وـبـعـدـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ،ـ وـفـيـ غـمـرـ الـضـيـابـ الـكـيـفـ .ـ عـبـرـتـ فـرـقـةـ مـنـ «ـتـكـسـاسـ»ـ .ـ وـهـيـ الـفـرـقةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ٣٦ـ .ـ «ـالـرـايـيدـوـ»ـ فـيـ مـنـحـدـرـ «ـكـاسـيـنـوـ»ـ .ـ وـلـكـنـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ اـجـتـياـزـهـ رـجـوعـاـ بـعـدـ ٣٦ـ سـاعـةـ مـخـلـفـةـ عـلـىـ الـضـفـةـ الـعـدـوـةـ ٨٧٥ـ أـسـيـراـ .ـ وـشـمـالـيـ «ـكـاسـيـنـوـ»ـ كـانـ مـصـيرـ الـفـرـقةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ٣٤ـ أـسـعـدـ بـقـلـيلـ مـنـ مـصـيرـ رـفـيقـهـ .ـ فـبـعـدـ مـاـ اـجـتـازـتـ «ـالـرـايـيدـوـ»ـ هـيـ الـأـخـرـيـ تـمـكـنـتـ مـنـ الـبـقاءـ مـنـ غـيـرـ حاجـةـ إـلـىـ الـعـودـةـ عـنـ طـرـيقـهـ .ـ إـلـاـ أـنـ اـنـشـاقـ الـسـدـوـدـ قـدـ غـمـرـ الـوـاـدـيـ بـالـمـيـاهـ .ـ مـمـاـ جـعـلـ تـقـدـمـ الـأـمـيرـكـيـيـنـ صـعـباـ .ـ فـاسـتـولـواـ عـلـىـ ثـكـنـاتـ «ـكـاسـيـنـوـ»ـ وـلـكـنـهـمـ عـجـزاـ عـنـ الـاستـيـلاءـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ نـفـسـهـاـ .ـ وـأـمـاـ الـفـرـنـسـيـيـنـ فـقـدـ سـجـلـواـ نـتـائـجـ أـكـثـرـ أـهـمـيـةـ .ـ بـفـضـلـ جـنـودـهـمـ الـذـيـنـ كـانـوـ أـفـضـلـ تـدـريـيـاـ مـنـ غـيـرـهـمـ عـلـىـ الـقـتـالـ اـبـغـلـيـ .ـ وـاسـتـولـواـ فـوـجـ الـمـاـنـاوـشـينـ الـتـونـسـيـيـنـ الـرـابـعـ عـلـىـ «ـالـبـيـلـفـيـدـيـرـ»ـ وـ«ـالـأـبـانـيـ»ـ بـصـورـةـ رـائـعـةـ .ـ وـاسـتـعادـ الـأـلـمـانـ الـثـانـيـ .ـ وـاحـفـظـ الـتـونـسـيـوـنـ بـالـأـوـلـ .ـ وـلـكـنـ «ـجـوـانـ»ـ لـمـ يـكـرـثـ لـاقـرـاحـهـ الـقـاضـيـ بـالـسـيرـ «ـسـيـفـالـكـوـ»ـ الـذـيـ كـانـ مـهـيـمـاـ عـلـىـ جـانـبـهـ الـأـيـمـنـ بـكـلـتـهـ اـجـبـارـةـ الـمـحـكـمـةـ الـحـمـاـيـةـ .ـ هـذـاـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ «ـكـلـارـكـ»ـ لـمـ يـكـرـثـ لـاقـرـاحـهـ الـقـاضـيـ بـالـسـيرـ عـلـىـ «ـأـتـيـناـ»ـ بـغـيـةـ الـإـمـعـانـ فـيـ خـرـقـ خـطـ «ـغـوـسـتـافـ»ـ .ـ فـأـكـبـ بـعـنـادـ عـلـىـ حـاجـزـ «ـكـاسـيـنـوـ»ـ الـمـيـنـيـعـ .ـ وـهـوـ مـقـنـعـ بـأـنـ الدـخـولـ إـلـىـ وـادـيـ «ـالـلـيـرـيـ»ـ يـفـتحـ أـمـامـهـ طـرـيقـ «ـرـوـمـاـ»ـ .ـ

كـانـتـ خـسـائـرـ الـجـيـشـ الـخـامـسـ فـادـحـةـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ لـمـ تـلـحقـ بـخـطـ «ـغـوـسـتـافـ»ـ إـلـاـ أـضـرـارـ طـفـيـلةـ .ـ وـلـكـنـ ،ـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ .ـ جـاءـتـ أـخـيـارـ غـيـرـ مـرـتـقبـةـ تـشـدـ العـزـائمـ :ـ لـقـدـ لـقـيـ نـزـولـ «ـأـزـيزـوـ-ـنـتـنـوـ»ـ نـجـاحـاـ مـنـ غـيـرـ زـيـادـ .ـ وـكـانـتـ مـنـاـورـةـ إـعـدـادـيـةـ قـدـ تـحـوـلـتـ إـلـىـ فـوـضـيـ لـأـيـاتـ خـلـتـ ،ـ وـأـدـتـ إـلـىـ خـسـارـةـ كـمـيـةـ مـنـ الـعـتـادـ أـنـذـرـتـ بـوـقـعـ كـارـثـةـ ،ـ فـإـذـاـ بـالـوـاقـعـ أـقـلـ ثـمـاـ مـنـ الـخـيـالـ .ـ

كـانـ لـيـلـ ٢٢ـ كـانـونـ الثـانـيـ حـالـكـ السـوـادـ .ـ وـطـشـتـ مـوجـاتـ الـمـجـوـمـ الشـاطـيـءـ بـدـقـةـ حـسـابـيـةـ .ـ فـوـقـعـتـ الـمـفـاجـأـةـ عـلـىـ الـأـلـمـانـ وـقـوـعـ الصـاعـقةـ .ـ وـأـوـلـ جـنـودـ وـقـعـواـ فـيـ الـأـسـرـ كـانـوـ أـرـبـعـةـ مـدـفـعـيـنـ فـيـ دـوـرـيـةـ فـيـ سـيـارـةـ الـأـلـرـكـانـ الـعـامـةـ .ـ وـقـامـ بـعـضـ سـرـيـاتـ الـمـشـاةـ الـمـرـاثـةـ بـمـبـاشـرـةـ الـمـقاـوـمـ تـسانـدـهـاـ الـمـدـافـعـ الـإـيـطـالـيـةـ أـوـ الـفـرـنـسـيـةـ الـقـديـمـةـ ،ـ وـلـكـنـ الـمـقاـوـمـ سـيـحـقـتـ مـنـ غـيـرـ تـوانـ .ـ فـاسـتـولـواـ عـلـىـ مـرـفـأـ «ـنـتـنـوـ»ـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـمـسـهـ سـوـءـ .ـ وـمـنـدـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ تـمـ إـنـزـالـ ٣٦ـ ،ـ ٤٠٠ـ رـجـلـ وـ ٣٠٦٧ـ سـيـارـةـ .ـ وـسـارـعـ الـجـيـشـ «ـكـلـارـكـ»ـ وـ الـجـيـرـالـ «ـأـلـكـسـنـدـرـ»ـ وـ الـجـيـرـالـ «ـدـونـفـانـ»ـ فـيـ أـحـدـ الـقـوارـبـ .ـ

عشر «إيبرهارد فون ماكنسن». وفي ١٠ انتزع فيلق المظليين الأول . والفييق المصفح ٧٦ ، من الانكليز محطة «كاروتشيتو» ومركز «أبريليا» الزراعي النمودجي . وفي ١٦ أذل «ماكنسن» إلى الميدان قواه كافية . أي ٦١ كتيبة تساندها ٢٧ دبابة منها ٧٥ «تيغر». وراح «هتلر» يتبعه سير المعركة ساعة ساعة مشيراً مع كل تقرير من تقارير القيادة الحربية العليا إلى الحاجة العسكرية والسياسية لانتصار كامل . وهجم فوج التدريب من غير أن يسبقه إعداد المدفعية . فتمكّن من قطع خطوط الحلفاء من ناحيتي طريق «ألبانو». في نقطة التحام الفرق البريطانية الأولى والفرقة الأميركيّة الثالثة . وصحت كتيبة «لوياز» بنفسها للجحول دون استغلال العدو هذه الثغرة . وهي ١٩ . في الساعة ١٤:٣٠ . وجذب الجنرال «فيستفال». وهو رئيس الأركان العامة لدى المارشال «كيسلنغ». أن لا مفر من إبلاغ القيادة الحربية العليا أن ضراوة المقاومة . وتفوق طيران العدو . وقصف السفن الحربية . لا تسمح ببقاء العدو في البحر . وقد تأجل الهجوم على هذا الأساس .

استأنف الهجوم في ٢٩ . ثم عاد إلى التوقف في أول أيام . فأصبح مثلث «أزيرو - نتسونو» شبيهاً بقطاعات الحرب العالمية الأولى . بالخندق التي تعرضه ، والأسلاك الشائكة التي تغطيه . وعبر «هتلر» عن خيبته بحدة ؛ فقد كانت نتيجة مباراة «أزيرو» التعادل ، فأفلحت السانحة من أيدي الحلفاء ، غير أن الألمان لم يكونوا النصر الذي كانوا يرجون . كان القتال مستمراً على خط «غوستاف». وبقي «كلارك» على عناه مصرًا على ضرورة نسف سد «كاسينو» لفتح طريق «روما». وقد مكنته تجميع قواه مجدًا من الحصول على فيلق جديد . هو الفيلق اليوزيلندي الثاني ، بقيادة «برنارد فريبرغ» . وعلى ٣ فرق نيوزيلنديّة وهندية وإنكليزية ؛ فقرر «كلارك» الإلقاء بهذه القوات على «كاسينو» في هجوم جبهي .

و قبل أن يحين الموعد المقرر للهجوم بثلاثة أيام ، وضع «فريبرغ» شرطاً وأثار معضلة: فهو يفرض وجوب قصف جبل «كاسينو» وتدمير الدير .

وأما الدير الذي كان قائماً فوق صخرة كبيرة ، والذي لم يكن لديه من منفذ غير طريق واحدة صعبة . فقد بقي مواطناً على الصلاة من غير انقطاع . وبقي الآباء مجتمعين حول رئيسهم الشماني . الأسقف

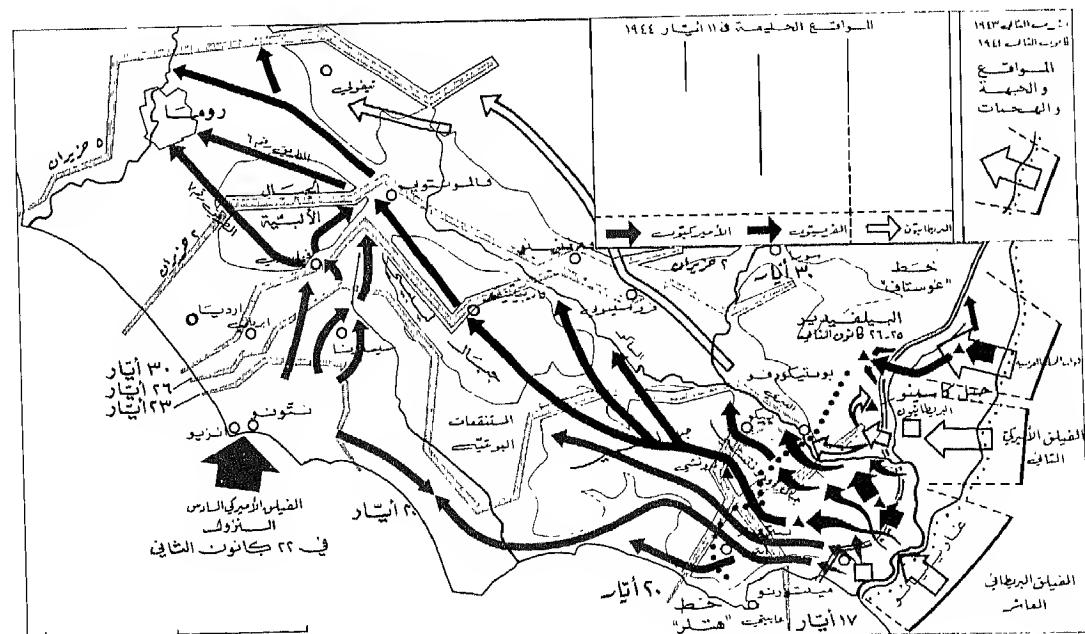


سقوط «كاستيلورizi» في أيدي الكتبيين .

أنه قد أطلق على شاطئه «أزيرو» قطعاً متوجشاً لا حوتاً جانحاً ! وقال «الكسندر» باعتدال إن «لوكاوس» قد «ترك الفرصة تفوته». وعلى نفس ذلك قال «كلارك» . بعد ما استبدل «ترواسكوت» «بلوكاس» . إن احتلال الجبال الأميركيّة . أو الرمح إلى «روما» ، كانا ضربتين من ضروب الموس والجنون . وقد حكم بقصاصه على الحملة نفسها ، فقال إنها باطلة مالم تكن مزودة بالوسائل الملائمة لبلوغ المهدف .

في أول شباط كانت عملية «أزيرو» قد أخفقت . فالمجممات الباردة التي أطلقت على «سيسترا» و «كامبوليوني» قد أوقفت بأول دفع من القوات الأميركيّة . وراحت المدفعية تتصف رأس الجنسر . ومنها خصوصاً قطعنان من كبتان على سكتة حديدية جعلتا مرفأ «نتسونو» عديم الاستعمال . تكبّد الفيلق السادس ٦،٤٨٧ قتيلاً وجريحاً ومفقوداً . وعاد فلتلقي مساندة الفرق المصفحة الأميركيّة الأولى ، وفرقة المشاة الأميركيّة ٤٥ . ثم فرقة المشاة الانكليزية ٥٦ . ولكن أوامره منتبذ ذلك الوقت قد غدت تحتم عليه القيام بأعمال دفاعية ، ألا وهي التحصن للحفاظ على رأس الجنسر . فعمقه يبلغ ٧ أميال ، في ١٥ ميلاً عرضاً . وكان ١٥٠٠٠ رجل مكذبون فيه .

بدأ الاطجور الألماني المعاكس في ٣ شباط . بإدارة قائد الجيش الرابع



تصديع الجبهة الأميركيّة
والرمح إلى «روما» .

بأمره الجنرال «ريتشارد هايدر» . فقد دعمت بقوة مدفعية الجيش . وراحت تسيطر على قطاع «كاسينو» بكامله . وكانت هذه الفرق مشتملة من فرق المظليين السابعة التي اشتهرت في ١٩ أيار ١٩٤٠ فوق منشآت حصن «لين-إيل». ولكن «هتلر» بات لا يؤمن بالمظليين بعد «كريت» . ولذا قد كانت هذه الفرق تقاتل كوحدة مشاة عادية . ولكن روح الانضباط فيها . وتعطّشها للتأثير . قد بقيا محبّتين على أفرادها .

وحتى شهر نيسان كان القتال في سيل «كاسينو» معركة مصغرة عن «فردان» يتنازع فيها المتصمان كلّ شبر ممحون، وكلّ ذيل من ذيال الجنود بصورة عنيفة ضارية . وكان بإمكان الحلفاء أن يذروا النهاية كما فعلوا في آخر أسبوع من آذار حين أطلقوا خلاله ما لا يقل عن ٥٨٨،٠٩٤ قذيفة ، ومع ذلك كان فيلق «فريبرغ» يقوم بجهود دامية وهو منهوك القوى . وقد باعثت بالإخفاق المحمّات التي شنتها باتجاه جبل «كاسينو» . وفي «كاسينو» استولى على نصف المحطة . وعلى راوية من الجيّ الشمالي . وعلى ثلّة القصر . ولكن هذه الانتصارات الضئيلة لم تضفي موقعاً للألمان ، فبني متند وادي «الابري» مسدوداً . وبقيت طريق «روما» مقفلة .

وخس المدورة في نهاية نيسان . وكما كانت الحال بالنسبة لجبل «أزبور» ، لم تبق جبهة «رابيدو-غاريليانو» تشهد معرّاثات في المقدّمات . ييد أنّ الألمان لم يكونوا مؤمنين بتوقف العمليات لزن طويل . فراحوا يحالون الوقوف على نيات العدو .

وهنالك سؤال قد تصدر خطّ الاستخبارات الألمانيّ وهو : أين كان فيلق الحملة الفرنسي؟ فهو قد تلقى فرقتين جديدتين ، الفرق الآلية الأولى بقيادة «ديغوربروسى» ، والفرق الآلية المغربيّة الرابعة بقيادة «سيفيز» . وكانت جموعات المشاة المغربيّة الثلاث التي تعامل فرقة خامسة ، فضلاً عن لواء مصفح ، قد رفعت عددها إلى ٩٩،٠٠٠ رجل . واعتقد «كيسلنغ» و«فستفال» رئيس أركانه العامة أنّ تحديد موضع هذه القوة المتينة سوف يشير إلى القطاع الرئيس للهجوم . ولكن ، حتى ذلك الوقت . كانت الفرق المغربيّة الآلية الرابعة وحدتها قد اتّخذت مواقعها على جبهة باللغة العرض في رأس جسر «غاريليانو» ، وكان ييدو أنّ عناصر فيلق الحملة الفرنسي كانت موجودة حول «تابولي» ، ربّما في اسراحة . أو ربما كذلك على أهبة الإبحار نحو العمليّة البرمائية الثانية التي كان الألمان يتوقّعون حدوثها في اتجاه «روما» و«غاياني» . وبذل «كيسلنغ» وسعه للدرء المخاطرات كافة فراح يسخر ، في سيل موقع دفاعية جليدة . الخطّ الأزرق أو «القوطي» الذي يقطع إيطاليا على مستوى «فلورنسا» ، والخطّ «فيص» جنوب «روما» ، وبماهية . إلى ما وراء الجبهة . خط «أدolf هتلر» الذي غير «هتلر» تسميته فأصبح يحمل اسم «القليل سنفر» . وعاد إلى إنشاء بعض الاحتياط : الفرقان المصطفتان رقم ٢٦ و «هرمان غورنون» . وفرق التخبّة ١٥ و ٢٩ و ٩٠ . ولكن الأركان العامة الألمانيّة لم تكن تتوقع الهجوم إلاّ بعد ٢٥ أيار . ولذا السبب انطلق قائد الجيش الرابع عشر «فون فيتنوف» ، وقائد الفيلق المصفح ١٤ «فون سنفر» ، إلى «المانيا» لتلقّي أوراق السنديان التي استحقّوها في الدفاع عن «كاسينو» .

وخلال ليل ١٠ إلى ١١ تسلّل هارب مغربيّ عبر الخطوط وأبلغ عن هجوم كبير سوف يحدث في الليلة المقبلة . ولكنّه لم يحسن التعبير . فلم يفهم الألمان قصده ، وأهملوا أقواله .

وبدأت الليلة التالية على نسق الليلي السابقة . وخلال النهار كانت السماء قد أمطرت بعدما بقيت متبلّدة بالغيوم . وساد الجبهة هدوء شبه تام . ولسوف يطلّ القمر في الساعة ٢٣،٣١ . وفي الساعة ٢٣ . وعلى

«عربوريو ديماري» . وكان الجيش الألماني قد عني بنقل الكور التارينية والفنية إلى حاضرة «الفاتيكان» . وكان الاجتئون قد صعدوا زرافات إلى ذلك المكان العالمي الذي يحيق به عصف الحرب من كلّ صوب . والذي كان ، إلى ذلك ، معلقاً فوقها بعيداً عن أذيتها وكانت المدنة الإلهية . وزرولاً عند رغبة السيدة الرسولية كان «كيسلنغ» قد أمر بأن تخطّط حول الدير دائرة محيطها ٣٠٠ متر . تحظّر مجاوزتها على الجنود الألمان . وحتى أولئك المصاين منهم يجرون . وهنالك رجال واحد قد خرق هذه الأوامر هو الجنرال «فريدولين فون سنجر أوند إيتلين» التقى . الذي رغب في حضور قدّام الميلاد في السرداد الذي يرقد فيه القديس «بيتوا» . ولقد أثبتت التصرّفات الخططية التي وضعها كهنة الدير أنه لم يكن فقط في حرم الدير لا حاميات ألمانية ولا مخازن ألمانية في أيّ وقت من الأوقات .

في ذلك الوقت أتت شهادة فريدة . ولكن ذات قيمة كبيرة ، ثبتت عكس ذلك . فقد بلغت الحرارة فالنائل الأعلى في المتوسط ، السير «هزي ميتلاند ولسون» ، أن حلّق على علو ٧٥ متراً فوق جبل «كاسينو» بطائرة الصغيرة . وقد أكّد أنه أبصر جسّاسات (أنتينات) تعلو الدير ، وجندوا من الألمان في ردهاته . وقد طالب «فريبرغ» بقفز الدير استناداً إلى تصريح القائد الكبير .

واستشار «كلارك» قائد الطيران «رايدر» . وقاده الفيلق الأميركي الثاني «كاييس» ، فكانرأي الأول أنّ شهادة «ولسون» موضع جدال . وأما الثاني فقد أكّد أنّ جنوده لم يتلقوا بهمة طلاقة بندقية واحدة صادرة عن الدير . وبالنتيجة عارض «كلارك» القصف ، ولكن «فريبرغ» لم يكن مروساً عادياً ، فهو ، بكونه قائد فيلق الحملة النمساوي ، مسؤول أمام حكومته التي كانت تقدر سحب حصتها من شاشهات . وعلى هذا الأساس كان حازماً في موقفه . وقد أعلم «كلارك» بما يلي : «إذا تمنتت عن قصف الدير ، فإنّ المسؤولية تقع كاملة على عاتقك في حال إنفاق الهجوم ...» وصرّح «كلارك» بأنه ما كان إلا ليصرّ على قراره لو أنّ الأمر يتعلق بجنرال أميركي ، ولكنه الآن مرغم على إعادة النظر في وضع «فريبرغ» الاستثنائي ، ومراجعة «الكتندر» بشأنه . وقام «الكتندر» بيدوره بمراجعة «ولسون» الذي صرّح ، على ذمة الاستطلاع الخطير الذي قام به ، بأنه وجد «الدليل القاطع» على دخول «دير جبل كاسينو» ضمن الموقع الألماني الممحون . وبهذا يكن من أمر فإنّ الحفاظ على الدير لم يكن ليضافي إسهام «دومينيون» «نيوزيلاندا» في الحرب ، فتقرّر القصف . وقد نُفذ في ١٥ شباط .

إنّ الذين شهدوا القصف . كالجنرال «جوان» قد شعروا بأنّ هذا العمل أتى تدنيساً للقدسات . فقد بربز الدير من خلال سحب الدخان واللهمب وكانت بركان متاجج . بعد ما صبت عليه القلاع الطائرات الـ ١٤٢ بدقة نادرة ٢٤٧ طنّاً من القنابل . وعلى أثر مرور القاذفات الكبيرة صبت المدفعية الثقيلة نيران قطعها جميعاً . ثمّ قامت موجة جوية ثانية مولّفة من طائرات «بـ ٢٦-٨٢» و «بـ ٢٦» بحسب وايل من قنابل المئة كيلو على جبل «كاسينو» . وعادت القمة إلى الظهور تقطّطها كتلة من أطلال . ولقد تجاو السرداد المحتوي على رفات القديس «بيتوا» من الدمار . وكذلك البنديكتيون الذين التجأوا إليه . ولكن رئيس الدير الوقور . الذي قصد إلى الودي على ظهر رجل . ففارق الحياة بعد أيام قليلة . هذا . وقد أصاب الألمان وحدهم قائد من جراءه . قصف جبل «كاسينو» : فمن أطلال الدير ، الذي دُكّ في الليلة البارحة . أقاموا قلعة متّعة يشرف على حمايتها القوّج ٣ بقيادة الكولونيل «هایلمان» . وأما فرق المظليين الأول . التي كان هذا القوّج أحد عناصرها . وهي

الطيار يمهد للجبهة الثانية

ابتداء من ١٩٤٣ راح الانكليز والأميركيون يكيلون «الألمانيا» الضربات بطريق الجو . أمّا الأهداف الرئيسة فهي مصانع الطيران والوقود ، والمصانع البحرية ، وطرق المواصلات . وقد بلغ معدل الغارات اليومي ٨٠٠ غارة ، ٥٠٠ ليلية و ٣٠٠ نهارية .



ضابط طيار بريطاني أمام خارطة جبالة يصدر إلى الطيارين تعليمات حول المهمة الموكلة بغارتهم المقبلة عبر «المانش» .



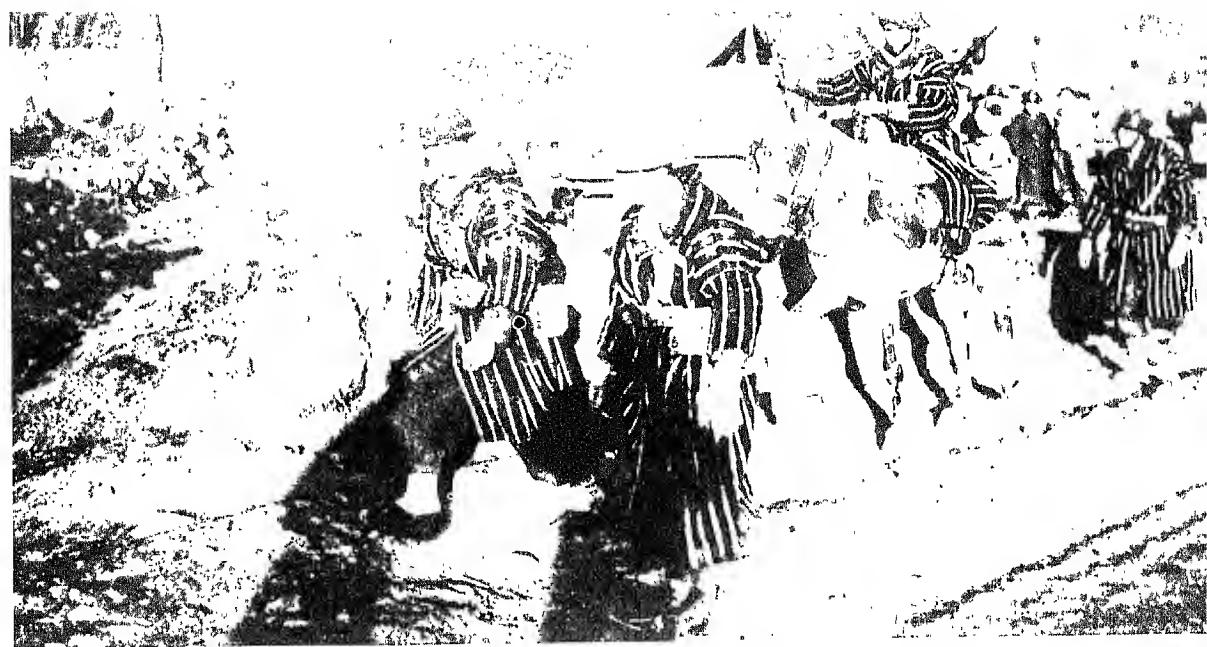
قلع طائرة أمريكية تطير فوق بساط من غوم ، في منطقة «مولان» الفرنسية حيث أقام الألمان مركزاً لإصلاح طائراتهم .

حشد مارشال الجو «تيلر» قواته الجوية في «أفريقيا الشمالية» وراح ينقض بها على المطارات العلوة في عمليات جماعية مكثفة مكبلاً الطيران الألماني بخسائر فادحة . وقد أسمىت «فرنسا» في هذا المجهود بالطائرات التي زودتها بها «أمريكا» ، وجلتها من طراز «كورتيس» .

في مدينة «الجوار» : القوات الجوية الفرنسية تتسامم المطارات الاميركية من طراز «كورتيس» .



أبناء «الأطلس» المغاربة في جبال «الأنسان» الإيطالية : ما أشبه هذه الدروب الوعرة بدروب جبالهم !



بفتح وادي «الابري» مباشرة . وأمّا الفرقان البولونيستان الصغيرتان . التابعتان للجرال «أندرز» . وهو أسير سياسي سابق في «الاتحاد السوفيتي» . فقد كان عليهما أن تقوما بما عجز الأميركيون والنيوزلنديون عن القيام به . ألا وهو الاستيلاء على جبل «كاسينو» . وكان على الفيلق البريطاني ١٣ أن يختار «الرابيدو» . وأن يعدّ يده للبولنديين على «طريق كاسيلينا» بعد الاستيلاء على «كاسينو» أو الالتفاف حولها . وإذاء الجيش الخامس . وفي الوقت الذي سوف يقدّم فيه الفيلق الأميركي على طول الشاطئ باتجاه «أنزيو» . كان على الفيلق الفرنسي إنجاز مهمتين ، أولاً : احتلال جبل «ماجو» . وهو الركيزة الحيوية لموقع «كاسينو» الألماني ؛ ثانياً : إحداث

الجنرال «غيم» منظم فرق المغاربة الذين ناضلوا ببسالة في حملة «إيطاليا» .



الجنود المغاربة يقطعون «الغاريليانو» في زورق من مطاط .



آخر إشارة أعطيت مباشرة من «لندن» بواسطة الإذاعة البريطانية . اعتقد الأفق مشتعلًا . وراحت نار ترعد : فقد استيقن المجموعون «روما» تكهنتات «كيسلنرن» . إن هذا المجموع الذي كان يستهدف «روما» قد أفشل ألا يحصد إطلاقا . فإخفاق «أنزيو» . والتزف الباطل في «كاسينو» قد أحبطا عزيمة القيادة الحليفة . وكان تاريخ غزو «أورووبا» يقترب . والإجراءات المتفق عليها في «طهران» كانت تتضمن على أن التزول في «بروفانسا» يتم مع التزول في «أنورماندي» في آن معاً . وقد أصرّ الأميركيون على مراعاة هذا البرنامج . ولكن بات لزاماً تأجيل عملية «بروفانسا» بسبب الافتقار إلى الإمكانيات البحرية اللازمة . وفي ١٩ نيسان أولكت اللجنة المشتركة لرؤساء الأركان العامة إلى جيش «لوسون» مهمتها الاشتراك بغزو «أورووبا» بأن «تدمر أو تجمد في المتوسط أكبر عدد ممكن من القوات» . فقد غدت المسيرة على «روما» إسهاماً مسبقاً للمسيرة على «باريس» .

أجرى تعديل تسيير جيوش «إيطاليا» على ضوء اتجاه المجموع الجديد . فهذا الثالث فيلق مستقل قد أخذ على عاتقه العناية بجهة «الأدربياتيك» . والفيلاق البريطاني العاشر . الذي كان يحتل ميسرة الجهاز الحليفي . وقد نُقل إلى الوسط من «الغاريليانو» الأسفل إلى «سانغرو» الأعلى . وحوَّل إلى الجيش الثامن الذي أصبح بإمرة الجنرال «ليس» . وبسط «ليس» جناحه الأيسر إلى مصب «الابري» بواسطة الفيلق البوليسي الثاني والفيلاق البريطاني ١٣ . ولم يترك «كلارك» وبقيه الخامس غير جهة ضيق على «الغاريليانو» . وأمّا فيلق الحسلة الفرنسي . الذي ظلت دوائر الاستخدامات الألمانية أثره كان في «نابولي» . فقد احتشد إلى ما وراء النهر الصغير بباله جبل «ماجو» و «كاستيلغورتي» . وأمّا الفيلق الأميركي الثاني . الذي لم تكن فرقاته الجديدةتان ٨٥ و ٨٨ قد شهدتا معركة حقيقة بعد . فقد اتصل بالفيلاق الفرنسي حتى البحر .

الفيلق البوليسي الثاني . الفيلق البريطاني ١٣ . فيلاق الحملة الفرنسية . الفيلق الأميركي الثاني . فضلاً عن الفيلق الأميركي السادس في جيب «أنزيو» . تلك كانت عناصر المعركة الكبيرة المشتركة . وفي المعسكر الألماني . الفيلق الجبلي ٥١ على «الرابيدو» . والفيلاق المصفوح ١٤ على «الغاريليانو» . وفيaciق «فال ك» الأول ، والفيلاق المصفوح ٧٦ حول «أنزيو» .

في المجموع : ٢٢ فرقة حليفة مقابل ١٨ كان يحيط «كلارك» متعدد العناصر . فالجيش الثامن قد تكفل



في ١٧ أيار ١٩٤٤ جرت مقابلة بين الجنرال «ديغول» والجنرال «كلارك» قائد الجيش الأميركي الخامس.

الأاسي . فقد بقي في يد العدو . في أول الصبيحة قدم «جوان» ليشاهد العمليات بأم عينه . فصعد حتى قمة «الأورينتو» تحت وابل القذائف التي كانت تصيبها مدافع المهاون . وكان قلقاً ، يتابه الخوف من أن يرى اندفاع المغاربة يتخطىهم . وقال إن القضية قد انطلقت على غير ما يرام ، وإنه يجب إعادتها من جديد .

وفي الساعة ٣٠٢٠ من ليل ١٣ . عادت ١٨ مجموعة مدفعية إلى قصف الواقع الألمانية . وفي الساعة الرابعة . ثم في الساعة الثامنة . قام الفوج المغربي الخامس ، وهو فوج الاحتياطي لدى الفرق المغربية الثانية . بشن الهجوم على محوري الليلة السابقة . وإلى الجهة اليمنى طفت الكتيبة الثالثة على العدو ، فاستولت على «تشيراسولا» . وأطفلت الأضواء التي كانت تجاهد تقدم الفرق الأولى نحو «الليري» . وإلى الجهة اليسرى على «الفايتو» . شن العدو هجوماً مضاداً عنيفاً آخر تدخل الكتيبة الثانية إلى الساعة ١٠٠٤٥ ، إلا أنها تحركت في النهاية . ومن «الأورينتو» كانت أراملها الصعبة وأصحة للعيان وهي تغادر «الفايتو» وتتنفس منحدرات «الفوتشي» ثم تعمّر . وتفبيب بعد ذلك في المنخفض الذي يفصل «الفوتشي» عن «الماجو» . ثم تعود إلى الظهور من ثم وسط الانفجارات على سفح «الماجو» . وكانت ردّة فعل العدو مرتبطة بين لحظة وأخرى ...

الجنرال «ديغول» يتفقد الرماة الفرنسيين في الجبهة الإيطالية . وقد ظهر وراءه عدد من القواد منهم الجنرال «جوان» ، والجنرال «دو دي» ، والجنرال «مونسابير» .



نفحة عميقه تطفى على مشاهد «الليري» الدفاعية . مارة بجبال «أورونشي» و «بيريلا» . وكان «جوان» قد أصر على هذه النظرية المتناسقة مع تلك التي دافع عنها عبّا خلال شهر شباط . حين أراد أن يسير على «أينا» بدلاً من الانعطاف نحو «كامسيو» . وذلك بعد الاستيلاء على «بيليفيدير» . لم يعط استهلال الهجوم الانكليزي البولوني ثماراً كثيرة ، فبعد قتال دام ثلاثة أيام لم يتمكن الفرق البريطانية الرابعة . والفرقة الخامسة الثامنة . إلا من بلوغ ما وراء «الرابيدو» . وعلى الرغم من الإفراط في إهراق الدم . أخفقت الفرقتان البولونيتان ٣ و ٥ إحتفاظاً كاملاً أمام المرتفع ٥٩٣ الذي كان عليهما الاستيلاء عليه للوصول إلى مقربة من جبل «كامسيو» . كان الهجوم والدفاع رائعين . ولكن النجاح كان حليف المدافعين .

في القطاع الفرنسي كان فيلق الحملة محشداً غربي «الغاريليانو» . في سهل «سوجو» الصغير . فأكdas العتاد ، والبطاريات ، ومراكز القيادة . كانت مشابكة مع المخيمات التي تضيق بقمات الرجال . وراحت غشاوة غبراء . تولدها مئات من الأطباق المدخنة ، تلوث الزارات وبيح الحلوق . ولكنها قد سمح بها التجمع الجريء للذكور الجيش الذي كان عند أقدام مدفعية العدو . وقد نصب ستة جسور ميدان إضافية . فلم ير الألمان شيئاً . وبقيت مدافعهم صامتة ، ولو قام في الوادي إعداد معاكس لسيب خسائر مفجعة ، ولفكك أوصال العملية .

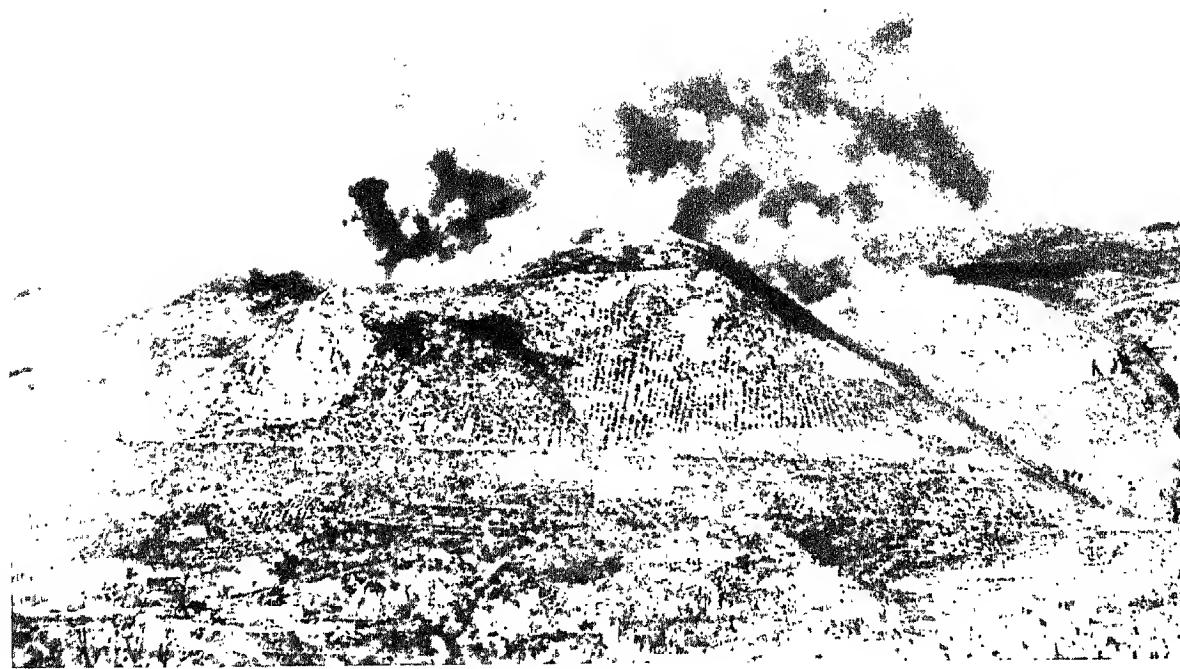
وبعد انتهاء ٤٠ دقيقة على بداء عاصفة الفولاذ ، انطلق المشاة يشنون الهجوم . إلا أن المفاجأة . وعنف القصف . وشل نشاط البطاريات ، وعزل مراكز القيادة . وقطع الاتصالات . لم تمنع مشاة الفرقتين الألمانيتين ٧١ و ٩٤ من المقاومة بشدة . وأمام الفرق الأولى ، التي هاجمت من اليمين . فقد صدتها قاذفات اللهب الأوتوماتيكية . والنيران المنطلقة من سفح جبل «جيروفاينو» ، وأمام فرق المشاة الجزائريية



في «جوان» ليشاهد العمليات بأم عينه ، فصعد حتى قمة «الأورينتو» تحت وابل القذائف التي كانت تصيبها مدافع المهاون .

الثالثة . التي كانت تهاجم من اليسار . فقد تقدّمت بعض الشيء أمام «كاستيلفوري» : وأمام فرق المشاة المغربية الثانية . بقيادة الجنرال «أندره ماري دودي» . فقد مثلت الدور الرئيس : فبعدما انطلق منها شوها في جبل «أورينتو» . على علو ٧٥٠ متراً . توغلوا في المنحدرات الكثيرة الحصى والتي تغطيها النباتات . وراحوا يسلقوها دباً على أيديهم وركاً لهم . إلا أن مناوشة الفوج المغربي الرابع تحطّموا أمام تحصينات جبل «تشيراسولا» . وانطلق منها شوها في المغربية الثامن على نائمة جبل «فايتو» الطويلة فبلغوا القمة واستقروا عليها . وفي فجر ١٢ . كان أهمّ كسب حصل عليه فيلق الحملة الفرنسي والجيش الخامس هو إصبع من كف يبلغ طولها حوالي ١٠٥٠٠ متر . تشرف على منخفض «ماس رو ديجرو» . ولكن جبل «ماجو» وهو المقه

كان « جبل كاسينو »
 (٣،٧٠٠ م) ، وهو عmad
 الدفاع الألماني ، يتحكم
 بوادي « البيري » وبطريق
 « روما ». وقد رأى
 الأميركيون في هذا الجبل
 حاجزاً يجب إزالته لنجدة
 فرق المظليين الألمانية الأولى
 التي كانت تتشبث به . وقد
 عهد بهذه المهمة إلى فوج
 بولوني ، فاستطاع أن يحتله
 في ١١ أيار .



الذي كان يعتبر أن « الأورونشي » لا يمكن اجتيازه . قد كلف بحمايته بعض المفارز الضعيفة التي سدت مراته ؛ فاستدار المهاجمون حول هذه المفارز من القسم وعمدوا إلى تطويقها وأسرها . لم تسهم المحرّكات في هذه العملية إلا في التموين الجوي الذي أخفق جزئاً . ففي خضم الحرب الآلية المناسبة تبرز صفحة من الحرب الراجلة ؛ وبسبب القلاقل غرب في الأوضاع بات هذا الأسلوب القديم هو نفسه باعثاً للنشاط . فخط « غوستاف » قد صد المجمّمات الجبهية المدعومة بكثيّر العتاد طوال أربعة أشهر ، فإذا به يسقط أمام غارة في غضون أربعة أيام !

ومن ناحيّي الثغرة الفرنسية كلّيهما أنهار كل شيء ؛ وراح الفيلق الأميركي الثاني يتقدّم بسرعة على طول الشاطئ ، فاستولى على « إيتري » وعلى « غايبي » ، وفي ٢٥ أجري اتصاله بالفيلق السادس الذي يقر قعر جيب « أنزيلو ». وفي « كاسينو » ، التي تم تجاوزها بسهولة ، أطلق البولونيون على الدير هجوماً دموياً جديداً وباطلاً ، ولكن المظليين الألمان لم يتراجعوا إلا أمام أمر شخصي من « كيسلنرغ » يحثّهم عليهم أن يغادروا « كاسينو » للإفلات بأقصى السرعة عبر طريق « كاسيلينا » التي كانت ما تزال سالكة . وإذا استهلّكت القيادة الألمانية موارد احتياطها كافية ، لم يبق بميسورها غير القيام بأعمال مؤخرة . دارت معارك حامية في غير ما مكان ، ولكن المصير كان قد تقرر ؛ فجلا الألمان عن « روما » التي راح الفيلقان الأميركيان ٦ و ١٣ يقتربان منها من خلال طرقات الجنوب الغربي ، في الوقت الذي كان فيه فيلق الحملة الفرنسي ، والبليش البريطاني الثامن ، يحاوزان المدينة من الشرق .

وفي ٤ حزيران ، في الساعة ١٨ ، عبرت مجموعة القتال « أ » ، وهي من الفرق المصفحة الأميركيّة الأولى ، جسر « سان جوفاني » وسط حشد من الناس غير استطاع ، حسب قول ضابط أميريكي ، « ما لم يستطعه الألمان فقط : إيقاف دبابتنا » .

كانت جدران « أوروبا » المحتلة قد غطّيت بمنشورات الدعاية التي تمثل المسيرة على « روما » بشكل حازنة تُصب فوق قرنيها علم أميريكي وأخر النكليزي . وفجأة راح بعض المجموعات المسخّرة يتزعّز المنشورات على جناح السرعة ؛ لقد وصلت الحازنة !

ولكن لم يحدث شيء . فالهجوم المعاكس على « الفاييتو » ، الذي أوقفه الفوج المغربي الثامن . كان آخر مجده قام به الألمان . ولقد لحق بهذا المجده المحقق أمر بالرّاجع العام ، فجلا الألمان شتاً من حويض « ماس رووجير » . ولم يدافعوا عن « الماجو » إلا بإطلاق النار من بعيد . وفي الساعة ١٥ تم بلوغ القمة على علو ٩٤٠ متراً . وبعد ذلك بقليل دوى في الوادي هليل بلغ مسامع المقاتلين في الخطوط الأمامية : فقد قام المساعد الأول « بوميس » . يعاونه بعض الأسرى الألمان . برفع علم كبير مثبت الألوان يمكن رؤيته من كل صوب في المنطقة . وهو يحيّسَ الاستيلاء الخامس على جبل « ماجو » .

ومنذ ذلك الحين اتّخذت المعركة في سهل « روما » نمطاً سريعاً . في ١٣ وصلت فرق الماشة المغربيّة الأولى إلى « البيري » ، وفي ١٤ واصلت تقدّمتها على الضفة اليمنى حتى « سان جبورجي » . وفي الجناح الآخر من فيلق الحملة استولت فرق الماشة الثالثة ، بقيادة الجنرال « دي مونساير » ، على « كاسينيفورتي » . فاتّحة الطريق أمام الفيلق الجبلي الذي كان يضم . تحت إدارة الجنرال « غيوم » ، المشاة المغاربيين وفوجاً من الفرق الجبلية المغربيّة الرابعة ، أي ما مجموعه ١٢٠،٠٠٠ رجل و ٤،٠٠٠ بغل . فهو لاء هم الذين يشكّلون القوة المكافحة بإحداث الثغرة العميقه التي استثثّتها « جوان » .

هكذا كان عود الرجال والبهائم إلى الجبل . وكلّهم جبليون ؛ فبلغوا سلسلة « الأورونشي » عبر مسالك ضيقة . وتسقّوا جبل « روتوندو » ، ثم نزلوا إلى وادي « أوسنّي » . وهناك توقفت إحدى مجموعاتهم الثانوية أمام حاجز أقامته الفرق المصفحة الألمانية ١٥ . ولكنّها عادت فاستدارت حوله . وبموازية فرق الماشة الثانية واصلت تقدّمها نحو طريق « كاسيلينا » في خط منحرف . وقطعت المجموعات الثانويّتان الأخرىان « الأوسنّي » . وعادتا إلى الصعود إلى جبل « بيريلا » . فاستولتا على جبل « ريفولي » في ١٥ . وفي ١٨ قطعنا خطّ مواصلات الجيش الألماني العاشر الرئيس . وهو الطريق من « بيكو » إلى « إيتري » . كان المناوشون قد قطعوا مسافة ٦٠ كيلم صدّاً . ومسافة تبلغ ضعفي هذا الرقم أو ثلاثة أضعافه فوق الجبل . لقد كانت مفاجأة القيادة الألمانية كاملة . « فسنجر أوند إيترين » .



طوفان النـار يجتـاح "كـاسـينـو"

صورة لحبل «كاسينو» التقى طتها أحدى القاذفات .



الأسقف «غريغوريو ديماري» أسقف «جبل كاسينو» في حديث مع ضابط ألماني على عتبة الدبر.





الحُلْفَاء يحتلّون «رومَا» و«سِينِي»

في ساحة «البنديّة» ، أقام نصب «فكтор عمانوئيل» الفخم ، جرت
آليات هذا الفرج الأفريقي الشمالي في عرض يزهو بأبهة الظفر .



قافلة من دبابات «شير مان» تجتاز وادي
«الليري» في طريقها إلى «رومَا» .

المدفع الأميركي تطلق نيرانها في «بونزاكور» .

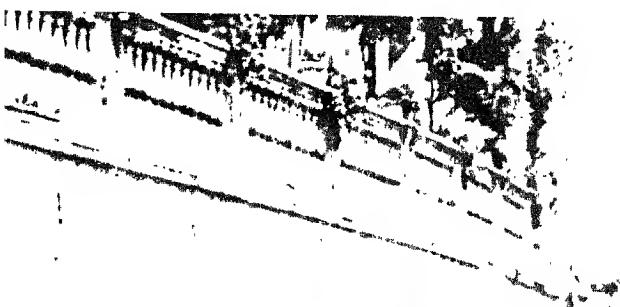


في 4 حزيران ١٩٤٢ بدأت أرتال الحلفاء تزحف إلى «روما» بعد معارك ضارية نشبت في «سيسترنا» و «فيلييري» و «فالمونوني». وكان الألمان قد أعلنواها «مدينة مفتوحة» وجلوا عنها من غير أن يمسوها بأذى. وفي الصورة يبدو عدد من جنود الحلفاء يدخلون إلى «روما» دحول الجنرال والرية، إذ كثيرة هي المدن المفتوحة التي أطبقت على الداخلين إليها !



دبّابات كندية تختلي مدينة «سان بانكراري» الصغيرة في الرّحْف إلى ما وراء «روما» .

في 4 تموز ١٩٤٤ دخلت القوات الفرنسية إلى «سيبني» بقيادة الجنرال «مونسابر» .



تحفة

إن تلك الديقراطيات الموصوفة بالثرثرة ، والمُصابة بصحافة كثيرة الفضول مذيع ، وبمجالس نياية ممحضة محجة ، هي أقدر على إخفاء أسرارها العسكرية مما تستطيع أن تفعل دولة « كالرايخ » الثالث ، قاعدها الذهبية لا يطاع أحد إلا على ما يخصه مباشرة .

يوم ذو رمضان يالأكير

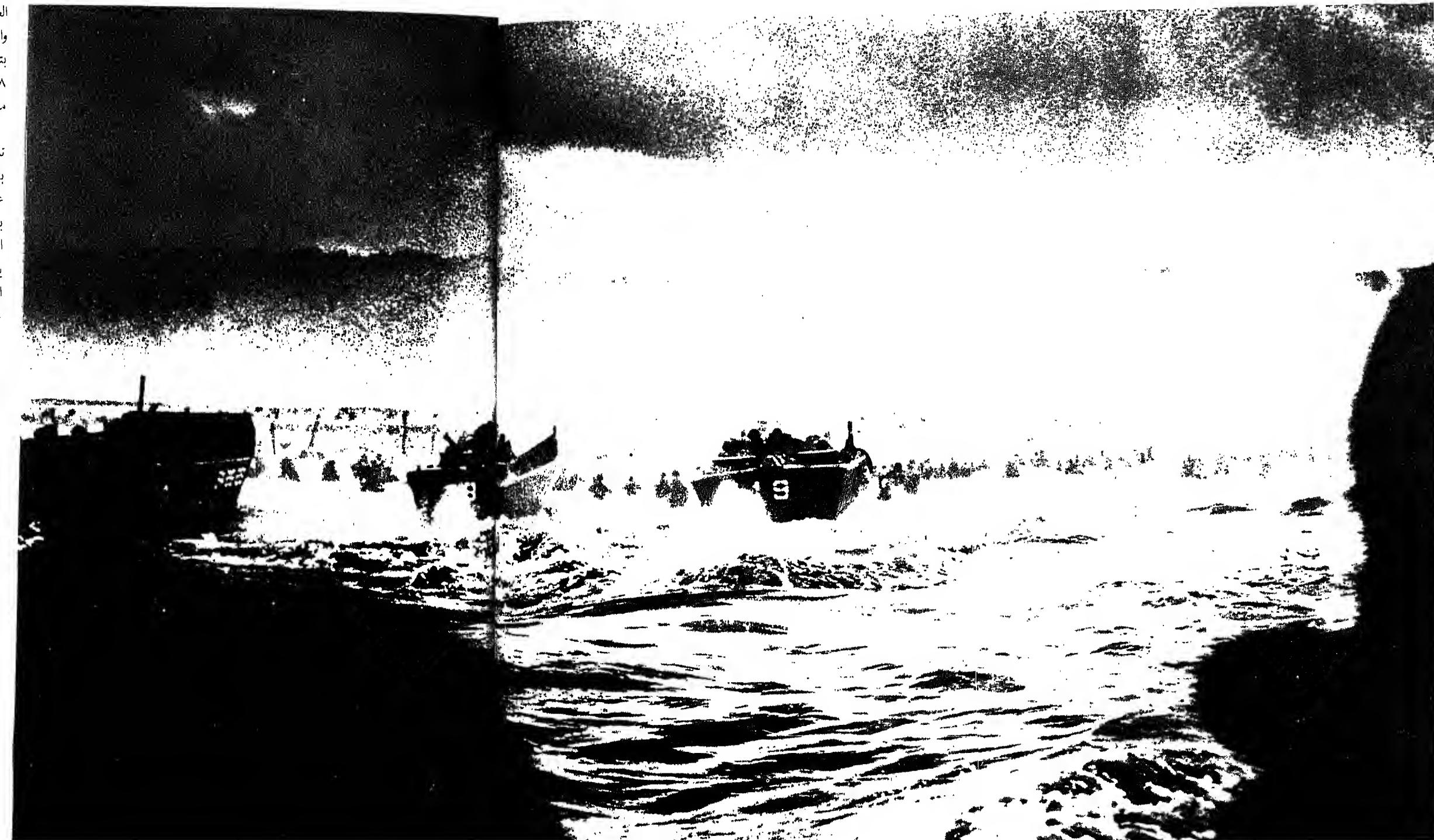
كان ابتياج « أوروبا » أكيداً وشيكاً . ومع هذا ظلّ الظلام الشامل يكتنف نيات الحلفاء . أمتّ ما عرفه الألمان معرفة اليقين فهو أنّ حملة هائلة تدبّر في « بريطانيا العظمى ». ولكنّ موعدها وغايتها وعناصرها بقيت مجهولة .

أعزّت الألمان « المعرفة » فلجأوا إلى التكهن والاستنتاج . ففي شهر نيسان وفَرَّ التدبير الرامي إلى الحدّ من سفر المدنيين في « إنكلترا »، وأشتاد الغارات الجوية . كما وفرت جداول التقويم القمري وحركات المدّ والجزر . القيادة الألمانية الغربية العليا من عناصر الدرس ما سمح لها بتعيين ١٨ أيار « موعداً أكيداً » للتزول إلى البر الأوروبّي . ولما انقضى ١٨ أيار . أكدّ الأخصائيون أنّ الحلفاء تركوا الموعد المأذون بهم لسبب ما . وأنّ خطر الابتياج قد تأجل حتى شهر آب .

كان لمعرفة مكان الغزو من الخطورة ما يفوق معرفة التاريخ . لأنّ ندایر الدفاع العامة ترتكز عليها . لم توزّ الأجهزة الخاصة المعاوّات . بل لقد جمعت منها الكبير ، إلا أنها كانت واهية متضارة متنافرة . فقد عيّنت الشواطئ الأوروبية كلّها من « اليونان » إلى « البروج » « بروواً بشواطئ إسبانيا » و« البرتغال » . واحداً بعد واحد . كأبواب سينيق منها الرّحّف . وفي مطلع ١٩٤٤ أعلنت قيادة جيش البر الغربية العليا عن يقينها بأنّ الأعدادات الخفية القائمة في « الماش » هي مجرد خدعة . وأنّ التزول الحقيقي سيجري في مكان آخر . وأتت عملية « أزيرو » توحّم بأنّ ذلك المكان الآخر هو البحر المتوسط ، ثم تطورت الأفكار . وفي ٢٧ نيسان عين المكتب الثاني الألماني « البروج » . وبعد شهر حصر النّيات المعاوّة في بحر « الماش » . فقالت خلاصة ٢٣ أيار : « تغيير جزيرة « وايت » روكاً لإعداد الغزو ، وعلى هذا الأساس ينبغي اعتبار الشاطئ « من الإيسكود » إلى « نورماندي » . وكذلك شاطئ « بروتانيا » الشمالي . كأكبر القطاعات تعرّض للخطر ... »

كانت المرحة بين « أنيير » و« بريست » فسيحة ورحمة . فحاولت القيادة الألمانية إغلاقها . وبعدما فكر « هتلر » طويلاً « بالبلقان » . تم « بالبروج » . ظنّ فجأة أنّ شبهي الجزيرة الفرنسيين . « بروتانيا » و« الكيرتناون » . اللذين ينتهي كلّ منهما بمنطقة كبيرة . مما أوفر القطاعات إغراء في نظر المجتمع . غير أنّ هذه النّظرية اصطدمت بغالبية عارضة : فاستبعدت البحرية « كالفالدوس » بسبب صخوره . واعتقد الجيش أنّ اختيار الحلفاء سيفع على أقصر الطرق البحرية عبراً وأقوم السيل المؤدّي إلى « البروج » . أمتّ الطيران فامقدّ أنّهم سيقابلون بالدى الرّومي الذي يمكن أن يتوافر لتدخل المطارات المرابطة في « إنكلترا » . وبناء على ذلك اعتبرت

في جوّ عاصف مريع ، وفي يمّ جانش الغوارب ، محرّ العاب إلى الشواطئ النورماندية أسطول ضخم ، في ٦ حزيران ١٩٤٤ .



وجبورجية وأذربيجانية وغولية وغيرها، قد جُمعت في بلادها في مواسم الفتوحات، أو في معسكرات الأسرى. وهناك ثانياً مَعْنَى الشعوب الألمانية الأصل، وهي مجموعة أفراد فُرض أنهم من أصل ألماني، إنما فقدوا جرمانيتهم. هؤلاء منعوا فرصة استعادة جنسيتهم الألمانية، بعد فترة امتحان تدوم عشر سنين؛ وربما يتم ذلك منعوا شرف الانخراط بالقوة في الجيش الألماني حيث يخدمون في الوحدات العادية ولا تتعذر نسبتهم ٧٪، إلا أن مجال ترقیتهم لا يتعدى رتبة جندي من الدرجة الأولى.

ولكن هؤلاء الأعوان أخذوا في الروال تدريجياً من الجبهة الشرقية. حيث عملت الفرائيم المتلاحقة على إيقادهم الثقة التي كانوا يمتلكون بها، وعادوا إلى الظهور في جيش الغرب الألماني. ففي مطلع ١٩٤٤ كانت ٧٦ كثيبة، أي ما يعادل سدس جيش المشاة، من الأجناد الشرفية؛ فتواتر بذلك للشعوب المستعربة الناهمة مشهدٌ فريد بدأ في أسوار «الرابِيَّة» الآرية تلك موسمة باللامح الآسيوية، ناطقة بما يمكن من اللغات، ما عدا الألمانية! ولقد أحصى المؤرخ الأميركي «ج. إ. هاريسون» في «برج بابل» ذلك، الذي وقف يرقب الصدمة الكبرى، مجموعة الشعوب التالية: الفرنسيين، والإيطاليين، والكرد، والجر، والروم، والبولنديين، والفنلنديين، والليتوانيين، والأfricanيين الشماليين، والزنج، والروس، والأوكرانيين، والبازانس، والفقاقيسين الشماليين، والجورجيين، والأذربيجانيين، والأرمين، والتركمان، والتراري، وفنلنديي «فالولغا»، وتتار «القرم»، والكاموك، وحتى المند. ويمدر بنا أن نضيف، ونحن في هذا العرض، أن جيش الغزو، بما خص من أجناد الإمبراطورية البريطانية كلها ومثل البلدان الأوروبية جماعاً، لم يكن أقل تنوعاً في الجنسيات.

منذ عام ١٩٤٢ لفت المارشال «فون رونشتاد» نظر قيادة الجيش العلية إلى نقاط الضعف التي تسبّب الدافع؛ لكن إنذاراته ما بدأت تثير اهتمام «هتلر» إلا ابتداء من خريف ١٩٤٣. وقد قال المذكورة العامة رقم ٥١ الصادرة بتاريخ ٣ تشرين الثاني: «يمكّنا أن نسلّم بمحسّنة بعض المقاطعات في الشرق، ولكن الأمر مختلف فيما يتعلق بالغرب حيث قد يكون لتوغل معدّ واسع النطاق نتائج لا تحمد في مدى قصير... إذا فلا يمكن القبول، بعد اليوم، بأن نستمر في إضعاف الغرب على حساب الميادين الأخرى، ولذا فقد قررت عكس ذلك: «القد عزمت على تقويتة». وهذا «الجدار الأطلسي»، أو «الجدار الغربي»، موضوع دعاية فعالة، فأيّقّن ملايين الأوروبيين الأسرى أن آية محاولة لغزو «أوروبا» يقوم بها الانكليز والأميركيون ستصطدم حتماً بمحاجز لا يمكن عبوره، فتؤُل إلى كارثة.

ويعوددخول «رومبل» إلى تقنية الدفاع الغربيّ وجهره إلى ذلك التاريخ؛ وبعد ما أراحه «كيسلنزن» في «إيطاليا»، أُسندت إليه مهمة الإشراف على تدابير الدفاع الأطلسي، ثم قيادة مجموعة الجيوش «ب» التي يمتد قطاعها من الحدود الألمانية الهولندية إلى مصب «الوار». وشكل اسمه السلاح الثاني الذي اعتمدته عليه الدعاية النازية، لتشبيه أنّ عبّاحي «أوروبا» سيلقى بهم في البئر. ولقد اختبرت في فكر «رومبل» حول أشكال الحرب في الغرب مبادئ «تكتيكية» أملتها عليه خبرته الأفريقية؛ فالتفوق الجوي الانكليزي الأميركي الساحق هو الذي سيفرض أشكال القتال كلها، ويحدد من إمكانات الدفاع كلها. فإذا فكلّ مناورة واسعة المدى، وكلّ تحرك نهاري، وكلّ معركة عامة ضدّ عدو يتمكّن من التزول إلى البر، قد باتت غير واردة؛ فلو نجح التزول لثم الغزو حتّماً. أمّا الفرصة الوحيدة المتبقّية فتقوم على إحباطه ساعة يغادر الجنود السفن، ويتم ذلك بمحشد الأسلحة والحواجز على الشاطئ

«كاليه»، أو، بشكل أعمّ، اعتبار الساحل من «أوستناد» إلى «السوم».

أكبر الطرق احتمالاً لغزو «أوروبا» الحصن هذه - أمّا حاميها، فقد جعلت أمّا الدفاع عن «أوروبا» الحصن هذه - أمّا حاميها، فقد جعلت منها معارك الجبهة الشرقية المائلة مشكلةً مثيرة بغيضة. وعزّ على «المانيا» أن يتعرّض جيشها لأحوال المناخ وال الحرب الروسية من ناحية، وأن يكون لها في «فرنسا» الطيبة، من ناحية أخرى، جيش لا يعرف غير مهمّ الاحتلال المائة. كان الحال العادل النصف يفرض ترتيب حركة تبديل دورية منتظمة، باهظة النفقات نظراً لاتساع المسافات، ولذا لم يُلْجأ إلى إجراء التنقلات من الغرب إلى الشرق، أو من الشرق إلى الغرب.

الآن تحت ضغط الأرمات وتلبية حاجات الجبهة الشرقية المائة. وهكذا كان الشرق يتصنّع من الغرب أقوى عناصره ويرسل إليه فنياناته. فمن شوّه من الرجال، ومن أصحاب التجمّد من الدرجة الثالثة، أو اضطرابات تناول البصر أو السمع أو التنفس أو الحركة الدموية، وجّه إلى الغرب.

وهكذا تألقت فرقة كاملة، هي فرقة المشاة السبعون، من رجال أصيّروا

بعسر المضمّن بحيث كان ينبغي تزويدهم بطعام وبخيز خاصين! وتجاوز

معدّل السن في فرق المراقبة حدود الأربعين، فيما بلغت نسبة الضيّاط العور والقطع، وذوي الساق الواحدة، والذين بلغوا العقد الخامس أو السادس من العمر، درجة عالية. وخلاصة القول أنّ ما أصيّب به الجيش الألماني من نزف مرئي هائل على الجبهة الشرقية قد أسفّر عن انحطاط بلين في المستوى الصحي والعسكري في الغرب.

ووافق هذا الانحطاط في التعبة اختلاط شديد في العناصر؛ وهنا تبدو لنا ثانّات «هتلر» مثيرة مذهلة. كان قد انطلق من المبدأ القائل «بأنّ من حقّ الألمان وحدهم أن يحملوا السلاح»؛ فإذا به الآن على رأس أكثر الجيوش تنوعاً في اللون والعنصر.

كانت فرق الصاعقة، وهي في الأساس التجسيد الأفضل للجزئية العنصرية، الأداة الأولى التي عملت على تلوين الجيش الألماني بمختلف القوميات. فقد أشعّ الجيش الألماني أبوابه للمتطوعين الغربيين منذ عام ١٩٤٠، بناءً لفكرة خاصة «بهملر»، عن طريق فوج «جرمانيا» الذي عُرِف بالفرقة «فايكينغ»، وحملت بعد ذلك فرق عديدة رواقة الإسهام الفرنسيّة والبلجيكيّة والمولندية والسكندينافية وغيرها، من غير أن يضر ذلك بوحدات قوى الصاعقة الخاصة، كالفرقة الإسبانية «آزول» وفرقة المتطوعين الفرنسيّة. ومعها يكن من أمر فلا يحق للأسماء أن تخدمنا، فلماً أن تكون الفرق الأجنبيّة شرذمة هزلية (كفرقة «فلوني»، التابعة «ليون ديفرييل» التي كانت تشمل ٧٠٠ رجل عام ١٩٤٤)، وإنما أن تكمل بأجناد المائية صرفة. وعلى كلّ حال لم تكن هذه الفرق، التي تشكّل من حيث العدد مكاسبًا وضيّعاً دعت إليه العقيدة أو روح المغامرة، لثير أيّة مشكلة، فقد كانت تحارب على الجبهة الشرقية، وستستمرّ في كفاحها اليائس حتى النهاية.

أما مشكلة الشرق فكانت أكثر تعقيداً. فقد أخفق مشروع «فلاسوف» إخفاقاً تاماً. صحيح أنّ ما يقارب المليون من الرجال قد تقطّعوا، إلا أنّ معارضته «هتلر» في إقامة جيش قويّ روسيّ لم تلين لها قنة، وفاقت الفرصة الساخنة لتشكيله مع انقلاب دولاب الحظ العسكريّ. وبقي «فلاسوف» في الدارة الخاصة به في «برلين» تأكله الحسرة وتحدق به جماعة من الألمان الخائبين. كان قد نال لقب «جزرال قوات الشرق»، ولكن «الرابِيَّة» الثالث سيستعين بغيره لمحاولة استخدام الطاقة البشرية في الشرق.

هناك أولًا مَعْنَى الأقلّيات المعادية للبشفية والمعادية للروس؛ فلهذه قد قدّمت «أجناد الشرق» الحقيقة، وهي وحدات كوزاكية وأوكرانية



مركز مراقبة ألماني على الشاطئ الأطلسي .

ما كانت هذه التحصينات لتقف سداً منيعاً في وجه الأعداء .

ذاته. وترتيب قوى الاحتياط على مسافات قصيرة . وبجعل الهجوم المعاكس الآلي السريع أداة الرد على كل اعتداء . وهكذا ارتد «رومبل»، جزء التحرك، عن أسلوبه . متأثراً بالاختلاف أوضاع القتال ، واعتنق أسلوب الدفاع الجبهي . غير أنه لم يلقَ لدى زملائه من الضباط نفوذاً يعادل ما كان يتمتع به من نفوذ لدى الجماهير . فشكَّ «رونديشتاد» في أن «يكون «رومبل» صالحًا حقًا لقيادة كبرى» . وأشار بعضهم إلى أنه يفتقر إلى ثقافة الأركان . ورأوا فيه جندي جبهة عمل بعض الظروف الخاصة على إحياطه بهالة من الشهرة ، وأفسدت خلقه التجيجات المتكررة . وحاول «غوديريـان» ، الذي جعل دونه مرتبة ومجداً، أن يناقشه نظرياته، فسبَّ لنفسه «ردة فعل غاية في العنف والكراهية» . وحارب «شفيينبورغ» . قائد المجموعة المصطفحة الموضوعة في الاحتياط العام ، هو الآخر أفكار «رومبل» ، واعتبر أن المرحلة الحاسمة في معركة «فرنسا» ستكون في لقاء المصفحات الكبير الذي



في ٢ أيار : «رومٌ» يتفقد أجهزة الدفاع على الشواطئ النورماندية .

سيعقب التزول، وألحّ بالتالي للبقاء على حفنة من فرق الدبابات مجموعةً في قبضته، جنوبّي «باريس» وشقيّها. وعثاً حاول «رومّل» أن يضع هذا القائد تحت إمرته. فقد أصرّ «هتلر»، بعدما عقد نيهه على إدارة معركة الغرب بذاته. على المحافظة على نظام القيادة المعقد المنفصل الذي وضعه.

إلتقت أوامر «هتلر» وبمبادئه «رومبل» عند نقطة ، وهي خطير التخلص عن أي متر من الأرض . وبالناتي ضرورة القتال بكل قوّة على الساحل . ذلك لأن سبباً خاصاً كان يعلي هذه الملحطة : فبعد أجل طويل سببه الغارات الجوية الخليفة . ستكون أجهزة «الثار» ، أي القنبلة الطائرة «ف ١» والصاروخ «ف ٢» . جاهزة لالعمل عما قريب ؛ فيبني الحفاظ على مراكز إطلاعها القرية من شواطئ «المانش» أياً كان الثمن . لم يكن «جدار الأطلسي» مجرد وهم ؛ ولكنه لم يكن كذلك فالجهاز الدفاعي الذي لا يعرف التفاسخ الذي وصفه «غوبيلز» . نُظم

وأن تقرر . بالاتفاق معهم إذا أمكن . سبل إبقاء الروس خارج الحدود الغربية «الألمانية». أما بشأن المستقبل فقد فكر «روم» بإنشاء اتحاد أوروبي يبني على المبادئ المسيحية.

إشتركت بالموافقة الأركان الغربية العليا كلها ؛ كان «شبايدل» هو أحد عناصرها العاملين . ووافق عليها «غيرفون شفينبورغ» ، وبالجزائر «الكسندر فون فالكهاوزن» و «هفريت» — كارل فون شتولبناغل ، القائدان المحليان في «بلجيكا» و «فرنسا» ، وكان قد انتسبا إلى العصبة العسكرية التي حاولت ، عام ١٩٣٨ ، أن تضع حدًا للفاسد «هتلر» ومصاروه . ولم يلزم الجيش من الضباط الأعلين غير «رونشتاد». كان يمثّل «هتلر» ، ويُشبّه بذلك «الكاوبوال الوريسي» «ازدواج وسخرية» ، ولكنّه ، مع علمه بكلّ ما يحيط بالموافقة . كان يرفض أن يأخذ بها عملاً . كان موقفه ، على حد قول «شبايدل» ، «نوعاً من التسليم الساخر بالأمور». ولم يكن ليخطر بباله أنَّ بوسّع مارشال بروسي أن يتنكر للعهد الذي قطعه ، فيثور على رئيس الجيش الأعلى ، أمام خط العدو . حتى ولو كان هذا القائد هو «هتلر» .

ولقد أُعرب «روم» ، من جهته ، عن شيء من التحفظ حيال مشاريع المتأمرين : كان يرفض اغتيال «هتلر» ، ويصرّ على وجوب إحالته على محكمة الجنائية ، وينهض ، مدفوعاً بنوع من التفاؤل الغريب ، إلى حد التفكير بحمله على القبول بالاستقالة عن طريق إقناعه بأنَّ الحرب قد فُقدت ؛ ويضيف : «لا يحقّ لنا أن نستقل إلى التنفيذ إلا بعد أن نستنفذ هذه الوسائل كلّها» .

في ٥ حزيران غادر «روم» مقرَّ قيادته بالسيارة . كان يريد قضاء السهرة في منزله في «هرلنجن» ، مختلفاً بذكره ميلاد زوجه ، على أن يذهب في غده إلى «أوبيرسالزبورغ» ، لحضور المقابلة التي حصل عليها من «الفوهرر» . وتشير اليوميات التي كان يسجلها له الملائم «الدينبر» إلى أنَّ حركات المد والجزر ستكون سيئة جدًا في الأيام المقبلة ، وأنَّ نزولاً إلى البر لا يبدو شيكًا . واستناداً إلى الوثيقة عنها . كان «روم» ينوي إطلاع «هتلر» على نقاط الضعف في مجموعة جيوشه ، وينوي أن يطلب منه فرقتين جديدتين من الدبابات ، وفيماً من المدفعية المضادة للطائرات ، وفوجاً من قاذفات الصواريخ .

هل كان يفكّر بشيء آخر يا ترى ؟ هل كان ببني الإفادة من اجتماعه «هتلر» على انفراد ، ليقول له بيفاء إنَّ كلَّ شيء قد فقد . وإنَّه لا بد من الوصول إلى نهاية ؟ لأنّه لاندرى .

مشاة على الدراجات سماء وبحر خواء

في مساء ٥ حزيران نفسه كانت القوات التي تنتظر الغزو . وتوزيعها وقيمتها على الوجه التالي : — مجموعة جيوش هما : «غ» بقيادة «بلاسكونتش» ، و «ب» بقيادة «روم» . أما القائد الأعلى فكان «رونشتاد» .

— المجموعة «غ» : الجيش الأول بقيادة «فون در شوفالري» ، من «الوار» إلى «البيرينيه» ، والجيش ١٩ بقيادة الجنرال «فون سودنشن» . من «بور-بو» إلى «مونتون». في المجموع : ٢١ فرقة المشاة ، واحتياط سيار مكون من الفرق المصفحة ٢٩ و ١١ و ١١ ، و ٢ الصاعقة ، والآلية الصاعقة ١٧ . — المجموعة «ب» : الفيلق ٨٨ ، «هولندا» ، والجيش ١٥ بقيادة الجنرال «فون سالوت» ، من «إيسكرو» حتى «الديف» ، والجنرال «دولان» من «الديف» إلى «الوار» . ٢٥ فرقة المشاة ، ٣ فرق مظليين ، واحتياط

الدفاع عن مدينة «بوليبيا» و «المافر» و «شيربور» تنظيمًا متيناً . وأقيمت على مضيق «كاليه» الحصون الضخمة ؛ أمّا ما تبقى فقد كان مجرد رسم أولى . كان «هتلر» قد طلب من «منظمة تود» ١٥،٠٠٠ من المكبات المصنعة من الإسمنت المسلحة ، بحيث تكون جاهزة في أول أيار ١٩٤٣ ، فلم يكُن يتم منها غير الثالث بتاريخ أول أيار ١٩٤٤ ، ولم يُركِّز في مراكز الدفاع غير ٢٩٩ مدفعاً ساحليةً من أصل ٥٤٧ ، ذلك أنَّ إنجاز البرنامج كان يفتقر إلى الوقت وإلى المواد . شاء «روم» أن يعيش عن إفلات الإسمنت المسلحة . فراح يبذل المدهش الخارج من النشاط والنجاح والعزيمة . ولقد روى لنا الأميرال «روغي» ، مساعدته البحري ، يوماً يوماً تنقلاته المحمومة من «الدانمارك» إلى «بروفانس» حيث كان يمر كالعاشرة في شطط المهم المرا migliحة بصواعق من السخط العنف أو بتحرّيات لاهية ، فيشي مأكله ومشربه . ويصر على أن تدفع الوحدات المقاتلة جميعها ، بما في ذلك هيئات الأركان العائدة لفرق ، حتى متكتسر الأمواج . ويقول : «إنَّ موقع المقاومة الرئيس هو الساحل عينه . فحصلتْ دونها هواة وكافحوا عليه حتى الرمق الأخير» .

كان «روم» ينوي التوصل إلى تفعيلية سواحل الغرب بغابة من الحواجز تحطّم اندفاع الغزاة ، بعضها غائص في الماء ، وبعضها على حدود الشاطئ أو في القطاعات الخلفية الملاينة لنزول القوات المفولة جواً . أخذ يرتجل مستخدماً كلَّ ما استطاع الوصول إليه من الموارد . «فالشباك البلجيكيّة» . المفروسة عند حدود القطاع الذي ينكشف عنه الجنرال . لم تكن غير عناصر «دي كوانتيه» التي أثبتت عدم جدواها ضدّ دبّاباته عنها عام ١٩٤٠ ، «والقاذفة الشيكية» صنعت من الخلوط الحديدية الملحومة ؛ أمّا «الأهرام» فقد صنعت في أماكنها بواسطة جابلات للإسمنت أمكن الواقع عليها ؛ أمّا «الجیاد المحددة الاوتاد» ، المزرودة بالألغام أو النصال ، أو غير المزرودة ، والتي من شأنها أن تفترق زوارق الإنزال ، فقد اقتطعت من الغابة التورماندية . ولكي يسلّح «قضبان هلينه» . وهي الأوتاد المفروسة في المروج منعاً لعبور الطائرات ، اكتشف كميات هائلة من القنابل الفرنسيّة القديمة التي أثبتت العارفون أنها قد ألتلت منذ زمن بعيد . وفوق هذا كله رغب في الحصول على ألغام أرضية ، أو ٢٠٠ مليون من الألغام الأرضية ، بغية إنشاء قطاع موت يبلغ ١٠ كلم عرضاً . على طول الساحل الفرنسي ، إلا أنَّ الافتقار إلى الصلب والمتفجرات لم يسْعَ له منها أكثر من مليونين أو ثلاثة . يا لانحلال المنطق ! يا للجنون الغربي ! فهذا المارشال الألماني . الذي يبذل أقصى جهوده من أجل ردَّ الغزو الغربي . يعرّف حقَّ المعرفة أنَّ الحرب خاسرة ، وأنَّ الطريقة الوحيدة الكفيلة بوضع حدَّ الكارثة هي في عزل «هتلر» ، قبل الوصول إلى نهاية المزيمة .

لا يرقى تاريخ الاتصال الأول بين «روم» وأعضاء المؤامرة المناهضة للهتلرية إلى أبعد من شهر نيسان ١٩٤٤ . تردد المتأمرون طويلاً قبل أن يتصلوا بمندي طالما أشادت الدعاية باسمه وبمناقبه القومية الاستراكية ؛ ولكنَّ أحد رفقاء الحرب الأول ، وهو «كارل ستولين» حافظ «شتونغارت» . جازف بذلك نزولاً عند رغبة «غوردلر» . فطلب «روم» أن يتأمّح له مجال التفكير في الأمر ، وبعد أيام عمد بنفسه إلى ترتيب لقاء ثان . فجرى ذلك بتاريخ ٢٤ أيار في «فرويدنشتاد» ، في «الغاية السوداء» ، في منزل رئيس أركان مجموعة «ب» «الأعلى الجديد» ، الجنرال ليوتان الدكتور «هايز شبايدل» . وافق «روم» على تجوية «هتلر» . وعلى قلب النظام القائم ، على أن يجري بعد ذلك الجلاء عن البلدان الغربية كلّها ، وإعادة الجيش إلى خطَّ «سيغفريد» . ثمَّ تحوّل السلطة أن تتفق مع الغربيين

وتشيكية وبولونية وإيطالية وروسية وغيرها . وقد أشار أحد الخبراء إلى أن سياقاته الـ ٥٧ كانت من ٥٠ نوعاً مختلفاً ! وكان أكثر من نصف الفرق ، أي ٣٢ من ٥٩ ، جامداً تكتس فيها رجال مرهقون . وفيها كتبة واحدة من العناصر الشرقية من جملة كلّ ثلاث كتاب . ثم إن هذه الجماعات المتشتتة كانت تخوض قطاعات دفاعية شاسعة : من ٣٠ إلى ٥٠ كلم على «المانش» ؛ أمّا الأسطول فلم تكن تسهر على شواطئه من «سان نازير» إلى «بايرون» غير فرقين . ولم يكن يسيطر على الساحل من «هونفلاور» إلى «بارفلور» غير الفرق ٧٠٩ و ٧١٦ و ٧١٩ . وقد تدنت عدّة هذه الأخيرة إلى ستّ كتاب . وأمّا الفرق ٧٠٩ فلم يكن لديها في قطاعها ، الذي يشمل «كوتنان» الشرقيّ كله ، غير نقطة ارتكاز من الإسمنت وحيدة ، بدلًا من الـ ٤٢ التي كان مفروضًا أن تحصل عليها .

وعز ذلك فالعجز الألماني الكبير لم يكن ليتجلى في قلة الجيش

سيّار مؤلف من الفرق المصطفحة ٢ و ٢١ و ١١ .

الاحتياط العام : الجنرال «غيرفون شفينبورغ» يقود فرق المصطفحات المصطفحة رقم ١ و ١٢ و ١٧ ، وفرق التدريب المصطفحة . وهذه الوحدات الكبرى كانت تحت سلطة القيادة الحربية العليا المباشرة ، أي تحت سلطة «هتلر» . واحتفظ «هتلر» كذلك لنفسه بحق نقل أية قوة من جيش إلى آخر ، حتى ولو كان ذلك في قلب مجموعة الجيوش الواحدة .

وبفضل الآليات «ف» كانت جيوش الغرب في ربيع ١٩٤٤ تشكل أمل الفوهرر الأكبر . فقد ظن أنها ستتحول النزول إلى دمار ، مزيلة الخطر الانكلو سكسوني إلى زمان طويل . عندئذ سوف يقدر على سحب فرق من «الأطلسي» للإنقاذ بها على الجبهة الشرقية ، مما سوف يدخل الأوضاع تماماً ويعيد إليه النصر ؛ وفي سبيل القيام بهذا الدور الرئيس . واستناداً إلى وعد «هتلر» ، دعمت جيوش الغرب . فعدد وحدات «رونديشتاد» الكبرى الذي كان قد تدنت إلى ٤٦ في آذار .



حواجز مضادة للدبابات .



جنود ألمان يلغمون شجرة بالتفجيرات .

البرية ، بل خصوصاً في وهن البحريّة والطيران . كانت حال الأسطول الألماني العالميّ كما يلي ؛ إن آخر سفينة من سفنـه الكـبـيرـة السـلـيمـة ، وهي «الـشـارـبـورـست» ، قد أحـرـقتـ وـأـغـرـقـتـ في ٢٦ كانـونـ الـأـوـلـ ١٩٤٣ في خـضـمـ اللـيلـ القـطـبـيـ ، خـلالـ غـارـةـ عـلـىـ قـوـافـلـ المـحيـطـ الشـمـالـيـ . وكانت شـفـيقـتهاـ «غـنـايـزـنـاوـ» حـطـاماً مـسـجـتـيـ في مـرـفـأـ «ـغـدـيـنـيـ» ؛ وكانت «ـتـيرـبـيـتـ» مـجـمـدـةـ في «ـكـاتـفـيـورـ» بعدـماـ أـصـبـيـتـ بـأـصـارـارـ بالـغـةـ . كانـ لـلـأـمـيـرـالـ «ـكـرـانـكـيـ» ٥ـ مدـمـرـاتـ غـيرـ مـأـهـأـةـ جـزـئـاً ، وـحـوـالـيـ ١٥ـ مـنـ الزـوـارـقـ السـفـاسـفـةـ . يـاـ لهاـ مـنـ قـوـةـ تـتصـدـيـ لـلـأـسـطـوـلـ الـخـالـيفـ الضـخمـ الـذـيـ سـيـسـانـدـ الغـزوـ !

وأمّا أسطول الغواصات فهو لا يكاد يفوق الأسطول العالمي سطوة . كان لدى «كرانكي» ٢٢ سفينة في المرافق الترموجية ، و ١٥ في «برست» ، و ١١ سفينة موزعة بين «لوريان» و «سان نازير» و «الابليس» ، ولكن سفناً كثيرة منها كانت معطوبة ، وكانت ٧ منها فحسب مزودة بالأنايبير التي تمتد السفينة بالأوكسجين . وما كان منها قادرًا على الإبحار

إبان أزمة الجبهة الأوكرانية ، قد عاد وارتفاع إلى ٥٩ . ومع ذلك كانت حاجات الشرق ملحّة لدرجة أنّ سياسة تدعيم الغرب قد اجتاحتها تيارات معاكسة . ففي ٥ حزيران وجه الجنرال «بايرلين» نحو «روسيا» عناصر عديدة من فرقته المصطفحة الممتازة . ولسوف تلحق بها عناصر أخرى في الأيام التالية . وكان بعض وحدات «رونديشتاد» في حالة جيدة جداً . أمّا الفرق المصطفحة فكانت في الغالب مفرطة العدد : ٢١،٣٨٦ في الفرق المصطفحة الأولى ، و ١٧،٩٥٠ في الثانية ، إلخ ... وعلى نقيس ذلك كان هناك بعض الفرق في طور التنظيم ، أو كذلك في طور الإنشاء . وقد بذلت جهود لتحسين فرق الاحتلال القديمة .

بعندها صفة الحركة وتجديده أسلحتها .

ييد أن «ألمانيا» كانت مرهقة في الواقع . فالدرجة أمست الأداة السيارة الوحيدة التي توفرت لديها لنقل بضعة آلاف من المشاة . وكانت المدفعية تجرّها الخيل إجمالاً ، وإن هذا المظهر مفجع في حرب اتسمت بسود الطيران وصولته . وكان العتاد خليطاً من مصادر ألمانية وفرنسية

في ٢٤ أيار بدأ الهجوم على معابر «السين» ، وقد قامت به طائرات «ب-٢٦». كانت تحلق على ارتفاع منخفض ، وتلقى قنابل من زنة ٢،٠٠٠ ليرة . وقد أحرز الهجوم نجاحاً كاملاً في الوقت الذي كان فيه بذل القذائف ضئلاً نسبياً . وفي أواخر الشهر لم تكن الجسور في سافلة «مات» قد دمرت فحسب ، بل كانت كذلك عرضة لتدمر متجدد د تقوم به دورات جوية منتظمة كانتظام دورات ساعي البريد ! وهذا دليل جديد على دنو الغزو . فالحلفاء إنما يحاولون عزل ساحة القتال بحروطم دون آلية حركة للأمداد من ضفة النهر الواحدة إلى الأخرى . ولو أنهم كانوا خاضعين ل Netzegn المطر الصارم لعدوا آذاك إلى تدمير جسور «باريس» ، ولجعلوا من المنطقة الباريسية حاجزاً من ركام مبانها في عرض الشوارع . ولكنهم تمعنا عن ذلك . ولسوف ينسى الكثيرون من الفرنسيين أن يكونوا لهم من الشاكرين .

الاثنين في ٥ حزيران أعلنت النشرة الجوية التي وضعها الطيران الألماني أن البحر سيكون مضطرباً ، والرؤية منخفضة ، والرياح بسرعة ٥ إلى ٦ أميال في الثانية ، وتوقعت هطل أمطار غزيرة ، وهذه ، لعمري ، ظروف تستبعد إمكانية التزول . ولقد نُظم اجتماع حربي لل يوم التالي في «رين» يخص الجيش السابع بكماله ، فوافق عليه الجنرال «دولان» ، وطلب رئيس أركانه العامة ، الجنرال - ماجور «بسيل» ، إلى المشتركين ألا يغادروا مراكز قيادتهم قبل الساعة العاشرة صباحاً ، ولكن الكثيرين منهم قد انصرفوا منذ العصر لما يعهدونه من صعوبات في الطرق ، وبعدما اطمأنوا لتنبؤات النشرة الجوية .

وفي الساعة ٢٢ أطلق إنذار معجل للجيش ١٥ الذي كان مركز قيادته في «توركوان» . فأليام خلت أصدر الدفاع الألماني مذكرات عديدة كانت ستبليغ للمقاومة الفرنسية السرية في غضون ٤٨ ساعة التي تسبق الغزو ، وذلك بعدما تلقى معلوماته من خائن يقي مجدهن الجوية . والقطعت دائرة المراقبة الإذاعية هذه المذكرات ، وخصوصاً آخر ثلاثة أيامات من مقطوعة شعرية «لفرين» مؤلفة من ستة أبيات كانت أول ثلاثة منها قد أذيعت في ١ و ٢ و ٣ حزيران ، وهي تشكل ، بنظر الدفاع الألماني ، أمراً تمهدياً . فمن «الإيسكر» إلى «الفير» كان على حاميات المنشآت الساحلية أن تبقى تحت السلاح . ولكن الجيش السابع ، الذي كان أقل تيقظاً ، أو أقل ارتياحاً ، لم يُبدِ أيّة ردّ فعل ، وأمناً فيلق الميمنة في هذا الجيش السابع ، وهو الشيلق ٨٤ ، فقد كان يسيطر على المنطقة الواقعية بين «الفير» و«جيبل سان ميشال» ، وهو يضم الفرق ٧١٦ و ٧٠٩ و ٢٤٣ ، وفرقة المشاة ٣٥٢ ، وفرقة المظليين ٩١ . وكان قائد هذه الجزرال «إريك ماركس» الصارم العالى ، الذي كان «هتلر» قد تغاضى عن خطط العملية الذي وضعه ضد «روسيا» . ومنذ ذلك الحين فقد «ماركس» في الأرض الروسية ساقاً من ساقيه وعيناً من عينيه .

ومنذ تمام منتصف الليل فوجيء «ماركس» بدخول ثلاثة من ضباطه عليه في مكتبه في «سان لور» ، وكانوا يحملون زجاجة نبيذ أبيض . لقد قدموا إليه طالبين من رئيس قاس ، ولكنّ محترم ، السماح بالاحتفال بعيادة الثالث والخمسين . كان الأحتفال وجيزاً ، فالعمل يدعوه إلى السرعة ، وكان على «ماركس» أن يغادر مقره عند خيوط الفجر الأولى للاجتماعي العربي الذي سينعقد في «رين» ، وكان موضوعه نزول مظليين أعداء في «نورماندي» .

إحتشدت في «ساوثبانون» مئات السفن بانتظار إشارة الانطلاق . ولقد داهم هذا الهجوم الجبار الألمان فأخذهم على حين غرة .

فقد بقي في حالة تأهب . بعدما ألغيت الإجازات . وكانت الطوربيادات قد رُكِّبت في أماكنها ، والأبار والخزانات ممتلئة . كان يوضع هذه السفن ، إذا حالفها الحظ ، أن تكبّد الغرابة بعض الخسائر ، ولكن لم يكن بالإمكان أن تتعاضد بطريقة مرموقة للقاء بهم في البحر . ومن ناحية الطيران كان تقدير التسقّف الانكليزي الأميركي بنسبة ٥٪ إلى ١٪ ولم يكن في هذا التقدير مبالغة . فالمقاتلات النفاثة الألف «دوستنجاغر» - التي وعد بها «هتلر» المدافعين عن الغرب - لم تكن قد خرجت بعد من المصانع . والأساطول الجوي الثالث . بإمرة المارشال «هوغوشبيرل» ، والذي كان شديد العنف إبان الانتصارات ، لم يبقَ لديه بتاريخ ٣١ أيار ١٩٤٤ غير ٨٩١ طائرة من كل نوع ، منها ٤٩٧ طائرة . فحسب قابلة للاشراك في العمليات . وكان عدد القاذفات ١٥٠ طائرة . وعدد المطارات ٢٦٦ . وكانت المطارة الخامسة ، التي تضم نصف هذه الطائرات الأخيرة . متحجّزة في «متر» لا عراض الطريق أمام أسطول القاذفات الخليفة التي تعثّت الخراب في «المانيا» ، وهي لن تقصد إلى الغرب إلا عند نزول الحلفاء بالذات .

في الواقع كان سلاح الطيران الألماني شبه فان شأنه شأن البحرية نفسها . وقد أبقيت جهود «أليبر شير» على إنتاج المصنع الجوي ، وزاد أيضاً في كفافه . ولكن الطائرات وحدها لا تستطيع أن تخلق سلاحاً للطيران ، فقلة الوقود قد فرضت تقصير مدّة تدريب الطيارين من ٢٠ ساعة إلى ١١ ساعات ، أو ٥ ساعة أحياناً . وبالنتيجة أُوشكت المسائر الناجحة عن الحوادث أن تصاهي المسائر في القتال . وكان هجوم متواصل يسحق المطارات : «نانسي» ، «ديجون» ، «أفورد» ، «سان ديزي» ، «إفرو» ، «كورمي» ، إلخ ... وقد أصرّ أكثر الجنرالات الألمان تقليلاً ، «كفير» و «روندشتاد» ، على الاعتقاد بأن تفوق العدو الجوي لن يكفي لأن يسمّر جيش البر أرضًا . ولكن لم يكن أحد يظن أن الطيران الألماني سيقدر على منازعة العدو سيطرته على السماء .

منذ شهر آذار كانت هذه السيطرة على السماء متجالية بعمليات باللغة الحادة فوق «فرنسا» و «بلجيكا» . فالهجوم - وهو التمهيد الواضح للغزو المحدق - كان يرمي إلى تعطيل شبكة المواصلات ، وخصوصاً الخطوط الحديدية . وراحتقيادة الألمانية تسعى إلى أن تقف على خطوط العدو من خلال خريطة القصف ، إلا أن القصف كان غزيراً وموزعاً للدرجة بات صعباً معها الوصول إلى أي استنتاج . ففي أول أيار ، على سبيل المثال ، كانت مشاتل الخطوط الحديدية التي نال منها القصف هي منشآت «مات» و «مونتيبي» - سور-سامبر و «دووي» و «مونسو» و «فالانسيين» و «شارلروا» و «هين-سان بيير» و «سان غيسلان» و «أمييانس» و «أراس» و «ترووا» و «رانس» و «بروكسل» و «لياج» و «سارغيمين» و «متر» . وفي غضون ذلك الشهر لم يتوقف القصف بربة واحدة عن «بلجيكا» بكمالها ، وعن شمال «فرنسا» ، ولكنه قد تطرق إلى «تيونفيل» و «مولوز» و «بلفور» و «إيبينال» و «شمون» و «إيتامب» و «تونير» و «كرييل» و «واسيل» و «فرونو» و «جوفيز» و «ميزون-لافيت» و «رووان» و «مولان» و «كونفلان» و «لومين» و «باوتسي» و «نيور» و «سانت إتين» و «نيس» و «أنتيب» و «ليون» و «شيربور» و «غردونبل» و «أفينيون» و «مارسيليا» و «نيم» ، إلخ ... فماذا تستنتج من خريطة مثل هذه ، اللهم غير إسراف عدو كان وأفر الفي ، فراح يوزع غاراته ممواً نياته خلف ستار من القنابل تهمر على «أورووبا» من المتوسط حتى البحر الشمالي؟ وكانت اللوحة الإجمالية لشهر أيار تشير إلى وقوع ٤٩٥ هجوماً جوياً على خط السكة الحديدية شمالي «اللوار» ، وأدت المقاومة الفرنسية البلجيكية تضييف إلى الخراب خراباً.

إعداد جبار

لعملية غزو "أوروبا" الغربية

ذلك كان الحانب الألماني من اللوحة ، ولينظر الآن في الحانب الخليف منها :

أُسند الإعداد القندي لغزو «أوروبا» في كانون الأول ١٩٤٢ إلى الجنرال الانكليزي «فريديريك إ. مورغان»، وتسمّت هيئة الأركان التي أنشئت لمساعدته باسم «كوساك». وترمز حروف هذه التسمية إلى المهمة المنوطـة بها . وتفصـيرها : «الرئـاسـة العـلـيـا لـلـقـيـادـة الـخـلـيفـة»، ولكنـ هذهـ الـقـيـادـةـ بـقيـمـتـ طـوالـ سـنـةـ – أيـ حـتـىـ تـعيـينـ «أـيزـهـاوـرـ» – تـمـثـالـاـ لـأـرـاسـ لـهـ «ـفـوـرـغـانـ» لـأـ يـعـرـفـ مـنـ يـعـمـلـ . وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ إـلـاـ أـحـدـ أـوـجـهـ الـغـرـابـةـ وـالـشـذـوذـ فـيـ مـهـمـتـهـ . فـالـفـرـقـ الـتـيـ يـضـعـهـ عـلـىـ الـمـسـرـحـ مـاـ فـقـيـهـ أـكـثـرـهـاـ فـيـ طـورـ الـإـعـادـةـ الـأـوـلـيـ . وـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـبـحـرـ . وـهـيـ الشـرـطـ الـذـيـ لـاـ بـدـ مـنـهـ . مـاـ بـرـحـتـ تـنـازـعـهـ إـيـّاهـاـ عـدـةـ مـئـاتـ مـنـ الـغـواـصـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ ، وـالـسـفـنـ وـالـزـارـفـ الـتـيـ يـسـتـخـدـمـهـاـ لـلـإـنـزالـ مـاـ زـالـ تـنـتـظـرـ الـبـنـاءـ . وـحـتـىـ الرـسـمـ . أـصـفـ إـلـيـ ذـلـكـ كـلـهـ أـنـ تـبـيـانـ وـجـهـاتـ النـظـرـ السـرـاتـيـجـيـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ وـالـأـمـرـكـيـةـ جـعـلـ مـشـروعـ النـزـولـ فـيـ «ـأـورـوبـاـ»ـ الـغـرـابـةـ أـمـراـ مـشـكـرـكـاـ فـيـهـ . وـهـكـذـاـ كـانـ يـخـيلـ «ـمـورـغـانـ»ـ وـلـضـبـاطـهـ أـنـهـمـ يـعـمـلـونـ فـيـ عـالـمـ الـوـاقـعـ .

وـعـ هـذـاـ فـقـدـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ . أـمـاـ النـهـيـجـ فـهـوـ التـالـيـ: تـعـلـمـ بـلـهـ رـوـسـاءـ الـأـرـكـانـ الـمـخـلـطـةـ . الـمـقـيـمـةـ فـيـ «ـوـاشـنـطـونـ»ـ ، «ـكـوسـاكـ»ـ بـالـوـسـائـلـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـأـخـذـهـاـ بـعـيـنـ الـاعـتـباـرـ . وـاسـتـنـادـاـ إـلـيـ هـذـهـ الـمـعـطـيـاتـ تـقـدـمـ «ـكـوسـاكـ»ـ الـاقـرـاحـاتـ الـتـيـ تـرـاهـاـ لـلـحلـ . وـبـقـيـ الـجـنـةـ رـوـسـاءـ الـأـرـكـانـ الـمـخـلـطـةـ أـنـ

تقـبـلـهـاـ أـوـ تـرـفـصـهـاـ أـوـ تـعـدـلـهـاـ . أـمـاـ تـفـصـيلـ هـذـهـ الـعـمـلـ الـدـائـبـ فـقـدـ يـعـتـبرـ دـاـ

أـهـمـيـةـ مـثـرـةـ أـوـ غـاـيـةـ فـيـ الـجـفـاءـ . وـذـلـكـ تـبـعـاـ لـاـخـتـلـافـ وـجـهـاتـ الـنـظـرـ .

وـلـكـنـهـ ، وـقـدـ حـفـظـ فـيـ مـلـفـاتـ لـاـ سـبـرـ لـغـورـهـاـ ، يـشـكـلـ أـصـحـخـ أـثـرـ خـلـفـهـ

هـيـةـ لـلـأـرـكـانـ حـتـىـ ذـلـكـ التـارـيخـ .

كـانـ أـسـهـلـ الـمـسـائـلـ حـلـاـ مـسـأـلـةـ تـعـيـنـ مـنـطـقـةـ النـزـولـ : «ـفـهـولـنـدـ»ـ لـاـ

يـمـكـنـ التـفـكـيرـ بـهـاـ بـسـبـبـ الـفـيـضـانـاتـ ؛ وـالـشـواـطـيـعـ الـبـلـجـيـكـيـةـ مـسـتـبـعـدـةـ نـظـرـاـ

لـعـنـفـ الـتـيـارـاتـ السـاحـلـيـةـ ؛ وـ«ـبـرـتـانـياـ»ـ تـوـقـرـ مـنـ السـهـيلـاتـ مـاـ يـغـرـيـ .

وـلـكـنـهـ بـعـيـدةـ نـوعـاـ عـنـ الـشـواـطـيـعـ الـأـنـكـلـيـزـيـةـ ، وـطـرقـ اـتـصـالـاـ بـدـاخـلـ

«ـفـرـنـسـاـ»ـ سـيـسـتـةـ فـاسـدـةـ ؛ وـيـتـازـ بـاـ دـوـ كـالـيـهـ»ـ بـالـكـثـيرـ مـنـ الـحـسـنـاتـ ، وـلـكـنـهـ

قـوـيـ التـحـصـيـنـ وـيـفـتـرـ إـلـىـ الـشـواـطـيـعـ الـمـلـائـمـةـ . إـذـاـ فـلاـ يـقـنـىـ فـيـ حـلـبـةـ الـسـبـاقـ

غـيـرـ «ـنـورـمـانـدـيـاـ»ـ الـعـلـيـاـ وـ«ـنـورـمـانـدـيـاـ»ـ الـسـفـلـيـ . أـيـ «ـلـوـهـافـرــ دـيـبـ»ـ مـقـابـلـ

«ـكـيـنــ شـيـرـ بـورـ»ـ . فـعـمـدـ «ـمـورـغـانـ»ـ إـلـىـ إـنـشـاءـ فـرـيقـيـنـ أـخـذـاـ يـتـانـقـشـانـ حـولـ

وـضـعـ الـشـواـطـيـعـ ، وـإـمـكـانـ الـوصـولـ إـلـيـهـاـ ، وـمـاـ تـفـضـيـهـ إـلـيـهـ ، وـحـوـلـ مـنـاعـةـ

الـتـنظـيمـاتـ وـالـتـحـصـيـنـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ ، وـمـاـ إـلـيـ ذـلـكـ ؛ فـربـعـ الـجـولـةـ فـرـيقـ

«ـنـورـمـانـدـيـاـ»ـ السـفـلـيـ .

عـرـفـ مـطـلـعـ ١٩٤٤ـ بـرـوزـ مـخـطـطـ عـامـ ؛ سـيـقـومـ بـعـملـيـةـ النـزـولـ إـلـىـ

الـبـرـ ، بـيـنـ مـصـبـ «ـأـلـوـنـ»ـ وـرـأـسـ «ـهـوـكـ»ـ ، ثـلـاثـ فـرـقـ يـضـافـ إـلـيـهـاـ

فـرـقةـ وـاحـدـةـ تـسـقـلـ جـوـاـ . وـيـصـلـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ الـشـواـطـيـعـ وـالـمـلـافـقـ الـمـحـتـلـةـ ١٦ـ

فـرـقةـ بـرـيطـانـيـةـ وـ٢٠ـ فـرـقةـ أـمـيرـكـيـةـ يـسـتـقـلـ نـصـفـهـاـ مـنـ «ـالـلـوـلـاـتـ الـمـتـحـدـةـ»ـ

مـباـشـرـةـ . وـيـكـونـ الـمـدـفـ الـسـتـراتـيـجـيـ الـأـوـلـ إـنـشـاءـ «ـمـسـكـنـ»ـ بـيـنـ «ـالـسـيـنـ»ـ

وـ«ـالـلـوـارـ»ـ يـنـطـلـقـ مـنـهـ الزـحـفـ الـعـامـ بـاتـجـاهـ «ـالـرـبـنـ»ـ . وـفـيـماـ يـمـرـيـ النـزـولـ فـيـ



ال العسكري، الذي خصه الأميركيون بتسمية مستحدثة هي «فن اللوجستيك». والكلمة مشتقة من فعل «تولودج» أي «أسكين» - خطورة لم يعلم بها أحد. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الانكليز، وقد انتهوا بأنفسهم لم يرغبا بدراسة مسألة التزول إلى البرِّ. قد فكروا بها منذ أمد بعيد. فمنذ تشرين الأول ١٩٤٠ استعرض «ترشيشل»، بناءً لطريقه، أول نموذج لسفينة الإنزال الصهريج، وهي عبارة عن سفينة مسطحة، مستطيلة الشكل. مزوَّدة بباب كبير يسمح، لدى افتتاحه، بإنزال الدبابات إلى الشاطئ. وهكذا كانت «انكليترا» تعدَّ فتح القارة من جديد يوم كانت وجدها صامدة في وجه «المانيا» التي كان يبدو انتصارها مضموناً لا مرد له. منذ ذلك الحين تستند الأسرة كبيرة أن تكبر وتنمو؛ فقد انقسمت سفن الإنزال نوعين كثيرين: سفن إنزال وزوارق إنزال. «فزورق الإنزال» (لاندينج كرافت) يُنقل أو يُجرَّ إلى جوار الشاطئ عموماً، أمَّا «سفينة الإنزال» (لاندينج شيب) فقادرة على عبور البحر بوسائلها الذاتية. وتتفَّرق عن ذيئن النوعين فروع كثيرة تناسب أوجه استعمالها الخاصة: فمنها ما هو خاص ببيشات الأركان، أو بالمشاة، أو بالدبابات، ومنها ما هو خاص بالمدافع، أو العربات، أو الرجال، إلى ما هنالك؛ يضاف إلى ذلك كلُّه أنواع الشاحنات والدبابات البرمائية.

ولكنَّ سفن الإنزال وزوارقه على اختلافها لم تلغ مشكلة المرافق؛ كان لا بدَّ من أن تُقام، في أمد قصير، منشآت حممية قادرة على خدمة جيش عامل ضخم. كان أحد الحلول يقضي بالاستيلاء على أحد المراقي الكبيرة منذ الأيام الأولى، غير أنه كان من الواجب أن يُحسب حساب العدو على صعيد المقاومة وعلى صعيد التدمير اللذين لا بدَّ أن يلجمَا إلَيهما. أمَّا الجواب، وأمَّا الحال الموقت، ففي المرتين الاصطناعيين الأخذتين في النمو في أحواض «المملكة المتحدة»، ومصاب آخرها، تحت اسم «ماليري» الاصطلاحية؛ وقد خُصَّ أحدهما بمنطقة التزول البريطانية، وخُصَّ الثاني بالمنطقة الأميركيَّة.

كانت الفكرة من بنات أفكار «ترشيشل»؛ في يومَ أوصى بها لجنة روَّسَاء الأركان المختلطة في رسالة ٣٠ أيار ١٩٤٢ كتب ما يلي: «لا تناقشوا الموضوع، فستؤتي العقبات مناقشتها بنفسها». ولقد كانت في الواقع صخمة للغاية؛ «فالمانش» يجر صعب المراس، حاصل بتسارات متناقصة، وبمحركات من المدَّ والجزر غير متساوية، وبتقنيات نزقة عنيفة؛ وقد طلبت إقامة مرفق «دورف» و«شيربور» الاصطناعيين، اللذين فُرضَا على «المانش» فرعاً، أجيالاً من الأعمال الشاقة. إلاَّ أنَّ الحرب تتفق عند الإنسان فيضاً من الطاقات الرائعة العجيبة.

يمتاز مرفق «ماليري» البسيطان من حيث المبدأ بتعقيد فيَ يستحوذ على الآليات. يبدأ التمهيد للعمل بطريقة كلاسيكية تقوم على إغراق سفن بخارية قديمة، تدعى «غوز برويز»، متشَّلة بالإسمتن السريع التصلب، أمام الشواطئ؛ وتندَّعَ مكاسير الأمواج البسيطة هذه بصفوف من الاسطوانات العائمة المصنوعة من الفولاذ والباطون، تدعى «البمباردون»، وتوضع بعد ذلك القطع الأساسية، وهي صناديق من الباطون المسلح أو «فينيكس»، يضاهي علوها علىَّ ابنية من خمس طبقات، تُجرَّ عبر «المانش»، فتُرْجَل منها سدود تمتَّد مسافة كيلومترات لتحمي منسَطات من الماء تبلغ مساحتها ما يقارب ألف هكتار، تُنشَّأ فيها أرصدة جراراً تدعى «جيانتاً»، وتتصَّل هذه بالشاطئ، بواسطة جسور معدنية عائمة، بحيث تستوعب سبع سفن وما يقارب ٣٠ قارب إنزال في آن معاً. فيقدُّو بوسَع مرفق الاصطناعيَّ كهذا أنَّ يستوعب ما يستوعبه مرفق «دورف» مثلاً. أمَّا المدة التي يتمَّ بها إنشاؤه فهي خمسة عشر يوماً.

«نورمانديا» يجري نزول آخر في «بروفانسا» تقييداً بالتدابير التي تمَّ الاتفاق عليها في «طهران». وعيَّن أولَّ أيَّار موعداً لتنفيذ العملية المزدوجة. ولم يُخفِ «مورغان» رأيه في مشروعه، فقد وجده غير وافٍ بالمهمة؛ إلاَّ أنه اضطرَّ إلى أن يلزم حدود الإمكانيات التي فُرضت عليه. في ١٤ كانون الثاني تسلَّم «أيزهاور» قيادته واستقرَّ في «لندن»، وبدأ تشكيل هيئة أركان انكليزية أميركية تحمل اسم «شيف» (هيئة الأركان العليا لقوَّات الحملة الخليفة)، فامتَّصَت هذه الهيئة الجبارة هيئة «كوساك»، وأمسيَ المخطط «مورغان»، وقد أُسقط إلى رتبة نائب رئيس الهيئة. في مرتبة تلي مرتبة «بيدل سميث» مساعد «أيزهاور» الأول.

لم يقوَّ مشروع «كوساك» على الصمود في وجه الانتقادات. كان «مونتغموري»، وقد أُسنِّدَ إليه قيادة مجلس القوَّات البرية أثناء مرحلة التزول، واحداً من الذين بادروا إلى القول بأنَّ جهة الهجوم هي غاية في الضيق. وكان لقوَّة تدخله، ولطريقته في تسلِّم زمام المسامة، إذ قال: «غيروا مشروعكم أو غيروني أنا ...»، الفضل الأكبر في حمل المسؤولين على إجراء تعديلات جذرية. فرُّفع عدد فرق المدahمة من ثلاثة إلى خمس، وعدد الفرق المنقولة جواً من واحدة إلى ثلاثة.

أعاد توسيع نطاق غزو «أوروبا» الغربيَّة مسألة التزول في جنوب «فرنسا» إلى بساط البحث؛ فقال «أيزهاور»: «كنت والجنرال «مارشال» نرى في الهجوم جنوبي «فرنسا» جزءاً ضرورياً لا يتجرَّأ من الزحف الرئيس عبر «المانش».بيد أنَّ السفن والطائرات المخصصة لذاك الهجوم غدت لازمة لتأمين نزول «نورماندي» موسَع. وقبل الأميركيون، يَعد مناقشات حادة، بأنَّ يرجعوا عملية جنوبي «فرنسا» إلى أجل غير مسمى. ثم أرجى موعد التزول الكبير من أولَّ أيَّار إلى أولَ حزيران، طعماً في تدعيم غزو «أوروبا» بمحصيلة شهر من الإنتاج الصناعي، فظلت «موسكو» بالطبع أنَّ المهمة ذريعة، وأنَّ جهة ثانية لن تفتح إطلاقاً.

أخذت قوَّات ضيَّمة جبارة تختَّد في «انكليترا»، فقد غدا الأطلسيَّ بعد تطهيره من غواصات «دوينتر»، جادة لتحرير «أوروبا». كانت السفيتان الملكيتان «الكونين ماري» و«الكونين إليزابيث» تعبران المحيط من غير مواكبة بسرعة تبلغ ٢٨ عقدة. فتحملان رجال فرقَة كاملة مرتين في الشهر الواحد، فيما تصل الجيوش الأخرى والأعتدنة والمؤمن في توافق منيعة فعلاً لا يمكن النيل منها. وعُدَّا إيواء هذه الحشود البشرية الصخمة. وما يعود لها من عتاد هائل. في «انكليترا» الضيقَة، مشكلة جديدة خطيرة. كان من الصعب بمكان أن يُعَرَّ على المطارات الـ ١٣٣ التي طالب بها سلاح الجو الأميركيَّ، وخصوصاً على الأراضي الرحمة الضوريَّة لإتمام تدريب الوحدات. فلو جمعنا ١٧٥,٠٠٠ جنديًّا بريطانيًّا، و١٠٥,٠٠٠ جنديًّا أميركيًّا، و١٧٥,٠٠٠ جنديًّا من جنود الإمبراطورية، و٤٤,٠٠٠ متقطع من مختلف الجنسيات. لتبيَّن لنا أنَّ جيشاً من ٣,٥٠٠,٠٠٠ رجل و٢٠ مليوناً من الأطنان قد ناء بكلِّه على الأرض البريطانيَّة. ولقد قيل في ذلك: «إذا لم تعرِّق «إنكليترا» فذلك يعود فقط إلى أنَّ آلافاً من الбалونات التي ارتفعت حواجز في وجه الغارات الجوية كانت تمسك بها !»

كان عبور جيش يمثل هذه الصخامة عدداً وعنداداً، إلى القارة، يشكل عملية هائلة غير معهودة. لا توفر إزاءها سابقات «أفريقيا الشماليَّة» و«صقلية» و«إيطاليا» و«غواتالكانال» و«بوغتفيل» و«كواجاليم» سوى دروس محدودة القيمة. فما نحن بصدده الآن هو إنزال ما يزيد على ذلك بنسبة تراوح بين الأضعاف العشرة أو العشرين، وفي وجه عدو أقوى كثيراً. وينبني بعد ذلك تغذية العمليَّات الريحية السريعة التي ستعقب التزول. ولذا فقد اكتسب ذلك الفرع من الفن

٤١٦ سفيتة تهـاجـم أوروبا

هناك عنصر ذو أهمية كبيرة قد أثر على الاعتبارات الانكليزية الأميركية ، إلا وهو وضع «فرنسا». إلا أن التقدير المموس لهذا العامل أمر صعب للغاية . فالعوامل التي تختلف بقصد «فرنسا» كبيرة مترابطة : إنها حليفـة لكونـها قد دخلـت الحـرب في آن مـعاً مع الأمـبراطوريـة البرـيطـانـيـة ، وكونـها قد حـارـبت إـلـى جـانـبـها حتى سـحقـت سـحقـاً . وهي عـدوـة لـكونـها قد تـفاـوضـت مع «هـتلـر» ، وـكونـهـا رـئـيسـ حـوكـمـها «الـأـفـالـ» يـصـرـحـ بـأنـهـ يـتـمنـىـ أنـ يـتـحـقـقـ اـنتـصـارـ «الـأـلـانـيـاـ». وهـنـاكـ في «ـفـرـنـسـاـ» مقـاـوـمةـ نـشـطـةـ ضـدـ المـحـتـلـ ، وـلـكـنـ فـيـهاـ أيـضـاـ أـشـكـالـاـ سـاطـعـةـ للـتـعاـونـ معـهـ . وـالـقاـوـمةـ نـفـسـهـاـ عـرـضـةـ لـتـقـدـيرـاتـ كـثـيرـةـ التـاقـضـ ، فـالـمـعـلـومـاتـ الـتـيـ تـرـدـ بشـائـعـهاـ يـتـرـجـحـ فـحـواـهـاـ تـارـيـخـ بـاتـجـاهـ ، وـطـوـرـاـ بـاتـجـاهـ آخـرـ . وـلـكـنـ المـظـهـرـ الإـجمـالـيـ لاـ يـوحـيـ إـلـاـ بـفـوـضـيـ عـارـمـ . فـمـاـ هوـ الأـسـاسـ الـذـيـ يـعـكـنـ أنـ يـبـنـيهـ الـحـلـفـاءـ عـلـىـ وـضـعـ مـتـفـكـلـ كـهـذاـ ؟ وـمـاـ هوـ السـنـدـ الـذـيـ يـعـكـنـ أنـ يـرـتـجـوهـ مـنـهـ فـيـ تـحـضـيرـ عـمـلـيـتـهـمـ السـكـرـيـةـ وـإـنـجـازـهـ ، تـلـكـ الـتـيـ كـانـتـ

بالـنـسـبـةـ لـفـرـنـسـيـنـ تـحـرـيرـاـ وـغـرـأـ عـلـىـ السـوـاءـ ؟

كان الـأـرـتـيـابـ يـتـابـ القـوـادـ الـحـلـفاءـ الـكـبـارـ عـامـةـ ، فـمـارـشـ الـجـوـ سـيرـ «ـأـرـثـرـ.ـتـيدـرـ» ، السـاعـدـ الـأـلـوـلـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» ، قـدـ اـعـرـضـ بـشـدةـ عـنـدـمـ طـلـبـ إـلـيـهـ ، قـبـلـ التـرـولـ بـأـيـامـ ، أـنـ يـتـخـلـىـ عـنـ ٢٥ـ طـائـرـةـ مـنـ طـائـرـاتـ الـ١٥،٠٠٠ـ لـلـإـكـتـارـ مـنـ تـمـوـينـ رـجـالـ الـقاـوـمةـ الـفـرـنـسـيـةـ بـالـأـسـلـحةـ بـوـاسـطـةـ الـمـظـلـاتـ . وـأـمـاـ أـعـمـالـ تـغـرـيبـ الـقـاطـرـاتـ الـ٨٠٨ـ ، الـتـيـ اـدـتـ

الـقاـوـمةـ أـنـهـاـ قـامـتـ بـهـ خـالـلـ أـشـهـرـ ١٩٤٤ـ الـلـاثـلـةـ الـأـلـوـلـ ، فـلـمـ تـسـتـخـذـ قـطـ مـوـضـعـ جـدـ ؛ وـأـمـاـ حـقـيقـةـ «ـمـخـطـطـ الـأـخـضرـ» ، الـذـيـ يـدـعـيـ الـقـيـادـ

بـ ٥٧١ـ هـيـجـومـاـ عـلـىـ الـخـطـوطـ الـحـدـيدـيـةـ إـيـانـ التـرـولـ ، فـقـدـ وـضـعـتـ مـوـضـعـ شـكـ . وـكـانـ الـأـمـرـ سـيـانـ بـالـنـسـبـةـ لـالـقـوـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ الدـاخـلـيـةـ الـتـيـ نـصـبـ الـجـزـرـالـ «ـكـوـنـيـعـ» ، لـتـوـهـ قـائـدـاـ عـامـاـهـ . وـبـعـدـ تـبـادـلـ النـاقـاشـ قـرـرتـ الـقـيـادـ الـعـلـيـاـ الـحـلـيفـةـ لـقـرـاتـ الـحـمـلـةـ أـنـ تـعـتـرـ الـقاـوـمةـ الـفـرـنـسـيـةـ كـ «ـفـائـضـ» .

فـلـاسـوـفـ تـقـابـلـ الـخـدـمـاتـ ، الـتـيـ يـعـكـنـ أـنـ تـسـدـيـهـاـ ، بـالـجـمـيلـ ، وـلـكـنـ أـنـ يـكـونـ لـهـ مـكـانـةـ وـنـصـيبـ فـيـ حـسـابـ الـعـمـلـيـاتـ فـذـلـكـ أـمـرـ لـمـ يـجـرـيـ الـمـوـافـقـةـ عـلـيـهـ . وـرـازـ «ـدـيـغـولـ» ، الـمـعـضـلـةـ تـعـقـيـدـاـ . فـلـاـ رـيبـ أـنـ «ـرـوزـفـلتـ» ، كـانـ يـفـضـلـ اـجـتـياـحـ «ـفـرـنـسـاـ» الـأـمـ كـمـاـ فـعـلـ فـيـ «ـأـفـرـيـقاـ الـشـمـالـيـةـ» ، الـفـرـنـسـيـةـ ، مـنـ غـيرـ أـنـ يـسـبـلـعـ الـجـزـرـالـ الـذـيـ غـداـ رـئـيـسـ لـحـكـمـةـ مـوـقـيـةـ ؛ وـلـكـنـ الـإـلـاحـ الـأـنـكـلـيـزـيـ جـعـلـهـ يـتـفـادـيـ إـرـتكـابـ هـذـاـ الـخـطـلـ . إـلـاـ أـنـ «ـدـيـغـولـ» ، وـكـتبـ «ـتـشـرـشـلـ» إـلـىـ «ـلـندـنـ» فـيـ ٤ـ حـزـيرـانـ ، شـرـعـ بـإـثـارـةـ الـمـصـاصـ . وـكـتبـ «ـتـشـرـشـلـ» إـلـىـ «ـرـوزـفـلتـ» يـقـولـ : «ـلـقـدـ دـمـدـمـ وـتـذـمـرـ ، إـلـاـ أـنـ «ـمـاـ سـيـغـلـ» ، وـآخـرـينـ غـيرـهـ قدـ هـدـدـواـ بـالـاستـقـالـةـ إـنـ هـوـ رـفـضـ تـلـيـةـ دـعـوـيـ . وـإـنـ هـوـ أـنـ فـلـاسـوـفـ يـقـابـلـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» مـدـةـ نـصـفـ سـاعـةـ لـيـعـرـضـ لـهـ الـرـوـضـ مـنـ وـجهـ نـظرـ عـسـكـرـيـةـ بـحـثـةـ . وـأـنـاـ لـأـعـتـقـدـ أـنـتـ نـسـتـطـعـ أـنـ نـعـلـقـ عـلـيـهـ كـبـيرـ أـمـلـ...ـ» . وـلـمـ تـكـدـ الرـسـالـةـ تـنـطـلـقـ إـلـىـ هـدـفـهاـ حـتـىـ أـقـبـلـ الـجـزـرـالـ غـاضـيـاـ يـرـاقـفـهـ «ـإـيـدنـ» الـذـيـ ذـهـبـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ «ـالـجـزـرـالـ» لـاصـطـحـابـهـ ، فـقـالـ إـنـهـ ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ إـنـذـارـاتـهـ ، عـلـمـ أـنـ قـوـاتـ الـحـمـلـةـ سـوـفـ تـنـزـلـ فـيـ «ـفـرـنـسـاـ» مـزـوـدـةـ بـعـملـةـ مـسـكـوـكـةـ فـيـ الـخـارـجـ لـاـ تـعـرـفـ بـهـ حـكـمـةـ الـجـمـهـورـيـةـ بـتـاتـاـ . وـكـانـ يـتـقـعـعـ أـنـ يـضـعـ الـجـزـرـالـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» ، «ـفـرـنـسـاـ» تـحـتـ سـلـطـهـ لـيـخـضـعـهـ لـ«ـالـمـقـاطـعـاتـ» الـتـيـ تـحـلـلـهـ حـكـمـاتـ الـحـلـفاءـ الـعـسـكـرـيـةـ . وـأـمـاـ هـوـ ، «ـدـيـغـولـ» ، فـكـانـ يـنـاهـضـ هـذـاـ الـأـمـرـ بـكـامـلـ قـوـاهـ : فـهـوـ يـمـشـلـ الشـرـعـيـةـ ، وـلـاسـوـفـ يـطـأـ الـأـرـضـ الـفـرـنـسـيـةـ بـكـوـنـهـ السـلـطـةـ الـتـيـ تـعـرـفـ بـهـ أـكـثـرـيـةـ الـأـمـةـ ، وـسـيـوـلـ إـلـيـهـ ، دونـ سـوـاهـ . أـنـ يـحدـدـ ، بـسـيـادـةـ شـامـلـةـ ، الشـرـوطـ الـتـيـ سـتـعـاـونـ السـلـطـاتـ

الـفـرـنـسـيـةـ وـالـعـبـ الـفـرـنـسـيـ بـجـوـبـهـ مـعـ الـحـلـفاءـ

لـقـدـ كـانـ الـقـاـبـلـةـ جـافـيـةـ . وـأـمـاـ «ـتـشـرـشـلـ» وـ«ـدـيـغـولـ» ، وـهـمـاـ كـاتـبـاـ مـذـكـرـاتـ كـبـيرـانـ . فـقـدـ وـصـفـهـاـ كـلـ مـنـهـاـ بـطـرـيقـهـ الـخـاصـةـ ؛ وـلـكـنـ أـحـدـاـ مـنـهـاـ لـمـ يـرـكـ مـجاـلـاـ لـلـشـكـ فـيـ عـنـفـ الـصـدـامـ . وـهـدـدـ «ـتـشـرـشـلـ» «ـدـيـغـولـ» بـإـعادـتـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ «ـالـجـزـرـالـ» ، وـصـرـحـ مـنـ غـيرـ تـمـويـهـ بـأـنـ «ـبـرـيـطـانـيـاـ الـعـلـمـيـ» ، لـوـ خـيـرـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ «ـأـمـيرـكـاـ» ، لـانـخـاـزـتـ إـلـىـ جـانـبـ هـذـهـ الـأـخـيـرـةـ . وـأـجـابـ «ـدـيـغـولـ» بـأـنـ يـلـمـ سـبـ ذـلـكـ خـيـرـ الـعـلـمـ ؛ وـبـهـذـهـ الـمـلاـحظـةـ الـقـاسـيـةـ اـرـفـقـتـ الـقـاـبـلـةـ .

كـانـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» فـيـ «ـسـاـوـثـوـيـكـ» ، قـرـبـ «ـبـرـيـتونـ» ، فـلـهـ «ـتـشـرـشـلـ» إـلـيـهـ «ـبـدـيـغـولـ» فـيـ قـطـارـهـ الـخـاصـ . وـكـانـ قـلـقـ سـاحـقـ وـمـسـؤـلـيـةـ مـرـوـعـةـ يـتـقـلـانـ كـاـهـلـ الـقـاـلـدـ الـأـعـلـىـ . فـالـيـوـمـ الـتـالـيـ ، أـيـ الـأـثـنـيـنـ فـيـ ٥ـ حـزـيرـانـ ، سـوـفـ يـكـونـ «ـالـيـوـمـ الـمـقـرـرـ» . فـيـ الـلـيـلـ الـبـارـجـةـ كـانـتـ مـثـانـتـ مـنـ السـفـنـ قـدـ أـمـحـرـتـ ، وـلـكـنـ الـأـحـوـالـ وـالـتـكـهـنـاتـ الـجـوـرـيـةـ أـتـتـ فـيـ السـاعـةـ ٤٠٣٠ـ صـبـاحـاـ تـمـحـدـوـ «ـآيـلـكـ» (ـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ مـعـارـضـ «ـمـونـغـورـيـ») إـلـىـ تـقـرـيرـ تـأـجـيلـ التـرـولـ لـمـدـدـ ٢٤ـ سـاعـةـ . وـأـمـاـ الـخـلـلـ الـذـيـ نـتـجـ مـنـ جـرـاءـ ذـلـكـ فـيـ جـهـازـ التـرـولـ الـدـيـقـيقـ فـقـدـ كـانـ خـيـفـاـ . وـأـمـاـ الـخـلـلـ الـذـيـ قـدـ بـحـدـثـ بـسـبـ تـأـجـيلـ جـدـيدـ فـقـدـ يـكـونـ مـفـجـعـاـ . بـعـدـ يـوـمـ ٧ـ لـنـ يـكـونـ أـوـلـ تـارـيـخـ مـنـاسـبـ غـيرـ يـوـمـ ١٩ـ حـزـيرـانـ . إـذـ ذـاـكـ سـوـفـ يـنـبـغـيـ إـنـزـالـ الـجـنـدـ ، الـذـينـ كـانـ بـعـضـ حـشـودـهـ قـدـ أـمـضـيـ عـلـىـ مـنـونـ الـنـاقـلـاتـ أـيـامـاـ عـدـيـدةـ ، فـيـ أـوـضـعـ مـزـعـجـةـ لـلـغاـيـةـ . وـلـاسـوـفـ يـغـدـوـ مـحـالـ الـحـفـاظـ عـلـىـ تـدـابـيرـ الـزـلـ الـقـاسـيـةـ الـتـشـخـدـةـ مـنـذـ آخـرـ أـسـبـوعـ مـنـ أـيـارـ لـلـإـبـقاءـ عـلـىـ السـرـ . تـأـجـيلـ جـدـيدـ كـانـ مـنـ شـائـعـ فـرـضـ إـعـادـةـ تـنـظـيمـ التـرـولـ بـصـورـةـ ثـانـيـةـ . وـأـنـ يـقـوـدـ إـلـىـ إـمـكـانـيـةـ الـتـخلـيـ عـنـ الـعـمـلـيـةـ . وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ يـعـكـنـ أـنـ يـمـكـنـ لـهـ تـحـرـيرـ لـهـ سـوـفـ الـحـرـمـةـ «ـدـيـغـولـ» . وـفـيـ غـمـرةـ هـذـهـ الـحـيـرـةـ أـتـهـرـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» ، حـزـماـ خـلـقـيـاـ أـكـيـداـ فـيـ اـسـتـقـابـالـ الـجـزـرـالـ الـفـرـنـسـيـ بـأـدـبـ وـصـبـرـ أـثـارـاـ ثـانـيـةـ «ـتـشـرـشـلـ» . وـلـكـنـ كـلـ رـونـقـ يـوـقـلـ إـلـىـ بـهـانـ فـيـ وـجـهـ السـخـطـ الـدـيـغـيـرـيـ . أـصـغـيـ «ـدـيـغـولـ» بـبـرـوـدـةـ إـلـىـ عـرـضـ مـخـطـطـ التـرـولـ ، ثـمـ ، وـبـعـدـ مـاـ أـخـذـ عـلـمـاـ بـرـسـالـةـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» إـلـىـ الـأـمـةـ الـفـرـنـسـيـةـ ، صـرـحـ بـأـنـ مـاـ سـيـسـيـمـةـ «ـالـأـمـرـ الـراـهـنـ» فـيـ كـتـابـهـ «ـمـذـكـرـاتـ

وـكـانـ قـدـ تـمـ الـاتـفـاقـ عـلـىـ أـنـ يـتـعـاـبـ عـلـىـ الـكـلـامـ فـيـ الـإـذـاعـةـ مـلـكـ «ـنـروـجـ» وـمـلـكـةـ «ـهـولـنـدـ» وـدـوـقـةـ «ـلـوكـسـبـورـغـ» الـكـبـيـرـةـ . عـلـىـ أـنـ يـقـرـأـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» بـعـدـ ذـلـكـ نـصـ إـعـلـانـهـ ، ثـمـ يـلـيـهـ «ـدـيـغـولـ» مـخـتـمـاـ رـكـبـ الـلـاغـاتـ الـإـعـتـاقـ . وـلـكـنـ «ـدـيـغـولـ» رـفـضـ ضـمـ صـوـتهـ إـلـىـ أـصـواتـ رـوـسـاءـ الـدـولـ وـالـحـكـومـاتـ الـذـينـ يـرـجـبـونـ بـالـتـرـولـ الـأـنـكـلـيـزـيـ الـأـمـيرـكـيـ علىـ أـرضـ «ـأـورـوباـ» الـمـسـتـعـيـدةـ ، وـقـرـرـ أـنـ يـقـيـ ضـبـاطـ الـاتـصالـ الـفـرـنـسـيـوـنـ الـدـلـيـلـ . الـمـلـحـقـوـنـ بـقـيـادـةـ الـحـمـلـةـ الـحـلـيفـةـ الـعـلـيـةـ ، فـيـ «ـانـكـلـتـرـاـ» . وـأـضـافـ «ـدـيـغـولـ» إـلـىـ هـذـهـ الـرـفـضـ الـمـتـعـدـ مـسـحـةـ مـعـبـرـةـ رـمـيـةـ عـلـىـ اـسـتـيـاـنـهـ . فـرـضـ دـعـوةـ الـعـشـاءـ ، وـرـفـضـ أـنـ يـعـودـ إـلـىـ «ـلـندـنـ» بـقـطـارـ «ـتـشـرـشـلـ» . وـبـعـدـ اـنـصـرافـ «ـدـيـغـولـ» كـانـ عـدـدـ إـلـيـ الـانتـظـارـ . كـانـ «ـأـيـنـهـاـوـرـ» قـائـمـاـ فـيـ حـرـجـ غـارـقـ فـيـ الـطـوـبـةـ ، عـلـىـ قـيـدـ مـيلـ مـنـ وـلـايـهـ «ـسـاـوـثـوـيـكـ» الـبـحـرـيـةـ . وـكـانـ الـطـقـسـ مـطـابـقـاـ لـلـنـشـرـةـ الـتـيـ وـضـعـهـاـ عـلـمـاءـ الـأـحـوـالـ الـجـوـرـيـةـ . مـطـرـ لـاذـعـ ، وـرـيـاحـ سـرـعـتـهـ بـيـنـ ٢٥ـ وـ٣١ـ عـقـدةـ . وـكـانـتـ الـمـارـفـيـ جـمـيعـاـ . مـنـ «ـبـلـيـمـوـثـ» إـلـىـ «ـنيـوـيـرـكـ» ، مـكـظـةـ بـسـفـنـ كـثـيـرـ تـرـاقـصـ فـوقـ الـمـاءـ الصـاـخـيـةـ . وـفـيـ الـعـرـضـ كـانـ الـبـحـرـ هـائـجـاـ . وـقـدـ بـعـثـتـ الـأـمـيرـيـةـ إـلـىـ

مراكبهم بالмагامرة في ليلة من ليالي الصيف الجميلة . ولكنهم سوف يختازون وهاداً مائة عمقها متران ، ورياحاً زوراء سرعتها ٢٨ عقدة . ترتعد إزاءها فراص البحارة المحرفين وجلاً ! ..

كان على كتلة سفن الإنزال هذه ، وعلى أكثرية سفن الحرب الـ ١٠٢١٣ التي توأكها أوتساندها ، أن تمر بمحطة منظمة حقيقة هي منطقة «ز» ، أطلق عليها اسم «بيكاديللي سير كوس». وكان قياس قطر دائرتها يبلغ عشرة أميال ، وأما قلب المحطة هذه فكان يبعد ١٨ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من «وايت». وقد سُلِّمت كل تشكيلة أو قافلة جداول إبحار صارمة أسميت «رسوم ميكى ماوس».

من «بيكاديللي سير كوس» انطلق «المجمع» الذي ينفتح بصورة مفلطحة حتى يبلغ خطأً أمامياً في رأس «بارفولر-أنتيفير». وكان «المجمع» يمر بالقل الكبير للألغام الألمانية المزروعة في قلب «المانش» ، من خلال خمسة أزواج من المرات المائية الضيقة . فقد بدا وكأنَّ العملية التي بدأت بعد ظهر ٥ ، والتي كانت مستردة ، لم تثر انتباها العدو .

وكان على القوافل ، بعد خروجها من «المجمع» ، أن توجه بشكل مروحة نحو مناطق التزول الخمس التي خصصت كل واحدة منها لفرقة واحدة ، وكانت تحمل التسميات الاصطلاحية التالية ، من الغرب إلى الشرق : «بوتاه» (الفوجة الأميركية الرابعة) ، «أوماها» (الفوجة الأميركية الأولى) ، «غولد» (الفوجة البريطانية الحمسون) ، «جونو» (الفوجة الكندية الثالثة) ، «سورد» (الفوجة البريطانية الثالثة) .

وأما الأساطيل المشاركة في هذا العبور الأسطوري «المانش» فقد وزعَت بين «قوة غربية» بإمرة الأميرال «أنن ك. كيرك» ، تعمل مع الجيش الأميركي الأول ، و«قوة شرقية» بإمرة الأميرال سير «فيليب فايان» ، تعمل مع الجيش البريطاني الثاني . وكانت هاتان القواتان تضمَّنان قائمة طويلة مولفة من ٢١٣ سفينة على رأسها ٧ بوارج (٤ إنكليزية و ٣ أميركية) ، و ٢٣ طرادة (١٦ إنكليزية ، ٣ أميركية ، ٢ فرنسيان ، و ١ بولوني) و ١٦٨ مدمرة (٧٩ إنكليزية ، ٣٦ أميركية ، و ٣ فرنسية ، و ٣ بولونية ، و ٢ بولونيان) . إذاً فللتها هذا الأسطول الذي لا مثيل له ، إنكليزياتان ، وذلك بعد انقضاء خمسة أعوام من الحرب وفقدان ٣ بوارج ، وطرادٍ يقتال ، و ٨ حاملات طائرات ، و ٤ طراداً وطراداً مساعدان ، و ٦ مدمرة ، الخ. وإنَّ في هذا الواقع لبرهاناً على الحيوية والفاعلية قاطعاً مهياً .

كان على معظم عمارات القتال أن تساند التزول بإطلاق النار على الأهداف البرية . وأما العمارات الأخرى ففهمتها مراقبة منفذ «المانش» ونصب شاشات مضادة لغواصات العدو وزوارقه الحربية . ومع أنَّ الألمان كانوا فاقهي الضعف في البحر ، فقد كانوا يشكلون بعض الخطط . ففي أيار تدخلت مجموعة من السفن الألمانية أثناء تدريب التزول ، فأغرقت ٣ سفن حربية للإنزال ثمينة ، مع ٧٠٠ من جنودها وبخاتها . فبتوافق المرامي التي ملأت جنبات «المانش» كان بيسور بعض القواد المهمام أن ينزلوا بالخلفاء الكوارث ولو كانوا بنسبة ١٠٠٪ .

لم تكن المساندة الجوية أقل ضخامة من المساندة البحرية . فقد كانت بإمرة مارشال الجو سير «ترافورد ل. لي-مالوري» ١٣،٠٠٠ طائرة قابلة لخوض العمليات ، منها ١١،٥٩٠ طائرة كانت على أبهة الاستعداد . وأما الطيران الجوي الملكي ، والتشكيلات الأخرى الخاضعة له كالطيران الجوي الكندي والأسترالي والنرويجي والنمساني ، والقوات الجوية البولونية والفرنسية والبلجيكية والمولندية والتروجية ، فقد أسهمت في هذا المجموع بـ ٥١٠ طائرات . وأما القوة الجوية الأميركية الثامنة ، التي

البحارة إنذاراً عاصفاً .

في الساعة ٢١،٣٠ انعقد موتمر آخر في مكتبة «ساوثويك» . وأمّا رئيس الأحوال الجوية ، الكابتن «ج. م. ستاغ» ، من الطيران الجوي الملكي . فقد بدأ تقريره مسجلًا أنَّ الإبقاء على التزول في ٥ - أي بعد ساعات - قد يجرِ إلى كارثة . في الوقت الراهن كانت خارطة الطقس تميل إلى التحسن بعض الشيء : فالمفترض أن تعتدل الرياح . وأن تنقشع السماء جزئياً . وبعد ما أنهالت الأسئلة على «ستاغ» من كل صوب . انتفع عن الوعد بأكثر من ذلك . قال : «إذا أجبت عن أسئلتكم فإنَّ أكون عالماً بالأحوال الجوية . بل عرَّافاً ! ..» لقد قال العلم كلمته . وكان على السراويلية أن تصلك إلى قرار .

كان الجو متقلبًا . وأمّا المارشالان «لي مالوري» ، قائد القوات الجوية . و«تيدر» ، مساعد «أينهاور» ، فكانا يشكّان في أن يلعب القصف التقليدي والقصف المتوسط دوراً واسعًا على ما هي عليه من حال . وكانت البحرية قلقة ، فقد أشار الأميرال «رامسي» إلى أنه ينبغي إصدار أمر بالإبحار في غضون نصف ساعة ، وإلا تعرّض على القوافل أن تسير حسب التوقيت الموضوع . ولكنَّ البرَّ كان أكثر ثقة ؛ فقد أشار «بيدل سميث» باللحاظ إلى الخط الذي يمكن في التأجيل إلى ١٩ حزيران . وصرح «مونتغموري» «مجدداً» بأنه يؤثر تفريد الخططة الحال . وبعدما أدى الجميع بآرائهم . عاد العبء المشهوم يقع على كاهل «أينهاور» . ولقد أوجز ببعض كلمات ذكر الحسنات والسيئات ، ثمَّ قال : «لائي أصدر هذا الأمر مكرهاً . ولكنَّ هذا الأمر واجب ...»

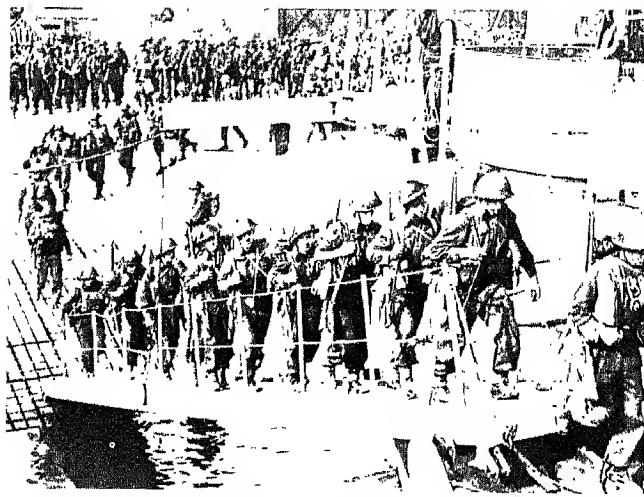
إنَّ الساعة ٢٢ سوف تأذف بعد دقائق ، وهي المهلة الفصوى لاتخاذ قرار لمجابي . ولكنَّ كان ما يزال ممكناً ، كما حدث في الليلة البارحة . العدول عن التنفيذ في ساعات الفجر الباكرة . وقد تقرر إجراء مداولة نهاية في الساعة ٣،٣٠ ، في مكتبة «ساوثويك» .

حين شدَّ «آيلك» رحله كانت ريح عاصفة تهزَّ أوصال غيمة الصغير في الأرجاء . كان الطريق موحلاً ، وتحت ضوء مصابيح السيارة المصطفحة كان المطر القادم من جهة البحر يهدو وكانت يهطل بصورة أفقية . ولكنَّ الكابتن «ستاغ» أصرَّ على الاعتصام بالاستنتاجات التي توصل إليها في الليلة السابقة : كان متوقراً أنَّ يتحسن الطقس خلال النهار والليلي الآتية ؛ ولم يكن بالإمكان أن يدلي بغير هذه المعلومات .

لقد اشتراك في التزول جيشان . في الغرب الجيش الأميركي الأول . بقيادة الجنرال «عمر برادي» ، الذي أنزل إلى الساحل فيلقية ٥ و ٧ ومع كلِّ منها فرقة مدعومة . وإلى الشرق الجيش البريطاني الثاني ، بقيادة الجنرال السير «مايلز دمبسي» ، الذي أنزل فيلقية ١ و ٣ ، الأول بفرقتين والثاني بفرقة واحدة . ركب الأميركيون البحر في المراقيع القائمة بين «سالكومب» و «بول» . والبريطانيون في المراقيع الواقعة بين «سولنت» و «نيوهيفن» .

كانت عشر فرق «للموازنة» تلحق مباشرة بوحدات الإغارة . فنزلت إلى البحر من الجناحين ، أبغر الأميركيون في «بيلموث» و«فال茅ث» ، والبريطانيون في مصبَّ «التاميز» في «شيرنس» و«ساوث إندر» و «هاروتش» .

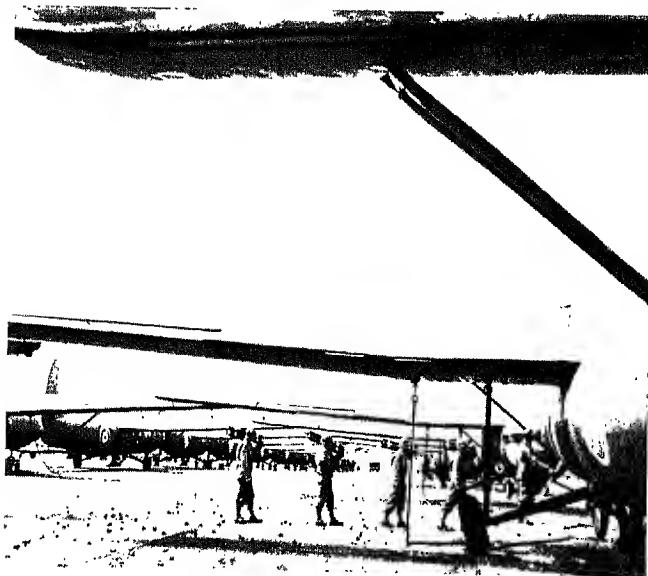
لقد طلبَ عبور «المانش» خططاً أسمى «نيتون» يبلغ من التعقيد حدَّاً بعيداً . فقد كان يتربَّ أنَّ يختار بحراً صاخباً ، ١٢٥ ، ٤ سفينة إنزال موزَّعة إلى ٢٦ فئة . يتسم معظمها برداءة إمكاناته البحرية ، وكان يختارها جميعاً عديمي الخبرة . وكان الأمل يداعب البحارة بأنَّ تقوم



جنود كنديون يركبون سفنهم في طريقهم إلى المغامرة الكبرى.



كانت توصية الجنرال «أيزنهاور» الأخيرة لرؤساء المظليين : « لا أرضي منكم إلا بالنصر النام » الناجز ! .



طائرات شراعية تنتظر ساعة عبور «المانش» .

يقودها الجنرال «دوليتل». فقد كان نصيتها ٦٠٨٠ طائرة. وكانت قاذفات النهار والليل القديمة، ٤٤، ٣٠، من صنع «هاليفاكس» و«لانكستر». و«بـ١٧» أو «القلاع الطائر» . و«بـ٢٤» أو «لبيريتو» ، تنقل من ٤٠٠، ٤٠٠ ليرة إلى ١٤٠٠٠ ليرة من القنابل. وأمّا القاذفات الـ٩٣، الخفيفة فقد كانت كلّها من صنع «ميتشل» و«بوسون» و«موسكيتو» . و«بـ٢٦» أو «مارودر» . و«أـ٢٠» أو «هافوك». وكانت أكثر من ١٥٠ طائرة. متنمية إلى نحو من عشر فئات . تشكّل الاستطلاع . والتنسيق . والحراسة الساحلية . والقتال المضاد للغواصات . والدائرة الصحيحة . الخ. وكانت القاذفات الـ٤٠٩٠ طائرة. يضاف إليها ٣٥٠ طائرة شراعية . تشكّل أسطول القاذفات الـ٤٠٩٠ . وهي من طراز «هاميلكار» و«سترنج» من صنع انكلزي، و«كـ٤٧» أو «داكتونا» من صنع أميركي . وأخيراً حشد المطارات والمطارات اللقلق ، وهي من طراز «هاميلكار» و«سترنج» من صنع انكلزي، و«كـ٤٧» أو «لايتنن» . و«بـ٤٧» أو «ثاندربولت» . و«بـ٥١» أو «موستانغ» . وقد قدّرت القيادة الحليفة العالية تفوّتها الجوي بنسبة ١٥ إلى ١. وأمّا التقدير الألماني ، الذي جاء بنسبة ٥٠ إلى ١ ، فهو أقرب إلى الحقيقة. كان هذا الطيران الجبار قد فتح مسبيقاً ثغراً في جدار الأطلسي .

معطلاً الرادارات الـ٦٤ التي كانت تقوم بحراسة الشواطئ من «نيكسيل» إلى رأس «فربيبل» . وكان عليه في اليوم المعهود أن يسخر كامل قوته لمحقق الدفع الساحلي . ولكن ، لسوء الطالع ، وبسبب رداء الطقس ، سوف تُنجز عمليات كثيرة من عمليات القصف بواسطة الآلات الموجّهة. وقد يخشى أن تحدث أخطاء قد تبيّن قوات من القوات الحليفة .

لقد أدّى تحديد ساعة الهجوم إلى التحريم بين الحسناوات والسيّرات . فالنزلول المائي كان مناسباً لأسباب عديدة . ولكن النزلول الصباحي قد أوثر نحوه من الفوضى التي قد تنتجه من جراء الفلامنة . وكان من المنطق أن يفاد من حركة المد والجزر للأقرب من الشاطئ بقدر المستطاع . ولكن القواد آثروا حركة البحر . مسبطين بذلك استعداد «رومبل» . لأنّ البحر يكشف عن الصخور الصناعية التي زرعها العدو . وتسبّب للتغييرات المحامية بالنسبة لوقت البحر . فقد حددت موعد النزلول ل الساعة ٦٠٣٠ بالنسبة «ليوتاه» و«أوهاها» . و ٧٠٢٥ بالنسبة «الغول» و«سورد» .

٧٠٤٥ على التوالي لمدينة «جونو» ويسره . لم تكن مناطق النزلول المحسّنة متصلة ولا متشابهة . فكلّ منطقة منها مشكلة قائمة بذاتها . وقد تطابقت مقطعاً خاصّاً . يمتاز «سورد» من مصبّ «الأون» إلى «ليون» . «مير» . وهي محطة استجمام صغيرة . والساحل هناك مسطح ورمل . وتحده الطريق الساحلي رقم ٨١٤ مازال ودارات متصلة تتکاثف في دساكر «ريفا بيلا» و«وبيريزام» الصغيرة . وهي نهاية خط ترعة «كين» البحريّة . وكانت طبيعة الشاطئ المغلفة تسهل تركيز الأصوات على السفن . وهذا السبب يكترّز هناك مساندة بغريّة ثقيلة مولّدة خصوصاً من «الورسيات» و«الراميات» . والمدرعة الغربية المتوسطة الحجم «روبروس» . وكانت مكافحة بحق بطاريات «فييرفيل» و«بيرفيل» و«هولغات» . وفي سبيل إثبات نزول الفرق البريطانية الثالثة ، واللواء المصطفى ٢٧ . أرسات غواصة «الجحيب» إكس ٢٣ إلى مصب «الأون» . وفي قلتها خرابulan . كان عليها أن تصعد إلى سطح الماء في صباح ٥ لتجهيه القوافل . إلا أنّ النزلول قد أجل . فنالت الغواصة أمراً بالانتظار أربعاً وعشرين ساعة إضافية وهي مستقرّة في القاع . فراحّت تتّظر . إنّ أهميّة منطقة «سورد» تعود لكونها قريبة من «كين» . وكان ينبغي منذ اليوم المعهود الاستيلاء على المدينة . التي تعتبر كمحرّج «النورماندي» نحو «باريس» . كانت هذه مهمة صعبة ، وفي سبيل تحقيقها

«كوتستان» لإقامة الاتصال مع القوات التي تزول في «كوتستان». كانت ناثة «هوك» موصعاً لعنابة خاصة . فالبطارية المركبة على هذا البرج العالي المثاث الزوايا كانت تعتبر «أكبر البطاريات خطورة في «المانش» كلها» . فقطعه السست من عيار ۱۵۵، التي يبلغ مدى مرماتها ۲۰۰۰۰ متر . وكانت تسقط بمنارتها على «أوماها بيتش» وعلى «بيوه بيتش» على ساحل «كوتستان» . وعلى هذا الأساس احتفظ المهاجمون لها بقدرتها «التكساس» من عيار ۱۴ بوصة . وبهجوم بواسطة السلسلي أُرسن إلى «ليبوتستان» - كولونيال «جيتس إيه رادر» التكساسي . ففي الساعة العاشرة كان على كتيبة ، التي تضم جنود الـ «رينجرز» ، أن تزول عند أقدام الناثة التي تكشف بفضل الجزر . وسوف يسلطن سلام الجبال مدفعاً خاصاً فتعلق على الجدار العمودي ، وسوف يحاول الجنود كذلك ترکيز سليمين بمزلاق قدّمهما إطفائيو «لندن» . وكانت المحاولات التي أجريت على جروف جزيرة «وايت» الكاسبة قد أثبتت أنَّ التسلق البحري هذا لم يكن أمراً مملاً . اللهم إذا حدث بعيداً عن مرمى نيران العدو .

ولقد أثارت «بيوه بيتش» مشاكل أصعب من هذه . فالشاطئ كان «بائساً»؛ إنه عريض ولكن يحل . ينحدر به نطاقٌ من المستنقعات لا يمكن عبورها إلا من خلال العلاقات الضيقية التي تعود إلى القرى المنشورة على طول الطريق رقم ۱۴ . وكانت أربع من هذه العلاقات وهي طرقات «بريفيل» أو «هوديفيل» أو «أودوفيل» أو «سان-ماريان-دي-فاريفيل» . قد حددت كمخارج رقم ۱، ۲، ۳، ۴ . كانت تنحدر إلى غابة متراصة ومن ثم . وإلى ما وراء نجد «سانت مير-إغليز» . كانت فيضانات «الدوف» و«الميروري» الكبيرة تنصب حاجزاً من أصعب الحواجز أمام جيش يحاول الدخول إلى قلب «الكوتستان» .

كان هدف القوة الأميركيَّة المقوله جواً . وهي مؤلفة من فرقين . أي ۱۳، ۲۰۰ مظاري ، و ۸۲۲ طائرة نقل . و ۹۰۰ طائرة شراعية ، وأن تذلل هذه الصعبوبة المزدوجة .

وكانت مهمة فرقه «إيربورن» ۱۰۱ . بقيادة الجنرال «ماكسويل تيلر» ، أن تسقط على المخارج المتوجهة من «بيوه بيتش» لكي تغول دون ردع فرق الماشية الأميركيَّة الرابعة التي نزلت إلى الشاطئ . والتي كانت حفنة من الرجال والأسلحة قادرة على تمييدها بقطعن تلك الطرقات الفريدة من نوعها . وكانت مهمة فرقه «إيربورن» ۸۲ ، بقيادة الجنرال «ماتيو رويدجوي» ، أن تتمرّكز على نجد «سانت مير-إغليز» ، وأن تحمل ، فضلاً عن ذلك ، رأس جسر كبيراً على «الدوف» و«الميروري» ، بالنسبة للمظليين كانت الساعة المحددة هي منتصف الليل . ولقد نزلوا إلى «كوتستان» ، لامن الشرق ، بل من الغرب . كما لو كانوا قد انطلقا نحو «بريانيا» ثم عدلوا عن وجهتهم فجأة في وسط «المانش» . وأمّا طائرتهم التي انطلقت من تسع قواعد في «ديفون» و«ميدينز» و«بيركشاير» و«ويلتشاير» وغيرها فقد مررت جميعها بتفعلة «إلكو» شمالي «ساوثمبرتون» ، واتجهت بعد ذلك نحو نقطة «هوبوكن» . ثم أخرفت بنسبة ۹۰ درجة ، وغيّرت اتجاهها قبل أن تصل إلى الساحل . في نقطتي «بيوريا» و«روين» ، وبعد ذلك بعشرين دقائق كان عليها أن تكون فوق مناطق المبوط السست ، وكان أربع منها في الشرق ، واثنان إلى غرب «الميروري» . وكانت كل منطقة من هذه المناطق ذات شكل بيضي ، وطوطها ميل وعرضها ۵۰ يarde . وأمّا الكشافون ، الذين بسطوا قبل قوَّة الفرق الأساسية بعشرين دقيقة ، فقد حاولوا وسعهم أن يتعرّفوا إلى هذه المناطق . وأن يشيروا إليها بواسطة المصايع التي زودوا بها .

هذا رسم سريع وجمل عمامية «نبتون» الجنبرة ، وهي المرحلة الأولى لغزو «أوروبا» . فلنحاول أن تتبع مجريها ساعةً ساعةً .

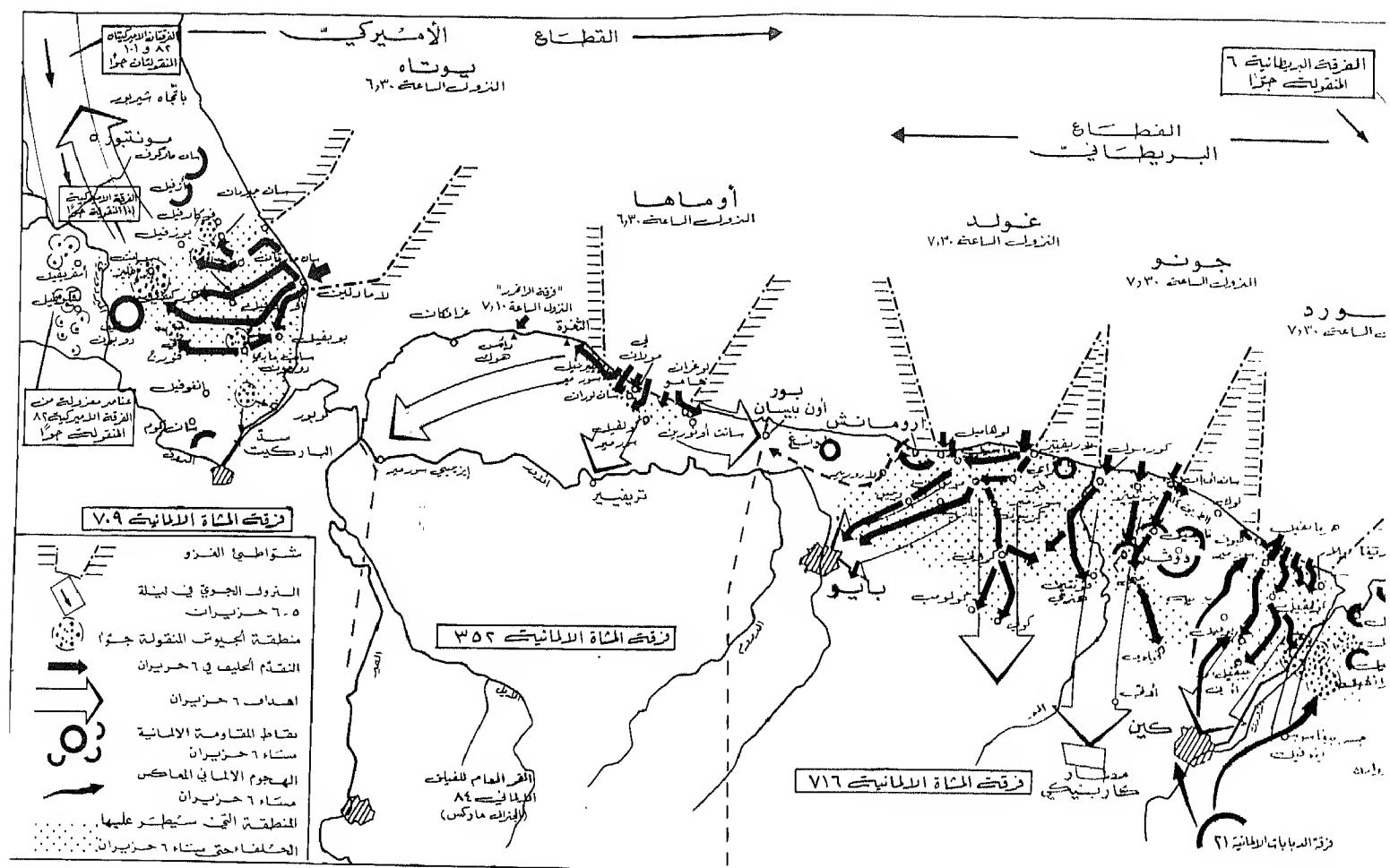
تم تحضير نزول جوي متصل بالنزول البحري . وقد كُلّفت الفرق البريطانية السادسة المقولة جواً بهذه العملية ، وهي بإمرة الماجور جمال «غيل» . وكانت مهمتها أن تسيطر على ضفة «الأورن» اليمنى لحماية جانب الغزو الأيسر . وأمّا لواء المظليين ۳ و ۵ فلوسف بريطان بالمظللات . أو بواسطة الطائرات الشراعية . في مناطق نزول ثلاث : «ف» بالقرب من «فاريفيل» ، و«ك» بالقرب من «توفريفيل» . و«د» بالقرب من «أمغريفيل» ؛ وكان عليهما أن يستوليا عنوة على الجسور فوق «الأورن» والبرعة البحريَّة في «بيتفيل» وفي «رينيفيل» . وأن ينسفا الجسور على «الدليف» في «بيريه» و«رويوم» و«ترووارن» . وأخيراً أن يدمرا بطارية «ميرفيلي» في مصب «الأورن» . وأمّا مجموعة الطيران الجوي الملكي ۳۸ و ۶ فقد جرتا قطْرِهِما بالجوية وأقلعتا والسماء عاصفة مكفرة . وكان عليهما أن تجتازا الساحل الفرنسي عند منتصف الليل .

وعلى بعد ۸ كلم غربي «ليون-مير» تبدأ المنطقة «جونو» . وفي تلك المنطقة صخور ناثة تقدم الشاطئ يعتذر التزول بسببها في وقت الجنزير الكامل . وهذا ما أدى إلى تأخير ساعية المجموع قليلاً . وكانت غواصات أخرى هي «إكس ۲۰» ، تنتظر القافلة التي تحمل الفرقه الكندية الثالثة . التي كان قطاعها يمتد من «سانت أوبان» إلى «كورسوي-سور-مير» . وكان عليها خلال اليوم الأول أن تجاوز طريق «بايو» إلى «كين» ، وأن تستولي على مطار «كاربيكي» . وفي منطقة «غولد» كان على الفرقه البريطانية الخامسة . والكتيبة المصفحة الثامنة . أن توطّداً أقدامهما ابتداء من قرية «لاريفير» حتى قرية «ماميل» . والشاطئ هناك موحش ، وهو أقل سكناً منه حول «ريفا بيلا» . وإلى ما وراء الشطآن تُمتد مستنقعات تلتقي حوطاً الطريق رقم ۸۱۴ . وكان المخطّط يتوقع أن تنتشر القوات نحو الغرب للاستيلاء على «أرومانتش-لي-بان» حيث كان مفروضاً أن يشرع بناء مرافق من مرافق «ماليري» . وكان على جناح المجموع الآخر أن يحرر ، منذ العشية الأولى . «بايو» الصغيرة .

كانت ۲۵ كلم تفصل بين القطاع البريطاني والقطاع الأميركي . وكان الساحل وباطن المنطقة مختلفان ، فراحت مشاكل الإنزال ، ومرحلة ما بعد التزول ، تزداد صعوبة وتعقيداً .

كان «أوماها بيتش» يمتد من «بور-أون-بوسان» إلى الطرف ، وعلى مستوى ارتفاع الثغرة . وكانت البروف تحيط بها من جانبيها ، وهي تعلو نحو من ثلاثة متر . وأمّا المنفذ الذي كانت تعود إلى الشاطئ المزئن ببطاق كثيف من التلال . فكانت معاير ضيقه تتنهى إلى قرية «غران-هامو» و«كولفيلي-سور-مير» و«سان-لوران-سور-مير» و«فييرفيل-سور-مير» . فهذه المسالك المستترة كانت منافذ «أوماها بيتش» الوحيدة بالنسبة لفرق الماشية الأميركيَّة الأولى ، ولعناصر الجيش التي تشكّل موجة الانقضاض الأولى .

ولى الوراء لم يكن الميدان مُؤثراً لعمليات جيش قويَّ آلياً . فالسهل المنقش في جوار «كين» يتحول إلى غابة صغيرة مزروعة بمخلوق التفاح فيها المسالك أحاديد عميقه ، بجزءٍ إلى بقع صغيرة تسيّجها سodos من الأرض وسجاجين من الدغل كثيفة . وهناك عربة أخرى في خضم هذه الورطة : إنها حفرة «الأور» الذي يجري ابتداء من «بايو» بموازاة البحر . فواديه ، الذي كان مستنقعاً بطبيعته ، والذي غمره الأمان بال المياه ، لم يكن عبوره ممكناً بين بلدة «تريفير» ومدينة «إيزينبي» الصغيرة . وكان المخطّط قد تكهّن بأنَّ سيتمَّ بلوغ هاتين الدسّكرين في عشية التزول . ومن «تريفير» سوف يتمَّ الالتفاف حول المنطقة المغمورة . ومن خلال «إيزينبي» سوف يُقحم مصت «الفير» ولسوف تقدم القوات نحو

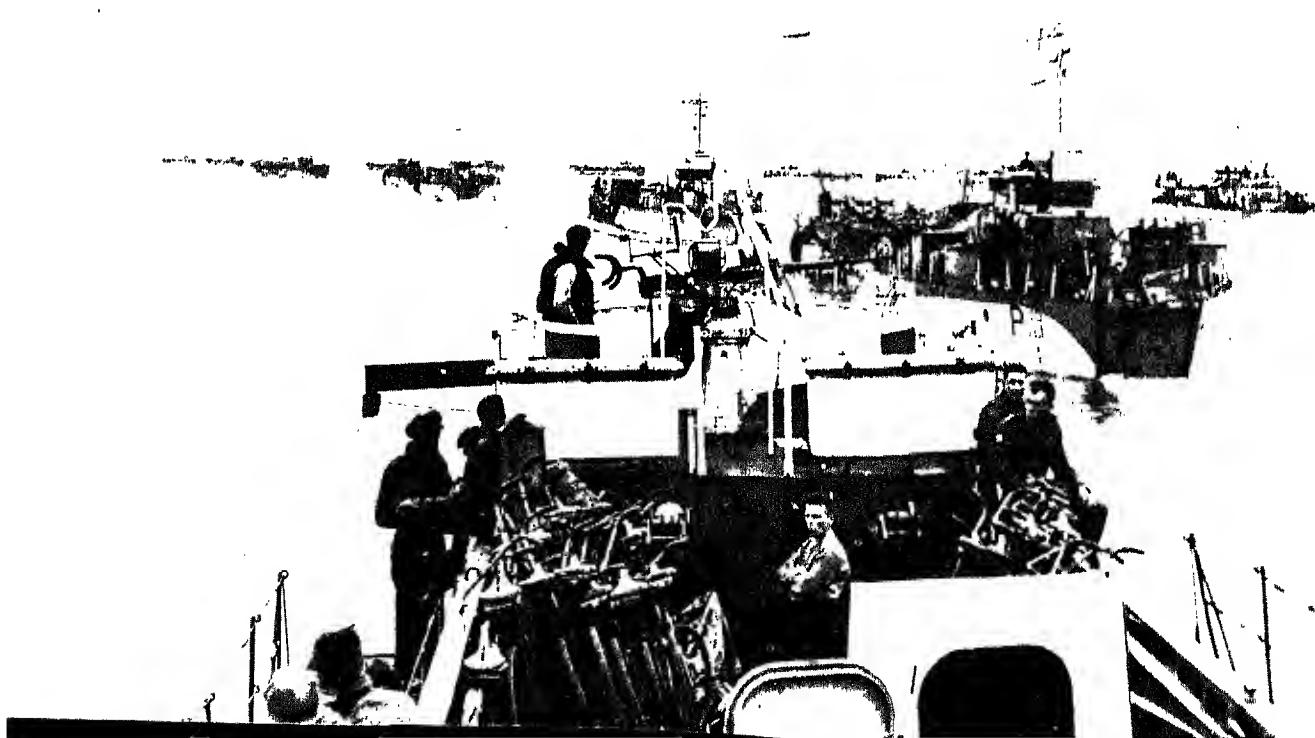


نقاط النزول على الشاطئ .

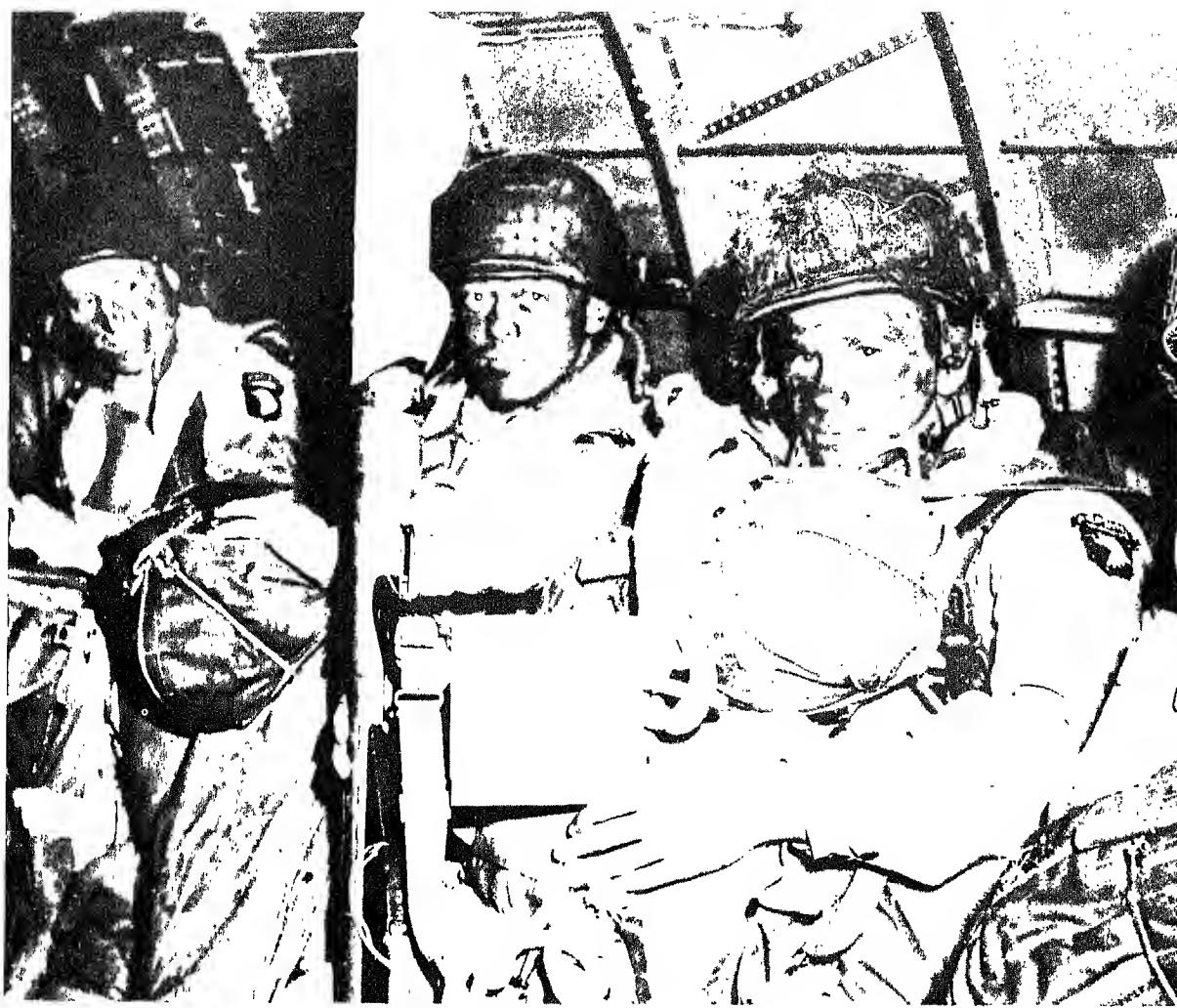
الساعة الأولى من النزول

حملة غير مرتبة تكبدت على ظهر هذه السفينة المهمة شطر «فرنسا» : إنها المراجات !

ما انتصف الليل حتى اجتازت الساحل الفرنسي فوق «هولغات» سُرت طائرات شراعية ضخمة من طراز «هورسا». تابعة لفرقة البريطانية السادسة المقولة جواً. حطّت إحداها في الأسلام الشائكة التي تحدق حمر «بيوفيل» على قنال «كين». وحطّت الثنان آخر يان على مقرية من



إنهم من الجنود الأميركيين،
دهنو وجوههم بلون الليل،
وقد تكدرّوا في إحدى
الطائرات الشراعية.



كانت المنطقتان المشار إليهما إلى كلا جناحي الفيلق. فالعملية إذا هامة، لذلك ألغى الجنرال «ماركس» سفره إلى «رين». لقد حل الواقع محل الخيال.

في الخارج كانت السماء مروعة. إنطلقت في الفضاء سحب رحبة من الدخان الحمراء تضرج الأفق. واهتزّ الليل تحت ضميج آلاف من مخرّكات العدو.

في الساعة ٢ وصلت معلومات جديدة من «كين» ومن «فالون» : لقد ألقى القبض على بعض المظليين. كانوا يتمسّون إلى الأواب البريطاني الثالث المنقول جوّاً، وإلى أفواج المظليين الأميركيين ٥٠٥٠٥٠١، إذاً كانت هناك ثلاثة فرق من فرق المشاة الجوية الأربع، التي كان الألمان يعلمون بها، تشارك في الهجوم. وقد أُوقظ القواد الكبار للحال، من «دولان» إلى «ساملوث» إلى «رونديشتاد». وفي «روشــغويون» تريث «شيدل» قليلاً قبل أن ينذر «روبل» في منزله.

شرقي «الأورن» كانت المهام الرئيسة لفرقة «إيربورن» السادسة على وشك الإنجاز. فقد راح رأس جسر «رانفيل» يتوطّد، وأخذت جسور «الديف» تتفجر، بما فيها جسر «ترووارن» الذي قام الماجور «روزفي» بدميره بمفرده تقريباً في أعقاب حاميته، واستولى على قصر «فارفيل»، وسقطت بطارية «ميرفيل» إذ هاجمتها في الساعة ٢٠٤٥ كتيبة المظليين التاسعة التي كانت تحفظ أمثلتها عن ظهر قلب. وفي الساعة ٣٤٥ وبعد قتال عنيف، أطلق اليوتانــ«كولونيل» «أتوبي» «سراح الحمام» الراجلة التي تحمل نباً سقوط البطارية. ولكن لوحظ عندئذ أنَّ البطارية لم تكن تحتوي إلا على قطع من عيار ٧٥ التي لا تشکّل إلا خطراً قليلاً، بدلاً من قطع الـ ١٥٠ المربعة التي كان المهاجمون يبغون بمحسها.

جسر «رانفيل» على «الأورن»؛ فإذا المواجهة تامة : ففي أقل من ربع ساعة انتقلت ملكيّة الجنود إلى فرقة المشاة الخفيفة «أوكسفورد شاير» و«باكينغهام شاير» الثانية . في أثناء ذلك هبط الكشافون في مناطق المبوط المعيبة . وأضاءات مصابيحهم الصغيرة أديم الأرض . وما حانت الساعة الواحدة من الصباح حتى شرعت الفرق البريطانية السادسة المنقوله جوّاً تهبط أو تزلق من السماء .

وفي الطرف الآخر من جبهة الهجوم ، أي في «الكونتان» ، بدأت العملية الأميركيّة المنقوله جوّاً في الوقت عينه ، فما انقضت ١٥ دقيقة على انتصاف الليل حتى قفز كشافو الفرقه «إيربورن» ١٠١ إلى الأرض أول الكل . كان الجوّ غائماً . والأرض غارقة في الضباب ، والقمر يبيّن ويختفي . وفي الدقيقة الخامسة بعد منتصف الليل لمح اليوتانــ«كولونيل هوفمان» ، قائد أحد أفواج فرقه المشاة الألمانية ٧٠٩ ، في شاعر من النور . بعض التؤيمجات البيضاء تقرّب من الأرض . أطلق رجال حرسه النار . فرد عليهم مسدس أميركي رشاش .

من الساعة الثانية إلى

الساعة السادسة من التزول

في الساعة ١٠١١ تلقى الفيلق الألماني ٨٤ في «سانــلو» من «كين» رساله من فرقة مشاته ٧٦ تقول : «مظليون شرقي مصب «الأورن» ، منطقة «رانفيلــبريفيل» ، والحاشية الشمالية من غابة «باغان» . وفي الساعة ١٠٤٥ تلقى من فرقة مشاته ٧٠٩ في «فالون» الرسالة التالية : «مظليون أعداء جنويي «سان جرمانــديــفارفيل» وقرب «سانت ماري دومون» . المجموعة الثانية غربي طريق «كاراتانــفالون» إلى جانبي «الميدوري» .»



في تلك المروج النورماندية لم يكن هبوط الطائرات الشراعية يسيراً.

إغارة هذا العدد الكبير من جنود الجو على مُؤخرات الدفاع الألماني الساحلي قد فككت وحدتها.

كانت فرقه «إيربورن» ٨٢ مؤلفة من أفواج المظليين ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨. كانت مهمة الفوج ٥٠٥ أن يستولي على «سانت-مير-إغليز» ويسيطر على ممرات «الميردوري» في «شيف دوبون» و «لافير»؛ وكان على الفوجين الآخرين أن ينشئا إلى الغرب رأس الجسر بين «الدوف» و «الميردوري».

وما إن توشت السماء بلونها الوردي حتى كان قسم من الفوجين ٥٠٨ ما يزال يتخطى في حول المروح المغمورة. وكان قسم آخر قد رسّخ خطاه في أرض أصلب، بالقرب من «أمفروفيل»، ولكن «الحواجز» كانت كثيفة، فكان التجمع بالتالي بطيئاً جداً. ولم يكن ليسجل آنذاك أي حدث لو لم تدخل مجموعة صغيرة من المظليين إلى ساحة قصر صغير بالقرب من «بيكوفيل». وإذا بسيارة «ميرسيدس» تظهر فجأة:

في الساعة ٣٠٣٠ هبط الجنرال «غيل» مع الموجة الثالثة التي أتت بالعتاد الثقيل؛ فسيطرت فرقها على «الأورن» معملاً الفوضى بين «الأورن» و «الفير»، وأسرت جنوداً من فرق الماشية الألمانية ٧٦ ومن الفرق المصفحة ٢١. وكانت خسائرها من القتلى طفيفة، إلا أن أكثر من نصف رجالها الـ ٤٠٨٠0 فقدوا بسبب أخطاء المبوط.

صادفت العملية الأميركية المنشورة جوًّا صعوبات أكثر تعقيداً. وقد اعترف المؤرخون الرسميون بعجزهم عن استعادة مراحلها بدقة. فقد برزت الحواجز والصباب تعزل مجموعات المظليين الصغيرة، وتسلل الأشباح في الريف الغريب الذي هبط فيه فتيان قادمون من «العالم الجديد». وقد ذهب البعض ضحايا للمستنقعات والفيضانات. ولا يصح تماماً تصديق ما قيل من أن أفواجاً كاملة قد غرفت في مقائه «الميردوري» كما تصوره الشائعات، ولكن لا مجال للريب في أن مظليين عديدين قد لاقوا صعوبات فاتحة في الخلاص من الوحل، وأن بعضهم قد غرق تحت وطأة المعدات. ومن مجموع الـ ١٣٠٢٠٠ رجل المتمم إلى الفريقين المنشورتين جوًّا لم يستطع غير ٢٠٥٠0 منهم التجمع للحال. وكأداء للتجمّع زُودوا بنوقيس خشبية كانت تملأ الليل النورماندي المشبع بالرطوبة أنغاماً غربية شبيهة بأصوات الزيزان. إلا أن صرير التوقيس كان يختنق في خضم الغابات الكثة.

كان على الفوج ٥٠٢، من فرقه «إيربورن» ١٠١، أن يستولي على منفذ «بوتاه بيتش» الشمالية، وكان على الفوج ٥٠٦ أن يستولي على المنفذ الجنوبي، وكان على الفوج ١٥٠٦ أن يتمركز على «الدوف» شمالي «كارانتان». ولكن الصباب والرياح والمدفعية المضادة للطائرات قد شوشت تنسيقاته التي درست مطولاً على الخارطة، فكان الرجال ينضمون إلى أول صباب يلتقطونه. وقد وقعت اشتباكات في غمرة الظلام مع بعض المفارز العدوة النازلة في القرى، وكذلك بعض المجموعات الصدية التي وقعت ضحية للخطاء. وعند الفجر كانت عناصر قليلة من فرقه «إيربورن» ١٠١ قد اتخذت أماكنها وفقاً للمنهاج المخطط، ولكن



هبط بعض الطائرات الشراعية في شبه جزيرة «كوتتنسان» جنوبي «شيربور». إلا أن عدداً منها أصيب بأضرار في حقول مزروعة بالسياجات.

يُكنَّ مُرئيًّا . إنَّه لأمرٍ غيرٍ معقولٍ ، مفعَّم بالقلق الشديد ، أن تجُوِّي إعدادات أكبرٍ نزول في التاريخ أمام ذلك الشاطيء الذي لم تكُن تعيَّن سكونه الشامل غيرِ أكماس القتال التي كانت تساقطت عليه في فترات متقطنة . وفوق أديم المياه المائحة ، وفي وسط رشق الريد الشاحب ، راحت صفوَّ قواقل الهجوم تتنتظ . ففي الطليعة انطلقت سفن الإرشاد ، وعلى أعقبها نافثات الدخان . وقد لحقت بها ، بشكل أرتال جماعية ، سفن الاختصاص . وسفن القيادة أو الكشافة ، ومراكب الإنزال الحربية المكلَّفة بإطلاق الدبابات البرمائية في الماء ، ومراكب من النوع ذاته متعلقة بالدبابات العاديَّة . وقد حمل بعض قوارب الإنزال الانكليزية ، وسفن الإنزال الأميركيَّة ، فصيلةً من المشاة ، وأتت سفن إنزال المدفعيَّة ، وأتت سفن إنزال الجنود مقلقة بالرجال والعتاد ، وكانت مراكب أخرى تنقل بطاراتيات إطلاق الصواريخ ؛ أمَّا المدمَّرات المواكبة فكانت تحمل مراكبها على الجوانب . فقد خرج أسطول كامل من بطن أسطول آخر . وتوجَّل في الليل متوجهاً نحو أرض المجهول والأخطر .

كانت المسافة التي تفصل المهاجمين عن الشاطيء تفرض عليهم رحلة فوق الأمواج الطامية تستغرق ثلاَث ساعات ، بأسطوهم ذي القعر المصطحب . الصعب المراس ، الذي كان يتأثَّر تأثِّراً بالغاً بالارتفاع . وقد أثَّر دوار البحر في الحرارة ، وهم مبتذلون في حرفهم . وغزت القوة «أ» والباب شطر «بيوتاه بيتش» محتمية بسان «كوتتنان» ، فدخلت تدرِّيسيًّا في مياه أكثر هدوءاً . ولكنَّ القوة «و» ، على تقدير ذلك ، استمرَّت في تحركها القاسي .

فيما راح النهار ينبلج بيته وكأنَّ لا رغبة له في الظهور . على الشواطئ المستندة إلى الانكليز اعترض التقدَّم «أُخْبِر» أطول . فالنَّاقلات قد اقتربت حتى غدت على بعد ٧ أميال من الساحل ؛ وفي الساعة ٥:٥٥ ، في الوقت الذي بدأ الليل فيه ينحل ، برزت الأضواء الخضراء تنبئ بأنَّ الغواصتين «إكس ٢٠» و«إكس ٢٣» كانوا في مركبِيهما للإرشاد . وبعد لحظات كانت السفن ، وفي جملتها «الوروسيات» و«الراميلز» ، تلقي مراسيها ، وراحت طائرات السلاح الجوي تنصب سثاراً من الدخان لكي تخوب الأسطول عن بطاراتيات «هافر» الثقيلة . والحال بدأ تجمَّع قواقل الهجوم يتنظم .

ولكنَّ ، من خلال الضباب الاصطناعي ، ابْتَقت سهام ثلاثة ، فقد انقضت زوارق ألمانية نسافة ثلاثة هاجم أسياد البحر ، وهي كنابابات صغيرة ثلاثة ، وعلى متنهَا نحو ثلاثة رجالٍ و١٠٠ طنٍ من الذخيرة . فقصدت لها نار حامية ، فعادت أدراجها متسترة بجح الخبان بعدما أطلقت طوربيداتها . وأصحاب أحد هذه الطوربيدات المدمَّرة الترويجية «سفيني» في غرفة وقدها فرقت على الأثر .

هذا الهجوم الألماني الثاني والجاري ، قد أظهر أنَّ اقتراب أسطول النزول لم يكن مجهولاً . ففي الساعة ٣:٠٩ تمكن رadar من الرادارات الألمانية الأخيرة الباقية من اكتشاف وجود سفن عديدة في عرض «بور-أون-بيسان» ؛ فأصدر الأميرال «كرانكي» لأساطيل «شيربور» و«هافر» الصغيرة أمراً بالتدخل ، ولكنَّ أسطيل «شيربور» بقي في مرفأه بعدما شلَّ الطيران حركته ؛ أمَّا أسطيل «هافر» فقد أحرز النصارى إذ أغرق سفينتين حربيَّة واحدة من جملة الدُّرُّس سفينتين !

وانطلقت من البر بعض قذائف المدفعية . وفي الجو أُقيمت موجة مولَّفة من ٦٣٠، ١ طائرة «ليبيريتو» تابعة لسلاح الجو الأميركي تحمل طائرات «لانكستر» من سلاح الجو الملكي . وفي اليم وصلت البارج والطرادات منطقة المساندة على حدود الأعماق التي تبلغ عشر باتعات . وببدأت مدافعها تطلق نيرانها في الساعة ٣:٥٥ على «سورد» و«جونو»

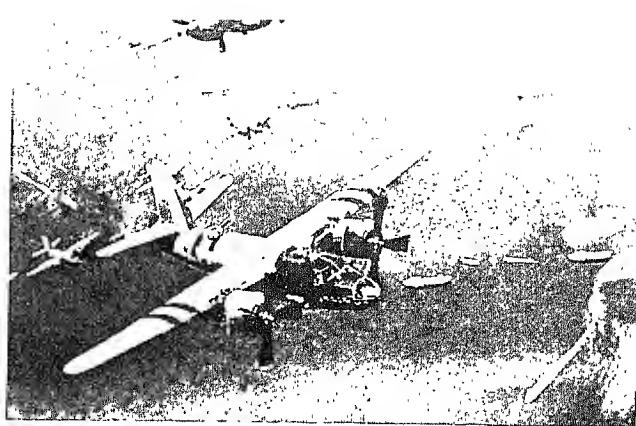
فابخرال قائد فرقه القناصه ٩١ . «فلهم فولي» ، الذي كان منطلقَ نحو «رين» ، قد قرَّر أن يعود إلى مقره العام حين أقنعه دوي القصف الجوي بأنَّ أحداً هامة ستبرز في النهار الوليد . وكان مقتله أحد هذه الأحداث : فقد استقبلت سيارته نيران حامية ، فخرج منها والمسدَّس في قبضته . فانطلقت دفعة أخرى من الرصاص أصابته قفار على الأرض صريراً . وهكذا فقدت الفرقه التي تقوم بحماية قلب «الكتتان» قائدتها في مستهلِّ القتال .

وعلى ضفة «الميردوري» الأخرى ابتسم الحظَّ الفوج ٥٠٥ . فمرحلة الاستلاء على «سانت-مير-إغليز» هي أبرز مراحل التزول . لقد شاهد العالم بأسره على الشاشة احتراق منزل «م. هيرون» ، والإطفائيَّين ذوي الخوذات التحاسية يكافحون الحريق بحراسة الجنود الألمان ، والمظليَّين الأميركيَّين يتزلون وسط النيران ، والجندي «ستيل» مكبلاً في محازم مظلته وهو عالق إلى قبة الجرس . من الوجهة العسكريَّة وقعت الأحداث على الوجه التالي : فعل الرغب من أن الكتيبة الثالثة من الفوج ٥٠٥ قد تعرضت لنيران المدفعيَّة المضادة للطائرات ، تمكَّنت من المبوط بدقة عجيبة في منطقة المبوط «صفر» على بعد ٥٠٠ م. من شماليَّ غربى «سانت مير» ، في الموضع المسمى «وادي الشقاء» . وعمد الليوتنان «كولونيل ل. دروز» إلى جمع جنوده بعجلة ، وفي سبيل الانقضاض على الدسكة أصدر أمراً باستخدام القنابل اليدوية واللحاظ دون أي سلاح آخر . كان عدد الألمان نحوَ من ثلاثين . فضلاً عن رجال قافلة قد توقفت هناك برهة ، فقتلوا جميعاً أو اعتُقلاً بسرعة .

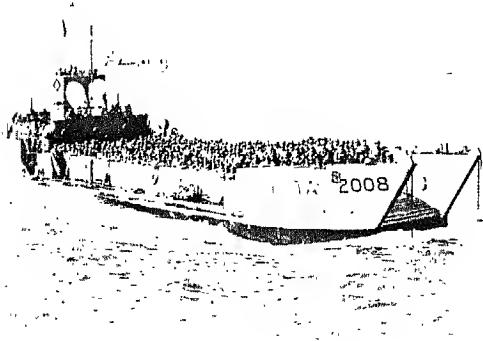
خلال هذه المนาوشات انتشر نذير الخطير في القيادة الألمانيَّة . ففي «سانلو» وجه «ماركس» نحو «كوتتنان» فوجه الاحتياطيَّ الوحيد ؛ وفي «المانش» أصدر «دولان» أمراً بإيادة المظليَّين الذين هبطوا حول «سانت مير إغليز» بعملية مركزة ؛ وفي «روشن غروون» أزعز «شيدل» لفرقة المصحفات ٢١ ، وهي احتياط المجموعة بـ ، بتنظيف ضفة «الأورن» اليمني ؛ وفي «سان جيرمان» أطلق «رونديشتاد» فرقه التدريب المصفحة ، والفرقة المصفحة الصاعقة ١٢ ، منبهَا إياهما إلى أنَّ عليهم القدم باتجاه «كين» . وقبل الساعة السادسة بقليل استدعى رئيس الأركان العامة ، «بلومبريت» مساعدَ «جودل» ، «فارليمونت» ، إلى «برشتغادن» ، وأطلعه على قرارات مارشاله ، وأكَّد له أنَّ الغزو قد انطلق . لم يكن أحد ليجرؤ على تعكير صفو «هتلر» في رقاده ، ولكنَّ «فارليمونت» اتصل «جودل» هافنياً ، فأيقظه . وإذا به إزاء رجل مرتَب يظنَّ أنَّ هبوط المظليَّين يشكِّل خدعة . لأنَّ التزول الحقيقيَّ لن يحدث في «نورمانديا» السفلي .

على «المانش» كانت الريح تصفر بقوَّة ٤ واكتسبت الأمواج لوناً أبيض ، وقد أثَّر دوار البحر على معظم ركاب «الرحلة الكبرى» . وفي الأفق كان الرعد والبرق يشيران إلى المعاملة الرهيبة التي تلقاها الساحل النورماندي . وراحت طائرة «لانكستر» من السلاح الجوي الملكي تهاجم البطارات الألمانيَّة العشر الأساسية . وعلى متون السفن كان الصمت سائداً ، أمَّا على الأرض فطوفان من نار !

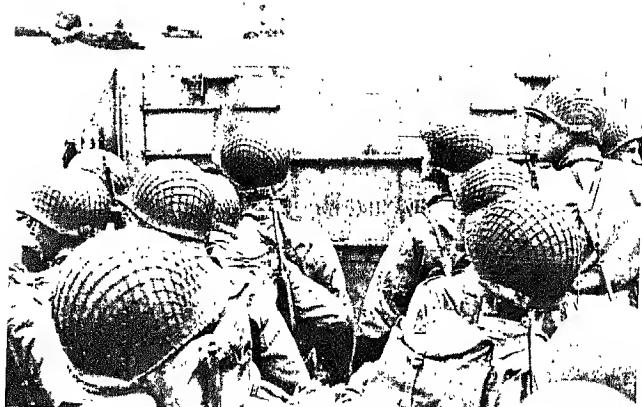
في الساعة ٢:٢٩ رست السفينة «بيفيلد» ، التي تحمل الجنرال «لوكون كولتر» قائد الفيلق الأميركيَّ ٧ ، على عمق ١٧ باعاً ، وعلى بعد ١١ ميلاً من «بيوتاه بيتش» ؛ وبعد انقضاء عشرين دقيقة رست سفينة «أنكون» ؛ التي تحمل الجنرال «جيروي» قائد الفيلق الخامس ، في الظروف نفسها . أمَّا «لوماها» . وحول المقرَّين العاميَّن العائدين توافت السفن كافة من غير حراك . وبعد مرور سبع دقائق بدأت زوارق الإنزال تترافق فوق الأمواج . كان القمر يضيُّ الدياجير بنوره الخافت ، إلاَّ أنَّ الشاطيء لم



تقدّمت الطائرات السفنـ فأغارت على التحصينات الساحلية الألمانية
ممهدةً سبيـل التزول أمام القوات الحليفةـ .



الهدوء بعد العاصفةـ . لقد أشرقت الشمسـ ، وهذا البحرـ ، بعد يوم
هائج مائجـ .



جنود أميركيون يقتربون من الشاطئـ في سفن الإنزال تحميـهم مدفعةـ السفنـ .
«البحرـ من ورائكمـ ، والعدوـ أمامكمـ !» .



و«غولـ». ولم يبدأ القصف على «أوماها» و«يوتاـه» إلاـ في الساعة ٥٠٥٠ـ .
إذـ أنـ الأميرـكيـنـ قدـ آثـرواـ المـفـاجـأـةـ علىـ الإـعـدـادـ الطـوـيلـ . كانتـ سـفـنـ
التـزـولـ علىـ بـعـدـ ٣٠٠٠ـ مـتـرـ منـ الشـاطـيـءـ . وكانـ الجـزـرـ فيـ ذـرـوةـ الـخـفـاضـهـ .
ولـمـ تـكـنـ الشـمـسـ قدـ بـرـغـتـ بـعـدـ .

منـ السـاعـةـ السـابـعـةـ إـلـىـ السـاعـةـ الثـانـيـةـ عـشـرـ منـ التـزـولـ

«يوـتاـهـ بيـتشـ». كانـ البرـيـغـاديـرـ جـنـرـالـ تـيـوـدـورـ روـزـفـلتـ جـونـيـورـ واحدـاـ منـ أـوـاـلـ الـأـمـيرـكـيـنـ الـذـيـنـ طـوـلـواـ الـأـرـضـ الـفـرـنـسـيـةـ فيـ تمامـ السـاعـةـ ٦٤٣٩ـ . حـافـظـاـ بـذـلـكـ عـلـىـ الـبـسـالـةـ التقـليـدـيـةـ الـتـيـ عـرـفـ بـهـ آـلـ روـزـفـلتـ فيـ «أـوـيـسـتـرـبـيـ»ـ ، خـصـومـ آـلـ روـزـفـلتـ الـمـقـيـمـيـنـ فيـ «هـايـدـبـارـكـ»ـ وـ «وـنـيـوـدـيلـ»ـ .
كـانـ الصـوـارـيـخـ أـمـامـهـ وـفـوـقـهـ وـخـلـفـهـ تـحـدـثـ جـلـهـةـ هـائـلـةـ . كـانـ «روـزـفـلتـ»ـ قدـ
أشـبـعـ الـمـيدـانـ درـساـ . إـلـاـ هـوـ لـاـ يـتـعـرـفـ إـلـيـهـ الآـنـ . فـادـرـكـ أـنـ تـيـارـاـ قدـ طـوـرـ
بـالـسـفـنـ نـاحـيـةـ الـجـنـوبـ حـتـىـ قـرـيـةـ «لـامـادـلـينـ»ـ . حـيـثـ تـتـهـيـ طـرـيـقـ «سـانـ
مارـيـ دـيـ مـوـنـ»ـ . هـنـاكـ مـتـراسـ أـلـمـانـيـ مـزـوـدـ بـقطـعـةـ مـيـدانـ وـبـرـجـ دـبـابـاتـ
قـدـيـمـ ، يـشـكـكـلـ نـقـطـةـ الـإـرـتـكـازـ رقمـ ٥ـ . أـمـاـ رـجـالـ الـحـارـمـيـةـ ، المـتـمـمـونـ إـلـىـ
الـكـيـنـيـةـ الـثـالـثـةـ مـنـ فـوـرـ الـشـاهـةـ ٩١٩ـ ، فـقـدـ دـفـنـهـمـ الـقـصـفـ تـحـتـ الـأـنـقـاضـ .
فـانـشـلـهـمـ الـأـمـيرـكـيـوـنـ ، وـأـخـذـتـ لـلـضـابـطـ الـأـلـمـانـيـ ، الـلـيـوتـنـانـ «ـيـانـكـيـ»ـ .
صـورـةـ وـقـفـ فـيـهـ بـيـنـهـمـ أـمـامـ الـمـتـرـاسـ .

جـرـىـ التـزـولـ بـتـرتـيـبـ رـائـعـ عـلـىـ هـذـاـ الشـاطـيـءـ الـمـعـلـوـطـ فـيـهـ . وـالـذـيـ تمـ
احتـلاـلـهـ بـسـرـعـةـ . غـرـقـ بـعـضـ السـفـنـ ، بـيـنـهـاـ قـارـبـ إنـزالـ خـاصـ بـالـدـبـابـاتـ .
إـلـيـ اـصـطـدامـهـ بـالـأـلـغـامـ ، غـيـرـ أـنـ الفـرقـ الـخـاصـةـ ، «ـفـرقـ التـدـمـيرـ الـعـالـمـةـ تـحـتـ
الـمـاءـ»ـ ، عـمـدـتـ بـسـرـعـةـ إـلـىـ تـدـمـيرـ الـحـواـجـزـ وـنـزـعـ فـتـيلـ الـأـلـغـامـ . لمـ تـكـنـ حـرـكةـ
الـبـحـرـ غـيـرـ اـصـطـفـاقـ خـفـيفـ ، فـولـجـ الرـجـالـ فـيـ الـمـاءـ بـنـشـاطـ وـخـفـةـ ،
تضـاـيقـهـمـ حـرـكةـ المـدـ السـرـيـعـ ، أـكـبـرـ مـمـاـ يـضـاـيقـهـمـ بـعـضـ الـقـنـابـلـ الـيـ
كـانـ تـطـلـقـهـاـ بـطـارـيـاتـ «ـسـانـ مـارـكـوفـ»ـ . وـتـالـتـ مـوجـاتـ الـمـحـجـومـ .
وـسـارـتـ طـلـائـعـ فـرقـةـ الـمـاشـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ؛ـ الـأـمـامـيـةـ عـلـىـ طـرـقـاتـ «ـأـرـدـوـفـيلـ»ـ
وـ «ـسـانـتـ مـارـيـ»ـ وـ «ـبـوـبـفـيلـ»ـ . عـاملـةـ عـلـىـ الـاتـصالـ بـعـظـلـيـتـيـ «ـتـيلـ»ـ .
أـمـاـ أـمـامـ «ـأـوـماـهـاـ بـيـشـ»ـ فـقـدـ بـقـيـ الـبـحـرـ عـلـىـ قـوـتهـ ، يـقـذـفـ الشـاطـيـءـ بـأـمواـجـ
جـرـأـةـ مـنـ الزـبـدـ . تـقـيـدـتـ سـفـنـ الإنـزالـ بـالـبـرـامـجـ الـمـوـضـوـعـ ، إـلـاـ أـنـ مـكـافـرـ
الـمـوـجـ كـانـتـ تـعـنـقـهـاـ ، وـطـبـقـةـ الدـخـانـ الـكـيـفـ الـتـيـ غـطـتـ الشـاطـيـءـ جـعـلـتـ
الـقـيـادـةـ صـعـبـةـ . أـلـقيـتـ فـيـ الشـمـالـ ٣٢ـ دـبـابـاتـ بـرـمـائـيـةـ عـلـىـ بـعـدـ ٥٠٠ـ مـتـرـ
مـنـ الشـاطـيـءـ . فـمـاـ لـبـثـ أـنـ غـرـقـ كـاـنـهـاـ مـاـ عـدـ اـثـنـيـنـ ، لـأـنـ عـوـامـهـ
الـمـصـنـوعـةـ لـيـاهـ هـادـهـ لـمـ تـتـحـمـلـ هـيـاجـ الـبـحـرـ . وـإـلـيـ الـيـمـينـ كـانـ ٢٨ـ دـبـابـةـ
أـخـرـىـ مـنـ طـرـازـ «ـدـ.ـدـ»ـ . عـلـىـ وـشـلـكـ التـزـولـ إـلـىـ الـمـاءـ فـيـ الـأـوـضـاعـ ذـاهـبـاـ ، إـلـاـ
أـنـ الـلـيـوتـنـانـ «ـكـوـمـنـدـورـ رـوـكـوـلـ»ـ ، وـقـدـ أـحـسـنـ تـفـهـمـ وـضـعـ الـبـحـرـ ، فـصـلـ
الـجـنـوحـ بـزـارـقـهـ عـلـىـ إـلـقـاءـ بـسـطـاطـهـ الـثـقـيلـةـ فـيـ الـمـاءـ وـتـكـلـيفـهـاـ السـبـاحـةـ بـنـفـسـهـ .
خـرـجـتـ الـدـبـابـاتـ مـنـ الـمـاءـ جـاهـدـةـ ، وـلـكـنـهـاـ اـسـتـقـبـلـتـ بـوـابـلـ مـنـ الـقـذـافـ .
وـانـهـلتـ عـلـيـهـاـ قـنـابـلـ مـنـ عـيـارـ ٨٨ـ فـقـرـتـهاـ ، كـمـاـ أـصـابـتـ الـزـوـارـقـ فـيـ
عـودـهـاـ إـلـىـ الـبـحـرـ .

لـمـ يـكـنـ المـدـفعـ هوـ المـدـافـعـ الـوـحـيدـ ، فـقـدـ رـاحـ وـابـلـ مـنـ رـصـاصـ الـأـسـلـاحـ
الـأـوـتـوـمـاتـيـكـيـةـ يـكـنـسـ الـمـنـحدـرـ الـذـيـ كـشـفـ عـنـهـ الـجـزـرـ . كـانـ الـرـجـالـ
يـنـزـلـوـنـ مـنـ الـقـوارـبـ وـيـسـقـطـوـنـ فـيـ الـأـمـواـجـ ، أـوـ يـمـاـهـوـنـ الـاـختـبـاءـ فـيـ الـرـمـالـ
إـذـاـ وـفـقـواـ إـلـىـ الـخـرـوجـ مـنـ الـمـاءـ . وـعـكـنـ أـفـرـهـمـ حـظـاـنـ مـنـ بـلوـغـ السـدـ الـذـيـ
يـنـحـدـ الشـاطـيـءـ . فـأـخـذـ رـجـالـ الرـشـاشـاتـ وـالـمـدـافـعـ يـطـلـقـونـ النـارـ عـلـىـ «ـبـسـاطـ

مـنـ الـرـجـالـ»ـ . وـاتـصـلـ الـضـابـطـ الـمـسـؤـلـ عـنـ رـأـسـ الـغـرـةـ هـافـيـاـ بـكـولـونـيـهـ
لـيـقـولـ لـهـ إـنـهـ يـرـىـ الشـاطـيـءـ غـاصــاـ بـالـدـبـابـاتـ وـالـعـربـاتـ وـالـسـفـنـ الـمـشـعـلـةـ .
مـفـرـشاـ بـالـقـتـلـ وـالـجـرـحـ .

كان مرتکز «هامل» في قطاع «غولد»، ما يزال صامداً عند الظهرة؛ إلا أنَّ الفرقَةَ ٥ قد امتدَت نحو «أرمانش» و«فيرسور-مير». صمدَ مُرتکز «كورسول» كذلك في قطاع «جونو»، إلا أنَّ الكنديين استداروا حوله وتستمِّوا التلال. أمَّا في قطاع «سورد» فقد سقط مرتکز «لا بريش»، وهاجم فريق الكومندوس رقم ٤، الذي يضم فصيلتين فرنسيتين من فريق الكومندوس رقم ١٠، موقع «ويسترهايم». وأخيراً انتظمت فرقَة «إيربورن» ٦ المنقولَة جواً، وقد دعمها هبوط بعض الطائرات الشراعية، في دائرة «رنفيل-بيوفيل».

أمَّا في الجانِبِ الألمانيِّ فقد نقل «جودل» إلى «رونديشتاد» بالطافِ رفصاً قاطعاً؛ فالفرقانِ اللاتان اعتقدَ «رونديشتاد» أنَّ له الحقُّ في تحريكهما مباشرةً، لا يمكن تحريكهما إلاً بإذن الفوهرر، والفوهرر نائم. إنْسَاع «رونديشتاد» ولم يطلب حتى إيقاظ النائم. إنه لانتصاع هازِيٌّ ساخرٌ على حد قول «شيدل». يزيد الكابورال «بوهيمي»، أنَّ يقود جيشه بنفسه: إذاً فليقدرها. أمَّا الجنرال فيلد مارشال «غيرون رونديشتاد» فقد تبرأ منها! كان «رومِل» على الطرقات عندما نُقلَ إليه بناءً للزحف في الساعة ٦،٣٠، فتخلَّى عن مقابلة «هتلر» وقبلَ راجعاً لتسليم قيادته. إلا أنَّه لم يكن قط مقتنعاً من حقيقة الرمح، بل كان يميل إلى الاعتقاد بأنَّها عملية تمويه وإلهاء يقصدُ منها اجتذاب قوات الاحتياط الألمانية إلى «نورماندي» السفلِيِّ. أمَّا الضربة الكبُرى فسيوجهها العدوُّ على حدَّ ظنهِ، نهايةً مصبُّ «السوم».

من السابعة الثالثة عشرة إلى السابعة التاسعة عشرة من التزول

وقفَ «تشتشل» في مجلس العموم ظهراً، وأثار الفضول بالتحدث عن احتلال «روما» طوال عشرين دقيقة، ولم تكن «روما» إذ ذاك لشير اهتمام أحد؛ ثمَّ وصف عملية التزول البحارِية بكثيرٍ من التعظيم والإطناب، وقال: «لقد جرى كل شيء حتى الآن وفقاً للخطط المرسومة». واستفاق «هتلر» في «أوبيرسايزبورغ»؛ أمَّا ردَّة فعله الأولى، لدى إعلان التزول، فلم تتوانَ. كان التقرير المُمهَّب سيدَّدَم في قصر «كليسهايم»، على مسافة ساعة ونصف بالسيارة، خلال الاحتفال الذي سيقام هناك على شرف الضيف الرسمي، الجنرال «ستوجاي» رئيس الوزارة المجرية الجديد.

لم يتغير في البرنامج شيء، وأمام خارطة «نورماندي» أخذ «هتلر» يتظارف ساخراً بلهجته التنساوية، ويقول: «مِيام مِيام! لقد سقطوا لقمة سائعة في فم «الذئب الأكبر». آه ما أطيب طعمها! فأغرب الحاضرون جميعهم في الصدح. ثمَّ أيدَ «هتلر» «جودل» في رفضه الصباحي: فهو كذلك لم يكن يعتقد أنَّ ما يجري هو الفزوُّ الحقيقِيِّ. استمرَّ التزاع بطيئاً في «الكونتان»، واستدعي الماجور بارون «فون درهَايدت» من «بيرييه» لتطهير منطقة «كارنلان» بكتيبة مظليَّة. فصعد إلى قبة جرس «سان-كوم دومون»، الواقعة على طريق «سانت مير إغليز». كانت السفن تغطي البحر في البعيد، فيما انصرَفت مئات من السفن الصغيرة إلى إزالة القوَّات والعتاد؛ قال: «وَعَنْ هَذَا لَمْ أَشْعُرْ بِأَنَّ مَعرِكةَ كَبِيرَةَ قَدْ دَارَتْ رَحَاهَا». كانت الشمس ساطعة، ولا يعکر هذه الجوُّ غير طلقات مقطعة، وكانت المراكب في ذهابها وإيابها تذَكَّرُ بأحد من آحاد الصيف على بحيرة «فاني»...». إزدحَمت «يوتاوه بيتش» وسدَّت منافذها، وحاول فوج المشاة ٨ أنْ يعبر المستنقع فغُرِّزَ فيه وعاد عن عزمه. في الساعة ١٢،١٥ تمَّ الاتصال بفرقة المظليَّين ٥٠١ التي فتحت «بوبفيل» في وجه مقاومة ضارية. وفي الساعة ١٢ تمَّ الاتصال

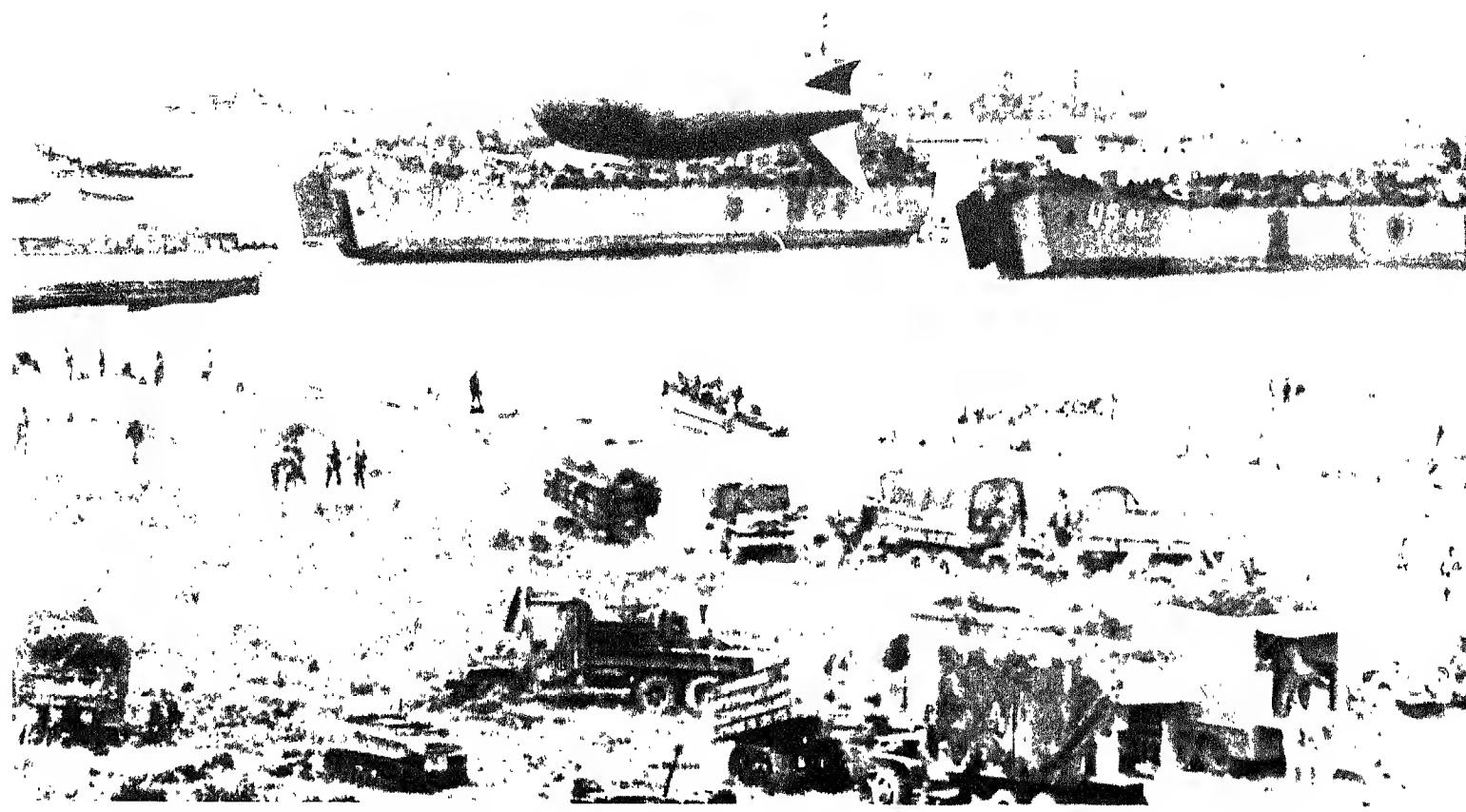
كان «رومِل» قد مرَّ في القطاع في آذار. ففعلت غضبه مفعول السحر؛ ففيما عدا الألغام التي كانت موادَّ صنعها مفقودة، كُدِّست على الشاطئِ كمياتٌ ضخمةٌ من مختلف الأجهزة التي روج لها: فمن حائز العناصر «ك» أو «الشباك البلجيكيَّة»، إلى صنوف عدَّةٍ من «الجلياد المهدَّدة الأوتاد»، إلى صنوف عدَّةٍ من «الأهرا» و«القاذف». كانت الصور الشعُّبية قد كشفت عن هذه الأعمال، فظنَّ إحباطها ممكناً بالتزول في وقت البُّرُوز؛ ولكنَّ تلك الصور الجوية، نظراً لاتجاه التوافد التي أخذت منها، لم تكشف عن الأسلحة البالنيَّة المعشَّشة في الجرف. ولم يعلم أيَّ جهازٍ من أجهزة الاستخبارات بأخطر النتائج التي أسفرت عنها زيارة «رومِل» الفتاشية. فانطلاقاً من اعتقاد «رومِل» الدائم، القائل بأنَّ القوات الاحتياطية لن تصلح لشيء، أمر بدفع فرقَة المشاة ٣٥٢ إلى الخطَّ الأمامي؛ فإذا بالأميركيَّين، الذين كانوا يعتقدون أنَّهم سيعُون على فرج قديم من فرقَة المارطبة ٧١٩، يقعون على فرقَة جيدة قد تخصَّصت باعتماده.

أضف إلى ذلك أنَّ حذراً أميركيَّاً مشؤوماً قد أسعف الدفَّاع؛ فقد أثَرَ خوفِ الضربات القصيرة عمليَّة إرخاء القنابل التي قذفتها طائرات «بييريتور» ثانيةً أو ثالثةً، فسقطت أكثرها على بعد ٣ أو ٤ كيلومتر داخل الأرضي. ثمَّ إنَّ المساندة البحريَّة التي وفرتها البارجات «تكساس» و«أركنساس»، والطراد الانكليزي «غلاسكرو»، والطرادان الفرنسيَّان «مونكالم» و«جورج لينغ»، لم تدم الوقت الكافي لتعطيل الدفَّاع الألماني. فبقيت التحصينات الساحلية سليمة عموماً، ولم يمسِ رجالها بأذى.

حصل بشأن التعرُّف إلى رأس «هوك» خطأً آخرَ موعد المداهمة؛ فقد اتجهت الشاحنات البرمائية، وقارب الإنزال الخاصة بالجنود والعربات، التي كانت تنقل كتيبة «الرينجرز»، ناحية رأس التفرا، إلا أنَّ الكوليُّنيل «رادر» قد تبنَّى للخطأ فصحيحه. تسلَّت «الرينجرز» الجرف تحت الرصاص وإنْذَرَ بلغوا القمة لم يجدوا في مكان المدفع غير بعض الجذوع. ذلك أنَّ الألمان كانوا قد سحبوا المدفع الستة من عيار ١٥٥، فيما كانوا يتمُّون بناءً سراديَّها. وما لبثَ الحلفاء أنَّ اكتشَفوا أربعة منها تحت شباك التمويه على مقرَّبة من طريق «فيري فيل - غرانكان»، فدمَّرُوها.

كان وضع «أوهاها بيتش» مقلقاً قرب الظهيرة؛ فبعد الدبابات البرمائية غرقت الشاحنات البرمائية بما كانت تقلُّه من أعتدَّة المدفعية. وازدحم الشاطئُ بالعتاد المُلْتَفَّ، وأغرق المَدْجُرِي. هذا، وما زالت أمواج المهاجمين تُنْهَدِّ، فينزل الرجال في ماء يغمُّهم حتى أعناقهم، ثم يقفون معتصمين بجدران السد. لم يفلح في الخروج من «أوهاها بيتش» من الأميركيَّين غير الكوليُّنيل «كانهام» قائد فوج المشاة ١١٦، وبالريغاديير جنرال «كريتا» قائد فوج المشاة الأولى المنوارب، وبعض الجنود الذين نجحوا في استدراجهم؛ فنسفوا شبكة الأسلام الشائكة التي كانت تصدَّى مدخل طريق «سان لوران» المُنْخَفَض، وفتحوا فيها ثغرة. كان العشب فوقهم يمْرِقَ مثيراً دخاناً. تلبد القاذفات في السفح الرمليِّ من الشعب الصغير، في انتظار فرصة ملائمة، فيما أخذت قنابل المدمرات، التي أفادت من المدْفَعَةُ إلى ١،٠٠٠ ياردة، تمرُّ فوق رأسِيهما في طريقها لتدمر أعشاش المقاومة الألمانيَّة.

عاث البحر فساداً عند البريطانيَّين كذلك، فأغرق ما يقارب ٥٠ دبابةً قديمةً من طراز «ساندور» مزودةً بمدفع من عيار ٩٥، كان عليها أن توفر لوجات الكرَّ سداً متعرِّجاً. إلا أنَّ هياج البحر أمام «سورد» و«جونو» و«غولد» كان أقلَّ عنةً منه أمام «أوهاها»، ولم يكن جنود فرقَة المشاة الألمانيَّة ٧١٦ ليعدلوا جنودَ الفرقَة ٣٥٢، وهكذا لم يسلم التزول البريطانيَّ من الخسائر، إلا أنَّه لم يتعَرَّض لأزمة خطيرة.



«ما أروع منظر السفن وقد تمددت إلى الشاطئ بطول ٨٠ كيلومتراً !»
«تشرشل» في مذكراته.

على جرف الحصى وجنحا على مدخل طريق «كولفيل» الأجوف ، فاندفع الرجال إليه. وأصابت ضربة مباشرة ، أطلقتها إحدى المدرّمات ، متراس «دي مولان» فقطعه إرضاً ، وأرغمت حاميته على الاستسلام. وراحت البحارات المصطفحة تفتح في الكبان ثغرتها ، وشرع الرتل الأميركي يرتفع ببطء على المضبة حيث كانت السياجات ، مع هراها ، توفر حماية وتعطية. وجّهت القيادة الألمانية اهتمامها ناحية اليمن خصوصاً ، ناحية «كين» ، فتحرّك جهاز حرب جبار : الفرقة المصطفحة ٢١ برجالها ١٦،٠٠٠ ، ودبّاباتها ١٢٧ من طراز «بز. لف. ٤» ، ومدافعتها المجموّمة الـ ٤٠ ، وقطعها الـ ٢٨ من عيار ٨٨ ، وما إليها. تلقّت أولًا أمراً ينطّهير ضفة «الأورن» اليمني من المظليّين الذين هبطوا خلال الليل ، ولما وصل الجنرال «ماركس» إلى ميدان القتال تبيّن له من نظرة واحدة أنَّ هذه المهمة لم تبقَ مناسبة للوضع . واتصل بالكولونيل «أوبان برونيوكوفسكي» ، قائد فوج الدبابات ٢٢ ، وهو في خط النار ، فأعطاه تعليماته . بات على «أوبان» أن يعبر بفوجه إلى ضفة «الأورن» اليسرى ، وأن يحمل حملة معاكسة قوية باتجاه «لوك سور مير» . وقال ماركس : «إنَّ مسؤوليَّة صدِّ الغزو تقع على عاتقك» . وبعدما ترك الجنرال الكولونيل ينفذ مهمته راح يبحث عن أجناد أخرى ، فوقع على كتيبة من الفوج الآلي ١٩٢ ، فوجّهها كذلك شطر «لوك سور مير» . كان عليهم أن يخترعوا المستحيل لشطر الحملة الانكليزية شطرين ، وتعطيل عملية التزول ، ريثما تتدخل قوات الاحتياط العامة فتقضي عليه .

بادر «أوبان» ، وكانت مهمته عسيرة . لم يبقَ على «الأورن» من معابر «كين» إلا معبر واحد صالح ، فقطع فوج الدبابات ٢٢ الألمانيَّة المشتعلة ، وما كاد يخرج منها حتى بادرت الطائرات القاذفة إلى ملاحقته ، فتسلى هضبة «ليبيزي» بما أمكنه من سرعة ، واجتاز القرية ، ثم نزل إلى وادٍ صغير كثير الأشجار . ولما وصل إلى «بيافيل» كانت

بالنفوج ٥٠٢ في «أودوفيل لا هوبر» . فتم بذلك اجتياز المستنقعات الساحلية . وأنجزت الفرقة ١٠١ المنقوله جواً مهمتها .

كانت الفرقة ٨٢ تقاتل في الداخل ، فاحتلال «سانت ماري إغليز» فطلع طريق «شيربور» الكبيرة . ومكّنَّ الأميركيّين من الإشراف على الناحية العليا المتداة بين المستنقعات الساحلية ومنخفضات «المدورِي» .

هدف العمل المركّز . الذي أوعز به الجنرال «دولان» ، إلى استعادة البلدة .

فيهاجم الفوج ١٠٠٥٨ ، التابع لفرقه المشاة ٧٠٩ . قادماً من الشمال .

فأوقف عند قرية «روفيل أو بلان» . كما صدَّ هجوم آخر قدم من الجنوب . ولكنَّ فوج المشاة ١٠٥٧ استعاد معرّات «شيف-دو-بون»

و«لافيار» . هذا . وقد وقع مظليّون كثيرون في الأسر جنوبيَّ «المدورِي» .

فيما أخذَ غيرهم يتجمّعون حول قرية «أمفيافيل» . وعلى هضبة انتشرت

عليها المزارع التي تطلُّ على الفيسبان . مقابل «شيف-دو-بون» .

أما في قطاع «أوماها بيتش» فأعلنَّ الديوتان-جنرال «ديتريخ كرايس» . قائد فرقه المشاة ٣٥٢ ، أنه قد أوقف الغزو على الشاطئ ، عينه ،

فانتقلَّ هذا الاقتناع إلى محضر الساعة الثالثة عشرة الذي نظمَه الفيلق ٨٤ .

إذ وردَ فيه : «يمكن اعتبار التزول مدفوعاً في «فيفيل» ، ولكنَّ «كرايس»

فانقى على مسمنته التي كان التقدّم الانكليزي يهدّدها . فوجّه فوج المشاة ٩١٥

ناحية الشرق . بقيادة الكولونيل «ماير» . بعدما أصدرَ إليه الأمر بالالتفاف حول «باير» . وبشنَّ هجوم معاكس بين «بايزيفيل»

و«كريبرن» . فلم ييقَّ أمام «أوماها بيتش» شيء من قوى الاحتياط .

والحال أنَّ الأميركيّين قدْ هضوا من كبوتهم : فالنار الألمانيَّة ، مع

ما اتصفَت به من شدة ، كانت تعوزها الكثافة والمثابرة ، لأنَّ كتيبة

مدعومة واحدة تابعة لفوج المشاة ٩١٤ كانت تعمي الشاطئ . عبَّرَ

السدَّ بعضَ ذوي الرب الشيشطيين . فاجتذبوا أسل الجنود ، وأفادَ قارب إنزال الدبابات ٣٠ . وقارب إنزال المشاة ٥٤ ، من المدَّ الأقصى فاندفعا



جنود بريطانيون يستريحون قليلاً بعد نزولهم ، قبل صدور الأوامر بالرصف . ولكن سعى منهم ، في ذلك اليوم ، إلى الموت ساعي !

النحو حققتنا كلّاً من انتصاراتنا منذ ١٥٠٠ سنة ... أمّا الشرط الأوّل ففي الامتثال الدقيق للتعليمات التي تصدرها الحكومة الفرنسية والقيادة الفرنسية... وهذا قد عادت شمس أجادنا إلى الظهور ... لم يشر إلى الأكابر والأميركيين إلا في عبارة واحدة كادت لا تذكر أسماء ، هي «القوات المسلحة الحليفة والفرنسية». هذا مع العلم بأنّ القوات الفرنسية قاتلت ، في ذلك النهار الموعود ، على ٢٥٦ فدائياً من رجال ملازم السنوية «فيليپ كيفر».

إكتفى البالغ المسائي الألماني بأن يعلن أنّ معارك عنفية تدور رحاها على الشاطئ المهاجم. أمّا «هتلر» فقد أغرب عن ضيق صدره وخيبة أمله ، بإصداره الأمر تلو الآخر ، بغية صدّ النزول وردّ «هذه الليلة في أقصى حد». وأخذ يرتاب من تحاذل متعمّد مسؤول ، وحتى من أعمال خيانة.

جرحى الأميركيون يلقون العناية الطيبة على رقعة الشاطئ الهامشية، احتلواها.



بعض أوائل الأسرى الألمان.



إلى «كاربور» ليشاهد النزول بأمّ عينه. فإذا «النشاط». على حد قوله. نشاط موافق كبير في زمن السلام». أمّا سلاح الطيران الألماني فقد تغيّب طوال النهار ، ذلك أنّ فرق المطاردة ، المتضرر قاتلها من «متر». كأنّه قد دمرت بكمالها ، واستثناء ٣ طائرات سرعان ما أركبت إلى الفرار. لم تظهر فوق حومة الوعي التورمانية أيّة طائرة ألمانية.

عند انتصاف الليل كان ٢١٥ بريطاًنياً و٥٧،٥٠٠ أميركيّ. بضاف إليهم ١٥،٥٠٠ أميركيّ و٧،٩٠٠ بريطاًنيّ يتمون إلى التشكيلات المقرونة جوّاً، أي ما يزيد شموعه على ١٥٠،٠٠٠ رجل. قد وطّلوا أرض «فرنسا». أمّا «فرق الموجة الثانية» ٢٩ و٩٠ الأميركيّتان. و٧،٥٠٠ البريطانيّتان المصطفّتان. فكانت في أول مرحلة النزول. لقد كان «رومبل» محقّاً إذ قال إنّ «خسارة معركة الشواطئ تعني أنّ «أوروبا» قد غدت مشورة أمام الغزو. كان بجزء «المانش» يشكّل بالنسبة للأكابر والأميركيّين مكحلاً شائعاً من الحاجز الذي يشكّل بالنسبة للألمان هذا الطيران الحليف الجهنميّ المسيطر !

على الصعيد التكتيكيّ لم يتحقق أيّ من الأهداف المعينة ل يوم ٦ حزيران في أيّ مكان. في «الكونتنان» كانت الأرض المفتوحة أصغر منتين مما قدر سباقاً. وأخفقت العملية الرامية إلى إنشاء رأس جسر على «المدوري»؛ وإلى الجنوب من «سان مير-إغليز» ما زالت كثيّة جيورجية تقطع طريق «شيربور»؛ وأمام «أوماها بيتش» انهى الألمان بالتخالي عن «كوليل» و«سان لوران سور. مير». غير أنّ التوغل لم يصل إلى أيّ بعد من ١٠،٥٠٠ م. في أيّ مكان. مع أنّ الرغبة كانت في إدراك «الأور» الذي يبعد ٥ أميال عن الشاطئ، منذ المساء ! وفي القطاع الغربي أعزّزت المسروّن وضمة من الإمام والجرأة لستحيل إنجازات الصباح الباهرة أبداً يُختتم بها النهار. لم يحصل الاتصال بالأميركيّين. ولم يتحقق تماست رأس الجسر. ولم يتم الاستيلاء على «كين» ولا على «كاربيكي» مطاراتها. وأوقف الفوج ٥٦

كتيبتاً «نورفولك» و«وارويكتاير» قد انزععا المحاجة . وغدت «كين» ، هدف النهار الرئيس. على بعد ٧ كلم. ولم تكن الساعة قد بلغت بعد السادسة مساء .

كان اللقاء كاسياً. صدّت الدبابات فحاولت أن تلتف حول «بيافيل» مرواً بوجلة «بيريه». فما كان من بعض مفارق «اش و بشير» لالماتة وستافورد شاير إلا أن دمرت ستة منها . وهبطت من السماء ٨ قاذفات لقضائية من طراز «تيفون» فأحرقت بضمّ دبابات أخرى. فعاد الفرج أدراجه واجتمع في تحوم «كين». لقد حال تدخله دون فتح المدينة منذ المساء الأول، إلا أنه لم ينجح في إيقاف الغزو .

لكرتها قد وقعت في الفرج الفاصلة بين سقطي «سورد» و«جونو». ويمكن رجاحاً من الإفراج عن مراكز المقاومة في «سان أوران»؛ «لوك» . الدبابات ... وبعده طال انتظارهم.

كانت الحالة مرضية في ما تبقى من القطاع البريطانيّ، فقطعت الفرق الكندية الثالثة بضعة كيلومترات . ودنت الفرقa ٥٠ من «بابيو» تدعمها أول عناصر الفرق المصفحة ٧ التي تم إلزامها.

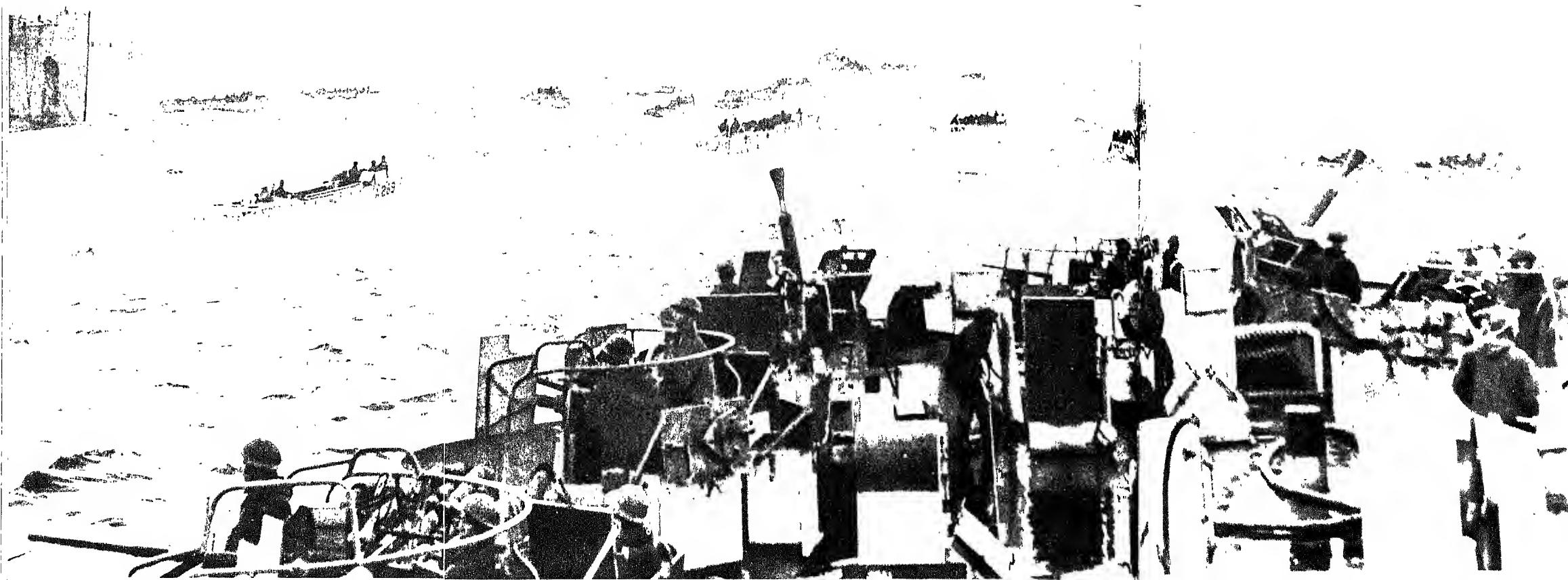
وصل «رومبل» إلى «لا روشن-غويون» بعد الظهر، فوجد قرارات «هتلر» في انتظاره. وُضعت تحت تصرّفه فرق الدبابات الصاعقة ١٢ المراطة جنوبي «رووان»، وفرق الدبابات الموجودة في ناحية «درو». ييد أنّ «الوهير» حظر الدخوجة إلى أيّ سحب على حساب الجيش الخامس عشر، حتى أنه قد ألغى أمراً أصدره «دوغان» باستدعاء قسم من الأجناد المراطة في «بروتانيا» إلى «نورماندي». ثم إنّه قد حرم جزماً باتاً بأنّ حزيران مجرد خدعة ، وأنّ الغزو الحقيقي لم يبدأ بعد .

الساعات الأخيرة من النزول

توقف القتال ياكراً. فقد تعرّت القوات المهاجمة. ولم تتوافر لدى الألمان أسباب شنّ هجوم ليلي معاكس. فتوقف إطلاق النار من «إنفيل» إلى «سانت مير-إغليز» مع غياب الشمس . إلا أنّ طيران الليل قد عاد إلى العمل . وكانت مهمته إفال ميدان القتال بغية قطع الطريق على احتياطي العدو. أثبتت القنابل المصوّبة التي دعاها الألمان «أشجار الميلاد». فراحت تكشف عن الأربال السارية . وضاعف القصف المطرّد، المنهال على نقاط المرور الإلزامية، الخسائر والتأخير . ولقد روى «بارلين» «لبول كاريل» خبر تلك الليلة التي سرت فيها فرق المصفحات نحو «كين» فاجتازت «سيز» تحت القنابل، ثم كأنّها في وضع النهار ، أثّرَن هائل تحت قصف لا ينقطع، وإذا أنقاض قد سدت الشواطئ . وإذا جسر «الأور» قد تهدم . أصلح الرواد أحد الماء . ولكن «بارلين» عمد إلى الحصول بضطرّاً، بغية الوصول إلى «فلبر» أو «كوندي-سور-لومرو»، فإذا هما أنقاض قد أثبتت على الطريق ذر النهار قرنه، ولما يمتد واحد من الأربال المخمسة، التي انقسمت إليها الفرق، «فاليز» الواقع على بعد ٢٥ كام من ميدان القتال. وعادت الطائرات تسمّر في الأرض كلّ ما يتحرّك. كان على فرق المصفحات أن تشّعّ هجومها المعاكس مع الفجر ، فإذا بها تخبيء حتى المساء ! أمّا موقف الحلفاء فكان على تقضي ذلك تماماً؛ قبل أن يرخي الليل سدوله ذهب الميجر «هابن»، رئيس المكتب الثاني التابع للقيادي الألماني .

كما في الحو كذاك في البحر ألف من أثلام النّصّر سعى !

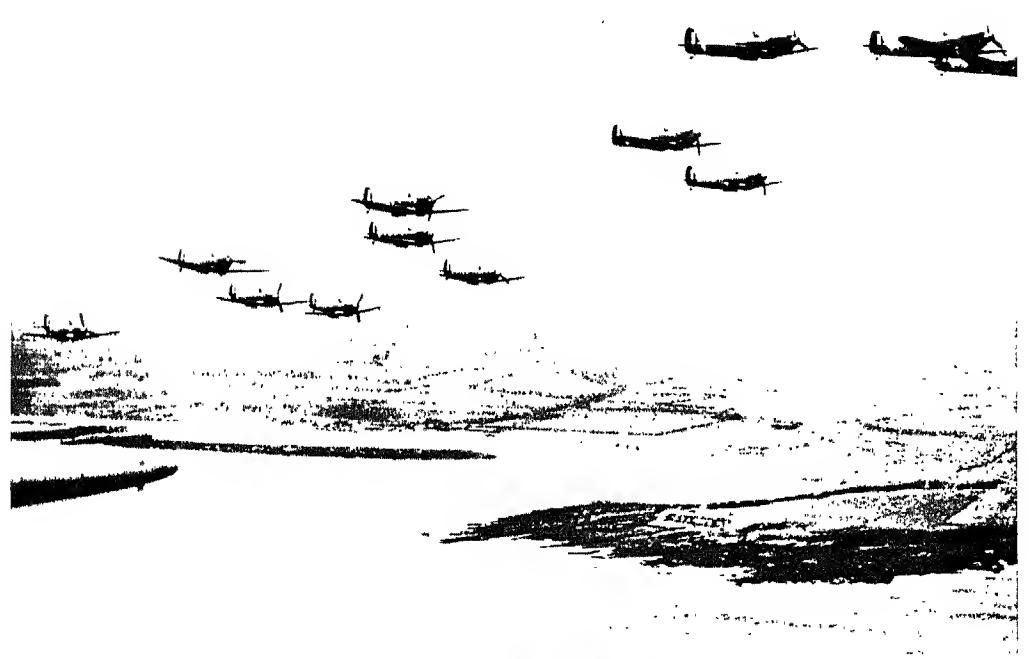
كان للطيران أولى نصيب في تحقيق عملية التزول إلى الشاطئ، التورماندي، وذلك بغارانه العففة التي بدأت في كانون الثاني ١٩٤٤، وتبدر في الصورة طائرات «سيتيفار» تحلق فوق الشاطئ الأطلسي.



كان الكنديون أولى من وطئ الشاطئ الفرنسي.
وتبدو في الصورة زوارقهم تبتعد عن السفينة الكبيرة
التي أفلتها.



لقد تم التحميل والتجميع والتقليل بطريقة جباره
رائعة » («تشرشل» في مذكرة).



على أرضية «بليموث» : كاهن أميركي يقوم
لجنود شعار القدس الإلهي يوم ٦ حزيران
المشهود.



ـ كأنه العرض العسكري...» (تشرتل)

جنود أميركيون يقابلون زورق إنزال في المرحلة الأخيرة من مراحل النزول.



ـ ما إن يرُغ الفجر والتحقت السفن ، كبيرة وصغيرة ، بالراكيز
ـ التي عينت لها في عملية الهجوم ، حتى جرت الأمور وكان
ـ الأمر لا يعلو كونه عرضًا عسكريًّا »
ـ (تشرتل) في مذكرة

ـ لقد شافي مرأى الآليات وهي تنطلق في مياه المرفل ، وتقارب
ـ الشاطئ ، وتساقط الحروف بسرعة ...»
ـ (تشرتل) في مذكرة

ـ نزلت الفرق الكندية الثالثة بين «بور آون بيسان» ومصب «الأورن»
ـ صبيحة ٦ حزيران ، وتقدمت لتowardها مسافة كيلومترات داخل المنطقة .
ـ وفي الصورة جماعة من جنودها ومعهم دراجاتهم .

إنها لتحفة التنظيم والقوين

لقد عرفت الحرب الأخيرة فــًا جديداً : إنه فــًن تجميع الجيوش ، ونوجيهها ، وتزويدها بالمؤن والأسلحة والأعتدة . ومني علمنا أنّ عملية النزول في "نورمانديا" قد قدرت ٢٦ طنّاً من المواد لكل جندي أدركنا أنّ ما رافقها من تنظيم وتمويل أثني تحفه التحف .



بعض الجرحى يلقون العناية الطبية على الشاطئ الذي احتلوه.



تختلف العديد من الديبات
البرمائية عن بلوغ الشاطئ . أمّا
هؤلاء الجنود فهم بعض من نجا
من الديباتين ، وقد تشبّثوا
برورق الحالاص .



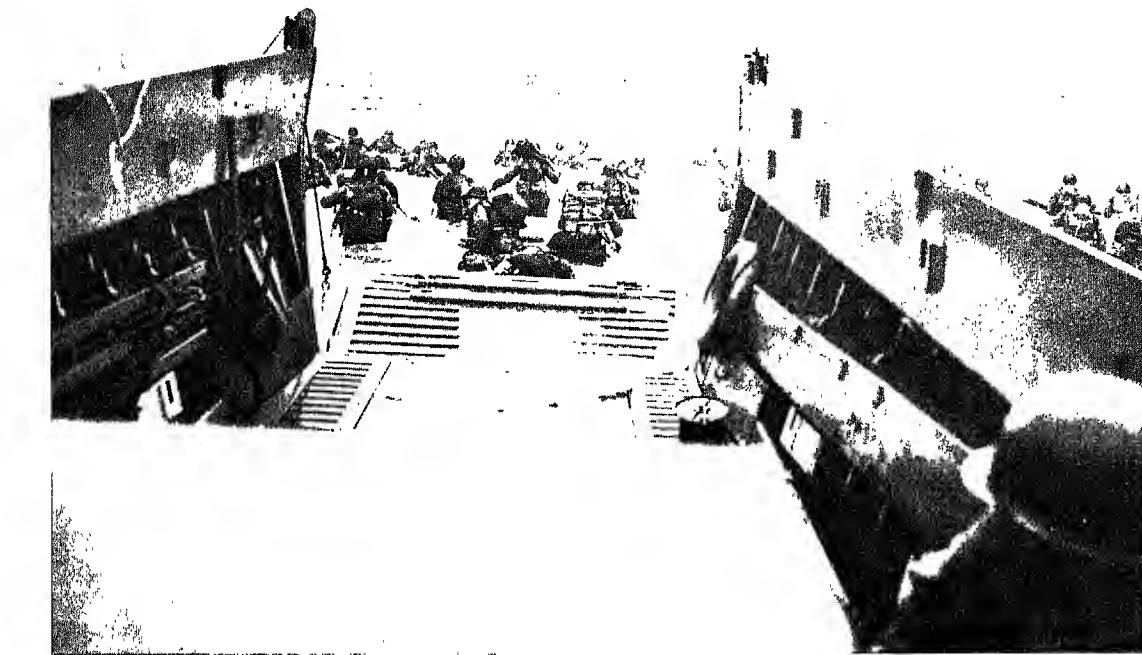
كانت الصدمة التي تلقاها
الأميركيون في «يوتا بيش»
شديدة. في الصورة جماعة من
الجسم الطبيعي يُعنون بالخرجي.



بعض الأسرى من الألمان ،
ويبلغ معدّل السنّ فيهم ٤٠
سنة. أمّا زهرة الشباب الألمانيّـ
فتحارب في الجبهة الشرقيّـة .

**كَانَتْ
الْكَلِمَةُ الْفَصْلُ لِفَنِّ الْحَرْبِ...**

لم يسبق لعملية عسكرية أن تعرضت لما تعرضت له هذه العملية من أهوال وأخطار ، وأن بذلك ما بذلته من طاقات مادية وبشرية ، وأن حققت الأهداف التي من أجلها كانت كما حققتها .



جنود بريطانيون يزحفون إلى الشاطئ لإثرا نزولهم من الزوارق وهم يغوصون في الماء حتى الركبة ، فيما راحت مدفعة العدو تكتس الأرض .



جنود أميركيون يتقدون في الجزر ، في «أوهاها بيتش» وقد أثقلهم العتاد .

الفصل السادس والعروض
٧ حزيران - ٣١ تموز ١٩٤٤

إخفاقات

لقد بزغت شمس ٧ حزيران وعادت المعركة إلى الاحتدام . وبات لزاماً على الحلفاء أن يدعموا رؤوس جسورهم ، وأن يحموها ، ومن ثم أن يصلوا بأسرع وقت ممكن إلى الخط الذي كانوا يعتزمون بلوغه في الليلة السابقة .

لا، لم يتم ذلك

وقد بات لزاماً على الألمان أن يصدوا الغزوة قبل أن يستنى لهم توسيع الخرق الذي أحدثوه لساعتهم في منشآت القارة الدافعية . وفي «الكونستان» وجّه محمود جديـد نحو «سانت مير إغليز» . ولكنـ الاحيـاطـيينـ الـهـرـمـينـ في فوج المشاة الـأـلـمـانـيـ ١٠٥٨ـ تـشـتـتواـ لـدىـ روـيـتهمـ نحوـ ٦١ـ دـبـابةـ أمـيرـكـيـةـ . فـكـانـ عـلـىـ الـجـرـالـ «فـونـ شـلـيـنـ»ـ أـنـ يـهـرـعـ بـنـفـسـهـ لـلـحـوـرـولـ دونـ فـارـاهـمـ . وـفـيـ جـنـوـبيـ «سانـتـ مـيرـ»ـ أـنـ يـهـرـعـ بـنـفـسـهـ لـلـحـوـرـولـ دونـ الشـرـقـ إـلـىـ كـوـلـوـنـيلـ قـيـصـريـ سـابـقـ وـعـدـ رـجـالـهـ يـأسـ هـانـيـ . فـاسـتـلـمـتـ لـلـحـالـ وـكـائـنـهـ رـجـلـ وـاحـدـ . وـأـسـرـتـ وـحدـةـ مـنـ النـخـبةـ بـكـامـلـهاـ ،ـ وـهـيـ كـتـيبةـ مـنـ فـرـجـ الـفـتـاصـةـ السـادـسـ . باـسـتـنـاءـ ٢٥ـ مـنـ رـجـالـهـ تـمـكـنـاـ مـنـ بـلـوغـ «ـكـارـانـانـ»ـ . فـنـعـيـةـ الـفـوـرـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ السـيـسـيـةـ ،ـ أـوـ مـعـنـيـاتـهـ الـفـاسـدـ .ـ الـبـارـزـ مـنـ خـالـلـ هـذـاـ الـضـعـفـ الـمـبـينـ ،ـ قـدـ أـفـقـدـتـ الـغـفـظـ وـالـخـنـرـ فـيـ صـدـ «ـهـتلـرـ»ـ .

هـذاـ .ـ وـكـانـ مـقاـومـةـ فـرـقـةـ الـمـشـاـةـ الـأـلـمـانـيـةـ ٣٥٢ـ قـدـ تـلاـشتـ مـنـ عـشـيـةـ ٦ـ .ـ فـيـ وـجـهـ الـفـيلـقـ الـأـمـيرـكـيـ الـخـامـسـ .ـ وـقـدـ عـصـيـ الـجـرـالـ «ـكـراـيسـ»ـ تـعـلـيمـاتـ «ـهـتلـرـ»ـ فـسـحبـ بـقـائـمـهـ إـلـىـ الـوـرـاءـ كـيـ يـخـبـئـهـ الـإـرـادـةـ الـكـامـلـةـ .ـ وـكـانـ الـحـلـفـاءـ يـحـرـزـونـ أـيـسـرـ قـسـطـ مـنـ الـقـدـمـ فـيـ الـقـطـاعـ الـذـيـ ظـنـ الـأـلـمـانـ أـنـهـ يـدـفـعـنـ فـيـ الـغـزوـ .ـ وـفـيـ ٨ـ تـمـ الـاتـصالـ فـيـ «ـبـورـأـونـ بـيـسانـ»ـ .ـ وـفـيـ الـيـوـمـ ذـاـهـيـ اـسـتـوـلـيـ عـلـىـ «ـلـيزـبـيـنـ»ـ .ـ وـفـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ تـقـدـمـتـ إـحدـىـ طـلـائـنـ فـرـقـةـ الـمـشـاـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ،ـ الـتـيـ تـرـزـلتـ مـؤـخـرـاـ إـلـىـ الشـاطـئـ .ـ حـتـىـ بـلـغـ مـحـطةـ «ـلـيزـنـ»ـ الصـغـيرـةـ عـلـىـ بـعـدـ ١٢ـ كـلـمـ مـنـ «ـسانـ لـوـ»ـ .ـ وـأـرـجـلـ مـرـكـزـ قـيـادـةـ الـفـيلـقـ الـأـلـمـانـيـ ٨٤ـ بـعـجلـةـ .ـ وـحـطـ رـحـلـهـ فـيـ مـعـهـدـ إـكـيـرـيـكـيـ قـاـيـدـ .ـ عـلـىـ طـرـيقـ «ـكـوـنـانـ»ـ .ـ وـهـوـ عـلـىـ أـهـمـ الـاستـعـدادـ لـلـأـنـزـامـ ثـانـيـةـ .ـ

وـعـ ذـلـكـ كـانـ الـقـادـةـ الـأـمـيرـكـيـ فـلـقـةـ .ـ لـأـنـ الـغـزوـ وـجـدـ نـفـسـهـ فـيـ مـأـرـقـ حـرـجـ مـذـ خـطـوـتـهـ الـأـلـوـيـ .ـ فـأـرـبـعـةـ أـخـمـاسـ ١٠٧٠٠٠ـ رـجـلـ .ـ وـنـصـفـ الـآـلـيـاتـ الـ٤٤ـ،ـ ٤٠٠ـ .ـ وـأـقـلـ مـنـ رـبـعـ الـ١٤ـ،ـ ٥٠٠ـ طـنـ مـنـ الـمـوـنـ .ـ الـتـيـ كـانـ مـفـرـضاـ أـنـ تـرـزـلـ إـلـىـ الشـاطـئـ .ـ قـدـ وـصـلـتـ فـيـ الـيـوـمـ الـأـوـرـىـنـ .ـ وـلـمـ يـكـنـ للـعـدـوـ يـدـ فـيـ إـخـفـاقـ هـذـهـ التـرـيـاتـ .ـ فـبعـضـ الـغـارـاتـ الـبـلـيـلـةـ قـدـ أـحـدـثـ أـخـرـارـ طـفـيـلـةـ .ـ وـبـرـجـتـ بـيـسـالـةـ مـنـ «ـبـلـرـونـدـ»ـ ثـلـاثـ مـدـمـرـاتـ بـاـسـةـ لـهـاجـمـةـ أـسـطـوـلـ الـغـزوـ .ـ قـفـطـتـ إـرـبـاـ .ـ وـأـبـيـتـ الـغـواـصـاتـ وـالـرـوـاـرـقـ النـسـافـةـ بـعـيـدةـ عـنـ سـاحـةـ الـقـتـالـ .ـ وـلـكـنـ تـحـوـلـ الشـاطـئـ إـلـىـ أـرـضـةـ إـنـزالـ ،ـ وـهـيـ مـنـ قـبـلـ لـمـ تـسـتـخدـمـ إـلـىـ الـسـيـاحـةـ .ـ قـدـ أـوـجـدـ مـنـ الـمـصـابـ أـكـثـرـ مـاـ كـانـ فـيـ الـحـسـانـ .ـ وـبـوـشـ بـعـجلـةـ بـنـاءـ مـرـافـقـ مـنـ طـرـازـ «ـمـالـيـرـيـ»ـ فـيـ «ـأـرـمانـشـ»ـ وـ«ـأـوـماـهـاـ»ـ .ـ

دبـابـاتـ أـمـيرـكـيـةـ تـجـازـ «ـكـوـنـانـ»ـ فـيـ ٣٠ـ تمـوزـ ١٩٤٤ـ .ـ



شفيتبرغ». وقد أمره «هتلر» بـ«إلقاء الانكليز في البحر». إلا أن «غير» قد عرف بداية سيئة. فلقد هبط على قيادته العامة وأقبل من القنابل ساعة قدم للإقامة في قصر «كين» على بعد ٣٠ كيلومتر «كين». إلا أنه لم يصب من جراء ذلك بغير تأثير شديد. ولكن رئيس أركانه العامة «ريتير أولد إدلر فون ديفتر» قد قُتل مع خمسينيًّا جميعين. وبعدما أصاب التفكيك المجموعة المصطفحة من رأسها، تسرّب كذلك إلى أوصالها؛ فالدبّابات كانت تصل إلى ساحق القتال متاخرةً جدًا وقد تكبّدت خسائر فادحة، فخاضت المعركة وهي متجزّةً بدلاً من أن تشنّ الهجوم المضاد الكبير الذي أمر به «هتلر»؛ وكان عليها أن تتفرّغ لهام دفاعيه مقيدةً، في وجه عدو كان، وهو في يوم غزوه الخامس. قد تغلّب على خطر الإفباء الذي تسلط عليه لأول وهلة.

وفي سبيل الاستلاء على «كين» وضع «مونتفوري» مناورة شاملة؛ فلسوف يتقدّم الفيلق الأول حتى «كانبي» جنوبى المدينة. وذلك من صفة «الأورن» اليمنى. وسوف ينطلق الفيلق ٣٠، برققة الفرقة المصطفحة السابعة، من منطقة «بايو». فيستولي على «تيلى-سور. سول» و«فيلى» و«نوايسي بو كاج». ومن ثم ينحرف شمالاً فيحتلّ مرتقبات «أفريسي» جنوبى «كين». وأما آخر فقيل من عملية الطعنين فكان قوامه أن يلتقي في المسافة بين «كانبي» و«أفريسي» بالفرقه الوحيدة المقرولة جواً، وهي فرقه «إيربورن» البريطانية الأولى. وكانت تتقدّم في «انكليزا» على أتم الاستعداد. وفي ١٠ انطلق هجوم المانى وهجوم انكليزي في آن معاً جنوبى «بايو»؛ وأما الهجوم الألماني فقد أخفق. وكان الهجوم الانكليزي ما يزال ينعم بمساندة بطاريّات السفينة «ناسون» من عيار ١٦ بوصة. فكانت هذه السفينة قادرة على إطلاق قذائفها على مدى ٣٣،٠٠٠ يارد. وكانت تلك المنطقة الحرجية الوعرة ساحة غير مأهولة بالنسبة لرجال الفرقه المصطفحة السابقة، أي فرقه «برزان الصحراء». التي اكتسبت خبرتها في الحرب فوق الأراضي الليبية النسبطة. ومع ذلك راحوا يتقدّمون بسرعة على طريق «بايو» إلى «تيلى». وهم لم يفقدوا غير أربع دبّابات في اليوم الأول. وفي اليوم التالي تبدّلت ملامح المعركة. فالفرقه الألمانية المصطفحة. بإمرة الأفريقي العتيق «بايرلين»، كانت متخفية في المنطقة الحرجية، من شرقى «تيلى» إلى شمالى «فيلى». وكان رمأة القنابل اليدوية يتحصّنون بسياج الأشجار وراء الحواجز المغادرة للدبّابات. واتّخذت الدبّابات مظهراً الدغل وقعت ساهراً متخرّفة لإطلاق نيرانها أو للانقضاض. وهكذا تبّنت أفضل الفرق الألمانية المصطفحة خطّة الثوار في التريث والتحفّز والانتظار. وراحت الطائرات الحليفة التي تحوم فوق ساحق القتال تبحث لها عن بعض المرامي، فوجدت بعضها وجعلت في المسالك أحياناً عازر. ولكن، في معظم الأحيان، كانت المشرفة التورماندية الكثيفة تحجب الطريق عن أبعاد الطيارين.

وتخلّلت نهار ١١ بكماله معاركٌ متّفقة. ولم تك الفرقه المصطفحة السابعة تدخل إلى «تيلى» حتى طردت منها بعد ما شنَّ العدو هجوماً معاكساً. وشرقى «الأورن» كان الوضع أسوأ. فساحات قتال ليلة ٦-٧ الكبرى، وهي «بريفيل» و«أمريفيل» و«رانفيل»، قد عادت تشهد وجود جنود ألمان يدفعون الانكليز نحو البحر. ولكن نيران السفن المسدّدة بدقة قد أحبطت هذه الرّدات الهجومية.

وفيما كانت هذه الأحداث آخذة مجرّها في المنطقة البريطانية، لم يلقَ أيركىتو «أواماها بيتش» في وجههم غير منهزمي ٦ حزيران. فحطّام الفرقه ٣٥٢ قد لازم الميسرة لحماية «سان لو» مخلفاً في ميّنته فراغاً شاغراً. وفكّر «رومبل» بأن يسدّه بالأمداد التي استُدعيت من «بروتانيا» ولكن أحداث «كارنستان» قد احتكرت هذه الأمداد في «كوتستان». ولم يكن على

في ٧ كان «أيلك» يقوم بزيارة أول للشواطئ. فأصدر أمراً بأن تُعطى الأفضلية لإقامة الاتصال بين الفيلقين ٧ و ٥، أي وبالتالي احتلال «كارنستان». ولم يجد الألمان أية صعوبة في التّبنّي بهدف الشّاطئ الأميركي في تلك المنطقة؛ ففي «فوتنوني سور-مير» وجدت الكتبة الشرقيّة الألمانية رقم ٧٣٩ مخطّطاً عمليات الفيّاق السابع، على جهة القائد الحبرى في «بوتاه»، بعدما قُتل في زورق التّرول. وهو: عزل «كوتستان» وغزو «شيربور». وكتيبة لذلك قرر «رومبل» أن يقاتل في سهل «كارنستان»؛ وبعد حصوله على صلاحيات شرعية من «هتلر» نفسه، استدعي من «أنجو» و«بروتانيا» الفرقه المصطفحة الصاعقة ١٧، وفرقه المظليّن الثالث، وفرقه المشاة ٧٧، وفرقه المظليّن ٣٦٥، وكذلك مجموعة مختلطة السلاح من الفرقه ٣٧٥. وبعد ما انضمّت هذه القوات إلى لواء فيلق المظليّن الثاني، نزلت إلى ساحة القتال شرقي «سان لو».

وعلى تقدير ذلك لم يسمح إطلاقاً بأن يقطّع شيء من الجيش ١٥. وانزع «هتلر» كذلك بأن ترجع إلى القارّة حامية المزرر الأنجلو-رمانيّة، حيث كانت فرقه المشاة ٣١٩، ولواء مدفعية مضادة للطائرات، وفوج دبّابات، أي ما يجمعه ٣٥،٠٠٠ رجل. يعيشون في سكينة آمنة. وبعد ما ملّ إصرار «رومبل» أمر بالآباء على ذكر تلك القضية على الإطلاق. لقد لعب الطيران الحليف دوراً حاسماً في عرقلة الأمداد الألمانية. فقد عطلت ٥٠ قاذفة خط السكة الحديدية بعدما دمرت شعب «الونسون» و«ماين» و«رين» و«فوجير» و«بوتوبو» وغيرها، وبعدما سدّت نفق «سومور». وأسهمت المقاومة البروتانية بهذه العملية بأعمال تخريب هامة في كلّنا ناحيتي «رين». وعلى سبيل المثال إلى قصص مجموعة القتال الألمانية «هایتر» من فرقه المشاة ٢٧٥: لقد رحلت هذه المجموعة من «ريدون» في ٦، في ١٤ قطراراً، فتوجب تفريغ ١٢ قاطرة منها بين «ريدون» و«فوجير» نتيجة لقطع الخطوط، وألغى القطار الثالث عشر في «بوتوبون»، ولم يكّد القطار الرابع عشر يصل إلى «فوليني» حتى تعرض لهجوم جوي سحقاً. ولسوف تشق الأمداد طريقاً لها نحو «نورماندي» برحلات ليلية شاقة، وسوف تصل إليها متأخرة أيام عديدة.

حين نزل فيلق المظليّن الثاني خط النار كان قد دفّات الأوان للدفاع عن «كارنستان»؛ فرقه «إيربورن» قد استولت عليها في ١١ حزيران. وبعدما عصى الماجور «فون دير هايدت» الأوامر التي تفرض الدفاع عن المدينة حتى الموت، لم ينج من انتقام «هتلر» إلا بفضل الظفر الذي كلّله في «كاسينو».

وفي سبيل استعادة «كارنستان» قرر الجنرال «ماركس» أن يتولّ بنفسه خطّة هجوم معاكس. وما كاد يغادر مركز قيادته حتى بادره رئيس أركانه العامة الكولونيل «فون كريغرن» باللوم التّاذّب لكونه يبالغ في تعريض نفسه للخطر. فأجابه «ماركس» بأنّ الموت في الجندية بات أكرم مصير يمكن التّفكير به في الوضع الذي تردّت فيه «المانيا». ولم تقتضي دقائق قليلة حتى سمع «كريغرن» وضيّاته صلبة من طائرة «تايفون». وهكذا قُتل واحد من أكبر الجنرالات الألمان كفافةً، وأحد أولئك الذين كان «هتلر» ينخصّهم بكره خاص. وحاول خلفه «فارمباخ» (الذي استُبدل به «فون شولتنز» بعد أيام) أن يستعيد «كارنستان»، فلم يفلح.

في القطاعات البريطانية شهدت أيام ٧ و ٨ و ٩ حزيران دمج روّوس الجسورة، وإخضاع مجموعات المقاومة – باستثناء مجموعة «دورف لا ديلفراند» التي بقيت ثابتة – واحتلال «بايو» التي لم تُمسّ بسوء. وعلى تقدير ذلك كان التّقدّم حول «كين»، وهي مفتاح «نورماندي» السّтратيجي، صعباً للغاية. إنّ القطاع الواقع بين «الدّيف» و«السول» قد سحب من الجيش الألماني الرابع. وألحق بمجموعة الغرب المصطفحة؛ بإمرة «غيرفون



مدفع مضاد للدبابات صوب إلى منزل تمرر فيه الألمان.

«جيري» إلا أن ينقض على الفجوة للإنطلاق على «سان لو» و«كين» في آن معاً . ولكن ساعة الجرأة الأميركية لم تكن قد أرفت بعد . فاكتفى الفيلق الخامس باحتلال غابة «سيريزي» وبالقدام بخدر نحو «بالروا» و«غومون ليقاتي» .

والرجل الذي فكر باستخدام التغرة لكي يستدير من الغرب حول حاجز السكة الحديدية في «تيلي» . هو الجنرال «بوشول» قائد الفيلق البريطاني ٣٠ . وخرجت الفرقة المصفحة السابعة إلى الجهة اليمنى . فعبرت «الأور» والتقت حول كلاب الدفاع الألماني . وفي ١٣ انبثقت على ذرى «فيليـ بوـ كاج» . فدخلت الدسـكـرـةـ وـاجـتـازـهـ . وـبـدـأـتـ فـيـ الـتـقـدـمـ عـبـرـ طـرـيقـ «ـكـينـ» ، فـفـوجـ «ـبـارـإـسـ» . والـحـالـةـ هـذـهـ . مـنـ الـوـرـاءـ فـيـ تـلـكـ الـأـثـاءـ حدـثـ انـقلـابـ مـفـجـعـ فـيـ الـأـوضـاعـ . فـمـقـدـمـةـ الـفـرـقـةـ المـصـفـحـةـ السـابـعـةـ . الـيـ تـضـمـ سـرـيـةـ الـقـنـاـصـةـ الـلـنـدـنـيـنـ . قـدـ تـوقـفـتـ بـرـهـةـ لـلـاسـتـرـاحـةـ عـلـىـ الـمـرـفـعـ ٢١٣ـ . عـلـىـ طـرـيقـ «ـكـينـ» . فـوـقـ وـادـيـ «ـأـلـدـونـ» الـوـرـ . إـلـاـ بـخـمـسـ دـبـابـاتـ «ـتـيـغـرـ» تـبـرـزـ فـجـأـةـ وـتـكـرـ عـلـىـ الرـيـلـ الـمـذـهـولـ تـحـرـقـ آـلـيـاتـهـ كـافـةـ : ٢٥ـ دـبـابـةـ ١٤ـ شـاحـنـةـ مـصـفـحـةـ ، الـخـ ... وـقـامـتـ دـبـابـاتـ أـلـانـيـةـ أـخـرـىـ بـمـهاـجـمـةـ حـاشـيـةـ «ـفـيلـيـ بوـ كـاجـ» الشـرـقـيـةـ . تـرـهـقـ فـرـقـيـ الـحـيـالـةـ ٨ـ وـ ١١ـ . فـهـوـلـاءـ الـدـخـلـاءـ الـذـينـ قـدـمـواـ لـيـحـجـجـوـ نـصـرـ «ـجـرـدانـ الصـحـراءـ» الـبـاهـرـ كـانـواـ مـنـ جـنـودـ الـفـرـقـةـ الـمـصـفـحـةـ الثـانـيـةـ . الـيـ وـضـعـتـ تـصـرـفـ تـحـتـ مـجـمـوعـةـ «ـغـيـرـ» بـمـوجـبـ قـرـارـ مـتأـخـرـ صـدـرـ عـنـ «ـهـنـلـرـ» . وـلـقـدـ قـدـمـتـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ مـنـ مـنـطـقـةـ «ـبـوـفيـ» فـلـمـ تـحـرـكـ إـلـاـ أـثـاءـ الـلـيـلـ مـجـيـزةـ «ـالـبـينـ» فـوـقـ جـسـورـ «ـبـارـإـسـ» . مـرـاوـغـةـ يـقـظـةـ الطـيـرانـ الـحـلـيفـ . وـكـانـ عـلـيـهـاـ فيـ ١٣ـ حـزـبـرـانـ أـنـ تـعـنـيـ بـأـمـرـ عـنـادـهـاـ ، وـلـكـنـ قـوـادـهـاـ اـكـشـفـوـاـ وـجـوـدـ الـانـكـلـيـزـ فـيـ مـوـضـعـ غـيـرـ مـتـنـظـرـ فـشـنـتـوـ هـجـومـهـمـ تـلـقـائـاـ ; وـقـامـ الـجـنـرـالـ «ـفـونـ لـوـفـتـرـ» بـمـؤـازـرـهـ بـماـ تـيـسـرـ لـدـيـهـ مـنـ العـناـصـرـ الـخـاـزـنـةـ فـيـ فـرـقـتـهـ . لـمـ تـبـقـ «ـفـيلـيـ بوـ كـاجـ» طـرـيقـ الـبـيـانـ . وـاحـتـمـيـ «ـإـرـسـكـيـنـ» ، قـائـدـ الـفـرـقـةـ الـمـصـفـحـةـ السـابـعـةـ ، بـخـنـجـ الـلـيـلـ ، فـحدـدـ مـنـ الـأـضـرـارـ بـتـرـاجـعـهـ نـحـوـ مـرـفـعـاتـ «ـتـرـيـسيـيـ بوـ كـاجـ» . وـفـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ استـقـرـ الـوـضـعـ نـسـيـاـ بـفـضـلـ نـشـاطـ الطـيـرانـ ، وـمـسـانـدـةـ فـرـقـةـ الـمـاشـأـ الـأـمـيرـكـيـةـ الـأـوـلـيـ ، وـمـجـمـاتـ فـرـقـةـ الـمـاشـأـ الـبـرـيـطـانـيـةـ ٥ـ عـلـىـ «ـتـوـلـيـ» . وـلـكـنـ أـدـلـةـ جـدـيـدةـ عـلـىـ تـجـمـعـاتـ أـلـانـيـةـ وـطـدـتـ عـزـمـ «ـمـونـتـغـورـيـ» عـلـىـ سـحـبـ الـفـرـقـةـ الـمـصـفـحـةـ السـابـعـةـ مـنـ وـضـعـهـاـ الـمـغـارـ ، فـانـسـحـبـتـ فـيـ لـيـلـ ١٤ـ ، ١٥ـ ، وـتـرـاجـعـتـ نـحـوـ «ـلـيـفـرـيـ» وـضـحـيـجـ ٣ـ قـادـةـ ثـقـيـلـةـ يـحـمـيـ تـرـاجـعـهـاـ . فـلـقـدـ تـمـ التـخلـيـ عـنـ هـجـومـ «ـكـينـ» غـرـبـيـ «ـأـلـانـ» وـشـرقـيـهـ عـلـىـ السـوـاءـ .



«كارـنانـ» ، إـحـدـيـ الـمـدـنـ الـفـرـنـسـيـةـ الـمـحـرـرـةـ .

بـيـنـ الـأـشـجـارـ وـالـسـيـاحـاتـ ، فـيـ الـمـروـجـ الـتـيـ تـنـاثـرـ فـيـ أـرـجـائـهـ الـقـتـلـىـ وـالـجـرـحـىـ .



قنابل طائرة تنهّر على "لندن"

يوم وقعت معركة البراز في «فلير-بوكاج» عجزت «المانيا» عن إطلاق هجوم صواريخها «ف ۱». فقد كان متوقعاً أن تحرى أولى عمليات الإشعال في ۱۲. قبل منتصف الليل بعشرين دقيقة. ولكن التقارير عن مراكيز الإطلاق كانت تشير إلى صعوبات جمدة. حتى إن الصاباط المسؤول. وهو الكولونيل «فاتشل». فقد أجلَّ الساعة الخامسة. وفي الساعة ۳۰۳۰ من ۱۳ حزيران. لم يجرؤ على أن يؤخره. أكثر مسافة فعل. دخول هذا السلاح. الذي كان «هتلر» ينتظره بفاغ صبر. في غرب التاريخ: كانت ۵۰۰ صاروخ ترخيص في مراكز إطلاقها. وكانت ۵۴ من الملاقط قد أُنجزت. ولكن لم تطلق منها غير ۱۰. وتضجرت خمسة صواريخ إبان الإقلاع. وقع صاروخ سادس في «المانش»؛ ومن جموع الصواريخ الأربع التي اجتازت الساحل الانكليزي. أصاب واحد منها «لندن» فقتل ستة أشخاص. وأمّا «فاتشل». ورئيسه الجنرال «هاينمان». فقد نجوا من عاقبة خيبة «هتلر» بأعجوبة.

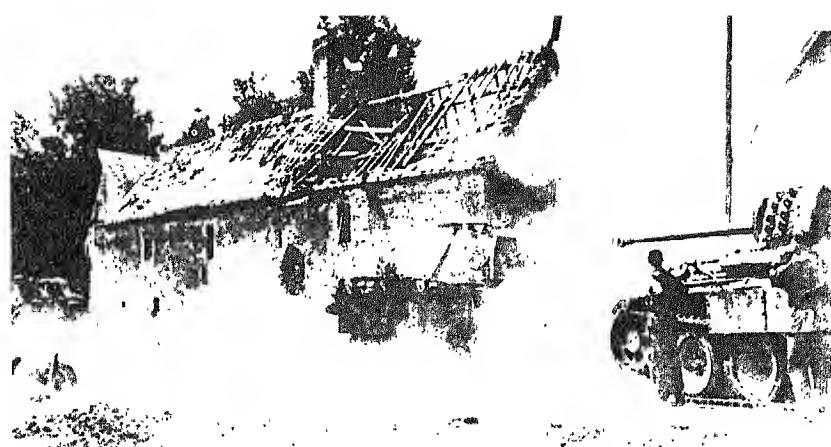
ولكن المهمة التي نعم بها اللذين لم تدم طويلاً. فلقد استوفى الإطلاق في ۱۵. وفي ۱۶ ظهراً أطلق ۲۴۴ صاروخاً. فسقطت ۱۴۴ منها على «انكلترا». ومن جملتها ۷۳ على «لندن الكبرى». كاف طريقة القيادة الآلية بدائية. وقلة الدقة تفوق الوصف. وتأهيل هذه الصواريخ حتى بلغ «النورفولك». ولكن الانفجارات المدوية كانت قوية للغاية. والأضرار فادحة. منذ ۱۹۴۲ كانت «لندن» قد خرجت عملياً من نطاق الحرب الجوية. وأمّا الحدّة. وروح التحدي. اللتان أحبطنا نفسياً خطط الحرب الألمانية الصاعقة في ۱۹۴۰. لم تبقيا تلعبان دورهما في هذه التجربة الجديدة. فقد أصاب «انكلترا» الإلهاف. وأحدثت طبيعة هذا السلاح المهمة. على حد قول «تشترتشل». تأثيراً خالقاً.

في «نورماندي» همدت الحركة في قطاع «كين». ولكن المجموع على «شيبور» كان في أوج تطوره. وقد اتّخذ له شكاين: الانقضاض متقدماً نحو الشمال. وتحرك من الشرف إلى الغرب بعية شطر شبه جزيرة «كونستان» قسمين.

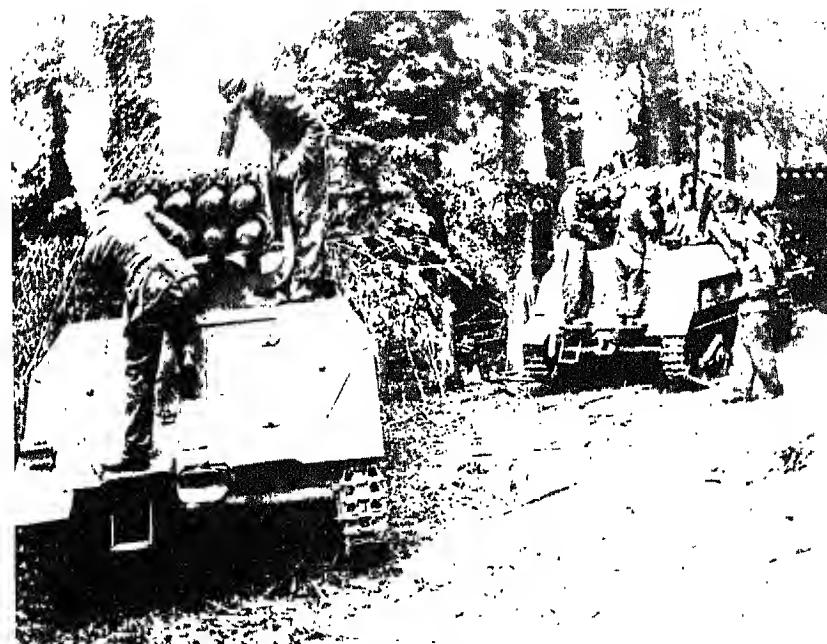
وأمّا الانقضاض المباشر فقد اصطدم بموقف «مونتور». وهو مقدمة دفاع «شيبور» البري. وقد مكّنت بسالة جندي عادي. هو «الف» رايلي، ومبادرته. من الاستيلاء على بطارية «أرفيل»؛ ولكن بطاريات «كريسبيل» و«كوبينفيل» صمدتاً لمحجمات متالية. ولم يتمّ بالغ أهداف يوم ۶ إلا في ۱۳ حزيران.

وصادفت الاندفاعة نحو الغرب فيضانات «الميردورى». فهذا النهر التالفة قد تحوّل إلى حاجز مائي موحل يتراوح عرضه بين ۱۰۰۰ و ۳۰۰۰ متر. ولم يبق من محاولة فرقه «إيربورن» ۸۲. في سبيل إقامة رأس جسر في ليل ۶-۵. غير ثلاث بقع من الأرض داخل المنطقة. يقوم بحمياتها الكولونيالات «ميسي» و«تيمز» و«شاناي». وراح ملطيون من الفوجين ۵۰۷ و ۵۰۸. وعددهم بضع مئات. وهم منبسطون بشكل قنفذ، يتّظرون ريثما يأتي محمل القليل الخامس لرفع الحصار عنهم بعد أن يطهّر منطقة «سانت-مير-إغليز».

في مساء ۸ اكتشف جنديان إمكانية عور الفيضان بواسطة ممر مغمور قرب قرية «لافير». ومن خلال هذا المفترض المؤقت الفحص كتبية من فوق الطيران الشراعي ۳۲۵ إلى مفرزة «تيمز». ولكن في الوقت الذي دخل فيه هذا المدد إلى خط النار استسلمت مفرزة «شاناي». وألحقت بذلك العملية التي كانت ترمي إلى غزو ضفة «الميردورى» الغربية. فقرر «اريدجوي» عندئذ شق طريقه بشنّ المجموع على الطريق



معركة دبابات قرب «تيلي». إلى اليمين دبابة ألمانية، وإلى اليسار، خلف البيت، دبابة أمريكية.



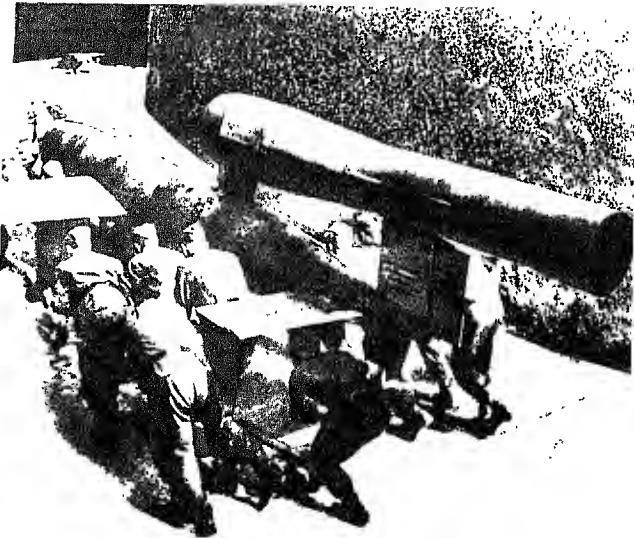
الألمان يركبون بطاريات الماون جنوبي شرق «كين».

الألمان يلغمون الطريق في ضواحي «بابو».



تقدير مغلوط) ، وأنّ عشرين فرقة لا أكثر قد نزلت إلى «نورمانديا» . وأنه يجب بالتالي توقيع انبات الفرق الأخرى من ناحية «بادوكاليه» . فلم يكن بالإمكان مسح الجيش الخامس عشر: فعل القوات التي كانت تخوض معركة رأس الجسر أن تصمد بإمكاناتها الخاصة. فالوقت الذي ستطلل فيه «انكلترا» السلام، بعدما رأته الصواريخ. قد دنا. ولذلك يجب أن ينشئ جنودَ الغرب إيمانًّا متعصّب بالنصر الوثيق.

وعلى أثر ذلك انطلقت صفارّة الإنذار. فهبط «هتلر» إلى ملجهه ولم يصطحب إليه غير مارشاله ومساعده الجنرال «شموندت». واغتنم «رومبل» الفرصة التي أتاحتها تلك اللحظة الغربية. فراح يعرض على محبرة سكّان «أورادور-سور-غulan» التي قامت بها فرقه «الرابع» لخمسة أيام خلت. قائلاً إنَّ هذا الشطط لا يمكن إلا أن يسبّب عدناً شديداً في الانقسام، وأن يجعل من أيّ تعاون مع الفرنسيين أمراً مستحيلاً إلى الأبد . ولكن «هتلر» قطع عليه كلامه قائلاً : «لست أمور السياسة من شأنك.



مزلاق لإطلاق الصاروخ «ف ١».

فهي من اختصاصي أنا، وأمّا أنت فعليك بجهة نضالك». وأعقبت هذه المقابلة، التي لم تسفر عن أيّة نتيجة، دعوةً إلى الطعام تخلّتها، كالمعتاد، مشهد «هتلر» وهو يزدرد بطريقة حمقاء نصيحة الصخّم من الأرز والمضار. وفي الساعة ١٦ قفل «رومبل» و«رونديشتاد» في طريق الودّة. والشيء الوحيد الذي كان قد حصل عليه هو أن يغامر «هتلر» بالذهاب إلى «لاروش» - غويون بعد يومين. على اتصاله بضيّاط الجهة يربّز له الأوضاع الحقيقة لمعركة الغرب.

وفي صبيحة اليوم التالي اتصل «بليومونتر» «هانفي» «مارجيفال» للتحري عن تنظيم جولة الفوهرر، فأبلغ بأنَّ هذا الأخير قد غادر «فرنسا» خلال الليل؛ فقد سقط أحد الصواريخ من طراز «ف ١» على بعد ٣ كلم من مقرّ قيادة «هتلر» نتيجة لخطأ في الجهاز، فظنَّ أنَّ هناك عاورة لاغتياله، فانصرف للحال قائلاً إنَّه لا يريد أن يوفر مجرمين سائحة طعنه في الظهر».

كان حصار «شيربور» قائماً. وقد تلقى «فون شلين» أوامر صارمة تقضي بعدم التراجع إلا خطوة خطوة، وبالحفاظ على خط «سان-فاست-لاهونغ-فوفيل» مهما بلغ الثمن بالاستناد إلى جهة «شيربور» البريّة. ولكنَّ قائلاً بطيئاً أثناء التراجع كان أمراً محالاً نظراً لوجود وحدات تجرّها الخير، يرهقها طيران العدو بلا هواة، وكان الدفاع المستمر عن خطوط «شيربور» سرابة بسراب. فالمرأة الحربيّة، المحسنة من جهة البحر، كان

رقم ١٥ التي كانت متلاصقة بمستوى القيهان، وأمّا ساحة القتال هذه . ويبلغ عرضها ٥ أمتار . فقد شهدت نشاطاً حامياً للدبّابات وللمشاة يقوده معاون «رياجوري» البريّاغادي جنرال «جيمس أ. غافين». سقط على أثره عددٌ من القرى. وأمّا «الميردور»، الذي امتد اسمه بإحدى معارك التاريخ الخامسة . فقد زال ذكره من تقارير العمليات . وكان المدف التالى هو «سان سوفور-لو-فيكونت». وهي مدينة صغيرة يبلغ عدد سكّانها نحو من ألفي نسمة . على صفة «الدوف» اليمني. فأُنزل «كولتز» إلى الميدان فرقة نصرة هي الفرقه ٩٠، ولكنَّ خيبة مريرة كانت له بالمرصاد. فالفرقه ٩٠، وهي «فرقه معضله» على حد قول «برادلي»، لا تستطيع الصمود في وجه النار ! وأول كتيبة نزلت للقتال أركنت إلى الفرار، وأمّا أولئك الذين قاتلوا ليحمّوا تحمل المارين فقد ظلّوا سمحرين إلى الأرض ! وأقال «كولتز» من القيادة الجنرال «مالك كلّفي» واثنين من الكولونيلات، ولكنَّ هذا العقاب لم يكن كفياً بإعادة الروح القتالية إلى تلك الوحدة الكبيرة الوجلة. فتوجّب بالتالي إحلال فرقه المشاة ٩ محلّها . أمّا أدّى إلى تأخير كبير . وفي ١٢ لم يكن الفيلق ٧ قد بلغ بعد الخط الذي كان مفروضاً أن يختله في ٦ .

ومن جهة أخرى أثار طرف من المقاومة الألمانيّة في ١٣ أمام فرقه «إيربورن» ٨٢. وهي الجنح الأيسر للهجوم . فاستول المظليّون على «بون-لا بي» التي قوّضت تماماً، وفي ١٦ دخلوا إلى «سان-سوفور» ففرَّ الألمان منها هائجين على وجوههم . وإلى يمينهم كانت فرقه المشاة ٩ تتقدّم بسرعة . فاجتازت «الدوف» في «نهو» . وفي ١٧ أطلقت . عبر طريق «كارتووري» . رتلاً بلغ ساحل «الكونتنان» الغربي في «بارفيلي-سور-بير» . وبذلك قُمِّ عزل «شيربور» .

كان «رومبل» قد اقرّر إخلاء شبه الجزيرة . ولكنَّ «هتلر» مانع . فكان على الفيلق الألماني ٨٤ أن ينقسم قسمين . فلسوف تدافع عن قاعدة «الكونتنان» «عمّـوـعـة» «هيـمـيـخ» . وأمّا مجموعة «فون شلين»، التي تتضمّن فرق المشاة ٧٠٩ و٩١ و٢٤٣ و٧٧ . فقد كانت مكلّفة بحماية القمة . بذلك تكون فرق أربع قد بذلت للفناء في سبيل تأخير سقوط «شيربور» لمدة أسبوع واحد !

وفي هذه المرحلة من المعركة استدعي «رونديشتاد» و«رومبل» فجأة إلى «مارجيفال» بالقرب من «سواسون»، برفقة روّسأر كأنهما العامة . ففي سنة ١٩٤٠ بُني في ذلك المكان مركز قيادة من الإسمنت كان الفوهرر يعتزم أن يقوم بإدارة غزو «انكلترا» من داخله . وهذا هو الآن يأتي إليه لأول مرة ليعالج مع مارشاله المشاكل التي أوجدها غزوة آخر ! وهناك وجده «رونديشتاد» و«رومبل» و«بلومونتر» و«شيبيل» شاحب اللون، بالغ المتر، مرتباً في اللعب بمجموعة كاملة من أفلام التلوين . كان وحده جالساً، فترك المارشالين واقفين أمامه وكأنهما في قفص الاتهام . ثمَّ صرّح لهما بأنَّ جيش الغرب «قد سمح بأن يفاجئه العدو وهو في سباته» . وأنَّه كان بالإمكان إلقاء العدو في تلك اللحظة لو لا ميوعة الفوّاد وجبن الجنود . فما هو جواب المارشالين المسؤولين يا ترى ، وما هي الاقتراحات التي يقدّمها ؟

تكلّم «رومبل»، فدافع عن جنوده . مشيراً إلى سالفهم في قتالهم المتفاوت القوى . وعاد يطلب إخلاء «الكونتنان» والتخلي عن «كين» . مصرحاً بأنه قد بات مقتنعاً بأنَّ التزول التورماني إنّما كان يشكّل المجهود الخليف الرئيس . واقترح بمحنة ذلك تدعيم جهة «نورماندي» بأكبر قسم من الجيش الخامس عشر . وخالفه «هتلر» الرأي متهوراً، فأمر بأن يجري الدفع عن «شيربور» إلى أقصى حد ممكن . ولفت النظر إلى أنَّ ٨٠ فرقه انكليزية وأميركيّة كانت موجودة في «انكلترا» (وهو

ومن ٩٤٥ إلى ٥٦٢٤، ولكنَّ الفكرة التترشلية البارزة. الخلاصَة بإنشاء المرافق الاصطناعية، كانت تفرض شروطًا خاصة نادرة. وتشكلت، حتى في الصيف، تحديًّا لثقليات الطقس. عمد الانكليز إلى إصلاح «أرمانتش»، وقرر الأمير كيَّون التخلُّي عن مرفَّتهم «مالبيري»، بناءً لتقرير الأميرال «هال».

أرجأت العاصفة موعد الزحف البريطاني الجديد على مدينة «كين». إلا أنها أعطت الزحف على «شيربور» مزيداً من الضرورة والإلحاح. وفي ٢١ أكتوبر «كولتر» الخامسة باللغات الألمانية والروسية والبولونية والفرنسية. وإذا لم يستجب «شلين» للإنذار بدأ المدجم في اليوم التالي بقصف جوي عنيف، وأخذت الفرق الأميركية الثلاث تقدم بانتظام على أرض وعرة كثيرة النواتي، وفي وجه مقاومة ضارية حيناً وحياناً متاخذة مستسلمة. أخطر «شلين» رؤساء في ٢٤ بأنّ أجناده تفقد بسرعة قيمتها القتالية. وأنه يشكّ في قدرته على الصمود في وجه هجوم جديد. وفي ٢٥ انتزع فوج المشاة الأميركي ٢٥ عنوة حصن «الرول» القديم المشرف على «شيربور»، فوصفت إذاعة «شلين» المسائية الوضع بالعبارات التالية: «القوّات مرهقة عاجزة... خسارة المدينة وشيكة لا مفرّ منها... ألفاً جريح لا وسيلة لإسعافهم. أفيكون استشهاد الباقين ضروريّاً بعد؟! جواب ماض». فاكتفى «روم» بهذا الجواب: «بناء لأمر الفوهرر عليكم أن تقاوموا حتى الطلاقة الأخيرة».

في ٢٦ استول فوج المشاة ٣٧ على «أوكتفيل» وطرق مركز قيادة «شلين» في صاحبة «سان سفور». اعتضم بالملجأ ألف من الرجال اليائسين، وتوقف جهاز التهوية عن العمل، وبات الاختناق يهدد اللاجئين. وشرعت آلات القلب الأميركية تحفر الأرض ممهدة لأشنم الذي ينسف المعقل المبني تحت الأرض؛ فأذعن «شلين». وأمر برفع العلم الأبيض. ثم خرج وسط جنوده الفرجين بالاستسلام. سُئل «بورادلي» ما إذا كان يريد دعوة الرئيس المقهور إلى مائدته. فأجاب: «لو استسام ابن الحرام منذ أربعة أيام لدعوته. أما الآن فقد فات الأوان. قدّموا له وجة من نوع كـ». ولكن «شلين» رفض أن يصدر أمراً عاماً بإلقاء السلاح. فانكماً الأمان ناحية مستودع الذخائر. فيما مضى روادهم يواصلون نداءير بنسف المحطة البحرية التي ملأت أقاضها حوض عبارات الأطلسي. واستسلم مستودع الذخائر في ٢٧؛ أما ملازم السفينة «فيت»، رئيس المبناء، فعمد إلى يخت شراعي صغير وبلغ إلى «المحصن الغربي» الواقع في طرف المكسر الكبير، حيث اعتضم مدة ٤٨ ساعة. وسقط عرش المقاومة الأخير في شبه جزيرة «الاهاغ» في أول تموز.

ما كان «هتلر» يحبَّ الأسرى، ولكنَّه، بتدبير شاذٍ نادرٍ للغاية، منحَ الأمiral «هينيكي»، الذي استسلمَ و«شلين» في آن معاً، وسامٌ فخرٍ وسية تقديرٍ لـ«التمير مرفأٌ» شيربور «تميرشاً ملائلاً»، لم يعرِف الدفَّاع الساحليَّ له مثيلاً في التاريخ». اعتقدَ الأميركيون، استناداً إلى ترميم «نابولي»، أنَّهم سيتمكنُون من استخدام «شيربور» في غضون أربعة أيام، ولكنَّ الترميم تطلَّب عدَّة أسابيع.

لم يكن ترميم مرفأ «شيربور» هو العامل الوحيد على تأخير التقويم الموضع لتحرير «أوروبا». إنطلقت الحملة البريطانية الجديدة المعروفة بعملية «إيسوم»، في ٢٥ حزيران، فعبرت «الأدون» وبلغت المرتفعات الملتصبة جنوب شرقى «كين»، إلا أنها لم تفلح في انتزاع المدينة. كان خطوط غزو «أوروبا» قد جعل من أول توزيع موعداً يبلغ فيه محيط رأس بلسون خطأً يمر «بتوسفيل» «فليزبور» «فالانسون» «فرین» «فچبل سان بيشال»؛ والواقع أنَّ ما فتحه الحلفاء يكاد لا يبلغ خمس تيلك الأرضي. كان واضحًا، مع هذا، أنَّ استلال «شيربور» ينهي المرحلة الأولى

مفتاحاً من الجهة البرية شأن «ستغافوره» في الماضي. وطالب الجنرال «ماركس» ببعض الإسماعيل لبناء حزام من المنشآت، ولكن الإسماعيل قد احتكرته مراكز إطلاق الصواريخ «ف ١». وأمام الخنادق التي حفرت بعجلة فلم تكن مزودة بالأسلاك الشائكة. ولم تكن مواقع كثيرة من مواقع القتال غير ملائجٍ بسيطة تحت قطع الحطب المستديرة. ولم يبق لقوات فعالية لا من ناحية الجودة ولا من ناحية العدد. وكانت ثلاث من فرق «شلين» الأربع هي كل عظيمة، فألبسها بعضاً من لحم سيكون طعاماً للمدفع بإدخاله إلى كتائب المشاة رجال الدواير. وفي بيان منظمة «تدودت»، وجندو المدفعية المضادة للطائرات القدامي، الخ. وبعث «شلين» بخبر الفرقة الرابعة. وهي فرقة المشاة ٧٧. بأنها كانت عرّبة في الدفاع عن «شيربور» نظراً لوارد الموقع المحدودة. إذ ذاك حاول الجنرال «ستغمان» أن يلحق بالقينق ٨٤. متسللاً عبر الخطوط الأميركية الواقع بين المروج المستنقعة والبحر. فلم تنجح المحاولة إلا جزئياً، فتمكّن قسم من المشاة من الفرار على طول الساحل، ولكن المدفعية والقوافل دُمرت. وقد قُتُل «ستغمان» نفسه بعدما أصابته مطاردة قاذفة. وإذا كان «هيلميخ» قد لقي المصير نفسه في الليلة السابقة، يمكن «ستغمان» خاتمس جزال يسقط في الجهة الغربية في غضون النبي عشر يوماً.

عندما شنَّ الأمير كيَّون المَجُوم في ١٩ لم يصادفوا أية مقاومة، ولو رمزية. إلا في «مونتيور». وفي كل مَكان آخر كانوا يتقدَّمون بشكل أوتال حتى يتم اتصالهم بجهة «شيربور» البرية. وأتاهبَت ثلاث فرق للانقضاض: الفرقة ٩ إلى اليسار، والفرقة ٧٩ في الوسط، والفرقة ٤ إلى اليمين؛ وتركت الفرقة ٩ إلى الوراء. واقرحت القيادة المحليَّة العليا حل هذه الفرقة. إلا أنَّ «أيلك» أقذها من هذا العار بزعمه على إعادة تنظيمها.

تقويم التحرير يتلئماً ويتأخر

سأط الطقس من جديد، وتندت فعالية الطيران. وقدت من «بر وتانيا» بأعجوبة فرقة «المانية» كاملة، هي فرق المثابة، ٣٥٥ من غير أن تفقد رجالاً واحداً من رجالها، فزوت الفيلق الـ ٨٤ المبتور، من أجل الدفاع عن «شيربور»، بعمود فكري جديد. وفي ليل ١٨-١٩ هبّت ريح شمالية عريضة عاتية، ترافقتها أمطار غزيرة. كادت عمليات الشواطئ تندو مرضية بعد التغلب على الصعبوبات الأولى، وكان بناء المرففين الاصطناعيين يسير سيراً حثيثاً، فإذا العاصفة تعيد كل شيء إلى وضعه الأول؛ حطمّت الأمواج مئات قوارب الإنزال. وسحقتها على الصخور، أو قدّفت بها بعيداً داخل اليابسة، بحيث بات لزاماً انتظار حركة مدّ واسعة لإعادتها إلى اليمّ. دفع بعكس الأمواج في «أوهاها بيتش» إلى الشاطئ، وتحطم الرصيف الذي لم يكن قد أُنجز بعد، وأضطرّ العاملون على جرّ عشرة من صناديق الباطون القلقة «فينكس» إلى التخلّي عنها، والتott الطريق العائمة وكأنّها قضيب في يد مارد جبار. هدأت العاصفة صبيحة ٢٢، فإذا مرّاً «مالبيري»، الأميركي كي خراب كامل محزن. أما «مالبيري» البريطاني، وقد تلقى العاصفة من زاوية أخرى، فلم يتقدّم كأسيحة.

لم تدرك هذه العاصفة، بالغًا ما بلغ هوها وأذاتها، حدود الإعصار اللولبي. فالريح لم تتجاوز ٢٧ عقدة، أي ما يساوي القوة ٦ التي يدعونها «نسمةً قوية»؛ ولم تتوقف العمليات البحرية على الشواطئ، مع أنَّ المعدل اليومي لا ينزل من الرجال والعربات قد هبط من ٧١٢، ٣٤ إلى



مظليون أميركيون في «سان ماركوف». في منطقة «بيوتاه بيتش».



الmarsال «رومل» يتحدى إلى الجنرال «مايندل» في الجبهة النورماندية.
في «سان ماركوف» : مظليون أميركيون يحملون علمًا ألمانيًّاً وقع في أيديهم.



من حملة «أوروبا». ولم يصدق الزحف الراهن كما صدَّ عزو «ديب». في أول تموز كان الحلفاء قد أذلوا في «نورماندي» ٩٢٠٠٠٠ طن من العتاد. و١٧٧٠٠٠ عربة. فوضع كل من الجيدين البريطاني والأميركي. المتساوين تقريبًا. ١٥ أو ١٦ فرق على خط القتال. ولم تزل قيد الإنجاز في «بريطانيا العظمى» ٩ فرق أميركية و٦ فرق انكليزية وكندية. وبالرغم من ضيق المدى. فقد زود رئيس الحسر بـ ٣٣ مدرجاً ضاعفت فعالية طيران حقق منذ ٦ حزيران عدداً خيالياً من الغارات. بلغ ٤٠٣ ١٦٠ غارات. أما الحسائر. وقد بلغت ٦١٧٣٢ رجلاً بين قبيل وجريح ومفقود. فكانت أقل مما سبق التكهن به. وقد عوض عنها بأكثر منها فظلت الوحدات كاملة العدد. أما «المانيا» المستضعفة فكانت أعجز من أن تستطيع كنس قوة بلغت هذا الحد من الصخامة والكتافة والحدة. كانت ستراتيجية «هتلر» قد اعتمدت على هزيمة الاجتياح السريعة. فإذا بها مرغمة على التمسك بآمال أخرى.

في ٢٩ حزيران سافر المارشال «فون روندشتاد» و«رومل» من جديد إلى «برنسوغاد» تلبية لدعوة الفوهرر الذي حظر عليهمما استخدام الطائرة أو القطار. وبعدهما سارت بهما السيارة ٢٤ ساعة متتالية كي يتمكنا من الوصول في الموعد المحدد. وفنا يتضطران أمام مكتب الفوهرر طوال ٦ ساعات. فأعلن «روندشتاد» المسن. وقد استبد به الغيط والعياء. لصابط الخدمة. أنه يوشك أن ينهار. كاحزان «دولان» قائد الجيش السابع الذي صبغته بالأمس نوبة قلبية. ولم يكن المؤمر غير خطاب طوبيل ألقاه «هتلر» أمام عدد كبير من المستمعين التماميين. أعلن فيه أنه يلغى خططه المجرم المعاكِس العام الذي وضع في ٢٠ حزيران. والقاضي بأن توجه ثلاثة فيالت مصفحة هجومها على نقطه التحام الجيوش الأميركي والإنكليزية. فقد أخطأ جيش الغرب ورؤساؤه فرصة إلقاء الغزا في البحر. أما ما يترتب عليهم الآن فحصر الغزو في رأس جسره الحرجي. والحاور، دون وصوله إلى السهل المقتوحة شمالي «فرنسا». وهذا تفاصي أجهزة «ف١» و«ف٢» على «إنكلترا». وهذا ينفي الدفاع عن كل سياج نورماندي وكأنه آخر سور للأرض الألمانية!

ولما وصل «رومل» إلى «لاروش غويون» عند انتصاف ليل ٣٠ حزيران وجد على مكتبه اقتراحين متوافقين : فمن جهة يطلب «غير فون شفينبورغ» «إخلاء» نائمة «كين». ومن جهة أخرى يطلب خليفة «دولان» «بول هاوسن». وهو أول جنرال لفرق الصاعقة يتسلّم قيادة جيش. تراجع الجبهة حتى «فيلاير - بوكاچ» و«سان لو»؛ فبادر «رومل» إلى تبني هذين الاقتراحين وتقاليهما إلى «روندشتاد» الذي كان أسرع منه في المبادرة إلى تبنيهما. فتنقل إلى قيادة الجيش الألماني العليا منذ الساعة ٣٠ صباحاً. فتحصل هنا التحدي إلى «هتلر» مع وجبة الصباح. طلب «كيل» «روندشتاد» في الساعة ١٧،٣٠. ليقول له إن اقتراحيه قد رفضا. وإن الفوهرر ما زال يحظر كل تحرك عن الأرض. فطلب «روندشتاد» أن يُعفى من قيادة حظرت عليه فيها كل مبادرة. فسأله إذ ذاك «كيل» الثقيل متأثراً «جاملاً» : «رأي عمل ترتبي يا هير جنرال فيلد مارشال؟» فأجاب «روندشتاد» : «السلام أيتها الأبله!». وقطع «روندشتاد» المكالمة.

في اليوم التالي. الموافق ٢ تموز. حمل الليوتنان - كولونيل «بورغمان» إلى «سان - جرمان» أوراق السنديان ليتوج بها صليب الفروسية الذي كان ينعتده المارشال «فون روندشتاد». فقد لبس الفوهرر طلبه في الإخلاص إلى الراحة. واستبدل به المارشال «فون كالوغي». أما «شفينبورغ» الذي كان. في طلب الحلة عن «كين». قد انقاد ستراتيجية «هتلر» بوجه

منه على الطرقات المعرضة لقصف المدفع والرشاشات. سعي الحلفاء جهدهم للابقاء على «جزيرة صحية» حول كاتدرائية «سانت-إيتان». بيد أن القنابل تصيب ولا ترى، وظل عدد الضحايا البرية متقدعاً. في هذا الجو من الالع و العدم كانت «كين» ترقب خلاصها؛ بيد أن «مونغومري» كان يعتبر أن تشتت الألمان بها يخدم خطته. أما «هتلر»، وقد رأى في «كين» باب «باريس». وفي «باريس» مفتاح «فرنسا». فكان يتلف في رأس جسر «الأورن» زمرة جشه في الغرب. بدأت العملية الجديدة في ٤ تموز بالاستيلاء على مطار «كاربيكي». وبدأ العدد الجوي في أول ليل ٧ تموز بقصف سحق تحوم «كين» الشمالية. قاطعاً صلة القوات المقاتلة بموخراتها. نشطت المدفعية كلها إلى العمل في الساعة ٤:٤٠. بما فيها مدفع السفينة «رودنزي» ذات الد ١٦ بوصة. والتي تحمل قنابلها إلى بعد ٣٢٠٠٠ يارد. وفي السابعة. والصبح بارد قليلاً الغوم. أخذ الأسطول الجوي الأميركي الناشر على عاته أمر تعطيل الجسور ومقطوع الطريق ومراکز الأركان وما إليها. وما أزفت الساعة ٧:٣٠ حتى تحرّك الفيلق الأول؛ وراح فرقه الثلاث ٣ و ٥٩ والبريطانيتان. و ٣ الكندية. تحكم ضغطها المركّز على فرق الدبابات الصاعقة ١٢.

إستحالت قرى الأرض الشمالية الغربية كلها مراكز مقاومة بات على الانكليز والكنديين أن يتحققوا واحدة واحدة. ولم يمر يوم حتى أقدم رئيس فرق «بنزر مير» الممتازة على ما يجبر رؤساء فرق الصاعقة على فعله أكثر من رؤساء الجيش: رفض أن يضحي بفرقته.

أنقاض «كين» قرب كنيسة «سان إيتان».



«كين» المحروقة. باللمسكينة !

الفرقة ٨٢ المنقوله جوًّا ومشتملاً أمتن عنصرًا، إلا أنها سُحبَت منذ بدء الهجوم لتعاد إلى «إنكلترا» حيث كان من الواجب تجديد بنائها. أما بيان المعارك الرسمي فشيرط يسرد أبناء وحدات متخالفة متفققة، تعاد بصعوبة إلى خط النار، توقفها حفنة من الأعداء أيامًا كاملة، مالئة إسعاف بمن «أوهن القتال أعصاهم»، أي بضحايا الخوف والجن! ذلك أن الجنود الذين نزلوا في مطلع تموز كانوا في غالبيتهم ينتهيون إلى الفرق الحديثة العهد التي لم يكن لها خبرة ولا نظام كافيان يعوضان حداهه سنها. مر على الهجوم أسبوع ولم يسقط جبل «كاستر»، وبلدة «لاهي-دي-بوي» عند أسفل الجبل ما زالت كذلك في يد العدو. أما معدل التقدم اليومي فيعدل أسوأ تحرّكات الحرب العالمية الأولى، إذ بلغ ٥٠٠ م في اليوم. ويعيد التاريخ نفسه شرقي المروج المستنقعية؛ فقد سعى الفيلق السابع، الذي يقوده «لوتون كولنر»، والمتشتمل على فرق المشاة الأميركية ٨٣ و ٤ و ٩، إلى الاستيلاء على قرية «ستيني» منذ النهار الأول. وعلى بلدة «بيريه» منذ اليوم الثاني، ثم قطع طريق «كونان-سان-لو». ولكن «كولنر» لم يستطع أن يزج بأكثر من فرقه واحدة على البرزخ الذي لا يزيد عرضه على ٣ كام والمتدلى بين «المروج» ومستنقعات «توت». فنلقت الفرقة ٨٣ التي عينها عمومية النار تحت مطر غزير، ولم تفلح عزيمة «كولنر» العسكرية في دفعها قدماً. وأنى ٧ تموز ولما تزل «بيريه» بين يدي الفرقة الآلية الصاعقة ١٧.

إمتد الرمح في ٧ تموز ذاته إلى فيلقى الميسرة ١٩ وهو التابعين للجيش الأميركي الأول. بين «الفير» و«غمون»، واحتدم القتال حول «كين» خصوصاً.

ما فتئ «مونغومري» يلقى من ينتقده لإبطائه في احتلال مدينة عيّنت بين أهداف اليوم الأول، ولن ينفك يدعى أن «فكرة مناورته»، التي لم يفهمها «اينهاور»، قامت دائمًا على تركيز القوات الألمانية في ميسرة جبهة الاجتياح، ليتمكن الأميركيين من النفاذ إلى بحرى «الوار» الأسفل في اليمونة. لم يكن «لكين»، والحالة هذه، أية قيمة خاصة. وكانت مع ذلك تقاسى آلام الاستشهاد؛ فالمدفعية البحرية، والمدفعية البرية، والمدفعية الجوية، توسعها قصفاً وتحرّها حراثة. أمرت القيادة الألمانية السكان بالفرار، إلا أن «كاوكو»، محافظ «الكافادوس»، تجنب هذا الأمر بمهارة بمحجة أن حظ رعاياه من الحماية في الأقبية أوفر

العروقة . قد طلب أن يحملها في البرة الجديدة التي كان عليه أن يقدّمها للفوهرر في ١١ شباط ١٩٤٤ . «مضحياً بنفسه لاستعيد «المانيا» حرمتها » ، ولكنّ قصيّاً غير ملائم أتلف النماذج فلم يبقَ بالإمكان تقديمها . أمّا المادة المترجّرة فكانت دائمةً من البلاستيك الانكليزي ، الذي كان يقدّمه الكولونيل بارون «فون فريتاغ-لوثر نجن» ، وكان يحصل عليه بحكم مهمّاته في مكافحة ال巴斯وسية . ولقد جرى التحقّق من حساسية الكبسولة كي لا يتعرّض التنفيذ الخبيث كتلك التي عرفها يوم ١٣ آذار . أمّا المفأّد فهو الكولونيل كونت «كلاوس شينك فون شتاوفنبرغ» . كان في مطلع عام ١٩٤٣ قد ترك مهمّته في قيادة جيش البر العلّي ليخدم في «تونس» . ولقد أطاح لعم ذراعه اليسري وعيشه اليسرى وإصبعين من أصابع يده اليسرى ، فسُنحت له ، وهو على سرير المستشفى يعاني عمّي مؤقتاً ، فرصة التأمّل بواجب الفتى النبيل . وواجب المسيحي . كان كثيرون من رفقائه أعداء المتاربة يتخيّلون بخيال القسم المشؤوم الذي قطعواه على أنفسهم يوم تعهّدوا قائلين : «أتعهد أمام الله بأن أحض الفوهرر ولا غير غير مشروط ... ولسوف أكون على استعداد

وعاد بها إلى صفة «الأورن» اليمني . ولما يبقَ من مشاهد إلا ما يعادل كثيّة .

وهكذا حُشرت «كين» . ولكنّ جزئياً . إذ بقيت الأحياء الشرقية في أيدي الألمان . فانتهى بذلك شهر من الكفاح يدعمه طيران هائل . ونحو مليون رجل كانت حصيلته فتح مدينة ، وتحرير جزء من مئة من الأرضي الفرنسيّة !

ثم ركّدت الحرب وغفت . وراح المتخاصلون يستعيدون قواهم تمهيداً للمجازر أخرى . لم يكن من الغرابة في شيء أن يظهر بعض المهاجرات في الصحافة الانكليزية والأميركية . فيتقدّم الأميركيون «مونغومري» ، ويتقدّم الانكليز «إيزناور». بل كان من المتّظر أن يثير بطء تقدّم الغزو بعض الغبطة في هيئات الأركان الألمانيّة ، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يحصل : فقد كانت وطأة الكفاح من التقلّب بحيث لم تسمح بتفتّق أيّة زهرة من زهور التفاؤل . فالضبط المطلعون كلّهم يعلمون أنّ الجبهة الغربيّة مقضى عليها ، وأنّ كلّ ما تستطيع الإنجازات الدفاعيّة فعله هو تأخير أميّار تلك الجبهة . ولقد كانت حتميّة



ظنّ الأميركيون بادئ ذي بدء أنّ الحرب في الجبهة الغربيّة ستكون حرب حركة واسعة سريعة . ولكنّهم ما لبثوا أن أدركوا أنّ عليهم أن يخوضوا حرب عصابات في الطرقات الوعرة ، وبين السياجات الكثيفة ، حيث سقط عدد كبير منهم .

لأنّ أبدل حياتي في أيّة لحظة حفاظاً على هذا العهد المقدس ... » فخشى البعض أن يتعلّموا من «هتلر» شهداً . وارتّجف آخرون من الإقدام على طعن «المانيا» في الظهر وهي أمام خصم لا يرضي أن تنتهي الحرب بغير الاستسلام لرحمة الظافر . ولكنّ «شطاوفنبرغ» أبعد تلك الوساوس الثقلة مبرراً موقفه بأنّ قتل «هتلر» كان ضروريّاً . لا لأنّ في تواريه الفرصة الوحيدة لتلافي الواقع في أعمق دركات الكارثة فحسب ، بل لأنّ القضاء على ذلك التنين الذي أنتجه «المانيا» قد غدا بالنسبة لفتى الألمانيّ واجباً يفرضه الضمير . «فالمانيا» النازفة الدّرقة لا تستعيد غير حطام ميادين القتال . هذا ، وتردّ المسؤولون في الاستجابة للإستدعاء الذي قدمه الكونت «شطاوفنبرغ» طالباً البقاء في الجيش مع ما أصابه من بر وتشويه ، متحاجّاً بأنّه قد استعاد بصره جزئياً ، وبأنّه قد تعلّم الكتابة بأصابعه الثلاث المتبقّية ، وبأنّه قد يستطيع الحاول محلّ ضابط يقاد منه في الجبهة . ولما أُجبر إلى طلبه جعل يسعى للحصول على مركز يفتح له مجال المثالُ أمّا الفوهرر . أمّا المركز الذي يمكن من الحصول عليه في كانون الأوّل ١٩٤٣ فكان ، من هذا القبيل .

ذلك المصير . بالنسبة للأعضاء المؤمّرة للهتلرية ، تزيد ضرورة القضاء على «هتلر» إلحاحاً . لقد وجّب أن يسقط الطاغية ، وأن تسقط النازية ، ما دام جيش الغرب وافقاً . وبات الوقت ضيقاً . ففي ٩ نوّم . يوماحتلال «كين» . حضر أحد عملاء الاتصال في المؤمّرة ، وهو الليوتان-كولونيل الاحتياطي «كاراز فون هوفاكر» ، إلى «لاروش-غويون» ليسأل «رومبل» عن المدة التي يقدر أنّه سيصمد فيها في وجه الغزو . فأجاب «رومبل» : « أسبوعان أو ثلاثة في أقصى حدّ» .

تمّ صنع القنبلة التي كانت ستتفصّي على «هتلر» ؛ أمّا الرجل الذي تعهّد بوضعها عند قدميّ الفوهرر فكان صاحب أحد أطهر القلوب وأشجعها على الإطلاق .

صنعت القنبلة على غرار تلك التي كان «فابيان فون شلابرنورف» قد وضعها في طائرة «هتلر» يوم ١٣ آذار ١٩٤٣ ؛ وتلك التي أراد المتأمّرون تفجيرها ، بعد ذلك بأيام ، في «برلين» خلال حفلة خيرية شخصيّ ريعها لجند الجبهة ؛ وهي كذلك شبيهة بتلك التي كان الليوتان «إيفالد هنريك فون كلايست» ؛ وهو سليل إحدى الأسر البوهيمانية

مجد «بروسيا - ألمانيا» وعظمتها . وهناك الآخرون . وبخاصة جرالات فرق الصاعقة ، فهم أيضاً قد فقدوا ثقفهم . في ١٧ تموز تفقد «رومبل» الفيلق الصاعق الأول . وكان رئيسه . «جوزف ديريش» . هو سائق «هتلر» القديم . ومرافقه القديم . وصفيه القديم . فأعلن هذا بحق أنَّ الوضع بات لا يطاق . وأنَّه قد بات غير معقول . وأنَّه لا يمكن الاستمرار في الحرب بلا تمرين ولا استبدال . وبخاصة بلا طيران . وأنَّ الوصول إلى نهاية ، أيَّاً كانت . قد أسمى ضرورياً . وقد عبر قائد فرقته عن رأيهما بالقوة عينها . وهكذا فقد رجال الحرس أنفسهم تعصيمهم ، وأخذوا يرتابون من الفوهرر . سافر «رومبل» نحو الساعة ١٦ عائداً إلى «الروش-غويون» . وكان الجو حاراً صافياً كأجمل ما يكون الطقس القاتل . كان السائق «دانيلز» يقود السيارة وإلى جانبه الرقيب «هولكي» يراقب السماء ، وقدجلس مع «رومبل» في المقدمة الخلفي الميجر «نويهابس» والكابتن «لانغ» . واستدارت السيارة في طريق فرعية حول «ليفارو» التي يعمل في سمائها بعض الطائرات المعادية ، ولكنها أضفت إلى الطريق رقم ١٧٩ بين «ليفارو» و«فيرموتييه» ، على مقربة من قرية «مونتغوري» . صرخ «هولكي» : «طائرات ! وحول «دانيلز» أن يقفز بعرشه في طريق منخفض ، بيد أنَّ المطاراتين القاذفين برزتا بسرعة هائلة مخفية وأسلحتهما تقدف الرصاص ما أمكنها ، فأصيب «دانيلز» بجروح مميتة ، وانحرفت السيارة فجأة نحو اليسار ، ثم عادت فففرت واجتازت الطريق وتحطم في الحفرة اليمنى ، فانطرب «رومبل» من غير وعي على بعد عشرةين خطوة وقد أصيبت جمجمته بكسر مزدوج . ولن يستعيد وعيه إلا في مستشفى «برني» حيث عبر الأطباء عن يأسهم من شفائه .

في اليوم التالي لإصابة «رومبل» شن الجيش البريطاني هجومه شرقي «الأورن» لإنعام فتح «كين» وتحطيم مفصلة الجهة الألمانية . وفي اليوم التالي ، ١٩ تموز ، تم تحرير محافظة فرنسية ثانية هي «سان-لو» . كانت «سان-لو» قد قصفت بقوَّة خارقة ، فوفرت أنفاسها الشاملة . التي دُفِنَ تحتها ١،٢٠٠ ضحية مدنية ، للصحف المتردية في «باريس» صوراً مريعة عن «كيفية تحرير فرنسا» . دخلها الأميركيون حاملين جثة الميجر «توماس د. هووي» الذي قُتل في المحروم الأخير ، فعرضوه في أنقاض الكتدرائية قائلين إنَّ الأموات ينبغي أن يحضرروا وأفراح النصر مع الأحياء . إنَّه لنصر ، ولكنْ طالما أرجئ . فتحن في اليوم الـ ٤٤ من معركة «نورماندي» ، وكان على الحلفاء أن يحتلوا «سان-لو» في اليوم السادس .

في ٢٠ تموز: «هتلر» معافي لقد أخفقت المؤافرة العسكرية

لقد بدأ يوم العشرين من تموز مشعاً على «أوروبا» بكمالها . وبصورة استثنائية لم تُقصَّف «برلين» خلال الليل . وفي الساعة ٧ أقلعت طائرة اتصال من مطار «رانغسدورف» ، وعلى متنها الكولونيل «فون شتاوفنبرغ» ومساعده الملائم «فرنر فون هافن» ، وقد حمل كلَّ منهما في يده حقيقة ثقيلة . وكانت كلَّ حقيقة تحتمي على قنبلة . إنَّهما القبلتان اللتان قاما بالسفر ذهاباً وإياباً إلى «برشتسغادن» في ١١ ، وبعد مضي أربعة أيام قامتا برحلة مماثلة ذهاباً وإياباً إلى «رسنبورغ» التي عاد إليها «هتلر» لتوه ، إلا أنَّ موتمر الفوهرر قد ألغى في آخر لحظة . كانت تلك هي المرة الثالثة التي يطير «شتاوفنبرغ» فيها في غضون

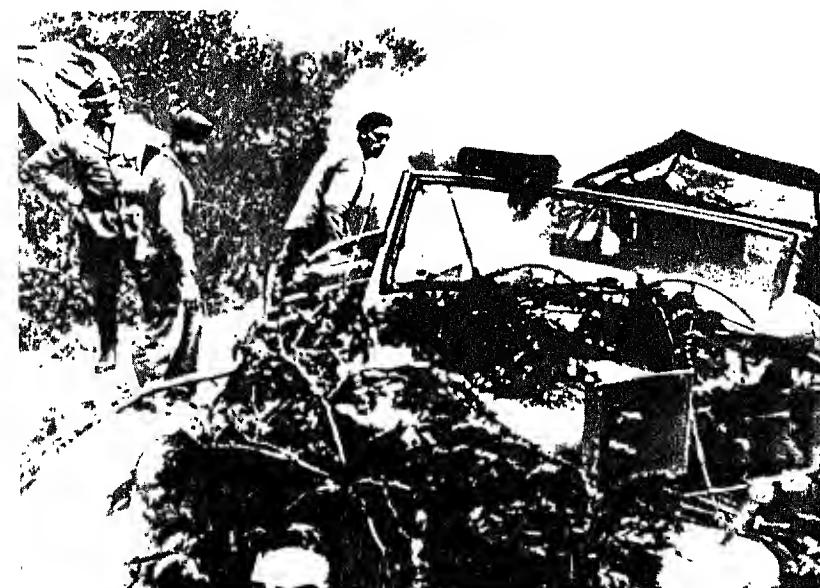


الإنكليز والأميركيون يدخلون إلى «سان-لو» .

قد بات من الواجب المبادرة إلى التفاوض مع الغربيين على الأقل . أتراه كان يعتذر النفس بالأوهام ؟ أكان يعتقد أنَّ بإمكان «هتلر» أن يصحّي بنفسه . بعد التحقق من الإخفاق ، ليتقدِّم «المانيا» ؟ وإليك السؤال الذي طرحته عليه الأمiral «روغي» : «أتراه يقدم على الانتحار ؟» فأجاب «رومبل» : «كلا . أنا أعرف الرجل . سوف يتبع الحرب ، ولن يشعر تجاه الشعب الألماني بأيَّة شفقة . حتى لا يبقى في «المانيا» بيت واحد» . ومع هذا ، وفي الأمر ما فيه من التناقض ، ظلَّ «رومبل» يرفض المواجهة على الأغبياء ، قائلاً «لشيدل» : «أنا أعطيه فرصته الأخيرة . فإذا لم يفعل شيئاً . سأنقل إلى العمل ...» . كان «رومبل» يفكِّر بالتفاوض بشأن المددنة مع القيادة الحالية العليا ، وقد أعدَّ في ذهنه أسماء أعضاء الوفد الذي ينوي إرساله إلى «أيزههاور» .

ولكنْ . هل سيقتفي الآخرون أثره ؟ شكَّلت الجولات التي أخذ يقوم بها عمليات جس نبض واستفتاء . لم يرتد بضعة جرالات في تقديم أنفسهم ، ونجا الكوتون «شفيرون» ، قائد فرقة الدبابات ، فوقع مذكرة أعلن فيها أنه يتكلَّم باسم جنراله ، وطالب بوضع حد للحرب وقلب النظام القائم . وصادق البارون «فون لوتفيتز» ، قائد فرقة الدبابات ٢ . على قول زميله . وانتصب أولئك الذين يدعوهم «هتلر» بمحض «أشراف التقويم» في وجه مغامر نصف سلافي ، ولقيط من غير شك ، يجرِّ «المانيا» إلى الهاوية . فأنكر «أدولف هتلر» ، أحد أحفاد «بисمارك» . وأحد أحفاد «مولتكى» ، وسليلو «يورك فارتبورغ» الأكبر و«سايدل لينز» العظيم . وأسماء لا تُحصى قد اشتراك في صنع

سيارة «رومبل» تُحرق تحت أنظار «ديريش» ، قائد وحدات الصاعقة في «أوروبا» ، بعدما أصابتها المطارات القاذفات الحليفة .



عشرة أيام لقتل «هتلر».

كان يعلم أنَّ تلك المحاولة كانت الأخيرة ، لأنَّ الحنف قد بدأ يضيق : فلقد أوقف أحد أهمَّ المتأمرين وهو «إوليوس ليبر» النائب الاشتراكي السابق في البرلمان . فلم يبقَ ممكناً أن تدوم مؤامرة واسعة ومكشوفة كثلك وقتاً طويلاً .

واجتمعت الحكومة المؤقتة في «برلين» . وقد تشكَّلت على الوجه التالي : للرئاسة «بيك» ، للمستشارية «غوردلر» ، للشؤون الخارجية «فون هاسل» . لقيادة العليا المارشال «فون فيتليين» ، الخ . وأمَّا «شناوفنبرغ» فكان من المفترض أن يلحق بهم كسكرتير دولة لشئون الحرب ، وذلك بعد الظاهر ، بعد إنجاز مهمته . وأمَّا قائد موقع «برلين» وضواحيها ، بالجزال «فون هاسي» ، ومدير البوليس الكومنولث «هيلدورف» . وهو أحد متأمرتي ١٩٣٨ ، فكان قد انضمَّ إليهم . وكان «هاسي» يأمل أن ينال المتأمرون موافقة مدرسة المشاة في «دوينتر» ، ومدرسة جنود المصفحات في «كرامبنتز» وكتيبة فرقه «المانيا الكبرى» المصفحة . لم يكن انضمام «فروم» أمراً مشوهاً به ، على الرغم من أنه كان يجهل التفاصيل التي حادت رئيس أركانه العامة إلى الطيران إلى «بروسيا الشرقية» . وفي حال تبرئه سوف يخلِّ محله على رأس الجيش الداخلي واحد من الذين ضمحتي بهم «هتلر» ، الكولونيل جنال «هوبر» .

يستغرق الطيران فوق «براندبورغ» و«بروسيا» ثلاثة ساعات في جزء شمالي . وكانت أول زيارة قام بها «شناوفنبرغ» بعد هبوطه هي زيارة للجزال «إريث فيلغيبيل» رئيس الاتصالات في القيادة الغربية العليا ، وهو حلقة هامة في المؤامرة ، إذ أنه كان عليه أن يعزل المقر العام للفوهرر القتيل بعد نجاح المحاولة . ومن خلال مراقبة عديدة راحت تدقق في اطويارات غير مبالغة لمحملة ، تقدمت السيارة المرسلة إلى المطار وأنزلت «شناوفنبرغ» أمام مقر «كيل» ، فترجلَّ من السيارة وهو يحمل حقيبته بصعوبة بالأصابع الثلاث الباقية في يده الوحيدة ، فيما بقيت القبلة الأخرى في السيارة مع «هافن» ، وكانت بمثابة نسخة عديمة البخلوى . إذ أنَّ «شناوفنبرغ» كان عاجزاً من الناحية البدنية عن الدخول إلى «هتلر» حاملاً حقيبتين بيد واحدة . هذا فضلاً عن أنَّ صانعي المتفجرات في المؤامرة قد أكملوا أنَّ قبلة واحدة ، تفجير في مكان مغلق . كانت كفيلة بالقضاء على الحاضرين أجمعين ... وراح «شناوفنبرغ» يمْوَّه أمام «كيل» حقيقة الموضوع الذي أتى به إلى «رستنبورغ» . فيتحداه عن الفرق الجديدة التي أنشأها الاحتياط الحربي . وعن غيرها من الموضوعات . وحين تناول «كيل» قبعته وهو يتم بالطرويج انتقل «شناوفنبرغ» إلى غرفة الملابس فاختلى بنفسه . وبواسطة كلامه خطم الكبسولة المحظوظة على الحاضر الذي كان من شأنه أن يحرر القادة . لم يكن هناك أي عامل يمكن أن يحول دون انفجار القبلة بعد عشر دقائق .

وفي الخارج عيَّل صبر القبلاي مارشال «كيل» . فقد كان جدول الأعمال مرهقاً بسبب زيارة يقوم بها «موسولي» الذي سوف يصل إلى عصبة «رستنبورغ» في مستهل فترة بعد الظاهر ، بعد عرضه أربع فرق إيطالية كانت قيد الإعداد في «المانيا» . وخرج «شناوفنبرغ» معتذراً . فعرض عاليه «كيل» أن يتحمل له حقيقته . فرفض وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة .

وجرى الاجتماع في «لا غياراك» . كما في كلَّ مرة لا تكون فيه المنطقية في وضع إنذار جوي . إنه منبر خشبي يحميه بعض حواجز الإسمنت الخفيفية يتسرَّب الضوء إليه من خلال عشر نوافذ ، يتقدَّمه مرکز للهاتف يقوم بالحراسة أمامه ضابط صفت . قال له «شناوفنبرغ» بصوت واضح

هادئ إنه يتظر مكالمة هاتفية مستعجلة من «برلين» . ثمَّ دخل إلى قاعة المحاضرات وراء «كيل» والجزال «بوهلي» . وفي الساعة ١٢:٣٠ كانت الجلسة قد افتتحت منذ دقائق قليلة ، وكان الجزال «هوبرنغر» يعرض آخر الأحداث على الجبهة الشرقية ، فقاطعه «كيل» موضحاً سبب وجود «شناوفنبرغ» ؛ فما كان من «هتلر» ، الذي كان جالساً بمفرده وسط عشرين شخصاً واقفين من حوله ، إلا أنَّ وجهه إلى الكولونيل تحية سريعة . ثمَّ طلب إلى «هوبرنغر» أن ينهي عرضه . وأُستد «شناوفنبرغ» حقيبته إلى إحدى الدعامات الخشبية المبنية التي تحمل الطاولة . من الجهة الداخلية ، أي في اتجاه الفوهرر . وبعد ذلك خطأ خطيرة إلى الوراء ، ثمَّ انتظر بعض ثوانٍ وخرج .

لم يتمكن «كيل» من رؤيَّته إبان خروجه ، ولكنَّه تنبَّه إلى غيابه . فخرج بدوره وهو يعترض أن يخبر «شناوفنبرغ» بأنَّ دوره في الكلام قد اقترب ، وبأنَّ عليه أن يكون على استعداد ، فلم يجدَه في ردَّة الانتظار . فعاد أدراجَه مرتيناً .

وفي تلك اللحظة بالذات . في الساعة ١٢:٤٢ . انفجرت القبلة . كان «شناوفنبرغ» و«هافن» قد غادرا مقام الفوهرر المحسَّن . وباتا يتظاهران ، وهما يدخنان سيجارة ، على مقربة من مكتب «فيلغيبيل» . وأمَّا الانفجار الذي سمعاه فكان شبيهاً بالانفجار قبلة من عيار ١٥٠ . وقد أبصرَا اللهب يتصاعد . وبلغت مسامعهما صيحات الألم . لقد أُنجزت المهمة !



لقد أُنجزت المعاولة : «إنها العناية الإلهية» (من كلام «موسولي» إلى «هتلر»)

وانطلقت السيارة باتجاه المطار يقودها «هافن» ، ولكنَّ غيرة الوظيفة دفعت رئيساً لمركز المراقبة أمام الحاجز الخارجي إلى انتظارها برهة بعدما سمع دوي الانفجار ، إلا أنَّ «شناوفنبرغ» اتصل بالكاتب «مولندورف» . وهو مساعد قائد مقرَّ القيادة العليا ، فمنحه إذناً بالانصراف . ولم تمضِ دقائق حتى كان يطير نحو «برلين» .

هيَّط طائرة «شناوفنبرغ» في الساعة ١٥:٤٥ في «رانفسورف» . فاتصل هافنياً بالجزال «أولبرخت» ناقلاً إليه النباء السعيد : لقد مات «هتلر» !

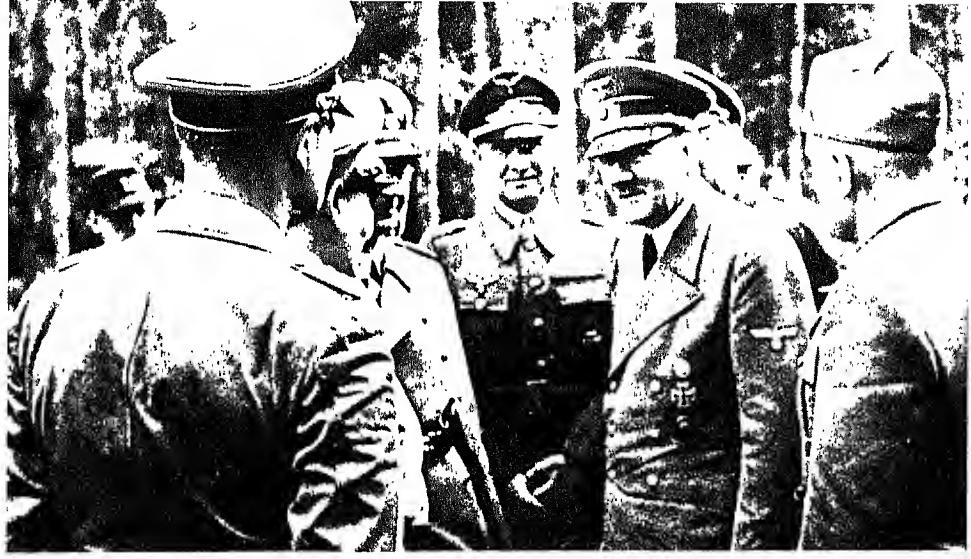
وهرع «أولبرخت» إلى «فروم» يبلغه الحدث العظيم . وطلب إليه أن يرْفع أمراً بتحقيق خطط «فالكوني» قدَّمه له . وأمَّا «فروم» ، الرجل الحلوت ، وطوله مترين و٤ سنتيمتر ، وهو صاحب أفرع قامة بين الجنرالات الألمان ، فقد طالب بالحصول على إثبات ، فتناول «أولبرخت» «سمّاعات الماء» وطلب الاتصال «بـكيل» بسرعة البرق ، وهو على يقين من أنَّ «رستنبورغ» لن تنجيب ، إذ المفترض أن يكون «فيلغيبيل» قد شلَّ حركة

كنت أشعر بالحياة تَمْسَحُ عَلَيْهِمْ .

وأعاد ظهور «هتلر» بعض الحشمة . وانصرف «هساري» إلى «برلين» وقد عَيْنَ يعرض «الموسوليبي» . الذي كان في هذه المرة أكثر إذعاناً . العشرين يعرض «الموسوليبي» . الذي كان في هذه المرة أكثر إذعاناً . ثقته بالنصر . ولم يتغير الغيظ المكتوب إلا في ساعة تناول الشانى . أصابت «هتلر» إذ ذاك نوبة هستيريا ناقفة . فراح يتوعّد الحونة وعائلاً لهم وطبقهم الاجتماعي . مثلاً بأرهاب وسائل العقاب ... وفي «برلين» كان مشهد آخر قيد التمشيل . بعدها وصل «شتافهبرغ» راج يقسم «الفروم» بأن «كيتل» كان يكذب . وبأن «هتلر» قد مات . وبأنه شاهد جشه تخرج من بطن المقر المبcor . ورفض «فروم» النصائح . وكان «هوبنر» ، الذي طرده «هتلر» من الجيش في ١٩٤١ . قد وصل وهو يحمل بزته في حقيقته . فدخل إلى المراحيض وغير ملابسه . أراد أن يطرد «فروم» من مكتبه . ولكن «فروم» قاوم . وانتصب الاثنان الواحد في وجه الآخر ، وصوب كل مسدسه إلى حصمه من غير أن يطاف الرصاص . ولكن «فروم» جرّد من سلاحه وألقى القبض عليه . وأملأ الحرنس أوامر «أولبرخت» . فسدوا المنفذ وراحو يجوبون الأرض في دوريات منتظمة . وكان مئات من الضباط يعاونون في مكاتبهم من غير أن يشعروا بالمساة التي كانت تجري على مقر به منهم .

مراكز الهاتف . ومع ذلك فقد سمع صوت «كيليل» عبر الخط بعد ثوانٍ قليلة ! قال له «فروم» ، الذي أخذ المسماة ، إنّ شائعة حول محاولة لاغتيال «هتلر» قد سرت في «برلين» ، فأكيد له «كيليل» ذلك ، وقال إنّ الفوهرر لم يصب بجروح بليغة والحمد لله . وقد ذهب ينتظر «موسوليني» في محطة «رستنبورغ» . وسأل «فروم» عما إذا كان يعرف شيئاً عن مكان وجود الكوكولونيل «فون شتاوفنبرغ» رئيس أركانه العامة . فأجاب «فروم» بحسن نية إنه لا يعرف عنه شيئاً .

لم يرتب أحد في أمر «شناوفنبرغ» للحال . كان الانفجار شديداً العنت . ولقد قُتِلَ من جرائه على الأثر أربعة هم : المساعد الجنرال «شمونت» ، وجنرال الطيران «كورتن» ، وكولونيل اسمه «براندث» كان قد غير اتجاه الحقيقة بعدما تعرّض لها ، متقداً بذلك ولا ريب حياة «هتلر» ، وأخيراً المختزل «بيرجر» . وخرج الناجون تغطّيهم الدماء . وقد تزّقت ملابسهم . سوداً كالزنوج ، وهم يولولون ، لقد ظنوا لأول وهلة أنّ طائرة قد تمكّنت من إصابة هدفها . وبما أنّ المقرّ ذاك كان قد بسيّ حدبياً ، فقد ساد الاعتقاد بأنّ عملاًًاً أجانب من منظمة «تودت» قد دسّوا آلة جهنمية تحت الأرض التي تغطي الحضيض . ولكنّ «كيتل» . وهو الوحيد الذي لم يُصب بخدش واحد ، تذكّر بعدئذ «شناوفنبرغ» .



«شاتوفنبرغ» محرّك المؤامرة .

كانت الخيانة تهيمن على الحاضرين ...

في تلك الاحظات كان «هتلر» أهدأ الحاضرين جمِيعاً . وعندما دخل قطار «موسوليني» إلى المحطة ، بعد توقف طويول حدا الركاب إلى الشك بحدوث أمر غير اعتيادي ، كان «هتلر» واقفاً على الرصيف . ملتفاً برداء أسود طويل . أمام «غورنخ» و«همлер» و«ريبنروب» و«بورمان» وغيرهم ، الذين سارعوا في القدوم من مقرات قيادتهم القرية . وأمام التحية التي أطلقها «هتلر» بيده اليسرى ، والخدش الظاهر فوق يده . وسدة القطن المندولف المدسوسنة في أذنه اليمنى إلى الطلبة المنقورة ، فقد كانت الآثار الظاهرة الوحيدة لمحاولة الاغتيال . قال «هتلر» : «أيتها الدوتشي ، لقد فجروا منذ لحظات آللة جهنمية بقصد قتلي . ولكن العناية الإلهية قد حرستي» . وبعد الوصول إلى مكان الاجتماع اعتذر لضيوفه واختلى «بهمлер» ، فيما راح القواد النازيون الآخرون الكبار يتشاركون «غورنخ» يهدّد «ريبنروب» ببعضه مارشاليته ، وذلك أمام الإيطاليين المشدوهين . ولقد قال المارشال «غرازياني» في ذلك فيما بعد :



غورنر



فروم



فون هاسل



بيك

أنَّ المتأمرين قد غدوا يربتون في صحة موت «هتلر». فقد خُبِّلَ إليهم أنَّهم في طريقهم إلى الفوز عندما تمكنوا من السيطرة على وزارة الحربية ومقر القيادة العامة. ومن «زوشن» نصب «فيتلين» نفسه القائد الأعلى للجيش الألماني، وانتحل «شناوفبرغ» اسم «فروم» وأصدر أوامر باعتقال الحكام العسكريين ورؤساء الفستابو ومعسكرات الاعتقال، إلخ... وتم الاتصال «بياريس» حيث اتَّقد «شتولبناغل» حماسة. وكان «كلوغي» في الجبهة ولكنَّه كان متوقعاً أنَّ يعود إلى «روشن غوبون» بين ساعة وأخرى. ولم يكن أحد ليشكُّ في انضمامه، فلقد سبق وردد غير مرَّة أنه يجب القضاء على «الختير هتلر» وتصفية الحرب الخاسرة.

كان النهار مروعاً بالنسبة «لكلوغي». فلقد عاد يغطيه العرق والتراب بعدما ألقى بنفسه في الحفر عشرات المرات. وكان، بعد إصابة «رومبل». قد جمع تحت أمرته الشخصية قيادة الغرب العليا وقيادة المجموعة «ب». كان يذبح «نورماندي» يومياً فأتيح له أنْ يقف على حقيقة الظروف العصبية التي تحارب القوات فيها، تلك القوات التي ظنتها مترامية مستسلمة بادئ ذي بدء. وكان الاجتماع الذي رشَّه منه برهة، والذي ضمَّ جنرالات المجموعة الفريدة المصفحة، قد انعقد في غابة قرب «سان بيار سور ديف»، إذ أنَّ كلَّ حراكه حول أي مسكن كان يتعذر بمتابعة عملية انتشاره. كان النهار رائعاً، وهذا يعني أنَّ الطيران العدو كان هائجاً. وكانت السماء خلية متاججة، وكانت كلَّ طائرة من الطائرات التي حجبت الأفق تحمل التسمة البيضاء. وأمامَ الاجتماع فقد كان تحسناً. فالهجوم البريطاني شرقي «كين» مستمراً منذ ثمان وأربعين ساعة، وبساط التقabil الذي طرحته الألفا طائرة في اليوم الأول قد أفنى القوات الألمانية الأمامية، مما استوجب استدعاء قوات الاحتياط للحال؛ وكانت المصفحات بكلِّها تقائل في منطقة تمتَّد من «ترووارن» إلى «بورغيوس».

كان «شيدل» ما يزال رئيساً للأركان العامة لمجموعة الجيوش. فقدَم «لكلوغي» تقريراً عن تطور الأحداث خلال النهار؛ وأضاف أنَّ محاولة للاختيال قد اقترنت ضدَّ الفوهرر، وأنَّها قد نجحت على ما يبدو. وقد نقل هذا النبأ وكأنَّه تفصيل عاديٍّ من التفاصيل الإدارية.

كاثاريس

هونر



فون فيتلين



فون هوافاك

كانت كتيبة حرس «برلين» تحت إدارة الماجور «أوتو إرنست ريم»؛ إنه ضابط من الجبهة في الثانية والثلاثين من عمره، في جسده ندوب تسعه. وقد قلدَه الفوهرر بيده منذ مدة وجذرة صليب الفرسان. وقد نبذ «هيلدورف» «بيك» و«فيتلين» إلى أنه يستحسن إبعاد هذا الرجل بسبب ميله السياسي المريء؛ ولكنَّ السيدتين الوقورين لم يكتفىاً لهذا الإنذار؛ فهما يفكِّران بوجوب القياس المنطقى التالي: «الجندي يطيع، و«ريم» جندي، فإذا فسيادر «ريم» إلى الطاعة. ولما استدعي «ريم» إلى مقر القيادة أبلغَ أنَّ الفوهرر قد مات، وأحيطَ علمًا بالمهام الثلاثين التي أوكلت إلى كتيبة الحفاظ على الأمن، ومنها: السيطرة على مراكز الإذاعة، وتطويق حي الـوزارات، واحتلال مركز الفستابو، وإلقاء القبض على الدكتور «غوباز»، الخ... فلم يجد أي اعتراض، ولم يطرح أي سؤال، وعاد إلى «دوبيريتز» يصدر أوامره، وانطلق بنفسه على رأس بعض المصفحات لإلقاء القبض على «غوباز». ولوسوف يقول بعد فوات الحين إنَّ القضية كانت تبدو له مريءة، ولكنَّه حتى تلك اللحظة، كان «فيتلين» و«بيك» مصيبيَّن: فقد أطاع الجندي «ريم» الأوامر؛ يجد أنَّ «غوباز» أذنَر في الوقت المناسب؛ فقد أبلغه الخبر ملازم احتياط يدعى «هاغن»، وهو ضابط إرشاد في الكثيبة. ولما دخل «ريم» شاهراً مسدسه وجد «غوباز» رابط بالحاش. ماذا يرى السيد الماجور؟ توقيعه. ولماذا؟ لأنَّ الفوهرر قد مات. فشال «غوباز» بكتفيه: إنَّ السيد الماجور كان ضحية خدعة. ولكنه كان يحمل حول عنقه صليب الفرسان. هل الفوهرر هو الذي قلدَه إياته؟ أجل، بالفعل. إنه، إذاً، يعرف صوت الفوهرر؟ حسناً، فليصنِّع إيه.

وبطوف ثلاثين ثانية تمكنَ «غوباز» من الاتصال «ببحر الذئب»؛ فأعطيَ «ريم» السمعة. وإذا «هتلر» يقول للضابط الشاب إنَّ بعض خونة الوطن الألماني قد حاولوا بالواقع أغياهه، وإنَّه لم يُصب بجرح ولو طفيفاً. وإنَّ العقاب كان يأخذ مجراه. وكلَّه شخصياً باعتقال المتأمرين، وأمره بالآ يطبع أوامر أحد غير الدكتور «غوباز» بانتظار وصول «هملر»، وقال له إنَّه يعتمد على حميته وإخلاصه وشرفه.

كانت الساعة في ذلك الحين حوالي السادسة مساءً. وعلى الرغم من

المشاعل. يا لها من مشاعل طويلة. جنائزية! لم يأكل من بين الحاضرين أحد غير «كلوغي»، ولم يتكلّم أحد غير «كلوغي»، فراح يسرد بعض ذكرياته عن حملة «روسيا»، وبعض النواودر عن حياته العسكرية، وهو يضحك. وفجأة وضع «شتوليناغل» منديل الطعام وقال: «سيدي الفيلد مارشال، أنسمح بأن أكلّمك على انفراد؟» تردّ «كلوغي» برفه، ولكنّه تامًا، وأقتاد مروّسه نحو حجرة مجاورة. وفي قاعة الطعام كان السكوت تامًا وكأنّ على رؤوس الحاضرين الطير. ولكنّ الباب عاد إلى الانفتاح بقساوة، وببلغت الآذان أصوات العنيف العسكري الرنانة كما لو كانت على سلم ثكنة. لقد كان «كلوغي» يلعن ويتشمّس كما يلعن ويتشمّس جندي عادي! كان يصيغ: «إنّ هذا لعجب! إنّ هذا لغريب! مختلف للصواب! إنه لعصيان! لقد أعطى الجنرال «فون شتوليناغل» إذاً أمراً باعتقال الجنرال «أوبرغ»، وقود الصاعقة في «باريس»! يا «بلومبريت».. خذ الهاتف وأنفع هذا الأمر الأحمق في الحال»!

في «باريس» كانت الأمور تسير على خير ما يرام. كان الجنود ينفذون باندفاع أمر اعتقال مساعديه النظام القائم. ولم يجد أحد من هؤلاء أية مقاومة. كانت أرتال من ناقلات الجيش الألماني تقلّ نحو سجن «فريبن» وقلعة «سان دوني» نحو من ١٠٢٠٠ شخص كانوا، لأربع سنين خلت، يخيمون بالنظام النازي في العاصمة الفرنسية. وفي فندق «رافائيل» كان ضباط «شتوليناغل» يختسرون الشامبانيا بانتظار عودة رئيسهم: كانت الإذاعة قد أعلنت أنّ الفوهرر قد نجا من محاولة اغتيال، ولكن الجميع كانوا مقتنعين بأنّ المارشال «كلوغي» منضمّ لا حالة إلى الانقلاب العسكري؛ وأنّه سوف يتفاوض مع الطرفاء.

حوالي الساعة ٢٣ تلقى رئيس الأركان العامة، الكولونيل «فون لشتوف»، مكالمة هاتفية من «لاروش غويون» تأمهّه بتعليق اعتقالات النازيين؛ فأجاب بأنّ الأوامر قد فاتت، وبأنّ العملية قيد الإنجاز. وبعد نصف ساعة وصلت خبرة من «برلين»: فما كان من «لشتوف». المصاب بمرض القلب، إلا أنّهار على مقعده فاقد الوعي. كان «شتافنبرغ» هو الذي يبلغ شركاءه في المؤامرة أنّ الانقلاب قد أخفق. وأنّه لم يبقَ لديهم سوى التفكير بسلامتهم الشخصية. فقد تعرّدت كثيبة «ألمانيا الكبرى»، وبدلًا من أن تقوم بحماية وزارة الحربية عمدت إلى تطويقها واجتياحها. وكان بعض جنود الصاعقة، وبعض أعضاء الغستابو، يسرون مع الجنود. قال «شتافنبرغ»: «إنّهم أمام باب مكتبي، لقد أشكوا على الوصول».

في «لاروش غويون» عاد «كلوغي» للجلوس إلى المائدة. وقد أصرّ على أنّ يعود «شتوليناغل» إلى مقعده من عن يمينه. وبعد تناول الكويناك رافق الجنرال حتى سيارته، وهمس في أذنه، بعدما عاد إلى سابق أفتنه، النصيحة التالية: «لو كنت في وضعك لارتديت الثياب المدنية محاولاً الاختفاء». ولكن «شتوليناغل» لم يسمع، وهو لم ير كذلك اليـد التي مدّها إليه المارشال مصافحةً.

في «برلين» أزفت ساعة النهاية. وبعد ما أخلّي سبيل «فروم» أخذته ثورة من السخط الحاقد، وقد اتّقدت حواسه رغبة في أن يشهد زوال أولئك الرجال الذين كان لهم شريكاً بسكته. وكان «فيتزليبن» قد عاد إلى منزله ينتظر ساعة اعتقاله. وأمام «غوردلر»، الذي بقي مختفيًا طوال النهار، فقد أرکن إلى القرار؛ وأمام العريف البحري العام «فاغنر» فقد أقدم على الانتحار؛ وأمام «هوبزير»، الذي أوزّر إليه «فروم» بأن يسلّك الطريق نفسه باسم صداقة قديمة بينهما، فقد أجاب بأنه يرجو أن يتمكّن من الدفاع عن نفسه، فاقتيد إلى سجن «موايت» العسكري. وتمكّن بعض المتأمّلين من الفرار. ولكنّ غيرهم، ومن جملتهم «بورك» و«شفيرين» و«برتولد دي

لم يتفضّل «كلوغي». ولم تبدّل بأيّ تعليق. بل اكتفى بطرح سؤال واحد: «هل من شيء آخر؟» وبإلقاء كلمة واحدة أخيرة: «شكراً».

إنّ «كلوغي» لغريب الأطوار حقّاً فالحدث الذي داعب محنته غير مرّة، ألا وهو اغتيال «هتلر». قد قع من غير أن يدرك لدّيه ساكتاً. فقام يستخدم.. ثمّ غير ملابسه الداخلية، وذلك بغية إنعاش قواه.. والحصول على متسع من الوقت للبصّر في الأمور.

في الساعة ١٩ وصلت مكالمة هاتفية من «برلين». كان «بيك» يتكلّم: قال: «يا «كلوغي». لقد قُتل الفوهرر. أنا أدعوك إلى الانضمام لحركتنا في الحال... إني أذكرك بأحاديثنا، وبال موقف الذي اتخذته. كلا. إنّ الوضع ليس جلياً تماماً في الوقت الراهن؛ فموت «هتلر» أمر محتمل، ولكنّه ليس ثابتاً تماماً... ولكن هذا ليس بذوي أهمية، فعملينا قد انطلقت... ولو سوف تستمر حتى النهاية. وكلّ شيء وقف على جيش الغرب. عليك أنت! إني أطلب جواباً حالياً من الاتّباع». وصبر



«فون كلوجي»:
«أيتها السادة
لقد أخفقت
المحاولة...»

«كلوغي» ريشما انتهى دفق الكلام العصبي المنطلق من فم الرجل الهرم الذي كان مرة رئيسه؛ ثم قال: «عليّ أن أستشير أركانى العامة... وسأعود إلى الاتصال بك بعد نصف ساعة».

وبعد برهة أتى «شتوليناغل». وبرفقة الدكتور «هورست» صهر «شيبيل»، و«كايزر فون هوفاكر» أكثر المتأمّلين حماسة وبلاهة في الإنقاذه. فاحتلوا «بكلوغي» الذي لم يكن قد وفى بعد بوعده في العودة إلى الاتصال «بيك» والذي لن يفي به أبداً. وتسلّم «هوفاكر» زمام الحديث. وهو ليوتانانـ كولونيل احتياط بسيط؛ قال: «لقد خسّرنا الحرب. ضعوا حدّاً للمجزرة... إنّمّا أرهب الكوارث من أن تحلّ بالشعب الألماني...» ولكن هذه البلاغة فاضت على كلّة من جليد. ونفس «كلوغي» قالاً: «أيتها السادة، لقد أخفقت المؤامرة». فقال «شتوليناغل»: «ولكنّي كنت أظنت تعلم ذلك». فأجاب «كلوغي»: «لقد علمت ذلك لنوي من «رسنبرغ»». كانت أية كلام أخرى تعتبر نافلة في مثل ذلك الوضع. لقد فهم «شتوليناغل» و«هوفاكر» القضية، وقد علم «شتوليناغل» و«هوفاكر»، وألاف غيرهما أنه قد حُكم عليهم بالإعدام.

لقد اختار المارشال «كلوغي» ما اختار! هل انتهى كلّ شيء؟ لا. كان «كلوغي» هو المضيف، فدعاه زائريه لتناول الطعام. جلس المدعون حول المائدة حسب درجة رتبهم، في قاعة طعام الدارة الخخمة، وراح غصّ توز الطويل يتلاشى شيئاً بعد شيء؛ وبما أنّ خطوط الكهرباء قد تعطلت بسبب القصف فقد حيّ بعض

شتاوفنبرغ». شقيق «كلاوس». فقد سيفوا إلى الغستابو. وأطلق «بيك» رصاصة على رأسه فأصيب بخدش في جبهته، فقد الوعي ثم عاد إلى المحاولة بعد ما أفاق من غيبوبته، ولكنه أخفق في محاولته للمرة الثانية. وطلب «فروم» إلى ضابط صاف أن يساعد «السيد العجوز». فأخذ ضابط الصف رئيس الأركان العامة السابق بين ذراعيه وذهب به إلى مكتب مجاور حيث أجهز عليه.

بقي أربعة أسرى كانوا كلهم معاونين للكولونيل جزال «فريدريك فروم» على درجات متفاوتة. وأكتفى «فروم» بالتداو همساً مع «ريبر» و«سكورزني» برهة وجية، ثم صرخ على الأثر بأن «حكومة عسكرية قد حكمت بإعدام الجنرال «أوليبرخت». والكولونيل «ميرتز»، والبيوتان «هافن». والكولونيل «شتاوفنبرغ»؛ فأنزلوا جميعاً إلى باحة الشرف وأعدموا على ضوء مصابيح السيارة؛ في الوقت الذي كان فيه أسطول جوي يسحق حيّاً من أحياء «برلين» الشمالية بقصفه المدمر الشديد.

٢٤٦ طائرة تحترق جبهة «كوتنتان»

بدأت في ٢١ تموز حركة انتقام وردع خطيرة؛ فقد أقسم «هتلر» ليمحون اسم «شتاوفنبرغ»، وأقسم المازيون الأقطاعيين الأستراتجية إبادة كاملة. فقتل بعض المساجين أمثال الجنرال كونت «شوبنيك» المحكوم عليه بالإعدام بسبب التمرد على الأوامر. وكان «هتلر» قد خفض عقوبته. وشكلت لجنة خاصة دعيت «لجنة ٢٠ تموز الخاصة» للإشراف على التحقيق. كما شكلت «محكمة شعبية» لمحاكمة المثيرين. وصدرت الأوامر بإيقاف عدة آلاف من الأشخاص. ووعد من يقتل «غوردلر» بجائزة قدرها تبلغ مليون مارك. ونبشت جثث «شتاوفنبرغ» و«أوليبرخت» و«ميرتز» و«هافن» من الأرض ثم أحرقت وذر رمادها في الريح كما أوصى بذلك «هملر»؛ «لا فوق الأرضي الزراعة. بل فوق حقول التسميد!» وشكلت في الجيش «محكمة شرف» قبل المارشال «فون روندشتاد» رئيسها متربلاً بالعار، وكان عليها أن تعين الضباط الذين يجب إحالتهم إلى القضاء النازي. وبهما يكن من أمر فإن «هتلر» لم يتضرر قراراتها ليكيل ضرباته. أحاطت الشهادات «فروم» نظراً لسرعه الغريب في القضاء على «شتاوفنبرغ». فأوقف واعتقل. لم يشرك «كورت زيتلر» رئيس هيئة الأركان في المؤامرة. ولكن صلات من الصداقة كانت تربط بينه وبين كثير من المثيرين: فطرده «هتلر» من الجيش؛ وحرم عليه ارتداء البزة العسكرية. وقبل «غوديريان» خلافته.

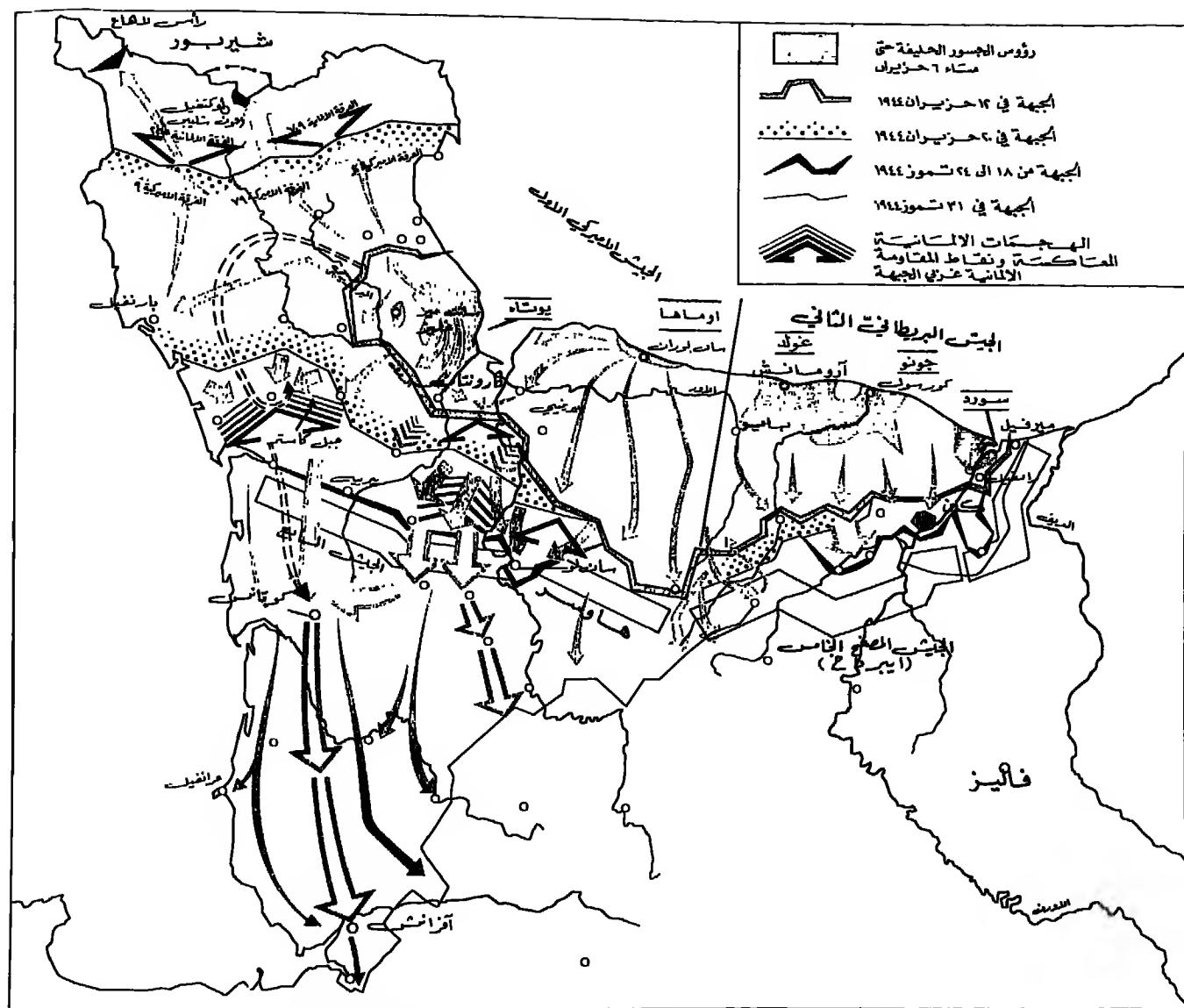
في «باريس» اعتض رؤساء فرق الصاعقة والغستابو بالحكومة، وأثروا طمس خبر توقيفهم من غير مجد على عرض تفاصيله المخزية المطلطة؛ فاعتقد «هوفاكر» و«ليشنوف»، وكولونيل آخر يدعى «فيجن». خلال بضعة أيام أنهم سيتفدون من خروم الشبكة. ييد أن «منظمة الغستابو قد اكتشفتهم وأرسلتهم إلى «المانيا» بحكم التشكيل والموت. أما «شوابناغل» فقد عرف مصيرآ أشع وأروع: استدعي إلى «برلين» ليبرر تصرفه، فأمر ساقه بأن يقوم بدورة تعرج به على ميدان موقعة «فردان». ولما صار على مقربة من «فاشر وفيل»، حيث قاتل عام ١٩١٦، أطلق على رأسه رصاصة فأثار عينيه الاثنين؛ ولما وضع في المستشفى تحت تأثير المخدر تلفظ باسم «رومل»...

أما على جهة «نورمانديا» فلم يدع احتدام القتال للمحاربين فرصة الاهتمام باعتماده «رستنبورغ». وفجأة قرر «مونغوربي» «إيقاف المجموع»، بعدما تقدم البريطانيون مسافة ٦ أميال واعتقلوا ٢٠٠٠ أسير - وهي لعمري، نتيجة ضئيلة بالنسبة للوسائل المعتدلة والآمال المعقودة. ظهر بعض الانتقادات اللاذعة في الصحافة الانكليزية والأميركية، فلقد «أيزنهاور»؛ ذلك أن سابقة كانت تلقى الأفكار وترهقها، ألا وهي حملة «الدردنيل». فقد أرسى الانكليز رأس جسر كما فعلوا عام ١٩١٥ ودعموه. ولكنهم لم يتمكنوا من الخروج منه، وتسمرت الحملة في حرب حصار... هذا، فيما أنهارت الجبهة الألمانية في الشرق، وكانت الجيش الأحمر - القادم من «الفولغا»، يدرك «البيمن».

درست اللجنة المكلفة بإعداد الغزو عمليات نزول أخرى ، التماساً للخروج من هذا المأزق، ففكّرت «بنورمانديا» العليا، وبشمالية «بروتانيا»، و«الكيرتون»، وما إليها . وبعد التروي آثرت أن تعمد إلى محاولة جديدة في «الكوتنتان»: فالسياجات المقيدة، والdroop المنخفضة للغاية، أثارت قرف الجنود الأميركيين، ولكن «برادلي» ظنَّ، لكرهه ما أكبَّ على دراسة خرائطه، أنه قد اكتشف منطقة هجوم مناسبة إلى حدٍ ما، تقع غربي «سان-لو» مباشرة ، بين قريتي «هيبيك وفون» و«مونترو». فالأرض هناك وعرة كثيرة العقبات، إنما هي قليلة الأشجار نوعاً، تسير فيها معرمات التوغل باتجاه الجنوب الغربي متسللة بين

نعمت الخلافاء باترداد التقليل من قيمة حادث ٢٠ تموز الغريب الهائل. كانت الحكومات تعلم، بواسطة المثيرين أنفسهم، قدم المؤامرة واتساعها، ولكنها رفضت دائمًا أن توفر أقل تشجيع لهذا الشكل من المقاومة الألمانية؛ على أنها كانت تعارض الفكرة الراسخة الدافعة التي تقول بوحدة «المانيا» المطلقة مع زعيمها، كما كانت ترفض المبدأ الأولي القائل بالتواء الحتمي بين الاشتراكية القومية والعسكرية البروسية . وقليلون هم الذين يكلّفون أنفسهم، حتى في أيامنا هذه، فلا يلاحظون أنه لم يظهر في الواقع بين كبار زعماء النازية بروسيا أوستراططيون، بل لم يك يظهر غير أمان من الغرب وبالنحو يتسبّبون بالإجمال إلى أرومة كاثوليكية، وبشكل دائم إلى أصل اجتماعي وضع أو متواضع: أمثال «هتلر» و«غورنفع» و«هملر» و«غوبيلز» و«بورمان» و«لي» و«ساوكل» وغيرهم. كان من شأن هذا الاكتشاف الذي ظهرت فيه نخبة اجتماعية وعلقية مفكرة تعرف بجرائم النظام ، وترتبط الوطنية بمعاقبة المجرمين؛ أن يسيء إلى مبدأ الاستسلام بلا قيد ولا شرط. كان على «المانيا» أن تظل بمجملها تعسِّيًّا لروح الشر، لأنَّ المروب تُدار بمبادئه بسيطة وبأوامر ووجبات قصيرة !

أشهِم «هتلر» والخلافاء وبالتالي في عرض حادث ٢٠ تموز كحادث تافه المعنى حقير . فعندما تكلّم الفوهرر في الإذاعة قرب منتصف الليل ليروي خبر محاولة الاغتيال التي جعلت منه ربيب «ال LIABILITY»، وأشار إلى أنَّ المثيرين كانوا «زمرة صغيرة جدًّا ، وعصابة محدودة للغاية»، من الضباط المجرمين الحقيقي ، الساعين لتحقيق مأرب شخصية دينية سافلة. ومع أنَّ «تشرشل» كان ذا معرفة خاصة بسوق المؤامرة، أكتفى بأن يعلن أنَّ الاغتيال المدبر ضد «القيط الكهل» يدل على أنَّ هيئة الأركان الألمانية تعرف بأنَّ الحرب خاسرة لا محالة . وكتب «فون تريشكوف» ما يلي، قبل أن يتحرر بقتيبة بين الخطوط الألمانية والروسية: « كان الله قد وعد بالعفو عن «صادوم» إذا وجد فيها عشرة رجال صالحين. وأملي أن يرضي بالأحد بدمتر «المانيا» من أجل ما حاولنا أن نفعله ، وفي أية حال لا يحق لأحد منَّا أن يتذمّر من مصيره». ولا بدَّ من مرور سين من المدح والروبة ليتبين الناس في ٢٠ تموز معالم «ذاك المجهود البطولي الذي بذله البعض لتحطيم السلسلة التي كان الجميع قد ارتسوها لأنفسهم» .



"نورمانديا" من ٧ حزيران إلى ٣١ تموز، حق احداث ثورة "أفرانش"

تميم اختراع الرقيب «كولين». ييد أن «برادلي» حظر من إشراك الدبابات المعدة في العمليات البارية، فيما تشكل مفاجأة يوم الخرق والتوغّل.

تردد «برادلي» قليلاً بشأن الوسيلة التي سيعتمدّها لحرق جبهة العدو؛ مال قواد فيلقه من الجرارات الكلاسيكين إلى اعتماد تهديد تقوم به المدفعية؛ فقال «برادلي»: «ما كنت إلا لأتبّنى رأيكم لو كان لي عشرة أضعاف ما عندي من المدافع». فما لديه منها يختصم قصصاً يدوم عدة أيام، فيتبّنه العدو وتُفقد المفاجأة طابعها وجداها. صحيح أن العطارة لا تتمتع بدقة المدفع، إلا أنها تتمتع بمحاسن أخرى هي المبالغة، وإثارة الشعور بالاختناق، ولقدّرة على تحطيم أعصاب المدافعين. فالمهم في الموضوع هو بلوغ درجة مرضية من الري والاكفاء بها، أي إلقاء كمية من القنابل ملائمة على منطقة موافقة للهدف التكتيكي المنشود.

عاد «برادلي» إلى «إنكلترا» بغية إنشاء مدعيته الطائرة، فإذا بنتائج الالتماس الذي انصرف إليه تفوق ما كان يتوقعه، إذ وُضعت تحت تصرّفه ١٥٠٠ قاذفة ثقيلة، و٣٩٦ قاذفة متوسطة، و٣٥٠ مطاردة—قاذفة. كان بإمكان هذه القوة أن تتجاوز هذا العدد أيضاً، ولكن

تلال قليلة الارتفاع. ثم تقضي إلى قسم من الغابة التوراندية تتسع فيه الحقول، وفرق السياجات، وتقل لزاجة الحوال وانخفاضات التربوب. ومن حسنات استئثار هذه الوجهة أنها تقود إلى «أفراوش» في قاعدة «برقانيا»، وتسمح بالانفتاح على «اللوار»، وتمكن وبالتالي من إطلاق تلك الحركة الالتفافية الكبيرة التي تقوم عليها الفكرة стрاتيجية في خطط غزو «أوروبا» الغربية. أضعف إلى ذلك أن خاطرة من خواطر الذكاء والخيال قد حسنت أوضاع القتال في الأجام، إذ أن رقيباً من سرية الاستكشاف ١٠٢، يُدعى «كورتيس ج. كولين جونيور»، قد ابتدع جهازاً يمكن دبابات «شرمان» من اجتياز السياجات؛ فبادر قائد الفيلق «جيروي»؛ و«برادلي» نفسه، إلى الإطلاع عليه. كان «كورتيس» فعلاً قد نهى ترسانه أربع حراب فولاذية، مستعيناً بعض قطع الحديد العتيقة التي جمعها على الشواطئ، وبعصباج لحام وقع عليه في أنقاض مرآب للسيارات. وهكذا زود الدبابة بمسك، ووقي بطنها السريع العطب من إصابات المدفعية المضادة للدبّابات، ويمكنها من أن تغوص عند أصل السياج كخنزير مزبور. وتقتصر المعرّ وسط فوران الأرضية المفجّرة والأشواك المحطّمة؛ فاستُقدم من «إنكلترا» العتاد اللازم، وبوشر على الفور

الأمس وألقيت قنابل شمالي طريق «بيريه-سان-لو». فسقط مئات القتلى والجرحى، بينهم الجنرال «يسليج». ملك نير» الذي استحال هباء في سيارة الحبيب. وكان قد أتى لمشاهدة المعركة من «انكلترا» حيث كان يأمر مجموعة من الجيوش مهومية، يقصد منها إبقاء العدو في خشبة نزول جديد. ولذا وجب إبقاء خبر وفاته سرياً كي لا تُفضح الخيلة. وفي عام الساعة ١١، إذ شنَّ الكتيبون هجومهم في ضواحي «كين» لتجميد قوات الاحتياط الألمانية؛ اجتاز الأميركيون طريق «سان-لو-بيريه»، وقد قبل لهم غير مرة إن القصف الجوي سيقضي على المدافعين عن بكرة أيهم؛ وإذا بعضاً الناجين الألمان في «لوزيون» وغيرها يرددون رؤوسهم، فيقعون على بعض الأسلحة ويعودون إلى القتال، فيمسك الكلرينيات وقود الفرق المتهيّبون كثائبهم الزاحفه من غير أن تلقى مقاومة. ويُوخر الجنرال «كولتز»دخول فرقه المصفحة، على اعتبار أنَّ التغرة التي فتحها جيش المشاة لم تكن كافية. وبأذف السماء، وإذا التقدم لا يتعدى كيلومترتين، وإذا «ماريني» و«سان جيل». هدفاً النهار. ما يزال في يد العدو. كانت الخيبة مريرة، ولقد ظهرت بوادرها بتوجهه انتقاماً لاذع إلى سلاح الطيران، فقال الجنرال «هوزي»: «لم نرْ حتى الآن أثراً للقصف».

لم يكن الحكم منصفاً، فضعف التقدم يعود في الدرجة الأولى إلى ضعف الخيمية الذي اتصف به هجوم المشاة. أما القصف الجوي فقد دمر ميدانياً فرق الدبابات «ليهير»، وفتح في خطوط العدو ثغرة فعلية. إنهارت جيوب المقاومة المحلية في ٢٦ و٢٧، وفي ٢٨ اندفع على طرقات «كوتانس» و«أفراش» رتلان مصطفان قويان.

أما عمل القيادة الألمانية فبات مستحيلاً؛ فالخطوط المائية قد تقطعت، والاتصالات اللاسلكية تجذب الطائرات: وضيّق الاتصال فريسة لطائرات المطادرة تصليهم نيرانها على الطرقات. فوجيء الجنرال «فون شوليتز» بظهور الدبابات الأميركيّة في «تيرانس» المحترقة، فقرّ عبر الحقول، ولم يتصل بهيئة أركانه إلا ليعلم أنَّ الجنرال «إيلفلدت» قد استُبدل به على رأس فيلقه الـ ٨٤. وكذلك أُعفي «بسيل»، رئيس هيئة أركان الجيش السابع، من منصبه، تكريماً لذنب رئيسي: جنرال فرق الصاعقة «هاوزر»، الذي سحب ميسره ناحية الجنوب الشرقي، خلافاً لنيات «كوليغي»، فقطع بذلك اتصاله بساحل «الكونتنان»، فلم يبقُ البحر يحمي جانب الجيش الألماني. دخل الأميركيون مدينة «كوتانس» في ٢٩ تموز، وفي ٣٠ استولوا على «أفراش»، وفي ٣١ احتلوا «بنتوبيول». آخر محلّة نورماندية على طريق «بروتانيا». كان عليهم أن يبلغوها في اليوم العشرين لبدء التزول. فلم يبلغوها إلا في اليوم الرابع والخمسين، ولكنهم بلغوها.

في «فيركور» حيث سقط قناع المقاومة

إنَّ قتال محاري «فيركور» لصفحة من أبل صفحات المقاومة الفرنسية الداخلية.

هذا، وقد لعب جبل «فيركور» المنبع، وهو حصن طبيعي يجاوز المئتي كلم، وينزل بسبب وجود أودية «درالك» و«الإيزير» و«الدروم» و«الرون»، على مقرابة مباشرة من «غرنوبيل»، دوراً هاماً عهد به إليه الحلفاء. كان عليه أن يقوم مقام حصن داخلي لتجمّع قوات المنطقة الناشطة، وأن يكون بطاقة ملجم للمجموعات الحرة. وهناك أيضاً كان متوقعاً أن يجري إزالة الرجال والعتاد بواسطة المظلات.

طائرات «لانكسستر» التابعة لسلاح الجو البريطاني لم تكن مهيأة إلا لإلقاء القنابل الضخمة، فخشى «برادلي» ما تحدثه من الحفر الواسعة القمعية الشكل التي عاقت التقدّم البريطاني في ناحية «كين»، فاستبعدها.

أما المتعلقة التي سينالها التمهيد الجوي فمستطيل يبلغ ٧ كلم طولاً و٣ كلم عرضاً، وتشكل إحدى أضلاعه طريق «بيريه-سان-لو»: ٢٠

كيلومتراً مربعاً ستسحقها ٢٤٦ طائرة، أي ما يعادل طائرة لكلَّ هكتار من الأرض. ثم تلجم الثغرة التي ستفتحها المطرقة الجوية ثلاثة للاٌّ فرق

من جنود المشاة هي ٩ و٤ و٣، ثم تجتاحها الفرقان المصفحةان ٢ و٣

فسيران باتجاه الجنوب الغربي، وتعدوان نحو «كوتانس» «فغافنيل» «أفراش»، فتطوّقان القوات المعاونة المقاطلة ناحية «بيريه» و«ليسي».

والأمل كبير في انهيار مقاومة «الكونتنان» دفعة واحدة.

في الجانب الألماني تمَّ التراجع خطوة خطوة، من مرتفعات «لاهي-

دي-بو» حتى مسكن بروج «جورج» المستنقعية التي تنتهي بعصب عريض. كانت فرقتا دبابات «ليهير» والصاعقة الـ ١٢، لأيام خلت،

قد رُجّنا غربي «سان لو» في حماولة يائسة لإنقاذ المدينة. أما الآن فيعتقد «كوليغي» أنَّ الرمح الانكليزي سيتحرك من جديد، ولذا فهو يريد أن

يُسترجع الفرتين المصفحةين لإعادتها إلى ناحية «كين». ولقد تمَّ

بالفعل استبدال فرقه الدبابات الصاعقة ١٢، وكان على الفرق «ليهير»

أن تُستبدل أيضاً بعدما وافق «هتلر» أخيراً على سحب بعض الفرق من

«بادي كاليه»، إلا أنَّ القيادة المحلية قد احتفظت برجال «بايرلين» ودباباته، نظراً لاقتناعها بضعف خطوطها؛ فأولئك الرجال، وهم تحفة

جيش الغرب، هم الذين يمسكون بالجبهة ما بين «مونترو» و«هيبيكوفون»

بمعونة بعض فتات من المظليين وحطام فرقه المشاة ٢٧٥.

ولكنَّ المطر ما فيه ينهمر، فأرجئت الهاجمة الأميركيّة، المعينة في الأساس ليوم ١٨، مرتين، ثم قررت ليوم ٢٤، وما أقلعت

الأسراب الجوية حتى اكفرت السماء وسدّت منافذها، فصدر الأمر

بعدوة الطائرات. لكنَّ مجموعات متعددة لم تسعه فئة ذات مهمّتها وأقت

طن من القنابل، فقتلت وجرحت بعض الألمان، غير أنها أصابت كذلك ١٥٦ أميركيّاً فكانت سبباً في إثارة الرعب والتراجع؛ فشمت رجال

الدبابات الألمان، مع ما أصابهم من خسائر، لدى روّاه العدو يفرّ من

قابله ذاتها.

في اليوم التالي، ٢٥ تموز، ذكر تقرير مدهش رُفع من الخطوط

الأولى إلى مقرَّ هيئة الأركان الألمانية: «تراجع العدو تراجعاً عاماً...»

اقربت المدفعية الطائرة بكمالها هذه المرّة، ونظراً لما خلفته مشاهد الأمّ

من قع بليغ في قوس الأميركيّين، فرت أفواج بكمالها تلقاءً أو

انصياعاً لأمر. يد أنَّ الرضي الأميركي لم يدم طويلاً هذه المرّة، فالزوّعة

التي اقْضَت على المستطيل الذي رسمه «برادلي» فاقت كلَّ ما شهد

خلال الحرب على الجبهات كافة. هُشِّمت الواقع الأميركي تهشّماً،

وتفجرت الدخان، ودُمرت الأسلحة والدبابات، وبُقِرَت السياجات،

ومُزِّق الرجال شرّ ممزق، ومن بقي منهم كان أشبه بالحيوانات المروعة.

وارج بعض الجنود، من الذين اجتازوا خمس سنوات من الحرب،

يرجفون وينشجون بالبكاء، وجفن منهم الكثير. إنّ العدُوّ الأراضي نفسها،

فهتف بعض المدنيّين في «سان-لو» القرية، التي عرفت أهواز الحرب،

أنَّ العالم قد أدرك نهايته، فيما ظنَّ البعض الآخر أنَّ أحد المتعارفين قد

اخترع سلاحاً جديداً مروعاً. وأتّجراً كست المنطقة المهاجمة موجةً من

النيران المتهيّة أضرمتها مواد «النابالم» التي ألقتها المطارات - القاذفات،

حتى لبّاً مُحاولاً أن يسلم إنسان من ذلك الحجم.

دفع الأميركيّون كذلك نصيبهم في انهيار مقاومة «الكونتنان»، إذ تكرّر خطأ



الكايتين غير (المُلقب بـ بيغولي).

١ - أوجين شافان (المُلقب بكليمان).

٢ - الكومندان هوبي (المُلقب بـ بيرفيو).

٣ - جان بريقو (المُلقب بالكايتين
غوديرفيل).

٤ - الكولونيل ديكور (المُلقب بـ بيayar).

يعد أكثر من ٤٠٠٠ مقاتل. وأنزل الحلفاء بالمظلات قوات مهمات عديدة . ومن جملتها قوة فدائسي الكايتين «تابرز» الأميركية . في ١٣ حزيران وقعت أول معركة في منطقة «سان نيزيه». وفي الأيام التالية وقعت معارك ضارية بين المقاومين والجيش الألماني . وأنزلت إلى المقاومين بواسطة المظلات دفتان من السلاح والمؤن في ٢٥ حزيران و ١٤ تموز . فساعدتا بعض الشيء على الصمود . ولكن فرق الماشية الجبلية الألمانية ١٥٧ . بإمرة الجنرال «بلوم» . تساندها ٢٠ طائرة شراعية هبطت فوق نجد «فاسيو» وشنست هجومها . فأرغم الفرنسيون على التراجع وقد رزحوا تحت تفوق العدو العددي . وكان العقاب الألماني قاسياً : فقد قتل الألمان عدداً من المقاومين . وذبحوا المدنيين . أو شنقواهم . أو رموهم بالرصاص . كما حصل في «فاسيو». وفي ٢٧ تموز اجتاز الألمان معارة «لوير» التي حوت بعد إعدام الرهائن في «الفيركور» . وقد وجدت هذه الصورة في حوزة أسير ألماني .

وأخيراً ، كان يُرجح من «فيركور» أن يقوم بدور رأس جسر داخلي بعد التزول جنوبي «فرنسا» .

في آذار ١٩٤٤ لم يكن جهاز المقاومة في «الفيركور» يعد أكثر من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ رجل ، وهم جند من جيش المدنة الذي حلّه الألمان . أو متمردون على «خدمة العمل الإجباري» ، أو متطوعون ، أو أسرى هاربون ، إلخ . وكان يؤمّن التجنيد ضباطاً وضباطاً صفّ قدامي ينتسبون إلى وحدات مختلفة ، وخصوصاً إلى كتيبة القناصة المرتجلين السادسة ، وإلى فوج الخيالة المدرعين ١١ ، وإلى فوج المشاة الجبلية ١٥٩ .

كانت المقاومة تحت سلطة الكولونيل «زيبل» (المُلقب بـ «يجوزيف») قائد المنطقتين العسكريتين «ر ١» و «ر ٢» المتقدتين من «بروفانسا» إلى «الجورا» . وأمّا رئيس الـ «ر ١» ، التي تتضمن «الفيركور» . فكان الكولونيل «ديكور» (المُلقب «بيayar») . وأمّا المقاومة عينها فقد كانت في البدء تحت إمرة الكايتين «جيير» (المُلقب بـ «بيغولي») . ثم الكومندان «هوبي» (المُلقب «بيرفيو») ، وكان رئيس المقاومة المدنية هو «أوجين شافان» (المُلقب «بـ كليمان») .

ومنذ شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ نظمت المعسكرات في الجبل لإيواء المقاومين ، ولكن ، بعد سلسلة من الاشتباكات مع الألمان أعقبتها الاعتقالات . تحولت المعسكرات إلى منظمة أكثر طلاوة من مجموعات ثلاثينية بقيت الحال على ما هي حتى نزول الحلفاء في «نورماندي» . فعمدت الوحدات التي شُكت سراً إلى التجمع ، وأبلغ المتطوعون مسبقاً ، فراح الانفراديون يتواكبون زرافات . حتى غداً «الفيركور»





مقر وحدة من وحدات المقاومة.



في بيان المقاومة السرية في بزرة قناصة «الألب» يتدرّبون على القتال .

إلى مستشفى . فأجهزوا على الجرحى . وأعدّوا المحرضين أو نفوهם إلى «المانيا» .

ومنذ ٢٣ حزيران كان أمر التفرق قد صادر عن الكومندان «هوبى» . فدھمة «الفيركور» قد أُنجزت جزئياً . فإنّ هو لم يكن قد قام بوظيفته كرأس جسر داخلي كما كان متوقعاً في المخططات الأولى . فقد كان ، على الأقل ، نقطة تثبيت هامة مكتنّة من خميد القوات الألمانية التي كان بإمكانها تأخير تقدّم القوات الأميركيّة الفرنسية القادمة من «بروفانسا» .

دوريات من رجال المقاومة في «الفيركور» .



مغارة «اللوير» حيث أجهز الألمان على الجرحى من رجال المقاومة .



محمد «غليار».



الليوتنان «تيودور مورييل» الملقب «بتوم» ، خريج معهد «سان سير» العسكري . إنه رائد المقاومة السرية في «غليار» ، وقد قُتل في «أونترومون» في ٩ آذار ١٩٤٤ .

تحرير المدن والقرى: فيما لم يمكن ضعف تسليح البعض الآخر وقلة رجاله إلا من القيام بأعمال سطوة محدودة ضد الأرتال الألمانية المتقدمة . ولا يحق للأعمال التطرف والإفراط التي انساق إليها بعض فرق المقاومة . قبل التحرير وخلاله وبعده ، وقد أتت في الغالب انتقاماً لأعمال مماثلة قام بها الجيش المحتل ، أن تمحو من بابنا استشهاد فرنسيين كثرين ، واستشهاد فرق مقاومة «غليار» في «السافوا» العليا خصوصاً . كان جنود «غليار» ، كرفقاءهم في «الفيركور» ، تحت إمرة ضيّاط

بعض الأمداد الحليفية الملقاة بالحظاالت إلى رجال المقاومة .

إنهـا الـحـرب ، حتـى فـي قـلب فـرـنـسـا الفـيـشـيـة

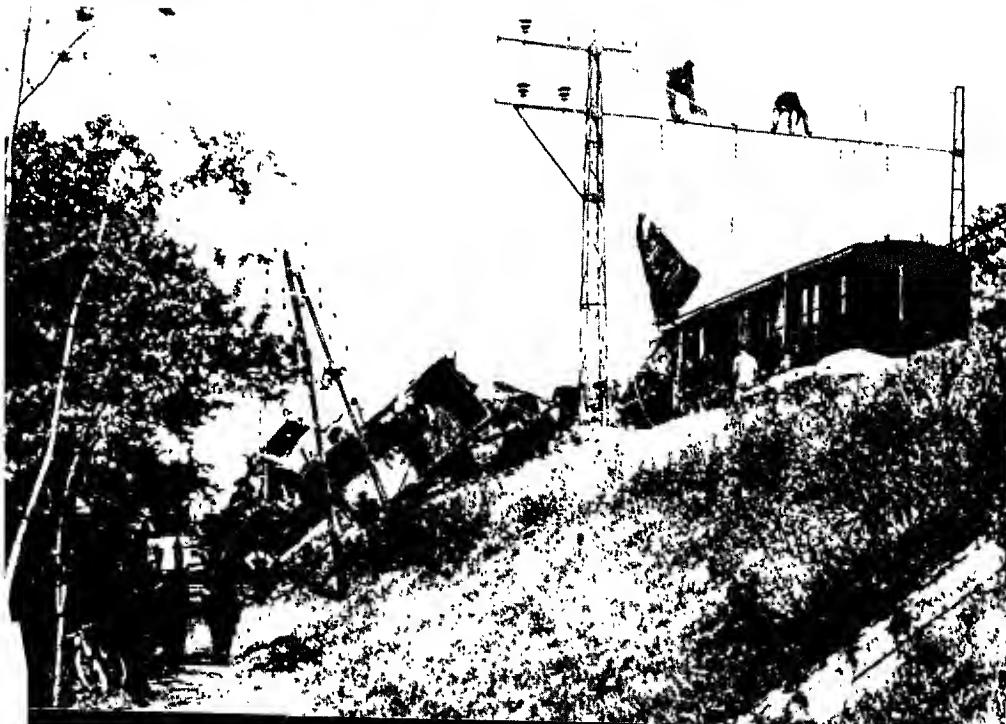
لا تزال ٧٠٠ ضريح . لحارب أو مدني مغتال . تحيي ذكرى معارك رجال المقاومة في «الفيركور» . إن التقارير المتناقضة الواردة إلى هيئة أركان الجيش «أيزنهاور» قد حملته على اعتبار عمل «المقاومة الفرنسية الداخلية» كهبة . أو كتمنة لعمل القوات الحليفية النازلة في «نورمانديا» و «بروفانس» . ولكن الواقع غالباً ما تعدد التقديرات : فأعمال التحرير التي نالت الخطوط الحديدية ، والحسور . والطرقات . والغازات التي شنت على القوافل ، قد أثبتت جدواها وأخرجت سير الأمداد الألمانية الموجهة إلى «نورمانديا» . كما أخرجت انسحاب قوات الجيش الألماني . أما في ما يتعلق بفرق المقاومة ، فلم يكن نشاطها متساوياً في كل مكان . فقد حقق بعضها قبل وصول القوات الحليفية عمليات رائعة في



الكابيتين «موريس أنجو» خليفة «موريل». قُتل في ٢٦ آذار ١٩٤٤.

وقواد من الجيش العامل. ينتهي أكثرهم إلى كتيبة فنّاصه «الألب» السابعة والعشرين. وكانوا، منذ نهاية كانون الثاني ١٩٤٤. قد تمّ ذكرها على نجد يعلو البحر بـ٥٠٠ م. بدأ العمليات في ٥ شباط بخطف الجندي في «تون»، واستمرّت خلال شهرٍ شباط وآذار بمعارك ضارية جداً بين رجال المقاومة، والجنود الألمان وقوات الحرس العسكري الجمهوري التابعة «لفيشي». تدخل سلاح الطيران الألماني في العمليات في مطلع آذار. ثم تدخل الجيش الألماني في ٢٤ آذار تسانده المدفعية مساندة قوية ويدعمه الطيران. جرت العملية بإشراف الجنرالين «نيهوف» و«بلوم»: فسحق رجال المقاومة وأرغموا على التراجع في كلّ مكان. وكانت عملية القمع قاسية صارمة: رمي بالرصاص وإجلاء (لم يُؤسِّر غير ٢٠٠ من أصل ٥٠٠ من الناجين). أمّا الذين تمكّنوا من الفرار فقد التحقوا بجموعات أخرى في المنطقة. واشتراكوا بمعارك التحرير.

معسكر لرجال المقاومة السرية في «بروتانا».



لقد كان لعمليات المقاومة
التخريبية اليد الطولى في شلّ
حركة المواصلات الألمانية.
ويبدو في الصورة قطار أخرج
عن خطّه في ناحية «بو».

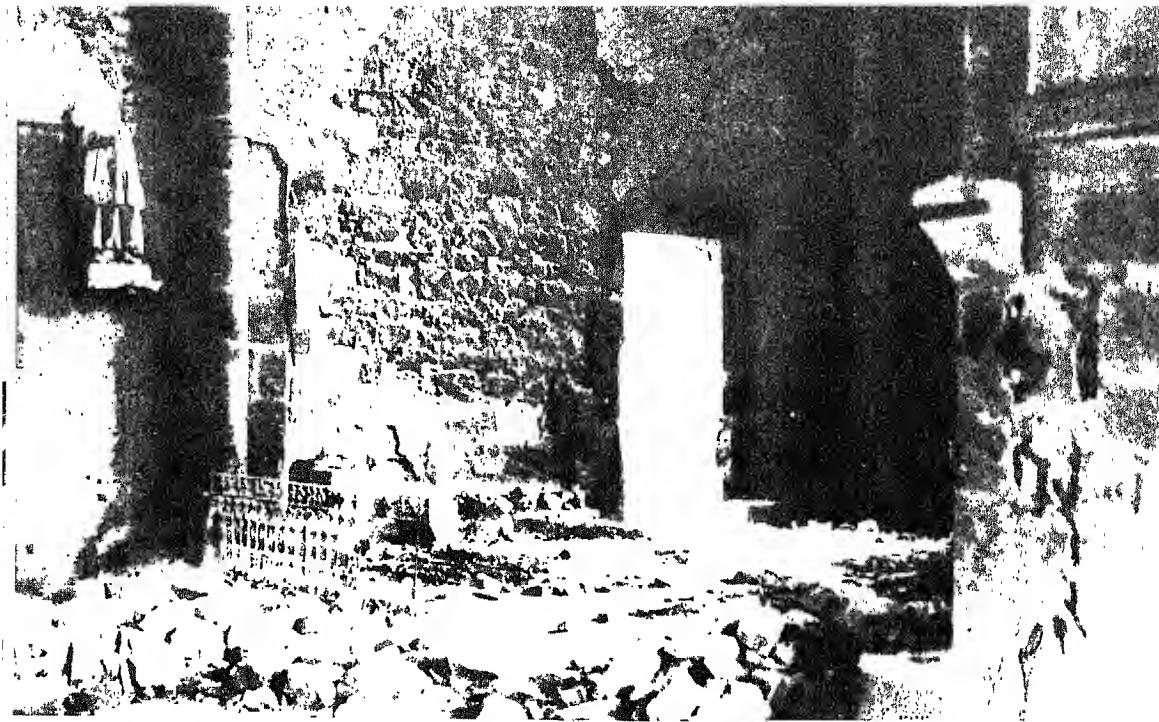
يَوْم مَجْزِرَة : "أُورادُور-سُور-غَلَان"



«فيشي»، والmarsال «روبل»، قد اعتبروا جميعاً على العمل الشائن . ولكن موت «ديكمان»، ولفناء البزئي الذي عصف بالسريّة الثالثة، راعترض «هتلر»، والاندحار الألماني في «فرنسا»، عوامل تضافرت لإيقاف الملاحقات .

وبعد عشر سنوات أحدثت قضية «أورادور» في «فرنسا» هيجاناً عميقاً. كان ثلث جنود فوج «الفوهير» من الشبان الألزاسيين المجندين تلقائياً في قوات الصاعقة - كما كانت الحال بالنسبة للكثيرين من الألمان. وقد مثل إثنا عشر جندياً منهم أمام مجلس حرب «بوردو» في عداد عشرين متهمًا ، فحوكموا بمقتضى قانون طرفٍ يتناول الجرم الجماعي . وفي ۱۲ آذار ۱۹۵۳ ، وبعد ستة أسابيع من المداولات أثارت سخط «الألزاس» ، أصدر مجلس الحرب حكمين بالإعدام ، واحداً منها بحق أزارسي ، و ۱۲ حكماً بالسجن أو بالأشغال الشاقة . ولكن عقاب الموت خُفِّض فيما بعد ، وأطلق سراح المحكومين سريعاً .

يرجع سبب مأساة «أورادور-سور-غلان» إلى اعتقال رجال المقاومة الليتوان كولونيل «كامبفي» بالقرب من «سان ليونار». وفي اليوم التالي . المواقف مهار السبت في ۱۰ حزيران ۱۹۴۴ ، وصلت سرية الفوج «الفو هرر» الثالثة إلى «أورادور» بقودها «ديكمان»، بعدما تلقّت تعليمات خطأ تقول إن «كامبفي» كان معتقل هناك . وإنّه سوف يُعدم فيها أمام الشعب . واجتاحت «ديكمان» جنون قاتل ، فأمر بقتل الرجال كافة وإحراق كل منزل . وبطأ النساء والأطفال إلى الكنيسة ، ولكنهم هلكوا فيها طعمأً للنار . أو فريسة سهلة لرصاص الألمان. وقد كان حصص المجزرة ۶۴۲ من الضحايا تتراوح أعمارها بين ۱۸ يوماً و ۸۵ سنة . وأمّا الناجون الوحيدون فامرأة واحدة . وخمسة رجال ، وطفل واحد ! وقد قُتل «ديكمان» في «نورمانديا» بعد أيام قليلة . وكان قائده فيلقه ، «ستادر» . قد أقام ضدّه دعوى قضائية ؛ وكان ولي «فيين العليا» . «فروند فالاد» . والجنرال الألماني «غلينيجر» قائد موقع «ليموج» ، وحكومة



وبحسب شهادة الناجية الوحيدة . «مارغوديت» وفانش» . التي تمكنت من الطرد من خلال إحدى التواقد وهي مصابة بجروح بليغة . كاد حرائق الكنيسة قد شب «من حلال سينديق يبلغ علوه على طاولة سرير جانبيته». أشعل الألمان فتاته . «فاندلت نيران ماوته تبهر العيون وتتحمّل الأنفاس». وأطلقت كذلك على حشد النساء والأطفال عيارات نارية عديدة . وقد هاكيت معلمات المنطقة الحسنس داخل الكنيسة . ومن جملة تلامذة «أورادور» الـ ٢٤٢ لم ينج من المجزرة غير ولد واحد هو «لوران روجيه غودفري» .

كان معروفاً عن «أورادور» أنها دسكرة محافظة وأمنة في «الليموزان». حيث كان نشاط المقاومة تعدد يائهم جسيمة . وكان عدد السكان قد زاد بسبب اللاجئين من «الدورين». والعائلات التي كانت تهرب من قصف المدن الكبرى . وبسبب المدينين الذين قدموا في ١٠ حزيران من «ليموج» بخط السكة الراهبة سعياً وراء تموين إضافي . وفي الوقت الذي كان فيه طعام الغذاء يقدم في فندق «أفرييل» وفندق «ميور» دخل رجال الصاعقة بملابس القتال وأوقفوا سياراتهم في ساحة الكنيسة .



كان الألمان قد سعوا وراء السكان في منازلهم . فأخذوا جوهرهم وجمعيتهم في السوق . وطلبوا من المختار . الدكتور «ديز ورنو» . أن يسلم خمس رهائن . فتعلّق بنفسه مع أفراد عائلته . وبعدما رافق الألمان النساء والأطفال إلى الكنيسة . قسموا الرجال بهم وعادت عدليه وأعدمهوهم رمياً بالرصاص في خمسة أبار ثم أشعلوا فيها النار . وغادروا «أورادور» نهار الأحد . إلا أنهما عادوا يوم الاثنين فدفعوا بقابيا بمحاباهم في حضر عامة .

الفصل السابع والعشرون

نisan - شرين الـ ١٩٤٤

تـير

كان الجيش الألماني ، في مطلع ربيع ١٩٤٤ ، ما يزال يحتفظ بشبه جزيرة « القرم » كـ لها تقريراً ، وكان الروس في الشرق قد عبروا مضيق « كيرتش » : ولكن الفيلق الألماني الخامس أوقفهم بقيادة الجنرال « الملندر » على بربخ « بارباتش » .

الحرب تمر من بوتسدام

كانوا في الشمال قد اجتازوا ، مثياً على الأقدام ، البحيرة القليلة المعق المعرفة باسم « سيفانش » أو « البحر الأسن » ، إلا أن الفيلق البولندي التاسع والأربعين تمكّن ، بقيادة الجنرال « كيرزاد » ، من صدّهم في بربخ « بيريكوب » . ولما قام « شورز » بخولة تقنيّة في الجيش السابع عشر عقب تسلّمه قيادة مجموعة « جنوب أوكرانيا » لم يتردد في رسم لوحة عامرة بالتفاوّل ، قال : « رب كل شيء ، وأصيغ الدفاع عن « القرم » .. ضمـوا ... » .

صدرت هذه البرقية التي وجهها « شورز » إلى قيادة جيش البر بتاريخ ٧ نيسان في تمام الساعة ٢١٣٥ على بربخ « بيريكوب » بمعرفة جيش السوفياتي المارشال « تولوخين » على بربخ « بيريكوب » . وندى ٩ نيسان طلب الكولونيل-جنرال « بانيكي » . قائد الجيش الألماني السابع عشر ، الإذن بالاعتقال في « سيباستوبول » « كي لا يساعد الجيش رومته ! » .

أعاد « بانيكي » الكرة في اليوم التالي . فاقترن الجلاء التام عن « القرم » ، وأيد « شورز » طلبه بعدما تبدّلت أوهامه ، فرفض « هتلر » الإصبعاء . وأمر بتجييز قلعة « سيباستوبول » من أجل مقاومة لا أجل لها . وأردف : « لا يخون التخلّي عن أي شبر من الأرض ، ولا يحق لأيّ رجل صحيح أن يصر ... » .

في ١٦ نيسان بلّا الجيش السابع عشر إلى « سيباستوبول » عقب تقهقر سبع نصفـ في ثالثي عاده ، فعهـة القبان الخامس ، بفرقة الألمانية الثالث ، وفرقة الرومانية الأربع ، بالدفاع عن القطاع الشرقي . المتـدـ من « بالاكلافا » إلى خليـج « سفـرناجا » ، فيما تمهدـ الفيلق التاسع والأربعون بفرقـةـ الألمـانـيـنـ . وفرقة الرومانـيةـ الثـالـثـ ، بالـدـفاعـ عنـ القـطـاعـ الغـرـبـيـ . أمـاـ المـارـشـالـ « تـولـوخـينـ » فقد حـشـدـ أـمـاـنـةـ المـدـيـنـةـ ثـلـاثـةـ جـوـشـ تـضـمـ ٢٨ـ فـرـقةـ . وـعـكـدـ بدـأـ الرـوـسـ حـصارـ « سـيـسـاـتـوـبـولـ » بـعـدـ ماـ حـاصـرـهـ الـأـلـانـ بـسـتـينـ .

ولكنـ الحـصـارـ هـذـهـ مـرـةـ كـانـ أـقـلـ ضـرـوةـ مـنـ السـارـقـ ، فالـقوـاتـ الـروـمـانـيـةـ بـاتـ لـاـ تـرـيدـ القـتـالـ ، وـفـرقـ الـأـلـمـانـيـةـ الخـمـسـ لـاـ تـضـمـ أـكـمـنـ منـ ٢٠ـ٠ـ٠ـ مـاـحـارـبـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـلـجـنـودـ وـالـضـبـاطـ وـالـخـنـالـاتـ غـيرـ فـكـرـةـ وـاحـدةـ . هيـ عـبـورـ الـبـرـ مـنـ جـدـيدـ ، وـالـإـفـلـاتـ مـنـ جـحـرـ الـفـأـرـ . استـقـلـ « شـورـزـ » الطـائـرـةـ إـلـىـ « بـرـشـتـادـنـ » مـكـرـراـ طـلـبـهـ فـيـ الـجـلـاءـ ، فـتـازـ « هـتلـرـ » وـكـشـفـ لـهـذاـ الجـنـرـالـ الـمـوـافـقـ لـهـواـهـ عـنـ الـاعـتـارـاتـ الـسـيـاسـيـةـ السـتـارـيجـيـةـ الـتـيـ شـمـيـ

عليهـ خـطـةـ فيـ السـلـوكـ غـيرـ فـهـومـةـ ، فـالـخـاتـيـ عنـ « سـيـسـاـتـوـبـولـ » .

فيـ الـظـرفـ الـراـهنـ ، قدـ يـدـفعـ « تـرـكـياـ » إـلـىـ دـخـولـ الـحـربـ ، فـيـمـاـ سـيـتـدـلـ الـوضـعـ

حـنـمـاـ . بـعـدـ أـسـابـعـ سـتـةـ أـوـ ثـانـيـةـ ، إـذـ يـكـونـ الـأـنـكـيـزـ قدـ نـزـلـواـ فيـ « فـرـنسـاـ »

وـسـحـقـواـ . إـذـ ذـاكـ تـوجـهـ « أـلـانـيـاـ » قـوـاتـهاـ ضـدـ « رـوسـياـ » . وـلـنـ يـكـونـ

مـوقـفـ « تـرـكـياـ » عـلـيـهاـ أـيـ أـثـرـ . وـكـلـ مـاـ يـطـلـبـهـ « الـفـوـهـرـ » . وـالـحـالـةـ هـذـهـ ، هـوـ

أـنـ تـصـمـدـ « سـيـسـاـتـوـبـولـ » سـتـةـ أـسـابـعـ أـوـ ثـانـيـةـ .

لـمـ يـطـمـئـنـ « هـتلـرـ » إـلـىـ « بـانـيـكـيـ » . فـاسـتـدـعـيـ « أـلـنـدـنـغـرـ » لـبـلـغـهـ أـنـ

نـيـوزـ ١٩٤٤ـ . الـمـارـكـ فيـ قـطـاعـ الـفـوـرـفـ » فيـ « أـوـكـرـانـيـاـ » .

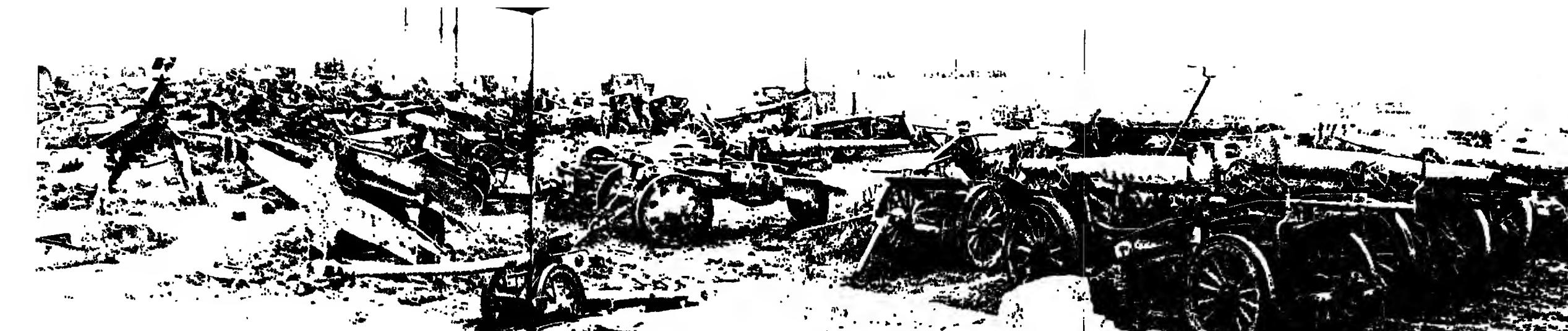
«وديسا»، آخر مدينة أوكرانية تثبت بها الألمان.

أن يتسلّم قيادة مجموعة جيوش . لم يلبّت «بوخ» طويلاً ليدرك تقل هذه القيادة الجليلة . حظي بعقابه هتلر» في ٢٤ أيار . فرأى من واجبه أن يعرض عليه الحلين اللذين عدّهما هيئة أركانه لتقصير جبهة مجموعة الجيوش التتمادية الاتساع . نصي «الحل الأصغر» بالانكفاء إلى ما وراء «الدنبيبر» . ويقضي «الحل أكبر» بالانكفاء إلى ما وراء «البيريزينا» . فحدّق «هتلر» في المارشال الحديدي تحدّيقاً ذا معنى وقال : «ما كنّت أدرى . يا «بوخ» . أنت تستمعي ذاك الضرب من الجرارات الذين لا يحسنون إلا النظر إلى خلف ...» أدرك «بوخ» فحوى الموضوع . وتعهد بتنفيذ الأوامر كلّها بأمانة . ثم عمل إلى هيئة أركانه الداهلة «عزم الفوهرر الواضح على عدم التخلّي عن

بر وسد من ادرنيل .
وعاد «بوخ» مع ذلك بتأكيد مطمئن. إذ قد وعده «هتلر» «بصيف
نادي»، فستظل الجبهة الوسطى : كما في السنوات السابقة. مسرحاً
أنوياً لا تشغله غير حملات محلية. أما الروسي فيحاول استغلال
منجزات الشتاء في الجنوب، للوصول إلى مصايب «الدانوب» وفتح مناطق
تضيق الرومانية، وطرد «المانيا» من «البلقان»، واجتياح «أوروبا» الوسطى.
السير نحو «فينسا». وقد تأهّب الفوهرر للتقدّي الصدمة بتدعميّة
جيوش الجنوب ما وسعه الأمر؛ ولوسوف يصطدم الزحف ببناء الجيش
الألماني الفولاذيّة. فالجيش الأحمر الفضم كثلة غير متوازنة. وستستطيع
صدمة عنيفة واحدة أن تلقي أرضًا، كما حصل لجيش القيسير الذي اجتاح
«المانيا» عام ١٩١٤، وليش «لينين» الذي اجتاح «بولونيا» عام ١٩٢٠.
اما إسهام مجموعة الوسط في إحقاق النصر فيقوم بصمودها على جبهتها
كما للأسما من قوة .

تألف هذه المجموعة من أربعة جيوش: الجيش الثاني الضعيف المختلف العناصر، والذي لا يتصل عملياً بالقوات النظامية المعادية، ويختص لإمرة الكولونيل جرال «فاس»، ورئيس هيئة أركانه حتى ٢١ نووز - «فون تريشكوف»، وهو يشرف على ما لا يقل عن ٥٠٠ كلم، تمند شرقاً بغرب، على طول مستنقعات «البريت»، والجيش التاسع يقف، بقيادة جرال المشاة «يوردان»، على ضفتَي «البيريزيينا»، يليه الجيش الرابع بإمرة الجنرال «فون تيلشكيرش»، الذي يشغل موقفاً منصباً الكولونيل جرال «هاينريتشي» المأذون بسبب المرض، فيركب صهوة التصفيح غير الاسم. وعلى سبيل الخنجر والوقاية عمدت مجموعة الجيوش إلى إقامة موقع للدفاع غربي «البيريزينا». إلا أنه كان لا بد من إخفاء هذه المبادرة عن علم الفوهرر الذي كان يصر على القول بأنَّ الواقع الخافيء ليست إلا تبرة تغذى ثأفة المحرّلات على التراجم.

الآمواج» التي يدين بها . ولقد عين منها أربعة في منطقة مجموعة الجيوش : «بوبرويسك» على «البيريزينا» ، و«موهيليف» و«أورشا» على «الدنبر» . و«فيتبسك» على «الدلونا» . كانت مهمتها ، وقد دعيت حصوناً — على غرار «ستالينغراد» قدماً — وأحيطت بخزان مخزن . وزُوِّدت بحاكم وحامية . أن تستسلم للتطويق بغية تفكير الزحف المعاكس . سيتواري الدفاع عن كل من «بوبرويسك» و«موهيليف» و«أورشا» فرقاً واحدة . فيما تتولى الدفاع مشاة البحرية السوفياتية في «سياستروبول» المحررة .



إذا بالأسنان النشيدة العامل يستحيل حنوعاً، والحنوع يستحيل استسلاماً.
لا استسلام قنوطاً، وإذا الجيش باهت خامل مقتضي عليه بالهزيمة الواقعة
محتمة، وقد وقف يتظاهر صدمة جديدة. وتفاقم الفقر بتفاقم الآثار العصبية الناتج عن زوال عهد الانتصارات،
تدنى مستوى قطع التبديل والأعتمدة الجديدة، نظراً لعدم توافر المواد
الستراتيجية من مخازن ونيكل وموليبدين وفولفرام، وغيرها.
بدأت أزمة الوقود الكبيرة حين أقدم الطيران السтратيجي الأميركي على
نمير حقوق البسط الرومانية. فتدنى إنتاجها الشهري في أيار ١٩٤٤
من ٤٣٠٠٠٠ طن إلى ٢٦٠٠٠٠ طن. لم يعرف الجيش الألماني فقط
راءً ووفرةً في البترول. أما الآن فقد بات فقيراً جداً، يعيش يوماً في يوماً.
الليل يتهدّد في كل لحظة.

كانوا يحيّدون الاشتراكيّة القوميّة. ويؤمنون بعقربية «هتلر» العسكريّة. لقد كان عام ١٩٣٨ مع «راينخاو»، القائد الوحيد الذي رفض التوقيع على مذكرة «بيلا» التي فضحت ذاتك الساق إلى حرب قضي عليها مسقاً المُفرّغة. كان ذات القائد. «إيرنسانت دوح»، طوبول القامة، بدینا، سميناً. غليظاً. وهو ابن مدير ميتمن وضيع. وقد تنازل تماماً عن التقليد البروسي المتعلق بمسوّلية هيئة الأركان العامة التي لا حد لها، والحرية التي يتمتع بها في تقدير الأمور. معتمداً شعار: «الواجب الأسمى يكمن في الطاعة». بهمها يمكن من أمر. فإن رفقيه تأييد زملائه، وذاك الشعار الذي تستعلده أذناً «الموهير». لم يرفع عاه ترفعياً بالغاً، فقد كان جزراً يتولى قيادة جيش عام ١٩٤٠. ولم يعيّن مارشالاً إلا في أول نيسان ١٩٤٤؛ وهذا هو



اة البحريّة السوفياتيّة في «سياستربول» المحرّرة .

لم ينفلت احتدام القتال في الجحوب يضعف كمية القوات المرابطة في القطاعات الأخرى وفوبيتها؛ فانخفض عدد الوحدات الكبيرة في مجموعة الوسط إلى ٣٨، من أصلها أنتان **شُكّلنا**، من فائض سلاح الطيران، وفرقة من رجال الشرطة ديدة التسليح، وفرقان مجريتان لا يرثken إلى وفائيهما. كان «فون كلوجي»، قبل حادث السيارة الذي آلت إلى استبدال المارشال «بوخ» به، قد مضى يعيش في الخندق ليخبر وضعها ومناخها عن كثب. فكتب إلى «هتلر» رسالة شخصية يقول فيها: «إن الشعور بالفراغ المخيف حقاً». فالفرق تستطيل على قطاعات تبلغ ٢٥ و ٣٠ و ٥٠ كلم. فتدبرك الخطوط الأولى بكثافة رجل واحد لكل ٥٠ أو ٨٠ م. أما القوات الاحتياطية فلا وجود لها، وأمام استبدال الجندي فمستحبيل لعدم توافر الرجال. واستأنف «كلوجي» يقول: «المجموعة الوسطى وحدها بحاجة إلى ٢٠٠، ٠٠٠ رجال، وليس بوسع أحد من القوات أن يوْكِد ذلك علنيساً بأنه لن يصيّب نكارته ...».

وعقد الأنصار مهمة مجموعة الجيوش بشكل مريع؛ وجدهم الألمان في كلّ صفع من «الاتحاد السوفيتي». بيد أنه لم يجد منهم في مكان ما وجده في «روسيا البيضاء». فقد غدت مناطق الغابات الكبيرة والمستنقعات الشاسعة خابيئاً مستعصية تطلق منها عمليات حقيقة، تضعها وتنظمها هيئة أركان خاصة. وقد أحصت مراكز المراقبة في كلّ ليلة عدداً من الطائرات يتراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ وهي في طريقها لتزوين تدرك «بولونيا». وقد اضطررت الجيوش إلى التخلّي عن الطرق المعبدة والحديدية كلّتها، باستثناء واحدة قد ركّزت عليها سهرها ومراقبتها، من غير أن تتوصل إلى درء أعمال التخريب والمداهمة. إنّها لحرب قاسية لا تعرف الرحمة. ولا تعرّف بمحى أو بأسرى، تقابل القلق بنشر الذعر، ولا تتراجع أمام العذاب والتنكيل، ولا أمام انتهاء حرمة الجثث. وكما وجد «الألمان» بين السكان خصوصاً ضرّاء، وجدوا بينهم كذلك مساعدين ضرّاء؛ إلا أنَّ إخلاص متطوعيهم وبناصريهم باتت عرضة للشكّ بعد هزائِهم الكبيرة.

لم تواجه «الألماني» أزماتها المتلاّقة إلاّ بحلول نقل جدواها يوماً بعد يوم. فظهور المجنّدون الجدد من مواليـد ١٩٢٦، أي جنود سنّ الثامنة عشرة، على الجبهة الشرقيّة منذ ربيع ١٩٤٤. لم ينفكُ «هتلر» يصرّ على أنَّ الجنديّ الألماني الراجل «رجلٌ خارق، يمكن أن يُطلب منه كلّ شيء». ولكنَّ هذا الوهم المنعجّر قد تبدّل أمام الحقيقة الروسية. فجريح واحد من ثلاثة يمكن استرجاعه؛ هذا وقد أسمّت المأذونيات النادرة في تبييض عزائم الرجال، بما وفرته من مشاهد «الألماني» وقد عاثت فيها الحرب دماراً وخراباً؛ يضاف إلى ذلك الأرض الروسيّة، والطبيعة الجبارّة الكثيّة، وعدم القرى، وذاك الشعور بالفراغ في المقدمة، وبالقلق والأضطراب في المؤخرة، وكلَّ هذه عوامل، كان لها الأثر الفعّال العجميّة في تسطّع الحسّ.

رئيسه يوهن الدفاع بتخاذله؛ ثم استدعي «يانيكى» نفسه. فقصد له هذا وأصر على أنه لم يقم إلا بتنفيذ ما صدر إليه من أوامر سيئة، وبخسار. قيل عودته إلى «سيباستوبول». فوجة إلى «هتلر» رسالة حافظة بالاتفاق؛ فأوقفت لدى مروره في «غالاتز» وطُرد من الجيش.

حمل جيش المرسى الثاني في ٥ أيار على القطاع الغربي من «سيباستوبول»؛ وفي ٧ مدد الجيش الحادى والخمسون والجيش الساحلى الهجوم حتى «بالاكلافا» فانزعاع قمة «سابون» التي كان «مانشتين» باحتلالها قد ختم الحصار السابق. فأعاد «المتنفس» الذي حل محل «يانيكى». خطوطه حتى «إنكرمان» بغية إنشاء قوة صالحة للهجوم العاكس، يحاول بها أن يسترجع القمة الحيوية؛ فللامه «هتلر»، ولكن لم يبقَ لـ«هتلر» كبير شأن بعد اليوم. فوضع الخامسة ميوس منه، والفرق الألانية تخاذل واحدة بعد واحدة. وهكذا أخذ «شورف» على نفسه، في ٨ أيار، أن يصدر إلى سلاحى البحرية والطيران أمراً يقضى بأن ينقدا ما تيسر إنقاذه؛ فيما كان من «هتلر» إلا أن أذعن للأمر، وصادق على

حرّر الروس «سياستوبول» في ٩ أيار . وكما فعل «بوبوف» عام ١٩٤٢ ، بقي «المتنفّر» ٤ أيام يقاوم في شبه جزيرة «شيرسوينز» لمدد إيجار من بيقي من الجندي . وأعيد إلى «رومانيا» ، من أصل ٢٣٥،٠٠٠ رجل كان يضمّهم الجيش السابع عشر ، في ٨ نيسان ، ١٥٠،٠٠٠ تقريباً ، ولكنّهم لم يعودوا بغير مسدّساتهم . وهكذا قضى على جيش الالماني آخر . وعاد المدود إلى الجبهة الشرقية ، وقد غدا شكلها غربياً . كانت الجيوش الالمانية في الشمال والوسط ، مع ما مُنيت به من هزائم جسيمة ، مما تزال بعيدة التوغل في كتلة الأراضي الروسية . فمجموعة الشمال ، التي تسلّم قيادتها حديثاً الكولونيل-جيزار «ليندمان» ، ما انفكّت تسيطر على «نارفا» وعلى الضفة الغربية من بحيرة «بيوس» ، مغطّية بذلك بلدان «البلطيق» . وأمعنت مجموعة الوسط في التوغل إلى أبعد من ذلك شطر الشرق؛ فكانت تسيطر على «فيتيسك» بناية بارزة تندّ على جانبي «الدونا» ، وتقشّبـت بشرقـي «الدنـير» ، أمام «أورشا» و«موهيليف» ، فلا تعود إلى عبور النهر إلا قبل ملتقى «البيريزينا» بقليل ، ناحية النبع . فالالمان ما برحوا على بعد ١٠٠ كلم من «سمولنسك» ، وكانتـهم لم يفقدـوا الأمل بمعاودـة لـزحفـ في اتجـاه «موـسكو» !

أما الجانـب الجنـوبيـ من جـبهـتهم فقد انـهـارـ بـكـاملـهـ . فـحرـرـ الروـسـ «أوـكرـانياـ» ، ودخلـواـ «بـولـونـياـ» ، وـنـقـدـواـ ماـ حـتـىـ باـتـواـ عـلـىـ مـسـافـةـ ٥٠ـ كـلـمـ منـ بـيرـيسـتـ لـيـتوـفـسـكـ . ولـقـدـ أـدـرـكـواـ مواـطـنـهـ «الـكـربـاتـ» ، فـعـبـرـواـ «الـدـنـيـسـترـ»ـ «الـبـرـوـثـ»ـ ، وـاجـتـاحـواـ «بـوـكـوـفـنـ»ـ وـ«بـسـراـيـاـ»ـ ، لـيـسـ هـذـاـ فـحـسبـ ، بلـ جـتـاحـواـ «روـمـانـياـ»ـ الـقـدـيمـةـ أـيـضـاـ . كـانـتـ «أـوـدـيـسـاـ»ـ ، مـعـ «سيـاستـوبـولـ»ـ ، نـخـرـ مدـيـنةـ تـمـسـكـ بـهـاـ الـأـلـمـانـيـ فيـ جـنـوبـ «روـسـياـ»ـ ، وـلـكـنـهـ أـفـلـهـاـيـ ١٠ـ نـيسـانـ .

عينه، فبات على الجنود الألمان، في الشرق كما في الغرب، أن يكافحوا تحت سيطرة طيران العدو المطلقة.

وما لبث التزاع حول «فيتبسك» أن استحال مأساة؛ إذ طوق الروس المدينة وأوقعوا في الشرك جميع الفيلق 53 ، بفرقة الأربع، أي ما يساوي نصف الجيش الثالث. فنشبت «راينهارت» بالهاتف وسأل «بورخ» أن يتوصل إلى «هتلر»، أن يسمح للقوات المطورة بالإفلات إلى النور، فرفض «هتلر» مذكرة بأنه قد جعل من «فيتبسك» قلعة يصر على أن يُناد عنها حتى النهاية. وفي 25 ، وقد سبق السيف العذل، قبيل بأن تخرج من المدينة 3 فرق، ولكنّه أصر على أن تبقى فيها الفرق 206 بقيادة الجنرال «هترر» للدفاع عنها «إلى أن يعرف الحصار». كما أصر على أن يلقي أحد ضباط أركان جيش الدبابات الثالث بالمنظلة في «فيتبسك» ليحمل إلى «هتلر» أمرا خطياً. فرفض «راينهارت» أن يضحي بأحد معاونيه جزاً، وقال «بورخ»: «سيدي الفيلد مارشال، أسلأك أن تعلم الفوهرر بأنه، إذا أصر على أمره، فهناك ضابط واحد من ضباط جيش الدبابات الثالث يستطيع القفز في «فيتبسك»: هو القائد الأعلى، أنا». فام يلعن «هتلر». أرهق الروس القوات المطورة في اليوم التالي وفي غده، فأُنذنت إذاعات الميدان التابعة للفيلق 53 تصمت واحدة بعد واحدة. كانت الفرق التي أُبقيت في «فيتبسك» أضعف من أن تملأ حرام المدينة المحصن. فأغرقت لدى المجموع الأول. أما الفرق الثلاث الأخرى، فقد عجزت عن أن تشق نفسها طريقاً بين الحشود الروسية، فقد أُيادت عن بكرة أبيها. وراح ما تبقى من جيش الدبابات الثالث يتقهقر يائساً وسط غابات لا طرق فيها. وأنصار لا يعرفون موادة.

وفي الجناح الآخر قاذف «روكوسوفסקי» بدء من فرق المشاة 50 و 13 وحدة آلية كبيرة، على الجيش الألماني التاسع وقلعة «بوريسك» الرابطة، وفي زنته أن يزحف على «مينسك» ليانتقي «تشيرنوكوفسكي» القادر من «فيتبسك»، بغية إيقاع القلب الألماني في الأسر.

كان ميدان القتال صعباً عسيراً. فتمة عدة أيام كبيرة «كاولا»، «الأولا»، «الدروت»، «الدوبيستا»، «البيريزينا» تسيل نحو «الدنبرير». وهي أنهار سهلية موجلة بطيئة، تتسع بشكل مستaggerات فسيحة فتُؤْلَف دلتا لا يخطر ببال أيّة قيادة غربية أن تجعل منه قطاعاً هجومياً. يد أن القوات السوفياتية قد أعدت لحرب المستaggerات بعداداً عجيباً؛ فهي تسير حاملة كمية خارقة خيالية من الجنود الصغار والأغصان والألوان الهيئة لإنشاء دروب تسلكها العربات والدبابات. فإذا برزت المشاة أشبه ما يكون بغاية تسعى.

شنت على الجيش التاسع ثلاث حملات. حدّت منها اثنان، ودحرت الثالثة، الفيلق 41 جنوبية «البيريزينا». وأغرقت «بوريسك» من جهة الغرب. وفي 26 حظار «بورخ» إلى «برشتاغدن» وهو «صب منكوب ليرسم «الزعيم» صورة عن الوضع المتبع. فقد قضى على «بوريسك» بعد «فيتبسك». ونكست القوات السوفياتية، التي حدّت برقها على «الدروت»، من أن تُنكب البليهنة بأوروبا فتستعمّ تطويق المدينة من الشمال. طلب «بورخ» المخلص، رغبة منه في إعادة تنظيم المعركة. أن يسمح للجيش الرابع، الذي تعرّض لمجوم ضعيف في الوسط، وبات تحت رحمة التطويق بعد انهيار جيشه. يعبر «الدنبرير»؛ وطلب أن يستخلص عن «بوريسك» و«مورهيليف» و«أوريشا». وهي فلاح على ورق. قبل أن يدخل بها ما حل «فيتبسك»؛ وأن توقد، على وجه السرعة، نحو وسط الجبهة، أمداد كبيرة فسيمة؛ فرفض «هتلر» كلّ تفك المطالب. ولم يعد «بورخ» إلى «فيتبسك» إلا ليأخذ علمه بأن «مودل» قد أحل محله.

عن «فيتبسك» ثلات فرق. عارض الجنرالات كلّهم هذه النظرية في إدارة المعركة الدفاعية لأنّها تقضي بالحلاك الأكيد على قسم هام من الجيوش المقاتلة، ولكن سلطة الفوهرر المطلقة. بدل أن تهدى المصائب من علوتها، ما انفكّت تشتدّ وتتعثّ، فلاذ القواد بالصمت منتفذين الأوامر. رافعين أوصارهم إلى السماء أحياناً.

إنّهي أيّار وبدأ حزيران، وإذا بالحوادث الحاربة في الغرب. من سقوط «رومبا» إلى التزول في «نورماندي». لا تثير في الجيش الألماني في الشرق غير أصداء خافتة جداً؛ فقد لزمت الحرب سيرها البطيء، ولكن المكاتب الثانية أخذت تجمع دلائل وبوادر غريبة. اجتمع روّس أركان الجيوش في «رستنبورغ» بتاريخ 4 حزيران. وبنادلو ما لديهم من معلومات. فلم يلحظ روّس أركان مجموعة الشمال. وبمجموعتي شمالي «أوكريانيا» وجنوبيها، أية بادرة تُنذر بهجوم وسيشك. أمّا روّس أركان مجموعة الوسط فقد أشاروا إلى أن احتشادات هائلة تجري أمامهم: فقد أمكن تبيّن 9 جيوش . من أصلها عدة جيوش صدام، بين «البريت» و«الدونا». وهي تنتهي إلى 4 جبهات: جبهة «البلطيق» الأولى، وجبهات «روسيا البيضاء» الثالثة والرابعة والأولى، مجموعة تحت إمرة المارشال «فالسيليفسكي». كانت الأدلة واضحة متفقة: فالمجهود السوفياتي الصيفي الكبير لن يُبدل حيث استعدّت القيادة الألمانية للقاء، لن يوجه إلى الأهداف الاقتصادية. كالالفط الروماني والمادن البلقانية التي استحوذت على لب «هتلر»! بل رغم «ستالين» نقطة ثقله مسافة 500 كلم نحو الشمال. وذلك بفضل عبود تنظيمي عجيب، وسيكيل على قلب العدو ضربة القوى للضعيف، أو أقل ضربة القوى الجبار للضعيف الواهي.

أمّا «هتلر» فقد عي عن إدراك الحقائق البينة التي مثلت تعارض رأيه. فقد ذهب إلى أن التحرّكات الروسية في وسط البليهنة هي من السفور بحيث لا يمكن إلا أن تشكل خدعة، أو هي، في أقصى حد، تبني بهجوم مضلل . فلم يسمح «بورخ». والحالة هذه، حتى بأن يختطف بفليفة المصحف 46 الذي كان يتناول عنه لمجموعة شمال «أوكريانيا». وفي 20 حزيران وقع «كيلن»، بأمر من «هتلر»، مذكرة تعيد إلى الأذهان أن نقطة ثقل العدو ينبغي أن تستقر . لا أمام مجموعة الوسط، بل أمام مجموعة جيوش الجنوب.

ولما بلغت مذكرة «كيلن» «بورخ»، كان الرمح السوفياتي على مجموعة الوسط قد بدأ بنشاط شامل للأنصار، الذين بزوا من كل ناحية مهاجمين الطرق والخطوط الحديدية والمستودعات. مثيرين $3,500$ اشتباك، محقّقين $100,000$ عملية تخريب. وفي فجر 22 حزيران، ولما تمض 48 ساعة على استئناف نشاط الأنصار. وعقب ليلة خاتمة عبرت سماءها بروق حر ضخمة، شنّ مشاة جبهة «البلطيق» الأولى وجبهة «روسيا البيضاء» الثالثة، ودبّاباتهم. هجومهم على جيش الدبابات الثالث، وأمتدّ الرمح الروسي في اليوم التالي على الجيش الرابع، وفي اليوم الثالث على الجيش التاسع. مشعلاً جبهة من 500 كلم تمنّد من «الدونا» إلى «البريت»؛ فرج الروس في وجه المشاة 37 ، والفرقة المصفحة الوحيدة، التي تولّف مجموعة الوسط. 138 فرقه من المشاة ، و 43 لواء من سلاح الدبابات.

اتسم هذا الرمح الصيفي بابتکار مفجع مرؤٍ، إذ أضيف إلى حشود «أرغن ستالين». وإلى سحق الخطوط الأمامية، تمهد جوّي أذهل الألمان بشدّته وعمقه. أمّا هم فلم يكن لهم في الجو شيء تقريباً. لأنّ الأسطول الجوي السادس، الملحق بمجموعة جيوش الوسط، لم يكن يملك في 22 حزيران غير 40 مطاردة صالحة للاستعمال. إنّه لاقلاط في الأوضاع غريب. يساوي ذلك الذي حصل في «نورماندي» في الوقت

وهكذا ما فتى عاد «هتلر» وعماه وقدره على الشطط والخطا في ازدياد مستمر كلما أوغل في المزيته. فهو يصر على أن نزول الحلفاء في «نورماندي»، والهجوم السوفيتي في «روسيا البيضاء» كليهما، ليس التزول والميوم الحقيقيين. وكما أبقى الجيش الخامس عشر شمالي «السين» جميلاً. فضى بـ«هتلر» أفضل قوات الجبهة الشرقية في «أوكرانيا». والجزئات هم في رأيه المسؤولون تماماً عن المزائم التي أملأها بنفسه، وهو الذي قال معاً: «هيئي رئيس ما لا يمكن استبدال شيء به، ولا يجوز أن يمس في أي حال. أما الجزر الــ٤، فيمكن استبدال واحد منهم بأخر».

في ٢٧ حزيران طوق تجمون الجيش النمساوي حول «بوروسيا»، فجعل «هتلر» ما فعله في «فينيسك» وقرر أن تدافع عن الحصن فرقاً واحدة، فيما يفك معظم الفيلقين ٣٥ و٤١ طوق الحصار. فأمر الجنرال «فون لوتروف» بتدمير العتاد الذي يتذرع تقله، وأنخرط في زلزال كثيف حاول معه أن يفر باتجاه «فينيسك». وراحت ٥٠٠ قاذفة قنابل روسية تدك الحشد الألماني. فيما قطعت عليه الطريق الوحدات المصطفحة التابعة لمجموعة «غورباتوف». فعمدت جمهورة من الجنود الفارين إلى اختيار «البيريزينا» سباحة قصد اللجوء إلى «بوروسيا»، حيث تكتملت في فوضى مقبرة تقلياً نصف ذريعة من الفرق، فلم يتمكن الجنرال «هامان»، قائد الموقع، من تنظيم الدفاع. ومنذ ٢٩ لم يبق في «بوروسيا» ألماني واحد مسائي. ولم يبق من الجيش النمساوي إلا زهاء ١٥،٠٠٠ رجل لا عناد لهم

يستحيل سرد وقائع تبنته المزيمتين الكبارتين، «فينيسك» و«بوروسيا». سرداً مفصلاً دقيقاً، فالمراجع غير متوازنة، وقليلون جداً هم الأسرى الذين عادوا ليراوا التجارب التي مرروا بها وعاشوها. وال واضح مع ذلك أن خراوة المقاومة لا تشبه في شيء سبقات «دييانسك» و«ستالينغراد» و«تشيركاسي» الشهيرة. فقد كان القواد أول المحنين للمقادير. مثل ذلك «لوتروف» قائد الفيلق ٣٥ الذي استسلم مع هيبة أركانه كأنها

لم يسام من الجيوش الألمانية الثلاثة التي تعرضت لهجوم غير جيش واحد هو الجيش الوسط الرابع. فاستاذن «تيليسكيرتش»، قائد الموقف، في العبور إلى وراء «الدنبيبر». ولكنه اصطدم طبعاً برفض «بوخ» الذي يعكس نفس «هتلر»؛ فلم يتصنع للأمر. بل عاد بأجناده إلى الضفة اليمنى. ولكنه لم ينرِّ على المضي في التمرد إلى حد التخلص عن حصتين من حصون «هتلر» المزعومة. أخلت «موهيليف» في اللحظة الأخيرة، أمّا «أوريشا»، التي أقيمت فيها فرقاً واحدة، فقد سقطت عنوة في ٢٧. كانت تلك هي النقطة الأخيرة التي كان الجيش الألماني ما يزال بلا مس بها ثانية الأشهر الروسية. وهذا هو «الدنبيبر» يسيل من ينبعه حتى محبيه في أرض شردة تماماً.

إنقل القتال إلى «البيريزينا». وعدت «بوروسوف» هي محوره. كان سقوطها عام ١٨١٢ بالنسبة للجيش «تابوليون» بمثابة الضربة القاضية التي أرعمت ذلك القائد على أن يذهب إلى نقطة أبعد في الشمال ليطلق فيها جسر بين موقتين. كلّمه عبرهما ما تكلّمه هزيمة كبيرة. كافح «تيليسكيرتش». وكان لا يزال محتفظاً بفيلقين شرقي النهر، في سبيل إنقاذ المدينة، من جبهي «أوكرانيا» الثانية والثالثة اللتين أخذتا تضططران على ضفتين النهر من الشمال والجنوب. فتمكنكت فرق الدبابات الخامسة، وهي أول مدد مصطفى بلغ المجموعة الوسطى، من تحطيم الذراعين الروسيتين المتتدلين على أوتوسرايد «موسكو»، ولكن سرعان ما أعيدت إلى «فينيسك»، حيث أحدث تدمير جيش الدبابات الثالث وضعياً خطيراً

يندر بشر مستطير. وفي ٣٠ حزيران انتزعت «بوروسوف» وجسراها من أيدي الألمان، ولما يزال الوف الرجال يتخبتون في المستنقعات شرقي «البيريزينا».

بقي مئتا متر واحد، هو جسر ميدان أقيم في «البيريزينا»؛ فهاجمه الطيران السوفيتي بلا انقطاع، غاطساً في نيران المدفعية المضادة للطائرات. فقد أجهزة كبيرة، ولكن ملحاً بالجسر أضراراً كان عملاً الجسور الأبطال يصلحونها بصير وجلد. هذا، وفيض من الرجال والعربات ينساب فوق «البيريزينا»، بين الغارات وخالما، حاملاً جثثاً؛ وحطاماً. كانت الحسائر فادحة جسيمة، وقد قُتِلَ على الجسر جرالات ثلاثة. غير أن «تيليسكيرتش» قد احتفظ «البيريزينا» حتى ٣ تموز، وتمكن من العودة بحمل جيشه إلى الجهة الغربية من النهر.

ولكن شتان ما بينه وبين النجاة! فالرمح السوفيتي يرمي إلى البعيد العميق! فقد اتجهت جبهة «البلطيق» الأولى عن طريق «بوروسيا» ناحية «دونا بورغ»، وزحفت جبهة «روسيا البيضاء» الثالثة على «مولودينشن» مارة «بليل»، وقصدت جبهة «روسيا البيضاء» الأولى عبر «سلوتسك» إلى «بارانوفيش». أما المارشال «مولد»، وقد تسلم قيادة الفراغ الذي افتتح على اتساع ٣٥٠ كلم بين «البريت» و«الندين»، فقد استغنى عن تصريحات «هتلر»، فبادر إلى إعادة الجيش الثاني، الذي ما زال سليماً، إلى الحدود البولونية، وخلّى عن موقع «هتلر» الحصينة، وسحب ثلاث فرق مصفحة من مجموعة جيوشه القديمة؛ إلا أن هذه التدابير الشديدة قد أدت متأخرة فلم تنتزع من الظافر ثمار انتصاره. فالمعركة لم تبق غير سباق كبير ومطاردة، يحاول الألمان يائسين أن يفلتوا من الأسر. والروس يطاردوهم لا هم، على طرق مخيفة مقيدة، في بلد عاثت فيه الحرب خراباً.

وبعدما اجتاز الجيش الألماني الرابع مستنقعات «البيريزينا»، توغل في أصقاع حرجية بلغت من الاتساع والكتافة ميلاً خفت معه جلبة الحرب. إنضم الفيلقان ١٢ والـ٢٧ بشكل مربعات متعرجة، وسارت باتجاه الغرب على دروب رملية واسعة حفرت فيها القوافل أخداداً وأثلاماً ضخمة. ولكن عقبات الأرض، ودهامات الأنصار، وفقدان الدخان، والتقدم الذي أحرزه جناحاً العدو، كادت تُعْقد هذا الزراج كلّ أمل. وإذا بسقوط «فينيسك» في يد جبهة «روسيا البيضاء» الثانية، في ٣ تموز؛ يكرس تطويق الجيش. حاول الطيران الألماني أن ينظم حركة تموين جوي. ولكن المحاولة أهملت منذ اليوم الأول؛ فأذعن الجنرال «فاسانز مولر» للأمر واستسلم مع فيلقه ١٢. أما الفيلق ٢٧ فقد تجزأ مفارز تمكن بعضها من الفرار بالاتفاق حول «فينيسك». مدد الجيش الرابع احتضاره، إلا أن التلف قد أصابه أكثر مما أصاب جاريه في الشمال والجنوب.

في الأسبوع الثاني من تموز خفت حدة المعركة الغربية «فينيسك»؛ فرمال غابة «نابيلوتشي»، التي طالما ضاقت الألمان عام ١٩٤١، وقررت لهم فرصة استعادة أنفسهم بتأخير تقدم العدو. فأمر «هتلر» بإيقامة «جبهة مبنية لا ترام»، تز «بيارانوفيش»، فتحorum غابة «نابيلوتشي» الغربية، ببحيرة «ناروش». كان هذا القرار أبعد ما يكون عن المنطق بالنظر لتفاوت القوى؛ فنكبة حزيران ١٩٤٤، وهي أخطر من «ستالينغراد»، قد زادت من الصعف الذي يحارب فيه الجيش الألماني منذ ستين حتى بلغت فيه نقطة لا عودة بعدها. ففي ١٥ يوماً دمرت ٢٥ فرقاً، وفقد ٤٠٠،٠٠٠ مقاتل، وأسر ٢٢ جرالاً؛ ولم يبق من مجموعة جيوش الوسط إلا ما يعادل ٨ فرق، يضاف إليها ٨ فرق أخرى ما برح قيد التلف لرقد الأولى. وقد أحصت أركانها في الجانب الآخر ١٢٦ فرقاً مشاة، و٦

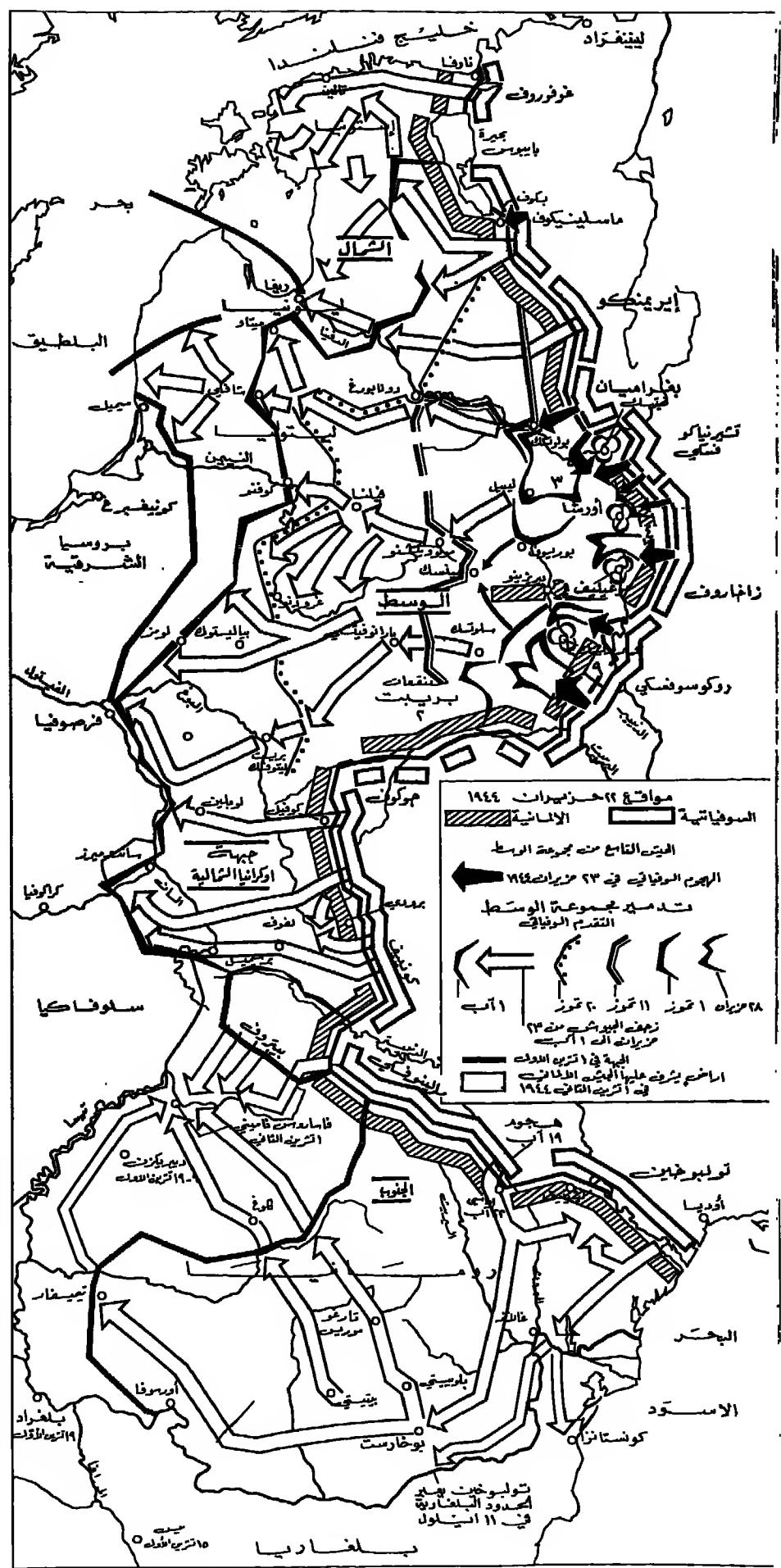
فرق خيالة، و ٦٢ لواء دبابات، فإذا الألمان واحد ضد عشرة ! إستولت الأجناد السوفياتية على «بارانوفيشن» في ٨ تموز، وعلى «ليدا» في ٩ منه، وقضت في ١١ على العناصر الألمانية الأخيرة المطرقة شرقى «مينسك». وفي ١٣ انتزعت «فينا» التي ضحى فيها «هتلر» بسبعين كتاباً كان قد كلّفها بالدفاع عن المدينة «حتى النفس الأخير». تقدم الروس مسافة ٤٠٠ كلم في ٢٠ يوماً، وحرروا أراضيهم بكاملها، ولم توفر استطالة مواصلاتهم للألمان تلك الاستراحة التي كانوا بحاجة إليها لإعادة تنظيم صفوفهم. فما أوقف الرمح في الوسط حتى انتقل إلى الجنائن. فلم تتحصر نكبة الجيش الألماني في المنطقة الواقعة بين «الدونا» و«البريت» فحسب، بل شملت المنطقة الممتدة من «البلطيق» إلى البحر الأسود.

كلّ «هتلر» من سماع «ليندeman» يطالب بانكفاء مجموعة جيوش الشمال إلى «الدونا»، فعمد في ٣ تموز إلى استبدال الجنزال «فريسر» به. ولم تمض سبعة أيام حتى وجّه الجنزال الجديد إلى الفوهرر رسالة شخصية يتبنّى فيها بكثير من الإلحاح مطلب سلفه؛ فاستدعاه «هتلر» وانطلق أول الأمر يهدّه، ثم رفعه بثروة من مزاوجه إلى رتبة جنزال أو بيرست، وأمر بإجراء تبديل بينه وبين «شورنر»، فانطلق «فريسر» يدافع عن «رومانيا»، وكُلّف الرجل الذي تعهد «هتلر» بأنّ «سيبياستوبول» منيعة لا تُنْهَر بالمحاكمة على «البلطيق» حتى الموت !

أما الروس فكانوا قد نشطوا للهجوم، ولكنّ عملهم في جبهات «البلطيق» لم يتسم بذلك الطابع الخاطف الذي امتاز به زحفهم على «فيتسك» و«مينسك»؛ إلا أنّ ضغطهم المستمر قد أرغم الجنسيين الألمانيين على تراجع لا ارتداد بعده، وانتزعت منها «بيليسكو» وأوستروف و«دونبورغ» و«ميتساو» واحدة بعد واحدة، وما قبل ٢٩ تموز حتى بلغت جبهة «البلطيق» الأولى خليج «ريغا» في «تُوكوم»، قطّعت بذلك مواصلات مجموعة الشّمال البريّة، ولم يبق تمونين رجالاً ٧٥٠،٠٠٠ معكناً إلا عن طريق البحر.

وهكذا غدت الأراضي الألمانيّة ذاتها عرضة للتهديد والخطر؛ ففي ٣١ تموز استولى الروس على «كوفنو»، وتحطّت مقدمة مصفحة مدينة «سوالكي» في اليوم التالي فأدركـت الحدود البروسية في «فيلاكوفيتشكي». لم تكن «ريتنبورغ» إلا على بعد ٦٠ كلم ! ومع ذلك تشتّت فيها «هتلر» بشكل كاد يبلغ حدود الموسـ، قائلاً: «إذا رحلت ضاعت «بروسيا» الشرقية»، ذلك أن قنبلة «شتوافنبرغ» لم تبق منه سوى خرقة بشرية؛ فقد أصيب بألام شديدة في المعدة والأمعاء حملت رجال بطانته على الفرزـ لأنـه قد أصيب بتسـمـ؛ وبات لا ينهض من فراشه إلا للتقرير اليوميـ. وكان يقول «لكيـلـ»: «إسـهر جـيدـاـ على أـلـاـ يـحـتـجـزـنـيـ هـوـلـاءـ السـادـةـ أـكـثـرـ منـ نـصـفـ سـاعـةـ ، لأنـ فيـ ذـاكـ إـرـهـاـقـ لـصـوـتـيـ». ولكنـ هذاـ الصـوتـ الخـابـيـ كانـ يـسـعـيـ نـشـاطـهـ بـعـضـ الـأـيـامـ فـيـنـدـفـقـ سـيـلـاـ منـ الـلـاغـةـ الـمـيـسـيـرـيـةـ؛ فـيـ ٣١ تمـوزـ مـثـلـاـ، تـكـلـمـ «هـتلـرـ» دـفـعـةـ وـاحـدـةـ منـ السـاعـةـ ٢٣،٥٣ـ إـلـىـ السـاعـةـ ٠٥،٥٩ـ ، مـعـلـقاـ بـشـكـلـ غـرـبـ عـلـىـ سـلـسلـةـ الـهـرـازـمـ الـمـنـكـرـةـ الـتـيـ جـعـلـتـ المسـافـةـ الفـاـصـلـةـ بـيـنـ الـرـوـسـ وـ«ـبـرـلـينـ»ـ بـمـقـدـارـ ٥٠٠ـ كـلـمـ. قالـ: «ـ الـوـضـعـ لـيـسـ عـلـىـ مـاـ يـظـنـنـ مـنـ السـوـءـ ...ـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـظـرـ إـلـىـ مـيزـانـ السـيـثـاتـ وـالـخـسـنـاتـ ...ـ فـقـدـ تـخـلـصـنـاـ عـلـىـ الـأـقـلـ مـنـ تـلـكـ الـمـطـوـطـ ذاتـ الـمـراـحلـ الـبـالـغـةـ الـطـوـلـ ...ـ وـهـكـذـاـ أـنـيـ «ـهـتلـرـ»ـ حـرـفـهـ فـيـ الدـعـابـةـ السـوـادـ .ـ

«ـ روـسـياـ»ـ مـنـ نـيـسـانـ إـلـىـ تـشـرـيـنـ الـأـوـلـ .ـ



بدأ الرمح السوفيتي جوبسي «البريت» في ١٣ تموز. كان الجيშان الألماني التابع لمجموعة شمال «أوكراينا». المرابطان في عرض سهل منموج يمتد مسافة ٤٠٠ كلم بين «البريت» و«الدنسير». يدعى جيشين مصفّحين — وهما جيش الدبابات الرابع . بقيادة الكولونيل جنرال «بريث»؛ وجيش الدبابات الأول بقيادة الكولونيل جنرال «راوس»—. إلا أنّهما كانا قد اضطرا إلى التخلّي عن نصف دبّاباهما في محاولة لعمية النغرة التي فتحها انحدار مجموعة الوسط في «روسيا البيضاء». كان تحت تصرف الجنرال «هاريبي» خليفة «مول». فرقه مشاة وفرق دبابات يقدّر مجموعها بـ ٦٠ دبّابة. أمّا جبهتها «أوكراينا» الرابعة والأولى فقد شنت هجومهما بقيادة المارشالين السوفياتيين «كونيف» و«بوروف» تحت إمرتهما فرق مشاة و٣٠٠٠ دبّابة.

وّقعت المعركة الألمانية بمنتهى السرعة . فقد خُرِق موقع المقاومة الرئيس المدعو «برنز أو جن» في جانبي «برودي» كلّيهما . وطوقت بالقرب من المدينة ثلاثة فرق تابعة لجيش الدبابات الأول تشمل ٤٠٠٠ رجل. هبّ الفيلق المصفّح الثالث ليجدّها والإفراج عنها. فامض الطيران السوفياتي إحدى فرقه . وصدّت الأخرى بعدما تكبّدت خسائر جسيمة . فرّ الجنرال «لندمان» و«لاش» من الجيب بـ ٥٠٠٠ رجل. أمّا الجنرال «ليندمان» (الذي سيحكم عليه «هتلر» بالموت غيابياً) فقد استسلم باسم من تبقى من المحاصرين . تراجع «هاريبي» إلى ما وراء «البوع». ولكنّ «كونيف» مدد الرمح نحو الشمال . وبعدهما تحطّت مستنقعات «البريت» ضمّ مجده إلى مجده «روكوسوفسكي» في مطاردة مميتة لمجموعة الوسط . وراح المدّ الروسي يتقدّم ويتقدّم ... من «التاريف» إلى «الكربات» على مدى اتساع «بولونيا»؛ وغدا سرد العمليات أشبه ما يكون بأوراق روزنامة تُترّع يوماً بعد يوم .

في ٢٢ تموز تمّ عبور «البوع» في «شوليم». وفي ٢٤ سقطت «لوبلين». وفي يوم ٢٧ سقطت «بياليسترك» في الشمال و«ليمبرغ» و«ستانيسلاف» في الجنوب . وشهد يوم ٢٨ سقوط قلعتين سجلتا اسمهما في تاريخ الحررين العالميتين : «بزيغيل» التي صمدت في وجه حصار طويل عام ١٩١٥ . و«بريست-لينوفسك» التي انطلقت منها عملية غزو «روسيا» عام ١٩٤١ . في ٣٠ تمّ الوصول إلى «الفيسنجل» بالقرب من نقطة التقائه مع «السان». كما تمّ اجتيازه على جهة رحبة في الغد، وفي الأيام التالية تمّ عبور النهر من جديد أمام «بولافي» ومن على جانبها «بيليكا». ومضت القوات الروسية تزحف باتجاه «فرصوفيا». وفي ٣١ تموز بلغ جيش الحرس الثامن ضواحي المدينة في «أوتوفوك» و«جوزيزروف» و«فيليتشكا». واستولى الفيلق المصفّح الثالث . القادم للقائه من الشمال . على «روذميدين» و«فولومين» مقرّاً من صاحبة «براغا» .

«ستانلين» يقف مكتوف اليدين إزاء سحق شوار «فرصوفيا»

إندلعت ثورة «فرصوفيا» في الساعة الخامسة من بعد طهر اليوم التالي، الموافق أول آب. وراحت مفارز . ليس طافن الري غير ساعدة على الزندحمراء وبصاء، تشقق من كلّ صوب . ونهجم المحطة المركزية . ومركز البريد . ومستودعات الجيش الألماني . وجسور «الفيسنجل». وما هي إلا ثوان قليلة حتى كانت مدينة فيها مليون سمة تخبط في خضمّ معركة حامية الوطيس . كانت «فرصوفيا». وهي أول عاصمة احتتها «هتلر». تعيش منذ

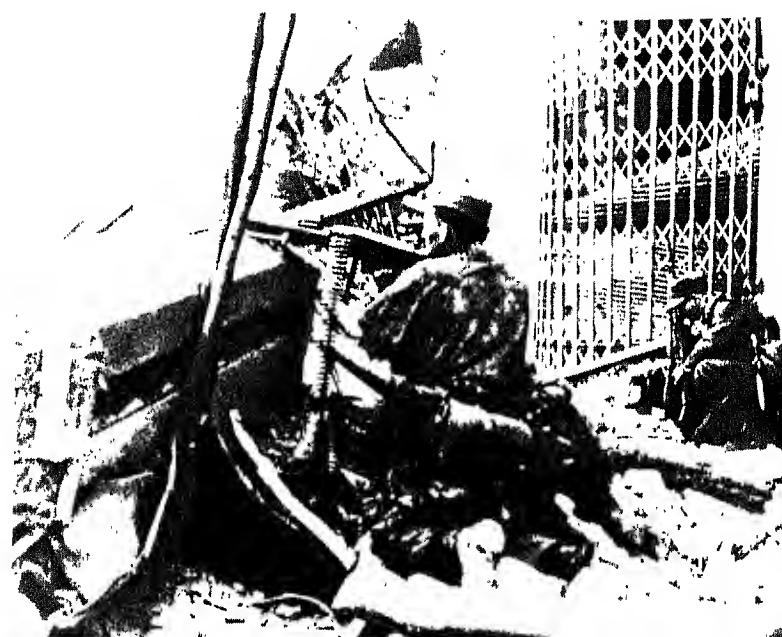


«فرصوفيا» الشهيد البطلة ، في آب ١٩٤٤ .



لم يتكلّم ثوار «فرصوفيا» من الروس حتى ولا خرطوشة ...

فتال بلا رحمة تدور رحاه في الشوارع .



١٩٣٩ حياة كثيبة ومحمومة على السواء. وهي تعكس الواقعية الفاسدة المعقّدة التي حلّت «بولونيا». في البدء أتت هزيمة «فرنسا». ومتانة التحالف «ستالين - هتلر». تبعاً كلّ أمل في انتفاضة وطنية في مستقبل لا يُسبر غوره. فمن الشرق الذي كان منضماً للاتحاد السوفيتي». لم تكن تصلك غير شائعات مشوّشة عن إبادة الطبقات المالكة ونفي السكان. وفي الغرب كانت «المانيا» قد استعادت حدودها كما كانت قبل ١٩١٤ ولكن موسعة بشكل ملحوظ. ولم يبقَ من آثار الدولة البولونية غير حكومة عامة تضم مقاطعات الوسط. وكانت «فرصوفيا». التي خسرت مكانتها لصالح «كراكوفيا». قد فقدت حتى اللقب عاصمة تلك الرقة الدائرة.

هذا وأتت الحرب الألمانية الروسية. وهي بداية ثورة الأمل. تعيد إلى «فرصوفيا» أهمية عسكرية بالغة. فجسراها الحديديان. وجسورها البرية الثلاثة. قد جعلت منها ممراً «الفيستول» الرئيس. كما جعل مرکرها في الوسط منها المرحلة الأكتر أهمية بالنسبة لاموالنحارات الألمانية. فأقامت فيها إدارات عسكرية ونصف عسكرية، وطُبعت فيها جريدة «النابنستان يومستان». كان الدمار الشامل عن حصار ١٩٣٩ سطحيّاً، وبعد ما تعلقت عمليات القصف الإنكليزية الأميركية على «المانيا» شهدت العاصمة البولونية الكبيرة اتساع حظوظها لدى السلطة العسكرية في «الرابع» الثالث.

كانت المؤسسة اليهودية الكبرى تأخذ بحراها في كلّ بقعة من بقاع «بولونيا» التي تعداد ٥ ملايين يهودي من مجموع ٢٧ مليون نسمة. وقد كانت «فرصوفيا» رمزاً لها وتتوسّعاً.

كان موقع الحي اليهودي يقوم وسط المدينة. وراء الحي الحكومي مباشرة. وأرغم الألمان اليهود على إحاطته بخانط علوه أربعة أميال ومحيطه ١٨ كلم. وقد اتّخذ الحائط شكل حرف «T» غير منتظم. فكانت شعبته الجانبيّة تندّ من «ستار مياستو». المدينة القديمة. إلى المقبرة الإسرائيлиّة. وشعبته العموديّة تندّ من محطة القطار الشماليّة إلى حوار المحطة المركزيّة. وكانت القاطر تجتاز هذا القطاع المقصوّن من غير توقف متىحة لراكبيها مجال الإمعان في طرقات تعج بالجسم البائسة. كان الحي اليهودي يكتظ قبل الحرب بنحو من نصف مليون نسمة؛ وقد جاء نحو من ١٥٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠٠ نسمة. طردوا من مقاطعة «بوزن». ومن «فالاريغو». يضيّقون عليه عبئاً ثقيلاً.

أقيمت على مداخل الحي اليهودي مراكز للشرطة. فكان الدخول والخروج محظوريّن من غير إذن خاص بالمرور. وأمّا إدخال المواد الغذائيّة فكان يعتبر جنحة عقابها السجن. ثم إنّ أحكام التقنين كانت تبعد اليهود عن نيل أيّة حصة من اللحم أو الحليب أو المواد الدسمة. مانحة إياهم كيلوغرامين من الخبز شهرياً؛ فقد كان مفروضاً. والحالة هذه. أن يفني اليهود خسارةً عن بكرة أبيهم.

ولكنّهم لم يفينا. فالحائط لم يتمكّن من اعتراض وصول موْن إضافيّة.. كما أن حاجات الجيش الألماني قد أطالت من عمر الحالـة الإسرائيـلية في «فرصوفيا». ففي مئات من المصانع. كان آلاف من اليهود. ذكوراً وإناثاً، يكبّون بإبرهم على قمصان طعامهم وبزائهم يخيطون ويرفّاؤن. وقد رفعت حصة الخبز الشهريّة آذالك إلى ٦ كيلوغرامات. إلا أن معدّل الوفيات قد ارتفع بصورة مفجعة؛ كانت الجثث تلتقط من عن الأرضية في كلّ يوم؛ وجاء انقطاع التيار الكهربائي. وإلغاء كلّ وسيلة للتداشة. يغدقان نصيبيهما على لوعة الجوع وعداشهـ؛ ولكنّ الحيـ اليهوديـ بخدـ داته لم يمتـ.

وكان أول موقف له هو الخصوصـ. قال أحد الناجـين: «لقد تمـ

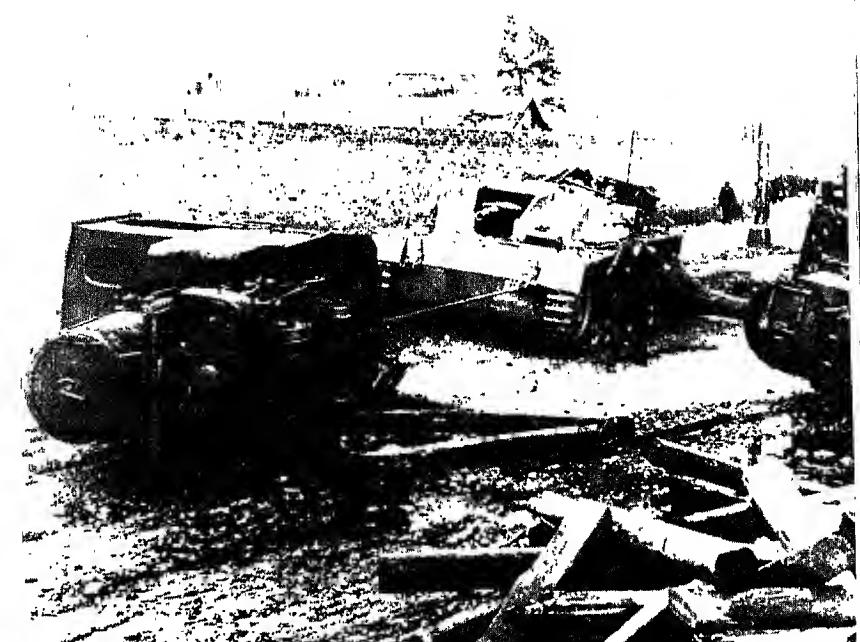


قادفات اللهب تجهز على من تبقى من المقاومين في «فرصوفيا».



الصليب الأحمر يتولى توزيع المؤن في «فرصوفيا».

لقد اتّخذت القاطرات الحديديـة مداريسـ.





فالة من اليهود البولنيين تصل إلى «أوشفيتز».

واحداً واحداً. وقد خرج من المنازل أولئك الذين أرادوا ذلك أو استطاعوا إليه سبيلاً، وانتحر منهم كثيرون وقد ألقوا بأنفسهم إلى الشارع. وأمام أولئك الذين أسلموا أمرهم فقد سيقوا أرثلاً طويلاً مرفوعي الأيدي حتى المقبرة الإسرائيلية. ولكن مجموعات مولفة من ٢٥ إلى ٣٠ مقاتلاً. من جملتهم نساء عديمات، وهن أكثر شجاعة وصراوة من الرجال. قد قاتلت حتى الموت. ولم يعتبر الألمان أنَّ الثورة قد أُخمدت تماماً إلا في ٢٣ أيار في الساعة ٢٠٠١٥ حين نسفوا الكنيس الكبير. وبعدما قضوا على آخر مجموعة من المقاومين قرب ساحة «مورافوسكي». واستمرت مطاردة المنعزلين في الأقبية والمحارير. وتدمير الحي اليهودي النظامي، حتى أوائل حزيران. ولم يبقَ الحائط يترنَّغَ غير صحراء من رماد. وقد انتصب في وسطها سجن «بارياك» وهو المبنى الوحيد الذي نجا من الحراب.

لقد بقي عدد الضحايا اليهود أمراً مجهولاً، وليس لذلك أهمية. إذ أنَّ موتها أشعَّ كان يتضرر الناجين. وأمام الحسائر الألمانية فقد كانت طفيفة: ١٥ قتيلاً، ونحو من مئة جريح. ولكنَّ اتفاقاً على الأساس. يقوم بها قومٌ صموا بالحنون الواثق. قد أحدثت دهشة كبيرة. حتى إنَّ الوثائق الألمانية قد نسبت شراسة المقاومة للأنصار، «للتصوّص» البولنيين الذين سارعوا لنجدتهما التائرين. ولكنَّ اليهود ينكرون ذلك. فالمقاومة الآرية قد أتقنَّت بعض المقاومين، ولكنَّ البريغادوفورر من جهة أخرى، قد أطْرَى في تقريره الشرطة البولندية التي ساعدت بعمق فريد على قمع ثورة الحي اليهودي.

هناك كارثة أخرى. وظاهرة واقعية رهيبة كانت تشيع الاضطراب في «بولونيا». فلقد عُرِفَتْ نهائياً ماذا حلَّ بالعشرة آلاف ضابط البولنيين الذين أسرهم الروس في ١٩٣٩. أجل، فقد كانوا يرقدون تحت الأشجار في غابة «كاتين»!

كانت الحكومة البولندية والصليب الأحمر الدولي يبحثان عن هؤلاء المفقودين منذ ثلاث سنوات. وكان الجنرال «سيكورسكي» قد طرح السؤال على «ستالين»، بهذا الصدد أثناء زيارة قام بها «لوسکو». فأجاب «ستالين»

الوصول إلى معسكرات الإفقاء!



الاعتقاد بأنَّ الوباء سيودي به ٧٠٠٠٠ يهودي. أو ١٠٠٠٠٠. فيكتفى بهذا المقدار. ووجهة النظر هذه قد عرضت في المناقشات الخاصة، كما عرضت في جلسات البالية اليهودية المكلفة بإدارة الحي اليهودي.

ثم لوحظ أنَّ الحي اليهودي راح يفقد سكانه... وقد حدث التفريغ من خلال شارع «ستوك» الذي يقود نحو خطوط السكة الحديدية في محطة الشمال. وفي كل صباح، ابتداء من شهر كانون الثاني ١٩٤٢. حشد في المحطة ٧آلاف شخص في رحلة إلى المجهول، وكان أكثرهم من المتطوعين الذين اقتنعوا بأنَّهم كانوا متجهين نحو معسكرات العمل. وبأنَّهم قد خلصوا من الاختناق الطيء داخل الحي اليهودي.

وفي ذات يوم أبلغت المقاومة البولندية «لندن» بأنَّ «يهود فرسوفياً» كانوا يقلدون إلى معسكرات «ماجدانيك» و«تريلينكا» حيث كانوا يبادرون بإبادة كاملة. وعجبت المقاومة لكونها لم تلقَ لدى الإذاعة البريطانية أيَّ تجاوب على الإطلاق؛ فقد أبى الانكليز أنْ يصدُّقاً، وخفوا الازلاق بناءً على إحدى تلك الشائعات المريرة التي تجتاح البلاد الجائحة تحت كابوس الطغيان والخذلان.

في نهاية ١٩٤٢ مكَّنَ إخلاء الحي اليهودي من تقلصه ثلثة. وبقيت حظيرة ذات شكل مثلث، أسميت «الحي اليهودي الصغير»، قائمة في زاوية طرقيَّي «توارداً» و«بروستراً». في وسط المدينة. في ذلك الحين لم يكن قد بقي في «فرصوفياً» أكثر من ٨٠٠٠ يهودي على وجه التقدير. ولم يكن أحد منهم يرتاد في المصير الذي كان يتنتظره.

وحدث أول مقاومة مسلحة في كانون الثاني ١٩٤٣. فقد قُتُلَ بعض رجال الصاعقة الذين كانوا يقتنصون بعض الناس. فلم تحدث أية ردَّة فعل قط. مما أثار الدهشة العامة، وما كان من الألمان إلا أنْ تلاشوا. وتوقفت وسائل النقل كلها. وراحَت بقايا الحي اليهودي تتقطَّب الموت في غمرة القتال. وراحَت بلدة مقاومة، وهي عبارة عن حكومة حقيقية لمدينة اليأس تملأ، تعمل علينا في الرقم ٣٤ من شارع «ميلا»؛ فراح الرجال يصنعن القنابل اليدوية وقنابل «كوكيل مولوتوف» بواسطة متفجرات وقود لا يدرِّي أحدَ كيف حصلوا عليها؛ وقد اختزلا كذلك كميات من الزاج لتشويه البلداين.

كان يوم ١٩ نيسان وهو اثنين عبد الفصح، اليوم الذي اختاره النازيون للقيام بعملية القمع النهائية. فاجتاحت الحي اليهودي من خلال طرقيَّي «ستوك» و«نيلوكي» أربعة سيارات رشاشة؛ وكانت من جيش الصاعقة، وبعض تشكيلات الشرطة الألمانية والبولندية. وقد نظم العملية البريغادوفورر «شتروب». قائد شرطة قطاع «فرصوفياً»، وكانت تقضي بإخلاء المنازل كافة. وحشد السكان في المقبرة الإسرائيلية بانتظار تقطيعهم إلى المعتقلات.

ولكنَّ ردَّة الفعل قد خفتَ أنفاس المهاجمين بمجاجتها وعنهما. فهروا هاربين. وعادوا إلى اجتياز الحائط تحت نيران تنصب عليهم من الأنبار والسطوط. وهرع كولونيل الصاعقة «فون سامرن» إلى مركز قيادة «شتروب» يطلب إليه أن يستدعي طائرات «شتوك». وما هي إلا ساعات حتى كان زجاج «فرصوفياً» يصطكَ تحت رعد المدفع، وتصاعدت فوق الحائط غمامات الدخان؛ فقد كان الألمان يصفون الحي اليهودي. وراح اليهود يعرّفون المؤسسات التي كانت تعمل لحساب الجيش الألماني. فكان الحي اليهودي يطلق تحديه وهو في زراعة الأخير.

وعاد الألمان في اليوم التالي فدخلوا الحي اليهودي حاملين قاذفات اللتبَّ. وراح المحرقوں يتقدَّمون خطوة خطوة مضرمين النار في المنازل

بالاستيلاء على صاحبة «زوليورز». فقد أخفقت في محاولتها الأولى. وتحتم عليها أن تذهب لإعادة تنظيم صفوفها في غابة «كامبينوس» المتأخرة للمدينة. إلا أن أكثر الإخفاقات خطورة كان العجز عن الاستيلاء على جسور «الفيستول»؛ فصاحب «براغا»، وهي إلى شرق الهر، وعلى بعد ١٠ كم من المدن السوفياتية، قد بقيت، والحالة هذه، منفصلة عن معقل الثورة الرئيس؛ فعمدت الدبابات الألمانية إلى سحق العصياني فيها في بعض ساعات.

وعلى تقدير ذلك كان الجنرال «بور» سيد ستاري مياستو، والجزء الأكبر من قلب «ولا» ومن حيثها العثماني. وإن كانت الجسور قد بقيت بعيدة المدى، فقد أوقفت حركة القل على «الفيستول» بصورة قاتمة، بعد ما كانت تشمل في الليلة السابقة مثني قطار. واستول الثوار على عشرات من المون كبيرة حات موقتاً مشكلة التموين، وعلى كمية من الأسلحة، وحتى على دبابتين من طراز «تيغر» أصلحتا تحت القنابل. وأصبحتا بذلك العنصر المصفح الأول للجيش البولوني المتبع. وأبلغ «بور» (لندن) أنه قادر على المقاومة حتى دخول الجيش السوفيatic إلى «فرصوفيا».

ولكن حدثاً غير متظر قد وقع؛ فقد حشد المارشال «مول» شخصياً قوة إجهاز تضم الفرقتين المصفحتين ٤ و ١٩، وفرقة المظليين «هيرمان غورنخ»، وفرقة الصاعقة «فايكنخ». وأما الفيلق السوفياتي الثالث المدرع، الذي كان قد وصل إلى «فولين» كالسهم، فقد أيد من ٣١ تموز إلى ٣ آب. فضربة الإيقاف هذه كانت شركمة التسديد، ولكن لم يكن لدى «مول» مشاة لاستغلالها، ولا وقد لإعادتها. وفي ٥ آب تلاشت الأزمة. فقد استدعيت قوات الصدام نحو الشمال، حيث كان الخط على «بروسيا الشرقية» ينفتق؛ ولم يبق أمام رأس جسر «براغا» غير فرقة المشاة خائرة، وبعض عناصر الفرق المصفحة ١٩. ولكن قرار «ستالين» قد اتخد؛ ففي ٣ آب استقبل «ميكلوجيك» الذي قدم من «موسكو» في محاولة أخرى للفاوض. وعندما طلب الرئيس البولوني من «ستالين» تجدة الجيش السري أبدى تعجبـاً صاخباً، فقال: «على أي جيش تتكلـم؟ ما قيمة جيش لا مدفعة له ولا دبابات ولا طيران؟» فالمأكـر الذي أصدر في ١٩٤١ مرسوم حرب العصابات «مشياً وعلى ظهر الخيل»، ما زال يصدر لشعوب الأوروبية كافة، والبولونيين خصوصاً، أمر العصياني بقضائهم المجردة، ولكنه يرفض الاعتراف بالرجال الذين استولوا على «فرصوفيا»، وحاجته أنـهم لا يمكنـون الاعتنـدة الكاملـة التي يتمـيزـ بها الجيش!

في «فرصوفيا» لاحظ السكان أن ثمة تحولاً قد طرأ على مجرـى المعركة: فالملدفع الروسي، الذي كان يدوـي على صفة «الفيستول» يعني منذ ٢٥ تموز ، قد هدمـت أنفسـه. وأما الطائرـات السوفياتـية، التي كانت تسيطر على السماء قبل الثورة، فقد تلاشت . وراحت تشـكـلاتـ صغـيرـةـ من طـائرـاتـ «شـوكـاـ» تـضرـمـ النارـ فيـ المـديـنةـ بـأـمـانـ تـامـ . وفي ٤ آب، ولـأـولـ مرـةـ، أـنـزلـتـ طـائـرـاتـ بـرـيطـانـستانـ بـالـمـظـلـاتـ بـعـضـ صـنـادـيقـ الأـسـلـحـةـ وـالـذـخـيرـةـ، وـذـكـ بـفـضـلـ مـيـادـرـ طـيـارـيهـاـ الـبـولـونـيـنـ وـلـاـ رـيبـ . وـفـيـ الـيـالـيـ التـالـيـ عـادـتـ طـائـرـاتـ أـخـرىـ تـنقـلـ الـحـلـدـ الضـرـوريـ الـأـدـنـيـ لـتـعـدـيـدـ الـمـقاـوـمـةـ . كـانـ الـقـوـاعـدـ الـجـوـيـةـ الـرـوـسـيـةـ عـلـىـ مـسـافـةـ بـعـضـ دقـائقـ ، إـلـاـ أـنـ رـصـاصـ سـوـفـيـاتـيـةـ وـاحـدـةـ لـتـقـدـمـ لـقـاتـلـيـ «ـفـرـصـوفـيـاـ» .

وـثـارـتـ ثـائـرـةـ «ـتـشـرـشـلـ»، فـراـحـ بـحـرـضـ «ـسـتـالـينـ»، لـافـتـ نـظـرهـ إـلـىـ السـخـطـ وإـلـىـ الـمـوجـةـ الـمـعـادـيـةـ لـلـسـوـفـيـاتـيـةـ الـلـذـيـنـ تـولـداـ فـيـ «ـإـنـكـلـرـاـ» بـسـبـبـ التـخلـيـ عنـ الثـوارـ . وأـجـابـ «ـسـتـالـينـ» بـأـنـ حـكـومـتهـ إـنـمـاـ تـرـيدـ التـكـرـرـ لـلـأـمـغـارـيـنـ، وـلـتـكـرـرـ الزـمـرـةـ الـمـجـرـمـةـ . وـطـالـ «ـتـشـرـشـلـ» عـندـئـلـ بـأـنـ يـسـمـعـ

بهـجةـ سـاخـرـةـ: «ـإـنـتـيـ إـخـالـ بـولـونـيـكـ قدـ لـاذـواـ بـالـفـرـارـ عـبـرـ «ـمـنـشـورـيـاـ» . وـفـيـ شـبـاطـ ١٩٤٣ـ . عـنـدـمـاـ اـكـشـفـ الـأـلـمـانـ ثـمـاـ حـفـرـ مـشـرـكـةـ بـالـقـرـبـ مـنـ «ـسـمـولـنـسـكـ» . لـمـ يـخـامـرـ الشـعـبـ الـبـولـونـيـ أـدـنـيـ الشـكـ فـيـ الـمـسـؤـلـيـنـ عـنـ تـلـكـ الـمـجـرـةـ الـرـهـيـةـ .

لـقـدـ خـلـقـتـ الـأـنـصـارـاتـ الـرـوـسـيـةـ وـضـعـاـ رـهـيـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـوـاطـنـيـنـ الـبـولـونـيـنـ . فـالـمـقـدـ الذيـ كـانـ يـنـقـدـ بـخـطـيـ وـاسـعـ كـانـ عـدـوـاـ تـارـيـخـاـ لـدـيـهـ مـنـ الـعـزـمـ وـالـعـسـفـ مـاـ لـلـأـلـمـانـ ذـاهـيـ . وـأـمـاـ الصـدـيقـيـنـ الـمـقـبـيـيـ فـكـانـ ذـلـكـ الـإـنـكـلـزـيـ الـبـعـدـ الـعـاجـزـ . وـعـلـىـ أـثـرـ هـلاـكـ «ـسـيـكـوـرـسـكـيـ» فـيـ حـادـثـ طـائـرـةـ . اـرـفـقـ صـوتـ خـلـفـهـ الـصـعـيـفـ «ـمـيـكـوـلـاجـيـكـ» . لـيـرـطـ بـالـآـدـابـ الـإـنـكـلـزـيـةـ وـالـأـمـيرـكـيـةـ حـيـالـ الـحـلـيفـ الـسـوـفـيـاتـيـ . مـسـتـرـلـاـ عـلـىـ جـرـاءـ ذـلـكـ تـعـيـفـاـ قـاسـيـاـ مـنـ «ـرـوـزـفـلـتـ» وـحـتـىـ مـنـ «ـتـشـرـشـلـ» فـقـسـهـ . فـقـدـ كـانـ يـطـالـ بـمـحـدـودـ بـبـولـونـيـاـ الـشـرـقـيـةـ؛ كـماـ رـسـمـتـ سـنـةـ ١٩٢٠ـ . فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ فـيـ الـأـمـيرـكـيـوـنـ وـالـإـنـكـلـزـيـنـ قـدـ أـفـرـواـ «ـسـتـالـينـ» بـصـلـاحـيـةـ مـعـاهـدـةـ الـقـيـسـمـ الـيـ وـقـعـهـ مـعـ «ـهـتـلـرـ» . وـأـمـاـ استـعـادـةـ الـحـرـيـاتـ الـدـيـقـراـطـيـةـ فـلـمـ تـكـنـ أـقـلـ مـعـضـلـةـ مـنـ إـعـادـةـ الـحـدـودـ الـإـقـلـيـمـيـةـ؛ فـقـدـ أـقـامـتـ «ـمـوـسـكـوـ» سـلـفـاـ فـيـ «ـلـوـبـلـيـنـ» الـحـكـومـةـ الـمـوـالـيـةـ الـيـ يـيـتـغـوـهـاـ «ـبـولـونـيـاـ» . وـكـماـ كـانـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ لـلـشـيـعـيـةـ حـامـلـاـ مـعـ قـوـاتـ الـمـقاـوـمـ تـسـخـذـ شـكـلـ حـرـبـ أـهـلـيـةـ، وـلـكـنـ، عـلـىـ خـلـافـ «ـفـرـنـسـاـ»، كـانـ الـجـيـشـ الـأـحـمـرـ مـقـبـلـاـ وـهـوـ بـعـثـةـ الـسـلـطـةـ الـمـدـيـنـةـ لـلـشـيـعـيـةـ حـامـلـاـ مـعـ قـوـاتـ دـبـابـاتـ هـدـمـ الـنـظـامـ الـطـبـقـيـ وـسـيـطـرـةـ الـطـبـقـةـ الـعـالـمـةـ .

كـانـ الـحـظـ الـضـيـلـ الـوـحـيدـ فـيـ إـيجـادـ «ـبـولـونـيـاـ» حـرـةـ كـامـنـاـ فـيـ الـأـنـبـاعـ تـلـقـائـيـاـ إـيـانـ التـحرـيرـ . وـمـنـ ثـمـ، وـبـعـونـةـ الـحـلـفاءـ الـغـرـبـيـيـنـ، الـتـفـاوـضـ مـعـ «ـالـأـتـحـادـ السـوـفـيـاتـيـ» لـإـيـادـ تـدـيرـ لـاقـتـ . وـأـكـبـ رـوـسـاءـ الـجـيـشـ السـرـيـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـعـجـوبـةـ يـسـعـونـ إـلـىـ تـحـقـيقـهـاـ؛ فـرـاحـواـ بـيـهـدـونـ، وـهـمـ الـعـسـكـرـيـوـنـ الـمـحـرـفـوـنـ، فـيـ إـحـلـ الـانـضـيـاطـ الـصـارـمـ وـبـيـادـيـ «ـغـيرـ مـيـادـيـ» الـإـرـهـابـ بـيـنـ جـنـودـهـ الـعـالـمـيـنـ فـيـ الـخـفـاءـ، إـذـ كـانـوـ بـيـغـنـونـ ثـورـةـ مـنـظـمـةـ تـسـخـذـ قـالـاـ عـسـكـرـيـاـ، وـتـعـمـلـ عـلـىـ إـقـامـةـ نـظـامـ قـانـونـيـ عـلـىـ وـجـهـ السـرـعـةـ .

وـكـانـ اـسـمـ الـمـخـطـطـ الـعـامـ «ـبـورـزاـ»، أـيـ «ـعـاصـفـةـ» . وـكـانـ الـقـائـدـ الـأـعـلـىـ الـذـيـ حـمـلـ اـسـمـ الـجـنـرـالـ «ـبـورـ»، هوـ الـكـولـونـيـلـ «ـكـورـوـمـوـفـسـكـيـ» عـيـنهـ، ذـاكـ الـذـيـ أـصـفـيـ صـوـتـ ضـمـيرـهـ فـيـ عـلـىـ أـرـضـ الـوـطـنـ سـاعـةـ أـرـادـ الـانـتـقـالـ إـلـىـ «ـالـحـجـرـ»، وـتـرـكـتـ لـهـ الـحـكـومـةـ الـبـولـونـيـةـ فـيـ «ـلـنـدـنـ» جـالـ الـحـكـمـ عـلـىـ سـاعـةـ الـمـنـاسـبـةـ بـلـاشـرـةـ التـفـيـدـ. لـمـ يـكـنـ «ـكـرـمـلـيـنـ» قـدـ أـعـطـيـ أـيـةـ خـصـفـ «ـبـولـونـيـاـ» كـماـ كـانـتـ سـنـةـ ١٩٣٨ـ . فـالـثـورـةـ يـجـبـ أـنـ تـنـدـلـعـ الـحـالـ . وـإـلـاـ فـلـسـوفـ تـفـوـتـ السـاحـنـةـ أـبـدـاـ. لـقـدـ بـدـأـ الـأـلـمـانـ يـنـصـرـفـونـ، وـقـدـ اـحـتـجـتـ صـحـفـهـمـ عـنـ الصـدـورـ. وـأـغـلـقـتـ مـكـاتـبـهـمـ، وـرـاحـ أـتـيـاعـهـمـ يـحـشـدـونـ فـيـ الـقـطـرـ الـأـخـيـرـ. وـكـانـ جـنـودـهـ يـمـتـازـونـ جـسـوـرـ «ـالـفـيـسـتـولـ» مـشـتـتـيـنـ، وـقـدـ سـاقـ بـعـضـهـمـ أـمـامـهـ بـقـرـةـ . وـهـيـ أـخـرـ اـحـتـيـاطـ مـنـ الـمـطـبـخـ السـيـارـ! وـأـمـامـ لـوـحةـ الـمـزـيـدـةـ تـلـكـ عـصـفـتـ بـسـكـانـ «ـفـرـصـوفـيـاـ» غـطـةـ مـيـرـةـ. فـالـثـورـةـ . وـالـحـالـةـ هـذـهـ . سـتـدـلـعـ مـنـ تـلـقـاءـ نـفـسـهـاـ إـنـ لـمـ يـصـدـرـ «ـبـورـ» أـوـامـرـهـ بـالـثـورـةـ . وـفـيـ أـيـ حـالـ كـانـتـ الـإـذـاعـةـ الـسـوـفـيـاتـيـةـ تـحـثـ الـبـولـونـيـيـنـ بـلـاـ انـقـطـاعـ عـلـىـ حـلـ السـلاحـ، مـوـزـعـةـ لـهـمـ بـأـنـ يـهـاجـمـوـاـ الـعـدـوـ الـمـقـوـتـ مـنـ كـلـ صـوبـ . وـبـكـلـ سـيـلـةـ مـنـ وـسـائـلـهـمـ .

كـانـ الـقـوـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ فـيـ «ـفـرـصـوفـيـاـ» مـكـوـنـةـ مـنـ جـنـدـ الـمـرـحلـةـ وـمـنـ تـشـكـيلـاتـ الـشـرـطـةـ وـالـأـرـادـنـ الـعـامـةـ فـحـسـبـ. وـعـمـ ذـلـكـ لـمـ تـكـنـ مـكـاـسـبـ الـتـرـدـ الـأـلـيـ مـرـضـيـةـ إـلـاـ جـزـيـئـاـ، فـحـوـصـرـتـ الـمـبـانـيـ الـتـيـ كـانـتـ تـحـتـلـهـ الـإـدـارـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ، وـلـكـنـ لـمـ يـتـمـ الـاسـتـيـلاءـ عـلـىـ وـاحـدـ مـنـهـاـ قـطـ؛ وـهـوـجـمـ الـمـطـارـانـ مـنـ غـيرـ جـدـوـيـ؛ وـبـعـدـ مـاـ تـمـ اـحـتـالـ الـمـحـطةـ الـمـرـكـبـةـ بـرـهـةـ مـنـ الـرـمـانـ. عـادـتـ إـلـيـ أـيـدـيـ الـأـلـمـانـ. وـأـمـاـ الـكـيـنـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ مـكـلـفـةـ

دبابات الفرقة الألمانية المصفحة ١٩ للعبور إلى الضفة اليسرى . وبعد ذلك تفجرت الحسور جميعها . وقامت كتيبة من فرقة «برلنغ» البولونية . كانت تعمل مع الجيش الأحمر . باجتياز «الفيستول» الذي كانت مياهه كثيرة الانخفاض ، ولكنها بدلاً من أن تقيم الاتصال بالثوار . عادت إلى الانسحاب معجلة . كان هنالك خطأ هاتفي واحد بقي قائماً مع «براغا» . فحاول «بور» استخدامه للاتصال «بروكوسوفسكي» ، ولكنه لم ي聽 جواباً . وتعطل خط الهاتف . وصمت المدفع الروسي . وهدمت كل حركة على الضفة اليمنى . وعادت الطائرات الروسية إلى الاختباء . وينقذ حصار «فروصوفينا» سستمن .

في ١٦ أيلول سقطت منطقة «تشيرنينا كوف». واحتلَّ الألمان شارع «جيروزوليمسكايا»، وبذلك شطروا القطاع الوسط شطرين. كانت آخر حصة قد وزُعت على الجنود: وقد بدأ المدنُون بعمقون عطشاً.

بقيت هنالك ساعة كبيرة. ففي ١٩ أيلول، في الساعة الخامسة عشرة صباحاً، غادر السكان جميعاً ملاجئهم، غير مبالين بسيطرة المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تتطاير وتحطّل وإيلاً كالبارد. كانت الصبيحة رائعة، وكان المشهد عجيبةً فريداً: فقد قامت ١١٠ طائرات من طراز «ب-١٧» بعملية إنزال في «فرصوفيا» بواسطة المظلات. فألفت بـ ١،٨٠٠ صندوق. وقال «بور» إنَّ تسعة من كلِّ عشرة صناديق قد سقطت في الأحياء التي كانت تحملتها البعضعة أيام خلت ... ولسوف يقصد «بور» حتى ٢ تشرين الأول. وهو اليوم الرابع والستون للحصار. وبعد ذلك. وبعد ما جدد الألمان عرضهم للإسلام مشرقاً، أذعن للأمير الواقع.

في تلك المرحلة من أوائل تشرين الأول ١٩٤٤. كانت «فنلندا» قد وقعت مع «روسيا» معاهدة صلح توْمَنْ لها البقاء. وفي البلاد البالطيقية تمكّن الألمان من فكّ أسر مجموعة جيوشهم الشماليّة، ولكن «هتلر» رفض أن يبعد إلى «ألمانيا» المهدّدة قوّات «شورز». وفي «بولونيا» عرفت الجبهة استقراراً على «التاريف» وعلى «النيستول» وعلى «الفيساليا». وصرح «هتلر» بحدّه: «لقد ولّي الصعب...» وقال كذلك: «لقد كنت مصيّباً. فمصير الحرب يترقرّ الآن في الجنوب».

وفي سبيل الدفاع عن «رومانيا» كان «هانس فريست» يقود مجموعة من «مولدافياء»، وهي بامرة الكولونيل جنرال «فوهرلر»، و«بيسارابيا»، التي أوكل أمره للروماني «ديمير بيسكوس». وكانت قوّاتهما تضم الجيش الألماني الثامن في مجموعة «فوهرلر»، والجيش السادس في مجموعة «ديمير بيسكوس». والجيش الروماني الثالث في المجموعة الأولى. والجيش الروماني الرابع في الثانية. وكان المجتمع يشكّل قوّة لا يُستهان بها. أي ٢٣ فرقة رومانية، و٢١ فرقة ألمانية، منها فرقتا المصفحات ١٣ و ٢٠. منذ الأيام الغابرة من معارك «الدون» كانت القوات الرومانية قد تخاذلت مراراً عدّة. وعلى تقدير ذلك، كانت الجبهة الداخلية قد بقيت متتساسة. ومع أنَّ الديكتاتور «أنطونيسكو» قد تكبّد خسائر فادحة؛ ومع أنَّ وطنه قد تفكّك على يد «ريبيتروب»، فقد بقي مخلصاً للتحالف الألماني. وكان الملك الشاب تافهاً تماماً، ولم تكن هناك أية خشبة من بأسه. وأمّا الملكة الأم، التي عادت إلى «رومانيا» بعد استقالة زوجها، وذهاب المحظى المشوّه «ماجده لوبيسكوس»، فقد كانت معادية للألمان. ولكن يختبر. وأمّا «جول مانيو»، الرئيس السابق لحزب اللاجئين، فقد كان في الظاهر يتوّق للنسفان. وكان السفير الألماني في «بوخارست»، «فون كيلنجر»، وهو قائد غواصات سابق، وافقاً من موقف «رومانيا». قال: «إنَّ المارشال «أنطونيسكو» ينعم بمُوازنة الشعب والملك. لا خوف من قيام أية أزمة حكومية...» وقد كانت «لستر» به ثقة مماثلة؛ قال:

لطائرات الحجـو المـلكـيـةـ الـيـ تـمـونـ «ـفـرـصـوـفـاـ»ـ بـالـمـبـطـوـتـ فيـ «ـبـولـافـاـ».ـ كـماـ نـعـلـ الطـائـرـاتـ الـيـ كـانـتـ تـسـحـقـ «ـأـلـانـيـاـ»ـ ذـهـابـاـ وـإـيـابـاـ.ـ فـكـانـ رـفـضـ سـتـالـيـنـ جـديـدـ.ـ وـأـمـاـ «ـأـروـزـفـلـتـ»ـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ قـدـ عـاصـدـ رـئـيـسـ الـوزـارـةـ إـلـاـ بـحـفـظـ.ـ فـقـدـ تـرـاجـعـ سـرـيعـاـ إـذـ قـالـ:ـ «ـأـنـاـ لـاـ أـرـىـ بـالـمـكـانـ أـنـ نـسـعـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ...ـ»ـ وـحـسـبـ التـارـيـخـ الرـسـيـ لـسـلاحـ الـحجـوـ الـأـمـيرـكـيـ.ـ كـانـ مـوقـفـ قـادـةـ الطـيـرـانـ الـأـمـيرـكـيـ الـكـبـارـ أـصـرـحـ مـنـ هـذـاـ.ـ فـتـالـبـواـ بـقـطـعـ مـهـمـاتـ التـهـويـنـ عـنـ الـبـولـونـيـنـ «ـلـآنـ»ـ مـنـ شـائـهاـ أـنـ تـعـرـضـ عـلـاقـاتـناـ الـطـيـبـةـ مـعـ السـوـفـيـاتـ لـلـخـطـرـ...ـ»

في «فرصوفيا» اتَّخذ القتال أشكالاً وحشية. وقال المارشال «مودل»، إنَّ على أولئك الذين سببوا العصيان بفسادهم ووحشيتهم أن يقمعوه بأنفسهم. فهذا ليس من شأننا نحن الجنود». وعلى الرغم من هذا التصرِّف كان على الجيش الألماني أن يتدخل لتوجيه العتاد الحارق القوة الذي استعمل لإختصار المدينة: دبابات «تيغر»، آليات موجهة «غوليات»، قطع من عيار ٣٨٠، حتى مدافع الماء المائلة «كارل» من عيار ٦٠٠ مم. التي تطلق قذائف من زنة طنين تسحق مجموعة بيوت كاملة. ولكن العميلات كانت بإمرة «همار». ومشاة القمع تضمّ مجرمين تماماً: فوج الصاعقة «ديريليغا بجر»، وأعضاووه جميعاً من مجرمي الحق العام، والكتيبة الروسية «كامينسكي». المختصة بإبادة الأنصار، إلخ. وفي حي «ورولا» ارتكبت أعمال الشغط التي يعجز عن وصفها القلم واللسان، فأليد مرضى المستشفى عن بكرة أبيهم بصورة وحشية، وكذلك المصابون بالسرطان في معهد «كورتي». ورفض «بور» الاقتراض من الأسرى الألمان فلقوا لديه معاملة مطابقة لقوانين الحرب، واستثناء بعض الحالات القليلة.

استمر القتال طوال شهر آب . وأغان الروس والألمان غير مرأة أن مغامرة «فرصوفيا» قد صفعي أمرها، وفي كل مرة كانت محطة إذاعة «بلسكيافكا» تذيع نكدياً طنانًا . واستعاد الألمان السيطرة على «ولا» وعلى الحمى اليهودي القديم . غير أن «بور لم يدخل «ستارا-ميasto» إلا في ٢٩ آب، من خلال المجارير، متحفثًا وراءه تاريخ «بولونيا» التي غدت كتلته من أطلال . كان التوازن ما يزالون يسيطرون على وسط المدينة من حدائق «ساكس» إلى منتهي «لازينيكي»، وكذلك على ثلاث مناطق داخلية هي : «زوبيورز» إلى الشمال التي أعادوا احتلالها، وإلى الجنوب «موكوفوف» و«تشيرنياكوف» .

ولكنَّ الوضيـع كان يتأمـل يوماً بعد يوم . فهـنالك ٢٠ أو ٣٠ حـريقـاً تستـغرـق باـسـتمـرار . وقد غـدا الماء نـادـراً لـغاـيـة؛ وـكان الطـقس بالـحرـارة؛ وـكـانـت دائـرة الـجـلـثـثـةـ التي دـفـتـتـ كـيفـما اـتـقـنـ، أوـ التي لم تـدـفـنـ إـطـلاقـاًـ. تـسـمـ حـجابـ الدـخـانـ الـذـيـ كـانـ المـديـنـةـ تـقـضـيـ تـحـتهـ أـيـامـهاـ وـلـيـاليـهاـ؛ وـراـحتـ الـدـيـزـنـتـارـياـ تـرـهـقـ الـأـجـسـادـ، وـكـانـ شـعـورـ العـزـلـةـ، وـتـقـيرـ رـادـيوـ «ـوـسـكـوـ»ـ يـعـلـانـ الـقـلـوبـ غـمـاًـ. وـمعـ ذـلـكـ، لمـ يـصـنـ «ـبـورـ»ـ لـإـنـدارـ الـأـوـبـيرـعـرـ وـبـنـفـوـهـرـ «ـفـونـ دـيمـ باـخـ زـالـفـكـيـ»ـ الـذـيـ عـرـضـ عـلـىـ الثـوـارـ مـعـاملـتـهـمـ بـوـجـبـ قـوـانـينـ «ـالـاهـاـيـ»ـ إـذـاـ هـمـ اـسـتـسـلـمـواـ، مـتـوـعدـاـ بـيـاـدـهـمـ إـذـاـ هـمـ أـصـرـواـ عـلـىـ المـشـيـ فيـ قـتـالـ يـائـسـ.

في ٤ آياول دمر مصانع الكهرباء تدميراً كاملاً، بعدما يعني يمكّن سحق القذائف منذ بداية الثورة. وفي ٥ استبدَ الذعر «بوبوفيسلا»، وهو حيٌ على فسيفة «الفيستول». وحصل «بور» على وقف لإطلاق النار مدته بعض ساعات ليتيح للمدافعين فرصة مقاومة العاصمة؛ ولكن بضعة آلاف من السكان فجّرّت استفادوا من هذه السانحة.

وفي ١٠ عاد المدفون الروسي فجأة إلى القصص. وفي ١٣ سبتمبر حشود جريئة سطحوا المباني العالية التي صمدت في وجه القصف، لتشاهد الآلام والدماء تتفاقلون في طرقات «براغا». وفي اليوم نفسه عادت آخر



الدبّابات السوفياتية تدخل إلى «بوخارست».

وأمر «هتلر» بإذلال هذه الزمرة، وأمر الطيران الألماني بقصف القصر الملكي، محدثاً تأثيراً شديداً، ولكن قليلاً من الأضرار. وكانت ردّة الفعل هي إعلان «رومانيا» الحرب على «ألمانيا»، وإصدار أمر إلى القوات الرومانية بهاجمة الألمان! وتنج عن ذلك فوضى غامرة: راح السوفيات يتقدّمون خلالها من غير أن يلقوا أيّة مقاومة، وأنهار كل شيء وسط الركام!

سقطت «بليوسي» وحقول النفط في ٢٩ آب؛ وسقطت «كونستانتزا» في ٣٠، و«بوخارست» في ٣١. وفي ٥ أيلول أقام الروس الاتصال مع عصابات «تيتو» في «تورنوفيسفيرين». وكان البلغاريون قد حذروا حلفو «رومانيا»، فأعلنوا الحرب على «ألمانيا»، ولكن «روسيا» أعلنت الحرب عليهم، ولم يتمكّنا من تفادي الاحتلال بلدهم احتلالاً كاملاً. وفي أوائل آب كان «هتلر» قد أعرب مجدداً للmarsال «فون فايكنغ» عن عزمه على الدفاع عن «البلقان» بكمالها، وإذ به الآن مرغم على إصدار الأوامر بالخلاء المجلّ عن «كريست» و«اليونان» و«يوغوسلافيا». واجتازت «الكربيات» من غير قتال، وتم اجتياح «المجر»، وراحت الحرب ترافق «ألمانيا» في الجنوب ومن الشرق في آنٍ معاً!

مسيرة فردوجة باتجاه «طوكيو»

لا بدّ من عودة وجيزة إلى المحيط المائي، لنشهد حرّاً تدور رحاها على مسرح جغرافيّ أوسع كثيراً، ولكنها تسير بخطىًّا أبطأً كثيراً. في ١٢ آذار ١٩٤٤ قرر رؤساء الأركان السّтратيجيّة الأميركيّة الخاصة بالمحيط المائي، قمة عمليّة تنتهي، هي إخضاع «رابول». وهناك عمليتان أُخريان تبدآن، هما مسيرة الجزائر «ماك أرث» والأميرال «نيميتر» المتوازيتان باتجاه «طوكيو». فيما يسير الأول عبر الماء، الغربي، يمضي الثاني عبر الماء الأوسط. وقرّرأي المخططين الأميركيّين أخيراً، وقد أدركوا ضخامة القرفة الموضوعة تحت تصرّفهم. على اعتماد طريقين منفصلين في آنٍ معاً: ففيما يعمد «ماك أرث» إلى طريق الأدغال، أي «غينيا الجديدة» و«المولوك» و«الفيليبين»، يلجم «نيميتر» إلى طريق جزر المرجان، أي «المارشال» و«الماريان» و«الكارولين» و«الباليونين».

«سوف أبقى ناعم البال ما دام «أنطونيسكو» يأكل هناك». وقد قال «أنطونيسكو» نفسه «لغوربيان» معلقاً على محاولة ٢٠ توز: «لا مجال للتفكير بمحدث خيانة كهذه عندنا. فيإمكانني أن أنام هناك، وأ Rossi بين أقدام جرالاتي ...» هاجم الروس في ٢٠ آب . فقامت جبهة «أوكراينا» الثانية بقيادة «مالينوفسكي» ضد «فوهرر» . وقامت جبهة «أوكراينا» الثالثة بقيادة «تولوخين» ضد «ديميريسكو» . سدد الأول ضربته إلى ما بين «البروث» و«السيريث»؛ باتجاه المخوب، وضرب الآخر ضربته منطلاقاً من رأس جسر على «الدنديستر» ، باتجاه الغرب . وكان المجهودان متوجهين نحو «غالاتس»، وهما يهدفان إلى تطويق نائمة «كيشينيف». وكان «أنطونيسكو» نفسه قد طلب إخلاعها، عارضاً التضحية بأرض رومانيا لقصير الخطوط والإفراج عن قوات الاحتياط . ولكن «هتلر» لم يرض بذلك.

لم يصب أي هجوم سوفياتي من قبل ما أصابه هذا الهجوم من نجاح سهل. فمنذ ٢٣، أقام «مالينوفسكي» و«تولوخين» اتصالهما على «البروث» بين «ليفوا» و«كاهو» . لم يقاتل الرومانيون فقط . وفي بعض الأماكن ارتدوا على حلفائهم! وقد فقدت ست عشرة فرقة مائية، بعدها قطع عليها سبيل التراجع .

لم يكدر نهار الكوارث هذا ينقضي حتى كانت الصاعقة تشقّ مقرّ «فريزر» العام في «سلاميا»، ومن ثم مقرّ «هتلر» العام في «رسنتبورغ» . فالمملّك «ميتشال» قد استدعى marsال «أنطونيسكو» وأوقفه في داخل القصر الملكي. إنّ هذه المكيدة لصورة طبق الأصل عن تلك التي أُردت «موسوليني» من ناحية البواث و من ناحية المظاهر على السواء: فالمملّكتان قد رضيّت بالطفاة في الزمن الذي كانوا فيه يجرّون عليها السلطة والفائدة، ولكنها أدركت مع تقلب الأوضاع هول السلطة الشخصية، وفي مجهود يائس لتمديد البقاء المتجمّد فيها راحت تقضي على الرجال الذين ربطت مصيرها بمصيرهم!

ولكنّ الفارق مع الصيف المنصرم هو أنّ الأمور هنا كانت تسير بسرعة . فالروس على وشك الوصول؛ ومنذ الساعة ٢٠ طلبت الحكومة الرومانية الجديدة الحصول على هدنة. وأبلغ الجنرال «غريستبرغ» ، الملحق الجويّ الألماني، يقول إنّ الانقلاب من فعلة «زمرة ضئيلة من الجنّاء» .

يسهر متيقظاً على تلك القواعد، بانتظار وصول بعض النجادات ليسدّ بها الثغر التي فتحتها في صفوفه هزائم «بابوازيا». أمّا سالة «ماك أثر»، فقامت على الفرز فوق هذا الحشد المعادي للبروز غرباً في قطاعات أقل تحسيناً.

لم تكن «هولنديا»، الواقعة على ٦٠٠ ميل غربي «هنساباي». تتوقع شيئاً. وقد كانت هذه المحلة البالغة الصغر؛ الواقعة على خليج «هومبولت» أفضل خلجان الساحل، سوقاً لطيور الجنة. ولقد هجرت تقريراً من أول تلك التجارة الشعرية. ولم يلق فيها اليابانيون غير جماعة من المسلمين بينهم بضعة ألّان أرادوا التوصل بالمحالفة فعولوا بوحشية لم يُعامل بها المرسلون الهولنديون أو الانكلزيز^١. كانت مطارات ثلاثة قيد البناء في الداخل، بين خليج «هومبولت» وخليج «تاتاميره»، ورام الشاشة السامة الكثنة التي ترسّمتها سلسلة «سيكلوب» الساحلية؛ وأمام بحيرة «ستاري» الموجلة المترجة. سارت الأعمال مدة طويلاً ببطء واسترخاء. إلا أنَّ الانتصارات الأميركيّة قد بعثت فيها النشاط، ووصل الأميرال «بيشيكازو إندو» قبل ذلك بأيام كي يستحوذ نخوة العمال.

أنت المفاجأة تامة. في «هولنديا»، وجّد الأميرال «ماك أثر» الفطور الياباني ساخناً! وبعدما حجرت المذلة^٢ الأميرال «إندو» أول الأمر. ارتدى برتته الرسمية وذهب نحو جبال «سيكلوب»، حيث فقد أثره إلى الأبد. وفي خليج «هومبولت»، حيث نزلت الفرقة الـ٤١، لم يجد أيَّ أثر للمقاومة. ولم تلق الفرقة الـ٢٤، التي نزلت في خليج «تاتاميره»، غير مقاومة الطبيعية. ظنَّ النازلون أنَّ بوسهم استخدام شاطئين تفصل بينهما ثلاثة كيلومترات، فإذا الأولى، وهو الشاطئ رقم ١، يتصل بمسقط لم يحسب له أي حساب، وإذا بالرجال الذين يلجمونه يغرون كالحجارة في بحر من الخصبة بدا ثابتاً كالمرج. ومع هذا غامرت سريّة تابعة للواء المشاة ٢١ بالنزول باحثة عن طريق يصلها بالشاطئ رقم ٢، فاقتضى اجتيازها للkilometres الثلاثة، أربعاً وعشرين ساعة. وأخيراً قرر الأميركيون العودة إلى سفن الإنزال للنزول في مكان آخر.

وفي اليوم التالي خدم الخطَّ اليابانيين خدمة مدهشة لا تصدق؛ فقد تحكمت قاذفة القنابل الوحيدة التي بدت في سماء «هولنديا» من إصابة مستودع للنحاس فأضرمت فيه ناراً هائلة، وانتزعت من الأميركيين كميات ضخمة من النحاس قد استولوا عليها، ودمّرت جزءاً كبيراً من النحاس الذي حملوها. وبالرغم من هذا الحريق نجحت الحمولة بمن�اً كاملاً. فقد التقت الفرقتان ٢٤ و ٤٠ في المطارات ولم تفتقدا إلا ٤٠ قتيلاً، فيما أيدَ أكثر من ٣،٠٠٠ ياباني طردوا في الدغل. وما لبثت الأعمال، التي بوشرت في الحال، أنْ جعلت من «هولنديا» إحدى القواعد الكبرى في جنوب المحيط الهادئ^٣.

وفي شرق «هولنديا» نزلت كذلك الفرقة الـ٤١ في مركز إرسالية «إيتاب» الصغيرة. كانت هذه الحركة ترمي إلى تركيز حامية جانبيّة في وجه الجيش الياباني الثامن عشر الذي كان ينبعي ترقب عودته العادمة. وما لبث فيلق بقامله، يقوده الجنرال «شارلز ب. هال»، أنَّ التحق شيئاً فشيئاً بفوج المشاة ١٦٣ على مجري «الدرنيمور» الذي يسيل بعياه الطامية في دغل خاتق. فقد أراد «ماك أثر» أن يحمي مؤخراته وهو يتبع تقدّمه نحو الغرب^٤.

هكذا وضع الخطأ^٥، وراحت تطيقاتها تتالي؛ ففي ١٨ أيار استولى الأميركيون على جزيرة «واكدي» الساحلية، ثم عادوا إلى الساحل للاستيلاء على مركز «سارني» الإداري الصغير، بعدما خاضوا غمار معركة قاسية في فجاج «لون تري هيل». وحملتهم خطوطهم التالية، في ٢٧ أيار، إلى جزيرة «بياسك» الواقعة وسط الخليج العميق الفاصل بين

أما التريلث الثالث فهو الجنرال «ستيلوبل»، الذي ما فتى يتعجّب في «تشونغ-كينغ» بين الدسائس الصبيانية ونظريّات «واشنطن». أمّا العمليات، التي أخّرها معارضته «تشرشل»، فقد بدأت في «برمانا» وهدفها الإفراج عن «تشانغ كاي تشيك»، وإضرام نار الحرب من جديد في «الصين». والتمهيد لغزو «اليابان».

أصبح تعطيل «رابول» أمراً واقعاً، فهناك سحب من قاذفات القنابل تطلق بانتظام لتسحق ذاك المرأف الصغير الذي غدا، برهةً من الزمن، محور الحرب الدائرة في المحيط الهادئ^٦؛ وتاتي البارج الأميركيّة، بين حين وحين لتتذرّب على قصف «رابول». تحت هذه الضربات كلّها لم تبق القاعدة الجوية البحرية صالحة للاستعمال قطعاً، وعلى كلّ حال، لم يكن لها معنى إلا كمنطقة هجوميّة على «زيلاندا الجديدة» و«أوستراليا»؛ والحال أنَّ اليابانيين قد تخابروا منذ زمان بعيد عن أيّة فكرة توسيعية جديدة، وكلَّ ما باتوا يفكرون به الآن هو الدفع عن محظوظ حويّ معلوم.

ومع ذلك لم يخلوا عن «رابول». فقد حفروا تحت الجبال ٥٠٠ كلم من الأنفاق والسراديب، ولم تامّ خاصيتها عمليات القصف التي عطلت القاعدة سوى جسائير طفيفة. أمّا القيادة الأميركيّة التي تتخيّل حزن الدماء فقد تخافت عن فتح لا ترى فيه إلا إرضاء طيبة وفوض. وهكذا انتظر يابانيو «بريطانيا الجديدة» و«إيرلندا الجديدة» الـ١٠٠،٠٠٠ المحاصرون في الحياة نهاية الحرب وأمر الأمبراطور ليسلموا إطساً «ماك أثر» من ناحية «رابول». وغداً يوسعه أن يباشر مسيرةه باتجاه الغرب. وقد تمكّن، بالرغم من إزعاج «واشنطن» بدوي شكاوه. وبالرغم من مواصلة تغذيته للرأي العام المتّهِب المستنكِر من تصريحية «المادي» على حساب «أوروبا»، من حشد قوات ضخمة مهيّة في منطقة جنوب شرق المحيط الهادئ؛ فارتفاع عدد الرجال الخاضعين لإمرته إلى ٧٥،٠٠٠ بين طيارين وبختارة وجنود؛ فالآلوّون يشكّون سلاح الجو الخامس بقيادة الجنرال «جورج ل. كيني»؛ ويولّف البحارة الأسطول السابع الذي يقوده الأميرال «توماس ل. كنكايد»؛ ويولّف الجنود ٨ فرق أميركيّة، و٧ فرق أسترالية، يقودها إسمياً الجنرال الأوسترالي سير «توماس بلامي»، يهدّ أنَّ شخصية «ماك أثر» السيطرة المهيّة كانت ترکز وتنسق وتحبّ كلَّ شيء.

لم تكن الحرب حتى ذلك الحين قد لامست إلا قليلاً ذاك العالم الضخم الشرس الذي تشكّله «غينيا الجديدة». فالساحل الجنوبي وحده كان مسرح العمليات. فقد نزَّ اليابانيون قواعد جوية وبحرية صغيرة على طول الحدائق النادرة. وعلى الجنرال النادرة، وعلى السهول الساحلية النادرة. أمّا فكرة «ماك أثر» في المناورة فتقوم على تخطي بعضها، واحتلال بعضها الآخر قصد التقدّم. انطلاقاً من مركز استناد إلى مركز آخر.

على غرار متساقط الجبال الذي يتسلّق القنة الصخرية الشاغحة متقدلاً من تنوّع إلى تنوّع. ولابدّ وصوله إلى «فوجيلكوب»، شبه الجزيرة التي تشبه بشكّلها رأس عصفور. وتنتهي بها «غينيا الجديدة» ناحية الغرب، لن تكون «مندناو». وهي أقرب جزر «الفيليبين»، إلا على بعد ٥٠٠ ميل بحري. تنتشر خلافاً لجزر أرخبيل «المولوك» انتشار الحجارة في مجاز النهر. في ٢٠ نيسان ١٩٤٤ أبُرعت من «فتشهافن» قوة برمائية جبارة، وغادرت وسط المحيط الهادئ حاملات الطائرات التابعة للأسطول الخامس التي أغارها «نيبيتر» لتساعدها وتحميها. ولقد استُخدمت الحيل الكلاسيكية كلّها لإخفاء وجهة سيرها. ولم يكن اليابانيون في أية حال ليتوقعوا هجو ما على غير القواعد الثلاث التي بقيت في حوزتهم في القسم الشرقي من «غينيا الجديدة»، وهي «مادن» و«هانسا باي» و«ويوك». وكان الجيش الثامن عشر الصغير، بقيادة الجنرال «هانزو أداشي»،

الجديدة الغربية» أداد جوية بحرية ضخمة. فأبخر اللواء الرابع البرمائي من «الفيليين» على متن سفن حربية، إلا أن قيادة العملية أتت تبيّن أفال السالة اليابانية، فقد ارتدت حملة أولى تتألف من بارجة و ٤ طرادات و ٦ مدمرات على أعقابها في ٣ حزيران، بناءً لتقدير خاطئ وضعه كشاف خليل إليه أنه قد أبصر بعض حاملات الطائرات. وأعادت المدمرات الكثرة وحدها في حزيران. وهي تقطّر قوارب مسطحة تقلّ الجنود. فأعرّفت تشكيلها من طائرات «ب-٢٥»، «الماروسامي». ثم لاذ الأмирال ساكونجو بالفرار ملتفاً قواربه المسطحة أمام أسطول يقوده الأмирال الانكليزي «كرتشلي»؛ فتفقّبته الكومودور «جاريل» بسرعة ٣٥ عقدة على رأس ٨ مدمرات أميركية؛ فأصاب «الشيراتسو»، إلا أن الليل. وأمراً بالعودة صادراً عن «كرتشلي». قد تصافر لإنفاذ الفرقة المعادية.

لم تكن «بياسك» في الواقع غير نسخة موجزة واهية عن «غواداركانال»؛ فقد تكّن بعض مقتضبي الحصار من إدخال ١٠٢٠٠ رجل تقريباً. وهي قوة أضعف من أن تبدّل مصير المعركة. سقط المطارات الأخيرة في ١٨ و ٢٤ حزيران، وتلت ذلك حرب كهوف دامت حتى ٢٠ آب. فأسر الأميركيون ٢٢٠ رجلاً من ١٠٠٠٠ ياباني؛ أمّا الباقيون فقد سقطوا صرعى الرصاص، أو انحرروا، أو ماتوا جوعاً.

ودارت شرق «هولنديا» رحى معركة أخرى؛ فقد تلقّي «أداشي» أمراً بإعادة جيشه الثامن عشر نحو «فوجيليكوب» بطريق الأدغال. لم يكن الأمر قابلاً للتنفيذ، فأثار أن يهاجم الخطوط الأميركية على «الدرلينيور». فتمكّن من عبور النهر في ١١ تموز، غير أن فرقة الثلاث لم تكن تضمّ غير ٢٠٠٠ مقاتل، ففتحت بهم الحملة الأميركيّة المعاكسة فتكاً ذريعاً، فعاد «أداشي» إلى «ويواك» بخطام تنهشه الحمى. وبعد «بياسك» استولى الأميركيون على جزيرة «نويفور»، وفي «فوجيليكوب» تركوا قاعدة «سورونغ» الرئيسة جانباً مكتفين بمدرجي «مار» و«ستسبور» الجويين. وختمت بذلك العمليات الهجومية في «غينا الجديدة». ولكن قنابل المدفع والطائرات أخذت في ١٥ أيلول تتصدّف جزيرة «موروتاي». فيما راحت قوارب الإنزال وسفنه تشقّ عباب اليم متوجهة إليها في خطوط باتت معهودة أليفة.

لم تكن «موروتاي» تعني بلوغ «الفيليين». ولكنها «المولوك» على كلّ حال. وهو هو «ماك أثر» يفلّ راجعاً.

«نيمييتز في كواجاليف» و في «سانايان»

بدأت المسيرة إلى «طوكيو» عبر طريق الجزر المرجانية في تشرين الثاني ١٩٤٣، وذلك على أثر احتلال جزر «جيبريت». وكانت المرحلة الثانية هي أرخبيل «مارشال» الذي كانت مجموعات جزر الصغيرة الـ ٣٢ مبعثرة فوق مساحة تبلغ ضعفي مساحة «فرنسا». ما بين خطّي العرض الشماليين ٥ و ١٢.

وهناك ندخل منطقة كانت «اليابان» تعتبرها. ممدّ مرحلة ما قبل الحرب. ملكاً شرعياً لها. بعدما منحتها جمعية الأمم انتداباً على «المارشال» و«الكارولين» و«المارييان» (باستثناء «غواام»). وكانت اليابانيون قد تجاهموا فقرات الانتداب التي تحظر استخدام الجزر العسكرية؛ بعد انسحابهم من جمعية الأمم، احتفظوا ببرودة... الذي منحتهم إياها. وكانت «المارييان» أقرب الأرخبيلات الثلاثة إلى «اليابان». وأمّا «الكارولين»، التي كانت تبعد من الغرب إلى الشرق. فقد كان مركزها قاعدة «ترالك» البحرية الكبيرة التي



الفرقة ٢٤ تنزل في خليج «تاناميرو».

كتلة «غينا الجديدة» وشبه جزيرة «فوجيليكوب». فأمسّت «الفيليين» على متناول قاذفات القنابل.

إلا أن أيام الحرب لا تشبه: «بياسك» جزيرة ذات أرض صعبة القيادة. تكسوها نباتات ليس لرعايتها مثيل، وتتوارى فيها كهوف هائلة الاتساع. فتبين أن قوات المجموع، التي تشمل فوجين تابعين للفرقة ٤١، ضعيفة. فيما قوات الدفاع، الخاضعة لسلطة قائد نشيط هو الكولونيل «كوزوبي»، كانت تضم فوج المشاة ٢٢٢، وهو أحد أفضل أفراد الجيش الإمبراطوري. عرقلت التيارات وصخور المرجان عملية التزحلق إلى البر، فشابة بعض القوضى. أمّا الأهداف فمعطارات ثلاثة قد بنيت جنباً إلى سهل صغير، وهي «موكمرا» و«بوروكو» و«سوريدو». ولكن الفجاج التي امتدت دونها قد أوقفت المهاجمين وأرغمنهم على تنظيم محاورة ساقتهم إلى المرتفعات، وأرغمنهم بالتالي على استقدام أجناد جديدة، وحتى على استقدام جنرال جديد سبق له أن تميّز في «بونا» و«هولنديا» هو «إيشلير جر»؛ فلم يسقط مطار «موكمرا» إلا في ٨ حزيران. ولم يكن صالحاً للاستعمال نظراً لانبساطه تحت مواجه اليابانيين.

لم يرد اليابانيون على هجومي «هولنديا» و«واكدي». ولكن ما أبدته فصيلة «كوزوبي» من بسالة في المقاومة أهاب بهيئة الأركان الإمبراطورية العامة أن تجعل من «بياسك» نقطة توقف. فوحّشت سطر «غينا

جرحي أوستراليون وأميركيون يحيط بهم السكان قرب رأس «أندياديروز».



مروعاً، وقد بقت قواهم البحرية والجوية في «الكارولين» بلا حراك. وفي جزر «مارشال» نفسها سلمت ست من قواعدهم النهائية من المجموع. ولكن «شل» حرركها كان فعلاً لدرجة أنه تذرّع عليها التدخل. ولسوف يكفي الأميركيون فيما بعد بالاستيلاء على «إينويتك». مهملين القواعد الأخرى حيث راحت الحاملات اليابانية تحضر ببطء حسب القاعدة المزعية. وقد برهن النصار جزر «مارشال» للأميركيين أن سرتاجية جزر المرجان كانت مصيبة. فقد كانت تتطلب جهوداً عنيفة، ولكن متباعدة ووجيزة. وكانتتمكن من استغلال سيادة البحر وسيادة الجو بصورة شاملة. وهي كذلك تدفع بالغزاة نحو «اليابان» بثبات عريض. وتسمح بأن تستخدم في قصفها القاذفات الضخمة «ب - ٢٩» التي كانت قد خاضت ميدان الخدمة بعد تغلبها على بعض الصعوبات. ولكن خاصية الرجال الكبار هي تعام سادج عن كل ما يعارض مجرى أعيتهم المطلقة. ففي الوقت الذي استولى فيه «نيميتس» على جزر «مارشال» لم يكن «ماك أرثر» قد تحرّك بعد نحو «هولانديا». وهو إلى ذلك قد أكد أن التحرّك كان «اندفاعاً ضعيفاً». وراح يطالب مرة أخرى بأن توسيع قوات الهادي، بكمالها تحت إمرته، حين لم تبق هناك أية طريق سرتاجية أخرى نحو «اليابان» غير طريقه هو. لا وهي «الفيليبين». وطالب آخرأ بالتخلي عن العمليات المخططة لإنجاز غزو جزر «جلبرت» و«مارشال». وخللت شهر شباط مناقشات حادة. وبمهمة عاصفة قام بها إلى «واشنطن» «ريتشارد ك. ساز رلاند» رئيس أركان «ماك أرثر» العامة. إلا أن إقفال الأميركي «كينغ» وحياته سوف يفتقدان سرتاجية الهادي الأوسط. في الوقت الذي كانت فيه عملية غزو «أوروبا» قيد الإنجاز، بوشر تحقيق عملية برمانية ضخمة أخرى في الطرف الآخر من «فورمانديا».

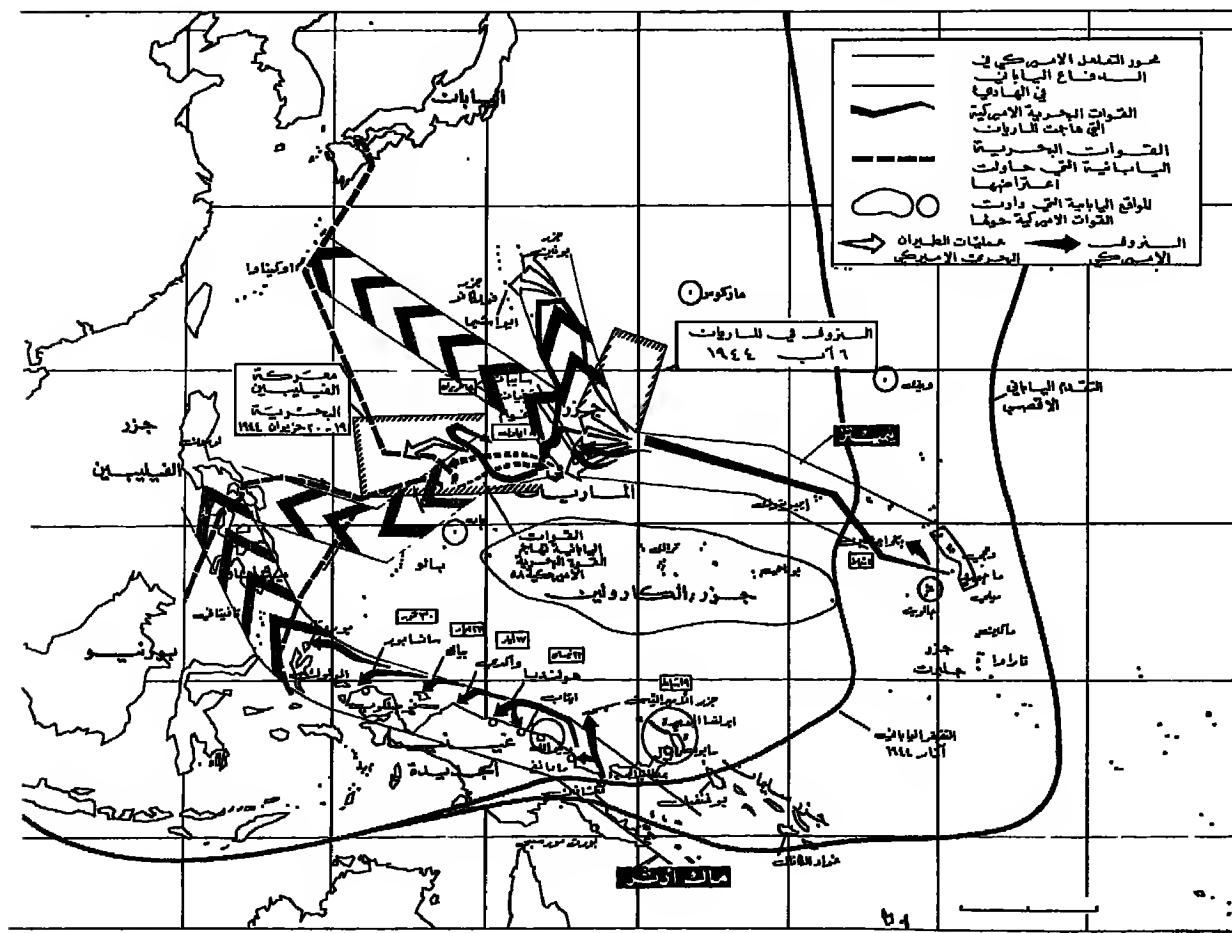
انطلق منها السهم الياباني نحو «أستراليا». وعلى مسافة ١٠٠٠ ميل إلى الشرق. وفي وسط الماء. كانت «مارشال» قائمة في منتصف الطريق ما بين «الفيليبين» و«هاواي».

قرر الأميركي «نيميتس»، على الرغم من معارضة قواده. أن يهاجم قلب الأرخبيل نفسه. ألا وهو «كواجالين». وهو أكبر مجموعة جزر مرجانية في العالم. إذ يتألف من ١٠٠ جزيرة صغيرة تبتعد عن أرض تحمل الشاطئ عن كثب، ويبلغ محيطها ٢٠٠ ميل. وكانت هنالك نقطتان لهما أهمية عسكرية. هما: «كواجالين» الواقعة جنوب البحرية. وجيرتان صغيرتان تصل الواحدة بالأخرى كثلاً أرض صخرية. وهما «روا» و«نامور» إلى الشمال الشرقي.

إنَّ الدروس التي لقنت في جزر «جلبرت» قد طُبِقت بصورة تامة. فمحمِّم النار التي راحت تنصب على كل واحد من الأهداف الثلاثة كانت تبلغ ثلاثة أضعاف ما أُغدق في «تاراوا». وقد استُخدمت موجات المجموع في فرقة المشاة البحرية الرابعة. في «روا» و«نامور». وكذلك موجات هجوم فرقة المشاة السابعة في «كواجالين». بضمّ مئات من الحرّارات والدبّابات البرمائية فانقضت على المدافعين الذين أصابهم القصف بالذهول. وأُطلق المجموع في الساعة التاسعة من نهار ٣١ كانون الثاني. فكان اليابانيون يموتون بسرعة. وفي غضون ٧٢ ساعة انتقل المدافعون إلى ٨٠٦٧٥ من الحياة إلى الموت. باستثناء ٢٦٥ أسيراً ثلثاهم من العمّال الكوريين. ومن جموع الـ ٤١٤٦ من الجنود ومن مشاة البحرية الذين اشتركوا في المجموع كانت خسارة الأميركيين ٢٧٢ قتيلاً ومفقوداً.

بالنسبة للإيابانيين كان هذا النصر الأميركيِّ الكامل والفاائق السرعة.

العمليات في المحيط الهادئ، (شباط - آب ١٩٤٤)



«هيدويشي أوبي»، والفرقة المدعومة ٤٢ بقيادة الجنرال «يوشيتزرو غرو سايتو». وكانت عدّة الحامية، بما فيها التشكيلات البحرية، تبلغ ٦٤٩، ٣١ رجلاً. وكانت تحتلّ الجزر الأخرى عدّة دون هذه العدة: ١٨،٥٠٠ رجل في «غواام»، ٨،٠٠٠ رجل في «تيبيان»، وبضمّ مئات من الرجال في «روتا». وكان المجموع موضوعاً اسمياً تحت إمرة اسم شهرٍ. اسم منتصر «بيرل هاربور»، «شويشوي ناغومو»، الذي أودت به كارثة «ميديو» من أرفع مراتب الأسطول ظفراً إلى قيادة محلية قاتمة. كان موجوداً شخصياً في «سایان»، إلا أنّه لم يكن يلعب فيها غير دور وهي.

كان التنظيم الياباني متقدماً، ولكنَّ المخطط الذي يقضي بمُوازته بواسطة قوات مقطعة من «منشوريا» قد ذهب ضحية للغواصات الأميركيّة. وقد فقدت أكثرية القوافل بعضاً من سفنها؛ وكانت نسبة الرجال الذين أنقذوا هامة نسبياً. ولكنَّ معظم العتاد قد ذهب إلى قاع البحر. وإليك هذا المثال: نُسافت «السايتو مارو» بالطوريّات في ٢٩ شباط، ومن مجموع الجنود الـ ٣،٠٨٠ المتوفين لفوج المشاة ١٨، تمكّن الناجون من إنقاذ ١،٦٨٨، ولكنهم وصلوا إلى «غواام» معهم ٧ بنادق فحسب، وقادفة قابلة يدوية. و ١٥٠ حربة! ويتجه عن ذلك أنَّ وحدات كثيرة باتت من غير سلاح، وأنَّ الوحدات جمِيعاً كانت مفتقرة للذخيرة.

بدأ غزو «الماريّان» تماماً في الوقت الذي تحدّد مسبقاً لشهر عديدة خلت. أي في ١٥ حزيران. وكانت القوات تحت إمرة الجنرال «هولاند سميث»، من فيلق المشاة البحريّين. وقد كان مشهد تعرُّك تشكيلات الانقضاض وقع لا يزال من المخيّلات؛ كان الصباح بيضاءً، والبحر هادئاً، والنسم عمليلاً؛ وكانت منطقة التزول تتدّن من كلّنا ناحيتي رأس «أفيينا». وكانت الفرقة الثانية إلى اليسار، على الشاطئين «الأحمر» و«الأخضر»، والفرقّة الرابعة إلى اليمين، على الشاطئين «الأزرق» و«الأصفر». وكانت تتّنصب في صدر المنطقة، في الطرف الداخليّ، سلسلة من الجبال تبلغ ذروتها ١،٥٥٤ قدمًا. وفي الموضع الأماميّ كان البحر الأخضر يتحطّم على صخور المرجان، ثم ترقد مياهه داخل بحيرة مساحتها بعض مئات من الأمتار، وتمدّ أنفسه بعد ذلك على طول شاطئ ضيق لا يزيد تحت القصف. وإلى جنوب الرأس، وفي قطاع فرق الماشة البحريّين الرابعة. كانت المنازل اليابانية في مدينة «شاران كانووا» الصغيرة قد ذهبت فريسة النار، وهي مصنوعة من الخشب والورق، إلا أنَّ مذخنة مصنع لاسكر بقيت متّصبة سوداء فاحمة. وفي الساعة ٨،٥٠٠ نقدّمت ٣٤ سفينة إنزال إلى مسافة نصف ميل من الشاطئ، ثم افتتحت أجواهها وقذفت ٧١٩ جرّاناً ودبابة برمائية راحت تتنّظم بشكل موجات انقضاض. وكان المهاجمون مزمعين على ألا يتوقفوا على الشاطئ ولو برهة واحدة، بل على الانقضاض بالتزول المصفح وثبة واحدة نحو خطّ القمم. ومن هناك كانت الأودية المحرّجة تنحدر حتى خليج «ماجيسيين»، وهو فوهة نصفية لبر كان غائص. وكان المهاجمون يعتمدون بلوغه وشطر الجزيرة جزئين في غضون يومين.

إلا أنَّ أمر الانطلاق المهيّب قد تحطّم. فعل الشاطئ راحت أمواج مرتدّة، يبلغ علوّها بين ١٢ و ١٥ قدماً، تررق الجنرارات والدبّابات البرمائية وتُعكّك أراملها. وتحت وطيس النار الحامية، التي انطلقت من رأس «أفيينا»، انحرفت الفرقة الثانية نحو الشمال وتشابكت كثائبه على الشاطئين «الأحمر» و«الأخضر». واجتازت الفرقة الرابعة «شاران كانووا» بسرعة، ولكنها صادفت صعوبات في الانبساط نحو الشمال ونحو الجنوب. وكانت تعوز المصفّحات البرمائية القوة اللازمّة للتملّص من الحاجز

في ٦ حزيران وفيما كانت أقدام جنود «أيزهار» تطأ شواطئ «كافادوس» و«كونستان». كانت الفرقة البحرية ٥٨، التابعة للأميرال «ماك ميشنر»، تُقلّع من قاعدة «ماجورو» المؤقتة في أرخبيل «مارشال». كانت تضم ٨٧ سفينة قتال. منها ١٣ حاملة للطائرات و ٧ بوارج سريعة. مؤكّنة أسطولاً من أروع الأساطيل التي شقت عباب الأمواج. وكانت مهمتها أن تؤمن السلامة العامة لقوّات الغزو التي كانت تسحب باتّجاه جزيرة «سایان»، التي اختيرت لتكون نواة التزول الأول. وبنَ «كواجايان»، وفي جزر الأميركيّة، راحت القاذفات البريّة، التابعة لأسطول الجوّ ١١. تساند الفرقة لتحقّق القواعد اليابانية الواقعة على جبال يمكن من التدخل. وهي «بيليليو» و«باب» و«بولاوات»، وخصوصاً «ترك». كانت تلك المهمّات باللغة الخطورة، بما فيها من طيران طويّل الأمد خلال طريق العودة. فوق مساحات بحرية موحشة، وفي طائرات مصابة في الغالب بأضرار المدفعيّة المضادّة للطائرات. ولكنها كانت مستمرة منذ شهور بدقة تشبه دقة الساعة.

في ظلال هذه القوّة المتمثّلة بالقوّة البحريّة ٥٨ وبالقاذفات، تحركت قافلنات هائلتان باتّجاه «الماريّان». كانت القافلة الأولى، وهي القوّة البحريّة ٥١، تحمل من «هاواي» فرقى المشاة البحريّين ٢ و ٤، وفرقة الجيش السابعة. وكانت الثانية، وهي القوّة البحريّة ٥٢، تُقلّع من «غواadalكانال»، فرقة المشاة البحريّين ٣. فكان هنالك ٧٧ ناقلة، و ٣٤ سفينة شحن. و ٤٤ سفينة إنزال، محملة بالجنود والعتاد، وكان لها من المواكب والموازرة أسطول ضخم آخر: ١٤ حاملة طائرات موزّرة، ٧ بوارج قدّية، ١٢ طرّاداً خفيفاً وثقيلاً، ١٢ مدمرة، الخ. لم تكن السفن الـ ٦٤ بمجوّعها، وبما فيها القوّة البحريّة ٥٨، وعدد الجنود الذي بلغ ٦٦٤،٥٤١، على مستوى العمليّة التورمانديّة، ولكنَّ الرحلات البحريّة كانت أطول بعشرين أو ثلاثين ميلاً: ٣،٥٠٠ ميل من «هاواي»، و ٢٠٤٠٠ ميل من «غواadalكانال». كان المجهود العام مماثلاً، ولكنَّ الفارق الوحيد الذي يميّزه من التزول التورماندي هو أنه كان أميركيّاً بكامله. إنه تغيير عن قوّة لا يمكن وصفها، خصوصاً وأنَّ هذه القوّة لم تكن موجودة منذ أربع سنوات، وأنّها قد ولدت من غير أن تغير تقريراً وجه الحياة اليوميّة بالنسبة للشعب الذي أفرّوها.

لم تبقَ «الماريّان» جزراً مرجانية كما كانت. إنّها ذرى سلسلة طويلة من البراكين ابتلعت أقدامها وهادِ الماء الماديّ الصحّيحة. وهي تكون من الشمال إلى الجنوب قوساً ذات انعطاف ضئيل، تتدّن على ٥٠٠ ميل من «فالتون دي باجروس» حتى «غواام». وأما سفحها المخصوصة فترتفع على علوّ مئات الأمتار. كان طقسها ما يزال استوائياً، ولكنَّ لا وجود فيها للاختناق والأبخرة الوبائية التي تندّها في أدغال جزر «سليمان» و«غينيا الجديدة». وقصة «الماريّان» طريفة. كان «ماجيبلان» قد أطلق عليها اسم «جزر اللصوص» إشارة لخفة أيدي الوطنيّين «الشاموروس» الذين قدموا لزيارة سفنه. ولكنها لم تثبت أنَّ حملت اسمَا أكثر تشريفاً، وهو اسم «الماريّاناس»، تيمناً بـ «مارينا آتنا» التمساوية زوج «فيليب الثاني». وقد عمل الإسبان شأن هذه الجزر، ولكنَّ الألمان ابتعادوها، وحصل اليابانيّون عليها، باستثناء «غواام» التي اكتفت «أميركا» بالاحتفاظ بها بعد انتصارها على «اسپانيا» سنة ١٨٩٩، وغيّرتها منها أنَّ يكون لها فيها مستودع للقمح بين «الفيليبين» و«هاواي». ولكنَّ اليابانيّين انتزعوها منها بعد «بيرل هاربور» بأيّام.

وفضلاً عن «غواام»، وفي جوارها المباشر، كانت جزر «الماريّان» الكبير هي «روتا» و«تيبيان» و«سایان». وكانت هذه الأخيرة، وهي العاصمة العسكريّة للأرخبيل، مقرَّ الجيش الياباني ٣١، بقيادة الجنرال

الطائرات مصفحة. ولا مزودة بالخرّارات ذات السداد الذي يمنع تسرب الغاز. وأمّا الطيارون فقد كانوا حاصلين على خبرة سطحية وعلى تدريب تافه. فالرجال المدهشون الذين هاجموا «بيرل هاربور» كانوا قد تحضرّا تقنياً وفنياً خلال سنوات عديدة،وها هم اليوم في زوايا الموت. كانت الأركان العامة البحريّة قد نافت إلى الوضع الاستراتيجيّ الملائم في جنوب غربي الماء، وعملت على تحضيره. وكان الحلم الياباني هو في أن يخوض الأسطول الأميركي الكبير مثلث «باب ميدانو-غينيا الجديدة» على مقرّبة من «الفيليبين»، لحل مشكلة التموين، في نطاق القواعد البحريّة التي تعرّض ضعف الطيران البحري. وأدت حملة «ماك أرثر» إلى «بيالث» تحمل على الاعتقاد بأنّ هذا الحلم قد أوشك أن يتحقق. وكانت مفرزة قوية تضمّ البارجتين «ياماتو» و«موساشي» قد بعثت مسبقاً كمدّمة إلى «باتجان» في «المولوك». وكان معظم الأسطول، وخصوصاً فرق حاملات الطائرات الثلاث، ينتظر بالمرصاد بين «الفيليبين» و«بورنيو»... ولكنَّ «أميركا»، بدلاً من أن ترتجّ نفسها في شباك جنوب غربي الماء، سددت ضربتها في قلب المعـيط. إلى «الماريـان»، و«طوكـيو» منها على مدى نشاط القاذفات!

وهكذا فإنَّ حزام الأمان الوطني الياباني قد أوشك أن يُخرق. وإذا بالخطر يحدق بالوطن الأمّ وبرأس الامبراطور على السواء! لم يكن بميسور البحريّة الامبراطوريّة أن تسمح باحتلال «الماريـان»، فتفقّد كما وقفت جبال غزو جزر «المارشال» مكتوفة الأيدي. ومن خلال طريقين، غربي «ميدانـو» وشرقيها، تحرك الأسطول السريع، بامرة الفايـس أمـيرال «جيـزابـورـو أوـزاـوا»، صاعداً باتجاه بحر «الفيلـيبـين»، حيث كان المخطـط العـدو يوجـه صـدمـته الـحـاسـمة. كان أـسـطـول «الـشـمـسـ الـمـشـرـقـةـ» الأـخـيـرـ هذا مـهـيـاً: ٤ حـامـلاتـ طـائـراتـ ثـقـيلـةـ، ٤ حـامـلاتـ طـائـراتـ خـفـيفـةـ، ٥ بـوارـجـ، ١١ طـرـادـ ثـقـيلـاـ، طـرـادـ خـفـيفـانـ ٢٨ مدـمـرـةـ. وكان في جـمـلةـ حـامـلاتـ الطـائـراتـ حـامـلتـانـ منـ المحـارـبـاتـ الـقـديـعـاتـ مـقـمـورـاتـ بـالـظـفـرـ وـبـالـحـراـجـ وـهـماـ «زوـيكـاكـوـ» وـ«شوـكـاكـوـ». والـحامـلةـ «تاـيهـوـ» الـتيـ أـنـجـزـ بـناـوـهـاـ مـؤـخـراـ. فـأـنـتـ أـكـبـرـ حـامـلةـ فـيـ الـعـالـمـ كـلـهـ. وـقـدـ بلـغـ عـدـدـ الطـائـراتـ المـقـولـةـ بـعـراـ ٤٢٩ طـائـرةـ. أيـ ضـعـفـيـ عـدـدـ الطـائـراتـ الـمـغـيـرـةـ عـلـىـ «بيرـلـ هـارـبـورـ». ولكنـ النـرـوجـ لـلـاقـاءـ العـدـوـ لمـ يـكـنـ شـيـئـاـ بـالـرـاحـلـةـ السـحـرـيـةـ فـيـ كـانـونـ الـأـوـلـ ١٩٤١ـ. قـدـ تـكـبـدـتـ القـوـةـ خـسـائـرـ أـبـسـتهاـ ثـوبـ الـحـدـادـ، وـمـنـ جـمـلـتـهاـ مـدـمـرـةـ. ذـلـكـ بـسـبـبـ بـعـضـ الـمـوـادـ وـالـاصـطـدـامـاتـ. وـأـمـاـ مـصـيرـ الـمـجـوـمـ الذيـ شـنـتـهـ الـغـواـصـاتـ، عـلـىـ أـنـهـ مـلـحقـ الـعـلـيـةـ، فـقـدـ أـخـفـنـ إـخـفـاقـاـ ذـرـيعـاـ. وـأـمـاـ الـغـواـصـاتـ الـدـالـهـ، الـتـيـ كـانـتـ مـكـلـفةـ بـتـطـهـيرـ بـحـرـ «ـفـيـلـيـبـينـ»ـ. فـإـنـهـاـ لـمـ تـغـرـقـ سـفـينةـ وـاحـدةـ، وـقـدـ دـمـرـتـ ١٧ غـواـصـةـ مـنـهـاـ، دـمـرـتـ ستـاـ منـهـاـ الدـمـرـةـ «ـإـنـغـلـانـدـ»ـ وـحـدـهـاـ.

وـأـمـاـ «ـسـايـانـ»ـ قـامـ القـائـدـ الـأـعـلـىـ لـلـأـسـطـولـ الـخـامـسـ الـأـمـيرـالـ «ـرـيمـونـ سـيـروـنـسـ»ـ، بـالـاتـصالـ سـرـيـعـاـ بـالـفـايـسـ أمـيرـالـ «ـتـورـنـرـ»ـ قـائـدـ الـقـوـاتـ الـبـحـرـيـةـ لـلـمسـانـدـةـ الـمـباـشـرـةـ. قـسـمـتـ هـذـهـ الـقـوـاتـ قـسـمـيـنـ: فـالـبـارـجـ الـقـديـعـةـ، وجـزـءـ منـ الـطـرـادـاتـ وـالـمـدـمـرـاتـ. قـدـ واصلـتـ مهمـتهاـ سـتـمـرـةـ فيـ توـطـيـدـ رـأسـ جـسـرـ «ـأـفـيـتـيـاـ»ـ بـقـصـفـ مـدـافـعـهاـ. وـأـمـاـ الـبـاقـيـ فقدـ اـنـصـمـ إـلـىـ الـقـوـةـ الـبـحـرـيـةـ اـنـصـبـتـ ٧ حـامـلاتـ طـائـراتـ كـبـيرـةـ، وـ٨ حـامـلاتـ خـفـيفـةـ. تـقـلـ ٥٦ طـائـرةـ مـتـعـدـدـ الـأـجـنـاسـ، تـخـدـمـهـاـ وـتـحـمـيـلـهاـ ٧ بـوارـجـ سـرـيـعـةـ، وـ٢١ طـرـادـ، وـ٦٩ مـدـمـرـةـ. فـيـ الـبـحـرـ وـفـيـ الـجـوـ عـلـىـ السـوـاءـ كـانـ التـفـوقـ الـأـمـيرـكـيـ بـنـسـبـةـ ٢ـ ضدـ ٢ـ.

كان ١٩ حـزـيرـانـ يـوـمـاـ بلـغـتـ فـيـ الـرـوـيـةـ درـجـةـ غـيرـ مـحـدـودـةـ، فـوـقـ بـخـرـ غـمـرـهـ النـورـ وـتـطـاـيرـتـ عـلـىـ صـفـحـاتـ الـأـسـمـاـكـ الـطـائـرـةـ. وـكـانـ الـأـمـيرـالـ

المـضـادـةـ لـلـدـبـابـاتـ، وـبـعـدـماـ غـدـتـ مـرـمىـ سـهـلـاـ لـلـنـارـ تـخلـىـ الشـاةـ الـبـحـرـيـونـ عـنـهـ لـلـتـقـدـمـ مـشـيـاـ عـلـىـ الـأـقـدـامـ أوـ زـحـفـاـ. لـقـدـ آمـنـتـ الـقـيـادـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ إـيمـانـاـ أـعـمـىـ يـجـعـلـ التـرـولـ آليـاـ مـةـ بـالـمـةـ؛ وـعـنـدـ حـاـولـ الـلـيلـ كـانـ الـمـهـاجـمـونـ قدـ اـحـتـلـواـ نـصـفـ الـمـنـطـقـةـ «ـدـ١ـ»ـ فـحـسـبـ. وـأـمـاـ الـبـرـازـلـ «ـبوـشـرـوـغـوـ سـايـتوـ»ـ، الـذـيـ حلـ مـحـلـ «ـأـوبـاتـيـ»ـ الـمـجـمـدـ فـيـ «ـغـواـمـ»ـ. فـقـدـ أـرـسـلـ إـلـىـ «ـطـوكـيوـ»ـ مـذـكـرـةـ طـنـاثـةـ تـقـوـلـ: «ـإـنـ الـجـيـشـ ٣١ـ سـيـشـ»ـ هـذـهـ الـبـلـةـ هـجـومـاـ مـضـادـاـ بـكـامـلـ قـوـاهـ، وـسـيـبـدـ الـعـدـوـ...ـ»ـ

وـهـكـذـاـ كـانـ. فـقـيـ السـاعـةـ الثـانـيـةـ صـبـاحـاـ انـطـاقـ هـجـومـ منـ الطـراـزـ الـقـدـيمـ عـلـىـ أـنـقـامـ الـفـيـرـ. وـفـيـ وـسـطـ قـيـةـ رـسـمـتـهـاـ القـنـابلـ الـمـيـرـةـ شـهـدـ مـشاـةـ الـبـحـرـيـةـ فـيـ الـفـرـقـةـ الثـانـيـةـ أـشـيـاحـاـ وـكـانـهـاـ مـبـتـقـةـ مـنـ الـقـرـونـ الـوـسـطـيـ. كـانـتـ تـشـيـعـ السـيـوـفـ وـتـلـوحـ بـالـأـعـلـامـ. وـتـقـتـهـمـ نـيـرانـ مـرـوعـةـ حـصـلـهـمـ حـصـداــ. وـبـعـدـرـتـ عـلـىـ السـفـوحـ ٨٠٠ـ جـثـةـ. وـبـرـزـ الفـجـرـ وـالـأـمـيرـكـيـونـ ماـ يـزـالـونـ فـيـ جـحـورـهـمـ الـفـرـديـةـ. فـيـمـاـ عـادـتـ الـطـائـراتـ وـالـسـفـنـ تـسـحـقـ الـيـابـانـيـينـ وـالـأـمـدـادـ تـنـزـلـ إـلـىـ الشـاطـيـعـ دـفـقاـ غـزـيرـاـ. إـنـ الـمـدـافـعـيـنـ هـنـاـ: كـمـاـ كـانـ الـحـالـ فـيـ «ـنـورـمـانـدـيـاـ»ـ، لـمـ يـعـرـفـواـ كـيـفـ يـفـيـدـونـ مـنـ سـانـحةـ الـضـعـفـ فـيـ الـمـهـاجـمـيـنـ. وـلـقـدـ تـمـ مـنـ جـرـاءـ ذـلـكـ إـرـسـاءـ رـأـسـ الـجـسـرـ.

لـقـدـ وـجـدـتـ الـيـابـانـ «ـمـيـدـوـيـ»ـ أـخـرـىـ

وـلـكـنـ حـدـثـاـ جـدـيـداـ جـاءـ يـلـقـيـ الـاضـطـرـابـ فـيـ تـفـوسـ الـبـحـارـةـ. فـقـيـ السـاعـةـ ١٨٠٣٥ـ مـنـ الـلـيـلـةـ الـفـائـتـةـ أـبـصـرـتـ الـغـواـصـةـ «ـفـلـايـنـ فيـشـ»ـ أـسـطـلـوـنـ الـعـدـوـ. يـضـمـ حـامـلاتـ طـائـراتـ عـدـيـدـةـ. يـبـتـقـ مـنـ مـضـيقـ «ـسانـ برـنـارـدـيـنـوـ»ـ. بـيـنـ جـزـرـ «ـلوـسـونـ»ـ وـ«ـسـامـارـ»ـ فـيـ اـتـجـاهـ الـشـرـقـ. وـلـمـ يـعـضـ نـصـفـ سـاعـةـ حـتـىـ كـانـ غـواـصـةـ أـخـرـىـ هيـ «ـسيـهـورـسـ»ـ، تـعـلـنـ عـنـ وجودـ تـشـكـيلـةـ مـنـ الـبـارـجـ فـيـ عـرـضـ «ـمـيـنـدـانـاـوـ»ـ. فـيـ اـتـجـاهـ إـلـىـ الشـمـالـ بـشـمـالـ شـرـقـيـ. وـكـانـ الـوـجـهـتـانـ تـسـيـرـانـ نحوـ هـدـفـ وـاحـدـ. إـلـىـ «ـمـارـيـانـ»ـ. كـانـ أـسـطـلـوـنـ الـيـابـانـيـ قـادـمـاـ لـاـنـتـرـاعـ سـيـادـةـ الـمـادـيـ منـ يـدـ الـأـمـيرـكـيـنـ. لـمـ يـقـيـ مـصـيرـ «ـسـايـانـ»ـ وـسـلـامـةـ «ـطـوكـيوـ»ـ وـقـفـاـ عـلـىـ القـتـالـ الدـائـرـ عـلـىـ السـفـوحـ. وـلـكـنـهـ كـانـ سـيـقـرـرـ فـيـ سـاحـةـ قـتـالـ مـائـيـةـ مـبـنـيـةـ بـيـنـ «ـفـيـلـيـبـينـ»ـ وـ«ـمـارـيـانـ»ـ. بـيـنـ «ـغـينـيـاـ الـجـدـيـدـةـ»ـ وـ«ـالـيـابـانـ»ـ.

كـانـ الـبـحـرـيـةـ الـأـمـبـرـاطـورـيـةـ تـسـمـوـ بـلـاـ اـنـقـطـاعـ. فـيـ اـتـجـاهـهاـ الـمـوـقـتـ. إـلـىـ تـلـكـ المـقـاـبـلـةـ الـخـاسـمـةـ. إـلـىـ ثـارـ «ـمـيـدـوـيـ»ـ. وـبـعـدـ مـقـتـلـ «ـيـاماـمـوـتـوـ»ـ. قـامـ خـلـفـهـ «ـمـيـنـيـشـيـ كـوـغاـ»ـ، بـيـنـاءـ سـرـاـيـجـيـتـهـ عـلـىـ هـذـاـ الـانتـظـارـ. مـتـجـبـتـ الـعـلـيـلـاتـ الـمـتـفـرـقةـ. موـفـرـاـ قـوـاهـ لـلـيـوـمـ الـأـوـدـ الـذـيـ سـيـمـحـوـ الـمـزـائـمـ جـمـعـاءـ. وـفـيـ ٣١ـ آذـارـ ١٩٤٤ـ، اـخـتـفـتـ طـائـرةـ جـوـمـائـيـةـ بـيـنـ «ـبـالـوـ»ـ وـ«ـدـافـاـوـ»ـ، وـقـتـلـ «ـكـوـغاـ»ـ، وـلـكـنـ الـلـذـهـبـ بـقـيـ هوـ ذـاهـهـ فـيـ عـهـدـ خـلـفـهـ الـأـمـيرـالـ «ـسـومـوـتـوـدـاـ»ـ: إـعادـةـ تـنظـيمـ الـأـسـطـولـ أـوـلـاـ. وـمـنـ ثـمـ خـلـقـ وـضـعـ سـرـاـيـجـيـ منـاسـبـ. وـسـحـقـ الـعـدـوـ.

كـانـ «ـالـيـابـانـ»ـ فـقـيرـةـ. وـكـانـ طـاقـةـ مـصـانـعـهـ الـبـحـرـيـةـ وـالـلـوـيـرـ ضـعـيفـةـ. وـأـمـاـ فـتوـحـاتـهـ الـأـسـطـوـرـيـةـ فـيـ ١٩٤٢ـ، فـهـيـ خـدـاءـ. كـانـتـ قـدـ أـتـتـ بـعـضـ الـمـوـادـ الـأـوـلـيـةـ كـالـقـصـدـيرـ وـالـمـطـاطـ وـالـنـفـطـ، مـنـ غـيـرـ أـنـ تـأـتـيـ بـالـتـرـيـاتـ الصـنـاعـيـةـ الـضـرـورـيـةـ لـلـإـلـفـادـةـ مـنـهـاـ. وـعـلـىـ هـذـاـ الـأـسـاسـ كـانـ عـلـىـ اـسـطـوـلـاـ أـنـ يـسـتـعـمـلـ لـلـوـقـدـ الـنـفـطـ الـخـامـ. وـهـوـ صـافـ نـسـيـاـ. مـنـ «ـبـورـنـيـوـ»ـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـعـقـبـاتـ وـالـأـخـطـارـ الـحـمـةـ. وـقـامـتـ «ـالـيـابـانـ»ـ بـمـجـهـودـ مـحـمـومـ. وـبـأـعـمـالـ اـرـجـالـيـةـ ضـخـمـةـ. أـدـتـ إـلـىـ خـلـقـ حـامـلاتـ طـائـراتـ جـدـيـدةـ وـأـسـطـيلـ جـوـيـةـ جـدـيـدةـ صـغـيرـةـ. إـلـاـنـ تـغـرـاـ مـخـيـفـةـ كـانـتـ كـامـنةـ فـيـ تـلـكـ الـقـوـقـعـةـ الـتـيـ أـعـيـدـ بـنـاؤـهـاـ. لـمـ يـكـنـ قـدـ طـرأـ عـلـىـ الرـادـارـ أـيـ تـحـسـينـ. وـكـانـ سـائـلـ الـدـفـاعـ المـضـادـ لـلـغـواـصـاتـ بـدـائـيـةـ. وـلـمـ تـكـنـ

متوقعاً: ففي الساعة ١٥٠٣٢ دوى انفجار عنيف نصف البحر وراح يلتهم أعماق السفينة. وأقبلت المدمرة «واكاتسوهي» لتنفذ صورة الإمبراطور وتنقل «أوزاوا» إلى القزاد «هاوغونو». ولم يكاد الأميرال ينجو من سفينته حتى اجتاحت النار «التايهو» من كل صوب، فغرقت في الساعة ١٧٠٦ محرقة البحر من حرطاً. وتمكنت المدمرات بعد ذلك من أن تتفقد بصعوبة فائقة ٥٠٠ من مجموع ضيابطها وبخاتتها الـ ٢٠١٥٠.

إنه لنهاي كوارث يصاهي بفداحته «ميدوي»! القدحسر «أوزاوا» الشتين من سفنه الرئيسة، ولم يكن باقياً لديه غير نحو من منه طائرة، في الوقت الذي كان فيه الأسطول الأميركي سليماً قبالتها. ومع ذلك، بفضل حزمه الشديد، أو بفضل طاقته على التوهّم الخداع، لم يعتبر أنه قد خسر المعركة. فقد أقمن نفسه، على ذمة طياريه، بأن العدو قد تكبدهوا الآخر خسائر فادحة. وأبلغت قاذفات «الزوبيكاكو» أنها قد أصابت قلب المدف في إحدى حاملات الطائرات وأحد الطرادات الكبرى. وأكّدت طيارو الفرقة الأولى أنهم خلّفوا وراءهم أربع حاملات طائرات فريسة لاتهب. وقد دون تقرير آخر النهار «أنه لا ريب في أن أربعاً أو حمّاً من حاملات طائرات العدو. فضلاً عن بارجة وطراد كبير. قد أغرت، أو أنها أرغمت على ترك القتال. وهذا لا ينفي كذلك احتسال كون سفن أخرى قد تفجّرت أو غرفت...» وكنتيجة لذلك كان «أوزاوا» مزمعاً على استئناف القتال في غضون يومين: في ٢١، بعد أن يملا خزاناته بالمازوت خلال نهار ٢٠.

ولكنَّ القادة الأميركيين، الذين حققوا انتصاراً لا ريب فيه، قد أظهروا التعلّق والتروي. وقد أعلن الأميرال «سبر ونس» ما يلي: «سوف أحاجم غالباً إذا ما تكثّفت من تحديد موقع العدو بدقةٍ مرضية». ولكنَّ شيئاً لم يحدث بغيّة الحصول على هذه المعلومات البالغة الأهمية. وقال «إيليوت موريسون»: «لم ترسل طائرة استكشاف واحدة خلال ليل ١٩ إلى ٢٠ حزيران الحاسم...» وكان أحد الأسباب هو إنسانية «ميتشر». فهذا الأميرال المصغر، الذي يبلغ طوله ١٠٦٤ سنتيم ووزنه ١٣٥ ليرة، والذي كان يجب طياريه الذين يشاركونه هذا الشعور، «كان يعتقد فكرة إرسال كشافٍ منفرد قد يُرغم على المبوط في متاهات المحيط. بعيداً عن كلِّ أمل في النجاة...» وبلغ صباح ٢٠ حزيران، وهو في بعاء الصباح المنصرم، يشهد أسطولاً أميركيّاً يسير بخطٍ موازٍ لسير العدو. ولكن دوعما علم له بذلك، وانطلقت دوريات الفجر كما لمعتاد وعادت من غير أن تتعثر على أيِّ ثُر. وأقلعت دوريات ما بعد الظهر بدورها. وكانت طائرات عديدة من طائراتها قد عادت أدراجها حين التقاطت في الساعة ١٥١٥ رسالة مشوّشة تشير إلى العثور على العدو. ولم تتفصّل دقائق حتى كان ملازم البحرية «تلسون» يؤكّد أنه شاهد سفن «أوزاوا» بأم عينه. وعمد إلى تصحيح التقدير الخاطئ الذي أعطاه عن موقع هذه السفن. كان أسطول العدو على بعد ٢٥٠ ميلاً. على حدود مدى العمل تقريباً. ولم يكن قد تيقّن من النهار غير أربع ساعات. فهل يتوجّب المجنوم يا ترى؟ أم أنه كان يجب الرئيس حتى نهار غال؟

واتخذ «ميتشر» قراره: يجب شنَّ المجنوم. وبعدَ عشر دقائق، وهو رقم قياسيٍّ، كانت ٢١٦ قاذفة ونمسافة وطاردة تخلق في الفضاء. وفي آخر لحظة أوقف «ميتشر» موجة ثانية مماثلة: فالافتراض أنَّ تعود الطائرات ليلًا. وكان عدد هذه الطائرات أكثر من الزوم.

بدأت العملية في الساعة ١٨٠٢، وكانت حوالتها تجري في غمرة شمس حمراء تغوص رويداً في اليم. وقبلت ثلاثون مطاردة يابانية تقريراً أن تواجه القتال المفتوح بيسالة. فتمكّنت من تخفيف حدة المجنوم من غير أن تتمكن من تحيطيمه. واشتغلت حاملة الطائرات «هيبو» وغرقت بعد ما

«توبودا» ينعم بتحقق نهان بفضل كشافيه الذين قاموا بعمل جيد: فقد كان عالماً بموقع العدو. وكان يتمتع بتحقق آخر هو أحد نتائج الضعف والاختلاف: فطائراته، التي لم تكن مصفحة، كانت أكثر خفةً من الطائرات الأميركيّة. وأواسع مجالاً للعمل منها: ٤٠٠ ميل مقابل ٣٠٠، وهذا كان العدو يحتاول يده. فيما كان هو نفسه بعيداً عن مرماه: إنه لوقت مثاليٍ لشنَّ المجنوم.

وأخذت الطائرات تقلّم من على سطوح السفن: في الساعة ٨٠٣٠ أقامت ٦٤ طائرة من على سطح سفن المقدمة. وفي الساعة ٨٠٥٦ انطلقت ١٢٨ طائرة من فرقة «أوزاوا». وكان في عدادها طائرة المساعد الأول البحري «ساهيو كوماتسو» الذي أبصر أثناء ارتفاعه خطَّ طوربيد كان متطلقاً نحو «التايهو». فانقضَّ عليه متصرراً الإنقاذ السفينة الكبيرة. وأمّا الفرقة الثانية فقد أطلقت ٤٧ طائرة في الساعة ١٠. ثمَّ صدر أمر في الساعة ١١ موجةً إلى الفرقتين ١ و٣ بأن تطلق ١١٤ طائرة أخرى. فقد ألقى «أوزاوا» على العدو بأربعة أخماس قوّاته: محظوظاً بجهة من المقاتلات الحمائية سفنه.

لم يعُنَّ الأميركيون على موقع العدو. ولكنَّ الرادار أفادهم إذ كشف عن العدو القائم على بعد ١٦٥ ميلاً. فأقلعت المقاتلات للحال بسرعة عجيبة. ودارت اشتباكات كبرىٌ غربيَّ السفن بادئ ذي بدء. ومن ثمَّ إلى الجنوب، مع الموجتين التاليتين. وتكبّد المهاجمون خسائر رهيبة، فكانوا يهطلون من السماء نفائفَ من دخان ومن لهب. أو أنهم، راحوا يتحطّمون على جزيرة «غوا»، بعدما أعيتهم الحيلة. ومن جملة الـ ٣٧٥ طائرة التي أطلقتها «أوزاوا» تكثّفت نحو من أربعين طائرة أو أقلَّ من مقاربة السفن، وتكثّفت طائرة واحدة لا غير من تسديد ضربتها فأصابت «الساوث داكوتا» وقتلَت ٢٧ بحاراً. ولكن من غير أن تحدث في البارجة أضراراً خطيرة، وأصيبت سفن أخرى بأضرار طفيفة بعدما أخطأتها القنابل عن كثب. لقد كان الثمن باهظاً إلى حدٍ يفوق كلَّ وصف: فنهار ١٩ حزيران قد كلف اليابانيين ٣١٥ طائرة، والأميركيين ٢٩ طائرة.

كان طوربيد الذي أوقفه المساعد الأول البحري متصرراً، على مقربة من حاملات الطائرات قد انطلق من الغواصة «أبلاكور» وهي يأمرها الكومندان «ج. و. بلانشار». كان طوربيد هذا واحداً من ستة أطلقتها الغواصة على «التايهو» سفينة الأميركي «أوزاوا». فلم يصبها منها غير واحد. وذلك في يسارها على مستوى المصعد الأمامي. ولكنَّ الصدمة كانت خفيفة، والأضرار طفيفة. ولم يشبَّ في السفينة أيُّ حريق واسع النطاق. وأبلغ الكومندانِ الأميركيَّ «بان» سفينته قد بقيت ممتنعة بكمال إمكاناتها العملية.

ولم تتفصّل ساعتان حتى كان طوربيد آخر يصيب «الشوكانو». وقد وجّهته الغواصة «كافالا»، يأمرها الكومندان «ه. ج. كوسيلر». و يبدو أنَّ الإصابة كانت خطيرة: فقد خفضت السفينة سرعتها، وخرجت من التشكيلة. وراحت تكافح النار التي شبّت في داخلها. وأمّا الوقود الذي كان يتسرّب من الخزانات غير المحكمة السادس. والسيئة الوضع. فقد قدّم للحريق غذاء رهيباً. وبعد الساعة ١٥ بقليل بلغت النار أحد أنبار الذخيرة. فدّوت للحال سلسلة من الانفجارات مزقت «الشوكانو» إرباً. وقد بقيت «الزوبيكاكو» هي الناجية الوحيدة من حاملات الطائرات الست التي شنت المجنوم على «بيل هاربور».

وفوق «التايهو» لم يدم تفاؤل المحطة الأولى طويلاً، إذ نطور فيها وضعٌ مخيف: فصدمة طوربيد قد فتّقت الأنابيب المعدنية وقطعت أوصال الخزانات. وأمثالُ السفينة بخلط متفرّج مؤلف من بخار الوقود ومن الماء. حاول من في السفينة عزله من غير جدوٍ، فحدث ما كان



مُشَا البحريَّة يطأون الثرى.

لقد أُمِسَ وضع اليابانيَّين رهباً؛ فلم يبقَ لهم مدفع واحد، وأتوا بهم تضمَّ ما يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ رجل فحسب، وهم مفترقون إلى الماء. والأميركيُّون من جهتهم يتقدُّمون تحت غطاء من النار هائل، مطهرين المغارف كلَّها بقاذفات اللهب، ساحقين أقلَّ مقاومة يصادفونها تحت ساط من قنابل الطائرات وقنابل المدفعيَّة البحريَّة. إستولوا على جبل «تابوتشاو». وطفقا يتذرون «غاريابان»، عاصمة الجزيرة الصغيرة، خربة خربة. حاضرِين العدو بانتظام في الرأس الشمالي. فالتمس «سايبان» باتضاع من الإمبراطور أن يعذرُه لأنَّه لا يدافع عن «سايبان» بما يليق من العزيمة، وبعدما أمر بهجوم انتشاري يُشنَّ ليل ٨-٧ توز، عمد إلى اتخاذ التدابير النهائية: قطع شريان معصمه بسيفه، ثم أجهز عليه ضابط الخدمة بطلقة مسدس. وفي مغارة مجاورة عمد الأميرال شوشوي ناغومو، بطل «بيرل هاربور»، والرجل الذي أبكيَ ٨٠ مليون يابانيَّ عزة وكبراً، إلى الوسائل عينها فوضع حدَّ حياته.

حشد المجموع اليابانيَّ كلَّ اليابانيَّين وليس معظمهم من السلاح غير حراب أو مدى مغروسة في القصب. كان كرَّهم في الليل خارقاً رهباً. فسطوا على بطاراتِيتين من بطاراتِيات المدفعيَّة، وشردوا عدَّة كتائب؛ فاستبدَّ الذعر بالأميركيَّين فأخذوا يلقون بأنفسهم في البحر جماعات جماعات، واجتازوا بحيرة المرجان وخلوا إلى صخر «تانايانغ»، حيث أقبلت المدمرات عند الفجر لالتقاطهم. وأخيراً تمكَّنت المدفعيَّة والدبَّابات من إبادة الشراذم اليابانيَّة حتى آخر رجل، فكست ميدان القتال بـ٤٠٠٠، ٤ جنة، حملت معها إلى العالم الآخر ٤٠٦ أميركيَّين. وهكذا تكون «سايبان» قد كلفت ٣٠٦٧٤ رجلاً من مسيرة الجيش الأميركيَّي، بين قليل وجريح وفقدود، و١٠٤٣٧ من مشاة فيلق البحريَّة الأميركيَّي. بدأ المجموع على «غواه» في ٢١، بتنزول مزدوج قامت به فرقة مشاة البحريَّة الثالثة واللواء الاحتياطيِّ الأوَّل. وببدأ المجموع على «تنييان». بعد ذلك بأربعة أيام، بتنزول فرقة مشاة البحريَّة الرابعة. وتمَّ فتح هذه الجزيرة الأخيرة المسطحة الملائمة لتحرُّك الدبَّابات والطيران في غضون أسبوع واحد؛ بعد إبادة رجال الحامية الـ٨،٠٠٠ إبادة شاملة. أمَّا «غواه»، وهي أرجح وأوعر كثيراً، فقد استوجبت من المارك ما هو أطول كثيراً. وأخيراً حطمت المقاومة المنظمة في ١٠ آب، باحتلال جبل «سانتا روزا». وقتل «أوباتي»، قائد الجيش اليابانيَّ الحادي والثلاثين، الذي فاته أن يشترك بمعركة «سايبان»، في ١١ آب. وبخلاف إلى المقاومة في أدغال «غواه» جماعات من اليابانيَّين أرادوا تحاشي عار الاستسلام أو واجب الانتحار. دفع الأميركيَّون ثمناً لااحتلال جزر «ماريان»، ٧٩٥، ٢٣، رجلاً بين قليل وجريح وفقدود؛ وهو، لعمري، عدد ضخم بالنسبة لحملة ضمت ١٥٠،٠٠٠ رجل. ولكنَّ حزام أمن «اليايان» قد خُرُفَ، وباتت «طركيو» متناول طائرات «ب-٢٩».

آصابتها الطوربيَّات، وأصبحت «الزويكاكو» و«الشيسدا» بأضرار، وكذلك البارجة «هارونا». وأغرقت ماقلتنا بترول، وهي سفنٌ ثمينة. ولا ريب في أنَّ هذا الانتصار لم يكن ذلك الانتصار المدمر الذي كان يمكن أن يتم «لسبروفنس» و«ميتشر» لو توافرت فيهما جرأة أكبر. ولكنَّ هذا النجاح كان ذا تأثير عميق. فمن مجموع الطائرات اليابانية، التي كان عددها ٤٣٠ طائرة في صبيحة ١٩ حزيران، لم يبقَ غير ٣٥ طائرة في عشيَّة ٢٠ حزيران. وقد كتب التاريخ الرسمي ما يلي: «إنَّ أكثر النتائج أهمية كانت في أنَّ الطيران الياباني المقول بحراً قد دمر بكامله عمليَّاً. وبهذا شُلَّ هذا الطيران حتى نهاية الحرب».

في الساعة ١٩٠١٩. وفيما كانت أشعة الشمس تغيب وراء الأفق. غادرت آخر طائرة أميركيَّة ساحة القتال. فما كان من «أوزاوا»، الذي حداه العنادُ إلى الأس، إلا أنَّه أصدر أمراً بشنَّ هجوم ليلىًّا بواسطة السفن. وأطلق الأميرال «كورينا» على رأس المقدمة باتجاه العدو. ولكنَّ سفنه لم تكن تملك من المازوت مقداراً يكفي لهذه العملية، فدُعِيَ «كورينا» إلى العودة. وتفرَّكَ الأسطول الياباني السريع شطر «اليايان» خانياً.

وعادت الطائرات الأميركيَّة في ليل حالك السواد. وكان مستوى الوقود ينخفض بلا انقطاع، فسقط بعض الطائرات، وأعلنت الطائرات الأخرى جميعاً أنها كانت تستهلك آخر نفط الوقود لديها. وأما «ميتشر»، الذي أخذ منه القلق الشديد كلَّ مأخذ، فقد راح يحسب حساب الوقت اللازم لهبوط الطائرات على سطح السفن خلال الظلمة، وهي عملية لم تكن لمعظم الطيارين بها أية خبرة. فانْتَهَ قراراً جريئاً. وأمر بإضاعة السفن. وإطلاق الأسمُّ، متعرضاً لإرشاد الفوَّاصَات إلى موقعه. ومع ذلك فقد بقيت الحسارة فادحة؛ فمن جملة الطائرات الـ٢١٦، كانت طائرة فحسب قد أسقطت في المعركة، ولكنَّ ثمانين طائرة هبطت في البحر أو هشمَت على سطح حاملات الطائرات. وفي أية حال مكَّن انتشال الطيارين من الماء من تحقيق الحسارة في الأرواح إلى ٣٨ ضحية. وهذا، لعمري، من زهيد لمعارك البحريَّة بالنسبة لمن يتصرُّ فيها، إذا ما قيس بالذابع البريَّة.

حزام أمن «اليايان»

يُخْرَق

قصص المزينة البحريَّة على مصير «سايبان»، ولكنَّ الاستسلام ليس بكلمة يابانية، فاستمرَّ التزاع ضارياً مربِّراً كما كان. تمكَّن الأميركيَّون من الاستيلاء على مطار «أسيليتو» الرئيس، في ١٧ حزيران. وفي ١٨ أدرَّوا خليج «ماجيسيان» وشرعوا يطهرون جنوبِيِّ الجزيرة. فوضَّع «هولند سميث» الفرقة ٢٧ التابعة للجيش الأميركيَّي بين فرقتي مشاة البحريَّة الخاضعين لإمرته، وعطَّف خطَّ هجومه بغية فتح الوسط والشمال. كانت الفرقة ٢٧ بقيادة «سميث» آخر يدعى «رالف»، جعله سميه ورئيسه مسؤولاً عن النتائج الضعيفة التي حققها رجاله في ثلم الأشواك والنباتات. المسئي «وادي الموت». والمتدَّع عند أصل جبل «توبوتشاو». ثمَّ ما لبث أن أقاله من منصبه، بعد موافقة «سبروفنس» و«تورنر»، واستبدل به أحد رجال مشاة البحريَّة، هو الجنرال «جامران». ولسوف ينشأ عن هذا التدبير الخازم نزاعٌ حادٌ سيمتدُ إلى مجال السياسة والصحافة فيغذي حملات أنصار «ماك أرثر» الذين كانوا يطالبون مساحفين. بإسناد قيادة المحيط الهادئ، كاملةً إلى رجالهم العظيم. وقد ثبتت موضوعياً صعوبة استخدام فيلق مشاة البحريَّة، ووحدات الحرس القوي العامل. كفرة المشاة ٢٧. جنباً إلى جنب، فالمستوى العسكريَّ بينها كثير التفاوت.



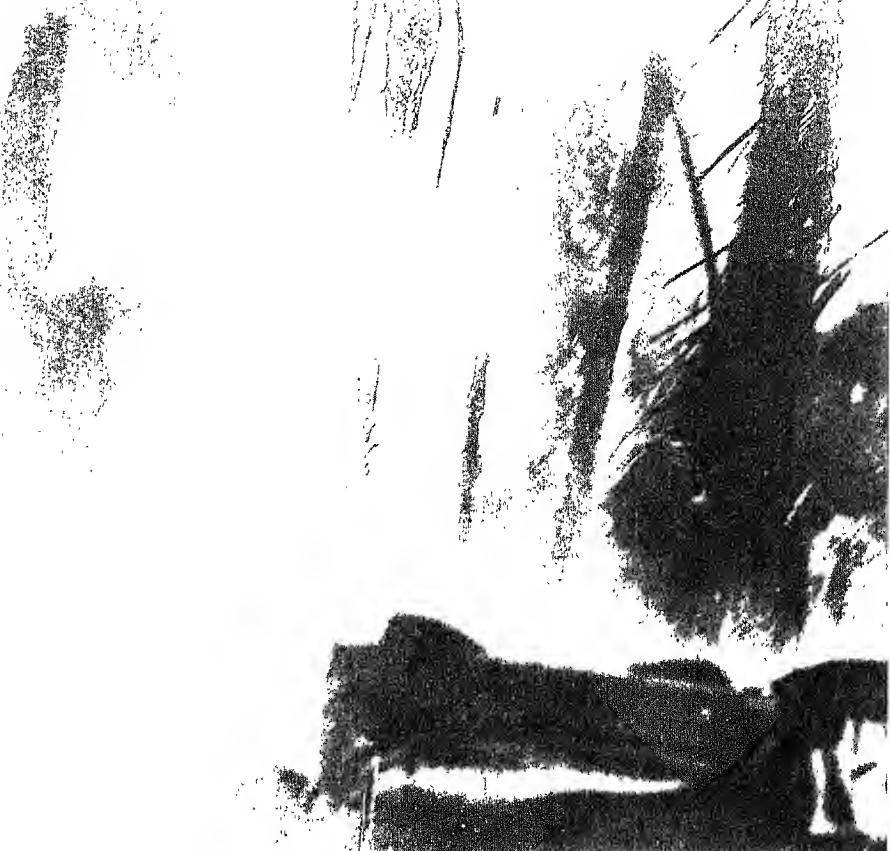
طائرة جوماليه أميركية تراقب
عمليات التزول ، وقد بدا
الشاطئ وسط سحب الدخان
واللهم .

احتلال "إنجبي" فين "ميكرونيزيَا"

احتلَّ الأُمُّرُوكِيُّون جزيرة «إنجبي» في ١٧ شَبَاط ١٩٤٤، ولم يُبدِ اليابانيُّون سُوي مقاومةً مُعْدَلةً.
وَالصُّورُ الْوَارَدَةُ فِي هَذِينِ الصَّفْحَتَيْنِ تُمَثِّلُ طَبِيعَةَ القَتَالِ فِي «ميَكَروَنِيزِيَا».

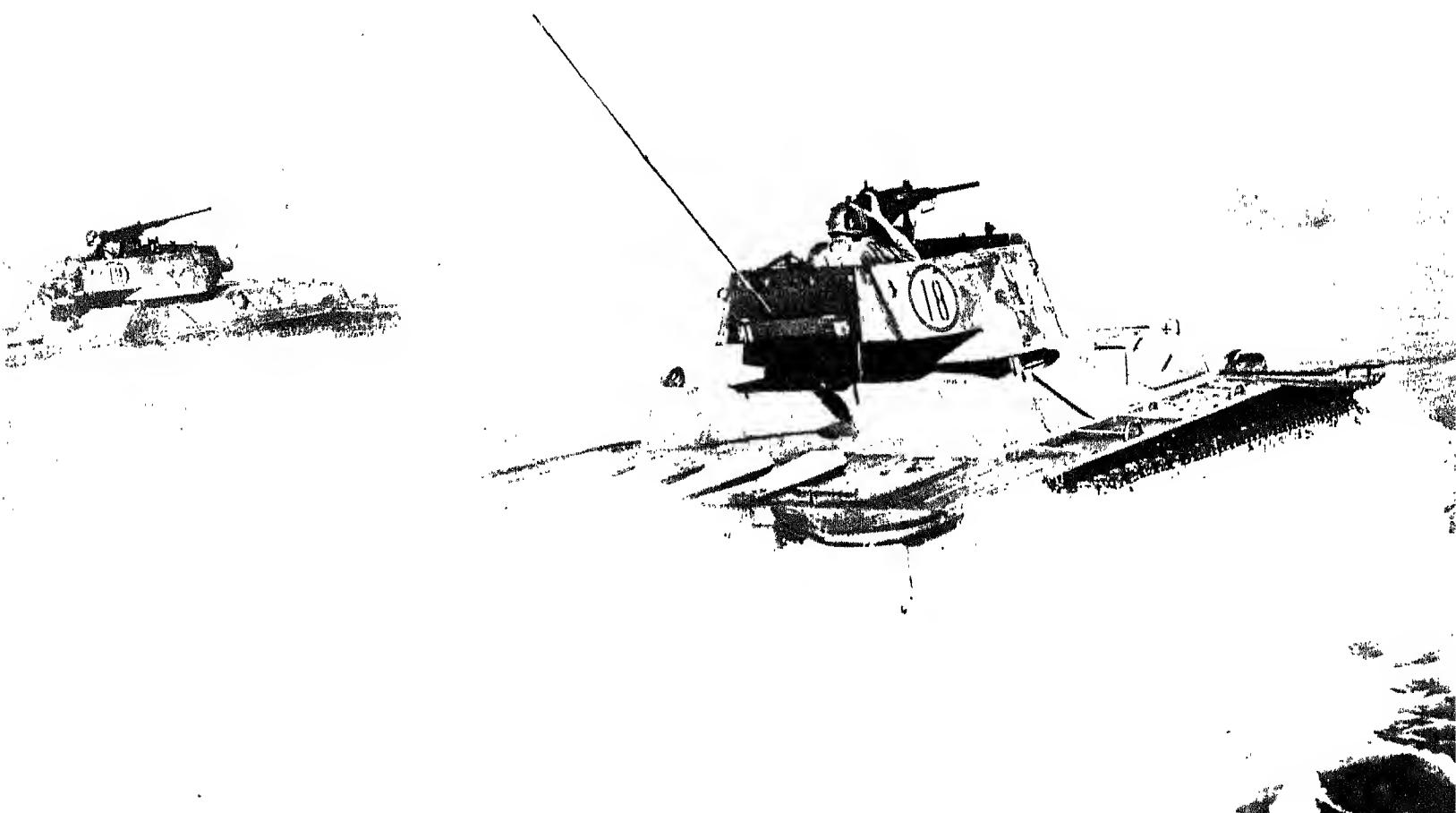
في تلك الجزر الصغيرة لم يكن
يُوسَعَ مشاهدة البحرية الأميركيَّة
أن يقتدوا إلَّا زحْقاً نظراً
لِالمقاومة الضاربة اليائسة التي
كان اليابانيُّون يبدونها .





لقد توغلت هذه الدبابة
البر مائية حتى بلغت قلب
المقاومة العدوة ، فيما
راح أشجار جوز الهند
تشتعل . ويندو إلى اليسار
شيخ أحد مشاة البحرية .
أهوا الليل ، أم تراه النهار
إنها من الصور التي تحمل
مأساة حرب المحيط
الهادئ .

الدبابة البر مائية الرائعة . ما إن تنزل من زورق الإنزال حتى تنطلق سريعة ، ومدفعها مصوّر
متاهيّب ، نحو النقطة التي عيّنت لها على الشاطئ . إنها هناك ، طليعة مشاة البحرية .



«أوستراлиا»، معقل الغرب

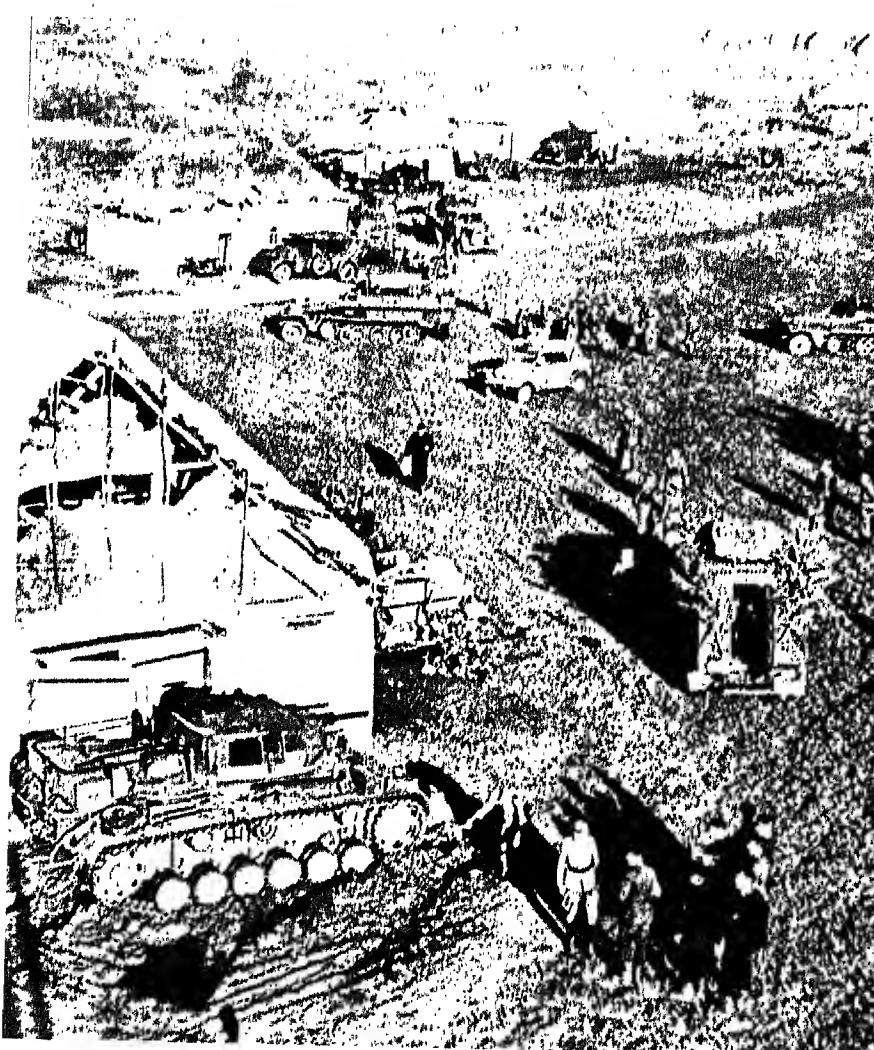
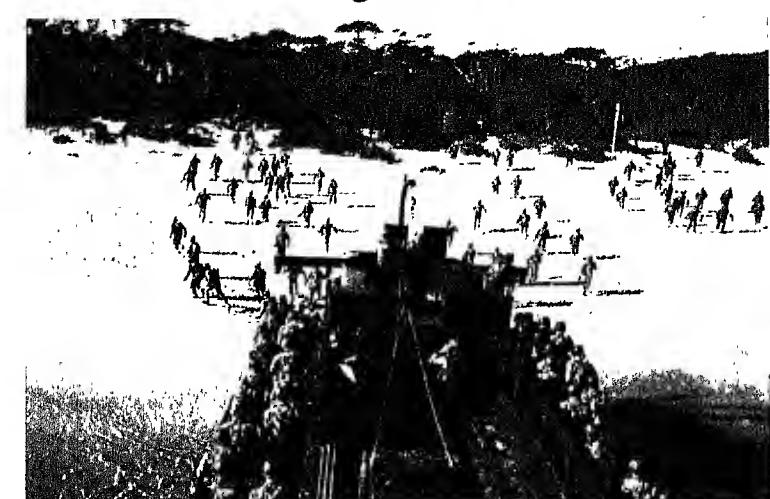
منذ ٨ كانون الأول غاصت «أوستراлиا» في عمرات الحرب إلى الرُّكْب. وفيما كان اليابانيون يتقاذرون من نصر إلى نصر بخلاف رقاب الطيران الأميركي الناجية من «الفيليبين» إلى «أوستراлиا». ولقد أبدى الأustralيون في الدفاع عن بلادهم وفي خدمة قضية الحلفاء ضرورياً من المسالة نادرة.

الأustralيون يتدرّبون في بلادهم على فن التزول إلى الشواطئ.



من جَلَيدِ «روسيا» إِلَى مَدَارِ النَّارِ!

أنت معركة جزر «مارشال» مرحلة جديدة في الرُّحْف إلى «طوكوكو». إنطلق الهجوم في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٤، ولم تمر أيام ثلاثة حتى سطرت فرقة مشاة البحرية الرابعة على المنطقة بعد تحطيم المقاومة اليابانية تحطيمًا كاملاً.



في قلب شتاء ١٩٤٣ - ١٩٤٤
القاسي : صورة
لاندجار «كريوفوغراد» في
أوائل كانون الثاني .

صيف ١٩٤٤ : تشكيلة من
الدبّابات الألمانيّة تجتمع
للهجوم .





الزمان : ١٥ تموز ١٩٤٤ . المكان : جبهة «لينينغراد» في بربخ «كاريليا». المشهد : رشاشون سوفياتيون قطعوا نهرًا وانطلقوا عبر الشاطيء . لقد انهار الجيش الألماني في كل جهة ، فبات تفكير الأركان السوفياتية محصوراً في المحافظة على استمرار التقدم وسرعته.

**يُرِيدُ هتلر حرب إفتناء؟ فليأخذها
منّا حرب إفتناء!» (ستالين)**



جنود سوفياتيون يصطفون الدار على ضفة «الدنبر» قرب خزان جبار .
لقد دُرِب هؤلاء الجنود الأفذاذ على حرب المستنقعات والمياه غير
تدريب ، فكانت تراهم ، وهم يسررون محظتين بالأشجار ، وكأنهم
غابة تسعى !

تحرير (تابع)

ما علم المارشال «فون كلوغى» بثغرة «أفانش» حتى بادر إلى مقر قيادة الجيش السابع في «مانس» ، حيث انفجر غضبه بلسان عسكري صرف !

فالوضع «رديء» في غابة الراداءة». وبالجيش السابع، إذ ترك فوجة الدبابات «إيهرو» في الخطوط الأمامية. وفر لبساط القتال الأميركية فرصة تدمير أفضل وحداته الآلية الكبرى؛ ولدى انكفاءه في الاتجاه الجنوبي الشرقي . متجاهلاً ما بلغه من أوامر صريحة حازمة. فقد اتصاله بالشاطئ . وفتح ثغرة في الجدار الذي كان يحصر الاجتياح في الآجام التورماندية بمنتهى الصعوبة . وغداً أخشي ما كانت تخشاهقيادة الألمانية العلية. وهو وصول القوات الآلية المعادية إلى أرض حرّة طليقة. أمراً واقعاً ناجراً .

والواقع أنَّ «كلوغى» لم يكن ليخدع نفسه بالأوهام، فقد صبَّ جام غضبه وبارق صواعقه على المفتردين. بحكم عادة عسكرية قديمة، ولكنه كان على يقين من أنَّ الجهة منصدة حتماً . هنا أو هناك. عاجلاً أم آجلأً . وكان قد أحال إلى قيادة الجيش العليا المذكورة التي وقفها الروم «قبل إصابته بجرحه. والتي دارت على استحالة متاعة القتال، وطلب مقابلة الفوهرر لعرض عليه الحال عن «فرنسا» حتى «السين» في أقلِّ حدّ . فرفض «هتلر» استقباله. ورفض لذلك العودة إلى الجهة الغربية. زاعماً أنَّ وضع طليقته يحرّم عليه ركوب الطائرة .

في الوقت الراهن كان لا بدَّ من سدَّ ثغرة «أفانش». ولذا تسلَّم «كلوغى» إدارة الجيش السابع الكتيبة، مستخططاً حقوق «هاوس». من غير أن ينجزُ على تنفيذه عن قيادته. ثمَّ أعزَّر إلى الجنرال «فافرماشر». قائد الفيلق ٢٥ . بأنَّ يقيم حاجزاً على طول خليج «مون-سيشال». كانت القوات المراطة في «بروتانيا» قد رأت أفضل عناصرها تُحصل عنها على التولي، ابتداءً من فرقتي المظليين ٥ و٣ . ومروراً بفرق المشاة ٧٧ و ٢٧٥ . إلى غيرها. ييدَّ أنَّ «كلوغى» رأى من حقّة أن يضعها بعدُ . حفاظاً على المهمة الأساسية التي أشارت إليها مذكرة «قيادة الجيش الألماني العلية» الأخيرة إذ قالت: «مصير الحرب رهن بخصر الغزو في نورمانديا» .

ولكن سبق السيف العدل ! فقد ساعد الإهمالُ الألماني على تسليم الأميركيين منفذًا الخروج من المقاطعة التي كانوا يشقون فيها وينزفون منذ ٦ جزيران. فما استولوا على «أفانش»، في ٣١ تموز . وسط جموع ألمانية متفككة . حتى انطلقت إحدى طلائع الفرق المصفحة ٤ إلى جسر «سيلون». الواقع على بعد ٦ كيلم جنوبي المدينة، على طريق «بونرسون». كان الجسر بناءً من إحدى عشرة قنطرة منخفضة يجري تحتها نهر سرمع . ينحدر من «سويسرا» التورماندية ليمضي فيضه في خليج «مون-سيشال». «سبال»، بعد أن ينبعض في منعرجات كبيرة حول صخر «توبيلن». كانت قاذفات القنابل الحالية قد أغلقته بتدبير من العناية. يوم انقضتْ بهدم المباني الفنية الفرنسية؛ والحدير بالذكر أنَّ الألمان أنفسهم لم يلخصوه . فعبرته الفورة التابعة للكوكوينيل «كلارك»، قرب الساعة ٧ مساءً ، واستخلصتْ على الضفة الثانية ما يلزم من التدابير للدفاع عن قرية «بونسبول» .

كما في «روسيا» ، و «بولونيا» ، و «رومانيا» ، كذلك في «فرنسا» : تحريرُ وأنفاس !

إنفاذ ذكرنا



عودة "باتون"

في اليوم التالي، أول آب، عاد «جورج باتون» إلى المسرح وقد تسلّم قيادة الحشد، الثالث.

كان «باتون» قد أضاع وقته في الانتظار في «إنكلترا» حتى ؟ تموز . موطداً بذلك اعتقاد الألمان بأنَّ التزول الحقيقي لم يخلَ بعدُ ، ما دام اشدَّ الحرالات الأميركيَّين شيكمة كان باقياً في قاعدة الانطلاق . ولكنَّه حصل على إذن بعبور «المانش» مع أركان عامة صغيرة ، وكان مكلَّفاً بمهمات متعددة موقة . كمراقبة الفيلق الثامن . وقد طلب إليه أن يبقى في الخفاء لإطالة أمد الحيلة . وكانت الصفعة المشوهة التي وجهها للجندي «بينيت» في «صفلية» ، والتي أوغرت صدور الأمهات الأميركيَّيات عليه حقداً ، ما تزال عبئاً على وضع «جورج باتون» . وقد وعدَه «أيزنهاور» بأنَّ يُسندَ إليه قيادة جديدة على الرغم من هذا الاعتبار . مقابل تعهداته بأنَّ يتذرع بالصبر قبل أن يفوه بأيَّة كلمة ، وبأنَّ يتمالك نفسه ويفضطَّل على بيده بشدة إذا ما شعر بدُخُولِ الغضب . ولقد كان «باتون» خلائقاً بأنَّ يحثَّ م屁ْتَعَافَ ، سيا المصلحة ، على ساحة نَهْضَةِ القاتل .

كان خطط غزو «أوروبا» ينص على إيجاد مجموعة جيوش بتجزئة الجيشين اللذين أشار كافن الترول جزيئين: المجموعة ٢١، وهي تقسم الجيش البريطاني الثاني، والجيش الكندي الأول؛ والمجموعة الثانية عشرة المؤلفة من الجيشين الأميركي-كنديين الأول والثالث. وقد أستندت قيادة المجموعة الأولى إلى «مونتفوري»، والثانية إلى «برادلي»، وكان قواد الجيوش هم سير «مايلز ث. دمبسي»، و«هـ. دـ. جـ. كـريـار»، و«كورـتيـ هـ. هـودـجز»، و«جـورـجـ سـ. باـتونـ الأـصـفـرـ».

في هذا التنظيم الجديد بقي دور «مونتغومري» مبهماً. فقد كان معروضاً أنه سوف يؤمن قيادة العملية بمحملها، فضلاً عن تمرسه بقيادة مجموعة جيشه، وذلك إلى أن يتسلّم «أيزنهاور» القيادة المباشرة لقواته الحملة، في أوائل مبدئياً. وكان «مونتغومري» ينظر بامتعاض إلى هذا الحل الانقالي الآخر. فقد كانت له في الرئيس الأعلى لقوات الحلف آراء دوتها صديقه السير «الآن بروك» في يومياته السرية، منها: «إن «أيزنهاور» الشخصية ساحرة، وهو منسق بارع، ولكنه ليس بالرئيس الحق... فهو لا يعرف من المسارات الجيدة شيئاً... إنه يريد أن يتولى القيادة، وبهذا سيطرل أمد الحرب ستة أشهر إضافية...» ففي عرف «مونتي»، كان على «أيك» أن يكتفى بمركز الصدارة الأساسية، تاركاً له القيادة الفعلية.

بادرت المجموعة البريطانية للجيوش نشاطها في ٢٣ تموز. وبقيت المجموعة الأميركية للجيوش من غير حراك. وفي ٢٥ كان الجيش الأول الأميركي قد يعد فرقة قوامها مليون رجل، وهي كتلة صعبة القيادة، لا يمكن إدارتها في نطاق جيش واحد. وعلى الرغم من ذلك كان «برادلي» يخشى تفجير هذه القوة. تهيباً من الوقت الذي يصبح فيه «جورج باتون» تحت أمرته، (وكان «برادلي»، في الماضي تحت إمرة «باتون»)، وقد قال في ذلك: «ليس هذا بالاختيار الذي أتوقع إليه ...»

واخيراً فرض «ايثر» سلطته على «برادلي»، وحدّده أول آب موعداً قصي لولادة مجموعة الجيوش ١٢. احتفظ الجيش الأول بالفيالق ٧ و ١٩، مع أكبر عدد من الفرق والدوائر والأركان العامة الأكثر أهمية: ضمت إلى الجيش الثالث الفيالق ٨ و ١٥ و ١٢ و ٢٠، ولكن لم يكن لدين الفيلقين الآخرين في «فرنسا» غير أجزاء، وكان الفيلق ١٥ قد ولد منذ أيام قصير. والفيلق الوحيد الذي كان جاهزاً بالفعل هو الفيلق ٨، الذي كان يضم الفرقين المصفحين ٤ و ٦، وفرقتي المشاة ٨ و ٧٩، فألتقي بياتون بهما في الشفرة. وقد أقام مع «مونتغومري» رهاناً، قيمته ٥ ليرات

سترينية. على أنه سيكون في «بريسٍت» يوم السبت المقبل كانت طريق «بونتوسون» هي المسلك الوحيد. ولم يكن هناك غير جسر «بونتوبول»، فتدفق عبر مسلكه الذي يبلغ خمسة أمتار ثُمّ من الآليات: دبابات؛ ومدافع مسيرة آلية، وشاحنات. وسيارات «جيبي» - وسيارات مصفحة، وعدة الجسور. وجرارات، وسيارات إسعاف؛ وكانت تجري ليلاً ومصايبها مضافة كلّها، كما لو أن الطيران العدو لم يكن له وجود. وقد أهملت قواعد المسيرة كافة؛ فكانت العناصر تتوجّل في الرتل حسب ترتيب وصطفها إلى مراكز التنسق، ولم تكن الوحدات تعود إلى التجمع إلا على بساط الطريق النافذة نحو «رين»، و«رينان» - . وفوجير، و«كومبور»، و«فييري»، و«لافال». واجتازت الفرق الأربع في الفيلق الثامن «سيلين» خلال لثمان وأربعين ساعة. وقد لحقت بها بالسرعة نفسها فرقة من الفيلق ١٥. وبعد أمتار تَمُوز القاتلة غدا الطقس رائعاً . وخرج الجيش الأميركي من الوهن الشديد الذي أوقعه في حرب السياجات - وأمام المعدّات الهائلة التي كانت ترقد تحت الشباك الموهّة، نظراً لافتقار المساحة الملائمة لاستخدامها. فقد عادت إلى الحياة كما تعود أمّة كاملة من الحشرات بعثتها الشمس بعثاً جديداً.

كانت أوامر «باتون» في غاية البساطة: الفرقتان المصطفحتان ٨ و ٤ باتجاه «رين»، والفرقتان المصطفحتان ٧٠ و ٦ باتجاه «بريست». وإذا التقى «باتون» صديقه «بوب غرو»، قائد هذه الوحدة الأخيرة، الذي كان ينظم بنفسه سير العناصر على طريق «بونتورسون». شدَّ على كفه بيده القولوذية وقال له: «خذ بريست!». وإذا اتعرض «غرو» قاتلاً إن ٤٠٠ كلم تفصله عنها، أجابه «باتون»: «لَا إخالك تركني أفقد الاليارات الخمس التي راحت بها «مونتي»!».

كان مخططاً غزو «أورووبا» قد حسّبوا حساب حملة شتوية في «فرنسا». كان على الجيش الحليفة أن تخلُّ في كانون الثاني على خطّ «أبييل» - أميانس - لاون - ريمس-ترروا، فلا يمكن بالتالي أن يتم تغطير «أورووبا» الغربية قبل الصيف التالي. وفي هذا المخطط كافٍ «بروتانيا» عتبةً هذا الغزو. وكانت أعمال ضخمة قد أعدّت لتحسين مواصلاتها الفاسدة، وقد نظر في بناء مرافق كبيرة في ظلّ رصيف «كبيورون» الطبيعي. وكان على الجيش الثالث بكماله أن ينهي في غزو وشبه الجزيرة الأدموريكانيَّة، في الوقت الذي يقوم فيه الجيش الأول - المنصسط نحو «اللوار» بمحاربة جانه.

يُيد أنَّ الأفكار تتطور ، والخبراء تسير قدُماً. وأمَّا «مونغومري» الذي كان متورعاً في خططاته، جسراً في ستراتيجيته، فقد كان السباق إلى رؤية جنادات أسعَ إلى النصر. وكانت المرحلة البروتانية تبدو له من غير طائل - وقد بدا له أنَّ استخدام جيش مؤلِّف من أربعة فيالق، في وجه فرق الملايينية هرمة أربع، أمر لا مبرر له. وكان «باتون» يفكِّر بالطريقة نفسها - وكان أفضل مروِّسي «باتون» يفكِّرون على طريقة قادتهم. وكان الخبراء «جون س. وود»، قائد الفرق المصفحة ٤، قد وصل أمام «رين» منفذ عشية الأول من آب، وإذ وجد المدينة متحمِّة استدار حوطاً. ولكنَّه - بدلاً من أن يسير باتجاه «فان» و«لوريان»، وفقاً لأوامرها، سار على «أنجير». وبعد ما دعاه قائد فيلقه «ميدلتون» للاتجاه إلى «موربيهان» أطاع مرغماً وهو يقول: «ليس «لوريان» هو الموضع الذي ينبغي أن أذهب إليه، بل «شارتر». فالنقطة والوحى يقفان هنا وجهًا لوجه. وأمَّا المناورة التي ستعجل في خاتمة معركة «فرنسا»، فقد ابنتُ في الساحة نفسها - نتيجة لاصطدام الواقعين الفكريين هذين .

في ٣ آب كتب «مونغومري» ما يلي: «إنني أبعث بالفيلق الأميركي كـ
لثامن بمفرده إلى «بروتانيا». إنـ» في الأمر لمبالغة: فقد تقدم في اتجاهـ

الحرب تصفي حشيشة الخطى

إندفعت معارك «فرنسا» الخامسة خارج نطاق «الكلفادوس» و«الكورتان»؛ فقد انحرف زحف «باتون» نحو الشرق، لا يلقى أمامه غير فراغ؛ وأعرب أحد التقارير عن ذلك إذ قال: «يتعذر علينا أن نقيّد كم بأية معلومات عن العدو، إذ لا وجود لعدو أمامنا...». وقد خلقت «البيش» و«المين» من الألمان، ولم يصادف الزاحفون سوى بعض الحاجز المقام على الطرقات، أو بعض جنود مصلحة التموين الذين يقونون في الأسر فيهلل أكثرهم اعتباطاً بتهياه الحرب. وراح المدنيون ورجال الدرك والعصابة يقودون الأرتال ويمحرون ما علق في قوس الأميركيين من أتهم يحررون الناس مكرهين، وهو انتساب قد خلفه استنكار القرويين الذين غاظهم «الآ» تحرم القنابل والأبقار والماشية! ففي «الفال»، مثلاً، حيث كانت كثيبة الالمانية تدافع عن البصر، قاد رجال الشرطة البلدية الأميركيين إلى أحد سدود «الملين». ووصلت فرق الماشة ٧٩، المنقولة من الفيلق الـ٨ إلى الـ١٥، إلى «مانس» في الساعة ١٧ من يوم ٨، قبل الفرق المصفحة الـ٦ التي أخذت تقدم على عداوة ضفة «السارت» اليسرى. وقد كانت المدينة الكبيرة لساعات خلت، وهي عقدة المواصلات الغربية «فرنسا»، مقر أركان الجيش السابع الأميركي وستودعه المركزي. أما مجموع الفيلق الـ١٥، الذي يقوده الميجير جرال «وايد ه. هايسليب»، فقد بلغها بعد اجتيازه جسر «بونتوبولت» بأقل من أربعة أيام.

تحققت نبوءة «هتلر» هذه المرأة، ففي الأرض العراء، وتحت حماية تفوق جوي ساحق، زود تحرير الآلات الشامل الجيش الأميركي بالأجنحة. ووفر له قدرة على التحرك شبيهة والتي عرفتها فرق الدبابات الالمانية عام ١٩٤٠. وقد أغيرى هذا التشابه القواد للخلفاء بمحاولة تطويق القوات الألمانية في «نورماندي»؛ كما سبق «لرونديشاد» و«بروك»، أن طوّقاً القوات الفرنسية البريطانية في «الفلاندر». وسرعان ما خطر هذا الاحتمال المثير «باتون»، الذي تغدت حاسته السرطانية بدروس عميق للتاريخ العسكري، وهو المدرسة الكبيرة الوحيدة التي تخرج القواد الكبار. ولذا قال «هايسليب»: «لا يأخذتك العجب إذا ما تلقيت أمراً بالسير ناحية الشمال الشرقي، وحتى ناحية الشمال...».

هناك شه آخر أخذ بعام ١٩٤٠. ألا وهو ضد «المر» الذي توغل فيه الرمح الآلي. في يوم اندفع «باتون» على جسر «بونتوبولت»، لم يكن عرض الثغرة يبلغ عشرة كيلومترات، والجهة الالمانية لم تُغَرِّ إلا في طرفاها الأيسر؛ أمّا في ما عدا ذلك فقد تعرّضت لفضيحة شديدة لم تثبت أمامه إلا متكتبة خسائر لا تطاق، على المدى الطويل؛ ولكنها كانت، في الوقت الحاضر، ما تزال صامدة. فالجيش الكندي الأول لم يتمكّن من الترويج من ضاحية «كين» الكبيرة، وصُدَّ الجيش البريطاني الثاني أمام «فيلي-بوكاج»، ووقف الجيش الأميركي الأول يراوح بين «توريني» و«فيلي-دي-بولي». أمّا جولة «باتون»، فقد كانت، على غرار جولة «غودبريان» عقب «سيدان»، أشبه بغارة منها باستئثار لنصر. وقد دعت إلى رده الفعل فcessها التي خطّرت «لغاملان» و«فيغان» عام ١٩٤٠: ألا وهي سد الثغرة، فيما يكشف الحلفاء احتمال تطويق العدو، ركز الألمان تفكيرهم على خنق المر المفتوح عبر خطوطهم، وإيقاع العناصر التي اجتازته في الأسر. وهكذا اعتقاد «هتلر» يقيناً أن مفتاح الظفر في الغرب قد بات في يده، أي أنه قد غدا قادراً على قلب مجرى الحرب رأساً على عقب قبلًا حاسماً نهائياً!

ثمة اعتبار آخر قد أسمى في تغذية تفاؤله: ألا وهو الوضع الذي تصور الجيش الأميركي متراجعاً فيه. فقد تأبّط دراسة وضعها «فون

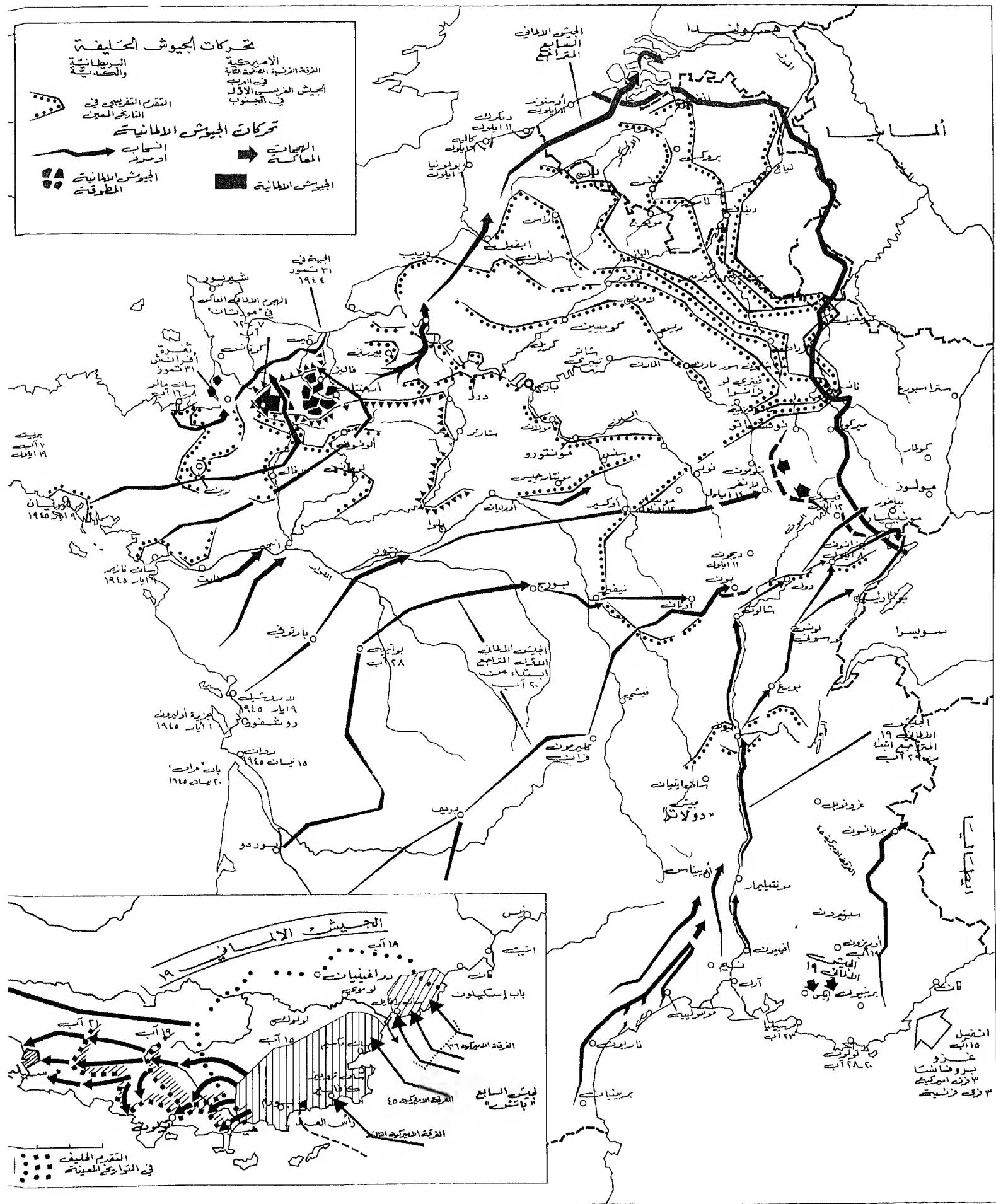
«رين» جزء من فرق الماشة ٨ فحسب؛ ولم تطا أرض «بروتانيا» عجلة واحدة من عجلات فرق الماشة ٧٩ التي استدارت نحو «الفال»، ولم ي manus. وكانت الفرقتان المصطفتان ٤ و٦ هما الوحدين اللذان توغلتا غربي خط «سان مالو». سان نازير. فوجدتا هناك بعض الماشة، وهم ٢٠، جندي فرنسي نظامي من جنود الكولونيال «إيون»، الذي هبط بالملطلة في «فرنسا» قبل ٦ حزيران. وقد تحرّر سعة عشر المقطعة تقائياً. فأشرعت الأبواب. وسلمت المدن للدبّابات الأميركيّة.

وبسطحة قلم أعلن «هتلر» الموانئ الفرنسية جميعاً أمّا كان حصينة: «دنكراك»، «كاليه»، «بولون»، «لوهافر»، «سان مالو»، «بريسٌ»، «لوريان»، «سان-نازير»، «لاروشيل»، «رويان». والتعليق الذي عرضه في خطابه المسهب بتاريخ ٣١ تموز لم يكن باطلًا: فالقوّات التي تحمل المراقي، والتي لم تكون تتمتع بالسهولة في التحرّك، كانت مهدّدة بدمار أكيد إن هي خاضت القتال في الساحات المفتوحة، فهي إذا تُؤْدِي مهمتها على وجه أفضل إن هي أوصلت أبواب «أوروبا» البحريّة وإن هي احتفظت بالقواعد التي يمكن لحرب الغواصات أن تنطلق منها من جديد.



الخزان «باتون» في سيارة جيب.

بعد إنزال طراز ٢١. وبعد ما خابأمل الفوهر عند سقوط «شيربور» السريع، أمر بأن يتحقّق في أوضاع القادة، وبأن تدرس حالتهم العقلية. فأقال بعضهم، وجعل الآخرين يوّدون قسماً خاصاً. في «بروتانيا» إذًا قامت العناصر المشتبة في الفيلق الألماني ٢٥ بالترجم إلى المراقي، بدلاً من أن تحاول الإفلات باتجاه الشرق. ولو أنَّ المرأة والثقة كانوا أكثر فعالية لدى الجنود الفرنسيين لتمكنوا من الاستيلاء عنوة على «لوريان»، ولكنَّ الساحة أفلتت من أيديهم. ووصلت الفرق المصفحة ٦ أمام «بريسٌ» في ٧ آب، ولكنَّ لم يكن لديها الإمكانيات للإغارة على موقع هام كذلك. وبذلك خسر «باتون» رهانه! وكان حصار «سان-مالو» هو الحصار الوحيد الذي بوشر فيه للحال بواسطة مجموعة قدّمتها فرق الماشة ٨٣. وينحو ١٢،٠٠٠ رجل، لم يعرف الكثيرون منهم بندقية من قبل. قام الكولونيال «أندرياس فون أولوك» بالتمرّكز على ضفة ي مضي «الرانس». وإذا تلقى إنذاراً أخيراً يطلب منه الاستسلام، أجاب بأنه سيدفع عن «سان - مالو» حتى آخر حجر فيها.



«مورتان». معتبراً أنَّ مشروع مناورة المارشال كان متراجعاً ضعيفاً. فالواجب يقضي بتجهيز المجموع ناحية الجنوب الشرقي على «مانس» مباشرةً لبر ساق العدو عند أصلها. وإذا ما أبادت الدبابات الفيلق الأميركي ١٥ استدارت ناحية الغرب وسارت على «أفرانش» مروراً «بماين»، بالاشتراك مع القوات المختلفة حول «مورتان».

كانت رؤيا «هتلر» خيالية وهمية؛ فالفرق المصفحة التي يقذف بها في قطاعات الأفق كلتها ليست إلا حفنة من الدبابات يخدها رجال منهاكون، وقد أسمى تموينها بالوقود مؤقتاً رهناً بالظروف، فضلاً عن أنَّ قدرتها على التحرك باتت ضعيفة جداً نظراً لسيطرة العدو على الجو. ولقد قال ذلك للفوهرر تلميذُ «غوديريان» المحبّ والضابط الباسل «إيرباخ». في تقرير خاص: «لا بدَّ من الانتهاء إلى أنتن، في الطور القمري الراهن، لا يمكننا أن نتحرك أكثر من ٦ ساعات على ٢٤ ساعة، وذلك من الساعة ٣ إلى ٩، وبشرط ألا يخوننا ضباب الصباح...» ومع هذا، كان «هتلر» منطبقاً في رفضه القبول بهذه الاعتبارات. ذلك أنه لو قبلها لما وسعه إلا أن يسلِّم بهزيمة «ألمانيا» النهائية، أي بإخفاقه وانتحاره. فهو لم يبق يكافع ليبعد الكارثة عن بلده، إنما للمد في أيامه!

طفقت الدبابات المعينة تغادر ناثة «مورتان» ليل ١٢ آب. كانت الخططة المرسومة تفرض أنها، اطلقاً من منطقة «كروج»، ستثنَّ هجوماً عاماً نحو منطقة «سي»، خلال ليل ١٤-١٥ آب. ييدُ آن تلك كانت نظرة في البال مجردة: فقد اضطرَّ «إيرباخ» منذ ١٣ أن يهدِّي إلى فرقة الدبابات الصاعقة ١١٦ - المؤلقة من ١٥ دبابة! - أمر الدفاع عن «أرجنتان». وفي الغد اضطررت فرقه الدبابات الصاعقة ١ - المؤلقة من ٣ دبابة! - أن تغلق الجبهة من «كروج» إلى «لافري-ماسي»؛ ثم قفت الحاجة على فرقه الدبابات الصاعقة ٢ - المؤلقة من ٢٥ دبابة! - بأن تصدَّ الفرق المصفحة الثانية أمام «إيكوشي». أمَّا فرقه الدبابات ١٠، التي كان مفترضاً أن تهب للنجدة قادمة من ناحية «دوفرن»، فلم تستطع أن تقوم بالانتقال بسبب افتقارها إلى الوقود؛ وأسافرقة الدبابات ٩، التي كان عليها أن تنسِّم إلى قوات «إيرباخ»، فقد دمرها الفرنسيون عملياً في غابة «إيكوف». وفي «رسنبوغ»، احتشدت حول خارطة الفوهرر مجموعة جيارة من الفرق المصفحة التي تتقدَّم على جانب الجيش الأميركي الثالث المتهور المعرَّض. أمَّا في «نورمانديا» فقد انبعض فنادق من المحاربين بين «فالير» و«اغاسي» فعششوا في السياجات، وهي، إن كانت قادرة على مقاومة صامدة ذات شأن، عاجزة عن القيام بحركة هجومية. وهكذا يعرِّف قواد الحرب المتعاظمون المتعرجون كلَّهم في مرحلة يرفضون فيها الإقرار بواقع الأمور.

أعادت مجموعة الجيش ٢١ كرتها في ١٤ آب، فشطبَت القنابل الملقاة بين «كيسي» و«تايسيل»، فرقَّة المشاة ٨٥ من جهة القتال الألمانية. ومع حلول المساء كانت الفرقان الكنديان ٢ و٤ على بعد ٧ كلم من «فالير» التي قُصِّفت بعنف لم يُبقَّ أثراً لرسم الشوارع. ومددَّ البولنديون الرمح شرقَ «الدليف»، ليزدواً كثافة الخلفَة التي تتطيق على الجيشين الألمانيين العالقين في الشرك.

نزلَ صَاعِقٌ في «بروفانس» تطويق مخْفِقٍ في «نورماندي»

قال «هتلر» بعد أسبوعٍ مشيراً إلى يوم ١٥ آب ١٩٤٤: «لقد كان أكثر أيام حياتي سواداً...» ولكنَّ القدر كان يحبّي له المزيد من السواد.

كان التهديد الذي تعرَّضت له «أفرانش» قد طرح على القيادة الخليفة مشكلة شائكة: أكان عليها أن تعيد «باتون» أدراجه، إبقاءً على صلاحته بالشاطئ النورماندي؟ أم أنها تجازف بقطع جبل سرة الجيش الثالث الموقت؟ لقد قرر «أيزهاور» شخصياً. صبيحةَ اليوم الذي أخذت فيه الدبابات الألمانية تدنو من «سانت-هيلير-دو-هاركويه»، أن يعتمد جانب البحرة المنطقية. فقد بلغت طاقة مصلحة النقل الجوي ٢٠٠٠ طن يومياً. بحيث أنه كان بالإمكان تأمين حاجات الجيش الثالث المدحورية أية كانت الاحتمالات. وباتت متاحة فتح «فرنسا» ممكناً، بالرغم من المجهود الأخير الذي يبذله «هتلر» لترميم جبهته النورماندية.

يدُ آنَّ اندفاع «باتون» لم يبقَ يرمي إلى إنشاء «المزلق» الذي وضع عمليَّة الغزو تصميمه: فالعتاد الذي تشتَّت به الجيوش الألمانية بالأرض ولد فرصة ممتازة لتطويقها وأسرها. وهكذا يسمُّ «باتون» - الذي كان يبغى «بريست» أولًا - شطر «الونسن» لا شطر «شارتر»، مقوًّا بحور مسيرته بما يزيد على ٩٠ درجة، حاملاً الدائرة التي بدأها منذ ثغرة «بوتوبولت» باتجاه اليسار إلى ثلاثة أرباع مدارها. ومضى، على أن يبلغ في تقدمه خطأً يعرِّف في «كروج» و«سي»، حيث يواجه الجيش الكندي الأول القادم من الشمال مروراً «بفالير» و«أرجنتان»، فيُغلقَ المزمرة... في الوقت الذي بدأت فيه هذه المناورة الالتفافية الصخمة، كان الجيش الثالث مشتَّتاً على مسافة ٤٠٠ كلام تتدَّنَّ من رأس «فينستير» إلى ريف «مانس». فهو يقاتل على أبواب «سان-مالو»، محدقاً بمدينتها القديمة المحترقة؛ وهو يقوم بمحصار «بريست» فاصلاً من أجله فرقه المشاة ٨، وهو إلى ذلك يسدَّ منفذَ «سان-لوريان» و«سان-نازير»، ويدرك نهر «الوار» من «نانت» إلى «أنجييه». ولكنَّه، مع هذا، يملأ بسعة ما يلزمَه من الشهود لتنفيذ مهمته الجديدة. فثلاثة من فيلقه جاهزة بكلِّها.

أو يقسم منها: فالفيق ١٥ الزاحف على «الونسن» يشكّل مركزَ النقل في العملية بكلِّها؛ والفيق ١٢ مستعدَ لتمديد عمله باتجاه الشرق، كما أنَّ الفيلق ٢ على استعداد لحمايته بوصله بالجيش الأول، قرب «دوفرن». وليس بين يدي الألمان لصدِّ المناورة سوى بعض مفارز من جنود المُخرَّات، والفيق المصفح ٥٨ الذي يضمُّ فرقه الدبابات ٩ وفرقه المشاة ٧٠٨ الوافدة من جنوب «فرنسا» شرذم وأسمالاً.

كان ريف «الونسن» مغايراً لأرياف «نورمانديا» التي خبرها الأميركيون منذ شهرين. فالملاعي الخصبة، ومرابض اللحيل، تتناوب والغابات الفخمة التي ينفر فيها المدفع، قطعاناً من الأيل! ازداد الفيلق ١٥ قوَّةً بانضمام الفرق المصفحة الفرنسية ٢ التي نزلت إلى البرِّ يوم ٣ آب في خليج «مون-سان-ميشال». مثُلَّ «لوكلير» بعِدَّته فانزع جسور «الونسن» سليمة. وما لبث أن اجتاز غابة «إيكوف»، وخرج عن طريقه المرسومة. فعرقل منطقة سير الفرق المصفحة الأميركيَّة ٥. لم تكن «أرجنتان» في المنطقة الأميركيَّة ولا في المنطقة الفرنسية، لأنَّ فتحها كان قد تُرك لكتنديي مجموعة الجيش ٢١. ولكنَّ دورية فرنسية قد دخلتها مع ذلك في الساعة ٥ من مساء ١٣ آب، نزولاًً عند رغبة دركين مهلين ١ ثم انسحبَت بعدَما رفعت العلم الفرنسي برهةً على إحدى نوافذ بيت المختار. وغدت «فالير»، التي شُنَّ الكتنديون هجومهم عليها من جديد، على بعد ٢٥ كلام. أي ما يعادل مسيرة ساعتين بالنسبة للدبابات!

في ١١ آب أطلقَ «كلوغي» «هتلر» على ضيَّخامة النطْر وقرب وقوعه. واقتصرَ أن تسحب من ناثة «مورتان» ثلاثُ فرق مصفحة لشن هجوم معاكسٍ من الغرب إلى الشرق على جانِ الفيلق الأميركي ١٥. قبل «هتلر» المبدأ، ولكنَّه أخذ يناقشه التطبيق. فرفضَ أن يقبل التخلِّي عن الرمح على «أفرانش»، وبالتالي لم يسمح إلا براجحِ محدودٍ في منطقة

«نورمانديا»، مقتضياً على سبع فرق لا تضمّ أقلّ من ٢٠ كتيبة شرقية. وعلى فرقة المصفّحات ١١ التي كانت موجودة لسوء الحظ إلى غربي «الرون» في منطقة «مونبلييه». ومنذ ساعات الصبيح الأولى لاح للقيادة الألمانية أنَّ النشّاط الناقصة في جدار المتوسط، فضلاً عن القوات الهزيلة التمرّكزة فيها، كانت عاجزة عن مواجهة الغزو البحديد.

في «نورمانديا» لم يكن يوم ١٥ آب يوم هدنة؛ فلقد جلا الأثمان عن
ناتحة «مورتان»، فأعاد الأمير كيكون احتلالها من قذيفتين بذلك المحاصرين في
الحطـ ٣١٧ ، إلا أن سبعة فيالق الملبنة كانت مخصوصة بين «فليـ»
و«الديـف»، في معرـ طوله ٥٠ كلم وعرضه نحو عشرين ، قال عنه رئيس
أركان المجموعة «بـ» العامة «إنـ» الرسـ فيه يتـازم من ساعـ إلى ساعـة .
ولم يكن الجـيب قد أـغلـق بعد ، ولكنـ تـموـيهـه قد غـدا صـعبـاً للـغاـية ، وكانت
القـاذـفات الـحلـيفـة تـزرـعـ فيه فـوضـى دـامـيـة . ومع ذلك فلا التـرـولـ في
«برـوفـانـسا» ، ولا قـتـالـ «نورـمانـديـا» المـتفـاوتـ القـوىـ ، كانـا سـبـباً لـهـياـجـ
وأدـولـفـ هـتلـرـ ، وـثـورـتـهـ . وـقـلـقةـ الـخـانـقـانـ ، بلـ اـقـتـاعـهـ بـخـيـانـةـ جـديـدةـ :
فالـمارـشـالـ «فـونـ كـلـوـغـيـ» ، القـائدـ الأـعـلـى بـجـبهـةـ الغـربـ ، قدـ اـخـفـىـ ! كانـ قدـ
أـمـضـىـ لـيـلـهـ فيـ «مولـ» فيـ ١٤ـ ، فيـ جـوارـ «فيـموـتـيـهـ» ، مرـكـزـ قـيـادـةـ
«دـيـترـشـ» ؛ وـعـادـ إـلـىـ الرـحـيلـ فيـ السـاعـةـ ٣٠ـ ، مـنـ صـيـحةـ الـيـومـ التـالـيـ ،
باتـجـاهـ «نيـسيـ» ، فيـ جـوارـ «فالـيزـ» ، مرـكـزـ قـيـادـةـ «إـيرـبـاخـ» . ولـكـتهـ لمـ
يـصـلـ ؛ وأـمـاـ النـداءـاتـ الـتيـ وـجـهـتـ لـ الشـاشـتـةـ الإـذـاعـةـ الـتـيـ تـرـافـقـهـ فقدـ
لـقـيـتـ أـذـنـاـ صـماءـ . وـقـدـ جـرـىـ الـبـحـثـ عـنـهـ فيـ أـخـاءـ الجـبـبـ كـلـهاـ ، ولـكـنـ
مـنـ غـيرـ جـدـوـيـ .

ولم يتردد «هتلر» في تعليل هذا الاختفاء: «فكلوغربي»، الذي كان متورطاً في محاولة ٢٠ تموز، والذي علم أنَّ أمره قد افتضاح، وأنَّه حالك لا محالة ، قد انتقل إلى صفوف العدو! لقد ذهب إلى جيب «فالبز» للإسلام على الأقل ، أو للتفاوض في أمر إسلام جيشه على الأرجح . وفي مستهل فترة ما بعد الظهور رفض «هتلر» أن يتضرر أكثر مما فعل، فأمر الجنرال «هاوسر» بأن يتسلّم مؤقتاً قيادة مجموعة الجيوش «ب» ، وراح يبحث عن رجل قادر على قمع خيانة «فون كلوغربي» في مهدتها. وبعدهما تردد في الاختيار بين «كيسلنزن» و«مولد»، اختار الثاني واستدعاه إلى «رسينبورغ» للحال .

وعاد المختفي إلى الظهور في الواحدة صباحاً! كانت الطائرات الحليفة قد أحرقت سيارته ، وأتلفت الشاحنة-الإذاعة ، وقتل رقاء رحلته أو أصحابهم بجروح . وكان قد أمضى يومه مختبئاً في حقل قمح ، وقد كتب عليه أن يلوذ بالحمدود الذي يشنّقونه خلال الساعات النهارية. وعند الغسق لم يجد سيارة إلاً بعد عنااء كثير ، ومن ثم يقع في الطريق ساعات قبل أن يبلغ «فيسبي» حيث وصل ذليلاً ، رث الشاب ، مرهقاً. وكان ترحبب «روستنبرغ» به برقية تمنعه من العودة إلى الجيب ، وتأمره بإدارة المعركة من مركز قادة «ديترتش» تحت رقابة نازي ، علينا !

وأطاع «كلوكي» الأوامر، فعاد إلى «مول». وقد مكنته المغامرة التي خاضها من أن يرسم «بلودول» لوحـة حسـية لإحدـى الـلبـاليـ في مـؤـخـرات جـبـهـة نـورـمانـديـاـ: الطـرـقـاتـ الـتـيـ اـكـظـطـتـ بـجـمـوعـ غـفـرـةـ؛ الـأـرـنـالـ المـقـاطـعـةـ الـتـيـ تـشـلـ الـحـرـكـةـ؛ عـرـقـلـةـ السـيرـ أـمـامـ الـجـسـورـ المـدـمـرـةـ؛ الـمـدـفـعـيـةـ وـهـيـ تـرـهـقـ وـتـدـمـيـ الـفـارـقـ؛ هـدـيـرـ الطـيـرانـ الـعـدوـ الـمـوـاـصـلـ؛ السـيـارـاتـ الـمـشـتـلـةـ الـتـيـ تـسـتـرـىـ قـنـابـلـ جـدـيـدـةـ بـسـبـبـ الـتـيـرانـ الـمـذـلـعـةـ فـيـهـاـ... وـكـانـ «جـوـدـلـ» يـصـبـيـ إلىـ هـذـاـ الرـصـفـ بـشـيـعـةـ مـنـ الـإـرـتـيـابـ؛ وـلـكـنـهـ لـمـ يـعـلـمـ مـخـاطـبـهـ باـسـتـبـدـالـ الـوـشـيـكـ، وـاـكـتـفـىـ بـإـعـلـامـهـ بـأـنـ الـفـوـهـرـ سـوـفـ يـسـمـحـ وـلـاـ رـيـبـ بـإـجـلاءـ جـيـبـ «فـالـيـزـ»ـ.

كان الكنديون في «فاليز». وأمّا البولنديون ففي «ترون». وكان

خلال الليل هطل على «بروفانسا» مظليّو الفرقـة الأولى المقوـلة جـواً الأميرـكيـون والإـنـكـلـيزـ بالـآـلـافـ . وـفيـ السـاعـةـ ٨ـ صـبـاحـاًـ نـزـلـتـ ثـلـاثـ فـرـقـ أـمـيرـكـيـةـ بـيـنـ «ـكـانـ»ـ وـ«ـهـيـرـ»ـ . إـنـ عـمـلـيـةـ «ـأـفـيلـ»ـ دـرـاغـونـ قدـ اـنـطـلـقـتـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ: تـلـكـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ أـرـجـعـتـ مـرـارـاًـ عـدـةـ ، وـالـتـيـ كـانـ «ـتـشـرـشـلـ»ـ يـناـهـسـهـاـ ، وـالـتـيـ أـبـقـىـ الـأـمـيرـكـيـونـ عـلـيـهـاـ لـتـحـوـيـلـ نـظـرـ الإـنـكـلـيزـ عـنـ «ـالـلـقـانـ»ـ ، أـكـهـ مـنـ لـقـضـهـ . ضـهـ وـهـ عـسـكـرـتـةـ يـقـنـعـونـ سـيـاـ.

كانت القوات التي اشتركت في هذه العملية ناتجةً أصلًاً عن تجزئة جيش «إيطاليا». ففي ٢٨ تموز التنزع الفيلق الأميركي السادس وفيلق الحملة الفرنسي من الجزء «كلارك» بعد ما كانوا في أوج ملاحقتهما. وبعد الاستيلاء على «ليفورنو» و«بيزا» و«سيسي»، وقد أعيد إلى جنوب إيطاليا لكي يصار إلى إبعادهما من هناك شطر الساحل البروفنسالي. وأمام فرقة مشاة المستعمرات التاسعة، التي احتلت جزيرة «إيلا» في ١٧ و ١٨ تموز. وأمام الفرقتان المصفحةتان ١ و ٥ اللتان كُوِّنْتَا في «الجزائر»، فقد أنتَتْ تضضم إلى القوات الفرنسية التي قُسّمت بدورها إلى فيلقين كان لهما أن يؤثراً جيشهما فيما بعد. وأمام «جوان» فقد زال عن مسرح الحرب العاملة ليحل محله الجنرال «دي لاتري دي تاسييني»، وذلك على الرغم من موقفه الباهر أثناء حملة «إيطاليا». كان معادياً لعملية «أنفلي». معتبراً بحق أن سهل «البوا» إنما كان المفتاح стратегيًّا للحرب، وساحة القتال المثالية التي تقود إلى «فينسا» و«براغ»، وإلى خط «والالب» في وقت يسير. ييد أن «السياسة - سياسة «روزفلت» السوفيietية - قد قررت عكس ذلك دوًعاً إلتفات إلى استراتيجية بولندا.

وقد رافق عودة هذا العدد الضخم من الجنود الفرنسيين نحو أرض «فرنسا» رعشةً عاطفية قوية. إلا أن التحضيرات ، والإبحار ، وعبور «أنغيل» لم تكن تلبي تقلبات غزو وأوروبا المؤثرة إلا مشابهة طفيفة. ومع ذلك فقد كانت الحملة بالغة الأهمية ، وقد تطلبت تحريلاً حوالى ٣٠٠ سفينة إزالة أو سفينة نقل ، ومواكبة بحرية مولدة من سفينة حرية، منها البارج «فيفادا» و«تيكساس» و«أوكلاهوما» و«راميليز». وراحت التقاويف تقترب من الساحل الفرنسي عبر ثمانى طرق انطلقت من «وهران» و«مدينة الجزائر» و«بنتر» و«باليمو» و«تاراتتو» و«برينيزي» و«تابابولي» و«كاليفي». ولم يُشب العبور أو الاقتراب أى عارض فقط ، سوى حادث طارئ في الساعة ٤٧، ٣، بالقرب من جزيرة «الشرق» حين عكّرت صفو الرحلة لبرهة وجية السفينة الألمانية «إيسكاربورت» ، ولكن المدمرة «سومرز» أتت عليها بصلية واحدة . وفي ذلك الوقت بالذات كان المهاوير الفرنسيون والمغاربة من جماعتي «روميو» و«روزي» قد وطّنوا الشاطئ في رأس «العبد» وفي نافورة «إيسكيون» ، فضلاً عن مظليبي فرقة «إيربورن» الجحوية الأولى. وكانت عملية إزالة مظليبيين مفتولين قيد التحقيق أمام «جنوا» ، ولا شوّفات».

بدأ القصف الجوي والبحري مع طلوع الفجر. وعند بزوغ الشمس كانت السماء غائمة، ولكن البحر كان هادئاً، وكانت النشرة الجوية متباينة. وراحت موجات الموجوم في فرق المشاة الأميركية ٣٦، ٤٥، ٤٠، ٣، تحتشد من غير عقبات أمام «سان رافائيل» و«سان تروبي» و«كافالير» على التوالي؛ وقد وطئت جميعها الأرض باستثناء واحدة في الساعة الثامنة والدقيقة الواحدة، من رأس «كافالين» حتى مرر «أنتيور» البحري الضيق.

كان الجيش الألماني التاسع عشر يؤمن الدفاع عن الساحل المتوسطي، وعلى رأسه الجنرال «فريدريك فيسي» الذي حلّ لتوه محلّ «فون شودنثرن». وكان هذا الجيش، بعدما اعتصر لصالح جبهة

الإنكليز يجتازون وادي «الأورن». وفي «بروتانيا» كان الأمير كيتون يجهزون على «سان-مالو» حيث تفضل «فون أولوك» عهده، فرفع العلم الأبيض على القلعة ! وفي اتجاه «باريس» استولوا على «درو»؛ وعلى «الوار» استولوا على «أوريزان». وفي «نورمانديا» راحوا يسطون على قعر الجيب. فبات جلياً أن كل شيء كان ينهار، وأن النهاية قد أقبلت ...

وفي الواقع كانت إحدى أكبر فرص الحرب قد فاتت الخلفاء. فمن جملة قطاعات معركة «فرنسا» كافة، بقي واحد هامد الأنفاس، وهو أكثر القطاعات أهمية، إلا وهو قطاع «أرجنتان». لم يكن الفيلق الأميركي ١٥ قد جاوز الخط الذي بلغه في ١٣ آب. وكانت انتصارات من فرقه، الفرقة المدرعة ٥ والفرقة ٧٩، قد سحبنا من القتال وأرسلنا إلى المنطقة الباريسية. وأمام شعب الكلابة التي كانت تعلق جيب «فاليز» فقد توقفت من تلقاء نفسها، وأمام تطويق الجيش السابع، والجيش المصطف الخامس. فقد بقي متقدماً بعدهما بوشر به بصورة محكمة. فالأمريكيون يشتتون بسبب جلوتهم الميكانيكية الرحيبة، بدلاً من أن يركزوا اهتمامهم على الشيء الوحيد الذي يعتبر في الحرب ذا أهمية: إلا وهو إبقاء العدو ! لقد كان «برادلي» هو المسؤول عن هذا الخطأ. وقد أقر بذلك إذ قال: «لقد كان القرار قرارياً أنا دون سوائي...» فمنذ ١٣ كان «هايسليب» قد طلب إذن بمتابعة تقدمه، وبانحراف من منطقة مجموعة الجيوش ١٢ لاحتلال «أرجنتان»، ولكي يمدّ يده إلى الجيش الكندي الأول باتجاه «فاليز». ولكي يُحكم من ثم إغلاق الدائرة حول العدو. وقد وافق «باتون» بمحاسة، إلا أن «برادلي» تدخل ممانعاً، قال في ذلك: «لقد كانت تعليماتي صارمة للدرجة أنَّ «باتون» قد استدعى قوات «هايسليب» من غير أن ينس بكلمة...» وأمام «مونتفوري»، القائد الأعلى لمسرح العمليات - فلم يستعلم عن شيء، ولم يأمر بشيء. وأمام «أيزنهاور» فقد كان غارقاً في أوساطه الرفيعة العالية ، فلم يأبه للتتدخل في شؤون فيلق بسيط ! وبقي «برادلي» هو الحكم المطلق. قال: «كنت شديد الرضى لكوني قد بلغت هدفي، وقد أتفت أن أحددى لي هدفاً سواه». إنَّ الرجال ذوي المختلات العادلة لا يصيرون على الإطلاق جنداً عظاماً. فالمدف. في نظر، «عمر برادلي»، كان خط «تينشيري-ران-سيس-مولان لمارش»، فيما كان متوقعاً أن تقوم في «نورمانديا» «ستالينغراد» ثانية . وذلك بأسر جيشين ملائين ، وبتعجيل أجل الحرب بأن تُسدِّد إلى العدو ضربة مادية ومعنوية قاسية .

لم يكن «كلوغي» عالماً بالمهلة التي مُنحتها. وبعدما تأكّله القلق الشديد، أمر بالخلاف عن الجيب من غير أن يحصل على إذن «هتلر». بدأ التراجع في ليل ١٦-١٧، وكان لزاماً التخلّي عن السيارات بسبب انعدام الوقود. كانت المسيرة بطيئة في الظلام، عبر الطرقات المنصرمة التي اكتظت بالحطام. وطلع الفجر يشهد أرتال الجيش السابع الطويلة، التي تجرّها الخيل، مجسدةً غربي «الأورن»، أمام جسر «بوتاج» وهو ممر النهر الأوحد . واحتلّ «كلوغي» تمريها، فنقل اهتمام العدو إلى نقطة أخرى، وذلك بأن أمر بشن هجوم على «بور-سان-لينار» على مدخل الجيب. وقامت فرقة المصحفات الصاعقة ٢ بتدعم عمر التسلل بطردها فرقة المشاة الأميركيَّة ٩٠ من القسمة التي تسيطر على ممر «الدليف» في «شامبوا». وخلال النهار تمكنَت ٤ قاذفة من طراز «هاينكل»، حوتَت إلى طائرات نقل، من أن تستُرِّ في الجيب بعض اللذخيرة وقليلًا من الوقود للدبّابات الأخيرة الباقية. وقام «كلوغي» حتى آخر لحظة بأعباء قيادته كجنديٍّ ماهر ذي خبرة .

ولكن ساعاته الباقيَّة كانت معدودة. أتى «مودل» في صبيحة ١٧

يُوكَد قبل القيادة الحربية العليا بإنخلاء جيب «فاليز»، حاملاً إلى «كلوغي» في الوقت نفسه رسالة جافية من «هتلر» جاء فيها : «لم يبق صالحًا للقيام بقيادة الغرب. أرجو أن تضع نفسك بتصاريحي ». واختفى «كلوغي» بنفسه لنصلّي الجواب. وبعد ذلك تشاور بهدوء مع «بلومتريت»، رئيس أركانه العامة، وطلب أن تكون سيارته جاهزة ل الساعة الخامسة، واستأنف خلفه بالانصراف بتأديب. وقد استهلَّ الرسالة التي تركها «هتلر» على الوجه التالي: «عندما تبدأ بقراءة هذه السطور . لن أكون في عدد الأحياء...» وقد نقض فيها عن نفسه مسؤولية كارثة «نورمانديا»، ممتيناً «مودل» أن يكون أسعده حظاً منه . وأضاف الرسالة: «وأمام إذا كان الأمر غير ذلك، وأمام إذا لم تأتِك الأسلحة الجديدة التي تبني عليها آمالاً كبيرةً بالانتصارات المتوقعة، فعندئذ يجب عليك أيتها الفوهور أن تضع حدًا للحرب. فالشعب الألماني قد تأسَّم فوق طاقته. وقد حان الوقت لشجب هذه الفظائع الرهيبة ».

وفي صبيحة اليوم التالي أوقف المارشال «كلوغي» سيارته عند مدخل «متر». وقد رأه السائق يضع كبسولة بين شفتيه، وما لبث أن حمله إلى المستشفى وهو في الرمق الأخير. فهذا الذي قد أفقد متأملي ٢٠ تموّز سانحthem الأخيرة، انتقل في تلك اللحظة ينضمُّ إليهم في عالم الآخرة . وفي الجانب الخليف تبنّه المسؤولون إلى خطأ «برادلي» وعزماً على إغلاق الجيب. وانطلق الجيش الكندي الأول باتجاه «سان-لامير». وجهز الأميركيون فيلقاً مؤقتاً شنَّ هجومه من «بور-سان-لينار» باتجاه «شامبوا». كانت المقاومة ما تزال ذات شأن، ولذا لم يكن الوصول قد تم بعد عشية ١٨ . وقد تمكن حشد من الأعداء من الفرار باتجاه «الدليف» بين «ترون» و«شامبوا». وعادت العمليات فتشتعل في ١٩، فإذا بالأحراج تسلطَّي بعدما أحْرَقْتُها قذائف الفوسفور. فهذه المنطقة النورماندية الرائعة، أرض مرابض الخيل، وأرض القصور، قد دُفِّعت تحت غشاء عقين من الدخان الآسن المترتج بالغيار والمطر. وغاصت الطرقات تحت تكبّة هائلة من الطعام، واستحالَت القرى مواضع هول طفت فيها على رائحة الحريق والثانية البشرية رائحة هي من أرهب رواح الطبيعة: رائحة الخيل في طور تحملُّها. وراح الألمان يقاتلون بضراوة. وعند المعركة تمكنَت الفرقة البولونية المصطفحة الأولى من طردِهم من جبل «أورمييل»، وهو دعامة محِّجة ضخمة كانت تبني طريق التسلل مفتوحة. وحلَّت بهم فرقة المشاة الأميركيَّة ٣١٧ قادمة من «شامبوا»، بعدما أخلَت جرَأاتها الطرقات بإزالتها الركام والبلشت في خليط فوضوي . وبذلك يكون الجيب قد أغلق. ولكن إغلاقه تأخر عن الموعد الضروري خمسة أيام ! فأكثر من نصف الرجال الذين كانوا فيه، وبين عددهم ١٢٠،٠٠٠، قد تَمَكَّنُوا من الخروج منه. وهكذا فاتت الخلفاء سانحة النصر الباهر التي كان يمكن أن يوفرها استسلام جيشين ملائين بلا قيد ولا شرط !

على الرغم من ذلك كانت الفريسة دسمة؛ فالجipp ، الذي لم يبقَ جيب «فاليز»، كان بمثابة مثلث يبلغ طوله نحوَ من عشرة كيلومترات. بين خط «كين» الحديدي و«الدليف»، وبين خط «أرجنتان-شامبوا». وقد كيَلَومِرَا بين خط «نيسي-كريوي» وخط «أرجنتان-شامبوا». وقد تكَّدَسَ فيه أكثر من ٥٠،٠٠٠ ملائين، أكثرهم من النهائين، المستسلمين، الذين لا يتوقفون إلاً إلى الأسر. فأركان جيش عامة، وأركان عامة لجامعة مصفحة، وأربع أركان فيلق عامة، ونحوَ من عشرة أركان فرق عامة، كانت هنالك سهلة المأخذ، ولكنَّ المعركة لم تكن منتظمة، فما كان من البولونيَّين، الذين تُرِكوا لأمرهم على جبل «أورمييل»، إلا أن فقدوا الاتصال مع الكنديَّين، وانهمر المطر؛ ولم يُعد

نهاية «فيشي»

كان بوس حزيمة «نورمانديا» الألمانية أن تكون أشمل وألم وأبهر . إلا أنها كانت، في أية حال، حاسمة؛ فقد فقد الجيش الألماني معركة «فرنسا»، بل «فرنسا» ذاتها، بشكل نهائي.

كثيرون هم الذين خرموا من حبيب «فالليز»؛ غير أنَّ من بقوا منهم فيه، بين قتلى وأسرى، يشكلون نسبة المحاربين، أمَّا الجنود الذين كانوا في فقد دُمِّروا عملياً، وأمَّا فوق الدبابات التي حملت عبء القتال الأثقل فقد أمست أثراً بعد عين. فلم يبقَ من الفرقة ١١٦ سوى ٥٠٠ رجل، ومن الصاعقة ٢ سوى ٤٥، ومن الصاعقة ١٠ فلم يبقَ لها دبابة واحدة . وهلم جراً. أمَّا الفرقتان ١ والصاعقة ١٠ فلم يبقَ لها دبابة واحدة . ومع هذا ما فتحت وحدات النخبة هذه صامدة، فيما تفككت الأخرى، وراح قطيع من البشر ينساب على جسر من جسور «رووان» وقد رُتم قسم منه، فيما مضت جماعات من الجنود تجتاز نهر «السين» في كلِّ ما يطقو ، وحتى في براميل عصير التفاح المقورة؛ ونشبت معارك دامية حول المراكب القليلة النادرة. هذا، ورجال الدرك الألماني يوحُّهم الفارسيين نحو منطقة «أمييان» حيث أعيد جمع شملهم وتسليمهم . وما لبثت المؤشرات أن ارخت، فبدأ الحلاوة عن «باريس»، وأنكمشت أركان «سان جerman» «لاروش-غويون» على نفسها تحت إسمت «مرجيقال». ولم يبقَ «مودل»، الذي كان «هتلر» يتوقع منه أن يجتاز معجزة، سوى قائد مرهق يثنَّ من جراحته الكثيرة التي ما كان ليحس بها في حمى الانتصار. فحلَّ الجيش السابع، وصهر خطامته في الجيش الخامس المتصفح الذي أعاده إلى «ليرباخ»، وأمره، بناءً لتوجيهات «هتلر»، بأن يتمسك «بتوك» عن طريق «تروفيل-ليزيه-غاسي». ولكنه نبه «قيادة الجيش العليا» إلى أنَّ كلَّ أمل بالقاومة جنوبِ «السين» قد تلاشى؛ ورغبة منه في تحاشي الآهيارات الشامل، طلب ٣٠ فرقة جديدة تكون منها مصفحة. ولم يكن سحبها ممكناً إلا من الجبهة الروسية، «مودل»، العائد من هناك، أدرى الناس باستحالة سحب كثيبة واحدة .

كان على الجيش الخامس أن يتوجه بالجيش الأول المكلف بحماية المنطقة الباريسية، بتركيزه بين «درو» و«أوريان». هذا على أن ينبعض الجيش الأول في ما بعد على «إليون» ليتصل بالجيش التاسع عشر المتراجع من الساحل المتوسطي. وهكذا يتم بناء جبهة متassكة تحمي موقع إطلاق القنابل الطائرة من «ماهافر» إلى «بيزانسون».

كان الجيش الأول، الخاضع لقيادة جنرال المشاة «كورت فون دريشفالري»، يحتلَّ شاطئ الأطلسي من «اللوار» إلى «البيرينيه»، وكان عليه بالتالي أن يتراجع عبر القسم الأكبر من «فرنسا» ليقوم بالدور الاستراتيجي الذي أنتدب له. ييد أنه كان عاجزاً! فكلَّ من فيلقه يتالف من فرقه واحدة من الأجناد الثابتة التي يبلغ احتلال العناصر والألوان فيها حدَّ الاستعمال على فوج هندي (هو الفوج ٩٥) جند أفراده العميل «شاندرا بوز». صدر في ١٦ آب أمرٌ يقضي بانسحاب التشكيلات غير المقاتلة إلى شرق خط يمتدُّ من «أوريان» إلى «كليمون فران»، فنُفذ إلى الطرقات بـ ١٠٠،٠٠٠ رجل وامرأة من الجيش الألماني ليس لهم من وسائل النقل. أجمالاً، إلا أقدامهم. وتحرَّكت تشكيلات المحاربين بعد ذلك بيومين للحاق بالأولى، باستثناء الحاميات التي تركت في المانش . ولكنَّ قطع الطرقات، وهدم الجسور . وهجمات رجال المقاومة المتالية، جعلت السير بطيناً للغاية .

حلَّ ٢٨ آب . وقد انقضى أسبوع على بدء التراجع . فإذا القسم

الطيران إلى الظهور . وترافق المجهود البري نفسه . فالجيش الذي أُتي إغلاقه متأخراً قد أغلى بصورة سيئة . وقد قرر القادة المازمون الذين أسروا فيه إعادة فتحه !

في ليل ٢٠-١٩ أُتُّلف «أوجين ميندل»، قائد فيلق المظليين الألماني الثاني، رتلين، وأصدر إليهما أمراً بالتحرك بالصمت الخام . وأمَّا «هاوسر»، قائد الجيش السابع، فقد انضمَّ إلى أحد هذين الرتلين ورشاشه متعلق إلى عنقه . وتمَّ اجتياز «الديف»، بالقرب من «سان-لامير»، عند قدم تلة ارستيت فرقها مصفحات العدو . وما إن اكتشف «ميندل» أنَّ العدو يحتلَّ جبل «أورمبل»، حتى التفتَّ من حوله حتى بلغ «كودهار» بالقرب من دسكرة «كاماميير» الشهيرة . والنقي «هاوسر» الذي كان قد فقد إحدى عينيه أمام «موسكو»، والذي أصبح لتوه برصاصه هشمت فكه . وكان الدم يسيل منه . جلس القائدان في حفرة من الحفر التي أحذثها القذائف وراحوا يرتجلان هجوماً لإعادة فتح الجيب بواسطة فرق المصفحات الصاعقتين ٢ و ٩ . وهما تضمَّنان ٢٠ دبابة فحسب ! وبعد ذلك حملَ «ميندل» شاحنته بالحرجي بين فيهم «هاوسر» . وغضَّها بالصلبان الحمراء . ثمَّ أطلقها في وضع النهار على طريق «فيوموبي» . فتوقف إطلاق النار ببرهة ريشما تمرَّ بسلام .

وتمكنَ قوَادُ كبيرة من التجاة من الجيب بظروف «ميندل» عينها . وهم : «ماهلمان»، قائد فرقة المشاة ٣٥٣، و«فون لوتفيت»، قائد فرقة المصفحات ٢، و«ميير»، قائد الفرقة المصفحة الصاعقة ١٢، وغيرهم . وبديلاً من أن يجني الحلفاء قطافهم الشمر لم يتمكّنا إلا من أسر جنرالات ثلاثة، منهم «فون إلدلت» خليفة «فون شولتز» على رأس الفيلق ٨٤ . لقد أدى هجوم «ميندل» المعاكس شمالي جبل «أورمبل» إلى إعادة فتح منفذ . واجتاز بضعة آلاف من الرجال، وكذلك بعض الآليات . «الديف» على جسر «سان-لامير» الذي يتقى صالحًا للاستعمال ، وتمكنَوا من التجاة في ليل ٢١-٢٠ . وكانت سبُول المطر العارمة تزيد من دياجير الظلمة . وعُرِّكَ «ميندل» في زاوية حرج «كودهار»، عند أقدام جبل «أورمبل» الذي كان البولنديون يرقدون فوقه وقد أصابهم العياء . وكان رجال «ميندل» يرقدون هم أيضاً من فيهم المراقبون المرهقون . ولكنَّ الجنرال يقف على قدميه؛ وراح يوجه بنفسه نحو «فيوموبي» بجموعات الرجال التي كانت تتبعه من غمرة الليل والمطر . وقبل الفجر بساعة واحدة صرخ الناجون من كثيبة للرماء بأنه لم يبقَ هنالك أحد في أعقابهم . فايقظ «ميندل» رجاله، وأمرهم بالانصراف، وعاد إلى الانتظار حتى الخامسة تماماً، ثمَّ انصرف بدوره ماشياً، وهو يكاد يكون وحيداً . وتضاعف عصف المطر . أمَّا معركة «نورمانديا» فقد انتهت .

وقل مصفح يختار «أرجنتان» .





الmarsال marshal «بيتان» يغادر «فيشي» .

النكبة رأس «فرنسا» السياسي بقيت واحدة هدوء وسلام . في ٨ آب غادر «الفال» «فيشي» خفية ، وفي ١٢ انتقل من «باريس» إلى «نانسي». حيث كان «إدوار هيريو»، رئيس مجلس التواب. قد تظاهر بمس من الجنون لطيف، وفتر لسبيل اللجوء إلى مستشفى الأمراض العقلية؛ فإذا بلقاء السياسيين العريقين يتم بالدموع. كانت خطبة «الفال» تقضي بدعوة مجلس ١٩٤٠ الوطني فيما يستقبل به الحلفاء ويفاوض «ديغول». وعلى غرار «بيتان»؛ كان ينوي الانسحاب؛ أو الهجرة إذا لزم الأمر، بعد أن ثبتت أركان الشرعية الجمهورية. غير أنه ، على تقدير المارشال، ما كان يفكر إلا بالاعتزال المؤقت.

أخفت المحاولة إخفاقاً ذريعاً. فأبدى «هيريو». وقد أعيد إلى «باريس»، الكثير من التحفظ والتخوف، بعد الشوّة العاطفية التي أثارها خلاص «فرنسا». فعمد المتربيون، وليس ما يدعهم إلى إعداد مستقبل «فرنسا»، إلى توقف رئيس المجلس، وأعادوه إلى الأسر في ضواحي «برلين». ثم أرغموا «الفال» على نقل حكومته إلى «بلفور»؛ «رفض «الفال» معلنًا أنه سيتظر الحلفاء في فندق «ماتيبين»، فأثنى الرد عليه بالقرة والإكرام؛ وفي الساعة ٢٣ من ١٧ آب مضت به قافلة من الغستابو باتجاه الشرق. فقال وهو يستقل السيارة: «ما أنا غير أسير...» وبعد ثلاثة أيام أتى دور «بيتان». ففي الساعة ٧ من يوم ٢٠ آب حطم جندي ألماني بباب غرفة نومه بقضيب من حديد. كان رجال الحرس في مدخل فندق «بارك» مزوّدين برشاشات مشوشة، وبصناديق من القنابل اليدوية مفتوحة، ولكن «بيتان» منهم من اللجوء إلى مقاومة مبروسة؛ فخرج متتصبّ القامة، شاحب اللون، بحضور السفير البابوي، والوزير السويسري المفوض، اللذين كان قد استدعاهما ليسلمّهما احتجاجاً على عملية الخطف التي يتعرض لها . وحين تحرك زقل السيارات الألمانية الذهابة بالمارشال «فيليب بيتان»، وقرنته، تحت رذاذ أغير، أنشدت جماعة صغيرة من المخلصين نشيد «المارسيلياز». أما عهد «فيشي» العاصمة فقد انقضى .

«تولون»، «مارسيليا»، «مونتييمار»، «ليون»

في «بروفانس» كانت العمليات الخلية تسير بسرعة لم تكن بالحسبان. وقد أحضيَت أوكرار المقاومة الساحلية بشدة. ومنذ العشية الأولى تم الاتصال بين القوات التي نزلت من البحر والقوات المابطة بالمنظلات. وجرى اعتقال الجنرال الألماني «نوينغ» في «دواغينيان» مع أركانه العامة، وهو قائد فيلق الاحتياط ٦٢. وانطلقت مفرزة مصفحة

الأكبر من الفيلق ٦٤. القادم من ناحية «الروشيل». لم يختُر بعد «بواتيه». كانت «أوريبيان» قد عيّنت كنقطة للانقاء العام، إلا أنَّ الأميركيين سبقوا الألان إليها. فلم يبقَ هؤلاء إلا أن يتابعوا السير نحو الشرق اللقاء الجيبي التاسع عشر.

ما ابْتَعدَ الجنود الألمان حتى انْتَقَ جنوبِيَّ غربِيَّ «فرنسا» وسطها تلقائياً. وتشمل المطقتان ما يُقدَّر بثلاثين محافظة تقريباً. تغطي ٥ مناطق من ١٢ منطقة عسكرية حاولت هيئة أركان الجنرال «كونينغ» أن تحدَّد بواسطتها معالِم تلك الكتلة المهمَّة التي تشمل القوات الفرنسية الداخلية. وهي: بـ (بوردو) - ٣ (مونبولييه) - ٤ (تولوز) - ٥ (ليموج) - ٦ (كيلمون فران). فخرَّجت السلطات الثورية، التي شكلَّت في المقاومة السريّة، إلى النور بضمير وجلبة. كانت مدينة «الجزائر» قد عيّنت مفوّضين للجمهورية. ومحافظين وفوازير محافظين. إلا أنَّ الولايات الشيوعية أو الفوضوية هي التي تغلَّبت في عدة مقاطعات. وكاد يرافق التحرير في كل مكان استيلاءً ثوريًّا على السلطة. ولا ريب في أنَّ موئِّلاً يعود إلى أساليب «آتين» في وصف مريرة الثورة الفرنسية وأسراها. سيجيبي تلك الحقبة الغربية الرهيبة في غضون سنوات. أمّا الآن فذلك غير ممكن. وكل الذين حاولوا بحث الموضوع قد أخفقوه، فوثائق تلك الفوضى الفوضوية الجديدة، وملفات فترة الربع تلك، ما تزال دفينة سرّ رهيب. ولم يستطع أحد حتى الآن أن يُحصي، ولو بصورة تقريرية، عدد الأفراد الذين أعدموا بشكل اعتيادي، أو بالاستناد إلى عدالة مزورة. ولاشك في أنَّ جرائم شنيعة قد أرتكبت بالجملة، ليس لها من البرير إلا أنها انتمام لجرائم حيوانية فاجرة مماثلة ارتكبها الفستابو ورجال الشرطة الفرنسية وبعض وحدات الفرق الصاعقة. وكان لا بدَّ من انتقام بضعة أشهر قبل أن تستقر السلطة في المحافظات الجنوبية. فليسَّم قمعُ أعمال التعاون مع العدو إلى المحاكم النظامية وحدها.

كانت «فيشي» تقع على حدود مقاطعة «أوفرن» للمقاومة السريّة. فخشيت السلطة المحتلة انتصارات رجال المقاومة عليها واحتطاف المارشال «بيتان». ولذا نُقل العجوز في ٧ أيّار، في موكب لأنانيٍّ ضخم، إلى قصر «فوازان» بالقرب من «رانبويي». وما انقضى أسبوعاً حتى غير الألمان رأيهم فقرروا. متذرعين بنزول وشيك شمالي «فرنسا»، أن يعيدوا من لا يزال يُدعى رئيس الدولة الفرنسية إلى عاصمتها، مدينة المياه المعدنية، فأصرَّ «بيتان» على أن يعود عن طريق «نانسي»، «إبينال»، «ديجين»، «ليون»، «سانت-إتيان»، حيث استُقبل بالهناف والتصفيق كما استُقبل في الشهر الفائت لدى زيارة قام بها إلى «باريس» و«رووان»، مما زاده اعتقاداً بأنه ما انفكَّ يجسد الشرعية محتفلاً بمحبة الشعب الفرنسي. وشجعه على توجيه رسالَة إلى «ديغول» يعرض فيها عليه أن يقاسمه السلطة خلال بضعة أشهر. حتى إذا انقضت الفترة الانتقالية. انسحب هو من الحكم لينهي أيامه في خلوة هادئة. غير أنَّ هذا الإثر الساذج لم يلقَ أيَّ جوابٍ قط.

انقضى حزيران وتوزَّع سلام. ووسمت الأسلاك الشائكة، التي أحدثت بفندق «بارك»، مدينة «فيشي» بطايع الحكم العربي، إلا أنَّ الطمأنينة الخارجية لم تتعكرَ. فالمآلسي الفرنسية تجري في أماكن أخرى: في «نورماندي» المنكوبة، في «الفيركور» حيث سالت دماء رجال المقاومة، في «أورادور-سور-غلان» حيث أبادت فرقة «الرابع» السكان كلَّهم، أو على قارعة الطريق حيث اغتال رجال الشرطة «جورج ماندل» ثاراً لاغتيال وزير الأنباء «فيليب هيريو». كانت «فرنسا» منذ ١٩٤٠ قد سلمت من الزوبعة التي عصفت بالعالم، وإذا بالمرء تضاعف فجأة طرق جلدتها وتعذيبها؛ ولكنَّ مدينة المياه المعدنية التي جعلت منها

الفرنسية من السير نحو «بورغون» و«الألازاس» في أسرع وقت ممكن، وأمام «الكسندر م. باتش»، قائد الجيش السابع الذي كان «دي لاتر» ما يزال متقيداً بسلطته حتى إنشاء مجموعة الجيوش ٦، فقد قبل بذلك. بدأ حصار «تولون» في ٢٠ آب، قبل أن ينجز النسق الثاني في الجيش الفرنسي عمليات إنزاله. وكانت الجبال التي تحيط بالمدينة كثيرة الوعورة، فجعلت من المحاصرة سلسلة من التسلق عبر مرارات ضيقة أو جدران تكسوها الأشواك. وفيما كانت الفرقه الفرنسية الخفيفة الأولى تخوض قتالاً عنيفاً في سبيل «مير»، إلتقت فرقه المشاة الجزائرية حول المدينة، يقودها «مونسايير»، وبلغت البحر في «باندول» و«ساناري». وبعدما تم تطويق المرفأ الحربي الكبير شن الهجوم عليه من البحر والبحار. وقام أسطول فرنسي-أمريكي قوي، يضم «النيفادا» الهرمة و«اللورين» الأكثر هرماً، بقصف شبه جزيرة «سان-ماندربيه» وبطاريات رأس «سيسيير». وكان الحاكم الألماني، الأميرال «روهوفوس»، يعتزم سد الموقف بأن يغرق فيه البارجة «ستراسبورغ» والطراد «الاغاليسونير» اللذين أعيد تقويمهما بعد اتحارهما في ١٩٤٢؛ ولكن ٣٥ طائرة من طراز «ب-٢٥» حالت دون تحقيق هدفه بأن أغارت هاتين العمارتين داخل الصنف البحري. وفي البر كان الألمان يقاومون بصيحة شديدة؛ كان القتال يدور في غمرة الحر الشديد، تحت ضباب من الغبار كثيف، وسط أحراج الصنوبر المتهبة. إلا أن نزول فرقه مشاة المستعمرات ٩ إلى خط النار، ونشاط المدفعية القوية، لم يتركا للمدافعين أي أمل في الصمود. واستولى الفرنسيون تسلقاً على الحصون الثلاثة التي تسسيطر على «تولون» وهي «لي كوم» و«لوغارون» و«لووكدون»، وسلطاً من ثم إلى المدينة من خلال خور «الداردين». وفي ٢ آب، وعلى الرغم من المقاومة المحلية، سقطت المدينة في أيديهم. كان المعلم هو شبه جزيرة «سان-ماندربيه» مفتح المرفأ. فالتاج الأميرال «روهوفوس» إليه. وانصبّت على شبه الجزيرة تسخّتها ٧٨٥ طنّاً من القنابل، وأكثر من ٨٥٠ قذيفة من القاذفات البحرية تراوح عياراتها بين ١٣٨ و٣٤٠. فاستسلم «روهوفوس» في ٢٨ آب، ومعه ١،٨٠٠ بحار وجندى هم آخر المدافعين عن «تولون».

في ذلك التاريخ كانت «مرسيليا» قد غدت حرّة. كان الهجوم محمداماً بعد الاستيلاء على «تولون»، ولكن «مونسايير» راح يحرب المسافات من غير توقف، وفي نيته ألا يدع الأميركيين «يصلّون بمفردهم، و فوق طرقات «فرنسا»، على قبة الظفر المحرر». ومن عقدة طرقات «لوكان» راح يوجه نحو «مرسيليا» قسماً من فرقه المشاة الجزائرية ٣، وبمجموعة من المشاة المغاربة، وبجموعة قتال من الفرقه المصفحة الأولى. سقطت «أوبان» في ٢١، بعدما تدفق عليها المهاجمون من الشمال والجنوب، وتم بلوغ ضاحية «سان-جوليان» في اليوم التالي. وانتاب القلق «دي لاتر» لدى مشاهدته حفنة الرجال تغوص في بحر من البيوت، فمنع مؤقتاً اجتياز «الحاري»، وهو جدول يفصل «مرسيليا» عن ضواحيها، ولكن فيلق المشاة الأفريقي ٧، التابع للكولونيل «شابوبي»، غاص في قلب الجموع. وفي الساعة ٨ من نهار ٢٣، خرج إلى جادة «المادلين» التي قادته إلى «الكانوبيير». وفي الساعة العاشرة بلغ «المرفأ القديم»، شاطراً بذلك دفاع العدو شطرين. ودخل ضابط استعلامات «شابوبي». وهو «الكافن» الراهن «كرسيباً»، إلى مركز البريد، وبكل بساطة اتصل هاتفيًا بالجزرال «شاfer»، يدعوه إلى الاستسلام وقبل الحاكم الألماني بالاجتماع إلى «مونسايير» في حصن «سان-جان»، ولكنه تصلّب حين أبلغ أن ما يطلب منه إنّما هو استسلام بلا قيد ولا شرط. فانفصمت المدنة. وفي الساعة ١٩، ١٥ عادت معركة «مرسيليا» إلى حالها.

باتجاه «غرافويل». عبر طريق «نابوليون». واستولت فرقه المشاة الأميركية ٣ على «برينبول»، ثم توجّهت شطر «إيكيس». وبلغت الفرقه ٤ وادي «الدورانس» الأسفل، ويحتم شطر «أفينيون». ولحقت الفرقه ٣٦ بالفرقة المصفحة. وراحـت القيادة الألمانية تستغيث مستدعاً قوتها الوحيدة القادرة على ضفة «الرون» اليسرى، وهي الفرقه المصفحة ١١. ولكن الحسور قد دمرت جميعها، فبات عبور الدبابات بمراعي مرسجلة بطيناً جدّاً. لم يكن يداعب الجيش الألماني أي أمل في صد الغزو الجديد، أو على الأقل في كبحه، فاقرح التخلّي عن القتال وإخلاء الفوري عن جنوبه «فرساً».

في ١٧ أذعن «هتلر» لهذا التخلّي القاسي. فلـلجنـاح الجيش ١٩ الأيسـر سوف ينسحب حـطـام الفـيلـق ٦٢ إلـى «إيطـالـيا» حيث يـنـصـمـلـ إلى قـوـاتـ المـارـشـالـ «كـيـسـلـنـغـ». وـكـانـ عـلـىـ الـقـيـلـيـنـ الـآـخـرـينـ،ـ فـيـلـقـ الطـيـرانـ الـرـابـعـ،ـ وـفـيـلـقـ،ـ ٨٥ـ،ـ أـنـ يـتـرـاجـعـ،ـ الـأـوـلـ عـبـرـ الضـفـةـ الـيـمـيـ،ـ وـالـآـخـرـ عـبـرـ ضـفـةـ «الـرونـ» الـيـسـرـىـ.ـ كـانـ وـضـعـهـماـ خـطـيرـاـ:ـ فـانـلـطـرـطـ الحـدـيدـيـةـ مـقـطـعـةـ،ـ وـلـمـ تـبـقـ «ـالـسـيـفـينـ»ـ وـ«ـالـأـلـبـ»ـ غـيرـ أـعـشـاشـ لـلـمـقاـوـمـةـ.ـ وـفـيـ صـفـوـفـ الـأـرـقـالـ الـمـرـاجـعـةـ كـانـ عـدـدـ الرـجـالـ غـيرـ الـقـاتـلـينـ ثـلـاثـةـ أـصـعـافـ الـقـاتـلـينـ،ـ إـذـ لـمـ يـكـنـ مـئـةـ جـيـشـ وـاحـدـ يـضـمـ نـسـبـةـ مـنـ الـجـنـودـ الـمـعـتـدـلـينـ وـمـنـ الـطـفـلـيـلـيـنـ كـنـسـبـةـ قـوـاتـ الـاحتـلـالـ الـأـلـمـانـيـهـ هـذـهـ.ـ وـهـكـذـاـ،ـ فـلـوـ أـنـكـ نـظـرـتـ إـلـىـ الـطـرـقـ الـيـيـ عـشـتـهاـ حـشـودـ غـيـرـةـ لـرـأـيـتـ رـتـلـاـنـ مـنـ الـمـاـسـعـدـيـنـ الـتـونـكـيـنـيـنـ الـذـيـنـ اـنـقـلـلـاـ إـلـىـ خـدـمـةـ «ـأـلـمـانـيـاـ»ـ بـعـدـ مـاـ اـسـتـدـعـاـلـ مـلـحـارـبـتهاـ وـكـانـ هـنـاكـ خـطـرـانـ يـحـيـقـانـ بـتـلـكـ الـجـمـاعـةـ:ـ الطـيـرانـ وـتـقـدـمـ الـأـمـيرـكـيـنـ السـرـيعـ فـيـ «ـالـأـلـبـ»ـ،ـ فـقـدـ كـانـ بـعـسـوـرـهـمـ أـنـ يـعـرـضـواـ الـجـيـشـ ١٩ـ بـعـدـ اـجـتـيـازـهـ أـوـيـةـ «ـالـإـيـنـ»ـ وـ«ـالـدـرـوـمـ»ـ وـ«ـالـإـيزـيرـ»ـ،ـ وـانـعـاطـافـهـمـ بـاتـجـاهـ «ـالـرونـ».ـ وـعـنـدـمـاـ قـامـ «ـبـلـاسـكـوـفـتـ»ـ،ـ قـائـدـ الـمـجـمـوعـةـ (ـجـ)ـ،ـ بـتـبـلـيـغـ الـجـيـشـ ١٩ـ قـرـارـ الـفـوـهـرـ،ـ أـضـافـ قـاتـلـاـنـ:ـ «ـهـاـوـلـاـ بـلـوـغـ مـنـطـقـةـ «ـشـالـوـنـسـوـرـسـونـ»ـ.ـ إـنـهـاـ قـضـيـةـ سـاعـاتـ.ـ هـذـاـ،ـ إـنـكـمـ لـتـلـقـيـاـنـ أـيـ اـمـرـ آـخـرـ بـعـدـ الـآنـ.ـ لـقـدـ اـسـتـشـنـتـ حـامـيـتـاـ «ـتـولـونـ»ـ وـ«ـمـرـسـيلـيـاـ»ـ مـنـ اـمـرـ التـرـاجـعـ،ـ إـذـ كـانـ عـلـيـهـمـ،ـ حـسـبـ الـكـلـامـ الـمـقـخـمـ الـمـأـلـوـفـ،ـ أـنـ تـدـافـعـاـ حـتـىـ آخرـ طـلـقـةـ عـنـ القـلاـعـ الـيـيـ كـلـفـهـ الـفـوـهـرـ بـهـ.ـ وـلـكـنـ قـوـاتـ لـمـ تـكـنـ جـدـيـرـ بـالـقـيـامـ بـعـثـلـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ.ـ فـقـدـ كـانـتـ تـحـمـيـ «ـتـولـونـ»ـ فـرـقةـ الـمـوقـعـ ٢٤٢ـ،ـ بـإـمـرـ الـجـنـرـالـ «ـبـاسـلـرـ»ـ،ـ وـكـانـ الـفـرـقـةـ ٤ـ،ـ بـإـمـرـ الـجـنـرـالـ «ـشـافـرـ»ـ،ـ هـيـ الـيـ تـوـمـنـ حـمـاـيـةـ «ـمـرـسـيلـيـاـ»ـ.ـ وـكـانـ هـاتـانـ الـفـرـقـاتـ وـحدـتـينـ كـبـيـرـتـينـ مـنـ الـشـقـثـ الـثـانـيـ نـضـمـانـ كـتـابـ شـرـقـيـةـ عـدـيـلـةـ،ـ وـنـسـبـةـ قـوـيـةـ مـنـ الـرـجـالـ الـمـسـنـيـنـ وـالـمـعـاقـيـنـ.ـ فـهـيـ،ـ بـكـونـهـاـ عـاجـزـةـ عـنـ الـقـيـامـ بـأـيـ تـحـركـ تـكـيـيـكـيــ.ـ وـبـالـتـالـيـ بـأـيـ دـفـاعـ مـرـنـ،ـ لـمـ تـكـنـ قـادـرـ إـلـاـ عـلـىـ بـسـطـ سـتـارـ بـشـرـيـ رـقـيقـ حولـ دائـرـ الـمـدـيـتـيـنـ الـكـبـيـرـتـينـ الـشـاسـعـةـ.ـ

هـذـاـ وـقـدـ جـعـلـ غـزـوـ «ـتـولـونـ»ـ وـ«ـمـرـسـيلـيـاـ»ـ مـنـ نـصـبـ الـقـوـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ.ـ يـاـ هـاـ مـنـ مـهـمـةـ مـقـيـةـاـ فـقـدـ كـانـ مـنـ شـائـهاـ أـنـ تـبـقـيـ عـلـىـ السـاحـلـ فـرـقـ الـجـنـرـالـ «ـدـيـ لـاتـرـ»ـ،ـ فـيـمـاـ كـانـ الـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ تـحـرـرـ قـطـعـاـ وـاسـعـةـ مـنـ الـأـرـضـ الـفـرـنـسـيـةـ.ـ كـانـ الـاستـيلـاءـ عـلـىـ «ـتـولـونـ»ـ وـالـاستـيلـاءـ عـلـىـ «ـمـرـسـيلـيـاـ»ـ قـدـ حـدـداـ لـ ٥ـ وـ ٢٥ـ أـيـلـولـ عـلـىـ التـوـالـيـ.ـ وـبـوـجهـ الـإـجـمـالـ كـانـ سـيـاقـ الـعـلـمـيـةـ قـدـ نـُسـقـ عـلـىـ نـمـطـ وـقـوـرـ بـطـيـهـ.ـ وـلـمـ يـكـنـ مـتـوقـعـاـ بـلـوـغـ «ـلـيـلـنـ»ـ قـبـلـ ١٥ـ تـشـرـيـنـ الـثـانـيـ.ـ وـيـعـودـ السـبـبـ فـيـ وـضـعـ هـذـاـ التـقـوـيـمـ إـلـىـ الـمـيـالـةـ الـمـاـهـيـةـ فـيـ تـقـدـيرـ قـوـاتـ الـعـدـوـ.ـ إـلـاـ أـنـ الـأـمـيرـكـيـنـ قـدـ تـحـرـرـواـ مـنـ قـيـودـ هـذـهـ التـوـارـيـخـ،ـ فـتـمـ اـجـتـيـازـ «ـالـدـورـانـسـ»ـ فـيـ «ـأـورـيزـونـ»ـ فـيـ ١٩ـ آـبـ،ـ فـيـمـاـ لـمـ يـكـنـ مـتـوقـعـاـ بـلـوـغـ عـبـرـ إـلـاـ ٣٠ـ أـيـلـولـ.ـ وـقـدـ بـاتـ لـزـاماـ عـلـىـ «ـدـيـ لـاتـرـ»ـ،ـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ،ـ أـنـ يـعـجـلـ هـوـ الـآـخـرـ فـيـ إـنـجـازـ عـلـيـاتـهـ فـيـ «ـتـولـونـ»ـ وـ«ـمـرـسـيلـيـاـ»ـ كـيـ تـمـكـنـ الـقـوـاتـ

جنبًا إلى جنب، لقد أُسيك بالجيش ١٩ من خناقه، وقد بدا أنه لا مفرّ
البُتَّة من الاستسلام.

غير أنَّ قوَادَ القوَاتِ الْأَمْلَانِيَّةِ، وجزءاً منها، قد احتفظوا بالغُزْمِ.
فقد صَدَّتْ محاولاتِ أميركيَّة عَدَّة للاستِيلاء على «مونتيليمار» من
خلال وادي «رويون». وبعدها دَعَمَ «فيسي» هذه الرَّكيزة جَمْعَ فرقة
المُصَفَّحَاتِ ١١ وفرقة المُشَاهَةِ ١٩ معاً ووضَعُهَا تحت إمرة «فون فير شايم»؛
وأصدرَ إِلَيْهِ أَمْرًا بِأَنْ يَعِدَ فتحَ طَرِيقَ «ليون» مَهْماً بَلْغَ الشَّمْنَ.
كَانَ التَّحْرِكَاتُ صَعِبَةً بِصُورَةٍ تَفُوقُ كُلَّ وَصْفٍ، وَكَانَ الاتِّصالَاتُ
تَنْصَدِعُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ؛ وَأَمَّا شَاحنَاتُ الغَازِ وَجِينِ الْقَدِيمَةِ فَقَدْ كَانَتْ
الآلاتُ التَّحْرِكَةَ الوحيدة لِدِيْهِمْ، وَكَانَ عَلَى العَنَاصِرِ النَّاهِيَّةِ إِلَى الْجَهَةِ
أَنْ تَشَقَّ سَبِيلَهَا بِالْقُوَّةِ وَسَطَ الْخَندَلِ الْلَّاغِطِ الَّذِي كَانَ يَعْرَقُ السَّيرَ عَلَى
الطَّرِيقِ رقم ٧. وَقَدْ شَنَّ هَجُومَ أُولَى فَتَّانَ فَتَّالَ فَرَابِمَ خَلَالَ النَّهَارِ
وَاللَّيلِ، يَبْدِي أَنَّهَا أَخْفَقَتْ جَمِيعَهَا. وَقَدْ ارْتَكَبَتْ الْقِيَادَةُ الْأَمِيرَكِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ
نَفْسَهُ الَّذِي ارْتَكَبَهُ فِي «فاليز»؛ فَهِي لَمْ تَأْخُذْ بِزَمامِ الْقَتَالِ كَمَا يَجِبُ.
وَهِي لَمْ تَكُرَّسْ قَوَاعِدَهَا كَافَةً لِشَدِّ الْجَبَلِ الَّذِي طَوَّقَ بَهْ عَنْقَ الْعَدُوِّ.
وَبِدَلَّا مِنْ أَنْ يَرْسُلَ «تراسِكتُوت» فِي طَلَبِ الْفَرْقَةِ ٤٥، وَكُلَّ مِنْ
يَاسِطَاعَهُ أَنْ يَقْاتِلَ، يَاتِيَهُ «مونتيليمار»، إِذَا بِهِ يَسْبِحُ إِحْدَى الْمَفَارِزِ
وَيَرْسُلُهَا إِلَى وَادِي «إِلَيزِير» فِي مَهْمَةِ استِكْشافِهِ؛ فَأَضَعَفَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ
فِي الْمَكَانِ وَالْرَّمَانِ الْحَاسِمَيْنِ.

فِي السَّاعَةِ ٨ مِنْ صَبَّيْحَةِ ٢٦ أَعْلَمَ «فيَرِ شَاهِيم» رَئِيسَهُ بِأَنَّهَا قَدْ تَمَّ
استِعادَةُ «كُوكُورُود»، وَأَعْيَدَ فَتْحَ الطَّرِيقِ. كَانَ التَّرَاجُعُ قَدْ بدَأَ ثَانِيَةً مِنْذِ
أَمْدَ قَصِيرٍ، فَإِذَا بِيَاهُ «الدَّرُوم» تَفَيَّضَ فَجَاءَ، مَعْتَلَةً الْمُعْرِبَيْنِ الْوَحِيدَيْنِ
مُوقِتاً، وَلَمْ يَعُدْ الْفَيلِقُ ٨٥ إِلَى مَسِيرَتِهِ إِلَّا فِي ٢٧ ظَهَرًا. وَأَمَّا الْمَدْفِعَيْةُ
الْأَمِيرَكِيَّةُ، الَّتِي كَانَتْ تَلْقَى نَبِرَانِها بِدَقَّةٍ وَسَهْلَةٍ مِنْ مَرْفَعَاتِ «مارسان»،
فَقَدْ سَدَّدَتْ إِلَى الرِّتَلِ الْأَمْلَانِيِّ نَارًا رَهِيبَةً سَحَقَتِ السَّيَارَاتِ، وَفَجَرَتْ
عَرَبَاتِ الْمُؤْنَ وَأَبَادَتِ الْبَهَائِمَ، مَنْقِيَةً فَوْقَ الطَّرِيقِ خَلِيلًا عَجِيْبًا مِنَ الْحَدِيدِ
الْمُلْتَوِيِّ وَالْأَجْسَادِ الْمَسْحُوَةِ. وَأَمَّا التَّارِيخُ الْأَمِيرَكِيُّ فَهُوَ يَصُفُّ ذَلِكَ
بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ حَلْمُ رِجَالِ الْمَدْفِعَيْةِ». وَلَكِنَّ بَعْضَ ضَبَاطِ
الْأَرْكَانِ الْعَالَمَةِ الْأَمْلَانِيِّنَ رَاحُوا يَعْجَلُونَ بِالْعَبُورِ، وَيَلْقَوْنَ فِي «الدَّرُوم»
بِقَيَايا الْجَيْشِ ١٩.

وَإِلَى مَا وَرَأَهُ ذَلِكَ كَانَتِ الْقَوَى الْحَلِيفَةُ وَالْأَمْلَانِيَّةُ تَتَجَهُ بِكَامِلَهَا تَحْوِي
«ليون»، وَجَعَلَ «فيسي» فَيلِقَ الطَّيْرانِ الْرَّابِعِ يَحْتَلُّ وَسَطَ الْمَدِينَةِ كَيْمَا
يَتَمَكَّنَ الْفَيلِقُ ٨٥ مِنْ اجْتِيَازِهَا مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ. وَكَانَ الْأَمِيرَكِيُّونَ قَادِمِينَ
مِنْ «غُرُونَوِيل» وَ«فَالَّانْس»، وَكَانَ الْفَرْنَسِيُّونَ، الَّذِينَ فَرَغُوا مِنْ احْتِلَالِ
«مارسي»، وَعَبُورِ «الرُّون» فِي ظَرْوَفَ بِهْلَوَانِيَّةِ، قَادِمِينَ مِنْ «سانِ إِيتِيَانَ»،
وَفِيَّ «أَرْبِيل». وَقَامَ مَنَاصِلُ مَنْطَقَةِ «را» الْفَرْنَسِيُّونَ، بِقِيَادَةِ الْكُولُونِيِّ

لَا يُسْتَبِّعُهُ أَنْ تَكُونَ مَعرِكَةُ «مونتيليمار» هَذِهِ أَكْثَرَ مَعَارِكِ الْمَحْرُبِ بِهَاءَ.
فَقَدْ دَارَتْ رِحَاهَا وَسَطَ حَشُودَ مِنَ النَّاسِ طَغَى عَلَيْهِمُ الْمَيَاجُ، كَانُوا
يَنْتَلُونَ مِنْ مَرْحَلَةِ الْغَفَلَةِ إِلَى طُورِ الْمُلْعُ الشَّدِيدِ. وَكَانَ ٥٠٠٠ مِنَ الْقَوَاتِ
غَيْرِ النَّظَامِيَّةِ، أَصْبَحَ عَدَمُهُ ٢٠٠٠٠ بَعْدَ النَّصْرِ، يَخْارِبُونَ إِلَى جَانِبِ
الْقَوَاتِ النَّظَامِيَّةِ. وَأَمَّا «مونسَايِير» فَقَدْ ارْتَدَى بِزَتَّهُ الَّتِي كَانَ يَرْتَدِيهَا
سَنَةِ ١٩٣٩، وَأَقامَ فِي مَقْرَبِ الْمَحَافَظَةِ، فِي شَارِعِ «سانِ-فِيرِيُول»، فِي
بَقِعَةِ مِنَ الْأَرْضِ شَمَائِلَةً، وَكَانَ عَلَى الرَّاغِبِ فِي الْوَصْولِ إِلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ
بَيْنَ الرَّصَاصِ سِيرًا مَتَّعِرِّجًا. وَكَانَتْ «الْكَانُوبِير»، بَعْدَ مَا قَصَفَهَا مَدْفَعَهُ
حَصْنُ «سانِ-نيكُولا»، مَقْتَلَةً بِالْقُطْرُ الْمَدْمَرِيِّ الَّذِي تَشَابَكَ بِأَسْلَاكِهَا
الْكَهْرَبَائِيَّةِ. وَقَدْ تَمَّ اقْتِحَامُ الْمَضَبَّةِ وَكَانِدِرَائِيَّةِ «نوِرِدَام-دِي-لَا-غَارَد»
عَلَى مَرَأَيِّ مِنَ الْأَلْفِ الْفَضْلَيِّينَ.

فِي ٢٧ خُبِيلِ «لِشَافِر» أَنَّهُ قَدْ اسْتَهَلَكَ كُلَّ مَوْرِدِ الْمَقاُومَةِ لِدِيهِ
فَاسْتَسِلَمَ، بَلَغَ عَدَدُ الْأَسْرِيِّ ٣٧،٠٠٠، مِنْهُمْ ٧٠٠ ضَابِطٌ، وَهُوَ عَدَدٌ
بَلَغَ ضَعْفَيِّ عَدَدِ أَسْرِيِّ «تُولِون». وَمَا مِنْ شَكٍ فِي أَنَّ الْمَعرِكَةَ لَمْ تَكُنْ
لَتَنْتَهِي بِهَذِهِ السَّرْعَةِ لَوْ أَنَّ الْحَامِيَّةَ كَانَتْ مُشَبِّعَةً بِرُوحِ الْعَصَبَيَّةِ الَّتِي
بَشَّرَ بِهَا «هَتَلِر».

وَعَلَى بَعْدِ ١٠،٠٠٠ كَلْمِ مِنْ «بِرْوَفَانِسَا» كَانَ مَرْفَأً آخَرَ يَنْوَهُ تَحْتَ
الْمَحَصَارِ هُوَ «بِرِيسِت»؛ فَفِي ٢٥ آبَ كَانَ الْتَّيْلِقُ الْأَمِيرَكِيُّ ٨ قَدْ
هَاجَمَ الْمَعْسَكَرَ الْمَحْصَنَ وَهُوَ يَطْبَعُ إِلَى الْاسْتِيَالَهِ عَلَيْهِ فِي غَصْبَنِ خَمْسَةِ
أَيَّامٍ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ جَزَرَ الْمَظَلَّمِينَ «رَامِكِي»، لَمْ يَسْتَهِدْ تَحْتَ
أَنْقَاضِ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ أَبْدَى حَيَالَ تَفَرُّقِ الْعَدُوِّ الْمَادِيِّ حَزِمًا رَائِعًا. وَلَمْ تَسْقُطْ
«بِرِيسِت» إِلَّا فِي ١٩ أَبِيلُول، وَكَانَتْ سِيَّسَةُ الْحَالِ لِلدرَجَةِ أَنَّ مَرْفَاهَا
لَمْ يَرْجِعْ صَالِحًا لِلْاِسْتِعْمَالِ إِلَّا بَعْدَ شَهْرَيْنِ طَوِيلَيْنِ. وَفِي وَادِي «الرُّون»
عَفَرِيَّتِ وَكَانَ رِجَالُ مَقاُومَةِ «الْأَلْبِ» الْمَتَازُونَ قَدْ جَعَلُوا مِنَ الْمَسِيرَةِ نَحْوِ
«غُرُونَوِيل» وَالْمَلْدُودِ الإِيطَالِيَّةِ أَمْرًا سَهْلًا لِلْفَاتَةِ، مِنْتَ مَكْنَنِ الْفَيلِقِ
الْأَمِيرَكِيِّ ٦ مِنْ تَرْكِيزِ الْقَسْطِ الْأَوْفِرِ مِنْ قَوَاتِهِ لِلْإِطْبَاقِ عَلَى أَرْتَالِ الْعَدُوِّ
الَّتِي كَانَتْ صَاعِدَةً نَحْوِ «ليون» بِجَهَدٍ وَعَنَاءً.

فِي ٢٢ آبِ، قُطِّعَ التَّرَاجُعُ الْأَمْلَانِيِّ شَمَائِلِ «مونتيليمار». وَكَانَتْ
إِحْدَى الْمَفَارِزِ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْفَرْقَةُ ٣٦، فَوَصَّلَتْ إِلَى الطَّرِيقِ رقم ٧،
وَرَفَعَتْ مَدْفِعَيْهَا إِلَى غَابَةِ «مارسان» الَّتِي تَشَرَّفَ عَلَى الْوَادِي مِنْ مَسَافَةِ
٥٠٠ مِتْرٍ تَقْرِيْبًا. يَا لَهَا مِنْ مَنَاظِرِ رَائِعَةٍ! كَانَتِ الْمَنْطَقَةُ بِكَامِلِهَا تَنْبَسِطُ
أَمَامَ شَدَقِ الدَّافِعِ الْأَمِيرَكِيَّةِ: ضَفَّنَا «الرُّون»، وَ«الدَّرُوم» الَّذِي يَصْبِعُ
فِي النَّهَرِ الْكَبِيرِ، وَالْطَّرِيقِ وَخَطَ السَّكَّةِ الْمَدِينَيَّةِ عَلَى الضَّفَّةِ الْيَسِيرِيِّ
الَّذِيَانِ يَفْرَقُانَ فِي سَهْلِ «لُورِيُول» الصَّغِيرِ الْمَصْبَبِ، ثُمَّ يَعُودُانَ فِيَسْجَهَانَ
مَعًا شَطَرَ قَرْيَةِ «كُوكُورُود» وَيَمْتَازُانَ مِنْ ثُمَّ الْمَرْسَيِّ «بَابِ موَنَتِيلِيمَارِ»

جيُوشُ أميركيَّة
تنزل في أحد شواطئِ
«بروفانسا» يوم
١٥ آب.



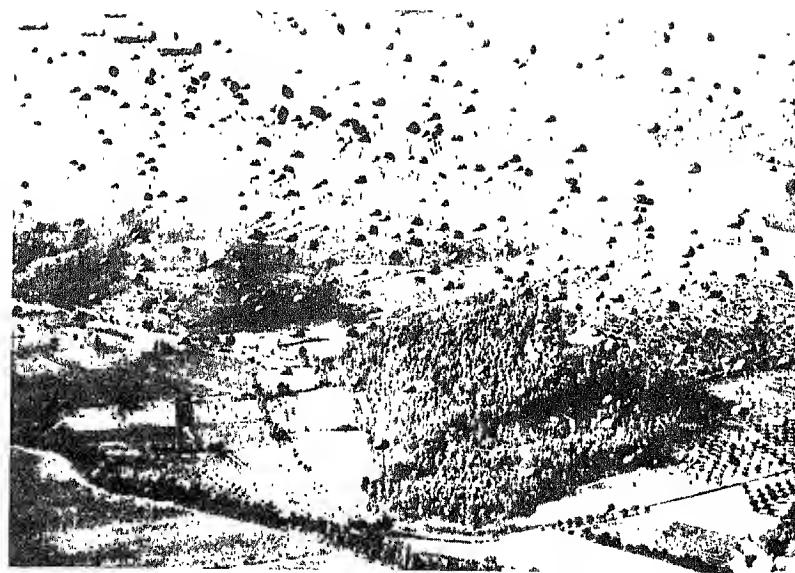
هل تلقى باريس مصير "فرصوفينا"؟

أنزعـت مـديـنـة «ـفـرـنـسـاـ» الـثـانـيـةـ والـثـالـثـةـ منـ العـدـوـ خـالـلـ أـسـبـوعـ .ـ إـلاـ أنـ تـحرـيرـ «ـبـارـيسـ»ـ قـادـ سـبـقـ تـحرـيرـ هـمـاـ وـكـسـفـهـ .ـ وـالـوـاقـعـ أـنـ اـنـظـارـ هـذـاـ تـحرـيرـ قـدـ طـالـ .ـ كـانـ بـوـسـعـ أـيـ منـ فـيـالـقـ «ـبـاتـونـ»ـ الـثـالـثـةـ أـنـ يـزـحـفـ عـلـيـهاـ مـنـذـ مـطـلـعـ آـبـ .ـ وـلـكـنـ خـطـةـ الغـزوـ كـانـتـ قـدـ وـضـعـتـ تـرـيـاـ آخرـ :ـ كـانـ عـلـىـ «ـبـارـيسـ»ـ أـنـ تـسـقطـ .ـ لـاـ بـهـجـومـ مـباـشـرـ .ـ بـلـ بـنـطـوـيـقـ .ـ فـقـدـ صـدـفـتـ الـقـيـادـةـ الـخـلـيـفةـ عـنـ أـنـ تـرـجـ بـنـفـسـهـاـ فـيـ مـتاـهـةـ الـمـدـيـنـةـ .ـ وـخـشـيـتـ مـاـ قـدـ تـأـتـيـهـ حـرـبـ الشـوارـعـ مـنـ أـضـرـارـ بـرـاثـ فـتـيـ لـاـ مـشـيـلـ لـهـ .ـ هـذـاـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ مـصالـحـ الـتـموـينـ وـالـنـقـلـ الـعـسـكـرـيـةـ قـدـ حـسـبـتـ .ـ فـيـ نـظـرـ أـكـثـرـ وـاقـعـيـةـ .ـ أـنـ تـزـوـيدـ «ـبـارـيسـ»ـ الـمـحـرـرـ بـالـمـوـنـ يـقـضـيـ ٤٠٠٠ـ طـنـ يـوـمـيـاـ،ـ أـيـ مـاـ يـعـادـلـ اـسـتـهـلاـكـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ مـنـ الـوقـودـ .ـ لـاـ بـدـ أـنـ تـفـقـدـهـاـ الـنـقـلـيـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ عـلـىـ حـسـابـ الـعـمـلـيـاتـ .ـ كـانـ عـلـىـ «ـبـارـيسـ»ـ أـذـاـ أـنـ تـسـقطـ سـقـوطـ الشـمـرـةـ الـيـانـعـةـ .ـ حـوـالـيـ ١٥ـ تـشـرـيـنـ الـأـوـلـ .ـ أـمـّـاـ مـاـ قـدـ يـتـمـخـضـ عـنـ شـهـرـانـ مـنـ الـانتـظـارـ .ـ بـالـنـسـبـةـ مـلـاـيـنـ مـنـ الـرـجـالـ وـالـنـسـاءـ وـالـأـطـفـالـ قـطـعـتـ عـنـهـمـ الـمـوـنـ وـلـمـ يـقـيـدـ لـدـيـاهـ شـيءـ مـنـ اـحـتـاطـيـ الـمـادـ الـغـذـائـيـةـ،ـ وـبـاتـواـ لـاـ يـكـسـوـ عـطـامـهـمـ شـيءـ مـنـ الـدـهـنـ،ـ فـأـمـرـ يـبـدوـ أـنـهـ لـمـ يـنـخـطـ بـيـالـ .ـ

كـانـتـ مـشـكـلـةـ «ـبـارـيسـ»ـ شـائـكةـ كـدـلـكـ بـالـنـسـبـةـ لـلـأـلـاـمـ .ـ فـالـدـفـاعـ عـنـ الـمـدـيـنـةـ،ـ عـلـىـ أـسـاسـ الـاحـتـفـاظـ بـهـاـ ،ـ كـانـ يـفـرـضـ عـدـدـاـ كـبـيرـاـ مـنـ الـرـجـالـ وـيـثـبـتـ الـجـبـهـةـ عـلـىـ «ـالـسـيـنـ»ـ ،ـ مـمـاـ كـانـ لـاـ يـتـفـقـ وـتـوصـيـاتـ هـيـةـ الـأـرـكـانـ .ـ وـعـمـ هـذـاـ،ـ فـقـدـ قـرـرـ «ـهـتـلـرـ»ـ أـنـ يـسـقـيـ فـيـ الـعـاصـمـةـ الـفـرـنـسـيـةـ حـامـيـةـ فـرـضـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـقـاتـلـ حـتـىـ آخرـ رـجـلـ ،ـ عـلـىـ اـعـتـبـارـ أـنـ التـضـمـنـيـةـ بـهـاـ،ـ ثـمـ بـالـمـدـيـنـةـ .ـ سـيـسـهـلـ إـقـامـةـ مـرـقـعـ لـمـقاـوـمـةـ عـلـىـ «ـالـسـوـمـ»ـ وـعـلـىـ «ـالـمـارـنـ»ـ .ـ وـيـفـرـ للـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ اـسـرـاحـةـ ثـمـيـةـ .ـ

وـرـاحـ «ـهـتـلـرـ»ـ يـبـحـثـ عـنـ رـجـلـ يـدـفـنـهـ تـحـتـ أـنـقـاضـ «ـبـارـيسـ»ـ .ـ كـانـ قـائـدـ الـمـوـعـ جـرـحاـ كـبـيرـاـ عـرـيقـ النـسـبـ .ـ هـوـ الـجـرـالـ بـارـونـ «ـفـونـ بـوـانـبـورـغـ لـنـغـسـفـيلـدـ»ـ ،ـ كـانـ قـدـ تـمـيـزـ فـيـ ٢٠ـ تـمـوزـ بـمـبـادـرـتـهـ إـلـىـ اـعـتـقـالـ رـجـالـ الصـاعـقةـ .ـ فـاقـرـحـ «ـبـورـغـدـورـفـ»ـ .ـ رـئـيـسـ مـوـظـفـيـ «ـقـيـادـةـ الـجـيـشـ الـعـلـيـاـ»ـ .ـ أـنـ يـسـتـبـدـلـ بـهـ الـجـرـالـ «ـ دـيـتـرـشـ فـونـ شـولـتـزـ»ـ الـذـيـ أـعـفـيـ حـدـيـثـاـ مـنـ قـيـادـةـ الـعـلـيـقـ ٨٤ـ بـسـبـبـ خـطـإـ لـمـ يـرـتـكـبـهـ .ـ وـأـصـرـ «ـهـتـلـرـ»ـ عـلـىـ تـزـوـيدـ هـذـاـ الـجـنـديـ الـشـكـورـ الـغـزـيـةـ بـأـوـامـرـ شـخـصـيـةـ .ـ فـمـضـيـ «ـشـولـتـزـ»ـ إـلـىـ «ـ رـيـسـتـنـبـورـغـ»ـ فـيـ ٧ـ آـبـ .ـ لـاـ يـحـسـبـ أـقـلـ حـسـابـ لـلـدـورـ الـذـيـ اـسـتـدـعـهـ مـنـ أـجـلـهـ ثـقـةـ الـفـوـهـرـ .ـ لـقـدـ أـسـاءـ بـعـضـ مـوـرـخـيـ تـحرـيرـ «ـبـارـيسـ»ـ مـعـاـمـلـةـ «ـشـولـتـزـ»ـ فـصـورـوـهـ جـنـديـاـ عـتـيقـاـ كـادـ يـصـبـيـهـ الـذـهـولـ .ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ مـنـ الشـهـامـةـ وـالـحـقـ فيـ شـيءـ .ـ قـدـ كـانـ «ـشـولـتـزـ»ـ .ـ رـئـيـسـ جـيـشـ مـعـاهـدـةـ «ـ فـرسـايـ»ـ .ـ كـثـيرـ السـمـنةـ .ـ مـرـيـضـ الـقـلـبـ .ـ ذـاـ نـظـارـةـ وـاحـدةـ .ـ وـكـانـ جـنـديـاـ نـيـبـهـاـ قـدـيرـاـ .ـ وـفـيـ وـقـتـ ماـ كـانـ أـفـقـيـ روـسـاءـ فـرـقـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ .ـ كـانـ .ـ كـكـلـ الضـبـاطـ الـمـتـهـنـينـ تـقـرـيـباـ .ـ غـرـيـباـ عـنـ السـيـاسـةـ مـبـدـيـاـ .ـ فـلـمـ يـكـنـ فـيـ الـأـسـاسـ هـتـلـرـيـاـ وـلـاـ خـصـماـ لـهـتـلـرـيـةـ .ـ وـلـكـنـهـ أـخـذـ يـفـكـرـ عـنـدـمـاـ بـدـتـ لـهـ الـهـوـةـ الـتـيـ يـقـدـفـ فـيـهاـ الـرـايـهـ .ـ

فيـ الـحـرـ وـالـغـيـارـ وـقـفـ سـكـانـ «ـ مـرـسـيلـيـاـ»ـ يـرـحبـونـ بـقـوـاتـ الـجـرـالـ «ـ دـولـاتـ دـوـ تـاسـيـنيـ»ـ .ـ فـلـأـجيـالـ خـلـتـ مـاـ عـرـفـتـ «ـ مـرـسـيلـيـاـ»ـ حـربـاـ مـشـيـرـةـ كـنـلـكـ الـتـيـ شـهـدـهـاـ بـيـنـ ٢٣ـ وـ ٢٧ـ آـبـ .ـ



هـبـوـتـ الـمـطـلـيـنـ بـيـنـ «ـ فـيـسـ»ـ وـ «ـ مـرـسـيلـيـاـ»ـ .

«ـ دـيـكـورـ»ـ .ـ بـالـاـنـظـامـ عـلـىـ كـلـتـاـ نـاحـيـيـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ مـجـمـوـعـاتـ ثـلـاثـ .ـ وـقـدـ لـدـاـ مـنـ جـدـيدـ أـنـ مـصـيـرـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ ١٩ـ كـانـ الـأـسـرـ لـاـ مـحـالـةـ .ـ وـلـكـنـهـ سـوـفـ يـنـجـوـ مـرـةـ أـخـرـىـ نـتـيـجـةـ لـافـتـارـ التـنـسـيقـ فـيـ صـفـوفـ مـطـارـدـيـهـ .ـ وـخـالـلـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ رـاحـ حـشـدـ مـرـهـقـ يـجـتـازـ «ـ لـيـونـ»ـ جـارـفـاـ مـجـمـوـعـاتـ مـلـحـرـسـ فـيـ بـزـاتـ سـوـدـاءـ .ـ يـتـجـهـ نـحـوـ «ـ بـورـ»ـ عـبـرـ رـصـيفـ «ـ السـوـنـ»ـ .ـ وـمـلـمـ تـنـشـبـ الـثـورـةـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ .ـ وـذـلـكـ بـسـبـبـ اـنـدـامـ التـشـجـعـ مـنـ قـبـلـ السـلـطـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ وـالـخـلـيـفـةـ .ـ أـكـثـرـ مـنـهـ بـسـبـبـ الـقـمـعـ الـشـرـسـ الـذـيـ كـانـ يـعـصـفـ حـتـىـ آـخـرـ لـحـظـةـ .ـ وـفـيـ أـيـلـولـ نـصـبـ دـفـقـ الـهـارـبـيـنـ .ـ وـفـيـ ٢ـ أـيـلـولـ مـنـ الـفـجـرـ حـتـىـ الـمـسـاءـ .ـ وـتـحـتـ الـمـطـرـ .ـ قـامـ عـنـصـرـ هـنـدـسـيـ صـغـيرـ بـنـسـفـ جـسـورـ «ـ الـرـوـنـ»ـ كـافـةـ وـعـظـمـ جـسـورـ «ـ السـوـنـ»ـ .ـ وـذـلـكـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـعـكـرـ صـفـوهـ أـحـدـ .ـ وـبـيـوـمـ الـأـحـدـ فـيـ ٣ـ أـيـلـولـ دـخـلـتـ الـفـرـقـةـ الـفـرـنـسـيـةـ الـخـفـيـفـةـ إـلـىـ «ـ لـيـونـ»ـ وـعـلـىـ رـأـسـهـاـ الـرـمـاـ الـبـحـرـيـوـنـ .ـ وـلـكـنـ مـنـ جـمـلـةـ ٢٠٩ـ،ـ ٠٠٠ـ رـجـلـ خـاصـوـاـ عـمـلـيـةـ الـتـرـاجـعـ .ـ تـمـكـنـ «ـ فـيـسـ»ـ مـنـ إـنـقـاذـ ١٣٠ـ،ـ ٠٠٠ـ وـالـسـيـرـ بـيـمـ نـحـوـ «ـ بـلـفـورـ»ـ .ـ



العادية، قد أرسلت لتغذّي مجزرة «نورمانديا»؛ وتأثير الفوج الرابع بين نقاط الارتكاز الست والثلاثين المهيأة في الأساس للفرقة بكمالها، فلم يبقَ من القوة المتحرّكة غير كيبة واحدة اعتمد رجال سريتين من سرياتها على الدراجات، وأمتنك، فضلاً عن ١٧ دبابة فرنسية ترقى لعام ١٩١٧، مدفوعاً من عيار ٧٥ يتسبّب إلى العهد ذاته، مزوّداً بـ٦٨ طلقة. تمكّن «شولتز» من احتجاز ١٧ دبابة من طراز «بتير» كانت في طريقها إلى الجبهة، ولكنَّ توجّب عليه أنْ يعيدها باستثناء ٤ بناءً لأمر صادر عن مجموعة الجيوش. وهكذا بلغ ما تحت إمرته من الرجال، من فيهم جند المكاتب والأقلام، والخنود الفنانين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و ١٧ سنة، والعلميين في المدفعية المضادة للطائرات، ٣٠ رجل. فكان من الورم يمكن تكليفهم بعمل خططٍ للدفاع الخارجي، وتكتيفهم. في الوقت عينه، بهمة السهر على الأمان والنظام في مدينة يبلغ عدد سكانها ٤ ملايين.

وإذ تبيّن «شولتز» بخلافه أنَّ القيام ب مهمته النظرية أمر محال. حدد لنفسه مهمة عملية تقوم على إبقاء خطوط المواصلات الازمة للقوات الألمانيّة مفتوحة سالكة. ولقد زاد من خطورة هذا الهدف وأهميته أنَّ جسوس «باريس» وحدها هي السليمة، وأنَّ المدينة التي أُعفيت من التصصف هي الأسطوانة الدائرة الموزعة بالنسبة المعركة. كان أمر المحافظة على المدود في مدينة «باريس»، وبالتالي، ضرورة ملحقة. أمّا بالنسبة لفرنسا فقد اتّخذت مشكلة «باريس» العسكرية خطورة أساسية أولى. واستحوذت على تفكير ذلك الرجل الذي أدرك أنه يحمل مسؤولية الوطن التاريخيّة في ساعة حاسمة خطيرة: ألا وهو «شارل ديغول». أمّا عودته إلى الاتصال بأرض الوطن فقد حصلت يوم ١٤ حزيران، في «بابو»، حيث استُقبلَ بهناف متواضع، وعبر عن سلطته بتنظيم إدارة المناطق المحرّرة؛ وعاد من غذه إلى مدينة «الباجازير». وبعد أيام ساقه سفارة جديدة إلى «إيطاليا» حيث تلقى بركة قداسة «البابا». وزرولاً عند شرط وضعه «روزفلت»، سأل عما إذا كانت زيارته مستحبّة، واستقلَّ الطائرة إلى «واشنطن». ذلك أنَّ الرئيس كان قد أجاب سفيره «جون وينانت»، المؤيد للديغولية، لأسابيع ستة خلت، متلفظاً بهذه الكلمات: «لو استطاع أي إنسان أن يقدم لي وثيقة ثبت أنَّ «ديغول» يمثل الشعب الفرنسي، لكتب على استعداد للتفاوض معه؛ وما لم يتم ذلك، فأنا لا أنوي العدول عن موقعي». فعمدت السلطات الأميركيّة منذ ذلك الحين إلى تحليل مشاعر الشعب الفرنسي، وتوصلت، على حد قول «كوردييل هال»، إلى هذه النتيجة التي تقرّ بأنَّ البلاد تعرف «بديغول» «كسلطة مؤقتة». مما كان من السياسة الأميركيّة إلا أنْ تقيدت بهذا الواقع.

عاد «ديغول» من «واشنطن» بإعلان تعرّف به حكومة «الولايات المتحدة» بأنَّ «لجنة التحرير الفرنسية مغولة لإدارة فرنسا». فتبّدأ شبح (الحكومة الأميركيّة البعيّع)؛ من غير أن تبدّد تلك الريبة العميقّة التي تشكّل طبع الحال وما يمتاز به على التوالي من قوّة وضعف. والآن هيّا بنا إلى «باريس»! «باريس»، مفتاح «فرنسا»، وقاعدة الحكم الوحيدة. إستبدل القلق «بديغول» وأقصِّ عليه مضجعه، إذ علم بموّامة «الافق-ميريو»، وأيقن أنَّ خيوطها قد حيّكت برضي «أميركا». فرأى من الضرورة الملحة أن يعود «ل الجمع شمل الأمة الخارجّة من المرة»؛ فغادر مدينة «الباجازير» في ١٨ آب، مارّاً «بالدار البيضاء» و «جبل طارق». إلا أنَّ بعض الحوادث الطارئة التي أُسّت بالطائرة، وتأخّرها فنيّاً عارضاً، قد جعلاه يعتقد أنَّ هناك من يسعى إلى احتجازه، وربّما إلى التخلّص منه؛ ولوسّف يُتناول ذكر تلك العودة الكبّرى بروايات محمومة لامته.

الثالث «المانيا». ومع أنه كان جبراً فنيّاً صغيراً، تجاسر فسأل المارشال «فون مانشتاين» عما يعرفه عن المؤامرة العسكريّة التي دبرت ضدَّ «هتلر». ولكنَّ «مانشتاين»، صاحب الذكاء الفذ والخلق الرفيع، كان قد اختار الطاعةَ حدّاً له. فنصح الضابطَ الفيّي بالتزامها، من غير أن يخفى عليه ما يشعر به من تشاوّم عميق، ومن مقت للطاغية. فأذعن «شولتز» لذاك الصوت الموسوم بطابع السلطة والنفوذ؛ ولكنَّ ذلك لم يمنعه من أن يسائل نفسه عن الحدود التي توقف عندها الطاعةَ. قبل أن يُعهد إليه بقيادة موقع «باريس».

ما أدخل إلى حضرة «هتلر». بعد التفتيش الذي غدا إلزاميّاً. حتى ألغى نفسه إزاء «رجل كهل أغبر الشعر مقوس الظهر مرتّف الأوصال»؛ فصافحه بحذر وانتباه. وراح يسمع سرداً كاملاً لتاريخ القومية- الاشتراكية. وعندما وصل «هتلر» إلى رواية ٢٠ تموّز شهد نوبة من الجنون الدموي المشوب. «كان ارجاف بذنه يهزّ الطاولة التي جلس إليها هزاً عنيفاً. وراح يرغّي ويزبد... فأدركت أنتي أيام مجئون».

بيد أنَّ الأوامر الخطيّة التي سلّمت «شولتز» لم تحمل أثر ذلك الجنون. فقد منح سلطات حاكم موقع حاضر تمنّ صلاحاته إلى مختلف أقسام الجيش الألمانيّ، وربط «بقيادة الجيش العليا» المباشرة، وزوّد بتوصيات مشدّدة بشأن العلاقات التي يجب أن يقيّمها مع قيادة الجبهة الغربية؛ والشرطة. والسفير «أبتر» الخ... أوعز إليه أن يظهر «باريس» من جنودها المتبعين عن خطّ النار ويجعل منهم «عبرة لكلٍّ من يتهرب من القيام بواجبه الفعليّ على الجبهة». وطلب إليه أخيراً أن يؤمن المدود في «باريس الكبيرة»، فيما يمنع كلَّ تمرّد، وكلَّ تخريب، وكلَّ عمل إرهابيٍّ من غير جلوه إلى تدابير خاصة تعتمد الزجر والإرهاب.

لما وصل «شولتز» إلى مقره في ٩ آب كانت «باريس» هادئة. فالباريسيون، وقد باتوا على بيتهما يجري، يترقبون النتيجة التي ستسفر عنها معركة «نورمانديا»، والمصائر ماضية في عملها، أمّا القطر فيصل بعضها؛ ويوزع بعض البريد؛ وأماكن السلسلة تفتح أبوابها، والأولاد يلعبون في الحدائق العامة؛ وقد انتشرت على ضفاف «السين» جماعات أرادت أن تحافظ على مظاهر حياة الشاطئ؛ ولكنَّ التموين غداً صعباً؛ وأخذت محطّات المترو وتعلق أبوابها واحدة بعد واحدة؛ ولا يوصل التيار الكهربائيّ سوى نصف ساعة في اليوم. هنا، ورحيل مصالح الجيش الألمانيّ وأركانه ماضٍ على قدم وساق؛ وتوارت النساء المساعدات، أو «الفتّران الغبر»؛ أمّا منظمة الغستابو، وقيادة سلاحيّة البحرية والطيران، فقد رحلت، أو هي على أهبة الرحيل. كان «شولتز» جنديًّا في الجبهة، يعني نفسه بافتتاح مطاردة الموارين المستخفين، إلا أنَّه كان يريد تجنيدهم في تشكيّلات طواريء، فإذا بهم يلجمون إلى خارج جديد!

وكذلك أخذ في الرحيل جماعةُ الذين تعاونوا مع الألمان؛ فكان «شويديمان»، مستشار السفارة، أول من عمل على بثِّ الذعر عندما نبه «شويديمان»، مستشار السفارة، أول من عمل على بثِّ الذعر عندما نبه فوهّر الصحافة الباريسية، «جان لوشير»، إلى أنَّ الجيش الألمانيّ قد يضرّر إلى مغادرة «باريس» مؤقّتاً. فيما أقدم «دريو لاروشيل» على الانتحار، بقي بعض الشجعان، أمثال «براز لاك» و«سواريز»، وهم على استعداد لتحرير موقفهم؛ أمّا الآخرون، أشباء «برينون» أو «دوريو» و«لوشير» و«جانتيه» و«واباتيه» و«كوسنو» وغيرهم، فقد اخْتَفُوا، متزورّدين وبعد «أبتر» ووعيده: «إنّا لعائدون، ولقد اهتدينا إلى أسلحة فتاكة رهيبة». أتسمعون؟ رهيبة خفيفة. وإنَّ قلوبنا لتنفطر أسى إذ ندرك ما سترّله هذه الأسلحة «بفرنسا»... سنعود قبل حلول الميلاد في أقصى حد. «أمّا الآن، فالوسائل العسكريّة المتوفّرة للجراي «فون شولتز» فضعيّة هزيلة. ثلاثة من أفواج فرقة الأمن ٣٢٥ الأربع القديمة، وهي حامية «باريس»



بعد النزول في «نورمانديا» : «تشرتشل» يتفقد رأس الجسر الخليفي فيها.



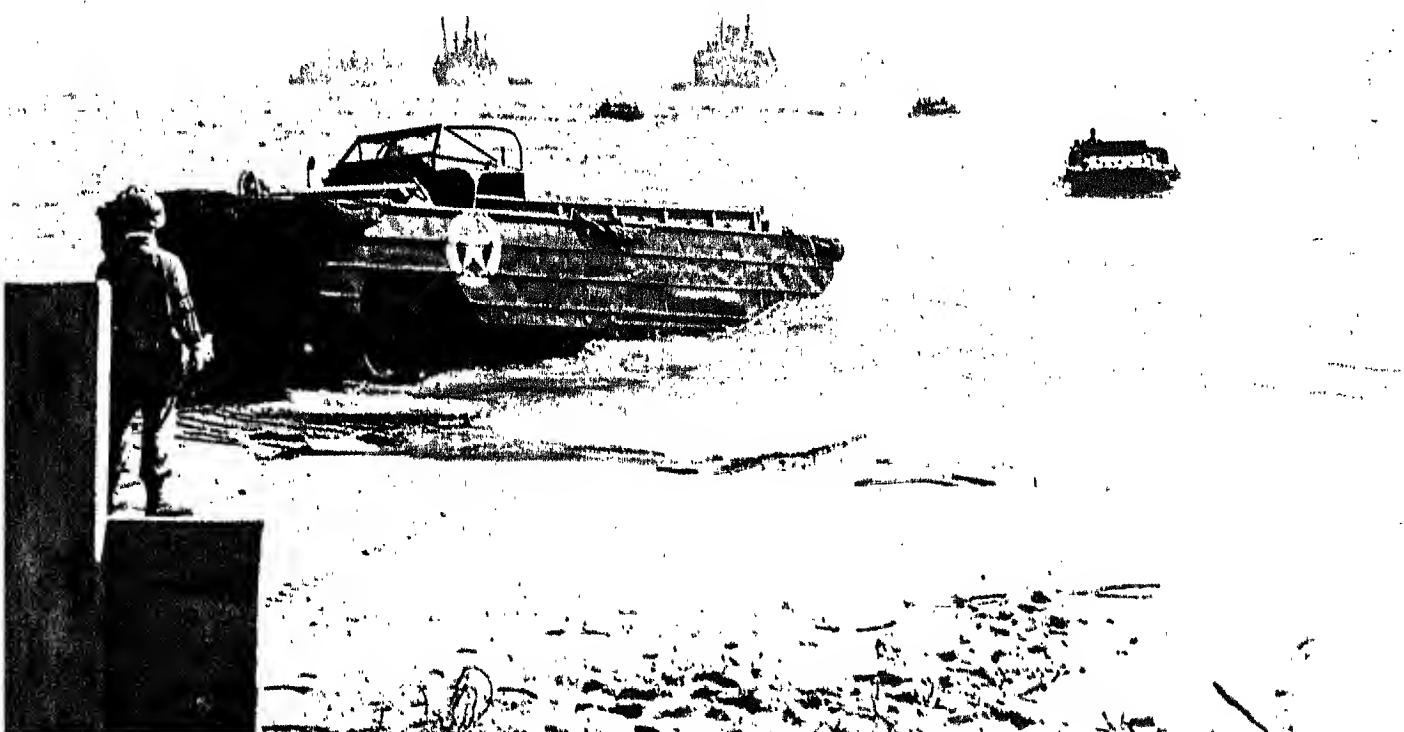
تساقط هذان الصبيان بقایا شجرة في ضواحي «سان - لو» ، وراءها ينظران إلى قافلة عسكرية تجتاز بقایا مدینتهم .

وفيما نشط الجيش الكندي الأول ، والجيش الانكليزي الثاني ، إلى مطاردة الفارين من «فاليز» جنوبى «رووان» ، استولى الجيش الأميركي الأول على معابر «السين» بين «فرنون» و«إلبووف» ليقطع عليهم طريق التراجع . كان التصميم قد حسب حساب فترة من التوقف على الظهر ، إلا أن «أيلك» قرر أن يختصر مهلة قد أبطل وضع الخصم كل نفع يرجى منها . ففي عشية اليوم الأسبق عثرت دورية تابعة لفوج المشاة ٣١٣ ، قادها الرقيب «وايت» تحت وابل من المطر ، على معبر لم يتم تدميره يقع بالقرب

وحقيقة الأمر أن بلحة رؤساء الأركان المشتركة قد أعلنت . جواباً عن سؤال طرحته هيئة تنظيم الغزو أنها لا ترى مانعاً يحول دون إتمام الرحلة ، وأن على الجنرال «أيزنهاور» أن يستقبل الجنرال «ديغول» كقائد أعلى للقوات الفرنسية .

جرت المقابلة في ٢١. فوقت «أيزنهاور» أمام خراطمه ، وعرض الوضع العسكري الناجم عن انتصار «فاليز» ، فإذا هو باهر للغاية ؛ فقد خسر العدو ٣٠ فرقة ، وعمد ما تبقى له من القوات إلى التقهقر في غير نظام .

شاحنات النزول على شواطئ «بروفانسا» .



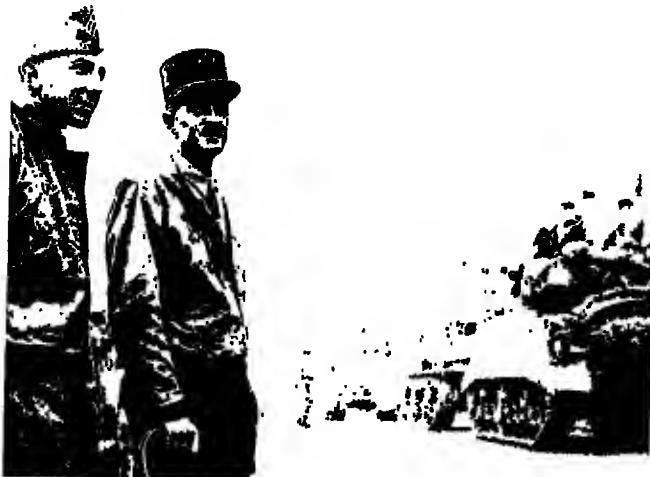


في سر اديب «باريس» وقف الكولونيل «روول - تالنغي» قائد القوات الفرنسية المستقلة ينظر في خارطة المدينة المأثورة .

ومؤظفيها، وفي ١٥ منه، وبشكل لم يسبق له مثيل، توقف حرّاس الأمن عن تأمين خدمتهم، وانهضوا من الشوّال. فانفجر «شولتز» مهدداً متوجضاً، ولكنه قُبِلَ بتنفيذ الاتفاقية المعقودة بين قفصل «أسوچ» العام ٢٠٠٠، «راول نوردلينغ» والإدارة الألمانية، حول تحرير الأسرى السياسيين الذين خُسِيَتْ إرادتهم في اللحظة الأخيرة. وهكذا خرج من المعتقلات سجين، بينماهم بضعة مئات كانت القاطر قد مضت بهم إلى ديار المتنفس. وبذلك أعاد قائد موقع «باريس» إلى العدو فريقاً من قادته في عشية عنة لا تبقى ولا تذر؛ وهي، لعمري، خطوة لم يكن من اليسير تبريرها أمام الفوهرر

وَمَعَ اقْرَابِ موْعِدِ التَّحْرِيرِ شَهِدتْ هِيَاتُ أَرْكَانِ الْمَقَاوِمَةِ اشْتِدَادًا
لِذَلِكِ التَّرَاعِ الصَّامِتِ الْمَعْقَدِ الَّذِي دَارَتْ فِيهَا رِحَاهُ. أَمَّا مَوْضِعُ ذَلِكِ
التَّرَاعِ، فَنَسَاطُ الْأُمَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْمُتَبَدِّلِ. فَمَا عَسَى أَنْ تَسْفَرْ عَنْهُ الْمَحْنَةُ الطَّوْرِيَّةُ،
وَالْكَفَاحُ السَّرِّيُّ، وَذَلِكُ الْقُدْرُ مِنَ الْبَطْلَوَاتِ وَالْتَّضْحِيَاتِ؟ أَنْظَامُ شِيُوعِيٍّ، أَمْ
ديُوقْرَاطِيَّةٌ حَرَّةٌ؟ كَانَ الْجَوَابُ مُتَوْقِفًا إِلَى حدٍ بَعِيدٍ عَلَى الْمَوْقِفِ الَّذِي
سَتَقْفِهُ بِإِلَيْسِنْ^١.

البخاري «الوكيل» يشهد دخول دبابات الفرقه الفرنسية المصفحة
الثانية إلى «باريس».



من «مانست—غاسيكور». فاستخدمته للعبور : والماء يبلغ الصدور ; وما لبث الفوج الذي انتزع من سباته أن تبعها : وسرعان ما وصل عمال الجسور فبادروا إلى العمل ، ولم يمض طويول وقت حتى عبرت فرقه المشاة إلى الضفة اليسرى بمهديتها ومصفحتها. وهكذا فعلت فرقتنا المشاة ٧٩ في «مولون» و«مونتيرو». وأخذ فيلق بكماله يستعد للزحف إلى «المارن». فيما توجهت عناصر أخرى من جيش «باتون» ناحية «ترووا» و«ديجون» لتحقيق اتصالها بالجيش السابع .

تحدىت «دبغول» في مذكرةاته عما لمسه من الارتباك لدى محمد نه، ورأى فيه تشبثًا لشكوكة في أنَّ الاعتبارات العسكرية لم تكن وحدها تملأ على القائد الأعلى موقعه؛ بل إنَّ الانكليز والأميركيين يبعثون عن وسيلة ينزعونه فيها ذاك التكريس الذي كان من حقه أن يتظاهر من مبادئه «باريس». الواقع أنَّ واضعي تصميم الفزو لم يحاولوا فقط إقصاء الفرنسيين عن تحرير عاصمتهم. ففي الأيام الأولى من عام ١٩٤٤ كتب المقسم «فريديريك مورغان» ما يلي : «إنه من الخطورة بمكان أن تتضمن القوات الأولى التي ستفتح «باريس» عناصر من الفرنسيين». وما كان إلهاق الفرق المصفحة الثانية، وهي وحدة ديجولية صربية ممتازة، بجيشه «نورمانديا»، إلا تحقيقاً لتلك الرغبة. صحيح أنها قد ترُكت على خط القتال على أبواب «أرجنتان»، فيما مضت عدة فرق أميركية تواصل زحفها باتجاه «درو» و«شارتر»؛ ولكنَّ عندما اُتُّخذت هذه التدابير، لم يكن فتح «باريس» متوقعاً قبل إقصاء عدة أسابيع، ولم يكن أحدٌ بعد يتمكّن بعمره ما إذا كان المحررون سيبدون من الشعور ألم من الغرب أم من الجنوب. وبهما يكن من أمر فإنَّ الجميع الفتية التي أوردتها الجرال «دبغول» قد خلقت في نفس «أيزنهاور» أثراً بليغاً. فداحة الهزيمة الألمانيّة قد أفقدت عملية التطويق في الواقع كلَّ جدواها. وعندما خرج «دبغول» من معسكر «أيزنهاور» ساخطاً حالقاً بعد فوزه بموافقته. كانت قضيته على شكل الفوز ! ففي المساء عينه كتب «أيزنهاور» إلى «مارشال» يقول : «لا أرى إرجاء فتح «باريس» أمراً مرغوباً فيه بعد اليوم». ولقد خلصَ «برادلي» إلى الرأي عينه إذ قال : «بوسعنا السير إلى «باريس» وإنَّ ذلك لواجب». وقال لصحفيٍّ معسّره إنَّ عددهم يمكنهم من القيام بفتح «باريس» وحدهم وبتقى «مونغومري» وحده يصر على تأجيل مرعد التحرير «إلى أن يغدو اقترحاً عسكرياً صحيحاً سليماً». ذلك أنَّ فكرة كانت قد استحوذت على تفكير «مونتي»، وهي تطهير شواطئ بحر الشمال من قواعد إطلاق الصواريخ. فصواريخ «ف ١» كانت ما تزال تعيث في «لندين» دماراً وخراباً؛ وصواريخ «ف ٢»، التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، كان انطلاقها متقدّماً بين يوم وأخر. وبهما يكن من أمر، ففي ٢١ آب لم تبقِ المشكلة تامة مطبقة، لأنَّ نار الثورة كانت قد اندلعت في «باريس». كانت الإضرابات قد بدأت في ١٠ آب. وبخالد متقدّماً أقدم عليه قسم من عمال الخطوط الحديدية



جنود ألمان يأسرون جنود.

ذلك لم يحصل، بل أتت الأوامر التي أصدرها مائعة لينة: «يجب الابتعاد قدر المستطاع عن تعكير الحياة المدنية... وعلى مجموعات القتال أن تلزم موقفاً حذراً منفهم إزاء شبيبة متورّة...» ولقد حظر استخدام الأسلحة الثقيلة، كما حُظر على الديبابات أن تستعمل القنابل المتفجرة، وعمد «شولتر» إلى التخفيف من أهمية الفتنة، على اعتبار أنَّ أيّاً من الأبنية التي يشغلها الألمان لم يتعرض للهجوم، وأنهم لا يزالون يُشرّفون على الجسور كلّها. فالمهمة التي وضعها لنفسه، وهي تأمين حرية المرور للقوات التي تجتاز «باريس»، ما فئت مضمنة. وهو يعتقد أنه يغامر بها أكثر مما يخدمها فيما لو عمّد إلى اتخاذ تدابير زجرية متطرفة بحقِّ التوار.

الواقع أنَّ وجهة النظر هذه كانت مصطنعة زائفه. فالأحداث التي جرت في 19 آب كانت جدّ مقلقة. فقد سقط الكثير من الجنود الألمان، وأحرقت العربات الألمانية في أكثر أحياء المدينة وضواحيها، واحتلَّ المتّمرّون مراكز المخابير كلّها فضلاً عن مرکز إدارة الشرطة. لم تكن الثورة شديدة الوطأة، إلا أنها كانت تستقر وتتوسّع. فأندر قائد موقع «باريس» رئيس المجلس البلدي «بار تينتجر» بأنه قد يضطر إلى انتهاج سياسة حازمة لا تعرف الرحمة، إلا أنَّ تهدیده ووعيده قد انتهيا باعتبارات عاطفية تتعلق بحمل «باريس» وبالخطر الذي قد ينال فواده لإراقة دم الحسناوات الباريسيات! إنّها، الحق يقال، أحاديث لا تجدُ بقائد حازم!

كان الموقف واضحاً بالنسبة للشيوعيين: كان على سلطة ثورية أن تستقبل «ديغول» في العاصمة. فتحصره في دور ظاهري إلى أن تسنج فرصة إبعاده تماماً. فبدلاً من أن تستبعد الآلام والماسي والحرائق وأهار الدم. كان لا بد منها لخلق الجو الثوري وتشكيل الثقة الشعبية التي سيعمد الحزب الشيوعي إلى استغلالها. ولقد كان يتمتع بالكثير من القوة والنفوذ. أفلم يكن «باستيان»، الذي صرع أول ضابط ألماني قُتل في «باريس»، واحداً من أعضائه؟ أوليس «برتون تانغي» المتطرف العنيد. الملقب بـ«كولونيل رول»، والذي يقود قوات المقاومة الفرنسية في محافظة «السين» . أحد أعضائه كذلك؟ لقد سيطر الشيوعيون على جنة التحرير الباريسية. وعلى اللجنة العسكرية. ييد أنَّ قواتهم المقاتلة وعدد قتلاهم لم يبلغ من الضخامة ما كانوا يزعمون، إلا أنّهم كانوا يشكّلون الخناج السائر الذي كان في الفترات الثورية يغير وراءه كلَّ شيء.

أدرك قادة المقاومة من غير الشيوعيين تلك الخطة. وأدركوا الخطر، فوافقو على الرفض الانكليزي الأميركي المتعلق بإلقاء الأسلحة بواسطة المظلات في المناطق العارمة من المدينة. كما وافقوا على القرار الذي اتخذه الجنرال «كونينج» بإيقاف حرب العصابات رغبة منه في وضع حد لأعمال الانتقام التي تسبّبها. لم يكن رجال مدينة «الجزائر»، ابتداءً بممثل الحكومة المؤقتة العام، «الكسندر بارودي»، ليجهّلوا أنَّ الخطة الشيوعية موجّهة ضدّ «ديغول»، الحاجز الوحيد الذي يحول بينهم وبين الوصول إلى الحكم، فتحوّلوا من ثورة «باريس» للسبب الذي من أجله أرادها الحُسْنُ. ولكنَّاتهما التي تعرّضوا لها كانت قاتلة قاضية، ومحاولات الضغط التي تحملوها لم تعرف لا رحمة ولا شفقة.

في 15 آب عاد «شابان دلماس»، مساعد «بارودي» العسكري، عن طريق «دورمانديا» من مهمّة استطلاع قام بها في «الندن». عرف أنه لم يكن في نية الخلفاء أن يفتحوا «باريس» قبل مرور أسبوع عدّة، مما جعل تطور الأحداث وسيرها نحو الإضراب العام والفتنة أشدَّ إثارة للقلق والاضطراب. فكان النداء الذي أطلقه معيّراً عن فلقه واصطراه: قال: «خذروا الأهالي بواسطة الإذاعة البريطانية تحذيراً واضحاً دقيقة».

كيمياً تتحاشى «فرضها» جديدة... ولكنَّ سبق السيف العذل! وفي 17 آب عقد مجلس المقاومة القومي اجتماعاً له في أحد منازل «فانف»، فلاحظ «بارودي» أنَّ المتطرّفين أقوى نفوذاً منه، وأنَّ الفتنة واقعة شاء ذلك أم أبى؛ فرأى من الحكمة أن يأمر بهما بدلاً من أن تفرض عليه فرضاً!

وفي 19 منه بدأت في شوارع «باريس» «طاردة ما وفن انفرد من عربات الجيش الألماني وجنوده. وكان الحادث الرئيس الذي أشرف على توجيه حركة العصيان كلّها هو احتلال أفراد الشرطة مرکز إدارة الشرطة. واعتصامهم فيه بخفة من الأسلحة وبعض أوعية البترول الازمة لصنع القذائف من «كروكتيل مولوتوف». وهناك أعلنت الولاء بمحاسبة لامديير «لويري» الذي عيّنته لهم مدينة «الجزائر». كان ذلك الحدث باللغة الخطورة السابقة قبل بها الشيوعيون من غير أن يتبينوا حقيقة مرماتها. والحق أنّهم سيلعبون دورهم ولا سلطة لهم. فرسوا لهم كانوا رجالاً صالحين لحرب العصابات ولم يكونوا ثواراً بمعنى الصحيح؛ وهكذا لم تعرف «باريس» في شهر آب من عام 1944 رجالاً «كلينين». وإلا لكان مصير «فرنسا» و«أوروبا» قد تغيّر وبدل.

كان من شأن هذه الفتنة المدللة، في اليوم التالي للإفراج عن الأسرى السياسيين، أن يحمل «شولتر» على الخلاص إلى أنَّ حملة زجرية لا تعرف الهوادة قد باتت تشكّل الموقف الوحيد المقبول. ولكنَّ شيئاً من



إنّه ليوم من أجمل ما شهدت «باريس» : الجزائر «ديغول» في جادة الشانزيليزيه يحيط به إخوانه في السلاح من جماعة «لندن» ومن اللجنة الوطنية للمقاومة .

هَا قَدْ وَصَلَوَا ! ” لَمْ يَبْقَ قَدْوَهُمْ مُجَرَّدٌ إِشَاعَةٌ

تجلىت «المفاجأة الإلهية» في ظهور هؤلاء الجنود الفرنسيين في العاصمة الفرنسية المحررة بعد أربع سنوات من الاحتلال.



هدنة، ومتاريس ووصول الفرقة المصطفحة الثانية

لاج نذير العاصفة في نهاية نهار مموم. فمقر الشرطة، حصن الثورة، قد كان عرضة لنيران المدافع التي أطلقها بعض الدبابات؛ ومع أنه قد صدر محاولة للتسليل فقد بات جلياً أن قدرته على المقاومة كانت محدودة. وقد شنت صفوف المدافعين فيه ذعرًا شديدًا، فمن جملة حراس الأمن الآلفين الذين احتلوا المبنى في الصباح، لم يبق غير ٥٠٠ فحسب؛ وباتت أسلحتهم الأوتوماتيكية، وهي نحو من ثلاثين بندقية رشاشة عاجزة عن إطلاق النار لأكثر من دقيقتين. وفي الساعة ١٧ اتصل «بيسانى»، رئيس غرفة «لويزيه»، هاتفياً بزوجته وقال: «لنخرج أحياه من هذا المكان...» وفي الساعة ١٨ أصدر «بارودي» أمراً بالخلاء وهو في الخارج؛ فأثنى الجواب بأنَّ هذا الأمر محال، إذ أنَّ المنافذ كافة واقعة تحت نيران العدو. وفي تلك اللحظة وقع حادث هام: فقد تلقى القنصل «نوردلنخ» مكالمة هاتفية، صادرة على الأرجح عن «بوبسيير» مدير الشرطة المخلوع، الذي كان محتجزاً في شقته، ترشح له وضع مقر الشرطة اليائس، وسألته ما إذا كان بيسوره أن يقوم بأي مسعى لإنقاذ المدافعين فيه. وفكَّر «نوردلنخ» من مقابلة «شولتز» في فندق «موريس»، حيث علم أنَّ هجوماً سيشنَّ على مقر الشرطة عند فجر اليوم التالي، بعد إعداد جوبي تشارك فيه ٣٠ طائرة كانت ما تزال في مطار «بورجي». فأشار بأنَّ القنابل سوف تسقط على الكاتدرائية، وقدَّم بكثير من الشاوم اقتراحًا يوقف إطلاق النار، فكانت معجزةً لقد قبل «شولتز» بذلك وأمَّا الشرطوط التي تفوق بها هو نفسه فقد كانت بعيدةً القصد़يق: فقد قبل بالتناقش مع سلطات المقاومة، حتى إنَّه قبل باستقبالهم من. غير أنَّ يمسُّهم سوء، وتعهد بـ«الآباء المانيا التي يتحلها «الوطنيون» على حد تسميتها، وراح يفكَّر بإيجاد وسيلة للتعايش للأيتام المقبلة

ربما كثنا اليوم نقيس ما كان في مسلك «شولتزر» من خاطرة لم يكن قد مضى على الـ ٢٠ من تموز غير شهر أو أقل، وكان أحد أشهر المارشالات الألمان قد انتحر منذ ليلتين، عالمًا أنَّ مجرد ارتياح في كونه قد انتصل بالعدو سوف يؤدي به إلى المشنة. كان شركَ «هتلر» قد اتسم بطابع شرس، وكان «شولتزر» قد شهد بأم عينه هذيانه، وأنذر في الوقت نفسه بأنَّ طاعة الجنرالات ستؤمِّن بفضل قانون للرهائن يطبق على ناسهم وأولادهم، كان يمسيور المدنة أن توقر للجيش الألماني بعض القواعد، وكانت بالتالي جديرة بأن يُنظر في أمرها من الناحية التقنية. ولكته بعيد عن التصديق، أو يكاد، أن يأخذ «شولتزر» على عاته عقدها من غير أن يستثير المارشال «مولر» بتصدها، وهو قائده الأعلى، أو القيادة الحربية العليا التي كان يربطه بها خطٌّ هاتفي مباشرًا.

وفي اليوم التالي الموافق ٢٠ آب، أعلنت المدنة في شوارع «باريس»، وبواسطة مكبرات الصوت بالفرنسية والألمانية. كان «بارودي» قد رفض أن يتصل شخصيًّا « بشولتزر»، وقد اقتصر النداء الفرنسي الصادر باسم الحكومة المؤقتة وباسم مجلس المقاومة الوطني على طلب «وقف إطلاق النار في وجه المحتل» ريثما يتم إحلاء التام عن «باريس». ومع ذلك لم تحمل المدنة دون تفشي الثورة. ففي مطلع النهار كان قد تم احتلال دار البلدية، وهي المصدر الأعلى للثورات الباريسية. ولكنَّ والي «السين»، الذي عينه «ديغول»، على غرار مدير الشرطة، قد تسلَّم مهامه من غير عناء كثير. وعمت المدنة سريًّا بتطبيق غير مرتقب. وبعد الظهر، وأمام وزارة الحرب أوقف حاجزٌ ملائني سيارةً كانت تقلَّ «بارودي» وأثنين من معاونيه؛ وتقدم ضابط من الفستابو يتطوع لرمي الرجال الثلاثة

بالرصاص على الفور . ولكن «شولتز» أمر باقتيادهم إلى فندق «موريس» ، وحين استنجد هؤلاء بالمدينة المعقودة أمر بإطلاق سراحهم ، وامتنع لونه إذ تفاضي «بارودي» عن اليد التي مدها له مصافحة «مصالحة ضابط لضابط» ، ومع ذلك لم يرجع عن قراره . وخرج المندوب العام طليقاً ، ولكن معه ضلشباهات المتطرفين الذين رأوا في التوفيق الذي حدث في «بولفار-سان جيرمان» خطوة مدبرة لإحلال الانتمال الشخصي الذي أصطنم «بارودي» رفقه .

في مركز الشرطة أتت المددنة رسالة خلاص، وقد استقبلها الناس في «باريس» برضى وبلهفة في كثير من الأحيان، وفي المجلس الوطنى للثورة كان الصوت المعارض الوحيد هو صوت «فيون» ممثل الحزب الشيوعى، ولكن زملاءه قد أخطأوا التقدير ساعة لم يروا في تصويمه غير ظاهرة مبدئية بسيطة، فالمددنة كانت بمثابة كارثة بالنسبة للشيوعيين؛ وعندما قيل لأحد رؤسائهم إنها تهدى حياة ٢٠٠،٠٠٠ باريسى، أجاب، بشيء من المnett، بأن «الثورة تستحق هذا الثمن».

في اليوم التالي انتشرت في «باريس» إعلانات صادرة عن الحزب الشيوعي وعن الجبهة الوطنية المهدية يهديه تقول: «إن» المدنة خدعة ملائكة، وإن شعب «باريس» يريد القتال! هاجموا الألمان بلا شفقة أو رحمة! وقد اهتز المجلس الوطني للثورة من تأثير هذه القضية. وعندما اجتمع أعضاؤه قامت بين الحاضرين مناقشات حادة. ودافع «شابان» عن المدنة، واعتبرها بمحاجة لم يكن بالحسبان، وأنها تمنع سحق حلاس، عن المدنة، واعتبرها بمحاجة لم يكن بالحسبان، وأنها تمنع سحق الثورة وتشكل اعتراضاً من العدو بها. وهنا انفجر «فيون» صاححاً: «أنما لم أر قط جزاً فرنسيّاً أجبن من هذا!»، واعتراض «بارودي» على هذه الإهانة، ولكنته، كما اقاد ثلاثة أيام خلت، فأوقف ثورة كان ينادي بها، القائد هذه المرة فتهجم على المدنة التي كان يعتبرها فرصة إلهية. وكانت حجته في ذلك هي أيتها: محاولة تجنب الانجراف في نيار المنطرفين، والحفاظ على مظاهر السلطة.

وطارت للحال كلمة السر: «إملاؤا» «باريس» بالمتاريس! وأضاف رول تانغي: إلى هذا الأمر صبيحة الموت التالية: «فليكن لكل مننا ملائكة!»

ويع ذلك رأينا المدنة تحدّ من الانتفاضة الثورية. صحيح أن «باريس» قد غطّيت بالثماريس، ولكن معظمها نصب في طرقات لا يمرّ الألمان فيها، وكان معظمها منشآت ضعيفة ومنطقية أكثر منها تحصينات حقيقية. وشهد نهاراً ٢١ و ٢٢ هبات من القتال، تخلّتها مائر بطولية بدبابة غزيرة، ولكن حدة القتال تضاءلت خلال نهار ٢٣. وفي ٢٤، وفيما كان رُتل «الماني» مصطف يجتاز «باريس»، انصببت عليه العيارات النارية، فرد بالمثل، وأحرق «القصر الكبير»، وألقى على «الشارتزيلزيه» غشاء من دخان، ييد أن النهار ذاك كان أكثر هدوءاً من النهار الفاتح على وجه الإجمال. كانت المقاومة مفتقرة إلى السلاح والذخيرة، وقد تخلّف الحلفاء عن إزالة الأنداد بالمظلات في فناء «نوتر دام» كما طلب إليهم. ولم يغادر الألمان نقاط ارتكازهم، مما جعل الاحتياك بين المحاربين نادراً. ومن جهة أخرى كان أكبر قسم من «باريس» في حالة تحرّر ذاتي. وراحت الصحف التي كانت بالأمس سرية تدعوا إلى ذلك بما تملكه من عزم وقوة. وأمام سلطات المقاومة فقد أحلّت فيها سلطانها. دونما اعتبار إلى كونها تمثل المفوضية العامة أم لا.

في فندق «موريس»، كان «شولتنر» يحاول كسب الوقت، فقد تلقى في ١٧ أُمراً بنسف الجسور، ولكنّه تمكّن من إلقاءه إذ برهن أنّها كانت ضروريّة لانسحاب القوات الألمانيّة. وأمّا الأمر الجديد الذي وصله في ١٩ ، فقد وقعه «هتلر» نفسه، وورد فيه : «يجب أن تتحول



ساحة «الكونكورد» تستعيد سالف تقاليدها . فقد انعقدت فيها
المظاهرات الوطنية كما انعقدت في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ،
وشهدت الجموع نشوئي الصباح على أضواء القناديل التي
بقيت أربع سنوات غارقة في الديكور .



فضلاً عن رايته وحرسه، وبأن يتحرّك لتوه باتجاه «باريس». وقد لمحّت المهمة في نقطتين: «١) تمثيل الجيش الفرنسي في العاصمة المحررة؛ ٢) القيام بأعباء السلطة الإقليمية الفرنسية ريثما يصل ذوو الحق الشرعي».

وقد أثارت هذه البعثة عاصفة في الأركان العامة، وسأل الجيش الثالث الجيش الأول ليصاحاً عن ذلك الرتل الفرنسي الذي كان يتلقى عبر طرقاته المعرقلة. وبعث «لوكلير» إلى قائد فيلقه، «ليونارت. جيرو»؛ ضابطاً بشرح له مبادرته، فعاد إليه رسوله على صهوة جواد ينقل إليه من «جيرو» رسالة التالية: «إن» الفرقة المصفحة الثانية (فرنسية) هي تحت إمرتي لأي غرض من الأغراض، ولا يسمح لك باستخدام أي جزء منها إلا لتنفيذ المهمات التي أعيتها أنا شخصياً». وقد انتهت المذكورة بأمر يقضى، واستدعاء «غيون» للحال.

كان وضع «لوكاير» حرّجاً. بعدهما شارف العصيان عاد فأرجأ التنفيذ، وطار إلى مركز قيادة «برادلي» للاستئناف. وكان كلّ من «كونفي» و«ديغول» يبذل ما بوسعه، حتى إنّ الثاني قد نظر في احتمال سحب الفرقة المصفحة الثانية من قيادة «أينهاور» لإطلاقها نحو «باريس». ولكنّ كلمة أميركيّة واحدة كانت جديرة بأن تُسمّر «لوكاير» إلى الأرض بقطع الرقود عنه.

كان بعد ظهر ٢٢ على شكل الانقضاض، وراح «لوكاير» ينتظر «برادلي» الذي كان يتداول مع «أينهاور»؛ ولكنّ المساء أقبل، وكان عليه أن يعود بعد برهة ببطارته الصغيرة إلى مقرّ قيادته لتنفيذ أمر «جيرومي». وأتجهَّ بخط «برادلي»، وانجا، فجأةً كــ شــ: فقراره تحجّه الفرقة المصفحة

^{٣٠} دورية من القوات الفرنسية المستقلة في «باريس».

«باريس» إلى أطلالاً» وكان على الجنرال القائد أن يدافع عنها حتى آخر رجل، وأن يُدفن تحت أنقاضها... وشكراً «شولتنز» ساخراً قيادة الغرب، وقدم تقريره بالعبارات التالية: «لقد وضعت ثلاثة أطنان من المتفجرات في «نووتردام»، وطنين في «اللوفر»، وطناناً واحداً في «الأనفالايد». ولسوف أنسف برج «إيفل» فيسداً حطامه «السيين»، ولكنّه لم يأت حرّكة! واجتاحت العالم موجة من الحماسة ولذتها ثورة «باريس»؛ ولكن الثورة أوجدت في الوقت نفسه المخاوف. فتطور الوضع الثوري، في مدينة حضنت هذا العدد من الثورات، قد أطلق أولئك الذين كانوا يقيسون مدى الخطر الشيوعي الذي راح يتضخم في أعقاب الهزيمة الألمانية. وأمام «فرصوفيا»، وفي وضع مناف لهذا، كان السوفيات قد توقفوا لأسابيع عديدة خلت متبعين لرجال الصاعقة مجال إفناه البولنديين المناهضين للشيوعية؛ ولكن هذه الواقعية الحازمة ليست من عادات الغربيين. فقد كانوا يتخيّلون العار الذي قد يلحق بهم إن هم وقفوا مكتوفي الأيدي حيال سحق الثوار الباريسيين، وإن هم حرروا «باريس» وهي خراب ورماد.

وأماماً «لوكلير». وهو المحرر المعين، فقد راح يشتعل حتفاً. فمنذ ١٤ آب، عندما تخلّى نصف الفيلق ١٥ عن القتال أمام «أرجنتن». كان قد سأله «باتون» متى تتوجه الفرقة المصفحة الفرنسية الثانية بدورها نحو «باريس». وقد عيّل صبره عندما نُقلت فرقته من الفيلق ١٥ إلى الفيلق ٥، ومن الجيش الثالث إلى الجيش الأول. وفي ٢١ صاف بالوضع ذرعاً، فأصدر إلى الليتوان-كولونيال «دي غيبون» أمراً بأن يسير على رئيس مفرزة من الخيشالة المغربيين. أي ١٥٠ رجلاً و٣٠ مصفحة.





في مركز الشرطة : حرّاس الأمن يطلقون الـ

في "باريس" المتمردة

مناضلون وطنين جدد لهم الأملان في



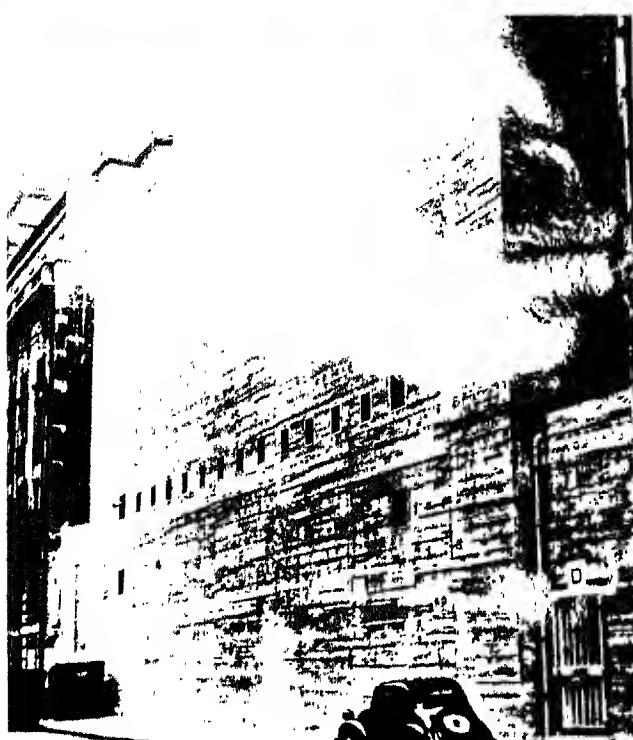


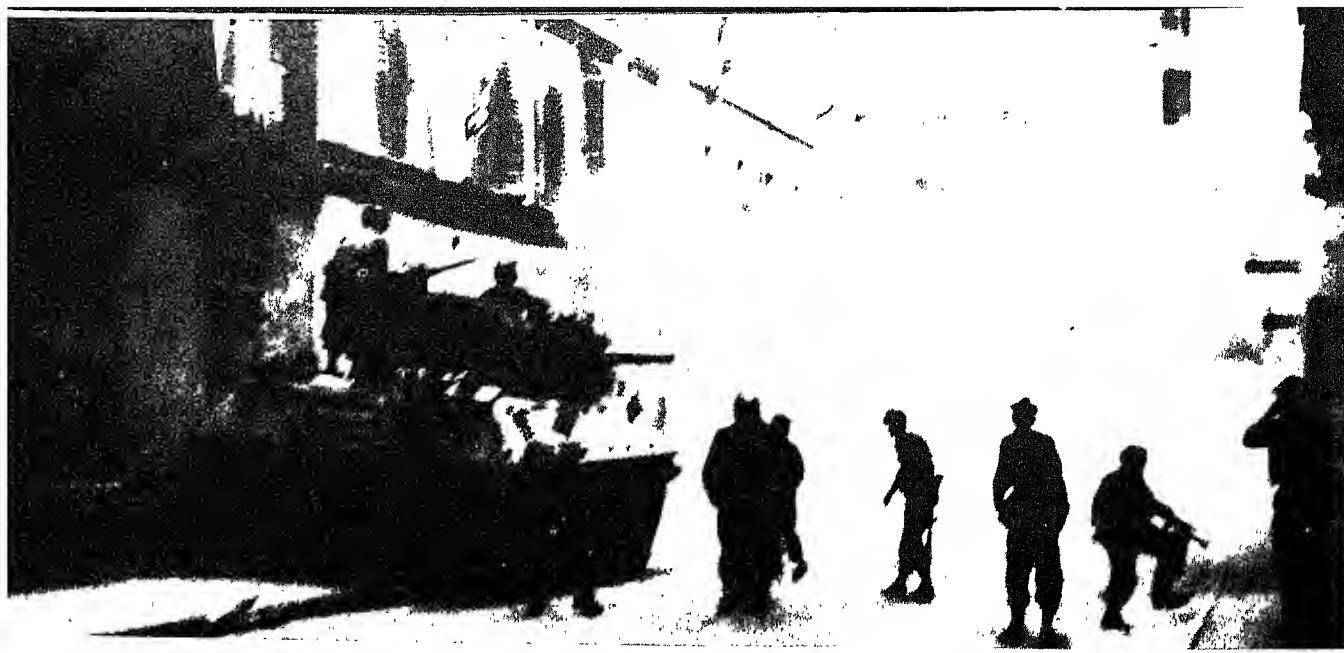
متراس هائل : فندق «ماجستيك» .

جندي ألماني أسر في ساحة «الأوبرا» .

الثانية نحو «باريس» كان قد اُتُّخذ في مجموعة الجيوش في الصباح ، وكان «برادي» قد طار إلى «غرانفيل» لسبب واحد هو الحصول على موافقة القائد الأعلى . وقد أعطى «أيلك» موافقته ، وزاد عليها أوامر تقضي بتسيير ٢٦،٠٠٠ طن من المؤن والفحمة نحو «باريس» ، منها ٣،٠٠٠ طن بطريق البر، كتجدة معجلة . وأمام الاحتزاز الوحيد فقد كان التالي : يجب ألا يقع في المدينة نفسها «قتال عنيف» . وأضاف : «إذا تذرّ تحقيق هذا الشرط ، يجب إيقاف الرحل واتخاذ موقف دفاعي ...»

كان وضع فرق أميركية عديدة أوفر حظاً من الفرقة المصفحة الثانية لإنقاذ «باريس» . كان على هذه الفرقة أن تأتي من «سيس» ومن «ألونسون» ، قاطعة مسافة ٢٠٠ كلم ، فيما كان الفيلق الأميركي السابع - الذي يضم في ما يضم فرقه مصفحة ، محتملاً قرب «كوربيل» على بعد ٥٠ كلم فحسب . ومع ذلك اتّخذ «أيلك» الاحتياطات الالزامية لكي يعود شرف استرجاع المدينة للفرنسيين أنفسهم ، مبطلاً بذلك الشكوك





كتيبة رماة البحرية في الفرقة الفرنسية المصفحة الثانية تعمل في «باريس».

أنه قد وقع في «أرباجون» على أقوى مقاومة ألمانية. وفي آخر يوم ٢٤ ، قام الكولونيل «دي لانغلاد»، الذي يقود مجموعة الغرب، باحتياز جسر «سيفر»، ودفع بدبابات إلى «بولون-بيلانكور»، فيما كان معظم الفرقة ، وهو يضم المجموعتين «ديو» و«بيوت»، ما زال يقاتل في محاذة «فرين»، على بعد نحو ١٢ كيلم من مدخل «أوليان». إلا أن «لاغلاد» توقف نظراً لانعدام الاتصال لديه، فلم يحسر على أن «يهزم في «باريس» ليلاً».

وفي تلك الأثناء بلغ الملل والسطح قلب «جيروي» و«برادلي». فهذا لم يتلقّيا منذ الليلة البارحة أي تقرير من «لوكلير» الذي اختفى أثره. كان الأمل يداعبهما بالاستيلاء على «باريس» قبل الظهر، فإذا بأهلهما قد خاب. وبالنسبة لـ«برادلي»، كان التعليل بسيطاً: إن حماسة الجموع ونشوة المحرّرين قد أخّرتها تقدّم الفرقة المصفحة الثانية. وقد قال «برادلي» فيما بعد: «لم أكن قادرًا على الانتظار ريثما يشقّ الفرنسيون طريقهم مختالين

بات الأميركية. وقد كثُرت فرق المشاة الأميركية «لوكلير»، فانشرت إلى اليمين وإلى الوراء للسيطرة على «لتحريز البخز الشرقي» من الأرض البرنسية. ولقاء على عاتق الفرقة المصفحة الثانية هي «نوردام». «أن تتمثل الجيوش البريطانية في التحرير، فطلب من المفرزة؛ ولكن الإنجليزي الصعب المراس قد تخلّف. فعلى «باريس»، نموذجاً للتكتيك وللتعاون المشترك بين جيروي» قد عين «لوكلير» مسيراً تين: الأولى عبر ونوف - أون - تيمري» و«ميتوون» و«رامبوسي» نية عبر «نوجان - لي - روترو» و«شارتر» و«نومور» أن واحدة من هاتين المسيرتين لم تعم بالتطبيق الكامل؛ «المجهود الرئيس من الغرب إلى الجنوب، من طريق طريق «إيتامب»، وهو تدبير لم ينل التوفيق الكامل، إذ

بعض مئات من الأسرى الألمان قرب «الأورا» .





جنود من الفرقة الفرنسية المصاحفة الثانية ، وعناصر من القوات الفرنسية المستقلة ، يهاجمون فندق «كونفيتال» .

كان سكون الليل هائلاً . ولم تشب الصمت طلقة رصاص واحد . ولم يكن من شأن الصبح أن يوْقِظ التاریخ للحال . فنهار ٢٥ هذا قد أطْلَّ باون ذهبي لازوردي ، ولكن الطرق المفقرة كانت ما تزال في سبات متأنّث . وخلال الليل كان «شولتنر» قد أمر قوّاته بعبور «السين» ، وحينذاك لم يكن يعرقل المسيرة المحرّرة غير الحشود الشوّى . وفي الفرقة الأميركية الرابعة ، خصّن «بارتون» فوج المشاة ١٢ ، الذي فقد ١،٠٠٠ رجل أمام «مورتان» ، بشرف الدخول إلى «باريس» قبل الجميع ، فاستولى على محطة «أوستربليتز» و«فنسيون» و«ليون» ووصل إلى المدينة ظهراً . وفي الفرقة المصفحة الثانية تقدّم «لانغلاد» من طريق «قوس النصر» و«الشانزيليزيه»؛ ووصل «بيوت» إلى ساحة «الشارتوبي»؛ وقسم «ديبو» مجموعته إلى رتلين ، اتجه واحد منها نحو المدرسة العسكرية ، وسار ثالثهما نحو محطة «مونبارناس» و«الأنفاليد» وقصر «بوربون» . وأمام الألمان الذين أُسقطوا في أيديهم فقد راحوا يدافعون عن أنفسهم داخل المباني التي يحتلوها . وقد تم الاستيلاء على فندق «ماجستيك» ، والمدرسة العسكرية ، وزارة الخارجية ، وقيادة الشرطة في ساحة «الأوبيرا» ، بعد قتال بلغ درجات متفاوتة من العنف . وفي الساعة ١٢،٣٠ عاد العلم المثلث الألوان يرفرف فوق قمة برج «إيفل» لأول مرّة منذ أربع سنوات . في الساعة العاشرة ووجه الكولونيلى «بيوت» ، بواسطة القنصل «نوردلنج» إلى الجنرال «فون شولتنر» إنذاراً أخيراً . وتمّنّع «شولتنر» عن مقابلته . ولكن مساعدته ، الملازم «فون أرنيم» ، نوّه بأنّ مقاومته سوف تكون رخيصة ، وبأنّه ، إذا أسر سوف يأمر بتسلیم نقاط الارتكاز . وبدأت مهاجمة فندق «موريس» في الساعة ١٥،٣٠ ، من خلال طريق «ريفولي» ، منطلقة من ساحة «الشارتوبي» . وقد اجتىجت الفنادق . الذي كانت تحميّه فصيلة من المشاة ، بعد قتال وجيز . وقد وصف «شولتنر» ما جرى قائلاً: «فجأة افتتح الباب ، وانقضّ على مكتبي مدنّي بالعديد .

نحو «باريس». تبأً للعتفوان ! فقد أبلغت «بارتون» بأن يدخل «باريس»
أكان الفرنسيون فيها أو لم يكونوا». وقد أضاف «برادلي» قائلاً : «وعندما
علم فتیان «لوكلير» بذلك ، راحوا ينهبون الأرض نهباً . وفي الواقع لم يعلم
«لوكلير» نفسه بالأمر الذي أصدره «برادلي». لقد كان النهار عاتياً ،
وحصيلة «الاختيال» قاسية. إذ أنها كللت الفرقة المصفحة ٣١٧ قتيلاً
وجريحاً وفقدواً . و ٢٥٢ دبابة أو مصفحة أو شاحنة مدمرة. ولم يكن
«لوكلير» يبعث في المخافر الأمامية ، بل كان يحاول تبليغ المنفذين
ضرورة التurgيل تنفيذاً للرغبة التي أبدتها «ديغول» أمماه في «رامبوسي»
في الليلة الثالثة. وفي نهاية النهار كان قد بلغ مفترقاً للطرق مجاورةً
لـ«لكروا-دي-برني». وانحرفت مفرزة يقودها الكابيتين «درون» على
الطريق الكبير. بعد قيامها باستكشاف جانبيّ ، فأمر «لوكلير» رئيسها
بأن يعود إلى «فري». وأن يدخل إلى «باريس» من الطريق الذي يجده
حرّاً. وقام «درون» بالتنفيذ، فتسلل عبر «لاي-لي-روز» و«بانيو»
و«كاشان» و«أركوي». وطرقات الدائرة ١٣ الضيقية ، واجتاز «السين»
على جسر «أوستليتر». فوصل إلى دار البلدية قبيل منتصف الليل في
وحصيلة من المشاة بالشاحنات وبعض الدبابات الخفيفة.

وبعد انقضاء ساعة راحت أجراس كنائس «باريس» كافية تقرع باستمرار. وذلك بفضل خط كهربائي أعيد وصله بأعجوبة. واتصل «شولتنر» بمجموعة الحبوش، فتسأله «شيبايدل» المكلمة. واقرب «شولتنر» بالله الهاتف من التلفة وقال: «أتسمع؟ أجل، إنها الأجراس! إنَّ الجيش الفرنسي—الأميركي في «باريس». هل لدى المارشال «مودل» أوامر يصدرها إلي؟» فأثناء الجواب: «إنَّ المارشال يمسك بسماعة الهاتف الأخرى». قال «شولتنر»: «دعني أخطابه». فقيل له: «كلاً إنَّ المارشال يكتفي بإعلامك بأنَّ لا شيء لديه يقوله». وإذا ذاك قال «شولتنر»: «وداعاً إذاً. حاولوا أنْ تعنوا بأمر امرأتي وأولادي».



«ديغول» هو «ديغول» .

بعشوا من الشارع . ولسوف تصبح الفرق المصفحة الثانية، بعد مدة وجيزة، في دعاويم الشفهية . فرقاً من الجنود تخيب بنصر هاشعب «باريس» . ولكن «ديغول» هو «ديغول» . فالثقة بالنفس . والتغيير، والاتحاد بفكرة الدولة، التي جعلت منه طوال مدة الحرب شديدة التشتت، جاءت تساعدته إلى أبعد حد في وضع حافل بالمهالك . فمجلس المقاومة الوطني كان يعتزم استقباله في العاصمة المحررة، واقتاده إلى دار البلدية لكي يعلن باسمه الجمهورية الاجتماعية . ولكن «ديغول» رفض: فبدلاً من أن يلحق بمجلس المقاومة الوطني . سبقه، ثم حجه، ولم يمض زمان طويلاً حتى أزاله من الوحيـد . وأمـا سيره في «الشانزيلزيه» في ٢٦ آب فقد كان آية من آيات العام إنـسـيـة الـجـاهـيـر: فالرسـاصـنـذـيـ كان يعلم حول هيكله الفارـسـ الثابتـ البـداـنـ . قد أـسـهـمـ فـيـ تـصـيـيـهـ . ولسوف يـوـئـيـهـ «ديـغـولـ» عـلـىـ ذـلـكـ أـيـمـاـ تـأـيـبـ .

وـبـعـدـ ماـ نـقـلـ «شـولـتـزـ» إـلـىـ مـحـطةـ «موـنـارـنـاسـ»، نـقـلـ إـلـىـ نقاطـ اـرـتكـازـهـ أـمـرـاـ بـإـلـقـاءـ السـلاحـ: فـأـطـاعـتـ كـلـهـ الـأـمـرـ . بـماـ فـيـهاـ قـلـعـاتـ مجلسـ الشـيوـخـ وـسـاحـةـ الجـمـهـورـيـةـ . وـسـارـتـ فـيـ الطـرـقـ أـرـتـالـ طـوـيـلـةـ مـنـ الأـسـرـىـ، وـسـطـ شـعـبـ القـلـبـ عـنـ روـيـهـمـ منـ الـابـهـاجـ إـلـىـ السـخـطـ وـالـفـوـرـةـ. فـأـلـجـائـمـ شـعـبـ القـلـبـ عـنـ روـيـهـمـ منـ الـابـهـاجـ إـلـىـ السـخـطـ وـالـفـوـرـةـ. فـأـلـجـائـمـ

الـجـيـشـ ٢١ـ «الـسـينـ» الأـسـفـلـ مـارـسـتـ «جـيـهـةـ شـوـ «باـ دـيـ كـالـيـهـ». وـفيـ ٢٧ـ آـبـ اـقـتـحـمـ الـجـيـشـ الثـالـثـ «الـمـابـنـ» فـيـ «شـانـتوـ تـيـرـتـيـ». وـفـيـ آـخـرـ يـوـمـ منـ الـشـهـرـ ذـاـتـهـ، تـمـ بـلـوـغـ «الـسـوـمـ» وـ«الـلـاـوزـ» فـيـ «أـمـيـاسـ» وـ«كـومـيـسيـ» فـيـ آـنـ مـعـاـ. كـانـتـ المـقاـوـمـ شـبـهـ مـاـهـوـةـ، فـقـدـ كـانـ العـدـوـ يـفـرـ هـارـبـاـ. وـكـانـ يـسـتـسـلـمـ حـالـاـ يـتـمـ الـلـحـاقـ بـهـ، وـأـحـصـتـ الـأـرـكـانـ الـعـامـةـ أـنـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ فـيـ الـغـرـبـ قـدـ فـقـدـ مـنـذـ ٦ـ سـزـيرـانـ أـكـثـرـ مـنـ «صـفـ ماـيـونـ وـجـلـ» . بـيـنـ قـتـيلـ وـجـريـحـ وـأـسـيرـ . وـأـمـاـ الـحـالـاءـ فـقـدـ أـنـزـلـوـاـ ٤ـ٦ـ٠ـ٠ـ٠ـ مـرـكـبـةـ . تـشـكـلـ مـدـاـ هـادـرـاـ رـاحـ يـتـقدـمـ فـيـ نـشـوـةـ الـغـلـةـ الـمـطـلـقـةـ .

وـإـصـبـعـهـ عـلـىـ زـنـادـ رـشـاشـهـ، فـصـوبـ سـلاـحـهـ إـلـيـ وـهـوـ يـصـبـعـ: «أـتـكـلـمـ الـأـلـمـانـيـ؟»، فـأـجـبـتـ بـهـدـوهـ: «أـظـنـ أـنـتـ أـنـقـنـاـ أـكـثـرـ مـنـكـ». عـنـدـهـ دـخـلـ ضـابـطـ بـرـيـةـ مـيـجرـ فـقـهـ، وـأـمـسـكـ بـالـمـدـنـيـ وـأـلـقـيـ بـهـ خـارـجـاـ. إـنـ مـوـرـتـخـيـ تـحـرـيرـ «بارـيسـ» الـفـرـنـسـيـنـ لـمـ يـنـقـلـوـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ، بـلـ إـنـهـمـ قـدـ وـضـعـواـ لـوـحـةـ تـارـيـخـيـةـ أـكـثـرـ إـطـرـاءـ «الـمـدـنـيـ الـبـالـغـ الـحـيـاجـ»، وـهـوـ فـيـ الـوـاقـعـ الـلـازـمـ «ـكـارـشـيـ» مـنـ «ـقـوـاتـ فـرـنـسـاـ الـحـرـرةـ» . . .

اقـتـيدـ «ـشـولـتـزـ» مـنـ «ـمـوـرـيـسـ» إـلـىـ دـارـ الـبـلـدـيـةـ . وـهـنـاكـ أـمـلـ عـلـيـهـ «ـلوـكـلـيرـ» شـرـوطـ اـسـتـسـلـامـ، إـلـاـ أـنـ «ـرـولـ تـانـفـيـ» طـلـبـ باـسـمـ «ـقـوـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ الـمـسـتـقـلـةـ» أـنـ يـكـونـ مـعـ الـمـقـاـوـمـيـنـ فـيـ الـصـنـ الـذـيـ يـعـتـبرـ مـخـضـ تـحـرـيرـ «ـبـارـيسـ»، وـأـمـاـ «ـلوـكـلـيرـ»، الـذـيـ لمـ يـكـنـ وـاقـفـاـ عـلـىـ كـوـامـ الـسـيـاسـةـ، فـقـدـ قـبـلـ حـتـىـ أـنـ يـظـهـرـ اـسـمـ الرـئـيـسـ الشـيـوعـيـ قـبـلـ اـسـمـهـ عـلـىـ الصـيـغـةـ الـمـعـدـلـةـ! وـلـوـفـ يـوـئـيـهـ «ـديـغـولـ» عـلـىـ ذـلـكـ أـيـمـاـ تـأـيـبـ .

وـبـعـدـ مـاـ نـقـلـ «ـشـولـتـزـ» إـلـىـ مـحـطةـ «ـمـوـنـارـنـاسـ»، نـقـلـ إـلـىـ نقاطـ اـرـتكـازـهـ أـمـرـاـ بـإـلـقـاءـ السـلاحـ: فـأـطـاعـتـ كـلـهـ الـأـمـرـ . بـماـ فـيـهاـ قـلـعـاتـ مجلسـ الشـيوـخـ وـسـاحـةـ الجـمـهـورـيـةـ . وـسـارـتـ فـيـ الطـرـقـ أـرـتـالـ طـوـيـلـةـ مـنـ الأـسـرـىـ، وـسـطـ شـعـبـ القـلـبـ عـنـ روـيـهـمـ منـ الـابـهـاجـ إـلـىـ السـخـطـ وـالـفـوـرـةـ. فـأـلـجـائـمـ

كـانـتـ حـجـةـ الشـيـوعـيـنـ الـقـوـيـةـ أـنـ «ـبـارـيسـ» قدـ تـحـرـرتـ تـلـقـائـيـاـ بـثـورـةـ شـعـبـيـةـ كـانـواـ هـمـ أـفـسـهـمـ عـرـكـيـهـاـ، وـكـانـ مـخـطـطـهـمـ يـقـضـيـ بـأـنـ يـنـصـبـواـ . فـيـ وـجـهـ طـابـورـ خـامـسـ مـوـهـومـ . الـمـجـمـوعـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـتـيـ

الفصل التاسع والعشرون
أيلول - كانون الأول ١٩٤٤

توقف

أللچ صدور الكتبيين ، في أول أيلول ، استلاوهم على مدينة «دیب» ، حيث استشهد الكثيرون من رفقاءهم عشاً عام ١٩٤٢ .

حملة دهليز لا خيبة

إنجاز الجيش الانكليزي الثاني مدينة «أراس» دونما توقف. آسراً في طريقه جاز الدبابات «لير بانج» الذي نُكِّل به على أبواب «کن» ، وفي اليوم التالي دخلت قرية المدرس الانكليزي أرض بلجيكا، فاستولت على «توري» ، فيما استول الأميركيون على «نوين» و«سان-كتنان». وفي ٣ أيلول، يوم تحرير «بلون»، حرر الانكليز «بروكسل» . وطرق الأميركيون ٣٠٠٠ المئتي حول «مونس». في ٤ انتزع الجيش البريطاني الثاني مدينة «أفير» . ووضعت فرق الماشية الأميركية ٤٥ يدها على «بروج-ان-بريس». أما ٥ أيلول فكان يوماً مظفراً؛ ففيما عبر جيش «هودجز» بــ «لوز» في سيدان، حرر جيش «باتون» مدينة «نانسي» . واستول جيش «كريبر» على مدينة «برولينا» واقترب من «كايليه» . وفي ٦ دخل الفيلق الفرنسي الأول، يقوده «بيتار»، خط القتال إلى بيمونة الجيش السابع المنتد على طول الحدود السويسرية. وبلغ الجيش الأميركي الأول في اليوم عينه خط «تيريلون-نامور» . وحاذى في اليوم التالي قناع «أفير»؛ فإذا بالحرب تعود إلى النقطة التي انطلقت منها في أيام ١٩٤٠ . واقتحم الجيش الأميركي الثالث فوج «سان-ماري-أوشين» ، واستول على سان-بريفا. وفي أقصى اليمين احتل الجيش الأميركي السابع مدينة «بورانسون» . وهكذا يكون الأسبوع الأول من أيلول قد حمل الخلفاء من «السين» إلى «اللوز» . ومن «بروفانسا» إلى «الدويس» .

حافظ التقدم على سرعته في ٨ أيلول، فيما انتزعت قوات «دي لاتر» «برون» وأوتان، استولت قوات «باتون» على «بريهاي» . واحتلت قوات «هودجز» مدحبي «ليرج» و«ماسترخت» . وعبرت قوات «ديسي» قناع «أفير» . ودخلت قوات «كريبر» مدينة «بروج» . إسرار النصر في ٩، أما في ١٠ فقد التقى الرمح القادم من «المائش» الرمح الصاعد في المتوسط. في قرية «سميرتون» البروغندية؛ بال تماماً الفرقين الفرنسيين: المصفحة الثانية، وفرقة «فرنسا الحرية» الأولى. هذا، وقد شهد اليوم ذاته استسلام فيلق فرنسي على «ديجون» . وفيلق أميركي على «لوكسمبورغ» . كما شهد دخول فيلق أميركي آخر، لم تتصد له أية مقاومة، إلى حصن «إبين-إغاي» الذي نهى سقوطه جوش «غاملان» في ١١ أيام ١٩٤٠ . وهبت للاقعة المحربين في «بلجيقا» ، كما في «فرنسا». جموع غفيرة استخفها الفرج. حاملة إلى الخلفاء أعن ما وقعت عليه من المداباة في أيام الضيق تلك، من خمر ولعنة وبنادرة (طماظم) وثار.

وفي تمام الساعة ١٨.٥٥ من ١١ أيلول جرى حادث عظيم جلل:

فقد اجتازت دورية ثانية لسرية الاستكشاف الأميركيَّة الحدود الأكادية بالقرب من قرية «ستولنبرون» «لوكسمبورجاريَّة». حيث يفصل بين البلدين جدول صغير هو «الاور»، لم يكن الجسر قد أصيَّب بأذى. فبادر الكشافة الأميركيَّة إلى عبوره، ولم يطلق عليهم الرصاص أحد. فمضوا متغلَّبين حتى خط «سيغفريدا» . هكذا اجتاحت «ألمانيا» انتهك حرمتها. ودامت أرضها أول

السلاح السريِّ الآخر، وأهل «ألمانيا» الوحيد: إنه صاروخ «ف ٢» .

بالسبة للجيوش الكلاسيكية. بما فيها الجيش الألماني؛ ولم يكن بوسع الجيش الأميركي نفسه أن يستغنى عن خدماته؛ بيد أن ترميم الخطوط الحديدية كان صعباً شاقاً. وكان على الخط الحديدى الأول، الخارج من «الكورنتان»، أن يعتمد جذوعاً من الخطوط المفردة. تمضي متعرجة بين «بونتوبول» و«سان-هيلير-دي-هاركوي»، و«فوجير»، و«ماين». و«المانس». ونظراً لأنعدام الإشارات كان السير ينظم يدوياً: بواسطة الأعلام نهاراً. وبواسطة المصايبع ليلاً. هذا وقد أعيد فتح خط «فير-أرجنتان-درو» الكبير. عقب انتصار «فاليز»، مما سمح بدخول القطار الأول إلى «باريس-باتينيل» في ٣٠ آب، ولما يقضى على تحرير العاصمة سوى أربعة أيام. وما اتصف أولول حتى تم ترميم ٥٠،٤٠٠ كلم من الخطوط الحديدية. فيما كان العمل جارياً في إعادة بناء ٤٠ جسراً؛ وإذا بالخط الحديدى يبلغ «لياج» و«فردان» و«تول»، غير أن حركة القطارات بقيت متقطعة بطيئة.

أما على الطرقات العبدة، فقد نظم الجنرال «روس» دائرة والأتوستراد الأحمر، التي دُعيت هكذا بسبب الدائرة الحمراء التي تميزها. فالطريق الصاعدة هي طريق «سان-لو-أرجنتان-درو-فرساي»، التي تتعرّج منها ذراعان، تندلأاً أولاهما باتجاه «سواسون»، والأخرى باتجاه «سوسو». أما الطريق المابطة فتعمد إلى «سان-لو» مارة «لفوتينبلو» و«فشارتر»، فالفائزون». كانت العربات تسير عشرين ساعة في اليوم، بسرعة واحدة تبلغ ٢٥ ميلاً، وبين العربة والأخرى ٢٠ م فقط، وتضيق المصايبع مساءً كما لو أن الطيران لم يُخرج بعد، وتختصر «فرنسا» سلسلة من الأنوار لا تنتهي، فتبغى الحمولة المشحونة ١٢،٠٠٠ طن يومياً.

ولكن هذه الحركة لم تف بالغرض! فما كان يجب نقله من مستودعات «نورماندي» إلى الجبهة المتحرّكة، فضلاً عن المؤن والذخائر، وبصرف النظر عمّا يتطلبه تموين «باريس»، كان يتراوح بين ٢٠،٠٠٠ و ٢٥،٠٠٠ طن.

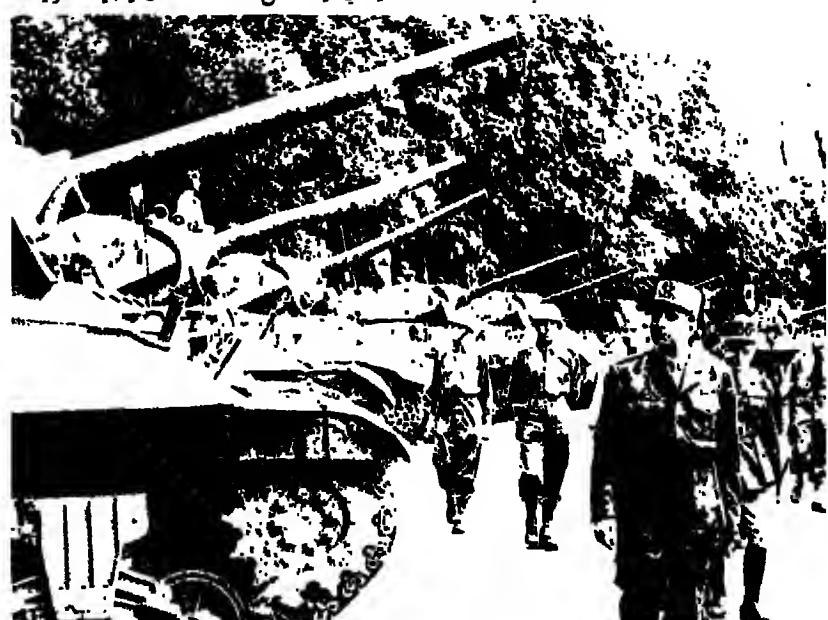
كان مقناح الحل في مدينة «أفيير»، فقد أخذ المرافقاً سليماً تقريراً، وطاقته التفريغية تتراوح بين ٨٠،٠٠٠ و ١٠٠،٠٠٠ طن يومياً، والمسافات التي تفصله عن الجيوش الرئيسة ضئيلة. ولكن الجيش الألماني الخامس عشر كان، لسوء الطالع، قد أوصى مصايب «إيسكرو». قضت السرطانية المنطقية بإعادة فتحها قبل مباشرة سلسلة كبيرة جديدة من العمليات. بيد أن «مونغومري» عارض هذه السرطانية المنطقية بسرطانية جريئة مقدام. كان في «أفريقيا» و«إيطاليا» و«نورماندي» خططاً مفترط الحذر. أما الآن فهو يعتبر أن عمود العدو الفكري كاد ينحطّم، وأن الوقت قد حان، على حد قوله، للإقدام على انتزاع السبل التي تمكنه من متابعة الحرب. فهو يودّ، بعد أن يترك للكنديين مهمة تحرير سواحل بحر الشمال، أن يحتفظ بالجيش البريطاني الثاني التابع للجنرال «ديكسي». وبالجيش الأميركي كـ«الأول التابع للجنرال «هودجز»». مجموعتين في قبضة واحدة هي قبضته. على أن يقذف بهذه الكتلة المراصدة مباشرة على «الرور» التي كانت تشكّل خزانة سلاح «الرابع» الثالث الرئيسة. مع ما أحدهته فيها عمليات القصف من دمار. ومع الامر كثيرة الصناعية التي حقّقها «شير». وهي تم احتلال «الرور». سار الجيشان الحليفان باتجاه «الألب». تم باتجاه «برلين». وربما أمكن احتلال العاصمة الألمانية وإنها الحرب قبل عيد الميلاد.

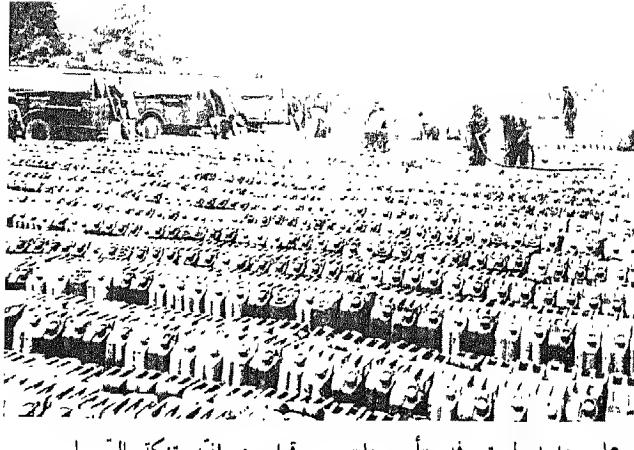
الجنرال «دو لاتر دو تاسيبي» يتفقد قوات الجيش الأول في «سوفرنون». وقد بدا وراءه الجنرال «مونسابر».



دخل الكنديون إلى «ديب» في ٣ أيلول ١٩٤٤. وهو هم ينتظرون في عرض عسكري يشهده الجنرال «كريوز».

جزمة معادية. ولما يقضى على تغرة «سان-لو» ٤٧ يوماً، وعلى التزول في «نورماندي» ٩٦ يوماً! وإذا بالمجتاج الأول يفقد من الغرب. خلافاً لما كان متّظراً: فالروس لامساً حدود «بروسيا» الشرقية خلال انتصارهم الصيفيّة الباهرة. إلا أنّهم لم يكونوا قد عبروا بعد في أي مكان. ييد أن أزمة خطيرة قد بترت في وجه الجيش المظفر: تأخّرت مصلحة التموين فلم تتمكن من أن تجاري سرعة الرّحْف. فالبَتْرِين: «دم الحرب الوردي اللون». يأتي في مقدمة الضّروريات؛ وإن كلاماً من جيوش «أيزهَاور» الأربع يخرق منه. وقت احتدام العمليات، ما يترواح بين مليون وثلاثة ملايين لير يومياً. ولذا فقد عمدت مصلحة المحروقات إلى تمهيد أنبوبها العائم في «المانش» بخط الأنابيب أرضيّاً؛ فشاهد سكان الأرياف، في كثير من الدول، الأخوائيّن الأميركيّين يجمعون. بمعدل ٢٠ إلى ٣٠ كلم في اليوم. قطع ثعبان من الفولاذ بسيط، أو مزدوج، أو مثلث. لا تعرف انسياقه عقبة من الأرض أو من مجاري الماء. وممّا يؤسف له أنّ جماعة من أبطال السوق السوداء الأندلسي قد جاز فوا بخياتهم لتقبّل الشريان الذي يتغذّى منه النصر، وأراقوا، طمعاً في احتلال كمبيات ضئيلة من البَتْرِين. كمبيات كبيرة من «دم الحرب الوردي». وفي أية حال لم يكن عمل خط الأنابيب مرضياً: فمحطّات الضّيّق قليلة. والخط يتطلّب نقل كمبيات ضخمة معجزة كلّما استطال. ولذا فقد تقرر أن تكون نهاية في «دوريان»، موّقتاً على الأقلّ.





وعاء جديد لم تعرفه «أوروبا» من قبل : إنّه تحكّم البرول .



لا يقتضي لزوج الحليف أن يستمر إلا إذا دعمه التموين الدقيق المنظم.



آلاف أطنان الوقود تصل من «أميركا» فيصار إلى تحويلها إلى قطاعات العمليات.



كانت هذه النظرية تفرض على الجيش الأميركي الثالث أن يلزم موقف الدفاع . وهو قبضة قوات الاحتياج اليمني التي سبق لها أن كالت للعدو ضربة صاعقة بعد ثغرة «نورماندي» . وهذا إن الخطة تقضي عليها الآن بالتوقف والدفاع . فيما تكيل القبضة اليسرى ضربتها بدورها . ولكن «الجيش الثالث هو «باتون» نفسه . وقد أُعفي من نطاق الكتمان الذي كان قد ضرب حول اسمه في مطلع الصيف : وإن «أميركا» لترى فيه ذلك البطل الذي انتشل معركة «نورماندي» من عنبرها . واحتل «فرنسا» عَدَّاً . وهو إلى ذلك ، مغرم بالصبيحة ، شغوف بالشهرة ، ولذا كان أفضلي من زود بشرات الأبناء مارسلي الحرب الذين كان لفوضهم المفرط تأثيرٌ كبير على مقررات القيادة . الواقع أنه كان يحسن استخدام مكتبه الصحافي ، فيحمل بواسطته شكاواه إلى رأي عام شديد اليقظة والانفعال . ولقد قال للصحفيين يوماً : «بوسع رجالي أن يأكلوا نجادهم . وحتى أحذنيتهم . إلا أنهم لا يستطيعون أن يبولوا البنزين الذي يحتاجون إليه لتحرييك درباتهم ! ... » . ولقد حمله زهو المفرط بالجيش الثالث ، ونشوة الرحف . وبغضه الخاص «لوتفغوري» . على أن يرى في خطة هذا الأخير مناورةً تسعى لإلباس الانكليز بردة النصر التي انزعها الأميركيون . ولذا فقد حار بها عليناً . وهو على يقين من أن التعبُّد الأميركي كي يشله بحصانة لا

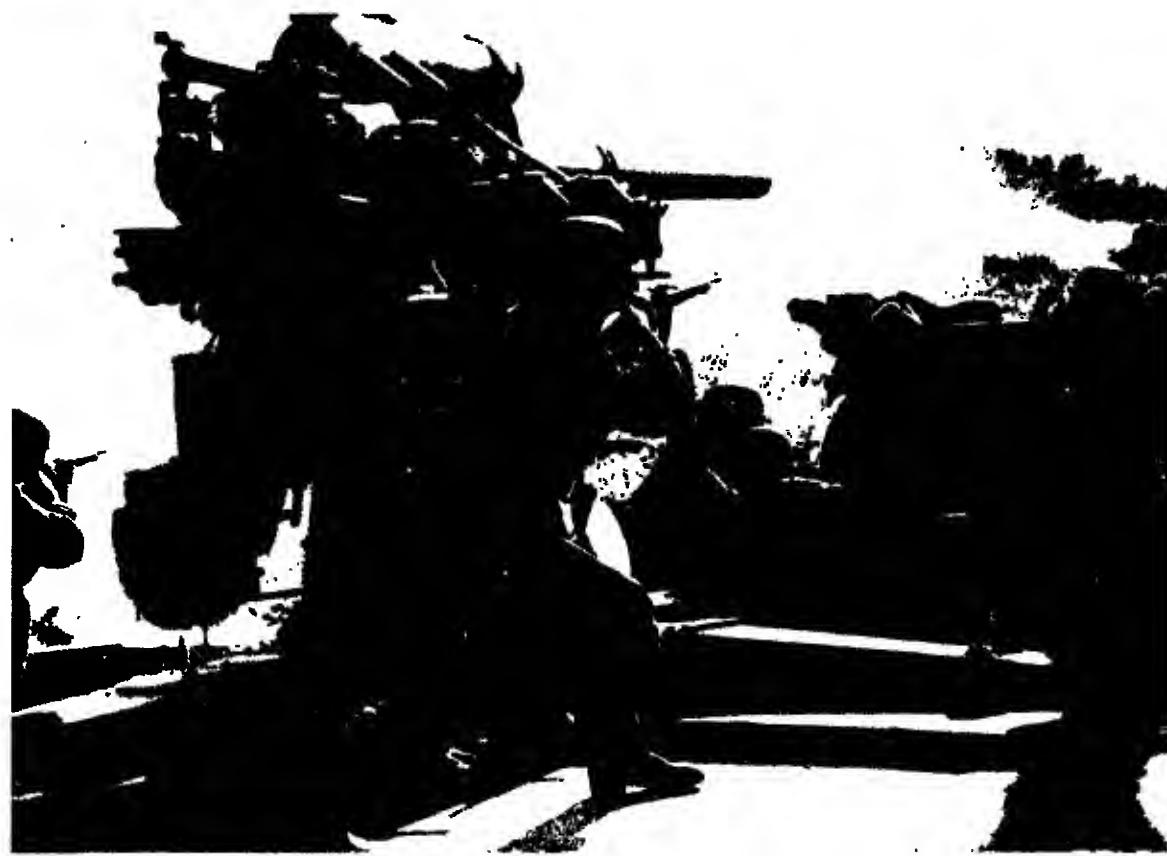
أما الحطة المناوئة لخطبة «النصرة المركّزة» التي وضعها «مونغومري» فقوامها رحف تشنّه الجيوش الحليفة على الجبهة كلّها في آن معاً. صحيح أنَّ الوسائل لم تكن كلّها متوفّرة، إلاَّ أنها كانت موجودة؛ فهناك ٣٠ فرقة ما تزال تتقدّم في «الولايات المتّحدة». وإنَّ من شأنها أن تزود قوّات الحملة بقوّة لا تُصدَّ ولا تقاوم. ولكن لم يكن بالإمكان أن تزجّ في «أوروپا»، قبل فتح عددٍ مرافيء وإعادة بناء جهاز القل. وفيما كانت هذه القوّات تمثّل الانتصار الأكيد في ربّع ١٩٤٥. كان مشروع «مونغومري» يشكّل فرصة النصر الأخيرة لعام ١٩٤٤. وبات على «أيك». والحالّة هذه. أن يختار ويقرّ.

يُبَدِّلْ أَنَّ قَرَاراتِ «أَيْلَك» لَمْ تَكُنْ جَازِمةً حَاسِمَةً إِلَّا نَادِراً؛ زَدَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الصَّحِّحَةِ. فَفِي ١٠ أَيْلَوْلُ. وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَيْهِ مَقْرَرْ قِيَادَتِهِ الْمُرْزِعِ الْبَعِيدِ فِي «عَرَانِفِيل». هَبَطَتْ طَائِرَتِهِ هَبُوطًا اضْطِرَارِيًّا فَلَكَّ فِيهِ رَكْبَتِهِ. وَفِيمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَ. وَقَدْ اسْتَلَقَ عَلَى مَقْعِدِ الطَّائِرَةِ فِي مَطَارِ «بِرُوكَسِيل» يَتَوَاَرِي أَمَّاً. وَاجْهَ حَمْلَةً «مُونْتُغُومَرِي» الْحَادِّةَ. وَلَقَدْ بَلَغَ اسْتِهِنَامَ الْأَلْهَجَةِ فِي لَحْظَةِ الْمَاحِظَاتِ. درَجَةً مِنَ الْحَلَةِ الْأَحْمَرِ لَهَا وَجَهُ الْقَائِدِ الْأَعْلَى. فَقَاتَعَهُهُ قَائِلًا: «عَلَى رِسَالَتِكِ يا «مُونْتُغُومَرِي». وَلَا تَخَاطِبِي بِهَذِهِ الْأَلْهَجَةِ. فَأَنَا رَئِيسُكِ!» وَتِبَادَلَ الْجَنْرَالَانِ عَقْبَ ذَلِكَ عَبَاراتٍ بِرُزْ فِيهَا مَا بَيْنَ مَزَاجِيهِمَا مِنْ تَنَاقُصٍ. قَالَ «أَيْنَهَاوَر»: «الْجَرْوَبُ تُكَسِّبُ بِتَأْيِيدِ الرَّأْيِ الْعَامِ». . . فَأَجَابَ «مُونْتُغُومَرِي»: «كَلَّا. بَلْ إِنَّهَا تُكَسِّبُ بِالْأَنْتِصَارَاتِ».

وأخيراً تحاشي «أينهاور» عملية المفاضلة والاختيار؛ فلم يوقف «باتون» الذي ورط نفسه حول «ميتر» في عمليات باهظة الكلفة ضئيلة الجدوى؛ ولم يوقف «هودجز» الذي اصطدم بالجدار الغربي على أرض «شي إيفل» غير المؤاتية؛ سلّم بأنّ الاندفاع نحو «الرور» يشكّل العملية الرئيسة الجوهريّة في حملة التحرير. إلا أنّ توزيع الوسائل لم يتقدّم وضاحّة هذا التأكيد، ولقد كتب إلى «مارشال» يقول: «في نتني أن أفتح

تمتد أنابيب النفط التي تزود الجيوش الحليفة بالوقود على مئات الكيلومترات.

بطارية ألمانية هاجمتها الفرقة
المصفحة الثانية بقيادة «لوكليه»
قرب «الونسون». وهناك،
إلى الشرق ، استعاد الجيش
الألماني عند حدوده بعض
توازنه ، ومن ثم بعض
قوته .



بعد «هتلر» تشكيل جيشه المدمر؛ أصدر أمراً يقضي بدعة الألمان جميعهم إلى السلاح ، من سن السادسة عشرة إلى سن الستين ، وابتعد لذلك فرقاً من طراز جديد هي «فرق رماد الشعب» ، التي تسلمت أسماء الفرق الكبيرة التي أبديت في «فرنسا» وشارتها ، ولكن تقليص الفوج إلى حدود كثيتين . وضغط التشكيلات الأخرى جميعها ، خفضاً عدد الرجال الأساسي إلى حدود ١٠،٠٠٠ رجل . أمّا العاملون فيها فهو رجالي خارجون من المستشفيات . ورجال تم إنقاذهن من سلاح البحرية والطيران ، ففيهم صدوف قديمة مستة ، وفتىان لا يزالون في مطلع الشباب . لقد كانت هذه الفرق ، بما هي عليه ، تشكلت عدداً ، ولوسوف تبرأ بحسن بلاتها في القتال فرق جدار الأطلسي المحشوة بأجناد الشرف .

لم يكن العتاد وافراً فائضاً ، ولكنه كان متوفراً كافياً؛ فالحرب الجوية التي دمرت عدداً كبيراً من حواضر الفن وأحوالتها هباءً ، لم تكن بعد قد شرعت بالحد من طاقة الصناعة الألمانية ؛ بل إن ما أنتجته هذه الصناعة من البنادق والأسلحة الأوتوماتيكية ، والمدافع المضادة للطائرات ، فاق ما أنتجته في السنة المنصرمة . ولقد صنعت من الدبابات العدد ذاته تقريباً ، ومن الطائرات عدداً أكبر . وقد ضرب الإنتاج الجوي الألماني رقمه القياسي الشهري المطلق في نيسان ١٩٤٤ ، بإنتاج ٤،١٠٣ طائرات ، وكذلك سجلت السنة عينها رقمًا قياسياً ببناء ٩٥٣ طائرة .

ولقد كانت «ألمانيا» إذ ذلك تُعد على صعيد الملاحة الجوية ثورة المحرك النفاث . كان جهاز «مي-١٦٣» قد تجاوز سرعة ١،٠٠٠ كلم في الساعة ، المرتبة الأولى في العالم ، في ١٠ أيار ١٩٤١ . وغداً اثنان من الأجهزة صالحين للصناعة على نطاق واسع منتظم : جهاز «مي-٢٢٠» ذو المحركين النفاثين ، وجهاز «أرادو ٢٣٤» . ولكن «هتلر» أهواي أبي إلا أن يجعل من جهاز «مي-٢٢٠» الممتاز قاذفة قنابل ، لا طائرة مطاردة ؛

«السار» و«الرور» في آن معاً . وأن أفرج عن «المافر» و«أنفير» في الوقت عينه وفيما الحلفاء منصروفون إلى هذا البخل عادت «ألمانيا» فتماكت نفسها . كانت نشرة الأخبار الصادرة عن الأركان بتاريخ ٢ أيلول تصف وضع العدو هكذا : «لم يبق الجيش الألماني قوّة متماسكة . بل غداً عدداً من الشرذم المقاتلة الماربة المضبضة اليائسة التي لا سلاح لها ولا عنا». كانت هذه اللوحة في ذلك الحين صادقة كلّ الصدق؛ ولكن الأوضاع تبدلت بعد أيام .

ارتكب الحلفاء خطأً جديداً عمل على تصائب «ألمانيا» والتغافلها حول زعيمها . فقد تبني الانكليز والأميركيون المجتمعون في «كيبيلث» لامرأة الثانية ، بين ١٣ و ١٦ أيلول ، المشروع المعروف باسم وزير المالية في حكومة «روزفلت» ، «هرلي مورجتو جونيور» ، والمتصل بعملية الشعب الألماني بعد الاستسلام . وهو يقول بوجوب تدمير الصناعة الألمانية كلّها : بحيث لا يبقى من المصانع جميعها حجر فوق حجر ، ويقضى بتحويل «ألمانيا» إلى بلد زراعي ذي طابع رعيوي ! وستكشف الأيام أنَّ واضع «مشروع مورجتو» عميل شيوعي يدعى «ديكستر وايت» ، ولوسوف يقدم على الانتحار بعد ذلك بسنوات في عشبة اعتقاله . وسيتبين لنا أنَّ الاحتتجاجات التي أثارها هذا المشروع لا تُمحى ، وأنَّ «تشرشل» و«إيدن» و«ستيمسون» و«كوردل هال» و«هوبكتز» و«ديغول» قد استنكروا خططاً تقضي بالموت على أحد شعوب «أوروبا» الرئيسة ، وأنَّ «روزفلت» لم يوافق عليها إلا موافقة مبدئية سرعان ما عاد عنها تحت تأثير مستشاريه . غير أنَّ هذه الإيضاحات لن تجلو حقيقة الأمر إلا بعد أن يكون المدفع قد لاذ بالصمت . أمّا في خريف ١٩٤٤ فقد وفر مشروع «مورجتو» للألمان مبدأ يمرون من أجله والسلاح في أيديهم . وفي سبيل أن

تشمل الجيش الأول الذي تمتلكه جبهة الهزيلة حتى «ناني». والجيش التاسع عشر الذي يحاول التوقف والصمود أمام «بيزانسون» بعد أن أفلت من مصيدة «ليون». أمّا جيش الدبابات الخامس الذي سبق أن سُحب من الجبهة، فكان عليه فيما بعد أن يدعم هذا الجهاز. بلغ مجموع القوات ٤٨ فرقة من جنود المشاة و١٤ فرقة مصفحة، يضاف إليها ٤ آلية مصفحة إلا أن ١٨ وحدة فحسب من تلك الوحدات الكبيرة لا يشهد لها بمقدار قابلية كاملة؛ وكثيرة هي الوحدات التي لم يبق منها غير مقرها العام.

ونشط العمل وراء الجبهة لإعادة تجهيز خط «سيغفريد» بما يمكن من السبل، بعدما أفرغ من أسلحته وجُرد من دروعه وألغامه لتقوية جدار الأطلسي. وكان هذا الترميم يتضمن عدة أسابيع من العمل ولكن، هل يوفّر لهم الحلفاء تلك الأسابيع؟ ففي مقاطعة «فراش-كونتيه» أخذت القوات الفرنسية-الأميركية تندو من «الفوج»؛ وفي «اللورين» خشي «باتون» المندفع المقدام أن يُستند إليه «دور الدفاع الكثيف». فمضى زاحفاً على «ميتر» على أمل أن ينقض على «السار» قبل أن يتسع الوقت «لوتنغوري» بالتحرّك نحو «الرور». هنا وقد أشرفت الفيلقان الأميركيان ٥ و٧ على التحصينات الدفاعية الألمانية. وفيما بلغت أزمة النقل ذروة اشتدادها، كانت الجيوش الأميركية تهاجم كلّها في آن معاً، في جهة يزيد اتساعها على ٣٠٠ كلم. ولا يخفى ما في ذلك من توسيع الجهد. وما لبثت الواقع أن أتت تدريبات «سيغفريد»، فقد توقف «باتش» و«دي لاتر» بسبب تقدّم تموينهما، وعلق «باتون» في الوحل اللوري. أمّا على الحدود اللوكسمبورجوازية فعبرت الفرقـة الأميركية المصفحة ٥ نهر «السور»، مخترقة خط «سيغفريـد»، متقدمة بسرعة جنوبـي «إيفل»؛ بيد أنـ الأمدـاد لم تـتبعـ، فـما كانـ منـ «رونـشـنـادـ» إلاـ أنـ تـصرفـ تـصرـفـ قـائـدـ كـيـبةـ، فـشنـ هـجـومـ مـعـاـكـسـاـ بما جـمـعـهـ شـخـصـيـاـ منـ عـنـاصـرـ مـتـبـيـأـةـ، فـقرـرـتـ الـقـيـادـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ العـودـةـ إـلـىـ ماـ وـرـاءـ «ـالـسـورـ». وـفـيـ نقطـةـ أـبـعـدـ إـلـىـ الشـمـالـ حـاـولـ الفـيـلـقـ السـابـعـ، التـابـعـ لـالـجـنـالـ «ـاـوتـونـ كـولـزـ»ـ، أـنـ يـقـتـحـمـ «ـإـكـسـ لـاشـاـيـلـ»ـ مـارـآـ بـتـخـومـ غـابـةـ «ـهـارـجـنـ»ـ، فـاستـرـيـلـ عـلـىـ عـدـدـ دـاسـكـرـ أـلـمـانـيـةـ، مـنـهـاـ مـدـيـنـةـ «ـمـوـشاـوـ»ـ الـرـوـمـنـيـقـيـةـ الصـغـيرـةـ الـتـيـ سـلـمـتـ بـفـعـلـ أـعـجـوبـةـ؛ إـلـاـ أنـ هـجـمـاتـ مـعـاـكـسـةـ حـالـتـ دونـ تـقدـمـهـ، فـاستـحـالـ القـتـالـ حـربـ خـنـادـقـ.

دبابة ألمانية تربض وسط الحقول النورماندية
متربصة بالعدو الدوائر.

لقد شاء أن يبني أكثر القاذفات سرعةً. تلك التي أعلن أنَّ بوسعيها أن تحول إلى كارثة كلَّ محاولة غزو يقوم بها «الإنكلو-سكسون». وحاول قائدان كبيران من قواد الطيران الألماني، هما الجنرال «غالاند» والمارشال «ميلخ»، أن يحولا دون ذلك، ولكن من غير جدوى.

طلب الجنرال «مول» في الغرب أن يُعْفَى من القيادة العليا ليتمكن من الانصراف إلى مجموعة جيشه. فاستجاب «هتلر» إلى رغبته ساحباً «رونـشـنـادـ» من التقاعد للمرة الثانية. كان المارشال القديم - وقد بلغ من العمر سبعين سنة - قد أقسم ألا يحظ الأيمان أنه لن يعود إلى تسلّم قيادة بعد. فإذا به ينكث بعهده في أول أيامه؛ فقد استدعاه «هتلر» إلى «رسنـبورـغـ» حيث فتحه بسحره. وأعلن أنه، من ناحيته، مفترق «برـونـشـنـادـ». وقال «بـلـوـدـلـ»: «إنـهـ مـدـهـشـ عـظـيمـ. ولوـ كـانـ أـفـيـ مـاـ هوـ عـلـيـ بـعـشـرـ سـنـوـاتـ لـأـسـنـدـتـ إـلـيـ قـيـادـةـ الـجـيـوشـ الـأـلـمـانـيـةـ الـعـلـيـةـ. أـعـرـفـ جـيـداـ أـنـهـ لـاـ يـدـيـنـ بـأـئـيـ لـمـ أـقـيـدـ قـطـ إـلـاـ بـصـالـحـ الـحـدـمـةـ...» وـوـجـدـ «ـرـونـشـنـادـ»ـ منـ نـاحـيـةـ عـذـرـاـ لـنـفـسـهـ إذـ قـالـ: «ـلـاـ يـسـطـعـ أـكـبـرـ الـجـنـودـ الـأـلـمـانـ سـنـاـ أـنـ يـلـزـمـ بـيـهـ عـنـدـمـاـ يـخـوضـ حـوـمـةـ الـوـغـيـ هذاـ العـدـدـ الضـخـمـ مـنـ الـجـنـودـ الـفـيـانـيـاـ...»

كان على رئاسة هيئة أركان الغرب ضابطان، أحدهما هو «شـابـيلـ». وقد أوقف مؤخرًا لاشـراكـهـ بـمـؤـامـرـةـ ٢٠ـ تمـوزـ؛ـ وـالـآـخـرـ هوـ «ـبـلـوـمـنـتـرـيتـ».ـ وقدـ فـقـدـ مـاـ كـانـ لـهـ مـنـ حـظـوةـ.ـ أـمـاـ سـاعـدـ «ـرـونـشـنـادـ»ـ الـأـمـيـنـ الـجـدـيدـ فـسيـكـونـ «ـسـيـغـفـرـيدـ»ـ فـيـسـتـفـالـ»ـ مـسـاعـدـ «ـرـوـمـلـ»ـ وـ«ـكـيـسـلـرـنـغـ»ـ سـابـقاـ.ـ وـسـيـسـجـلـ عـقـبـ استـدـعـاهـ إـلـىـ «ـرـسـنـبـورـغـ»ـ هوـ الـآـخـرـ أـنـهـ لـمـ تـكـنـ «ـهـتـلـرـ»ـ أـيـةـ فـكـرـةـ عنـ خـطـوـرـةـ الـوـضـعـ فـيـ الـغـرـبـ.ـ فـهـوـ يـرـىـ فـيـ ضـيـاعـ «ـفـرـنـسـاـ»ـ نـتـيـجـةـ لـتـضـافـرـ بـعـضـ الـظـرـوفـ وـالـأـخـطـاءـ وـالـخـيـانـاتـ،ـ وـيـرـىـ فـيـ التـوـغلـ الـإـنـكـلـيـزـيـ الـأـمـيـرـكـيـ سـنـيـ حـدـودـ «ـأـلـمـانـيـاـ»ـ «ـسـنـانـاـ مـصـفـحـاـ»ـ بـسـيـطـاـ يـأـخـذـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـهـدـ بـتـحـطـيـمـهـ.ـ وـإـنـ إـعادـةـ تـنظـيمـ الـجـيـوشـ الـأـلـمـانـيـةـ فـيـ الـغـرـبـ لـرـهـنـ التـنـفـيـذـ،ـ فـالـمـجـمـوعـةـ «ـبـ»ـ،ـ الـيـ بـقـيـتـ تـحـتـ إـمـرـةـ الـمـارـشـالـ «ـمـوـلـ»ـ،ـ تـضـمـ الـجـيـشـ الـخـامـسـ عـشـرـ الـبـالـغـ التـقـلـصـ،ـ الـذـيـ يـسـدـ مـنـافـدـ «ـإـيـسـكـوـ»ـ،ـ وـجـيـشـ الـمـظـلـيـنـ الـأـوـلـ،ـ وـهـوـ تـشـكـلـةـ حـدـيثـةـ تـمـتدـ مـنـقـطـتهاـ مـنـ «ـنـيـمـيـنـ»ـ إـلـىـ «ـمـايـسـتـرـيـنـتـ»ـ،ـ وـأـخـيـراـ الـجـيـشـ السـابـعـ النـاهـشـ مـنـ الـمـوـتـ وـالـذـيـ يـمـدـهـ فـيـ الـجـنـوبـ خـطـ يـمـتدـ مـنـ «ـكـوـبـلـانـسـ»ـ إـلـىـ «ـلـوـكـسـمـيـرـغـ»ـ.ـ وـإـلـىـ جـنـوبـيـ هـذـاـ الـخـطـ تـبـدـأـ الـمـجـمـوعـةـ «ـجـ»ـ بـقـيـادـةـ الـكـوـلـونـيـلــ جـيـرـالـ «ـبـلـاسـكـوـفـيـتـ»ـ،ـ وـهـيـ

الـأـلـمـانـ يـسـجـبونـ مـنـ «ـفـرـنـسـاـ»ـ وـهـمـ يـشـدـونـ .



محشوة بالمظليين. و ٧٨٤ جهازاً نظرت عدداً مماثلاً من الطائرات الشراعية. أما المطارة الألمانية فمعدومة؛ وأما المدفعية المضادة للطائرات ففي غاية الصعف بعدها سحقها سحقاً قصصاً سابقاً هائل. أما النسائر - وهي ١٨ طائرة شراعية و ٣٥ طائرة - فأقلّ كثيراً مما كان متقدماً، وتکاد تعود خصوصاً لحوادث الاصطدام. أنت التقارير الأولى بالكثير من التفاؤل والحماسة: فالعدو يبدو وقد أخذ على حين غرة، والنجاج يبدو كاملاً. كان في نية «مونتفوري» أن يسيطر ما دعاه «بالسجاده» فوق خطوط المياه الخمسة التالية: قناة «فالهلمين»، و«زويد فيليمس-فارن»، و«الموز». و«الفال». و«الرين»، التي تعرضت قدم الحلفاء من الشرق إلى الغرب.

وكان محور العملية طريق «آيندهوفن-آرheim»، فاندفعت فرقه الحرس المصفحة مستقيمة بمجموعة القليل البريطاني ٣٠، بغية الاتصال بمшаية الجرو. ودعم الغارة العميقية التي فتحوها في خطوط الأعداء. وتفضي مرحلة ثلاثة بتمديد رأس جسر «آرheim» حتى يصلع «الزويدرزي»، فيتم بذلك تطويق القوات الألمانية المرابطة في «هولندا» الغربية وإنشاء قاعدة انتلاق للزحف على «الرور». كان من البديهي ألا تصلطم هذه الخطة البربرية بمعارضة «باتون» وحده، وهو لا يُطيق أن يُسند إلى إنكليزي دور أول ما، بل كذلك بمعارضة «برادلي» وقد مال كلّ الميل إلى نائب المتمرد الذي سعى إلى إبعاده في أوائل معركة «نورماندي». وقال بهجهة عسكرية لا تخلو من الجمال: «عندما أخذت علمًا بالمشروع، فوجئت كما لو كنت قد رأيت «موتي» المقشف يدخل على سكران ثلاً ! ...»

أشهر بالعملية ثلاث فرق محملة جواً، تساندها عند الحاجة فرقة رابعة تُركت في «إنكلترا». أما ميدان القتال فمنطقة خضراء عاصمة بالمدن والقرى بقيت سليمة واحدة حتى السنة السادسة من الحرب. كان المولنديون خارج بيوبهم ينعمون يوم الأحد الجميل، بالرغم من وجودهم على مقربة من الجبهة. فإذا بهم يرون آلاف المظلاّت تفتح، فانفجرت صدوارهم مسراً وحبيبة أمام مشهد التحرير يهبط عليهم من السماء! وروى ضابط أمريكي ما يلي: «كان الاستقبال مهيباً، وكان الهواء يرتاح حقداً على الألمان...». وصلت الفرقـة ١٠١ المنقولـة ١٠١ منتصفـة يوم ١٨ صبيحةـ يوم ١٨، وما أرخي الليل سدوله حتى التقـتها فرقـة الحرسـ إلى الأرضـ في شـمالـيـ «آينـدهـوفـنـ» دونـ خـسـارـةـ تـقـرـيبـاـ. فـانتـزـعـتـ المـدـنـ فيـ وـاسـعـ تـوـميـهـ ١٢ـ ساعـةـ .

أنـسـدتـ إلىـ الفـرـقةـ ٨٢ـ المـنـقـولـةـ جـواـ مـهـمـةـ تـفـوقـ تـلـكـ تـعـقـيدـ وـصـعـوبـةـ؛ إذـ كانـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـسـتوـلـيـ عـلـيـ جـسـرـينـ كـبـيرـينـ جـدـاـ عـلـيـ «المـوزـ»ـ وـ«ـالفـالـ»ـ فـضـلـاـ عـنـ أـرـبـعـةـ جـسـورـ ثـانـوـيـةـ عـلـيـ القـنـاتـ الـواـصـلـةـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ. ثـمـ كـانـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـسـتوـلـيـ عـلـيـ مـدـنـةـ «ـنيـمـيـغـ»ـ الـهـامـةـ، وـأـنـ تـخـتـمـيـ مـنـ نـاحـيـةـ الشـرـقـ

مـدـرـبـ الـأـلـانـيـ يـزـوـدـ المـنـطـوـعـينـ بـالـتـعـلـيمـاتـ. إـنـهـمـ

خـلـيـطـ مـنـ شـيوـخـ، وـفـيـانـ، وـمـسـاجـينـ قـدـاميـ.



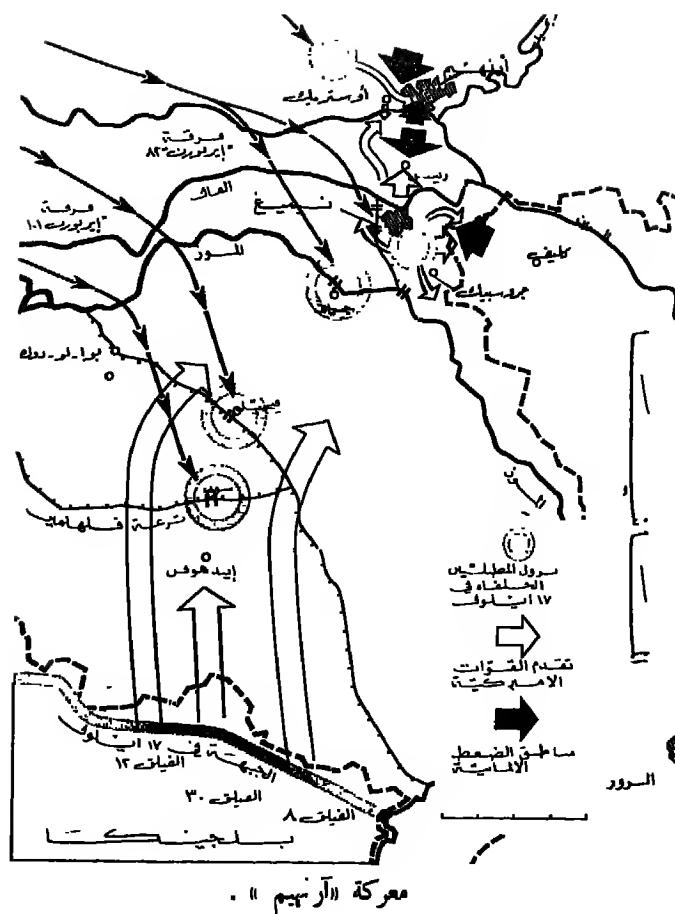
«هتلر» يقلد «مولد» صليب الحرب بعدما تمكن من جمع شتات القوات الألمانية عند حلوود «الرابع».

هذا وقد جرت في «هولندا» محاولة أكثر جرأة وأبعد طموحاً: ألا وهي اقتحام بري شمالي غربي «أوروبيا» الكبيرين، وهما «الموز» و«الرين». أنسى في «إنكلترا». وبإمرة الجنرال الأميركي «لويس ه. بربرن»، الجيش الحليف الأول المنقول جواً، وهو أول جيش منقول عرفه العالم. كان باهظ الثمن سريع العطب. ولذا اعتبر بمثابة جيش احتياطي بالغ السرعة، وكانت الميالة المجنحة الهيئة للمعارك الخامسة والجهود الأخيرة. فقرر إلقاؤه على «آيندهوفن» و«آرheim» بغية الاستيلاء على معابر «الموز» و«الرين» السفلي، تحاشياً لخط «سيغفريد»!

أخطأت الفكرة لأنها لم تأت في الوقت المناسب؛ فالجيش الخليفة متباude منهوك، وأزمة النقل في أوج احتدامها، والستراتيجية متعددة مشتبة، وكثرة المعاورة البريطانية الازمة لاستغلال التزول الجوي لا وجود لها... ييد أن «مونتفوري» يأمل في أن يحمل نجاح العملية المنقول جواً (وقد دعيت اصطلاحاً: «ماركت غاردن») «آيندهوفن» على إهمال نظرية الزحف بشكل مروحة، واعتناق نظرية «الضربة المركزة» بشكل لا يدع مجالاً للغموض واللبس. ولقد أشارت خطته إلى ذلك بصرامة إذ قالت: «هدفنا الحقيقي هو «الرور». تلك كانت آخر ورقة لإنهاء الحرب عام ١٩٤٤. كان يوم ١٧ أيلول أحداً رائعاً من أواخر أحد المvrier. وإذا بالأسطول الجوي ييرز بعيد الظهور في شمس ساطعة مجيدة، قادماً من «إنكلترا» بطريقين متلاقيين. كان قائد الجيش الألماني المهاجم، جيش المظليين الأول، هو الجنرال «شتودنـتـ» عـيـنهـ، الـذـيـ كـانـ، لأـرـبـعـةـ أـعـوـامـ خـلـتـ، قدـ قـدـفـ بـنـفـسـهـ عـلـيـ «ـهـولـنـدـ»ـ هـذـهـ بـالـذـاتـ عـلـيـ رـأـسـ فـرـقةـ هـزـيلـةـ منـ المـظـليـينـ. فـإـذـاـ بـهـ الـآنـ، فـمـقـرـ قـيـادـتـهـ فـيـ «ـفـوـغـتـ»ـ، بـالـقـرـبـ مـنـ «ـبـوـأـلـيــ دـوـكـ»ـ، يـقـفـ صـامـداـ وـقـدـ استـبـدـ بـهـ الإـعـجـابـ وـالـحـسـدـ أـكـثـرـ مـاـ استـبـدـ بـهـ الـحـزـفـ. فـهـنـاكـ سـحـبـ مـنـ الطـائـرـاتـ توـاـكـبـ ١٠٠٦٨ـ طـائـرـةـ

منظـوعـونـ أـلـمانـ اـسـجـابـواـ لـنـداءـ الـواجبـ إـزـاءـ
الـحـزـفـ المـحـدـقـ بـوـطـنـهـ.





معركة «آرنهيم» .

يعبران «الرين الأدنى» في «آرنهيم» عينها. وقد جعل أحدهما لقطار الحديدية والآخر العربات. ولكن تقديرًا مبالغ فيه لقوة المدفعية المضادة للطائرات حمل مع الأسف على جعل مناطق المبوط بعيدة عن المدينة. وهكذا كان على «الشياطين الحمر»، التابعين للفرق البريطانية الأولى المنشورة، أن يقطعوا مسافة ١٠ كيلومتر تقريبًا قبل أن يلتفوا ميدان القتال. عقب المبوط الرابع تجمع بطيءً جداً. وقيقةً بخطة دقيقة للغاية غاب عن خاطر المظليين الانكليز أن التهور هو أفضل أساليب الخدر في عملية ثورية. ثم إن المذنبين لم يسهلا الأمور: فقد خرجوا من المازار جماعات جماعات عصفت بها نسوة من الغبطه، فراحت تلوح بأعلام مثلثة الألوان، أو تحمل شرائط برقاية اللون. وتشد بالخوذ الانكليز إلى البيوت كيما يصبوا شيئاً من الشاي. وهكذا مشي «الشياطين الحمر» إلى القتال في مهرجان. ولم يتوجه نحو الأهداف المقررة غير لواء واحد. أما الثاني فقد انتشر رجاله انتشار دفاع حول منطقة المبوط. وإذا أوقفت كتيبتان عند تفوم «أوستريبيك» آلت مهمته الفرقه بكامها إلى كتيبة واحدة سارت بإمرة الليتوتان—كولونيبل (ك. ب. د. فروست) .

وما لبث الحسر الحديدي أن نصف أمام سيارة «فروست». ولكن الكتيبة تابعت سيرها عبر شارع «آرنهيم» الضيق. فوصلت في الساعة ٢٥.٣٠ إلى مدخل الحسر المعبد الكبير. وما كان من الجنود القدماء إلا أن أقيموا على حراسته إلا أن لاذوا بالفرار. وبدلًا من أن يبعد «فروست» في الحال إلى احتلال طريق الحسر، تهبت الموقف وأرسل دوريات تستطلع حقيقة الأمر، وإذا تعرضت هذه لنيران المدفعية المضادة للطائرات قررت التريث حتى الفجر على الضفة اليمنى. وستشير التقارير الألمانية جميعها إلى أن الانكليز أفسدوا الفرصة التي ستحت لهم بطيء تحرّكهم. الواقع أنهم على ما يمتازون به من تصلب وعناد وبطولة واستبسال في الدفاع. يقترون إلى تلك الشارة التي ينطلق منها النجاح المجنوني.

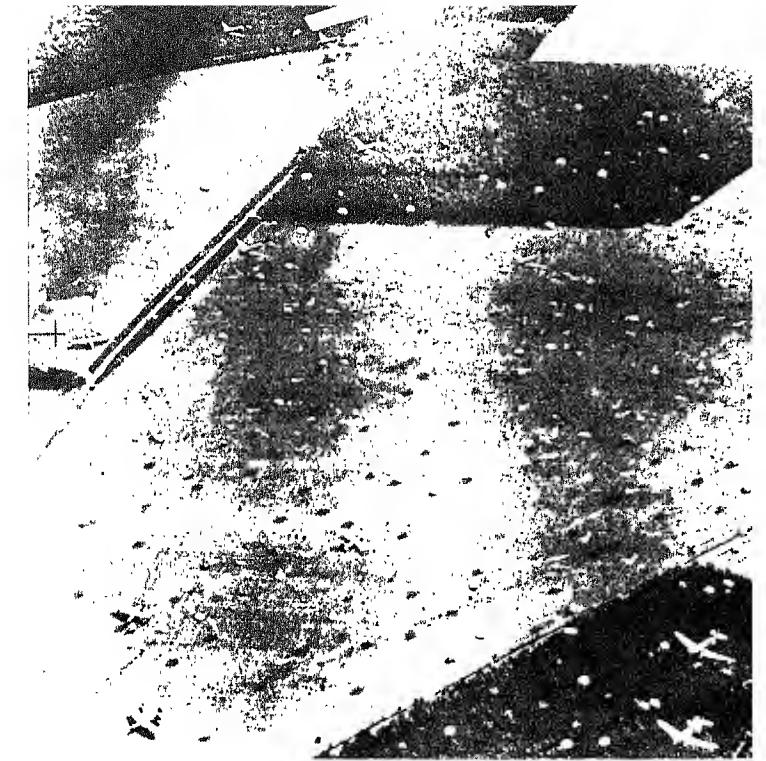
هبط الليل فتحصن «فروست» في بيت «نوميغيف» الأول، بالرغم

باحتلال جبل «عروسيك» المكسو بالأحراج والذي يشكل امتداده صحر الأراضي الألمانية غابة «راينفالد». هبط من السماء ٢٧٧ رجلًا لرفقة قائد الفرقة «جيمس غافان». وقاد الفيلق الجرال الانكليزي «براونينغ». فأتي المبوط رائعاً. وكانت الحساير أئمه من التي منيت بها الفرقه ١٠١ وإذا التقرير نموذج من الإيجاز الظاهر: «هبوط كاد لا يصادف مقاومة». إذن فوج المظليين المشاة ٤٥٠ جسر «غراف» على «الموز» بقناطره السبع وطوله البالغ ٦٠٠ م. في مدى ثلاث ساعات. وسقطت كذلك جسور القناة. وجرىاحتلال تلة «عروسيك». التي تتصب كالطود فوق السهل الهولندي ويبلغ ارتفاعها ٨٠ م. من غير فتال. وأثبتت التحريرات التي أجريت داخل «الراين فالد» أن «الدببات الآلاف» التي زعموا أنها هناك كانت من نوع الخيال. أما فرصة الاستيلاء على جسر «الفال» المنبع بلا كفاح فقد فاتت. لم يكن يحرسه غير ١٦ رجلاً من الأنصار. إلا أن سريتي المظليين المكلفين بانتزاعه قد تاهتا في «نيميغ». فتمكن الجنرال «بيريغ». قائد الفيلق الثاني للدببات. من إرسال حامية أشدّ بأساً شكل وجود فيلق الدبابات الثاني بين «نيميغ» و«آرنهيم» مفاجأة مزعجة. ولم تتمكن أحجزة الاستعلامات الخفية القديرة من اكتشافه. إنه لقصير غريب! ولو سوف يزعم بعضهم أن العميل الهولندي ذا الوجه «ليندماز». الملقب «بيكينغ كونغ». قد سلم الأлан الخطبة. مما حمل هوندشتاد في آخر لحظة على دفع فرقه «بيريغ» إلى المنطقة المقصودة. ييد أن الواثق الألمانية. والتحق المولندي الذي أجري بعد الحرب. لاثبت هذه الرواية .

إضطررت أحوال الجو يوم ١٩. فحالت دون عمليات هبوط جديدة. ولكن المجموعات الألمانية المعاكسة التي انطلقت من «الراين فالد» أوقفت على «الغرروسيك»، وما أزف السماء حتى التقى فرقه الحرس الفرقه ٨٢ المنقوله جواً في «نيميغ»: قطع ثلثا الطريق المؤدية إلى «آرنهيم»، إلا أن جسر «الفال». وقد قام على حراسته ٥٠٠ رجل من رجال الصاعقة، قطع عليهم الطريق. ولقد صدت كل المحاولات المبذولة لداهمته من ناحية «هازار بارك» الممتدة بينه وبين «نيميغ» .

أعدت العدة لشن هجوم جديد في ٢٠. فزحفت الدبابات البريطانية في «هازار بارك». فيما عبر المظليون الأميركيون نهر «الفال» لمداهمة الخامسة في ظهرها. فيما كان من الكتيبة الثالثة، التابعة للفوج ٥٠٤. والخاضعة لإمرة الليتوتان—كولونيبل (بولييان أ. كوك). إلا أن رمت بنفسها في تيار يسير بسرعة ١٥ كلم في الساعة. على متن ٢٦ زورقاً مصنوعاً من الكتان وألواح الخشب المعاكس التي كان الانكليز قد أتوا بها. وانطلقت من الضفة المقابلة طلقات نار حامية. لم يُنسَ الرحلة غير ١٣ زورقاً ما لبث أن قفلت راجعة لتعود بجماعات جديدة. كان اندفاع الحلفاء عارماً. فابعد رجال الصاعقة عن بكرة أعيهم. أما الحسر فلم ينسف. ولقد زعمت الرواية الهولندية (التي يعبر عنها نصب تذكاري رفع على الحسر) أنَّ الفي المقاوم «يان فان هوف»، الذي قُتل في القذف على دبابة انكليزية. قد نزع أسلك التفجير في الحسر تحت وايل من الرصاص. واستناداً إلى التاريخ الأميركي الرسمي لا يفسر هذه المأثرة «غير تفجير غامض غير مفهوم». يقول إن المارشال «مول» كان قد حظر نصف جسر «نيميغ» نظراً لخطورته. فكان الواجب يقضي بالدفاع عنه لا بدمirه .

تم الاستيلاء على معبر «الفال». وبقي أن يتم الاتصال بالفرقه البريطانية الأولى المنقوله جواً، التي كانت تناضل في «آرنهيم» منذ ثلاثة أيام. كان هبوطها إلى الأرض قد بلغ درجة من الكمال لم تبلغها الفرقان الأميركيتان. إذ لم تفقد طائرة من طائراتها الـ ٣٣٥ ولا طائرة شراعية من طائراتها الـ ٣١٩. كان عليها أن تستولي على الحسرين المتقاربين اللذين



اقتحمت مركبة «آرزيهم» أعداداً ضخمة من المظليين، مما استدعى توزيع عمليات التزول الجوي على ثلاثة أيام نظرًا لفترة عدد الطائرات المطلوبة.

من احتياجات السكان، وأعمال العنف التي بخلت إليها عجوز هولندية أهالت بشوبك الحلو ضرباً على محري يلادها وبناتها متزها! وبادر الألمان إلى التحصن في بيوت الضفة اليسرى، واستسلم الجميع لسات عمق هيمون عليه صمت روحاني، وما زلت الشمس حتى نشب القتال عنقها ضارياً، عيناً حاولت كتبة «فروست»، برجاها الذين يكادون لا يبلغون الـ ٥٠، أن تعب الجسر الذي كان حراً مساء اليوم السابق، كما باعثت بالإخفاق كل المحاولات التي بذلت لدعمها. فقد أخفقت الإنكلizer مرة بعد مرة، واحتفى قائدتهم الميجر-جيزال «أوكارت» ولم يعد إلى الظهور إلا بعد ساعة كان قد احتجز خالما في عليه بيت قد غص بالألمان، هذا وقد حال الضباب الأسود الكثيف الذي انعقدت سحبه فوق «إنكلترا» دون إرسال النسق الثاني من الفرق، وأخذ الم tatsäch المضروب



مؤتمر الأركان العامة في «آرزيهم». ويبدو المارشال «مول» إلى يسار ، والجنرال «شتودن» في الوسط منحنياً فوق المطرقة.



استعادت القوات الألمانية صولتها في الجهة الهولندية.

أن الأمة تتجاهلنا وتتخلى عننا، ويدعو البعض إلى الاعتقاد بأن الجيش النظامي القادم من وراء البحر مقضي عليه بالفناء عمداً... وسبب هذه النكبة البعيد عدم إسهام الأمة بمجهود الحرب، «وختم «دي لاتر» رسالته مطابقاً بأن «يتلقى الجيش الأول، بأقرب وقت، الشبان الفرنسيين الدـ ٨٠،٠٠ أو الـ ١٠،٠٠ الذين يفتقر إليهم، لاستعادة توازنه المعنوي وقدرته على القتال». فوعد بهم «ديغول»، إلا أنه واجه مصاعب كثيرة في توفيرهم.

أما في «إيطاليا» فكان الوضع أفعى كثيراً: فحالة البوس لا توصف، والمعامل الأخلاقي لا حد له، ولقد علقت صحيفة «سانتردي إنفينيغ بوس» على ذلك قائلة: «في ما عدا البابا، الكل يسباع من يدفع الثمن الأعلى». وأشار «بياترو نيري» إلى أن «نسيج المجتمع آخذ في الفساد والانحلال، فلا البقاء، ولا السوق السوداء، ولا أشكال السرقة كلها، أقلعت

جزيره «فالشيرين» ومن ضواحي مدينة «لاهاي»، الأمر الذي يشكل مع إغلاق «الإيسکو»، السبب الألماي الثاني القاضي بالتشتت «بهولندا». كانت سرعة صاروخ «فـ ٢» تفوق سرعة الصوت، وذا لم يكن هناك ما يبني بهدوءه، وكانت دائرة الموت والخراب التي يحدوها تفوق كبيراً دائرة «فـ ١». وراحت الإذاعة الألمانية، التي كانت تسمم بمحربة في «إنكلترا» ترفع المعنويات، واعدة الألمان بظهور أسلحة أفقى من هذه كثيراً، وما كانت «إنكلترا» بالحرى من المهوكه تتبعن نهاية لمحنة أنتزعها عاصها الخامسة. وما زال الوضع في «فرنسا» مقلقاً للغاية، فال حاجة إلى الغذاء والوقود واللباس أشد منها في أيام قرة من فرات الاحتلال الألماني، وبالغم مما كان الجنرال «ديغول» يتمتع به من سلطة واسعة، كانت سلطة الدولة تجد صعوبة كبيرة في بسط مبنيتها على بلاد عاث فيها الدمار والتتصدع فساداً. وفي ٢٨ تشرين الأول تحطى «ديغول» الاستئثار الصاحب الذي أغلقت

مظليون ألمان أسرروا في جهة «هولندا».

خريف مشؤوم

عن «المجلس الوطني للثورة». فعل «المنظمات العسكرية الوطنية»، مبرأة بذلك الشيوعيين من جيش الحرب المدنية التابع لهم. وبات الناس يرقبون حركة عصيyan سافرة ضد هذا التدبير، ولكن شيئاً لم يحدث. أما «موريس توريز»، زعيم الحزب الشيوعي، الذي عاد إلى «فرنسا» بعدما صدر الفتوح عنه لفراه عام ١٩٣٩، فقد أصدر أمره بوجوب الطاعة والأmittal. كان تحرير «فرنسا» يعني نهاية الحرب بالنسبة لأكثرية الفرنسيين. حاول «دي لاتر» أن يصهر الثوار في جيشه الأول، وحاول «كونفون» و«الارمين» أن يشكلا من «قوات المقاومة الفرنسية» شيئاً يقضيان به على جيوب الأطلسي. أسرفت المحاولات عن نتائج حسنة عندما جرى تنظيم الثوار على أساس عسكري، كما حدث في «الألب» حيث بُعث بعض الكتائب وأنصاف الألوية من القنادسة، ثم فرقه المشاة الآلية ٢٧ أمّا مع الشوار ذوي الخبرة والمتطقني التوري فقد كانت نسبة الإخفاق عالية، وهكذا ما أفلق الجيش الفرنسي، الذي يتعرض غمار الحرب ضد «الألانيا»، مؤلماً باليته الساحقة من فرنسي وملسي «أفريقيا الشمالية». وهذا ما حدا «دي لاتر» في ١٦ كانون الأول إلى أن يوجه إلى «ديغول» رسالة قلقة يقول فيها: «شعور ضباط الجيش من أعلى رتبهم إلى أدناها

حول الفرقه . بالقرب من «أوستربيل». يشنّد ويصيق حول الفداق الذي فر منه مسرعاً لدى المبوط القائد الأعلى لمجموعة الجيوش الألمانية، المارشال «مول». وكان بوس انكليز أن يقبضوا عليه لو توافر لهم شيء من السرعة والخدس . وبهذا يكن من أمر. فقد بدل الألمان جهوداً جباره، يقيناً منهم بأنَّ صبر اجتياح الوطن يتحقق في موقعة تدور رحاه على بعد كيلومترات من الجبهة. وتناثلت أوامر «هتلر» اللاهنة توجة من «رسبيونغ» إلى «آرزيهم» كل من استطاع أن يحمل سلاحاً. وهكذا برزت إلى الميدان كيبة رجاها كلّهم من المشوهين يقودها ضابط قد بُررت إحدى ساقيه اقتحم النار متوكلاً على عكازتين. لم يبقِ أمام الفرقه البريطانيه الأولى المنقوله جواً غير فرصة واحدة للخلاص، تقوم على وصول قوات برية تومن التهددة على وجه السرعة . اتجاوزوا المسافة الفاصلة بين «آرزيهم» و«نيميغ» ١٧ كيلم، ولكنَّ الطريق تخرج مروجاً قد غصت بال المياه. فيات زج أي جهاز مصفوح فيها أمراً مستحلاً. في «رين» صدَّت كيبة من رجال الصاعقة، تساندها طارتستان من عيار ٨٨، فرقه الحرس، فشققت فرقه أخرى. تابعة للنبي裘

في هذه الحوادث الإيطالية. فهناك ٣٦٠ روماني . يتنمي الكثيرون منهم إلى الطبقة البورجوازية. يأكلون في المطاعم الشعبية. هنا وال الحرب ماضية في عنفها، ما افتكست تقدس الحرائب فوق الأطلال. وبعد انسحاب رجال الحملة الفرنسية. والفيلاق السادس الأميركي . تاقتت جيوش المارشال «إيكستندر» قوات استبدال. بينها فيلق برازييلي . وما لبث أن عادت إلى تسلّم نظام المبادرة. وما سقطت «فلورنسا» حتى انقض الجيش الأميركي على الخامس في «الأبنين الأوسط» على الموقع الممحص الذي دعاه الألمان «خط غروني» والخلفاء «الخط القوطى». بيد أن الشتاء ما عتم أن غمر الجبال بالثلوج فجمد العمليات على أبواب مدينة «بولونيا» وعرف إلى ١٥ مليونا من الإيطاليين . الذين ما زالوا يعيشون تحت ساطة «مسؤولي» الأساسية. أهواه التصفّف والذعر النازى . أمّا في ما تبقى من البلاد فلم ترسم بعد معالم المؤسسات التي كان عليها أن تحل محل الفاشية. فأفاد الشيوعيون من هذا الفراغ لوضع يدهم على البلاد .

كانت «اليونان» في خضم مأساة مريرة . فما جلا الألمان عن «أثينا» في ١٢ تشرين الأول حتى احتلتها الفيلق البريطاني التابع للجنرال سير رونالد سكوببي . ولكن المنظمة المتفرعة عن الحزب الشيوعي ، وساعدتها العسكري ، لم يكونوا على علم باتفاق «ستالين-ترترشل» الذي وضع «اليونان» في المنطقة البريطانية ، مقابل «رومانيا» و«بلغاريا» اللتين ترتكبا للاتحاد السوفيتي . وفي ٣ كانون الأول اندلعت الثورة الشيوعية في قلب «أثينا» . وراء درع من النساء والأطفال ، فأبرق «ترترشل» إلى «سكوببي» يأمره بالصمود «من غير إراقة الدم إذا أمكن . وإراقة الدم إذا اقتضى الأمر ذلك». فما كان من «أميركا» إلا أن احتجت . فاتحة بذلك الباب لمناقشات حادة مرتيرة بين حليفي الأدالسي . وصمود «ترترشل» صمودا لا تلين له قناته . إلا أنه كان على الجنود البريطانيين ، وعلى اليونانيين النظميين . أن يبذلوا جهوداً قاتلة . طوال أربعين يوماً ، لإكراه الشيوعيين على الجلاء عن العاصمة . ولكنهم عادوا فجمعوا شملهم في الجبال متابعين كفاحاً ينتصر ، يحقق . فاتحة لنزاع عالمي جديد تدخل حوارته بالتزاع المحرق القائم يومذاك.

في «المانيا» كانت معركة «آرزيهم» بمثابة منشط قومي، مما مضى عليها ثلاثة أسابيع حتى توغلت جبهة «روسيا البيضاء» الثالثة في «بروسيا الشرقية» فبلغت «غومينين» و«غولداب»، ولكن الجيش الرابع ما لبث أن مرتقها شرّ مزّق؛ فعادت إلى ما وراء الحدود مخلفة في الساحل ١٠٠٠ دبابات. لم يكن ذلك غير نجاح دفاعي محلي.. بيد أنه أنسى الجناء عن «البلقان». وخسارة «بلغراد». والتغلب السوفيافي داخل «المجر». وبهذا يمكن من أمر، فإن التدفق الروسي الأول على الأرض المانية وسم بطاطن العنف، مما وفر للألمان حافراً جديداً يدفعهم إلى مواصلة القتال حتى الموت.

في ٢ نُفِّذ حكم الإعدام الذي كانت محكمة الشعب قد أصدرته على «فيتيلين». فعلى من زلمه ب بكلأبة جزار! وفي ١٤ تشرين الأول دخل على «رومبل»، الذي كان يقضي فترة النقاهة في بيته. الجرالان «بورغدورف» و «ميزل» فخسراه بين محكمة الشعب والانتخار. فاختار أن يتصرّح. و اتّبع السّم الذي حمله إليه رسول «هتلر». و ووري الثرى بعثّت قويّ. تخلّته برقة ملائعة من الفوهّر! وقد أبته المارشال «رونشتاد» المخدوع او المشترّك في التمثيلية! وامتدّت حركة القمع الرهيبة المنكرة التي اقضت على رؤوس متآمرٍ ٢٠ تموز حتى شمات أسمائهم؛ فإذا وشت «بورغدورف» خادمة في نزل صغير، طمعاً في الحصول على مكافأة تبلغ مليون مارك. ألقى القبض عليه وعذّب ثم أعدم. ولم يكتفِ «هتلر» بذلك، بل أمر بأن يزول اسم «بورغدورف» من سجلات

رفع الحصَاد عن "أنفيير"
إنقاذ "ستراتاس بورغ"...

على الرغم من إخفاق «أذنيم». استمر «مونغوروي» في بدل ثباته الشهير للبقاء على المجهود المركب باتجاه «الرور». وهو لن يرضخ إلا في ١٦ تشرين الأول. ولكن بلباقة ومن غير تقييد ذهني . أمام إرادة «أيزنهاور». قال : «لقد أعربت لك عن وجهة نظري ، وأبلغتني جوابك. لن تعود هذه القضية إلى نطاق البحث بعد اليوم. وسأجهد في تنفيذ فرارك منه بالمرة. ولقد خصصت «أنفير» بالأفضلية المطلقة في عمليات مجموعة الجيوش ... ٤١

كان الجيش الألماني ١٥ يسيطر على منافذ «الإيسكوا». وعلى رأسه «فون زانغن» الذي حل محل «فون سالموث» أحد مشهودي تموز. وبعد ما حاصر جزء من الجيش. عدده ٨٠،٠٠٠ رجل. في المندلي الجنوبي. وهو مصر «أنفير» المائي الرئيس عاد فجلا بطرق مرتجلة إلى جزيرة «فالشيرين» وشبه جزيرة «بيفيرلاند». وقد تركت فرقة المشاة ٦٤ في مكانها لحماية رأس الجسر حول مرتفع «بريسكتر» الصغير. وبقيت فرقة أخرى ممسكة بعواشي «أنفير». وانبسطت فرقتان آخرتان في جبهة وقيقة فوق الترعة من «أنفير» إلى «تورنوت».

حادَّة من الفراوة؛ فقرية «هورتفون» في الغابة التي تحمل الاسم نفسه، قد انتقلت من يد إلى يد ١٤ مرة، وانتقلت قرية «فوسناخ» في غابة «مونشاو»، من يد إلى أخرى ٢٨ مرة. وفي أواسط كانون الأول بلغ الجيشان الأميركيان حدود «الروير»، ولكن لم يتم لهما أحد «جوليخ» ولا «دورين»، فبقي «الرين» بعيداً.

قطع «جورج باتون» على نفسه عهداً بلوغ «الرين» قبل الجميع، من خلال «الورين» و«الباتينا». وكانت أمطار الخريف العرمة، وأزمة النقل، قد دشّلت جيشه الثالث طوال شهر تشرين الأول؛ فانطلق في ٨ تشرين الثاني تمشياً مع قوات «بروكسل»، ولكن من غير أن يصل إلى «برادلي» ولا «أينهاور»، لشدة ما كان يخاف من أن يُطلب إليه انتظار «هودجز» و«سيمبسون». كانت الأحوال الجوية مقبولة في اليوم الأول. ولكنها أصبحت سيئة فيما بعد. ولم يكن من شأن الترف الأميركي - كان كل رجل في السرايا يتسلّم يومياً زوج جوارب مع المؤونة - أن يحمل دون تكبيل الفرق ٣٠٠٠ حادثة من حوادث تجلّد الأرجل. وطلب «باتون» إلى كاهنه المندهل إقامة صلاة تطلب بهجهة آمرة إلى الله العلي القدير أن يوقف الأمطار! فكانت النتيجة مماثلة، ولكن هذه الفكرة لم تطرأ للجزرال إلا قبيل الميلاد، أي بعد فوات الأوان.

كانت «ميتر» هي الهدف الأول للجيش الثالث. وكما كانت الحال بالنسبة «إيكيس-لاشابل» طوق المدينة أولاً. وقادت فرق الماشة ٩٠ - التي أصبحت إحدى أفضل فرق الجيش الأميركي - تساندها الفرق المصفحة ١٠، باقتحام ممر «الموزيل» حول «تيونفيل»، ثم انعطفت في الاتجاه الجنوبي الشرقي. واجتازت «الساي» فرقة أخرى من الفيلق هي الفرقة الخامسة، ثم تقدّمت صعداً نحو الشمال الشرقي. وتم الاتصال في ١٩ تشرين الثاني، على طريق «بورلي». كانت الفيصلات وحالة الأرض، والرؤية السيئة، والبرد القارس، قد أثقلت سير المجموع، ولكن الألمان، الذين كانوا سيئي الكسوة والتموين، ذاقوا الأمرين؛ ففكّكوا الخناجر الآمرين في جيشهما الأول، فما كان من الفرق المصفحة العاشرة إلا أن يتمّ شطر «السار» من غير أن تنتظر سقوط «ميتر».

وبالطبع نص «هتلر» على أن يُدافع عن «ميتر» حتى الموت! وبعدما اتهم الجزرال «لوبي» بال Miyouse، استبدل به الجزرال «كيتيل» الذي جعله الفوهرر يزدّي قسماً خاصاً بطوليّاً. إلا أن أركان الجيش الأول العامة قد أخذت على عاتقها سحب أفضل القوات من المصيدة، فيما هرب بعض إرادته فرج صاعن وكلّ ما آل إليه «كيتيل» هو أنه أصبح يبح معه في ساحة القتال. وقد حررت «ميتر» في ٢٠ تشرين الثاني من غير أن تتكبد أضراراً بالغة.

إنجاز الفيلق الأميركي ٦٢، الذي كان يهاجم إلى جناح الجيش الثالث الآمرين، خط «ماجيتو» قرب «سان-أفولد». وقد تم بلوغ الحدود في ٢٩ تشرين الثاني، وفي ٢ كانون الأول تم انجاز «السار» قرب «سارلووي». وكان «باتون» المتألم قد باشر مسبقاً إعداد عبور «الرين» بين «هوروز» و«سيبر»، ولكن على غرار ما حصل في «إيكيس-لاشابل»، كانت المقاومة تستعيد قواها على الأرض الوطنية. وقد توجّب انتزاع بعض الشوارع في «سارلووي» متلاً متلاً، وفي منتصف كانون الأول أوقف الجيش الثالث من الوجهة العملية، فإذا «باتون» المتدفع ما يزال بعيداً عن «الرين» بعد «هودجز» المنظم عنه.

كان تشرين الأول شهر خيبة بالنسبة للمجموعة ٦ والمجموعتين الآخريتين على السواء. فقد عادت مواصلاته مع «مورسيليا» ولكن بجهد، وكانت من شأن تقصّل الوقود والقدائف أن ينفّض من وطأة القتال. وكانت المجموعة مشدودة إلى اتجاهين متباهين؛ كان الفرنسيون يرغبون في دخول

«فالشيرين»، التي لقبها «هتلر» بالقلعة. والتي أمر بالدفاع عنها بضررها. كل شيء غريب هناك. فالجزرية بكلّها قائمة تحت مستوى سطح البحر. باستثناء ثلاثة من التلال الرملية، وزنار سدودها المائل. وأمام الحامية فهي فرق الماشة ٧٠، عنها، فرقة أمراض المعدة! وطروّات للجزرال «سيمونندز»، الذي حلّ موقفاً محلّ الجزرال «كريبر». فكرة نصف السدود بواسطة الطيران الجوي الملكي، فتدفّقت مياه البحر وغطّت داخل الجزرية، مرغمة المدنيين الهولنديين والجنود الألمان على الفرار إلى السدود في خليط فوضوي. وشنّ المجموع في أول تشرين الثاني، فاستسلم الجزرال «داسير» في ٦. فكانت حصيلة الحلفاء ٤١٠٠٠ أسير، فيما فقدوا ١٢٠١٧٠ قتيلاً أو جريحاً أو مفقوداً. بذلك فتح باب «إيسكو».

في ٢٨ تشرين الثاني خاضت أول قافلة النهر. ولكن تجربة هائلة قد بدأّت بالنسبة «للأغافر». فقد أمر «هتلر» بسحبها بالصواريخ «ف»؛ وقد كسرّس هذه المهمة ٣٧٠٠، «ف١»، «ف٢»، أكثر من ضعفي ما سيساقط على «إنكلترا». وقد أصابت ١٠٢٥٠ منها منطقة السكن، قاتلة أو جارحة ١٠٠٠٠ من الناس، منهم ٨٥٨ في سينما «ركس» يوم ١٦ كانون الأول. فوابل الموت هذه، الذي زاد في فداحته إضراب عمال الأرصنة، قد خفض نتاج المرفأ اليولي إلى نحو من عشرة آلاف طن، وأجبر حسابات الحلفاء في ميدان توين الجنود.

من الجهة الخليقة، تقرّر القيام بجهود حاسم لمحاولة إنهاء الحرب في ١٩٤٤. وفي ١٨ تشرين الأول، في «بروكسل»، قرر القادة الكبار شنّ هجوم عام تشارك فيه مجموعات الجيشين عامّة. ولسوف تتجّز المجموعة ٢١ تحرير «هولندا». وأمّا المجموعة ١٢ (التي دعمت بجيش جديد هو الجيش الأميركي التاسع بقيادة الجزرال «وليم ه. سيمبسون») فلسوف تهاجم من كلّها ناحيتي «الأربدين». وأمّا المجموعة ٦، بقيادة الجزرال «ل. ديفرز»، والتي تضمّ الجيش الأميركي ٧ والجيش الفرنسي الأول، فلسوف تبلغ «الرين» ويتنازه حول «ستراسبورغ». وكان يرجّي أن تنهار المقاومة الألمانية تحت عباء هذه الضربات الكثيرة التي تتصبّع عليها في آن معاً.

وعادت نيران معركة «إيكيس-لاشابل» إلى التأجّج بعدما توّقت مدّة من الزمن، فأصبحت المدينة أطلالاً. كانت قيمتها السرّاتيجية منعدمة، ولكن قيمتها الرمزية كانت ضخمة. فإذا استطع الحلفاء على أولى مدنهم الألمانيّة الكبيرة، سوف يفصّلون السحر الذي ذاد حتى تلك الحقيقة عن حدود «الراين». وأمّا «هتلر» فقد النّفس في المدينة روحًا جرمانيّة متقدّدة كان يختّم الإبقاء عليها مهما بلغ الثمن.

وراح المفدىان «هودجز» و«سيمبسون» يعملان بغمز دائم. وقد تقدّم الكلاب بين اللتين راحتا تطبّقان على «إيكيس» قصفاً بالمدفعية والطيران. وفي ١٦ تشرين الأول، في الساعة ١٦٣٥، اتصلتا، فطوقّتا المدينة في حوضها الصغير الذي ينذر الدّفاع عنه. وأطلق «هتلر» نداءه العتاد: الموت تحت الأنفاس على الاستسلام. فما كان من الكولونيـل «فيكـل» إلا أن قام بما كان يقوم به قادة الأماكن المحاصرة أكثر فأكثر، فردد على الفوهرر بتصرّيف مفحم؛ وفي ٢١ تشرين الأول رفع الراية البيضاء مختاراً الحياة.

وفي ١٦ تشرين الثاني، شنّ الجيشان التاسع والأول هجوماً عامّاً، وهدّهـما بلوغ «الرين».

كان على جيش «سيمبسون» الذي يهاجم في ثغرة من خط «سيغفريـد» أن يستولي على الدساـر العـديدة المتـنـثـرة فوق سهل «إيشـفـايـلـر» واحدة واحدة. وكان جيش «هودجز» يقاتل على سفح «إيلـلـيـلـ» الورقة المجرّحة التي كستـها الثـلـوجـ، فـكـانتـ المسـارـ والـآلامـ ثـخـيـةـ. وبـلغـتـ المعارـكـ درـجـةـ



لم يبقَ من «سان فيت» في «بلجيكا» إلَّا أنقاض تكتنُها الثابج.

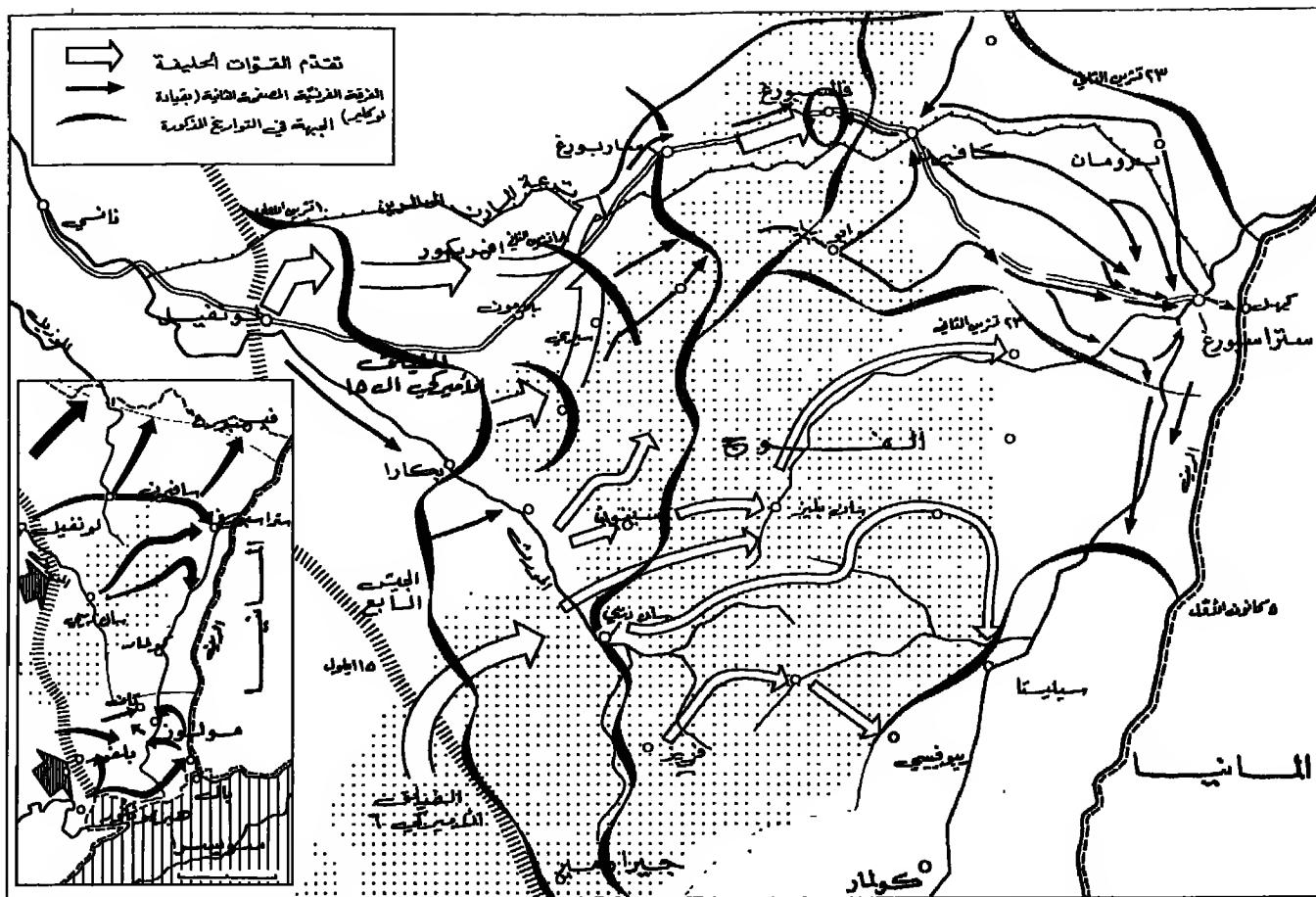
في معسكر «سيزنيغ» في ألمانيا تقدَّس ١١٦ ألف أسير . وقد فُرض على الكثيরين منهم أن يقوم بأعمال التعمير في «فرنسا» .



في مكان ما من «بلجيكا» رقد هذا الجندي الأميركي رفاده الأخير عند أقدام دبابة .

على دروب «أوروبا» المحررة

1940 بفضل «لوكلير» و «دي لاتر» و رأينا «إنكلترا» تسارع إلى مرفأ عبر الشمال بغية التهول دون سقوطها في أيدي الروس ، و رأينا الروس يطلقون كالسهام صوب «برلين» . أمّا الأميركيون ، وهم الذين كانوا أقلَّ من هؤلاء وأولئك تورّطاً في السياسات العدائية الأوروبية ، فقد وقفوا من الحرب موقف النزيين والممولين والمرؤدين .



الفرقة الفرنسية المصفحة الثانية في انتلاقها إلى «سافيرن» و«سترانبورغ».

فرقة مشاة المستعمرات^٩ بمحاذاة الحدود السويسرية، وفي الساعة ٣٠ من يوم ١٩ يبلغ «الرين» في «روزونبر»، بالقرب من «بال». وإلى اليسار امتد القتال على جبل جبهة الفيلق الأول، فتم الاستيلاء على «هيرمونكور»، و«مونبليار»، و«سوشو»، و«هيريكور». وأمر «هتلر» بأن يدفع عن «باب بورغونيا»، إلا أن الأدادوصلت متأخرة، فلم يمكن إيقاف «بلفور»؛ فسقطت المدينة في ٢٠ في يد فرقة المشاة الآلية الثانية.

إلى شمال «الفوج» هاجمت فرقه المشاة الأميركية^٤ ثغرة «سافيرن»، التي كانت متفرجة وكانتها فوق صهوة جواد على طريق «سترانبورغ» الكبيرة، عبر «أفييكور»، و«سايبر»، و«فالسيبور». وشنست فرقه المشاة الأميركية^{٧٩} هجومها من طريق «دابو» الثانية، وفتح «فولفسبurg»؛ وراحت الفرقه المصفحة^٢ تدعم هذين المجهودين، وهي مجزأة إلى مجموعات تكتيكية أربع.

في ١٩ تشرين الثاني حدثت الثغرة. وصمدت «فالسبور» بعد دفاع قوي، إلا أن الأميركيين كانوا قد استولوا على «بلامون» و«سيري»، فاتحين الطريق أمام الدبابات الفرنسية. ودخلت هذه الدبابات غابة «فالنجبور»، واحتازت فتح «فولفسبurg»، ثم زحفت إلى «سافيرن» والفت حول «فالسبور». وسارت مجموعات «لوكلير» التكتيكية الأربع في اتجاه واحد نحو «سترانبورغ» تحت وايل من المطر. وأحبطت مساعي ثلاث منها بسبب حصول الغرب، «بيتان» و«كلير» و«بلور»، وأمنا الرابعة، التي استدارت من خلال «برومات»، فقد دخلت المدينة في الساعة ٣٠ من ٢٣ تشرين الثاني وهرعت إلى جسر «كيل»، وهي على أهبة الاستعداد لمتابعة تقدّها على ضفة «الرين» اليمنى، ولكن المسير تعرّج أمامها. وهكذا، وبفضل أحداث غير متوقعة، كانت أبهر الانتصارات في

«الأزاس» من فجوة «بلفور». فيما كانت الأركان العامة الحليفه تجذب مجموعة «ديفيرز» في اتجاه الشمال لضمها إلى جوشها الأخرى.

في أوائل كانون الأول كانت مجموعة الجيوش منبسطة في «لونيفيل» إلى جوار «مونبليار». بصرف النظر عن فرقه مشاة فرنسيه وعن مجموعة انكليزية أميركية كانت تحرس الفجاج الآلية. وكان خطط «بروكسل» قد أوكل إليها مهمة اقتحام فرجة «سافيرن»، والاستيلاء على «سترانبورغ»، وإقامة رأس جسر على ضفة «الرين» اليمنى. وقد آلت المهمة الرئيسة إلى الجيش الأميركي السابع. وأمنا الجيش الفرنسي الأول، الذي كان مهدّداً بالبتر أو بالانهيار في عملية إخضاع جنوب الأطلسي، فقد أقصر دوره على متابعة عملياته وحماية جانبه الأيمن.

راح «دي لاتر» يقاوم. فقد وضع خططاً لإخضاع «بلفور»، وأعرب عن استعداده للدخول إلى «الأزاس» من الجنوب. وبعد ما ألح في الطلب منسح حربي في التصرف مطلقة. ولسوف تجري عملياتان مختلفتان في آن معًا إلى شمالي «الفوج» العليا وجنوبها، الواحدة عبر ثغرة «سافيرن». والثانية من خلال ثغرة «بلفور».

اليوم ١٤ تشرين الثاني. كان الثلوج قد تساقط عاصفًا في الليلة السابقة. وفي الصباح كان انفصال طفيف. وكانت فرقه رماة الشعب الألمان ٣٣٨ التي تسيطر على ٣٠ كيل من الجبهة بين «سويسرا» وطريق «بلفور» - «بيرنسون»، ناعمة البال، لا تتوقع البتة أن تهاجم. وكان رئيسها، الجنرال «أوشنمان»، يتقدّم مخافر الأمامية، ففاجأه في إحدى الغابات انقضاض المناوشين المغاربة من فرقه مشاة المستعمرات^٩. فقتل برصاصهم. وكانت فرقه مؤلقة من عناصر متفرقة، منها كتيبة تضمّ صنمًا فحسب اندفعت عن نفسها دفاعاً مشرقاً، ولكن يائساً. وإلى الجهة اليمنى سار عنصر من

تفاوت لوصول إلى ضواحي «الرور» إذا ما تداعت جبهة «الروير». في ٢٤ تشرين الأول بدأ القضاء يتشعّب من عن ذرى الجيش الألماني العالية. فقد استدعي إلى «بروسيا الشرقية» رؤساء أركان «مودل» و«رونديشتاد» العامون، والجنرالان «كرييس» و«فيستفال». فأصغوا إلى عرض لفكرة الفوهرر. إذ عرف «هتلر» بأنّ تقويم الوضع على حدود «المانيا». بعد هزائم الصيف الكبير، لم يكن غير أعموجة ليس إلا. ولكن العجائب لا تتكرر. فمعابدة المعركة الدفاعية لا يعني إلا تأخير غزو «الرايخ». وعندما يتم للأميركيين فتح مرفأ «أنفير» من جديد، سوف تتدفق القوة التي ستتوغل في هذه الجادة البحرية لتضرب الجبهة الألمانية بصورة لا تقاوم. لقد كان بالتالي ضروريًا حربًا، أن تستعاد «أنفير»!

وبعدما عرف «هتلر» بالغاية، بين أن الوسائل للبوغها متوفّرة. لقد كان العدو تعباً، وكانت فرقه السبعون غير كافية للسيطرة بقوّة على جبهة تبلغ ٧٠٠ كلم. وعلى الجبهة الروسية كان القتال مستمرًا، مما مكّن من إجراء سحب قوات هامّة. ولو سف يغدو بإمكان مجموعة الجيش «ب» تسلّم مدد قوامه ٦٠ فرقة للمشاة، و١٠ فرق مصفحة، و١٠ فياتق مدفعية. ومن ناحية الحماية الجوية، وعد «غورنخ» بتسليم ٣٠٠٠ مقاتلة. حقًا ان «غورنخ» لن يتبدل، ولربما ستكون مقاتلاته الـ ٣٠٠٠ ألفين فيحسب، ولكنها سوف تضم أول مئة طائرة نفاثة «دوسيانغر»، وهي تفوق أقوى طائرة يمتلكها الأميركيون والإنكلزيون. وفضلاً عن ذلك، فإن رداء الطقس المرتبطة في ذلك الفصل، ستخفّف من شأن الطيران.

بقي تطبيق المجموع. وباح «هتلر» لرئيس الأركان العاملة بأنه قد اختار أن يشن هجوماً في «الأرددين»، واعترف بأن الجندي والتلّاح سيجعلان عبورها أكثر صعوبة مما كان عليه في أيار ١٩٤٠، إلا أن العدو كان ضعيفاً في تلك المنطقة، وكان بالإمكان مفاجئه شريطة أن يبقى السرّي الكتمان.

وحمل «فيستفال» و«كرييس» هذا المخطّط الجريء إلى رؤسائهم، فإذا بما إزاء رجال شبيهي الربيبة. كان «رونديشتاد» و«مودل» من محظوظي المجموع، ولكنّهما اعتبرا أن فكرة السير إلى «أنفير» خيالية، وأنّهما يرتكبان هدفًا أكثر واقعية. وتصرّع «فيستفال» إلى «رونديشتاد» أن يحمل اعتراضه بنفسه إلى «هتلر»، ولكن العجوز كاد يجيء لمجرد التفكير بذلك؛ كان يعلم أن الطاغية سوف يقطع عليه كلامه من بدايته، وأنه سوف يضطر إلى سماع خطبة خيالية لن يفهّمها معنى.

في ٣ تشرين الثاني وصل «جودل» إلى مقر قيادة الغرب حيث كان قادة الجيش يانتظاره. وقبل أن يتفوه بكلمة عن غرضه صرّح بأنه ينبغي على السادة المارشالات والجنرالات أن يقوموا بإجراء، فبأمر الفوهرر كان عليهم أن يوقعوا عهداً بالآيفنوا بأي شيء مما سيسمعونه لتوهم. وأنّهم يعترفون بتصرّفهم للعقوبة القصوى إذا هم نكثوا هذا العهد. فنظر بعضهم إلى البعض الآخر مذلولين، ثم طأطأوا رؤوسهم ووقعوا. إنّ عنفوان القيادة الألمانية العليا قد أصبح في الصميم.

لقد غدا «جودل» عجوزاً. وبصوت متدرّد عرض ما كان «هتلر» يتوقعه من جنوده في الغرب: أن يغزوا بجزيّ الحرب ويخروا النصر «المانيا»، في الوقت الذي راح فيه أعداؤها يعلّون عن هزيمتها!

لو سف تقوم بشن هجوم «الأرددين» مجموعة «مودل». كان على جيش ميمنتها الـ ١٥، بقيادة الجنرال «غوستاف فون زانغن»، أن ينفذ هجوم تثبيت في اتجاه «مايسنرخت»؛ وكان على جيش ميمنتها السادس، بقيادة الجنرال «إريك براندنبيرجر»، أن يهاجم في اتجاه الجنوب، وأن يستقرّ على «السومنوا»، حاميّة العمليّة من ردة فعل مرتبطة صادرة عن «باتون». وقد وقع مجھود الصدع ومناوره الاستغلال على عائق الجيشين

حملة الغريف من حظّ جيوش الجنان الأيمن، جيوش «باتون» و«باتش» و«دي لاتر». ولكنّها لم تتفّذ لسوء الحظ إلى أية وجهة استراتيجية. وهي فضلاً عن ذلك، قد رفعت تفاؤل الأركان العامة إلى درجة المبالغة. وبعد الاستيلاء على «بلفور» و«مولوز» و«ستراسبورغ»، استجج الجنرال «ريفرز» أن «الجيش الألماني» قد زال كفّة تكتيكية. وقدر على هذا الأساس، أن «الجيش الفرنسي» الأول كان كافياً لإنجاز تطهير «الألزاس» العليا. وأن بإمكانه أن ينقل جيشه الأميركي السابع إلى بين «باتون» للإسهام في غزو «بالاتينا». ولو سف يشهد شهر كانون الأول الفيلقين الأميركيين ١٥ و ١٦ مشتبكين في معارك قاتمة من كلتا ناحيتي «الفوج» «السفلي» في اتجاه «سارغمونين» و«باتش» و«فيسبور».

تولّد هجوم «الأرددين»

إلا أن «هتلر» لم يرض أبداً بفقدان معركة الغرب. ومن شهر أيلول أكبّ على تحضير هجوم معاكس يستهدف تكيد الحلفاء ثناً باهظاً مقابل انتصارهم في «نورماندي» و«بروفانس».

في ٩ تشرين الأول استحضر «هتلر» المعطيات المختلفة التي طلب من القيادة الحربية العليا أن تدرسها. وقد كانت خمساً: «هولندا»، منطقة «إيكسل-لياج»، «لوكمبورغ»، «الورين»، «الألزاس». وكانت كلّها عمليات هجومية معاكسة ذات أهداف محددة. وإليك هذين المثالين: كان الهجوم المعاكس «لوكمبورغ» يستهدف استرجاع مناجم الحديد في «لونغوي»، أمّا الهجوم المعاكس «الألزاس» فقد كان يرمي إلى استرجاع «فيزول»، «إلخ ...

ولم يدل «هتلر» برأيه الحال. إلا أنه طلب إحضار ملفات الجيشين الرابع والثاني عشر لحملة ١٩٤٠. فهذا الجيشان هما اللذان اجتازا «الأرددين» واحتلّا الجبهة إلى «الموز»، ولكن تبيّن أن الوثائق التي طال بها الفوهرر قد فقدت: فقد حول القصف مخاض النصر هذه إلى رماد! خلال تشرين الأول تدعمت الجيوش الألمانية وتحمّلت. ولو سف تصبح موزعة على الشاكلة التالية: ١) من البحر الشمالي إلى محاذة «دوسيلدورف». مجموعة الجيش ١٥، بقيادة الكوليوني-جنرال «شتوردن»؛ ٢) حتى «الموزيل»، مجموعة الجيش «ب». بقيادة الفيلدمارشال «مودل»؛ ٣) حتى «كارلسروه»، مجموعة الجيش «ج». بقيادة الكوليوني-جنرال «فالك». الذي حل محل « بلاسكوفيتز»؛ ٤) حتى الحدود السويسرية مجموعة الجيش «أوبيرهайн»، التي استدعي «هتلر» لقيادتها رابع فوهرر الصاعقة «هاينريخ همار». ولم يكن واحد من هؤلاء القادة الكبار واقفاً على نيات الفوهرر. وأمّا المجموع الذي كان يحيطّه فلسوف يحمل في التاريخ اسم «هجوم فون رونديشتاد». ولكن في الواقع، لن يكون «رونديشتاد» في خلقه وفي تحضيره وفي تنفيذه غير دور تافه. كان «هتلر» يعمل منفردًا، في ريبة شرسة من جنوده أنفسهم.

أمّا الأمر الذي كان مستحيلاً إخفاوه عن قادة الجيش أو عن المكاتب الثانية الخليفة، فهو أن قوات من النخبة قد سحبّت من خط النار أو أعيدت من الجبهة الشرقية. فالجيش المصطف الخامس، الذي كان يقوده جنرال شاب يبلغ الرابعة والأربعين من عمره هو «هاسّ فون مانوفييل»؛ تلاشى في معركة «الورين». وهناك فيلقان مصطفان صاعقان اقتطعا من الشرق، وشكلاً، تحت ستار الكتمان، جيشاً مصطفحاً سادساً أسد «هتلر» قيادته إلى سائق سيارته السابق وحارسه الخاص، «سيب ديرتش». هذا وقد كان الجنرالات الألمان والأركان العامة الخليفة على السواء في طور الافتراضات والنظريّات، فراحوا يفكرون في إنشاء كتلة هجوم معاكس

القينة والأخرى تلك الشعلة القاتمة التي جعلت منه طاغية «ألمانيا» وبلية العالم. وراح يخوض ميدان الاعتبارات التاريخية الشاسعة، معيناً إلى الأذهان معارك «فريدريل الثاني» وصلابته وانتصاره، مبرهنًا أنَّ التكافف الخليف كان على وشك الانحلال، وأنَّ نجاح هجوم «الأربدين» سوف يعجله. كان الجنرالات مفعمين أسللة واعتراضات؛ فقد كانوا يرغبون في الحصول على بعض الإيضاحات بشأن الوسائل التي كانت ما تزال في طور الوعود مع أنَّ اليوم المحدد للهجوم كان على قاب قوسين. وقد كانوا كلهم يجدون «الخلل» الضعيف، الذي دافع عنه «مودل». ولكن لم يكن بالإمكان الرجوع إلى النقاش. فالجنرالات المروسوون لم يساقو إلى الفوهرر لإبداء رأي أو تقديم شكایة، بل استدعوا لتلقيف كلامه المقدس. ولكنَّ التأثير كان مفقوداً تماماً. بالنسبة لرجال الحرب هوَلَاء، المجربيين. التعبين، المتيقظين، كان وقع الهذر السياسي والدعوات إلى العصبية وقع نداء الأساس. فانصرفا وقد اسودت الدنيا في عيوبهم.

كانت القوات المحشدة للهجوم مولفة من ٣٠ فرقة، قوامها ٢٥٠،٠٠٠ مقاتل، و ١،٩٠٠ مدفع، و ٩٧٠ دبابة. وأما الطارات ٣٠،٠٠٠ التي وعد بها «غورنخ» فقد تذلت إلى ١،٥٠٠، وأما «الدوسياغر» فلم تكن جاهزة بعد. وقد سبب فقر الوقود إعطاء الدبابات نصف ما تحتاج إليه لـ ٥٠٠ كلم من العمل الذاتي، وهي المسافة الدنيا المقدرة اللازمة للبلوغ «أتفير». وكانت فرق المشاة مقصرة على فرق رماة الشعب، وهي وحدات كبيرة مرحلة مشوشة بالفتیان، أو بالشيخوخة. وبغض النظر عن هذا الواقع، كان على الوحدات هذه أن تحدث الشغف التي تستنطق منها الدبابات. ولم يكن هناك ضابط أو كان عامَة واحد يوم يامكانية بلوغ «الموز» في اليوم الثاني، أو حتى في اليوم الرابع؛ ولكنَّ الحكمة كانت تقضي بأن يتصرف الجميع وكأنَّ لهم بذلك الأمر اعتقاداً راسخاً. كانت معنيات الجند جديدة؛ فقد قيل لأولئك الجنود الذين حملوا السلاح لتوهم أنَّ قد تكررت، وأنَّهم سوف يعودون احتلال «فرنسا». وأما هم فقد كانوا يرجون أن يكون الطقس أقلَّ برودة !

كان ليل ١٦-١٥ كانون الأول جليدياً. وقد بلغت كثافة الثلوج قدر قدمين في الغابة الأردنية. وابتداء من مدينة «مونشاو» الألمانية الصغيرة حتى مدينة «إشنرناخ» اللوكسمبورجاوية الصغيرة، كانت تسيطر على الـ ١٣٠ كلم، التي سوف يقع عليها الهجوم الألماني، الفرق الأميركية ٢ و ٩٩ و ٩٦ و ٢٨، و ٤، التابعة للقيق الخامس بقيادة «لينوار جيري»، وللقيق «تروي ميدلتون» الثامن، اللذين أعيدا إلى ذلك القطاع الهادئ، بعد ما ذاقا على «الروير» الأمرين. وكان قسم من الفرق المصفحة ٩ قد انطلق إلى خط النار وبقي قسم منها قيد الاحتياط. ولم يكن هناك مجال لإقامة جبهة بالمعنى الحقيقي. كان الجنود الأميركيون يختللون سلسلة من المراکز الصغيرة، وكانتينوا يختسرون في دسакر «شوينغ» و«سان-فيت» و«هوففالز» و«باستون». و«كليرفو»، وغيرها. وكان الكثيرون منهم يعودون في المساء لينعموا بدفء الأسرة. أما النشاط العسكري فقد بات بالغ الضعف، فلا تُسمع طلقات المدفع إلا نادراً. وكان بعض القرويين، حتى بعض المسؤولين الألمان، يتلقّلوا في المنطقة المحاذية. وكانت إحدى الفرق الأميركيَّة، وهي الفرقة ١٠٦ بقيادة الميجر جنرال «جونز»، منعزلة تماماً أو تقاد، في منطقة «شني ليفل» الصغيرة القاسية، ولكنها كانت تتعمَّ بملاذات الألعاب الرياضية الشتوية. وقد كتب الجندي الشاب «شاشتمان» إلى أمِّه يقول: «نحن هنا في مأمن وكانتنا في إنكلترا». وأما الأمر الوحيد الذي أثار التعجب خلال الليالي الأخيرة، فهو كون طائرات ألمانيا عديدة قد حلّقت في السماء من غير مبرر ظاهر. ولم يتبّع أحد إلى أنها كانت تحرق وقدها

المصفحين ٥ و ٦. كان دورهما متفاوتاً؛ فعلَّ جيش «مانتفيل»، الذي يضم ٤ فرق دبابات و ٣ فرق مشاة، أن يختار «الموز» بين «فومي» و«نامور»، وأن يستدير حول «بروكسل» من الجنوب، وأن يسير إلى مصب «إيسكو» مخطماً كلَّ مناورة عدوة معاكسة. وأما الجيش المصفح السادس، التابع «لسيب ديرتش»، فقد كان يضم ٤ فرق دبابات صاعقة وه فرق مشاة، وكان مكلقاً بالقيام بالمهمة الرئيسة، إلا وهي خرق «الموز» من كلتا ناحيتي «لياج»، وعبر قنطرة «أليير»، والاستلاء على «أتفير».

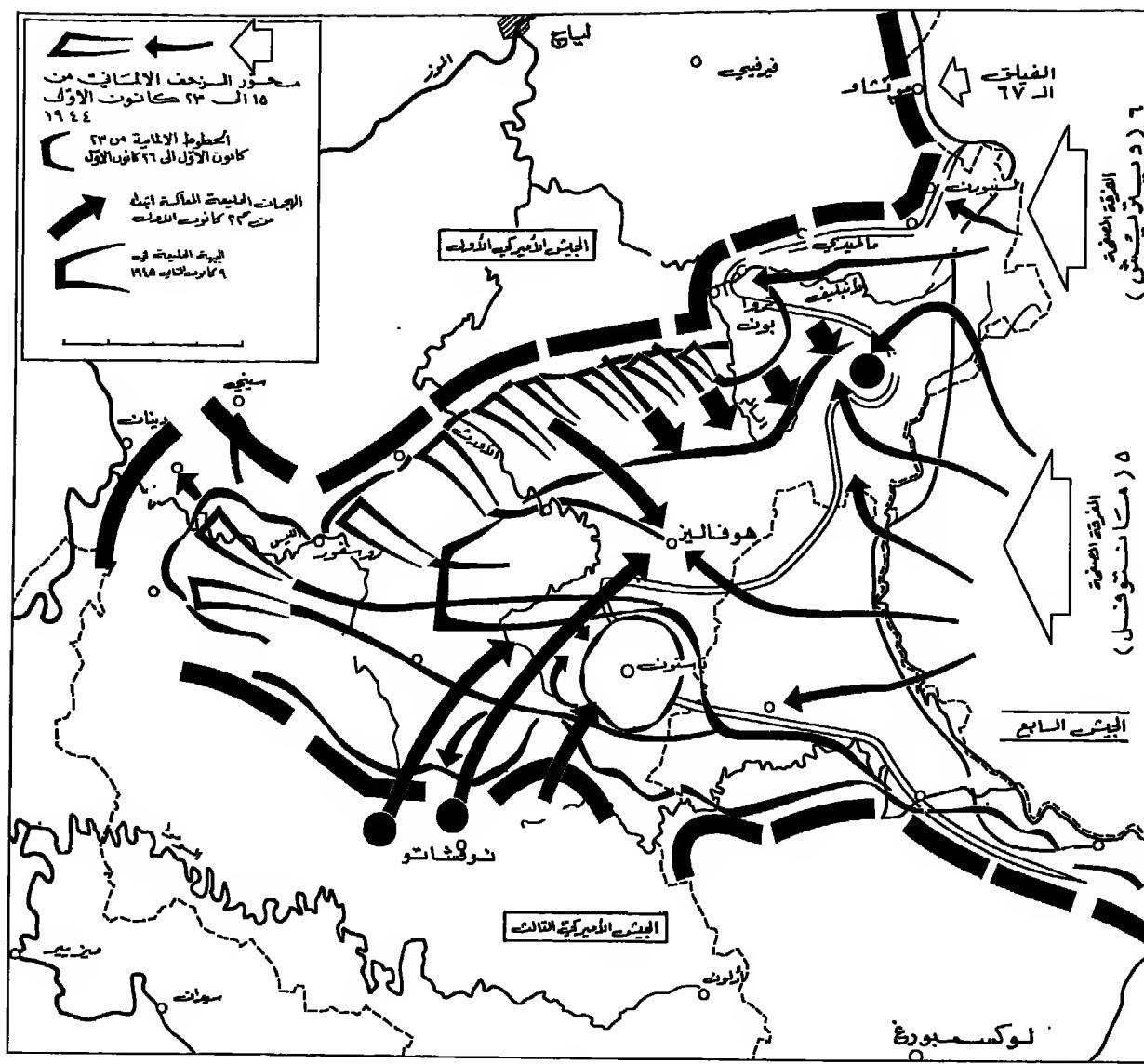
وحسب «جولد»، وهو الناطق بلسان «هتلر»، كانت النتائج التي يُتوقع جنبيها من الهجوم هائلة لا تُحصى. وبعد الفصل بين الجيش الإنكليزي والجيش الأميركي لن يبقى لهما خلاص إلا في عملية ترحيل معجلة. ولسوف يعقب ثغرة «الأربدين» الثانية «دانكرك» ثانية. إلا أنَّ الفوهرر كان يُصرَّ على أهمية السرعة الحيوية، ويحتم أن يتمَّ بلوغ «الموز» منذ اليوم الثاني.

وتكلَّم «مودل» يستقصي الموضوع، فقدَم اقتراحًا حاذقاً مغرياً. كانت الجبهة ترسم ناتحة حول «إيكيس-لاشابل»؛ فبدلاً من المغامرة فيما وراء «الموز»، والقيام بمسيرة ٢٠٠ كلم وبالحوانب مقططة، كان على الهجوم أن يتوجه نحو الشمال، وأن يوازِرَه اندفاع الجيش الـ ١٥ المنطلق من «مبورغ»، فيخدو بالإمكان تطويق القوات الأميركيَّة العاملة في تلك الناتحة؛ وتدميرها، وهي تبلغ نحوَ من عشرين فرقة. ولسوف يغدو ممكناً بعدَّ استعادة «أتفير» من العدو مستضعف منهزم، وفي ظروف أكثر ملائمة. ورفض «جولد» المناقشة، واكتفى بالقول إنه سوف ينقل إلى الفوهرر وجهات نظر الفيلد مارشال !

كان الاتفاق قدَّم على أن يجري الهجوم في ٢٧ تشرين الثاني. إلا أنَّ أزمة النقل قد أرغمت على تأجيله إلى ١٦ كانون الأوَّل. وفي تلك الأثناء استمرَّ النقاش بشأن المخطط. وبعد ما غادر «هتلر» مقره الذي أحدق به الخطير الروسي، جرت في المستشارية الجديدة، في ٢ كانون الأوَّل، مناقشة استغرقت ٧ ساعات. وقد كان عرض «مودل» قوياً للدرجة أنَّ «هتلر» لم يقاطعه ولو مرة واحدة. إلا أنه يقى ثابتاً لا يتزعزع. قال إنَّ مخطط «مودل»، وهو حلٌّ ضعيف، لم يكن غير حلٍّ نصفي. ولسوف يُنقذ مخططه هو، «هتلر»، بذاته، ولكنَّ يضع حدَّ المجدال دسَّ في يدَه ونداشتاد «مذكرة خطيبة» يوضح فيها أنَّ عقاب الموت سيلحق بالرؤساء الذين سيختلفون عن تنفيذ الأوامر التي يتسلموها !

لم يبقَ سوى إثارة تقة المنشدين. وخلال يومي ١١ و ١٢ كانون الأوَّل جمع «هتلر»، في دفعتين، قادة الفيالق والفرقين الذين كانوا سيشركون في الهجوم. فاقتادهم رجال الصاعقة إلى نقطة تجمع، فقُسْتشوا، وجردوا من أسلحتهم، ثم كُدُّسوا في سيارات نقل كبيرة خُيُلَّ إليهم أنها كانت تدور في الليل على غير هدى. لم يكن أحد منهم يعرف المكان الذي أمروا بالتوجه إليه؛ إنه قصر «ريغينغ» الذي جهزَ منذ عام ١٩٤٠ ليكون مركز قيادة الفوهرر السري. وأما الحصن الذي أُنْزِلوا فيه فقد كان صغيراً. وطلب من جنرالات الصاعقة أن يبقوا واقفين، ومن جنرالات الجيش أن يجلسوا. ولكنَّ هذا لم يكن من بوادر التكرييم، بل حيطة لا أكبر ! وخلف كلَّ كرسٍ وقف أحد الحراس ويهُدِّه على قبضة مسدسه. ولسوف يقول «بايرلين»: «لم يكن أحدنا يتجرأ على مد يده لتناول منديله من جهة...»

ولاح «هتلر»، فكانت الصدمة مريعة: فالرجل حطام متداع. تقدَّم وهو يجر ساقه جراً، وكان يُسند ذراعه اليسرى بيده اليمى ليسطر على الرعشة التي اعتربها. وكان الصوت نفسه مخنوقاً، وكانته يتعالى وسط ضباب الكوابيس المخيف. ومع ذلك بقي يتكلَّم خلال ساعتين، مستعيداً بين



آخر هجوم شنته الجيش الألماني في «الأردين» .

في «الأردين»، وأثنهم قد أحرزوا بعض التقدّم. وفي مستهل فترة مابعد الظهر التقطت فرقـة المشـاة ۹۹ معلومات تـفيد أنَّ العـدو كان يـبذل مجـهوداً عـنـيفاً حـاسـماً. ووضـع «بيـديـل سـمـيـث» يـده على كـفـ قـائـدـ جـمـعـوـنةـ الـجـيـوشـ ۱۲ وـقـالـ: «إـلـيـكـ ماـشـتـ يـاـ «بـرـادـ»! لـقـدـ كـنـتـ تـرـغـبـ فـيـ هـجـوـمـ مـعـاـكـسـ. وـفـرـصـةـ الـآنـ سـاحـةـ». وأـحـابـ «برـادـليـ»: «أـجـلـ وـلـكـنـيـ لـمـ أـكـنـ أـرـيدـهـ بـهـذـهـ الـأـهـمـيـةـ»!

راحت الصـفـوفـ تـنـظـمـ. وـوـجـهـتـ الـقـوـاتـ المـصـفـحةـ المـتـاهـيـةـ بـكـامـلـهاـ نحوـ القـطـاعـاتـ الـمـاهـيـةـ. وـلـمـ يـقـيـمـ اـحـتـيـاطـ لـدىـ قـيـادـةـ الـعـلـىـ غـيرـ الفـرـقـينـ ۸۲ وـ۱۰۱ الـمـقـولـيـنـ جـوـاـ، الـمـقـيـمـيـنـ فـيـ مـنـطـقـةـ «رـامـسـ». وـبـعـدـ تـرـدـدـ وـجـيـزـ عـمـدـ «أـيـنـهـاـورـ» إـلـىـ تـحـريـكـهـمـاـ، فـوـجـهـ الـفـرـقـةـ ۸۲ نـحـوـ «هـوـفـالـيـزـ»، وـالـفـرـقـةـ ۱۱۱ نـحـوـ «بـاـسـتوـنـ» فـيـ قـلـبـ الدـنـغـلـ الـأـرـدـنـيـ.

خـالـفـ الـبـاـقـائـلـ إنـ الـأـلـانـ قدـ هـاجـمـواـ بـقـوـةـ فـيـ «الأـرـدـنـ»ـ المـشـوـرـةـ بـوـادرـ ذـعـرـ فـيـ «أـورـوبـاـ»ـ الـيـ حـرـرـتـ مـنـذـ زـمـانـ وـجـيـزـ. وـأـمـاـ قولـ «هـنـترـ»ـ: «سـوـفـ تـكـونـ «فـرـنـسـاـ»ـ لـلـأـمـيـرـكـيـنـ مـصـيـدـةـ فـرـانـ وـاسـعـةـ»ـ، فـقـدـ طـارـ عـبـرـ الـأـئـمـيـزـ. وـأـخـذـ بـعـضـ الـذـيـنـ تـحـقـوـ بـالـقاـوةـ مـتأـخـرـيـنـ يـمـهـدـونـ لـلـرـدـةـ. وـفـيـ «بـلـجـيـكـاـ»ـ، وـفـيـ شـمـالـ «فـرـنـسـاـ»ـ، بـدـاـ السـكـانـ يـجـهـزـونـ رـزـمـهمـ الـفـرـيـلـةـ استـعـدـادـاـ لـلـفـرـارـ. وـفـيـ «سـعـمـارـنـغـنـ»ـ، رـاحـ الـمـهـاجـرـونـ الـفـرـنـسـيـونـ ذـوـ الـمـيلـ الـأـلـانـيـ يـوـكـدـونـ أـنـهـمـ سـيـكـونـ فـيـ «بـارـيسـ»ـ يـوـمـ رـأـسـ الـسـنـةـ، وـرـاحـواـ

الـشـمـينـ لـغـطـيـ ضـجـيجـ الـدـبـابـاتـ وـجـرـارـاتـ الـمـدـفـعـيـةـ الـيـ كـانـ تـنـطـلـقـ إـلـىـ خـطـ النـارـ.

وـفـيـ الـأـرـكـانـ الـعـامـةـ كـانـ دـوـاعـيـ الـاعـتـقادـ بـتـجـمـعـ لـلـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ مـتـوـافـرـةـ. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ رـدـاءـ الطـقـسـ وـمـنـ قـصـرـ الـأـيـامـ، اـكـشـفـتـ الـاـسـتـكـشـافـاتـ الـجـوـيـةـ تـحـركـاتـ نـشـيـطـةـ فـوـقـ الـطـرـقـاتـ وـالـخـطـوطـ الـحـدـيدـيـةـ. وـقـدـ عـرـفـ عـلـىـ فـرـقـ شـهـيرـةـ. وـقـدـ عـادـتـ إـلـىـ الـلـيـاـةـ فـيـ جـوـارـ الـجـبـهـةـ. وـأـمـاـ اـنـتـعـاشـ الـمـعـنـوـيـاتـ لـدـىـ الـأـلـانـ فـقـدـ أـدـهـشـ ضـبـاطـ الـاـسـتـعـلامـاتـ. وـمـعـ ذـلـكـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ سـابـقـةـ ۱۹۴۰ـ، لـمـ يـكـنـ مـنـ شـأنـ «الأـرـدـنـ»ـ، أـنـ تـسـتـلـفـ الـأـنـظـارـ. وـقـدـ وـرـدـ فـيـ تـقـرـيرـ يـوـمـ ۱۵ـ مـاـيـيـلـ: «لـاـجـدـيـدـنـ هـذـاـ الـقـطـاعـ...»ـ فـيـ السـاعـةـ ۳۰ـ، ۵ـ هـزـ السـيـاسـاتـ الـأـمـيرـكـيـ قـصـفـ مـدـفـعـيـةـ عـنـيفـ. وـسـلـطـتـ الـمـدـفـعـيـةـ الـأـلـانـيـةـ الـمـضـادـةـ لـلـطـاـئـرـاتـ أـضـوـاءـهـ الـكـاـشـفـةـ عـلـىـ الـفـيـرـمـ. خـالـقـةـ أـشـعـةـ قـرـبـيـةـ اـصـطـنـاعـيـةـ لـمـؤـازـرـةـ مـنـذـ الـمـشـاـةـ. وـلـقـدـ كـانـ قـعـ المـفـاجـأـةـ عـنـيفـاـ لـلـدـرـجـةـ أـنـ أـيـةـ مـلـوـعـوـنـاتـ عـنـ الـمـجـوـمـ الـحـدـيدـلـمـ تـكـنـ قـدـ بـلـغـتـ مـجـمـوعـةـ الـجـيـوشـ ۱۲ـ بـعـدـ شـنـةـ بـأـرـبعـ سـاعـاتـ. وـقـدـ ذـكـرـ تـقـرـيرـ السـاعـةـ ۹، ۱۵ـ أـنـهـ لـمـ يـطـرـأـ أـيـ تـغـيـرـ عـلـىـ جـيـهـ الـفـيـلـقـيـنـ ۸ـ وـ۹ـ. وـكـانـ «بـرـادـليـ»ـ فـيـ «فـرـسـايـ»ـ فـيـ «تـرـيـانـوـنـ بـالـاسـ»ـ، حـيـثـ أـقـامـ «أـيـنـهـاـورـ»ـ مـقـرـ الـقـيـادـةـ الـحـلـيفـةـ الـحـدـيدـ. وـكـانـ الـبـحـرـالـانـ يـتـنـاقـشـانـ فـيـ مـشـكـلـةـ الـاـسـتـبدـالـ فـيـ جـهاـزـ الـمـشـاـةـ مـعـ رـئـيـسـ الـأـرـكـانـ الـعـامـةـ «بـيـديـلـ سـمـيـثـ»ـ. فـدـخـلـ كـولـونـيـلـ يـعـلـنـ أـنـ الـأـلـانـ قـدـ شـنـواـ هـجـوـمـاـ

تقدّمت فرقتان منبعثتان آخر يان. هما الفرقة المصفحة ٢ و «البترليهير». تعرّق سيرَها نحو الخراب، نحو الغابات الكثيفة المتسطلة حول «سانت هوبيه»؛ فوصلت فرقة «بترليهير» بامرأة «بايرلين» أمام «باستون» في مطلع ليل ١٩. وكانت فرقة «إيربورن» ١٠١ الأميركيَّة، التي قدمت مهرولة من «رامس». قد احتلت تلك المدينة الصغيرة لساعات خلت. في «باستون» تمر طريق «لوكمبورغ-بروكسل» عبر «نامور». وكانت طرق أربع ثانية تشعب نحو «نوفشاتو» و «لاروش» و «ترفا فيرج» و «إيتارولد». وفي ١٩٤٠ كانت مجموعة جيش «رونديشتاد» قد تمكنَت من احتلال «باستون» منذ صبيحة ١٠ أيار، مستولية من غير قتال على عقدة المواصلات الأُردنية. وأمّا الاستيلاء عليها في ظروف الشتاء القاسية فقد كان اليوم ضروريًّا أكثر فأكثر. ولكنَّ الحيرة أخذت «مانوفييل»؛ فباتت مكنته إما أن يلقى بكلِّه المصفتح ٤٧ على «باستون»، أو أن يستدير حول المدينة في حصارها. فبالحلَّ الأوَّل كان له حظٌ في إزالة عقبة رئيسة بشكل سريع. ولكنَّ كان هناك أيضًا مجازفة بكسر نعش المجموع. وبالحلَّ الثاني كان يمسيه أن يستمر بلا انقطاع في سباقه إلى «الموز»، ولكنه إذ ذاك يخنقُ في جهازه الشرياني الضعيف بخطوة خطيرة.

وبنى «مانوفييل» حلاً وسطاً، فترك أمام «باستون» فوجاً من «بترليهير» لكي يوازِر فرقة رماة الشعب ٢٦ في الاستيلاء على المدينة. ثم دعم المحاصرين بلواء «فوهير بغليت»، وهو الاحتياط المتصفح لدى الفيلق ٤٧، وبواسطة عناصر من الفرقة المصفحة الآلية ١٥. وكانت الخامسة تضمّ، فضلاً عن فرقة «إيربورن» ١٠١، عناصرَ من الفرقتين المصفحتين ٩ و ١٠، اللتين قطع عليهما الانكفاء، وبعض تشكيلات المؤخرات التي كانت مولعةً كائنةً من الجنود الملوّين. وكان القائد هو البريغadier-جيروال «ماك أوليف»، الذي حلَّ مؤقتاً محلَّ «ماكسويل تيلر». وقيل أن يباشر الجنرال «هايتز كوكوت»، قائد المحاصرين، المجموع. رأى أنه من الأصول أن يوجه إنداراً أخيراً؛ وقد قال «مانوفييل»: إنه فعل ذلك من غير أذن منه. وعاد إليه مفاسده بجواب «ماك أوليف» «الخطي»، إلا هو كلمة واحدة تحمل سخرية وسباباً! وعلى هذا الأسماء بدأ الحصار. في تلك الأثناء تابعت الدبابات الألمانيَّة سيرها نحو «الموز». كانت تلك مسيرةً جاهدة، تؤخرها مقاومة العدو الباسلة، وتعرقلها مشقات الطريق، ويسوها ضعف التزويد بالوقود. وفي الشمال استولت الفرقة المصفحة ١١٦ على «روش-أن-أردين»، فعبرت «الأورت» في «هورون»، ولكنها، إذ أضاعت ٤٨ ساعة على أثر خطأ في القيادة، اصطدمت بفرقة أميركيَّة طازجة، وهي الفرقة ٨٤، اعترضت طريقها. وإلى الجنوب استولت فرقة «بترليهير» على «سانت هوبيه» و «روشفور». ودفعت بعناصرها المقدمة حتى «سييربون»، على مسافة ٢٠ كيلومتر من «دييان»؛ وبين الاثنين وقفت الفرقة المصفحة ٢ مجتمدةً مدةً ٣٦ ساعة بسبب فقدان الوقود، وعادت إلى الانطلاق في ٢٢، فحطمت حصناً دفاعياً بين «مارش-أن-فامين» و «روشفور»؛ وفي ٢٤ بلغت مجموعتها الاستطلاعية «فول-نوت-دام» على أول ذرى «الموز». وكان النهر ينساب تحت أعينها وهو لا يكاد يبعد ٦ كيلومتر. وكان جنود «روم» قد أصروا من الموضع نفسه لثلاثة وخمسين شهراً خلت!

ولكنَّ الأمر يتعلّق، في هذه المرة، بثالثة ضعيفة. فقد راحت قوات ساحقة تتضاعف في وجه الفرقة المصفحة الأميركيَّة الثانية التي تورّطت بشكل خطير. كانت السماء قد انشعّت، وعاد الطيران إلى انجاز عمله الرهيب، وإنما على الطرق كافة بساط من القنابل؛ وتعرّضت المؤخرات القرية منها والثانوية لغارات متكررة حطمت مواصلات مجموعة الجيوش برمتها. وأمّا الفرقة المصفحة الأميركيَّة الثانية، التي سحقتها المدفعية، وأرهقتها

ذلك يقيمو خطاً لأعمال انتقامية شنيعة.

إلا أنَّ ١٩٤٤ لم تكن لتشبه ١٩٤٠. فقد اصطدم المجموع بصعوبات فائقة: كان تزويدِه بالأمداد الضرورة عبر طرقَ ضيقَة ومنحرفة، مثلجَةً ومجلَّدةً. عمليةً جهنمية؛ وكان العتاد على آخر درج؛ وكان مشاةً كثيفاً يرتدون الأسماء. فخروج «المانيا» المحاصرة النهائي إلى «الاردين» العليا شبيه بصفحة من صفحات التراجع في «روسيا» أكثر منه بالوثبة الرباعية التي قامت بها جيوش «رونديشتاد» الأولى.

لم يتسلَّم «دييرتش» غير قطاع من ٢٥ كيلومتر في سبيل تحقيق الدور الحاسم الذي أسنده إليه ثقة الفوهر. وقام فيلقه الأيمن ٢٧ بالمجموع وهو ينحاز نحو الشمال بغية إقامة جانب دفاعي على خط «مونشاو-أوبين لياج». وقد تعاقب فيلقاه المصفحةان الواحد تلو الآخر. فرُحِّفت الفرقة المصفحة الصاعقة الأولى في الرأس، والمفرقة المصفحة الصاعقة ٢ في أعقابها، لكي يتسلَّمَا على «الموز» بتدَّل السباق نحو «أنفير». وقد قامت ثلاثة فرق من رماة الشعب بقتال المشاة، فاتحة الطريق أمام الدبابات.

في ١٦ و ١٧ كانون الأوَّل كان تقدَّم الفيلق الألماني ٦٧ ضعيفاً، فلم يتمكَّن من الاستيلاء على «مونشاو» ولا من إسقاط منطقة «إسبورن» الجبلية الصغيرة التي كانت فرقة المشاة الأميركيَّة ٧٨ تقوم بالدفاع عنها. وإلى يساره قامت فرق رماة الشعب، التابعة لفيلق الصاعقة المصفحة الأولى. بدفع فرقة المشاة الأميركيَّة ٩٩، وتمكَّنَت من أن تفتح أمام مصفحةها ممرات «فارش» و «أمبليف» المتعرجة. كان النهران الصغيران يلتقيان في «ستافلوكو»، ومن ثم ينضمُّان إلى «الأورت» الذي يصبُّ في «الموز» في «لياج».

إلا أنَّ الأيام التالية كانت قاسية. فأوقف «هودجز» هجومه على «الروير». واستخدم القوات الباهزة للسيطرة بقوَّة على جانب الثالثة الذي شقَّه التقدُّم الألماني. ولم يتمكَّن الفيلق الألماني ٦٧ الثابت من توسيع آفاق المجموع بقوَّيم وضعه نحو الشمال. وكتيجةً لتعاقب فيلقين مصفحةين فرق الطرقات المحفرة، حصل تعرّق في السير جعل تدخل فيلق الصاعقة المصفحة ٢ أمرًا صعباً للغاية. ودفع «دييرتش» والجرارات النازيون ثمنَ انعدام خبرة أركانهم العامة، وُمُّن دوافعهم الشخصية العنيفة التي حذَّهم إلى رفض مساعدة المحترفين؛ وقد بلغ سوء الطالع أوجهه عندما أحْفَقَت عملية مظلية يقودها الكولونيل «فون ديرهيدت» إخفاقاً كاماً. وقد أحْفَقَت عملية «اسكورزيني» القاضية بتحريض مؤخرات العدو بواسطة جنود ألمان يرتدون البزات الأُميركيَّة.

في ١٩ كانون الأوَّل استولَ فيلق الصاعقة المصفحة الأولى على «ترو-بون». عند ملتقى نهري «أمبليف» و «فارش»، وبلغ قرية «لا غليز». ولكنَّه لم يتقدَّم إلى أبعد من ذلك. ففرقة الصاعقة المصفحة الأولى قد دُمرت بكمالها أو كادت بعدما عزَّل الطيران؛ وقد أرغمت فرقة الصاعقة المصفحة التاسعة على عبور «أمبليف» ثانيةً بعد ما شنت عليها فرقة «إيربورن» ٨٢ هجوماً معاكساً؛ وقد جرت محاولة لنقل مجهود الجيش نحو الجنوب. فكان من شأنها أن زادت في تفككه؛ ويوم عيد الميلاد اتَّخذَ جيش الصاعقة المصفحة ٦ موقف الدفاع بعدما أدركَه الوهن.

إلى يساره شنَّ الجيش المصفحة ٥ هجوماً على جهة يربو عرضها على الضفافين؛ وبقوَّات أقلَّ عدداً. واصطدم فيلقه الأيمن، وهو الفيلق ٦٦، بالفرقة المصفحة الأميركيَّة ٧ التي بقيت تنازعه السيطرة على مفترق طرق «سان فيت». وأمّا فيلقاً ميسرته، وهما الفيلق المصفحة ٥٨ والفيلق المصفحة ٤٧، فقد اجتازا «الأور» وطوقاً فرقة المشاة الأميركيَّة ١٠٦ في «شنِّي إيفل». وأرغمَا الفرقة ٢٨ على القرار، ثمَّ جاؤها دوقيَّة «لوكمبورغ» الكبُّري. وفي الفيلق ٥٨ استولت الفرقة المصفحة ١١٦ على «هوفاليز» على طريق «أرلون-لياج». وقد بعثت من مادها التورماندي. وفي الفيلق ٤٧

المصفحة ٤ «فو-لي-روريير» على طريق «نوشاتو» وفي الساعة ١٤ اتصل رئيسها الجنرال «غافي هاتفي» بـ«باتون» مباشرة. قال: «أتسمح بأن أقوم بمخاطرة كبيرة؟» فأجاب «باتون»: «أجل، بالطبع، ولكن ما الخبر؟» فاقترن «غافي» أن يرسل على «باستون» فرقته المصفحة «أر» بـ«بامرأة الكولونيبل وندل بلانشار»؛ فالأرض التي علاها جيلد كثيف كانت ملائمة للدبّابات. ولم تكن الفرقة إلا على بعد ٦ أميال من المحاصرين.

وهكذا كان انقضاض الفرقه المصفحة. فأعرضت عن «سييري» وعن طريق «نوشاتو». وسلكت طريقاً ريفياً. سحقت دسكة «أستونوا» ١٦:٥٠ وراحت تتقدم وسط حشود من الألمان أعيتهم الحيلة. وفي الساعة ١٦:٥٠ أبصر زل صغير من ثلاثة دبابات «شيرمان» وبعض الشاحنات؛ بقيادة الملازم الأول «بوغييس». خلل الدخان. جمعاً من الجنود في برات «كاكي» يهاجمون حصناً، فإذا هم من نقابي كتيبة المندسة ٣٢٦. وهكذا رفع الحصار عن «باستون».

لم تكن تلك نهاية معركة «الأربعين». لم تخذل القوات الألمانية إلا عن النوايا التي استحال الدفاع عنها. فيما بقيت متباشة بخط دفاعي يشمل نصف الأرضية التي أعيداحتلالها منذ ١٦ كانون الأول. وحول «باستون» استمر القتال عاصفاً. وقد امتص في هذا القطاع وحده فيالت ألمانية ثلاثة. وقد تسائل المقاتلون لماذا ينبغي العلت بتفاقم الغارات تلك بهذا القدر من الضراوة؟ كان «رونديشتاد» قد طالب منذ ٢٢ كانون الأول بالانكفاء إلى ما وراء خط «سيغفرييد». فعارض «مولد» و«غوديريان» اقتراحه، ولكن «هتلر» لم يرض به.

وأما سرّه الجديد فقد كان التالي: سوف تستأنف معركة «الأربعين»! لقد صحي بأكثر من ١٠٠٠٠٠ رجل. وقد من العادة ما لا يمكن تعويضه. وكان الجنرالات الألمان جميعاً يعلمون أن الجيش الألماني قد قضى عليه، وكان معظمهم يعتقدون بوجوب التخلّي عن القتال في الغرب وبدل أي ثمن للحؤول دون قيام الروس بغزو «ألمانيا». ولكن «هتلر» كان يصرّ على أن انتصاراً في الغرب ضروري وعقول. وكان المطلوب أولاً هو استفاد احتياطات العدو في القطاعات الثانوية. واختار الفوهرر «الأزاس»؛ ولوسوف يتم الانطلاق من ثم لغزو «أنفير» من الواقع التي احتفظ بها في «الأربعين».

لم يبق من عمر سنة ١٩٤٤ غير ساعة واحدة. كان الجيش الأميركي ٧ قاتلاً بشكل زاوية من «سارلوي» حتى جنوب «سترابونغ». ومن تاحيى «الفوج» كلّيهما، بين «سارغمون» و«هااغون». أُنزل الفيلق السادس فرقه الثلاث إلى خط النار. وقد وقعت عليه أول هجمات «هتلر» التمويهية في قلب ليلة رأس السنة.

الدبّابات الأميركيّة تعمل في «الأربعين» فوق الثلوج.



أسراب المطارات—القاذفات كالذباب. فقد اعتبرت فانية حكماً. وما كان من «باريلين». الذي طار لنجدتها ببسالة. إلا أن النقط بعض الناجين. فعاد بهم نحو «روشفور» مع فرقته «بتريلير» التي عرفت هي الأخرى مذاماً مرّاً.

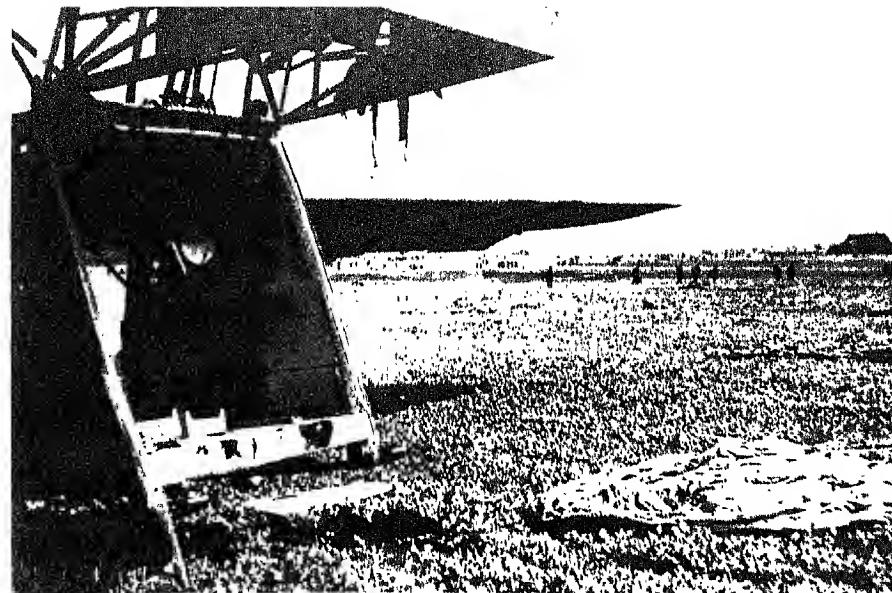
لقد أخفق المجموع الألماني، وانطلق الرد الحليف. ليس بالمستطاع أن نصف بثقة. في خضم الشهادات المتنافضة. ما كان موقف «أيزهاور» تحت وطأة المطرقة في «الأربعين». فقد ذكرت المراجع الانكليزية أنه فقد يومذاك صوابه. قال «مونغومري»: «لقد كان مهاناً حين اتصل بي هاتفي». فكان يتكلّم بسرعة فائقة وهو يزار. ولم يكن أتوصل إلى فهم ما يقوله. ولحس الحظ انقطع المكانة قبل أن يفرج من كلامه...» ولم يكن معاون القائد الأعلى الأميركي من جهتهم بأكثر رضا. فقد كتب ضابط أركان عامة إنكلزي إلى «بروك» يقول: «لقد دخلت إلى المقر العام لقيادة «هودجز». كالمسيح وهو داخل إلى المعبد يظهره... ولم ير أحد «برادي» قطّ منذ بداية المعركة...» أما المراجع الأميركيّة فقد ذكرت أن «أيك» ومعاونيه قد ظلّوا ثابتين كالصخرة. وهم يقوّمون الوضع بثبات جنان وبرودة أعصاب.

في ١٩ كانون الأول انعقد موتمر حربي خطير في إحدى شُكّنات «فردان» ضم «أيزهاور»، و«تيدر»، و«ديفريز»، و«باتون» وغيرهم. وقد أدى هذا الأخير بالتعليق التالي: «يجب أن يترك هؤلاء الجنائز حتى يصلوا إلى «باريس» فيجرّي عندئذ الانقضاض عليهم من خلف وسحقهم سهلاً». وأجاب «أيك» بأنه لا يعقل أن يترك الألمان يختارون «الموز». وقال إنه يفكّر بأن يكتبهم على وجه الثانية الشمالي. وأن يشنّ عليهم هجوماً معاكساً على الوجه الجنوبي. وسأل «باتون» متى يكون باستطاعته أن يطلق عملية تقوم بها ست فرق باتجاه «باستون» و«هوفالير»؟ فأجاب «باتون» بأنه سوف يكون قادرًا على التحرّك منذ ٢٢، ولكن «شرط أن يسير بثلاث فرق فحسب. وقد أوضح أن السرعة في الأنبار هي أفضل من العدد، إذ يجب تسديد الضربة فيما يكون العدو في حالة توازن غير مستقر. وقد رضي «أيك» بذلك.

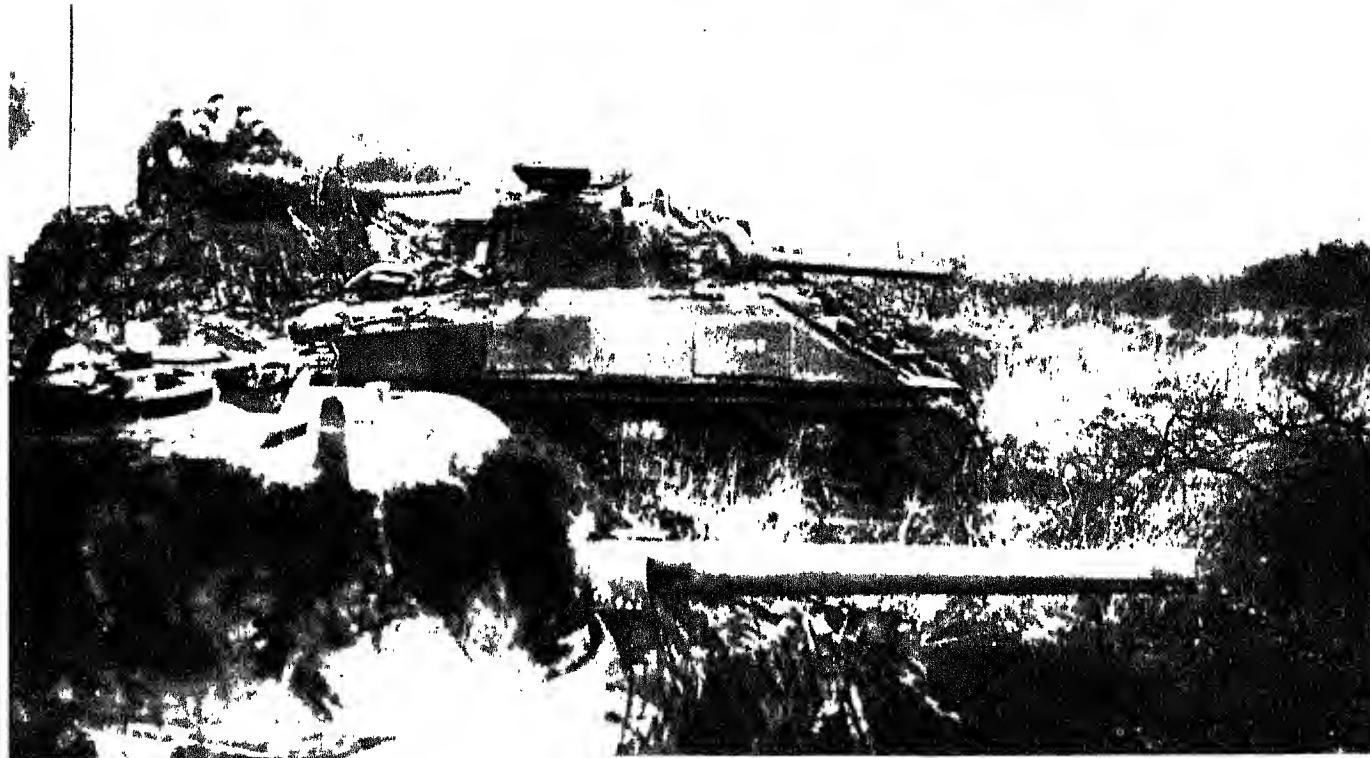
وفي اليوم التالي، ٢٠ كانون الأول، طرأ حدث جديد. فإذا اعتبر «أيزهاور» أن الثغرة الألمانية قد قطعت الاتصالات، فقرر أن يسلم «مونغومري» القوى الحليفية التي كانت في شمال الناتة، وهذا ينقل وبالتالي إلى أمرته الجيشين الأميركيين التاسع والأول. وبعدما حمل «مونغومري» هذا العبء على كاهله. لم يتوانَ عن ذكر الفوضى وحني الذعر اللذين كانا يسيطران في القطاعات الأميركيّة. وبدلًا من أن يلقي في المعمّة فليقه البريطاني ٣ الذي كان يكافله بتناول يده، أمره بأن يحافظ على مرات «الموز» وقد قال فيما بعد: «عندئذ شعرت بالطمأنينة». ولم يخض القتال في ٢٤ شمالي «دينان» إلا لواء مصفحة واحد من الحرس، فأفسّم في دحر الفرقه المصفحة الألمانية الثانية.

وير «باتون» بوعده. فبدأ هجومه في الساعة الرابعة من صباح ٢٢ كانون الأول. بفرقة المصفحة ٢٦. و٤٠. و٤٤. فاصطدم بالجيش الألماني السابع الذي كان يضم ٣ فرق من فرق رماة الشعب. وفرقة من المظليين. والذي كان يحمي الجانب الألماني الأيسر. كان التقدّم الأميركي شديد الباء في البدء، وسط الثلوج الكثنة وعلى الطرق الفاسدة. ولكن يبدو أن الصلاة التي حرّرها كاهن «باتون» قد استجابت. فأشرقت شمس ٢٣ مزهوة فوق البساط الشتوي. وأغدق الطيران عطاءه. وازدادت سرعة التقدّم. فكان «باتون» جذلاً. قال: «إنه لطقس رائع لقتل الألمان!...» وأما «باستون»، التي جرى تموينها بطريق الجو بعد تحسين الطقس. فقد صمدت بقوة. وراح المحررون يقتربون. وفي صبيحة ٢٦ جاوزت الفرقه

طائرة شراعية بريطانية تحطّ في «هولندا» وسط المظلات والمظليين . وكان الهدف من هذه العمليات احتلال جسور «آرنهم» على «الرين» لتحطيم المقاومة الألمانية . فكان على المظليين أن يقيموا رأس جسر ويتشبثوا به ريثما يتم لفرقه الأميركية الـ 82 الاستيلاء على جسور «نيميخ» و«غراف» . أمّا صاحب الخطأ فهو «مونغومري» .



صَوْرٌ مِّن مَّعَرَكَةِ هُولنَدَا



القوات البريطانية المصفحة
تتجه نحو «نيميخ»؛ وقد
وصلت إلى ضواحيها مساء
١٩ أيلول وفي ٢٠ أيلول
نشبت معركة رهيبة .

من مراحل الحرب في
«هولندا» : الأميركيون
يلقون المصفيحات البريطانية
ثم يتجهون معًا صوب
«نيميخ» .





نشبت في «آرنهم» معركة ضارية استمرت أربعة أيام؛ فكان على الفرقة الأولى المنقولة جواً أن تقاتل وسط الحدائق المخربة والبيوت المهدمة.



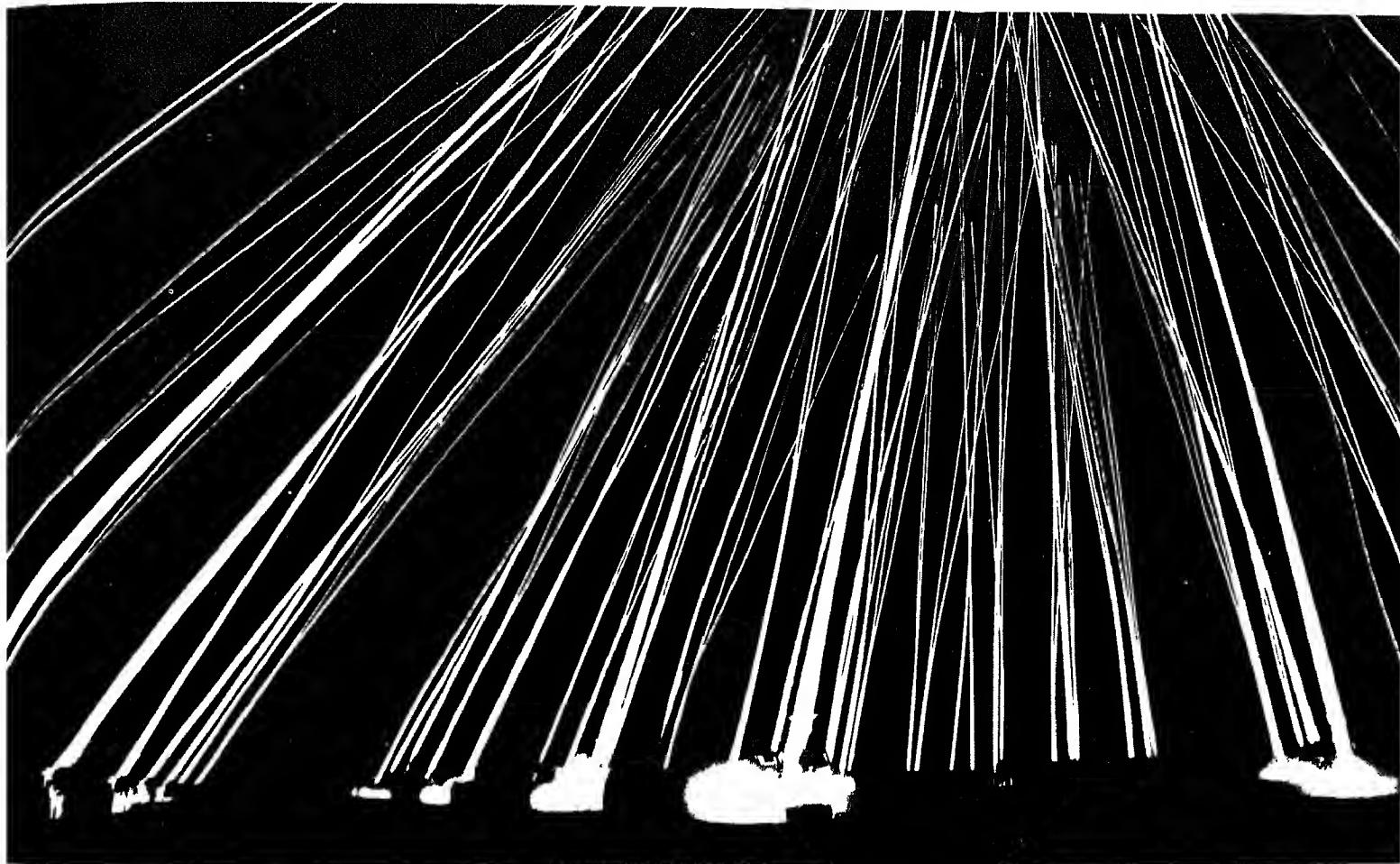
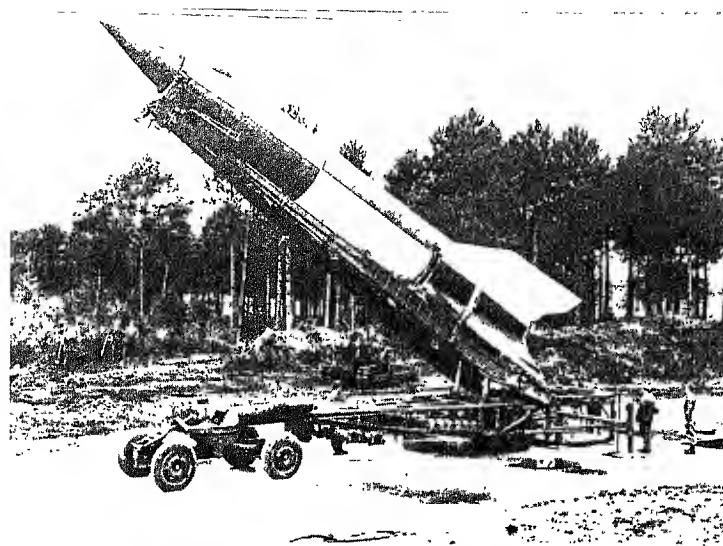
القوات البريطانية المصفحة تتأهب لاقتحام خط «سيغفريد».

فام هولاء الكنديون شأن بني جنسهم إخوانهم في السلاح بهمّات صعبة خطيرة. وتبدو في الصورة إحدى دورياتهم في «نيميج».



صاروخ «ف ٢»: الورقة الأخيرة

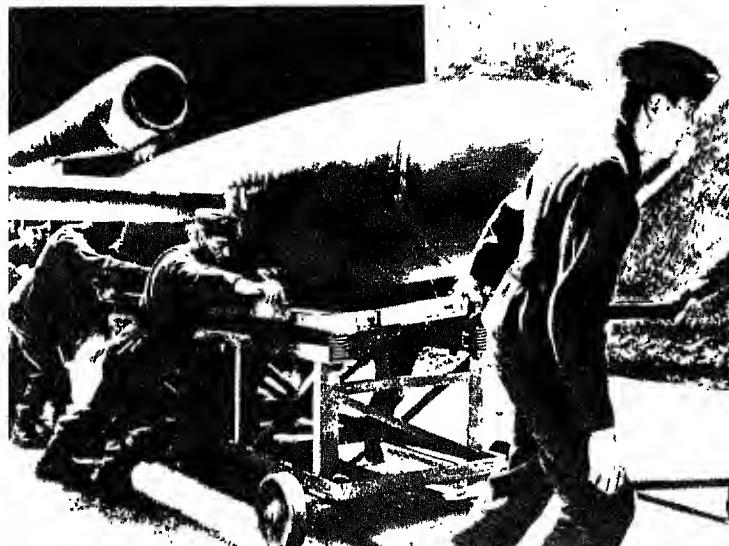
في أيلول ١٩٤٤ أضيف إلى «ف ١» سلاح فتاك
انتقامي جديد هو «ف ٢» السريع القوي . ويبدو في
الصورة أحد هذه الصواريخ على عربته . ➤

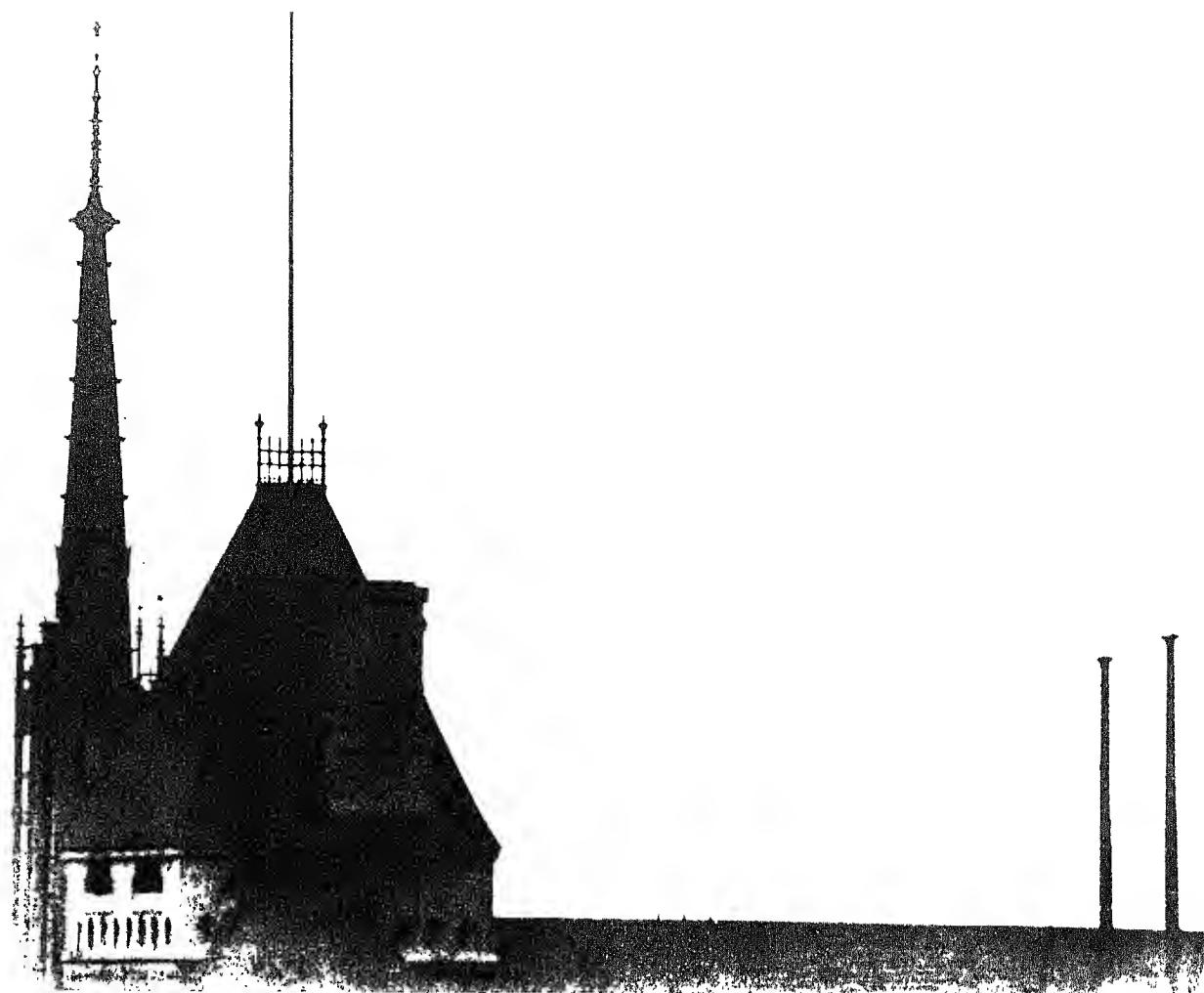


الأنوار الكشافة تحرّى سماء «لندن» ، ترى .
أعود إلى أيام ١٩٤٠ القاتمة ؟ ↗

في الصورة العليا : «ف ١» ينقض على «لندن» .
أما الصورة السفلی فتمثل انفجاره . ←

صاروخ «ف ١» محمولاً على عربته إلى مزلاقه ليصار
إلى إطلاقه . ➤





الفصل السادس

شرين الأول ١٩٤٤ - شباط ١٩٤٥

قِمَمْ

د لیتک ۳، د ستراسبرغ د فرنس فیا ۳، د یالطا

اعتبر ضياع «سيابان» وهزيمة بحر «الفيليبين» بالنسبة «لليابان» بمثابة نذير الشؤم والويل : ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ليعدل مصير أمّة رجّت نفسها في مغامرة حرب حديقة شاملة .

في ١٨ تموز ١٩٤٤ استقال الجنرال «توبو» وأعضاء حكومته معذّرين بالتصاعد عما سيسميه بحالة الامبراطور من اضطراب وقلق . وما تسلم رئيس الوزارة الجديد، الجنرال «كونياكا كويزو». حاكم «كونريا» العام ساقاً . مهمّ منصبه . حتى تبكي شعارات سلفه عنها: «قاتل حتى النهاية لا تلين له قاتلة ما لم ينكّس اعداؤه وروّسهم أمام مناعة «الليابان» التي لا تُفهر !

يالها من كلمات طنانة جوفاء ! ذلك أنّ ثلاثة من سنوات الحرب قد فلت في عضد «الليابان» وأنتفت قواها . كان المسؤولون اليابانيون قد توهموا أنّ الاستيلاء على جنوب شرق آسيا . وعلى مواردها التي لا يخصّها عدّ . يمكن بلا دهشة من حمل وزر التزاحمه طال أجله . فإذا خطأهم فادح فاضح ! وإذا هم مضطرون إلى حماية الامبراطورية التي اقطعوها من عدو يستطيع . متى شاء . أن يتقدّم الموضع الذي يرميه بقوّة المادي الضخم المائل . ومن أين «الليابان» أن تكون منيعة الجاذب في كل مكان . والأراضي التي تخفق عليها رايتها لا تزال تعتقد . بالرغم مما تخلّت عنه . من «الفيليبين». إلى «برمنيا». إلى «الكوريل». إلى «مشوريا»؟

شدّ ما تملّك الناس والأمم المهدّدة إلى الأخذ بسحر الألقاظ ! ولذا فقد أطلق على خطط الدفاع التي وضعتها هيكل الأركان الامبراطورية العليا اسم «اصطلاح طنان»، ألا وهو «شو» («النصر»). وبالغاً ما بلغ هذا المبدأ من الحماقة ، فإنه كان يوقّر لوضع مستحلب المحاجة الوجيدة لإيجاد حلّ معقول . أمّا الخطة فتقوم على تشكيل قوة احتياطية متصرّكة خاصة بكلّ منطقة معرّضة للتهديد . قد يُفلح المهاجم في مداهنة مفاجأة أولى . ولكنّه سيرى في الحال قوّات مهيبة ضخمة تسرّ إليه جميعها فتحاول سحقه . وبعدها يلغى خططات «شو» أربع خطط : «شوا» يتعلّق بالفيليبين . و«شو ٢» بفورو موزا وبجنوبي الصين . ويختصّ «شو ٣» بجزر الوطن الأم الثلاث : هونشو و«سيكوكو» و«كويشو» . أمّا خطة «شو ٤» فتعتمّ بالجزيرة الكبيرة الرابعة . «هو كايدو» .

كانت خطة «شو ١» أقرب الاحتمالات وقوعاً في نظر اليابانيين . فلو قُبض للأميركيين أن يختاروا في «الفيليبين» لغدت جزر الوطن الأم على متناول قاذفات قنابلهم . ولتمكنوا من تلقيح المواد الاستراتيجية كالنفط والمطاط والقصدير وغيرها المتقدّفة إلى «الليابان» من جزر «السود» («ماليزيا») . ولذا فقد قرر رأي العسكريين والصناعيين على اعتبار المحافظة على «الفيليبين» قضية حياة أو موت . و«الفيليبين» مجموعة من ٧٠٠ جزيرة بين كبيرة وصغيرة . تقع تحت رحمة خصم تكتّل له سادة البحر من أيّة جهة أتاهَا !

جعّلت مجموعة جيوش المارشال - كونت «هسايانشي يوشى» سوّولة

عن قطاع جنوب شرق آسيا . فجعل مقربة العام في «مانيلا» .

وأسند أمر الدفاع عن «الفيليبين» في هذا الإطار إلى القطب الرابع عشر

الذي كُلف بقيادة قاهر «سنغافورة» التوري الشكيمية «توموبي» يامايشينا .

حاملة الطائرات «برنسون» وقد أصابتها الطائرات اليابانية إصابات خطيرة .

ففضلاً عن الحاملات المرابطة في المطر الرئيسي . قسم ما يقارب الـ ١٥٠،٠٠٠ رجل كتلين . فجعلت إحداهما في الشمال في جزيرة «لوسون» . والأخرى في الجنوب في جزيرة «منداناو» . كانت إمكالية حشدهم بسرعة في أية مطفأة تتعرض للهجوم أمراً لا بد من تأمينه . وكان ذلك يختتم حرية النقل البحري . وهكذا عادت نظرية الدفاع عن «الفيليبين» . كما عادت خطط «شو» كلها بشكل عام . إلى الفكرة التي طالما تعانى بها البحارة اليابانيون . الأوهى تبنة أسباب معركة بحرية ضحمة تعيد زعامة البحر إلى «اليابان» ولو مؤقتاً .

ولكن وضع البحرية الإمبراطورية لم يكن مرضياً . فاصطدمت الجهد الذي بذلتها في سبيل استعادة توازنها بعقبات كأدء . عزمت على استبدال حاملات الطائرات المدمرة . فعمدت إلى تحويل البارجتين القديمتين «إيزي» و«هيوجا» . وإلى استخدام هيكل «الأماغي» . شقيقة «الياماتو» العظيمة . ضمنت هذه القلاع إلى «زويكاكو» بطلة «بيرل هاربور» . وإلى حاملات الطائرات الحقيقة «شيدوا» و«شيتوزي» و«جيوني» و«ريوجو» . فأعادت بها تشكيل قاعدة جديدة لسلاح الطيران البحري دعيت الأسطول الثالث . أو فياق الميدان . واحتفظ بقيادتها الأميرال «توكيزابور و أوزاوا» . محارب بحر «الفيليبين» العيني العائز الحظ .

أعيد إرساء القاعدة . ولكنها ظلت تفتقر إلى القدرة . فالمجزرة المستمرة منذ موقعة بحر «الرجان» أبادت في الواقع طياري النخبة الذين أبلوا أحسن بلاء في «بيرل هاربور» . كان تدريب الملحقين الجدد يسيرًا نسبياً في البحرية الأميركية . عسيراً غاية العسر بالنسبة لعنصر البشري الياباني . ولقد ذهب بعض المتعصبين من الضباط القيتاليين إلى أنَّ الطيار لا يحتاج لكل ذلك التدريب من أجل أن يتحطم بطائرته على سفينه معادية فيجرها إلى حتفها ، إلا أنَّ هذه العقيدة ، التي سيدرين بها رجال «الكاميكازى» العنيدين ، لم تكن قد حظيت بعد بموافقة السلطات البحرية . كان على أسطول «أوزاوا» ، واللحالة هذه ، أن يتنتظر في بحر «اليابان» الداخلي ريشما يتم تدريب طياريه البطيء .

ندا الوضع أفضى حالاً بالنسبة لسفون الكلاسيكية . «فاليماتو» و«المواشي» (٦٥،٠٠٠ طن ، ومدافع من عيار ٤٦٠ مم) ما زالاً أقوى سفن القتال في العالم . وعدد البارج القديمة والطرادات الثقيلة ما في ضخماً . ولكن الوضع كان يشكو نقصاً في المدمرات والسفن المساعدة . وخاصة في ناقلات النفط . فيما اتصف اليابانيون بالضعف في سائر قطاعات حرب الغواصات المحمومة والدفاعية على السواء . لم ينزع الأميركيين منازع في هذا المضمار . فتمكنتوا من إزالت أحد الحسائر بسفن النقل . جاعلين من السفن الصهاريج أهدافهم المفضلة . وسوف تضع السلطات البحرية اليابانية التي تم استجوهاها بعد الحرب عمل الغواصات الأميركية في طليعة العوامل التي أدت إلى الهزيمة .

قضت صوبات التموين بتقريب كتلة القوات البحرية اليابانية من «صاصي» (بورنيو) و«سومطرة» . فلم يبقَ في «كوري» و«سازيبو» . ففضلاً عن حاملات طائرات «أوزاوا» الحالية من الطائرات . غير أسطول الفيس - أميرال «شيمما» ، المؤلف من ٣ طرادات و ٤ مدمرات . أمّا ما تبقى فقد انقلب . بقيادة الأميرال «تاكيو كورينا» ، إلى مرفا «لينغا» القريب من «سنغافورة» . إنها لقوّة بحرية رائعة : ٧ بوارج . ١١ طرادة . ثقيلة . وطرادان خفيفان . و ١٩ مدمرة لا غير .

تلك كانت العدة التي اعتمد عليها القسم البحري من خططة «شو» . وإنها لتحمل سمة اليأس الذي دفعت إليه «اليابان» . ولكنها لم تعرف به . بناءً على ذلك . سيقوم أسطول «أوزاوا» . نظراً لعجز حاملات طائراته . مقام الطعم . فيجتذب إليه عمداً سفنَ الأميرال «هالسي»



جندي أمريكي يظلل بيده وجه زميل له جريح حاجباً عن عينيه أشعة الشمس.

نزل مشاة البحرية الأميركية على أحد شواطئ «النبي» تحت وايل من نيران الأسلحة الآلية وطلقات رماة النخبة .



الشاة والمصفّحات
تقدّم عبر الواقع
التي كان اليابانيون
يختلّونها . ولكن
مصير «ليبي»
سيتعرّف في البحر لا
على اليابسة .



في الهدف التالي ، وبالنظر إلى توقيت التحرّكات الأميركيّة المعاد اعتبر تشرين الثاني موعداً للزحف عليها . ييد أن اليابانيين جهلو ما إذا كان العدو سبوجه ضربته إلى الشمال أم إلى الجنوب . أم إلى الوسط . على «لوسون» . أم «منداناؤ» . أم على إحدى الجزر المجتمعة في بحر «فيزايا» وهي : «باناي» و«نيغروس» و«سيبو» و«سامار» و«ليبي» ...

الضيّخمة . ووفقاً لـ«لكورينا» فرصة تدمير القوات البحريّة والبرية التي ستحاول بها «أميركا» غزو «الفيليبين» ! وإن موعد هذا الغزو ليدنو بشكل ملحوظ ، ففي أيلول حمل «ماك أرثر» على جزيرة «موروتاي» الواقع بين «غينيا الجديدة» و«منداناؤ» . فاحتلّها . وحمل «نيميتز» في الشهر عينه على أرخبيل «دالاو» الصغير الواقع على مسافة ٥٠٠ ميل بحر إلى الشرق من «منداناؤ» . فاستولى عليه . بدلت جزر «الفيليبين» وكانتها

استمرّ تقدّم الشاة
في ٢٤ تشرين الأول ،
فيما كانت تحاكي
خيوط أكبر معركة
بحريّة عرفتها
الأرضنة الجديدة .



مَارِكُ لِيَّتِي الْثَالِث

الأصدقاء، «ينزون في أماكنهم» بانتظار استسلام «الإيابان» الذي كان مايزال بعيداً، من غير أن تثير بذلك خيبةً وطنيةً تعكس أصداؤها على قضايا الحادى، حلال سين طولية، فـ«مالك أثر»، وهو سيد «موروتاي». كان متأهباً أن يقفز إلى «منداناو»، ومن «منداناو» إلى «ليبي»، ومن «ليبي» إلى «لوسون». ولتسهيل هذه العودة المظيرة، كان على البحرينة أن تضع نفسها في تصرف «منطقة الحادى» الجنوبية الغربية».

بعد الأميركيين استمر الحال السرائيلي بخشونة. عند الأميركيين، قادرون على تصويب ضرباًهم إلى قلب «الإيابان» مباشرةً، وبقى «مالك أثر» على رأيه القائل أنَّ طريق «طوكيو» إنما تمر «بالفليبين» دون سواها.

في تموز دعا «جورج مارشال» الجنزال «مالك أثر» إلى «هونولولو»، ولم تسفر مقابلة «هونولولو» عن نتيجة حاسمة. واستمرت المناقشة في لحنة رؤساء الأركان العامة. وراح الجنزال يتجه نحو حلٍّ سهلٍّ، فقد الأمل على أن يستولي «نيميتر» على قاعدة «باب»، فيما يستولي «مالك أثر» على «منداناو» و«ليبي». وبعد احتلال هذه الأخيرة سوف يقرر، حسب الظروف، إنما إنجاز تحرير «الفليبين» باحتلال «لوسون»، وإنما الانقضاض مباشرةً على «فورو موزا» في آذار ١٩٤٥.

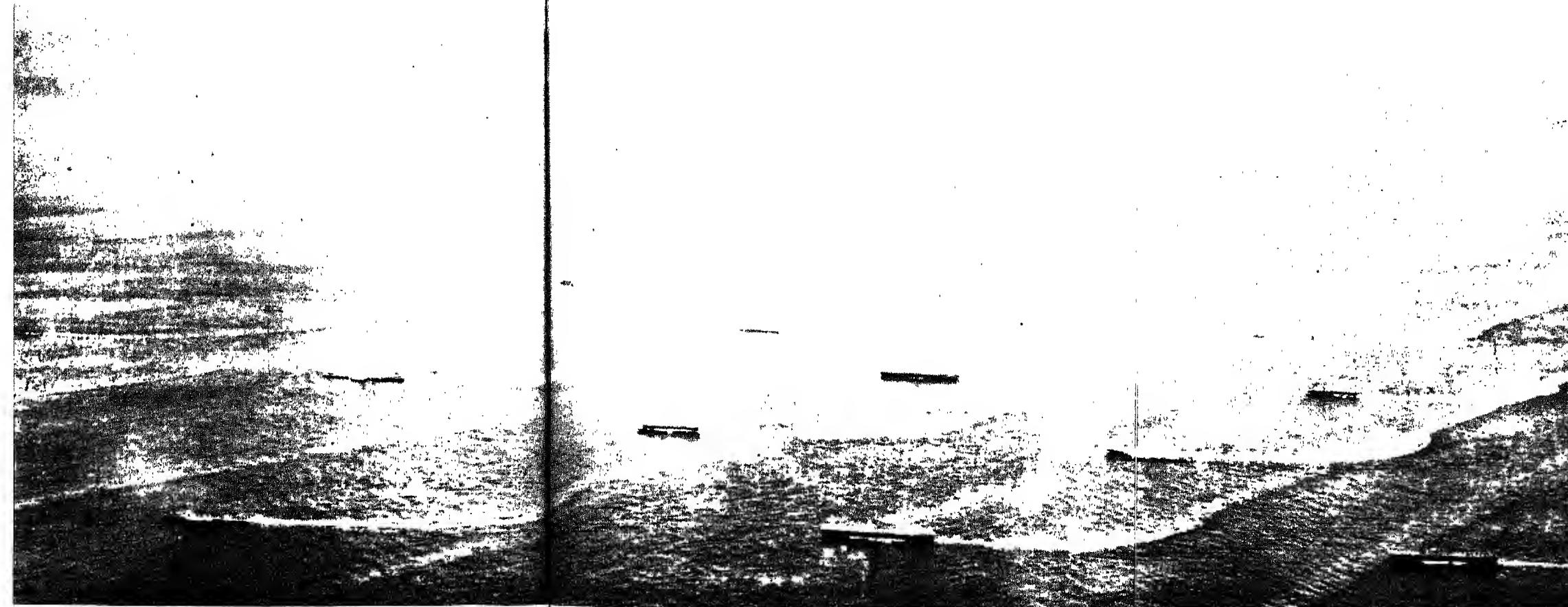
فوجيء «مالك أثر» بوجود الرئيس «روزفلت» هناك، وقد كان راغباً في تكوين فكرة شخصية عن نزع الحادى السرائيلي. كان الأميرال «كينغ» قد استبقي في «واشنطن»، إلا أنَّ الأميرال «نيميتر» قد دافع عن نظرية البحرينة، ألا وهي تركيز القوات كافة تحت قيادتها والنزول في «فورو موزا». فالبلورة

الفيليبي ومقتله؟ وكأنه بريء مسحورة قد هيئت تحمل هذا الاقراح الرجل؛ فقد نقله «نيميتر» إلى مركز «كيبيل» مباشرةً، مما كان من «كينغ» و«مارشال» و«أرقول» إلا أن قطعوا غذاء أبيته كانوا يتناولونه وانصرفو إلى دراسته. وبعد انقضاء ٩٠ دقيقة انطلقت المدفعية نحو الحادى الجنوبي؛ إنَّ الجنزال «مالك أثر» والأميرال «نيميتر» مدعاً إلى التخلي عن العمليات الوسيطة، واستثناء إحتلال جزر «بابلو». لتنفيذ نزول في «ليبي» في أقرب مهلة ممكنة. وألحق الفيلق ٢٤ «منطقة الحادى» الجنوبية الغربية، بعدما كان قد ركب البحر شطر «باب». فانضم إلى الفيلق ١٠ وكونا معًا الجيش السادس بقيادة الجنزال «والتر كركر»، وغيير المخططات وعدلت الطرق الفنية للتزويد والتموين، ودفع الجنزال القائم بين الجيش والبحرية في خضم الارتفاع والعمل.

المادة ٢٤ - قد نزل في خليج «سان بندرو» الصغير، في أقصى خليج «ليبي»، في جوار العاصمة الصغيرة «تاكلوبان». وأمام الفيلق ٢٤ - فرقاً الماشة ٩٦ و٧ - فقد نزل على نحو من ٢٠ كلم إلى الجنوب قرب مدينة «دولاغ» الصغيرة ومطاراتها. وإذ أنَّ الإيابان كانوا عالمين بقوهالسحق التي تعممت بها النيران الأميركيَّة فوق رجال الشواطئ، لم يخصُّوا الساحل، بل ظنُّوا دفاعهم عميقاً، وتم الاستيلاء على «تاكلوبان» ومطاراتها. وكذلك على «بابلو» و«دولاغ». منذ اليوم الثاني، وبعد ظهر اليوم الأول، كان «مالك أثر» قد نزل إلى الشاطئ، فخاض الماء بقارب حتى بلغ ركبته، وبن الشاطئ نفسه وجده إلى الأمة الفيليبينية خطبة تشويها حرارة شبه روحانية. وبعد ذلك يبوّبون نصب باحتفال في «تاكلوبان» خليفةً «مانوييل كوريزون» هو «سيرجيو أوسمينا». وكانت سابقاً قد رفض المفوض السياسي الذي أرادت «واشنطن» أن تلحّقه به للمحافظة على الأربعين، وهذا الشرعية قد أثبتت إلى الحياة. وعادت المؤسسات إلى العمل على أول رقة من الأرض المحررة.

إلا أنَّ معركة «ليبي» البرية بقيت في المرتبة الثانية. فصimir الجزيرة لم يكن ليقرر في الجزيرة نفسها، بل في البحر، حيث كانت تجري معركة بحرية مفتوحة ومؤثرة.

في ١٨ تشرين الأول أصدر الأميرال «توبادا» أمراً يتفيد المخطط «شو ١». وأساساً حاملات الطائرات، التي كان دورها يقضي بأن تستدرج نحوها قوة الصدام الأميركيَّة. فلم تكن تعدَّ غير ١١٠ طائرات يقودها طيارون كانوا في الغالب لا يعرفون أنَّ يهبطوا على مدارج الحاملات. وأمام البارجان المحوّلَان، «إيزري» و«هيروغا». فلم تكونا تملكان طائرة واحدة، وإن كانت مدفوعتيهما الرئيسية قد انتزعَت منها. فقد بقيتا عاجزتين من الناحية العملية، ولكنَّ قرار اصطدامهما بالخذل الدعم التأثير الذي سوقه الأسطولين الفدائيِّ أو الأسطول الطعم. ولو سوف يقول الأميرال «أوزوا»: «كنت أتوقع تدمير أسطول بكامله. ولكنَّ الأمر الوحيد الذي كان يحيط هو أن يتمكّن «كورينا» من إنجاز مهمته...». وفي ٢٠ تشرين الأول أصرَّف جهاراً مصطفحاً «إيزري» و«هيروغا» و«زوبيكا» و«زاوبيه» و«شيتوزي» و«شيبودا». و٣ طرادات، و٨ مدمرات، وسفن نقل، وناقلات نزول عديدة، وغيرها من هذا الحشد أن يفهم ويُوَثِّر. كان «كورينا» من جمهه، قد غادر «لغارودز». متوجهَ نحو «بروني» على ساحل «بورنيو» الشمالي. وفي ٢٢ غادر «بروني» وقد انقسم جيشه البحريَّ كثيلين، كانت أقلَّ هماين الكثيلين أهمية، وهي بإمرة الأميرال «نيشيمورا». مؤلفة من البارجين (فورو) و«باماشiro»، ومن الفراد القليل «موزامي». بضعة، مدمرات، وكان مستيقناً أن تلحق بها سفن الأميرال شيمما «السبع». وأن تسر شطر مضيق «سوريانو» للالتفاف حول «ليبي» من الجنوب، وأمام القوة الرئيسية، التي كانت بقيادة «كورينا». فقد كانت تضم البارج (ياماوتر) و«موشاشي» و«نوغانو» و«كونغو» و«هارونا»، و١١ طرada، و١٥ مدمرة، وكان عليها أن تعبّر مضيق «سان بندريون». بين «لوسون» و«سامار». وأن تستدير حول «سامار» ببلغ طولها ١٥٠ كلم، وعرضها ٣٠ كلم، تُمْدِدَ «منداناو» و«سامار»، لتستيقن في خليج «ليبي» مع «نيشيمورا» في آن معًا. كانوا يرجون أن يكون الأميرال «هالسي» قد اندفع بأسطول «أوزوا» في تلك الأثناء، وكانتوا واثقين من أنَّ محرك ستحتل بالسفن الأميركيَّة العتيقة الباقية أمام «ليبي»، ومن أنه سيجري عزل القوات المنشورة إلى الشاطئ، فيُخفِّق بالتأخير «الفليبين»... وأقبل يوم ٢٣ تشرين الأول، وعاد الحادى، إلى صفاها شيئاً فشيئاً، وهي مكشوة بالأدغال، ومنذ غزو «أفريقي الشماليَّة» لستين قصرين، خللاً كان التكثيف الأميركيَّي المعتلى بعمليات الإنزال قد تحسّن تحسناً جيئراً، فائزلاً «ليبي». أي ٧٠٠ سفينة و ١٧٥.٠٠٠ رجل، قد حصل وكانت تمثيلية ذات أدوار متعددة، فالفيلق ١٠ - فرقة الخيلاء، فرقة



أسطول المحيط الادى، ضمانة القوة البحرية الأميركيَّة.

جزء لا يُسْجِّلَ من الامبراطورية اليابانية منذ ١٨٩٥، واحتلها معنى قطبي «الإيابان» عن معانها جمعياً، بما فيها «برومانيا» و«ماليزيا» و«الفليبين» التي كانت تخدم أكثر من مليون رجل، ولو سوف تندُّو «طوكيو» على بعد ٣ ساعات من مدى طائرات «ب-٢٩»، ولو سوف تضافر المؤهلات كافة، وبصورة قصوى، لإخضاع «الإيابان» بالحصار والتصفُّ.

من الناحية العسكرية كانت نظرية «نيميتر» مقطعة، إلا أنَّ براهين «مالك أثر» قد تعددت حاجز السرائيليَّة، فتناولت اعتبارات سياسية، ونفسية، وعاطفية؛ فالفليبينيون قد حصلوا على وعد أمريكيَّ بأنَّ ينالوا الجنديَّة؛ وكانوا ينتظرون، يخدوهن الإخلاص والثقة، وهم يخوضون ضدَّ العدوَّ حرب أدغال. ولم يكن باستطاعة «أميركا» أن تترك ١٧ مليوناً من

كان يوم ٢٤ حامياً، حاول الأميركيون سحق أسطول «كورينا» و«نيشيمورا» قبل أن يصل إلى المصايف، وأطلق اليابانيون طيرانهم المتمركز في الجزر، فسجّلوا أول هدف لصالحهم. وفي مطلع الصبيحة تلقّت القوة البحرية الأميركية بقيادة الكونتر-أميرال «فريديريكس ل. شيرمان» هجوماً عنيفاً شنته ١٥ طائرة، وقد تمكنّت آخر طائرة من الموجة من إصابة الـ «برنسون» بأحد طوربيداتها، فتصاعدت من حاملة الطائرات دفق هائل من دخان، وقد استمرّت مكافحة النار الإنقاذ حتى المساء، ولكن لم يرَ أصحابه مفرّاً من الإجهاز عليه.

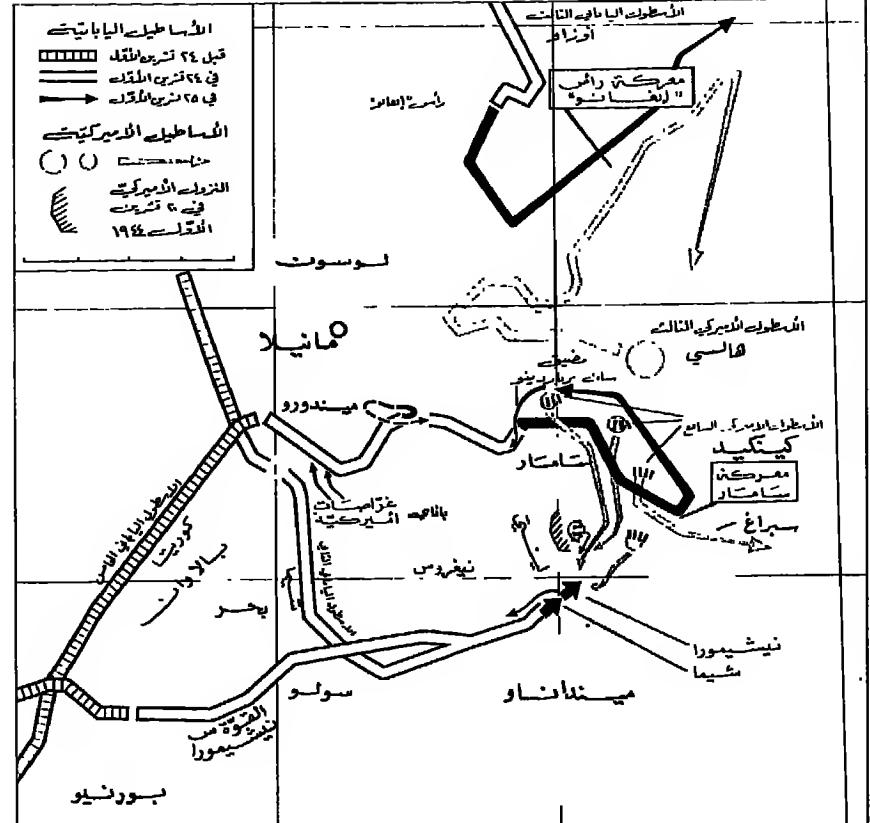
إلا أنَّ الحسارة قد لحقت باليابانيين على حد سواء. فقد هوجم أسطول «كورينا» في الساعة ١٠٠٢٦ ١٠٠٤٥ و١٢٠٤٥ و١٣٠٥٠ و١٥٠٥١. ولم يكن بيسور مدفعتيه القوية المضادة للطائرات أن تعرّض من طيران المطاردة الذي كان متقدراً إليه. وأصاب سفنه «وابل» من نار، فلحقت، بأكثريها، ومن جملتها الـ «ياماتو». أضرار جسمية، وأمّا العملاق الآخر وهو الـ «موشاشي»، فقد أصبح اثنى عشرة مرّة، وبقي يشتغل طوال النهار. ثم جنح عند الغروب، وراح «كارينا» يفكّر بأن يعود أدراجه. وعادت «طوكويو» كروّها بأنه كان متوجّهاً عليه لأن ينجز مهمته حتى النهاية، مما بلغ الثمن. وأثناء هذه المقابلات القاسية استأنف «أوزوا» سيره يائساً من عثر العدو عليه. وكان قد أطلق طائراته كافة علىأمل أن تجد لها مرمى لثيرانها، فهبط أكثرها في «لوسون» من غير أن يقع على سفينة واحدة. وتُمكّنت ٢٣ طائرة فحسب من العودة إلى حاملاتها.

وأخيراً، عند العصر، حلقت طائرات استكشاف أميركية فوق الأسطول الياباني، وعلم «أوزوا» أن العدو قد اكتشف موقعه، وعلم بتحاربه «أوزوا» أنه قد قضى عليهم. وعلم «هالسي»، وقد تصبّب منه عرق القلق، أنّه كاد يقع فريسة للمفاجأة. ففيما كان يسلط جهده على بحر «فيزيابا»، وفيما كان يرسل أساطيله لاصطياد أسطول البارج والطرادات اللذين كانوا مبحرين نحو «سورينغاو» و«سان برنادينو»، كانت قوة العدو الرئيسة، بحاملات الطائرات كلّها، تقدّم لطعنه في ظهوره. فقد حان الوقت لإزالة هذا الخطّر، وما دام العدو راغباً في القتال. فقد وجب إشعال معركة ولا عنف.

إنطلقت الأوامر في مقتبل الليل، وجمعت القوات الثلاث الموجدة أمام «سومار» واتجهت نحو رأس «إنغانو»، وهو الطرف الشمالي بجزيرة «لوسون». كان متوقعاً أن يجري اكتشاف العدو عند الفجر، وأن يشنّ القتال في مستهل الصبيحة.

لقد ترك ذهاب الأسطول الثالث مضيق «سان برنادينو» من غير دفاع، وكشف جانب الأسطول السابع الأربعين. واستبدل الذعر بكثيرين من مروّسي «هالسي» لهذا السبب، إلا أنَّ القلق لم يكن يتعري الأميركي البالغة. فطوال النهار كان طياروه قد صبّوا على الأساطيل العتيبة المتوجهة نحو المضائق جام ضرباتهم، فألحقوا بها أضراراً جمةً من غير أن يتکبدوا خسائر تذكر، وقد أغرتت بارجة جبارّة، وأمّا السفن الكبيرة الأخرى فقد قُصفت جميعها أو تُسْفت بالطوربيدات. كان على العدو أن يضمّن جراحه، أو. على وجه الاحتياط، أن يستدير عائداً أدراجه تحت جنح الليل. كانت نفقة «هالسي» عظيمة، وكانت رغبة ملحنة تحدّه للخلاص من حاملات الطائرات اليابانية، حتى أنه لم يترك ولو مدرمة واحدة للحراسة في منفذ «سان برنادينو» كما أهمل إعلام «كينكيد». بأنَّ جانب الأسطول السابع الأربعين سوف يخدو معرضاً؛ فانقضّ على «أوزوا» لا يلوّي على شيء، وذلك وفقاً لمشيّة «أوزوا» ورغبة الأركان العامة الامبراطورية بال تمام

كان الليل شديد الحرّ، وكاد الرجال يختنقون في قعر السفن. وفي



معارك «ليتي».

السابع. بإمرة الأميرال «توماس ل. كينكيد»، الذي كان مكلّفاً بتنفيذ التزول وبحماية المباشرة، فقد ملا خليج «ليتي» بكتلة من السفن ذات الأحجام المختلفة، والتسميات المختلفة، والاحتياطات المختلفة. وكانت ترافقها البارج العتيبة الستّ. «ميسيسيبي» و«ماريلاند» و«وست فيرجينيا» و«تينيسي» و«بنسلفانيا» و«كاليفورنيا». لم يكن الأميركيون يتوقعون حلول معركة بحرية، ولم يكونوا شاعرين بالقوات اليابانية الثلاث المتوجهة شطرهم في آن معاً.

عند الفجر دخل الأسطول القادم من «بروني» الممرّ المائي الضيق الذي يفصل جزيرة «بالاو» الطويلة عن مرتفع بحري يعرف «بدينجر وس غراوند»، وكان يحرّ في خطين متّسقين؛ كان يتقدّم خطّ اليمين الطرّاد «أتاغو»، ترفرف عليه راية الأميرال «كورينا». وبعد الساعة السادسة بدقائق معدودة أصابته طوربيدات «عدة» أغرت مواقده وانتزعت مراوحه ودفّته. وقد نسّف الطرّاد اللاحق «تاكاو» كذلك بالطوربيدات. ومن بعده، في الساعة ٦٠٤٠، لقي الطرّاد «مايا» المصير نفسه، وهو السفينة الثالثة في زيل اليسار. غرق «أتاغو»، وتفجرت «مايا»، وراح «تاكاو» يبحو باتجاه «ستيفنور». إنَّ البحريّة الامبراطوريّة، التي هاجمتها الفوّاصات، قد وجدت نفسها من جديد ضحية قلة جدارها في القتال ضدّ الفوّاصات. واستأنف «كورينا» سيره بعدما نقل رايته إلى «ياماتو»، ولكنه بات مستضعفاً وقد حدّد العدو موقعه.

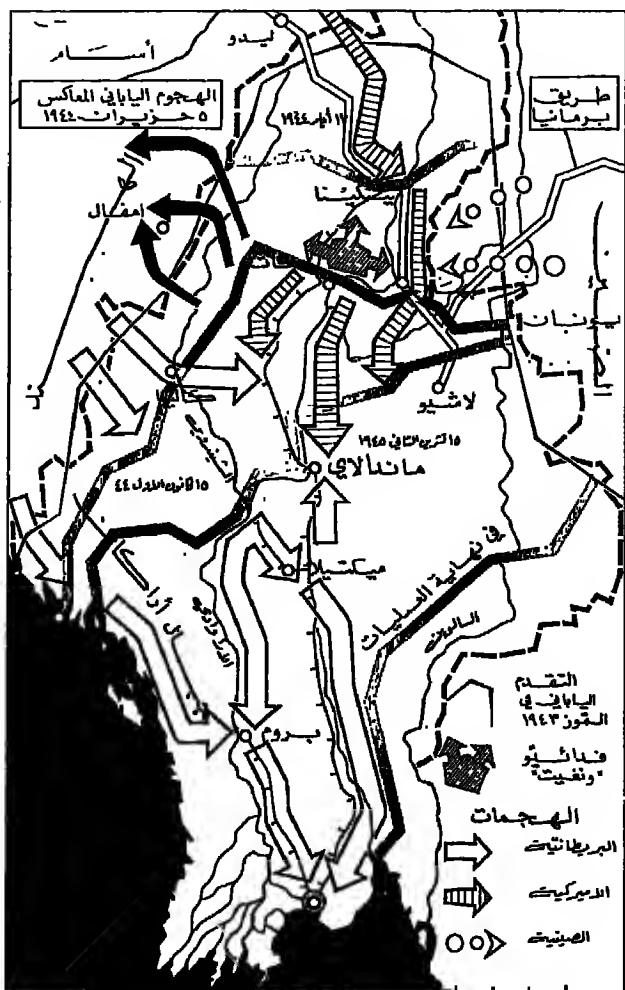
وخلال النهار تمَ كذلك تحديد موقع أسطول الأميركي «نيشيمورا» بواسطة الدوريات البحريّة. وأمّا القوة الوحيدة من القوات اليابانية الثلاث التي كان الأميركيون يجهلون وجودها في البحر، فهي تلك التي كانت تحاول أن تلقي إليها الأنّظار لاستنزال الصاعقة على نفسها وأبْحر «أوزوا» طوال النهار من غير أيّ حادث، وخلال الليل، انعطّف نحو الجنوب الشرقي بعنة الاقراب من «لوسون».

عاد «أوزواوا» أدراجه فاراً نحو الشمال. لا يقصد النجاة بل يبتغي استدراج العدو إلى أبعد نقطة ممكمة. وتعاقبت الغارات ابتداء من الساعة ٩. فأغرفت الغارة الأولى حاملة الطائرات «شيتوزي» وأعقبت حاملة الطائرات «زوبيكاكو». وأصابت الثانية حاملة الطائرات «شيبودا» بجروح ثقيلة. وألحقت الأضرار بالطراز «تاما». وأجهزت الثالثة على حاملة الطائرات «زوبيكاكو» وأحرقت حاملة الطائرات «زوبيبو». وأجهزت الرابعة على «زوبيبو» وأعطبت البارجة المعدلة «إيزي». واقتربت سفن المدفعية لتضيف قذائفها إلى القنابل. كان جلياً أن لاشيء يمكن أن ينقذ أسطول «أوزواوا» من التدمير الكامل، الذي ترقى إليه أمبراله وارتضاه.

ويع ذلك فقد حصل عكس هذا! إذ أن المعركة الثالثة من معركة «ليبي». وهي معركة «سامار». كانت دائرة هي الأخرى. فالإمبراطور «كورينا» كان يتوقع خوض القتال عند وصوله إلى مضيق «سان بernardino»، ولكنه من غير أن يطاق مدفعاً من مدفعه، وبعدما أضيئت الأنوار نزولاً عند رغبته. وراح يتقدّم بعجلة إذ أنه كان قد تأخّر ست ساعات. وهو يعلم أن لا حلّيف له في مقاماته المتموّلة غير السرعة.

وطعم النهار والسماء متلبدة بغيوم فاتحة تنذر بعاصفة وشيكة. كان البحر هادئاً، وكانت الريح ذات صر وف. ونشر «كورينا» سفنه، فوضع المدمرات إلى الجنبات، والطراادات في النسق الأول، والبوارج في تللين، فكانت «ياماتو» و«ناغوتو» إلى اليمين، و«كونغو» و«هارونا» إلى اليسار. وفي الساعة ٧ أبصر مراقبو «كورينا» في الأفق حاملات الطائرات، ففتح نير أنه على مسافة ٣٢٠٠٠ متر.

حملات «برمانيا».



وسمعت الجباراة كانوا ساهرين أمام مضيق «سان بربناردينو». الشماليّة كان الأميرال «كينكيد» ناعم البال، وهو موقن أنَّ «هالسي» السادس، واتجهت نحو الجنوب لتسدِّ مضيق «سوريناو». وفي اللحظة التي توقفت كلَّ حركة عند المغيب، وأقلعت سفن قتال الأسطول

تابع الأميرال «نيشيمورا» سيره طوال النهار عبر بحر «منداناؤ». ودخل إلى مضيق «سورينغاو» عند منتصف الليل. من غير أن يريث في انتظار سفن الأميرال «شيما» السبع التي كانت تبعه على مسافة نحو ثلاثين ميلًا في أعقابه. كان توقيته مضبوطًا كما في الحساب. وقد كان بيسوره أن يصل إلى خليج «ليتي» عند الفجر مع «كوريتا» الذي كان قد أتى من الشمال...

و فوق المياه الرائدة القائمة . اندلعت الأنوار . وإذا بأشباح منخفضة تتفصّ بأقصى سرعتها . و راحت المدفعية اليابانية تطلق نيرانها . وبسبب انعدام الخبرة . أو بسبب سوء الظالع . لم يصب طوربيد واحد من الطوربيدات الـ ۱۸۰ هيكلًا من هياكل سفن العدو . وفي الساعة ۲ بلغ «نيشيمورا» . من غير أن يلحق به أيّ أذى . شطر المضيق الأضيق . بين «مندانأو» و «جزيره ساحلية صغيرة من «التيه» . هي «نانيون» .

وانتشر القتال . وبعد الموجة الأولى انقضت فرقه مدمرات الكابتن
جاستن بـ «كاناد» تغدو بلهارها .

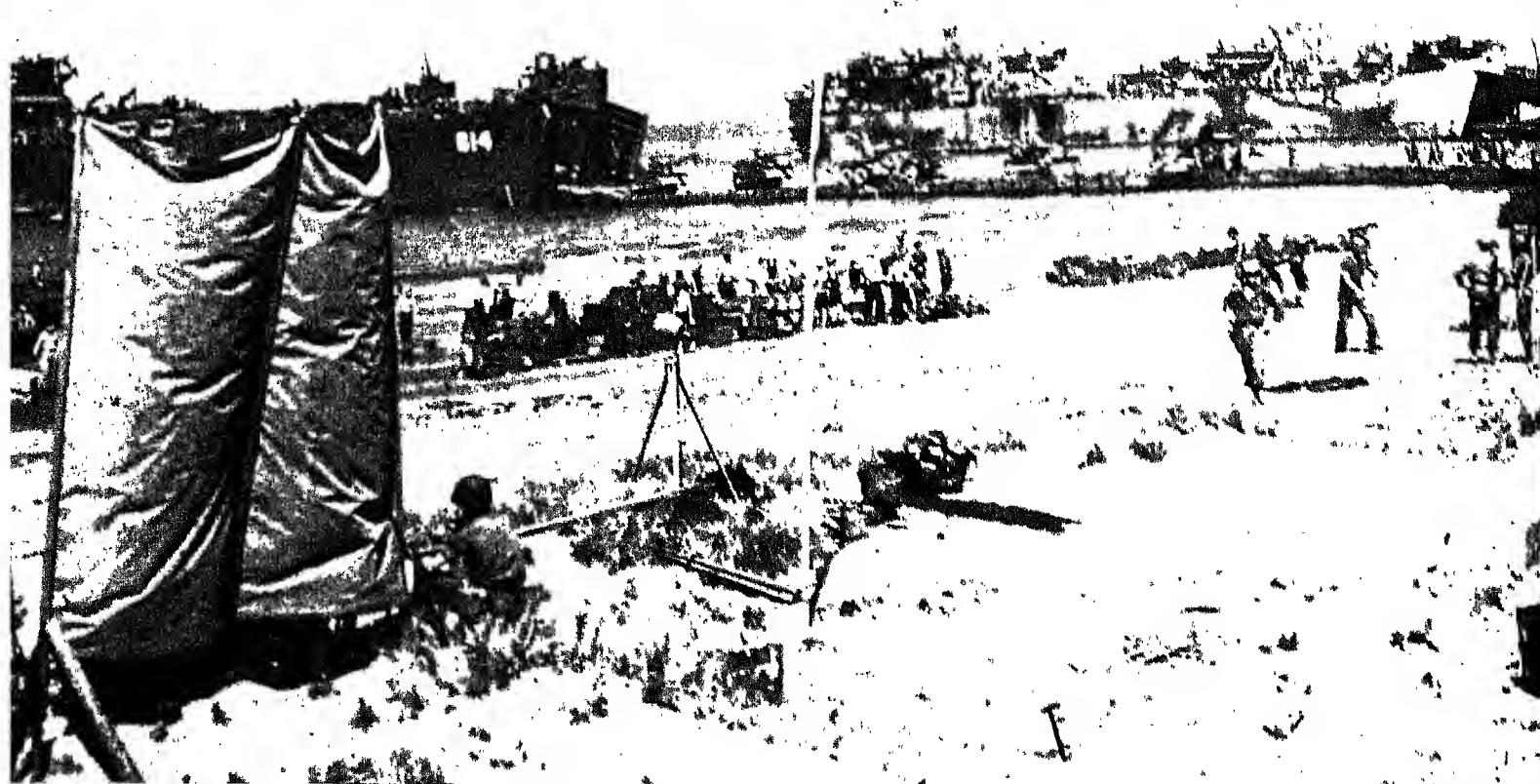
إنبعثت من الشرق ثلاثة سفن، فأطلقت ٢٧ طور يبدأ، ثم انسحبت متعرجة وسط المياه الصاخبة التي أثارتها قدائف اليابانيين. وبعد مضي ثمانى دقائق دوى بعض الانفجارات: فقد أعطبت الـ «فروز»، وهي إحدى بارجتـ، **«نيشيمورا»**. فماتت إلى السمن وقد أسقط في يدها.

وانطلق الهجوم الثاني من الغرب، تقدّمه سفينتا الفرقاً، الأخراب، وتفجرت مدمرة يابانية، وأخذت مدمرة أخرى في الفرق، فيما بقيت ثلاثة إلى الوراء تعرج. وتلقت بارجة الأميرال «ياماشiro» كذلك طوربيدًا، ولكنها قالت في تقريرها: «الطاقة القتالية سليمة، الاتجاه باق كما هو...». واستأنف العقاب مسيره. فشلت مدمرات الكابتن «ماك ميت» الكبير الهجوم بدورها. وأضاء المدفع «فوفوز» المضيق وقد ناجحت فيه كلة من لب قبل أن ينفجر سهامياً. ولم يبق في الميدان غير ثلاث سفن يابانية هي «ياماشiro»، والطراد الثقيل «موغامي»، والمدمرة «شيجورا». وأصاب الـ«ياماشiro» طوربيد آخر. فجمده برهة؛ ولكنها استعاد بعض من سرعته، واصل تنفيذ مهمته بعناد. فالتف حول عقب «ليبي» ثم اتجه نحو الشمال، والذهب الأفق أمامه: فوارج الأسطول السابع الاست. وطراداته الشمائية. قد انتصبت خلال المضيق مقيمة سداً مثلاً. وأطلقت هذه السفن جميعها نيراناً حامية بواسطة الرادار. فرد «ياماشiro» عليهما، ولكن ببعد قدرة واحدة مقابل كل خمسين قدرة! ولاحت فوق هيكله انفجارات عدّة. ومن بعدها لبّ عالٍ برأس كساه برمته. فجئن وغرق. وبذلك انتهت معركة مضيق «سورينغاو». وهي إحدى المعارك الثلاث التي تُوّلّف معركة «ليبي» البحرية.

وعلى مسافة ٣٠٠ ميل إلى الشمال. بدأت معركة رأس إلغانو». لم يتذكر بعض القوى الأميركية من الالتحاق بالمعركة. ولكن القوات التي كانت بقيادة الأميرال هالسي، ومساعده الأميرال مارك أ. ميشير كانت كافية للقيام بأية مهمة. فهناك ٦٤ سفينة جديدة هي ٥ حاملات طائرات ثقيلة. و ٥ حاملات طائرات خفيفة. و ٦ بوارج. وطرادات ثقلان. وستة طرادات خفيفة. و ٤ مدمرة و ٧٠ طائرة. وكانت هذه الكتلة تتقدم بسرعة ٢٥ عقدة في وجه السفن الـ ١٧ الغربية التابعة للأميرال أوزواوا؛ وفي وجه الـ ٢٩ طائرة التي عادت إليه في الليلة السابقة. لم يكن هناك مجال للقتال. وإنها لمجرة أكبر منها قتالاً.

”ماك أرثر“ يُسترجع المحيط الهادئ
قاڤرًا من جزيرة إلى أخرى

في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ نزلت القوات الأمريكية في جزيرة «لوسون» في «لغافين». كانت خطلة «ماك أرثر» تقضي بإزالة الجيوش على التوالي في عددة نقاط من الجزيرة الواحدة؛ يضاف إليها إزالة الجيوش بالمظلات، بغية ضعفه جهود العدو وتضليله.



١٠ تموز نزل «ماك أرثر» في جزيرة «بورنيو» بعد انتصار اليّي البحري . وكانت القوات الأوسترالية قد نزلت في الجهة الشماليّة الغربيّة من الجزيرة في ١٠ حزيران .

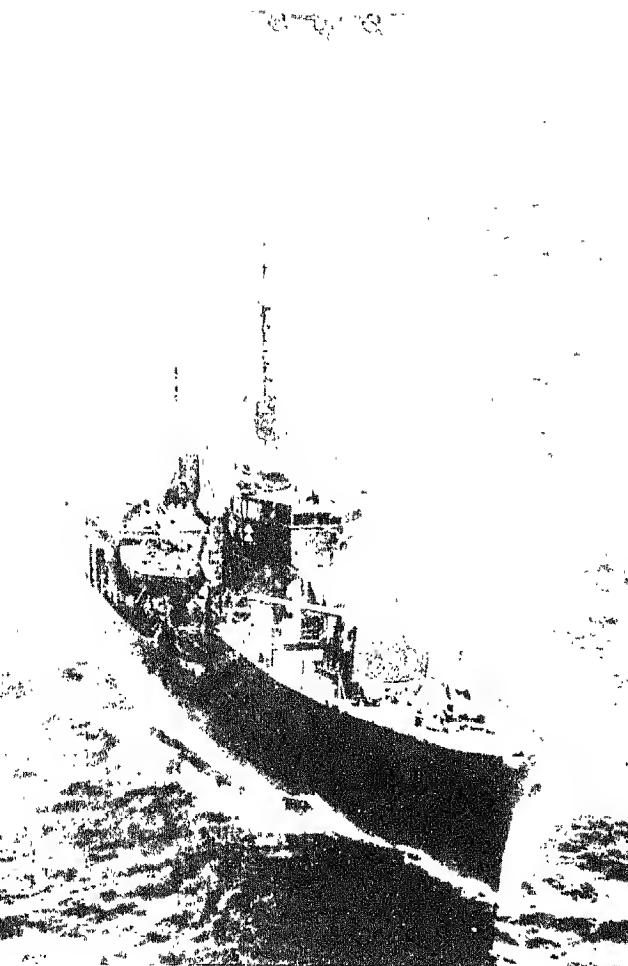
«ماك أرثر» وسط جنوده في شاطئي «باليكبابان» في «بورنيو» .

► بالجزء الـ « ماك أرثر » في إحدى سفن الإنزال .

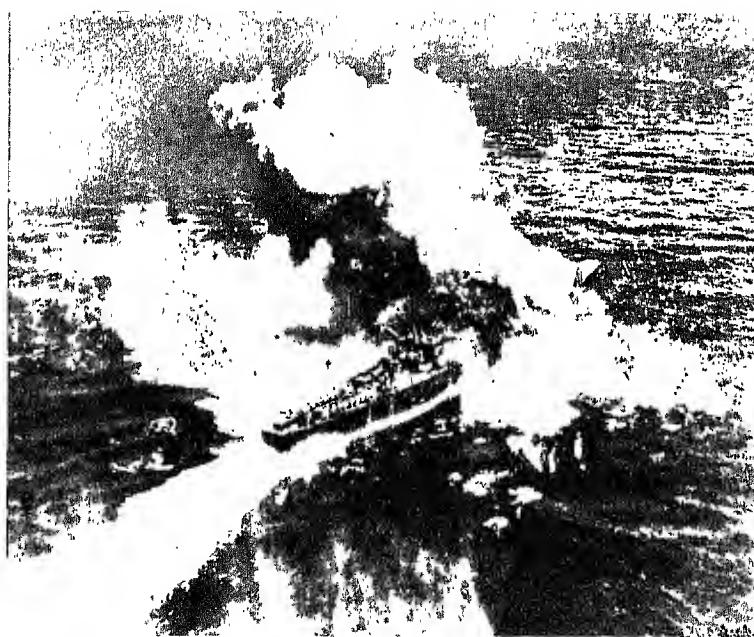


عد الأمير كيبين لم يُطلق الإنذار إلا في الساعة ٦٠٤٧. أطلقه طائرة جومائية تابعة للدورية مضادة لغواصات اكتشفت بذهول أسطولاً عدوًّا قوياً غربي «سامار». في البدء ظنَّ الأميرال «كليفتون سبرينغ» . وهو قائد مجموعة حاملات طائرات مواكبة. أنَّ في الأمر خطأ، وأنَّ تلك السفن كانت سفن «هالسي». وما هي إلا ربع ساعة حتى تعرَّف بنفسه إلى السفن اليابانية الكبيرة. وبعد ذلك راحت قذائف ضبخة تثير من حواه جبالاً من ماء. كانت المفاجأة كاملة. فسفن الأسطول السابع الرئيسة في جنوبِي «ليبي» حيث النصرت منذ مدة قصيرة في معركة «سورينغاو». وأمَّا الهيكل الذي كان باقياً في مكانه. فقد كان مؤلماً من مجموعة «كليفتون سبرينغ». ومن مجموعات مماثلة تضمَّ حاملات طائرات مواكبة. ومن مدمرات. ومن مدمرات مواكبة. إلا أنَّ حاملات طائرات المواكبة لم تكن في الواقع غير سفن تجارية جمهُرَت لتقترب نحو من ثلاثة طائرات. وأمَّا مدمرات المواكبة. التي كانت مهندسة لتومن حماية القوافل. فلم تكن سرعتها غير ٢٠ عقدة. ففي الوقت الذي يقْيِ انتحار «نيشيمورا» كاملاً. وفي الوقت الذي أزفت فيه ساعة تقْهُر «أوزاوا». كان بإمكان «كوريتا» أن يثأر لهما !

إلا أنَّ الأمير كيبين كانوا يقاتلون ببسالة وحذق. وتشد «سبرينغ» الأمان وراء ستار من الدخان دعَمَته مطرقة موائية. شنت مدمراته هجوماً معاكساً حازماً . وراحت قاذفاته ترافق العدو. بعدما دُعمَت بقاذفات المجموعتين الآخريتين. فإذا بكفتى المسائر تتعادلان: في الجانب الأميركي أغرت المدفعية اليابانية القوية المدمرتين «هوبيل» و«جونسون». ومدمرة

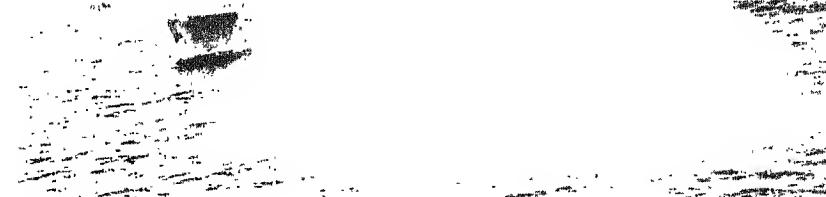


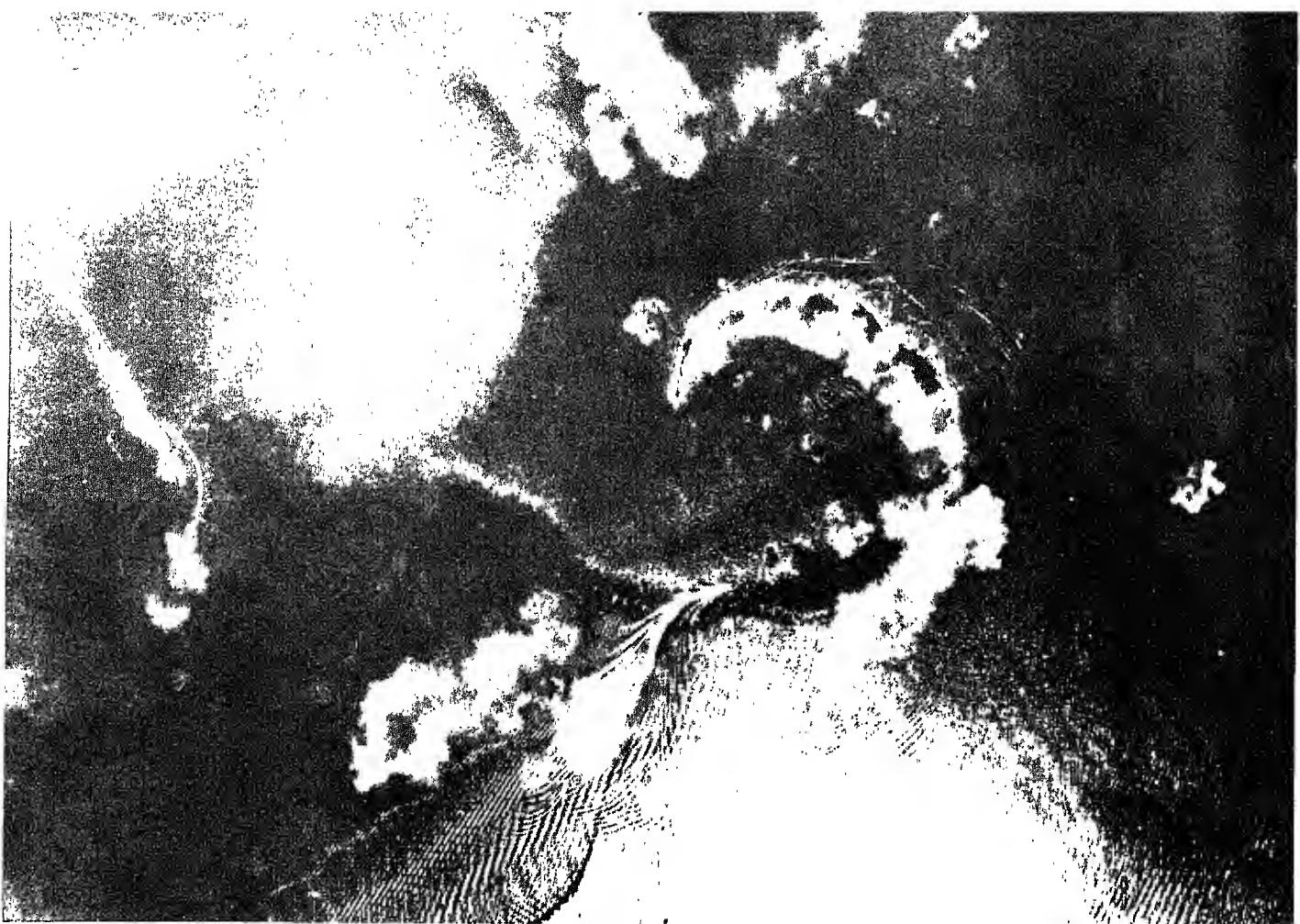
بعض مراحل معركة «ليبي» البحرية . فوق : طائرة أميركية «ب - ٢٥» تهاجم مدمرة يابانية تحمي قافلة توين . وإلى اليمين : صورة للمدمرة نفسها وقد أصيبت في وسطها فتطايرت شطايها . وتحت : سفن يابانية أخرى أصيبت إصابات قاتلة .



المواكبة «سامويل ب. روبرتس» . وحاملتي الطائرات «غامبيي» و«سان لو» . وتحت وطأة القنابل والطوربيدات الأميركية غرفت الطرادات الثقلة «شوكي» و«سوزويا» و«شيوكوي» . وأصيب الطرادان «كوماندو» و«توني» . والبارجة «كونغو» . بجروح. وفي الساعة ٩٠٢٥ ترك «كوريتا» القتال منكفاً نحو الشمال .

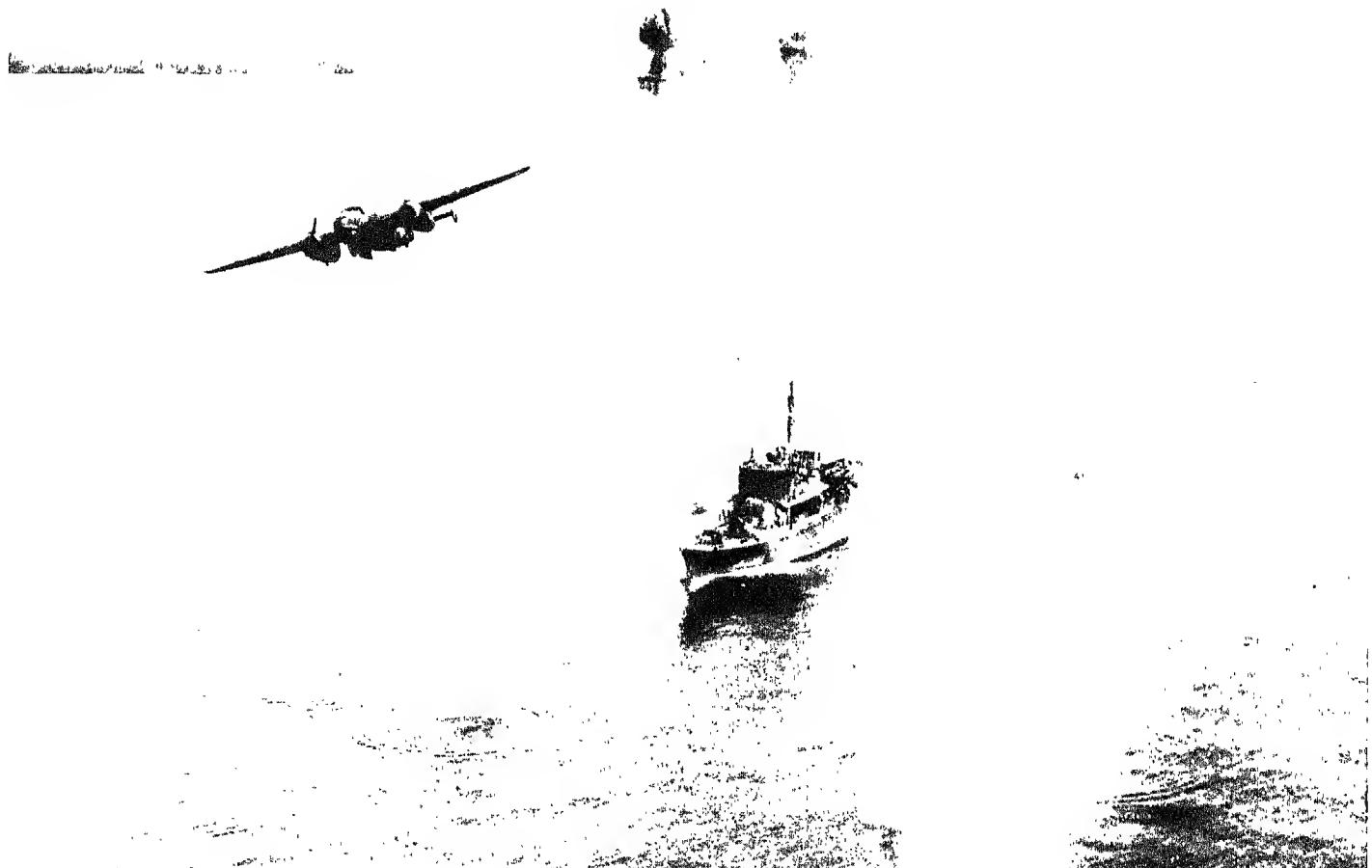
في هذا الوقت وصلت إلى الأميرال «هالسي» استغاثات عديدة من «كينكيد» وأوامر عديدة من «نيميتر». فقد طلب منه وحشَّم عليه أن يعود لنجد الأسطول السابع الذي كان في مهملة





فوق : منظر جوي لسفينة يابانية تداول لانتقاء الطائرات الاميركية .

سفينة يابانية أصابتها قنابل إحدى القاذفات الاميركية في عرض «كافينغ» .



إعادة فتح "الصّين" السماء تطرّق "طوكيو" شابّيب الموت

كان وضع الحلفاء العسكري والسياسي غاية في التعقد، فمسرح عمليات جنوب شرق آسيا خاضع لإشراف «الإنكليز»، وقد وضع تحت قيادة الأميرال اللورد لويس مونتباتن المقيم في «كيبيك». وفيما قدّمت بريطانيا العظمى، القسم الأكبر من القوات البرية (الجيش البريطاني)، بقيادة الجنرال «وج. سليم» وطيران القتال، اعتبر جسر «حملايا» الجوي، وهو الطريق الوحيد لتمويل «الصين»، عملية أميركية جبارة. وسيطر النفرذ الأميركي كذلك في «الصين»، حيث تسلّم الجنرال «كلير شينولت» قيادة الطيران الصيني، وحيث قام الجنرال «جوزف. ستيلوويل»، ميدانياً، بهمام رئيس أركان «شانغ كاي تشيك». ولقد نشأ عن هذا التشابك في الصالحيات، في بلد شديد الحرّ جبليّ موسميّ في الغالب، تشابك في القيادة والتنظيم جعل المسرح الصيني البرمائي أصعب ميادين الحرب العالمية على الإطلاق.

كانت التقارير الشخصية سيئة. قال «فينيفر جو» إن «ستيلوويل» جندي قدير نزيه، ولكنّه جفول حذر ولا يستطيع «تشانغ» أن يختتمله؛ وتشعر السيدة «تشانغ» بأنّ أقواله المتعلقة بالفساد الصيني موجهة إليها. ناصبته عصبة «شينولت» عداءً عنيفاً، واتهمه أنصار «الصين» في «واشنطن» ببغض الآسيويين والتحيز لصالح المستعمرات الأوروبيّات. والحال أن «ستيلوويل» لا يطيق الانكليز، وقد ملا سجل يومياته بعبارات جارحة مقدّعة تتعلّق بمجدهم وبخاذهلم. ولما ألحّن «بونباتن»، «أخذ يشحد لسانه الذّرّب على حساب الارستوغرافيّ الفتى». صرّت سلسلة القيادة، ولم يكن المتأخر ليصلح من أمرها شيئاً.

تضمن برنامج ١٩٤٤ ثلاث عمليات: أولاً، هجوماً يشنّه النبيق البريطاني ١٥ على المنطقة الساحلية؛ ثانياً، حملةً يوجهها النبيق البريطاني ٤ على المنطقة الوسطى؛ ثالثاً، رحضاً على «برمانيا» العليا تقوم به الفرق الصينية الثلاث التي حشدتها «ستيرويل»، تساندها تشكيلات انكليزية أكبر كثافة مختلفة. تشكل العمليات الأوليّات المرحلة الأولى من الرّاحف على «رانغون»، وتهدف الثالثة إلى إقامة طريق وإنشاء خط لأنابيب يمتدّ أن من «ليدو» ويلتّقيان طريق «منداو» في ما وراء «لاشيو»، مما سيسعّ

وقع «هالسي» في حيرة. فقد كان ممسكاً بزمام انتصار يبيد فيه العدو الذي كان يصرى أمامه. وراحت بوارجه تقترب من السفن اليابانية التي كانت إما أقدم عهداً وإما مصابة بأضرار. وكانت حاملات طائراته متأهبة لاستقبال الموجات التي سددت لنها الضربات الأولى، ومن ثم تناهت لإطلاقها من جديد. فاكتفى بادئ ذي بدء بأن أمر القوة التي تضم حاملتي طائرات ثقيلتين، وحاملتي طائرات خفيفتين، بأن تتجه نحو «سامار». بدلاً من أن تحاول الوصول إليه كما كانت تحاول منذ الليلة السابقة. وبعد ذلك، وإذا غدت الاستغاثات مسلحة . انتهى إلى قرار مختلف بوارج الأميرال «لي» الست عن المطاردة، وكذلك حاملات طائرات الأميرال «بوغان» الخمس، وكذلك «هالسي» نفسه على من «أنيوجرسى».

ويكمل هذه الأسفين جميمتها سفن الجحوب.
تضاءل وإبل القنابل المتتساقط على سفن «أوزوا»، وفي الساعة
١٧، ١٠ وقعت هجوم آخر لم يُستطع أية ضربة. وأمام الأميرال الياباني، الذي نقل
رأيته إلى الطرائد الخفيف «أويوتو»، فقد انتابه الذهول عندما حل الليل وهو
ما زال حيّاً ولسوف يُعيد إلى «اليابان» بارجتيه، فضلاً عن ٨ مدمرات
و٣ طرادات.

تمكّن «كوربينا» كذلك من النجاة، مُقدّراً أربعاء من بوارجه الخامس.
وعاد فاجتاز مضيق «سان بernاردينو» عند منتصف الليل، وهو يتقدّم
«هالسي» بعشرين ساعة. وأمّا التشكيلات الجوية التي سترسل في الغد
للبحث عنه فلن تجد له أثراً.

وهكذا كان انتصار «ليبي» الاميركي منقوصاً. ولكنـه الى ذلك يعني المـزيدـةـ النـهاـيةـ للـبـحـرـيـةـ اليـابـانـيـةـ. فالـخـاصـائـرـ الـتـيـ تـكـبـدـتـهاـ، وتـدـمـيرـ حـامـلـاتـ طـائـراـتـهاـ جـمـيـعـاـ، كـانـتـ تـحـظـىـ عـلـيـهاـ العـودـ لـىـ عـمـلـيـاتـ جـمـاعـيـةـ.

وـعـذـلـكـ فـقـدـ بـقـيـتـ «ـالـيـابـانـ»ـ تـقاـومـ بـضـرـاءـاـ فـأـنـشـيـهـ الـجـيشـ ٣٥ـ فـيـ «ـلـيـبيـاـ»ـ بـقـيـادـةـ الـلـيـوتـانـ. جـزـرـالـ «ـسـاسـاـكـوـ سـوزـوـكـيـ»ـ. وـجـاءـتـ قـوـافـلـ صـغـيرـةـ مـنـ «ـلـوسـونـ»ـ، وـمـنـ «ـسـيـبـوـ»ـ، وـمـنـ «ـمـنـدـانـاوـ»ـ، تـحـمـلـ الـأـمـدـادـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ الـمـاهـاجـمـةـ. وـكـانـ الـأـمـيرـكـيـونـ يـأـمـلـونـ فـيـ الـحـصـولـ عـلـىـ غـزـوـ سـرـيعـ بـعـدـ اـنـتـصـارـهـمـ الـأـوـلـيـةـ؛ وـلـكـنـ فـرـضـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـخـوضـواـ غـمـارـ حـمـلـةـ قـاسـيـةـ، زـادـتـ الـرـياـحـ الـمـوـسـمـيـةـ فـيـ قـساـوـمـهـاـ: فـكـانـتـ مـسـيـرـاتـ فـيـ الـبـحـرـ، وـمـعـارـكـ تـحـتـ أمـطـارـ عـرـمـةـ.

لقد بقي اليابانيون ذوي شكيمة حتى في البحر، ودخل «الكاميكازى»، وهو الفدائيون، إلى مسرح العمليات. كان الكونتر-أميرال «أرما» قد أثار المشعل في ۱۵ تشرين الأول، عندما أردى بطائرته على سفينة أمريكية. وبعد ذلك بشمانة أيام أنشأ رئيسه، القيس -أميرال «أونيشى»، وبمبادرة الشخصية، جهازاً لفداء ينبع الموت. وفي ۲۷ تشرين الثاني ظهر «الكاميكازى» في خليج «ليي»، فأطعموا الطرّاد «ماريلاند» «موبيليه» والبارجة «كولورادو». وبعد يومين سدّدوا ضربة قاضية إلى «ماريلاند»، وهي بارجة أخرى. إن تضمينية «الكاميكازى» الجبارة، فضلاً عن الأضرار المادية التي أحدثتها، قد أثارت صدمة نفسية، ودعت المفكرة بأنه كان زراماً لإبادة اليابانيين جميعاً في سهل التغلب على «اليابان»! وقد صدرت تعليمات صارمة تحظر على المراسلين الحربيين أن يأتوا على ذكر هذا الأمر.

راح الجيش السادس يجتاز وادي «البي» شيئاً بعد شيء، وهو يرغم اليابانيين على التراجع للجوء إلى وادي «أوروموك». وقد مكّن نزول فرق الماشية ٧٧ من الاستيلاء على المرفأ الصغير، وهو الأخير الذي كان يأويه من أيدي اليابانيين. وراحت المقاومة المنظمة تتفقّق، ولكن حسب القاعدة، لم يرغب اليابانيون في الاستسلام في أي وقت من الأوقات. فجرى إجلاء العناصر الفضلى خفية باتجاه الجزر المجاورة، وتشتت الآخرون في الجبل، فقتلوا، أو ذهبوا ضحية الحرمان.

هتلر بين الشرق والغرب

في «أوروبا» بدأ مع رأس السنة هجومان المانيان، الواحد على «الدانوب»، والآخر على «الرين».

ولاربع أيام خلت، وفي مقر القيادة العام في «زيغينغ»، كان مبدأ هذين المجموعين قد قاد إلى جو من العنف الصاخب. كان «غوديريان» قد حمل إلى «هتلر» تقدیرات رئيس مکبه الثاني، الجنرال «غهلن»، المتعلقة بالجبهة الشرقية. وقد قدر التفوق العددي الروسي بنسبة ٧ مقابل ١ للدبّابات، و ١١ مقابل ١ للمشاة، و ٢٠ مقابل ١ للمدفعية. فعندما تهدّد قوات كتلة مقاطعات «ألمانيا» الشرقية، وعندما يكون الهجوم الروسي العام وشيكةً، هل يعقل القيام بعملية ثانية في الغرب؟ وهل يعقل أيضاً الدفاع عن «بودابست» مهما بلغ الثمن؟ لا يجد بالحرى أن تلقى أمام «بروسيا»، وأمام «برلين»، القوات التي بقيت متوازنة لدى «ألمانيا»، وأن يعمد إلى التفاوض مع الأميركيين والإنكليز إذا كان هناك سبيل إلى ذلك؟

كانت ردّة فعل «هتلر» باللغة العنف، فراح يهدّر غيظاً ضد «غهلن». قال إن الروس يخدعون المكتب الثاني الألماني بمعلومات مزعومة! فهم لم يلکوا فقط هذا العدد من الوحدات الكبيرة! زد على ذلك أن الجبهة الشرقية ما تزال على «الفيسيل»، فيما كانت الجبهة الغربية متاخمة «للرين». قال: «فإلى الشرق بقي في إمكاننا بعد أن نتراجع، ولكننا لا نستطيع ذلك في الغرب... وهذا السبب أبقى الفوهرر على هجوم «الأزارس» المعاكس، الذي سوف يسدّد الغزو ضربة قاضية.

في «المجر» لم ينفك الوضع يزداد سوءاً منذ الخريف. وفي ٢٩ تشرين الأول صدّع «مايلنوفسكي» الجبهة أمام «كشكيميت»، وتقدم حتى ضاحية «بودابست». وبعد ذلك ببضعة أيام تمكن «تولوخين» بدوره من إحداث ثغرة جنوبية العاصمة، ومن ثم انتقال المجهود السوفيتي إلى الجنوب. وتم عبور «الدانوب» على جهة واحدة، ووجدت مجموعة الجنرال «فريتير بيكون» نفسها، وهي مؤلقة من الجيش الألماني السادس والجيش المجري الثالث، ملقة على ما يسمى «موقع مارغاريتين»، وهو موقع محصن وهي إبداء من بحيرة «بالاتون» حتى تهد «بودا». كان الفوهرر قد أحل «فوهرر» محل «فريسنر» على رأس مجموعة جيوش الجنوب، إلا أن تبدل الأشخاص هذا لم يتحم دون قيام المجموع السوفيتي في ١٩ كانون الأول بشكله البخاف. فجبهة «أوكرانيا» الثالثة قد خرقت موقع «مارغاريتين» وأرهقت الجيش السادس، وجبهة «أوكرانيا» الثانية قد أرهقت الجيش الثامن وبلغت «الدانوب» في «كومارون» و«غران»، وغدت «بودابست» محاصرة. وقد عين الفوهرر «فونكلمان» قائداً للمدينة، وأمر بالدفاع عن المدينة «متلاً متلاً»، ودعا السكان إلى حمل السلاح لمقاتلة البولشيفية. ولكن المجريين تصرّفوا تصرفاً غريباً. فقد رفعت قوّتهم الرابطة اليضاء، وقاتل عمال «ميسيكولاك» إلى جانب الروس! وفي «بودابست» بلغ تجاهل الحرب عمداً حدّاً مفضحاً. وفي ٢٣ كانون الأول، وهو يوم الحصار، كانت المدينة البخلية تعشّ تقريراً وكانتها في حالة سلم: كانت القاطرات الكهربائية تعمل كالمعتاد، والمخازن فاتحة أبوابها، والناس يقومون بشراء حاجيات الميلاد!

ولكن «هتلر» قرر الدفاع عن «المجر» غصباً! وقد علّ قراره «لغوديريان» قائلاً، إن «بودابست» هي حصن «فيينا» كما كان ذلك أيام الفتوحات المغولية. وفي أي حال، فمصدر البرول الرigid الذي يعي في التاريخ كان في «المجر» وفي «بورغوغناند». وهذا السبب سوف يشن هجوماً معاكساً لنكح الحصار عن «بودابست» وإلقاء الروس إلى ما وراء

يإقامة صلة برية «بالصين» لا تتّظر إعادة فتح «برمانيا» الوسطى. ولكن ذلك كان يفرض التهرب بجهود جبار. إنّ «مونباتن» ذلك المشروع خيالياً لا يقبل التحقّيق، ولم يسلم به إلا نزواً عند إلحاح الأميركيين.

سبق اليابانيون خصوصهم فهاجموا «برمانيا» السفلي منذ كانون الثاني. وطوقوا الفرقـة البريطانية السابـعة في جـبال «أراـكان»، وعندما خـلـل «الـسلـيم» آنه قد أعاد الـوضع إلـى نـصـاهـهـ قـدـفـ سـهـلـ «إـمـفـالـ» الـوـاقـعـ في قـلبـ الجـبـهـةـ بـثـلـاثـ فـرـقـ؛ فـأـحـدـ المـخـطـرـ بـخـطـ «ليـدوـ» الـحـدـيدـيـ وـبـوـاديـ «بـرـاهـمـاـبـورـاـ»، بـيـدـ أـنـ الـيـابـانـيـنـ قـدـ فـقـدـواـ الـحـدـةـ الـيـ ضـمـنـتـ لهمـ مـسـيرـاـهـمـ الـظـافـرـةـ فيـ «ـمـالـيـزـيـاـ»ـ وـ«ـجـاـواـ»ـ، فـمـاـ حـلـ حـزـيرـانـ حتـىـ زـالـ نـهـاـيـةـ كلـ خـطـرـ يـهـدـدـ «ـهـنـدـ». أـعـدـتـ فـحـصـ سـهـلـ «ـإـمـفـالـ»ـ، وـطـفـقـ الـجـيـشـ الـرـابـعـ عـشـرـ، فـيـ اـحـتـدـامـ الـأـمـطـارـ الـمـوـسـيـةـ، يـقـدـفـ بـالـعـدـوـ إـلـىـ وـادـيـ «ـشـيـنـدـوـيـنـ»ـ.

وـفـيـماـ دـارـتـ رـحـيـ هذهـ المـارـكـ البرـيطـانـيـةـ، يـقـدـفـ بـالـعـدـوـ إـلـىـ وـادـيـ «ـإـلـأـوـادـيـ»ـ، وـسـيـلـوـيـلـ «ـشـخـصـيـاـ»ـ عـلـىـ رـأـسـ جـنـوـهـ منـ الـصـيـنـيـنـ نحوـ وـادـيـ «ـإـلـأـوـادـيـ»ـ، الـأـعـلـىـ، عـبـرـ ٤٥٠ـ مـيـلـاـ منـ الـجـبـالـ وـالـأـدـغـالـ، سـقطـ مـطـارـ «ـمـيـكـيـنـاـ»ـ مـفـتـاحـ الـمـنـطـقـةـ فيـ ١٤ـ أـيـارـ، إـلـاـ أـنـ الـيـابـانـيـنـ تـشـبـهـواـ بـالـمـدـيـنـةـ، فـأـقـنـواـ التـقـدـمـ نـحـوـ الـحـدـودـ الـصـيـنـيـةـ، وـاستـغـلـ «ـمـونـبـاتـنـ»ـ السـاحـةـ فـاقـرـ التـوقفـ عـنـ هـذـاـ الـحـدـ. قـتـلـ «ـأـ.ـكـ.ـ وـنـفـيـتـ»ـ منـظـمـ حـرـبـ العـصـابـاتـ ضـدـ «ـالـيـابـانـ»ـ، وـالـرـجـلـ الـذـيـ درـبـ الرـجـلـ الـأـوـرـوبـيـ عـلـىـ مـخـالـفـ الطـبـيعـةـ الـآـسـيـوـيـةـ، فـيـ حـادـثـ جـوـيـةـ، إـلـاـ أـنـ خـلـفـهـ، الـبـرـيـفـادـيرـ «ـوـ.ـدـ.ـ لـتـنـنـ»ـ، عـمـلـ فـيـ وـادـيـ «ـإـلـأـوـادـيـ»ـ، الـأـوـسـطـ، تـاحـيـةـ «ـإـنـدـاـوـ»ـ، مـعـتمـداـ عـلـىـ قـوـاتـ كـبـيرـةـ هـامـةـ. فـفـكـرـ «ـمـونـبـاتـنـ»ـ بـأـنـ يـوـفـرـ لـهـ سـبـلـ النـقـلـ الـجـوـيـةـ الـضـخـمـةـ الـتـيـ أـوـجـبـهاـ دـتـلـ «ـسـيـلـوـيـلـ»ـ، فـبـرـزـ بـذـلـكـ خـلـافـ انـكـلـيـزـيـ.

إـحـتـدـمـ النـقـاشـ وـطـالـ أـمـدـهـ، فـيـماـ استـنـفـدـتـ الـقـوـاتـ الـيـابـانـيـةـ قـواـهـاـ، وـماـ لـبـثـ حـامـيـةـ «ـمـيـكـيـنـاـ»ـ، وـلـمـ يـقـ بـهـاـ غـيرـ ٤٠٠ـ هـيـكـلـ عـظـيـمـ، أـنـ استـسـلـمـ. أـنـجـزـتـ طـرـيقـ «ـليـدوـ»ـ فـيـ مـطـلـعـ ١٩٤٥ـ، وـفـيـ ٢٨ـ كـانـونـ الثـانـيـ دـخـلـتـ الـقـافـلـةـ الـأـوـلـ بـلـادـ «ـالـصـيـنـ»ـ، لـمـ يـكـنـ «ـسـيـلـوـيـلـ»ـ هـنـاكـ لـيـحـتـفـلـ. بـتـحـقـيقـ نـجـاحـ كـانـ هوـ صـانـعـهـ الـأـوـلـ، فـقـدـ كـانـ «ـتـشـانـغـ»ـ وـ«ـمـونـبـاتـنـ»ـ قدـ طـلـبـاـ سـجـبـةـ. وـسـقـطـ «ـفـيـنـيـرـ جـوـ»ـ نـتـيـجـةـ لـتـحـالـفـ أـعـدـائـهـ، إـتـصـلـتـ طـرـيقـ «ـليـدوـ»ـ بـدـسـنـوـلـ طـاـئـرـاتـ «ـبـ-٢٩ـ»ـ إـلـىـ الـمـيـدـانـ؛ فـقـدـ قـرـ رـأـيـ روـسـ الـأـرـكـانـ عـلـىـ أـلـاـ تـسـتـخـدـمـ قـاذـفـاتـ الـقـنـابلـ الضـخـمـةـ تـلـكـ، الـتـيـ يـلـغـ شـعـاعـ عـلـهـاـ ٣ـ،ـ٥ـ٠ـ مـيـلـ وـتـبـلـغـ حـمـولـهـاـ مـنـ القـنـابلـ ٤ـ أـطـنـانـ، فـيـ «ـأـطـنـانـ»ـ، بـلـ فـيـ نـطـاقـ الـمـحـيـطـ الـمـادـيـ، وـكـانـ إـمـكـانـيـةـ استـخـدـامـهـاـ الـوحـيـدةـ ضـدـ «ـالـيـابـانـ»ـ فـيـ مـطـلـعـ ١٩٤٤ـ تـقـومـ عـلـىـ جـعـلـ قـاعـدـتهاـ فـيـ «ـالـصـيـنـ»ـ. وـعـقـيـقاـ هـذـاـ الفـرـضـ تـمـ تـشـكـيلـ الـأـسـطـولـ الـجـوـيـ العـشـرـينـ، وـجـعـلـ تـحـتـ قـيـادـةـ الـجـنـرـالـ «ـكـورـتـيسـ لـيـ مـايـ»ـ. فـعـمـدـتـ جـمـاعـاتـ مـنـ الـعـمـالـ الـصـيـنـيـنـ إـلـىـ إـنـشـاءـ مـطـلـاتـ مـلـائـمـةـ فـيـ «ـلـوـلـيـانـ»ـ وـ«ـتـشـيـنـغـ»ـ. وـرـيـشـمـاـ تـعـودـ الـمـواـصـلـاتـ الـبـرـيـةـ إـلـىـ الـعـمـلـ، كـانـ لـاـ بـدـ مـنـ نـقـلـ أـنـهـرـ الـبـرـزـينـ فـوـقـ جـبـالـ «ـالـحـمـلـاـيـاـ»ـ، قـامـتـ طـاـئـرـاتـ «ـبـ-٢٩ـ»ـ بـأـوـلـيـاـتـهاـ عـلـىـ «ـبـانـغـكـوـكـ»ـ فـيـ «ـحـزـيرـانـ»ـ، وـفـيـ ١٥ـ مـنـهـ أـدـمـتـ «ـالـيـابـانـ»ـ للـمـرـةـ الـأـلـىـ بـتـحـيـرـ مـصـنـعـ «ـيـاماـتاـ»ـ لـلـصـلـبـ، فـيـ جـزـيـةـ «ـكـيـوشـوـ»ـ. وـقـدـ فـيـ الشـهـورـ الـتـالـيـةـ قـصـفـ مـعـاملـ الـصـلـبـ فـيـ «ـمـنـشـورـيـاـ»ـ، وـالـقـاعـدـةـ الـبـرـيـةـ فـيـ «ـسـازـيـبوـ»ـ، فـضـلـاـ عـنـ مـدـيـنـةـ «ـنـاغـازـاـكـيـ»ـ، وـلـكـنـ الـقـوـاعـدـ الـصـيـنـيـةـ هـذـهـ أـثـارـتـ مـنـ الصـعـوبـاتـ مـاـ يـتـبـطـ الـعـالـمـ، وـلـمـ تـأـتـ الـغـارـاتـ الـجـوـيـةـ عـلـىـ مـسـتـوىـ نـفـقـاتـهاـ. وـلـذـاـ اـنـتـقـلـ الـأـسـطـولـ الـجـوـيـ العـشـرـونـ إـلـىـ «ـالـلـارـيـانـ»ـ الـتـيـ تـمـ اـحـتـلـاـهـاـ حـدـيثـاـ، وـحـطـ فـيـ «ـغـوـامـ»ـ وـ«ـسـاـيـيـانـ»ـ وـ«ـتـيـيـانـ»ـ، حـيـثـ غـدـاـ عـلـىـ بـعـدـ ١٠٢٠٠ـ مـيـلـ مـنـ «ـطـوـكـيـوـ»ـ.

التواли خط «بيتشي-يلدر بورن-بيشويبلر» وخط «بيتشي-إنفويبلر-ستراسبورغ»، وأخيراً خط «بيتشي-لابوت-بير دابو». وكان مفروضاً أن يتم باوغ هذا الخط الأحمر المطابق للدورة «الفوج» في ٥ كانون الثاني. وقد كتب الجنرال «ديفيرز» إلى الجنرال «باتش» يقول: «دع عنك التفكير بالنتائج السياسية لهذا التدبير. عليك أن ترتضي العجلة عن الأرض الواقعه شرقى «الفوج» بكمالها، بما فيها «ستراسبورغ»...»

كانت مغامن الفيلق الأميركي ١٥ تحت صدمة الفرق المصفحة الألمانية «الفوج» رزح الفيلق الأميركي ٢٤. ومع ذلك لم يتم باوغ «رور باح»، وهي مرمى اليوم الأول. وفي الشرق قام الفيلق ٦ بأول خطوة له إلى الوراء من غير صعوبة. وفي الوسط، وفي «الفوج» نفسها، كانت نائمة «بيتشي» قد ازدادت بروزاً بشكل معتاد بفضل تقدم ألماني نحو «ألتورن» و«فتحن». إلا أن دوائر الجيش الأميركي ٧ قد جلت بقليل من العجلة، مهددة على المؤخرات شعوراً بالاحتلال. وانسحب المقر العام من «سافيرن» إلى «لوينفيل». وفوق الطرق المكسوّة بالثلج راحت قوافل ثقيلة تتوجه نحو الغرب.

في «لوينفيل» نفسها، وفي ٣ كانون الثاني، حمل أحد ضباط الاتصال بعد منتصف الليل بقليل رسالة مطربة من الجنرال «شفارتز» حاكم «ستراسبورغ». قال «شفارتز» إن التخلّي عن «الألزاس» يشكّل كارثة. وهو يسلّم للانتقامات الرهيبة، ولامجازر، سكتاناً ليس بالإمكان إجلاؤهم! ووصل «ديفيرز» إلى المقر العام للجيش بعد ذلك بساعات. ودافع «باتش» و«وايت» رئيس أركانه العامة عن وجهة نظر «شفارتز»، مشيرين إلى أنه قد بقي بالإمكان إيقاف تراجع الفيلق السادس في منشأة «ماجينيو». وأجاب «ديفيرز» ببعض خشونة أن «ستراسبورغ» سوف تُترك، وأنه يرجي من قائد الجيش السابع لا يخضع للضغط الذي يُسلط عليه، سياسياً كان أو غير سياسي.

«المانوب»، وكان فيلق الصاعقة المصفحة، الذي يضم فرقتي «تونكوبف» و«فايكننغ»،قادماً من «بروسيا» الشرقية للقيام بهذه المهمة. واعتراض «غوديريان» قائلاً إن هذه القوة كانت جزءاً هاماً من الاحتياطات الضعيفة للجبهة الشرقية. فيما كان من «هتلر»، الذي هدا روعه إلا أن وضع يده على كتف قائد أركانه العامة وقال: «يا عزيزي الكولونيل-جنرال «غوديريان»، أنا لا أعتقد أبداً أن الروس سيهاجمون على الإطلاق. صدقني إن هذه خدعة ضخمة. وأنا مقتنع بأنك لن يحدث شيء في الشرق».

في نظر الأركان العامة الحليفة. لم يكن الهجوم الألماني، الذي ابتدأ في «الألزاس» ليلة رأس السنة، متقدماً إطلاقاً. وقد قدرت الوسائل التي توافرت لديه بفرقتين مصفحة-حتين أو بثلاث فرق وبست فرق أوسع من المشاة أو من رماة الشعب. فهو، بكلّ سوء التغذية والتزويد، سوف يختنق سريعاً، وإن يؤدي إلى أية وجهة استثنائية. وهو بالتالي غير قادر بأن يحوّل القيادة الأميركيّة عن العملية التي كانت تستأنفها لقطع الثلوجة من أصولها. تلك التي أبقى عليها في «الأردن» تراجع «مول» المحدود. وذلك شرط ألا تقع في الشرك القوات الأميركيّة التي كانت تقاتل في الأرض التي تحدّها «الفوج» و«اللوبر» و«الرين».

هذا. وقد كان كلّ تقدّم متوجّل، وكلّ تهديد يحيق بشّارة «سافيرن» وطريق «فانسي-ستراسبورغ»، يضعان الفيلق الأميركي ٦ في خطر شديد. وبموجب هذه الاعتبارات اتخذ «أيزنهاور» القرار الحكيم الذي كان يحوب الحواطير منذ ١٦ كانون الأوّل: إخلاء «الألزاس»، ونقل جهة مجموعة الجيش ٦ إلى قسم «الفوج». بلغ الأمر هنفياً من «فرساي»، عشيّة أول كانون الثاني. وقد أعقبه التعليمات في اليوم التالي. كان على الفيلق ٦ أن ينكمّي أوّلاً على موقع «ماجينيو». ومن ثمّ. وبعد أن يستدير حول جهته اليسرى، أن يحتلّ على

مشاة فرنسيون يتقدّمون نيران العدو في أحد شوارع «كومار».

قاقة فوق الثلوج في ضواحي «ريميريون».





في «الفوج» : رشاشات في المراكز الأمامية .

في «فرنسا» أخفقت المحاولة الألمانية لسد ثغرة «سافيرن» بواسطة تقدم غربي «الفوج». وتوقفت نائمة «بيتشي» عن الاتساع ، وبعد ذلك أخذت في التقلص تحت ضغط الفيلق ١٥. واستعاد الأميركيون «فنجن». وراحت غزارة نيرانهم تبرى الوحدات الألمانية ، فتدنت عدة كتيبة المشاة الألمانية إلى ٣٦٢ إلى ٦٠ رجلاً . وعدة كتيبة أخرى إلى ١٥ رجلاً . بعد الإخفاق الألماني تبدل وجه معركة «الأ LZas». وعدل «هتلر» خططه. فجور العميليات لن يجري غربي «الفوج»، بل شرقها. ولسوف ينطلق هجوم الجيش الأول من منطقة «فسمبور»، ويوجه نحو «فاسلون» و«مولشيم». ولسوف يهاجم الجيش ١٩ للالتفاء به عبر «ارنشتاين»، وأمام فرقة رماة الشعب ٥٥٣، التي ستعبر «الرين» قرب «هاوغنو»، فلسوف تكون بعثبة رباط بين المجهودين. و«ستراسبورغ» . التي كانت خارجة عن نطاق المعركة في المخطط الأولي. قد غدت. والحالة هذه، قلب المعركة . ومع ذلك فقد أوضح الفوهر أنَّ هدف المدينة هذه لم يتبدل. فجعل ما في الأمر هو أن يتم الاستيلاء على ثغرة «سافيرن» من الشرق ومن الغرب على السواء، وإيادة قوات العدو بين «الفوج» و«الرين» !

لقد تم عبور فرقة رماة الشعب ٥٥٣ النهر في الساعة ٤٥ من ٥ كانون الثاني ، على بعد ٢٥ كلم شمالي «ستراسبورغ» بين «كيلسيت» و«دروشين». كانت تدافع عن القطاع قوة «ليندن» المولدة من ٥ كتائب من فرقة المشاة الأميركية ٤٢ . فانزعت قرية «غامبشم» من أيديها، وأبعدت حتى حواشي «بيشوبير» على بعد ٨ كلم من «هاوغنو». ومن ناحية «ستراسبورغ» كان رأس الحسر متداً حتى «فالنتيناو» . وهو المنته الستراسبور جوازي الصيفي .

كان الدفاع عن المدينة قد نُقل من الجيش الأميركي إلى الجيش الفرنسي الأول . وكلف «دي لاتر» بهذا الدفاع وحده الكثيرة الوحيدة المتوافرة لديه ، وهي فرقة المشاة الجزائرية ٣، التي كانت قادمة من «الفوج» العلية وهي تترنح فوق جليد الطرقات. فكان عليها أن تسهر على قطاع من ٣٠ كلم بين رأس جسر «غامبشم» و«ارنشتاين» . فضلاً عن «ستراسبورغ». وإلى يمينها كانت الفرقة الفرنسية الخفيفة الأولى تحمل ضفاف «الرين» حتى «رين»؛ وكذلك جيب «كولار» حتى «سبليستا». ياله من وضع منهوراً فقد كان «ديغول» مصيباً ولا ريب عندما قال مقتناً بأنه لم يكن بالإمكان التخلص من «ستراسبورغ». ولم يكن «أيزهاور» خططاً

لم يكن قائد مجموعه الجيوش قد غادر «لوينفيل» بعد . عندما وصلت أوامر جديدة من القيادة الخليفة العليا. لقد تبدل كل شيء! يجب إيقاف التراجع . والدفاع عن «ستراسبورغ». فالاقتراحات التي قد منها «باتش» و«وابت»، لبرهة خلت. قد تحولت فوراً إلى أوامر! يجب على الفيلق ٦ أن يتثبت بخط «ماجيني». ولسوف يشن الفيلق ١٥ هجوماً معاكساً لدفع العدو إلى غربي «الفوج». «فالأنزا» و«ستراسبورغ». الثالث تقرر التخلص عندهما منذ فترة قصيرة. قد غدت رهان معركة حاسمة! وكان «ديغول» هو صانع هذا الانقلاب. فعل أثر وقوفه على نيات القيادة الخليفة العليا، أبقى إلى «روفلت» و«تشرشل» يقول إنه لن يقبل بالتخلي عن «الأ LZas». وأمر «دي لاتر» بأن يأخذ على عاتقه أمر الدفاع عن «ستراسبورغ». وكان «تشرشل» قد عاد من «أثينا» حيث أمضى ميلاداً سيناً وهو يحاول إيقاف القتال الدامي الذي أثارته «إيلاس». فهو إلى «فيرساي» ودخل إلى مكتب «أيزهاور» في بداية فترة بعد الظهر، يوم ٣ كانون الثاني ، في الوقت الذي كان فيه «أيزهاور» يستقبل رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة. لم يشارك في النقاش. ولكنه قبل ذلك كان قد شرح «أيزهاور» وليديل سميث «الواقع الفادحة المتعددة التي يثيرها التخلص عن «ستراسبورغ».

لم يجد «أيلك» صعوبة في تعليم قراره من الوجهة العسكرية. ولاحظ أنَّ الوضع كان يمسي أقلَّ سوءاً لو أنَّ الجيش الفرنسي قضى على جيب «كولار». وأنَّ قوة هذا الجيش كانت تبقى أشدَّ باساً لو أنَّ الحكومة الفرنسية حافظت على فرقها بعدَها الكاملة . وأجاب «ديغول» بأنَّ سوف يدافع عن «ستراسبورغ» مهما كان من أمر ، حتى ولو كان على القوات الفرنسية أن تعود إلى الاستقلال عن القيادة الخليفة. ورد «أيلك» بأنَّ كلمة واحدة منه تكفي لأنَّ تحرم القوات الفرنسية من كلَّ رصاصة ومن كلَّ لير وقد، ورد «ديغول» بأنَّ «فرنسا» في سخطها ، كانت كفيلة بأنَّ تحرم الحلفاء من «استعمال السلك المهدية والمخاربات التي لا غنى للعميليات عنها». كان التهديد مفرطاً، ولكنه أثر في نفس «أيزهاور» الذي كان حريصاً على تنادي كلَّ صعوبة نظراً في مؤخراته . في أية حال، كان «تشرشل» قد انتصر مسبقاً لقضية «ستراسبورغ»؛ وأمَّا «أيلك»، على الرغم من حدة طبعه، فقد كانت مرونته السياسية تحول دون تصلبه في موقفه الأول . بعد نقاشه الحاد مع «ديغول»؛ فقبل بأنَّ يصدر «الديفيرز» تعليمات فورية لكي يقتصر تراجع الجيش السابع على إخلاء النواحي التي يتعذر الدفاع عنها، ولكي يعتمد إلى الإمساك «بستراسبورغ» بجزء . وتلاشت العاصفة بتناول قدح شاي؛ وقد ذكر «ديغول» الحادث قائلاً: «لقد افترقا صديقين حميمين». وقال «أيلك»: «لقد انصرف منح الطياع ، وهو يعبر عن ثقته الامتناعية في موهلياتي العسكرية .»

في يوم ٣ كانون الثاني هذا نفسه، بدأ المجموع العام الخليف في «الأ دين». فقام الجيش الأميركي الأول ، الذي ما زال تحت إمرة «مونتفوري». بشن هجوم على جانب النائمة الأمين، وهو يستهدف «هوفاليز» بالفيلقين ٧ و١٨ . وشدَّ الجيش الثالث مجده باتجاه «باتسون» و«سانت هوبي». بالفيلقين ٨ و٣ . وحضرت غزارة الثلوج القتال في الطرق . وازرت الدفاع بعدها من تحرَّك النواحي . وراح «هتلر» يتدخل يومياً لكي تخرج مجموعة الجيوش «ب» من موقعها الدفاعي . ولكي تستعيد المبادرة في العمليات . وأجاب «مول» بأنَّ حالة قواته وقوياته كانت ترغمه على تبني الدفاع؛ فقد كان الجنود يخوضون قتالاً مولماً في سهل دساكر أردينية ضئيلة مثل «ليرنو» و«أردين» و«بيهان» إلخ . وسط الغابات الكبيرة المغطاة بالثلج . وكانت شعبنا الكلابة الأميركية تتطبقان بطيء .

صفة «الرين» اليمني. وكتب كذلك يقول: «إن الجنود يأنفون الانغلاق في الحصون الصغيرة ذات السقوف الرقيقة التي كانت بحق أعشاشاً لقاذفات اللهب. إنهم يوثرون القتال في الهواءطلق... وأمّا «هتلر»، وهو صانع خطط «سيغفريد»، فقد رفض المذكورة بحقن، وأمر بأن يستأنف الدفعة عن الأرض شيئاً شبراً».

إنهايَار المَسَايِّر على «الفِيستول»

ما من أحد على الجبهة الشرقية كان يفكّر تفكير «هتلر» ويقول إنَّ من الخرق الاعتقاد بقيام هجوم وشيك. فثمة دلائل كثيرة ثبتت أنَّ الروس يقومون بحركات نقل ضخمة، وأنَّ الاصطدام بات قريباً. فمجموعة الشمال المطلقة برآ والمموجة بحراً، والخاضعة لإمرة الكولونيل جرزال «شورنر»، يحييها الـ ١٨ والـ ١٦، وفرقها الـ ٢٢، منتشرة ببلدان «البلطيق»، وبعثاً تُبذل المحاولات لحمل «هتلر» على إصدار أمره بالحلاء عنها طالما أنَّ الظرف يسمح بذلك. وتعمد الجبهة الألمانية لتسانف امتدادها على «النيلين»، معتمدة على مجموعة الوسط الخاضعة لقيادة الكولونيل - جرزال «راينهارد»، والمشتملة على جيش الدبابات ٣ والبليسين ٤ و ٢، وتلو ذلك، بالقرب من «فرصوفيا»، المجموعة ١٠، يقودها الكولونيل - جرزال «هاريبي»، فتضم، فضلاً عن الجيش الأول، فرق الدبابات ٩، ٤، و ١٧. وعند ذلك مجموعة الجنوب عبر «سلوفاكيا» و «المجر»، بقيادة الكولونيل - جرزال «فوهرل»، فتشمل على «الدراف» بمسرح العمليات الجنوبي الشرقي التي تدافع بقيادة المارشال «كيسلينغ» عن «كراتسيا» و «إيطاليا» الشمالية.

تركّزت الجبهة من الخريف فماشت على وجه التقرّيب حدود «بروسيا» الشرقية حتى «التاريف»، ثم جرت بمحاذاة «التاريف» حتى نقطـة التقائه «بالفيستول»، وتعتـ «الفيستول» حتى نقطـة التقائه «بالفيسلوكا». «فالفيسلوكا» حتى «الكريات». قليل من قيمة خطوط الماء الدفاعـة التـجمـدة العـيقـ الكـثـيفـ، وروـسـ الـحسـورـ الـتـيـ اـحـفـظـ بـهـ الـرـوـسـ بـالـرـغـمـ منـ الـمـحاـولـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ الـتـيـ بـذـلتـ لـاخـضـاعـهـ. شـملـتـ الـجـيـوشـ عـدـدـاـ مـنـ



البيـةـ عـنـدـمـ أـكـدـ أـنـ الـفـنـ العـسـكـرـيـ كـانـ يـمـلـيـ هـذـاـ التـخلـيـ . بدأ الهجوم في ٧ كانون الثاني. شـمـاليـ «سـترـاسـبورـغـ» وـجنـوـبيـتهاـ. كانـ الـمـاهـجـمـونـ قدـ طـلـواـ دـبـابـيـمـ بـطـلـاءـ أـيـضـ. وـلـبـسـواـ قـمـصـانـ بـيـضـاءـ مـنـ فوقـ بـزـائـمـ الرـمـاديـةـ. وإـلـىـ الـجـنـوبـ قـامـتـ فـرـقـةـ الـمـشـاـةـ الـأـلـمـانـيـةـ ١٩٨ـ بـسـانـدـهـ لـوـاءـ صـاعـقـةـ مـصـفـحـةـ. بإـلـقاءـ الـفـرـقـةـ الـفـرـنـسـيـةـ الـخـفـيـةـ الـأـلـوـاـنـىـ عـلـىـ حـفـنـةـ دـبـابـاتـ .

وـدارـتـ رـحـيـ القـتـالـ فـيـ الـحـاشـيـةـ الشـمـالـيـةـ مـنـ غـابـةـ «هـاغـونـوـ». فـكـانـ أـنـ تـحـمـلـتـ فـرـقـتـاـ الـمـشـاـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ ٧٩ـ وـ١٤ـ الصـدـمـةـ. وـقدـ كـانـ قـرـىـ «بـولـ» وـ«هـانـ» وـ«أـرـيـشـوـفـنـ»، وـبـالـأـخـصـ مـقـرـةـ هـذـهـ الـدـسـكـرـةـ الـأـخـيـرـةـ مـسـرـحـاـ لـمـارـكـ طـاحـنـةـ. وـفـيـ ٩ـ كـانـونـ الثـانـيـ اـعـرـفـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ بـأـنـهـ عـلـىـ آـخـرـ رـمـقـ. قـدـ كـانـ مـفـتـرـاـ إـلـىـ النـخـيـرـةـ وـإـلـىـ الـمـشـاـةـ لـمـاعـضـةـ الـدـبـابـاتـ. وـرـفـضـ «هـتلـرـ» أـنـ يـذـعـنـ لـلـأـمـرـ الـوـاقـعـ، فـاـكـفـيـ بـأـنـ حـوـلـ خـورـ الـمـحـوـمـ إـلـىـ الـشـرـقـ أـكـثـرـ مـمـاـ كـانـ. وـانـحـصـرـتـ الـمـرـكـةـ فـيـ سـهـلـ «الـرـينـ»؛ وـعـادـ الـجـيـشـ ١٩ـ إـلـىـ مـارـسـةـ مـجـهـودـهـ. وـالـتـحـمـ الـجـيـشـ الـأـلـوـلـ يـجـبـ «غـامـبـشـيمـ». فـيـ الـوـاقـعـ كـانـ عـمـلـيـةـ «الـأـلـزـاسـ» قدـ فـقـدـتـ كـلـ مـغـزـيـ جـمـاعـيـ، إـذـ غـداـ مـحـالـ تـدـمـيرـ جـزـءـ هـامـ مـنـ الـقـوـاتـ الـحـلـيفـةـ. وـأـمـاـ الـكـسـبـ الـوـحـيدـ الـذـيـ كـانـ يـمـتـاـوـلـ أـمـلـ «هـتلـرـ» فـهـوـ صـوتـ نـفـرـ يـقـويـ الـمـعـنـيـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ بـإـعلـانـهـ استـعـادـةـ «سـترـاسـبورـغـ» !

كانـ ٩ـ كـانـونـ الثـانـيـ يـوـمـ عـاـصـفـةـ فـيـ «زـيـغـنـيـغـ». كـانـ «غـوـدـيرـيانـ» عـالـدـأـ لـتـوـهـ مـنـ جـوـلـةـ فـيـ الـجـبـهـةـ الشـرـقـيـةـ وـهـوـ مـوـقـنـ أـنـ شـنـ الـمـجـوـمـ السـوـفـيـاتـ الـكـيـرـ كـانـ رـهـنـ سـاعـاتـ. وـأـجـابـ «هـتلـرـ» بـأـنـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ «سـخـيـفـةـ لـلـغاـيـةـ»، وـبـأـنـهـ يـجـبـ وـضـعـ «غـهـلـنـ»، رـئـيـسـ الـمـكـبـ شـانـيـ، فـيـ مـصـحـةـ لـلـأـمـرـاـضـ الـعـقـلـيـةـ. وـرـدـ «غـوـدـيرـيانـ» بـقـوـلـهـ: «ضـعـفـيـ فـيـهـ أـنـ كـذـلـكـ، لأنـ وـجهـ نـظـرـهـ هـيـ وـجهـ نـظـرـيـ بـالـذـاتـ». وـاستـمـرـتـ الـمـنـاقـشـةـ عـنـيـفـةـ، وـ«هـتلـرـ» يـكـرـرـ بـأـنـهـ لـنـ يـتـخلـىـ عـنـ الـمـبـادـرـةـ فـيـ الـغـرـبـ، وـبـأـنـ كـلـ لـوـحةـ مـنـ الـلـوـحـاتـ الـتـيـ رـسـمـتـ لـهـ عـنـ الـجـيـشـ السـوـفـيـاتـ كـانـتـ خـاطـةـ بـشـكـلـ مـضـبـحـ. إـلـاـ أـنـ «غـوـدـيرـيانـ» عـادـ بـعـضـ الـفـائـدـةـ، فـقـدـ رـضـيـ «هـتلـرـ» أـخـيـرـاـ أـنـ يـسـحبـ جـيـشـ الـصـاعـقـةـ ٦ـ مـنـ «الـأـرـدـينـ». وـهـوـ يـضـمـ فـرـقـ الـصـاعـقـةـ الـمـصـفـحـةـ ١ـ وـ٩ـ وـ١٢ـ وـ١٥ـ. لـيـعـادـ إـكـمـالـهـ قـبـلـ نـقـلـهـ إـلـىـ الـشـرـقـ.

لمـ يـخـرـجـ الـبـرـمانـ الـلـاحـقـانـ مـنـ نـطـاقـ الـحـربـ الـرـبـيـةـ. فـهـنـالـكـ ٧٠٠٠٠ـ رـجـلـ. مـنـ بـيـنـهـ ٣٣٠٠٠ـ الـأـلـمـانـيـ. كـانـواـ مـحـاصـرـينـ فـيـ «بـرـابـسـتـ». تـنـقـلـ الـأـمـدـادـ إـلـيـهـمـ بـوـاسـطـةـ الـمـظـلـاتـ. وـهـمـ يـتـنـظـرـونـ بـقـلـ شـدـيدـ انـطـلـاقـ الـمـحـوـمـ الـكـلـيـلـ بـتـحـرـيرـهـمـ. وـأـمـاـ مـاـ تـبـقـيـ مـنـ الـجـبـهـةـ الشـرـقـيـةـ فـقـدـ بـقـيـ فـيـ سـيـانـ. كـانـتـ الـعـمـلـيـاتـ فـيـ «الـأـلـزـاسـ» فـيـ نقطـةـ مـوـاتـ. وـفـيـ «الـأـرـدـينـ» أـسـهـمـ نـهـائـاـ اـنـصـرـافـ فـرـقـ الـصـاعـقـةـ فـيـ جـعـلـ الـوـضـعـ الـأـلـمـانـيـ جـحـيـمـاـ لـيـطـاـقـ. وـاستـولـ الـفـيـلـقـ الـبـرـيـطـانـيـ ٣٠ـ عـلـىـ «لـارـوشـ»؛ وـاستـولـ الـجـيـشـ الـأـمـيرـكـيـ ٣ـ عـلـىـ «سـانـتـ هـوـبـرـ». وـلـمـ تـبـقـ «هـوـفـالـيزـ» إـلـاـ عـلـىـ بـعـدـ نـحـوـ مـنـ عـشـرـ كـلـمـبـراتـ، وـهـيـ نقطـةـ التـقـاءـ الـجـهـودـ الـحـلـيفـةـ. كـانـ الـبـرـالـاتـ جـمـيعـاـ يـطـمـحـونـ إـلـىـ الـانـكـفاءـ وـرـاءـ خطـ «سـيـغـفـريـدـ». وـلـمـ يـقـفـ «رـونـدـشـتـادـ» عـنـ هـذـاـ الـحـدـ، بلـ قـدـمـ. فـيـ مـذـكـرـةـ رـفـعـهـ إـلـىـ الـقـيـادـةـ الـحـرـيـةـ الـأـلـمـانـيـةـ الـعـلـىـ، اـقـرـأـهـاـ بـالـإـنـسـحـابـ إـلـىـ

فيـ الـجـبـهـةـ الشـرـقـيـةـ : تـجـربـةـ آـلـهـةـ الـأـلـمـانـيـةـ حـشـبـتـ مـهـجـرـاتـ لـيـصـارـ إـلـىـ إـطـلـافـهاـ عـلـىـ الـمـوـالـعـ الـعـدـوـةـ .

Herb الاموات ، والاحياء أيضاً هربوا ! كانت «بولونيا» الغربية سابقاً قد ضُمِّنت إلى «المانيا»، وقُسِّمت «قطاعين» : «بروسيا» الغربية ومركزها «دانزيغ» ، و«فارتا» ومركزها «بورزين» ، وأعيدت إليها الأقلية ذات الأصل الألماني التي اجتَسَّت منها عام ١٩٣٩-١٩٤٠ ، عقب تناقض «هتلر» و«ستالين» : وهي جموع من الأشراف والفلاحين القادمين من أراضي الاستعمار البورمياني القديمة أي «كورلاند» و«ليفونيا» و« غاليسيا » و«ترانسلفانيا». لقد أعادوا بناء منازلهم واستبنتوا الأرض ثلاثة مواسم أو أربعة. أمّا الآن فقد انقضت فترة الاستراحة : عاد «الروس» . ولم يبق أمامهم إلا الرحيل !

الرحيل؟ يا للمفاجأة! ففي اليوم الذي أخذت فيه الجبهة الألمانية بالانهيار، جمع «الفرد نومان»، وزير الدعاية المساعد، السلطات في «بوزين»، وراح يبيّن لهم أنّ خطوط «الفيستول»، كالفلواز صلابة، وأنَّ المعركة التي دارت رحاحها لا بدَّ أن تنتهي باستئصال المسيرة الألمانية إلى «موسكو». ورَجع المسؤولون أصحاب هذه الكلمات الرسمية، قائلين للسكان أنَّ ليس ما يدعوهم إلى مغادرة منازلهم. نام الكثيرون على هذا التطمئن، ليستيقنوا على هدير مصفحات تملأ شارع القرية، مالئوا أنْ تبيّنوا أنَّها ليست ألمانية! وفرَّ الباقيون في اللحظة الأخيرة عندما أيدت الصرخةَ غير المعقولة: ووصل الروس! موّجات الغارقين الأولى.

وإنه بلاء رهيب، يعلن بهذه أهليات بشرية سيفوق حجمها وفظاعة كل ما سببته الحرب من تحرّكات بين السكان في الغرب. فالاثلوج تعطّي الطرقات، وميزان الحرارة يشير إلى الدرجة العشرتين تحت الصفر؛ أمّا وسائل النقل فقومها بعض عربات ريفية تجرّها ثيران وخيل مستحبّيل تغذّيّتها عمّا قليل. إنطلقت جماعات غفيرة من النساء والأطفال سعياً على الأقدام، تجرّ زلاّقات وطاولات مقلوبة كأنّها المزاحج. ولن يعرف أحدكم من الآلاف لم يُدركوا غير الموت متقدّماً.

زادت حالة الطقس سوءاً في الأسبوع الأخير من كانون الثاني. حتى لقد قيل إنَّ ما تساقط من الثلوج إذ ذاك كان أغزر ما عرفه القرن بأسره؛ وجرفت الجداول أنفلع العربات على الإطلاق. ففكَّر البعض بتحطيم جليد «الأودير» لتعادل النهر قيمة كحاجز عقبة. ولما استدعي عالم



المدفعية السوفياتية الثقيلة في ضواحي «دانزيغ» في المعركة الشهير .

الفرق يراوح بين ١١ و ١٢ فرقاً، وقامت قوات الاحتياط العامة على ١٢ فرقاً متخرّكة، بين مصفحة والية. لفّت انتباه الفوهرر إلى ضيائتها إزاء جبهة تمتدّ مسافة ٧٠٠ كلم، ونهدّها تكتلات معادية ضخمة، ولكنَّ «هتلر» أجاب بأنَّ على الجبهة الشرقية أن تصمد بما لديها. أمّا «غوديريان» فتبأّن قائلاً : «ستنهار هذه الجبهة إنهايار قصر من ورق».

بدأ الزحف الروسي في ١٢ كانون الثاني منطلقًا من رأس جسر «بارانوف». في شمالي شرقى «كراكوفيا». قامت بالزحف جبهة «أوكريانيا» الأولى الواقعة تحت إمرة المارشال «كونيف»، فسلكت في سيرها محورين سترايجيبيين: أولهما ثانوي يتقدّم باتجاه «سيليزيا أوبلن العليا»، وثانيهما رئيس يسعى إلى «الأودير» بين «بريسلو» و«غلوغرو». توافرت ٦٠ من فرق المشاة، و٨ فيالق مصفحة، ومدفعية ساحقة.

«كونيف» نُصر جيش الدبابات الرابع نحو المرغعة، وما حلَّ مساء اليوم الأول حتى بالغت المصفحات الروسية نقاطًا تقع على بعد ٢٥ كلم من خطوط الانطلاق. في الغد تحركت بدورها جبهة «روسيا البيضاء» الأولى، بقيادة المارشال «جوكراف». انطلاقاً من رأسى جسر «بولا فى» و«امفونزيف» جنوبي «فرصوفيا». وامتدَّ الزحف في اليوم التالي إلى جبهتي «روسيا البيضاء» الثانية والثالثة بقودهما المارشالان «روكسوفسكي» و«شيرينا كوفسكي»، وفيما برع الأول من رأس جسر «بولتسولك» على «التارييف»، وضعى باتجاه «داتزريغ». هاجم الثاني «بروسيا» الشرقية، شرقاً بغرب. وما لبثت جبهتا «البليطيق» الأولى وأوكريانيا الرابعة أن يسطعا الزحف إلى الجناحين.

فاتجهت الأولى شطر «كونيغزبرغ»؛ ويعتمد الثانية شطر «راتسبور». لقد زجَّ «الاتحاد السوفيياني» بقواته كلّها في المعركة، فإذا هي خليط لا يوصف اجتمع في دبابات «جوزف ستالين»، أحدث الدبابات في العالم؛ بشراذم وجماعات آسيوية كادت تكون بلا سلاح.

أُتت ردَّة الفعل الألمانيَّة غايةً في الضعف؛ لم تهُبْ أيةً محاورةً معاكسةً جماعيَّةً، أمَّا قوَّاتُ الاحتياطِ. فقد أمرَ الفوهرر بإيقافها جدًّا قريبةً من الجبهة؛ فقد نكلَّت بها توطنة المدفعيَّة، أو فكَّكت أوصالها سرعةً التقدُّم الروسيِّ. شُطِّر الفيلق المصفَّح ٢٤ شطرين بالقرب من «كيليس»، ثم عادَ التَّأم بفضل عزيمة قائدِه، فالتر هيرينغ، وراح يتقهقر وسط حشود الأعداء. جامعاً حوله عناصر ممزَّقةً من جيشِ الدبابات الرابع والجيش التاسع، وسحب «هتلر» فيلق «المانيا الكبري» المصفَّح، الذي يقوده الجنرال سوكن. من «بروسيا» الشرقيَّة، ليرجع به في منطقة «بوزان»؛ وإذ قضى عدَّة أيام في القطار، تم احتلال منطقة نزوله وكاد، لولا القليل، يقع في قبضة العدوِّ! عثباً بحث عن فكرة موجَّهةً يعتمدُها الدفاع الألمانيُّ، فلا يجد سوى معارك متفرِّكةً وجهود لا رابط بينها تحاول الصمود في وجه

الصغير . بين بحيرات «مازور». غدت «رسنبرغ». معقل «أدولف هتلر»، على أقل من ٢٠ كلم . شق «هوسباخ» عصا الطاعة ، وكان حوله ٣٥٠،٠٠٠ جندي أراد أن يوفر عليهم مأساة «ستالينغراد» جديدة ، تضاف إليهم جماعات غفيرة من السكان التواقين إلى مواصلة فرارهم الشاق نحو الغرب . فكثُر الفيلق ٢٦ . الذي يقوده الجنرال «ماتزكي» . بهمة إعادة فتح طريق «دانترغ» . وشارك «راينهارد»، قائد مجموعة الجيش ، العصيان . إذ غطى بصمه نيات مروشه وحرّكته . وساقت مسيرة ٢٠٠ كلم فرقى المشاة ١٣١ و ١٧٠ من منطقة «لوتن» إلى منطقة «فورمديت» . فشتّا هجومهما مساء ٢٦ . في بروفة تدنت حتى بلغت ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر . وتحت أضواء قمر رائع جعل من مشهد الطبيعة المكسيكية بالثلج عالمًا من الفتنة والسرور . د وهم روسيون كثيرون في القرى . وقد غرقوا في السكر، فصرعوا دونها شفقة . وتساقطت الثلوج من جديد في اليوم التالي ، فزادت من صعوبات القتال . إلا أن الجنود الألمان همة كان يقاتل بعزيمة سجين فر من إساره . وما تلى يوم ٢٩ كانون الثاني حتى وصلت فرقة المشاة ١٧٠ إلى «بروسيا هولاند» على بعد ٢٠ كلم من «إلينغ» حيث كان الجيش الثاني لا يزال صامدا يقاوم . وكان «هوسباخ» يأمل في إعادة الصلة به خلال النهار . ييد أن سقوط «لوتن» . التي أخلت بلا قنال ، وشبات «ليربلك كوخ» حاكم «بروسيا» الشرقية العسكري . قد كشفت «هتلر» حقيقة تمرد «هوسباخ» . وزين له ذهنه ، الذي سمه يوم ٢٠ تموز . سر ما حصل : فإذا التخلّي عن «بروسيا» الشرقية موأمة ترمي إلى أن تُعلن على أرض المانيا حكومة معادية للهتلرية منبثقه عن بلحة «المانيا الحرة» . وقال : «إن «هوسباخ» و«راينهارد» على اتفاق مع «سيديلر» . إنها لخيانته وإنهما ليستحقان المثل أمام القضاء العسكري» ! « فعل النمساوي «رندوليك» ، ذلك الأستاذ الذي غدا جنرالاً مخلصاً متبعاً «هتلر» ، محل «راينهارد» ، وحل محل «هوسباخ» . نازي آخر عينه هو الجنرال «فريدرريك فلهيلم مولر» . فأوقف الهجوم الفرارى . وعاد الجيش الرابع يتغلّب ناحية الشرق بقيادة الاتصال بنيش الدبابات الثالث . وحاول آلاف اللاجئين أن ينجوا مع ذلك بالالجوء إلى ثلوج «الفريشيز هاف» المتجمدة ، بالرغم من نيران المدفعية الروسية . فإذا بعثتهم تشرّف الصقيع . في مطلع شباط أوقف الجيش السوفياتي امتداد خطوط تقدّمه . إلا

في إحدى القرى الروسية المحررة راح هؤلاء الفلاحون يتعرّقون إلى جثث الوطّيبيين الذين أعدّهم الألمان ورمّوهم ، في حفرة مضادة للدبابات .



الأحوال الجوية «شوسنر» إلى معقل الفوهرر . أثبت بالبرهان أنَّ الفكرة غير ممكنة ولا مجده . واستمرَّت المعركة في الزهرير من أقصى أنتهِي الشرقيَّة إلى أقصاهما ، ولم تكن في ظروف كثيرة غير فرار مضائق أمام عدوٍ متحابٍ . تعوقه مناسف الثلوج أكثر مما تعوقه أسلحة الجيش الألماني .

لم يستطع «شوسنر» . القاًد من «ريغا» . أن يتسلّم قيادة مجموعة الجيش «أ» إلا في ٢٠ كانون الثاني . وقد رسم الشخص نفسه في شعاره «القوة عن طريق الذعر» الذي نافق فيه شعار «جبهة العمل» القائل «القوة بالبهجة» . كان بافارياً ذا أصلٍ وضيقٍ يفت الاشتراكية البروسية . ويؤمن الإيمان كله «هتلر» . ونظرًا لهذا الإخلاص ولذلك القسوة . أوكلت إليه مهمة إنقاذ «سيليزيا» . خزانة أسلحة الرابح الثالث .

شمل الدمار «الرور» و«السار» . أمّا «سيليزيا» فما زالت معزز عن الأذى . كانت «بريسلو» . فضلًا عن «دريسد» . المدينة الألمانية الوحيدة التي لم تسقط عليها أية قبلة . ولذا فقد انتقلت الصناعات الحيوية تباعًا إلى حرمها . ولو سقطت «سيليزيا» . لكان المضي في الحرب يمسي مستحilla . ييد أن «سيليزيا» اجتاحت يوم تسلّم «شوسنر» زمام القيادة بالذات . فعبر «الأودير» في «بريفز» و«ستينو» في طرفى «بريسلو» كلّيهما . وطمّت قوات الاجتياح في «سيليزيا» العلَا على الحوض الصناعيَّتين وأخذت تنهّمه . كانت إعادة الرصبة إلى نصابه تستوجب حشدًا من الفرق الجديدة ينقضّ على خصم صفعي التقدّم السريع صفوقة . ولم يكن مثل هذا الحشد وجود .

أخفقت المحاورات الفرعية كلّها . تكثّفت قوات «بريفز» المنوهوكه من إنقاذ فيلق «المانيا الكبرى» المصفوح . ولكنها أخفقت في محاولة تركيز خطط «الأودير» . فكثُر الجيش السابع عشر ، ولما يزل سالماً نسبياً . بحماية الحوض الصناعي . ولكنّه عجز عن المحوّل دون سقوط «كاتوفيتز» و«أوبيلن» و«غليفيتز» . وتطويق «بوثن» . وإذ يقُن «شوسنر» من حلول الكارثة القرية الشاملة ، طلب من «هتلر» أن يسمح له بإخلاء «رور الشرقي» . وأنت ردّة فعل الطاغية . وربما للمرة الأولى ، ردّة رجل مستسلم للأقدار . إذ أجاب : «إذا كنت تعتقد أنت لا تستطيع أن تفعل غيرهذا يا «شوسنر» . فافعل !» .

كانت «بريسلو» . نتيجة للتورّم الذي سببته الحرب . تعدّ مليوناً من السكان . عمّد الحاكم العسكري «هانكى» أولًا إلى إصدار أمر يحظر فيه على أي شخص أن يغادر المدينة . وعندما أعلن «هتلر» أنها «قلعة يذاد عنها» . نذك موقفه وأمر بإجلاء المدنيين . فراحت السيارات المزدادة بمكبات الصوت تتبع شوارع المدينة معلنة أنَّ على النساء والأطفال أن يغادروا «بريسلو» في الحال . سيراً على الأقدام . بطريق «ليختنست» . كان ميزان الحرارة يشير إلى الدرجة العشرين تحت الصفر . وكانت كثافة الثلوج على الطرقات تبلغ ٢٥ سم .

وحصلت المأساة نفسها في «بوزنانيا» . فلم يكن للجنرال «بنزيل» . من أجل الدفاع عن «بوزن» التي أعيدت إلى جرمانيتها ، غير ٢٠٠٠ طلاب المعهد العسكري . وبغضّ كثائب الحرجي المعادين إلى الخدمة . تخلّى «بنزيل» عن مركوه . وببدأ الحصار في اليوم الأخير من كانون الثاني . أخذت الكلابة تشدّ الحناف على «بروسيا» الشرقية . فنزل «تشيرنياكوفسكي» «كونيغزبرغ» . وتقىدم «روكوسوفسكي» ماراً «بالنشنلين» و«أوستيرودي» . وفي ٢٧ بلغ «فريشيز هاف» بالقرب من «ليبلينغ» ، فقم بذلك عزل جيشين هما جيش الدبابات الثالث ، الخاضع لإمرة الجنرال «راوس» ، والجيش الرابع ، الخاضع لقيادة الجنرال «هوسباخ» . فأمر «هتلر» «راوس» بالدفاع عن «كونيغزبرغ» . وعن «بيلاو» ، مرافق «فريشيز هاف» . وأمر «هوسباخ» باتخاذ موقف القنفذ حول موقع «لوتن» .

الأعلى. على قيادة «جيش الميدان». كانت الجبهة الشرقية إذ ذاك تشمل ١٠٣ من فرق المشاة، و٣٣ فرقة مصفحة ألمانية؛ فيما ضمت الجبهة الغربية ٦٥ من فرق المشاة و١٢ فرقة مصفحة. وتساءل الجنرالات كلّهم تقريباً لماذا لا تُحوّل إلى الشرق قواتُ الغرب كلّها. حتى ولو أسرى هذا التحويل عن الاحتلال الحلفاء الغربيين «الألمان» بكمالها. أو فالحربي من أجل ذلك بالذات؟

معركة «كولمار»

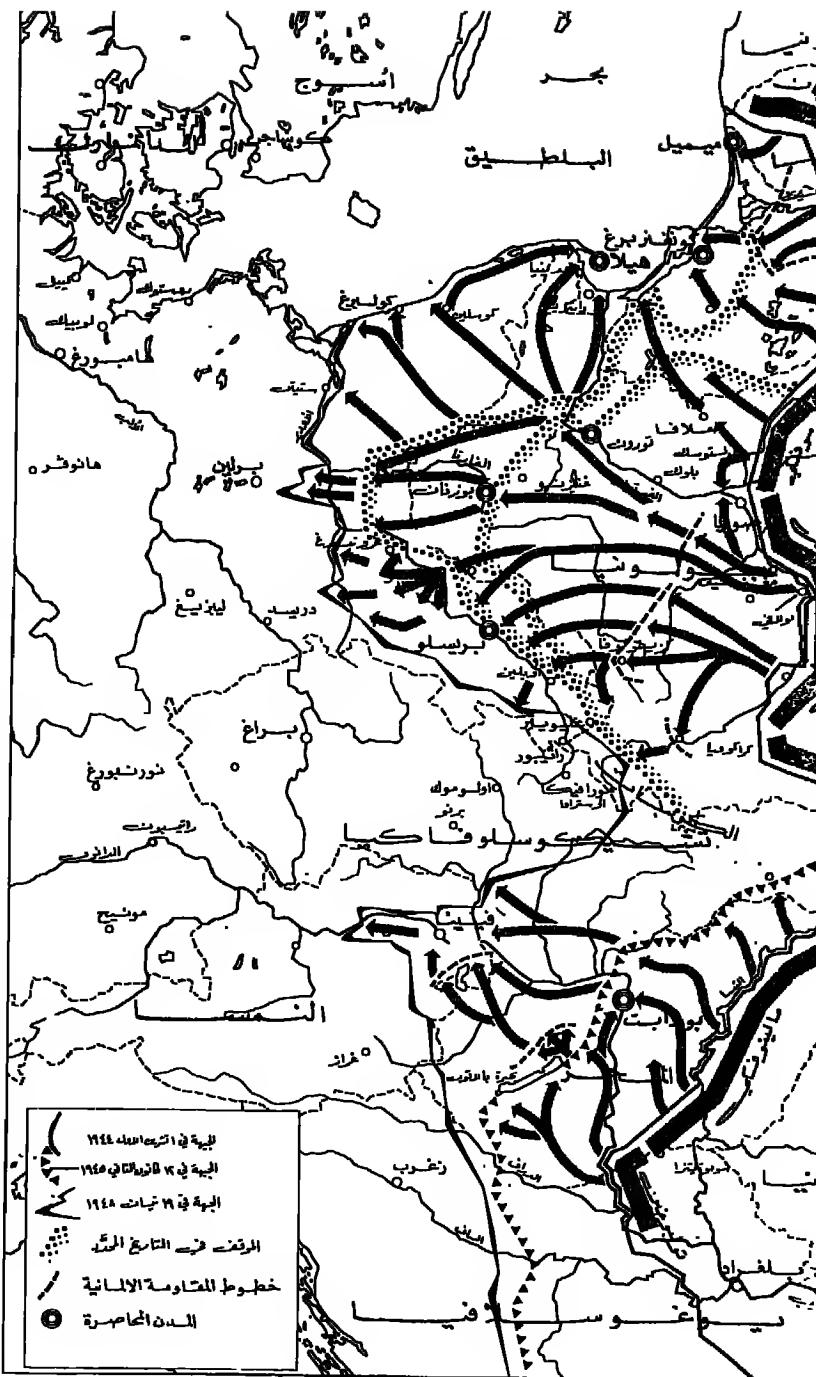
م يكن لمارك الغرب طابع العظمة والوحشية واليأس الذي اتّخذه المعرك القائم على الحدود الألمانية الروسية. ومع ذلك كانت أوضاعها شديدة القساوة. وقد قال «باتون»: «كان القتلى يتجمدون للحال. ويغدو لوزهم رهياً بلون قفل الخمر ... لقد تعجبت لروية نقط سوداء تناثر فوق الثلوج. واكتشفت أنها أصابع أقدام القتلى».

في ١٦ كانون الثاني، التفت كوكبة الجنالة الأميركية ٤١. من الجيش الثالث، في «هوفالز»، فوج المشاة المصفح ٤١. من الجيش الأول. فتحم هذا الاتصال معركة «الأردبن». وعادت القوات الأميركية إلى مواقعها في ١٨ كانون الأول. هذا وإن هجوم «هتلر» المعماكس قد منح الرابح الثالث فترة استراحة ضدّ عدو الغرب. وأعطي عدو الشرق هاشم تقدّم في غزو «الألمان» واحتلال «أورووبا» الوسطى.

لقد كبدت مفاجأة «الأردبن» الحلفاء ٨٠٠٠ قتيل، و٤٨٠٠٠ جريح، و٢١٠٠٠ مفقود. كما خلقت ندوياً في الناحية الفكرية. وبات «أيزنهاور» يعتقد. أكثر من أي وقت مضى، بضرورة نظام الخنزير، والضغط المستمر المتضاد على الجبهة بكمالها. وعاد «مونتفوري» إلى إلحاحه بقصد هجومه الفريد شمالاً «الرور». وقد وضع ترشيحه لقيادة مجلس الجيوش الخليفة في «أورووبا» الغربية، توأزره في ذلك قوة الرأي العام البريطاني بكمالها.. إلا أنّ هالة «أيلك» لم تكن قد بدت رونقها تماماً من جراء أحداث كانون الأول، وكانت للأميركيين ٥٠ فرقة مقابل ١٥ فرقة «اللكومونولث». وعاد «برادلي» نفسه إلى المسرح، وهو ذلك القائد الباهت. بعدما استبعد عملياً ساعة الخطير. وبعد انتصارات يومين على اتصال «هوفالز» أعاد إليه «أيزنهاور» الجيش الأميركي الأول، تاركاً لمجموعة «مونتفوري» الجيش التاسع فحسب.

وفي سبيل استمرار العمليات وضع «أيلك» ما أسماه خططاً. كانت مرحلته الأولى تقضي بتطهير ضفة «الرين» اليسرى. وكانت مرحلته الثانية هي عبور «الرين». وكانت المرحلة الثالثة تقضي بالتوغل في ما وراء «الرين». وحسب خبراء القيادة الخليفة العليا. كان ارتفاع الماء وعنف عبارة يجعلان محلاً اجتياز النهر قبل شهر أيار. وبهذا منح «أيلك» نفسه خمسة أشهر لتنفيذ المرحلة الأولى من برنامجه.

بدأت هذه المرحلة بهجوم فرنسيّ أميركي في «الأ LZs». ولم يكن الخطير الذي ينقل كاهم «ستراسبورغ» قد زال تماماً بعد. كان الجيش الألماني الأول قد أقام اتصاله مع جيب «غامشيم». وأمام الجيش الأميركي السابع، الذي كان يغادر حاشية غابة «هااغنفور» الشمالية، فقد تراجع حتى «هولدير»، وكان على الفرقة البازلرية الثالثة أن تcum هجمات عنيفة عديدة شنت على «ستراسبورغ»، ومع ذلك فقد ارتأت القيادة الخليفة بحقّ أنّ أفضل وسيلة لتصفية الرفع في «الأ LZs» تقضي بإزالة جيب «كولمار» الذي كان يضغط على جناحها الأيمن منذ ثلاثة أشهر. وفي الجيب، انتقل الجيش ٦٤ في الشمال والفيلق ٦٣ في الجنوب. وكانت فرقه الثمانية ناقصة وتعبة، ولسوف تشهد إحداها، وهي الفرقة الجبلية ٢،



العمليات في «روسيا» من تشرين الثاني ١٩٤٤ إلى نيسان ١٩٤٥.

أنّ المزية الألمانية كانت رهيبة منكرة. عبر من «الأودير» قسم هام، وقارب الرمح السوفيتي في الجنوب «ناسي لوزاسي»، وهي حدود «سيلزي يا» الغربية، واحتفظ الألمان برأسى جسر في تخوم «فرانكفورت» على ضفة «الأودير» الشرقية؛ غير أنّ الروس قد بلغوا الضفة اليسرى، وباتوا على بعد ٧٠ كلم من «برلين».

عمد «هتلر»، رغبة منه في سدّ الثغرة الفاغرة التي افتتحت أمام عاصمه، إلى تشكيل مجموعة جيوش جديدة أطلق عليها اسم «الفيسنجل»، مع أنها لم تكن أوفر حظاً بإعادة فتح «الفيسنجل» منها «بالفولغا». وطالب «غوديريان» بأن تُسنّد قيادتها إلى المارشال «فون فايحس»، فرفض «هتلر» ذلك، زاعماً أنه لا يثق بهذا البخندي القديم والمسيحي المتدين؛ وأُسنّد مهمّة الدفاع عن «برلين» إلى «هملر» الذي تدرّب حديثاً، في «الرين».

الألمانية التي كانت في شطرو الفوجي، حول «مونستر» و«فيبيولر». فقد أسرت كلّها في الأيام التالية.

وسقطت قلعة «نوف-بريساك» القديمة من غير قتال في ٦ شباط. وفي ٩، وصل أواخر الجنود الألمان إلى الصفة اليمنى من جسر «شالامب» الحديدي الذي بقي سليماً بصورة عجيبة، ولكن الجسر تفجر من ورائهم. وهكذا غدت «الألاس» حرة.

«يالطا» غرفَةُ تِسْجِيْل

نشب صراع الآراء الأول، كما حصل بشأن «طهران» عام ١٩٤٣ حول مكان انعقاد المؤتمر. فحارب «تشترشل» بكل ما لديه من قوة افتتاح «القرم»، وأقرب إلى «روزفلت» يقول: «بسعنا أن نبحث عشر سنين. فلن نجد مكاناً مقيناً كهذا. فهو ليس بمنته لغير البراغيث» واقتصر «إيدنبرغ» و«ناسو» و«مالطة» و«أتينا» و«برص» و«القاهرة» و«القدس» و«روما»، وكلّها مدن سالمة توفر تسهيلات واسعة بشأن السكن، ومطارات حسنة التجهيز، وشبكات موصلات كاملة مضمونة. فلم يجد كل ذلك فتيلاً، لأن «ستالين» يصر على أن يلتقي الثلاثة الكبار على الأرض السوفياتية، أو لا لأنّه يخاف الطائرة، ويأبى أن يعرض حياته لأخطار سفرة جوية؛ ثم لأنّه أراد أن يثبت أنه الأكبر. كان في السنة الفائتة قد قيل، بكثير من العناء، أن يذهب إلى «طهران»؛ أمّا الآن فقد رفعت قدرة الغلبة السائرة، فأتى قراره الحديد حاسماً قاطعاً: «فإما أن تأتينا إلى إيمانًا لا يعقد المؤتمر».

كان بوسع «روزفلت» وحده أن يقف في وجه الإرادة الستالينية. فلو زعم «ستالين» أنه يقود معركة ضخمة واسعة، لاستطاع «روزفلت» أن يجيب بأنّ معركته تبز تلك اتساعاً، طالما أنها تشمل المحيط الهادئ. أضف إلى ذلك أنّ «روزفلت» رجل قد درج به المرض، حتى باتت رحلة تشمل نصف الدائرة الأرضية تشكّل، بالنسبة له، مخنة قاسية. أجل، كان بوسع «روزفلت» أن يتذرّع بمسؤولياته وبصحته ليطلب من المارشال «ستالين» أن يتكتّم مشقة نصف الطريق على الأقل. ولكن، ما حيلة «تشترشل»، وهو الشخصية الثانية، إذا كان «روزفلت» قد قبل وأذعن؟ أمّا النعمة الوحيدة الضئيلة التي حصل عليها «تشترشل»، بعد العناء الشديد، فهي لقاء الكلزي-Amirki تمهدّي يعقد في «مالطة» على طريق «يالطا». وقبل «روزفلت» ذلك بمنتهى القرف والامتعاض، زاعماً أنّ لقاءً كهذا قد يثير «ستالين» ويوجهه بأنّ الغربيين يتفاوضون لمواجهته جبهة واحدة. وفي ٢ شباط وقف رئيس الوزراء تحت شمس ساطعة ينتظر الطّرّاد «كويسي» في مرفأ «الفاليت». وشدّ ما ذهل لدى روبيه وجه «روزفلت» التعب المضني، وهو لا يعلم أنّ «روزفلت» لم يغادر حجرته طوال الرحلة، وقد عمل طبيه، الأميرال «ملث انابير»، ليل نهار. على تشبيطه استعداداً للمؤتمر.

كان يراقب «روزفلت» المحضر. محضر آخر هو «هوبكتر». وكان جسم هذا المستشار قد نخل وتهراً حتى العظام. فاضطرّ، على غرار سيده، إلى أن يقطع الأطلسي ممحوراً طريحاً الفراش. كانت وزارة الخارجية قد أعدت له و«روزفلت» مذكرات رائعة حول مسائل «أوروبا» الشرقية. ولكن كيف لمحضررين، ترهق نفسيهما وطأة الموت الثقيلة، أن يكتبَا على الملفات؟

لم تكن لمؤتمر «مالطة» أية أهمية، وقد رفض «روزفلت» أي بحث يتناول الموضوعات التي ستثار في «يالطا». ومنذ الغد أفل جسر جوي حقيقي نحو «القرم» الأشخاص الـ ١٥٠ الذين يوّلون الوفدين. بلغت

المؤلفة من نسائيين. والقادمة من «الزوج». عدداً ضخماً من الفارين. إلا أنّ القوات الفرنسية والأميركية كانت قد أصبحت بمثابة الإلهام. وكان الطقس منافياً تماماً لشنّ هجوم. كانت عواصف ثلجية تجتاح «الألاس»، وقد بقي الطيران على الأرض إجمالاً، وكانت عمليات النقل شديدة الصعوبة. هذا، وكان يوثر على نتاج أفضل الوحدات شقاءً بالجندي والأمة.

تقدّم الفيلق الأول إلى الميدان بقيادة «بيتار». يشنّ هجومه على سفح الجبل الجنوبي، بين «تان» و«مولوز». كان على ميسنته أن تبلغ «الرين» في «فيسينيم». وكان على ميسنته أن ترفع على طول «الفوج» لنجري اتصالها مع الفيلق الثاني في «روفاخ». إلا أنّ النتائج بقيت مخيّبة. وعلى سفح «الفوج» وقفت الفرق المغربية الجنوبية من غير حراك وقد شلّها الثلج؛ وأمام «مولوز» كانت فرق الماشة الآلية تقع الأرض متعرّضة بخطتها. واقتصر «بيتار» تعليق الهجوم في انتظار تحسّن يطرأ على الأحوال الجوية؛ وراح «دي لاتر» يشجّعه، ولكنّ التقدّم يعيّد أيماؤه شيئاً. وشنّ «مونساير» هجومه بعد يومين على جانب الجبل الشمالي. بأربع فرق، منها فرقتا المشاة الأميركيتين ٣ و٨. كان عليه أن يغشى «كولار» ليبلغ «الرين» في «نوف-بريساك». ولوسوف يتوجه سهّمان من المجموع نحو «روفاخ» و«سانت-كرولاون-بلين» للاقتال الفيلق الأول. كانت النتائج الأولى أكثر إرضاء مما كانت عليه في الجنوب. وألقى العدو بحدّ الحربة. الذي كان قد أغمره في اتجاه «سترابورغ»، بين «إيل» و«الرين». وقد تم تطهير غابة «كولار» وبلوغ ترعة «كولار». ولكنّ كانت تنقص «دي لاتر» فرقاً لكي يحافظ على حيوية المجموع؛ فطالب بها عثاً بادي ذي بدء، ثم في ٢٥ كانون الثاني، منحه «ديفيرز» الفيلق ٢١ بكماله. بإمرة الماجور-جزال «ميبلون»، فنزل إلى الميدان من على يمين «مونساير».

وبعد فترة ركود عاد المجموع إلى الاتّعاش. وفي ٢ شباط حرّرت «كولار» فرق الماشة الآلية ٣، ثم تتحّلت لكي تتبع أمام الدبابات الفرنسية في الفرق المصنفة ٥ مجال الدخول إلى المدينة في الطليعة. واستمرّ التقدّم في اتجاه «روفاخ» على الرغم من ذوبان الثلج الذي حول الأهرام الصغيرة المنحدرة من «الفوج» إلى سيل. وكان الفيلق الأول قد استعاد تقدّمه. فسبق فرق الماشة الأميركيّة ٧٥ في الدخول إلى «روفاخ». وتمّ الاتصال في ٥ شباط. فشطّر جيب «كولار» شطرين. وأمام القوات

في الطريق إلى «يالطا» تلقى «روزفلت» على ظهر السفينة «كويسي» زيارة الملك عبد العزيز بن سعود عاهل «المملكة العربية السعودية». ويرى الكولونيل «إدي» مثل «الولايات المتحدة» الدبلوماسي لدى الملك، يخاطبه وقد جنا على إحدى ركبته.



شروط الطيران حدّاً من الصعوبة، وباغت تسهيلات بلاد «القرم» حدّاً من الصعب أخضاعه حيادًّا الآراك الأبي لبعض العنت، من أجل أن يسحوا دخول «البحر الأسود» لسفينة الانكليزية «فرانكونيا»، والناقلة الأميركية «كاموكتين»، اللتين ستسخدمان كقاعدتين عائمتين وكمحطتين من محطّات المواصلات.

حطّت الطائرات في مطار «ساكي» بالقرب من «أوباتوريا» التي
ما زال تفصلها عن «باليطا» مسافة ٢٠٠ كلم وسلسلة من الجبال، يستغرق
اجتيازها ست ساعات. حُشِّدت القوات على طول الطريق مراقبة،
والكتف إلى الكتف. ووضع على القرى والبسور حراسة شديدة تقيلة،
وكثير من الجنود نساء. وانتشرت الدبابات المحمولة والشاحنات المحروقة،
أشبه ما يكون بزبد ميرجل غلت به ساحة القتال، وهي تشير إلى ضرورة
المعارك التي ثبتت في سبيل أملاك طريق «القرم» الاستراتيجية. هبت
الريح عاتية، وقطع الموكب «سيميريل وبول» التي أحرقتها النار حتى
الأرض. فما كان من هزات الطريق ومنعطفات الجبل العنيفة إلا أن
حطّمت «روزفلت»، فوصل منهوكاً وقد علت وجهه صفة الموت؛
فبادر «ماك آنابير» يطمئن من استبد «بهم القلق قاتلاً»: «أنا أعلم الناس
به... لقد نال منه العياء... وسرعان ما سيستعيد نشاطه!»
أما «ستالين» فيحصل من «موسكو» بالقطار، ولقد أعلن أنه لن
صا... إلا في صراح الغد.

أثبت الواقع صحة تذمّرات «تشترشل» المسبقة : فشرط الراحة معدومة تماماً . أُنْزَل «تشترشل» على بعد ١٠ كلم من «بالطا»، في قصر «فوروينتروف» سابقاً الذي لم يبق السلب فيه على شيء ، مما استلزم إلحاح الآنسة «جون بريت»، عضو المفرزة التي سبق إرسالها وصول الوفد . لتحقّص لسيدها على سرير كبير يلائم عاداته . ضم الوفد الانكليزي ثلاثة مارشالات . وأميرالين ، وعشرات الخبراء والكلربيليات والضباط الأعلّين ، فضلاً عن نخبة من موظفي وزارة الخارجية . والسكرتير الدائيم سير «الكتندر كادوغان» . أُنْزَل أعلى الأعضاء رتبة في قصر «فوروينتروف» . بمعدل أربعة أو خمسة في الحجرة الواحدة ، وكوّم الباقيون في مصحّتين تفصل بينهما عدّة كيلومترات . وتحصّص حمام واحد لكلّ عشرين جنرالاً . وإذا لم يكن للبناء الواحد غير مشكلة واحدة وجّب توجيه نداء استغاثة إلى السفينة «فرانكونيا» ، لكي ترسل بعض الطسوات فيتأمّن لأعضاء هيئة أركان المملكة المتحدة المدنيين والمسكريين ما يسمح لهم بفشل وجوههم على الأقلّ .

ولم يكن الأمير كييون أفرج حظاً، فقد أطعوا صرخ «ليفاديا» الذي كان من عادة «نقولا الثاني» أن ينزل فيه شتاءً، فضمنت الحجرة الواحدة ثمانية جزرالات وستة عشر كولونيلاً. ولسوف يتأثر جو المؤمن بهذا الارذحام. ومع هذا فقد بذل الروس من الجهد ما استطاعوا. لم يكن في المدينة أي مورد. فأرسل من «موسكو» كل شيء، من أقل منضدة إلى أقلى رجالة إلى أقل زجاجة فودكا، فقادمت ١٥٠٠ عربة من عربات القطار برحلة استغرقت خمسة أيام لتحمل إلى «القرم» هذه المخلفات التي وجدها الأمير كييون والإنكليز غاية في التشقف. وقام بالرحلة الخدم أفسهم. ومن التفاصيل المؤثرة أنه قد عُثر على عدد من الأحلية النسائية ذات الكعب العالي، فانتعلتها الخادمات، ولم يكن لهنّ عهد بها، فالرثالت منهاهن الكعوب والأقدام. ولكنهن كن لاثقات في فساتينهن السوداء النظيفة بطاقياًهن الناصعة البياض.

حتى المدائق أعيد عرشهما، فاستخدمت أشجار السرو والبرعمان من «جيورجيا» وغرسـت في أرض لم يتم تطهيرها من الألغام بعد. نُسـي السمك الأحمر. ولكن ما كاد مارشال الجلو «بورتاك» يشير إلى ذلك حتى

ظهرت الأسماك في البرك منذ الغد. ولاحظ انكلزي آخر أنهم يفتقرن إلى قشور الليمون الحامض في الكوكتيلات. فإذا بشجرة ليمون تقللها الشمار قد انتصبت في المساء عنده على الشفة السادسة.

حل «ستالين» في فيلا «كوريز» على بعد كيلومترات من «الطا». إلا أنه تساهلاً منه، وتوفرًا لفوري «روزفلت» الذي حمله من المشقة ما كاد يقتله، فقرَّ أن تُعقد الجلسات العامة في قصر «ليفاديا». وسيق الجلسة الأولى، التي جعل موعدها الساعة ١٧، ١٠، أحد تلك اللقاءات التي لا يعود بها رئيس «الولايات المتحدة» لرئيس وزارة «بريطانيا العظمى» إلا بصعوبة كبيرة، وكانت «فرنسا» موضوع الحوار الرئيس. فروع «ستالين» قصة الزيارة التي قام بها «ديغول» إلى «موسكو» والتي عاد منها بالحرار بمعاهدة صداقة فرنسية- سوفياتية غريبة. وقال «ستالين»: «لا أطعن «ديغول» شخصية كثيرة التعقيد؛ ولكنني يفتقر الافتقار كله إلى الواقعية، في تقدير الدور الذي تلعبه «فرنسا» في تحقيق النصر». فقال «روزفلت»: «لقد كان في «الدار البيضاء» يقارن نفسه «يجان دارك» و«كليمانسو». قال «ستالين»: «ولقد أعلن لي في «موسكو» أن «الرين» يشكل حد «فرنسا» الطبيعي؛ وأنَّ على القوات الفرنسية أن تحمله إلى الأبد... وبالمناسبة، أعتقد منح الفرنسيين منطقة احتلال في «المانيا» أمراً لا زاماً». فأجاب «روزفلت»: «سيكون ذلك من قبلنا غيرَ هدية!»

فإذن فالقاعة الاجتماعية الكبيرة (١٠٢) قاعة العرش العظيم. لأنّ ما أُنزلته للمرء من دمار كبير قد أزال ثريات البندقية ومصايبع البليتو الملاصقة على البدران. يبدو البحر نهاراً بلونه القاتم، منبسطاً في أسفل الحدائق المسيحية التي أعيد ترميمها جزئياً، ولكن سرعان ما يهبط الظلام فتختفي القاعة كثيبة تحت الأضواء المرجانية. أمّا المائدة فمستديرة كالأرض والسماء، كيف لا، وليس بوسع أيّ شكل هندسي آخر أن يعرب عن تسارعى المردة الثلاثة البرتووكول! فشمة دائرة، وأقواس ثلاثة؛ متعانقة متباينة، متناقضة مترافقية.

تميزت القوس البريطاني بالزهد والصلب والقلق، وكان المدّني الوحيد فيها هو «أنطونيو إيدن»؛ وفي ما عدا الأميرال «كانينفهام»، أرتدى العسكريون «بروك» و«الكتسدر» و«بورتال» و«إيسمي» لباس سلاح الطيران الأزرق البسيط. أبل «تشرتلش» من وعكة حديثة العهد، إلا أنه ظل متوجهًا غاضبًا. تعمّد خلال الحرب أن يتوارى خلف «روزنلت» الذي كان يتطلّع منه الكثيرون، وأمام الآن، فقد أدرك مقدار الأول الذي أصاب «بريطانيا العظمى»، عشيّة انتصار ما كان ليتحقق لولا عنادها البطولي الفريد في فترة ١٩٤١-١٩٤٣. الحقيقة أن «بالطا» قد ضمّت عظيمين ونصفاً. وإن كانت الآنسة «بريات» العينية قد نجحت في توسيع سرير رئيسها، فإنه لم يكن بسعتها أن توسيع مقعده! وكان المدنيون أوفّر عدداً في القوس الروسي: فهناك «مولوتوف» و«غروبيكو» و«مايسكي» و«بافلوف». ولم يتبّدّ «ستالين» عسكرياً بالمعنى الصحيح، بالرغم من لباس مارشال «الاتحاد السوفيتي» الذي أرتداه، ولم يكن قط أحسن مزاياه؛ فجيشه غدت على أبواب «برلين»، وحلقاًواه يتزلّون عند إرادته، وتلك، لعمري، هي الأمور التي توفر السعادة للرجال العظام!

أما القوس الأميركي فمربعة مفجعة؛ «فروزلت» يختصر، وقد انتابت الرعشة يديه وأحدق السواد بعيشه، وبدت عنقه أشيه ما تكون بعنه دومياء مصرية، برزت جوزتها وأخذت حلقاتها الغسر وفته ترفع الجلد اللذابل الذاوي. جلس بين «ستينيبيوس» النافه و«هاري هوبكتر» الذي ترخ به المرض فغدا لا ينهض إلا ليجلس إلى مائدة الموتر، ولا يغادرها إلا ليأوي إلى سريره. ظل ذهن «هوبكتر» سليماً معافياً بالرغم من



طائرة «روزفلت» «البقرة المقدّسة»
تحطّ في مطار «أوباتوريا».

أنهم قد أتوا ومركبة النقص يسيطر عليهم، فوقفوا موقف السائل المستعدي. أما ما تسعى إليه «أميركا» فهو، قبل كل شيء، الحصول على إسهام «روسيا» في عرب «المحيط الهادئ». والحق أنَّ لهذا الاهتمام ما يبرره؛ بيد أنَّ الباقة الأولى كانت تفرض اعتبار «اليابان» بحكم المرض المدفَن، وأسطوله بحكم المبدأ، كما يفرض التنويم بطائرات «ب-29» التي أخذت تعثُّر الدمار في جزره، والإشارة إلى أنَّ إسهاماً سوفياتياً موجهاً إلى ما بعد هزيمة «ألمانيا» لا يشكل غير قيمة نسبية رهيبة بظرفها. ولكنَّ «أميركا» اعتنت الموقف المعكوس، وراحت تستجدي التدخل الروسي، وترضى ابتعاده بأي ثمن.

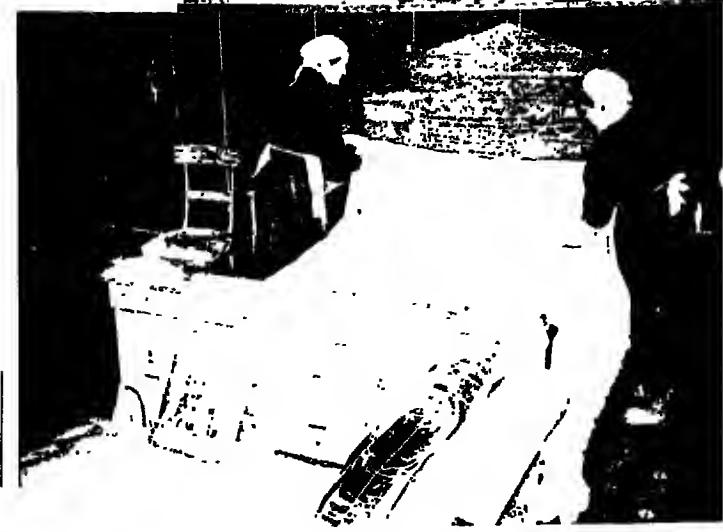
ولعلَّ في مبادئ «روزفلت» ما يفسر هذين الموقفين المناقضين. فلقد نطق، وهو على متن «الكونينسي» بالتصريح العجيب التالي: «أنا واثق من أمر واحد على الأقل، وهو أنَّ «ستالين» ليس مستعمرًا». ثمَّ وجَّه إلى «تشرشل» الحديث التالي: «إنَّ في دمك، يا «ونستون»، لأربع مئة عام من الفتوحات، ولا يمكنك أن تقبل بأمة لا تستولي على أرض ما، إذا كان بوسها أن تفعل. ولكنَّ صفحة جديدة من تاريخ العالم قد فُتحت، وبات لزاماً عليك أن تختارها...». وأردف يقول: «لا يسعني القبول بأنَّنا نحارب الرق» الفاشيسي، ونأتي في الوقت عينه تحرير الشعوب الخاضعة لنظام استعماري. يبني ألا يسمع السلام بالإبقاء على الاستبداد أياً كان شكله...».

أنهيار الجسد المتداعي، فنظره المعنوي يتقلَّد دونما انقطاع. من ملامحه رئيسة التلفة إلى القناع السطالي الذي يحاول تأويلاً أقلَّ تقلصاته. وينجي بين الحين والحين على أذن «روزفلت»، أو يمدُّ له بيده الشفافة ورقة خطٍّ عليها بعض الكلمات: فمن نصح بالتزام الخدر، إلى تنبيه، إلى النصح بالتزام الصمت أو الاقتباس. ولكنَّ «روزفلت»، مع الأسف، يتكلَّم ويُسْهِب في الكلام؛ فيهلك قواه في جهد مؤثر محزن للتشتت بعالم راح يمعن في الاتساع عنه. ثمَّ يلقي برأسه على صدره ويطلب إيجاز النقاش الذي وسع حدودَ نفسه.

أما الأميركيون الباقون ف العسكريون: من «مارشال»، إلى «دين»، إلى «كوتور» . إلى «ملك فارلاند»، إلى «كينغ»، إلى «ليهي»؛ كانت القوة المادية التي تخضع لهم تفوق كلَّ وصف: فجيوشهم البحرية تسيطر على المحيطات، وتحاصر «اليابان»، وتؤدي إلى قعر المحيط الأطلسي بسفينة من الغواصات التي جعلت منه مدفناً للسفينة؛ وأساطيلهم الجوية، وأسراب قلاعهم الطائرة، تسحق المدن الألمانية وتبيدها؛ أما جيوشهم البرية فتبلغ 11 مليوناً من الرجال يضاعف عددهم مراراً فوق الأسلحة وأسرع سبل النقل إطلاقاً. هذا وتدعيمهم بلاد شاسعة سليمة، وصناعة حربية لم تبلغ بعد إنتاجها الكامل، وقبة ذرية لم يبقَ بناؤها إلا رهن أسابيع معدودة. فاستناداً إلى المنطق السليم، والواقعية الصحيحة، كان من حقِّ الأميركيين دون سواهم أن يسيطروا على مؤتمر «بالطا» هذا، إلا

«روزفلت» يعرض في سيارة جيب حرس الشرف الذي اصطفَّ لتحيته في المطار . وقد مشى «تشرشل» إلى جانبه ..





حرام الشخصية البشرية وحكم الشعب لذاته. أمّا هو، «تشرشنل»، فمقطوع من أنّ العالم سيخرب من الحرب أشدّ اقساماً من أي وقت مضى. وقد ارتسم في ذهنه إذ ذاك العنوانُ الذي سيطلقه على المجلد الأخير في مذكراته: «نصر ومسألة».

تأثر العلاقات الشخصية بتواتر الآراء. فندا «تشترشل» جهاراً موضوع سخرية «الروس»، فإذا هم يكادون لا يخفون ضيقهم عندما يذكر الحرارة التي تبني بها براطليه وأواه العام قضية البولنزيين الذين حققوا المآثر الكثيرة في سماء لندن. ففي رأيهم أن تربية روساء الديموقراطيات الغربية بما تعتقد شعوبهم - حجج كاذبة. إن لم تكن دليل ضعف فظيع بين. وهكذا قال «فيشنسكي» «ليوبلن» جاره على المائدة: «يمسن بكم أن تعلموا أمير كييف إطاعة حكومتهم». وداعب «ستالين» «تشترشل» في العشاء ذاته فقال: «تبدو لي مذعوراً من براطليه ومن انتخاباتك المقبلة». فأجاب «تشترشل»: «أنا الوحيد بينما تخن الثلاثة. من يستطيع ممثلو بلاده أن يطيحوه في كل لحظة. وإنني لفخور بذلك». فضحك العם «جو» ملء فمه، فذاك. لعمري. نوع من الفخر لا يشاطره!

دافع «الإنكليز» عن «فرنسا» دفاعاً حاراً، ولقد علق «هو بتكر» على ذلك إذ قال لصديقه «شبر وود»: «لقد كافع «تشرشل» و«إيدن» من أجل «فرنسا» كفاح الأسود». ففي أحلك ساعات ١٩٤٠، عندما أخذت المحافظة الفرنسية-الإنكليزية تهافت في زوبعة المزاعنة. قال «تشرشل» إنّه لو كُتب النصر «لبريطانيا العظمى» فلسوف تُقْبَل «فرنسا» من كبوتها، وتُعيدها إلى «كرامتها وعظمتها»، والآن . وقد حان الوقت . نر «تشرشل» بوعده . ومع أنَّ «تشرشل»، رجل عاطفي . لم تكن الاعتبارات العاطفية وحدها تحرّكه . فهو هناك نظره كرجل دولة .

فمن نظر إلى «أوروبا» في شهر شباط ذاك من عام ١٩٤٥ رأى الغرائب المادية . والمدن المدمرة ، والمدن المشتعلة ، والمدن الدارسة . والأغراض المهملة تغمرها جموع غفيرة من الجائع... أما رجل الدولة فيشاهد من الغرائب ما هو أخطر من ذلك بكثير : عنئت الغرائب السياسية التي ستجعل من «أوروبا» بعد أن تلوذ المدافع بالصمت فراغاً مريعاً . في «الدار البيضاء » حُكم على «المانيا» بالاستسلام بلا قيد ولا شرط ، وفي «طهران» تقرر إلغاء الدولة الألمانية بالذات . فلو ظلت «فرنسا» عاجزة ، لامتد الفراغ السياسي حتى جرف «المانش» ، مجندباً التوسيع السوفيتي اجتذاب المجمجم . لم يكن ، في الجوهر . من الخطورة القصوى . إن ينال الفرنسيون منطقة احتلال في «المانيا» ؛ فالمهام التي تتطلبهن في بلادهم المدمرة كبيرة كبيرة . ولكنَّ موضوع البحث هو وضع

امر انان روسيستان تهیستان «لتشرتشل» سريراً كبيراً يتلاعماً وعاداته.

أما المستبد فهو الانكليزي، وقد غدا أسرار ماضيه. أما الروسي .
مع ما يمكن أن يثيره من تحفظات. فيبقى ديمقراطياً. ورجل مستقبل .
ومحرراً

وذلك وفقت «اميركا» موقف المستجدي بالنسبة لطفل «روزفلت»
الحبيب. الا وهو هيئة الأمم المتحدة. فقبل «ستالين» أخيراً أن يتبع
إليها، إلا أنه طالب بأن تُعطى كلّ من الجمهوريات السوفياتية الست
عشرة صوتها في الاجتماع العام. فاعتبر «صممو المستقل الأميركيون



صرح «ليفاديا» حيث جرى الموقر .

أنه لا يمكن القبول بهذا المطلب . فبات من الواجب حمل «ستالين» على التخلّي عنه . على أن يُمْتَنَع بعض الامتيازات في حقوق أخرى . وتأتى الحلسات وتشابهات . والحق أن موئمراً لم يعرف فقط ما عرفه وهذا من نشاز وعدم انسجام . لم يهتم أي موضوع . ولم يتبع أي جدول للأعمال . وأمست اجتماعات «الكتار» المقتصبة المتوردة ، بسبب عياء «روزفلت» . محادلات متفككة . تفرّق فيها على بساط البحث المواضيع ذاتها دونما ترتيب ولا تنظيم . ودمجت محادلات وزراء الخارجية ورؤساء الأركان بطابع التفاهة . نظراً للاستبداد بالرأي الذي أتّاه عند «روزفلت» وعند «ستالين» طول عهد بالحكم والسلطة . وزرارت في النهاية عزيزة «تشترشل» . وقد أيقن بطلان جهوده . فإذا هو زجل متعب يعود كل مساء إلى مبني «فورونتسوف» القصبي . ويمضي الأميركيون ممتطين متون أحلامهم . يراود خيالهم أمل في رؤية العالمخارجاً من الحرب موحّداً في الإيمان الديموقراطي عينه . وفي مبادئه



جري المؤتمرات حول طاولة مستديرة .

أن تنهض من هواها المادي والمعنوي . ولسوف تظل حلال سين طبولة . موسومة بزمرة ١٩٤٠ المقيدة التي لا تغفر ، إلا أنها ستحل على قدم المساواة المبدئية في كل المؤشرات الدبلوماسية . وستتمكن من استعادة الكلام تدريجياً للتأثير في مجرى الأحداث العالمية . وإنها لمدينة بذلك «لتشت تشان» .

أمساً بشأن معاملة «المانيا». فلم تأت «يالطا» بما لم تأت به «طهران». ولو صح أنَّ مبدأ التقسيم قد أعيد إقراره (مع العلم بأنَّه قد جرى الاتفاق على إبقاءه سراً حتى موعد التسليم بلا قيد ولا شرط). فالليل والطريق ما زالت بحاجة إلى تحديد. أمَّا موضوع التتوبيضات فظلَّ مرجحًا، بالرغم من وجود مشروع سوفياتي يفرض فكَّ ما يعادل ^{٨٠} بالمئة من الصناعات الألمانية وتوزيعها استناداً إلى مبدئي الأضرار المعاصلة والإسهام في تحقيق النصر (مما يقصي «فرنسا»، في نظر الروس). ولم يتم الاتفاق إلا على تحديد مناطق الاحتلال. ومبدأ الاحتلال «برلين» غير المنقسم.

وأثارت «بولونيا» بالقسط الأكبر من المناوشات. ولكن جهود

ـ «فرنسا» كدولة كبيرة . وتصلّب «ستالين» لا يشقق ولا يرحم . قال : «فاست «فرنسا» من الآلام أقلَّ مما قاسته «باجيكَا» و «هولندا» . وإيهامها في الحرب بثمناني فرق يقلُّ عن إسهام «يوجوسلافيا» وهذا من الفرق تسع . ومن إسهام «بولونيا لوبلين» وطaman الفرق إحدى عشرة ... ثم إنَّ «فرنسا» قد فتحت أبوابها للعدو . وهنا فات «ستالين» أذنه قد أمر بذلك . لأنَّه ، عام ١٩٤٠ ، كان حليف «هتلر» ، ولأنَّ الحزب الشيوعي الفرنسي . نزولاً عند أوامر «موسكو» . تخلى عن الدفاع القومي . وإذا شاء الانكليز والأميركيون . بالرغم من هذا كله . أن يفسحوا «لفرنسا» مجالاً في «المانيا» . فليضيقوا على أنفسهم . ولكن عليهم ألا يطلبوا من «روسيا» أن تحدَّ من قطاع الاحتلال الذي ترك لها . وعليهم . فضلاً عن ذلك . ألا يطلبوا منها أن تقبل الفرنسيين في هيئات الرفادة التي يجتمع فيها الثلاثة الكبار . وفي النهاية تغلب «تشرتشل» . فسلم «روفلت» «أولاً» بمنطقة الاحتلال وبالإسهام في الرقابة . ولم يلبث «ستالين» أن سأله بذلك أيضاً . وهكذا لم تقص «فرنسا» في مرتبة الدول الأوروبيَّة الثانوية . مسترتَّ علىها . طبعاً .



إنها بالنسبة لنا قضية شرف». دارت المحادثات الخاصة بين «روزفلت» و «تشترتشل» على مصير «بولونيا» في الدرجة الأولى.



لقد آذن المؤتمر أن ينهي أعماله . وقد أسممت الأطعمة الروسية الممتازة وخمور «القففاس» الفاخرة في تلطيف الجو وإراحة القول .

و«سيزيريا». أما «بالطا» فلم تكن غير غرفة تسجيل . وغادر الوفد الأميركي «القزم» على أجمنحة التفاؤل . حاملاً بعض الضمانات الشفهية في ما يتعلق بمصير الشعوب الأوروبية ، وحمل كذلك انتفاء «الاتحاد السوفيتي» إلى «الأمم المتحدة»، بعدما اكتفى «ستانلين» بثلاثة أصوات في المجلس العام بدلاً من الأصوات الستة عشر التي كان يطالب بها . ولقد حمل خصوصاً الوعد الروسي بالتدخل ضد «البيان» ، خلال الأشهر الثلاثة أو الأربعية التي تعقب استسلام ألمانيا». أما أشكال هذا التدخل وحدوده فقد تُركت لما يرتشه «الكرملين» .

أما ما جرى تجديده فهو الشأن . فلن تدخل «روسيا» الحرب إلا بعد تسلم شحنات عسكرية وصناعية متنوعة : ١٢٠،٠٠٠ طن من البترول الذي تبلغ نسبة الأوكتان فيه ١٠٠ درجة ، و٣٠،٠٠٠ شاحنة . و٥٠ طائرة ، والجبل على الجرار ... وستسلّم على سهل التعريف جزر «الكوريل»، ونصف «ساخالين» الجنوبي ، و«بور أيرز» كقاعدة عسكرية ، و«دادين» كمرفأ تجاري ، وأخيراً الاشتراك في إدارة الخطوط الحديدية الآسيوية - الشرقية والشرقية - الجنوبية . وهكذا تصرف «روزفلت»، من غير علم وزير خارجيته ، بما يملكه حليفه «تشانغ كاي تشيك» . وعندما سُأله «ستانلين» أن يلطف متطلباته ، على اعتبار أن زمن الاستعمار قد انقضى ، أجاب الروسي أنه لا يطالب إلا بإعادة الوضع في «الشرق الأقصى» إلى ما كان عليه زمان القصر الأسبق .

«تشرشل» الملحة الضارية . وجهود «روزفلت» المحتفظة . مثبت جميعها بالإخفاق الذريع . فلقد عزم «ستانلين» على أن يجعل من الدولة البولونية كوكباً سياراً قضي عليه بالدوران في فلك «موسكو» . ودرعاً يقي حدود «الاتحاد السوفيتي» الغربية . فالحرب قد بدأت بسب «بولونيا» التي صمنت «بريطانيا» سلامتها . وحررتها السياسية . وتوجه أراضيها الكاملة . قال «تشرشل» . إنها بالنسبة لنا قضية شرف . فأردف «ستانلين» : «أما بالنسبة لنا هي قضية حياة أو موت» . حب «تشرشل» حساب النار . فقبل . بالرغم من احتجاجات الطيبين البولونيّين . وأن تعاد حدود «بولونيا» الشرقيّة إلى الخط الذي أقرّه اللورد «دوررون» عام ١٩١٩ . فلم يلح حتى علىبقاء «لفوف» تحت العام البولوني . فرسم الحدود أمر ثانوي . أما القضية الجوهرية فيقاء «بولونيا» سيدة مصيرها . حرّة في الاستجابة إلى الدعوة العميقة المشبوهة التي تشدّها إلى الغرب . فالمعركة تدور حول هذه القضية وحدها

إلا أنه قد قضي على هذه المعركة بالإخفاق سلفاً . فعندما أعلن «ستانلين» أنه يريد «بولونيا» «قوية ديمقراطية» . أعرب عن رأيه بوضوح ومن غير مواربة . فقوية تعني أن على «بولونيا» أن تكتد حتى «الأدرين» (وحتى إلى ما وراءه لتشمل «ستين» البولونية بقدر ما «بورني» هي بولونية!) وتحت «النايس» الغربية . وديمقراطية تعني أن عليها أن تنظم مؤسساتها وفقاً للنظام السوفيتي . وهكذا قضي على رجال «بلنـة لنـدـ» . الذين وجهت إليهم أ بشـنـ التـهمـ . ألا تكـحـلـ عـيـنـمـ أـبـدـاـ بـرـوـيـةـ الـوـطـنـ الـذـيـ نـاضـلـواـ مـنـ أـجـلـهـ . أما الـاـنـتـخـابـاتـ الـحـرـةـ ،ـ الـيـ وـعـدـهاـ «ـسـتـانـلـينـ»ـ تـقـيـداـ بـالـشـكـلـ .ـ فـلـنـ تـحـصـلـ إـطـلاقـاـ .ـ

وما يصح في «بولونيا» يصح . بأول حجّة . في بلدان «أوروبا» الشرقية الباقية . البلقانية منها والدانوبية . فقد حصلت على الضمانات نفسها في ما يتعلق بالحرية والاستقلال والانتخابات الحرة وحرية اختيار أنظمتها . إلا أنها ضمانات مصطنعة زائفـة . «ستانلين» وافقـيـ عـنـيفـ الـواقـعـيـةـ .ـ وهوـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـجـيـوشـ تـحـمـلـ مـعـهـ مـبـادـيـ الـأـمـمـ الـيـ أـبـرـزـهـ .ـ فـكـلـ ماـ يـنـحـرـرـ الـعـلـمـ الـأـحـمـرـ سـيـصـبـحـ أـحـمـرـ .ـ وـ مـاـ تـبـقـيـ لـأـيـهـ اـهـتـمـامـهـ .ـ مـوـقـتـاـ عـلـىـ الـأـقـلـ .ـ

ولذا «فليالطا» من الخطورة أقل مما اعتاد الناس أن يعطوها بناءً لدوبي اسمها . قيل أنها قد سلمت الامبراطورية السوفياتية ١٠٠ مليون أوروبي؛ وليس ذلك صحيحاً إلا على الصعيد الرمزي . في يوم التأم المؤتمر كان الروس قد احتلوا «رومانيا» و«بلغاريا» و«يوغوسلافيا» و«المجر» . فضلاً عن قسم من «تشيكوسلوفاكيا» و«بولونيا» و«بروسيا»



لقد انهى المؤتمر ، وأبدى الانكليز والأميركيون والروس ابهاجهم بالنتائج . في الصورة : «ستانلين» و«مولوتوف» يتحادثان ، وظهر بينهما «أفرييل هاريمان» .

الفصل الحارسي والنتائج

شباط - نيسان ١٩٤٥

تـكـفـير

أغرق مدّ المعدين عن «سليزيا» مدينة «دريسد»، فوصلت القطر الأولى القادمة من «تربيتر» ومن الدساكـر المجاورة. فهـبـت المساعـدات الاجتمـعـيات لـمسـاعـدة الشـيـوخـ والمـرـضـىـ. فـوـزـعـنـ علىـ الـلاـجـينـ وجـبـاتـ سـاخـنةـ، وـوـجـدـنـ لهمـ بـيوـتـاـ يـأـوـونـ إـلـيـهاـ.

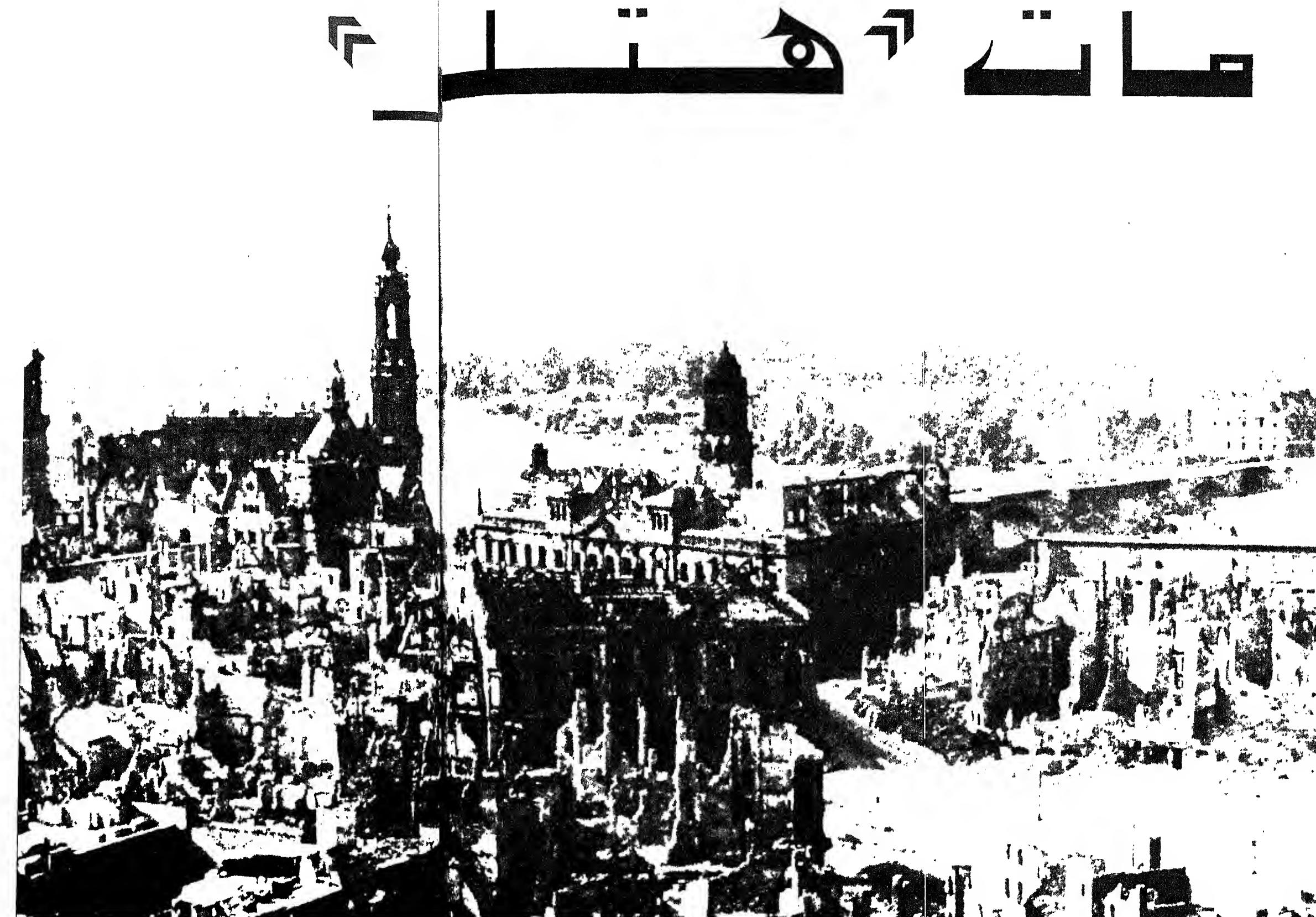
ونصـحـمـ المـدـ مـبلغـ حـدـيدـ المـأسـاةـ خـالـلـ الـأـيـامـ الـلاحـقةـ. وبالـرـغـمـ مـنـ قـاـوةـ الـبـرـ وـصـلـ بـعـضـ الـقـطـرـ ذاتـ الـعـربـاتـ الـمـكـشـوفـةـ. وـقـدـ أـفـلـتـ مـنـ الـمـشـرـدـينـ جـمـوعـاـ وـاقـفـةـ مـرـاضـةـ الـكـلـيلـ. وـوـصـلـ بـعـدـ ذـلـكـ عـربـاتـ وـمـزـاجـ وـجـمـاعـاتـ غـفـيرـةـ مـنـ الـرـاجـلـينـ. فـقـدـرـ عـدـ الـسـيـلـزـيـنـ الـذـينـ اـسـطـاعـواـ الـفـرارـ مـنـ الـرـوسـ بـثـلـاثـةـ مـلـاـيـنـ مـنـ أـصـلـ ٤٤٠٠٠٠٠ـ. وـبـلـغـ عـدـهـمـ فيـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ سـاءـ ١٣ـ شـاطـاـنـ صـفـافـ مـاـيـوـنـ تـقـرـيـباـ. عـرـقاـواـ الـمـحـطـاتـ. وـرـيـسـمـواـ فـيـ الـحـادـثـ عـلـىـ ضـفـافـ «ـإـلـيـبـ». وـحـولـ «ـفـيـنـجـرـ»ـ وـ«ـأـلـفـكـيـرـشـ»ـ وـكـلـ الـتـحـفـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ جـعـلـتـ مـنـ عـاصـمـةـ مـلـوكـ الـسـكـونـ الـقـدـيـمـ شـاهـداـ لـاـ مـثـلـ لـهـ مـنـ الـقـرـنـ الثـامـنـ عـشـرـ. وـشـعـرـاـ بـأـنـهـمـ قـدـخـواـ.

أـصـبـتـ مـدـيـنـةـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ قـصـفـنـ جـرـىـ الـأـوـلـ فيـ ٧ـ نـشـرـىـنـ الـأـوـلـ ١٩٤٤ـ. وـجـرـىـ الـثـانـيـ فـيـ ١٦ـ كـانـونـ الـثـانـيـ ١٩٤٥ـ. وـلـمـ يـبـدـفـ الـقـصـفـانـ إـلـاـ الـأـرـيـاضـ حـيـثـ تـعـلـمـ مـصـانـعـ الـأـدـوـاتـ الـبـصـرـيـةـ، ضـلـالـاـ عـنـ بـعـضـ الـصـنـاعـاتـ الـأـخـرـىـ. أـمـاـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ ذـاـئـاـ فـانـ تـمـسـسـ بـخـادـشـ وـاحـدـ. فـقـالـ السـكـانـ إـنـ جـمـاـلـاـ كـانـ مـوـضـعـ اـنـقـاقـ: فـإـذـاـ صـدـفـ الـحـلـفـاءـ عـنـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ، أـمـنـعـ الطـيـرانـ الـأـلـانـيـ عـنـ قـصـفـ «ـأـوـكـسـفـورـدـ»ـ...

كـانـ لـيلـ ١٤ـ١٣ـ شـاطـاـنـ تقـيـيـاـ سـاجـيـاـ. فـاحـتـفـلـ أـطـفالـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ ثـلـاثـاءـ الـمـرـفـعـ، بـالـرـغـمـ مـنـ مـأسـاةـ الـلـاجـيـنـ وـاقـرـابـ الـرـوسـ: وـدارـتـ فـيـ سـيـرـكـ «ـسـارـازـيـ»ـ ضـصـولـ عـشـلـيـةـ حـافـلـةـ. وـفـرـ لـاـ سـلاـحـ الطـيـرانـ الـمـلـكـيـ الـبـرـيـطـانـيـ مـاـ تـعـلـمـ إـلـيـهـ مـنـ إـصـاعـةـ فـيـ تـمـامـ الـعـاـشرـةـ: فـإـذـاـ بـالـتـابـلـ الـمـصـيـبةـ الـكـبـيرـةـ تـنـتـعـ مـنـ الـظـلـمـةـ مـبـانـيـ الـمـدـيـنـةـ الـقـدـيـمـةـ وـشـارـعـهاـ الـمـشـابـكـةـ. وـكـانـهـاـ شـجـرـاتـ الـمـلـادـ، لـمـ يـسـقـيـ لـسـكـانـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ وـلـاـ لـاجـيـ «ـسـليـزـيـاـ»ـ أـنـ شـهـدـواـ مـنـظـراـ كـهـذاـ، وـكـثـيـرـونـ لـمـ يـفـهـمـواـ مـعـناـهـ. كـانـ الـإـذـاعـةـ قـدـ أـعـلـنـتـ قـبـلـ ذـلـكـ بـدـقـائقـ أـنـ تـشـكـلـةـ ضـخـمـةـ مـنـ قـاذـفـاتـ الـقـنـابـلـ تـقـرـبـ مـنـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ. وـأـمـرـتـ النـاسـ بـالـتـرـوـلـ إـلـىـ الـمـلـاـجـيـ. وـتـكـفـلـ الـمـهـرجـونـ فـيـ سـيـرـكـ «ـسـارـازـيـ»ـ بـنـقـلـ الـبـرـ إلىـ الـجـمـهـورـ، وـأـرـفـوهـ. كـماـ يـاـبـيـنـ ذـلـكـ، بـيـعـصـ الـحـرـكـاتـ الـمـضـحـكـةـ، فـضـحـكـ الـأـطـفالـ وـالـكـبـارـ عـلـىـ السـوـاءـ، وـهـكـذـاـ شـهـدـ الـمـلـاـحـونـ وـقـادـفـوـ الـقـنـابـلـ. نـجـتـ أـجـنـحةـ طـازـرـاتـ «ـالـأـنـكـاسـرـ»ـ الـ٢ـ٤ـ٥ـ لـسـلاحـ الـجـوـ الـمـلـكـيـ. وـجـسـورـهـاـ الـجـمـيـلـةـ الـتـيـ تـخـطـيـيـهـ «ـإـلـيـبـ»ـ. فـلـمـ تـكـرـهـمـ أـشـاءـ عـلـمـهـمـ طـلـقـةـ وـاحـدـةـ مـنـ الـمـدـعـيـةـ الـضـادـةـ لـلـطـاـلـرـاتـ. سـقطـتـ الـقـنـابـلـ الـأـوـلـ فـيـ تـامـ الـسـاعـةـ ٢٢ـ١٥ـ، فـإـذـاـيـ قـدـافـهـ ضـخـمـةـ تـرـنـ الـوـاحـدـةـ مـنـهـاـ ٤٠٠٠ـ لـيـرـ. يـهـدـفـ انـفـجـارـهـاـ الشـيـدـ إـلـىـ تـحـطـيمـ زـجاجـ الـنـوـافـدـ، بـيـعـسـتـيـ الـحـرـقـ أنـ يـشـبـ بـسـرـعـةـ وـيـتـنـدـ بـالـمـلـيدـ مـنـ الـضـرـاءـ.

كـانـ الـحـلـفـاءـ قـدـ أـمـرـقـواـ مـدـيـنـةـ «ـهـامـبـوـرـ»ـ فـيـ لـيلـ ٢٥ـ٢٦ـ تمـوزـ ١٩٣٤ـ. فـإـذـاـ الـقـضـاءـ عـلـىـ «ـدـرـيـسـدـ»ـ بـيـزـ ذـلـكـ فـيـ تـجـاهـ الـرـحـمـةـ. وـتـلـتـ الـمـوـجـةـ الـأـوـلـ فـيـ السـاعـةـ ١٠ـ٣٠ـ مـوجـةـ ثـانـيـةـ ضـمـتـ ٥٢٩ـ طـائـرـةـ «ـالـأـنـكـاسـرـ»ـ، أـيـ ضـعـفـيـ ماـ

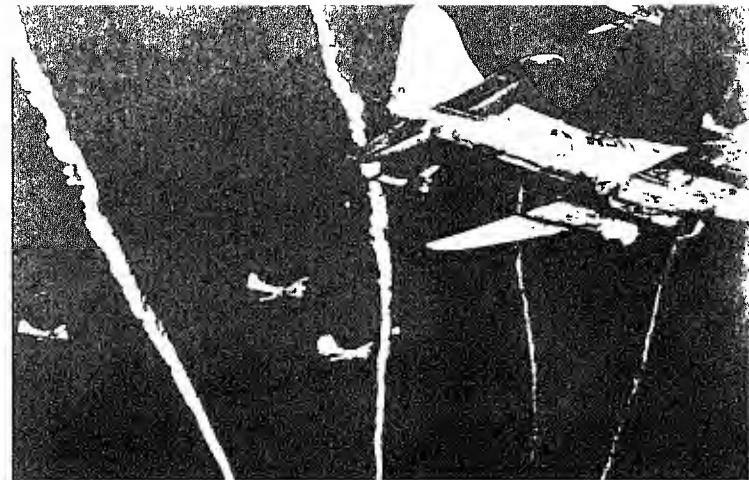
«ـدـرـيـسـدـ»ـ بـعـدـ الـقـصـفـ، لـمـ يـقـيـرـ بـهـاـ بـيـتـ وـاحـدـمـ يـنـدـاعـ!



الطيران الماليكي «طورة» دريسد الصناعية تبريراً ل موقفه، ولكن أحداً لم يخرب على إعلان الحقيقة. وهي أن القصف قد حصل نزولاً عند طلب الروس. وقد أرادوا صعوبة المواجهات الألمانية أمام جيئتهم في «سيلزيا». وعلى هذا الصعيد كان الإخفاق تاماً كاملاً: فموزع «فريدر خشناد»، القريب من وسط المدينة، لم يمسس تقريراً. فاستألف القطب سيرها منذ ١٥ شباط. هذا وما يزال تدمير مدينة «دريسد». حتى أيامنا. يوغر لشيوعيين الروس والألمان العناصر التي يبنون عليها مطالعاتهم إذ يتهمون الغربيين بالتجسس.

«ربما غيت» جسر على «الرين»

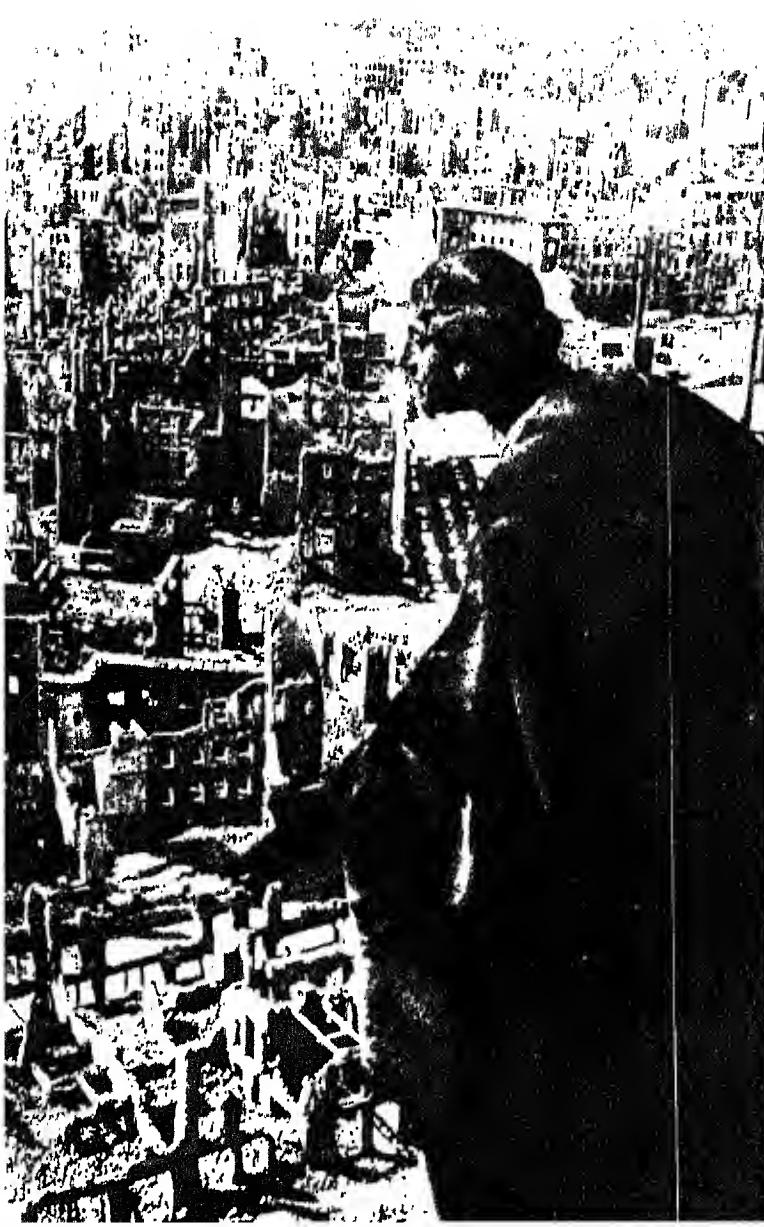
كان الجيش الكتبي الأول، التابع للجزال «كريبار». يكافح على الجبهة الألمانية المولندية منذ ٨ شباط. وقد رفع إلى ١٣ فرقة بعد ما صارت إليه ٩ فرق بين انكلترا وسكوتلاندية غالياً. أمّا هدفه فمحوري «الرين» بين «نيميغ» و«مورس». ولقي الجيش البريطاني الثاني، إلى اليمين، جامداً مؤقتاً خلف «الموز». من «موك» إلى نقطة التقائه «بالروير». سبق هذه الحملة تبادل في وجهات النظر حادٍ. حتى لاذع، بين رؤساء الأركان الانكليز والأميركيين. وتناول «أيزباور» من جديد قبل بأن يُبدل المجهود الرئيس شمالي الجبهة. وبأن تستند قيادة أكبر قسم



كانت أضواء النيران تضيء الطائرات المغيرة.

ضمنته الأولى. وتلتها عند الفاير موجة ثالثة ضمت ٤٥٠ قلعة طائرة تابعة لسلاح الطيران الأميركي. كان هدف القنابل المحرقة الـ ٦٥٠، هو وسط المدينة، وعلى سبيل الدقة، المثلث الذي يعطي الحي التاريخي بكامله، بما اشتمل عليه من شوارع ضيقة وبيوت قديمة ذات عوارض خشبية. ووصلت الموجة الثانية فوق مدينة قد غدت، من أقصاها إلى أقصاها، طعمتا نار بلغت من الحدة درجة، روى عنها أحد الطيارين ما يلي: «لقد استطعت أن أنشئ تقريري على أضواء النيران التي كانت تملأ حجرة القيادة في طائرتي». وعندما وصلت القلاع الطائرة، بعد مرور الثني عشرة ساعة، قامت بعثمتها من غير أن ترى. فوق عمود من الدخان بلغ ارتفاعه ٥٠٠٠ متر.

يعتبر قصف «دريسد» هذا أحد أقظع فصول الحرب التي تمخضت عن الكثير الكثير من الفظائع. فقد اتّخذ الحريق شكل زوبعة من نار راحت تذكري نفسها بنفسها بما سببته من أخطاء في درجة الضغط الجوي. إلى أن راحت السماء، وقد أدركها من الشقة ما لم يدرك البشر. تصب على الأرض وبلا من الأمطار أخدمت السنة اللاهيب. إستحال الكفاح وتعدّر الفرار. أمّا الذين اعتصموا بالملجأ فقد ماتوا خلفاً، وأمّا الذين خرجن منها فقد ابتلعهم خصم النيران. رفت الشوارع ذاته احرق. وفي ساحة «النماركت» اشتعلت جماعة غفيرة من الناس كما تشتعل الغابة. ولاذ مئات الأشخاص عياه «الإيلب» يطلبون فيها الغرق فراراً من عذاب النار. سلمت «هوبنهوف» من الغارة الأولى، فظنّ ألوف اللاجئين الذين آوّلهم أنّهم قد نجوا من الخطط. ولكن الغارة الثانية أطاحت دونما إندثار فأحدثت مجرة هائلة لا توصف. إلتهمت الكارثة رجال مطافئ «دريسد». وتعرّض رجال مطافئ المدن المجاورة. الذين هبوا للنجدة. لنيران رشاشات أصلتهم إياها طائرات «موستانغ» التي كانت تواكب القلاع الطائرة في الغارة الثالثة. واستمر الحريق طوال أربعة أيام، فاللهم ٢٠٠٠. وملا وادي «الإيلب» بحطام مكلى. وبلغ جمع الحشث آخر درجات الإثارة. فجتمع في الدلاء ما يقدّر به ٢٠٠٠٠ محبسًا. ونصبت في ساحة «النماركت» ست مفارق كبيرة للحجث. ثم ووريت التراب بالرقوش كوم من الرماد البشري يبلغ علوّها مترين! قدر عدد الضحايا. وقد استحال إحصاؤها بدقة، بـ ١٣٥٠٠٠. فإذا بقصف مدينة «دريسد» يفوق بيته وضحاياه كلّ ما عرفه الحرب. بما في ذلك قصف «هير وشيم». إنقض العالم، مع ما كان غارقاً فيه من هول وفظاعة، فاضطر السير «ارشيبالد سينكلير»، وزير الدولة الانكليزي لشؤون الطيران. إلى أن يحيب عن أسئلة قاسية محرجة وجتها إليه مجلس العموم؛ فضخم سلاح



ارتفاعها مترين .
كان على الجيش التاسع الأميركي أن يسهم في هذه الحملة فلعل «الرین». وبطريق، أثناء اتصاله بالكتبيين، جيش المظليين الأول . وكان أحد شروط النجاح يقضي بـ«النصف سود» «الروير». وإن هذه السدود حكاية، لم تدرك القيادة الأميركيّة خطورتها في تشرين الأول . فأهملت احتلالها، وعندما عمدت بعد ذلك إلى انتزاعها أوقفت حملة «الأربدين» الألمانية عملها . حاول سلاح الجو الملكي بعد ذلك نسفها بالطوريدي . على المياه التي تحجزها تنساب فغرق الألمان المتشبعين بوادي «الروير»؛ إلا أن السدود كانت عبارة عن حواجز مصنوعة من التراب جُعلت نوافتها من الاستمنة المساحة، فتمكنت بذلك من الصمود في وجه كل المحولات . أمّا الآن فالضرورة تقضي بانتزاعها سليمة . قبل أن يباشر الجيش التاسع عبور «الروير». وإن لكان بوسّع موجة من المياه العاتية أن تقطع الجيش عن موخراته وتُنزل به من الخسائر ما لا يمكن تصوّره . أُسندت المهمة إلى الجيش الأول؛ فشنَّ الفيلق الخامس . التابع للجزرال «جيروي»، هجومه منذ ٥ شباط، في تمام الساعة الثالثة، على ميدان وعر كثُر الأشجار تفترش أرضه حقولُ الألغام، فإذا هو غابة في الصعوبة . تم احتلال ستة سدود من أصل سبعة، وبقي السد السابع الرئيس، سدة «شفميتاول»، وهو بناء جليل ضخم يمتد بين جرفين سامقين . إنْتَزَعَتِ الفرقَةُ الأولىَ ٧٨ في مدي يومين قرية «شميدت» القرية، ودارت حول بحيرة السد، وبعدما تقدّمت في شباب موحشة انتزعت مركز مراقبة المياه، ولكن بعد فوات الأوان، أي بعدما نصف الألمان المنفذ بالدبّانيميت . فطمّت مياه «الروير» بفيس من اللجة الوحمة أمام الفرق الإحدى عشرة التابعة للجزرال «وليم د. سيمبسون» والتأهبة للهجوم . فكان لا بدّ من الانتظار ريثما تتسرب المياه .
وتَابَعَ الكنديون والبريطانيون هجومهم منفردِين، واستمر الرمح منتظمًا شديداً عسيراً . فانتزعت مدينة «كليف» وغاية «مويلاند» من العدو بين ١٨ و٢١ شباط، وبقي الألمان متمسّكين بمرتفعين شجريين هما «هوشفالد» و«بلبرجر فالد» . ويقعان على بعد عشرة كيلومترات من

من القوات التي تسمى بها تسهيلاً لمنطقة . وقوامها ٣٥ فرقة تقريباً، إلى أخرى هي حملة «باتون» . التي كانت تستحسن على طرفِي «الموزيل» كليهما، لتعبر «الرین» بين «كوبلانس» و«فورمس» . وتنتهي في وادي «لين» . وهكذا ظلت السرّاتيجيّة الخليفة موضوع نزاع . وظلّت قراراً لها مثابة حلولٍ وسطى . لم يرض ذلك الانكليزِ تمام الرضا، ولم يخف الجنرال الأميركي كيّان «برادلي» و«باتون» استياءهما .
أما الخصم الذي اصطدام به الجيش الكندي فهو جيش المظليين الأول . الذي بشكّل . فضلاً عن الجيش الخامس والعشرين الضعيف المرابط شمالي «هولندا»، المجموعة «هـ» التي تسلّم «بلاسكونفيتز» قيادتها حديثاً . بعدما نُقلَّ من منطقة «الألزان» -لورينـ . يشغل هذا الجيش خط «سيغفريد» . وموقع ساده قریباً من «الرین» . أعلن الجنرالات الألمان أن هذه التنظيمات الدّفاعية صورية وهمية . فكتب «شليم» قائد الفيلق: «لم يكن ذلك جداراً، بل كان وهمـ» . وقال قائد الجيش «شتراوبي»: «لم يكن ثمة غير «هتلر» يتصرّر «الرايخ» راتعاً في الطمأنينة والأمان وراء تحصينات عميقه متينة مصنوعة من الاستمنة المساحة» . وفرضت التعليمات التي أملأها الفوهرر شخصياً واجب الدفاع بعنده الضراوة عن ضفة «الرین» اليسرى . وتحتملت أن توضع الحسور تحت رقابة صارمة، بحيث لا يستطيع أي جندي وأية عربة وأي سلاح أن يعبر إلى الضفة اليمنى ، ما لم يحصل على أمر مسمّور بتوجيه رئيس أركان الجيش . وهكذا سُيُّطرَ المرور حتى على دبابات لم تبق صالحة للقتال ، وحتى على سيارات للإسعاف غاصبة بالمرحى .

سَاءَتْ المَوْاقِعُ الْمَحْصُنَةُ؛ إِلَّا أَنَّ الْجُنُودَ الْأَلْمَانَ الْمَكَافِحِينَ عَلَى تَخْوِيمِ الْوَطَنِ لَمْ يَفْقَدُوا شَيئاً مِنْ رِبَاطَةِ الْجَاهِشِ وَالصَّمْدُودِ، وَلَمْ يَلِثِ اِنْطَلَاقَ الْحَمْلَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ الْكَنْدِيَّةِ السَّرِيعَ أَنَّ اسْتِحْالَ مَعْرِكَةَ قَاسِيَّةَ عَنِيدَةَ . فَقَدْ غَمَرَتِ الْبَلَادَ الْمَسْطَحَةَ وَحْوَلَهُ وَمِيَاهَ، فَبَلَغَ عَرْضَ «الرِّين» ١٥ كَلَمَ بَيْنَ «نيمسِيغ» و«إِيمِيرِيَخ» . وقد بَرَزَتْ مِنْ لِجَاجِهِ الْوَحَلَةُ قَرِيَّةً بَادَتْ أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِالْجَزَرِ . وَسَارَتِ الْأَرْتَالُ عَلَى طَرَقَاتٍ قَدْ اخْتَفَتْ نَحْتَ طَبَقَةِ مِنِ الْمَيَاهِ بَلْغَ

سلمت التمايل من أذى القصف
في «دريسد» وغيرها . لم
يُشَعَّرْ إِلَّا إِلَى ٣٩٧٧٣
من ضحايا ليل ١٤-١٣ شباط
١٩٤٤ البالغ عددهم ١٣٥
الثَّالِثَةُ ، لَأَنَّ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْبَاقِينَ
كَانُوا مِنْ لَاجِئِي «سِيلِيزِيَا» . ➤



جمعت الحشّت في «دريسد»
المسحوقة ، في لوحة مذهلة .
إنّها الضحايا البريّة تذهب
طعنة الحرّوب .

«الرين» تقريراً طلب «رونستناد» الإذن بإعادة القليل المتبقى من جيش المظليين الأول إلى الضفة اليمني . فاصطدم بعناد «هتلر» الذي قضى بالدفاع عن كل شبر مربع من أرض «الرين» حتى قطرة الدم الأخيرة . تم انسياق مدد «الروير» خلال هذه المعركة؛ وفي ٢٣ شباط عبر الجيشه التاسع النهر، ولما ينزل عريضاً سريعاً، تحت حماية جوسة هائلة . فتم الاستيلاء على خرائب «لينيج» و «بوليغ» بواسطة قاذفات الالتهب؛ فما كان من القيادة الألمانية . وقد عزّت على صد التقدّم الأميركي . إلا أن سحبـت من القوات التي وقفت سداً في وجه الكنديين فرقة الدبابات «ليهر» . وفرقة الدبابات الحديثة ١٥، فكانت نتيجة هذا التدبير أنياب الخطوط الألمانية . فسقطت «هوشفالد» و «بليرجر فالد» في ٤ آذار . وحـوصـرت بقايا فيلق أربعة في رأس جسر صغير في جوار «كزانـتين» . و «هتلـر» مصرـ على رفعـه السماح بعبور «الرين» !

تقدـم الفيلق ١٦، التابـع للجيـش الأمـيريـكي التـاسـع، تـقدـمه السـريع نحو «فيـسل»، واستـولـ على ١٣ على «كريـفـيلـ»، وسيـطرـ على ١٩ على «ونـشـلـاـدـاخـ» . وأـدرـكـ «الـرينـ» في «نوـيسـ» إـزـاءـ «دوـسـلـورـفـ» . فـأخذـتـ الجـيـوبـ الـأـلمـانـيـةـ الـتـبـقـيـةـ عـلـىـ الضـفـةـ الـيـسـرىـ تـرـوـلـ واحدـاًـ بـعـدـ واحدـ، لأنـ رـجـالـ حـامـيـاـهـ أـخـدـواـ فـيـ الـاسـتـسـلـامـ، أوـ لأنـهـمـ خـرـجـواـ عـلـىـ الـأـوـامـرـ السـامـيـةـ فـلـجـأـواـ إـلـىـ الضـفـةـ الـيـمـنـيـ . إلاـ أنـ الجـسـورـ كـلـهـاـ نـسـفـتـ خـلـفـهـمـ .

أمـاـ فيـ مـجمـوعـةـ الـجـيـوشـ ١٢ـ فقدـ أـخـلـ «ـهـودـجـ»ـ إـلـىـ السـكـيـنـةـ النـسـيـةـ خـلـالـ الـقـسـمـ الـأـكـبـرـ مـنـ شـبـاطـ، فـيـمـاـ لـرـمـ «ـبـاتـونـ»ـ مـوقـعـ المـجـومـ دـوـعاـ اـنـقـطـاعـ، وـكـانـ جـيـشـهـ الثـالـثـ يـمـسـكـ بـجـهـةـ مـتـمـادـيـةـ الـأـطـرافـ تـمـدـدـ مـنـ «ـشـنـيـ إـيفـيلـ»ـ إـلـىـ «ـسـارـ بـرـ روـكـ»ـ . قالـ: «ـسـأـلـيـ «ـبـرـادـلـ»ـ عـنـ الـمـوـعـدـ الـذـيـ سـأـلـمـ فـيـ جـانـبـ الـدـافـعـ . فـأـجـبـتـ بـأـنـيـ أـقـدـمـ جـزـالـاتـ الـجـيـشـ الـأـمـيرـكـيـ فـيـ «ـأـورـوـبـاـ»ـ . وـأـسـعـهـمـ خـبـرـةـ، وـأـسـهـمـ طـلـبـ إـلـىـ أـنـ أـلـزـمـ جـانـبـ الـدـافـعـ لـطـلـبـ إـعـافـيـ منـ الـقـيـادـةـ . وـكـتـبـ مـاـ مـفـادـهـ أـنـ الـجـيـشـ الثـالـثـ هـوـ الـجـيـشـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـقـومـ بـعـلـمـ، وـلـمـ يـتـورـعـ عـنـ اـنـتـقـادـ «ـهـيـثـةـ الـأـرـكـانـ الـحـلـيفـةـ»ـ عـلـىـ اـعـتـارـ أـنـهـاـ أـخـطـأـتـ إـذـ سـمـحتـ بـقـيـامـ حـمـلةـ «ـمـونـغـومـرـيـ»ـ . وـلـكـنـ حـاـصـلـ مـعـارـكـ الـيـوـمـيـةـ كـانـ ضـئـيلـاـ . وـظـلـ الـجـيـشـ الثـالـثـ مـتـرـدـيـاـ فـيـ غـابـاتـ «ـأـيـفـلـ»ـ، بـيـنـ جـدـولـيـنـ رـفـعـ مـسـتـواـهـاـذـوـبـانـ الـتـلـوـخـ هـمـاـ «ـالـبـرـوـمـ»ـ وـ«ـالـكـيـلـ»ـ . أمـاـ «ـتـرـيفـ»ـ مـفـتـاحـ وـادـيـ «ـالمـوزـيلـ»ـ . فـمـاـ بـرـحـتـ فـيـ يـدـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ السـابـعـ . فيـ ٢٣ـ شـبـاطـ دـفـعـ «ـهـودـجـ»ـ بـحملـةـ مـجمـوعـةـ الـجـيـوشـ ١٢ـ الـحـقـيقـيـةـ بـاتـجـاهـ «ـكـولـونـيـ»ـ، فـغـرـ الفـيلـقـ ٧ـ . بـقـيـادـةـ «ـلـوتـنـ كـولـينـزـ»ـ، نـهـرـ «ـالـروـيرـ»ـ حينـ عـبـرـ الـجـيـشـ التـاسـعـ، وـاستـولـ علىـ «ـدـورـينـ»ـ الـتـيـ دـمـرـتـ شـرـ تـدـمـيرـ . وـمـدـدـ الـمـجـومـ فـيـ الـأـيـامـ الـتـالـيـةـ الـفـيـلـقـانـ ٣ـ وـ٥ـ . فـعـبـرـ الـفـرـقـةـ الـمـصـفـحةـ ٣ـ نـهـرـ «ـالـإـيـرـفـ»ـ، وـهـوـ آخرـ حـاجـزـ طـبـيعـيـ يـعـرـضـ طـرـيـقـ «ـكـولـونـيـ»ـ، فـأـوـلـ آـذـارـ . وـفـيـ ٤ـ مـنـ دـخـلـتـ الـمـدـيـنـةـ الـفـرـقـةـ الـمـصـفـحةـ ٤ـ وـفـرـقـةـ الـمـشـاـةـ ١٠٤ـ، وـفـيـ الـغـدـ اـقـتـحـمـتـ خـطـ الدـافـعـ الـمـتـدـدـ عـلـىـ «ـلـيـنـيـزـ»ـ أوـ الـخـادـاتـ الـخـارـجـيـةـ . وـفـيـ ٧ـ آـذـارـ رـفـعـ رـجـالـ الـحـامـيـاـهـ أـذـرـعـهـمـ مـسـتـسـلـمـينـ أـمـامـ الـكـاتـدـرـائـيـةـ الـتـيـ سـوـدـهـاـ الـحـرـيقـ .

وـأـدـرـكـ فـيـلـقـاـ الـجـيـشـ الـأـلـمـانـيـ الـأـوـلـ الـآـخـرـانـ نـهـرـ «ـالـرـينـ»ـ جـنـوـبيـ «ـكـولـونـيـ»ـ فـيـ مـنـطـقـةـ «ـبـونـ»ـ . وـأـدـرـكـ النـهـرـ كـذـلـكـ فـيـ «ـنـوـفـيدـ»ـ وـ«ـأـنـدـرـنـاـخـ»ـ مـيـسـرـةـ الـجـيـشـ الـثـالـثـ الـمـتـقـدـمـةـ شـمـالـيـ «ـمـوزـيلـ»ـ . سـقـطـتـ مـدـيـنـةـ «ـتـرـيفـ»ـ فـيـ ٣ـ آـذـارـ . وـصـمـدـتـ «ـكـوـبـلـانـسـ»ـ الـوـاقـعـةـ فـيـ زـاوـيـةـ بـيـنـ «ـمـوزـيلـ»ـ وـ«ـالـرـينـ»ـ . وـاحـتفـظـ الـأـلـمـانـ، غـرـبـيـ «ـالـرـينـ»ـ، بـمـقـاطـعـةـ وـاسـعـةـ تـشـمـلـ «ـبـلـانـيـنـاـ»ـ بـكـامـلـهـاـ، وـالـقـسـمـ الـأـكـبـرـ مـنـ «ـالـسـارـ»ـ، وـجزـءـاـ مـنـ «ـالـلـورـينـ»ـ فـضـلـاـ عـنـ «ـبـيـشـيـ»ـ وـشـمـالـيـ «ـالـأـلـزـاسـ»ـ، حـتـىـ «ـمـوـدـيرـ»ـ، عـنـ أـبـوـابـ «ـسـترـاسـبـورـغـ»ـ . صـمـمـ «ـأـيـزـهـاـوـرـ»ـ عـلـىـ إـنـجـازـ فـتحـ الصـفـةـ الـيـسـرىـ، عـلـىـ أـنـ يـنـشـئـ مـمـراـ ضـخـماـ عـلـىـ



الـقـوـادـ الـأـمـيرـكـيـونـ الـذـيـنـ اـمـتـازـوـاـ فـيـ الـمـعـرـكـةـ الـحـاسـمـةـ . وـهـمـ فـيـ الصـفـ الـأـمـامـيـ ، مـنـ الـيـسـارـ إـلـىـ الـيـمـنـ : جـورـجـ باـتوـنـ (ـالـجـيـشـ الثـالـثـ)ـ ، عـمـرـ برـادـيـ (ـمـجـمـوعـةـ الـجـيـوشـ ١٢ـ)ـ ، دـواـيـتـ أـيـزـهـاـوـرـ (ـالـقـائـدـ الـأـعـلـىـ الـلـحـلـيفـةـ)ـ ، كـورـتـنـيـ هـودـجـ (ـالـجـيـشـ الـأـوـلـ)ـ ، وـلـيمـ سـيمـبـسـونـ (ـالـجـيـشـ التـاسـعـ)ـ .

دبـابةـ أـمـيرـكـيـةـ تـرـحـفـ بـيـنـ أـنـقـاضـ «ـكـوـبـلـانـسـ»ـ الـتـيـ سـقـطـتـ فـيـ ١٧ـ آـذـارـ عـلـىـ أـثـرـ هـجـومـ عـنـيفـ .



الحصول على موافقة «أيزنهاور». فتلiven «برادلي» إلى «رئيس». حيث استقرَّ أخيراً نسق الأركان الحليفة الأمريكية. فقال «أيلك» مستغرباً: «جسر على «الرلين»؟ ولكن ما لديك من القوات الجاهزة لعبوره؟» -أربِ فرق في أقل تعديل. ولكن أود أن أطمئن إلى أنني لا أعكر خططَاتك... دع عنك الخططَات يا «براد». وادفع بكل ما لديك من قوات». وفي الجهة الأخرى من «الرلين» رقي نبا الاستيلاء على جسر «ريماغين» سلسلة القيادة حتى وصل معقل المستشارية المظلم. وممَّا يوُسَّف له أنَّ صورة محاضر ٧ و ٨ آذار المختزلة قد أبَيَتْ. فتحزن لا تعرف ما صبة الفوهرر من لعنات في نصها الصحيح.

إلاً أنا نعرف نتائج غضبه. فقد استدعي الجنرال «رودولف هوينر». أحد قضاة الجبهة الشرقية. لمحاكمة من دعاهم حونه «ريماغين». فاتهم الضباط الكبار «شيلر» و«ستربول» و«كرافت». والتقى «بلاتشي» - والملازم الأول «بيترز». بالإهمال الآثم. وحكم عليهم بالموت. واحد فقط لم ينفذ فيه حكم الإعدام نظراً لغایبته. هو «بلاتشي» الذي خدمه الحظ فخرج من الجهة الأميركية من الفرق مستسلماً رافعاً بيده. أما الجنرال «بيثمان». قائد قطاع «ريماغين» الذي أحيل كذلك إلى المحكمة العسكرية. وحكم عليه بالسجن خمس سنوات. فقد انتحر.

وإنّ بحسر «ريماغين» ضحية أخرى هي الفيلد-مارشال فون رونشتاد. كان الفوهرر يضمّر السخط والنقمـة لهذا الجندي القديم. فلما استدعي «فيستفال». رئيس هيئة الأركان. إلى «برلين» في ٦ آذار - صبّ عليه «هتلر» جام اللوم والتقرير الذي كان قد أعاده لرئيسه. وعاب



جسر «رياغين»: من هنا تسلل الجيش الأميركي .

عليه «كيل» «جين» قوات الجبهة الغربية. ثم عاد «هتلر» فاستشاط غيظاً ونفقة على مذكرة «رونشتاد» المتعلقة بعيوب خط «سيغفريـد». قائلاً: «يرجع العدو أمام تحفة التقنية الألمانية. وينزه جزال المأني فيزعم أن الجندي الألماني لا يطمئن إليه!» وأتت مفاجأة «ريماغين»، التي وافق حصولها اليوم التالي لفورة الغضب هذه. تفضي على «رونشتاد» بالخلدان الثالث. فأعلن «هتلر»: «لقد أخفق الرجل وقضى أمره. أنا لا أريدك بعد اليوم». فاستدعى «كيسلنـغ» من «إيطاليا» وسلم قيادة الغرب العليا.

الريـن» مـن اـنخفـص مـسـتوـيـ المـياه فـي شـهـر نـيسـان .
إـنـشـرتـ الفـوضـى بـيـن «كـولـونـيا» وـ«كـوبـلـانـس» كـامـلـةـ شاملـةـ . فـاـخـتـلطـتـ
أـرـوـالـ الـأـلـانـيـةـ مـنـ المـاشـاةـ وـراـكـبـيـ عـربـاتـ الخـيلـ وـالـسيـاراتـ . فـيـ طـرـيقـ
الـقـدـمـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ الـمـصـفـحةـ . وـنـشـتـ الـاشـتـباـكـاتـ الـمـفـكـكـةـ . وـبـيـنـ رـاحـ
الـأـلـانـ يـسـتـلـمـونـ جـمـاعـاتـ جـمـاعـاتـ . صـمـدـ بـعـضـ الـقـرـىـ . وـقـدـ هـبـ
لـلـدـفـاعـ عـنـهـاـ . يـمـتـهـيـ الـضـرـارةـ . مـحـارـبـونـ تـرـاـجـعـ أـعـمـارـهـمـ بـيـنـ ١٤ـ وـ ١٥ـ سـنةـ
إـجـمـالـاـ . يـسـتـوـنـ إـلـىـ مـنـظـمةـ «الـشـيـبـةـ الـثـلـاثـةـ» .

في صباح ٧ آذار خرجت فصيلة أميركيّة تابعة للفرقا المصفحة . ٩ هي فصيلة القتال «ك». من «الإيفل» بطريق «أوسكرشن». كانت تتّألف من فصيلة من الشاحنات ونّي فصيلة من دبابات «بر شينغ». وقد وضعت تحت قيادة الملازم الثاني «كارل تيمرمان» الذي رأى النور في «فراونكفورت» عام ١٩١٩ . من أب أميركي تابع لقوّات الاحتلال . وفاته المأساوية . وقد أعيد طفلاً إلى «ويست بوينت» (نيراسكا) فلم يرَ «الرين» قط . وبها هو يكتشفه الآن من ذرورة «الآبولينار شبرغ». ولم يلبث أن اكتشف تفصيلاً بات غير معهود في مشهد من مشاهد ١٩٤٥: أُجل، لقد رأى جسراً جسراً لا يزال سليماً! وجسر (لودندورف)، هذا يعبر «الرين» أمام مدينة هرماغين «الصغيرة»، مقلّاً خطأً حديثاً مزدوجاً لا يصل الضفة اليمنى حتى يغور في نفق، وقد ازدحمت على الحسّر جماعة غفيرة من المدنيين والعسكريين. ظهرت فيها بوضوح رؤوس بقرنجر إلى الضفة اليمنى. تبع الميلجر جزاز (وليم. م. هروج)، قائد الجيش التاسع ، طلائعة عن كتب . فلم يلبث أن وصل إلى «الآبولينار شبرغ»، فرأى الحسّر بأم العين . وأمر «تيرمان» بالاستيلاء عليه سليماً

عجّلت «رياغين» باللاجئين. وبرزت دبابات «بيرشينغ» بين الجماهير. ففُقرَ المساء من الشاحنات، فأسرّوا بعض الحدود الألمانية. وحتى رئيس المحطة وقد ظلّوا جزءاً بسبب قيـمة الحرارة! ثم ساروا إلى جانب الخط الحديدي حتى بلغوا جرف «الرين». كان المسير عبارة عن بناء معدني تحمله أربع دعامات حجرية. ويتصبّب على جانبيه برجان من الآخر المسود. وفجأة بَرَزَ من أحد هذين البرجين مدفع رشاش من عيار ٢٠ مم فتكِّس الخط الحديدي؛ فما كان من إحدى الدبابات إلا أن هدمت البرج. فصمت المدفع الرشاش. وإذا بفتحة من الدخان تصاعد. يرافقها انفجار شديد: لقد أعمل النّاسافون الألمان جهاز التفجير. فارتفع الجسر. وبعد ما تردّد نصف ثانية. عاد فاستقرَّ على دعامتاه. وإذا هو سالم لم يصب بأذى!

كان أول المندفعين - وأول من عبر «الرين» عنوة. منذ عهد الثورة الفرنسية الجندي «أليكس درايليك». وهو عامل جزار في «هولاند» (أوهايو) واندفع في أثره «تيمران» على رأس رجاله. فلاذ المذينون والعسكريون من الألمان بالفارار عبر النفق. وبادر ثلاثة من الساسة والأميركيين إلى انتزاع سلك جهاز التجسس. معطلين بذلك فتيل لغم يزن ٤٥٠ كلغ لم يكن قد انفجر بعد.

وانتقل الخبر من صناف «الرين» بطرق التسلسل حتى مقرات القيادة، ومن «سبا» خطاب «هودجز» «برادلي» فاتلاً: «براد»، لقد وضعنا يدنا على جسر، جسر؟ أتعني جسراً على «الرين»؟ وسلامي؟— أجل! هو جسر «ريماغين». لم تنس للألمان فرصة نصفه. «وكان الميجر جزال «هارولد م. بول». رئيس مكتب عمليات «أيزنهاور». إذ ذاك، في مقر قيادة «برادلي»: فاحتى مدعياً أنه لا يحق للجيش النمساني أن يعبر «الرين»، وأن ما يقوم به مختلف للخططة الموضوعة. ففاطعه «برادلي» صارخاً: «خشست السلطة! أو تريدين أن تعيّر «الرين» عائدتين القهري فتنسف الجسر بأيدينا؟ فالجسر حسبي. وطالما أنا في بيتي حسبي. فانا مخفي في بيتي!»، إلا أنه لم يكن بد من

انهيار حاجز الريت

تموز، فما من إنسان يمثل أمامه إلاً بعد أن يقوم حرّاسه الشخصيّون بتفتيشه، إلاً أن «شيبير» كان يعرف حصن المستشارية لأنّه هو الذي بناه، فلو أنّه يتمكّن من ضمّ غاز سام في مخاري التهوية لما قضى على «هتلر» وحده، بل وعلى كلّ من في الحصن من أمثال «غوبلاز»، «بورمان»، و«لي»، و«بورغدورف»، و«فيغيلين» ...

ولم تجرِ محاولة الاغتيال قطّ، ففي جلسات المحكمة في «نورمبرغ» اكتفى «شيبير» بشرح السبب ببراهين فنية: استحالة تفجير قبة غاز، وبناء مدخلة واقية حول مخاري الهواء نزولاً عند طلب «هتلر». وأمام استجوابيات التحقيق – وكانت أغنى بكثير من المناوشات – أدلّ بإفاده مختلفة: كان يقوّم بجولة تفتيشية في «الرور»؛ وقد هرع يختفيء في ملجاً بعد سماعه إنذاراً، وكان رجال الشعب – وهم من المدّينين – الذين وجده نفسه بينهم في ظلمة تشبه ظلمة القبور، يتجادلُون أطراف الحديث من غير أن يعلّموا أنّهم في رفة أحد وزراء الرايخ. وكانت جميعاً يقولون إنَّ «ألمانيا» يجب أن تقاتل حتى الموت، وكانت جميعاً يتقدّم «هتلر»، ويشهرون بالتأمرين، باللحونة، وبأساد ٢٠ تموز. وشعر «شيبير» عنده أنَّه لا يحقّ له أن يختفي ذلك الرجل الذي ما زال، وهو في غمرة محنّة لا مشيل لها، قطبَ الشعب الألماني، كما يختفي ثعب في جحرة.

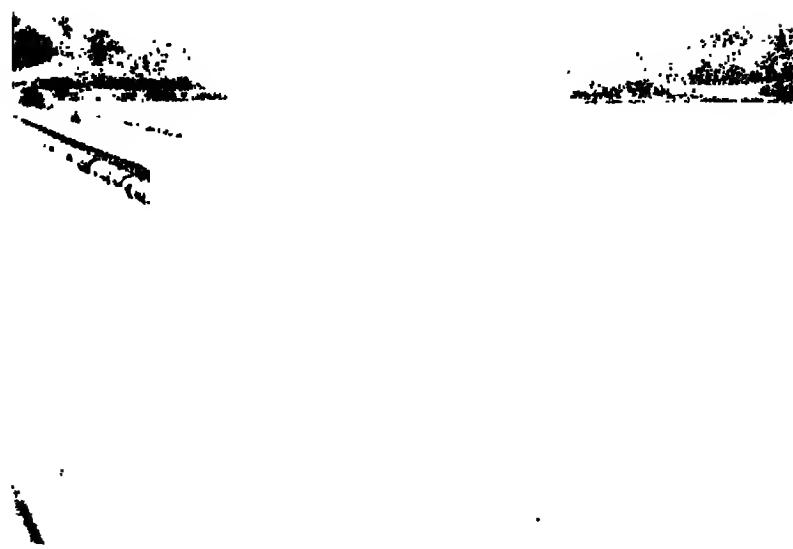
لقد ثار «شيبير» على فكرة تدمير «ألمانيا» على أيدي الألمان أنفسهم. وفي ١٨ آذار وضع مذكرة بين يدي «هتلر» وخاض معه غمار نقاش طويل، وأعاد الكرارة بعد عشرة أيام، وقد تجرأً على القول في تلك المرّة إنَّ الحرب قد فقدت. وقد اعتبر «هتلر» ذلك الرأي جريمة ضدَّ سلامة الدولة عقابها الموت. فاستدعى «شيبير» وأمهله مدةً أربعة وعشرين ساعة لنقض قوله. وفي اليوم التالي عاد إليه «شيبير» بمذكرة جديدة مستهلّها هذه الكلمات: «إنَّ الحرب قد فقدت».

: ولم تنصلّ الصاعقة على المتهوّر، ورفض «هتلر» تسلّم الورقة التي كانت إثباتاً لحياة تلميذه الفكرية. وتأمّر «شيبير» مع «غوديريان» فخفّض، أمر التدمير. وخفّض عدد الجنود المطلوب نصفها، وأمر بإغراق المفجّرات الموضوعة في المناجم. وبالاً تمسَّ السُّود والمصانع بأذى. وقام «بورمان» بإفشاء أمره. فلم يأت «هتلر» حرّكة.

إنَّ عدد الذين سلّموا بأنَّ الحرب مفقودة لا محالة، ازداد يوماً بعد يوم. كان «كيسلنغر»، قائد الجبهة الغربية الجديد، هتلريراً. ومن الذين لا يرجعون عن غایة، ومتّفّلّاً. وقد أثبتت له دورة تفتيشية سريعة قام بها على الجبهة الريتانية أنَّ الوضع كان أكثر توتراً بكثير مما كان يتخيله وهو في «إيطاليا». فمعارك كانون الثاني وشباط على الجبهة الروسية قد ابتلت

في ١٩ آذار وقع «هتلر» أمراً يضاهي أوامر «ستالين» القاسية في ١٩٤١: ففي مناطق الرايخ التي يرغم الجيش على التخلّي عنها، يجب تدمير كلّ شيء بلا شفقة: وسائل النقل، السُّود، شبكات الغاز والكهرباء، المناجم والمنشآت الصناعية، وحتى مستودعات الشّباب والمؤن. وقد أتى قرار تكميلي يأمر بإجلاء السُّكّان وإجلاء تاماً في الغرب وفي الشرق على السواء. يجب ألا يهدّي المجتمعُ غيرَ صحراءً في أرض محرّقة. لم تُعمل هذه التدابير المغایرة للصواب اعتباراً عسكريّة صرفة؛ فهي تعبر عن انتقام «أدولف هتلر». فمنذ شهر آب ١٩٤٤ كان قد صرّح في مؤتمر الحكم أنَّ فقدان الحرب لا يمكن أن يتحقّق إلا عن جنّ الشعب الألماني، وبالتالي عن قلة أهلّته أمام التاريخ وأمامه هو، «هتلر». إذ ذاك لن يبقى الشعب الألماني جديراً بالبقاء. لا يليق أن يكون هناك عدٌ بالنسبة لأمة تخون مصيرها وزعيمها.

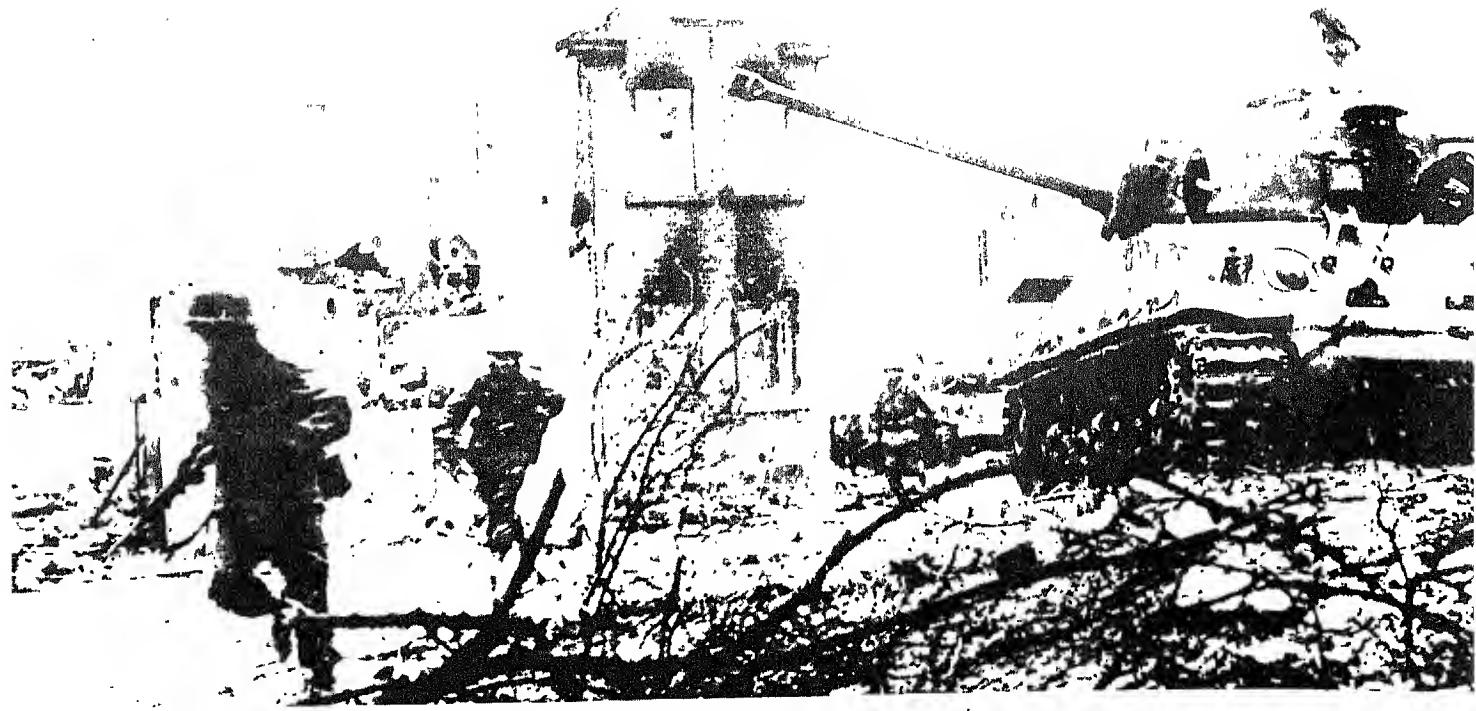
وكان «ألفرد شيبير»، وزير التسليح، يتصدى لهذه العدّمية. فخلال



جسر من فولاذ نصب على قوارب من مطاط فوق «الرين» .

سنة ١٩٤٤ بكمالها لم يكن مجده قط . وقد رفع الإنتاج الحربي إنْ رقمه القياسي، مجدّداً تجهيز ١٢٠ فرقة مشاة، و٤٠ فرقة مصفحة؛ أي ما يعادل مليوني رجل. وقد صرّح في حاكمات «نورمبرغ» بقوله: «لقد كان «هتلر» يخدّعنا، ناشرًا بعض المعلومات السرية المزيفة التي كانت تزعّم قيام مفاوضات مع الحلفاء»، موفّراً بذلك الحجة لإطالة قتال غير متكافئ. وقد تلاشى هذا الأمل الخداع في ١٩٤٥. («شيبير»، الذي كان من أعيان الحكم الكبار، وهو صديق الطاغية وصنيعه، قد انتهى إلى الاستنتاج نفسه الذي انتهى إليه أسياد بسطاء مثل «شتافنبيرغ»، وجنود كلاسيكيون مثل «بيك»، وبورجوازيون محافظون مثل «غوردلر» . فالسيّل الوحيد للحرب دون تكيد الشعب الألماني منتهي الكارثة هو تحطيم الغل الذي يربطه إلى فوهره الشيطاني؛ والسبيل الوحيد لبلوغ هذا الأرب هو قتل «هتلر» ، ولكنَّ قتل «هتلر» قد غدا أكثر صعوبة مما كان عليه قبل ٢٠





في ٦ نيسان ١٩٤٥ هاجم مشاة الجيش السابع الأميركي كيبيون مدينة «غيموندين» الواقعة على ٧٠ كيلو متر شرقي «مانهaim». ولكن القوات الألمانية حالت دون احتيازهم «الرين» في هذا الموضع.

إليها، بانكفاء على الضفة اليمنى. وقد وضع «كيسيلرنغ». لدى تسلمه القيادة، حداً لتردد هذا التراجع. فأثنى عليه «هتلر» بحزم: يجب أن يدافع عن كل قطر ألماني حتى النهاية. هذا وإن «السار». وأكثر منها كذلك طريق «لودفيغشافن» الكيمائية الكبيرة، لا غنى عنهما للإنتاج الحربي؛ فإذا أتيح للأميركيين مجال الوصول إلى «سيبر» و«ورمز»، كان ذلك بمثابة فرجة تُفتح أمامهم ليأوغ «المين». وهي بالتالي أقصر طريق لديهم يقطعون بها «ألمانيا» شطرين في سعيهم لملائقة حلفائهم الروس. وفي أية حال فإن هذه الاعتبارات، التي كانت ذات مغزى، قد دعت إلى الاحتفاظ غربي «الرين» بالثلاث الكبير الذي كان «باتون» و«باتش» يضغطان عليه.

في الوقت الراهن، كان شاغل «كيسيلرنغ» الرئيس هو رأس جسر «ريماين». فإذا استمرّ الأميركيون في توسيعه تم لهم في غضون أيام إحداث خرق باتجاه «الرور». أو باتجاه «المين». وقد جرت محاولات لدمير الجسر المشؤوم بالمدفعية البعيدة المدى والألغام الطافية؛ وقد وجّهت إليه ٣٧٢ غارة قامت بها القاذفات الانقضاضية. كلقت الطيران الألماني ٨٠ طائرة؛ ولم تخن هذه الجهود كلّها أية ثمار.

في البداية زجَّ الأميركيون في رأس الجسر بالفرقة المصفحة ٩ وبفرقة المشاة ٧٨. ولحقت بهما فرقة المشاة ٩٩ في ١٠ آذار؛ وفي ١٢ جاء الفيلق ٧ بشاطر غزو الفيلق الثالث. الذي أخذ على عاتقه وجه الناتية الشمالي. إلا أنَّ الألمان قد دعموا جيش الجزائر «فون زانجن» الـ ١٥ بالفرقة المصفحة ٩. وبالفرقة المصفحة «ليهر». وبالفرقة الآلية ٣. وبفرق مشاة وبفرق رماة شعيبين عدة. وتعاقبت المجممات والمجممات المعاكسة. وكان على الأميركيين. في سبيل تدعيم مروهم البارع عبر «الرين». أن يستقرّوا فوق الجبال التي تسيطر على السهل الصيفي. والتي تشرف عليها قمة «دراشنستفالد» الرومنطية. وكان العدو ينزعهم الأرض قدمًا. فجرت أمام «هونيف» و«لتز» وغيرها معارك دامية. ولم يتم قطع طريق «فرانكفورت - كولونيا» إلا في ١٦ آذار على يد فوج المشاة الأميركي ٣٠٩. وفي الغد انبار جسر «لودنورف» من غير سابق إنذار بعد ما عبرته إلى الضفة اليمنى آلاف من الدبابات والمدافع

١٠ فرق مصفحة. و٦ فرق مشاة. و١٠ أفواج مدفعية ثقيلة، و٨ ألوية قاذفة صواريخ. الخ... تاركة لقيادة الغربية ٥٥ وحدة كبيرة فحسب. وأمّا الفرق المصفحة والفرق الآلية، وعددها سبع، فقد احتفظت بعدة قوادها من ١٠٠٠٠ ١٠٠٠٠ رجل إلى ١١٠٠٠ رجل. إلا أنَّ فرق المشاة لم تكن تعد بالمعدل أكثر من ٥٠٠٠ جندي. وكانت كثافة الاحتلال الجبهة تبلغ معدل مقاتل واحد كل ١٠ ١٠٠٠ أمغار كحد أقصى؛ وكانت الاحتياطات بالغة الضعف؛ وكانت المعويات تتحلل. واغتاظ «كيسيلرنغ» عندما وجد أنَّ الازمة قد تسللت إلى الأركان العامة، وإلى مجموعة الجيوش «ج» خصوصاً. وازداد عدد المهاجرين من الهند، فناهوا في فوضى «ألمانيا» المقصوفة. وأمّا السكان المدنيون، وبالأخص في «ريماين» وفي «بالاتينا». فقد راحوا يطالبون جهاراً بإنتهاء الحرب. وكانوا يتحدون أوامر الإجلاء متسبعين بعنادهم. حتى المدمرة منها. وفي مقاطعات الشرق كانت الجسوع خصم على وجهها هاربة من أمام الروس، وفي مقاطعات الغرب. كانت تتقدّم الحلفاء وكانتها تتقدّم براية كابوس.

في ١٥ ذهب «كيسيلرنغ» ليقدم إلى «هتلر» تقريراً عن تسلمه القيادة؛ فأعجب بالنشاط المعنوي الذي يقي حيًّا في ذلك الردم البشري الذي أحادثه محاولة اغتيال ٢٠ تموز. ولم يجد «هتلر» فلقاً مفترضاً بشأن الأحداث الريمانية. فهو مقنع بأنَّ الجيش الألماني سوف يحرز على «الأدير» نصراً دفاعياً مبيناً. ومن ثم يغدو بالامكان استدعاء فرق النخبة إلى الغرب فتسحق الأنكلاؤ سكسون سحقاً. فالوضع لا يتطلب غير كبح هؤلاء مقداراً من الوقت لازماً لقلب الوضع. أقتناع كان منه؟ أم ظاهر؟ وكيف السبيل إلى معرفة ذلك؟

توقف القتال على ضفة «الرين» السرى. من البحر حتى «الموزيل». وإن جنوبى هذا النهر كان جيشان ألمانيان (السابع والأول) يسكن «السار» و«بالاتينا». ونادت المجموعة «ج»، التي كانا يعتمدان في ٢٣ آذار ١٩٤٥ احتلال الجيش الثالث، بقيادة «باتون»، نهر «الرين» بين «مايانس» و«ورمز». وقد قال «كيسيلرنغ»: «لم يكن ليدور في خلدي أنَّ الأميركيين يقدمون على مثل هذه الجرأة».

والساحرات. عبر أن النقابين الأميركيين عاد بنوا في رأس النهر وهي مساجده جسرى ميدان . وبهذا استمر تدريم رأس الحسر من غير انقطاع . من الناحية التكتيكية لم يعقب مناجاة «ريمازن» استئمار فوري صاعق، وأمام رأس الحسر، الذي يان قطره ٣ كلم في العشية الثانية، فام يبعد الـ ١٥ كلم بعد عشرة أيام. بيد أن غارة «ريمازن» قد امتصت الاحتياطات الألمانية، وأضفت القطاعات الأخرى جميعاً على الجهة الغربية .

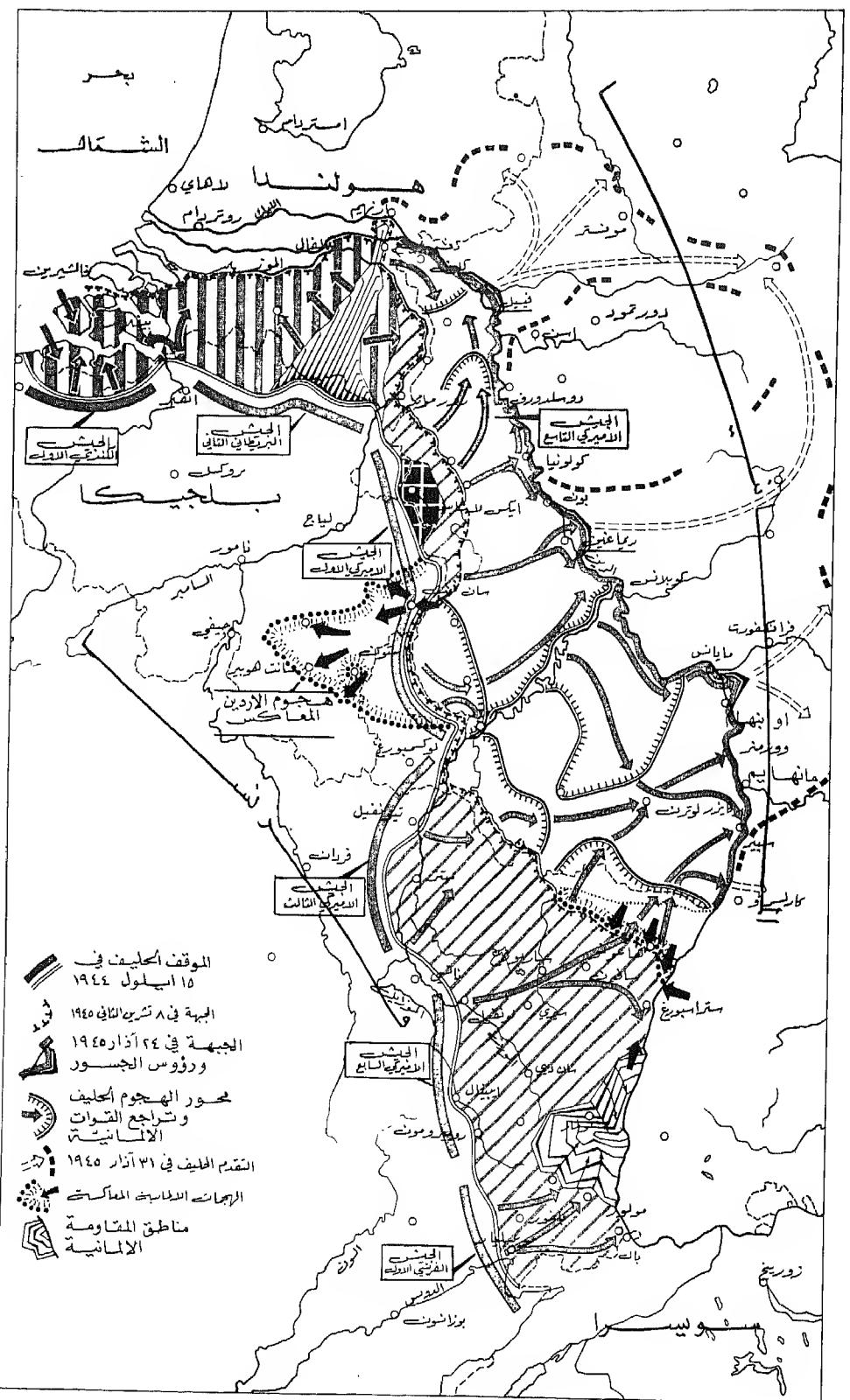
وهنا يبدأ إخضاع مثاث «سار-بالاتينا». وقد أهل تحطيط الجبهة شكل المجموع . فشن الجيش الأميركي ^٧ هجومه على وجه المثاث الذي تحده «السار» و«اللوير»؛ وشن الجيش الأميركي ^٨ هجومه على «الموزيل» . وكان الجيشان الألمانيان المازيان شديدة الضعف: فالجيش السادس الذي وقف في وجه «باتون»، لم يعند تسيقه منه «بركة الأربدين» . وأمام الجيش الأول فقد فقد ^٩ بالمرة من قواته في معركة «الأراس». وكان معدك كتيبة الاحتلال على كل كيابومر من الجبهة يبلغ جندياً من الشاة وقطعة مدفعة أو اثنين، وأقل من مدفع واحد مضاد للدبابات . ولم يكن الجيشان يمكنان مما أكثر من ٢٠٠ مصفحة، وإنما من الباطل الادعاء بالمحافظة على رأس الحسر بإمكانات ضئيلة بصورة صارخة . وذلك على الرغم من قوة الحسين التي شهد بصورة الحفاظ عليه .

في ١٥ آذار هاجم «باتش» بقيادة الفيلق ٦ إلى الشرق، من «الرين» إلى «الفوج». الفيلق ١٥ في الوسط، من «بتشي» إلى «سارغمون». الفيلق ٢١ إلى الغرب، من «ساربروك». وكانت فرق فرنسيّة مدعمة، وهي فرق المشاة الجزائرية ٣ . قد أحلفت بالفيلاق ٦ ووضعت إلى أقصى اليمين، في سهل «الرين». وقد تم الاتصال مسبقاً أنها سوف تعود تحت إمرة الجيش الفرنسي الأول على أثر باوغها «الإلين» وهو رائد من رؤاد «الرين» الصغيرة، من منتصف الطريق بين «لوبر بون» و«سيبر». ولم تكن خططات القيادة العليا لاحصنة ترك للفرنسيين سوى حرامة «الرين» من «اللوير» إلى «سيبر». وقد سجل «دي لاتر» أول مائرة في محاولة الخروج من دوره السامي والاشتراك في غزو «ألمانيا» .

أوكى المجهود الرئيس إلى الفيلق ١٥، الذي عدا بعد ٦ فرق، منها فرق مصفحة، فشن المجموع في الساعة الواحدة من ١٥ آذار، بعموره «الليز» بفتحة. وفي ١٨ دنا من خط «سيغفريد» الذي كانت حصونه الصغيرة تسقط بالعشرات تحت وطأة القاذف النافذة واسع قاذفات الاتهب. وفي الأيام التالية استول الفيلق ١٥ على «دو بون» و«هومبور». وتقدم باتجاه «كايسرسلاوترن». وانحرف باتجاه الشرق للاقتراب من «الرين» .

وفي الجانحين سار الفيلقان ٢١ و٦ سيراً مماثلاً، فأسقط أحدهما «ساربروك» عنوة واستول على «سانت-أغفير» . واستول الآخر على «لودو» و«بيرما سنس». كان الوضع فوضيّاً في كل مكان . وكانت المدن تتلطى جميعها، ولم تبق «هومبور» غير مقبرة . وراح الجنود الألمان يستسلمون بالثواب وبالآلاف. وينقدون من غير موافقة باتجاه معاكش للأرتال المتصورة التي كان عنادها الشخص يدهلهم. وقد كان يتوقف حصول مقاومة شعبية، وانشقاق الجنود غير النظاميين، ولكن في الواقع لم يكن هناك غير الأخلاع والخضوع والإذعان .

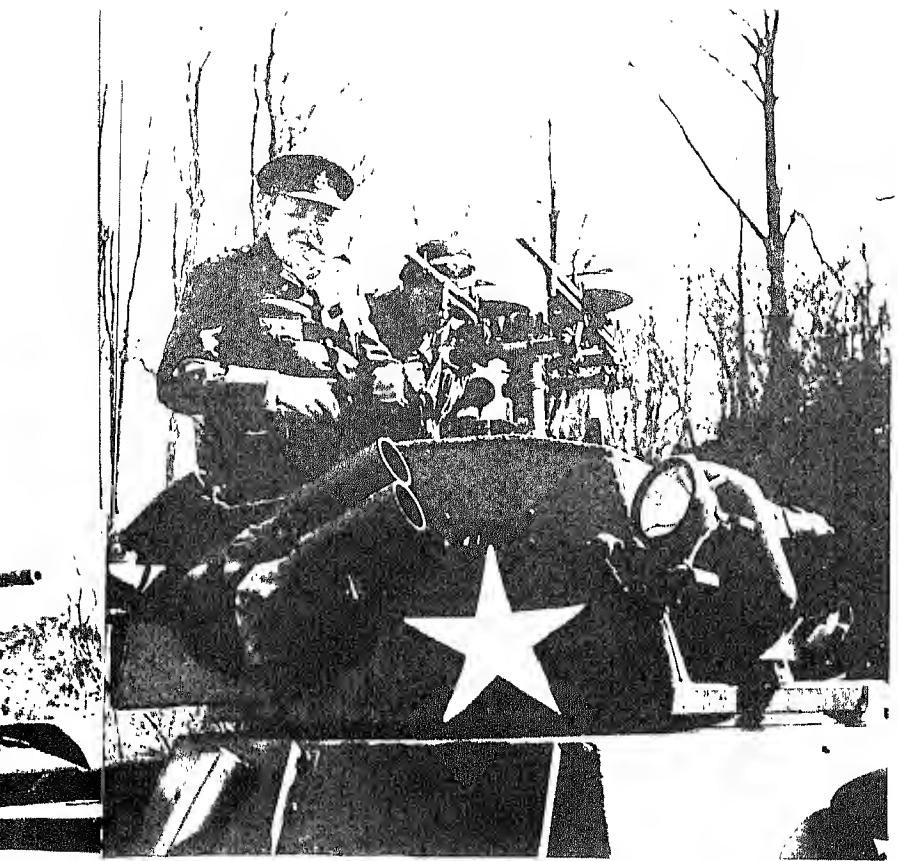
كان «باتون» قد هاجم قبل «باتش» يومين، في وضع معاكش . موجتهاً مجهوده إلى الجنانين للإحاطة بكلة «هونسروك» الجبلية . وكانت القيادة الألمانية تعتبر أنَّ الأميركيين كانوا جدًّا منهمكين في



«تشرشل» في هجوم «مونتغومري» على «فيسبيل»: إنها في الزي العسكري ، وسيجاره في فمه .

معركة «الرين» (أيلول ١٩٤٤ - آذار ١٩٤٥)

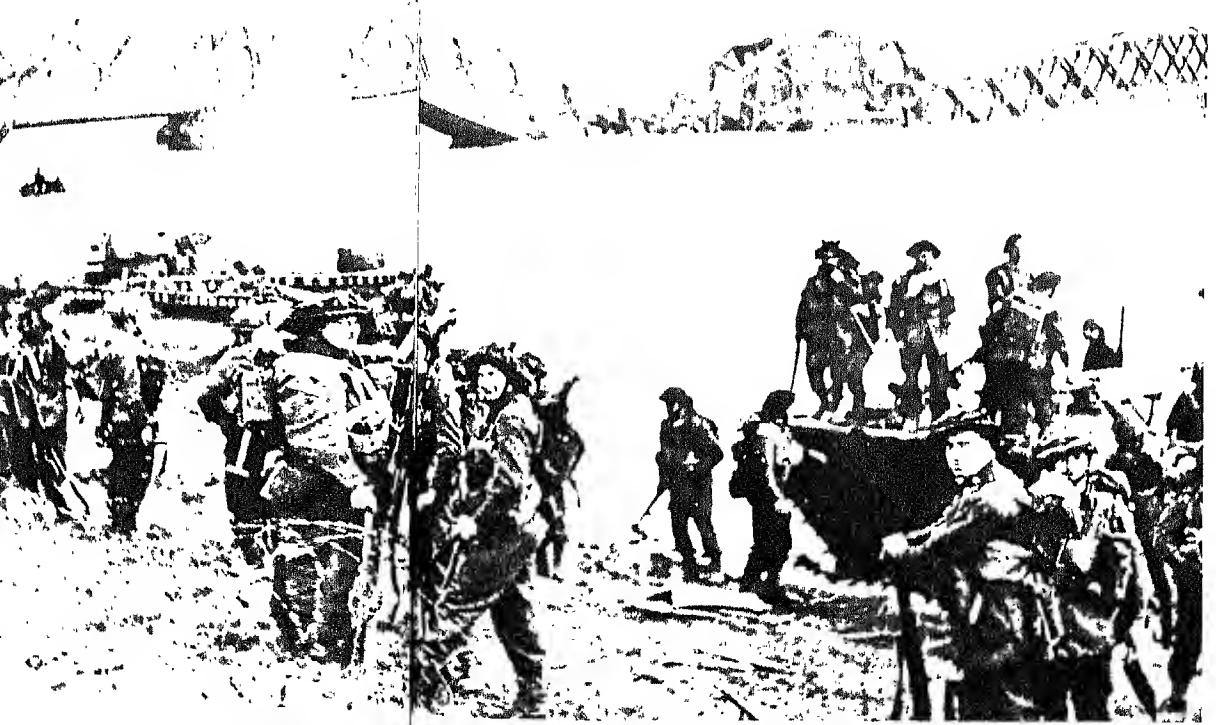
قطع الانكليز «الرين» في «فيسبيل» ، ووقفوا ينتظرون ساحة الهجوم على الواقع الألمانية .



كانت هنالك، في منطقة عمليات مجموعة الجيوش ٢١، عملية أخرى وشكة شاسعة النطاق، لأنَّ وهي عبر «الرين» الأسئلة، وهي تحمل طابع عقيرية «مونتغومري» النظامي القبور. وأمام النهر، الذي تضخم بسب فضائه الريعي، فقد بلغ عرضه ٥٠٠ متر. وكان جيش المظليين الأول، الذي يؤمن الدفاع عنه من «إميريخ» إلى «دوسيلدورف». يعيد تنظيم صفوفه من ١٠ آذار . وكان ما يزال يضم أكثر جنوده فقلاً من ٧٥ إلى ٨٠ بالمئة من مشاتلها .

وشك الاستيلاء على «ماينتس». وكان الاتصال قد تمَّ في كل مكان بين الجيش الثالث والجيش السابع . وذلك، كما ذكر «باتون». الصالح الجيش الثالث الذي كان قد تحطى حدوده، واستول على عدد كبير من الدساكين الذي كان على جراه أن يختلها. وألقت فرق بكمالها الصisel على جسدها السابع المتسبب في الهزق . وقال «كيلرلن»: «استاداً إلى خبرتي الإيطالية، لم أكن لأظنَّ أنَّ الأميركيين قادرُون على مثل هذه الحسارة» .

إنْتَهت حملة «البالاتينا» في ٢١ آذار. كانت فرق الماشية على ٩٠



٣١٧

من خلال «أوستايرلوك»، فيما التفت الأمير كيوبن حول الحوض الصناعي . وهكذا بات «الرور»، الذي كان مهدّاً من الشمال، مهدّاً من الجنوب كذلك. وانتهى الأمر بحسب «رياغين» بأن تفجر كاما تنفجر كرمة من المطاط زيد تفخها. وحاول الجيش الألماني المصفح الخامس الحلول في مقدمة «سولingen» و«وفبرتال» على نهر صغير يحمل اسم «سيغ» (النصر !)، إلا أنَّ الجيش الأميركي الأول اجتازه في مسيرته على «كاسيل»، واتجه من ثمَّ مستقيماً نحو الشمال، وفي أوّل نيسان أجرى اتصاله مع الجيش التاسع في «ليشنايت»، مغلقاً الدائرة حول «الرور».

اعشرة أيام خلت كانت محيلة «هتلر» قد ابتدعت نظرية «الرور القلعة» ، فحضرت تحت طائلة الموت، التخلّي تلقائياً ولو عن دسكة واحدة. طُوق الجيش المصفح الخامس والجيش ^{١٥} ، وفيقان من الجيش الأول «فالش-جاج» ، فضلاً عن ^{١٠٠،٠٠٠} رجل من رجال المدفعية المضادة للطائرات، بقيادة المارشال «مولد» ، في جيب يبلغ طوله ^{١١٠} كلم بين «الرين» ونبع «الرور» ، وعرضه ^{٨٠} كلم بين «الايب» والسيغ». وراح حاجز «الرين» يتداعى في كل صوب. ومن جيب «ريماين» شق «النهر الأيمن للجيش الأميركي» الأول طريقاً له في اتجاه وادي «لان» نحو «غيسين». ومن جيب «أوبينهيم» اجتاح «بانتون» وادي «مين» واستولى على «فرانكفورت». وعبر الجيش السابع «الرين» في ^{٢٥} آذار ، من كلتا ناحيتي «اورمز» ، وسار على «فورزبورغ» . وبعدما تمكّن «دي لاتر» من فتح شرفة له شمالي «اللوتير» ، وحصل من الجبال «ديفيز» على موافقة وضع «سيبر» في منطقة الجيش الفرنسي الأول ، عبر بيوره في ليل ^{٣١-٣٠} آذار ، واستولى على «كارلسروه» . ثم انكفّ نحو «الغاية السوداء» . وكانت الأرتال الخليفة ما تزال تتعرّض لمقامات محلية ، وكان عليها أن تخوض معارك جديدة، متكتبة خسائر ملموسة؛ ولكن ، كما سبق وحصل في «فرنسا» في حزيران ^{١٩٤٤} وأب ^{١٩٤٤} ، كانت المعركة الحقيقة قد انتهت. زُجَّآلاف من الأسرى في حظائر مرتجلة بانتظار إجلائهم أو سجنهم بصورة منتظمة؛ كانت تلك الحشود تثير الشفقة ، وراحت تبين فوقيها باطراد رائحة الديزنتاريا الآسنة. وأمّا حرب العصابات التي كان «أينهاور» يرهبها إلى أقصى الحدود . فلم تتجّل في أي مكان قط. وأمّا محاولات التخريب وأعمال العداون فكانت نادرة للغاية . فعلى الضفة اليمنى كما على الضفة اليسرى من «الرين» كانت «ألمانيا» قد هزمت ، وروضت ، وأختضعت ، وعرفت خلاصاً. إلا أنَّ الفوضى كانت تفوق كلَّ وصف. فالانتصارات قد كدت في «ألمانيا» ^{١٥} مليوناً من الغرباء، من أسرى الحرب والمنفيين والعمال المقطوعين أو المجندين . كانت المزاجات قد دفعت نحو داخل الرياح عدّة ملايين من الألمان ، وكذلك القصف ، فقد طرد من المدن ملايين آخر. ولقد نتج من جراءه مزيج هوّاء السكان المختلفين فوضى غريبة. وفي بعض الأماكن ، حاولت السلطات القومية الاشتراكية أن تطبق تعليمات «هتلر» ، وحاولت أن تحلُّ الفرغ بطرد المدنيين والأسرى نحو الشرق. ولكنها في معظم الحالات كانت ترتد عن غيّها المستحبّل. فتركت إلى الفرار أو تخفّي. ولم تكن الأرض التي ينزووها الحلفاء مجرّدة إلا جزئياً، ولكنَّ العدم الإداري الذي كانوا يواجهونه كان كاملاً. وقد انتصب في وجههم ألف معضلة من مضلات الأمان والصحة والتامونين والقضاء على النازية ، وحلَّ خطير المعاشرة والواباء؛ وقد اعتبر أنَّ الأمل في غزو «ألمانيا» الغربية في أوائل الربيع ضئيل جداً. ولربما أقبل الشتاء حاماً الويلاط .

جبهه الغرب قوة . إلا أن تحضيرات «مونتغومري» قد بدأت منذ أوائل شباط على نطاق شاسع للغاية ، ولم يُرِك أي أمر للأقدار : فقد كُرِبَ من النهر ألفا مدفع ، وأكادس من الذخيرة ، وتوافرت له ٢٩ فرقة ، منها خمس استُعدَّت من «إيطاليا» يبلغ مجموع رجالها المليون . وكانت فرق الانقضاض الأربع ، إثنتان بريطانيتان واثنتان أميركيتان ، قد قامت بتجارب عدّة على «الموز» بين «روموند» و«نيميخ» . أطلق على «الرين» ستار من الدخان طوله ٥٠ كلم لحجب الضفة اليسرى ; وحشدت آلاف من زوارق الإنزال النهرية ، ومن الدبابات والآليات البرمائية ، من غير أن تتمكن المدفعية الألمانية ، التي كانت توزعها الذخيرة ، من أن ترد على نيرانها بالمثل .

تحدد موعد الهجوم للساعة ٢١ من يوم ٢٣ آذار . وقد أخبر «برادلي» يقول : «اتصل بي «باتون» هانفيناً في مقرّي العام في «نامور» . وكان صوته السوبرانو يرتعش انفعلاً ، قال : «براد» ، بالله عليك ، قل للعالم إننا الآن في الجهة الأخرى ... أريد أن يعرف العالم أن الجيش الثالث قد عبر «الرين» قبل «مونتي» ... » كانت تلكحقيقة لا أنهى ولا أصدق . في الليلة السابقة ، وأمام مدينة «أوبنهيم» الصغيرة ، على بعد ٢٥ كيلم من «ورمز» ، كان «باتون» قد نقل في زوارق الانقضاض كتيبتين من «فوج القتال ٢» ، ودفع بهما على «الرين» من غير أي إعداد من المدفعية أو الطيران . وقد لحقت بهما خلال الليل أربع كتائب أخرى من فرق الماشة . ولم يأت الألمان غير مقاومة تافهة بعدما ياتوا باتوا فريسة للمفاجأة . وهكذا حصل «باتون» على رأس جسر ثمه ٣٤ قتيلاً وجريحًا ، معربًا للسخرية تحضيرات المارشال الانكليزي الضخمة ، ومشاربها المسرحية !

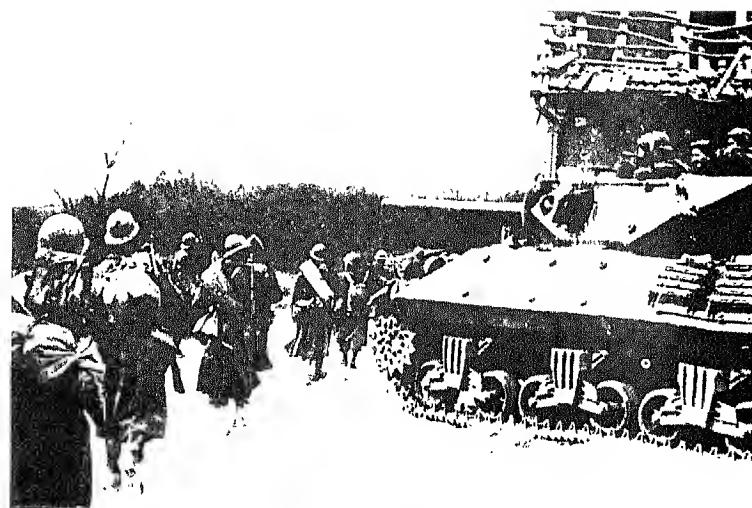
أجل، لقد كان عبور «موتفغوري» «الرين» مسرحياً كمثل عبور لويس الرابع عشر». وقد وقف «أيزهواور» ينظر إلى المشهد من أعلى قبة جوس؛ وكان «تشترشل» يتبع سياق العملية في قالفة «موتفغوري». قام الجيش البريطاني^٢، الذي دعمه قسم «الجيش الكندي»، بالعبور شماليًّاً مصب «الليب»، وعبر الجيش الأميركي^٣ إلى الجنوب. وقد شنت المجموع الأول الليبي على «رينس» فرقة المشاة البريطانية^٤؛ وأعقبه هجوم ثان قامته به بعد ساعة فرقة المشاة البريطانية^٥ على «فيسيل». وبعد أربع ساعات، في ٢٤ آذار، في الساعة ٢، هاجمت فرقنا المشاة الأميركية^٦ و٧٩ بدوريما. وتعاقبت الهجمات فوق سطح الماء البحب، تحت أشعة قمرية اصطناعية أغدقها أنوار المدفعية المضادة للطائرات. وكانت الضفة اليمنى منبسطة كراحة اليد، وهي تبدو متاظية في غمرة الانفجارات المتواصلة. وقد أتت خسائر المهاجمين ثافية: ٤٠ قتيلاً في الجانب الأميركي، وأكثر من هذا العدد بقليل، عند البريطانيين.

وقد عقبت عبور النهر عملية كبيرة منقوله جوأً، بدلاً من أن تسقيه؛ بدأت في الساعة ١٠ من يوم ٢٤، في صبيحة هادئة قليلة الضباب. فقامت ١،٧٥٢ طائرة، و ١،٣٢٦ طائرة شراعية توأكها ٨٨٩ مطاردة، وتؤمن حمايتها ٢،١٥٣ مطاردة أخرى، بإنزال الـ ١٤،٠٠٠ مقاتل من فرقى «إيربورن» البريطانية ٦ والأميركية ١٧، إلى شمالي شرقى «ويسيل» بواسطة المظللات أو إنزالاً عادياً. وعلى الرغم من الأضرار الجسيمة التي أحدثتها المدفعية الألمانية المضادة للطائرات، كان النجاح كلياً. وتحقق الاتصال مع العناصر البرية خلال النهار. وعند المساء بلغ عمق وأس الحسر

تم في الأيام التالية أخذ الدفاع في الانهيار. وراح الجيش البريطاني الثاني يتقدم بسرعة في منطقة الغابات والأبوار التي تعتقد شمالي «الإيلب». وإلى جنوب النهر كان الجيش الأميركي^٩ يتقدم في حاشية «الرور». وفي ٢٨ تم إحداث الثغرة . فاتجه الانكليز نحو «الفيسير» و «الإيلب»

«المانيا» قد حضر بالعنابة التي حضر بها عز و «أوروبيا». فأُنشئ جيش جديد. هو الجيش ١٥. ليدير شؤون المقاطعات المحتلة. كانت كل دسَّكَةً. منها كانت أهميتها، قد جعلت موضعًا لدراسة دقيقة، وراحت الحكومات العسكرية تمارس سلطاتها في أعقاب الجنود. وإذا اعتبرت الحكومة الألمانية منحلة، وإذا اعتبر أن «المانيا» كانت جثة سياسية، لم يبقَ واردًا أمرُ التعاون مع السلطات المحلية. بل كان مفروضًا استبدال السيادة بغيرها لا أكثر ولا أقل. وفي الواقع استُبْقى كثيرون من موظفي التنفيذ، أو أعيدوا إلى مناصبهم بسرعة. وعادت حلقات العجلة إلى الدوران. كان التدمير المادي والاجتماعي قد أحدث من التلف مقداراً جعل الناس يعجبون للسرعة التي سار بها التعمير والانعاش.

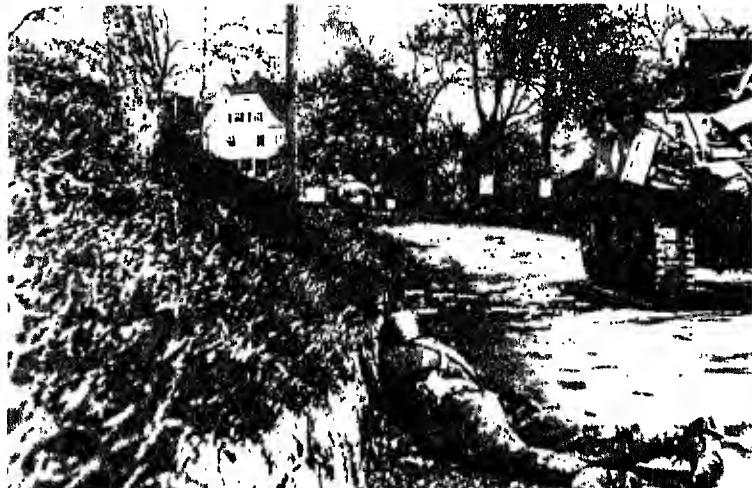
دخل أمام تقدم الجيوش الحليفة في «المانيا» واقعٌ رهيب. ألا وهو واقع معسكرات النفي والاعتقال والإبادة. ففي غضون السنوات الفائتة وردت



تدفقت القوات الفرنسية إلى «المانيا» من «الرين» بعد اجتيازها «اللوتير»، وقد صفت آخر معقل ألماني في «الألاس».



أسرى فرنسيون حررهم الجيش السوفيتي في جهة «روسيا البيضاء» الثانية.



لقوات الفرنسية تطلق إلى «شتونغار» حيث تم اللقاء بين «دي لاتر دي تاسيني» و «باتون».

أسرى فرنسيون حرروا، وهم في طريقهم إلى «شتونغار».



تقارير عديدة للحكومات المحلية أو الحياتية، وللصليب الأحمر الدولي، وللෆافايكان. تصف الفظائع النازية وعمليات تشريح الأحياء والإبادة النظامية، وهذه الأخبار، التي كانت حقيقة وبعيدة التصديق في آن، قد اصطدمت بجدار من عدم التصديق والريبة. كانت الدعاية المحلية قد امتنعت عن ذكرها، خافة الوقوع في فخ المبالغة المفرطة، وأمام الآن فالواقع قد أخلى. وبدأت صفحات تقرير حقد تراكم شيئاً بعد شيء كائناً برزت من الخفاء بأصدائها الرجسة أسماء كـ «بوشنفالد» وـ «داشو»، «رافشبوروك» وـ «موهاؤزن» وـ «برغن-بلسن» وـ «أوشفيتز».



معسكرات الاعتقال الألمانية : إنها آلة التعذيب الجهنمية ، آلة التشيع والقتل والإفقار . ففي معسكر «أوشفيتز» وحده التهمت الأفواح ٤ ملايين معتقل . في الصورة : فريق من معتقلي «بوشنفالد».

انته الرعب في كلّ منعطف !..

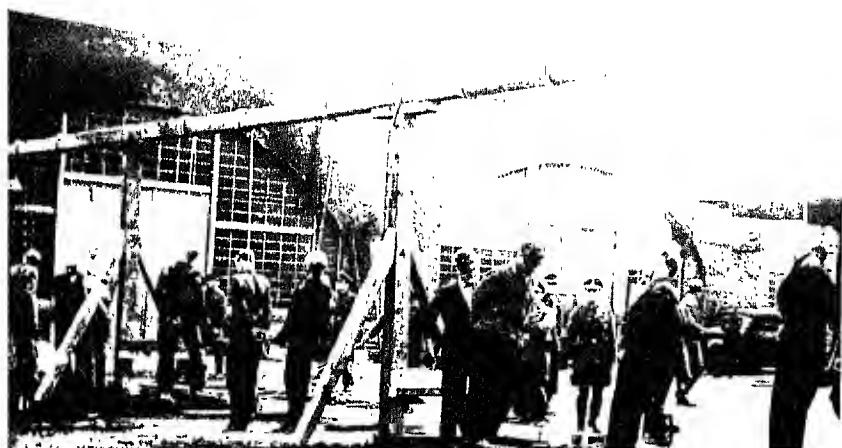
رجال الصاعفة، الأوغاد يقتلون الأسرى . وقد وجدت الصورة على جثة جندي ألماني





رإن «بوشنفالد» .

جريدة المطرية الجماعية تتجلى في هذه البثت التي كُدّست في المعسكر ولم يُفتح بحلّاتها مجال دفنهها أو إحراقها !



وثيقة من الوثائق التي تدين
النازيين بالأعمال المafافية
لشرعة البشر .

حُرر في «بوشنفالد» ٣٢ ألف
معتقل . يا للفرحة العارمة !
ولكن الاعتقال خالق لكل
من هؤلاء شغلاً شاغلاً في
جسمه وفي روحه .



أرغم هؤلاء الأسرى على
اقتياض زميل لهم إلى المشنقة
وهم يعزفون الألحان !

«أيزنهاور» يرحب عن «برلين»

بعد احتلال ضفة «الرين» اليمنى راحت الجيوش الغربية تتساءل عن الاتجاه الذي سوف تسلكه في مسيرتها الظافرة.

إبان وضع المخططات لغزو «أوروپا» لم يكن هناك أيَّ تباس بشأن الهدف النهائي. ألا وهو: «برلين». وفي الوقت الذي بدأ فيه تطبيق «الرور» يُسند بالأنبيار الألماني الشيشك. لم يكن هناك بعد أيَّ شك بهذا الصدد في رأس «ونستون تشرشل». ولا في رأس الفيلد-مارشال «مونتغومري». ورؤساء الأركان العامة البريطانية. وعلى هذا الأساس ذهلو جميعاً لدى تلقهم. في ٢٨ آذار. مذكرة «علم وخبر» موجهة من الجزء «أيزنهاور» إلى المارشال «ستالين». كان جزائياً من مشاريعه، ويُفضلي إليه فيها بخططه الخاصة، وفي طبعتها التخلصي عن المسيرة إلى «برلين»!

قال «أيزنهاور»: «في نسيي السعي وراء إقامة الاتصال بين قواتي وقواتك بنقل مجدهي الرئيس إلى محور «إفروت-ليزيغ». ولسوف يحصل مجده ثانوي في سبيل إقامة اتصال آخر في منطقة راتيسبون - ليز».

لقد كانت فحوى هذه الرسالة، وكان قالبها، جدَّ جارحين للإنكليز. «أيزنهاور». مهما كانت مرتبته، لم يكن غير منتقد، وأمَّا مدراء السرايوجية فهم رؤساء الأركان الموحدة الأميركيون والبريطانيون. فهم لم ينعموا بالاستشارة. حتى إنَّ مساعد «أيزنهاور» الخاص، مارشال الجندي الإنكليزي «أرثر تيدر»، لم يُبلغ الأمر فقط. «فأليك» الدبلوماسي قد انقلب فجأة إلى حاكم مستبد، وهذا هو يتناقض مع «جوزيف ستالين» ويقلب تنظيم القيادة الخليفة رأساً على عقب. وقطعاً للسرايوجية الجديدة سحب «أيزنهاور» من «مونتغومري» الجيش التاسع الأميركي لإسناده إلى «برادلي». وسيقتصر دور مجموعة الجيوش ٢١ على القيام بحراسة جانب المجموعة ١٢. «فأليك»، بعدما حارب «ضغط مونتغومري المركب»، عاد ثقيناً. ولكنَّه غير محظوظ. فقد نقل سهم «دوسلدورف - برلين» إلى سهم «مايانس - دريسد»!

كانت حجاج «أيزنهاور» معروفة، «برلين» التي عاثت فيها عمليات القصف دماراً. وجلت عنها الحكومة النازية. لم تبق في نظره ذات قيمة خاصة. ثمَّ أنَّ الروس كانوا على بعد ٦٠ كلم منها، فيما كانت تفصل الغربيين عنها ٣٠٠ من الكيلومترات. وأمَّا «برادلي» الذي استشاره «أيزنهاور» - فيما ترك «تيدر» في جهل تام - فقد صرَّح بأنَّ خسارة ١٠٠،٠٠٠ رجل ستتحقق بهم في حقول «المانيا» الشمالية إذا ما أُغير «مونتغومري» أذناً صاغية. وما القائمة من ذلك وهدف الحملة الأخيرة هو الجنوب؟ فكما آمن «فأليك» بوجود حرب العصابات، كان يؤمن بالعقل النساوي - البافاري الذي أقيمت حول «برخسغادن»، وهي عاصمة المثلثية الروحانية. فإذا تله بسرعة كان أهمَّ بكثير من زهو الدخول إلى «برلين».

جاهمت ردَّة فعل رؤساء الأركان العامة البريطانيين شديدة العنف. فأنكروا على «أيزنهاور» حقَّ الاتصال المباشر «بستالين»، وخاضوا السياسة صراحة إذ كتبوا «أنَّ هناك أموراً ذات أهمية أعمق من أمر تدمير القسم الأكبر من القوات العدودة في «المانيا»». وطالبوه بأنْ يحافظ «مونتغومري» على الجيش التاسع، وبالبقاء على «برلين» كهدف للحلفاء رئيس. وراحت الخفاجي السياسية تثير الجدل. فبناء «بالطا» قد شرع يتداعى بعد التوقيع عليه بشهرين. لقد وضعت الروس فتح أبواب «بولونيا» أمام «بلنة لندن»، وفرضوا على ملك «رومانيا» حكومة شيوعية؛ وقد أعملوا أحکام

النبي بالحملة في كلِّ مكان. وفرضوا على روؤس المقاومات. نافين الطبقات المالكة أو قاضين عليها، رافضين تطبيق الحرِّيات العامة. وكانت علاقتها مع الأميركيين تجذَّب أزمة حادة، تفجرت في قضية «فولف». كان جزال الصاعقة هذا، المقرب من «هملر»، يحاول في «برن» التفاوض بشأن استسلام جيش «إيطاليا» الألماني. فاغتاظ «ستالين» من ذلك، وهو يرى في قيام الاتصال هذا توافضاً لفاسحة مع الأميراليات الغربية. وقد كتب إلى «رووزفلت» يقول: «إنَّ مفاوضات «برن» تتبع أيام الإنكليز والأميركيين مجال التقدُّم حتى قلب «المانيا» تقريباً من غير أن يلقوا أيَّ مقاومة... إنَّ النازيين قد ارتدوا عملياً عن القتال ضدَّ «أمريكا» و«إنكلترا»، فيما هم يواصلون قتالهم ضدَّنا...» وردَّ «رووزفلت» بحزم. مؤكداً أنَّ محادلات «برن» كانت تستهدف حفظ الدماء، وأنَّها لم تكن تتفق البنت الاستسلام غير المشروط. وقد اختتم قائلاً: «لا أستطيع أن أخفِّ عنك ثورتي على أولئك الذين يشوّهون بطريقة جدَّ شنيعة أعمالِ وأعمالِ مروءسي». هذا. وإنَّ القليل مما نعرفه عن أيام الرئيس الأخيرة يشير ظاهراً إلى أنه كان ساخطاً على الذين عبثوا بحسن نيته.

في جوِّ كذلك كان لروماً أن يثير القرار الذي اتخذه «أيزنهاور»، في الرغبة عن غزو «برلين». تدخل الحكومة الأميركيَّة. وعاد حدق «أيزنهاور» يلعب دوره، فأبدى في ذلك المجال استعداداً حسناً، قال: «إنَّي أول من يعترف بأنَّ المُرْبِّ يحبُّ أن تدار وفقاً للأهداف السياسية. فإذا قررَ رؤساء الأركان العامة الموحدة أنَّ الاستلاء على «برلين» أمر ضروري، عمدت بحرارة إلى تغيير خططه». ولكنَّ كانت تعوز «رووزفلت» قوَّة التركيز الفكرية، وكان «تشترشل» يرى الأمور على حقيقتها، فصرَّح بأنَّ التخلص عن «برلين» كان يشكُّل خططاً عسكرياً وسياسياً فادحاً، إلاَّ أنَّ «تشترشل» عينه كان تعبيراً بعد ثمانية وخمسين شهراً من السلطة والقتال. وإذا انتصر «مارشال» «أيزنهاور» كما المعتاد، بقي قرارُ هذا الأخير نافذاً: فالخلفاء الغربيون لن يعبروا بوابة «براندبورغ»! عاد «ستالين» إلى بشاشته بعدما نعم بالله. فردَّ بطف على رسالة «أيزنهاور» قائلاً: «إنَّي أعتقد مثلك أنَّ «برلين» قد فقدت كلَّ طابع هام، وفي نسيي ألاَّ أُسخر لها غير قوات ثانوية». فتقبلَ قائد الغرب هذه المُجاَملة بسذاجة.

«هتلر» في معركته

ما علَّق الروس جهودهم أمام «برلين» إلاَّ لأنَّهم أبوا التعرُّض لمثل ما مُنْوا به من إخفاق إذ حاولوا اقتحام «بروسيا» الشرقيَّة قبل الأوان. ولذا فقد عدوا إلى تنظيم مواصلاتهم وتجديد قواهم تأهلاً للحملة الأخيرة. أمَّا في سهل «الدانوب» فقد استمرَّ القتال عاتياً عنيفاً. لم يحمل سقوط «بوداپست» «هتلر» على التخلص عن خططه الرامية إلى إعادة فتح خطَّ «الدانوب». غالَ الروس على أبواب «برلين»، وهو ما فتَّع يحفظ، بين «الكريبات» و«الدرافت»، بأربعة جوش تشمل أكثر من ثلاثة فرقَة.

بما في ذلك جيش الدبابات السادس التابع لقوَّات الصاعقة. شنَّ هذا الجيش الأخير في ٦ آذار هجومه على نقطة تقع بين بحيرات «بالاتون» و«فيلينكِر»، فتمكنَ من غزِّ إسفين في جبهة «أوكرانيا» الثالثة. إلاَّ أنه عجز عن أنْ يتقدَّم تماماً، فخاذلت الفرقَة الشمودجية «أدولف هتلر» تحتَ وبيل من المطر: فما كان من «هتلر» إلاَّ أنَّ أصدر أمره بتنزَّع شارات الزينة المطرقة باسمه من على أكمام الجنود. فحقَّ رجال فرقَة الصاعقة، وأعادوا كذلك أوصيَّتهم مجموعة في المباول وأرفقوها، على ما يُقال، بذراع أحد رفقاءِهم الذين قُتِّلوا، وعليها الشارة المحرَّمة.

المقاومة؛ فكان همه منصرفًا إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الجموع المديدة والعسكرية التي طرقها الروس. وما لبثت السفن أن أبحرت من «بيلارو» و«غدينيا»، ومرفأ «هيل» العسكري الصغير؛ تقطيعها جماعات. مراصدة من البشر. ولحقت المأساة بعضها، فغرقت السفينة «الجنرال فون شتون» بثلاثة آلاف شخص. «والغوايا» بسبعة آلاف، وقد نسفتها الغواصات الروسية بالطورييد.

حمل فتح «بوميرانيا» الروسي إلى أبواب «ستيتيين»، فحاذاها «الأودير» من مصبة حى ملقاء «بالناسي» الغربي. كان النهر فائضاً. وقد نفخه تلك السنة ذوبانُ الثلوج غير العتاد. فيبلغ عرضه ٣٠٠٠ م في بعض الأماكن. وقد احتفظ الألمان على ضفةه الشرقية، برأسِ حمر. يقع الأول في ضواحي «فرانكفورت». والثاني في ضواحي «كوسنزن».

شنت في ١٢ آذار غارة عنيفة أطاحت هذا الرأس الأخير. وحملت الروس في اندفاعها على عبور «الأودير»، فتوغلوا مسافة ١٠ كlm. فإذا هم على بعد ٦٠ كlm من «برلين». أوقفوا هنا، إلا أن المحاولات التي قام بها الجيش التاسع لطردهم إلى ما وراء «الأودير» باءت بالاخفاق. وكان من نتائج مفاجأة «كوسنزن» هذه أن وضع حدًّا لحياة الجنرال «هملر» العسكرية، فأثنى «غوديريان»، الذي كان قد طالب باستبداله. أنه قد غادر مجموعة جبوشه. وأنه قيد العلاج في مصحة «هوهنهيلixin». وإذا عاد هناك ألقى رجلاً قد أضنه القلق. فاعترف له من غير عناء بأنه لم يكن على مستوى القيادة التي أنيطت به. ورضي بأن يطلب إعفاءه منها. ونجح «غوديريان» في تعيين الكولونيل-جنرال «هایزريكي» خلفاً له. وكان هذا الجندي الطاهي القديم قد صدَّ حملات سوفياتية متعددة عند أبواب «موسكو»، وأنفذ أوضاعاً أوشك اليأس أن يودي بها. ييد أنَّ الأوضاع قد تبدلت تبدلاً عميقاً، فندا العدو أقوى كثيراً مما كان عليه؛ أما جنود ١٩٤٢ الألمان فقد ماتوا.

مني الجيش التاسع بانخفاض ذريع. فأثنىهم «هتلر» «بوسي» بالعجز. واتهم جنده بالجنون. فأجاب «غوديريان» أنَّ الجندي قد قاماً بواجبهم. وأنَّ «بوسي» جندي ممتاز. كان «هتلر»، لأيام خلت. وأثناء نقاش مماثل. قد رفع قضيته في وجه رئيس أركانه، فما كان من «كينتل» إلا أن أمسك بطوق ستره واجتبه إلى الوراء، ثم راح بعد ذلك يكيل له عبارات اللوم اللاذعة ويقول: «كيف تجرؤ على معارضته الفوهرر بهذا الشكل؟... وأي مصير يكون مصيرنا لو أصابه سوء؟...» أما هذه المرأة فقد أتت ردَّة فعله غاية في البرودة. أخرج «هتلر» الحضور ما عدا «كينتل». وقال: «يا «غوديريان»، إنَّ حالتك الصحية تستوجب إخلاقك إلى الراحة في الحال.» وعيَن خلفاً له الجنرال «هانز كرييز»، مساعد الملحق العسكري في «موسكو» سابقاً، الذي لم يسلِّم تماماً بعد من صدمة ألمت به أثناء قصف «رسون». كان يجيد الكلام بالروسية. ولم يفتَّ يحنَّ إلى التحالف مع السوفيات.

إنقضى النصف الأول من نيسان، فاتسع التقدُّم الحليف في الغرب اتساع بقعة الزيت. وسقطت مدن «كاسيل» و«أونابرولك» و«مندين» و«فورزبورغ» و«بايروث» و«نورمبرغ» و«هانوفر» و«برونشفيلد» واحدة في إثر واحدة. ومع أنَّ حصن «الروور» كان يضم من الجنود ضعف ما ضمته «ستانليغراود». لم تدرك منه تقريباً أية مقاومة. واستسلم حماته الأخيرون في ١٧ نيسان. وفرَّ المارشال «مول» إلى الأرجاء. بالقرب من «دويسبرغ»، فاختار السنديانة التي أراد أن يُدفن عند أصلها. وانتحر بطلقة مسدس، بالرغم من توسلات الضباط الثلاثة الذين لحقوا به. بلغت الفرقة الأميركية المصفحة ثغر «الإيلب» مساء ١١. بالقرب من «متسلدبورغ». بعدما قطعت مسافة ٩٢ كlm خلال النهار.

ومنذ ذلك اليوم أضيفت تعداد جديداً إلى تعدادات الفوهرر المريدة: «القد خاني كذلك رجال الصاعقة. خاصبي...». لم يعمَّر التفوق الألماني طويلاً. ففي ١٦ آذار انقضت جبهة «أوكريانيا» الثالثة على الناتجة التي حررتها حملة ٦ آذار، ولم ينجُ جيش الدبابات السادس الصاعق من التدمير الشامل إلا بتفهُّر سريع. وفي ٢٥ آذار حملت جبهة «أوكريانيا» الثانية كذلك شمالي «الدانوب». فنشرَّت الجيش الألماني الثامن، واستولت على «بريسبرغ»، ثم اجتاز الحدود النمساوية فاحتاحت سهل «فgram». وهكذا سمعت «فينينا». عاصمة «المانيا» الثانية. دوى المدفع الروسي قبل «برلين».

إنطلق الروس شمالاً إلى فتح «بوميرانيا»، فبلغوا «البلطيق» في ٩ آذار بالقرب من «كولبرغ». وهكذا طُوقَ الألمان في جيوب ساحلية ثلاثة: جيب «كورلاند» حيث يكافع الجنديان ١٦ و١٨؛ وجيب «بروسيا» الشرقية حيث تحالف الجيش الدبابات الثالث وبعض حطام الجيش الرابع. وأخيراً جيب «بوميرانيا» حيث حوصل الجيش الثاني ودفع ناحية «غدينيا» و«دانتربيغ».

أغلق جيب «كورلاند» منذ تشرين الأول ، فيات لا يتنفس إلا من مرقبي «ليبو» و«فندو». أعيدت ١٠ فرق إلى أرض الوطن بواسطة سلاح البحرية. إلا أنه بقي في الجيب ٢٥ فرقة، أي ما يعادل ربع مليون رجل. كانوا موضوع نزاع يومي بين «غوديريان» و«زعيمه». أراد «غوديريان» إخلاء «كورلاند» للدعم جبهة «الأودير»؛ فأجاب «هتلر» أنَّ جيب «كورلاند» يُجمد من قوات العدو أكثر مما يُجند للدفاع عنه. بلغ إحصاء معارك «كورلاند» في نيسان العدد ١٤ و١٥. فقد صمدت القوات الألمانية صموداً لا يُتزعزع. يقودها الجنرال «هيلبرت». ويدعمها وطنيون بطيئون قرروا أن يخوضوا غمار معركة ضارية ضدَّ أعدائهم التقليديين.

في «بروسيا» الشرقية. حوصلت بقايا الجيش الرابع في شبه جزيرة «بلغا» الصغيرة. فإذا هناك حشد يضم ٢،٥٣٠ جندياً، و٢،٨٣٠ جريحاً. لا مُوْنة لهم ولا ألسنة دافقة. بraham المزال، فهم بالهياكل العظمية أشبه منهم بالبشر. يضاف إليهم ٣،٥٠٠ مناصر روسي كانوا يشاركون المهزومين مصيرهم. فراحوا يهربون بجيائز من «الفريشيز هاف».

لا جئين إلى الحيز الساحلي المدعو «نيهروغ». فإذا هناك جموع غفيرة من الفارين. وقد دنعوا جوعاً وفتكت بهم المدفعية السوفياتية. فازدحموا في غابات الصنوبر. وفي الكبان. وفي بعض قرى الصيادين. وهو في انتظار ترحيل مريض عن طريق البحر.

قطعت «كونيغزبرغ». للمرة الثانية في مطلع نيسان. عن مرقبي «بيلارو». وقصفت المدينة تصفاً أحاطها حريقاً هائل الاتساع. كان حاكماها الجنرال «أوتوكلاش». يعتبر رجالاً عنيداً وفازياً متعصباً. إلا أنه أدرك أنَّ التمادي في المقاومة لا يعني سوى التضحية بالنفس البشرية دونما طائل، فما حلَّ يوم ٩ نيسان حتى قرر الاستسلام. وبلغت سورة اليأس حدَّاً راح معه الأنصار من المدنيين يطلقون النار على حمامة العلم الأبيض. كان يقود جهاز المندسة في «كونيغزبرغ» الجنرال «ميكموش». ذلك الرجل الذي انتزع حصن «إلين إيميل» عنوة. وما زال يحزن إلى عهد الانتصارات البعيد. فأبي الاستسلام هو كذلك وانتحر. عاب «هتلر» «لاش» وأوزع بالحكم عليه بالإعدام غالباً. ثم أمر بتوفيق ذويه كلهم. عملاً بقانون مسؤولية العائلات الجماعية؛ أما الحكم العسكري «أوريث كوخ»، الذي برأ إلى «بيلارو» بمحاطمة جليد. ليتمكن من الفرار إلى مكان أقصى؛ فلم يتهله أي لوم. أوقف إلى «بروسيا» الشرقية أحد ابنائها. وهو الجنرال «فون سوكن». لكي يهدَّد آخر جيوب

المصور «هوفمان» سابقاً. فغدت رفقة الفوهرر منذ أن أخذ يناضل في سبيل الاستيلاء على الحكم. ولسوف يصفها «كيبيل» قائلاً: «كانت هيفاء أنيقة للغاية، ذات شعر كستنائي فاتح، وساقين بدينتين كامليتين مما أول ما يسرعى انتباها الناظر إليها. كانت خففة، أو على الأقل شديدة التحفظ، تميل دوماً إلى التواري والاحتياج، فلم تكن تلمح في «البيرغوف» إلا صدفة». عاد التواري مبدأها أثناء احتجاجها في ملجم المستشارية، فلم تغادر جناحها إلا نادراً، أما جناحها فيتألف من حجرة واحدة. يضاف إليها حمام المعلم الواحد. وهو على اتصال بمكتب «هتلر». في 8 نيسان أتى «هايزيركي» إلى المعلم فأطلع «هتلر» على وضع مجموعة جيوشه بحضور «غورينغ» و«دونيتز» و«هملر» و«كريز» و«بورغدورف». فقد اتّخذ الجيش المدافع عن «الأودير» من البحر إلى قناة «هوهزلرلين» اسم جيش الدبابات الثالث الذي فقد في «بروسيا» الشرقية، وانتقل إلى إمرة أحد جرالات مؤمة «الأردن» المشوّبة، وهو الجرال «هاسو فون متوول». أعاد «هايزيركي» أنه غير قلق عليه في الوقت الحاضر: فالفيضان ما زال يغمر أسفل الوادي ويجمي الخطوط الألمانية؛ أمّا في الوادي الأوسط فقد قدّرها وضع جيش «بوسي» مقلماً بعد انساب ماء الفيضان؛ وقد أتى الروس بخشود المدفعية وراحوا يبنون عشرات الجسور حول «كوستن». فباتت «بوسي» يتوقع الصدمة الهائلة بين يوم وأخر. هذا، وقد شاطر «هايزيركي» مخاوفه، وأعلن أنه لم يكدر يقى لديه شيءٍ من قوى الاحتياط، واحتاج لأنَّ ثالث فرق مصفحة أعيد تشكيلها في منطقة «مونشنبرغ»، بين «الأودير» و«برلين»، تلقت أمراً بالرحيل إلى «سيلزيَا» و«سلوفاكيا» لمساعدة مجموعة جيوش الوسط.

لم يوافق «هتلر»، فقطاع «هايزيركي». وانطلق مستعيناً في محاصرة حول الجيش الأحمر، زاعماً أنه قد بلغ آخر رفقه. وأنه لم يبقَ يضمَ غير المتفقين الذين جمعوا من معسكرات الأسر السوفياتية وسيقوا إلى النار بالسياط! وادعى أنَّ قضية النصر ما كانت لتطرح لو كان في قيادة الجيش الألماني جرالات لم يهزمُهم الشاثم ولم تلتهم الحياة. وقال: «أتونتي بالأرقام، وأرقامكم لا تهمني. ما يهمني هو أن تتحموا جندكم، بعصبية الغلبة. ولكن ليس لي في ذلك أمل...».

أمّا بشأن الوجهة التي سيتّخذها المجموع المُقبل، فلم يشاطر «هتلر» «بوسي» و«هايزيركي» رأيهما. فلن يحمل الروس باتجاه «برلين». وقد فقدت كلَّ أهميَّة ستريجية، بل إنَّهم وعلى رأسهم رجل حرب صحيح هو «جوزف ستالين». لا عسكريون قد تحدّث أدمنthem. سيوجهون حملتهم شطر «درِيسد». طمعاً في تطويق جبال «بوهيميا». والتقاء جيوشهم التي تخاصر «فينينا». على «الدانوب». وقال «هتلر»: «من أجل ذلك لن أعود عن القرار الذي اتّخذته بيرسال ثالث فرق مصفحة إضافية إلى «شورنر»؛ فهو الذي سيحتاج إليها». وبالمُناسِب أرسل إلى «شورنر» كذلك عصا المارشالية.

وتلا ذلك مشهد مذهل بالنسبة للجزال يعود تدريبه العسكري إلى جيش العهد الإمبراطوري الصارم. قال «غورينغ»: «يا زعيمي سأرسل إليك ١٠٠،٠٠٠ رجل من سلاح الطيران من أجل معركة «الأودير». وقال «هملر»: «أمّا أنا يا زعيمي، فأرسل إليك من أجل معركتك في «الأودير» ٢٥،٠٠٠ من رجال، رجال الصاعقة. وقال «دونيتز»: «أمّا أنا يا زعيمي، فلك متى، من أجل معركة «الأودير» ١٢،٠٠٠ من رجال البحرية، رجال». فجمع «هتلر» هذه الأرقام أي ما يعادل ١٢ فرقة. وقال: «هذه هي قوات الاحتياط التي تربده أيها الكولونيل-جزال «هايزيركي»! فأجاب هذا بأنَّ الرجال لا تكفي

وفي ١٢ عبرت النهر. فيما بلغته بدورها المرة الانكليزية المصفحة الخامسة. في نقطة أبعد إلى الشمال. أي في «اتنجتوندي»؛ فأمسَت «برلين» على بعد ٨٥ كيلومتر بالضبط. كان «هتلر»، لخمسة أيام خلت. قد أمر بتشكيل الجيش الثاني عشر الجديد ليتواء صدَّ الغزو الآتي من الغرب. على أن ينزل في قيادته جنرالَ القوات المصفحة «فالتر فينك». الواقع أنَّ هذا الجيش لم يكن قد بدأ بجتماعاته بعد. فافتتح بذلك طريق «برلين» واسعة أمام الأميركيين. وغداً بوسعم أن ينتزعوا عاصمة «هتلر». حتى قبل أن يُقطع الروس من على ضفاف «الأودير»!

طلب «وليم ه. سيمبسون». قائد الجيش التاسع. أن يسمح له بتباطئة زحفه. ولكنَّ أمراً من «برادلي» سرمه في مكانه. «فالايلب» يبنيه لا تعبه غير الدوريات. بل إنَّ «الايلب»، في محراه الأسفل، ينبعُ بعيداً نحو الشرق بحيث لا تستنى الإحاطة به بكامله، وابتداءً من «ديسترو» رسم خط توقف آخر يحادي «المولدي»، وهو أحد رواد النهر البحري بين «ليزينغ» و«درِيسد». فما كان من «هودجز». وقد عاتَت وصوله مقاومة شديدة لقيها في جبال «ماراز». إلا أنَّ أتى طائعاً يصططف بجنته عند هذا الخط النهائي.

إنتهت بذلك حملة الجيشين الأميركيين التاسع والأول الألماني. وترك «أميركا» للروس مجدَّ فتح «برلين» وفضلَه، بعدما تركت لهم فضل احتلال «فينينا»، وفي انتظار أن تترك لهم فتح «براغ».

نزلت «برلين» هذه، التي تشرف من المستقبل على أبعاد وأبعاد. محنةٌ حقيقة مرّيرة. فالغاراث الحليفة ما فتئت، ليلٌ نهارٌ، تزداد عددًا وعنةً، فتواتر الشوارع، أو غدت خنادق ضيقة مناسبة بين الأنفاق. أمّا الحريق، وما انفكَّت الغارات تذكّيه، فلم ينطفئُ البنة. إنبعث من المدينة عمود من دخان كان يُشاهَد على بعد ١٠٠ كيلومتر، وحلق فوقها كراية سوداء. تهدمَ ٧٠٪ من المدينة، وهي إحدى بحار المنازل الثلاثة أو الأربع الأكثر اتساعاً في العالم. لم تسلم أية منطقة، اللهم إلا أحياه السكن الممتازة ذات الكثافة الضعيفة كحييي «غروففالد» و«فانزي». أمّا وسط المدينة، عباني كبرياته المثلثية والسابقة لعهد المتماري، فقد قصف بمنتهى الشدة والقساوة. وأصيَّت المستشارية الجديدة ٥٨ إصابة في غارة واحدة، والفوهرر منجح في أحشائها على بعد ١٣٠ درجة تحت مستوى الشارع؛ لا يرتَاب بوجوده في العاصمة لا البرلينيون ولا مكاتب الاستعلامات الحليفة. بل ظنَّ أنه في «براشتغادن» ينظم حيز اليأس والقنوط. أمّا المعقل الذي ما فيَه سرَّآ، والذي سيرُف شهرة واسعة، فلم يكن سوى العنصر الأعمق من مركز قيادة فسيح حفر تحت الأرض.

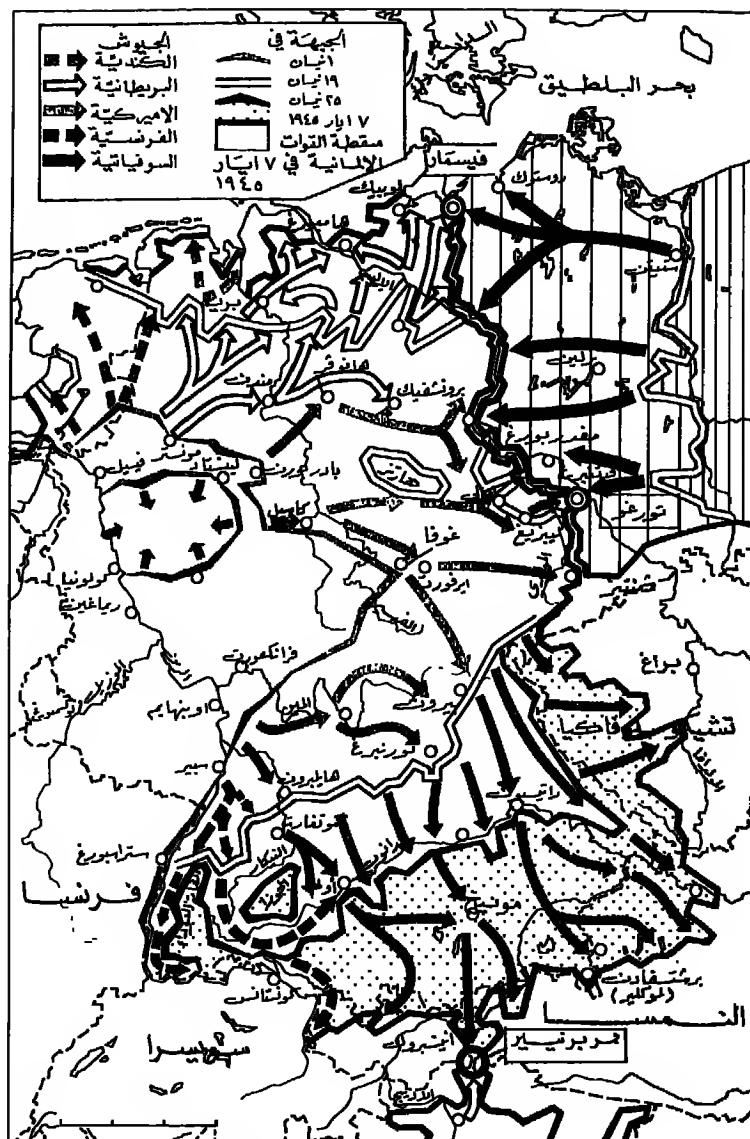
شملت الطبقتان الأولىان بعض المكاتب، ومركزَ للراديو، وأجهزة «البيتيب». فضلاً عن قاعة خاصة بالحرس ومطعم فاخر الآلات باذخ التموين. وينحدر المرء بعد ذلك إلى ملجم ينقسم إلى ١٢ حجرة خاصة بالخدم، تُطهى فيها وجبات الفوهرر الباريَّة. وينحدر سلم لولبي فيقود إلى المعقل بحد ذاته، المحفور على عمق ١٢ م تحت حديقة المستشارية القديمة. أمّا المرأ الأوسط فيه فيستعمل كقاعة للمؤتمرات. ويقع إلى يمينه محركُ الدبَّل المولَد للكهرباء، ومركزُ الهاتف. وغرفة الطبيب «موريل»، ويقع إلى الجهة اليسرى يسري جناح الفوهرر.

لقد سكن «هتلر» هذا المعقل وحده أول الأمر، بناءً فيه، ولا يخرج منه إلا ليقوم بزيارة صحية في حديقة المستشارية التي انتربت فيها الأنفاق، أو ليشرف على التقارير اليومية في أحد أحذنَة الطابق الأرضي. ولكنَّ «إيفا براون» لحقت به في أواسط نيسان. ويدوَ أنها قد وصلت بشكل مفاجئ، وأنَّ «هتلر» قد توسل إليها بالانسحاب، فخرجت على الطاعة للمرة الأولى، وألْتَت في أن تشاشه مصيره. كانت مساعدة

الردع وأعنفها». أخضعم الكومدان «بيدرمان» لألوان من التعذيب. فكشف القاتل عن الحركة المتأولة للهتلرية التي لم تتمكن حركة القمع التي عقبت ٢٠ تموز من القضاء عليها. فأوقفت أعمدة المصايب في «فيينا» يجث من شُنقوا. ييد أنَّ رئيس المؤامرة الكابتن «زوكرل»، أفلت من التحريرات. والتحق رجاله المخلصون بالمحاربين السوفيات. التحزم القتالي في الشوارع مدة أربعة أيام أضطرَّ الجيش الألماني بعدها إلى الخروج من المدينة. فإذا «فيينا» طعمَة النيران. وإذا بُيرس «القديس اسطفان» الضخم، الذي أذيب برونز ١٨٠ مدفأً ترکيًّا لصهره. يهوي بين أقاضِس الكاتدرائية.

ذهب «جورف غوباز» في ١٢ نيسان لزيارة الجبهة، وراح. في مطعم الضيَاط التابع للجيش التاسع. يثرُّ حول موضوع «هتلر» المحجب الذي يصف «فريدرريك الثاني» رازحاً تحت وطأة التحالف النمساوي- الفرنسي- الروسي؛ والأمبراطورة «الإيصاديات» تموت فجأة ليخلفها أحد المعجين بالملك الروسي. فيدخل «برلين» ويقلب وضع المحافظة رأساً على عقب. ييد أنَّ سلطة لسان وزير الدعاية لم توثر في ضيَاط مرهقين يشاهدون ما يجري أمام أعينهم في استعدادات روسية هائلة. وما إن عاد «غوباز» إلى «برلين» - وقد باتت على مسافة ٦٠ كيلومتر من الجبهة - وقرأ البرقيات الوراءة. حتى انتزع سماعة الهاتف ونادي «بوسي» معناً: «القد ماتت الأمبراطورة؛ أيتها الجنرال !». أجل. لقد ماتت الأمبراطورة ! كان «فرانكلين روزفلت» في مكتب متتجمعه الصحي، في «وارم سبرينغ». من أعمال «جيورجيا». وكان سكرتيره «بل هيلسي» قد خرج متذرَّلاً لحظات حاملاً بعض الأوراق التي تمكن من الحصول على توقيعها، فيما انصرفت الفنانة «إيزابيل شوماتوف». التي استدعيت من «نيويورك» لأيام خلت. إلى تسجيل بعض الخطوط الأولية لوضع رسم الرئيس. فرأته فجأة ينهار في مقعده. وسمعته يتمتم: «إنه لصداع خيف». فبادر خادمه الخاص «الأسود» «أرثور بريتمان» ورفعه بين ذراعيه وحمله إلى سريره. لم تمض ساعة حتى مات الرئيس. ضحكة انفجار دماغي صُدم. لم يفاجئه هذا الموت غير العامة من الناس. فقد كان «هاري ترومان». نائب الرئيس. قد أحْيَطَ علماً، في أول آذار، بأنَّ «روزفلت» كان يعاني سكريات الموت. وأنَّه كان عليه أن يستعدَّ لتأمين العلاقة بين اللحظة والأخرى. ولم يكن على شيءٍ من الاستعداد؛ فهو يكاد لا يعرف الرئيس الراحل، ولم يخادثه غير مرَّة واحدة. وهو ينهل كلَّ شيءٍ عن سياساته التي كانت شخصية سرية للغاية. كان ابن مزارع فقير من مزارعي «الميسوري»، وصانع قبعات مفلساً في «كتناس سيني». فالتحق بالمنظمة السياسية التابعة لسياسي العصابات «بندرغاست». الذي انتهت حياته السياسية في أحد سجون الولاية، فأرسله «بندرغاست» إلى مجلس الشيوخ، وبمحض موافقة ديموقراطية في تعينه لمنصب الرئاسة. لم يغادر «ترومان» «أميركا» قط منذ الشهور القلائل التي قضتها في «فرنسا» كضابط في المدفعية، إبان الحرب العالمية الأولى. كان نشاطه قد انحصر دوماً في القضايا الداخلية، فإذا به يُرْفع في وقت حرج إلى مستوى أعظم المسؤوليات التاريخية. أشرف الحرب ضدَّ «ألمانيا» على نهاية مظفرة، ولكنَّ الحرب ضدَّ «اليابان» لم تكُلَّ بعد بالنجاح. والمحالفة التي تمَّ عقدها مع «الاتحاد السوفيتي» ضدَّ «اليابان» تهدَّد بالتصدع .

ما انقضت ساعتان على وفاة «روزفلت» حتى أُقسِّم «ترومان» إلى الدستورية، ولم تمرَّ على ذلك دقائق حتى جمع أعضاء وزارته. كان الاجتماع قصيراً، وقرار الوحيد الذي تمَّ اتخاذه هو تأكيد تاريخ ٢٥ نيسان « وعداً لافتتاح مؤتمر الأمم المتحدة» في «سان فرنسيسكو». بقي



خاتمة التقدّم الحليفي في «ألمانيا».

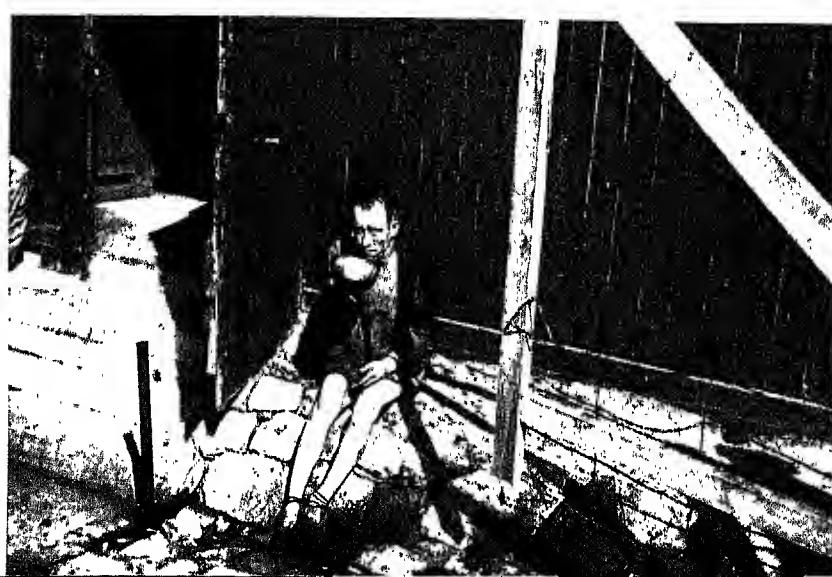
لإنشاء الفرق. وبأنَّه ينبغي تزويدها بالسلاح، وبأنَّه ليس للبحارة ولا للطيارين خبرة بـشُؤون الحرب البرية. وهنا انتصب «غوريين» السمين قائلاً إنَّ «هايريكى» يهين طياريه، وإنَّ طياريه هم أشجع الشجعان. وهم صالحون لكلَّ نوع من أنواع القتال. فأدرك «هايريكى» أنَّ رأس الدولة المفترية قد فقد الصواب. وأنَّه يغالب الحقيقة الواقع بحركات غير منسجمة. هي حركات رجل يكافع كابوساً قد استحوذ عليه .

في اليوم التالي تحرَّكَتُ الجيوش الحليفة في «إيطاليا»، فشنَّ الجيش الثامن هجومه بمحاذاة «الأدرياتيك» متوجهًا شطرَ «البندقية»، يعاصره الفيلق البولوني الثاني والفيلق البريطاني الخامس. واستعاد الجيش الأميركي السادس. بقيادة الأربعة. نشاطه ضدَّ مدينة «بولونيا» بعدما أوقفه الشتاء، فطلبَت قيادة الجبهة الجنوبية الغربية. وعلى رأسها «فون فيتنغوف». أن يُسمح لها بالانسحاب إلى ما وراء نهر «البو»، قبل أن تسحق الواقع الألماني. فرفض «هتلر» ذلك .

وعلى «الدانوب» دخلت قوات «مالينوفسكي» مدينة «فيينا». «فدين»، «هتلر» مواطنيه النمساويين إلى السلاح. ولكنَّ برقية من الجنرال «فون بروفو». قائد الموقِّع، دفعت به إلى أقصى حالات الغيظ والاحتدام. قالت البرقية: «يطلق سكان «فيينا» الرصاص على جنودنا. أكثر مما يطلقونه على الأعداء». فأجاب «هتلر»: «عامل المتمرِّدين بأشدَّ وسائل



لا شك في أن هذه الحرب هي أكثر الحروب فظائع . لقد قتيل المليون بالملايين . وتجمعت الآلام ركاماً . إلا أن مساجد الاعمال قد بزرت بقطنهها كل هول . وإن في هذه الصور التي التقطها الأميركيون بعد تحرير «بوشنفالد» لحججاً ناطقاً .



في «بوشنفالد» وقف هؤلاء الجنود الأميركيون أمام شاحنة حملت جثثاً عارية . إنّه لمشهد يومي يمثل المجازر التي جرت .

« هذه «الأشياء» التي كانت فيما مضى بشرأً ... »



جيارة. ٢٠ جيشاً. مليونان ونصف المليون من الرجال. ٤١٦٠٠ مدفع، ٦٠٣٠٠ دبابة، ٨،٤٠٠ طائرة. وكانت مجموعات جيوش ثلاث تركيز قوتها ضد العاصمة العدوة: جبهتا «روسيا البيضاء» الثانية والأولى، بقيادة «روكوسوفسكي» و«جو كوف»، وجبهة «أوكريانيا» الأولى بقيادة «كونيف». وعرفت مغارات الحنود نشوء ثلاثة. نشوء النصر والانتقام، والانطلاق. وقد تضمن النساء الذي أطلقه المارشال «جو كوف» العبارات التالية: «إلى الانتقام أيها الجندي السوفيتي! أجعل من تصرفك عبرة لا يرتجف لها أمان اليوم فحسب. بل وكذلك ذريتهم إلى مدى الدهور. كل ما يملكه الجنرالات القاص هو طوع يدك. أيها الجندي السوفيتي، لا تفسح للشقة سللاً! قلبك!»

وفي وجه كل مجموعة جيوش سوفياتية وقف جيش ألماني: الجيش المتصفح الثالث، على «الأودير» الأسفل، في وجه «روكوسوفسكي» الذي وقف مؤقتاً بلا حراك؛ الجيش التاسع، على «الأودير» الأوسط، في وجه «جووكوف»؛ الجيش المتصفح الرابع، وهو الجناح الأيسر لمجموعة «شورز» على «النابسي» في وجه «كونيف». كانت الجيوش الألمانية الثلاثة مولفة من عناصر غير متلاحمة: ففيها الفرق الاعتيادية، والفرق المخصوصة، وألوية المتطوعين الأجانب أو فرقهم، وحاميات الحصون. وفيق «الأودير»، الخ... وعلى هذا الأساس يصعب تقدير قوتها الحقيقة. وبهذا يكن من أمر فإن التفوق الروسي كان ولا ريب بنسبة ٤ أو ٥ ضد ١. كان ما يزال «الالمانيا» جنود في رأس الشمال وفي جزر «إيجه». فيما لم يجد «هتلر» للدافع عن عاصمته غير ما يعادل ثلاثة فرق تقوياً. إنها لغاية التناقض: فالرايخ الثالث كان أشدّ قوة أمام «براغ»، أو أمام «ليبو»، منه أمام «برلين» !

في مقرّ الفوهرر العام اعتبر يوم المعركة الأولى مرضياً نوعاً. فحامية «فرانكفورت»، التي كانت معزلة على صفة «الأودير» اليمى، قد صدّت الهجمات كافّة؛ وإلى جناح الجيش التاسع الأيمن حافظ الفيلق الجبلي الصاعق على موقعه على النهر. إلا أنَّ الفيلقين الآخرين، الفيلق الصاعق المتصفح، والفيلق ١٠١. تراجعاً بعض الشيء حول «فريزرن» و«سيلوا».

وتصاعدت الهجمات الروسية في عضون الأيام الثلاثة التالية . وبقي جناح الجيش النمساء الأيمن متمسكاً «بالأودير». ولكن الجناح الأيسر أخذ يترافق . ومنع الحزاز «هابيرنكي» الجرزال «بوسي» حرية تقويم جبهته بغية النجاة من الطوبيق . ولكن «هتلر» عاد فانزع هذه الحرية منه: يجب على الجميع أن يقاتلا أينما كانوا دونما التفاتة إلى وراء !
بات الوضع حرجاً في ٢٠. «فرو-كوسوفسكي» ، الذي كان قد انظر موعد انخفاض «الأودير» مدة أربعة أيام، راح يهاجم بدوره من «ستين» إلى ترعة «هوهيتزولرن»؛ وفي الجنوب. على «النابي». آل هجوم «كونيف» على الفيلق ٥، وهو جناح الجيش المصفح الرابع الأيسر. إلى إحداث ثغرة، وفي الوسط الفصل الجيش النمساء عن جاريه. بعد ما اجتىء من كل صوب . وقطع ثلاث قطع . وبدأ تطويق «برلين» يلوح . وتلقى خليط من المتطوعين الجدد، أطلق عليه ياطناب إسم «فرزة جيش السبّري»، مهمّة صعبة هي سدّ ثغرة من ٤٠ كلم، من كلتا ناحيتي «بارووث»، سداً مؤقتاً . وفي الشمال أمر «هابيرنكي» «شتاينر» بأن يجمع في منطقة «أورانينبورغ» كلّ من كان بوسعه أن يقاتل لمساندة جناح الجيش المصفح الثالث الأيمن المترافق .
وعلى الروزنامات الألمانية أشير إلى تاريخ ٢٠ نيسان بعنوان «حمراء كبيرة»: إنه عيد ميلاد الفوهرر . ولم تخل المزينة دون إقامة الاحتفال التقليدي: عمدت المدن الألمانية، التي لم يقطنها الغزو المزدوج بعد.

وزير الخارجية «هاري ستيوسون» بعد انسحاب زملائه. وطلب من الرئيس الجديد أن يغير آذنه ليصغي إلى تصريح غایة في الخطورة. وقال: إن «أميركا» قد أنجزت صنع منفجرة «ذات طاقة تدميرية تكاد لا تصدق». ولم يكن بوسعه إذ ذاك أن يصرّح بأكثر من ذلك

يجهل كل شيء عن المشروع المدعى «مانهاتن دستركت». ذلك المجهود الجبار الرامي إلى صنع أسلحة نووية. إلا أنه كشيخ، ورئيس للجنة مهمتها مراقبة المصانع الحربية، كان قد لاحظ، لأشهر خلت، بمحاجتين صناعيتين هائلتين، بربت إحداهما في المكان المدعى «أوك ريدج» في وادي «تيبيسي»، والأخرى بالقرب من «هانفورد»، في وادي «كولومبيا». فما كان من «ستيمسن» إذ ذاك إلا أن يادر لمقابله، وناشدته بوطننته متوجلاً إليه لا يهتم بتلك المنشآت. فقبل «ترورمان»، وقد ظن - كسكنان الجوار، أن تلك المراكز الصناعية الجبارية التي لا يخرج منها شيء بالبتة، إنما تصنّع غازات خالقة. وهذا هو يكتشف أن «أوك ريدج» يفصل الاورانيوم ٢٣٥ عن الاورانيوم ٢٣٨ بطريقة الانتشار الغازي، فيما يصنّع مركز «هانفورد» الاورانيوم ٢٣٩ أو «البلوتونيوم».

بعد أيام وصف الجنرال «ليسي» ر. غروفز، مدير مشروع «منهاهن». والدكتور «فانيفار بوش» والدكتور «أثر كومبتن» - للرئيس الذاهل ذلك المشروع الخارق الذي يعمل على تطبيقه منذ عام ١٩٤١ دون علم «الكونغرس». فقد أنفق عليه مليارات من الدولارات، وتعمل آلاف المراكز ومئات الآلاف الأشخاص، دون علم منها، على صنع القنبلة الذرية. ويخبرني بناء نموذجين مختلفين: «بيغ بوبي» الذي يستخدم الأورانيوم ٢٣٥، «آفات مان» الذي يستخدم البلوتونيوم. ويعتقد العلماء والأخ hacitaiون القلايل المطلعون على السر بكماله أنهم سيغرون من العمل قبل آخر الصيف. حضر الأميرال «ليهي» المحادثة؛ وما انصرف الرائرون حتى قال لـ«ترومان»: «إن هذا لا يُغَرِّب ما سمعت! لقد بادعنا «بوش» و«كومبتن» عندلية! لن تعمل قنبلتهم أبداً». أنا أعرف ذلك لأنني خبير بقضايا التفجيرات .

لقد بدأت معركة "برلين"

لم تقتصر الآمال الخداعة التي خلقها في «ألمانيا» موت «روزفلت» على الحكم النازيين الذين باتوا يتعلقون بأقل بارقة من رجاء. ففي «برلين» المدمّرة ولد الانتظار الذي سيحدد القاومية للدرجة اللاوبي: انتظار اصطدام الجيدين الكبارين اللذين انبع أحدهما من خلال أمواج الأطلسي وثانيهما من سهوب «أوروبا» و«آسيا». وكانت أحداث «اليونان»، وقمع الشيوعية الدامي على يد القوات البريطانية تبدو وكأنها التبشير. كانت «ألمانيا» مستعدة لاستقبال الحرب العالمية الثالثة التي تولد من نيران الحرب العالمية الثانية نفسها . فوق أرضها المعدّة .

في ليل ١٥-١٦ نيسان أقبلت طائرات الطيران الجوي الملكي، كما في كل ليلة، تقلب من جديد أطلال «برلين». فالقاتلins المرعدة، قريبة كانت أو بعيدة في تساقطها، قد غدت ضجعة محلية مأولة. ولكن، في الساعة الثالثة صباحاً، راح الزجاج يصطرك في الضواحي الشرقية، بعدما يعي سليماً حتى ذلك الوقت. واجتاحت الأفق رعشةٌ ناعمة متواصلة أفعمت القلوب ذعرًا. فعلى «الأودير»، وفي مقدمة «الأودير». كانت المدفع. وبلغ عددها ٢٢،٠٠٠؛ قد بدأت تطلق نيرانها على الواقع الألماني. لقد بدأ المحوم الخامس.

وَفِي سِيَا هَذَا الْمُهْمَمِ الْخَامِسِ حَشِيدَتِ الْقَادِيَّةِ السُّفَافَاتَةَ قَبَّاتِ

إلى رفع الرايات المثلثية. وفي صالات المستشارية المجاورة استقبل «هتلر» أولًا مجموعة من الصبية البرلينيين الذين تميزوا خلال عمليات القصف؛ ثم تقدم الأعيان الكبار كـ«غورنخ» وـ«ريينزروب» وـ«دونيتز» وـ«لي» وـ«بورمان» الخ. يمرّون أمام سيدتهم واحداً واحداً وهم يتمتمون تهانיהם. وبعد جلسة منفردة مع «غورنخ»، نادى «هتلر» «كيل» وقال له: «إنَّ الرايخ مارشال قد أعرَبَ لي عن رغبته في الذهاب إلى «بريشتسبادن». أنا لا أرى ما يحول دون ذلك... وقد روى «كيل» فيما بعد: «في تلك اللحظة. كانت الساعة السابعة مساءً تماماً. وقد تملكتنا من المروع إلى الملاجيء في اللحظة الخامسة». كان الطيران الأميركي يختلف هو الآخر بعيد ميلاد الفوهرر الـ٥٧ !

واستُنفِّد القاش في المقلع المحسن. ولأيام خلت كان «هتلر». على أثر نوبة عصبية عنيفة (لن أوقع البة على هذا ! خذوا هذا من وجهي !)، قد قبل بالاعتراف بأنَّ «المانيا» سوف تُشنطَر شطرين عمَا قريب. وبأنَّه لا يمكن تأجيل إنشاء منطقتين للدفاع أكثر من ذلك. وهنا حلَّت مرحلة التطبيق بعد مرحلة القرار المبدئي ، فـ«فيني الأميرال» «دونيتز» قائد لمنطقة الشمال. والمارشال «بوش» مساعدًا له. وأمَّا منطقة الجنوب، التي كانت تضم «الألب» الإيطالية والنساوية والبافارية، فقد وُضعت اسمياً تحت سطوة المارشال «كيسلنخ». إلا أنَّ الجميع كانوا عالَمُين



متظرون من الفتى يتدربون على استعمال القاذف المضادة للدبابات.

بأنَّ قائدَها الفعلي سيكون الفوهرر نفسه . في عشية الكارثة. كانت «برلين». بلا جدال، إحدى أغرب لوحات التاريخ على الإطلاق. فالمدينة، التي أخلت جزئياً في ١٩٤٤، قد عادت ففضلت بالسكان بعدها تلقت دفقة من اللاجئين يبلغ المليون ونصف المليون. كانوا يخسرون في المتنزهات العامة. حيث كانت جيادهم تلتهم قشور الأشجار . وبالقرب منهم كان بعض قدامي المتطوعين - ومن بينهم من قطعت إحدى ساقيه - ولم يكن لديهم من بزة غير ساعدة فوق سررِهم المديني، وبعضُ الأغرار في سراويل «فيفي هتلر» الجلدية ، حتى بعض الفتى من «جمعية الفتى الألمانيات»، يتعلمون جميعاً طريقة استعمال الصاروخ المضاد للدبابات. وفي أماكن أخرى كانوا يخرون الحنادق والقلاع المضادة للدبابات. وأمَّا النساء الذي وجهن للسكان المدنيين، والذي يدعوهن إلى جعل مدينتهم في حالة دفاعية، فهو لم يطلق إلا في ١٣ نيسان؛ إلا أنَّه لم يحدث التأثير الكبير، لأنَّه كان من الصعب على البرلينيين أن يصدُّقوا بأنَّ الوضع سيُؤْلِي إلى القتال

في الطرقات . واستُنفت الحياة اليومية بشاطئها المعهود. وأعدَت الخرائب على هذا المشهد طابعاً خيالياً. كانت المصانع تعمل. والمكاتب كذلك. وكانت الجماهير في ذهب وذهب. وكان بعض صالات العرض السينمائية فاتحاً أبوابه وراء وجهات من الألواح الخشبية أحياناً. وكانت يافطات تحمل الكتابة التالية: «من يومن «بهتلر» إنما يومن بالنصر ». وكذلك: «إنَّ البوشيفية على شفير هزيمة ساحقة لم تعرف لها مثيل من قبل.» ولكنَّ الجوَّ كان غريباً، وكأنَّه وهبي. كان الناس خبلين من شدة التعب؛ كان كلَّ منهم يحمل كيساً أو حقيبة تحتوي على أغزَّ ما يملِكه، وليس فيه من كان متأكداً من أنه سيرى منزله سليماً بعد ذلك الحين. وكانت السيدات يقفن في صفو طويلة بانتظار شراء المؤن مقابل ما يبقى لديهن من بطاقات التقين؛ ولكنَّ حمازن كثيرة قد تهدَّمت فجأة صعباً للغاية الحصول على المواد الغذائية، حتى على اللحم والسكر. وكان بعض النسوة يأتين فيعنفن أزواجهنَّ الذين كانوا يبنون المارشال. قاتلات: «أعدَّ إلى البيت أيتها العجوز الغبي. إنَّ ما تقوم به لن يجدي فتيلاً !» كانت الأكثريَّة عاملة بـ«أنَّ» الحرب قد فقدت، ولكنَّ كان يندر الاحتفاظ بهذا الاقتضاء سراً؛ وفي آية حال، لم يكن الإيمان «بهتلر» قد زال تماماً، ولا الاعتقاد بالسلاح العجزة الذي سيرى في اللحظة الخامسة؛ وكان الرجاء هو أن يصل الأميركيون إلى «برلين» قبل الروس. فهم قد قصفوا المدينة من غير شفقة، وأحدثوا هذه الأكdas المائة من الأطلال التي بدأ الربيع يحرك فيها رائحة الحشر - ومع ذلك كان البرلينيون متأهبين لأنَّ يهلكوا لهم بصوت متقدَّ واحد .

أطلَّ ٢١ نيسان بصيحة ربيع مضمرة بدماء الشمس . كانت عصافير «غروينفالد» تغنو كلَّها بولع شديد في غمرة الخضراء النضرة. إلا أنَّ دويَّا لم يكن دويَّ القنابل. بل دويَّ أوائل القذائف السوفياتية المهمَّرة على المدينة، قد أربعَ البرلينيين واستمرَّ الحصار. في الجنوب اجتاز الروس السدَّ الصعيدي المتصلب حول «بارووث» . واستولوا على «زوسن» التي فرت منها القيادة الحربية الألمانية العليا للتجوُّه إلى إحدى ثكنات «كرامبتر»؛ وفي الشرق جاور «جووكوف» الجيش التاسع المطوق، فبلغ آخر خطَّ المترو أو «أو-باهن». وفي الشمال راحت أحجحة «جووكوف» وـ«روكسوفسكي» الداخلية تقدم من كلِّها ناحيَّتي ترعة «هوهنزولرن»، واستولت على «إيرسفالدي». ثمَّ اقتربت من «هافيل»، وراحَت تهدَّد «أورانيينبرغ» وـ«سباندو» .

كان الجنرالات الصينيون جميعاً يعتبرون أنَّ الدفاع مستحيل، وكانوا مقتنعين من أنَّ «برلين» سوف تُعلَّق مدينة مفتوحة في اللحظة الأخيرة . وراح قائد مجموعة الجيش «هايزريكي» يفكَّر بإهمال العاصمة لإقامة جبهة دفاعية بين «الأودير» وـ«الإيلب»، وحاول «وايدلنج»، وهو قائد الفيلق المتصفي ٥٦، أن يلتف حول «برلين» من الجنوب للحاق بعيش «فنك» غربي «بوتسدام»؛ وأتى أمرُّ من «هتلر» يمنعه من القيام بالمحاولة تلك، ويفرض عليه دخول المدينة للدفاع عنها .

في وزارة الدعاية بدأ الاجتماع المدراء في الساعة ١١ كالمعتاد. والليلتين خلتَا كان «غويزلر»، في احتفاله بميلاد الفوهرر، قد بثَّ على موجات الأثير اعترافاً بالولاء ووعداً بالنصر عاداً مرةً أخرى إلى كهرة قسم من الشعب الألماني. وفي الليلة السابقة، كان هو الوحيدة في إبداء رأيه بأنَّ يبقى «هتلر» في «برلين»، مصرحاً بأنَّ القومية الاشتراكية بكلِّ ما يجب أن تقاتل، فلماً أن تنتصر أو تلفظ أنفاسها في «برلين». وهذا هو الآن قد ظهر أمام معاونيه في قاعة حُطِّمت نوافذها، ليقول لهم: «لقد ضاع كلَّ أمل !....» لم يقل لهم هذا، بل قذف به في وجوههم قذفاً عنيفاً. لم يكن ذلك

اعترافاً بالإذعان. بل كان زثير سخط. وأما صوته، الذي كان ضخماً بالنسبة لبسده المهزيل. فقد دوى كما لو كان يخطب أمام جموع في قصر الرياضة. أو بالحرى كأنه كان يخاطب الشعب الألماني برمته. وراح يشتم هذا الشعب ويحقره قائلاً: «شعب جبناء! إنه يسمع بهتك أعراضه! إنه يسمح بتدمير أرضه! في الشرق أركن إلى الفرار. وهو قد استسلم في الغرب. لم يكن كفوأً للقومية-الاشراكية. ولكنه سوف يدفع ثمن جبينه وعزيمته وحقارته وغوفه. أعلى مما كان يمكن أن يدفعه ثمناً لانتصار هو أرفع منه!»

ومن جملة الرجال الذين كانوا هناك تجرأ واحد على التوارة: إنه مدير الإذاعة «هاينز فريتزكي». اعترض قائلاً إنه إذا كانت هنالك بالفعل بعض بوادر الضعف، فهي لا تسمع بنسوان البطلة التي قاتل بها الشعب الألماني وما يزال يقاتل... ولكن هذا الاعتراض كان من شأنه أن يوقظ عصب «غوبيلز» ويندّي سيل الشائم التي صبّها على الرجال وعلى الأمة. وشم «فريتزكي» والآخرين الذين لم يفتخروا فاهماً، قال: «لم يحاول أحد إرغامكم على العمل معى يا شجاعاني وأماماً الآن فقد قضى عليكم. ولسوف تقطعون أعقابكم المزيلة!» وغادر القاعة فجأة، وهو يصبح: «إننا نسقط... وسنجر معنا في سقوطنا العالم...».

في المستشارية كان ٢١ نيسان يوماً محظوظاً أيضاً. لم يضطرّب «هتلر» هكذا من قبل: راح يتصل هاتفياً بكل الوجهات... وكان يعود في إصدار الأوامر والتهديدات. كانت آماله عالية بمجموعة «شتاينر» التي أمر «هاينز يككي» بإنشائها في منطقة «أورانينبرغ»، وراح يتخيلها وهي تقضي على جناح «جووكوف» الأيمن محاصرة إياه في حزام «برلين» المحصن... وفي الساعة ٢٣،٥٠ كان ما يزال يرهق رئيس أركان الطيران العامة، «كولر». مثل «غورنخ»، لكي يؤمن «شتاينر» كل مساندة جوية ممكنة. قال: «سوف ترى يا «كولر» أن الروسي سيمني تحت أسوار «برلين» بالهزيمة القاصمة. وهي أدمى هزائم تاريخه على الإطلاق...» في اليوم التالي، الأحد في ٢٢ نيسان، افتتحت جلة التقارير في الساعة ١٥ في القاعة المحصنة... وأما «جودل»، فقد توقف طويلاً أمام المسارح الثانوية. وراح يسبّب في الكلام على الوضع في «إيطاليا»، شأنه في كل مرة يحمل فيها أخباراً مقينة. وقاطعه «هتلر» صائحاً: «دعك من هذه الترهات! ما الذي يفعله «شتاينر» الآن؟»

واأسفاه! وهل كان بوسع «شتاينر» أن يقوم بعمل ما؟ لقد حشد نحو من عشرين ألف رجل هم خليط من بحارة البحرية والجيش الذين استقدموا من مرافق «البلطيق». ومن طلبة المعاهد الثانوية. ولكن لا مدفحة لديه. ولا دبابات. ولا قواد. ولا شاحنات. بل ينادق ومسدّسات وقنابل يدوية لا أكثر. وقد كان عليه، في عجزه عن المجموع. أن يولي الإدبار أمام رتل سوفياتي مصفوح كان يقترب من «أورانينبرغ». إن وصف التأثير الذي نتج عن التقرير الباهت هذا كان موضوعاً لروايات مختلفة. فحسب قول بعض الكتاب أصابت «هتلر» نوبة هisteria. فبقى مدة طويلة من غير حراك، ورأسه متداخ فوق صدره؛ ثم رفع وجهه بلاته الدمعة. وأما روايات «كينل» و«جودل»، له كل من في القاعة المحصنة. وأما روايات «كينل» و«جودل»، الشاهدين المباشرين الوحدين اللذين عاشا موقتاً بعد المزيمة، فقد كانت أكثر اعتدالاً: أصفع «هتلر» حتى آخر التقرير وهو ساهم؛ وعندما نهض الحاضرون للانصراف استيقن «كينل» و«بورمان». نظر إليهما برهة بصمت. ثم أعلن بصوت أحش...
— لن أغادر «برلين».

وقال «كينل»: «القد صعبي النأ...» كان كل شيء جاهزاً

لانصراف الفوهرر. وكان مستققاً أن تسر أعمال القيادة الحربية العليا في الغد في «برشتسيغادن». وكان ما يزال محتملاً استخدام جيش «فنك» ضد الأميركيين. وقال «كينل»: «كان «هتلر» قد جهزه بنفسه. وقد التقى كل فرقه، بعدما أخذها من الجبهات المختلفة. كان قد أقامه في موقف ارتكاز جنوبي «هامبورغ»، وكان يعتزم، بعد حمايته «بالإيلب» إلى الشرق أن يطلقه في وجه الأرتال الأميركية المتقدمة جنوبي «هارز»، والتي كان يعتبرها ضعيفة نسبياً». كان على «برلين» أن تواصل الدفاع عن نفسها، ولكن كما كانت تدافع «دانزيف» و«بريسلو»، أي بشكل مستقل عن العمليات في الساحات المنشقة. وكان الوضع مختلف تماماً لو أن «برلين»، والفوهرر بين جدرانها، أصبحت قطب المعركة.

واراح «كينل» يدافع عن وجهة نظره. ولكنه قطع بوصول موظف من دائرة الصحافة استدعاء «هتلر». فسأله هذا الأخير عمّا إذا كان تصرّحه قد وزع في شوارع «برلين». وسأل «كينل»: «أي تصريح؟» وشبّك «هتلر» يديه وقال: «إن الفوهرر في «برلين». وسيبقى في «برلين». وهو لن يغادر «برلين» إطلاقاً. وهو سيدافع عن «برلين» إلى أقصى الحدود». ثم قال مخاطباً «كينل»: «ستذهب غداً إلى «برشتسيغادن». - حسناً. وهي ستذهب إليها بدورك؟ - سأبقى في «برلين». - إذاً لن أذهب إلى «برشتسيغادن» - ينفي عليك أن تطبع أوامرني. أين «جودل»؟» وهرع الجنرال إليه. ورد «هتلر» على مسامعه ما قد قاله «لـكينل» من برره، ثم أضاف: «ستافق الفيلدـمارشال إلى «برشتسيغادن». - ولكنك لا تستطيع القيام بأعباء القيادة من «برلين». وأنت لا تستطيع إصدار الأوامر من غير أركانك العامة. - إن الفيلدـمارشال سينوب في القيادة عنّي. - ما من جندي يحارب من أجل الفيلدـمارشال. - آه! إن مجال القتال قد غدا ضيلاً الآن.»

وأتسع نطاق النقاش. وفي قسم المرر الذي كان يقوم مقام البهو. كان الضباط المساعدون قد أصغوا إلى الحديث وفهموا الفحوى. قام الجنرال «كريستيان» يتصل هاتفياً «بغورنخ»، واتصل الأميرال «فونس» هاتفياً «بدونيتز». واتصل السفير «هيفيل» هاتفياً «برينترروب». واتصل «فينلين» هاتفياً «بهملر». وتعاقبت الشخصيات المتقدمة على آلة الهاتف، تتسلّل إلى «هتلر» أن يعود عن غيّه. وأن يغادر «برلين». ولكن «هتلر» لم يجادل، ولم يقاوم. ولم يفقد صوابه؛ بل كان يردّ من حين إلى آخر: «لقد اتّخذت قراراً نهائياً. ولن أعود عنه».

وبعدما بذل «كينل» ثلث ساعات من الجهد أذعن للأمر الراهن. قال: «إن هذا لوضع جديد قطعاً. سأذهب شخصياً إلى جيش «فنك» لأرى ماذا يمكنه أن يوْدِيه من عمل في الدفاع عن «برلين». وسيبقى «جودل» في «كرامبنتز». سأرحل للحال». قال «هتلر»: «إنني أواقف على هذا. ولكن يجب أن تأكل شيئاً قبل ذهابك».

لقد عاد إليه الهدوء كمن اتّخذ قراراً يائساً. قال «كينل»: «لقد أمن لي بنفسه الشطائر، والسوكتولا، ونصف زجاجة كونياك».

كان ليل الفيلدـمارشال مفجعاً. فقد غشيَّت ضواحي «برلين» جموع غفيرة سابحة في خضم التعب والقلق القاتل. وكانت الانفجارات وهالات من اللهب تثير الأفق بلون أحمر وبرّأ أوصاله. وتمكن «كينل» بتصうبة من وجود المترهل الغابي الذي أقام فيه «فنك» مركز قيادته. وأكّب الجنرالان على انخارطة على ضوء شمعة، وراحوا يعلّان على قلب عملية الجيش ١٢. وأمّا «فنك»، وهو ضابط لامع، فقد كان يعلم أن الحرب قد فُقدت. وأن الهدف الاستراتيجي الوحيد المقبول هو في الاستسلام للأميركيين. وهذا إن التعليمات التي أتاه بها «كينل» تعود قلتقي به وسط

الحشود الروسية! ولكنَّه لا يقدر إلَّا أنْ يطُيع!

وبدلاً من أن يهاجم الجيش ١٢ باتجاه الجنوب الغربي، سوف ينتقل نحو الشرق، غير مختلف على «الإيلب» إلا مخارات ضعيفة. وكان على فيلقه الشمالي، الفيلق المصفح ٤١، بقيادة الجنرال «هولسي». أن يسدّد مجده نحو «بوتسدام» حيث ينضم إلى حامية المدينة التي يقودها الجنرال «رامان». وكان على الآخر. وهو الفيلق ٢٠، بإمرة الجنرال «كوهلر». أن يتقدّم جنوبـي «برلين»، وأن يمدّ يده للجيش ٩ الذي حصل أخيراً على إذن التخلّي عن «الأودير»، والذي كان عليه، بعد الحصول على عضد هذا الجيش الأخير. أن يستدير نحو الشمال للإطابق على مهاجمي العاصمة من الوراء. وفي شمال «برلين» كان على مجموعة «شتاينر». التي تلقت لتوجه الفرقـة الآلية ٢٥، والفرقة المصفحة ٧، اللتين أغارـها إيتـاما «ماتوفيل». أن تتحقـق بالعملية العامة بإطلاقـها هجومـاً باتجاه «سباندو».

إنـ المـخارطة مطـواعـ. فـتحـت ضـوء الشـمـعة الشـاحـبـ. وـبعد ذـلك عندـ أولـ خـيوـطـ الفـجرـ. عـادـ بـريـقـ أـمـلـ إـلـىـ الـأـبـنـاقـ. وـاستـكـبـ «كـيـتلـ» «فـنـكـ» أـمـرـ عمـلـيـاتـهـ. ثـمـ غـادـهـ وـهوـ يـعـدـ بالـصـصـ. وـبعـدـ ذـلـكـ. وـعلـىـ الرـغـمـ منـ تعـبـهـ. رـاحـ يـنشـطـ فـرـقـةـ «شاـزـبـورـسـتـ» بالـقـرـبـ منـ «بلـزـينـ». وـقدـ روـيـ فـيـماـ بـعـدـ. قـالـ: «لـقـدـ عـدـتـ بـانـطـبـاعـاتـ مـمـتـازـةـ». ثـمـ أـرـدـفـ بشـئـ منـ الغـرـابـةـ: «لـقـدـ كـانـتـ تـلـكـ أـوـلـ مـرـةـ أـتـسـاسـ فـيـهاـ الـقـيـادـةـ مـنـ بـدـاـيـةـ الـحـربـ». فـيـ السـاعـةـ ١٣ـ كـانـ «كـيـتلـ» قدـ عـادـ إـلـىـ «كـراـمبـيـتـ»ـ. حـيثـ بـقـيـ «جـوـدـلـ» سـاـهـرـةـ، خـاطـئـهـ، فـعـادـ مـعـاـ الـمـسـتـشـارـةـ.

كان هتلر هادئاً، إنحني «كيبيل» نحو «جودل» يهمس في أذنه: «كل شيء على ما يرام. كان نهار أمس حافلاً بالبيجان والاضطراب؛ ولكن المياه قد عادت إلى مغاربها من جديد». واستمر المساعد العجوز (ما أزال أتبع هنا سياق روايته. وأنقل كلامه) في التفريس بملامح سيده. وبيدو أن المعلومات عن جيش «فنك» قد شرحت صدر الفوهرر. أو على الأقل ظن «كيبيل» ذلك. ولربما هو لم يفقه أن اليأس كان قد ألقى على وجه «هتلر» قناعاً لم يعهد له من قبل: ألا وهو قناع الصفاء. قال كيبيل: «سأناوم ساعة أو ساعتين. وأساعدون بعد ذلك إلى جيش «فنك». وسأزور مراكز القيادة إلى شمالي «برلين». ثم مجموعة جيوش «هايزيركي». سأحاول دفع الجبهة كلتها إلى الأمام، وسأقدم لك تقريراً عن ذلك غداً». أجاب «هتلر»: «لن تتمكن من القيام بهذه الأعمال كلتها في يوم واحد. بإمكانك أن تذهب إلى مجموعة «هايزيركي» غداً. أو ربما بعد غدٍ».

إنها لكلمات غريبة تنطلق من فم كهذا. فالرجل الذي طالما أرقن
مساعديه وأذاقهم الأمررين بسبب قلة أناه ، يقول الآن: ليس الأمر يستحيل !
لم يُخْضِ الروس هارون سدى : فقد بلغت مقدّمات «كونيف»
«بيلتر» على بعد ١٥ كلم جنوبـي «بوتسدام»؛ وبلغت مقدّمات
«جوكوف» «دويرترز» على بعد ٥ كلم من «سباندوز». كانت خمسة
أصداس «برلين» مطوقة؛ وفي الشرق كان المشاة السوفييتـيون يقربون من
«الكستـدر بلاتز». وبعدما تسلـم الجنـال «وايدلـنـغ» مهمـة عملـ على
توزيع فرق فيلقـه المـصـفـحـ ٥٦ من «بانـكـوف» إلى حواشـي مـطار «تـبـلـهـوف».
لقد بدأ الحصار .

في المدرج المحسن عكّرت صفو النهار النسيجي برقية من «غورونغ» يطلب فيها من الفوهرر ما يلي : «هل ترضى بأن أسلتم قيادة الرايخ التامة مع السلطات المطلقة في الخارج وفي الداخل؟ وأما إذا لم أتلق جواباً قبل الساعة ٢٢ من هذا المساء، فسأعتبر أنك لم تبق ممتنعاً بغيرتك في العمل. ولسوف أتصرف بما فيه مصلحة شعبنا وبلدنا». فهذا الإنذار

الواقع . وهذا التصرير الواضح عن النية في التفاوض مع العدو . قد انزعاعاً «هتلر» من الصنك الذي كان قد استسلم له : فراح يشتم «غورنخ» بعيارات مقدمة للغاية ; وبعد ذلك قام مع «بومان» – الذي انتهى لفقدان حظوظه عدو المقوت – بتحرير أوامره لقائد الصاعقة في «برشتسبادن» : إن «هيرمان غورنخ»، مرتكب الجياثة العظمى ، الذي جرد من رتبة ومن ألقابه كافة ، قد حُكم عليه بالإعدام . ولكن الفوهرر ، نظرًاً لخدماته السابقة : قد عفا عن حياته ، بيد أن توقيفه كان أمراً واجباً . وأرسلت برقية أخرى تستدعي «من «مونيخ» إلى «برلين» الجنرال بارون «روبرت فون غرابيم» : قائد الأسطول الجوي السادس ، الذي كان «هتلر» ينوي تنصيبه على رأس الطيران الألماني خلفاً «للغورنخ» .

في اليوم التالي ، ٢٤ ، أخذ تطبيق «برلين» . وعلى طريق «كرامبنتز» استوقف «كيل» أثناء عودته من مركز مجموعة «هاينريكي» . فلقد أرغمت القيادة الحربية العليا على الفرار أمام المصفحات الروسية أثناء الليل . فلحق «كيل» بها في منزل «فوي روفين» العابي ، بالقرب من «فوستبرغ» .

وقد قال فيما بعد: «لقد طلبت طائرة من مطار ريشلين » فقيل لي إنّ ضباباً كثيفاً كان يغطي المدينة، فكان على أن أوُجّل موعد طيارة. كنت أحاول جمع بعض الكتب والذخيرة لإرسالها إلى «برلين» عن طريق الجو. وقد أطلعت الفوهرر على ذلك هاتفياً. وأنا أذكر أنه قال لي: «أرسل المدد أولاً ثم تعال». ولكن في اليوم التالي، ٢٥ نيسان، أعلمي القيب الأول لدى الفوهرر. «فون بيلو»، بأنّ مدرج المبوط الذي أقيم على المحور شرق-غرب بالقرب من بوابة براندبورغ. قد أصبت نكاماً، وأنه لم يقتصر على الاستعمال

ولكنَّ هذا المدرج الذي لم يبقَ صالحًا للاستعمال، سوف يستعمل في ظروفٍ فاقعةِ الجرأة. فتاليةُ الدعوة «هتلر» وصلَّ «فون غرايم» إلى «ريشلين»، وفي فجرٍ ٢٦، طار نحو مطار «غاتو» البريزيِّ تواكبَه مجموعةٌ من الطائرات. وكان يقود طائرته ذات المقعدين الطيارة الحربية «حنة رايتشن». كانت تلك المرأة المتعصبة في ولائتها تزيد الإفادة من هذه الساحة الأخيرة لشاهدةٍ فوهر رها.

لم تكن «غاتو» في أيدي الروس بعد، ولكن لم يبقَ هنالك أيَّ سبيل
برىء للوصول إلى قلب «برلين». واستبدل «حنة»، و«روبرت» طائرَهِما،
فتسلَّمَ هذا الأخير القيادة وطارا معاً باتجاه بوابة «براندنبورغ». وعلى
ارتفاع يلامس سطوح المنازل راحا يحلقان فوق «برلين» وقد غدت فريسة
للتهب. وأصابت الطائرة «قذيفة» مزقت ساق «غرايم» اليمني. ففُجِّعَ عن
وعيه، ولكن «حنة» تكثَّفت من المبوط، فعُرِّبت على سيارة؛ ووصلت
إلى المستشارية حيث ضُمِّدت جراح «غرايم» للحال. وتعاقبت بين
الفوهِر والخريج والطبيارة مشاهدٌ غيظٌ وتأثرٌ ودموعٌ. وراح «هتلر»
يرعد ويترقب بصدَّدٍ خيانة «غورنخ»، وكان يتنَّ علَى مصيره المشؤوم من
خلال نفحاتِ من الأمل. قال إنَّ حالي الحسديَّة لا تسمح له بالموت
وهو يقاتل، ولم تكن به رغبة في الوقوع حيَاً في أيدي الروس. ولذلك
سوف يُعيضُ على حياته.

طلب الزائران منه حظوة مشارطته مصيره، فرفض، فرفع «غرايم» إلى رتبة جنرال-فيلدمارشال — وهو آخر من رُفع إلى هذه الرتبة — وأمره بالخروج من «برلين» لمواصلة القتال على رأس الطيران . ييد أن الطائرة التي جاء بها «غرايم» لم تكن صالحة، ولذا وجب الانتظار ريثما يرسل الطيران إلى «برلين» طائرة جديدة .

ولبضعة أيام خلت كان الجيش الفرنسي الأول قد استولى على «شتونغارت». وفي ٢٥ نيسان، قبل ذلك بليتين، كان الروس والأميركيون



المارشال روکوسوفسکی .



المارشال تولبوخین .



المارشال کونیف .



المارشال گوکوف .

هلك المئات من غير المقاتلين، من بينهم نسبة من الأطفال كبيرة، غرقاً أو اختناقًا، وذلك بين محطة «ليزيرغير بلاتس» و«أونتر دن لندن». كان هناك ثلاثة ملايين من البرلينيين واللاجئين تحتبين في الأقبية. وفي أروقة المترو، وفي ملاجئ الدفاع السوفيتي، وكان المخوف والملوخ والمعطش تربص عليهم. ومن وقت لآخر كان البعض يخرجون من ملاجئهم الرهيبة: إنهم أكثر المختبيين جرأة، أو، بكل بساطة، أولئك الذين لم تصمد أعصابهم أمام العزلة وقلة الماء. فكانوا يأتون إلى البرك التي أوجدها تفجر الأنابيب في الأقباء، ويعثرون وسط الخراب عن بقايا مخزن للغذاء، أو يداعبهم الأمل في العثور على جواد قتيل. ومن ثم كانوا يعودون إلى جحورهم مزددين بقطعة من اللحم دامية، وبوعاء فيه ماء، وبصورة كابوس مرؤعة.

هطلت على «برلين» مطرة من رماد: غبار الحصى والإسمنت. الذي تطاير تحت وطء مليون قذيفة، كان ينهمر على المدينة ممزوجاً بدخان الحراق وشرها. لم يكن الشمس أى أثر. وأمّا النور فنور غسق عاصفة، يصبحه بريق حمر وذبذبات طب رائعة أحياناً. وكانت قبة من اللهب تتصلب فوق الطرق الدائرة، وكانت قبة أخرى لا هبة تنطلق من قاذفات اللهب. راحت القذائف تساقط من كل حدب وصوب. وكانت طلقات أرغن «ستالين» اللاهثة تنشر ينابيع من قطع الحصى ضخمة. كانت كمية من الخطام هائلة تغير الطرق المبقورة: سيارات، وشاحنات، وحطام أسلحة، ودببات محرقة، وحتى حقائب تناولت محتوياتها بعد الفتحاها. وفي «بوتسدا مير بلاتس» تفجرت ينابيع حقيقة من دم بلغ علوها قامة الرجال، وكانت البثث مفلطحة تماماً على الجدران المسودة.

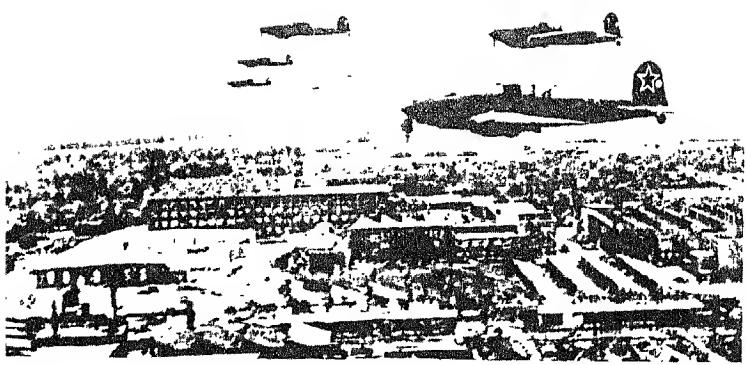
وفي أماكن أخرى كان مشنوقون يرتجحون في لحظ الانفجارات، إنهم من الجنود المشردين الذين شاء سوء طالعهم أن يتلقوا دوريات من دوريات شبان الصاعقة الملكيين بإحلال البطولة قسراً. كانوا يحملون يافطات فوق صدورهم كتب عليها: «لقد شُنقَت هنا لأنني هارب من الجندي...» أو: «لقد شُنقَت هنا لأنني جبان» أو: «لقد شُنقَت هنا لكوني قد ارتبت بشخص الفوهرر». كان «هتلر» قد أصدر قراراً بأن «أي إنسان يُضعف روح المقاومة هو جبان يجب رمي بالرصاص أو تعليقه على عود المشقة للحال...»

كان يوم 28 يوم راحة. فالروس المرهقون لم يقوموا إلا بمحاولات واحدة ضد «ألكسندر بلاتس»، حيث ردت دباباتهم «ت-34» وأحرقت. كان «غوبيلز» قد صمت، ولكن الدعاية لم تمت. وراح السكرتير المساعد «نومان» ينبع من خلال أمواج الأثير بأن «برلين» قد أصبحت مقبرة الدبابات الروسية. وعلقت في الشوارع بلاغات مطبوعة على الآلة الكاتبة تعلن أن «جيشه «فنك» قد شارف الوصول. وطاف بالمدينة المقطعة أمل آخر: فتوقف معارك المشاة كان يعني ولا ريب أن على الروس أن يؤجلوا الهجوم على «برلين» لمجاهاه «فنك»! والواقع

له تصادفوا على «الإيات». في «توغو»، وهي بادرة رمزية قطعت «ألمانيا» شطرين، في الليلة السابقة دان الانكليز قد دخلوا إلى «بريم». وفي «إيطاليا» كان الاندماج الألماني «كاملاً». في كل مكان بدأ الإذعان يطغى والقتال تهدى، أنساهه. أللهم إلا في أتون «برلين».

إن معابك الطرافت التي دامت في 22 نيسان، في ضواحي «نيسلر شو:هاوزن» و«لختنبرغ»، كانت تعصف باستمرار. في 23 كان الروس قد وصلوا إلى «فرانكلف، رترالي» وغزوه حتى جوار «ألكسندر بلاتس». وفي 24 كانوا قد استولوا على محطة «سيليزيا»، ومحطة «غورلتر» من ناحية «السيرني» الأخرى. وفي 25 كانوا يقاتلون في الشمال في ضاحية «بېنکلدورف». وفي المذهب. في خساحية «ستغلتر». طردوا رجال الصاعقة من دار، بالبيه «شفيبرغ». واستولوا على «تمبلهوف»، وأشبعوا «تيرغارتن». وهو المكان الذي دارت الجلاراتيات الألمانية متحشدة فيه. وبلا من قذائفهم. وفي 26، انتهوا من «تمبلهوف» واستولوا على «بېنۍ أليسبلاتز». التي تبعد كيلومترتين عن «أونتر دن لندن». وفي الشمال أدتهما على «تيفيل»، «فېتنو»، ودخلوا إلى «سيمنس شتاد» وإلى حي «ماين» الصناعي. فخاضوا القتال وسط المصانع التي كانت ما تزال تنتج الأسلحة الألمانية لساعات، ثانت. وقد ساد ليل 27-26 هامه مفزع. دانت المراقب تراجي دل «ما»، وراحت القنابل التي لم تتفجر تادوني وبسط اللهب الذين ياسوها. غير أن هذه الانتفاضة الجامحة لقوى التدمير لم تكن إلا لذريان من ولادة الصمت الذي نتج عن هذه السلاح. وعندهم انفراج الفجر تهجب المآفعون عن «تيرغارتن» لسماع نغمات العصافير. وما هي إلا رهة حين كانت أرغن «ستالين» تعود إلى العزف!

كان الوجه في عجلة من أمرهم. فشنتوا على قلب «برلين» هجوماً عاماً. فاستولوا على محطة «أنيالت». وبلغوا «ليزيرغير شراسبي»، «البرنس ألبرت شناسبي». ودخلوا إلى مقر قيادة الفستابو فوجدو مفروضاً جثث الأسرى السياسيين المقتولين. وأمّا المستشارية، وهي هدف هاوا المجهود العظيم، «رمي المجموع المعاكس الذي انطلق من «ستالينغراد». فقد فاتت على بعدها ٣٠٠ غر حسب! ولكن المدافعين كانوا يبنقون من الأملاك. ورداً على الهاجهين، «ادا:دادوا مبني الغستابو، ثم عادوا ففقدوه مرة ثانية توقف الهجوم. ثم كان عود إلى الإعداد. عادت المدفعية وأرغن «ستالين» تتفتح النار. واحت المطارات القاذفات القاذفات الروسية، التي هاجت وكان التشكيلات المكونة من الأذكياء الأميركيتين، ت Tactics جماعات حماعات. وجز الماء، كما أنها دخلت هاوا حين تفجر مستودع للصواريخ المضادة للدبابات في «بوتسدا مير بلاتس». فكانت الحصيلة مذبحة مروعة. وفي أطن الأوصى كانت تتعقد مأساة أبشع من هذه: كان القتالون قد نفروا، وأرأنفس ساد تبرعة «لاندفيهير»، بغية إغراق ممرات الماء، الداخلية التي دان الروس مستخدموها. وفي الدياجير راح آلاف المازينيين الذين سلماً إلى تلك الماء، ات بـ... وفوت في وجه المياه المتصاعدة. وقد



القاذفات السوفياتية تغير على «برلين» في أيار ١٩٤٥.



البران نطرد البرلينيين من ملاجئهم.



في بيان «هتلر» يخرون حفرةً فرديةً أمام الحواجز المصادة للدببات.

عرض المتطوعين في «برلين»!



أنَّ «فنك» لم يزد بمفردِه لتجدة عاصمةً «الرايخ»؛ فالحلاف قد انتصب بين الروس والأميركيين؛ وبعد موته «روفلت» تبَهَّ الأمير كيسن إلى خطير البولشيفية عليهم. فإذا بهم يسارعون لا كأعداء، بل كحلفاء...

نهاية "مسؤوليّي" المجمعة

طال احتضار «هتلر». أما «مسؤولي» فقد حُمِّلَ عليه القضاء. لم تبقَ الفرقـالـ٢٥ـ التي أبقيـاـها الجيشـالـأـلمـانـيـ في «إيطـالـياـ»ـ غيرـوـاجـهـةـ. فهيـ أـكـثـرـ منـ القـوـاتـ المـحـارـبةـ فيـ «ـالـأـلـمـانـيـ»ـ اـفـتـارـاـ إـلـىـ الذـخـارـ والـمـحـرـوقـاتـ. فـضـلـاـ عنـ اـفـتـارـهـاـ إـلـىـ الرـوحـ الـمـعـنـوـيـةـ. فـعـلـيـ مـسـتـوىـ النـزـوـةـ كانـ القـائـمـ استـسـلامـ جـيـشـهـ. وـكـانـ الـجـزـالـ «ـفـولـفـ»ـ. قـائـمـ قـوـاتـ الصـاعـقةـ قـدـ سـعـىـ إـلـىـ عـقـدـهـاـ. وـفـيـ أـسـفـ الـهـرـمـ لـيـقـ بـالـجـنـديـ يـفـهـمـ أـيـ مـعـنـىـ لـمـوـاصـلـةـ الـكـفـاحـ عـلـىـ أـرـضـ غـرـبـيـةـ. فـيـماـ وـطـعـهـ الـعـدـوـ أـرـضـ وـطـنـهـ. كـانـ الـجـهـودـ الـيـ بـذـهـاـ الـمـارـشـالـ «ـغـرـازـيـانـيـ»ـ لـنـأـلـيـفـ جـيـشـ جـمـهـورـيـ «ـفـاشـيـ»ـ قـدـ آـلتـ إـلـىـ إـنـشـاءـ سـتـ فـرـقـ. وـلـكـنـهـ كـانـ أـشـدـ اـفـتـارـاـ مـنـ الـفـرـقـ الـأـلـمـانـيـةـ. ثـمـ إـنـ دـعـدـاـ مـنـ الـأـلـوـيـةـ الـقـمـصـانـ الـسـوـدـ كـانـ يـنـافـسـ شـرـادـمـ الـأـنـصـارـ تـحـكـمـاـ وـاغـتـيـالـاـ.

إنـهـارـتـ الـوـاجـهـةـ إـذـ تـلـقـتـ الصـدـمـةـ الـانـكـلـيـزـيـةـ الـأـمـرـكـيـةـ بـيـنـ ٨ـ وـ ١٤ـ نـيـسانـ، فـسـقطـتـ مـدـيـنـةـ «ـبـولـونـيـاـ»ـ فـيـ ٢١ـ. وـسـقطـتـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ مـدـيـنـةـ «ـمـوـدـبـنـ»ـ وـ«ـفـارـارـيـ»ـ. كـانـتـ الـقـيـادـةـ الـحـلـيفـةـ قـدـ حـسـبـتـ حـسـابـ فـتـرةـ توـقـفـ عـلـىـ سـبـرـ «ـالـبـوـ»ـ؛ إـلـاـ أـنـهـاـ. إـزـاءـ ضـعـفـ الـعـدـوـ. أـصـدرـتـ أـمـرـهـاـ بـمـتـابـعـةـ الـرـحـفـ دـوـمـاـ تـوـقـفـ. فـبـرـ القـيـاقـ الـأـمـرـكـيـ الـأـلـمـانـيـ الـإـيـطـالـيـةـ، مـسـتـعـيـداـ تـلـكـ النـبـرـاتـ الـثـوـرـيـةـ الـيـ عـرـفـهـاـ سـنـوـ شـبـاهـ. وـسـرـعـانـ مـاـ سـقطـتـ أـهـمـهـ سـقـوـطـ الـسـهـمـ الـمـنـطـفـيـ!ـ لـقـدـ غـدـاـ الدـوـشـيـ فـيـ دـارـتـهـ عـلـىـ بـحـيـرـةـ «ـغـارـدـيـ»ـ أـسـيـرـ الـأـلـمـانـ فـيـ الـوـاقـعـ. وـعـلـىـ أـنـهـ كـانـ يـفـتـهـمـ وـيـعـرـفـ أـنـهـمـ قـدـ خـسـرـاـ الـحـربـ. ظـلـ مـقـيـداـ بـالـسـلـاسـلـ الـيـ صـنـعـهـ لـنـفـسـهـ.

قضـىـ «ـمـوـسـولـيـ»ـ شـاءـ قـاتـمـاـ. لـمـ يـافـ نـفـسـهـ حـرـكـاـ لـلـجـمـاهـيرـ إـلـاـ يـومـ واحدـاـ هوـ يـوـمـ ١٦ـ كـانـونـ الـأـوـلـ، إـذـ وـقـفـ فـيـ قـاعـةـ «ـسـكـالـاـ مـيـلـانـوـ»ـ أـمـامـ ٥٠٠٠ـ مـوـيـدـ يـحـسـيـ مـوـلـدـ الـجـمـهـورـيـةـ الـأـشـرـاكـيـةـ الـإـيـطـالـيـةـ، مـسـتـعـيـداـ قـرـرـ «ـمـوـسـولـيـ»ـ فـيـ ١٩ـ نـيـسانـ مـعـادـرـ قـصـرـ «ـفـلـتـينـيـ»ـ لـلـذـهـابـ إـلـىـ «ـمـيـلـانـوـ»ـ. فـحاـوـلـ الـأـلـمـانـ صـرـفـهـ عـنـ هـذـاـ الـقـصـدـ وـإـقـنـاعـهـ بـالـاقـرـارـ مـنـ «ـالـنـمـسـاـ»ـ وـ«ـبـافـارـيـاـ»ـ. وـنـصـحـهـ الـقـرـبـونـ إـلـيـهـ بـالـلـجـوـءـ إـلـيـ «ـسـوـيـسـراـ»ـ. وـعـرـضـتـ أـسـرـةـ «ـبـيـاتـشـيـ»ـ أـنـ تـنـظـمـ لـهـ مـيـةـ زـانـفـةـ لـتـغـطـيـةـ رـحـيـلـهـ إـلـيـ «ـاسـيـانـيـ»ـ وـ«ـالـأـرـجـيـتـيـنـ»ـ. بـيـدـ أـنـهـ رـفـضـ هـذـهـ الـمـحـاـولاتـ كـاتـهـاـ. وـأـعـلـنـ أـنـهـ لـنـ يـغـادرـ قـطـ «ـإـيـطـالـياـ»ـ. تمـ أـخـذـ بـمـشـرـعـ «ـبـافـولـيـ»ـ الـقـائـلـ بـالـجـمـعـاـتـ فـيـ قـلـعـةـ «ـفـالـتـيلـيـنـيـ»ـ الـطـبـيـعـيـةـ مـعـ نـوـاـقـاشـيـنـ الـمـعـصـبـيـنـ الـذـيـنـ قـرـرـواـ أـنـ يـمـوتـواـ مـيـةـ الـأـبـطـالـ. كـانـ «ـبـوـلـونـيـ»ـ يـعـتمـدـ عـلـىـ ٣٠٠٠ـ رـجـلـ. وـهـوـ لـعـمـرـيـ عـدـدـ ضـئـيلـ بـالـنـسـبـةـ لـحـزـبـ قـدـ اـسـتـقـطـ بـخـالـلـ رـبـعـ قـرنـ الـكـبـيرـ الـكـثـيرـ مـنـ عـهـودـ الـاخـلاـصـ الـطـنـبـانـةـ.

لـمـ يـكـنـ مـرـوـرـهـ «ـعـيـلـانـوـ»ـ لـيـتـفـقـ تـامـاـ مـعـ مـشـرـعـ «ـفـلـتـيلـيـ»ـ؛ـ وـلـكـنـ فـكـرـ «ـمـوـسـولـيـ»ـ لـمـ يـكـنـ قـدـ اـسـتـقـرـ بـعـدـ. فـلـقـدـ سـعـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـسـلـمـ بـالـوـاقـعـ. وـلـمـ يـرـكـ لـهـ ذـكـاـوـهـ إـلـاـ الـقـلـيلـ مـنـ الـأـوـهـامـ بـشـأـنـ مـاـ تـبـقـيـ لـهـ مـنـ حـظـوظـ؛ـ لـقـدـ لـعـبـتـ فـخـسـرـتـ؛ـ وـسـأـلـكـ الـحـيـاةـ بـلـ بـغـضـ وـبـلـ صـلـفـ.ـ أـخـلـصـتـ لـهـ بـلـاغـتـهـ بـعـدـمـ خـانـهـ رـجـالـ كـثـيـرـونـ وـتـكـرـتـ لـهـ أـحـدـاثـ كـثـيـرـةـ.ـ لـقـدـ صـلـبـيـ مـصـيـرـيـ!ـ إـلـاـ أـنـ تـفـاؤـلـهـ الـطـبـيـعـيـ.ـ وـمـرـفـةـ ذـهـنـهـ.ـ جـعلاـهـ يـتـبـسـمـ

«كلا라 بيتابشي» وأخاها وزوجه. إنفتحت الجماهير أمام الرتل المدجج بالسلاح؛ فإذا الطريق المؤدية إلى البحيرة حرة. وصل «موسوليبي» إلى «كومو» في العاشرة مساءً، فذهب ينام في دار الشرطة. أمّا الحدود السويسرية فكانت على بعد ١٠ كيلم من المدينة.

ضاع اليوم التالي بكماله في الاحتمام والانتظار. لم يقدّم الموكب في المطر الغزير إلا إلى «ميناجيو» الواقعة على طريق البحيرة. ما زالت «سويسرا» قرية جدّاً، ولكنَّ الحدود مغلقة. حاول البعض اجتيازها فقصدُهم الحدود. قضى «موسوليبي» يومه في حجرة أحد الفنادق مكتباً على ثيابه أو مصرياً إلى المذيع الذي لا يتحدث إلا عن الزائري والكونوارث. في انتظار «بابوليني» الذي كان عليه أن يأتيه بكنيسة الفاشية المقدّسة. على أن يتقدّم بعد ذلك إلى «فلاتيليني» وسط جماعات الأنصار.

وصل «بابوليني» فجرَ الغد في سيارة مزودة برشاش. فيما أغرت الأمطار الغزيرة الجبل وتحت معالم البحيرة. سأله «موسوليبي»: «ما عدد الرجال الذين أتيت بهم؟ تكلّم! أريد الحقيقة!» فأجاب: «اثنا عشر». اثنا عشر رجلاً! هذا ما تبقى من الكثائب التي طالما هتفت: «إيمان! طاعة! كفاح!» وطالما هلت لشعار الدوتشي: «أن نحيا كالأساد يوماً، خير من أن نعيش كالحراش مئة سنة!»

كانت مفرزة ألمانية قد حطّت رحالها في «ميناجيو»، قوامها بضم شاحنات و ٢٠٠ جندي يقودهم اليونان «فولايير». سأله «بيرزز» هذا الأخير ما إذا كان يوسع الإيطاليين. وقد أضعفهم البيانات المتعددة. ومنها خيانة المارشال «غرازياني» -أن ينضموا إلى الرتل الألماني- رضي «فولايير» بامتناعهم لم تخفّ حدّته عندما علم أن أحد المارشين هو «موسوليبي» بالذات. لم يكن يحب الإيطاليين. وقد جعل خاتمة ما تبقى عليه من واجب إعادة رجاله إلى الأرض الألمانية.

واصل الرتل رحلته، وقد أصبحت الطريق خطرة بفعل المطر الشديد. ساق «موسوليبي» سيارته وقد عادته الثقة. وقد نسب إليه بعضهم هذا القول الذي لا يخلو من اللذع: «استطاع بمعاونة ٢٠٠ ألماني أن يبلغ أقصى العمورة». إلا أنه في إحدى الاستراحات، أصفع لكلام «بابوليني» الذي جاء يقول له إنه سيتمتع بالمزيد من الأمان في السيارة الرشاشة. وما لبث «كلارارا» أن وافقه فيها، وقد اعتمرت خوذة، فسارا معاً تحت قبة الفولاذي وقد انعقدت أناملهما.

قطع الموكب بضعة كيلومترات ودنا من مضيق وبن قرية أطلق عليهم اسم «موسو». فدّوت طلقات نارية، وإذا بشجرة ملقاة في عرض الطريق. إنه لكمين أنصار. يد أنّ منديلاً أبيب تحرّك في جهتهم، وعرض الرئيس، وهو شخص يدعى «باربيري»، أن يفسح مجال المرور أمام الألمان، شرط ألا يكون بصحبتهم إيطاليون. ودامت المناقشة من الثامنة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر -ست ساعات واصل خلالها المطر البارد الجليدي- عطله على الركب الواقع، وعلى علبة الفولاذي ضمت «موسوليبي» وعشيقته.

قد يكون «موسوليبي» فكر بالرضاخ في هذه اللحظة؛ إلا أنّ «بيرزز» أتاه بخوذة ألمانية ومعطف. تردّد «موسوليبي» في أمر ارتدائه، فصاحت به «كلارارا»: «أنقدر حياتك». ومرت الشاحنات الألمانية وقد استقلّ «موسوليبي» إحداها. وبقيت السيارات الإيطالية حيث كانت، ما عدا واحدة تكثّفت من المرور بفضل علمها الإسباني. أعلن «مرسيلو بيتابشي»، أنه سفير «اسبانيا» فأذن له الأنصار بمتابعة سيره مع أمراته وشقيقته. بلغت الطريق بعد كيلومترتين مدينة «دونغرو» الصغيرة. فأوقفت الشاحنات الألمانية للتحقق من راكيتها تنفيذاً للاتفاق. يد أنّ الأنصار هذه المرة كانوا يعلمون عمن يبحثون. فقد كان أحد وزراء «موسوليبي»،

خارج آخر عبر المروج البائس من على المسرح. قضى أسبوع في تربّب أوراق الدولة خاصته. مسجلاً بعض المذكرات. مهيناً دفاعة. مستقلاً أحد الزوارق ليلاً برفقة أمين سره ليغرق بعض الملفات في بحيرة «غاردي». فهو يأمل أن يفاضل «لجنة التحرير القومي» في «ميلانو». فيعرض عليها تسلیم الفاشية. وسيّدها الرحمة من أجل القمحان السود. وربما من أجل رؤسائهم. وربما من أجله هو ...

حل «موسوليبي» في دار المحافظة. في شارع «مونفورتي». وبقيت زوجه في «سازو»؛ أمّا عشيقته، «كلارا بيتابشي»، فلحقت به. وكان أمر الفرار في يدها. فلقد زارها «موسوليبي» في جناحها الخاص. وتولّ إليها أن تلّجأ إلى مكان أمين قائلًا: «أنت لا تعرّضين نظر إلّا إذا كنت في جواري.» فأجاب: «سابق بجوارك مهما حدث».

لعب رئيس أساقفة «ميلانو». «إليديفونس». كردينال «شوسن» دور الوسيط بين الدوتشي و«لجنة التحرير». وهو رجل متجمد الوجه. محتال. له من الكبش وجهه ومن التعلب دهاؤه. يستقبل «موسوليبي». على حد قوله. «محبّة أسفافية». ونصحه بالرضاخ المسيحي. وبذلة أوهام إقامة أبي محriz في «فلاتيليني» قائلًا: «لي من المعلومات ما يقنع بأن رجالك الـ ٣٠٠ سيكتوفون ٣٠٠».

لم تجبر المقابلة إلا في دار المطرانية. كانت «بارم» و«فيروني» و«كريموني» قد أضيفت إلى لائحة المدن المحتجنة. وبدأ الأمير كيوبون على بعد ٦٠ كلم من «ميلانو». فارتّشت المدينة الكبيرة أخيراً بعد انصياع طال أمده. فما اقتضت الظاهرة حتى أطلقت صفارات المصانع كلها إشارة الإضراب العام. كانت الحامية الألمانية ما تزال مسيطرة، فعرض رئيسها. الجنرال «فافيني». على الدوتشي بديلاً لمشروع «فلاتيليني». وهو تحويل «amilano» إلى «ستالينغراد» إيطالية. فرفض «موسوليبي» ذلك.

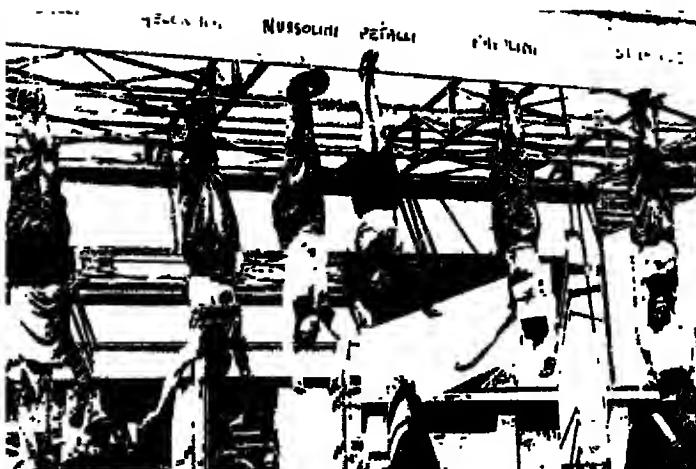
بدأت المناقشة بدءاً حسناً في بهو الكاردينال. مثل «لجنة التحرير القومي». الجنرال «كادورنا»، والمحامي المسيحي الديمقراطي «أشيل مارازا» ومهندس يدعى «ريكاردو لومباردي». بدا «موسوليبي»، وقد عضده المارشال «غرازياني». مرتاحاً. سيد نفسه. مديرًا للنقاش. فإذا بالرضم ينقلب عندما تدخل «غرازياني» ليطالب بالألا يجري الاستسلام الإيطالي إلا بعلم الألمان. فتظاهر «كادورنا» بالاستغراب وتساءل: كيف يمكن لمثل هذا الوساوس أن يخامر أعضاء الحكومة الفاشية الجديدة، فيما سعي الألمان طويلاً إلى التفاوض بشأن استسلامهم الخاص؟ فاستشاط «موسوليبي» غيظاً ووثب. كيف لا يكون له علم بذلك؟ إذًا فقد خانوه مرة أخرى! وهكذا أطاح الاستكثار والهوان حكمته وخدوفه. وعبأنا حاول الكاردينال تهدئته! فقد أعرب عن عزمه على مواجهة قضل «ألمانيا» في الحال. وطلب تعليق المباحثات مدة ساعة. ثم عاد المطرانية وعاد إلى دار المحافظة. وكانت قرية جداً.

ولكنَّ الفتنة اندلعت. فغضّت الشوارع بجماهير صاحبة، وأدرك «موسوليبي» أنَّ ساعة المفاوضات قد اقتضت. فأصدر أمرين؛ قال أوّلهما: «إلى «فلاتيليني»! وقال الآخر: «وجهتنا هي كومو! لم تكن «كومو» تماماً على طريق «فلاتيليني»». بل كانت على طريق الحدود السويسرية و«البريز» بال تمام. وفي هذا التناقض دليل على تردد الرجل المطارد وحياته.

ضمَّ الركب ثلاثة عربة؛ في جملتها عدة شاحنات ملائى بجنود الجيش الجمهوري. وشاحتان من قوى الصاعقة. يستقل «موسوليبي» سيارة «ألفا روميو» بسرعة من جلد، وعلى ركبته رُشيش، وازدحم «غرازياني» وعدّ من الوزراء والموظفين الكبار في ثلاث سيارات أخرى من طراز «ألفا روميو». وحملت سيارة خامسة رفعت العلم الإسباني

«موسوليبي» إلى «ميلانو». ولم يصف أنه كان عليه أن يعيده ميناً. قال وهو يلُجُّ الغرفة: «هياً أسرعاً، أنا آت لإنقاذكما». أصعد «فاليريو» «بيينتو» و«كلارا» في سيارته. ورقي أحد أجنحتها. وكذلك فعل الرفقاء الثلاثة الذين كانوا معه. كان السائق «جيمنيمازا» يرى الزوج في مرآة. «كان هو شاحباً. وكانت هي هادئة لا يظهر عليها الحول إطلاقاً». واتجهت السيارة نحو القرية؛ فما لبث «فاليريو» أن أوقفها أمام دارة يتقنَّها رياض. وأمر الراكبين بالنزل. وظهر في روايات بعض الشهداء خلافات طفيفة تناول الظروف الدقيقة التي فقد فيها القاتل جريمه المزدوج. ويدو أن «كلارا بيانتشي» قد حصلت «موسوليبي» بجسمها وهي تصيب: «لا! لا يحق لك أن تقتلوه هكذا!»

لقد عمل الحزب الشيوعي دوماً على إحاطة هذه الجريمة بالغموض. ومات كل من اشترك بها ميتة عفية غامضة. ما عدا «أوديزيو-فاليريو». العضو الآخر في الكللة الشيوعية في مجلس التواب لم يعرف قط مصير الأوراق التي قال «موسوليبي» إن «مستقبل إيطاليا» متوقف عليها. ونحن كذلك نجهل المصير الذي آلت إليه السبائك الذهبية وجموعات النقد النادر التي حملها الركب الإيطالي. إشماعيل «وينستون تشرشل» فابرق إلى المارشال «الكتندر» مطالباً بفتح تحقيق وبالتفكير في إجراء ملاحقات. إلا أن الظروف لم تكن لتسمح بذلك. ثم هدأت فورة الاستنكار على اعتبار أن محكمة دولية كانت ستحكم على «موسوليبي» بالموت على غرار ما حصل «لورنوك» و«توجرو». فأعلن «تشرتل»:



«موسوليبي» وصحبه معلقين في «ميلانو» في ٢٨ نيسان ١٩٤٥.

«لقد وفر «فاليريو» علينا مشقة «نورمبرغ» إيطالية». وفي «دونغو» أعدم ١٥ فاشياً، منهم «بابوليني» و«مرسلو بيانتشي» و«بيوندا بومباثي». ثم أمر «فاليريو» بتحميمهم في شاحنة. مع جثتي «كلارا» و«بيينتو». وعاد بهم إلى «ميلانو» حيث أفرغهم مع جثث أخرى لم تعرف هويتها بعضاها. في ساحة «بيازالي لوريتو». غير بعيد من المحطة المركزية. ولما أوقف «ستاراتشي» أمين سر الحزب الفاشي العام سابقاً، في المدينة، سبق إلى كومة الجثث. وقتل أمامها بعدما أوضح ضرباً. فانفجرت إذ ذاك غرائز الجماهير، فأوسع «موسوليبي» المبت ضرباً، وشُوّه، ومزق بالرصاص، وشنق من رجله.

وهو «نيغولا بومباثي». قد غادر الموكب لدى توقيته الطويل. ثم استسلم وقال: «إن الدوتشي بوفتنا!»

إذ عي عشرة رجال شرف تبنته جالساً على تتكة بترين، فتظاهر بالسكر ورششه على ركبته. فأوقف ونزع سلاحه من غير أن يُبدي مقاومة، ولم يقم الألمان بحركة لحماته، بل تابعوا سيرهم نحو «ميلانو» خفافاً كأن عباءً زال عن كواهله! كان رئيس الأنصار المحلي هو الكونت «بيار لويني بليني داتي سريزي»، وكان رئيسه في «كومو» هو الكولونيل بارون «جيوفاني ساردانينا». صديق الجنرال «كادورانا»، لم يكن أي منهما متعطشاً إلى الدم. إلا أن أسيرهما كان عباءً ثقيلاً. لقد أخطرا «ميلانو» باعتقاله. وهما يرتجفان قلقاً على حياة سجينهما، في التظاهر أن ترفع عنهم المسؤولية.

غطوا وجهه بضماد من شاش لإيهام من يراه بأنه جريح. ومع هبوط الغلامة أمسى المطر الذي لا يرحم جليداً سائلاً. فأخذ «موسوليبي». وزع عنه معطفه الألماني. يرتعد من البرد. وأخيراً ألقوا إليه حراماً فتدثر به. وما لبث الأسمهم المصيبة، التي راحت تخترق الللام، فضلاً عن المطر. وعن دوى المدفع المشير إلى أن «تالاً» يدور على مقربة من «كومو»، أن ضاعت فضيق صدر حراس الدوتشي. فقلوه أولاً من مركز المختار في «دونغو» إلى الشكتة الخاصة بموطئي الحمرك في «جرمازينو»، وهم ينرون نقله إلى الناحية الثانية من البحيرة، لينزلوه في ممتلكات الصناعي الكبير «كاديماروتي»؛ ثم عدلوا عن هذه الفكرة بمحجة أن «مقلاً» من معاقل الأنصار سيوفر له مزيداً من الأمان. استغرقت هذه التقلبات عدة ساعات من التنقل في الليل، على طرقات محفرة، تحملتها مقاتلات لا نهاية لها على ضوء مصابيح العاصفة. في الرطوبة والبرد والقلق. أفاد «موسوليبي» من رحمة واحدة إذ التقى سيارة في إحدى النقاط. فأرغم على الترجل، وحرمه الميلل ملقي على كتفيه. فخرج من السيارة الأخرى طيف عرق في الحال. قال الطيف: «يا صاحب السيادة! - سينورا! ماذا تفعلين هنا؟ أريد أن أكون بقربك.»

ذلك أن «خدعة السفير الإسباني» في «دونغو»، لم تق أفراد عائلة «بيانتشي» طويلاً. فقد عرف الكونت «بليني»، عشيق الدوتشي. وبعد إنكار قصیر الأداء أغرى «كلارا» عالياً عن قوة جسدها، وطلبت الالتحاق «موسوليبي». فسُنحت هذه النعمة. وما لبث كل من العاشقين أن عاد إلى سيارته، وراح في الليل يرقيان درب العذاب عينه.

لم يدرك الركب الواحة إلا في الثالثة صباحاً. فإذا هي أحد بيوت الفلاحين في قرية «أزانو» الواقعة على السفوح المشرفة على البحيرة. أصر صاحباً البيت. وهو من أسرة «دي ماري»، النار. وطرداً ابنهما من سرير كبير مزدوج ليقدّمه لاسجينين المنوهين سيقا إليهما. ولم يعرفا من هما. طال الحديث «كلارا» و«بيينتو» في الللام. ثم استغرق «بيينتو» في نوم ضاج.

كان صباح ٢٧ صباحاً مشرقاً. نهض «موسوليبي» و«كلارا» من النوم متأخرین. أفطرت «كلارا». وحاول هو أن يبتلع كسرة خبز فلم يفلح. ثم عادت هي إلى النوم، شادة بذرها حتى ذقها، وجلس هو على إفريز النافذة يتأمل الجبال.

دخل القاتل في تمام الرابعة بعد الظهر. إنه محاسب. يدعى «ولتر أوديزيو». وقد انتحل في المقاومة اسم «الكولونيل فاليريو». يخليه من يقول إنه قد حصل على تفویض من «بلدية التحرير القومي». والحقيقة أن التفویض الوحيد الذي حصل عليه قد أعطاه إيهاه «باليرو تولياتي»، وذلك باسم الحزب الشيوعي. تردد الكونت «بليني» والبارون «سردانينا» في إطلاعه على موضع اعتقال السجين، فأعلن لهما أنه قد أمر بإعادة

زواج الفوهرر وساعاته الأخيرة

«برلين» ومن النصر. إلا أن «هتلر». عندما طلب إلى مثل الوفاء هذا أن يطير. كان يخدوه سبب أبلغ أهمية من قيادة الحرب الجوية: كان لزاماً على «غرايم» أن يذهب للحال عند «دونيتز» للقبض على «هملر»! لقد نُقل «غرايم» بصعوبة فائقة. أدخل إلى دبابة بغية قطع المسافة التي تبلغ بضع مئات من الأمتار، وهي المسافة التي تفصل المستشارية عن المحور شرق - غرب. كان الماء فاسداً، وكانت السماء حمراء كاتها. وكانت «برلين» المشتعلة تضيء المدرج، الذي امتلأ بمحف القذائف. بصورة سحرية. وأقلعت «حنة رايشن» بالأرادو بمهارة بدعة، وعادت بها إلى «ريشلن».

من المحتمل أن يكون قد احتفل بزواج «إيفا براون» و«هتلر». في الساعة الأولى من نهار ٢٩ نيسان. بعد إقلاع المساعدين الأمينين بقليل. كان الشاهدان هما «بورمان» و«غوبлер». وكان ضابط الأحوال المدنية، واسمه «فالتر فاغنر». يحمل شارة المتطوعين على ساعده. وأمّا الحاضرون القلائل، وهم نحو عشرة رجال، وثلاث نساء أو أربع. من بينهم طبّاخ «هتلر» النباتي «مازريالي». فقد مرّوا من أمام الزوّجين الجديدين واحداً واحداً. وبعد ذلك انصرف الزوجان لتناول فطور العرس. ثم غادر «هتلر» زوجه الشابة واختلى بسكن تيرته السيدة «يونفي» في الرزازة التي كانت مكتباً لعمله. فأملى عليها وصيّة مزدوجة. الوصيّة السياسية والوصيّة الخاصة.

كانت الوصيّة السياسيّة مراجعة ولعنة. فقد رفع «هتلر» عن نفسه مهمة الرغبة في الحرب، وجعل الضباط الجبناء الخونة مسؤولين عن موته. وشتم «غورنونغ» و«هملر»؛ وعيّن الأميرال «دونيتز» خلفاً له. وهياً أكلّ منصب من مناصب الدولة الرئيسة رجله: «غوبлер» مستشاراً، «سايس-إنكارت» وزيراً للخارجية؛ «بورمان» رئيساً للحزب القومي-الاشتراكي.

«شورنر» رئيساً أعلى للجيش الألماني، الخ. بعد ذلك «ريينر وب» و«شيرر» و«كيل». وقد ختم بصيحة حقد: يجب على الشعب الألماني أن يحافظ بأقصى الشدة على القوانيين العنصرية. وأن يلاحق من غير رأفة «اليهود». مسمى الأمم كافة!

وفي وصيّته الخاصة أوصى بمثلكاته الشخصية كاتها للحزب، والدولة. إذا لم يبق للحزب وجود. وأمّا إذا دمرت الدولة هي الأخرى. فلافائدة من أن أضيف نصاً آخر». وطلب أن توقف التحف الفنية التي جمعها لإنشاء متحف في مدينة «لنتز» سقط رأسه. وقد تبرأ لزواجه: بعد انقضاء سنوات طويلة من العاطفة الصادقة. قررت «إيفا براون» بمحض إرادتها مشاطرته حياته حتى آخر المطاف. ولذا فقد أراد أن يخرجها معه في رحلته الأكبر بعد أن تصبح زوجاً له. «لقد قررت وزوجي أن نموت لتجنب عار الأسر إننا نرغب في أن تُحرّف جسناً في الموضع نفسه الذي بذلت فيه خلال اثنى عشر عاماً أكبر قسط من كدّي في خدمة شعبنا».

ومرت الساعات اللاحقة و«بورمان» و«غوبлер» مكبّان على عملية سخّ الوصيّة. أرسل إلى «دونيتز» ثلاثة ضباط يحملون نسخاً ثلاثاً: كان عليهم أن يحاولوا الوصول إلى جيش «فنك» باجتياز بحيرة «هايفيل». وقام «غوبлер» بعد ذلك بحرر ما أسماه حاشية لوصيّة الفوهرر السياسية من غير أن تخونه سلامة أسلوبه وصفاء عقله مرّة واحدة. قال إنه لأول مرّة يرفض بجزم إطاعة رئيسه. ومغادرة «برلين» للاشراك في حكومة جديدة. «فهي روبعة الحيانات التي تحيق بالفوهرر. يجب أن يبقى رجل واحد على الأقل إلى جانبه أميناً حتى الموت بولاً غير شر ووط». ولسوف أفضي بقية أيامي وأنا أعتبر نفسي خائناً حقيراً وسافلاً وضيّعاً إذا تصرفت بطريقة أخرى». وهكذا. أعلن «غوبлер»

لسا ندرى ما إذا كان «هتلر» قد علم بنهاية رفيقه. إلا أنَّ الساعات الالاسكية في ٢٨ قد عنته طعنة جديدة: فقد أفضى بلاخ من وكالة «رويتر» بأنَّ «هملر» قد حاول التفاوض. بواسطة الكونت «برنادوت». بشأن استسلام الرايخ. وذلك مقابل خلافته «هتلر». وإنجل كل شيء أمام عيني «هتلر» المذهولتين: لقد بدأ خيانة رجال الصاعقة في آذار بتخريب هجوم «بودابست» المعاكس. فتخالف «شتاينر» عن خططه ذلك الخصار عن «برلين» أمر قد تواطأ به مع «هملر». فقد سلموه لروس. هو. «هتلر». في عاصمته المحاصرة. لكي يتمكّن المساعد الماكر - الذي كان يتكلّف وهو لكونه يسمّونه «هایزرن المخلص»! - من التصرف حسب هواه. ومن الجلوس على كرسي رئيسه بتسلّم الرابية لعدو!

راح «هتلر» يبحث عن طرق انتقامه وهو محظى «بورمان» و«غوبлер». وقد دفع الثمن أحد الرهائن للحال. «نهيرمان فيجيلاين»، الذي كان يرغب في البقاء على قيد الحياة. كان قد عاد إلى منزله لبضعة أيام خلت بغية تحضير اختفائه. ولكن «هتلر» أرسل من يحضره إلى المستشارية حيث هي في حالة توقيف. إنّه القسط الأول من الشم.

كان «فيجيلاين» فارساً قدّيماً. وميزة الفرسية هذه قد رفعته إلى رأس لواء من الخيالة في «روسيا». وبعدما تزوج «برنل براون». شقيقة «إيفا». دخل حلقة الفوهرر المقربة بصفة عميل اتصال لسلاح الصاعقة. ولم يكن ضروريّاً وجود دليل على الذنب غير هذا: فالكونت شريك «هملر» أعدم في حديقة المستشارية رمياً بالرصاص!

كانت «إيفا براون» قد رفضت طلب العفو لصهرها. ولم تنتهد إلا لترثي حال عشيّتها: «يا لأدولف المسكين! كلّهم يخونونه!»

لقد طنّ دوي القصف في جحر الفوهرر. كانت المدفعية الروسية تصوّب بيرانها على المستشارية وعملاً المرات الغاثرة هدبّاً عميقاً مستعرّاً. وقد توجّب إيقاف المراوح التي كانت تمتصّ دفق الغبار والغاز القاتل. وزاد نقل النقي الجنسي والنفسي أكثر فأكثر. فلقد بقي جهاز الإرسال صالحًا للعمل. ولكن الخطّ الهاتفي الذي كان متصلًا بمركز قيادة «فورستبرغ» قد انقطع. كان رجال مناطيد «كيل» قد أطلقوا في الماء منظاداً حامل أنتينات. ولكن الإرسال كان ضعيفاً يعلم على هواه. كان الملاجأ المصنوع يتكلّم أكثر مما يتلقّى أجوبة. راح يطلب النجدة بصورة محبومة. فلم يتنّق. من خلال مراحل الصمت الطويلة. غير رسائل مشوشة ومتخاذلة. وتفاقمت الريّة حتى وصلت إلى شخص الجنرالين الأبيتين «كيل» و«جودل». فسأل «بورمان»: «ماذا تراهما يفعلان؟» كان «غرايم» ما يزال منظرّاً في مستوصف المجل. وقام الطيران بمحاولات متكرّرة لانتشال رئيسه الجديد من فخ «برلين». حاولت ٦ طائرات. توّاكيها ٣٠ مطاردة. المبوط على المحور شرق - غرب. ولكن ضباب الدخان حال دون عثورها على بوابة «براندبورغ». وأُرسلت ١٢ طائرة «بير-٥٢» من بعدها. ولكن واحدة منها لم تتمكن من المبوط. وأخيراً. في ليلة ٢٨. تمكنّت طائرة صغيرة. وهي طائرة تدريب «أرادو ٩٦». من أن تطاو الأرض سالمة. فألغى «غرايم» و«حنة رايشن» بالتأهّل للرحيل.

راح يقاومان. لأنّهما كانا راعيَيْن في البقاء. فقد وضعهما «هتلر» في حالة غيوبية. كان «غرايم» قد انصل هائلاً «بكلور» يخبره بأنَّ الاتّهّاك بالفوهرر ينبع شباب بالنسبة له. وبأنَّه واثق من تحرير



«هتلر» ينظر إلى حطام المستشارية في أواخر نيسان . إنها آخر صورة التقطت له .



«هتلر» و«إيفا براون»
أيام النصر والزهو .

شتراسي». و «ساارلاند شتراسي» و «فيلهلم شتراسي». وكانت أغاثاش المقاومة المنعزلة ما تزال تقوم بالحصار في «بانكوف» وفي «نو كولن». ولم تكن البقية الباقية من «برلين» القومية الاشتراكية غير ممر ضيق طوله نحو عشرة كيلومترات وعرضه من ٢٠٠ إلى ٣٠٠٠ متر، يتدلى في «الكلسندر بلاتز» وينتهي في جسر «بيشيلسدورف» على «المافيل». إلا أن إخماد مقاومة هذا المقلع الغريب كان يبدو مملاً. وقد ازدادت المسائر الروسية لكون المدافعين قد غدوا أكثر حذقاً في استعمال الصواريخ المضادة للدببات. وبقي «الكلسندر بلاتز» صامداً لا يتزعزع. وأما الدبابات التي برات فقد تطايرت شظايا . وفي «هالنسى» دمرت خمس دبابات «ت-٣٤» في بضع ثوانٍ على يد مقاتلين في سراويل قصيرة. عادوا إلى الانقضاض في هجوم معاكس. فاستعادوا متزلاً عتبةً وغرفةً من غير أن يأسروا أحداً. في الحرب كان المراسل في كل مكان. وراح مصور إحدى شركات الدعاية يضبط مشاهد القتال وهو ثابت البخان. وفي المجلـ المـصـنـ راح الأمل الأخير يموت بعناء. وقد أرسل إلى «فنث». في أعقاب الضبـاطـ الثالثـ حـاميـ الوصـيـةـ . ثلاثة ضبـاطـ آخرـونـ لإطـلاـعـهـ عـلـ الـوضـعـ الـراـهنـ ، ولـكـيـ يـطلبـ عـنـ أـنـهـ سـوـفـ يـبـقـيـ فـيـ «ـبـرـلـينـ»ـ حـتـىـ النـهاـيـةـ . وـأـنـهـ فـيـ حالـ سـقوـطـ «ـبـرـلـينـ»ـ سـوـفـ يـقـضـيـ عـلـ حـيـاتـ الـتيـ تـمـيـ بـلاـ هـدـفـ . وـكـانـ زـوـجـهـ تـشـاطـرـهـ قـرـارـهـ . بـماـ يـخـصـ بـهاـ وـبـماـ يـخـصـ بـأـوـلـادـهـمـ الـسـتـةـ الـذـينـ كـانـواـ عـاجـزـينـ عـنـ اـتـخـاذـ قـرـارـهـ بـأـنـفـهـمـ نـظـرـاـ لـحـدـائـةـ سـتـهمـ . إـنـهـ لـاـ يـقـلـ أـنـ يـعـيشـواـ حـيـاةـ خـارـجـةـ عـنـ نـطـاقـ الـقـومـيـةـ الاـشـتـراكـيـةـ : فـلـسـوـفـ يـعـوـتـونـ بـالـطـرـيـقـةـ نـفـسـهـاـ .

وهـنـاكـ . فـوـقـ . كـانـ القـتـالـ مـسـتـمـرـاـ . وـاسـتـؤـنـفـ التـقـدـمـ الـرـوـسـيـ بـأـمـكـانـاتـ هـائـلـةـ . وـوـصـلـ الـمـهـاجـمـونـ إـلـيـ «ـبـيـسـمـارـكـ شـتـرـاسـيـ»ـ وـ«ـكـانـ

أو شيئاً! » ورفض أن يلغي أمره. فيما كان من « كيبل » إلا أن جرده من منصبه مهدّداً إيهاب بالمحكمة العسكرية.

ولكنْ، في الغد، كان على « كيبل » نفسه أن يركن إلى الفرار بعجلة، كان الروس يقتربون من مركز قيادة « فورستينغ » حيث أسقطت طائرة « ياك » المتعلق حامل الأنثنيات! وقد قال « كيبل » فيما بعد: « لقد انتظرت حتى آخر لحظة، إذ كنت أأمل في إعادة الاتصال مع الفوهرر. وفي النهاية كان عليّ أن أهرب و « جودل ». ولقد نجينا من الروس بفارق نصف ساعة تقريباً. »

آوت مزرعة في « دوبين » حطام الأركان العامة. وقد جيء في ليل ٢٩-٣٠ إلى ذلك المكان بالذات بالأسئلة القلقة التي نصّها « هتلر » منذ ساعات. وقال « كيبل »: « لقد حضر « جودل » الحواوب خلال الليل ثم وضعه بين يدي. لقد كان فحواه على وجه التقارب، كما يلي: ليست لدينا أية أخبار جديدة عن الجيش. إن « فنك » يتقدم بصورة جديدة جداً بتجاهه الشمالي جنوبي « بوتسدام ». لم يحرز الهجوم المتصفح باتجاه « كرامبنتز » أي نجاح. إن « جناح » هاينريكي « الجنوبي » يتراجع ناحية الغرب. وقد أضفت جملة حررتها بنفسها: «إنني وضيّط أركانك العامة نحو الطرق ليل نهار لنشرج للجند ما كان يستوعب منهم من عمل. ولنشرج كذلك أهمية الوضع الراهن.. »

في الوقت نفسه تقريباً، عُقد مؤتمر في الماجلا المحسن. كان قائداً « برلين ». البطل المترم « وايدلنج »، قد وصل مرهقاً بعد سباق الحواجز الذي قاساه وسط الحراب. خلال المسافة القصيرة التي تفصل بين مركز قيادته في « مندر شتراسي » والمستشارية. وأمّا اللوحة التي رسّسها فلم تكن تسمّع بالعلق بالرّجاء، مهما كان مقداره: لقد بدأت النذيرية

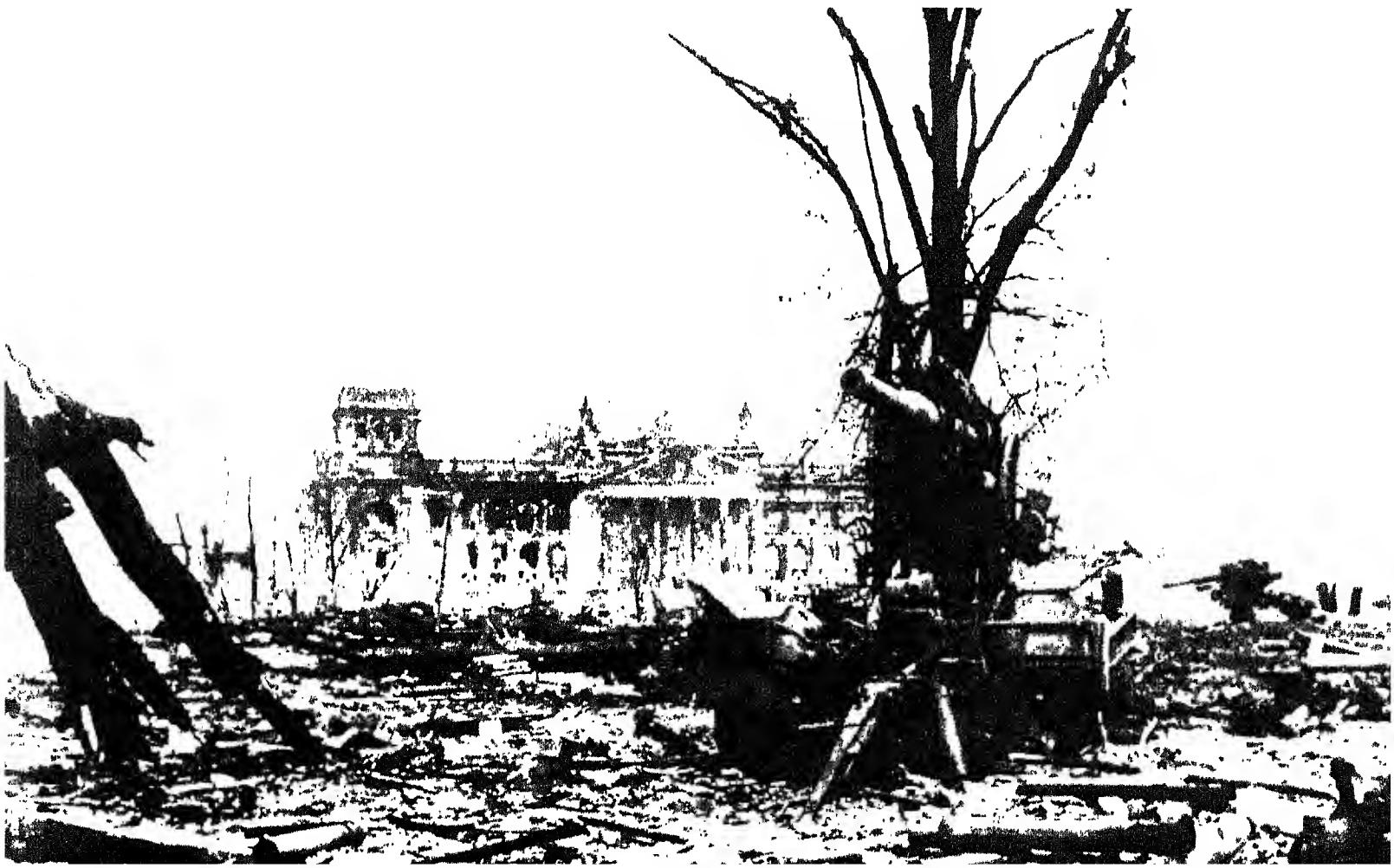
المحسّن!) قد وصل إلى بعد عشرة كلم من صاحبة « زيلندورف ». وأمّا « فنك ». الذي هاجم في ٢٧، فقد فاجأ الروس بدقة ضرباته وشدة هبّتها. وأمّا البيانات التي عُلّقت في شوارع « برلين » عن مسيرة المحرّر فلم تكن من نسيج الخيال تماماً، فلقد استولى على « بلزنغ ». ناشراً في مونخرات العدوّ فوضى كبيرة؛ واستولى على « بيليتز » حيث حرر ٣٠٠ جريحاً وأسير؛ ووصل إلى محطة السكة الحديدية في « فيرش ». وإلى « شفييف » وهي أول بحيرة من بحيرات « هافيل ». على بعد ٢٠ كيلم من « برلين ». لم تبق « بوتسدام » إلا على بعد ٥ كلم. وبعد ما دفعت الحامية العدوّ من كل صوب جاءت لتلحق بالجيش ١٢.

إلا أنّ القوات قد أدركها الوهن. وأعلم « فنك » القيادة الحربية العليا بأنه كان مرغماً على توقيف الهجوم. وتعرّضاً مروّسه « هولسي ». وهو قائد فيلق. على إيعاز الفيلد-مارشال « كيبل » بأنّ الرجال لم تبق بهم رغبة في القتال. لعلهم بأنّ دماءهم شهدوا سدى. وفي شمالي « برلين » كان الوضع أكثر تأزماً. والشقاق أكثر عثناً. « هاينريكي ». رغبة منه في إنقاذ الجيش المتصفح ٣، قد أمر « تيلكيرتش » بالعودة إلى ما وراء ترعة « فوس ». وكان هذا بمثابة التخلّي عن كلّ أمل في استئناف المسيرة على « برلين ». وهرع « كيبل » وقد كاد يغشى عليه من شدة الغضب. وفي مهبّ الريح دار بين الجنرالين خصم صاحب:

صاح « كيبل »: « إنّ واجبك تجاه الفوهرر... » فأجاب « هاينريكي »:

« إنّ واجبي تجاه جنودي... ». قال « كيبل »: « لو أنتك تفعل ما يفعله « شورفر » و « أرفنوليكت ». لو أنتك ترمي الجنود بالرصاص أو تشتفّهم. لما صررت إلى ما أنت عليه ». قال « هاينريكي » وهو يشير إلى الجنود المشردين وسط اللاجئين: « تفضل ». أعدم من شئت رمياً بالرصاص

حطام خلائقه المعركة قرب المستشارية في « برلين » .





القوات السوفياتية تقدم في العاصمة الألمانية باتجاه المجلس النيابي

جموع المدنيين. وطلع النهار يشهد من جديد معركة «برلين» ... كان ما يزال هناك بعض أعشاش المقاومة، وأكثرها ضراوة هو «هوشبنكر». وهو برج الدفاع المضاد للطيران في حديقة الحيوانات. فالميكيل الضخم الذي كان ملجاً وبطارية مدفع في آن. كان ممثلاً يجمع غفير آسن . جائع . مذعور . أصم . خبل . وقد روى أحد الجنود الذين التجأوا إليه البعض الوقت . قال : «لقد كانت لي خبرة ثلاثة سنين في الجبهة . ومع ذلك فقد كدت أفقد الروح من طنين مدفع الـ 88 داخل جدران الإسماعية . ولكن ردة فعل المدنيين حيال الأمر نفسه كانت منعدمة . في الأماكن الأخرى راح الدفاع يتلاشى ببطء . فلقد تم الاستيلاء على سردار الـ «فوشتراسي» وعلى فندق «كايزرهاوف» المتاخمين للمستشارية بعد قتال ضاري . فوق قبة المجلس النيابي المتهدّم وقف الرقيبان الروسيان «جيغوروف» و «كانثارينا» بنشران العلم الأحمر خفافاً . كانت الساعة ٢٥ ، ١٤ .

لقد تناول «هتلر» فطوره ثانية . كان جالساً إلى المائدة . في مقر الماجل الداخلي ، في الوقت الذي راح فيه سائقه «إريك كمبكا» وأربعة جنود يتقاون ١٨٠ ليرأ من الوقود التي سوف تُستخدم لإحرار جسنه وجسنه (إيفا) . ولحق «هتلر» بزوجه الشابة في الزنزانت حيث كانت قد بقيت أثناء الطعام ، ثم عاد فخرج برفقتها ، فمرّ معها من أمام «غوبنر» و «بورمان» و «كرييز» و «بورغدورف» و «ناومان» و «هيفيل» و «فوس» وبعض المرؤسين والسكرتيرات . ولم يجر في تلك اللحظة أي حديث ، بل تصافح صامت بالأيدي ليس إلا . وفي تلك اللحظة لم يبقَ الروس

تشحّ : ولم يبقَ غير عدد ضئيل من تلك الصواريخ المضادة للدبابات التي يتذرّع بفقدانها مجاهدة الدبابات ، وكان معظم العلب المعدنية التي أُلقيت ليلاً خلال عمليات الإنزال بالمتلاطات قد سقط عند الروس . ورأى «وايدلنج» أنَّ من واجبه إبلاغ الفوهرر بأنَّه لا يمكن مواصلة المقاومة بعد أول أيام . واقتصر القيام بالخروج لشقّ طريق للوصول إلى «فنث» . طالما يبقى هنا تلك بعض الرصاصات .

ورفض «هتلر» الاقتراح . إنَّ كلَّ خروج يبدو له محالاً . لم يبقَ هنا تلك غير الموت . فقد سبق فأمر بتقويم كلبته الألزايسية «بلوندي» . وهي بادرة أكيدة من بوادر الإذعان .

عند حلول الليل . صرف «هتلر» سكرياته الإناث . معتقداً لأنَّه لم يتمكّن من إعطائهم كتفه كار أخير غير غلاف صغير يحتوي على سم . آسفَاً لأنَّه لم يكن له قطَّ من الخزانات من كان بمثيل ولا نهنَّ . وبعدما علم من في قلب الأرض بهذا الحدث . علّموا تلك الظاهرة بأنَّها الإشارة الأكيدة لانتحار الفوهرر الشيش . كانوا يتظرون تلك الخامسة بفارغ صبر . كما تستطرّس نهاية تجربة يصيغ فيها الصواب . وكثيرون هم الذين ضاعوا . ويبدو بعيداً عن التصديق أنَّ الذين في المجلـ الممحـن قد شربوا وأنشدوا ورقصوا وذاقوا طعم الحبِّ أثناء آخر ليلة لهم فيه ، ولكن الشهادات قاطعة بهذا الصدد . وقد حدث الأمر ذاته في دارات «غرـونـفالـد» التي لم يمسها أذى ، وهي مقر النازيين ذوي الرتب الرفيعة . فقد حاولوا استهلاك الشمبانيا والكونياك ، ثم انتحر من كان منهم ثابت الجنان برصاصة في الرأس بينما راح أكثرهم ضعفاً يسعون إلى الاختفاء وسط



إلاً على بعد مئة متر من الملجأ المصطنع
دخل «أدولف» و«إيفا» إلى مقصوريهما. وانطلق عبار فاري. لقد
أطلق «هتلر» رصاصة مسدس في قمه. وماتت السيدة «هتلر». موتاً
صادماً بتناولها السم من غلاف. إنها الساعة ١٥.٣٠ من يوم ٣٠ نيسان.



في ٢ أيار ١٩٤٥ ، بعد انتحار «هتلر» يومين . وقف الحراس
السوفياتيون على مدخل المستشارية ،

٣٤١

فوق قبة المجلس
النابلي وقف الرقيبان
الروسيان «جيغوروف»
و«كانتاريجا» يشران
العلم الأحمر خفّاقاً..



الفصل الثاني والثلاثون
أيار - ٢١٩٤٥

خاتمة

إنَّ الضابط الروسي الذي كان يساجم «برلين» هو الجنرال «و. إ. تشويكوف». حامي ستابينغراد. ولقد أقام مركز قيادته في «شولنبرغرن» رقم ١٣ في حيِّ تمبليهوف.

إختصار دلائل إختصار دليارات

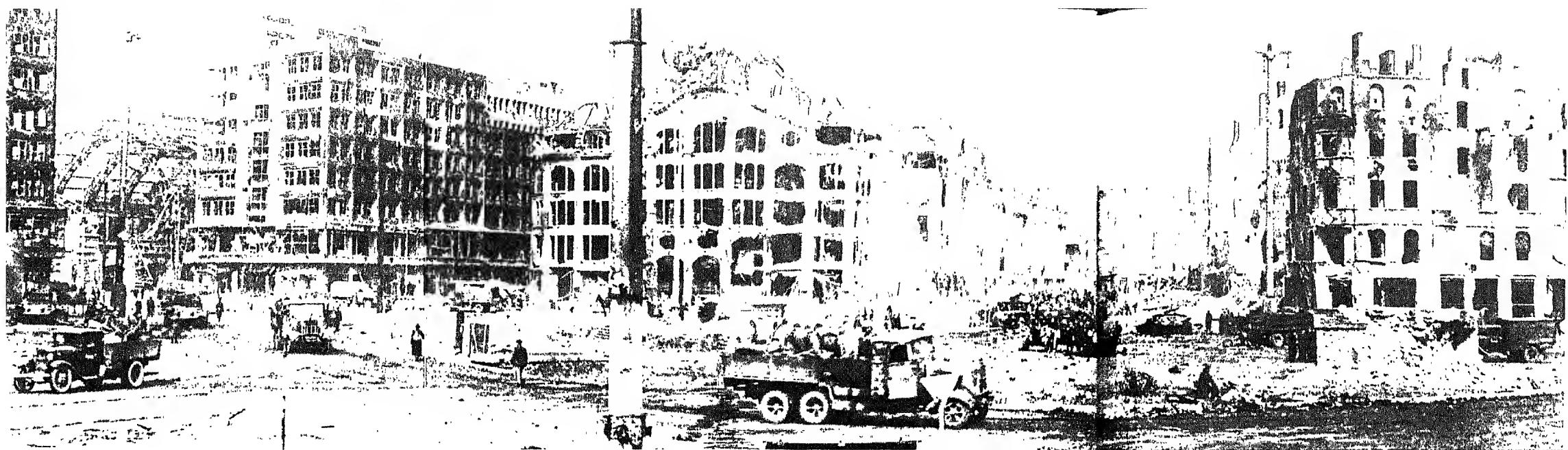
ولقد أبلغ عند حوالي منتصف ليل ٣٠ يسان أنَّ كوليوفلاً أسيباً في، أني رافعاً راية بيضاء. وهو يسأل عن المكان الذي يقدر فيه سجنaris «كريبيز». رئيس أركان الجيش الألماني العامة، اجتياز الخطوط للقائد بمهمة لدى القيادة السوفييتية. وعمد تشويكوف إلى استشارة الناشئ «جوزكوف» الذي أذن له باستقبال رسول الأعداء.

وصل «كريبيز» إلى «شولنبرغرن» في الساعة ٤ صباحاً. يرافقه دون دوفتشن، والملازم الترجمان «فاليديس». وهو ليتواني من رجال المصنعة وجندى يرفع الراية البيضاء. كان الرجال الأربع مرهقين بعد الرحلة التي قاموا بها في حجميم «برلين». طلب «كريبيز» من تشويكوف أن يقتنه على انفراد. فأجاب هذا الأخير بأنَّه لا يمكن أن يستمع إليه إلا شخص آخر كأكane العامة. فما كان من «كريبيز» إلا أن صرخ قائلاً: إنَّ لكراسة التي أحملها إليك أهمية أساسية، وإنَّ جنداً لا يعلمون مت أحمله إلىك شيئاً حتى الآن؛ لقد انصر «دولف هتلر» بعد طهور يوم أمس أجاه الروسي من غير أن يتأثر بيته. «لقد كنت أعرف ذلك وأضاف مستطرداً: «هل جئت تقدم استسلام الكامل غير المشروط، والذي يسري مفعوله بالنسبة للحملاء جميعاً؟».

قطفل «كريبيز» الكلام على الترجمان وهو مصطرب. وراح يتكلّم باللغة الروسية. قال إنه أني يطلب هدية حلبة لا أكبر. إذ لم نكن لديه آية سلطة للاستسلام باسم «المانيا». فالأخير الكبير دونيس هو خليفة الفوهرر. وهو في «شليسفيغ-هولشتاين»، وب Kissove هو، دون سواه، أن يتحدى قراراً إيجابياً. وسأعوّضه لأنَّه لم يكن هو شخصياً يكن «القوّات الغربية» أبداً اعتبار. وهي ديموقراطيات منحطة كان رأي القومية الاشتراكية فيها هو رأي الشريعة نفسه. وقال إنه يعرف الاتحاد السوفيتي، لأنَّه كان ملحقاً عسكرياً مساعدآ في «موسكو». وأنَّه قد أسف منذ البداية لقيام الحرب الروسية الألمانية. وهي ولidea سوء تناهم مشروعة. وقال كذلك إنَّ تلك كانت وجهة نظر «غولتز»، و«بورمان»، اللذين ينتظران نتيجة مهمته في المستشارية...

فاطم تشويكوف تلك المواجهة القاتلية قائلاً: أنا خاجة إلى جواب «نعم» أو «لا». هل أتيت مستسلماً؟ وبذا الرجوم على «كريبيز»، وسأل عمَّا إذا كان ممكناً أن يرسل الكوليوفيل «دوفتشن» إلى المستشارية لمشاورة «بورمان» و«غولتز». فلبي الروسى طلبه. إلا أنَّ القتال استمر بلا هدأة.

كان النهار قد طبع عندما شدَّ «دوفتشن» رحله، واستمرَّ القتال. ويفي الكابوس مقاماً. ولكنَّ هذا التغيير لا يبني بالواقع. فالروايات عن ساعات «برلين» الأخيرة متباينة جمبعها. وهي باهنة كلُّها في عجزها عن إبراز مستوى الفظاعة الذي تناول وصفه: تناول الأموات في كلَّ مكان أكداساً من كلَّ الجنسين ومن كلِّ سنٍ؛ وفي كلِّ مكان جرجي يتوصتون لكي يسمّهُ عليهم، واستمرَّ مطر الماء يهطل، وما زالت قبَّ الهب هناك. وكذلك الجموع المائة في خضمِ الاقتتالات، وصلبات أرغن «ستالين».



ساحة «الكسندر بلاتز» في «برلين».

الذى يقود إلى حديقة المستشارية . وكان هو يحمل رسماً للفوهرر في إطار من فضة كما تتحمل الأيقونات . كان هناك رجالان من رجال الصاعقة . فأدريا الزوجين تنفيذاً للأوامر التي أصدرت إليهما . ثم أُشبعتا الحشأن بالوقود وأضربت فيهما النار . ولكنهما لم تحرقا إلا جزئياً وسطحياً . ولم يكن بذلك ما يكتفى لمحو معالمهما تماماً .

في تلكلحظة كانت الساعة ١٩:٣٠ . كان ثلاثة رجال قد صمموا على البقاء في الملجأ والإقدام على الانتحار برصاصة في الرأس عندما يدخل عليهم الروس . وهم : «شيلدي» ، رئيس حرس «هتلر» ، والجنرال «كرييز» ، والجنرال «بورغدورف» ، وكان هذا الأخير قد شرب حتى الثمالة . وأمام الباقيون ، رجالاً ونساء ، فقد خرجوا جماعات برفقة المدافع عن المستشارية «مونكي» . وكان المخطط الذي رسمه «بورمان» يقضي بالوصول إلى محطة «فيلهامشترياسي» من خلال مراءب المستشارية الباطنة ، ومن ثم عبور «السبري» للهرب باتجاه الشمال الغربي . وفي جملة الذين اشتراكوا بهذه المحاولة لم يكن كثيرون قد غادروا الملجأ المحصن منذ بدء الحصار : ولقد اختنقوا تماماً عندما انتبهوا وسط المدينة المنقطعة .

مستعدين لأن يعلنوا عن اعتناقهم البولشيفية ! وراح «غوبلز» و«بورمان» ينظران في إصدار نداء للشعب الألماني لكي يعود إلى التحالف الروسي الذي عقده «هتلر» وأبطله بنفسه .

أني تقرير «كرييز» يقضى على هذا السراب . وانطلق من صادر «غوبلز» تأوه اليأس التالي : «إنها النهاية ! حين علم أنَّ الروس يرغبون عن أي نوع من المحادثات . وأنَّهم يفرضون استسلاماً تاماً وسريعاً . وأعلن الجنرال «وايدلنغ» أنَّ الإذعان كان واجباً . وببدأ «غوبلز» بالاعتراض بشدة . ثمَّ لاذ بالخنوع ، وتقطَّب وجهه في صمته وكأنَّه قد فارق الحياة . وغادر «وايدلنغ» الملجأ المحصن إلى آخر مركز له للقيادة في «القوسشترياسي» بالقرب من المستشارية . كان قد بقي لديه جهاز إرسال فريد . ولو سوف يحاول بواسطته إعادة الاتصال مع «تشويكوف» .

كانت «بورمان» رغبة في البقاء على قيد الحياة : فهيآ خروجاً ليلاً يومَ من فرار من في داخل الملجأ المحصن . وكان «غوبلز» يؤثر الموت . وراحت المشاهد التي رافقت انتحار «هتلر» و«إيفا براون» تتذكر . إنصرفت عائلة «غوبلز» عن رفقاءها ، ثمَّ قُدِّمَ للأولاد الستة شراب . بسمَّة أعداء طبس الملح . ثمَّ تسبَّب «ماحداً» و«زيف غوبلز» السلامة



حی آلمان بعد استسلام «برلین» .

وإلى الخرطوش. وإلى الشجاعة. وأمّا جماعات «فتیان هتلر» فقد أيدت عن بكرة أبيها. وقد قدر أنّه كان هناك في مستهل معركة «برلين» ٩٠،٠٠٠ مقاتل ألماني من مختلف الألواء . وقد بات جلياً أنّه لم يبقَ منهم أكثر من ١٠٠،٠٠٠ . ولكنَّ بسالتهم ومهاراتهم كانتا تصاعفان عددهم .

كانت «شارلوتبورغ» ما تزال صامدة. وكان القتال مستمراً على «كورفوريشتندام». لقد سقطت كنيسة الحامية، وكذلك فندق «إيدن». ولكنَّ من الناحية الأخرى من «بودابسترشاراسي» كانت الفرقة «مونشبرغ» نادعاً بضراوة عن حديقة الحيوانات. وفي الجوار كان «الهوشبيونكر» يطنَ بلا انقطاع. وفي الحي الحكوي احتلَّ الروس وزارة الطيران وعزلوا المستشارية، ولكنَّهم كانوا يتقدّمون خطوة خطوة. وعلى كلِّ حال لم يبقَ القتال منسقاً كما كان: فمقرَّ القيادة المركزي في «بندلشراسي» بات لا يعمل؛ وباتت الأوامر لا تبلغ القطاعات المختلفة؛ وكانت كلَّ مجموعة تقاتل لنفسها، تحاولها إلى ذلك حميّة اليأس .

وفي طريق العودة إلى الخطوط الألمانية يسمى «دوفنخ» شطر الـ «بودابستر شتراسي»، يرافقه «نايلانديس» وضابطان روسيان. وشاهد جنود النخبة في فرقه «مونشبرغ» بزات المانوية تحت الرأية البيضاء، فصاحوا «خونة!» وأطلقوا النار. جريح «نايلانديس» وقتل الروسيان. وأماماً «دوفنخ» فقد تجا بفضل تدخل ضابط ألماني أوقف إطلاق النار. وسارع إلى الهاتف فاتصل «بغوباز» الذي أمره بالعودة إلى «تشويكوف» وأصطحبه «كرين» ليفقد متفقه به نفسه.

كانت هذه الأحداث التي نسرد وقائعها باقتضاب تسير سيراً بطيئاً . كان الوقت ظهراً عندما وصل «دوغشنغ» إلى «شولنبرغرنغ» وبزته ممزقة . كان أول يوم من أيام رائعاً، حتى أن الشمس قد تمكنت أحياناً من خرق غيوم الدخان التي غطت «برلين». كان «كربيز» قد حاول استدراجه الروس إلى المناقشة مذكراً بأنّ أول أيام هو العيد المشترك للرایيخ وللاتحاد السوفيتي ». ولكن أحداً لم يرد عليه . كان النيلين في الماحا الحمد ، تتنازعه دعوة «كربيز» ، «مايكـان

اللائق. كان قد أعقب موت «هتلر» بصيغٍ «أمل»؛ فتحت أفقاً المستشارية، وتحت جثة فوهررهم، كان متطرفو القومية الاشتراكية

ما أضيعَ الأملَ ، وما أعدى القضاء ! »



التي كانت تنشر وابلاً من الحجارة الكبيرة، ومرور المطارات—القاذفات المدويـ . والمحاكم الحريةـ في زوايا الطرقـ . والمعلقون على أعواد المشانق وسط الأنقاضـ . وفي قلب جهنـم تلـكـ ، جـمـاعـاتـ منـ الرـجـالـ والأـلـادـ مـقـاتـلـونـ كـالـشـاطـئـينـ !

من اللحاق بجيش «فنك» غير بعض المتعززين . في «برلين» توقف ضجيج القتال ، فبرج حديقة الحيوانات ، وهو آخر برج في العاصمة ، قد هدمت أنفاسه ، وخرجت من الملاجئ جموع شاحبة متذهلة لاصدق أنها قد بقيت حية . وأما المشهد الذي تراءى لها فقد كان مرؤعاً: فالخراب كان أوسع مما يمكن أن يراكم من جراء سخط الأحياء؛ وكان آلاف من البرلينيين قد دُفعوا تحت جثة مدتيتهم التي ما زالت لاهبة . ولو رأيت مصير الأحياء آنذاك لوجدت أنَّ الأموات في راحتهم الأبدية كانوا أسعد حالاً : فالعناصر التي تكون الرجل الاجتماعي قد تحملت كلها ، وأنفت الممتلكات أو أنها احتُجزت لتصادر . ووصل «إيفان سيروف» ، وزير الصناعة السوفياتي ، شخصياً، لتنظيم نقل المصانع البرلينية إلى «الاتحاد السوفيتي». وقد بدأ تفكير الآلات والقتال لما يزل قائماً ، وعلى ضوء المصايير أحياناً . فلسوف يوُخذ من مختلف الصناعات البرلينية ما تراوح نسبة بين ٧٥ و ٩١ بالمئة . وما قيمته ٤ مليارات مارك؛ إلا أنَّ ما سوف يصل إلى «روسيا» لن يكون سوى حديد عتيق .

وفيما كان هؤلاء الغرقى الإفراديون يتبعون في نزع «برلين» الأخير . كان جهاز إرسال الـ «فوسشتراستي» يبث نداء متكرراً: «هذا الفيلق المفتح الألماني». إننا نطلب وفقاً فورياً لإطلاق النار . ولسوف يحضر مفاوضونا إلى «بوتسدامير بروك» بعد منتصف الليل بنصف ساعة . وستكون علامة التعرف إليهم راية بيضاء يحيط بها ضوء أحمر . نرجوكم أن تجبيوا . نحن ننتظر ...» وعاد الكولونيل «فون دوفغين» إلى الانطلاق في ظلِّ الراية البيضاء للمرة الرابعة ، وفي الساعة الخامسة صباحاً عاد إلى آخر مركز لقائد «برلين» بسيارة مصفحة سوفياتية . فصعد «وايدلنج» إليها برقة البحرتين «فيتاش» و «شميدت-دانكفارت». واجتازت مصفحة الاستسلام المهالك ، وهي تشق طريقها ، بالقرب من «أهالتر باهنوف» . عبر مجموعات من المقاتلين الشبان الذين احتفظوا بعتاد جيد ، وكأنوا يزجرون لدى مرورها من أمامهم . وكان نبأ موت «هتلر» قد بدأ يتشتت في الملاجئ وفي مواقع القتال . فلم ي يحدث أي تأثير في الجموع الغفيرة التي أصابها الوهن من جراء ما قاسته من لوعة وروع ، ولكنه قوبيل بارتيا بـ المعصبين الذين راحوا يشهرون نايمزامية والخيانة .



ألف الأسرى الألمان في أيدي الروس .

إسْتِسْلَامَاتِ الرَايْخِ الثَّالِثِ

أوشك الأميرال الكبير «دونيتر» لولا القليل أن يُختطف من مقر قيادته الآمن المريح في «برنو» شمالي «برلين». وكان قد اطمأن إلى تأكيد «كينتل» إذ قال له: إنَّ هجوماً لم ينجح في يومه الثالث مقصري عليه بالاخفاق . إلا أنَّ هاجساً قد استبد به ليل ١٩ نيسان ، فأصدر إلى ضباطه الذاهلين أمراً بإخلاء الأمكنة؛ وبعد ساعة كانت قيادة البحرية العليا قد لاذت بالفرار . ولم تمض ساعة أخرى حتى وصلت الدبابات الروسية إلى «برنو» !

يستقر مركز القيادة الجديد في «بلون» ، بين «لوبيلث» و «كيل» . وفي هذا المكان تسلّم الأميرال «دونيتر» قيادة «المانيا» الشمالية ، يساعدته المارشال «بوخ» كقائد للقوات البرية . تلقى من الأنباء ما أذهله وجعله يشعر بأنَّ مسؤوليات مفجعة قد أخذت تثقل منكيه .

كانت أولى المفاجآت وأفلتها خطورة هي خلع «غورن»؛ أما الثانية فكانت برقية صادرة عن «مارتن بورمان» تفضح خيانة «هملر» ومفاوضاته السرية . وقد خلص فيها «بورمان» إلى النتيجة التالية: «يعتقد الفوهرر أنَّك ستقتضي من الحوننة جميعهم في الحال ومن غير هوادة .»

في «شولبرغرن» وقع «وايدلنج» على وثيقة استسلام «برلين» بيد مرتحفة . ثم اقتيد إلى أحد ستوديوهات «جوهانستال» حيث خضع لتجربة عن الاختفال وحيث قرأ بياناً يشهد فيه «هتلر» بالتخلي عن أولئك الذين قاتلوا من أجله حتى النهاية .

لم تكن تلك هي النهاية تماماً . فقد كان هنالك خروج يائش قيد التحضير . ففي «شارلوتنبورغ» احتشد رهط من المقاتلين أبويا الاستسلام؛ وقام «موميرت» ، قائد فرقة «مونشبرغ» ، وهو متسرب بالدم ، ويده معلقة في ضماد إلى عنقه ، فجهز ريلاً أطلقه على جسر «سباندو» ، فاجتاز الجسر في دفق لا يُقاوم ، واندفعت في ثيابه كتلة بشرية تحت نيران المدفعية السوفياتية: جنود من تشكيلات الجيش الألماني على اختلاف أنواعها ، مدنيون يحملون أطفالاً ويهرون عجزاً ، فمرروا لهم يخوضون خليطاً من اللحم البشري ! وأما الاسم الذي دعم مقاومة «برلين» ، وهو «فنك» ، فقد عاد إلى الشفاه؛ فلسوف تجرب محاولة للاحراق به ، في مكان ما ناحية «بوتسدام» .

في «سباندو» كانت معارك عاصفة تدور حول الحصن الذي يختنه الروس . ونام اليائسون في المدينة التي بدت وكأنها مطلية بالأحمر من انعكاس حريق «برلين» ، وفي الغد ، ٣ أيار ، بات الوضع عصياً: فقد قُتل «موميرت» ، وكان المقاتلون يتعثرون بجماعات اللاجئين الذين كانوا يموتون جوعاً . إلا أنَّهم تمكّنوا من التقدّم رغم ذلك فوصلوا إلى مدينة حامية «دوبيريتز» ، فسحقتهم الطائرات والدبابات سحقاً . ولم يتمكّن منهم

لم يكن «دونيتر» رجلاً سياسياً. كان قد انزلق تحت تأثير «هتلر» المفسد، إلا أنه لا يحب «بورمان» ولا «غوبيلز» ولا «همлер». ومع هذا فقد تردد، وبدل أن يصر ب هذا الأخير في الحال ومن غير هوادة». طلب أن يقابل المتهم. وقبيل الموعد الذي ضُرب له في ثكنة قوات الصاعقة في «لوبيك». خرج من الثكنة سليماً معافي فتنفس مساعدوه الصعداء. عاد «همлер» فأعرب عن إخلاصه غير المشروط للفوهرر. وأكيد أنه ضحية لمُأمرة.

وصلت إلى «بلون» برقية أخرى مذيلة بتوقيع «بورمان». تخبر «دونيتز» بأنَّ الفوهرر قد عيَّنه خليفة له بدلًا من «غوفن»، مارشال الرابع سابقًا، وبأنَّ سلطات خطيبة ستبلغه عما قيل. وأضافت البرقية: «إلا أنت تستطيعي منذ الآن أن تتحمَّل من التدابير كلَّ ما يفرضه الموقف...» لم توضح البرقية ما إذا كان «هتلر» قد قُتل أو اعتزل مهامه مستقبلًا في النكبة كما فعل «غليوم الثاني» عام ١٩١٨.

كان «هملر» أول من أنيئ بهذا التدبير. استدعي إلى «بلون»، فأثنى بمحيط به ستة من ضباط قوى الصاعقة المسلمين. فاستقبله «دونيتر» ومسدسه موضع على الطاولة. وما تلّت برقية «بورمان» حتى امتعق لون «هملر» غضباً. وقال بحدة: «أمل أن تسمح لي بأن أكون الرجل الثاني في دولتك». لهد أنهاارت «المانيا»، وعدها زعماء الاشتراكية القومية موسعين بطابع آجال شائنة غزيرة، وهم مع ذلك يتنافسون على الحكم بضراوة رجال العصابات وطريقهم في الإخراج.

وفي عام الساعة ٤٠، من اليوم التالي، أول أيام، وردت من «برلين» برقية جديدة تثبت وفاة «هتلر»، ومع هذا لم يتبدّل الالتباس تماماً. ورد النص بالشكل التالي: «ما تزال الوصيّة قائمة. سأتحقّق بذلك حالماً أستطيع ذلك، وحتى ذلك الحين رأيي أن يُرجّح الإعلان العام. بورمان». وهكذا ما فتى الرجل مشتبهاً بخطّمه، فهو يداري وبهيء مستقبله !

أهمل «دونيتر» النصيحة التي تضمنتها البرقية، وتحدى التصرير
الذي أطلقه على موجات الأثير عن «هتلر» الذي مات في مركز قتاله .
مناضلاً ضد البوليشيفية حتى النفس الأخير . إلا أنه، لدى وصول
برقية جديدة – وأخيرة – من المستشارية، تلخصت له الوصبة وتعملي عليه
لائحة مساعديه الرئيسين، فقرر لا يقتيد بها . فالمستشار سيبكون وزير
المالية «شفيرين فون كروزيلث»، تلك الفلينية الطافية على غوارب الأموال
كلتها . لم يُشخص «الفرد شبير» بكرسي وزيري معين، إلا أنه وقف إلى
جانب الأميرال الكبير وقفه المستشار النصوح . وهكذا أقمعه باعتقاله
«بورمان» و«غوبنر» إذا تمكنا من الخروج من «برلين» .

في أول أيام استأنفت مجموعة جيوش «مونغولي» تقدماً بها بعدما توافت طوال عشرة أيام على أبواب «بريم» و«هامبورغ»، فعبرت «الإيلب»، واجتاحت غربى «مكلنبورغ». ففادر «دونيتس» «بلون»، وأنهى حتى «مورفيك» القرية من «فليتزبورغ» الواقعه على الحدود الدانماركية، وما لبث قيادة الجيش الألماني العليا أن حللت بجواره في نهاية رحله مفجع على طرقات المزيعه. كان التخدير المثلري قد بلغ لدى «كيتل» و«جودول» حدّاً من القوة راحا يرحبان معه بالهجوم البريطاني المفاجئ، وقد رأيا فيه مقدّمات الحرب التي ستتدلع بين «الغربيين» و«السوفيات». لم يكن «هتلر» قد أعلن حتى اللحظة الأخيرة أنَّ تمدد المقاومة الالمانية، التي بدلت يائسة، أريد به كسب ما يمكن من الوقت لحدوث الانقلاب المرتقب في الحالفات؟ فلا عجب إذاً أن يظنَّ ناياه أنَّ نبوته تتحقق.

بأوضح الجيوش. ففي «إيطاليا» استسلمت مجموعة جيوش «فيتنغوف» حديثاً واصعدة بين أيدي الحلفاء ما يقارب مليون أسير؛ وفي «ألمانيا» الشمالية فقدت «برلين»؛ وأشرفت جيوش الميدان كلتها على التفكك والانحلال؛ أما في «ألمانيا» الجنوبيّة فلم يكن الوضع قط ألطيف حالاً؛ فاحتل الجيش الأميركي في الثالث يُمْسِي فتح «الساكس»، واستولى الجيش الأميركي في السابع على «مونيخ» من دون مواجهة، أمّا الجيش الفرنسي الأول. فبعدما فتح «فالابية السوداء» واستولى على «شتونغارت». بلغ بحيرة «كونستانس». أيد سلاح الطيران تقريباً، وفي الجزء اليسير المتبقّي من «ألمانيا» توقف الإنتاج الحربي عملياً، نتيجة لفقدان المواد الأولية والتفضيع المواصلات الشامل. ولكن «ألمانيا» لا تزال قوية خارج «ألمانيا»؛ فمجموعة جيوش «هيلبرت» ما انفكّت صامدة في «كورلاند»؛ واحتلال «النرويج» و«الدانمارك» ما في «شاماً» كاماً؛ فيما لا تزال مجموعة جيوش «بلاسكونفيت» محفظة بالقسم الأكبر من «هولندا»، بما في ذلك «أمستردام» و«روتردام»؛ وفي «فرنسا» فتح الحلفاء مصابة «الجيروند» (يتدميرهم «رويان»)، إلا أن «دنكرك» و«كاليه» و«بوربون» و«لوريان» و«وسان-نازير» و«الروشيل»، وبالرغم من الإنكليزية-النورماندية، ما برحت خاضعة لسيطرة حاميات قوية. وتحفظ «ألمانيا» فضلاً عن هذا في المتوسط بمتلكات تمتد حتى «روس» و«كريت». أمّا في «أوروبا» الوسطى فتسيطر مجموعة جيوش «لوهر» على شمالي «البلقان»، فيما تدافع مجموعة جيوش «ارنولدبك» عن غربي «التمسا»؛ وتسيطر مجموعة جيوش «شورنر» على «تشيكوسلوفاكيا» بكمالها. وخلاصة ذلك أن ثلاثة ملايين جندي ألماني ما يزالون تحت السلاح من رأس «الشمال» إلى بحر «إيه» . فيما الرابع ذاته قد فقد !

وزاد اللاجئون هذا الوضع الغريب خطورة؛ فعددهم يقدر باللليين، وليس من يعرف كم هي – فقد تكون خمسة، وقد تكون عشرة. أدرك التقدم الروسي الكثرين، وغضطى التقدم الانكليزي – الأميركي الكثرين، ولكن كافتهم ما فنت تزداد في الأرض المتقبضة التي تحفظ بها الجيوش الألمانية، ولقد نزلت بهم خسائر وألام عجيبة. فقد وافق استئناف التحالف البريطاني قصف تناول طرقات «المانيا» الشمالية كلها فقضى على الآلاف من المدنيين، وعددهم يكفي؛ في أية حال، لإيقاد هذه الطرق المنشورة بالرصاص كل جدوى. ففضيل الأركان أنفسهم لا يتمكنون من معارضه اللجة في اتجاههم ناحية الشرق، ولا يستطيعون التخلص منها عندما تتدبهم مهمتهم ناحية الغرب. وهكذا تبين أن مواصلة القتال في مثل هذه الأوضاع لم تبق غير حماقة ظالمة مغرمة.

إذاء هذا الاستنتاج راح «دونيتر» يتأمل ما وصل إليه من ضرورة اختيار أحد أمرئين. فقد أعلن العدو، منذ موتمر «الدار البيضاء»، عن عزمه على فرض استسلام غير مشروط، ومنذ موتمر «كيبك» لم يبق يختفي عزمه على حل الدولة الألمانية برمتها، خالقاً بذلك ميلاً إلى رفض الاستسلام الذي يطلبه، وهو تحاذاً بين يديه، لا للجيش الألماني فحسب، بل «للألمانيا» عينها.

رفض الأميرال الكبير حلّ اليمس هذا، أملاً أن تبقى صرامة الموقف
الخليف البالغة نظرية، وأن يطفو هو شخصياً كرئيس لحكومة المائة لا
عنها. فليس المسلمين إذًا ، ولكنه سيعاول أن يفعل ذلك بوعي وغيره :
فأقل ما يمكن من الاستسلام إزاء الروس ، وأكثر ما يمكن منه إزاء
الإنكليز والأميركيين .

ومهما يكن من أمر فإن الأحداث قد سبّتها، وأنهار جهاز القيادة المركزي . ولم يكن استسلام «فينغوف» في إيطاليا سوى حلقة من سلسلة . فقد راحت الجيوش الألمانية في كل مكان تتخلّى من تلقائه

ذاتها عن القتال وتحاول الواقع في إسار الغربيين .

وإذ تغدر على «فنك» أن يواصل مسيرته نحو «برلين» لزم جانب الدفاع على «الماء»، حيث التقاه الجيش التاسع في ٢ أيار بعدما شق نفسه بين حشود الأعداء طريقاً مؤلماً أنت به من على ضفاف «الأودير». فامت آخر فكرة ستراتيجية «للنهر» على جمع الجيشين لسحق الروس على جدران «برلين»؛ بيد أن «هتلر» قد مات، ولم يبقَ من جيش «بوسي» إلا ثلاثون ألف هيكل عظيمٍ فقدوا حتى قدرة التخوف من الأسر السوفياتي وراحوا يتسلّطون إعياً . فحمد «فنك» إلى تنظيم مكوكٍ حديدي بغية إجلائهم نحو الغرب، فإذا هو من جديد أمام المشكلة التي قطعها عليه وصول «كيتل» إلى مقر قيادته ليل ٢٢ نيسان: ما الحيلة في نقل أكبر عدد ممكِن من العسكريين والمدنيين إلى داخل الخطوط الأميركية؟ في ٤ أيار عبر الجنرال بارون «فون إيدلشایم»، قائد الفيلق المصفح ٤٨، نهر «الإيلب» في ظل العلم الأميركي، حاملاً اقتراحته «فنك» وهي: تسليم الجيشين التاسع والثاني عشر إلى الأميركيين، فتح «الإيلب» للجراحي، والعسكريين العزل، واللاجئين المدنيين، وأخيراً المحاربين الذين سيتوّلون تغطية الجلاء ما استطاعوا أمام الرزف الروسي. قيد البارون إلى مقر قيادة الجيش التاسع الأميركي حيث استقبله «ستندال» بما تقتضي اللياقة، وقيل اقراره كلها باستثناء واحد: لن يسمح للمدنيين بعبور «الإيلب» أكثرون وفدو من «بروسيا» الشرقية، و«سيلزيَا»، والمقاطعات البولونية التي كان الرابع الثالث قد ضمّها إليه، فعمدوا إلى الرحيل وسط عواصف الثلج، فسروا ١٠٠٠ كيلم، وتحملوا من العذاب ألواناً مبرحة، مختلفين ورائهم آلاف الجثث، ولم يبق لهم إلا أن يعبروا «الإيلب» ليلقوا أعداء يرون أن الحرب لا تنقص مباديء الرحمة كلها، فإذا القرار الأميركي يعني أن «الإيلب» نهر لا يجوز عبوره !

أعاد «فنك» «إيدلشایم» إلى «ستندال» الذي أصفي إلى الاتّمام الذي أتي به بالريبة والشك. لم يفهم الضباط الأميركيون لماذا يريد آلاف المدنيين هؤلاء أن يُمْعنوا في الابتعاد عن منازلهم التي أغرقوا في الابتعاد عنها حتى الآن، مع أنَّ الحرب تشرف على نهايتها ، ورفضوا أن يغيروا رواية الفظائع الروسية أذناً مُضّغة، مرتدين في أن تكون تلك مناوره ألمانية تهدف إلى شقَّ الحلفاء. وأيّاً كانت الحال فتعلّمات الأركان الحليفة واضحة: على استسلام الوحدات المعادية أن يتّسم بسمة التسليم العسكري المحلي فحسب، وفي اعتقاد قيادة الجيش التاسع أنها تتعذر حدود هذه الأوامر ، وتعرّف بصورة غير مباشرة بالبربرية السوفياتية ، إن هي أقدمت على فتح جبهتها لللاجئين .

كان لا بد من الانهاء. فوُقعت وثيقة التسليم . طفق الجراحي، والعسكريون العزل، وموظفو الخدمات، يعبرون «الإيلب»، فيما شكلت فرقاً الدبابات ٤٨ والفيق ٢٠ رأس جسر حول «تنجر موندي» . لاحتشد على مشارف النهر آلاف اللاجئين ، وقصص المدفع السوفياتي في القريب القريب، فيما راح الطيران السوفياتي يصلِّي المخيمات نيران رشاشاته الحامية؛ فلجمَّ الكثيرون إلى النهر يختارون سباحة، أو على الواح، أو في براميل ، بيد أنَّ النار صدت أكثرهم. وشرع المحاربون يسابون بدورهم في ٧، ومع هبوط الليل عبر «فنك» في قارب تلاحقه رصاصات رشاش روسي. وهكذا انطلق ناحية الغرب ما يقدّر بـ ١٠٠،٠٠٠ جنديًّا، وبضعة آلاف من اللاجئين الذين جذبواهم في تيارهم. واستبدَّ اليأس بمن بقي منهم ، فعمدت أسر بكاملها إلى الانتحار ، أو حاولت عبور النهر مع ذلك ففاقت في بلجه .

كانت تحارب شمالي «فنك» مجموعة الجيش التي تتألف من جيش الدبابات الثالث والجيش الحادي عشر . الواقع أنَّ تسميت

«جيش» و«مجموعة جيوش» باللاجئين قد فقدتا معنيهما على غرار ما حصل في «فرنسا» عام ١٩٤٠؛ فالجنرال «فون تيلكرتش»، قائد المجموعة المؤقت، لم يستطع حتى أن يشقَّ لنفسه طريقاً عبر مدَّ اللاجئين ليذهب فريًّا أين توجد وحداته الكبيرة. فقرَّ رأيه على التسلّم ، وتقدّم هو نفسه كمفاوض، فتمكّن من الوصول إلى «غافان» قائد الفرقة الأميركيَّة ٨١ المتقدّلة جوًّا. قبلَ هذا الجنود ورفض المدنيين على غرار ما فعل «سيمبسون»، ولم تُفرِّج التوصلات المبذولة كلها بأيِّ طائل. فأنسبت أرتال مستطيلة من الجنود نحو الأسر ، فيما بقيت النساء والأطفال فريسة لليأس والقنوط .

وببدأ «دونفيتز» نفسه مفاوضاته مع الظافرين، فقد توقف ، ليل ٢ أيار، أثناء فراره نحو «فليتزبورغ»، عند جسر «اليفن سور»، على قناة «كيتل»، ليكمل الأميرال «فون فريديبرغ»، قائد سلاح البحر الأعلى . مهمة الذهاب إلى «مونتفوري»، ليقدّم له استسلام الجيش الألماني الموجودة في «ألمانيا» الشمالية كلها، ويطلب مساعدته من أجل تخفيف بوئس اللاجئين .

أُنتَ رحلة «فريديبرغ» ثاراً لفوضي المزيمة المطلقي الصلاحيَّة منذ عام ١٩٣٨ ، الذين اضطروا إلى إلقاء خصوص أممهم عند قدمي «هتلر» . رافقه في هذه الرحلة الجنرال «كيتل» رئيس أركان المارشال «بوخ» . ورئيس هيئة أركانه هو الكونتر-أميرال «فاغنر»، وواحد من الضباط يدعى «فريدل»، سدَّ اللاجئين الطرقات، وعرقلها الحطام المترافق، وأدّمها الطيران الخليف باستمرار. وإذا أدرك المفاوضون خرائب «هامبورغ» أوقفهم الحاكم العسكري «كوفمان» وأعرب عن عزمه على رميهم بالرصاص، فلم يبلغوا ضاحية «لونيونغ» حيث توقف مركز قيادة «مونتفوري» المتوجّل إلا قبيل الظهيرة . نزل «مونتفوري» من سيارته المقطورة، فأدّى الألمان التحية، فأشار إليهم «مونتي» إشارة عدم مبالغة وسأل: «من هم أولاء الرجال؟ وما شأنهم؟» باللخطوة الجليلة المهيّة .. أمّا الاستسلام المرجو فقد رفضه «مونتفوري»؛ فالجيوش المعروضة عليه تحارب ضدَّ الروس: فلتسلّم سلاحها للروس. أجاب «فريديبرغ» بأنَّ جنديًّا واحداً لن يمثل لأمر إلقاء السلاح أمامهم، لا حماقة على شرف. ولكنَّ لأنَّ الأسر لدى السوفيات يعني ضرباً من العاملة السيئة يتعذّب إزاءها الموت . وبدل أن يجيب «مونتفوري» «أدخل «فريديبرغ» إلى سيارته وأطلّعه على خرائطه، مشيراً إلى القوات الضخمة الهائلة التي ترتفع للانقضاض على ما تبقى من «ألمانيا». وإذا بالأميرال الألماني يجهش بالبكاء . ولكنَّ ساعة الغداء بدلت الجوَّ قليلاً. أشار «مونتفوري» بأنَّ يقدّم الطعام للألمان في خيمة على حدة ، وراح «فريديبرغ» يملّع الطعام بدموعه. ثمَّ استوّقت المقابلة في خيمة القيادة الكبيرة. وسط المراطئ التي لا تلين ولا ترحم . وهنا أُعرب «مونتي» عن اقتراح معاكس ، فاقترح أن تستسلم في الحال القواتُ الألمانية البرية والجوية والبحرية المتاخمة بلخيارات مجموعة جيشه ناحية الغرب والشمال، أي المقيمة في «هولندا» وفي جزر «الفريز» ، و«هيلوغلاند» ، و«شليسفيغ هولشتاين» و«الدانمارك». فلو تمَّ هذا الشرط لعوْملَ الجنود الألمان ، الذين سيتقدّمون من المراكز الأمامية البريطانية ، معاملة أسرى الحرب، فرادى أتوا أو جماعات. أمّا اللاجئون، فقد أكدَ «مونتفوري» أنه لا يستطيع أن ياذن لهم رسمياً باجتياز خطوطه . ولكنه وعد بأن ينظر في السبل التي تساعد على تخفيف آلامهم ، وقال : «لست برجل مات فيه الشعور الإنساني ...» وأعطى الدليل على ذلك إذ أمر بتعليق عمليات القصف الجوي قبل توقيع وثيقة الاستسلام .

أجاب «فريديبرغ» أنه لا يتعتّم بالصلاحيات الازمة لأمر باستسلام القواتُ الألمانية المرابطة في «هولندا» و«الدانمارك» . فتمَّ



٤ أيام ، في «لنيبورغ» : الجنرال «كينز» يوقع وثيقة استسلام الجيوش الألمانية في شمال «ألمانيا» وفي «هولندا» و«الدانمارك» . وقد وقف «مونتفورم» إلى جانبه .

الكتيكي إلى «رامس». هدوءه ورباطة جأشه، كما أعرب عما شعر به من قلق لوجوده في الطائرة ذاتها مع الرجل الذي كان روح «هتلر» الشديدة. ومهما يكن من أمر، لم يصب «جودل» بخاجا حيث أخفق «فريديبورغ»، فحاول كسب الوقت واقتصر أن يجري التسليم على مرحلتين: مرحلة تبقى فيها تحرّكات القوات مباحة، وأخرى تحظر فيها التنقلات. فأبلغه «أيزهار» جواباً فحواه أنه إذا طال انتظار التوقيع الألماني بعد. سيصدر أمراً بإيقاف الجبهة الغربية إقفالاً تاماً . وبطلاق النار على كل جندي ألماني قد يلجأ للاستسلام حتى ولو كان أعزلَ .

حين أعيت «جودل» الحيلة، وسدّت في وجهه السبيل، أبرق إلى «فليتيبورغ» عند انتصاف الليل وقال إنه لم يبق أمامه إلا واحد من حلتين: فاما التوقيع، وإما التفويض. وفي الساعة ١، ٣٠ أجابه «كينز» يقول : «إنَّ الأميرال الكبير «دونيتز» يمنحك كل الصلاحيات الازمة للتوقيع . »

كانت قاعة المدرسة المهنية قد أعدت لهذه الدقيقة المهمة التي تستسلم فيها «ألمانيا» بعد حرب دامت ٦٨ شهراً ، وفجأة صدر الأمر بسحب المصايبع الضخمة وأجهزة التسجيل. وأبلغ المراسلون الـ ٦٦ الذين استقدموا من «باريس» في طائرة ، أن عليهم أن يحفظوا «طي الكمان» نبأ الحدث الذي من أجله استُدعا ، إذ ينبغي أن يُحاط استسلام «ألمانيا» بين يدي الحلفاء الغربيين بالسرية . ولذا قرر «أيزهار» ألا يظهر في الاحتفال ، تاركاً «ليديل سميث» شرف ترؤسها ، على أن يجلس إلى يمينه الأميرال الانكليزي «هارولد م. بورو» ، وإلى يساره

الاتفاق على أن يذهب في طلبها إلى «فليتيبورغ» . على أن يُفي الأميرال «فاغنر» والجنرال «كينز» في مقر القيادة الانكليزية . وعُينت الساعة ١٨ من ٤ أيام موعداً أقصى للتوقيع على الاتفاقية .

جرت أثناء ذلك مداولات هامة في «فليتيبورغ» . فقد استدعي «دونيتز» السلطات المدنية الرئيسة فيها وال العسكرية من الأرض التي ما زال يشرف عليها الجيش الألماني . فأقبل «سيس-إنكارت» من «هولندا» . و«تيربورن» والجنرال «بوهم» من «الدانمارك» . والجنرال «فورتش» رئيس أركان مجموعة «الشمال» من «كورلاند» . و«فرانز» والجنرال «فون ناتزمر» . رئيس أركان مجموعة الوسط . من «تشيكوسوفاكيا» . وأقر الجميع بأنَّ الوضع ميؤوس منه . فأفاد «سيس-إنكارت» أنه قد بدأ بعض المفاوضات . وأعلن «فرانز» أنه يبحث مع سياسي «براغ» البورجوازيين أمر تسلمهن زمام السلطة واستدعائهم القوات الأميركية . غير أنَّ «ناتزمر» أعلن أنه لا يستطيع أن يضمّن موافقة رئيسه . المارشال «شورنر» ، الذي قد يقرر الدفاع عن نفسه في المربع البوهيمي حتى النفس الأخير .

عاد «فريديبورغ» عند نصف الليل متყع اللون منهوكاً ، فاستونق بعث الشروط التي جاء بها أمام «كينز» و«جودل» و«شفيرون» . تردَّ الأميرال لحظة أمام ضرورة تسليم السفن كاملة سليمة . ثمَّ ما لبث أنَّ رضخ فخول «فريديبورغ» سلطة توقيع استسلام جيوش الشمال كلتها . ثمَّ طلب منه أن يواصل مهمته حتى «رامس» ليعرض على الأمير كينز استسلاماً مماثلاً للجيوش الأخرى .

ولما حانت الساعة ١٨ من يوم ٤ أيام مثل «فريديبورغ» من جديد أمام سيارة «مونتفورم» ، فطرح عليه هذا سؤلاً واحداً : «نعم أم لا؟» فأجاب الألماني : «نعم» ولم تمضِ عشرون دقيقة حتى أكتب بوقع وثيقة التسليم أمام مراسلي الصحف والمصورين وعدسات السينما وأجهزة الإذاعة . عاد بعد ذلك إلى «فليتيبورغ» على من طائرة انكليزية ، وفي الخد أغلقت به من هناك طائرة ألمانية تقله إلى «رامس» .

تبعدت حالة الجنوبي فاضطر «فريديبورغ» إلى المبوط في «بروكسيل» لمواصلة رحلته إلى «رامس» في سيارة ، فوصل عند العصر وبرفقته الجنرال «كينز» وكولونيل يدعى «بوليك» . فاستقبله «ليديل سميث» استقبالاً يجعله يأمل في الحصول على تفهمه صامت كالذى لقيه لدى «مونتفورم» . وسرعان ما خاب فإله عندما عاد «سميث» من اجتماعه «أيزهار» : كانت الشروط غاية في الشدة والقساوة ، فلا بدَّ لوثيقة التسليم من أن تناول توقيع الجيوش الألمانية كلتها، ولا بدَّ من أن تُعقد مع «الروس» كما تُعقد مع الغربيين . ومنذ اللحظة التي تدخل فيها هذه الوثيقة حيز التنفيذ، يعتبر الجنود الألمان أسرى حيث هم، ولن يحق لهم بعد ذلك التحرّك قيد أملة . تحت طائل الخروج على أنظمة الحرب . فاشتهد «فريديبورغ» بالتنازلات التي حصل عليها من «مونتفورم» ، فأجاب «سميث» بأنَّ ما جرى في «لنيبورج هيد» تسليم تكتيكي، وأنَّ ما يجري في «رامس» تسليم شامل . ولم يعرب عن اعتراض «أيزهار» الشديد من موقف «مونتفورم» . والحق أنه، على حد قول مساعدته البحري «باتلر» ، قد ظلَّ مطروقاً يفكّر طوال وقت الغداء، ويسأله نفسه عن الوضع الذي قد يتورّط فيه فيما لو قبل التسليم ورفض الروس أن يعترفوا به .

ولما حُتم على «فريديبورغ» من جديد أن يجيب بلا أو نعم حصل على فرصة استشارة «فليتيبورغ» . فذهب «كينز» وقدّم تقريره . فقرر «دونيتز» إرسال «جودل» في محاولة أخرى . لم يكن اختياره كثير الديبلوماسية ، ولكنَّ «جودل» كان جلداً متين الأعصاب . وقد لحظ «فرنسيس دي غنفاند» ، الذي قاده من مركز قيادة «مونتفورم»

الحرال الروسي «إيفان سولوباروف». وهو رئيس مفرزة اتصال ويكمل الناحية الحليفة من المائدة طيار أميركي وطيار انكليزي هما «كارل سباتز» و«ج.م. روب» والحرال الانكليزي «فريدرريك مورغان». وأخيراً بالحرال الفرنسي «فرانسا سيفيز» الذي دعي في اللحظة الأخيرة. وجلس في الناحية المقابلة «جودل»، و«فريديبورغ». والميجر-حرال «فيلهلم أوكتينيوس» الذي استقدم لتمثيل سلاح الطيران الألماني. جرى كل شيء خلال بعض دقائق عقب تصريح «بجودل» قال فيه إن الشعب في «رامس» بعثابة تنازل جديد أمام «ستالين». وبيدو أن غضبته قد أقت بالأركان الحليفة في حالة من الذعر المريع. فبادرت تعلن أن الاحتفال الحقيقي إنما سيجري بعد يومين، في «برلين». وسط جوشة المظفرة. ولقد علم العالم الغربي بحقيقة الأمر، وذلك بفضل الخبراء المدنيين التي تحلى بها مراسل «الآسوشياتد برييس»، «ادموند كندي»، الذي تحدى المحظوظ وخدع القراية. إلا أنه يجب من جنراليسيم الغرب، «دوايت د. آيزنهاور». من المبادرة إلى «برلين» ليلعب الدور الثاني وراء المارشال «جووكوف». فقد قال «باتلر»: «اعتبرت هيئة أركان «أيلك» المطلب السوفيتي عملاً دعائياً، ولما كان رئيس الوزارة قد أعرب عن معارضته. رضخ «أيلك» مكرهاً. كان بروه أن يشاهد «برلين»، وأن يجتمع بالروس. كانت «برلين» ما تزال طعمة للنيران، هرّ خرابها انفجارات صادرة عن مستودعات الذخيرة أو عن بعض القنابل الحليفة التي لم تتفجر، والتي راح الحريق يفجرها. أُخضعت طائرات التقل القادمة باللوند الغربية لنذابير ومعاملات دقيقة. وواكبتها المطارات السوفييتية حتى مطار «تبلهوف» وقد انتزفه حطام المعركة. أثار تحليق الطائرات فوق العاصمة المدمّرة ذهول الغربيين مع أنهم كانوا قد أعدوا له. واقتادهم الروس في انعطاف كبير حتى «كارلشورست»، وهو ربض بعيد سلم من التدمير إلى حد ما، ودعى السكان إلى التواري من على جوانب الطرق؛ أما السير فقد أشرف عليه نساء قد ارتدين التنانير القصيرة وأخذن بتحريك أعلام السير الصغيرة الحمراء والصفراء بهارة الأجهزة الآلية، وبدا الجند الذين أوقفوا على المفارق حسني المظهر. ويظهر أن «دي لاتر»، الذي لم يكن وصوله متوقعاً ولا مرغوباً فيه، قد عمد إلى طريق أخرى، إذ تحدث وحده عن «تلك الصحف الباشة التي انتظم فيها نساء وأطفال وشيوخ قد استولى عليهم الذهول، أرقاً لا تنتهي، وفي أيديهم أوعية من كل نوع أرادوا ملأها ماءً من العيون العامة وأفواه المواتير الخاصة بالحرائق». ولحظ كذلك متناقضات الجيش الأحمر. «وارث العربات الطويلة الضيقة القابعة فوق عجلات عالية جداً يقودها جنود أزرياء الملبس، قد اعتنروا طاقيات الأسراخان، وألقوا بالحرامات العتيقة على أكتافهم...».

أما اشتراك الحرال الفرنسي بالاحتفال فقد أثار بعض الاحتكاكات الحدية. كان جشه. بعدما احتل «الغاية السوداء»، قد انعطف حول بحيرة «كونستانتس» ودخل «النمسا» فاستولى على «بريمتر» و«فيلد كيرتش» الواقعتين على طريق «البريز». وفيما «دي لاتر» في «لنزو» أبلغه الحرال «ديغول» تفويضاً يكلّفه «بالاشتراك بالتوقيع على وثيقة الاستسلام الرسمية في «برلين». وافت الأركان الحليفة على ذلك وقدّمت الطائرة، ولكن الروس بدأوا بإثارة الصعبوبات، فإذا «بدي لاتر»، ورفيقه الكولونيل «ديميتر» والكابتن «بوندو»، يخصّصون بثلاثة فرش من القش في قاعة مشتركة؛ وعبيداً حاولوا الوصول إلى المارشال «جووكوف» أول الأمر. وفجأة ألان «موسكو» موقفها، ولا تزال الظروف والاعتبارات التي دعت إلى ذلك مجهرة. جرى الاتفاق على أن يوقيع على وثيقة التسلیم المارشال



الmarshal
«جوکوف»
يوقع ، وإلى
يمينه «فيشنفسكي».



الجنرال «بيدل
سميث» يوقع
عن «أميركا» .



الجنرال «دي
تاسيني» يوقع
بصفته شاهداً .



الmarshal
«كيلتل»
يوقع .



الاميرال «فون
فرييدبورغ» يوقع
عن القيادة
الألمانية .



استسلام «ألمانيا» في «رامس» ، في 7 أيار ١٩٤٥ . ويدو من الخلف ،
من اليسار إلى اليمين : الأميرال «فون فرييدبورغ» ، والجنرال
«جودل» ، والمajor «أوكسينيروس» ، وقد جلسوا قبالة ضباط الحلفاء.

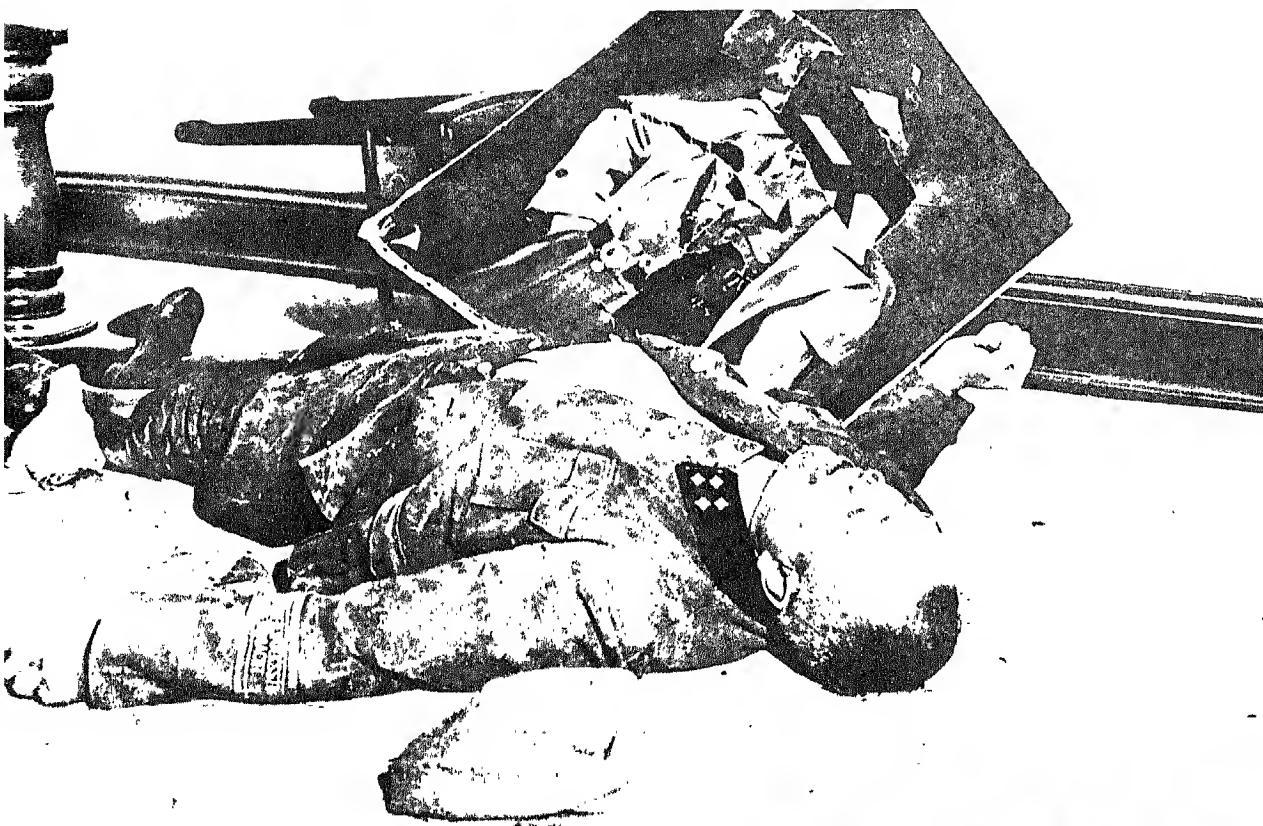
المفرزة التي كانت قد بلغت «براغ» . تلقى الثوار عوناً من نوع غير متظر. كان «هتلر» قد قرر في الفترة الأخيرة السماح بتأليف جيش باسم «فلاسوف». وأمكن تجهيز فرقاً واحدة من فرقه هي التي وصلت إلى «براغ» بقيادة الجنرال الأوكراني «بونتشنوكو»؛ وببدل أن تcum مع الفرق الثورة انضممت إليها. فشهدت الزيارات الألمانية تحارب براتات ألمانية أخرى. أقبل «فلاسوف» نفسه على جناح السرعة. وبعد ما سحق الحامية الألمانية قاد ما يقارب ١٠٠٠٠٠ من جنوده إلى الخطوط الأميركية. فأمر «باتون» بمعاملتهم معاملة أسرى الحرب. إلا أنهم سلّموا إلى الروس فيما بعد. وعلى رأسهم «فلاسوف» نفسه.

علم «شورنر» الواقع التسليم وهو في مقر قيادته في «جوزف شتاد»، الواقعة في جبال «السوديت». وكان تحت إمرته ثلاثة جيوش سليمة كاملاً هي الثالث . والسابع . وجيش الدبابات الرابع . أي ما مجموعه ١٠٢٠٠٠ رجل . كان قد طار إلى «هتلر» . قبل حصار «برلين»

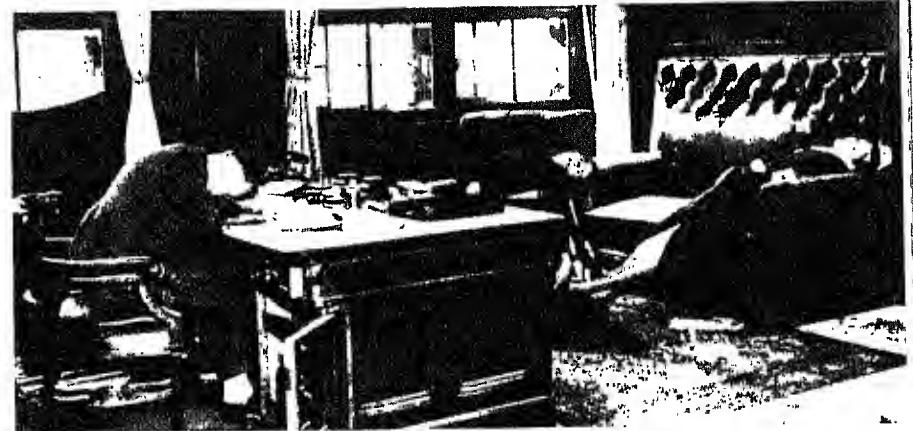
من اليسار إلى اليمين : «مونتفوري» ، «أيزنهاور» ، «جوکوف» ،
و «دي لاتر دي تاسيني» .



صاحب ألماني
وُجد متعرّضاً في
«ليزيغ» وأمامه
صورة «هتلر» قد
شُوهدت.



انتحر حاكم
«ليزيغ» وزوجه
وأولاده بالسم.



يوقت فصير . محاولاً أن يعود به إلى «المربع البوهيمي» واعداً إياه بدفع مستيميت . ولكنـه . فضلاً عن ذلك . دبر أمر موخراته الخاصة ! فما علم بأنـ كلـ شيء قد اقضى حتى ارتدى ثيابه المدنية . داستـ في جيـه ما جمعـه من الأوسـمة المرصـعة بالـلـاسـ . واستـقلـ طائـرـته الخاصة مـيـسـماً شـطـرـ مـسـقط رـأسـه «بـافـارـياـ». حيثـ كانـ قد هـيـأـ لنـفـسـه خـلـوةـ اذـخـرـ فيهاـ مؤـنةـ سـنةـ . إلاـ أنـ بعضـ الفـلـاحـينـ وـشـواـ بهـ . فـسـلـمـهـ الأـمـيرـكـيـونـ إـلـىـ الـرـوـسـ الـدـيـنـ أـطـلقـواـ سـرـاحـهـ بـعـدـ سـنـوـاتـ . بـعـظـاـهـرـ منـ التـكـرـيـمـ وـالـحـفـاوـةـ بـلـغـتـ حدـاـ حـمـلـ «فالـترـ أولـبرـينـتـ» عـلـىـ أـنـ يـنـظـمـ لـهـ استـقـبـالـ خـاصـاـ فيـ «برـلـنـ» الشـرـقـيـةـ . إلاـ أـنـ عـدـدـ قـبـيلـاـ جـدـاـ مـنـ جـنـودـهـ قـدـ أـفـلتـ مـنـ الـمـسـكـراتـ السـوفـيـاتـيـةـ .

قسمـتـ حـكـمـةـ «فـلـيـزـ بـورـغـ» الطـيفـ صـفـوفـ الـحـلـفاءـ . فـيـنـاـ رـأـيـ فـيـهاـ «تـشـرـتشـلـ» «أـدـاءـ نـافـعـةـ» وـوـدـ الـاحـفـاظـ بـهـ . قـلـقـ «أـيـزـهـاـوـرـ» مـنـ اـسـتـعـادـاتـ «دوـنيـتـ» المـاـوـةـ لـلـسـوـفـيـاتـيـةـ . خـاصـةـ بـعـدـمـ نـقـلـ إـلـىـ الـغـرـبـ الـعـلـمـاءـ الـأـمـانـ الـذـيـنـ كـانـ الـرـوـسـ بـيـحـثـوـنـ عـنـهـمـ . وـالـذـيـنـ أـرـادـهـمـ أـنـ يـصـبـحـواـ وـاطـنـيـنـ أـمـيرـكـيـنـ . اـعـتـقـلـ «كـيـتـلـ» أـولـاـ، وـفيـ ٢٢ـ أـيـارـ اـسـتـدـعـيـ الأـمـيرـالـ الكـبـيرـ بـرـفـقـةـ «جـوـدـلـ» وـمـسـاعـيـهـ إـلـىـ مـنـ السـفـيـنـةـ «بـاتـرـياـ» . الـتـيـ كـانـتـ ، فـيـ مـيـنـاءـ «فـلـيـزـ بـورـغـ» . مـقـرـاـ لـهـيـةـ الـمـراـقبـةـ الـخـلـيقـةـ . أـرـسـلـتـ الـأـركـانـ الـخـلـيقـةـ الـخـنـزـالـ الـأـمـيرـكـيـيـ «روـكـسـ» فـأـمـرـ باـعـتـقـالـهـمـ . فـرـتـبـ عـلـىـ الـأـمـيرـالـ الـكـبـيرـ وـضـبـاطـهـ أـنـ يـنـزـلـوـ سـرـاـيـهـمـ لـيـخـصـعـوـ لـمـاـسـيمـ الـتـفـيـشـ الـجـسـديـ . وـهـيـ . لـعـمـريـ ، إـهـانـةـ رـمـيـةـ ! «فـلـمـانـيـاـ» لـمـ تـهـزـمـ فـحـسـبـ . بـلـ فـقـدـتـ كـلـ كـيـانـ سـيـاسـيـ . وـحـىـ كـلـ صـفـةـ قـانـونـيـةـ . لـمـ تـهـزـمـ فـحـسـبـ . بـلـ لـقـدـ أـبـيـدـتـ بـكـلـ مـعـنـيـ الـكـلـمـةـ !



«غـوبـلـزـ» بـعـدـ اـنـتـحـارـهـ .

أـسـرـ «دوـنيـتـ» ، وـ «شـبـيرـ» ، وـ الـخـنـزـالـ «جـوـدـلـ» ، فـيـ «فـلـيـنـسـبـرـغـ» .



إِسْتِعَادَةُ "مَانِيَّلاً" - اِحْتِلَالُ "إِيُو وَجَيْمَاً" - "الْيَابَانُ" فِي وَضْعٍ يَائِسَّ

للغاية. ففي كانون الأول لم تتمكن قافلة واحدة من الدخول إلى خليج «مانيلا». فقدت حصص الجنود اليابانية من ثلاث ليارات أرز إلى ليرة واحدة. وعرفت «الفيليبين» حرباً أقسى. وفي المعسكرات كان الأوروبيون الأسرى، عسكريين ومدنيين. يموتون خوراً.

كان مخطط الغزو الأميركي في الميدان منقولاً تماماً عن مخطط الغزو الياباني. فقد نزل الجيش الأميركي الرابع في خليج «لغاین» عليه، ذلك الذي شهد انتقام جيش إيزارال «هوما» الياباني في ٢٢ كانون الأول ١٩٤١. فالخليج هو المنفذ البحري للذك المخض الداخلي الكبير الذي يحصر الغنى ويجمع خطوط المواصلات. وكما كان الأمر بالنسبة لليابانيين في زمانهم، كان الأميركيون قد أعدوا العدة لمجوم تكميلي جنوبي «مانيلا» أُسند إلى الجيش الثامن، بقيادة اليوتان-جزر روبرت لـ إيشيلبرجر.

ولم تتصد للزروع في خليج «لغاین» عقباتٌ جديدة. وعلى الرغم من تقليد الأميركيين اليابانيين، حلت اليابانيين مفاجأة تامة. قات طائرات «الكاميكازي» الانتحارية بتدمير بعض السفن، ولكنها لم تستمر طويلاً، لا للاقتار إلى المطوعين، بل للاقتار إلى الطائرات! ومنذ عشية ٩ أُنزل إلى البر ١٠٠،٠٠٠ رجل من الفيلقين ١ و ١٤، وهكذا يقي رأس البحر متوصلاً. وفي غضون الأيام اللاحقة لقى الهجوم طبقات من الدفاع أعنف فأعنف. كان في نية «ماك أرثر» أن يبلغ «مانيلا» بعد مرور خمسة عشر يوماً على التزول الرئيس، وإذا به، في ٢٧ كانون الأول، قد أتم توجهه أخذ مطار «كلاركفيلد» الواقع في منتصف الطريق!

في ٣١ كانون الثاني نفذ الهجوم الثاني في خليج «نا كوغبو». كانت المقاومة اليابانية تافهة، وقد راحت الفرقـة ١١ المقولة جوًّا تقدم سريعاً باتجاه «مانيلا» عبر منطقة جبلية. وعندما بلغت منها الحواشي الجوية أقبل الفيلق ١٤ من الناحية المقابلة، وكان من شأن انتصاراته فوج الخليفة ٨ أن حرر الأسرى الـ ٣،٥٠٠ الذين كانوا محتجزين في جامعة «سانثو توماس»، والذين كانوا هياكل عظمية تکاد تشبه هياكل ضحايا «بوشنفالد». وبعدما تم الاستيلاء على «كلاركفيلد» بدأ المقاومة اليابانية بالزوح فجأة. وعـدا بيسور الأميركيين أن يتقـدموا سريعاً باتجاه العاصمة.

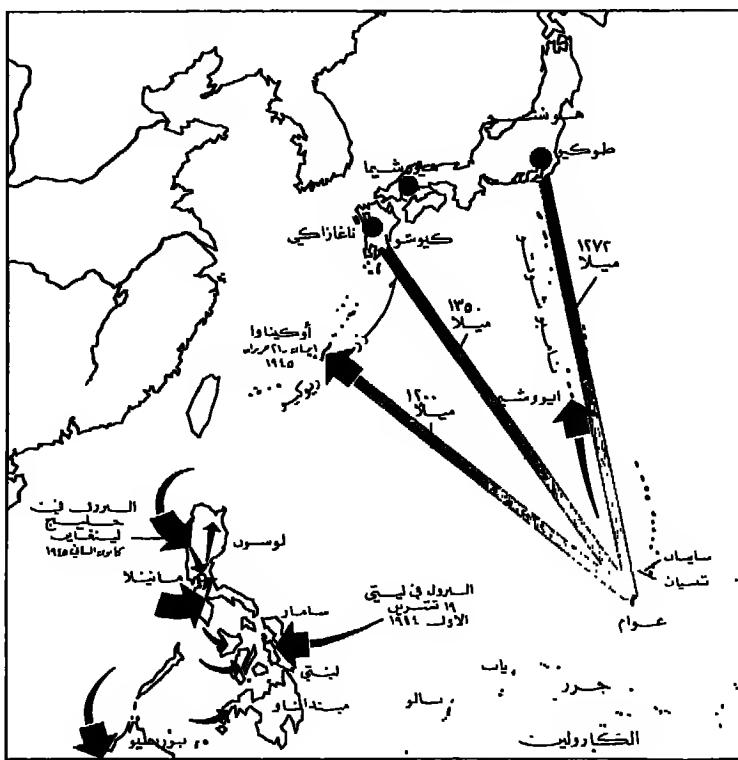
كان فيلق «ماك أرثر» ٩ متأهلاً للعمل. فألقى به على شبه جزيرة «باتان» بغية التعجيل في فتح خليج «مانيلا». فعاد الجيش الأميركي إلى ساحات قتاله المشوّعة عام ١٩٤٢، والجاج الذي لم يعرف كيف يدافع عنها. وسـفح جبل «فاتيب» المدغـلة التي تلقت صدمة المحاربين الصفر وهم في نشوة انتصارـهم. ولكن الظروف قد تغيرـت بصورة مدهشـة: فقد جاءت تعـاضـدـ السـطـوةـ وـتوـاعـ السـلاحـ طـاقـةـ قـاتـاليةـ ولـيـونةـ فيـ التنـظـيمـ جـعلـناـ منـ الجـيشـ الـأمـيرـكيـ الفتـيـ أـداـةـ حـربـ هـائلـةـ. ولمـ يـكـلـفـ التـزـولـ الجـديـدـ ولوـ رـجـلاـ واحدـاـ، فـفـزـلـتـ شـهـيـةـ جـزـيـرةـ «باتـانـ» بـسـرـعـةـ. وأـجـرـىـ الفـيلـقـ ٩ـ اـتـصالـهـ بـعـيـنةـ الفـيلـقـ ١٤ـ الـيـ كـانـ فـيـلـقـهاـ يـعـشـيـ الجـبـ الـأـيـسـرـ فيـ وجـهـ حـشـدـ الـعـدوـ الرـئـيـسـ، أيـ مـجـمـوعـةـ «شـوبـوـ»ـ، مـحتـلـاـ الجـبـ شـمـاليـ الجـزـيـرةـ. وهـكـذاـ طـوـقـتـ «مانـيلاـ»ـ بـكـاملـهاـ.

هـنـالـكـ روـابـطـ عـاطـفـيـةـ مـيـتـيـةـ كـانـتـ تـشـدـ «ماـكـ أـرـثـرـ»ـ إـلـىـ «مانـيلاـ». كانـ يـقـولـ: «ـوـالـدـيـ قدـ اـنـتـصـرـ فـيـهـاـ، وـفـيهـاـ تـوـفـيـتـ وـالـدـيـ. وـخـطـبـتـ وـدـ زـوـجيـ، وـوـلـدـ اـبـيـ...ـ»ـ كـانـ قدـ قـرـرـ أـخـذـ الـمـدـيـنـةـ سـلـيـمـةـ مـنـ الـأـضـرـارـ. فـحـظـرـ عـلـىـ الطـيـرانـ وـالـمـدـفـعـيـةـ أـنـ يـقـصـفـاـهاـ. وـكـانـ «ـيـاماـشـيـتاـ»ـ مـنـ جـهـتـهـ قدـ

لـقـدـ وـضـعـتـ حـربـ «ـأـورـوباـ»ـ أـوـ زـارـهـاـ. وـاسـتـمـرـتـ حـربـ «ـآـسـياـ»ـ. فيـ بـدـاـيـةـ ١٩٤٥ـ كـانـ وـضـعـ «ـالـيـابـانـ»ـ مـاـ يـزالـ مـهـيـأـ فـرـقـ الـخـارـطةـ: فـقدـ بـقـيـتـ مـمـسـكـةـ بـأـجـزـاءـ شـاسـعـةـ مـنـ الـقـارـةـ الـآـسـيوـيـةـ: «ـكـورـياـ»ـ، «ـمـشـورـيـاـ»ـ، شـمـالـ «ـالـصـينـ»ـ بـكـامـلـهـ. وـبعـضـ أـلـسـنـةـ مـنـ الـأـرـضـ هـامـةـ فـيـ الـجـنـوبـ: «ـالـمـسـنـ الـصـينـيـةـ الـفـرـنـسـيـةـ»ـ، «ـمـالـيـزـيـاـ»ـ، «ـتـايـلـانـدـ»ـ، وـنـصـفـ «ـبـرـماـنيـاـ»ـ. وـفـيـ «ـآـسـياـ»ـ شـبـهـ الـجـزـيـرـيـةـ كـانـتـ ماـ تـرـازـ تـمـلـكـ «ـالـمـسـنـ الـمـارـلـنـيـةـ»ـ بـكـامـلـهـ، وـفـيـ «ـالـفـيـلـيـنـ»ـ كـانـتـ «ـلـيـبيـ»ـ هيـ الـجـزـيـرـةـ الـهـامـةـ الـوـحـيـدةـ الـتـيـ اـنـتـزـعـتـ مـنـهـاـ. وـفـيـ مـاـ عـدـاـ ذـلـكـ اـقـصـرـ جـدولـ الـمـتـلـكـاتـ الـمـفـوـدـةـ عـلـىـ «ـغـيـبـاـنـ الـجـدـيـدـ»ـ، وـجـزـرـ «ـسـلـيـمانـ»ـ وـ«ـمـارـشـالـ»ـ وـ«ـجـلـبـرـتـ»ـ وـ«ـمـارـيـانـ»ـ، وـعـلـىـ جـزـهـ مـنـ «ـبـرـماـنيـاـ»ـ. كـانـ «ـالـيـابـانـ»ـ قدـ تـخلـصـتـ عـنـ بـعـضـ الـمـخـافـرـ الـأـمـامـيـةـ، لـكـونـهـاـ قدـ اـنـتـقلـتـ مـنـ وـضـعـ هـجـومـيـ إـلـىـ وـضـعـ دـفـاعـيـ، وـلـكـنـ، بـعـدـ اـنـقـضـاءـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ عـلـىـ دـخـوـلـ الـحـربـ، بـقـيـتـ الـإـمـپـاطـرـيـةـ الـتـيـ شـيـدـهـاـ سـلـيـمـةـ فـيـ جـوـهـرـهـاـ.

فـيـ ٩ـ كـانـونـ الثـانـيـ عـادـ الـهـجـومـ الـأـمـيرـكـيـ إـلـىـ الـأـنـطـلـاقـ. وـهـنـاـ اـنـتـصـرـ «ـماـكـ أـرـثـرـ»ـ فـيـ قـضـيـتـهـ مـرـةـ أـخـرىـ. كـانـ الـأـمـيرـالـ «ـكـنـغـ»ـ يـرـغـبـ فـيـ مـجاـوزـةـ «ـالـفـيـلـيـنـ»ـ لـمـاهـجـمـةـ «ـفـوـرـمـوزـ»ـ مـباـشـرـةـ. وـفـيـ وـجـهـ هـذـهـ الـحـجـجـ الـسـترـاتـيـجـيـةـ عـرـضـ «ـماـكـ أـرـثـرـ»ـ مـجـدـاـ حـجـجـهـ الـعـاطـفـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ، قـالـ: «ـإـنـ اـسـتـرـ جـاعـ «ـالـفـيـلـيـنـ»ـ بـكـامـلـهـ هوـ وـاجـبـ قـوـيـ ضـرـورةـ سـيـاسـيـةـ. فـمـجاـوزـةـ أـيـةـ جـزـيـرـةـ، أـوـ جـزـرـ كـلـهـاـ، قدـ تـقـضـيـ عـلـىـ الشـرـفـ الـأـمـيرـكـيـ وـسـطـوـهـ فـيـ الـشـرـقـ الـأـقـصـيـ، أـوـ لـرـبـعـاـ فـيـ بـقـيـةـ أـخـاءـ الـعـالـمـ كـلـهـ. وـانـضـمـ الـأـمـيرـالـ «ـلـيـبيـ»ـ وـ«ـالـأـمـيرـالـ «ـنـيـمـيـزـ»ـ إـلـىـ تـلـكـ الـنـظـرـيـةـ، فـقـرـرـ اـجـتـياـحـ «ـلـوسـونـ»ـ، وـهـيـ جـزـيـرـةـ «ـالـفـيـلـيـنـ»ـ الـرـئـيـسـةـ.

كـانـ غـازـيـ «ـسـنـغـافـورـةـ»ـ، «ـيـاماـشـيـتاـ»ـ، يـقـومـ بـالـدـافـعـ عـنـ تـلـكـ الـجـزـيـرـةـ. وـكـانـ قـوـاتـهـ تـبـلـغـ عـشـرـ فـرـقـ تـقـرـيـباـ، أـيـ مـاـ يـواـزـيـ ٢٦٢،٠٠٠ـ رـجـلـ. فـكـانـ مـنـ شـأـنـ الـحـصـارـ الـبـحـرـيـ وـالـبـلـوـيـ أـنـ يـجـعـلـ عـلـىـ مـلـكـ الـعـمـلـيـاتـ التـمـوـيـنـ صـعـبةـ أـوـ أـخـرـ الـعـمـلـيـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ ضـدـ «ـالـيـابـانـ»ـ.

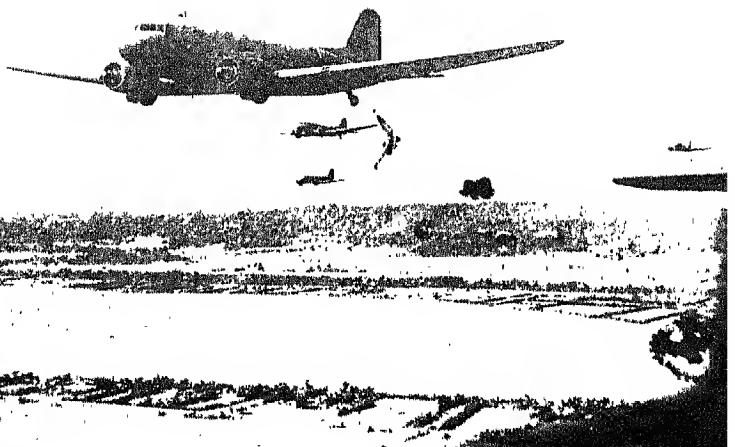


اعترض التحالف عن حمايتها بسبب محيط دائرة الشاسع البحب. إلا أنَّ الجيش والبحرية اليابانيين خصمان. فرفض الأميرال «أوكوشى» أن يذعن لقرار الجنرال الأعلى. فأمر الأميرال «إيوابوشى» بأن ينزع «مانيلا» طريقاً طريقاً.

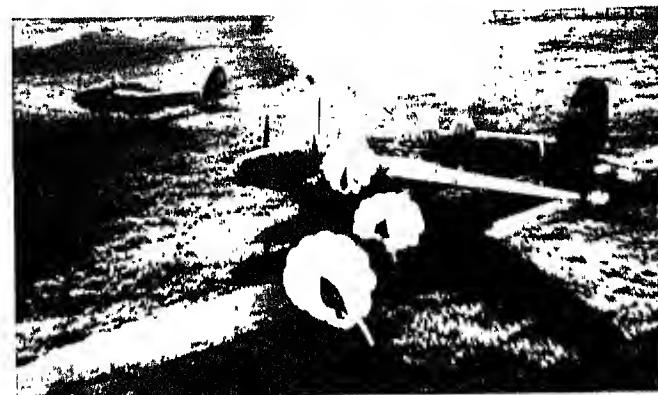
هنا تبدأ المعركة. فقسم المدينة الواقع شمالي «البسىغ» قد غزى بسهولة نسبية. ولكن الأحياء القائمة جنوبى النهر كانت ميداناً لقتال ضارٍ. وراحت فرقان أميركيتان. الفرقة ۳۷ وفرقعة الخيشالة الأولى. تسحقان أعشاش المقاومة واحداً واحداً: ملعب «ريزيل». متنة «هاريسون». دار البلدية. البريد المركزي، فندق «مانيلا». ووقف «مالك أثر» يشهد عملية الاستيلاء على هذا الأخير، وينظر إلى الجناح الذي راحت النيران تلتهم كتبه وأثنائه، والذي طالما كان يتأمل منه ساهماً وهو ينظر إلى الخليج المشع. وراح أواخر بحارة الأميرال «إيوابوشى» يتحصنون داخل مدينة المستعمرتين «إنترا موروس». وراء حصن القرن الثامن عشر الإسباني. وبقي «مالك أثر» مصرًا على لا يسمح بخراشه بسحق هذا المعلم بواسطة غارة جوية. ولكنْ كان عليه أن يصرخ باستعمال المدفع. فإذا بتمهيد المدفعية، الذي استغرق خمسة أيام. لا يختلف في «إنترا موروس» غير الأنفاس. وشن الهجوم تسلقاً في ۲۳ شباط. فأبى اليابانيون في ۳ آذار. وقد بلغت الخسائر الأميركية ۱۰۱۰ قتيلاً و ۵۶۵ جريحاً. واستحالت «مانيلا» ساحة خراب.

في ذلك التاريخ تم تنظيف شبه جزيرة «باتان». فكتلة «كوريجيدور» الصخرية قد انقرضت بفضل نزول قام به المظليون وعملية برمائية. وأمنَّ «تو بسايد». وثُكتتها الطويلة حيث مكث آل «مالك أثر» خلال حصار ۱۹۴۱. فقد استولى عليهما بعد قتال عنيف. وأمنَّ نفق «مالنيت هيل». وقد كانآلاف من الأميركيين قد خرجوا منه في الماضي مستسلمين، فقد سُدَّ منفذه من كلتنا ناحيته. ولكنَّ اليابانيين لم يستسلموا. ودواي انفجار باطنِي أمطر وابلًا غزيراً من اللهب خرج من المنفذين، مشيراً إلى انتحار المدافعين. وفي ۲۶ شباط تفجر مستودع ذخيرة «ميكي» الباطني بدوره. زارعاً «كوريجيدور» بالحراب. وتلاشت كلَّ مقاومة منهَا، ومن حامية صنمَت ۴۰۰۰ رجل كانت حصيلة الأميركيين من الأسرى ۲۰! في اليوم التالي ۲۷. نصب «مالك أثر» «أوسمينا» في قصر «مالاكانان» الرئاسي الذي لم يُصب إلا بأضرار طفيفة: فأنهمرت دموعه وهو يتلو خطابه. كان قسم كبير من «لوسون». وعدد من الجنرال منها «مينداناؤ». ما تزال في أيدي اليابانيين. إلا أنَّ الحملة الضخمة التي أرادها «مالك أثر». بكلونه مارشالاً «لفيليبين» أكثر منه جنرالاً «الولايات المتحدة». قد أُنجزت جوهرياً. ولم يبيئن فقط أنها قد لعبت في هزيمة «البابان» دوراً يتنفس وفراها وفقارها. وعلى تقدير ذلك يمكن العثور على تعليلها غير المباشر في كون «جمهورية الفلبين» قد بقيت بعد الحرب الدولة الوحيدة في الجنوب الشرقي الآسيوي الموالية للصداقة الأميركية.

وفيما كان «مالك أثر» منتصراً لاستعادة «الفلبين» واصل الطيران الأميركي قصف «البابان». واستمرَّت البحرية الأميركية في نهج ستراتيجية الجزر. فكلَّ جزيرة يتمَّ غزوها على طريق «طوكيو» كانت

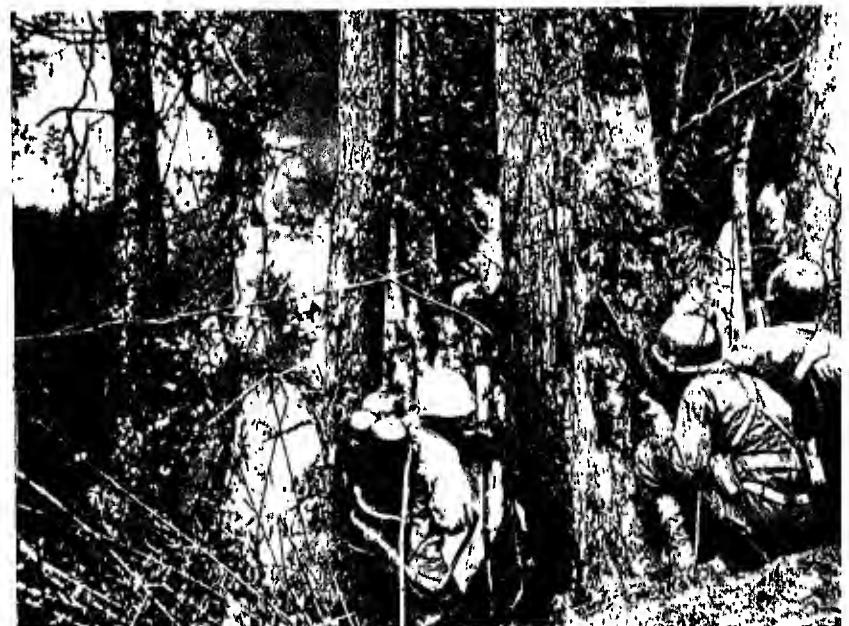


نزول المظليين في جزيرة «لوسون»، في ۲۳ حزيران ۱۹۴۵. وكانت حصيلة الحسائر في هذا النزول: قتيلًا واحداً (لم تفتح مظلته) و ۶۵ جريحاً.



قادفة قنابل يابانية محطمة.

مهاجمة ملجن ياباني بقاذفات اللهب.



مدفع أميركي يدكَّ معقلًا من معاقل العدو.



كان على الأميركيين أن يطهروا «مانيلا» بينما بنياً .

تمكن الطيارين من تسديد ضربات أقوى وأثبتت لم تبق طائرات «ب-٢٩». من الفرق المخوية التي كانت رائدة في «الماريان»، إلا على بعد ١٠٠٠ ميل من «اليابان». وقضى غارات الغارات وثاقلتها على المنشآت العسكرية والمؤسسات الصناعية؛ وراحت تجربة جعل المدن اليابانية فريسة للهب تلح أكثر فأكثر. إلا أن الحاجة إلى قاعدة متقدمة كانت ماسة؛ لكي توفر للقلع الطائرة الفضفحة مواكبة المطارات. ولكن يُعمد إلى استقبال الطائرات المتضررة وهي في طريق العودة.

لم يكن هنالك مجال رحب للاختيار. فلم يبق بين «الماريان» و«هونشو» غير أرخبيل واحد هو سلسلة طويلة من الجزر الصغيرة يسمى بها اليابانيون «فامبوشتو». وكانت جزيرتان منها فحسب تتناسبان إقامة قاعدة جوية: «شيشي جيما» في مجموعة جزر «بونين»، و«أيووجيما». في مجموعة جزر «فولكانو». فاختار الأميرال «نيميتز» هذه الأخيرة. التي كانت أصغر بقليل، والتي كانت في الوقت نفسه أقلّ عورة. وتم التزود في ١٩ شباط؛ وانطلقت تشن المجموع في صبيحة بهبة، وبنظام مثالي. فرقطان من مشاة البحرية هما الفرق المخواة إلى اليسار، والرابعة إلى اليمين. كان الطيران البحري والبري قد عمل أربع طولاً لإضعاف المقاومات، ولكن الجزء «هولاند م. سميث» لم يحصل على تمهيد المدفعية الذي يتطلب أسبوعاً كاملاً. فيما راحت حاملات طائرات الأميرال «هالسي» تقوم بغاية جبارة على «هونشو» بدلاً من أن تسهم في غزو «أيووجيما». ولكن التفاؤل كان غامراً. وقد حسب أن الاستيلاء على الجزيرة سيتطلب أربعة أيام.

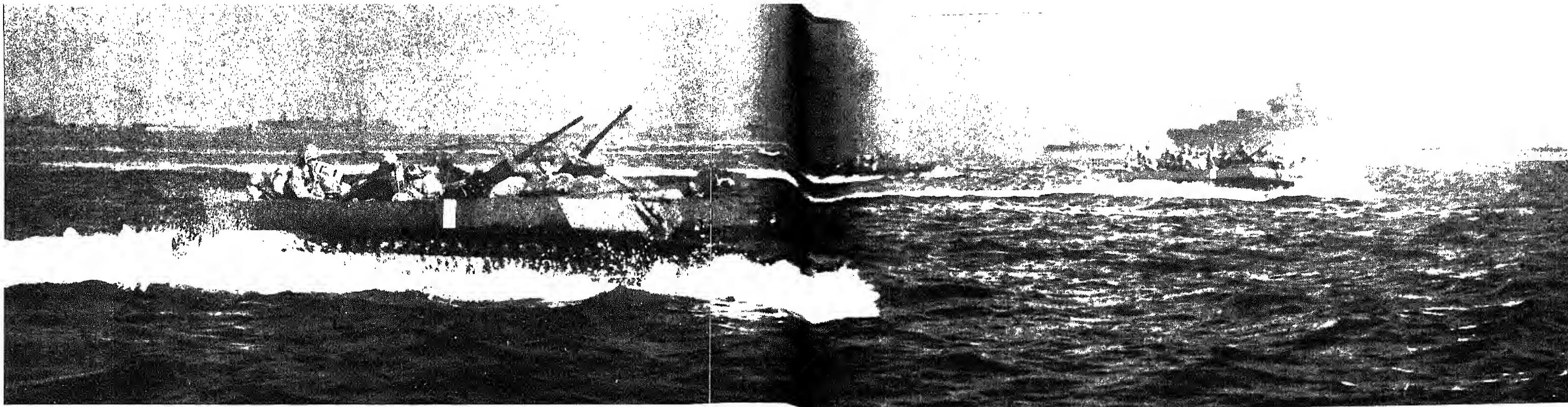
يسماها «أيووجيما» يعني «الجزر الكبريتية». إنها عابسة متوجهة. طولها ٨ كلم وعرضها ٤ كلم؛ وهي مكونة من صخور بركانية، ومحاطة بطبقة من الرماد الأسود كثيفة. وكان مظهرها الجانبي طولاً يشبه السرج.

بلغ الأميركيون إلى قاذفات الهب للقضاء على اليابانيين المعتصمين في الدائرة المحسنة .



الأميركيون المعتصمون في الدور الثالث من مصرف «مانيلا» الوطني يطلقون النار على اليابانيين التمركزين في الضفة الأخرى من النهر .





وارق الإنزال تقدم نحو «أوكيناوا» تحميها نيران إحدى البوارج.

الفرقة ٨١. قيد الاحتياط في «نوميما». تصدى اليابانيون للرمح المقرب من «ريوكو» بخزم. وقامت طائرات «كاميكازي» الانتحارية بشن هجوم على حاملة طائرات الأميرال «ميتش». فجعلت من «الفانكلين» ركاماً من حديد. إلا أنها لم تغرق: فالسفينة التي تدمرت بقتل ٧٢٤ من بحارها، وبإصابة ٢٦٥ منهم بغير وروح. تحكت من إعادة آلياتها إلى العمل حتى أدركت «هواي». وهناك حاملة طائرات جديدةتان. وهما وريثتان لاسمي «واسپ» و«بوركتاون» المطهرين. قد تكبّدت أضراراً كذلك، ولكن السلطة البحرية المطلقة لم ينزعها منهاز. أضفت إلى ذلك أن الأسطول الأميركي قد تلقى دعامة قوية هي بارجتان. و٤ حاملات طائرات و٥ طرادات. و١٥ مدمرة. وهي قوة ممكّن تدمير الأسطول الألماني «بريطانيا العظمى» من إيقادها إلى الماء!.

بعد غزو «أوكيناوا» يوم عيد الفصح، الأحد في أول نيسان، وكانت منطقة النزول المختارة واقعة في قلب الجزيرة. من كانتا تاخيتي هر صغير يدعى «بوشا»، وقد أنزلت ١٠٢١٣ سفينة، بامرة الأميرال «ريموند ل. تورنر»، إلى البر فرقستي مشاة البحريّة ٦١، وفرقسي الجيش ٩٦ و٧ كانت المقاومة منعدمة، فكان العدو لم يكن له أثر في «أوكيناوا»! واحتلّت الجزيرة من طرف إلى طرف منذ اليوم الأول. ولم يكلّف الاحتلال مطاري «يوننان» و«كادينا» سوى قتيلين. وراح كولونيل فوج كان يتلقى محمودية النار لأول مرّة يتتجّح قاتلاً: «إلى بياباني واحد حيّ أو ميتاً، فرجالي لم يروا بياباني في حياتهم بعد...». كان قائد الجزيرة هو الجنرال «ميتسورو أوشيجيمما». وكان رئيس أركانه العامة هو الماجور-جنرال اللامع «إيسامو شو». وكان جيشهما الـ ٣٢ الصغير مؤلّفاً من فرقستي المشاة ٢٤، ٦٢، فضلاً عن اللواء ٤٤ المستقل. وكان مجموع عاددهم ١٠٠٠٠٠ رجل، منهم ٢٤٠٠٠ رجال الميليشيا المحلية، وبعدهما تخلّوا عن فكرة الدفاع عن الجزيرة بكمالها. حشدوا قواتهم في الجنوب. حول العاصمة القديمة «شوري» والعاصمة الجديدة «ناها». وفي الشمال كانت مفرزة تحمي شبه جزيرة «موتويو» وقد قدرت الأركان العامة أنَّ ظروف القتال ستكون مماثلة لتلك التي يمح توقعها في حال النزول في «الليابان».

حجب غزو «أوكيناوا» العمليات الآلية جيّعاً في الماء. وعلى الرغم من سخط «لومي»، الذي راح يطالب بمقاضاة «نيميتر» أمام محكمة حربية، فقد طلب «نيميتر» أن توقف طائرات «ب-٢٩» نفسها غاراتها المحرقة على «الليابان» للإسهام في القضاء على القواعد العدوّة. وقد استخدم سلاح القتال على نطاق أوسع. كان اليابانيون يعتمدون على زوارقهم الانتحارية. فإذا بالأمريكيّين يتلفون منها ٣٥ بتزويدهم بغطنة في مجموعة جزر «كيراما» غربي «أوكيناوا». وكانت القوات البريّة قد حشدت في جيش عاشر. تحت إمرة الاليوتان-جنرال «سيمون بوليفار بوكز». وهو ابن جنرال جنوبي اشتراك في حرب الانفصال؛ كان رئيساً حازماً، فضى وقتاً طويلاً في «الأسكا» بعيداً عن ساحات القتال الرئيسة. يصطاد دب «كودياك» تنفيساً عن حزنه وكنته لا يبعده عن جو المعارك. وقد جاءته حملة «أوكيناوا» بمكافأة: فقد أُسند إليه الفيلق ٣ البريّي، المؤلّف من فرق مشاة البحريّة ١ و ٢ و ٦، والفيلاق ٢٤. المؤلّف من فرق الجيش ٧ و ٢٧ و ٧٧ و ٩٦. وكانت فرق ثانية. هي

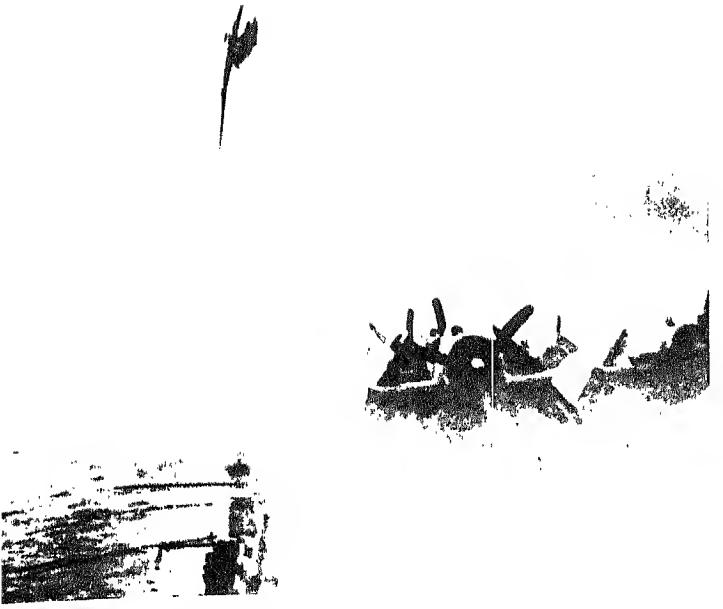
ستعادة غزو «الفيليبيين»، وكان جيش «الورد» موتباً «يقترب من رانغون»؛ وأخذ أسطول «لوبي» الجنوبي على عاتقه تجشيم المدن اليابانية الأخرى ما أذاقه «طوكيو» من هول وقسوة، حتى قبل أن ترُوَّل معركة إير وجيما» إلى ختام. كان أسطول الأمiral «نيميتز» وجشه ياجمان أرخبيل «ريوكويو»، وهو عتبة «اليابان».

كان الأرجحيل . واسمه باليابانية «ناني شوتو» . يبيسط سلسلة من خواصه . ابتداءً من ساحل «فوريوزاً» الشرقي إلى نائية «كيوشو» الحنوبية . وأمّا الجزيرة الرئيسة . «أوكيناوا» . وطولها ١٠٠ كيلومتر تقريباً . وعرضها نحو ١٢ كيلومتراً . فقد كانت قائمة في الوسط . على بعد ٨٠ ميل من «طوكيمو» . وهي جبلية . استوائية خصبة . وقد تضخم عدد سكانها بسبب انبعاث أحدها الأصليين بالهاجرين اليابانيين . فبلغت كثافة السكان ٦٠٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع في جنوب الجزيرة . وقد قدرت الأركان العامة أنَّ ظروف القتال ستكون مماثلة لتلك التي يحيى توقعها في حال التزول في «اليابان» .

حجب غزو «أوكيناوا» العدليات الآلية جميعاً في الماء. وعلى الرغم من سخط «لوبي»، الذي راح يطالب بمقاضاة «نيميتز» أمام محكمة حربية، فقد طلب «نيميتز» أن توقف طائرات «ب-٢٩» نفسها غارتها المحرقة على «اليابان» للإسهام في القضاء على القواعد العدوة، وقد استخدم سلاحه القتالي على نطاق أوسع. كان اليابانيون يعتمدون على زوارقهم الانتحارية، فإذا بالأمريكيين يتلفون منها ٣٥٠ بنز وطم بعثة في مجموعة جزر «كيراما» غربي «أوكيناوا». وكانت القوات البرية قد حشدت في جيش عشر. تحت إمرة اليوتان-جزرال «سيمون بوليفار بوكتر». وهو ابن جزرال جنوبية اشتراك في حرب الانفصال؛ كان رئيساً حازماً، قضى وقتاً طويلاً في «الأسكا» بعيداً عن ساحات القتال الرئيسية. يصطاد دب «كودياك» تنفيساً عن حزنه وكنته لا يبعده عن جو المعارك. وقد جاءته حملة «أوكيناوا» بمكافأة: فقد أُسند إليه اليقظ ٣ البرمائي؛ المؤلف من فرق مشاة البحرية ١ و٢ و٦، والفاليق ٢٤. المؤلف من فرق الجيش ٧ و٢٧ و٧٧ و٩٦. وكانت فرقه ثامنة. هي

وأمام الطرف الجنوبي هر كان حغير علوه ٥٦٩ قدماً . هامد تقريره . هو جبل «شوراباشي». وأمام الطرف الشمالي فمجموعه من التلال تصاعد من فوقها الأخيرة . كانت تربتها سخنة لدرجة أنه يتذعر حفرها أو يكاد وفي الوسط كانت الأرض أقلّ وعورة . وقد بي فرقها اليابانيون مهبطين للطائرات . وبאשרوا بناء واحد ثالث لم يكن الوفاق سائداً بين المدافعين . فقد كان البحارة والجنود في نزاع . وأصحاب مغض . يبدو أنه عاند الطبيعة بخبرية الكبريتة . مئات من الرجال فأعدتهم . وكانت مياه الشرب قليلة . وقام «كوروباباشي» بإجلاء السكان إلى ١٢٠٠ وهم «مورياما» وهي الدسكرة الوحيدة . للحصول على بعض مواد البناء . كان قد تخلّى عن منازعه الشواطئ . ونظم دفاعه حول طرفizi الجزيرة رغبة منه في الصمود ما تمكّن إلى ذلك سيلًا . وقد نظمت المعاور الطبيعية . وأقيم اتصال بينها في أماكن المراقبة ومواقع القتال . كانت الحامية تضمّ حوالي ٢١٠٠٠ رجل يتبعهم معظمهم إلى فرقه المشاة ١٠٦ . وكان «كوروباباشي» متقدّراً لقلة كفاءة قسم من جنده . وبخصوصاً للذين سقطوا في المعركة الطاحنة سدد الطيران السرياليجي إلى اليابان

صرره مرووعه. في ٩ آذار أفلعت من الماريان، ٣٣٤ طائرة بـ ٢٩ .
محملة بالقبي طن من الآليات المحرقة. وأمّا أحياط طوكيو، التي تتقنها فقد كانت كثافة السكان فيها أحياناً ٥٥٠٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع، وكانت مساحة السطح تبلغ نصف المساحة الكلمة. وراح يجر من الماء، يسعنه إعصار عاصف. يلتهم أكdas الأبنية الشاهة مع من في داخلها، وقد تدمر ٢٧٧.٧١١ متراً. وقتل ٨٣.٧٩٣ شخصاً. كانت حشود قد أقت ب نفسها في الشارع فماتت مسلوبة. وحلق رئيس المجزرة، الجنرال «كورتيس لومي». فوق الأتون وهو يتضئ سجراه الضخم، فقال: «سوف نعيد «اليابان» إلى العصر الحجري». ولسوف تبرز الصور التي أحدثت في الأيام التالية بقعاً مسودة شاسعة الأرجاء تشير إلى مواضع الأحياء المتخفية. ومن مجموع ٤٤ قاذفة التي أصابتها المدفعية الصادرة للطائرات، تحالفت ١٤ منها فحسب عن العودة. وقد أنقذ ملاً حسراً منها في البحر. مما خفض نعمات الغارة إلى ٤٥ قتيلاً أميركياً وتضاعفت الضربات. كانت جيوش «ماك أرثر» تحت الخضر في أجبيز الجزرية وعز لجلب «سوريباشي» منذليوم الأول. وفي غضون الأيام التالية راح فوج مثابة البحريمة ٢٨ يتسلم سفوح البركان الوعرة ممراً ميراً. وهم ينظرون كلَّ معارة بواسطة قاذفات اللهب. وفي ٢٣ شباط تمكن أربعون بخاراً من المارينز. يقودهم الملازم «هارولد ج. شرير». من بلوغ القمة. فرفعوا فوقها الرابة الأميركية. موفرتين لمستدات الحرب العالمية الثانية المصورة إحدى أشهر وثائقها. ولكنَّ هذه البدرة الرمزية لم تنجز غزو «إيوجيمبا». فلقد حشد «كوريباباشي» معظم قواته فوق تلال الجنوب. واستمرَّ القتال الوحشي.



طائرة انتحارية يابانية أصابتها نيران المدفعية المضادة للطائرات.

التفوه بالكلمات الطقسيّة التقليديّة: «السير «باليابان» إلى سحق أعدائها». إلا أنّ الماركزي «ماتسوديرا». وهو السكرتير الخاص للمستشار السري الكومندوسكي «كيدو». قام بزيارة «شيانوري توغو» الذي رجع إلى وزارة الخارجية، فقال له: «يبدو أنّ الأمبراطور ينظر في إمكانات إنهاء الحرب...» ولم يطبع رئيس الديبلوماسية اليابانية الجديد إلى المزيد من الأخبار. فإذا النّها يعم.

في سبيل إنقاذ «أوكيناوا» بذلت «اليابان» مجهوداً بطولياً. ففي ٦ نيسان بدأ هجوم معاكس بحرى وجوي؛ فانقضت على أسطول الغزو طائرة منها ٣٥٥ طائرة «كاميكازى» انتحارية. وفي المساء كان حساب المسائر من الوجهة الأميركيّة ظافراً: ٦٠ سفينة يابانية، منها بارجتان. أغرت. ٦١ سفينة يابانية أصبت بأضرار. منها حاملات طائرات عديدة؛ ولم تعد أية طائرة «كاميكازى» من الطائرات الـ ٣٥٥ إلى قواعدها؛ ومن جملة الملائين اليابانيين الـ ٤٤٤ العاديين كان عدد الذين اعتُبروا مفقودين ٣٤١. أمّا السفن العدوة الـ ١٢١. المدمرة أو المضروبة. فكانت وهيمة. وقد كلف النهار الأميركيّين ٣ مدمرات. وسفينة إزالة واحدة. وناقلتي ذخيرة. فضلاً عن ١٠ سفن أصبت بأضرار.

أصابت طائرة انتحارية «الفرانكلين» بأضرار فادحة.



وجزيرة «إبي جيما» التي تمَّ دها. وأمّا ما تبقى . بما فيه مطار «يوننان» و«كادينا» الكبيران، فقد تحالفَ عليه.

إستدار الفيلقان الثالث البرمائي والـ ٢٤ كلّ بمفرده نحو الشمال نحو الجنوب. وتوجّتها نحو خطّي المقاومة هذين عبر مسالك ضيقّة مخصوصة. إلا أنّ الطقس المثالي الذي ساد يوم الفصح لم يدم طويلاً؛ فقد انصبّت على «أوكيناوا» أمطار باردة ثقيلة.

في «اليابان» كان للنزول الأميركي الجديد نتائجه السياسيّة. ففي ٥ نيسان اعترف رئيس الوزارة «كوريشي كوريزو» بإخفاقه. وحمل إلى الأمبراطور «هير وهيتو» استقالة وزارة عمرها ٨ أشهر كانت قد عدّلت

طائرة انتحاريّة يابانية تتفصّل على جسر «الميسوري».



٤ مرات. ورشح العلاء. أمثال الأمير «كونويي». والكونت «كيدو». والأميرال «أوكادا». والبارون «هيرانوما». الأميرال «كانورو سوزوكى» لرئاسة الحكومة. وكان في السابعة والسبعين من عمره. خاض معاركه الأولى في الحرب الصينية-اليابانية سنة ١٨٩٤. وفي ١٩٣٦ حُكم عليه ب TERM الاعتقال. فصرعه الضيّاط الفتيان الثوار فأعتبر ميتاً. حتى أنّ القتلة قد حرقوا على «جثته» البخور! ولدى تسلّمه السلطة لم يتخلّف عن

ياغرها المدمرة «مانز ل. أبيل». إنها قبلة طائرة مسيرة. وطائرة شراعية عادية تُنقل إلى جوار صحيتها تحت بطن طائرة «بيبي» من ذرات المحرّكين، وزوادة بصاروخ تزيد سرعتها القصاً حتى تبلغ ٨٠٠ كيلومتر في الساعة. وافتتحت غارات القاذفات التقليدية بهذه الأشكال اليائسة التي اتّخذتها الحرب الجوية. فأغرق نحو من ثلاثة سفينه أميركيه.

ونكبدت ٣٥٠ سفينه أخرى أضراها؛ وفي جملتها حاملة الطائرات الكبيرة «إنتربريز»، وهي المحاربة القديمة التي راقت حرب الماء بكمالها. واعتزم الرفقاء الأميركيه أن ترفع الحجاب الذي كانت قد ألقته على نشاط طائرات «كاميكازى» الانتحارية. فهذه الطائرات كانت تخدّت تأثيراً عميقاً، وقد غذّت الاقتناع بأنه لا يمكن قهر اليابان، إلا بقيادة اليابانيين. ومع ذلك أخفقت «الكاميكازى» في مهمتها! ففي وجه الرادار ذي المدى البعيد، ودوريات المطاردة المستمرة. والمدفعية المحكمة المضادة للطائرات، بقي الانتحار التمر أمراً صعباً. فقد أصابت الصربات في القالب السفن النافحة: قوارب الإنزال؛ والناقلات؛ والمدمرات؛ ولم تُفرق أية سفينه كبيرة قط. كانت العصبية الوطنية. دافع الشرف.

يرمّنغان تجند متطوعي الموت، إلا أنّ الافتقار إلى الطائرات كان مأساً. فالمجموع الثاني في ١٢ نيسان، لم يُطلق غير ١٨٥ «كاميكازى»؛ ثم راحت العدة تتدنى حتى بلغت الأربعين طائرة على الأكثر في كل غارة. وفي حملة «أوكيناوا» ضُحى بنحو ١،٩٠٠ «كاميكازى»؛ ولكنها لم تدرك النتائج التي كان بإمكان عدد مماثل من الطيارين المدرّبين الحصول عليها. وفي المجموع فقد الطيران الياباني في معركة «ريوكيو» ٧،٨٠ طائرة؛ أُسقطت في القتال أو دُمرت على الأرض. إنها بحدة هزيمة!

في البر، في ٤ نيسان، أدرك الفيلق البرياني الثالث ناثة الجزيرة الخوئية؛ ثم استولى على «شيمما» حيث قُتل «إيفي بابل»؛ وهو أشهر مراسلي الحرب. وبعدما حاصر شبه جزيرة «موتوهو» أُتلف المدافعين عنها واحداً واحداً.

وبقيت نار القتال مشتعلة في الجنوب. فالأرض الوعرة. القاسية، الشديدة التحصين، تُمكّن من دفاع ضار. إلا أن «أوشيجيما» لم يكتف بمقاومة سلبية، بل كان يطمح إلى طرد العدو من «أوكيناوا». وفي ٤ أيار أطلق فرقه مثاه ٢٤، التي أبقيت حتى ذلك الوقت احتياطاً ثميناً. في هجوم معاكس، إلا أنه بالغ في تقدير إمكاناتها، فكان عليه إيقاف المجموع منذ اليوم التالي. واستعاد الأميركيون صنعتهم النشّ على تحصينات الجبهة التي شيدت حول «شيمما». وفي غمرة نيران المدفعية المتواصلة اتحدت الساحة مظهراً قميرياً ممائلاً لشكل ساحات قتال الحرب العالمية الأولى. ملايين الأمطار الاستوائية الاقتناع. فطردت المدافعين من مراكز بطاريّاتهم، وأغرقت المستودعات. وأمّا «شوغارهيل»، و«شيما»، و«أنايريدج»، و«كونيكال هيل»؛ ومرفقات «شيمما»، و«شيما» نفسها. فقد انتزعت جميعها بعد هجمات نظامية. وفي ٢٧ أيار تخلّى «أوشيجيما» عن «ناماها»، ولكنّه طمأن «طوكيو» بإعلامها أنّ جيشه ٣٢ لم يُمس بعد، وبأنّ القتال كان مستمراً من غير تخاذل. وقد اشترك بهذا القتال السكان اليابانيون؛ فألف طلاب اليسبيهات فيلقاً من ١،٥٠٠ شاب. وأضافت طالبات اليسبيهات إلى هذا العدد ٦٠٠ فتاة كنّ متأهّبات للموت. وبهما يكن من أمر قانّ الحرمان. وكثافة القصف الذي وقع على منطقة كبيرة السكان. قد جعلا المدنيين في وضع لا يحسّن عليهم المقاتلون. هذا وقد تصاعدت انتحارات المدنيين الجماعية.

في ٤ حزيران كان الجيش ٣٢ ما يزال بعد ٣٠،٠٠٠ رجل. ولكن معظمهم كانوا من جنود الدوائر والمليشيا. وكانت أربعة أخماس الأسلحة الكبيرة. وقامت آلة الانتحارية جديدة، وهي الـ «باكا»، بتدشين نشاطها

وكانت كلّها من الفئات الدنيا. كانت الأركان العامة الأميركيه قد حلمت بأن تغيب الشمس عن أسطول أميركي مباد وقد استبدّ به الذعر؛ كانت تأمل أن تُبنّق قوة الأميرال «سيسيي إيتور» البحرية وسط هذه الفوضى فتعمل فيها مجردة دائمة؛ ييد أنّ الأسطول الأميركي يقي سليماً.

وقد اندفع «إيتور» يصطدم بجدار لا يترّجح.

كان قد غادر «تونكوياما» في البحر الداخلي، في ٦ نيسان، الساعة ١٥:٠٠. كان أسطوله مؤلّفاً من البارجة الضخمة «ياماتو»، يامه الكونتر-أميرال «أريغا»، ومن الطراد الخفيف «ياهاغي»، ومن ٨ مدمرات. لقد بقي لدى البحرية اليابانية بعض السفن المعدّة التي كانت متفاوتة في درجة سلامتها، كالبارجين «إيزى»، و«هونغا» الناجيّين من معركة «ليبي»، إلا أنّ قحط المازوت قد حرمها من الاشتراك في ذلك الركب البطولي «إيلانثاري». فالـ ٢،٥٠٠ طنّ التي خُصّت بها أنبار «ياماتو» لم تكن تُمكّنها من العودة من «أوكيناوا»؛ فإذا بها تتطلّق كـ «كاميكازى» بحرية علّاقة.

في الساعة ٨ مساءً خرجت السفن اليابانية من البحر الداخلي من خلال منفذه الشرقي، وهو مضيق «بونفو». وفي الساعة ٤ من صباح يوم ٧ اجتازت رأس «كيوشو» وسارت في عطفة طويلة نحو الغرب وهي تستهدف مياغة العدو. إلا أنّ أمرها قد اكتُشف عند مخرج المضيق بواسطة غواصتين. وفي الساعة ٦:٠٠ عبرّ عليها بواسطة كشاف من حاملة الطائرات «إيسكنس». وأمر الأميرال «ميشر» الأميرال «ديبو» بأن يعرض دون الأسطول الياباني وأسطول الغزو بیوارجه السّت، وبـ ٧ طرادات. و ٢١ مدمرة؛ وأصدر أمرًا بالاقصاص العام إلى حاملات الطائرات التي كانت مبحرة شرق «أوكيناوا». وفي موجات متّعقة طارت بعض مئات من القاذفات، ومن الطائرات النّشّافة، ومن المطارات، للالقاء العدو.

أصبحت الـ «ياماتو» للمرة الأولى في الساعة ١٢:٤١ بقابلين على مقربة من الصاري الخلقي. وبعد مرور أربع دقائق أصابها طوربيد إلى يسار الجهة الأمامية. إحتفظت بسرعة ٢٢ عقدة، ولكن، بعد فترة من الراحة دامت ثلاثة أربع الساعة، أصابت جانب العملاق الأيسر خمسة طوربيدات في تعاقب سريع. وفي الساعة ١٤:٠٢ استقرّت ١٤،٠٢ في ثلاثة قنابل جديدة في وسطها، ثم جاءتها من ميامتها أربعة طوربيدات أو خمسة. ما من سفينه قد بُنيت بعانت هذه السفينه الرائعة التي يبلغ طولها ٨٦٣ قدماً وحملتها ٧٢٠٠ طن. إلا أنّ الصربات التي تلقّتها كانت هائلة. فتندّست سرعاً إلى ١٢ عقدة؛ وقد بلغ الارتفاع في الميسرة ٢٠ درجة. وتعطلت المدفعية بكاملها، بما فيها القطع الضخمة التي كان عيارها سرّعه ٣٥ درجة غادر الأميرال «إيتور»، وامر الكونتر-أميرال «أريغا»، بتعوييم آلات غرفة الوقود في الميمنة لمحاولة تقويم بارجهه؛ مغرياً بذلك مئات من الرجال كانوا في قعر السفينه. بقيت البارجة شبه هاملة، وما زالت مروحة واحدة من مراوحها تدور، واستمرّت في الميل على جانبها الأيسر. وعندما بلغ الارتفاع ١٢ عقدة غادر الأميرال «إيتور» أركانه العامة بالتحمّي الرسمية، واحتلّ بنفسه في مقصورته. وبعد مرور دقائق قليلة، في الساعة ١٤:٢٣، تفجّرت «ياماتو» وسط باقة من التهب هائلة. ومن جملة البحارة البالغ عددهم ٢،٧٦٧ رجلاً، انتُشّل من اليم ٢٣ ضابطاً و٤٦ بحاراً فحسب. وشاطر الـ «ياهاغي» ٤ مدمرات مصير السفينه الأميركيه، فارتفعت المحسّن اليابانية إلى ٣،٦٦٥ قتيلاً. وقد بلغت خسائر الأميركيه ١٠ طائرات و ١٢ طياراً.

في الأيام التالية واصلت طائرات «كاميكازى» الانتحارية هجماتها الكبيرة. وقامت آلة الانتحارية جديدة، وهي الـ «باكا»، بتدشين نشاطها

ولسوف تنزل هذه الجيوش إلى الساحل ٣٦ فرقة، تعداد ١٥٣٢٠٠٠ رجل. وباعتبار إسهام الطيران والبحرية والدواير، فإن الكتلة البشرية الضخمة التي ستتحرّك لسمح «الإيابان» كانت تقدّر بخمسة ملايين رجل. وقد أعيد التأكيد مجدداً بأن تدخل «روسيا» في «منشوريا» كان مستحيلاً. إلا أن قضية الثمن بقيت قيد البحث؛ فرؤساء الأركان العامة كانوا يقدّرون الجيش الوطني الياباني بـ٢٦ فرقة، تعداد ١٨٠٠٠،٠٠٠ رجل. كان العتاد والتسلیح والمخزوقات كثيرة العووب، ولكن كان يمتدّ تقع قتال يائس على أرض الوطن المقدس. لم يكن البلد موئلاً للحرب الآلية، بل كان، بعكس ذلك، يسمح بقتال فصيلي يذكر اشتباكات «إيوجيما» و«أوكيناوا» على نطاق أوسع. وأمام الحسائر الأميركيّة فستكون حتماً فادحة. وقد تبّأ «مارشال» مسبقاً بسقوط ٥٠٠،٠٠٠ قتيل . ٥٠٠،٠٠٠ قتيل ! إنها لمجزرة لم تعرف لها «أميركا» مثيلاً من قبل. كانت حصيلتها من الحرب العالمية الأولى ٥٣،٠٠٠ قتيل؛ والانتصار الذي أحرزته لتوها ضدّ «ألمانيا» لم يكلّفها أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ روح بشرية. فقد كان عليها أن توقع فقدان ثلاثة أضعاف هذا العدد لإنجاز انتصار قد أحرزه مبدئياً على «الإيابان».

«بوتستدام» و«الأموغوردو»

كانت القنبلة الذريّة خلال هذا الوقت قد قطعت شوطاً بعيداً. وفي مطلع أيار أطّلع الجنرال «غرافز» الرئيس «ترومان» على مدى ما أنجزه الأعمال من تقدّم. «فليتل بوبي»، أو قنبلة البلوتونيوم، ستكون جاهزة في مطلع الصيف؛ و«فات مان»، أو قنبلة الأورانيوم، قد ذلت الصعبوبات الفنية الهائلة التي أثارتها طريقة التفكّيك التي تعتمد التندّد الغاري. والتشكّيلة الخاصة من طائرات «ب-٢٩»، المجموعة المولّفة ٥٠٩، الخاضعة لإمرة الكولونيل «بول. و. تيبيرز»، ماضية منذ أواخر ١٩٤٤ في تدرّبها على إلقاء قنابل مستعارة زائفة لها ما سيكون للقنبلتين المرتقبتين من خواصّ وميزات. ولقد شكلَ «ستيمسون»، وهو أحد أنصار القنبلة المتخمسين، بلنة خاصة مهمتها اقتراح أكثر الأهداف موّاتة، فوضعت اللجنة الائحة التالية: ١ - «هيرشيمَا» (وهي مرفاً كبير ومدينة عسكريّة هامة) ، ٢ - «كوكورا» (وهي مستودع الذخيرة اليابانيّ الرئيس) ، ٣ - «نيغاتا» (وهي مرفاً ضخم، ومصفاة نفط، ومصنع للألومنيوم وهلم جراً) ، ٤ - «كيوتو» (وفيها مجموعة ضخمة من الصناعات الحربيّة المختلفة). فتشطب «ستيمسون» مدينة «كيوتو» بالرغم من احتجاجات «غرافز»، نظراً لكتنوزها الفنيّة، واستبدل بها «ناغازاكي» . وهكذا أصبح كلّ شيء جاهزاً لولادة القنبلة الذريّة - هذا مع أن أحداً لم يكن يعلم بعد ما إذا كانت مجرّد خرافات. إلا أنّ مسألة ثانوية قد عرضت: أليصح استخدام هذه القنبلة ضدّ «الإيابان»، وقد صممت في الأساس ضدّ «ألمانيا»؟

إذاء هذا الهدف الجديد ظهر بعض المواجه والواسوس في ضمائر البعض. فكتب «غرافز»: «كان «هتلر»، في نظر عدد من العلماء الذين بحّلوا إلى «الولايات المتحدة» فراراً من الاضطهادات العنصرية، هو العدو الأمثل الذي كان لا بدّ من القضاء عليه بأية وسيلة؛ ولم يكنوا يشعرون بمثل هذه الحماسة لتدمير العسكرية اليابانية». كان الدكتور «ليو زيلارد»، الذي ألحّ على «أينشتاين» في أن يقترح على «روزفلت» استخدام الطاقة الذريّة على الصعيد العسكريّ؛ أول من خامره الشك، وببحث عن وسيلة ينقله بها إلى «ترومان». ورأى آخر ورأي الدكتور «فرانك» في ضرورة إلقاء القنبلة الذريّة على مكان غير آهل، قد يكون «الفوجي-ياما»

الثقيلة قد فُقدت . وقوض الأميركيّون القرى . وقطعوا الطريق . وأربعوا المدافعين على الاجزء إلى المعاور حيث أبادوهم بواسطة قاذفات الاتهب . وفي ١٨ حزيران قُتل الجنرال «سيمون بوليفار بوكر» في مرصد للمدفعية بإحدى أواثر القذائف اليابانية . وبعد مرور أربعة أيام كان الأميركيّون يخلّون الساحل بكماله . ولم يجد اليابانيون بعد ذلك مقاومة إلا في بعض الملاجئ المشتّتة . وفي أحد هذه الملاجئ . عند أسفل الخط ٨٩ الذي كان فوق المشاة الأميركيّين ٣٢ يختلّ ذروته . انتحر الجنرال «أوشيجيما» و«شو» على طريقة «هاراكيري» السّديدة . وحرر «شو» العبارة الجنائزية التالية: «شي ليومو» . ليوتان-جنرال في الجيش الأميركيّ الياباني . السن: ٥١ سنة . إنّي أموت من غير أسف . ولا حرف . ولا عار . ولا دينون . كان الأسرى كثيرين نسبياً بلغ عددهم ٧،٤٠٠ لأنّ بعض المجموعات قد أصنف إلى مكبّرات صوت الأميركيّين ذوي الأصل اليابانيّ الذين كانوا يخوضونهم على الاستسلام . وقد بلغت الحسائر اليابانية ١٣١،٠٠٠ قتيل، منهم ٤٢،٠٠٠ مدني . وبلغت خسائر الجيش الأميركيّي وخسائر فيلق مشاة البحرية الأميركيّي ٢١٣،٧ قتيلًا . مضافة إلى خسائر البحرية الأميركيّة التي بلغت ٤،٩٠٧ قتلى أو مفقودين . معظمهم من ضحايا «الكاميكازي» . إنّ إهراق الدم هذا قد بدا للرأي الأميركيّي باهظاً، فيما كان من الانتقادات التي أثارتها حملة «إيوجيما» إلا أنّ عادت إلى الطين من جديد .

وفوق هذا كلّه كانت «إيوجيما» و«أوكيناوا» تطرحان سؤالاً رهيباً : فبمعدل الأرواح البشرية التي ابتلعتها . كم سيتكلّف الغزو «أميركا» حتى هزيمة «الإيابان» النهائيّة؟

حسب القواعد المنطقية كافة كانت «الإيابان» قد غلّبت على أمرها . فبحريتها قد دمرت برمتها، وبات طيرانها عاجزاً، وبسب المصار بدأّت موارد الصناعة تنقض، وباتت وشيكةً وقوع خطير مجاعة هائلة؛ وقد فقد النّاج الجنّبيّ ثلاثة أرباعه . كانت طائرات «ب-٢٩» تحرق المدن بصورة نظامية، ومع سقوط «إيوجيما» و«أوكيناوا» جاءت القاذفات المتوسطة تضيف ضغطها إلى ضغط القلاع الطائرة الجنّباء . هذا وإنّ الإسلام الألمانيّ قد وضع تحت تصرف الماديّ قوات ساحقة . وأخيراً في ٥ نيسان، أعلنت «موسكو» إبطال حلف الحياد . وكان هذا ايداناً بدخول «الاتحاد السوفيتيّ» الحرب .

مع هذا لم تكن هناك أية بادرة تشير إلى إذعان «الإيابان» . فلقد قوبّل استسلام «ألمانيا» باحتقار هادئ لضعف الغربيّين وجيئهم . وعلى الرغم من إعلان إبطال حلف الحياد تشاور «تونغو» مع السفير «جاوكوب ماليث» بغية الحصول على وساطة سوفيّاتية، ولكن «موسكو» تحالفت عن إبلاغ حلفائها الذين لم يشتموا تلك الرابطة إلاّ بعدما فكروا رموز بعض البرقيّات التي وقعوا عليها . في الظاهر كانت «الإيابان» مزمعة على القتال بروح «تاراوا» و«إيوجيما»، مؤثرة الفناء على الاستسلام .

في حزيران عقدت في «البيت الأبيض» مؤتمرات عدّة بشأن حرب الماديّ . كان الأميركيّ «ليهي» يناهض غزو «الإيابان»، موّكداً أنّ المصار والقصف كافيان لإخضاعها . وعبر «كتن» و«مارشال» عن الرأي المخالف؛ وإذ ناصر «ترومان» رأيهما، أقرّت اقتراحات رؤساء الأركان المشتركة: فلسوف يجرّي غزو «الإيابان» على مرحلتين، فـ«جاجات» «كيوشو» . وهي أبعد الجنرال اليابانية الأربع الكبيرة إلى الجنوب، في أول تشرين الثاني ١٩٤٥؛ ولسوف تجتاح «هوكشو»، وهي الجزيرة الرئيسة، في أول آذار ١٩٤٦ . بتنزول في خليج «طوكيو» . وبنشر جهيز الإعدادات الهائلة التي تجاوزت النطاق التورماندي . فالجيش السادس، والجيش العاشر، فضلاً عن الجيش الأول الذي استقدم من «أوروبا»: ستشرّك في التنزول .

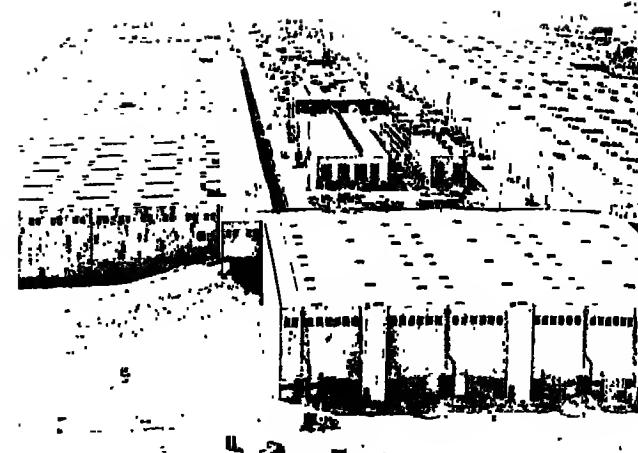
وَفِيمَا الْمَاقِشَاتُ دَائِرَةً كَانَتِ الْإِعْدَادَاتُ جَارِيَةً لِحَدِيثِيْنَ حَطِيرِيْنَ هُمْ: تَجْرِيَةُ الْقَبْلَةِ النَّرْبِيَّةُ . وَمُوْكَرُ «بُوتِسَادَام» . وَتَعْرِدُ فَكْرَةُ عَهْدِ الْمُؤْكِرِ إِذْ «تَشْرِيشَل» . قَدْ افْتَرَحَ عَلَى «تَرْوَمَان» فِي ٦ أَيَّارٍ - قَبْلِ الْإِسْلَامِ الْأَمْلَانِيِّ - لِقَاءً جَدِيداً يُخْمِنُ التَّلَاثَةَ «الْكَبَارِ» . وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْأَسِيَّابُ الَّتِي ارْتَأَهَا فِي سَلْسَلَةِ مَذَكَّرَاتِ فَلْقَةِ الْبَرَّةِ . فَظَلَّ «رُوسِيَا» يَتَكَافَفُ فَوقَ «أُورُوبَا» الْمُنْكُرَةِ وَالَّتِي لَمْ تَبْقَ لَهَا أَيْةً قَائِمةً عَلَى الصَّعِيدِ السِّيَاسِيِّ . «فِيَرْلَانِيَا» قَدْ غَمَرَتْ تَكَامَّاً، وَدَفَتْتْ عَمِيقاً دَاخِلَ الْأَرْضِيِّ الْخَاصِّ بِالْأَحْتَلَالِ الرُّوسِيِّ . وَلَسَوْفَ تَمْتَدُّ الْجَهَةُ الرُّوسِيَّةُ «مِنْ رَأْسِ الشَّمَالِ، إِلَى «أَيْزِونْزُور» فَتَشْمَلُ «بِلْدَانَ الْبَلْطِيقِ»، وَشَرْقِيَّ «الْأَمْلَانِيَا»، وَ«تِشِيكُولُوْكَايَا» كُلَّهَا، وَجَزِئاً كَبِيرَاً مِنْ «الْتَّمَسَا» . وَ«الْمَجَرِ» . وَ«رُوْمَانِيَا» . وَ«بَلْغَارِيَا» . وَ«بِلْغُوْسْلَافِيَا»، وَرِبْعَاً «الْيُونَانِ» . أَيْ عَوَاصِمُ أُورُوبَا الْوَسْطَى بِكَامِلِهَا بِمَا فِي ذَلِكَ «بِرْلِينِ»، وَ«فِيَنَا»، وَ«بُودَابِسْتِ» . وَ«بِلْغَرَادِ»، وَ«بِرْخَارِسِ» . وَ«صَوْفِيَا»... ثُمَّ إِنَّ الْجَيْشَ الْأَنْكَلِيزِيَّ وَالْأَمْرِكِيَّ قَدْ تَبَاهَرَتْ فِي زَحْفَهَا الْأَخِيرِ الْمُطْهَطَوِّتِ الَّتِي اعْتَبَرَتْ حَدَّاً فَاصِلاً بَيْنَ مَنَاطِقِ الْأَحْتَلَالِ . وَلَوْ أَنَّهَا عَادَتْ إِلَى أَصْلِهَا، فَعُنِيَّ ذَلِكَ أَنَّ مَدَّ الْسِيَطَرَةِ الرُّوسِيَّةِ الْجَارِفِيَّ سَيُثْبِتُ إِلَى الْأَمَامِ مَسَافَةً ١٢٠ مِيلًا عَلَى جَهَةِ تَرَاجُعِ بَيْنِ ٣٠٠ وَ٤٠٠ مِيلِ .

وَهَنَاكَ مَا هُوَ أَدْهَى كَثِيرًا؛ فَالْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ مَزْعِمٌ عَلَى الْإِنْسَابِ مِنْ «أُورُوبَا»، وَالْجَيْشُ الْبِرْطَانِيُّ سَيْحَلُّ، وَالْفَرْنَسِيُّونَ ضَعْفَاءٌ يَصْبَعُ التَّعَالَمُ وَلِيَاهُمْ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ وَضْعُ «أُورُوبَا» عِنْدَمَا لَا يَبْقَى فِي الْكَفْفَةِ مَا يَقْبَلُ الْجَيْشُ الْأَحْمَرُ الْمُظْفَرُ الْجَبَارِ؟ وَلَذَا يُلْحُّ هُوَ، «تَشْرِيشَلِ» . عَلَى ضَرُورةِ جَلاءِ الْوَضْعِ الْأَوْرُوبِيِّ قَبْلَ أَنْ تَنْصَعَ جِيشُنَا أَوْ تَنْسَبَ إِلَى مَنَاطِقِ الْأَحْتَلَالِ . إِنَّدَّا فَلَا مَدْوَهَةٌ مِنْ لَقَاءِ «سَتَالِينِ» . فَإِمَّا أَنْ تَنْصَبَ إِلَى اِنْتِفَاقِ مَعِ «رُوسِيَا»، وَإِمَّا أَنْ نَسْتَخلُصَ مِنَ الْإِسْتَعِدَادَاتِ الَّتِي سَتَبْدِيهَا التَّثَائِجُ الْوَاجِهَةِ .

كَانَ «تَرْوَمَانِ»، بِحُكْمِ مَرَاجِهِ، مَهِيَّاً لِإِدْرَاكِ هَذَا الْكَلَامِ؛ فَلَقَدْ لَمَنَ الرُّوسَ، وَأَلْغَى قَانُونَ الإِعَارَةِ وَالْأَتَّاجِرِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَقَارَعَ «مُولُوتُوفِ» فِي مَنَاقِشَةٍ حَادَّةً . فَاحْتَجَ الرُّوسِيُّ قَائِلاً: «لَمْ يَخْطُطِي أَحَدٌ بَعْدَ بَهْدَ الْبَرَّةِ» . فَأَجَابَهُ الْأَمْرِكِيُّ: «قَمْ بِتَعْهِدَاتِكَ تَخَاطِبُكَ بِلِهَجَةِ أُخْرَى» . وَفِي «سَانْ فِرِنْسيِسْكُو»، أَتَاحَ الْمُؤْكِرُ الْمُعَقُودَ لِتَنظِيمِ «الْأَمْمَ الْمُتَّحِدَةِ» فَرْصَةً لِبِرْزُوزِ بَعْضِ الْمَشَادَاتِ . أَمَّا فِي «وَاشِنْطَنِ»، فَقَدْ أَخْدَتْ كَفْتَةَ الْمُسْتَشَارِينَ، الَّتِينَ هُبُوا لِتَحْذِيرِ «الْبَيْتِ الْأَيْضِ» مِنَ الْمَطَاعِمِ السُّوْبِيَّاتِيَّةِ؛ تَرَجَّعَ وَتَفَوَّقَ ذَلِكَ كَانَ شَأْنَ مَمْتَنِيَ «الْوَلَيَاتِ الْمُتَّحِدَةِ» فِي «مُوسُكُو» . السَّفِيرُ «أَفْرِيلِ هَارِيَمَانِ»، وَرَئِيسُ الْبَعْثَةِ الْمُسْكَرِيَّةِ الْبَرْزَالِ «دِينِ»؛ وَذَلِكَ كَانَ يَرِيَ الْحَرْبَ مَعِ «رُوسِيَا» لَمَحَالَةِ وَاقِعَةِ .

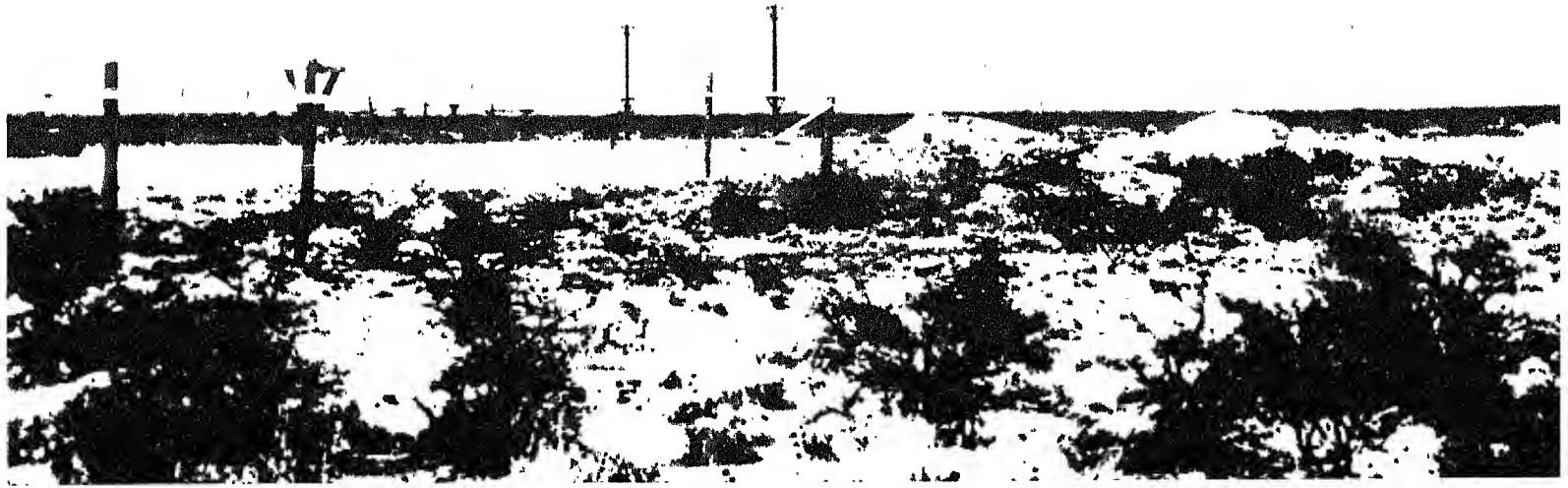
إِلَّا أَنَّ «الْرَّوْزَفَلْتِيَّةَ» كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ دَرْجَةَ مِنَ الْصَّلَابَةِ يَصْبَعُ مَعْهَا إِسْتَصَالَمُ فِي مَدِيَّ أَسَابِعِ؛ وَلَذَا رَأَى «تَرْوَمَانِ» فِي خَلْوَفِ «تَشْرِيشَلِ» كَثِيرًا مِنَ الْإِفَرَاطِ وَالْمُبَالَغَةِ، وَحَافظَ عَلَى أَمْلَهِ فِي إِعَادَةِ «سَتَالِينِ» إِلَى الْأَعْتَدَالِ بِالْمَجْوِهِ إِلَى وَسَائِلِ سِيَاسَيَّةِ مَلَائِمَةٍ وَضَغْطِ اقْصَادِيٍّ مَنْاسِبٍ . قَبْلِ مِبْدَأ عَدَّ مُوْكَرُ جَدِيدَ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ التَّسْرِعَ فِي السُّعِيِّ إِلَيْهِ؛ وَأَبْيَ أَنْ يَظْهُرَ بِعُظُورِهِ مَسَاجِلَةً تَقَامُ بَيْنَ الْكَلَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَ«الْإِتَّحَادِ السُّوْبِيَّاتِيِّ» . وَأَوْفَدَ لِتَحْضِيرِ الْمُؤْكِرِ مُمْثَلَانَ نَمْذِجيَّانَ «الْرَّوْزَفَلْتِيَّةَ»: أَلْهَمَا هُوَ

أَرْكَانَ مَشْرُوعِ «مَاهَاتَانِ» لِصَنْعِ الْقَبْلَةِ النَّرْبِيَّةِ . وَهُمْ مِنَ الْيَسَارِ إِلَيْهِيْنِ: سِيرِ «جِيمِسْ تَشَادُرِيُّكْ» (بِرْيَانِيَا)؛ الْبَرْزَالِ «غَرْوَفْزِ» مَدِيرِ الْمَشْرُوعِ؛ الدَّكْتُورُ «رِيَشَارِدْ تَلْمَانِ» مَدِيرِ مَعْهَدِ «كَالِيفُورِنِيَا» التَّكَنُولُوْجِيِّ؛ الدَّكْتُورُ «هَا. سَمِيتِ»، رَئِيسِ دَائِرَةِ الطَّبِيعِيَّاتِ فِي جَامِعَةِ «بِرْنَسْتُونِ» .



في «أُوكِرِيدِجِ»، في «تِينِيَّيِّي»، انْبَثَقَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْجَدِيدَةُ السَّرِيَّةُ: إِنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِ الْقَبْلَةِ النَّرْبِيَّةِ .

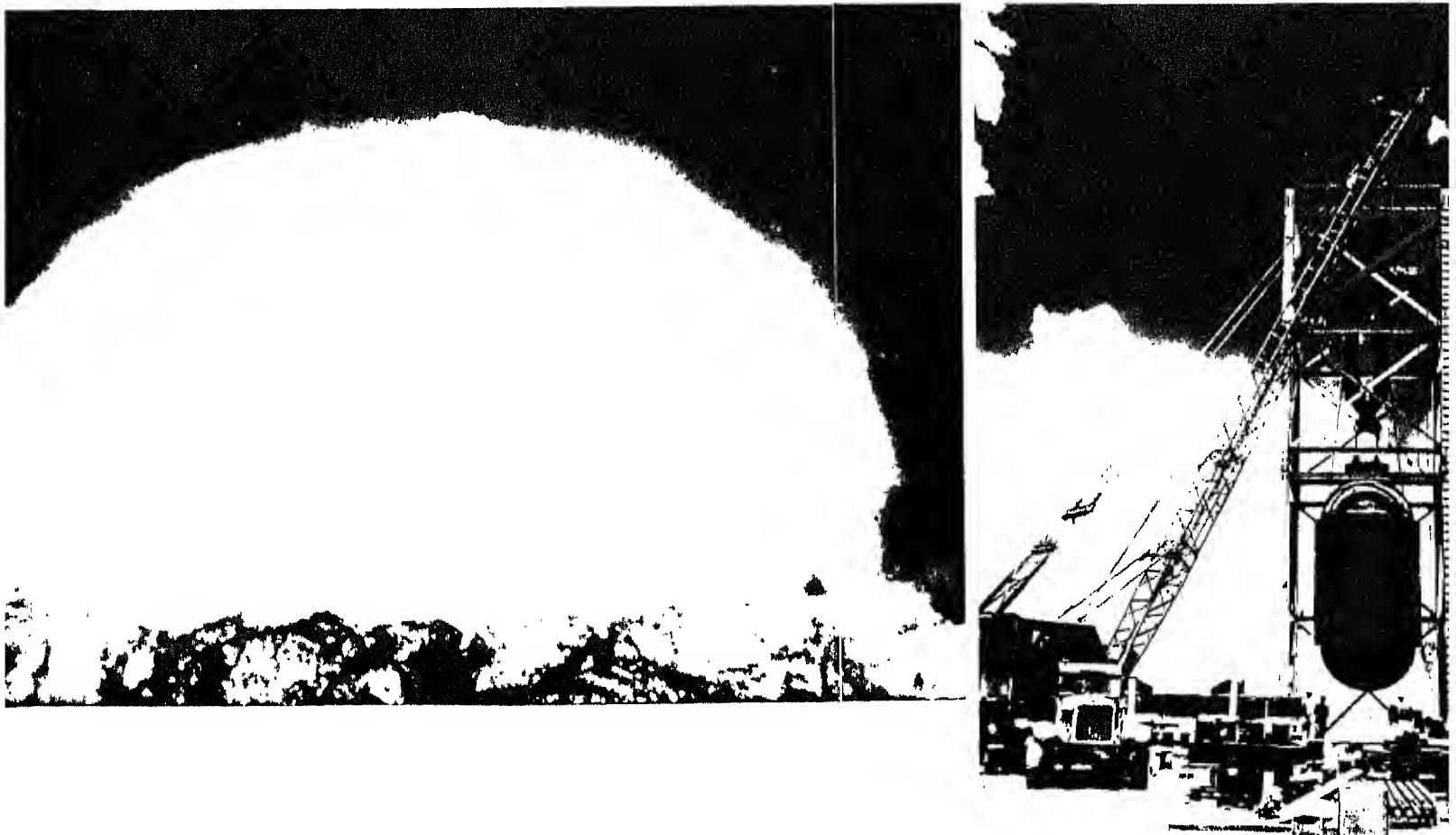
لِيَخْرِيْبِ الْيَابَانِيِّينَ طَاقَتَهَا فَلَيَجُوا إِلَى الْإِسْتَسْلَامِ . وَفِي ٩ أَيَّارٍ أَنْشَأَ «تَرْوَمَانِ» بَلْتَهُ اِسْتَشَارِيَّةً وَضَعَهَا نَحْتَ مَشْوَرَةِ «سَتِيسِسُونِ» إِذْشَافَهِ، وَكَلَّفَهَا بِدَرَاسَةِ التَّثَائِجِ الَّتِي سِيَسِفُ عَنْهَا السَّلَاحُ الْجَدِيدُ، وَإِبْدَاعِ رَأْيِهَا بِشَأنِ مَنَاطِقِهِ اِسْتَخْدَامَهُ فَصَدَ «الْيَابَانِ»، إِشْرَكَ بِهِذِهِ الْجَمِيْنَةِ ثَلَاثَةَ عَلَمَاءَ هُمْ: «كَارْلُ كَومِيَّتُونِ»، رَئِيسِ «الْمَعْهَدِ كَارِيزِيُّجِيِّ»، وَ«جِيمِسْ بَكُونِيَّتِ»، وَ«فَانْكَارِ باشِ»، رَئِيسِ «الْمَعْهَدِ كَارِيزِيُّجِيِّ»، وَ«جِيمِسْ بَكُونِيَّتِ»، رَئِيسِ جَامِعَةِ «هَارْفَرْدِ». وَاسْتَعَانَ هُوَلَاءَ بَعْدَ آنَّهُ مِنَ الْعَلَمَاءِ الْأَفَدَادِ، أَمْثَالِ «أَرْثُورِ كَومِيَّتُونِ» وَ«أَنْرِيِّكُو فِرمِيِّ» وَ«إِلِيُّو لُورَانِسِ»، وَ«أَوْبِنِيَّايرِ» وَمِنَ لَيْهُمْ. وَفِي أُولَى حَزِيرَانِ سَلَمَتِ الْجَمِيْنَةُ الرَّئِيسِ تَقْرِيرًا اِنْتَهَى بِالْقَرَارَاتِ التَّالِيَّةِ: ١- الْقَبْلَةِ النَّرْبِيَّةِ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الرَّئِيسِ تَقْرِيرًا اِنْتَهَى بِالْقَرَارَاتِ التَّالِيَّةِ: ١- الْقَبْلَةِ النَّرْبِيَّةِ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . عَلَمْ بِهِذِهِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . عَلَمْ بِهِذِهِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِيرِيَّةَ دُوَّغاً مَوَارِيَّةً أَوْ تَبَاسِ . وَقَالَ «تَرْوَمَانِ»: «خَلَصَ أَعْصَمَاءِ الْجَمِيْنَةِ إِلَى نَتْيَجَةٍ تَقُولُ إِنَّ بِرْهَانَنَّ تَقْنِيَّاً، يَعْتَمِدُ تَفْجِيرُ الْقَبْلَةِ جَزِيرَةً قَفْرَاءَ، لَنْ يَرُوَ إِلَى وَضْعِ حَدَّ الْحَرْبِ؛ كَانَ لَابِدَّ مِنْ إِلَقاءِ الْقَبْلَةِ الْجَيْشُ الْأَمْرِكِيُّ يَنْبَغِي اِسْتَعْمَالُهَا صَدَ «الْيَابَانِ»؛ ٢- يَنْبَغِي اِسْتَخْدَامُهَا مِنْ غَيْرِ إِنْدَارِ سَابِقٍ؛ ٣- يَنْبَغِي أَنْ تَمْكُنَ طَاقَتُهَا التَّدَمِير



صحراء «لوس الاموس» الهائلة.

أما اجتماع «ديفيز» «بتشترشل» فكان صاحباً عاصفاً. فقد كان «ديفيز» الصناعي المليونير. أول سفير للولايات المتحدة في «موسكو». وكان ما يزال يشعر بميل نحو السوفيات، فكتب إلى «ترومان» يقول: «شدّ ما صدعني أن أرى لدى رئيس الوزراء البريطاني موقفاً يمتاز، إزاء السوفيات، بمثل ذلك العنف وتيك المرأة... وبمثل تلك الريبة في حسن نيتهم... قلم أتمالك نضي من أن أقول «بتشترشل» إنني أتعجب كيف لا يعلن للملأ أنه، والشعب البريطاني، قد أخطأوا في محاربة «هتلر». طالما أنه قد أغرب عن العقيدة ذاتها التي نادى بها «هتلر» و«غوباز» دائماً.» وأردف «ديفيز» قائلاً إن «بتشترشل» الكلزي «أولاً». آخرًا. وفي كل آن. وإنما

«هاري هوبيكتز». ومهما ته السعي إلى السبيل التي من شأنها أن تؤدي إلى التفاهم مع «ستالين»؛ وثانيهما هو «جوزف أ. ديفيز». ومهما تلهيف حدّة «بتشترشل» وتعنيه إذا لزم الأمر. كانت هذه الرحلة، بالنسبة «هوبيكتز». آخر رحلات الحياة. استقبله «ستالين» بلطف وافق على فكرة المؤتمر. شرط أن يعقد في «برلين» وسط جموده الظافرة، ييد أن سبع محادثات. وخلوة واحدة طويلة. لم تفلح في تذليل أيّة من الصعوبات التي ما فتئت تظهر منذ عهد «بالطا»؛ فعاد «هوبيكتز» من «موسكو» بالنتيجة التالية: «ليس لكلمات. بالنسبة لنا ولروس ، معنى واحد».





جوف هذا «الشيء» العجيب المحمّل على عربة عجيبة سينتفع به
جديد في عمر الإنسانية.

وجلس إلى جانبه. وما من أحد كان يدرى من من الانكليزيات سيندلل بوعيه قرارات الموتور !
بيد أنَّ الأميركيتين — أو بالحرى بعض الأميركيتين — كانوا ينظرون على سرَّ أين منه سرَّ صناديق الاقراع الانكليزية ! فالتدابير المشددة لإعداد الانفجار النووي الأول تسير سيرها الخيش. فحفل التجربة وقف من أوقف سلاح الجو. وهو يقع في جبل صحراءوي من جبال «المكسيك الجديدة»، عند أصل جبال «سانغري دو كريستو». وأقرب القرى إلى هذا الحقل هي قرية يبلغ سكانها ٣٠٠٠ نسمة. تدعى «ألاماغوردو». شيد هناك عمود من الصلب يبلغ ارتفاعه ١٠٠ قدم. وضعت عليه القنبلة التي تمَّ جمعها في مدينة «لوس أنطونوس» السرية. أمّا مادة التفجير، وهي من «البلوتونيوم» الوارد من «هنفورد». فقد دُسَّ داخل القنبلة . يوم ١٥ تموز، الجزائر «توماس فاريل». مساعد الجنرال «عروفر». وقال معلقاً على ذلك : «كنت أشعر بحرارتها بين يدي وكتني بها حرارة حبيان حي». وبعدما غطّيت القنبلة بخيمة تركت خلال الليل تحت حرسة العالم الفيزيري «بيبريدج». وضابط وقف على البرج وبين يديه رشيش. لم يكن الطقس موائياً: فالظرف ينهر. والريح تعصف باتجاه المدينة التكساوية «أفاريلتو». القرية نسبةً. وأنشى على بعد ١٠٠٠٠ م. العمود ملجاً شيد بالإسمونت المسلح حوى عدداً كبيراً من أجهزة الإطلاق والمراقبة والتباين. وأنشى مركز القاعدة على بعد ١٨٠٠٠ م. فضلاً عن مركز آخر للمراقبة. بيبي على مسافة تبلغ ٤٠ كلم. إلتف حول «عروفر» و«أوبنهايم»؛ «فيرمي» و«باش» و«كونفت». وما يقارب أربعين غالماً آخر فضلاً عن عدد من الضباط والجنود. ولقد بلغ الإعیاء بعضهم حدَّ ناموا معه في الرحل .

كان «ليو زيلارد» قد جمع بالأمس في «شيكاغو» ٦٠ توقيعاً لعلماء يعارضون في استخدام القنبلة. أمّا في «ألاماغوردو» فراح الرجال يراهنون على ما إذا كانت ستتعلّم أم لا. فبينما أعلن «فيرمي». الذي نجح في إحداث أول اقفال مطرد التسلسل . بتاريخ ٢ كانون الأول عام ١٩٤٢. أنَّ القنبلة ستنتفع «مكسيكو الجديدة» نسفاً. اعتقاد البعض أنها ستلهب القضاء: وتبنَّ الآخرون. بمعدل واحد من أصل اثنين تقريباً. بأنَّها لن تعمل.

مدَّ اهتماماً بالإبقاء على السياسة الاستعمارية البريطانية منه بإقرار دم. وإنَّه لا يحاول الإبقاء على القوات الأميركيَّة في «أوروبا». رغم من إرادة «أينهاور» وأمانِي الشعب الأميركيَّ، إلا بقصد خدامها لتحقيق المأرب الانكليزية . كان «ديفينز» قد حمل اقتراحاً غريباً دار في خلْدَ رئيس الولايات المتحدةِ الجديد: إلا وهو توفير لقاء يجمع بين «ترuman» و«ستانلين» في إن ما من «أوروبا». يدعى إليه رئيس الوزراء البريطانيَّ بعد بضعة أيام . فأجاب «تشرتشل» بأنه لن يرضي إلا باجتماع ثلاثي يلتقي فيه حاورو «طهران» و«بيالطا» على قدم المساواة التامة. فلم يلح «ترuman» بمنسَّك ب موقفه .

نزل «بيرلين» من هول الدمار ما استحال معه إقامة الموتور بين أرجائها. يل الروس الوفد في دارات «بابلسبurg» «السليمة»؛ ورمتوا في «بوتسدام»، أجل الجلسات العامة. القصر الصيفي «الخاص» بولي العهد الإمبراطوري فأـ «سيسيليهوف». صحيح أنَّ الحرب قد أفلت أزارها؛ إلا أنَّ بير الأمن كانت أشدَّ من التي شهدتها «بيالطا». فخيَّل للأنكليز «ميركيتين» أنَّهم في أحد معسكرات الأسرى. وصل المضييف، «جوزف لين». متأخراً كما فعل في «بيالطا». فتعرف عليه «ترuman». واجتمع ذلك «بتشرتشل» للمرة الأولى. فإذا الرئيس البريطانيَّ في وضع سياسي يـ : ذاك أنَّ ممثلَي العمال كانوا قد انسجوا من الائتلاف الحكومي . استسلام «ألمانيا» بـ أيام، فجرت في ٥ تموز انتخابات عامة: إلا فرز أوراقها قد أرجى حتى ٢٥ منه. فيما يتنسَّى لأصوات الجنود ثرثين تحت كلَّ سماء فرصة الوصول إلى دواوينها. وهكذا بات مصير ستون من «تشرتشل» السياسي داخل صناديق الاقراع المخونة، التي تبُوح بسرها إلا في غمرة مباحثات «بوتسدام». ولكنَّه لا ينقطع حبل هذه احتبات رافق الحلف المحتشم، «كليمانت أتي»، الرئيس البريطانيَّ .

يسار : القنبلة مرفوعة على عمود الفولاذ .
١٦ تموز ، الساعة ٥،٣٠ ، انطلقت كرة النار الجبار في السماء البنفسجية في موجة صفراء .

يعود مؤتمر «بوتسدام» في جوهره ل بتاريخ فترة ما بعد الحرب، فقد
كرس انشقاقًّا «أوروبياً»، وشطر «ألمانياً» ما بين العالم الغربي والعالم
الشرقي، وأنصب حلف شمال الأطلسي الدفاعي، ومدد وجود القوات
الأميركية في «أوروبا». وكان أهمَّ حواراته على الإطلاق تواري المصارع
العربي «ونستون تشرشل». فقد غادر «برلين» في ٢٤ تموز، وملء بريديه
ثقة بالنتيجة الانتخابية؛ فإذا النتيجة تغير عن النصارى عثماني جارف!
فقد المحافظون ١٩٣ مقلعاً، ولم ينافس «تشرشل» في دائرة الانتخابية
الخاصة غير مهرج طروب؛ فإذا به يطالب أكثر من ١٠،٠٠٠ صوت مقابل
٢٧،٠٠٠ صوت نالها «تشرشل»! وهكذا عاد «أتلي» وحده إلى «بوتسدام».
وكان «إنكلترا» قد أخذت في الشحوب. فأخذ «ستالين» نفسه يتأمل هذا
الرجل الكثيب الباهت بدھشة يشوبها الحزن، وفي نفسه، من غير شك،
حيين إلى الخصم الذي تبادل وإيهام ضربات وضربيات.

استمر احتصار «اليابان». إنتهت حملة «أوكيناوا» في ٢ تمّوز، وما احتفل «موفيتان» في «رانغون» بفتح «برمانيا» حتى شرع بفتح «ماليزيا». أمّا في «بورنيو» و«الفيليبين»، فإنّاداً الحاميات اليابانية كانت تسير سيرها المنظم. ولم يغادر الأسطول الثالث مياه العدو، بل مضى قاصياً في المراقي، والأحواض على ما تبقى من سفن الحرب اليابانية، كالبوارج: «إيزيري» و«هارونا» و«هونينا»، وحاملات الطائرات «أماماغي» و«كتسورواغي» و«دوريهو»، والطرادات «توني» و«آهوبا» و«أويودو» و«إيويت» و«إيزومو» و«سيتسو». وكانت ردّات الفعل لا تبعدّي بعض الطروريدات البشرية، وكان أهمّ ضحاياها شأنّاً مدمّره المواكبة «أندرهيل».

وبلغ ما بلغت هذه الإنجازات الحرية، فقد كسفتها جميعاً تلك الظاهرة التي تعدت حتى حدود العقوبة التي أزالت «المانيا»: ألا وهي تدمير «اليابان» بالثار المابطة من السماء.

في آخر تموّز بلغ التدمير الذي حلّ بالمدن اليابانية الخمس الكبيرة، «طوكيو» و«أوزاكا» و«ناغويا» و«كوبى» و«بيوكوهاما»، نسبة تراوّح بين ٤٠ و٦٥ بالمائة. هذا وقد دُمرت أهم الأهداف الصناعية، وقد هوجم كلّ منها على حدة. أمّا المدن الثانوية فقد وضع لها برنامج عرق خاص، يقوم على تنظيم غارات يسهم فيها ما يراوح بين ٣٠ و٢٠٠ طائرة «ب-٢٩». فين ١٧ حزيران و١٤ آب هوجم منها ما يقارب الستين، وعدد سكانها يتراوح بين ٣٢٣،٠٠٠ (كفووكووكا) و٣١،٢٥٠ نفساً (كتسوروغما). أحرق كثير منها بمعدل ٦٠ و٧٠ و٨٠ بالمائة، وأحرقت إحداها، «توباما» (وعدد سكانها ١٢٧،٨٦٠ نفساً) بمعدل ٩٩،٥ بالمائة. فبلغ عدد الضحايا ما يقارب المليون، وبرز طيف المجازة. إلا أن الدعاية ما افتكّت تعلّن عن مناعة «اليابان»، وبنت نظريتها على التفكير الشّالٍ: «لا بدّ من إدانتنا جميعاً للتغلّب علينا؛ والحال أنتنا نعدّ ١٠٠

بدأ يوم ١٦ تموز . وانسابت ساعاته الأولى في قلق يكاد لا يُطاق . وفي تمام الساعة ٤٠٤٥ تشاور «غروفز» و«أوبنهايمير» للمرة العاشرة . فقد توقف المطر . والتعمت النجوم . وأشار الرصد الجوي إلى أن الريح قد بدأت اتجاهها ، بخيت لم يبق على طريق السحابة الإشعاعية المحتملة آية قرية تذكر . فأصدر «غروفز» أمره ببدء العد عكساً . وقبل أن يتنهي العد بخمس دقائق انطبع الجميع وجوههم إلى الأرض . حصل الانفجار في تمام الساعة ٥٠٣٠ . واتفق الروايات كلتها على التحدث عن قوة النور التي لا يمكن وصفها : «وهي تفوق مرأت ومرات نور الشمس في مكسيكو الجديدة» . ظهر أسطع أيام الصيف . وكذلك اتفقت الروايات على وصف الجمال الشيطاني الذي امتازت به الطواهر التي تتالت في أعقاب الالتحام العجيب الخارق . «كتلة من النار هائلة الحجم ... موجة فاقعة الصفرة متعالية فوق أفق تخضب بلون بنفسجي ... السنة» مخروطية الشكل . زهرية اللون . أرجوانية . متموّرة التأثير . لا تكمد في بعض الأحياء إلا لتأتى من جديد . كأنّ فما يقع من الغاز السريع الالتهاب قد انفجرت على سطحها ... » أما موجة الصدمة ، وقد وصلت بعد مضي خمسين ثانية على الانفجار ، فقد بدت ضئيلة مثيرة للخيبة ؛ أما الدوى الذي رافقها فقد بدا آتياً من أحشاء الطبيعة نفسها ، متراجعاً في البيداء بخلال مريح .

اختفى العمود الفولاذيَّ ولم يبقَ له أثر. وخسَف الانفجار سطح الأرض بقدار ٦ أقدام وأيْسَهَ كالزجاج. وشهَد الشهاب المثير في «أبُوكِيرك» و«سانتابي» و«إلبازو»، أيَّ في شعاع يبلغ ١٨٠ ميلًا.

فذكرت الصحف المحليَّة، وذُكر مراسل «الأُسوشينتد برييس»، فضلاً عن سلسلة من محطَّات الإذاعة، فأبا الانفجار المخيف الهائل، فترتَّب على قائد قاعدة «لاموغوردو» أن يبعد الشهابات ببشر مذكورة تقول إنَّ أحد مخازن الذخيرة قد انفجر عرَضًا. ومهما يكن من أمر فلم يرُشح شيء في الصحف الأميركيَّة الكبُرى، ولن يعرُف العالم الخارجي شيئاً مماثلاً.

كان أول من اطلع على الأمر في «بوتسيدام» هو وزير الحربية «ستيمسون»: فقد وصلته برقية تعلَّمَ بأنَّ العملية قد بلغت درجة من النجاح فاقت كلَّ توقع، وأنَّ نشوءَ من الخمية قد غمرَت العلماء. وحمل البريد، بعد ذلك بيومين، تقريراً مسهماً صادراً عن الجنرال «غروفز» اختلطَت فيه الاعتبارات الفلسفية بعبارات الحماسة، والأوصاف الشعريَّة باقتضاب التعبير العلميَّ التقنيِّ. وما قرأ «ترومان» التقرير حتى امتلأ عجبًا وانتفخ زهوًا. فما افتتح المؤمِّر حتى راح يتسلَّك ويتكلَّم مصطدمًا بلا مبالغة سوفياتيَّة فقدت الغربتين صبرهم، وكان «ترومان» أقلَّ احتمالاً لها من «تشترشل»، فراح يقسم أنه لن يستدرَّج إلى مثل هذا المغطس أبداً. وإذا بقنبنته توفر له فجأة جرأة وإقداماً جهل المشاهدون أسبابهما. ولما كانت القنبلة مشروعاً انكلزيَّاً أميركيَّاً، تلقى «تشترشل» كذلك صورة عن تقرير «غروفز»؛ فأشار لتوه إلى أنَّ إسهام «الاتحاد السوفيافيَّ» في حرب الحاديِّ قد بات أقلَّ جدوى، فإذاً غير مرغوب فيه بالمرة. أمَّا بشأن «ستالين» فقد طرح السؤال التالي: ما عسانا نقول له؟ فتصحَّح «ستيمسون» في مذكرة وجهاً إلى الرئيس بأنَّ يقيس مدى التصرُّفات بمحاتِّي المؤمِّر. فإذاً فقد اكتفى «ترومان» بأنَّ يقول «ستالين» إنَّ «أميركا» قد أنجزت صنع سلاح جديد ذي طاقة تدميريَّة هائلة خارقة. فلم يبيَّد «ستالين» أيَّ اهتمام خاصٍ، ولم يطرح أيَّ سؤال حول طبيعة هذا السلاح، بل اكتفى بالقول: «أرجو أن تستخدموه ضدَّ اليابانيَّين». ولم يعرِف أحد قط ما إذا كانت هذه الالاميلاة قد تجمَّعت عن كون «ستالين»، وقد أطلعه جاسوسيته على حقيقة الأمر، لم يكن له منه أيُّ جديد يفيده؛ أو عن كونه لم يدرك حقيقة هذا السلاح الثوريَّة.

المتحدة»، وتقديرها .
ييد أنَّ الرومنطية القومية قد ثارت، وقمع حركة التصلب وزير الحربية الجزال «أنامي». فأعلن بإصرار: «ليس الاستسلام غير المشروط بالنسبة للبابان» لفظة غير مقبولة فحسب. بل هي غير واردة، وبهذا يمكن من أمر. فإنَّ «أميركا» ليست على استعداد لأن تبذل ما سيكلفها الغزو من دماء مجففة باهطة الشم. فلا يدَّ من أن تلين في موقفها، فمتحنا شرطًا أكثر موًانةً. إذا نحن مضينا في مواجهتها بقرارات الاستئناف واليأس» .

أعرب عن جواب «البابان» في ٢٩ تموز بلاغًّا نشرته وكالة أنباء «دوماي»، يقول إنَّ الحكومة اليابانية قررت «تجاهل» الإنذار الأخير. وفي نظر «البابان» لا يعني التجاهل ردًّا قاطعاً. وإنَّ العبارة لا تغلق الباب. بل تلطف حدَّة الرد. أمَّا بالنظر إلى «أميركا» فقد حمل هذا الجواب معاني التصلب والاستفزاز والاحتقار تقريرًا .

وصل من «تينيان» إلى «بوتسيدام» عن طريق «واشنطن» تقرير يقول إنَّ المجموعة المؤلفة ٥٠٩. التابعة لسلاح الجو الأميركي. على أتمِ الاستعداد القيام بالمهنة المهددة. ما لم تحصل الأوضاع الجوية دون ذلك. إلا أنَّ «سباتر». قائد الطيران стрاتيجي. رفض «القضاء بالموت على ما يقارب ١٠٠٠٠ شخص. استناداً إلى أوامر شغوفة عادلة. وأصرَّ على التزود بأمر خططي. فسامِه في ٢٥ تموز مذيلاً بتوقيعه «ستيمسون» و«مارشال». إلا أنَّ ذلك لم يكن غير أمر تمهدى. أمَّا الأمر بالتنفيذ فلا يحقُّ أنْ يصدره غير القائد الأعلى للقوى المسلحة الأميركيَّة؛ أي الرئيس نفسه. ييد أنَّ التدابير قد اتَّخذت. شطبَت مدينة «نياغاتا» من لائحة الأهداف. على اعتبار أنها قليلة الاتساع. أمَّا «هيرشما» فظلَّت في رأس اللائحة، تتلوها «كوكورا» و«فاغازاكى». ستحلق طائرة من طراز «ب-٢٩» فوق كلِّ من هذه المدن الثلاث لتشتبَّت من حالة الرؤية. ودعيت الطائرة التي ستقلِّ القبلة «إينولا غاي»، وهو اسم والدة الطيار الكوليوني «تيبيتز». ولسوف ترافق هذه الطائرة طائرات أخرى من طراز «ب-٤٠٠». تقلِّ إحداها جماعة من العلماء. وتفقد الثانية على أهبة الاستعداد للحلول محلِّ «إينولا غاي» في محطة «إيروجيما». فيما لو دعت الحاجة إلى ذلك. أمَّا القبلة، وهي عادلة المظهر أقرب إلى الدمامَة منها إلى الأنفاس، فتبلغ ١٠ أقدام طولاً؛ وهُوَ أقدام قطرًا. وزن أقلَّ من ١٠٠٠٠ ليرة. كان على الضابط «وليم س. بارسونز» أن يتم جمع قطعها خلال الرحلة. ولسوف تغير القبلة بجث تتفجر على علوٍ ٦٠٠ مٌ من الأرض. هذا والكلِّ يجهل تمام الجهل ما يمكن أن يسفر عنه انفجار نووي يحدث على مثل هذا الارتفاع. كما يجهلون ما إذا كان الوقت سيسمح للطائرة الفاضحة بالإبعاد مسافة كافية تصول دون انفلاطاً وتفتكها. بقيت هنالك مهمَّة شاقة واحدة: هي إطلاع «ماك أثير»، الذي لم يبنِّي بمشروع «منهان» أكثر من أيِّ جنديٍّ من جنوده؛ فشكَّ «سباتر» مشقة السفر إلى «مانيل». متخرِّجاً من الاستقبال الذي يتَّظره هناك. إلا أنَّ «ماك» العظيم قد سجلَ النهايَّة التي سيترنَّق فتح «البابان» من بين يديه من غير أن يدرِّ منه أيِّ افعال .

وفي ٥ آب، وبعد انتظار طال أشهده، تسلَّمت المجموعة الجوية ٥٠٩. أمر الرئيس «ترومان» بالتنفيذ. في تمام الساعة ١، ٣٧ من يوم ٦ آب، أقلَّعت طائرات الاستكشاف الثلاث «ب-٢٩» من «تينيان». وما مرَّت نصف ساعة حتى لحقت بها «إينولا غاي»، وقد انضمَّ إلى الملاحين التسعة العاديين «بارسونز» وأخصَّائيَّان آخرين. تمتَّ الرحلة البابلية في شروط ممتازة مثالية. وفي الساعة ١، ٤٠ أخذت «إينولا غاي» تعلو من ارتفاع تخليقها العادي. وهو ٩٠٠٠ قدم. إلى المستوى المناسب للقصف

مايون . وبديهيَّ أنَّ إبادة ١٠٠ مليون كانزن بشريَّ أمر يستحيل تنفيذه ماديًّا حتى على الطيتارين الأميركيَّين. لا يمكن إذا قهراً، وإذاً فلا بدَّ من أن تنتصر !

أرادت «أميركا» لهذا البلد البائس فرصة البقاء. ففي ٢ تموز. أي قبل انفجار «الأموغوردو». سلم «ستيمسون» الرئيس «ترومان» مذكرة أقرَّ عليها أنَّ يوجهه إلى «البابان» إنذاراً أحيراً يدعوهَا إلى إلقاء السلاح. وفي وزارة الخارجية سعى «غريبو»، السفير السابق في «طوكيو»، بكلِّ ما لديه من قوَّة، لكي يسخاط اليابانيَّون علمًا بأنَّ الظافرين لن يصرُّوا على تدمير العرش الإمبراطوري. واستمرَّ نقاش هذا الموضوع في «بوتسيدام». فانتهى إلى نصٍّ أعطِيَتْ فيه «البابان» تأكيداً تخلُّلَ بوجبه حقَّ اختيار نظام الحكم الذي ترغِّب فيه. بملء حريتها. وأوضح بما لا يحتمل أيَّ التباس. أنَّ السيادة اليابانية ستقتصر على جزر الوطن الأمَّ الأربع: «هوكایدو»، و«هونشو»، و«شيكوكو»، و«كيوشو»؛ إذاً فقد قضيَ بالزوال على كلِّ الفتوحات التي حقَّقتها «البابان» منذ عهد الإمبراطور «مييجي». ومقابل ذلك يأخذ الحلفاء على أنفسهم عهداً، بالرغم من إصرارهم على استسلام سريع غير مشروط. بتحرير القوات اليابانية وإعادتها إلى أوطانها. وبالبقاء على الصناعات الصناعية لحياة الأمة، وبإشراث «البابان» بالتجارة العالمية. وإنَّ فرصة الخيار بالنسبة «البابان» قصيرة الأمد، وإنَّ فالويل لها !

نُقل إعلان «بوتسيدام» إلى «تشانغ كاي تشيك» برقياً، فقام بتوقيعه. ومهره «تشترشل» كذلك بتوقيعه، متَّهماً بذلك آخر عمل له كرئيس لوزارة حربية. لم يستشر «الروس» على اعتبار أنَّهم لم يكونوا في حالة حرب مع «البابان»، فلم يخفوا استنكارهم، واعتقداً منهم بأنَّ الحرب ستستمر حتى خريف ١٩٤٦ فقد كانوا ينرون خوض عماراتها على نطاق واسع. ويتوقعون فرصة التدخل في غزو الأرخبيل، ويأملون بالتالي أن يشارِكوا باحتلال «البابان». وما يريدونه، بخاصة، هو إلغاء الملكية .

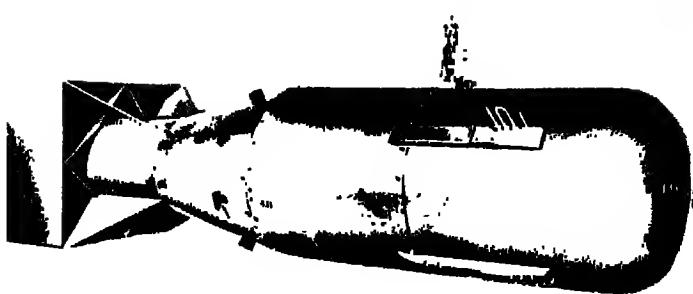
وحاكمَة «هير وهيتو» ك مجرم حرب وتعليقه على جبل المشقة . أذيع البيان الخليف في ٢٦ تموز. ووصل في النهار عينه إلى جزيرة «تينيان» ميكيل قبلة ذرية شُحِّن على من الطرَّاد «انديانا بوليس». كانت مادة المتفجرة من الأورانيوم ٢٣٥ الذي لم يكن، على نفسِه بلوتونيوم «الأموغوردو». قد أثبتَ فعاليته بعد. والواقع أنَّ قسماً من المادة فحسب قد شُحِّن على من «الأنديانا بوليس»، ووصلت الكمية اللازمة لإتمام الكتلة المتوجبة على من طائرة «ل-٥٤». صادف المراكب صعوبات كبيرة في «هونولولو» من قبل السلطات المشرفة على القاعدة الجوية، لم ترضَ هذه السلطات. بناءً على القوانين السارية. بأنَّ تجاذب المحيط الهادئ، طائرةٌ ضخمة لا تتعذرَ حمولتها عشرات من البيريات . وألحَت على ضرورة تزويدِها بالمرسيد من الحمولة ١. ولم تفُكْ إسار الطائرة إلاً بعدما استنفرت «واشنطن»، فأفَرَجَت السلطات عنها من غير أن تخفى استنكارها إنَّقسمت الحكومة اليابانية حيال هذا التهديد. فأشار «تونغو» إلى أنَّ الهجوة التي خطوطبت بها «البابان» تختلف كلَّ الاختلاف عن عنف الألفاظ التي أملَّت على «المانيا». وأنَّ الاستسلام غير المشروط، الذي ما زال قائماً عبارةً وشكلاً، قد أهملَ في الواقع، وأشار كذلك إلى أنَّ السُّبُل المتبقية قد سُدَّت جميعها. كُلِّفَ السفير «ساتو» بأنَّ يطلب من الحكومة السوفياتية أن تستقبل الأمير «كونوبيري» سعيًا وراء الوسائل الكفيلة بإعادة السلام، ولكنه لم يفلح في حمل «ستانلين»، ولا حتى «مولوتوف». على استقباله. وخلاصة القول أنه لم يبقَ هناك غير طريقة واحدة توفر على «البابان»، كارثة «التدمير الشامل» الذي تضمنته الإنذارات الأخيرة، إلا وهي العودة في الحال عن كفاح يائس، والالتجوء إلى تفهم «الولايات



الكولونيل «بول تبيتر»
الذي قاد طائرة «ب-٢٩»
حاملة القنبلة الذرية إلى
«هيرشيم». .



قائدة «هيرشيم».



من أجل طائرات معزولة تحلق في سمائها. فإذا يرف هائل خيف يغمرها. مخلقاً حريقاً ضخماً هائلاً اندلعت نيرانه وامتدت ألسنته في مدى ثانية. فحالات الترام ما فنت غاصبة بركتابها المكتسين ، وقد ازدحموا على المقاعد أو احتشدوا وقوفاً. وبهت ريح بلغت سرعتها ١٠٢٠٠ كلم في الساعة فألقت الحدران أرضًا في شاعر بلغ اتساعه ١٤،٥٠٠ م: وحطمت النافذ حتى على مسافة ١٢ كلم من نقطة الصفر . ونشبت زوبعة من نار شبيهة بالزوابع التي أضرمتها مئات القاصفات في «دريسد» و«هامبورغ» و«طوكيو»، وراحت تدور وتتلوي خلال ست ساعات. وما لبثت أن ظهرت على الناجين بودر وظاهر غريبة: بودر في ولهال بلغت درجة غير معهودة من الشدة ، تراوتها عمليات نزف ضئيلة كثيرة العدد في الفم والرimum. وسرعان ما حضرت الميتة عدداً كبيراً من الضحايا المصايبين بتلك الظواهر. ولسوف يسجل الإحصاء فيما بعد ٧٨،١٥٠ قتيلاً، و٩،٢٨٤ جريحاً خطيراً، و١٣،٩٣٨ مفقوداً، وإن يدخل في حسابه الجنود الذين كانوا يعدون ٤٠،٠٠٠ رجل، قد يكون الانفجار قضى على نصفهم. أما مقر قيادة الجيش الثاني، ومركز القيادة الغربية المحلية، والمدرسة والمستشفى العسكريان فقد أيدت وامتحن آثارها. شملت يوم ٧ آب فوضى شاملة، وفي ٨ آب استدعى الامبراطور وزير الخارجية «تونغو». وكان شقيق الامبراطور، العالم الأمير «اتاكاماوس»، قد ترأس لجنة من علماء الفيزياء أنكرت احتمال ظهور قنبلة ذرية في الزراع الاهن، ولكن التكذيب لا يتحمل جدلاً، ولذا قرر رأي الامبراطور على أن المضي في الحرب أمر محال. فأجابه «تونغو» أنه وقد انتهت مؤتمر «بوتسيدام»، بات يتضرر على آخر من الجمر أن يستقبل «مولوتوف» السفير «ساتو». وأن يتذكر الأمير «كونوبسي» من الرحيل قياماً بمهمة الغاوض المستددة إليه . في العشية بلغ النبا «موسكو». وقد كان مرتفقاً بفارغ صبر. وأخيراً

وهو ٣٠،٠٠٠ قدم. وما لبثت الطائرة «ب-٢٩». «سترات فلامش». أن أعلنت في تمام الـ ٧،٠٩ أن السماء صافية فوق «هيرشيم». وسرعان ما بدت المدينة. في الساعة ٨،١١. جلبة للغاية على أصحابها السبع التي ترسّها أفاليز «الأوتا». سلبيّة لم تمس . مستعدة لتقبّل محموديتها النووية. وما أرقت الساعة ٨،١٣ و ٣٠ قاصفة. الميجر «توم فيرببي»، أمراً بسيطاً قال فيه: «هلّم !»

غادرت القنبلة المستودع في تمام الساعة ٨،١٥ و ١٧ ثانية. فقمّت «إينولا غاي» بوابة رفعتها نحو السماء. بعدها فقدت ١٠،٠٠٠ ليرة من حمولتها. كان الركب عالماً بأنَّ ٢٥ ثانية لا بدَّ أن تنقضي قبل حدوث الانفجار؛ وأنَّ الطائرة ستكون في هذه اللحظة على بعد ١٨ كلم من نقطة الصفر. فطقق كلَّ من الرجال بعد: «٤٢... ٤٣... ٤٤...»

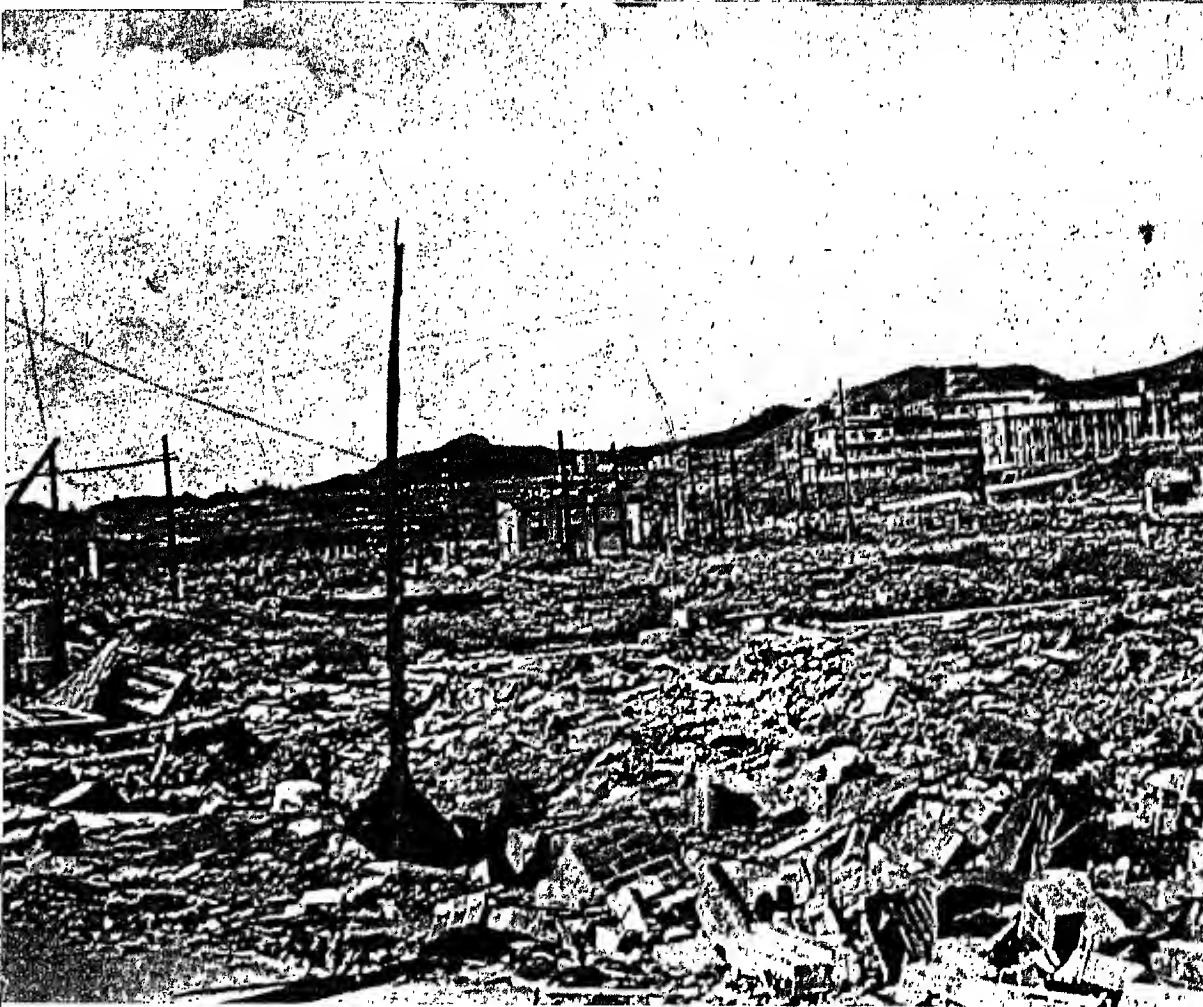
ووجأه اندفع من قلب المادة برق خاطف عجيب. على غرار ما حصل في «الأمزغوردو». أعمى الطيارين خلف نظاراتهم الشبيهة بنظارات عمال اللحام الذاتي. وما لبث فظر هائل الاتساع متوجه أن ارتفع وتألق في السماء ...

كان «ترومان» في البحر على ذنب الطراد «أوغوستا». فقد انتهى مؤتمر «بوتسيدام» في جو من الأسى بعدما تبيّن أنَّ صفحة خلاف تاريحي قد افتتحت بين «الولايات المتحدة» و«الاتحاد السوفيتي». ولكن ذلك لم يؤثر في مرح الرئيس. كان بالأمس قد أصدر . من غرفة العمليات الخاصة «بالأوغوستا». الأمر باستخدم القنبلة الذرية. قضى صبيحة ذلك النهار في الترقب متّسماً على المصطبة الخلقية مصيناً إلى تحف السفينة. ثمَّ ذهب فجلس في قاعة الطعام العامة الخاصة بالطراد، يشاطر التوبيط طعامهم. وفيما هو هناك حمل إليه أحد مساعديه البرقية التي أتت تعلمه بأنفجار «هيرشيم» في البحر على ذنب الطراد «أوغوستا». فقد انتهى مؤتمر «بوتسيدام» في جو من الأسى بعدما تبيّن أنَّ صفحة خلاف تاريحي قد افتتحت بين «الولايات المتحدة» و«الاتحاد السوفيتي». ولكن ذلك لم يؤثر في مرح الرئيس. كان بالأمس قد أصدر . من غرفة العمليات الخاصة «بالأوغوستا». الأمر باستخدم القنبلة الذرية. قضى صبيحة ذلك النهار في الترقب متّسماً على المصطبة الخلقية مصيناً إلى تحف السفينة. ثمَّ ذهب فجلس في قاعة الطعام العامة الخاصة بالطراد، يشاطر التوبيط طعامهم. وفيما هو هناك حمل إليه أحد مساعديه البرقية التي أتت تعلمه بأنفجار «هيرشيم» : «النتائج جلية في غاية النجاح بالنسبة إلى كلِّ ناحية. النتائج المشاهدة فاقت كلَّ تجربة سابقة...» عمد «ترومان» في مذكرةه في ما بعد إلى إيهامه افعاله بهالة من الحال والمهابة. ولكنه. في الواقع. قد أخذ يصبح غبطة وهو يقول: «أيتها الأولاد، لقد زميناهم ببلطة تساوي قوة ٢٠،٠٠٠ طنٍ من الديناميت !» فانفجر البحارة هائفين وهللين. أما آلام الضمير المبرحة. ومظاهر القلق والندم التي خالطت نشوة الظفر. فتركب تاريحي مزييف. صحيح أنَّ بعض الأشخاص . ومنهم «أيزهاور» : قد شجعوا استخدام القنبلة، بطريقة غوفية. على اعتبار أنها لم تكن ضرورة لإخضاع «اليابان»، إلا أنَّ الأكثريَّة الساحقة لم ترَ في ولادة السلاح الجديد إلا نهاية الحرب السريعة، وحقن الدماء الذي أتى يومته. هذا فضلاً عن أنَّ الذين أسفوا لوقوعها على «هيرشيم» كانوا على استعداد للتهليل لها في حال إلقائها على «برلين» .

واراحت الإذاعات تتكلّم. كان «ترومان» قد سجل قبل إبحاره بلاًغاً يعلن فيه للعالم دخوله في عهد النّرة؛ فبواسطته، وبواسطة تعلقيات إذاعة «سان فرنسيسكو». أحبط وزير الخارجية «تونغو» علمًا بطبيعة القذيفة التي أصابت «اليابان». فأنا زميله وزير الحرية، طالبَ إليه بعض التفاصيل المتعلقة بالانفجار. ولكنَّ العسكريين عمدوا إلى التهرب والتعميم. فاكتفوا بالاعتراف بأنَّ الأضرار التي نزلت «بهيرشيم» جداً فادحة وخطيرة. أما البلاغ الذي أذاعوه في اللند فاكتفى بالتحدث عن نوع من القنابل جديدة» بوش إجراء تحقيق حوله. أما «هيرشيم» فلم يبق منها سوى هيكل بعض المباني المشيدة بالإسمنت. كانت المدينة قد بدأت يوم عملها . وبناء لقاعدة السارية لم تُطلق صفارات الإنذار

عمود المطر الفتال ينعقد فوق «ناغازاكي» .





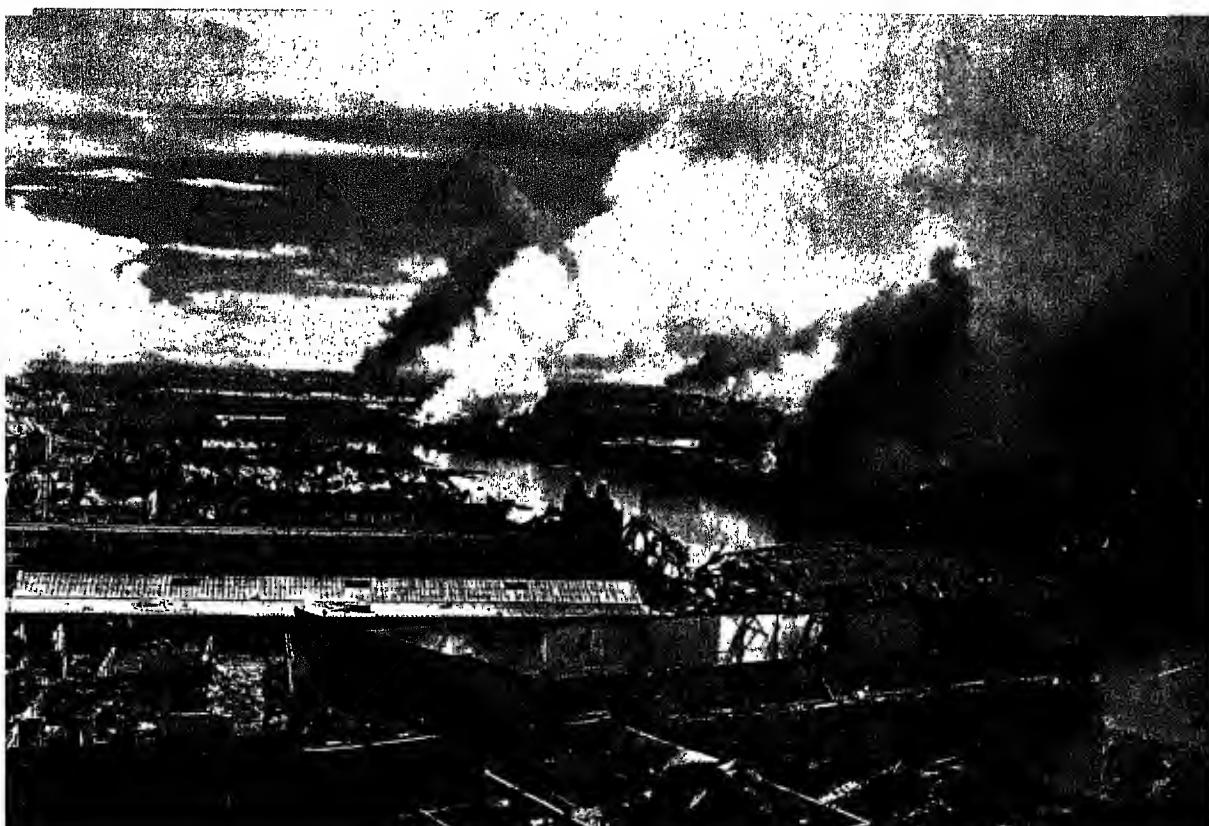
«ناغازاكي» بعد إلقاء القنبلة الذرية عليها . وقد انصببت وسط أنقاضها جدران كثيرة الطين .



آخر صور المأساة

«مالك أرثر» : « علينا أن نأخذ بيد الشعب الياباني في معارج التاريخ ، فنساعده على إدراك قيم المؤسسات والثقافة والمنجزات التي عرفتها « الولايات المتحدة » وغيرها من الديمقراطيات » .

لقد انهارت دول « المحور » وانصرفت « الولايات المتحدة » المنتصرة بكمال قواها إلى المحيط الهادئ بغية إذلال أحد المسؤولين عن النزاع ، وهو « اليابان ». وقد ورد في تعليمات « واشنطن » إلى



على جسر «الميسوري» :
الجنرال «مالك أرثر» يتقدّم
استسلام «اليابان». وقد وقف
خلفه ممثّلو الدول الحليفة .

الحي الصناعي في «مانيلا» ،
في الوقت الذي دخلت إليه
الصفّحات الأميركيّة وهي
تردد على المدفعية اليابانية
بالمثل .

اقررنا قراراً صاح الحاللة الأُمّاطور . وأن نستبدل

يا له من تصرف غريب ! ولقد جعله «سوزوكى» مفجعاً عندما خر
ساجداً أمام «مير وهيتو». فأمره هذا بأن ينهض . وبأن يعود إلى مكانه .
نعم بادر بالكلام . فراح تلوم العسكريين بشدة : لقد وعدوه بالانتصارات
غير مرأة ، وهم لم يأتوا إلا بنتائج وخيبة . كيف إذا ، والحالة هذه ، يشق بما
يغدوونه من وعد جديدة . ووضع «البابان» قد غدا على ما هو عليه من
سوء ؟ إنَّه لمضطرب لا تحمله شعبه من آلام . وأمَّا مصيره الشخصي :
ومصير سلالته الملكية ، فلم تكن لها قيمة في الرهان القائم . فهو يقبل
بشرط الحلفاء ، مهما بلغت من القساوة والإذلال والضعن .

واستمر الليل هادئاً يستحمل في ضياء قمه وفي وزارة الخارجية، وراء نوافذ محجوبة، كانوا يحررون المذكرة التي سوف تسلّم في ساعات الصبح الأولى إلى القوّات البريطانيّين في «برون» و«ستوكهولم». كانت تتضمّن القبول بحكم «بوتسلام». بشرط واحد: «على أن لا يحمل هذا الحكم المذكور أية متطلبات تمسّ امتيازات صاحب الحالـة الامـبراطور كسلطـة ملـكـة».

عرف الجنود الأميركيين بواسطة الإذاعة في الساعة ٤ من صباح ١٢.
وقد أثبتت بعد ساعات عن طريق المفوضية السويسرية، وحال الشروط
اليابانية أوضحت «الولايات المتحدة» موقفها بالبارارات التالية: «ابتداء من
الاستسلام، ستكون سلطة الامبراطور خاضعة لسلطة القائد الأعلى للقوات
الخليفة». وكان واضح هذه العبارة هو سكرتير الدولة الجديد «جييس
بيترز»، وقد كانت حلاً وسطاً بين المنطرين، أمثال «أو وين لايسور»، الذين
كانوا يرغبون بمقاضاة الامبراطور ك مجرم حرب، والواقعيين أمثال «غرو»
و«ليهي» الذين قبلوا بكل بساطة بالإبقاء على الملكية. وفي «طوكيو»
تفجر التزاع واحتدم: وأكمل «توغو» أن الرد الأميركي كان مرضياً.
وأنَّ الخصوص كان واجباً. وأمَّا «هيرانوما»، الذي اقْلَبَ على موقفه
المعتدل، فقد أكمل، بعكس ذلك، أنَّ إخضاع العاهم لسلطة أجنبية
أمرٌ غير مقبول، لكونه يقتضي على كيان الدولة اليابانية. وعاد أنصار القتال
حتى الموت يحرزون بعض التقدم، فوجّه «أنامي» للجيش نداءً بعده فيه
بالنصر إنْ هو كان مستعداً لبذل التضحيات لصد الغزو. وقد أبلغ عن
هياج فائق القوة في بعض هيئات الجندي. وقد أشير إلى «سوزوكى»
و«توغو» و«يوناي» كخونة نذروا لعموريات لا تعرف الرحمة.

وَجَدَ الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى نَفْسَهُ فِي ١٤ آبِ في وَضْعٍ ٩ آبِ عَيْنِهِ. وَلِقَدْ
رَفِعَ جَلْسَتَهُ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسَهَا. وَأُوْضَعَ «هِيرْ وَهِيْتُو» مَوْقِفَهُ. قَالَ إِذَا يَفْهَمُ
مُشَاعِرَ الْوَطَنِيَّيْنِ. وَلَكِنَّ وَاجِهَ كَامِبْرَاطُورُهُ أَنْ يَقْدِمَ الْأَمَّةَ. قَبُولُ
الشَّرِّ وَطَلَقُ الْخَلِيفَةِ أَمْرٌ لَا مَفْرَأَ مِنْهُ. وَلَسَوْفَ يَتَوَجَّهُ إِلَى شَعْبَهُ بِنَفْسِهِ لِيَعْلَمَهُ
بِذَلِكَ، وَلِيُطْلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَخْضُمَ لَوْاقِعَ الْحَاضِرِ لِلْحَفَاظِ عَلَىِ الْمُسْتَقْبَلِ.

اندلعت نار الثورة العسكرية في العشية نفسها. قاد ليوتنان كولونيل اسمه «هاتاناكا» مجموعة من الضباط إلى الجنرال «موري». رئيس الحرس الإمبراطوري. وطلب منه أن يوقف الأهزاميين؛ فرفض «موري». طلبه؛ فأردته طلقات انطلقت من رشيش. واحتل المتمردون إذاعة «طوكيو» وراحوا يبحثون عن الإسطوانة التي سجل عليها الإمبراطور رسالته إلى الأمة. بغية إتلافها؛ وأحرق آخرون مسكن «سوزوكى» و«هيرانوما». أطلق نذير الخطر. وراحت طائرات ترعد فوق «طوكيو». وهام السكان الملعون في كل صوب. وجاش الثوار، ولكنهم يأتوا من غير رئيس، مما الجنرال «أمامي». فبعدما عاد من المجلس الأعلى. بقر بطنه وقطع رأسه نزولاً عند رغبته التكفير عن معارضته الإمبراطور. وسارع الجنرال تاناكا. القائد الأعلى لجيش الشرف. إلى ثكنة الحرس. فأعادهم إلى

استادى «مولوتوف» السفير «ساتو» ليبلغه إعلان «الاتحاد السوفياتي»
الحرب على «ليايان» !

وتعاقبت المنشآت الحكومية في اليوم التالي. ٩ آب. وخلالها أُنبأ عسكريّة مفجعة: كانت ١٥٠٠ طائرة من سلاح البحرية الأميركيَّة ترافق شمالي «هونشو» بلا هواحة؛ وقد شنَّ الروس المدحوم في «منشوريا» وأخيراً. وبصورةٍ أخْصَّ، سقطت على «البابان» قنبلة ذريَّة أخرى ! وحسب وجهة النظر الأميركيَّة، لم تكن الغارة قد تمت في ظروف الكمال التي نعمت بها غارة «هيرشيمَا». فالقنبلة المحسنة بالليتوانيوم كانت مخصصة لـ«كوكورا»، ولكنَّ غيوماً كات تحجب جزيرة «كيوشو» فكان على رئيس البعثة - الماجور «سويني»، أن يستدير شطر مرمى الاستبدال الآخر. «ناكازاكي» . وأمّا الانفجار، الذي كان أكثر عنفاً من انفجار ٦ آب، فقد أوشك أن يفتت طائرة «ب-٢٩» التي اضطررت ثمَّ حطت في «أوكيناوا». أقرب مكان ممكن. غير أنَّ هضاب «ناكازاكي» قد حدّت من فعالية التفجير، ومن أهمية الأضرار وعدد القتلى. ومن جهة أخرى بات المستودع الناري في ذلك الوقت خاويًا: فلسوف تتفضي أسلبيَّ عدَّة قبل أن تنتج «هافورد» و«أوك ريدج» كمسيّات المادة المتفجرة الضروريَّة لانفجارات جديدة.

كانت الحكومة اليابانية تحمل ذلك. ليس هذا فحسب، بل لقد استتبعته. بعد استجواب طيّار «بـ٢٩» أسقطت طائرته أنّ قنبلة ثلاثة كانت مهيأة لإلقائها على «طوكيو» في ١٢ آب.

راح «تاغو» يستجوب العسكريين: هل كانوا يعنون النفس بأدنى أهل في النصر؟ فأجاب الأميرال «يوناي»، وزير البحريـة، نفياً، ومن غير بردـة. وأمـا الجنـرال «أنامي» فقد راح يماـحـكـهـ: إنـ المـعرـكـةـ الحـاسـمـةـ.ـ مـعرـكـةـ «ـالـيـابـانـ»ـ لمـ تـخـضـ بـعـدـ،ـ وإـمـكـانـيـةـ الـلـقـاءـ بـأـيـ غـزوـ فـيـ الـبـحـرـ لـمـ تـزـلـ.ـ وـصـرـحـ «ـأـنـامـيـ»ـ بـأـنـهـ يـقـبـلـ مـعـ ذـلـكـ يـالـقـاءـ السـلاحـ إـذـ قـبـلـ الـحـلـفـاءـ بـعـدـ اـحـتـلـالـ «ـالـيـابـانـ»ـ.ـ وـبـالـسـيـاحـ الـجـيـشـ الـيـابـانيـ بـأـنـ يـتـسـرـحـ بـعـصـهـ.ـ وـأـنـ يـنـحاـكـمـ مـجـرـمـوـ الـحـربـ أـمـامـ مـحاـكـمـ يـابـانـيـةـ،ـ هـذـاـ فـضـلـاـ عـنـ الـإـلـقاءـ عـلـىـ الـمـلـكـيـةـ.ـ وأـمـاـ الـجـنـرـالـ «ـأـمـواـزـ»ـ وـرـئـيـسـ أـرـكـانـ الـجـيـشـ الـعـامـةـ.ـ وـالـأـمـيرـالـ «ـتـويـداـ»ـ.ـ وـرـئـيـسـ أـرـكـانـ الـبـحـرـيـةـ الـعـامـةـ.ـ فـقـدـ نـاصـراـ وـزـيرـ الـبـحـرـيـةـ فـيـ الـاسـتـيـاجـاتـ الـتـيـ اـنـتـهـيـ إـلـيـهاـ.

وبقي متصف الليل عاد المجلس الأعلى إلى الالتحام في المدرج
الأمبراطوري للمرة الثانية في اليوم نفسه. من الوجهة القانونية كان
ولئن من ستة أعضاء هم: رئيس الوزارة، وزير الخارجية، وزير الحرب
والبحرية، ورئيس الأركان العامة لوزاريتي الحرب والبحرية. وأما في ذلك
الظرف بالذات، فقد دعي كذلك البارون «هيرافوما» رئيس المجلس
الخاص. ولم ينبع هذا الاختلاف أي مظهر من المظاهر البروتوكولية، بما
فيها سرة الأعضاء المدنيين. كان ضوء القمر الباهي يشع وسط أشجار
الصنوبر الجليلة التي نجت من حريق القصر الإمبراطوري. وبصورة
استثنائية لم يكن نذير واحد للخطر قد دق في «طوكيو». ترأس المؤتمر
«هيرافوما». إن إسهامه في المناقشات كان سابقة جديدة، لكونه يعتبر
خليداً صامتاً للأمبراطورية الإلهية.

غير أنَّ المواقف كانت متصابةٍ، والقوى متعادلةٍ. فقبلَ «تغُو» و«يوناي» و«هيرانوما» بالاستسلام؛ ورفضه «أنامي» و«أومازو» و«توبوردا». وأضعين شرطًا يرفضها المتصرفون مسبقاً.

كان رئيس الوزارة، الأميرال «سوزوكي» المطرم، قد أصفعى إلى سياق المناقشة من غير أن يفهمها. وفجأة هض من مكانه. كانت الساعة ٢ من صباح ١٠ آب. قال: «أيتها السادة، إننا نناقش منذ ساعات، فيما الغرار الذي يجب أن ننتهي إليه لا يخدر تأخيره ولو دقيقة واحدة. إنني



آخر فصل من فصول المأساة : توقيع وثيقة استسلام « اليابان » على ظهر « الميسوري » يوم الأحد ٢ أيلول ١٩٤٥ . الساعة ٠٩،٠٤ ويبدو في الصورة الجنرال جنرال « رتشارد ك . سايرلاند » ، من أركان حرب « ماك أرثر » ، وهو يوقع على الوثيقة التاريخية .



في « رامس » ، بعد توقيع وثيقة استسلام « ألمانيا » . ويبدو من اليسار إلى اليمين : الجنرال « سولو باروف » ، الجنرال « مورغان » ، الجنرال « سميث » ، الجنرال « أيزنهاور » ، مارشال الجو « تيدر » .

الجنرال « غوستاف جودل » يوقع على وثيقة استسلام « ألمانيا » وبقربه الأميرال « فون فرييدبورغ » .





صورة رمزية للعقاب العسير . لقد ساق العدوان على «بيرل هاربور» أسطول «الولايات المتحدة » إلى أقدام جبل «اليابان» المقدس ، إلى خليج «طوبكير» . أمّا وقد رضخت «اليابان» ل الواقع واستسلمت . فقد عرفت نهضة سريعة وازدهاراً اجتماعياً رائعاً .

«برسيفال» الذي سلم «ستغافورة». والأميركي «ويزرايت» الذي سلم «كورنيشوار». لم يكن البرنامج يتضمن أية خطبة، ولكن «ماك أثر» حمل مفاجأة: فقد راح يتكلّم! وقد نطق بكلام رائع. قال إنه يختلف بعودة السلام. فبدأت ستار روح «المؤنة والبغض والضغينة». وشمل المتصرّين والمتهزّين طالباً إليهم جميعاً أن يبذلوا مجهوداً مشتركاً لبلوغ مرتبة بشريّة أسمى. وقد تذر هو نفسه التهدّي التالي: «بصفتي القائد الأعلى للقوّات الحليفة، أعلن عن عزمي الوطيد. تمشياً مع روح البلدان التي أُمّلها، في أن أقوم بأعباء مسؤولياتي بعدل وبطولة أناة». كانت الربيع تصفر من كلّ صوب. والرابيات تصطفق تحت الشمس. وأمّا الناقص من الاحتفالات الليلية الكثيرة في «راس» وفي «برلين»، التي تميّزت بالتبجيّل والحمد، فقد كان تناقضًا صارخاً. وحسب قول أحد الشهود اليابانيين، «الديبلوماسي» كازاري. «جعل إلهام «ماك أثر» الخير من «الميسوري»، تلك الآلة الحربية الضخمة». «مدبّج سلام»، وقع اليابانيون. ووقع الحلفاء. كانت الساعة ٩.٢٥. إنصرف اليابانيون تحيّتهم عند سلم جوف السفينة صفارّة ملازم بحري أول. وأركان «الميسوري» العائمة في وقفة التأهّب. وهكذا انتهت الحرب العالمية الثانية في يومها الـ ٢٠١٩٤. وبعد مضي ست سنوات من بدايتها، اشترك فيها ٦١ دولة. وكذلك عدد من الرجال ينarrow بين ١١٠ مليون و١١٠ مليون. كان القتال قد شمل مساحة تبلغ ٢٢ مليون كيلومتر مربع. وقد بدلت فيها بين ٣٢ و٤٠ مليوناً من الأرواح البشرية. وأمّا الحسّاء، المادّية فلم يجرّ قط تقديرها بنسبة مرتبة. ولكن «الأمر الذي لا ريب فيه هو أنّها قد جاوزت الحسّار التي تراكمت في الحروب الآثنة كلّها». إنّ مرونة الجنس البشري بلديرة بكلّ تكريّم وأجلال. ذلك أنّ هذه التجربة المائة لم تقطع، إلاّ خلال سنوات قليلة جداً. سير البشرية نحو الرقي.

الطااعة بعد خطبة استغرقت ثلاثة ساعات. وإذا قام بواجبه كان يتناقض مع ضميره، أقدم هو الآخر على الاتتحار على طريقة «هاراكيري». في الساعة ١٦ من ١٥ آب، وفي أطلال المدن، وفي ساحات القوى. تجمعت «اليابان» بكلاتها حول مكبرات الصوت. لم يكن أحد قد سمع صوت الإمبراطور من قبل، ولم يكن أحد يعلم لماذا عمد إلى استدعاء شعبه بكلامله. كان معظمهم يعتقدون أنه سوف يرسل نداءً يدعوه إلى القتال حتى الموت. وتعالى الصوت غريباً، عميقاً، لا هثاً. وأمام التعبير التقليدي للمات فقد كاد أن يكون غير مفهوم. ومع ذلك لم يفت أحداً فحوى الرسالة: كان الإمبراطور يريد أن يوقف القتال. وأن يقبل بالقدر، بالهزيمة، بالإذلال، بالاحتلال.

رفض الكثيرون من اليابانيين الأمر الواقع. وفي بعض الشكبات سالت دماء المترجعين في السلام شلالات؛ وصعد بعض طياري «كامبيكازي» الانتحاريين إلى طائراتهم وراحوا ينتحران غرقاً في خليج «طوكيو»؛ وجاءت مجموعات تختر صامته أمام جسر «نيجوياشي». المدخل الرئيس للقصر الإمبراطوري، وقد بقي الكثيرون منهم جثثاً هامدة هناك يضرجون الأرض بدمائهم؛ وقد جرت فضول مماثلة في الأماكن المقدسة كلّها؛ وفي «طوكيو» اجتمع حشد من الثوار في «أتاغو ياما» حيث كان اتحاد «إيزاناني» و«إيزاغاني» قد بعث «اليابان» إلى الوجود. وأمام طيار وقادة «أنتروغي» فقد كانوا في حالة ثورة جهارية. فراحوا يملقون على الخفاض فوق القصر، وهم يلقطون بمناسير تشتم الحونة؛ مطالبين باستمرار القتال

إستقال الأمiral «سوزوكي»؛ ولم يكن الوقت كافياً لاستشارة رجال الدولة الهرميين الذين يلطفون بمحكمتهم السياسة اليابانية المضطربة العنيفة. وقرر الامبراطور تعين عمّه الأمير «هيغاشيوكوري» رئيساً للوزارة؛ وأوفد أربعة آخرين من أفراد العائلة الامبراطورية إلى جيوش ما وراء البحار

شَبَّيْتُ أَحْدَادَ
الْحَرَبِ
الْعَالَمِيَّةِ
الثَّانِيَةِ

١ أَيُّلُول ١٩٤٥ - ٢ أَيُّلُول ١٩٤٥



بِقَلْمَنْ بَيَارِ دُوفُورْلَهُ

أيّار ١٩٤٣ - أيّار ١٩٤٣

فرنسا "لندن"

فرنسا "فيشي"

تونس

المغاربة - المغرب

"افريقيا الشمالية" تنتقل إلى صفة

ـ "افريقيا الشمالية" تنتقل إلى صفة

- ١٣ . احتشاد اجناد «باري» الفرنسية في «مجاز الباب».
- ١٥ - ١٦ . «بلاتون» يقف إلى جانب «استيفا» في «تونس». باري يقاطع «استيفا»، ويصل بالانكماش ١٩ . جيش «افريقيا» يستأنف القتال ضد الألمان.

- ٢ . هجوم ألماني معاكس على «طربة».
- ٨ . استسلام «دربان» في «بنزرت».
- ٩ . إخفاق الحملة الحلفية على «تونس».
- ١٨ - ٣٠ . هجوم «أرييم» على «الكاف» و«مجاز» (الفايد).
- ٢٩ . القاء القوات الألمانية البيضاء (روم) بالقوات الألمانية التونسية.

- ١٤ - ٢٢ . حمله «روم» على «نسبة» و«القصرين» و«قصص».
- ٢٨ . إخفاق «روم»، الخلف، يستعيدون «القصرين».

- ١٧ . «باتون» يلتقي الفرنسيين ويستولي على «قصص».

- ٨ . إلقاء «باتون» و«مونتيغومري» في «القطارة».
- ١١ - ١٢ . سقوط «القيروان» و«سوسة».

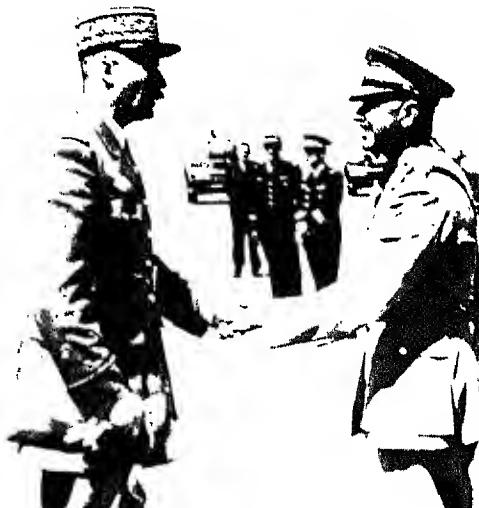
- ٥ . الفرنسيون يستولون على «جسر الشخص».
- ٧ . سقوط «تونس» و«بنزرت».
- ١٢ . استسلام ألماني - إيطالي في رأس «بون».

- ٧ . «جبل طارق» - مقابلة بين «جيرو» و«أيزنهاور».
- ١٠ . «دارلان» يأمر بوقف اطلاق النار.
- ١١ . هدنة فرنسية - أميركية في المغرب.
- ١٣ . اتفاقيات «دارلان» - «أيزنهاور» . «جيرو» قائد أعلى.
- ٢٢ . اتفاقيات «كلارك» - «دارلان» حول الدفاع عن «افريقيا» الفرنسية.

- ٤ . «دارلان» يعلن نفسه رئيس الدولة بالنسبة لافريقيا الفرنسية.
- ٢٤ . اغتيال «دارلان» في مدينة «الجزائر».
- ٢٦ . «جيرو» مفوضاً سامياً وقادراً أعلى.
- ٢٨ . «جوان» ينزعم إلا جناد الفرنسية في افريقيا الشمالية.

- ١٤ - ٢٤ . مؤتمر «الدار البيضاء» (روفلت - تشرتشل). على ألمانيا أن تستسلم «بلا قيد ولا شرط».
- ١٤ . اجتماع «جيرو» و«ديغول».

- ٥ . اعلان «جيرو» فائداً أعلى مدنياً وعسكرياً في افريقيا.
- ٨ . «كاتر» يصل مدينة «الجزائر».
- ٨ . «الكنسندر» و«جيرو» في «تونس».



- ١٢ . مباحثات «لافال» - «ساوكل» حول نقل العمال الفرنسيين إلى ألمانيا.
- ٣ . اتفاق المساعدة بين الولايات المتحدة واللجنة الفرنسية.
- ٢٨ . «الاتحاد السوفيتي» يعترف باللجنة الوطنية الفرنسية.

- ١٩ . انتقام الألمان من «المقاومة» : ١١٣ ضحية نرمى بالرصاص.

- ١٩ . «لافال» يدعو العمال الفرنسيين إلى الذهاب إلى ألمانيا.

فرنسا

فيشي

- ٣٠ . عودة «دارلان» إلى «فيشي» بعد حلولة تعشيشه في «الرباط» و«دакار» ومدينته «الجزائر».

- ٥ . «جيرو» يغادر فرنسا. «دارلان» يعود إلى مدينته «الجزائر».

- ٨ . نزول الحلفاء في «المغرب» و«الجزائر». «بيان» يأمر بقاومة الـ ١٠ . مغاربة فرنسيين مغاربة فرنسيين - أميركيين في «المغرب» («نوغيس» - «باتون») الولايات المتحدة تقاطع «فيشي».

- ١٠ . برفيه سرية يبعث بها «بيان» إلى «دارلان».

- ١٢ . منظمة «النستاب» توقف «فيغان».

- ١٤ . «بيان» يستذكر موقف «دارلان» و«جيرو» و«نوغيس».

- ٢٧ . نصف أسطول «تلتون».



«تلتون» ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٢.

- ٣٠ . إنشاء الجيش المؤقت ووضعه تحت إمرة «درنان».

- ١١ . سن قانون بقر ووضع «الجوف المعاذية للبلشفية».

- ١٦ . سن القانون المتعلق بخدمة العمل الإجباري.

- ٢٤ . الألمان يأمرون بالجلاء عن «حي المرقأ القديم» في «مرسيليا» ثم يدمرونه.

إنشاء قوات المقاومة السرية العسكرية حول وحدات القناصة المسرحة في «السفراء».

- ٥ . نقل «دادايدية» و«بلوم» و«غاملان» إلى ألمانيا.

- ١١ . اتفاق «ساوكل» و«لافال» حول تحويل بعض أسرى الحرب إلى عمال.

- ٢٩ . اجتماع «لافال» و«هتلر».

- ١٧ . الاعتصام في الإسكندرية (غودفرا) يلتحق «جيرو».

- ٢٠ . وصول «ديغول» إلى مدينة «الجزائر».

- ٣١ . في «فيشي» : وضع القانون المتعلق بمتان العمل.

أيلول

تمرين

تمرين

كانون

كانون

سباط

آذار

نيان

أيار

الفصل ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠

الجبهة الروسية

من عمر

١٠. البرول الانكليزي إلى البر في «ماجرينا» .
١٢. بدء معركة «ستالينغراد» .
١٣. سقوط «إيليشتا» (الفقاس) . الجبهة تستقر حتى ١٩ تشرين الثاني .
٢٣. وصول الانكليز إلى «تاتاناري» .

النزول إلى البر في المحطة
الهادىء .

الروسية الأقصى

١١ - ٢٠ مدرب في سر
«عواد الكايل» .

في الفقاس: جنود ألمان في
ثياب النساء .

٣. «عينيا الجديده»: الاوستراليون

١٠. «لوچنتلوم» يعيّن
سر جورن «كروكدا» .
- ١٤-١٣-٣٠. هزائم جديدة
نزل باليابانيين في «عواد
الكايل» .

غشت الجديدة . مواصلة التقدّم
الخلف في «عون» (١٩١٩)
«دون» و«سرامايدا» (١٩١٩) .

أمريكا الصين

١٩. «الولايات المتحدة» وبريطانيا
العظمى تهدّىء إلى الصين
متلكاتها، وفرنسا تحذّل حذوهاها
٢٠. «الشيل» تقاطع
«المحور» .
٢٨. «روزفلت» في «ناتال»
١. «شنانغ كاي شيك» في
«واشنطن» .
٢. مؤتمر انكلزي صهيوني
اميركي في «سوئنونج-كينغ» .

١٨. الأسرال «كوفغا» حل محل
الأميرال «ياماكونو» الذي
ذهب خمجه معركة حربه .

١١. نزول اميركي في «آتو» .
١٥. «مال أرثر» يتسلّم القيادة
العليا الحليفة في المحيط
الهادىء .



١٥. الانكليز يحتلون حويى
الجزيره .
١٩. في الفقاس: جنود ألمان في
ثياب النساء .
٢٣. الهجوم المعاكس السوفيافي في
«ستالينغراد». تطهير الجيش الألماني
ال السادس الحاضع لإمرة «باولوس» .

٢٢. حملة «مونتشومري» في
«العلبيين» .
٢٣. احتلال «طريق» .
٢٤. احتلال «بنغازى» .
٢٥. هجوم «رومبل» المعاكس
في «العقبة» .

Catastrophe in the sea

المربي البحري

إغراق ٧٠٠،٠٠ طن
من السفن الحليفة .

١١. إنفاذ الهجوم المعاكس الذي شنه
«مانشتن» لافراج عن «ستالينغراد» .
١٦. زراعة الماني عام في حلقة «الدوار» .
٣٠. الألمان يخلون عن خط «الترنك» (في
الفقاس) .

- ٥- ١١. انسحاب مانشتن إلى رأس جسر
«الكوربان» .
١٢. الروس يفرجون عن «آزوف» .
١٧. الهجوم الروسي على «روستوف» .
٢٢. استسلام «باولوس» في «ستالينغراد» .
- ٥- ٨. الروس يبلغون بحر «آزوف» . وبعده
«الدونيز» ويحتلون «كورسك» .
١٤. وصول الروس إلى «روستوف» .
١٦. وصول الروس إلى «خاركوف» .

١٥. «مانشتن» يستعيد «خاركوف» و«بيلغورود» .
- (١٨). استقرار الجبهة في «ستالينغراد» ،
وفيليكي لوكي ، واوريل ، وكورسك ،
وتاغزروغ ، حتى ه موز .
١٧. انضمام «الغويان»
١٧. انضمام «الغويان»
٢٠. «فاليفسكى» يحل محل «تابوشنكسكوف»
٢٠. «روزفلت» في
في رئاسة الأركان .
٢٠. «بوريس» بلغاريا (٢١
آذار)؛

- «موسيبى» (٧ نisan)؛
- «انطونيسكى» (١٤ نisan)؛
- «نورثى» (١٦ نisan)؛
- «تيز» و «٢٣ نisan)؛
- «بابيليشن» (٢٧ نisan) .

١٠. «زيتزلر» يحل محل «هالدر» .
١٠. رئيس الأركان الجيش .
٢٢. «شاتش» يفقد حظوظه .
٢٩. «كالتنبر وفر» يتزعّم منظمة
«الستابو» .
٣١. «دونيتز» يحل محل «ريدر» .

- ٤- ٣٠: فرنسيو «لوكلير»
يستولون على المراكز
الإيطالية في «فران» .
٢٣. «مونتشومري» يفتح
«طرابلس الغرب» .
٤. «مونتشومري» يدخل إلى
«تونس» . فيصبح تحت
أمره «أيزهاور» .

٧. «هتلر» يستدعي «رومبل» .
٢٠. «مونتشومري» يقتسم خط
«مارث» ويدخل «قباس»
في ٣٠ .
- «موسيبى» (٧ نisan)؛
- «انطونيسكى» (١٤ نisan)؛
- «نورثى» (١٦ نisan)؛
- «تيز» و «٢٣ نisan)؛
- «بابيليشن» (٢٧ نisan) .

٢٩. رحلة «شاندرا بوز» إلى
ألمانيا وإيطاليا (حيث
يتحمّل «هتلر» و«موسيبى») .

حزيران ١٩٤٣ - آذار ١٩٤٤

الحرب في إيطاليا

الاعمار لنزول الملفاء

١٢ . استسلام «بنتليريا» .

صيف ١٩٤٣ غارات جوية عنيفة يشنها الحلفاء على «الرور» و«برلين» والمارفي، والمراكز الاقتصادية الألمانية .

١٠ . نزول الحلفاء في صقلية .
٢٢ . الاستسلام على «باليارمو» .
٢٤ - ٢٥ . اجتماع «المجلس الفاشي الأعلى» ، واستقالة «موسوليبي» .
٢٨ . «بادوليو» ، رئيس الحكومة، يعلن المضي في الحرب إلى جانب ألمانيا .

١٦-١٧ . الاستسلام على «كاتاني» و«ميينا» ، وانتهاء العمليات في «صقلية» .
٢٤ . اعلان «روما» مدينة مفتوحة .

٣ . نزول انكليزي في «ريجيرو» . اتفاق سري يتم بين إيطاليا والخلفاء في «سيراكوزا» .
٨ . هدنة بين إيطاليا والخلفاء .
٩ . نزول أميركي في «ساليرنو» .
١٢ . الألمان يخطفون «موسوليبي» .
١ . احتلال «تابورلي» .
١٣ . حكومة «بادوليو» تعلن الحرب على ألمانيا . الجيش الأميركي الخامس يعبر «الفولتونو» .

٣ . «موسوليبي» يعتقل «تشيانو» .
٤ . الحلفاء يتصدون لـ«الفايكان» .
٥ . وصول الجنرال «جوان» قائد الفيلق الفرنسي إلى «تابوري» .

٣٠ . «ليز» يحل محل «مونتغومري» على رأس الجيش الثامن .

٣ . الفيلق الفرنسي يدخل حربة القتال .
٥ - ٢٥ . معارك «فالاريغليانو» .
١٢ . اعدام «تشيانو» في «فيروني» .
٢٢ . نزول الأميركان في «أنزيرو» .
١ - ١٨ . المجموع الحليف على «كاسينو» .
١٧ - ٢٩ . كيسلاخ يشن جملة من هجمات على رأس جسر «أنزيرو» .

١٢ . بيون الثاني عشر ينادي المغاربة أن يبتعدوا عن «روما» .
١٥ - ٢٤ . المجموع الخام الثاني على «كاسينو» .

فرنسا في الحرب

٣ . إنشاء «لجنة التحرير الوطني الفرنسية» ، «جيرو» - «ديغول» .

٤ . اجتماع «ترترشل» و«جيرو» و«ديغول» في مدينة «الجزائر» .

٢٣ . «لجنة التحرير الوطني الفرنسية» تدرج في جيش واحد، الإيجاند الفرنسي المختلفة المناصر .

٤ . الجنرال «سيكوسكي» يذهب ضحية حادث ، في «جل طارق» .

الخلفاء يتصدون مناطق البترول في «بلويسيتي» للمرة الأولى .
١١ - ٢٤ . مؤتمر «كيبيلك» (الموافقة على خطط النزول في أوروبا) .
١٧ . «البرتغال» تفرض سلاح الطيران الملكي جزر «الأسور» .

١٨ - ٢٥ . قصف «برلين» .
٢١ . نزول الانكليز في جزر «كوبس» و«ليروس» و«ساموس» .

١٩ - ٣٠ . مؤتمر «موسكو» («إيدن» - «هال» - «مولوقوف») أهداف الحرب ؛ محاكمة مرتکبى الجرائم . استقلال «النمسا» .

٢٦ - ٢٢ . مؤتمر «القاهرة» («ترترشل» ، «تشانغ كاي تشيك» ، «روزفلت») .
٢٨ - ٢٩ . مؤتمر «طهران» .

٤ - ٦ . مؤتمرات تقد في القاهرة («ترترشل» ، «روزفلت» ، و«عصمت إينونو» ، ثم «سماتس») .

١١ . انطلاق الحملة الجوية الخفية تمهيداً للنزول إلى البر .

٢٠ . في «الزوج» ؛ نسف السفينة - العابر التي كانت تحمل الماء الثقيل .

٧ . وفـ عـسكـري سـوفـيـانـي يـزـورـ «ـتيـنـ» .

١٥ . «إيسندا» تذكر عهد الولا ، الذي كان يربطها «بالدانمارك» .

٢٥ . إبحار الفيلق البرازيلي من «ريو» إلى «إيطاليا» .

١ . «لجنة التحرير القومي الفرنسية» تعدل للمرة الأولى («جيرو» و«ديغول») .

١٣ . اعتقال «بوشو» في «المغرب» .

٢٣ . الألمان يعتلون «ليبران» .

٢٧ . الجيش الألماني يحتل «الساخافا العليا» .

٩ . تمرد الكورسيكين في «باسطيا» و«أجاكسيو» .
١٣ . نزول فرنسي في «كورسيكا» .

٢٥ . اتفاق الاعارة والتاجير بين «الولايات المتحدة» و«لجنة التحرير الفرنسية» .

٢٧ . تعديل «لجنة التحرير الفرنسية» الثاني : تم بيقـ «جيرو» رئيساً ثالثاً بل قائداً أعلى .

٥ . الألمان يخلون عن «كورسيكا» .

٩ . تعديل «لجنة التحرير الفرنسية» الثالث (انسحاب «جيرو» و«جورج») .

١١ . رجال المقاومة يشرعون موتاً على «أيوانكس» .
٢٥ . اجلاء الطلاب الازاريين من «كليرسون فران» إلى ألمانيا .

١٦ . الجيش الفرنسي التي أعيد تزويدها بالسلاح يبلغ عدد رجالها ٤٠٠٠٠ .

٢٠ . «دارنان» يعين أمين دولة لشؤون الأمن والنظام في فيشي .

٧ . «هريرو» وزير دولة لشؤون الأنabاء في «فيشي» .
١٢ . مؤتمر «ترترشل» - «ديغول» في «مراكش» .
٣٠ . «ديغول» يفتح مؤتمر «برازافيل» .

٨ . اختتام مؤتمر «برازافيل» .
١٣ . الألمان يملئون مخابط الساحل المتوسطي السبع «منطقة محكمة» .

١١ - ٢٠ . محاكمة «بوشو» واعدامه .

١٥ . في «ناريس» : تعديل برنامج «مجلس المقاومة الوطني» .

٢٢ . انتحار «ب. بروسيت» بعدما اعتقله الألمان .

٢٥ . الألمان ورجال الشرطة يهاجمون رجال المقاومة في «الفلبار» .

حزيران

تموز

آب

أيلول

تشرين الأول

تشرين الثاني

كانون الأول

كانون الثاني

سبتمبر

آذار

الفصول ٢١ - ٢٣ - ٢٤

المربي في جنوب شرق آسيا المحيط الهادئ

- ١٨ . «أوكنليك» يعين قائداً أعلى في «الهند». ويعين «ويفل» نائباً للملك وحاكمًا عاماً في «الهند».
 ٢٠ . نزول الأميركيين في جزيرة «راندوفا» (جزر سليمان) .



- ٣ - ٥ . النزول في «جيورجيا - الجديدة» .
 ١٥ - ٣٠ . معركة جزيرة «موندا» .

- ١٥ . نزول جديد في «جيورجيا - الجديدة» (فيلا لافيلا) .
 الأميركيون يحتلون جزيرة «كيسكا» (الجزر الآلية).
 ٢٥ . احتلال «جيورجيا - الجديدة» الشامل .
 ٤ - ٢٢ . «غينيا - الجديدة» :
 النزول الأوسترايلي في «لي». .
 احتلال «سالامارا» و«فيتشافن» .
 ٢٢ . «نوغو» يعلن التعبئة العامة في «اليابان» .

- ١٦ . الاحتفاظ بـ «غيانيا - الجديدة» .
 ٢٨ . نزول في جزر «شوازول» (جزر سليمان) .
 ٦ . «طوكيو». مؤتمر «آسيا الكبرى» (اليابان، الصين، مانشوكو، الفلبين - برمانيا، الهند (شاندرا بوز) . سiam) .
 معارك الأوسترايليين في «غيانيا - الجديدة» (فيتشافن) .
 ١٥ - ٢٦ . النزول الأميركي في «بريطانيا - الجديدة» .
 ٢ . النزول الأميركي في «سايدور» (غيانيا - الجديدة) .
 ٢١ . النزول الأميركي في جزر «مارشال» .

- ١٨ - ١٦ . هجوم حليف على «ترالك» (جزر الكارولين) .
 نزول في «إينيويوك» .
 ٣٠ . حملة جوية على جزر «بالاووس» (الكارولين) .
 اتفاق سوفياتي - ياباني في «موسكو» ، تنازل فيه اليابان لروسيا عن شمالي «ساحالين» .

الصين

- ١٣ . انتخاب «تشانغ كاي تشن» لرئاسة الجمهورية .

الهند

- ٢١ . إنشاء حكومة «ساندرا بوز» في «ستافورة» .

الصين

- ٢١ . الرمح الياباني على «نشانغ - شا» .

الهند

- ٢٦ . رغبة مؤتمر «كاراثشي» في إنشاء دولة إسلامية .

برمانيا

- ٢٨ . انتصار صيني بالقرب من «مينكونان» .

آسيا

- ١٢ . احتلال «بوثانغ» (شمالي آكياپ) .

آسيا

- ١٣ . نزول الاحتفاظ في «أراكان» .

آسيا

- ٢٤ . «ويينيت» يقضى ضحية حادث طاريء .



- ٩ . بعدما مي الم horm الالماني على «كورسك» بالاحتفاظ، انطلق الزحف السوفيتي الكبير باتجاه «فيازما» .
 ١٢ . في «موسكو» : انساء «لجنة ألمانيا الحرة» .
 ٢٩ . «ستالين» يعيد النسلسل الرئاسي إلى الحيوش .

- ١٥ . موقعنا «أوريل» و«خاركوف» .
 آسيار الجبهة الألمانية .
 ١٦ . سقوط «أوريل» و«بيلغورود» .
 ١٧ . احتلال «بريانسك» .
 ٢٣ . احتلال «خاركوف» واستغلال الظرف في اتجاه «الدنبر» .
 ٣٠ . الاستيلاء على «تاغانروغ» .

- ٢٤ . احتلال «سمولنسك» .
 ٢٩ . احتلال «كريميتشوغ» .
 الروس يخذلون «الدنبر» حتى «كيف» .

- ٧ . عبور «الدنبر» في كلا جانبي «كيف» .
 وفي جنوب شرقى «كريميتشوغ» .
 ٩ . مهاجمة رأس جسر «الكتوبان» الألماني .
 ١ . احتلال «بيريكوب» ومحاجمة «القرم» .
 ٦ . احتلال «كيف» .
 ١٥ - ١٨ . انداد العمليات غربي «كيف» .
 احتلال «جيومير» و«كوروسن» .
 «مانشتين» فاستعادهما .

- ١٨ . افتتاح حملة الشتاء في قطاع «نيفل» .
 ٣١ - ٣١ . الروس يستعيديون «جيومير» و«كوروسن» .

- ٦ . استغلال روسي جنوبي «كيف» .
 ١٤ . هجوم يرمي إلى الافراج عن «لينينغراد» .
 ١٩ . «اسبانيا» تسحب «الفقة الزرقاء» من الجيش الألماني .

- ١٢ - ١٨ . احتلال «لوغا» .
 تراجع الماني على محيرة «بيهوس» .
 احتلال «ستارايا - روشا» .
 ٢٢ . احتلال «كريفي روغ» .

- ٤ . الهجوم الروسي في «الكربات» .
 ١١ - ١٣ . احتلال «أومان» و«خرسون» .

- ٢٧ - ٢٦ . حاذى الروس «البروت» والحدود الرومانية على مسافة ١٠٠ كلم .

- ٢٩ . احتلال «نيكولايف» .

المانيا والدول المارة في فلكلطا

- ١٦ . اعادن حالة الطوارى في «النرويج» .
 ٢٤ . «هملر» يعين وزير الداخليه .
 ويعين «فريريك» حاميًّا «الرايخ» في بلاد «بوهيميا-مورافيا» .

- ١١ . الالمان يحتلون جزيرة «رودس» .

- ٨ . هجوم بحري ألماني على منشآت «سيتز برغ» الخليفة .

- الشرق الأوسط**
 ٨ . لبنان يقرع فيليفي الانتداب الفرنسي .
 ٩ - ١٥ . اضطرابات في «بيروت» .

- ١٣ - ١٦ . «كاترو» ينقل سلطات فرنسا إلى الحكومتين السورية والبنانية .

- بوليونيا**
 الخلاف السوفيتي - البولوني : الروس يقتربون اقامة الحدود على خط «كورزون» .

- المجر**
 ١٥ - ١٦ . «هتلر» يستدعي «هوري» .
 ويعتقله، ويتم احتلال «المجر» بمعونة «الصلبان المريضة» في «بودابست» .

نیسان - ائلوں ۱۹۴۴

فرنائے غمار المرب



۶ حزیران ۱۹۴۴

النزلے فتنے الہ نورماندی

- ۶ . النزول البحري والجوي في «نورمانديا». احتلال «بایو» (۸) و «ایزنی» (۹).
- ۱۱ - ۱۶ . معركة «کین» الأولى.
- ۱۲ . الاميرکيون يستولون على «کارٹان».
- ۱۶ - ۱۷ . الاميرکيون يبلغون الشاطئ، الغربي من «کوتستان» إلى «بارنیفیل».
- ۲۶ . استسلام «شیر بورغ».
- ۲۸ - ۲۸ تموز. معركة «کین» الثانية.
- ۶ . «کلوفی» يخل محل «رونڈساد» على رأس الجبهة الغربية.
- ۱۷ . «رومبل» يصاب بجروح في «نورمانديا».
- احتلال «سان لو» (۱۹) ، و «کوتانس» (۲۰) ، و «غرانفل» و «افرانش» (۲۰) ، و «بوتوبو» (۲۱) .

المانیا

- ۲۵ . «غوبزل» مفهوم «الرایخ» من أجل تنظيم المجهود الحربي الشامل.
- تموز - آب . إبادة جماعية للأسرى في المعسكرات.

- ۲۰ . إسقاط اغتيل «هنتر». وإسقاط الانقلاب العسكري.
- ۲۱ . «غودبریان» يخل محل «زېتلر» كرئيس لأركان الجيش.

تحریر فرنسا

- استثمار ثغرة «افرانش» باتجاه خط «السوم» - و «الاین» .. و «المارن» .
- ۱ . تشكيل مجوعتين من الجيوش : ۱۲ ، «برادلی» («هودجز» - «باتون») ؛ ۲۱ ، «مونتفوری» («کریرار» - «دیمسی») .
- الخلفاء يصلون «فير» (۲) ، و «دیلان» (۳) ، و «مورتان» (۴) ، و «رین» (۵).
- ۶ - ۷ . هجوم ألماني معاكس على «مورتان». تحرير «بروتانيا»، والوصول إلى «الأطلسي» (بالقرب من «فان»).
- ۱۳ . «کلوفی» يأمر الألمان بالتراجع.
- ۱۴ - ۱۷ . تحرير «سان لو» ، و «أور لیان» ، و «دردو» ، و «فالیز» .
- «مودل» يخل محل «کلوفی» الذي يقدم على الانتحار في ۱۸ .
- ۱۹ - ۲۱ . إنشاء دُوّوس جسور على «السین» و «مات» و «مولون» .
- ۲۹ . الوصول إلى «الاین» في «سواسون».

- الزحف الخليف بروم الحدود الألمانية . فيحالفة النصر في الشمال ولكنه يصد في «الألزاس» و «الورين» .
- تحرير «دیپ» و «آمیان» و «فردان» (۱) ، و «أبفیل» و «لینس» و «نامور» (۲) ، و «بروكسل» (۳) ، و «أنفیر» (۴) .
- ۶ - ۷ . «باتون» يعبر «الموزيل». تحرير «لیاج» . حصار «کالیه» و «دنکرک» .
- ۱۲ . اتصال قوات «نورمانديا» و «بروفانس» الخليفة (الفرقة المصفحة ۲ «لوكیر») - الفرق المصفحة الفرنسية ۱ - «باتش» بالقرب من «شاتلیون» - سور - «من» .
- ۱۵ . انتقال جيشي «باتش» و «دی لا تر» إلى إمرة «ایز نهار» .
- ۱۷ . نزول انكلزي متقول جوا في «ازبیم» . تحرير «نیمیخ» و «ایندهون» .
- ۱۹ . الاميرکيون يستولون على «بریست» .
- ۲۰ . إخفاق عملية «ازبیم» . تراجع انكلزي على مجرى «الرین» الاسفل .
- مهاجمة حصون «میز» (۲۶) . الاستيلا ، على «کالیه» (۳۰) .

- ۱۲ . لقاء «لافال» و «هریو» في «نانسی» .
- ۱۸ - ۲۰ . حکومة «لافال» تحمل في «بلفور» .
- ۲۵ . تمرد «باریس» و تحريرها .
- ۲۰ . القوات الفرنسية المستقلة تحرر «تولوز» .
- الألمان يرغمون «دیلان» على مقاومة «فیتشی» والانتقال إلى «بلفور» .
- ۲۶ . «دیغول» تخت «فوس النصر» وفي «نوردام» .
- ۳۱ . انتقال «حکومة الجمهورية الفرنسية المؤقتة» إلى «باریس» .

- ۲ . محاولة اغتيال «جیدرو» في الجزائر .
- ۱۰ . العا انظمة «فیتشی» .
- «دیغول» في «لیون» (۱۴) . و «تولوز» (۱۷) .
- و «بوردو» (۱۹) . و «اویلان» (۲۰) .

ایارے

- ۴ . الامير «بر نارڈ» بين فائدًا أعلى للقوات الهولندية الداخلية .
- ۸ . حکومة «پیارلو» تناذر «لندن» وتنتقل إلى «بروكسل» .
- ۲۰ . البريطان يعين الامير «شارل» وصيًّا .
- ۲۳ . اعادة نصب حکومة «اللوکسمبورج» .

نیان

ایسا

حریرات

محور

آب

ایارے

الفصول ٢٥ - ٢٦ - ٢٧

الحرب في آسيا وإعارة فتح المحيط الباري	الجبهة الروسية	السويدات	الحرب في إيطاليا
<p>برمانيا : حملة يابانية على شمالي شرقى «المهد» (إيفال).</p> <p>غينيا - الجديدة : نزول حليف في «هولنديا» و«أيتاب» (٢٢-٢٣).</p> <p>١٠. إتصال الحلفاء «بالصينيين» في «برمانيا».</p> <p>١١. «الأمير كوبن» يعودون إلى احتلال جزيرة «بيلاك».</p> <p>غينيا- الجديدة : سقوط جزيرة «بيلاك» (٢٧).</p> <p>١٤. الماريان : نزول أميركي في «سابيان».</p> <p>١٦. بـرمانيا : سقوط «كامينغ» و«موغونغ» في أبيدال الحلفاء.</p> <p>١٨. الصين : اليابانيون يستولون على «تشانغ تشان».</p> <p>٢١. الماريان : سقوط مطار «أسيلتو» في أبيدال الحلفاء.</p> <p>٢٠. الصين : اليابانيون يبلغون «هينغ-يانغ» (٢٠).</p> <p>١- ٢. غينيا - الجديدة : نزول في حريرة «نويغور» واحتلال «بيلاك».</p> <p>٨- ١٢. الماريان : نهاية المقاومة البابية في «سابيان».</p> <p>١٧. بـرمانيا : نهاية التقدم البابي.</p> <p>٢٠. «روزفلت» يعد القبليين بالاستقلال.</p> <p>٢١- ٣١. الماريان : نزول حليف في جزء برتقى «غواه» و«تبان».</p> <p>١٠. الماريان : نهاية المقاومة البابية في «غواه».</p> <p>١٧. بـرمانيا : الزحف الخليف يبلغ «لوفليخ».</p>	<p>الأمير كوبن بصفوف «بودابست» (٢) و«بوخارست» (٤-٤).</p> <p>٤. احتلال «نينوبول». عبور الحدود التشيكية والرومانية (٨).</p> <p>غينيا - الجديدة : نزول حليف في «هولنديا» و«أيتاب» (١٣).</p> <p>٢٠. استقرار الجبهة. ختام حملة الشتاء.</p> <p>٩. مهاجمة التحصينات الفنلندية في «كاريلينا».</p> <p>٢٠-١٩. خرق خط «مازرايم» وسقوط «فيورنخ».</p> <p>٢٢. زحف سوفياتي عام في بلادن «البلطيق» و«روسيا البيضاء».</p> <p>٢٥. سقوط «فينيسك» (٢٥)، و«مهيليف» (٢٨).</p> <p>٢٩. الإفراج عن خط «مورمانسك» الحديدي وعن فناء «البلطيق» - «البحر الأبيض».</p> <p>الروس يتغلبون في «بولندا» ويفحرون «الفوقي» و«غاليسيا».</p> <p>٣١. الوصول إلى «فيرسول».</p> <p>٣١. احتلال «بيرو» وأختير حدود «بروسيا الشرقية».</p> <p>فتح «رومانيا» وتوقف الزحف في «بولندا».</p> <p>١. ثورة «فرصوفيا» (الجزر البحري «بور»).</p> <p>٢٢. ملك «رومانيا» يأمر باعتقال «فالوشك»، ويقطع علاقاته مع ألمانيا، ويطلب المدد من الحلفاء.</p> <p>٢٤- ٢٥. الروس يغطون «سارابيا» و«مولادانيا» ويستولون على «كيشينيف».</p> <p>٢٥. «رومانيا» تعلن الحرب على «ألمانيا».</p> <p>«فنلندا» تطلب المدد من «الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٧. الروس يدخلون «فالاشيا» ومنطقة النفط فيها.</p> <p>الروس يتزلجون إلى بر «كونستانتاه» (٢٩).</p> <p>٢٩. الروس يغطون «دوبرودجا» (٢٩)، «بلوسي» (٢٠) و«بورخارست» (٣١).</p> <p>الروس يختلفون «بلغاري»؛ انتهاء الحرب الروسية - العندية.</p> <p>الزحف الروسي عبر «الألب الترانسلفانية».</p> <p>٥. «الاتحاد السوفيatic» تعلن الحرب على «بلغاريا».</p> <p>١٢. اعلان الحدنة في «موسكو» بين «برمانيا» و«الحلفاء».</p> <p>١٥. دخول الروس إلى «صوفيا». اتصال الحوش الروسي بقوات «بيتو» في «نيقوسيا».</p> <p>١٩. اعلان الحدنة بين «فنلندا» و«الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٢. الروس يتحدون «أوستريا» ويستولون على «تلنن» (درفال).</p> <p>٢٤. نزول سوفياتي في «بور - بلطيق».</p> <p>٢٥. «بلغاريا» تعلن التعبئة ضد «ألمانيا».</p>	<p>١٢. تأليف حكومة «فينيزيلوس»؛ وإعلان في «القاهرة».</p> <p>٢٤. تمرد الأسطول اليوناني في القاهرة.</p> <p>٢٧. «فيتنيلوس» يستقيل فيخلفه «بايندر يو».</p> <p>١١. حملة حليف شاملة على خط «غوستاف» و«هتلر».</p> <p>١٧. الاستيلاء على «كاسينو».</p> <p>٢٥. اتصال قوات «أنزجو» بالجيش الخامس.</p> <p>٤. الحلفاء يستولون على «روما». انسحاب الألمان إلى الخط «القوطي».</p> <p>١٧- ٢٠. سقوط جزيرة «إيل» في أيدي القوات الفرنسية.</p>	<p>١٢. اعتزال «فكتور عمانويل»؛ وإعلان «أوبرتو» قياماً على المملكة.</p> <p>٢١. تأليف حكومة «بادوليو» في «ساليرنو».</p> <p>٢٢. لقاء «هتلر» و«موسولي».</p> <p>١١. مفاوضات بين الولايات المتحدة وحكومة لندن البولونية.</p> <p>٢١- ٢٦. إنشاء لجنة التحرر مناورة حكومة لندن البولونية بمترف الاتحاد السوفيatic بسلطتها.</p> <p>٣. سقوط سيني».</p> <p>١٥. عودة الحكومة الإيطالية إلى «روما».</p> <p>١٩. سقوط «لقوزو» و«أنزوني».</p> <p>٢١- ٢٣. سحب فيلق الحملة الفرنسية من إيطاليا.</p> <p>١- ٢٢. «بريون» ووزرائه.</p> <p>٢. مؤسسه أنتوند ندوة.</p> <p>١٥. اعتدال المانى على الخط «القوطي».</p> <p>٢٠. سقوط «بيزا» (١٦)، و«فلورنسا» (١٩).</p>
الدوليات المعاصرة	بولندا	تركيا	البرولت في بروفانا
<p>١٠. الماريان : نهاية المقاومة البابية في «سابيان».</p> <p>١٧. بـرمانيا : الزحف الخليف يبلغ «لوفليخ».</p>	<p>١٥- ٨. مفاوضات بين الولايات المتحدة وحكومة لندن البولونية.</p> <p>٢٩. الإفراج عن خط «مورمانسك» الحديدي وعن فناء «البلطيق» - «البحر الأبيض».</p> <p>الروس يتغلبون في «بولندا» ويفحرون «الفوقي» و«غاليسيا».</p> <p>١١. موقف «مينسك» وسقوطها.</p> <p>١٥. الوصول إلى «التيمن».</p> <p>٢٤. سقوط «لوبلين» وفي ٢٨ سقوط «لوفوف»، «بنجيسيل»، و«بيرست لبونسك»، و«دفنسك» و«نانفارا».</p> <p>٣٠. الوصول إلى «فيرسول».</p> <p>٣١. احتلال «بيرو» وأختير حدود «بروسيا الشرقية».</p> <p>فتح «رومانيا» وتوقف الزحف في «بولندا».</p> <p>١. ثورة «فرصوفيا» (الجزر البحري «بور»).</p> <p>٢٢. ملك «رومانيا» يأمر باعتقال «فالوشك»، ويقطع علاقاته مع ألمانيا، ويطلب المدد من الحلفاء.</p> <p>٢٤- ٢٥. الروس يغطون «سارابيا» و«مولادانيا» ويستولون على «كيشينيف».</p> <p>٢٥. «رومانيا» تعلن الحرب على «ألمانيا».</p> <p>«فنلندا» تطلب المدد من «الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٧. الروس يدخلون «فالاشيا» ومنطقة النفط فيها.</p> <p>الروس يتزلجون إلى بر «كونستانتاه» (٢٩).</p> <p>٢٩. الروس يغطون «دوبرودجا» (٢٩)، «بلوسي» (٢٠) و«بورخارست» (٣١).</p> <p>الروس يختلفون «بلغاري»؛ انتهاء الحرب الروسية - العندية.</p> <p>الزحف الروسي عبر «الألب الترانسلفانية».</p> <p>٥. «الاتحاد السوفيatic» تعلن الحرب على «بلغاريا».</p> <p>١٢. اعلان الحدنة في «موسكو» بين «برمانيا» و«الحلفاء».</p> <p>١٥. دخول الروس إلى «صوفيا». اتصال الحوش الروسي بقوات «بيتو» في «نيقوسيا».</p> <p>١٩. اعلان الحدنة بين «فنلندا» و«الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٢. الروس يتحدون «أوستريا» ويستولون على «تلنن» (درفال).</p> <p>٢٤. نزول سوفياتي في «بور - بلطيق».</p> <p>٢٥. «بلغاريا» تعلن التعبئة ضد «ألمانيا».</p>	<p>١٥. سقوط سيني».</p> <p>١٥. عودة الحكومة الإيطالية إلى «روما».</p> <p>١٩. سقوط «لقوزو» و«أنزوني».</p> <p>٢١- ٢٣. سحب فيلق الحملة الفرنسية من إيطاليا.</p> <p>١- ٢٢. «بريون» ووزرائه.</p> <p>٢. مؤسسه أنتوند ندوة.</p> <p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>	<p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>
السويدات	فنلندا	تركيا	البرولت في بروفانا
<p>١٠. الماريان : نهاية المقاومة البابية في «سابيان».</p> <p>١٧. بـرمانيا : الزحف الخليف يبلغ «لوفليخ».</p>	<p>١٥. مفاوضات بين الولايات المتحدة وحكومة لندن البولونية.</p> <p>٢٩. الإفراج عن خط «مورمانسك» الحديدي وعن فناء «البلطيق» - «البحر الأبيض».</p> <p>الروس يتغلبون في «بولندا» ويفحرون «الفوقي» و«غاليسيا».</p> <p>١١. موقف «مينسك» وسقوطها.</p> <p>١٥. الوصول إلى «التيمن».</p> <p>٢٤. سقوط «لوبلين» وفي ٢٨ سقوط «لوفوف»، «بنجيسيل»، و«بيرست لبونسك»، و«دفنسك» و«نانفارا».</p> <p>٣٠. الوصول إلى «فيرسول».</p> <p>٣١. احتلال «بيرو» وأختير حدود «بروسيا الشرقية».</p> <p>فتح «رومانيا» وتوقف الزحف في «بولندا».</p> <p>١. ثورة «فرصوفيا» (الجزر البحري «بور»).</p> <p>٢٢. ملك «رومانيا» يأمر باعتقال «فالوشك»، ويقطع علاقاته مع ألمانيا، ويطلب المدد من الحلفاء.</p> <p>٢٤- ٢٥. الروس يغطون «سارابيا» و«مولادانيا» ويستولون على «كيشينيف».</p> <p>٢٥. «رومانيا» تعلن الحرب على «ألمانيا».</p> <p>«فنلندا» تطلب المدد من «الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٧. الروس يختلفون «بلغاري»؛ انتهاء الحرب الروسية - العندية.</p> <p>الزحف الروسي عبر «الألب الترانسلفانية».</p> <p>٥. «الاتحاد السوفيatic» تعلن الحرب على «بلغاريا».</p> <p>١٢. اعلان الحدنة في «موسكو» بين «برمانيا» و«الحلفاء».</p> <p>١٥. دخول الروس إلى «صوفيا». اتصال الحوش الروسي بقوات «بيتو» في «نيقوسيا».</p> <p>١٩. اعلان الحدنة بين «فنلندا» و«الاتحاد السوفيatic».</p> <p>٢٢. الروس يتحدون «أوستريا» ويستولون على «تلنن» (درفال).</p> <p>٢٤. نزول سوفياتي في «بور - بلطيق».</p> <p>٢٥. «بلغاريا» تعلن التعبئة ضد «ألمانيا».</p>	<p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>	<p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>
السويدات	فنلندا	تركيا	البرولت في بروفانا
<p>١٠. فصل جوي أميركي يهال على «القبليين» و«فوريونزا».</p> <p>١١- ١٥. «الملوك» : احتلال جزيرة «مولوقايا».</p> <p>١٤. بـرمانيا : دعف بـريطاني واحتلال «تينشونغ».</p> <p>١٦- ٢٨. «الكارولين» : نزول الحلفاء في حزر «بلا ووس».</p> <p>٢٦. بـرمانيا : وصول الانكلترا إلى «مديء».</p>	<p>١٥. تحذير عن جنوب.</p> <p>٢٠. سودن.</p>	<p>١٥. المولونيون و«دي لون» ستولون على «بيزارو».</p> <p>٢١. سقوط «ريمي».</p> <p>٢٢. حكومة «بونومي» للفنون.</p>	<p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>
السويدات	السويدات	تركيا	البرولت في بروفانا
<p>١٠. فصل جوي أميركي يهال على «القبليين» و«فوريونزا».</p> <p>١١- ١٥. «الملوك» : احتلال جزيرة «مولوقايا».</p> <p>١٤. بـرمانيا : دعف بـريطاني واحتلال «تينشونغ».</p> <p>١٦- ٢٨. «الكارولين» : نزول الحلفاء في حزر «بلا ووس».</p> <p>٢٦. بـرمانيا : وصول الانكلترا إلى «مديء».</p>	<p>١٥. المولونيون و«دي لون» ستولون على «بيزارو».</p> <p>٢٠. سقوط «ريمي».</p> <p>٢٢. حكومة «بونومي» للفنون.</p>	<p>١٥. المولونيون و«دي لون» ستولون على «بيزارو».</p> <p>٢١. سقوط «ريمي».</p> <p>٢٢. حكومة «بونومي» للفنون.</p>	<p>١٥. نزول فرنسي - أميركي - في «سنتر - سكسيم» و«سان - رافاييل». تحرير «دراغينيان» (١٦) و«غاب» (٢١)، و«إيكس - آن - بروفانا» و«غرونوبل» (٢٣)، و«تولون» و«بريانسون» (٢٦)، و«مرسيليا» و«مونتيلمار» و«فاربون» (٢٩).</p> <p>٢١. عبور «الرون» في «آرل» و«آكيزون».</p> <p>٢٢. تحرير «ليون» و«سانت - آين» (١٣).</p> <p>٢٣. «شالون - سور - سون» (٥).</p> <p>٢٤. «بونتارليي» و«بونتو» (٨)، و«أوتون» (١٠).</p>

أول تشرين الأول ١٩٤٤ - ٢٨ شباط ١٩٤٥

تطور الوضع

الشرق الأوسط

٧ . مصر و سوريا و لبنان و العراق و الأردن تعانى عن تأسيس الجامعة العربية .

اليونان

٩ - ١٤ . الانكليز يعتلون كورشيا و آثينا و البري .

٢٨ . الحكومة تحول مقترب المقاومة . - انتسابات في اليونان .

١ . الانكليز يهرون على الأمن في آثينا . وبصطفتهم في باغتاد مسطنة إيلاس . سيطر على الماء . ٣٠ . داماسكيون يعينونه على اليونان .

٣ . تشكيل حكومة إئتلافية يزعها بلاستيراس في آثينا . ١١ . هدنة بين الانكليز ومظمي إيلاس وإيم

٤ - ١٢ . مؤتمر يالطا (ستالين ، روزفلت ، تشرتشل) .

حملات المقاومة في الغرب

٢ . بدء الحملة الأميركية (هودجز) على إيكسل - شايبيل . انفصام خط سيفريدي .

٨ - ١٥ . حملة «باتون» على ميتر و إخفافها .

١٤ . انتصار «روبل» التهري .

١٨ . إنشاء فرق المتطوعين و وضعها تحت إدارة «همار» .

القائد الأعلى للجيش الداخل .

٢١ . سقوط إيكسل - لا - شايبيل .

٢٢ . الكنديون يستولون في جزيرة بيلفاند (٢٦) ، ونطوير مصايب «آيسكو» .

٣٠ . سقوط روزندال - حملة انكليزية كندية على رؤوس الجسور الألمانية في بروج و غان .

٣١ . استسلام الألمان في بيلفاند .

تم تحرير بلجيكا .

١ . بزول كندي في فالشيرين .

٢ . هجوم أميركي فاشل على الروور .

٨ . حلقة «باتون» الثانية على ميتر .

أول استخدام للطائرات الفضائية الألمانية .

١٤ . حملة «دي لافر» على ثغرة بلفور . سلاح الجو

البريطاني يغرق «تيير بيز» في ترسوس (النرويج) .

١٤ - ٣٠ . تخلص رأس الحسر الألماني في فيتنل .

١٩ . «دي لافر» يبلغ «رين» بالقرب من سان - لو .

٢٠ . «باتون» يحرر ميتر - و «دي لافر» يحرر هوفينغ .

و بلفور و مطواوس .

٢٢ . «لوكلر» يدخل سراسور .

إيطاليا موصلة الرحلات الحليفة .

سقوط رافدين (٥) و فانزا (١٨) .

١ . هجوم «باتون» في الساد .

٣ . الأميركيون يدركون الروور .

الاستيلاء على سارولي (٤) ، و سارغمونين (٨) ،

و فورباخ (٩) ، و ثان (١٠) ، و هاغن (١٢) .

٦ . حملة رونشتاد المعاكسة العلة في الأردن .

١٨ - ٢٢ . الألمان يستولون على ستافلور و ماليد ،

ويحاصرون باستون ، و يبلغون سان - هوير ،

و روشفور و ليبرمون .

٢٥ . الألمان يتدون على مسافة ٧ كلم من المور و دينان .

٢٨ . الأميركيون يفرجون عن باستون .

٢٩ . هجوم المانبي بين بيستي و ساربروك .

نهديث سافرن و ساربورغ .

٣٠ . تراجع أميركي في الألزاس في غابة هاغن .

الجلاء عن فينسنورج .

٩ - ١٠ . هجمات المانية شمالي سراسور و جنوبها .

١٦ . تحطم الرحلات الألمانية في الأردن .

٢٠ . هجوم فرنسي بين مطواوس و ناد .

٢١ . هجوم أميركي على الروور - الألمان يستولون على إيرستان و يهددون سراسور .

٢٢ . هجوم فرنسي على جس كولار .

٢ . «دي لافر» يستولى على كولار .

٩ . تصفية جيب كولار - الفرنسيون يحققون بالرين .

من بال إلى سمالي سراسور .

١٢ - ١٤ . دريسد تعرض لميليات قصف جوي كثيفة .

١٨ - ٢١ . الكنديون يستولون على كليف .

٢٣ . حملة أميركية على الروور بين ليميش و دورين .

و دورين . سقوط دورين (٢٥) .

هزاف في عمر العرب

١ . نقل «بيتان» و «لافال» من بلفور إلى سيماريون .

١ - ٨ . جولة ديفول في الشلال و في نورمانديا .

٩ . استصلاح مafa الطافر و عودته إلى العمل .

١٤ . لارمينا قائد القوات الفرنسية في المحيط الأطلسي .

١٦ . إعدام «باتون» و داركبي - دي - بيلوا بالرصاص

في ليوج . جيش «دي لافر» يغدو الجيش الفرنسي الأول .

٢٢ . الولايات المتحدة و بريطانيا العظمى ،

و الاتحاد السوفيتي و الدومينيون ، نعرف اعتراضاً

قانونياً بالحكومة المؤقتة .

٢٨ . حل جميع المنظمات المسلحة التي لا تتبع إلى الشرطة أو الجيش .

٣١ . القفو عن مورييس تودير .

٧ . مجلس التوري المؤقت بعد اجتماعه الأول

(عوان منتخب رئيساً) .

١٨ . صدور القرار القاضي بإنشاء المحكمة العليا .

٢٤ . دهاب ديفول و بيدرو إلى موسكو .

٢٥ . ديفول في القاهرة و طهران .

٢٦ . دحول جبر و الرسي إلى ميتر .

٢٨ . موريس بوريز يعود من الاتحاد السوفيتي إلى

برلين ثم ماجم الفصح في الشلال وفي دى كاله .

٨ . إنشار سرايا الأمن الجبهوية .

١٠ . التوقيع على الماهدة الفرنسية السوفيتية في موسكو .

٢٣ . تأسيس مصانع رينو .

باصيكا و الماسكيون عن

٧ . ٢٢ . يعلن اللدان تخليهما عن موقف الحباد .

تشرين الأول

تشرين الثاني

كانون الأول

كانون الثاني

شباط

٣ . دفعول سعي خمل الخلاء على إنقاذ سراسور .

٥ . عصف حرب رواند الألماني .

١٢ . اعتزل فرنسي بدل التدارس إلى إنذاره الرابع في الألزاس و المورين .

١٥ . اغارة ألمانية شمال حرب الروبل . ديفول في ذلت و أنجي .

٢٥ . ديفول يختنق في مؤخر صحفي على عياب فرنسا عن مؤخر دالط .

١١ . ديفول يتفقد جيش «دي لافر» في الألزاس و يزور مطواوس و كولار و ميتر .

١٢ . ديفول يرفق دعوة روزفلت للاجتماع به في مدينة الجزائر لدى عودته من يالطا .

١٦ . فرنسا تطلب اعلامها رسميًا مقررات يالطا .

٢٨ . تجديد اتفاقية الاعارة والتأجير بين فرنسا و الولايات المتحدة .

الياكست



«المارينز» في العمل.

المهمات السوفياتية في الشرق

- دخول الروس إلى «المغرب» - نهاية نظام «هورتي» .
- ـ ٢ . «وصوفيا» تلقي السلاح أمام الألمان .
- ـ ٤ . الروس يستولون على «ريغا» ويحتلون «ليتوانيا» .
- ـ ١٤ . حملة روسية على «ليتوانيا». سقوط «يتسامو» .
- ـ ١٥ - ١٦ . «هورتي» يطلب المذلة ، ولكن الألمان يشكرون في «بودابست» حكومة «الصلبان المريضة» (زالسي) .
- ـ ٢٠ . «الروس» و«تيتو» يخرون «بلغراد» .
- ـ ٢٨ . ألمانيا تعقد بين الحلفاء و«بلغاريا» .
- ـ ٣٠ . الروس يدخلون «الترويج» ويخرون «كيركيس» .
- ـ ٣١ . زحف روسي باتجاه «بودابست»

الحرب ضد اليابان

جنوب شرق آسيا المحيط الهادئ «الفيليبين»
ـ ٢٢ - ٢٣ معركة «أسي»
الجوية البحرية .
أول هجوم لطائرات الاصناف
البابانة .

غزو جاپان
ـ ٢١ - ٢٤ ، الأمركانون يخوضون
معهم .

برمانيا
مواصلة الرمح البريطاني. سقوط
«ندى» في ١٩ .
ـ ١ . أخلصه في «ولا» .
ـ ٢٦ . أخلفه، نصره .
ـ ٣٠ . «السلوفين» في «ستونه» .

الصين
الخدمات البابانية .
ـ ١٠ . البابانيون سولون على
«لو-تشيو» .
ـ ٢٠ . الأمركانون يخوضون عن
«دايي» و«لاه شمرو» .
ـ ٢٩ . حملة الاجتياح الصينية
القادمة من «مويكان» .
ـ ٢ . «شانغ كي-تشن»
يقوم بهجوم معاكس
في «توسان» .
ـ ٣٠ . البابانيون يخوضون «لانغ-تشو» و
(٢) وبستولون على «تاي-بانغ» ،
ويحققون انتصارات ماحاذهم في
الهند الصينية (٨) .

برمانيا
ـ ٢٠ . الرمح الخليف مخداء
حليق «البنقل» .
ـ ٣١ . سقوط «راتنديونغ» (الوافة)
على ٣٠ كلم من «أكيب»)
في أبيدي الحلة .

ـ ٣ . سقوط «أكيب» .
ـ ١٦ . الارتفاع عن طريق «سدو» .
ـ ٢٣ . اعدة مع الماسنات
من «برمنس» و«الصين» .
ـ ٢٥ - ٣١ . النهب .. في
إلى صوراء «الابراوادي» .

ـ ١ . الحلفاء، نصرهون
«الابراوادي» في «سمو»

نزول أميركي على شاطئ
«التي» الشرقي (٧) وفي جزيرة
«ميندورو» (١٥) .
ـ ٢١ . نهاية المقاومة البابانة
في جزيرة «لتي» .

ـ ٩ . نزول «ملك أنتر» في
«لوسون» .

ـ ٢٥ . الحلفاء يخوضون «مانلا»
نكاملها .

اليابان

ـ ١٩ . نزول الحلفاء إلى حزرة
«ريو كيو» .

روسيا

- ـ ١٨ - ١٩ . مؤتمر «جمجم» (ستلين)
و«تشنشل» و«إيدن» حول
«ضايا»، «بولونيا» و«اليونان»
و«بوغوسلافيا» .

الولايات المتحدة

- ـ ٩ . إعادة انتخاب «روفلت»
للمرة الثالثة .
- ـ ٢٧ . «سبينيسوس» حل محل
«كورديلر هل» كوزير
دوله .

الباتا

- ـ ٢٨ . تعيين حكومة «أنطون
هووك» .

يونغوسلافيا

- ـ ٣٢ . «نيتو» يعلن أن
«بوغوسلافيا» ستكل
اتحاداً لست دول .

بولندا

- ـ ٣١ . جنة «لوبلين» تعانى
نفسها حكومة مؤقتة
تحظى باعتراف الاتحاد
السوفياتي

- ـ ١٨ . تذكر هذه الحكومة في
«وصوفيا» .
- ـ ١٩ . «أندريلز» يعين فائدة
أعلى للقوات البولندية
التابعة لحكومة «لندن» .

- ـ ٢٠ . «الروس» يخوضون حوض الفحم الخجري في «سيليزيا العليا» .
- ـ ٤ - ١١ . معركة في سبيل عبور «الأودير» من على جانبين «برسلو»
ـ ١٢ . كلها .
- ـ ١٣ . تطويق «غلوغاو» . - نهاية المقاومة البابانة في «بودابست» .
- ـ ٢٠ . موت «تشيرنياكوفسكي» في الجبهة ، وحلول «فاليفسكي» محله
ـ ٢١ . على رأس الجبهة الثالثة في «روسيا البيضاء» .

معركة تحريك «بودابست»

- ـ ٧ . الروس يخوضون الضفة الأخرى الغربية من جبهة «بالاون» .
- ـ ٩ . حملة روسية لتطهير «بودابست» حتى أعلن «الألمان» حالة
الحاصار (١٢) .
- ـ ٢٧ . اتصال «تولبيخين» و«مالينوفسكي» في «إيزيرغوم» . نطريق ثلاث فرق
الألمانية بجرة في «بودابست» .

- ـ ١٢ . اغارة روسي على رأس جسر «فينستول» («ساندوبر-بارانوف»)
- ـ ١٤ . هجوم روسي في «بروسيا-الشرقية» .
- ـ ١٧ . سقوط «فرصوفيا» في أبيدي «الروس» .
- ـ ١٨ . سقوط «كريكوفيا» و«زيستوفيا» . - ادراك موقع «سيليزيا» الألماني .
- ـ ٢٠ . سقوط «إيسير بورغ» و«نانبورج» (٢١) . و«أوبيلن» (٢٢) .
- ـ ٢٣ . الروس يخوضون «الأودير» من «برين» إلى «كوبيل» (٢٣) .
- ـ ٢٨ . سقوط «ممبل» .
- ـ ٢٩ . «الروس» يخوضون حوض الفحم الخجري في «سيليزيا العليا» .

- ـ ٢٠ . «الروس» يخوضون حوض الفحم الخجري في «سيليزيا العليا» .
- ـ ٢١ . «فاندرا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٢٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٣٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٤٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٥٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٦٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٧٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٨٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ٩٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٠٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١١٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٢٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٣٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٤٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٤ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٥ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٦ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٧ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٨ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٥٩ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٦٠ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٦١ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٦٢ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٦٣ . «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ، «الآنجلينا» ،
ـ ١٦

۱۹۴۵ آذار - ۲ ایپلول

نہایتِ عملیات فی اوروبا و نہایتِ الایمنی التالیف

الجامعة الشرقية

- البروس يدخلون «النسما» و«المانيا الشرفية». ١١ - «جووكوف» يغدو على مائة كلم من «برلين». ١٥-٥ - إخفاق هجوم معاكس الماني (سبب دير يخ) في الخبر. ٢٠ - كونيفيت» يعبر «السبري» في «بوينز ن». ٢٨ - «نولوخن» يدخل «النسما».

المجاهد العربي

- الزحف الخليف يبلغ «الرين» ، ثم يتوجهوا زد .
 ٦- سقوط «كولونيا» وجسر «ريماغين» .
 ٤١ . زحف عام على خط «سيغفريد» .
 ٣٣ . عبور «الرين» بالقرب من «مايانس» (باتون) .
 و «دويز بورغ» (سيمبسون) ، و «ورومن» (باتش) .
 و «أعمى يخ» (كيرر) ، و «سيبر» (دي لاتر) .

فِرْنَسٌ

- الحكم بالسجن المؤبد
على الأميرال «إستيفا».

۱۰۷

الاتصالات الالكترونية - الامانة العامة للوظائف العامة نزولاً بالاب

شیخان

- ١٤ - أجتاد «الارمنية»
١٥ - شخص حبيب «روانان» .
١٦ - محير رأس «غراف» .
١٧ - الحكم بالاعدام على
«ديتر» .
٢٠ - «بيتاك» يمثل أمام
فالورب «فوقفت
ويعقل في حصن
«مورير وج» .
٢٩ - الانخابات البلدية ما
عدا المحافظات الشرفية .

۱۰۵

لكرة الماء في الغر

المني

- ٢١ . انتحار «هملر» .

٢٢ . اتفاق بتناول تهديد مناطق الاحتلال (فرنسا-بريطانيا) .

٢٣ . انبعاث الولايات المتحدة .

- ٢ . دخول الفرنسيين إلى «فيينا» .

٣ . نجت إدارة الأربع «الكبار»

٤ . الاحتلال «برلين» وقوعها

از مرئے ملکیتے فیسے باچپا کا

- ١٧ . استقالة حكومة «فان آكر» .

٢٠ . «ليوبولد» الثالث يعلن عن عزمه على العودة إلى «بيجند» .

١٦ . «ليوبولد» الثالث يقرر عدم التنازل عن العرش ، ولكنه يقر
١٨ . البرلمان يقرّع فيرفض عودة الملك إلى الحكم .

٥ . فوز حزب العمال في الانتخابات العامة .

تبليط الرصع في بريطانيا العظمى

فُرْدُسٌ

- ٤ - نديمة بدارير .
 ٥ - ندى أوراق النقد .
 ٦ - (ديغول) يقترح إقامة جمهورية رابعة .
 ٧ - بدء حركة «بيان» .
 ٨ - توقيف «لافق» في مارس .

٣٦

آپ
یاولے

نهاية الحرب العالمية الثانية

الفصلان ٣٢ و ٣١

العمليات في آسيا وفي المحيط البحري

المحيط البحري

- ٨ . الطيران الحليف يقصف «طوكيو» «أوكيناوا» و«بيوكوهاما» و«ناغويا» و«كوبى».
- ٩ . هجوم ياباني عام على الحاملات والمتانت
- ١٠ . نزول حليف الجميع.
- ١١ . انتهاء المقاومة اليابانية في «إيروسيما».
- ١٢ . تصریح فرنسي حول وضع «الهند الصينية» العتيق.
- ١٣ . سقوط جزر «كيراما» بالقرب من «أوكيناوا» في أيدي الأميركيين.

- ١ . نزول أميركي في «أوكيناوا».
- ٤ . «الاتحاد السوفيتي» يلغي معاهدة الحد الروسية - اليابانية المقودة عام ١٩٤١.
- ٦ . طائرات الانتحار اليابانية تشن هجوماً ماماً على «أوكيناوا».
- ٧ . معركة بحرية على بعد ٨٠ كلم من الشاطئ اليابانية.
- ٩ . قصف «الباليان» اطلاقاً من «إيروسيما».
- ١١ . هجوم أسترالي على «كاراووب» (غيبا- الجديدة).

- ١٥ . الوزارة اليابانية تعقد الاتفاق الثلاثي.
- ٢٢ . الأميركيون يعودون إلى احتلال جزيرة «بوغفيل».

مدمرة يابانية تحت نيران طائرة «ب-٢٥» أميركية.



- ١١ . نزول حليف في «بورنيو».
- ٢١ . الأميركيون يحتلون «أوكيناوا» بكمالها.
- ٢٢ . «ماك أثر» يعين قائداً أعلى حليفياً في «المحيط الهادئ».

القنبة النزيلة الأميركية ونهاية اليابان

- ٧ . «البابانيون» يباشرون الجلاء عن «الهند الصينية».
- ٦ . أول قنبلة ذرية أميركية في «الأموغوردو» («المكسيك- الجديدة»).
- ٨ . قصف «طوكيو» من الجو.
- ٩ . «طوكيو» ترفض انذار «بوتسدام».
- ١٠ . قنبلتان ذريتان تلقى أولاهما على «هيروشيمَا» والثانية على «ناغازاكي».
- ٨ . «الاتحاد السوفيتي» يعلن الحرب على «الليابان».
- ١٥ . «المكامو» يأمر بوقف القتال على الجبهات كلها.

لتوقيع على وثيقة الاستسلام الياباني على متن «الميسوري» في مرفأ «طوكيو»

مكسيك

- ٨ . الحكومات الأميركية توقيع على اتفاق «شابولبيك».

القاقة

- ٢٢ . التوقيع على ميثاق الجامعة العربية.

الولايات المتحدة الأمريكية

- ١ . «فينيسيوف» بحال محل «كيسلن». ١٢ . وفاة «فرنكلين رووزفلت» وحل محله.
- ٢ . رحفل حيت «الآل» الفرنسي على «الارنوب». ١٩ . «بروسکو» بهام «بولوني» فيعبر «البو» وستولي على «مودين» (٢٢).
- ٢٢ . سقوط «سيز يار» و«فاري». ٢٧ . اعدام «موسولي».
- ٢٧ . لقاء الفرنسيين والخلفاء بالقرب من «نوريهو».
- ٢٩ . اتفاقية «كازيرب» المنظمة لاملاحة الأлан في «ايطال الشمالي» و«النمس» و«ستربا» و«كاربتسا».

- ١ . سقوط «نوريهو» و«سوزي». لقاء الانكليز وقوات «بيتو» في «مونيفاكوني».
- ٢ . احتلال «تريسنا». ٢١ . «فال أوست» يعلن استقلاله.
- ٣ . توقيف الحرب.

الصين

- الصينيون يستعيدون «فو-تشيو» في ١٣ و«ثانينغ» في ٢٧.



- ٨ . حق النقض في مجلس الأمن.
- ٩ . اتفاق حول إدارة «بريستا».
- ١٣ . اعتماد ميثاق الأمن العالمي.
- ٢٦ . التوقيع على «شرعية الأمم المتحدة» («بوغوسلافيا» - «بريطانيا العظمى» - الولايات المتحدة).

الكتلة الدفيات

- ٩ . معاهدة تحالف عسكري تعقدتها «روسيا» مع «بلغاريا» و«الجزر و«رومانيا» و«تشيكوسلوفاكيا» و«بيوغوسلافيا».

محترم بوتسدام

- ٢٢ . اتفاق يقضي بأد يحتل «الصينيون» البلاد شمالي خط العرض ٦٦

الهند الصينية

- ١٧ . أول اجتماع يعقد بين «ترومان» و«ترشيش» و«ستالين».

«هوشي منه» يعلن استقلال «الفيتنام».

إلى القارئ

بالنظر إلى العقبات الناجمة عن صعوبة نقل بعض المصطلحات العسكرية والتقنية ، وبالنظر إلى الاختلاف بين المصطلحات المتداولة في الجيوش العربية ، وبالنظر إلى تنوع الأنظمة التعليمية والثقافية في الأقطار العربية ، رأينا أن نعرض في هاتين الصفحتين النهج الذي اتبناه ، والخطط التي بها اهتمينا ، والوسائل التي بحثنا عنها ، تعبيراً للفائدة ، وإنما لوضوح المقصد وتوحيد السياق اللذين توخيتاهما من نقل هذا السفر إلى لغة الصاد .

١ - أور دنا الرتب العسكرية بلفظها الألماني أو الفرنسي أو الانكليزي أو الروسي ، الخ ... لأن كل منها مدلولاً في لغته قد لا يفي به لفظ آخر .

٢ - نقلنا إلى العربية الجملة الألمانية والإنكليزية والإيطالية ونحوها التي تخللت النص الفرنسي في حوار أو برقية أو رسالة أو ما إليها ، فلم نثبتها بنصها الأصلي لضياع الفائدة منه على الكثرين من القراء .

٣ - كان جل اعتمادنا في نقل العديد من المصطلحات العسكرية الدقيقة على « المعجم العسكري » الذي وضعته لجنة خمسة مندوبين عن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة في « دمشق » ، وعن المجمع العلمي العربي « بدمشق » ، برئاسة الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع . وإليك نماذج مقتولة لأهم المصطلحات التي ترددت في الأصل الفرنسي :

Aile droite	سيمة
Aile gauche	ميسرة
Antichar	مضاد للدبابات
Angle d'incidence	زاوية الورود
Armée milicienne	جيش الحرس الوطني
Artillerie	مدفعية
Aspirant	مرشح ضابط
Avant garde	مقدمة
Avant poste	خنزير أمامي
Arrière garde	مؤخرة
Aéro porté	متقول جواً
Bataillon	كتيبة
Bâtiment	سفينة
Bâtiment d'escorte	سفينة مراقبة
Bombardier	قاذفة قنابل
Bombardier en piquet	قاذفة انقضاضية
Brigade	لواء
Chaloupe (s)	سنوب - سنابيك
Chalutier armé	قارب مسلح
Chasseur (s) (1)	قناص . فتاشة
Chasseur (2)	مطارده
Cargo	سفينة شحن
Colonne	رتل
Compagnie	سرية
Contre torpilleur	مطارده النسافة
Corps d'armée	فيلق
Corps blindé	فيلق مصفحة
Croiseur	طراد
Cuirassé	بارجة

Destroyer	مدمرة
Détachement	مفرزة
Dragons	خيالة هجوم
Dragueur de mines	كافحة ألغام
Division	فرقة
Echelon	نسق
Escadre	أسطول
Escadron	كوكبة
Escadrille	سراب
Etat-major	أركان
Escarmouche	مناوشة
Formation	تشكيلة
Fusilier	رام
Garnison	حامية
Grenade	رمّة . قبلة بدوية
Groupe d'armées	مجموعة حيوش
Home fleet	الأسطول البريطاني
Harpon	خطاف
Hussard	فارس
Mine	لغم
Mineur	لئام
Mitrailleur	رشاش
Mitrailleuse	رُشيش
Mortier	مدفع هاون
Milice	حرس وطني
Mousquetaire	قتاص
Patrouille	دوريات
Peleton	فصيلة
Péniche	زورق نهري
Plancur	طائرة شراعية أو محومة
Paquebot	سفينة نقل
Pistolet	مسدس
Quartier général	مقر القيادة العام
Régiment	فوج
Radeau	طوف
Réduit	محرز ، معقل
Sapeur	نقاب
Secteur	قطاع
Section	فصيلة
S. S.	فرق الصاعنة
Tir tendu	رمي متواتر
Tir d'arrêt	رمي الإيقاف
Tirailleur	مناوِش
Torpille	طوربيد
Torpilleur	نسافة
Troupe (s)	جناد
Vedette	زورق حربي
Vedette lance - torpille	زورق نسَاف

محتوى الكتاب

الفصل الرابع عشر

أيولس ١٩٤٢ - جبهات الحرب العالمية

٥ من القطب الشمالي إلى «القفقاس»
٩ المعركة الجوية في سماء «أوروبا»
١٠ معركة «الأطلسي»
١٢ معركة «افريقيا الشمالية»
١٢ أدغال «برمانيا»
١٣ الحرب في «الصين»
١٤ «غينيا الجديدة» و «غودالكانال»

الفصل الثامن عشر

تشرين الأول - تشرين الثاني ١٩٤٢ - إنفاذ «السويس» واحتلال عرشة «الجزائر»

٢٤ دسائس واستعدادات في مدينة «الجزائر»
٢٦ «رومبل» و «مونتغومري» في «العلمين»
٢٩ غزو «افريقيا الشمالية» المضطرب
٣٣ «بيتان» يقرر : «سابقى»
٣٥ الأسطول الفرنسي يفلح في انتصاره بعد لاعي

الفصل التاسع عشر

تشرين الثاني ١٩٤٣ - شباط ١٩٤٣ - فاجعة «ستالينغراد»

٤٨ جانب الكيش الزجاجي
٥٢ ظهور «مانشتين» على المسرح
٥٦ إحتضار الجيش السادس

الفصل العشرين

كانون الثاني - آيار ١٩٤٣ - «ستالينغراد» في «أفريقيا» : مدينة «تونس»

٦٧ «هتلر» ينجو من محاولة اغتيال
٦٨ كرب إيطالي : سقوط «تشيانو»
٧٠ «الدار البيضاء» والاستسلام غير المشروط
٧٢ آخر معارك «رومبل» الأفريقية

الفصل الماري والعشرون

نیان - کاغذات اولاد ۱۹۴۳ - طرقات "طوکری"

فتح « جيورجيا الجديدة »	٧٨
أطريق الأدغال . أم طريق الجزر ؟	٨٣

الفصل الثاني والعشرون

أوتار - أيلول ١٩٤٣ - لـ "المرتضي"

٩١	إفلاس حرب الغواصات
٩٢	«كورسك» ، مرحلة جديدة من مراحل المعركة
٩٣	فقدان «صفلية» يطيح الفاشية
٩٧	سقوط «موسوليني» واعتقاله
١٠٢	«إنكلترا» تفقد قيادة غزو «أوروبا»
١٠٤	«إيطاليا» تستسلم بلا قيد ولا شرط

الفصل الثالث والعشرون

١٠٨- طهران "كيفيّة" ساليرنخ، ١٩٤٣- الأقوال كافية- آياوله

١١١	أسر الدوتشي وتحريره
١١٤	نصال ضد أفعى ذات رؤوس سبعة
١١٨	طريق « طهران »
١١٩	تقلبات في « أوكرانيا »
١٢١	« طهران » : « ستالين » و « روزفلت » ضد « تشرنبل »
١٢٢	أوضاع « فرنسا » عام ١٩٤٣

الفصل الرابع والعشرون

قانون الأوقاف ١٩٤٣ - حزيران ١٩٤٤ - ألطريق إلى "روما"

١٣٥ إنقاص ومعارك في «إيطاليا»
 ١٣٧ الجيش الفرنسي يعاني ولادة جديدة عسيرة
 ١٣٨ إنخفاق في «أنزيو» وانتصار في «كاسينو»

الفصل الخامس والعشرون

٦ حزيران - ١٩٤٤ - يوم «نورماندي» الأكبر ١٥٠ - ١٧٧

١٥٤	مشاة على الدرجات - سماء وبحر خواص
١٥٧	إعداد جبار لعملية غزو «أوروبا» الغربية
١٥٩	٤,١٢٦ سفينة تهاجم «أوروبا»
١٦٣	الساعة الأولى من التزول
١٦٤	من الساعة الثانية إلى الساعة السادسة من التزول
١٦٧	من الساعة السابعة إلى الساعة الثانية عشرة من التزول
١٦٨	من الساعة الثالثة عشرة إلى الساعة الثامنة عشرة من التزول
١٧٠	الساعات الأخيرة من التزول

الفصل السادس والعشرون

٧ حزيران - ٣١ تموز - ١٩٤٤ - لا، لم يمح «هتلر» ١٧٨ - ٢٠٣

١٨٢	قنابل طائرة تنهر على «لندن»
١٨٤	تقوم التحرير يتلکأ ويتأخر
١٩٠	في ٢٠ تموز : «هتلر» معافي ؛ لقد أخفقت المؤامرة العسكرية
١٩٥	٢٢, ٢٤٦ طائرة تخنق جبهة «كوتتنان»
١٩٧	في «الفيركور» حيث سقط قناع المقاومة
٢٠٠	إنها الحرب ، حتى في قلب «فرنسا» الفيشية
٢٠٢	يوم بجزرة : «أورادور - سور - غلان»

الفصل السابع والعشرون

٨يات - ثالثي الأول - ١٩٤٤ - الحرب تخفي مني «رسيا» ٢٠٤ - ٢٢٩

٢١١	«ستالين» يقف مكتوف اليدين إزاء سحق ثوار «فرصوفيا»
٢١٦	مسيرة مزدوجة باتجاه «طوكيو»
٢١٨	«نيميتر» في «كواجالين» وفي «سايانان»
٢٢١	لقد وجدت «اليابان» «ميدوي» أخرى
٢٢٣	حزام أمن «اليابان» يُخنق

الفصل الثامن والعشرون

۱۳۱ آب ۱۹۴۴ - انفجار «فرنا»

٢٣٢	عودة «باتون»
٢٣٣	الحرب تمضي حية الخطى
٢٣٧	نزول صاعق في «بروفانسا» ؛ تطويق محقق في «نورمانديا»
٢٤٠	نهاية «فيشي»
٢٤١	«تولون» ، «مارسيليا» ، «مونتيليمار» ، «ليون»
٢٤٤	هل تلقى «باريس» المصير «فرصوفيا»؟
٢٥٠	هدة ، ومتاريس ، ووصول الفرقـة المصفحة الثانية

الفصل التاسع والعشرون

٥٨١ - ٥٨٠ _____ أيلول - كانون الأول ١٩٤٤ - حملة "هتلر" الأخيرة

٢٦٧ خريف مشووم
 ٢٦٨ رفع الحصار عن «أتفير»؛ إنقاذ «ستراسبورغ»
 ٢٧٣ تولد هجوم «الأردن»

الفصل الثالثون

٢٨٣-٢٨٧- تشریف امدادگر ۱۹۴۵- شاطی، سرتاپ بورگنے، فرسوفیا، بالطا

٢٨٦	الثلاث « ليني »
٢٩٤	إعادة فتح « الصين » ؛ ألسناء تنظر « طوكيو » شأيب الموت
٢٩٥	« هتلر » بين الشرق والغرب
٢٩٨	إنهايير ألماني على « الفيستول »
٣٠١	معركة « كولمار »
٣٠٢	« بالطبا » غرفة تسجيل

الفصل الثاني والثلاثون

سبتمبر - نيسان ١٩٤٥ - حاتم "هتلر"

- ٣١٠ «ريما غين» جسر على «الرين»
 ٣١٤ إنهايار حاجز «الرين»
 ٣٢٢ «أيزنهاور» يرغب عن «برلين»
 ٣٢٢ «هتلر» في معقله
 ٣٢٨ لقد بدأت معركة «برلين»
 ٣٣٣ نهاية «موسوليني» المفجعة

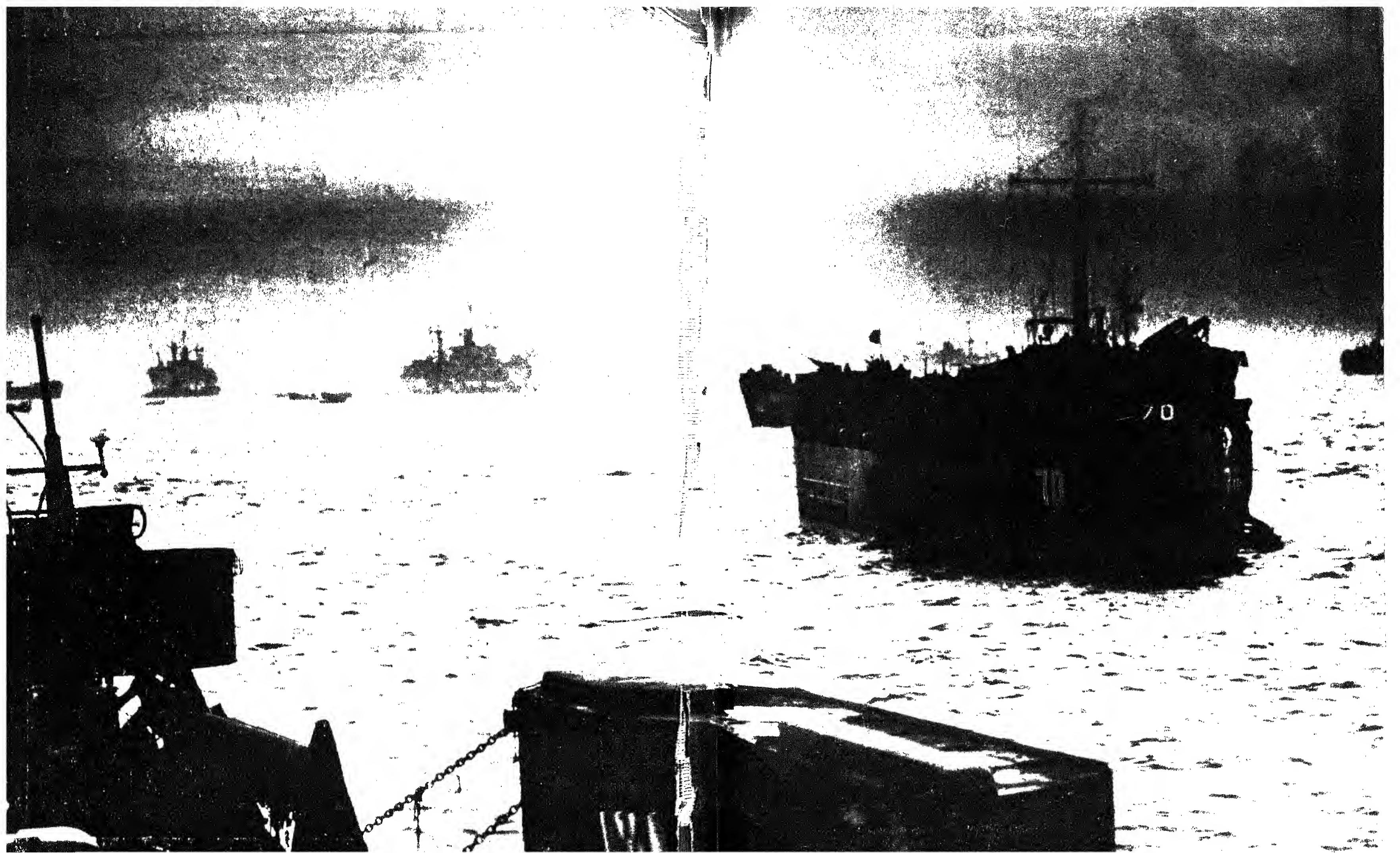
الفصل الثاني والثلاثون

أيار - ٢ آيلول ١٩٤٥ - اختصار «المانيا»، اختصار «اليابان»

- ٣٤٦ استسلامات الرايخ الثالث
 ٣٥٣ استعادة «مانيلا» - احتلال «إيوجيا» - «اليابان» في وضع يائس
 ٣٦٠ «بوتسدام» و «الاموغردو»

نبتة أحداث الحرب العالمية الثانية

PRINTED IN ITALY
BY MILANOSTAMPA
TLX 212428



يرقى اهتمامي بتاريخ الحرب إلى يوم كانت الإنقضاض ماتزال دامية، حين أكبتت على الوثائق التي جمعت لمحاكمة كبار مجرمي الحرب في «نورنبرغ»، ومنذ ذلك الحين قال الكثيرون من أبطال الحرب وشهادتها ما قالوه، فكتب «تشرتشل» و«ايزنهاور» و«ديغول» و«ماك آرثر» و«مانشتن» و«غيرهم مدحّراتهم»، ساردين الأحداث وعلّم أو جهّا، فضلاً عن الأشخاص القانوين الذي القوا دلاءهم موضعين بعض ما فدّ غمض، أو مفصلين بعض ما كان مُجملًا، ونشرت الدول مجلّدات ضخمة من الوثائق الدبلوماسية والعسكرية، فلم يبق في الأحداث الكبرى سترًا آرْوَفع، أو تفصيل إلاؤسند، والتمسّت في هذا الخضم سُمولاً جامعاً فلم أجد ولذلك نهضت إلى العمل، تحدواني الرغبة في عرض وقائع الحرب كلّها في مظاهرها العسكرية والسياسية والانسانية على السواء، فاتي هذا الكتاب ثمرة للجهد المبذول، إنّه لكتاب ضخم بصفحاته، ولكنه، مع ذلك، مختصر إذا ما قيس بالمادة التي شفّفتها دفاتره، ولقد بذلت في تحقيقه تمام قصاراي، فأمل أن أكون قد وفّقت إلى المتبعي، ومهما يكن من أمر فإنّ حسن النية كان رائدي وديديني في المهمة

ريمون كارتبيه

ولما كان رائدينا أن نتم المكتبة العربية بالجليل المفيد، وبالجميل المشوق، فقد عمدنا إلى نشر هذا الكتاب بلغة الضاد، وأملنا أن تكون قد أسدينا الخدمة التي دأبنا على السبيل وسدّدت منها الخطى، الناشرون